

# تفسير الجلالين

ومعه حاشية هداية الموحدين

التفسير للإمامين

جلال الدين

عبد الرحمن بن أبي بكر السبكي

(٥٨٤٩ - ٥٩١١ هـ)

جلال الدين

محمد بن أحمد بن محمد المحلي

(٥٧٩١ - ٥٨٦٤ هـ)

والحاشية

أبو عبد الرحمن

هشام محمد سعيد برغش

مراجعة وتقديمه

فضيلة الأستاذ الدكتور

أحمد عيسى المعصراوي

مشيخه من المقارئ المصرية ورئيس لجنة المحققين بالأزهر الشريف

مَدَامُ الْوَحْدَانِ لِلنَّبِيِّ

رَفَع

عبد الرحمن الحمدي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)



رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

تفسير الجليلي  
ومعه حاشية هداية الموحدين

حقوق الطبع  
محفوظة

طبعة عام ٢٠١٥

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م



دار الوطن للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض

المقر الرئيسي - الروضة - ت: ١١٢٣١٣٠١٨

ت: ١١٤٧٩٢٠٤٢ (٣ خطوط) - ف: ١١٢٣٢٢٠٩٦

الموقع الإلكتروني: [www.madaralwatan.com](http://www.madaralwatan.com)

البريد الإلكتروني: [pop@madaralwatan.com](mailto:pop@madaralwatan.com)  
[madaralwatan@hotmail.com](mailto:madaralwatan@hotmail.com)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٨/٢٢٤٧٧



# تفسير الجلالين

ومعه حاشية هداية الموحدين

التفسير للإمامين

جلال الدين

عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

(٨٤٩هـ - ٩١١هـ)

جلال الدين

محمد بن أحمد بن محمد الحلي

(٧٩١هـ - ٨٦٤هـ)

والحاشية

أبو عبد الرحمن

هشام محمد سعيد برغش

راجعه وقدم له

فضيلة الأستاذ الدكتور

أحمد عيسى المعصراني

شيخ عموم القارئ المصرية ورئيس لجنة المصحف بالأزهر الشريف



دار الكتب والوثائق  
بمصر





## تقريظ فضيلة الشيخ الدكتور / احمد عيسى المعصراوي

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عِوَجًا ۖ فَيَمَّا يَنْذِرُ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ١-٢]

أما بعد: فإن للقرآن الكريم أكبر شأن في أمر الإسلام، فهو هديهم في شريعتهم، وهو المنار الذي يستضاء به في أساليب البلاغة العربية، بل هو المنبع الصافي الذي ينهلون منه فلسفتهم الروحية والخلقية، وكما جعل المولى ﷺ النبوة نبينا ﷺ مختمة، وجعل شرائع غير المسلمين بشرية الإسلام من وجه منتسخة، ومن وجه آخر مكمل ومتممة، حيث قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣] فقد جعل المولى ﷺ كتابه المنزل على نبيه ﷺ متضمنا ثمرة كتبه التي أولاها أوائل الأمم؛ فقال سبحانه: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [١] فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿[البينة: ٢-٣].

وجعل معجزة هذا الكتاب أنه مع قلة الحجم، فهو متضمن للمعنى الجم، وأنه لا يخلو الناظر فيه من نور ما يريه، ونفع ما يوليه، فهو كما قال الشاعر:

كَالْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ التَّفَتُّ رَأَيْتُهُ      يُهْدِي إِلَى عَيْنَيْكَ نُورًا ثَاقِبًا  
كَالشَّمْسِ فِي كَبَدِ السَّمَاءِ وَضَوْوُهَا      يَغْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا

ومع ذلك فإن محاسن أنواره لا تدرکها إلا البصائر الجليلة، وأطاب ثمرة لا تقطفها إلا الأيدي الزكية، ومنافع شفافه لا تنالها إلا النفوس النقية، فهو كما قال سبحانه: ﴿إِنَّكُمْ لَقَرَنَ كَرِيمًا﴾ [٧٧] فِي كِتَابٍ مَّكُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿[الواقعة: ٧٧-٧٩]

ولذلك يعد علم التفسير هو من أجل العلوم التي توضح ما في القرآن من معنى ومبنى، وعلم التفسير في غنى أن يشاد بجلالته، وشدة اعتناء الأمة به، فإنه يستحق ذلك وأكثر، لجلالة ما يضاف إليه في هذا المحل، ويعد من أجل القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه تبارك وتعالى هو تعلم كتابه وتعليمه الناس ذلك حيث قال سبحانه: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمًا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] وقال ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»<sup>(١)</sup>، فالخيرية تنأت بتعلم القرآن وتعليمه مع العمل به، ولذلك كانت معرفة تفسير آيات القرآن من أجل المعارف.

وبين أيدينا تفسير من تفاسير القرآن التي اشتهرت بين أهل العلم؛ ألا وهو تفسير الجلالين الذي كان ولا يزال موضع اهتمام العلماء وحفاوتهم، وذلك لسهولة تعبيره ودقة عرضه، والتي عبر عنها الإمام السيوطي بقوله: (وهو ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى، والاعتماد على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتاج إليه، وتنبه على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف وتعبير وجيز، وترك

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، عن عثمان بن عفان حديث رقم (٥٠٢٧).

التطويل بذكر أقوال غير مرضية، وأعاريب محلها كتب العربية).

فالكتاب على ذلك موجز اقتصر فيه على ما هو ضروري لفهم النص إجمالاً مع بعض الاستطرادات في العربية أو القراءات، ومن ثم رآه العلماء في حاجة إلى تلك الحواشي لشرحه وتوضيحه.

وقد بلغ هذا التفسير من الإيجاز حدًا دفع بعض علماء اليمن إلى أن يعد حروفه، فوجدها مساوية لحروف القرآن إلى سورة المزمل، ولقد عبر الداوودي عن أهمية هذا التفسير بقوله عن الجلال المحلي: (وأجلّ كتبه التي لم تكمل: تفسير القرآن العظيم، كتب من أول سورة الكهف إلى آخر القرآن)<sup>(١)</sup>. ويؤكد الإمام السيوطي هذا الكلام بقوله في مفتتح تأليفه للجزء الباقي، حيث قال: (هذا ما اشتدت إليه حاجة الراغبين في تكملة تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الإمام العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي رَحِمَهُ اللهُ وتتميم ما فاتته، وهو من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الإسراء بتمة على نمطه).

ولقد طبع هذا التفسير طبعات كثيرة على مر العصور، ومن هذه الطبعات الطبعة التي بين أيدينا، والتي بذل فيها محققها فضيلة الشيخ هشام برغش، جهدًا كبيرًا استطاع أن يُخرج إلينا نسخة محققة وموثقة تساعد القارئ على فهم النصوص وتوثيقها من مصادرها الأساسية، وتخرّيج جميع الأحاديث، مما يعطي للقارئ الثقة فيما بين يديه، إضافة إلى تلافيتها للأخطاء الواقعة في الطبعات السابقة إن شاء الله.

والله أسأل أن ينفعنا بهذا العمل، وأن يكون في ميزان حسنات كل من قام به، وأن يسخرنا لخدمة كتابه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

الأستاذ الدكتور

أحمد عيسى المعصراني

شيخ عموم المقارئ المصرية ورئيس لجنة المصحف بالأزهر الشريف  
وأستاذ الحديث وعلمه بجامعة الأزهر









## المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، أحمدده سبحانه حمدًا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن هذا التفسير «تفسير الجلالين» من أوجز التفاسير وأدقها عبارة، وأكثرها انتشارًا؛ لما تميز به من سهولة العبارة ودقتها، مع الاهتمام بأرجح الأقوال، والبعد - في الجملة - عن الأقوال الشاذة.

إضافة إلى ما يحويه التفسير من أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، ووجوه القراءات المشهورة والإعراب، وشرح الغريب، مع إشارات مفيدة إلى آيات الأحكام؛ حتى بات هذا التفسير خلاصة من خلاصات العلوم.

ولا عجب أن يقول عنه صاحب «كشف الظنون»: «وهو - مع كونه صغير الحجم - كبير المعنى؛ لأنه لبُّ لباب التفاسير».

ولا يدرك قيمته ويعرف منزلته إلا من طالع ودرس كتب التفسير بمدارسها المختلفة، وإلا العلماء الأفذاذ وطلبة العلم النابهون.

ولذا كان هذا التفسير موضع اهتمام الشارحين والدارسين، وألفت فيه حواشٍ وشرح كثيرة.

وقد انتشر هذا التفسير انتشارًا واسعًا، ومما ساعد على ذلك طباعته على هوامش المصحف الشريف.

غير أن هذا التفسير رغم مكانته هذه لم يخل من مؤاخذات، ولم يحظ بما يستحقه من عناية كافية وتنبيه على ما فيه من مؤاخذات وأخطاء، وأهم هذه المؤاخذات على تفسير الجلالين هي:

١- الوقوع في تأويل الصفات.

٢- اشتماله على بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة وروايات لا أصل لها.

٣- وجود بعض الإسرائيليات.

٤- بعض الاختيارات المرجوحة في تفسير بعض الآيات.

وقد تتبع العلماء والمفسرون جملة من هذه الأخطاء وقاموا بالتنبيه عليها، ومنهم القاضي محمد كنعان في طبعة المكتب الإسلامي ببيروت (قرة العينين على تفسير الجلالين)، إلا أن الكتاب لم يستوعب جملة من الأخطاء التي وقع فيها مفسرو الجلالين، إضافة إلى بعض الأخطاء التي وقع فيها القاضي كنعان نفسه في التعليق، كما ذكر الشيخ محمد جميل زينو في

كتابه: «تنبيهات مهمة على قرة العينين وتفسير الجلالين».

وكذا هناك تعليقات وتعقيبات نفيسة للدكتور محمد عبد الرحمن الخميس في رسالة صغيرة بعنوان «أنوار الهالين في التعقبات على الجلالين».

كما قام الشيخ صفى الرحمن المباركفوري رَحِمَهُ اللهُ بالتعليق على التفسير المذكور في طبعة لدار السلام تعقب فيها الجلالين في تأويلهما لبعض الصفات... إلا أنه لم يستوعب ما وقع في الجلالين من تأويل.

وقد شرح الله صدري لاقتراح أحد الفضلاء - جزاه الله خيرًا - عليّ؛ أن أضع تعليقًا مختصرًا على ما وقع في هذا التفسير من تأويل لآيات الصفات؛ أين فيه عقيدة أهل السنة والجماعة ومنهجهم، فانشرح صدري لذلك، فاشتغلت به على عجزى آملًا أن أنضم لهذه الكوكبة من أهل العلم والفضل، في بيان ما وقع فيه صاحب التفسير من تأويل لآيات الصفات، وعرض مذهب السلف الصالح فيها، مع التحذير مما وقع فيه من إسرائيليات وأقوال مردودة، مع كشف لبعض غوامض هذا التفسير وعباراته المبهمة، مع ضبط النص ومقابلته على أكثر من نسخة مطبوعة.

ومن هذه الطبعات:

- ١- طبعة دار إحياء الكتب العربية، البابي الحلبي مع حاشية الصاوي.
  - ٢- طبعة المكتبة التجارية مع حاشية الجمل.
  - ٣- طبعة دار المعرفة - بيروت ١٤١٦ هـ.
  - ٤- طبعة دار البشائر الإسلامية - دمشق ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
  - ٥- طبعة دار السلام - الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
  - ٦- طبعة دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة السادسة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، المسمى (قرة العينين على تفسير الجلالين) للقاضي الشيخ محمد أحمد كنعان.
- وقد جعلت طبعة دار إحياء الكتب العربية مع حاشية الصاوي هي الأصل المعتمد لدقتها وقلة أخطائها، وإذا حدث اختلاف في النسخ أعتمد الأقرب منها الأوفق للسياق والمعنى، وأشير إلى ذلك في الحاشية.

## التعريف بالتفسير والمفسرين

أما التفسير:

فلم يضع الجلالان رحمهما الله تعالى لهذا التفسير اسمًا، بل عُرف بين العلماء بـ«تفسير الجلالين» وبـ«الجلالين» - اختصارًا - نسبة إليهما، وسماه بعضهم: «كتاب الجلالين في تفسير القرآن العظيم».

وقد اعتمد الجلالان في تفسيرهما هذا على عدد من التفاسير، أشار إليها الجلال السيوطي رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابه: «بُغْيَةُ الوَعَاةِ فِي تَرَاجُمِ اللُّغَوِيْنَ وَالتُّحَاةِ» عند ترجمته للإمام مَوْفَى الدين: «أحمد بن يوسف الكواشي» الموصلي المفسر، المتوفى عام ستين وثمانمائة (٨٦٠هـ، الموافق ١٤٥٥م) حيث قال:

«وله التفسير الكبير والصغير، جَوَّدَ فِيهِ الإِعْرَابَ وَحَرَّرَ أَنْوَاعَ الْوُقُوفِ<sup>(١)</sup>، وَأَرْسَلَ مِنْهُ نَسْخَةً إِلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالْقُدُسِ، قَلَّتْ<sup>(٢)</sup>: وَعَلَيْهِ اعْتَمَدَ الشَّيْخُ جَلَالُ الدِّينِ الْحَلِي فِي تَفْسِيرِهِ، وَاعْتَمَدَتْ عَلَيْهِ أَنَا فِي تَكْمِلَتِهِ مَعَ الْوَجِيزِ<sup>(٣)</sup>، وَتَفْسِيرِ الْبِيضَاوِيِّ، وَابْنِ كَثِيرٍ».

ولم يكتب الجلال المحلي مقدمة ولا خاتمة للقسم الذي فسر، أما الجلال السيوطي فقد كتب مقدمة مختصرة في أول سورة «البقرة»، وكتب خاتمة للقسم الذي فسر، في آخر تفسير سورة «الإسراء».

وأما المفسران:

فقد أُلِفَ هَذَا التفسير عالمان جليلان؛ لقب كل منهما: «جلال الدين»، وهما:  
الأول هو: أبو عبد الله: «محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد المحلي»، نسبة إلى «المحلة الكبرى» - مدينة في مصر - المتوفى عام أربعة وستين وثمانمائة (٨٦٤هـ، الموافق ١٤٥٩م). وهو الذي فسر: «فاتحة الكتاب» ومن أول سورة «الكهف» حتى آخر سورة «الناس».

والثاني هو: أبو الفضل: «عبد الرحمن بن كمال الدين - أبي بكر - الأسيوطي، أو: الشُّيُوطِي» - نسبة إلى «أسيوط أو شُيُوط» بضم الهمزة والسين - على خلاف بين العلماء -

(١) قوله: «وحرر أنواع الوقوف» أي: بيّن مواضع الوقف في القرآن الكريم وأنواعها؛ كالوقف التام والحسن والقيح... إلخ.

(٢) قوله: «قلّت» أي: الجلال السيوطي رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) قوله: «مع الوجيز»: هو تفسير مختصر للشيخ أبي الحسن: علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، المتوفى عام ٤٦٨هـ.

إحدى مدن الجنوب في مصر، وتعرف الآن بـ«أسيوط» بفتح الهمزة، المتوفى عام أحد عشر وتسعمائة (٩١١هـ، الموافق ١٥٠٥م).

وهو الذي فسّر التتمة، أي: من أول سورة «البقرة» إلى آخر سورة «الإسراء»، - وقد وهّم صاحب «كشف الظنون» في نسبة هذا القسم إلى الجلال المحلي.. وكان عمره إذ ذاك اثنتين وعشرين سنة أو أقلّ منها بشهور، وكان ذلك بعد وفاة الجلال المحلي بست سنين.

### مكانة هذا التفسير بين العلماء وعنايتهم به:

لما كان كتاب الجلالين من أجل كتب التفسير، فقد أجمع على الاعتناء به جم غفير من أهل البصائر والتنوير، وتوجّهت همهم لخدمته، فكان موضع اهتمام الشارحين والدارسين، وألفت فيه حواشٍ وشرح كثيرة؛ توضح مجمله، وتزيل غامضه، وتبين دقائقه، ومن أهمها:

١- حاشية للشيخ محمد بن عبدالرحمن العلقمي، المتوفى (٩٦٩هـ) سماها: «قَبَسُ النَّبِيرَيْنِ على تفسير الجلالين» فرغ من تأليفها عام (٩٥٢هـ). ولا تزال مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق.

٢- حاشية للشيخ محمد بن محمد الكرخي المتوفى، عام (١٠٠٦هـ) سماها: «مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ وَمَطْلَعُ الْبَدْرَيْنِ على الجلالين» في أربعة مجلدات، وله حاشية أخرى صغرى عليه في مجلدين. (غير مطبوعتين).

٣- حاشية للشيخ الحافظ الملا علي بن محمد القاري، المتوفى عام (١٠١٠هـ) سماها: «حاشية الجمالين على الجلالين» فرغ من تأليفها عام (١٠٠٤هـ) طُبِعَ جزءٌ منها.

٤- حاشية للشيخ سليمان بن عمر العجيلي الأزهري المعروف بـ«الجمال»، المتوفى عام (١٢٠٤هـ) سماها: «الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية» وهي في أربعة مجلدات، مطبوعة معروفة.

٥- حاشية لتلميذ الشيخ الجمل معروفة بـ«حاشية الصاوي على الجلالين»، ألفها الشيخ: أحمد ابن محمد الخلوتي الصاوي، نسبة إلى بلدة «صاء الحجر» في إقليم الغربية بمصر، المتوفى عام (١٢٤١هـ).

وهاتان الحاشيتان هما المشهورتان، المتداولتان من شروح «تفسير الجلالين».

٦- حاشية للشيخ سلام الله الدهلوي سماها: «حاشية الكمالين على الجلالين» طبعت عام (١٢٨١هـ).

٧- حاشية للشيخ محمد بن صالح أبي السعود السباعي الحفناوي المصري، المتوفى عام (١٢٦٨هـ) في ثلاثة مجلدات - مخطوطة..

٨- حاشية للشيخ سعد الله بن غلام القندهاري، سماها: «كشف المحجوبين عن خَدَي تفسير الجلالين» أو: «على تفسير الجلالين».

- ٩- حاشية للشيخ مصطفى الدّومي، المعروف بالدّوماني، ثم الصالحاني، المتوفّى في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، في مجلدين سماها: «ضوء الثّيرين لفهم تفسير الجلالين».
- ١٠- حاشية للشيخ علي بن محمد عفيف الدين العقيلي الأنصاري الشافعي محدث الديار اليمنية، المتوفّى عام (١١٠١هـ).
- ١١- شرح على الجلالين للشيخ إسماعيل بن عبد الباقي اليازجي، المتوفّى عام (١١٢١هـ).
- ١٢- حاشية للشيخ عطية الله بن عطية البرهاني الأجهوري، المتوفّى عام (١١٩٠هـ)، وسماها: «كتاب الكوكبين الثّيرين في حلّ ألفاظ الجلالين».
- ١٣- حاشية للشيخ عبد الرحمن بن محمد التّطواني الحائك، المتوفّى عام (١٢٣٧هـ).
- ١٤- حاشية للشيخ عبد الله بن محمد الثّراوي المصري، المتوفّى عام (١٢٧٥هـ)، سماها: «قرة العين ونزهة الفؤاد» في أربعة مجلدات لا تزال بخطه محفوظة في المكتبة الأزهرية.
- ١٥- حاشية للشيخ أحمد بن عبد الكريم الثّرمانيني - نسبة إلى «ثّرمانين» إحدى قرى حلب - المتوفّى عام (١٢٩٣هـ).
- ١٦- حاشية للشيخ محمد بن عبد الله الحسيني الزّواك الحديدي الزّيدي، المتوفّى عام (١٣١١هـ).
- ١٧- حاشية للشيخ عبد الرحمن بن محمد القصري الفاسي، المتوفّى عام (١٠٣٦هـ).
- ١٨- «مَسْرُة العينين على تفسير الجلالين» للشيخ محمد بن خليل القاوقجي الطرابلسي، المتوفّى عام (١٣٠٥هـ)<sup>(١)</sup>.
- ١٩- «قَرّة العينين على تفسير الجلالين» للقاضي الشيخ محمد أحمد كنعان.
- ٢٠- هذا المختصر الذي سمّيته: «حاشية هداية الموحدين على تفسير الجلالين»،

\*\*\*



رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

## منهج العمل في الكتاب

- ١- قمت بضبط النص وتصحيحه ومقابلته على النسخ المطبوعة المعتمدة، وجعلت طبعة «دار إحياء الكتب العربية مع حاشية الصاوي» هي الأصل المعتمد؛ لدقتها وقلة أخطائها، وعدم وجود سقط بها، ثم نسخة القاضي كنعان؛ «قرة العينين على تفسير الجلالين»، ثم نسخة الشيخ صفى الرحمن، وعند وجود اختلاف جوهري، أو سقط، أعتمد ما جاء في نسخة حاشية الصاوي إلا ما ظهر لي خطؤه، وهو نادر جدًا - مع الإشارة إلى الاختلاف أو السقط في نسخة القاضي خاصة، ووجه ذلك.
- ٢- تتبع ما وقع في الجلالين من تأويل لآيات الصفات، وبينت وجه مخالفتها لعقيدة السلف، وبينت عقيدة أهل السنة في تفسير هذه الآيات، في كل موضع وقف في فيه على شيء من ذلك، ولم أكتف بتناول بعضها والإحالة عليه.
- وكان هذا الأمر هو مقصود الكتاب الأول عند بدء العمل فيه، وقد استفدت في هذا الباب مما كتبه المفسرون الذين اعتمدوا طريقة السلف ونصروا عقيدة أهل السنة والجماعة؛ كابن جرير، وابن كثير، والبغوي، وابن سعدي.
- كما استفدت كثيرًا مما كتبه بعض المتأخرين من أهل العلم ممن عرف بسلامة اعتقاده، ونصرتهم لعقيدة أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات؛ ممن تعقب بعض ما في الجلالين من تأويل، ومن ذلك:
- أ- «أنوار الهلالين في التعقبات على الجلالين» للدكتور محمد بن عبد الرحمن آل خميس.
- ب - «تنبيهات مهمة على قرة العينين وتفسير الجلالين» للشيخ محمد بن جميل زينو.
- ج - تعليقات الشيخ عبدالرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللهُ عَلَى تَفْسِيرِ الْجَلَالِينَ؛ من سورة غافر إلى سورة الناس.
- د - «المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات» للشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي.
- إضافة إلى بعض الكتب والرسائل المتفرقة في هذا الباب؛ كالعقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية وشروحاتها.
- ٣ - بينت ما وقع في الجلالين من إسرائيليات؛ مما لا يجوز نسبته إلى أنبياء الله الكرام أو الملائكة، وذكرت أقوال السلف وكلام أهل التفسير في كل ذلك.
- ٤ - قمت بضبط وشكل الكلمات التي قد يُشكل على القارئ فهمها أو نطقها النطق الصحيح.
- ٥ - كما اجتهدت في وضع علامات الترقيم بما يحقق توضيح المعنى وفهم العبارة، وإزالة ما قد يعثر بها من لبس أو غموض.

- ٦- كما بينت ما وقع في الجلالين من عبارات غامضة أو كلمات مشككة. وقد جعلت الآيات التي يتناولها المفسران بالتفسير بلون مغاير لغيرها من الآيات التي يذكرها المفسران في ثنايا الشرح؛ للتسهيل على القارئ في الوصول إلى الآيات موضع الشرح، وحتى لا تلبس عليه بغيرها من الآيات؛ حيث إنني اعتمدت رسم المصحف في الآيات كلها، وليس فيما يفسره المفسران أصالة في كل سورة.
- ٧- بينت أوجه القراءات المختلفة التي تعرض لها المفسران، وعزوتها لأصحابها، مع بيان السببي منها من الشاذ. وذلك بالرجوع إلى كتب هذا الفن ومتخصصيه.
- ٨- تعقبت ما اعتمده المفسران من أقوال مرجوحة، وذكرت قول جماهير المفسرين في هذه المواضع، وما اختاره محققوهم كالطبري وابن كثير.
- ٩- قمت بعزو الآيات التي وردت في أثناء التفسير، كما قمت بتخريج الأحاديث تخريجاً مختصراً، مع بيان درجتها من الصحة والضعف.. إذا كانت في غير الصحيحين أو أحدهما؛ بالرجوع إلى علماء هذا الفن، وكان جلُّ اعتمادي على كلام الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ، وما لم أقف له فيه على قول؛ فكنت أرجع فيه لكلام الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ أو الشيخ الأرناؤوط رَحِمَهُ اللهُ. وإلا فكنت أرجع إلى كلام المتقدمين في ذلك كالهيثمي وابن حجر وغيرهما.
- ١٠- أثبت في الحاشية الأولى ما جاء من صحيح أسباب النزول، مكتفياً بما جاء في الكتب الستة ومسند الإمام أحمد.
- واقصرت فيه على الصحيح فقط؛ معتمداً في ذلك على ما صححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في كتبه، وأما ما لم أقف فيه على كلام الشيخ الألباني كما في مسند الإمام أحمد - غالباً.. فقد رجعت فيه إلى كلام الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ في الجزء الذي أتمه من المسند، وكذا رجعت لتعليقات الشيخ شعيب الأرناؤوط رَحِمَهُ اللهُ في المسند.
- واكتفيت في أسباب النزول - في هذه الحاشية - بما صح في هذه الكتب فقط.
- وأما ما جاء في أسباب النزول - مما تعرض له المفسران - مما لم يصح في هذه الكتب الستة ومسند الإمام أحمد فقد جعلته في الحاشية الثانية.
- وكذلك ما ذكره المفسران في أسباب النزول في غير الكتب الستة ومسند أحمد - سواء أكانت صحيحة أم لا - فقد علقت عليها بالعزو والتصحيح أو التضعيف، في الحاشية الثانية.
- جعلت في هذه الحاشية بعض الفوائد المتعلقة ببعض السور أو الآيات من خلال الأحاديث الصحيحة في الكتب الستة ومسند الإمام أحمد.
- ١١- اعتمدت مصحف المدينة لانتشاره ولجمال خطّه، واجتهدت قدر الإمكان أن أجعل التفسير وحواشيه متوافقة مع صفحات المصحف الشريف، إلا في مواضع قليلة اضطرت

إليها لضيق المجال المتاح.

١٢- حيث إن «الجلالين» لم يتقيدا في تفسيرهما بقراءة أو رواية واحدة، ولم يلتزما بتقديم قراءة بعينها، مع ارتباط تفسيرهما بالقراءة أو الرواية التي اعتمداها؛ فقد تعذر اعتماد رواية بعينها مثل حفص عن عاصم، أو ورش أو غيرهما؛ ومن ثم فقد اعتمدت ما اعتمدها من قراءات أو روايات، وما خالف قراءة حفص جعلته بين معقوفين؛ هكذا [ ] .

وقد استغرق العمل في هذا الكتاب المبارك قرابة عشر سنوات كاملة، حرصت خلالها على عرضه على كثير من أهل العلم ممن لهم عناية خاصة بالتفسير والقرآن وعلومه، واستفدت من توجيهاتهم ونصائحهم، وقد حاز الكتاب والحمد لله إعجابهم وحظي بشنائهم، وشجعوا على إتمامه وإخراجه، حتى يشر الله ﷻ إخراجه على هذه الصورة الطيبة، فله سبحانه الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

وأسأل الله ﷻ أن يتقبل مني هذا العمل بأحسن قبول؛ فهو سبحانه أكرم مسئول، وأرجى مأمول، كما أسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، نافعا لعباده الموحدين. اللهم أنس به في القبر وحشتي، وفرج به يوم القيامة كربتي، ويمن به يوم النشور صحتي، وثبت به على الصراط محبتي...

وصلّى الله وسلم وبارك على خاتم النبيين والمرسلين وسيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

والحمد لله رب العالمين

وكتبه

أبو عبد الرحمن

هشام محمد سعيد برغش

الإسكندرية

ليلة الجمعة / غرة جمادي الأولى ١٤٢٨ هـ

dr\_hesham\_barghash@hotmail.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

تَفْسِيرُ الْجَلِيلِ  
وَمَعَهُ حَاشِيَةٌ هِدَايَةِ الْمُؤَحِّدِينَ

التفسير للإمامين

جَلال الدّین  
عَبْد الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرِ السُّيُوطِي  
(۸۴۹ھ - ۹۱۱ھ)

جلال الدین  
محمد بن أحمد بن محمد المحلی  
(۷۹۱ھ - ۸۶۴ھ)

وَالْحَاشِيَةُ

أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ سَعِيدُ بْنُ عِشْرَةَ

رَاجَعَهُ وَقَدَّمَ لَهُ

فضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد عيسى المعصراوي

شيخ عموم المقاريء المصرية ورئيس لجنة المصحف بالأزهر الشريف



## سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

[مَكِّيَّةٌ، سَنِعُ آيَاتِ الْبِسْمَلَةِ إِنْ كَانَتْ مِنْهَا، وَالسَّابِعَةُ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ إِلَى آخِرِهَا. وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهَا؛ فَالسَّابِعَةُ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾ إِلَى آخِرِهَا، وَيُقَدَّرُ فِي أَوَّلِهَا: «قُولُوا»؛ لِيَكُونَ مَا قَبْلَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مَنَاسِبًا لَهُ بِكَوْنِهَا مِنْ قَوْلِ الْعِبَادِ] (\*) (١)

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[٢] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جملة خبرية فُصِّدَ بها الثناء على الله بمضمونها على أنه - تعالى -: مالكٌ لجميع الحمد من الخلق، أو مستحقٌّ لأنَّ يحمدوه، (والله) عَلَّمَ على المعبود بِحَقِّ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: مالكٌ جميع الخلق؛ من الإنس والجن والملائكة والدواب وغيرهم، وكل منها يُطْلَقُ عليه عالم؛ يقال: عالم الإنس وعالم الجن إلى غير ذلك، وَغُلِبَ في جمعه بالياء والنون أولي (٢) العلم على غيرهم، وهو (٣) من العلامة؛ لأنه علامة على موجدِه.

[٣] ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أي: ذي الرحمة، وهي: إرادة الخير لأهله (٤). [٤] ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ (٥) ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ أي: الجزاء؛ وهو: يوم القيامة، وَخُصَّ بالذكر؛ لأنه لا ملك ظاهراً فيه إلا أحدُ الله - تعالى -: بديل (٦) لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ (٦)، وَمَنْ قَرَأَ: ﴿مَلِكٌ﴾ فَمَعْنَاهُ: مالك الأمر كله في يوم القيامة، أو هو موصوفٌ بذلك دائماً؛ كـ ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ (٧)؛ فَصَغُ وَقُوْعُهُ صِفَةٌ لمعرفة.

[٥] ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: نخضع بالعبادة من توحيد وغيره، ونطلب المعونة على العبادة وغيرها.

[٦] ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: أرشدنا إليه، وَيُجَدَّلُ مِنْهُ (٨)؛

[٧] ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالهداية، وَيُجَدَّلُ مِنْ ﴿الَّذِينَ﴾ بِصَلَاتِهِ (٩)؛ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهم: اليهود ﴿وَلَا﴾

وغير ﴿الضَّالِّينَ﴾ (١٠)؛ وهم: النصارى. وَنَكْتُهُ البديلُ إفادةُ أن المهتدين ليسوا يهوداً ولا نصارى. والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا دائماً أبداً، وحسبنا الله

ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

\*\*\*

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن ابن عباس قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك. قال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته. مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) باب (٤٣) فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، وأخرج النسائي عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل الله ﷻ في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن، وهي السبع المثاني». النسائي - كتاب الافتتاح (١١) باب (٢٦)، وأخرجه الترمذي مطولاً، وفيه: «والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلاً». كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (١). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٣٠٧).

(١) في الأصل - من حيث وضع نسخ الجلال (أي السيوطي) - أورد تفسير سورة الفاتحة بعد سورة الناس؛ حيث إن المحلي هو الذي فسرها بعد سورة الناس؛ فجعلها السيوطي خاتمة وآخر التفسير؛ ليكون تفسير المحلي منضماً بعضه إلى بعض.

(٢) في بعض النسخ: «أولوه» على تقدير نائب فاعل لأغلب.

(٣) أي: العالم.

(٤) وهذا التأويل هو مذهب الأئمة من أشعرية ومعتزلة وغيرهما، ومذهب لسلف إثبات هذه الصفة وغيرها مما ثبت بالكتاب والسنة على الوجه اللائق به - شيخناؤه - ومن لوازمها إرادة الخير والإحسان والإنعام بن رحمه.

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عمر وحزمة، وقرأ عاصم والكسائي: ﴿مَلِكٌ﴾ (٦) غافر: ١٦. (٧) غافر: ٣. (٨) أي: بدل كل من كل، وهو قوله بعدها: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وفائدته التوكيد وانتصيص على أن صراط المسلمين هو المشهور عليه بالاستقامة على أكيد وجه وأبغ.

(٩) أي: إن ﴿غَيْرِ﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ﴾، وقيل: هي نعت للذين.

(١٠) فائدة: خبر الفاتحة قوله - تعالى -: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، وأما لفظ «آمين» فليس منها ولا من القرآن مطلقاً، بل هو شق، وهو اسمٌ فقلي؛ بمعنى: «اللهم استجب».

بذكر أفعال غير مرضية وأعاريب محلها كتب العربية، والله أسأل النفع به في الدنيا وأحسن الجزاء عليه في العقبى بمه وكرمه.

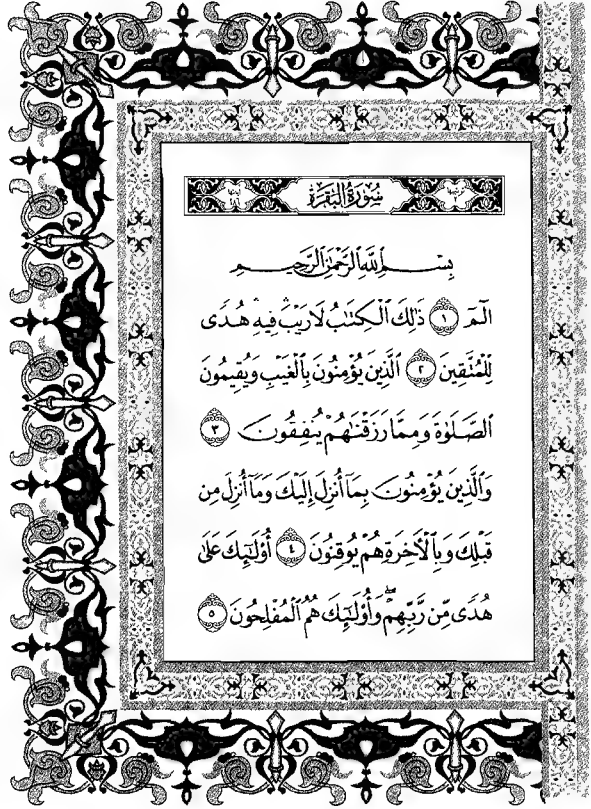
[١] ﴿الْعَرَبُ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

[٢] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: هذا ﴿الْكِتَابُ﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ أنه من عند الله، وجملة النفي خير مبتدؤه ﴿ذَلِكَ﴾، والإشارة به للتعظيم ﴿هُدًى﴾ خبر ثانٍ؛ أي: هادٍ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الصائرين إلى التقوى بامتنال الأوامر واجتناب النواهي لاتقانهم بذلك النار.

[٣] ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون ﴿بِالْغَيْبِ﴾ بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي: يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُقِفُّونَ﴾ في طاعة الله.

[٤] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: التوراة والإنجيل وغيرهما ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يعلمون<sup>(١)</sup>.

[٥] ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ اغاثزون بالجنة الناجون من النار.



### سُورَةُ الْبَقَرَةِ

[مدنية، مائتان وست أو: سبع وثمانون آية]\*

مقدمة السيوطي رَحِمَهُ اللهُ:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) الحمد لله حمداً موافقاً لنعمه مكافئاً لمزيد، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه وجنوده. هذا ما اشتملت إليه حاجة الراغبين في تكملة تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الإمام العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي رَحِمَهُ اللهُ وتتميم ما فاتته وهو من أول سورة البقرة إلى آخر الإسراء. بتتمة على نمط من ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى والاعتماد على أرجح الأقوال، وإعرا ب ما يحتاج إليه، وتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف وتعبير وجيز وترك التطويل

(١) فائدة: أخرج البخاري عن يوسف بن ماهر قال: إني عند عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إذ جاءها عراقي فقال: أي الكفن خير؟ قالت: ويحك، وما يضرك! قال: يا أم المؤمنين، أريني مصحفك، قالت: لم؟ قال: لعليّ. وُلِفَ القرآن عليه؛ فإنه يقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك أيُّ قرأت قبل؟ إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر اخنة والنار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنا لقالوا: لا ندع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقَ وَالشَّكَاةَ أَكْثَرَ وَأَعْلَىٰ﴾، وم نزلت سورة البقرة ونساء إلا وأنا عنده، قال: فأخرجت له المصحف، فأملت عليه آي السور. البخاري كتاب فضائل القرآن (٦٦) باب (٦) تأليف القرآن.

(١) من هنا إلى آخر سورة الإسراء من وضع السيوطي، وكان المحلي قد بدأ في تفسير البقرة، وبعد أن مضى في تفسير آيات يسيرة توفاه الله، وليس لدينا علم عن كم ما فسر المحلي من آيات. (٢) أي: علما قطعاً لا شك فيه.

[٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كأي جهل وأبي لهب ونحوهما ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه<sup>(١)</sup>، ﴿أَمْ لَمْ نُنْزِئْهُمُ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لعلم الله منهم ذلك، فلا تطمع في إيمانهم، والإنذار إعلام مع تخويف.

[٧] ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ طبع عليها واستوثق؛ فلا بدخلها خير ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ أي: مواضعه؛ فلا ينفقون بما يسمعون من الحق ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاةٌ﴾ غطاء؛ فلا يبصرون الحق ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قوي دائم.

[٨] ونزل في المنافقين: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي: يوم القيامة؛ لأنه آخر الأيام ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ زوعي فيه معنى ﴿مَن﴾، وفي ضمير ﴿يَقُولُ﴾ لفظها.

[٩] ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بإظهار خلاف ما بطنوه من الكفر؛ ليدفعوا عنهم أحكامه الدينية، ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ لأن وتآل خداعهم راجع إليهم؛ فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيّه على ما بطنوه، ويُعاقبون في الآخرة ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يعلمون أن خداعهم لأنفسهم، والمخادعة هنا من واحد؛ كـ «عاقبت اللص»، وذكر الله فيها تحسين<sup>(٣)</sup>، وفي قراءة: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾.

[١٠] ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ شك ونفاق، فهو يمرض قلوبهم أي: يضعفها ﴿فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ بما أنزله من القرآن لكفرهم به ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿يَمَّا كَانُوا يُكَذِّبُونَ﴾ بالتشديد أي: نبي الله، وبالتخفيف أي: قولهم: ﴿وَأَمَّا﴾<sup>(٤)</sup>.

[١١] ﴿وَلِذَا قِيلَ لَهُمْ: أَمِنُوا قَدْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ بالكفر والتعويق عن الإيمان ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصَلُِّونَ﴾ وليس ما نحن فيه بفساد. قال الله - تعالى - ردّاً عليهم: [١٢] ﴿أَلَا لِلنَّبِيِّ هُـمُ الْفُتُورُ﴾ ولكن لا يَشْعُرُونَ بذلك.

[١٣] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ أصحاب النبي ﷺ، ﴿قَالُوا أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ الجهال؛ أي: لا نفعل كفعولهم. قال - تعالى - ردّاً عليهم: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[١٤] ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ أصله «القبوا»؛ حذف الضمة؛ للاستئفال ثم الباء؛ لاتِّفَاقِها ساكنة مع الواو ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا﴾ منهم ورجعوا ﴿إِلَى شَتَّى طَائِفَةٍ﴾ رؤسائهم ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ فِي الدِّينِ﴾ أي: إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ بهم بإظهار الإيمان.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَةَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَمَّا كَانُوا يُكَذِّبُونَ ﴿١٠﴾ وَلَا قِيلَ لَهُمْ لَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصَلُِّونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنْتُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَتَّى طَائِفَةٍ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ فَمَا رَجِحتَ تَجَدُّرَهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

[١٥] ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ يجازيهم باستهزائهم<sup>(٥)</sup>، ﴿وَيَسْتَكْذِبُ﴾ يجهلهم ﴿فِي طُعْنِهِمْ﴾ بتجاوزهم الحد في الكفر ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون تحييراً، حال<sup>(٦)</sup>.

[١٦] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ﴾ أي: استبدلوا به ﴿فَمَا رَجِحتَ تَجَدُّرَهُمْ﴾ أي: ما رجحوا فيها؛ بل خسروا لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ فيما فعلوا.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وقالوا وهشام ورش إبدالها ألفاً خالصة والمدة قدر ألف، فإذا كان بعدها ساكن مد للساكين. وفصل أبو عمرو وقالوا وهشام من طريق الخليلاني بين الهمزتين بالألف. وهكذا في جميع النظائر من كل همزتين مجتمعين في كلمة، إلا ما يأتي النص على خلافه ويأنه إن شاء الله. وأجمعوا على عدم الفصل في قوله - تعالى -: ﴿أَلَيْسَ كَقَرْيَةٍ﴾ وسهل همزتها الثانية نفع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر.

(٢) هذه قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرا الباقون ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾. (٣) أي: لكتلام، وكأنه إجابة سؤال تقديره: كيف يَخَادِعُ الله: أي: يحتال عليه وهو يعلم الضمائر؟! فحجاب عنه بما ذكر.

(٤) وهذا تأويل، والصواب في هذا ونحوه إتيائه على ما يبيح لجلال الله وعظمته من غير أن يشق له اسم أو صفة؛ فلا يقال: ماكر ولا مخادع ولا مستهزئ. تعالى الله عن ذلك. قال ابن القيم: «وقد قيل: إن تسمية ذلك مكراً وكيداً واستهزاءً وخداعاً من باب الاستعارة ومجاز المقالة... وقيل - وهو أصوب -: بل تسمية ذلك حقيقة على بابه...» [إعلام الموقعين (٣/ ٢١٨، ٢١٩)]. ومن ذلك ما أخبر - شيخنا - أنه يفعله بالنافقين في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسَبْ مِن نَّارِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا ذُنُوبَكُمْ فُتْرِبَ بَيْنَهُم بِشُورٍ لَّهُمْ بَأْسٌ بَاطِلٌ مِّنْ أَلْمَتِهِمْ وَلَهُمْ فِي يَدَيْهِ الْمَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]، وهذا عدل منه - شيخنا - وحكمة، وإيضاح.

(٦) أي: إن جملة ﴿يَعْمَهُونَ﴾ في محل نصب على الحال، إما من الضمير في ﴿وَيَسْتَكْذِبُ﴾ أو من الضمير في ﴿طُعْنِهِمْ﴾.

السحاب<sup>(٤)</sup> ﴿ظَلُمْتُ﴾ متكاثفة ﴿وَرَعَدُ﴾ هو الملك الموكل به، وقيل: صوته ﴿وَرَقَّ﴾ لمان شوطه الذي يزجره به ﴿يَجْعَلُونَ﴾ أي: أصحاب الصيب ﴿أَصْبَعُهُمْ﴾ أي: أناملهم ﴿فِي مَآذِنِهِمْ مِنْ﴾ أجل ﴿الْقَوَائِيْقِ﴾ شدة صوت الرعد؛ لئلا يسمعوها ﴿حَذَرَ﴾ خوف ﴿الْمَوْتِ﴾ من سماعها؛ كذلك هؤلاء إذا نزل القرآن، وفيه ذِكْرُ الكفر المشبه بالظلمات، والوعيد عليه المشبه بالرعد، والحجج البينة المشبهة بالبرق يسدون أذانهم؛ لئلا يسمعه فيميلوا إلى الإيمان وترك دينهم وهو عندهم موت ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ علما وقدره؛ فلا يفوتونه.

[٢٠] ﴿يَكَادُ﴾ يقرب ﴿الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ يأخذها بسرعة ﴿كَلَّمَا أَصَاءَهُمْ مَسْئَاتُ فِيهِ﴾ أي: في صوته ﴿وَإِذَا أَقْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ وقفوا، تمثيل لإزعاج ما في القرآن من الحجج قلوبهم، وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون، ووقوفهم عما يكرهون. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ بمعنى أسماعهم ﴿وَأَبْصَرَهُمْ﴾ الظاهرة كما ذهب بالباطنة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ومنه إذهاب ما ذكر.

[٢١] ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ﴾ أي: أهل مكة ﴿أَعْبَادُهَا﴾ وحُدُودُ ﴿رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أنشاكم ولم تكونوا شيئا ﴿وَوَجَدَ خَلْقَ﴾ ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَلَكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بعبادته عبادة، ولعل في الأصل للترجي، وفي كلامه - تعالى - للتحقيق. [٢٢] ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ ﴿خَلْقَ﴾ ﴿لَكُمْ الْأَرْضَ رِشَاءً﴾ حال<sup>(٥)</sup>، بساطا يُفْتَرَشُ، لا غاية في الصلاة أو الليونة فلا يمكن الاستقرار عليها ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾ سقفا ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ ﴿وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ كُمُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

[٢٣] ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ محمد من القرآن أنه من عند الله ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ أي: المنزل، (ومن) للبيان؛ أي: هي مثله في البلاغة وحسن النظم والإخبار عن الغيب. «والسورة قطعة لها أول وآخر، أفلها ثلاث آيات»<sup>(٦)</sup>، ﴿وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ ألهمكم التي تعبدونها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: من غيره لتعينكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن محمداً قاله من عند نفسه فافعلوا ذلك، فإنكم عربون فصحاء مثله. ولما عجزوا عن ذلك قال - تعالى - [٢٤] ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ ما ذكر لعجزهم ﴿وَكُنْ تَفْعَلُوا﴾ ذلك أبداً؛ لظهور إعجازه، اعتراض<sup>(٧)</sup>، ﴿فَأْتُوا بِاللَّهِ﴾ وأنه<sup>(٨)</sup> ليس من كلام البشر ﴿الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ الكفار ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ كاستنهم منها؛ يعني: أنها مفرطة الحرارة تنقد بما ذكر، لا كنار الدنيا تنقد بالخطب ونحوه ﴿أُعِدَّتْ﴾ هُبَّتْ ﴿الْكُفْرِينَ﴾ يُعَذِّبُونَ بها، جملة مستأنفة<sup>(٩)</sup> أو حال لازمة<sup>(١٠)</sup>.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٧﴾ صَمُّكُمْ عَمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرُّ يُجْعَلُونَ أَصْلِعُهُمْ فَعَادَانِهِمْ مِنَ الصَّوْعِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١١﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كَلَّمَا أَصَاءَهُمْ مَسْئَاتُ فِيهِ وَإِذَا أَقْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرَهُمْ إِنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَتَأْتِيَ النَّاسَ النَّاسُ أَعْبَادُ رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ كُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

[١٧] ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم في نفاقهم ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ﴾ أوقد ﴿نَارًا﴾ في ظلمة ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ أنارت ﴿فَمَا حَوْلَهُ﴾ فأبصر واستدفأ وأمن من يخافه ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أطفاله، وجميع الضمير مراعاة لمعنى ﴿الَّذِي﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ما حولهم، متحيرين عن الطريق، خائفين؛ فكذلك هؤلاء أمثوا بإظهار كلمة الإيمان؛ فإذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب.

[١٨] هم ﴿عُمَى﴾ عن الحق فلا يسمعون سماع قبول ﴿بِكُمْ﴾ خرس عن الخير فلا يقولونه<sup>(٢)</sup> ﴿عَمَى﴾ عن طريق الهدى فلا يرونه<sup>(٣)</sup> ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عن الضلالة.

[١٩] ﴿أَوْ﴾ مَثَلُهُمْ ﴿كَصَيْبٍ﴾ أي: كأصحاب مطر، وأصله صوب من صاب يصوب أي: يزل ﴿مِنْ السَّمَاءِ﴾ السحاب ﴿فِيهِ﴾ أي:

(١) وهو جعلها بمعنى: الذين.

(٢) وظاهر النظم، وكلام كثير من المفسرين أن الضمير راجع للصب.

(٣) أي: من الأرض، وهذا بناء على ما جرى عليه من أن ﴿جَعَلَ﴾ بمعنى: «خَلَقَ» التعددي لواحد وهو الأرض، وجرى غيره على أنه بمعنى: «صَنَعَ»، وأن ﴿وَرَبَّكَ﴾ المفعول الثاني.

(٤) بيان خللها من الواقع؛ فإن أقصر سورة ثلاث آيات، وليس من التعريف، ولو فرض أنها آيات لعجزوا أيضاً.

(٥) أي جملة: «وَلَنْ تَفْعَلُوا» معترضة بين الشرط وجوابه، ومعنى الاعتراض في الغالب التوكيد.

(٦) أي: وبأنه.

(٧) أي: لا ارتباط لها بما قبلها، وقعت في جواب سؤال مقدر، تقديره: هذه النار التي وقودها الناس والحجارة لمن؟

(٨) أي: والتقدير: فاتقوا النار حال كونها معدة ومهيأة للكافرين، ودفع بقوله: «لازمة» ما قيل: إنها معدة للكافرين اتقوا أم لم يتقوا. «حاشية الصاوي».

(٩) أي: رؤية ناعمة.

(١٠) أي: قولاً مطابقاً للواقع؛ لما سبق أنهم مؤمنون بظاهرها.

[٢٥] وَيَتَذَكَّرُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴿صَدَقُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الفروض والنوافل ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ﴾ حقائق ذات أشجار ومساكن ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي: تحت أشجارها وقصورها ﴿الْأَنْهَارُ﴾ أي: المياه فيها، والنفث الموضع الذي يجري فيه الماء؛ لأن الماء ينفثه أي: يحفره، وإسناد الجري إليه مجاز ﴿كَلِمَاتٌ رُفُوعًا مَبْنًى﴾ أطلعوا من تلك الجنات ﴿مِنْ شَرِّهِمْ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي﴾ أي: مثل ما ﴿رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبله في الجنة<sup>(١)</sup>، لتشابه ثمارها، بقرينة ﴿وَأَنَّا بِهَذَا﴾ أي: جيئنا بالرزق ﴿لَمُتَّحِينَهَا﴾ يشبه بعضه بعضاً لونا ويختلف طعماً ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَنْزَالٌ﴾ من الحور وغيرها<sup>(٢)</sup> ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وكل قَذَرٍ<sup>(٣)</sup> ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ما يكون أبداً، لا يفنون<sup>(٤)</sup>، ولا يخرجون. وتَزَلُّ<sup>(٥)</sup> رُؤَا لقول اليهود لما ضرب الله المثل بالذباب في قوله: ﴿وَلَنْ يَسْتَلْبِثُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾<sup>(٦)</sup>، والعنكبوت في قوله: ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ﴾<sup>(٧)</sup>: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ يذكر هذه الأشياء الخسيسة؟ فأنزل الله: [٢٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ أن يضرب به يجمع ﴿مَثَلًا﴾ مفعول أول ﴿مَا﴾ نكرة موصوفة بما بعدها، مفعول ثانٍ: أي: أي مثل كان، أو زائدة لتأكيد الحسنة<sup>(٨)</sup>، فما بعدها المفعول الثاني ﴿بِعُوضَةٍ﴾ مفرد البعوض؛ وهو صغار البق ﴿فَمَا قَوْهَا﴾ أي: أكبر منها؛ أي: لا يترك بيانه لما فيه من الحكم ﴿فَأَنَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي: المثل ﴿الْحَقُّ﴾ الثابت الواقع موقعه ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ تمييز<sup>(٩)</sup>؛ أي: بهذا المثل، وما استفهام إنكار مبتدأ، وزا بمعنى الذي يصلته خبره؛ أي: أي فائدة فيه؟ قال - تعالى - في جوابهم: ﴿يُضِلُّ يَوْمَ﴾ أي: بهذا المثل ﴿كَثِيرًا﴾ عن الحق لكفرهم به ﴿وَيَهْدِي يَوْمَ كَثِيرًا﴾ من المؤمنين لتصديقهم به ﴿وَمَا يُضِلُّ يَوْمَ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن طاعته.

[٢٧] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت ﴿يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ ما عهده إليهم في الكتب من الإيمان بمحمد ﷺ ﴿مِنْ بَدِيلٍ مَيْقُوتٍ﴾ توكيده عليهم ﴿وَيَقْتُلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُؤْمِلَ﴾ من الإيمان بالنبي والرحم وغير ذلك، و﴿أَنْ﴾ بدل من ضمير «به» ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي والتعويق عن الإيمان ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم. [٢٨] ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ يا أهل مكة ﴿وَاللَّهُ وَ﴾ قد ﴿كُنْتُمْ أُمُوتًا﴾ نطقاً في الأصلاب ﴿فَأَنبِئْكُمْ﴾ في الأرحام والدنيا بنفخ الروح فيكم، والاستفهام للتعجب من كفرهم مع قيام البرهان أو للتوبيخ ﴿فَمُتُّمْ يَوْمَئِذٍ﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿فَمُتُّمْ يَوْمَئِذٍ﴾ بالبعث ﴿فَمُتُّمْ يَوْمَئِذٍ﴾

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿كَلِمَاتٌ رُفُوعًا مَبْنًى﴾ أي: رفوا منها من شمرقة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به مستنسخاً ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَنْزَالٌ مُطَهَّرٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿إِنَّ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ ﴿يُضِلُّ يَوْمَ كَثِيرًا وَيَهْدِي يَوْمَ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَدِيلٍ مَيْقُوتٍ﴾ ما أمر الله به أن يؤصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أُمُوتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

تُرْجَعُونَ تردون بعد البعث فيجازيكم بأعمالكم. وقال دليلاً على البعث لما أنكروه: [٢٩] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الأرض وما فيها ﴿جَمِيعًا﴾ تنتفعوا به وتعتبروا ﴿فَمُتُّمْ أَسْتَوَى﴾ بعد خلق الأرض أي: قصد<sup>(١)</sup> ﴿إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ الضمير يرجع إلى السماء؛ لأنها في معنى الجملة الآيلة إليه؛ أي: صيرها؛ كما في آية أخرى: ﴿فَقَضَّاهُنَّ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ مجعلاً ومفصلاً، أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداءً. وهو أعظم منكم. قادر على إعادتكم؟!.

(١) أشار بذلك إلى رد ما قيل: إن المراد بقوله: ﴿مِنْ بَدِيلٍ مَيْقُوتٍ﴾: في الدنيا، وقوله: ﴿وَأَنَّا بِهَذَا﴾ أي: يشبه لمر الدنيا في الصورة.

(٢) أي: ساء الدنيا، وهن يكر أحمل من الحور العين - كما جاء به الحديث.

(٣) كالنفاس والمخاط والصفاق.

(٤) أي: أي: لا يبرضون.

(٥) أي: قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦].

(٦) الحج: ٧٣.

(٧) العنكبوت: ٤١.

(٨) ومعنى ﴿لَا يَسْتَحْيِي﴾ أي: لا يستكف، وقيل: لا يخشى.

(٩) فليست زيادة محضة، وكذا أي زائد في القرآن عند من يقول به. (١٠) أي: من اسم الإشارة تمييز نسبة، وهي نسبة التعجب والإنكار إلى المشار إليه.

(١١) وكذا فسره ابن كثير هنا، فقال: أي قصد إلى السماء، والاستواء هنا مضمن معنى القصد والإقبال؛ لأنه عدي بالآلة. اهـ. وهذا التفسير مخالف لما رواه البخاري في صحيحه؛ حيث نقل عن مجاهد وأبي العالية: معنى ﴿أَسْتَوَى﴾ أي: علا وارتفع، واختاره الطبري. وقال ابن عثيمين: «إل لأهل السنة في تفسيرها قولين: أحدهم: أنها بمعنى ارتفع إلى السماء... القول الثاني: أن الاستواء هنا بمعنى القصد التام، وإلى هذا القول ذهب ابن كثير في تفسير سورة البقرة، والبيوي في تفسير سورة فصلت... وهذا الكلام ليس صرفاً للكلام عن ظاهره؛ وذلك لأن الفعل «استوى» اقترن بحرف يدل على الغاية والانتهاج؛ فننقل إلى معنى يناسب الحرف المقترن به...» القواعد المثلى لابن عثيمين ص ٥٧، ٥٨.

(١٢) فصلت: ١٢.

أي: وجهها؛ بأن قبض منها قبضة من جميع ألوانها، وَجِئَتْ بالمياه المختلفة، وَسَوَّاهُ، ونفخ فيه الروح؛ فصار حيواناً حساساً بعد أن كان جماداً.

[٣١] «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ» أي: أسماء السميات ﴿كُلَّهَا﴾ حتى القصعة والفصيلة، والفسوة والفسيحة والمعرفة<sup>(٨)</sup> بأن ألقى في قلبه علمها ﴿فَمِنْهُمْ عَادُومٌ﴾ أي: السميات، وفيه تغليب العقلاء<sup>(٩)</sup> «وَعَلَى الْمَلَكَةِ فَقَالَ لَهُمْ تَبَكُّوا: «أَنْبِئُونِي» أَخْبَرُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ» السميات «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» في أي لا أخلق أعلم منكم، أو أنكم أحق بالخلافة، وجواب الشرط دَلَّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ. [٣٢] «قَالُوا سُبْحَنَكَ» تنزيهاً لك عن الاعتراض عليك «لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا» إِيَّاهُ «إِنَّكَ أَنْتَ تَأْكُدُ لِلكَافِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ» الذي لا يخرج شيء عن علمه وحكمته. [٣٣] «قَالَ تَعَالَى: «يَتَذَكَّرُ أَلْفُكُمْ» أي: الملائكة «يَا مَعْزُومُ» السميات؛ فسعى كل شيء باسمه، وَذَكَرَ حكمته التي خلُقَ لها ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ - تَعَالَى - لَهُمْ مُؤَيَّدًا: «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ عَلِمْتُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» ما غَاب فيهما «وَأَعْلَمْتُ مَا بَيْنَهُمَا» ما تظهرون من قولكم: «أَتَجْمَلُ فِيهَا» إلخ «وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ» تُبَيِّنُونَ من قولكم: لن يخلق أكرم عليه منا ولا أعلم.

[٣٤] «وَقَدْ أَذَكَّرَ» إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴿سُجُودَ تَحِيَّةٍ بِالْإِحْنَاءِ»<sup>(١٠)</sup> «سَجْدَةً» لَا إِلَهَ إِلَّا إِبْلِيسُ هو أبو الجن، كان بين الملائكة «أَيُّ» امتنع من السجود «وَأَسْتَكْبَرُ» تَكَبَّرَ عنه، وقال: أنا خير منه، «وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ» في علم الله. [٣٥] «وَقُلْنَا يَتَذَكَّرُ أَلْفُكُمْ أَنْتَ» تأكيد للضمير المستتر؛ ليغفط عليه «وَزَوْجُكَ» حواء - يَلِدُ - وكان خلقها من ضعه الأيسر «الْجَنَّةَ» وَكَلَّا مِنْهَا أَكَلًا «وَعَزَّادُ» واسعاً لا حجر فيه «حَيْثُ شِئْنَا» وَلَا تَقْرَبُ هَذِهِ الشَّجَرَةَ» بالأكل منها؛ وهي: الحنطة أو الكرم أو غيرها<sup>(١١)</sup> «فَوَكَّنَا» فَصَّيَّرْنَا «مِنْ الظَّالِمِينَ» العاصين. [٣٦] «فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ» إِبْلِيسُ أَذْهَبَهُمَا، وفي قراءة<sup>(١٢)</sup>: «فَأَزَلَّهُمَا» نَحَاهُمَا «عَنْهَا» أي: الجنة؛ بأن قال لهما: «هَلْ أَذَلَّكُمَا عَلَى شَجَرَةِ الْحَلْدِ» وَقَاسَمَهُمَا بِاللَّهِ إِنَّهُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ؛ فَأَكَلَا مِنْهَا «فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ» مِنَ النِّعَمِ «وَقُلْنَا أَهْبِطُوا» إِلَى الْأَرْضِ؛ أي: أنتما بما اشتغلتما عليه من ذريتهما «بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ» بعض الذرية «لِبَعْضٍ عَدُوٌّ» من ظلم بعضهم بعضاً «وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ» موضع قرار «وَنَعْتَمُ» ما تتمتعون به من نباتها «إِلَى حِينٍ» وقت انقضاء آجالكم. [٣٧] «فَلَقَدْ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتَيْنِ» أَلْهَمَهُ إِيَّاهَا، وفي قراءة<sup>(١٣)</sup> بنصب «آدم» ورفع «كلمات»؛ أي: جاءه؛ وهي: «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا»<sup>(١٤)</sup> الآية، فَدَعَا بِهَا «فَقَابَ عَلَيْهِ» قَبِلَ تَوْبَتَهُ «إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ» على عبادته «أَرْجِمُ» بهم.

وَأَذَقَالَ رَبُّكَ لِلْمَلِكَةِ إِنْ جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنْ أَعْلَمَ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَتَذَكَّرُ أَلْفُكُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلِكَةِ اسْجُدْ لِآدَمَ فَسَجَدَ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَقُلْنَا يَتَذَكَّرُ أَلْفُكُمْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكَلَّا مِنْهَا رَعَدَا حَيْثُ شِئْنَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتَيْنِ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

[٣٠] «وَقَدْ أَذَكَّرَ يَا مُحَمَّدُ» إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلِكَةِ إِنْ جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً، يخلفني في تنفيذ أحكامي فيها وهو آدم<sup>(١)</sup> «قَالُوا أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا بِالْعَاصِي» وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ» يريقها بالقتل؛ كما قَتَلَ بَنُو الْجَانِّ وَكَانُوا فِيهَا، فلما أفسدوا أرسل الله عليهم الملائكة فطردوهم إلى الجزائر والجبال «وَنَحْنُ نُسَبِّحُ» متلبسين «بِحَمْدِكَ» أي: نقول: سبحان الله وبحمده «وَنُقَدِّسُ لَكَ» ننزهك عما لا يليق بك، فاللام زائدة<sup>(٢)</sup>، والجملة حال<sup>(٣)</sup>؛ أي: فنحن أحق بالاستخلاف<sup>(٤)</sup> «قَالَ تَعَالَى: «إِنْ أَعْلَمَ مَا لَا تَعْلَمُونَ» من المصلحة في استخلاف آدم، وأن ذريته فيهم الطيع والعاصي؛ فيظهر العدل بينهم، فقالوا<sup>(٥)</sup>: لن يخلق ربنا خلقاً أكرم عليه منا ولا أعلم؛ لسبقنا له<sup>(٦)</sup>، ورؤيتنا ما لم يره<sup>(٧)</sup>؛ فخلق الله - تَعَالَى - آدم من أديم الأرض؛

(١) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي قوماً يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل، كما قال - تَعَالَى -: «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ» وقال: «وَيَجْعَلُ لَكُمْ خَلِيفَةً...» وليس المراد هنا بالخليفة آدم (عليه السلام) فقط؛ كما يقوله طائفة من المفسرين... إذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة: «أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ»... اهـ.

(٢) أي: لتأكيد التخصيص، ويحتمل أنها للندبة والتعليل؛ أي: ننزهك لك، لا طمناً ولا خوفاً؛ وإنما بديانك فقط. (٣) جملة قرلة: «وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ».

(٤) ليس المقصود من ذلك الاعتراض على الله، ولا احتقار آدم، وإنما ذلك لطلب جواب يريحهم من الغناء؛ حيث وقعت المشورة من الله لهم.

(٥) أي: سؤاً. (٦) فنحن أكرم.

(٨) سقط من الأصل: «حتى القصعة والفصيلة، والفسوة والفسيحة والمعرفة» - والنبث من نسخة حاشية الصاوي عني الجلالين، وفي هذا إشارة إلى كونه تعلم جميع الأسماء؛ شريفة وخسيسة، وحكمتها أيضاً.

(٩) أي: في الضمير في: «عَرَّضَهُمْ» تغليب «العقلاء»؛ وهم: الجن والإنس والملائكة على غير العقلاء والجمادات؛ حيث لم يقل: «عرضه».

(١٠) وحكي القرطبي عن الجمهور: أن المراد هنا هو السجود بوضع الجباه على الأرض؛ كالسجود المعتاد في الصلاة؛ لأنه الظاهر من السجود في العرف والشرع.

(١١) الأولى أَلَا تَعْلَمُونَ من غير دليل قاطع. (١٢) لحمزة. (١٣) لابن كثير. (١٤) الأعراف: ٢٣.



[٣٨] ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا﴾ من الجنة ﴿جَمِيعًا﴾ كَرُورُهُ؛ لِيُعْطِفَ عَلَيْهِ ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون ﴿إِنْ﴾ الشرطية في «ما» الزائدة ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ كتاب ورسول ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ فَمَنْ بِي وَعَمِلَ بِطَاعَتِي ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة؛ بَأَن يَدْخُلُوا الجنة.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ كتبنا ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ فيها خَالِدُونَ؛ ما يكون أبدًا، لا يفنون ولا يخرجون. [٤٠] ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أولاد يعقوب ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: على آباءكم من الإنجاء من فرعون، وفق البحر، وتظليل الغمام، وغير ذلك بَأَن تَشْكُرُوهَا بِطَاعَتِي ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الذي عَهِدْتُ إِلَيْكُمْ من الإيمان بمحمد ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الذي عَهِدْتُ إِلَيْكُمْ من الثواب عليه بدخول الجنة ﴿وَأَيُّ قَارِعُهُنَّ﴾ خَافُونَ في ترك الوفاء به دون غيري. [٤١] ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة بموافقة له في التوحيد والنبوة ﴿وَلَا تَكُونُوا أَزْوَاجًا ظَالِمِينَ﴾ من أهل الكتاب؛ لَأَن خَلَفَكُمْ تَبِعَ لَكُمْ؛ فَاتَمَّهَمْ عَلَيْكُمْ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ تَتَّبِعُوا ﴿يَأْتِي﴾ التي في كتابكم من نعت محمد ﷺ ﴿تَمَتَّا﴾ قَلِيلًا عَرَضًا يَسِيرًا من الدنيا؛ أي: لا تكتمونها خوف قَوَاتٍ ما تأخذونه من سَفَالَتِكُمْ<sup>(١)</sup> ﴿وَأَيُّ قَاتِلُونَ﴾ خَافُونَ في ذلك دون غيري. [٤٢] ﴿وَلَا تَلْسَبُوا﴾ تَخْطَبُوا ﴿الْحَقَّ﴾ الذي أَنْزَلْتُ عَلَيْكُمْ ﴿يَا بَاطِلُ﴾ الذي تَقْتَرُونَ ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ نَعْتُ محمد ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أَنَّهُ الْحَقُّ.

[٤٣] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ صلوا مع المصلين محمد وأصحابه. وَنَزَّلَ في علمائهم - وكانوا يقولون لأقربائهم المسلمين: اثبتوا على دين محمد؛ فإنه حقٌّ :: [٤٤] ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ بالإيمان بمحمد ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ تتركونها فلا تأمرونها به ﴿وَأَنْتُمْ تَنْتَلُونَ﴾ الْكِتَابَ ﴿التَّورَةَ﴾ وفيها الوعيد على مخالفة القول بالعمل ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ سُوءٌ فَعَلَيْكُمْ فَرَجِعُونَ، فجعلته النسيان محل الاستفهام الإنكاري.

[٤٥] ﴿وَأَسْتَعِينُوا﴾ اطبوا المعونة على أموركم ﴿وَالصَّبْرَ﴾ الحس للنفس على ما تَكْرَهُ ﴿وَالصَّلَاةَ﴾ أَفْرَدَهَا بِالذِّكْرِ؛ تَعْظِيمًا لَهَا، وفي الحديث: «كَانَ ﷺ إِذَا خَرَجَ أَمْرٌ، بَادَرَ إِلَى الصَّلَاةِ»<sup>(٢)</sup>. وقيل: الخطاب لليهود لَمَّا غَافُوا عَنِ الْإِيمَانِ الشَّرِّ وَحُبِّ الرِّيَاسَةِ فَأَمَرُوا بِالصَّبْرِ وَهُوَ الصُّومُ؛ لَأَنَّهُ يَكْسِرُ الشَّهْوَةَ، والصَّلَاةُ؛ لِأَنَّهُ تَوَرَّثَ الْحَشَوُوعَ وَتَنَفَّى الْكِبْرَ وَرَإِثَهَا؛ أي: الصَّلَاةُ ﴿لِكِبَرِهِ﴾ ثَقِيلَةٌ ﴿إِلَّا عَلَى الْتَّائِبِينَ﴾ السَّاكِنِينَ إِلَى الطَّاعَةِ.

[٤٦] ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ﴿أَنَّهُمْ مُّلتَقَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ بالبعث ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ<sup>(٣)</sup> وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ<sup>(٤)</sup> يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَأَيُّ قَارِعُهُنَّ<sup>(٥)</sup> وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوْفًا كَافِرِينَ<sup>(٦)</sup> وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإَيُّ قَاتِلُونَ<sup>(٧)</sup> وَلَا تَلْسَبُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ<sup>(٨)</sup> وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ<sup>(٩)</sup> وَأَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَنْتَلُونَ<sup>(١٠)</sup> الْكِتَابَ التَّوْرَةَ وَتَعْلَمُونَ<sup>(١١)</sup> الْبَاطِلَ وَالصَّبْرَ وَالصَّلَاةَ وَإِنَّا لَكَبِيرَةٌ<sup>(١٢)</sup> إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ<sup>(١٣)</sup> الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَقَوْنَ رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ<sup>(١٤)</sup> يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَيُّ فَضْلَتِكُمْ<sup>(١٥)</sup> عَلَى الْعَالَمِينَ<sup>(١٦)</sup> وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ<sup>(١٧)</sup>

رَاجِعُونَ في الآخرة؛ فيجازيهم.

[٤٧] ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ بالشكر عليها بطاعتي ﴿وَأَيُّ فَضْلَتِكُمْ﴾ أي: آباءكم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم.

[٤٨] ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي﴾ فيه ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ وهو يوم القيامة ﴿وَلَا تُقْبَلُ﴾ بالناء<sup>(١)</sup> والباء ﴿مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ أي: ليس لها شفاعة فتقبض ﴿فَمَا لَنَا مِن شَفِيعِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فداء ﴿وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ﴾ يُعْتَمَدُونَ من عذاب الله.

(١) أي: عامتكم.

(٢) رواه أحمد (٢٢٧٨٨)، وأبو داود (١٣١٩)، وهو في صحيح الجامع (٤٧٠٣).

(٣) لابن كثير وأبي عمرو.

(٤) الشعراء: ١٠٠.

ذَلِكُمْ ﴿٥٠﴾ الْعَذَابُ أَوْ الْإِنجَاءُ ﴿٥١﴾ بِكَأَلٍ ﴿٥٢﴾ ابْتِلَاءٍ ﴿٥٣﴾ أَوْ إِنْعَامٍ ﴿٥٤﴾ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٍ ﴿٥٥﴾

[٥٠] ﴿وَذِكْرُوا﴾ اذكروا ﴿إِذْ فَرَقْنَا﴾ فلقنا ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بينكم ﴿بِالسَّيْرِ﴾ حتى دخلتموه هارين من عدوكم ﴿فَأَنفَجَكُنَّ﴾ من العرق ﴿وَأَغْرَقْنَا﴾ إلى فرعون ﴿قَوْمَهُ﴾ قومه معه ﴿وَأَنشَرْنَاهُ﴾ أنشأناه ﴿إِلَى انْطِاقِ الْبَحْرِ عَلَيْهِمْ﴾

[٥١] ﴿وَأِذْ وَعَدْنَا﴾ بألف ودونها ﴿أَلْفَ مِائَةِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ عطيته - عند انقضائها - التوراة؛ لتعملوا بها ﴿ثُمَّ أَخَذْنَاهُمُ الْعَجَلُ﴾ الذي صاغه لكم الشامي إلهها ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد ذهابه إلى ميعادنا ﴿وَأَنشَرْنَا ظُلُمَاتٍ﴾ باتخاذها؛ لوضعكم العبادة في غير محلها.

[٥٢] ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ مخوّنًا ذنوبكم ﴿مِمَّنْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الاتخاذ ﴿لَلْعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتنا عليكم.

[٥٣] ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ عطف تفسيرا؛ أي: الفارق بين الحق والباطل، والحلال والحرام ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ به من الضلال.

[٥٤] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ الذين عبدوا العجل: ﴿يَتَقَوْمُ إِلَٰكُكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ﴾ إلهها ﴿فَقُتِلُوا إِلَى بَارِيكُمْ﴾ خالفكم من عبادته ﴿فَأَقْبَلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ أي: ليقتل البريء منكم المحرم ﴿ذَلِكُمْ﴾ القتل ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾ فوقكم لفعل ذلك، وأرسل عليكم سحابة سوداء؛ لئلا يبصر بعضكم بعضًا فيرحمه؛ حتى قتل منكم نحو سبعين ألفا ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبل توبتكم ﴿إِنَّهُ هُوَ الْوَأَبُ الرَّحِيمُ﴾.

[٥٥] ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ وقد خرجتم مع موسى؛ لتعتزلوا إلى الله من عبادة العجل، وسمعتم كلامه: ﴿يَتُوبُونَ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ رَأَىٰ اللَّهُ جَهَنَّمَ﴾ عبانا ﴿فَأَخَذْنَاكَ الصُّلْعَةَ﴾ الصيحة؛ فمُثِّمٌ ﴿وَأَنشَرْنَا نَظْرُونَ﴾ ما حلَّ بكم.

[٥٦] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ﴾ أحييناك ﴿مِمَّنْ بَعْدَ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتنا بذلك.

[٥٧] ﴿وَوَهَبْنَا لَكُمْ أَلْفَ مِائَةِ أَلْفٍ﴾ سترناكم بالسحاب الرقيق من حرِّ الشمس في الشيء ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾ فيه ﴿الْمَنَ وَالسَّلَاطِينَ﴾ هما التريغيبين (١) والطيور السماني بتخفيف الميم والقصر، وقلنا: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ولا تدخروا. فكفروا النعمة وادخروا؛ فقطع عنهم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بذلك ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لأن وتاله عليهم.

وَإِذْ بَخَّيْنَاكُمْ مِّنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بَيْنَكُمْ الْبَحْرَ فَأَبْجَنَّاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنشَرْنَا تَطْرُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا الْعَجَلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنشَرْنَا ظُلُمَاتٍ ﴿٦٠﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِمَّنْ بَعْدَ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمُ إِلَٰكُكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ فَتَقُتِلُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْبَلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٦٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهَنَّمَ فَأَخَذْنَاكَ الصُّلْعَةَ وَأَنشَرْنَا تَطْرُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِمَّنْ بَعْدَ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦٥﴾ وَوَهَبْنَا لَكُمْ أَلْفَ مِائَةِ أَلْفٍ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ الْمَنَ وَالسَّلَاطِينَ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٦٦﴾

[٤٩] ﴿وَذِكْرُوا﴾ اذكروا ﴿إِذْ بَخَّيْنَاكُمْ﴾ أي: أباءكم، والخطاب به وبما بعده للموجودين في زمن نبينا بما أنعم الله على آبائهم؛ تذكيرا لهم بنعمة الله - تعالى -؛ ليؤمنوا ﴿مِمَّنْ بَعْدَ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يذيقونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أشده، والجملة حال من ضمير ﴿بَخَّيْنَاكُمْ﴾ ﴿يُدَبِّحُونَ﴾ يذبحون ﴿إِلَى قَبْلِهِ﴾ ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ المولودين ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يستحيون ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ نساءكم ﴿لِقَوْلِ بَعْضِ الْكُهَنَاءِ لَهُ﴾ إن مولودا يؤلّد في بني إسرائيل يكون سببا لذهاب ملكك ﴿وَفِي

(١) أي: من حيث عدم الشكر عليه؛ فصار بلاء

(٢) راجع للعذاب.

(٣) راجع للإنجاء.

(٤) بدون ألف لأي عمرو.

(٥) مادة صغيفة حلوة؛ كالعمل يسقط على الشجر؛ كما يسقط الفل.

[٥٨] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَهُمْ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنَ الْيَمِّ: ﴿أَتَعْبُدُونَ إِلَّا مَا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَوْ أَرِيحًا ﴿تَعْبُدُونَ مِنْهَا مَا لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾﴾ وَاسْعَا لَا حَجَرَ فِيهِ ﴿وَأَتَعْبُدُونَ إِلَّا الْآلِهَ﴾ أَي: بَابَهَا ﴿سُجَّدًا﴾ مُتَخَيِّضِينَ ﴿وَقُولُوا لَهُمْ: ﴿مَسْأَلَتُنَا ﴿حُجَّةٌ﴾ أَي: أَنْ نَحْطُ عَنْ خَطِيئَاتِنَا ﴿نَعْبُدُ﴾ وَفِي قِرَاءَةِ الْبَاءِ <sup>(١)</sup> وَالنَّاءِ <sup>(٢)</sup> مَبْنِيًّا لِلْمَعْنَى فِيهِمَا ﴿لَكُمْ خَلْقَتَكُمْ وَتَزِيدُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بِالطَّاعَةِ تَوَابًا.

[٥٩] ﴿فَبَدَّلَ الْآلِهَ طَلَمُوا﴾ مِنْهُمْ ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فَقَالُوا: حِجَابٌ فِي شِعْرَةٍ. وَدَخَلُوا يَرْحِفُونَ عَلَى أَسْتَاهُمْ <sup>(٣)</sup> ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فِيهِ وَضَعَ الظَّاهِرَ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِّ؛ مِبَالِغَةً فِي تَبْيِيحِ شَأْنِهِمْ ﴿وَجَزَاءً عَذَابًا طَاعُونًا﴾ مِنْ أَسْمَاءٍ بِمَا كَانُوا يُشْفِقُونَ ﴿بِسَبِّ فَسَقَهُمْ﴾ أَي: خَرَجَهُمْ عَنِ الطَّاعَةِ؛ فَهَلَكَ مِنْهُمْ فِي سَاعَةِ سَبْعُونَ أَلْفًا أَوْ أَقْل.

[٦٠] ﴿وَإِذْ أَذْكُرُ﴾ أَذْكُرُ ﴿إِذْ أَسْتَسْقَى مُوسَى﴾ أَي: طَلَبَ الشَّقِيَّاءَ ﴿لِقَوْمِهِ﴾ وَقَدْ عَطِشُوا فِي الْيَمِّ ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ وَهُوَ الَّذِي فُوَّ بِشُوبِهِ، خَفِيفٌ مَرِيعٌ كَرَأْسِ الرَّجُلِ رِخَامٌ، أَوْ كَذَانٌ <sup>(٤)</sup>، فَضْرَبَهُ <sup>(٥)</sup> ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ انشَقَّتْ وَسَالَتْ ﴿وَمِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بَعْدَ الْأَسْبَاطِ ﴿فَقَدْ عَايَرَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ سَبَطَ مِنْهُمْ ﴿مُفْرَقَهُمْ﴾ مَوْضِعَ شَرِبِهِمْ؛ فَلَا يَشْرِكُهُمْ فِيهِ غَيْرُهُمْ. وَقُنَّا لَهُمْ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حَالٌ مَوْكِدَةٌ لِعَامِلِهَا <sup>(٦)</sup>، مِنْ عَيْنِي بِكسر المثلثة: أفسد.

[٦١] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ﴾ أَي: نَوْعٍ مِنْهُ ﴿وَجِئْنَا بِهِ وَهُوَ الْمَنُوسِلِيُّ﴾ وَقَانُ لَنَا رَيْكَ يُخْرِجُ لَنَا مَيْثًا ﴿مِمَّا تُكْنِئُ الْأَرْضُ مِنْ﴾ لِلْبَنَاتِ ﴿بِقِلَافٍ وَفَقَالُوا وَتَوَلَّوْهُمَا﴾ حَطَبُهَا وَتَعَدَّيَهَا وَبَصَلَهَا قَالَ لَهُمْ مُوسَى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى أَحْسَنَ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَشْرَفَ؟ أَتَأْخُذُونَهُ بِذَلَّةٍ وَالْهَمَزَةُ لِلْإِبْكَارِ، فَأَبَوْا أَنْ يَرْجِعُوا فَدَعَا اللَّهُ - تَعَالَى -؛ فَقَالَ - تَعَالَى -: ﴿أَهْبِطُوا﴾ انزَلُوا ﴿وَيُضْرَبُونَ﴾ مِنَ الْأَمْصَارِ ﴿فَإِنْ لَكُمْ﴾ فِيهِ ﴿مِمَّا سَأَلْتُمْ﴾ مِنَ الْبَنَاتِ ﴿وَضُرِبَتْ﴾ جُعِلَتْ ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ الذَّلَّةُ ﴿الَّذِلُّ﴾ الذَّلُّ وَالْهَوَانُ ﴿وَاللَّسْنَكَةُ﴾ أَي: أَثَرُ الْفَقْرِ؛ مِنَ السَّكُونِ وَالْخَرِيِّ؛ فِيهِ لَازِمَةٌ لَهُمْ - وَإِنْ كَانُوا أَغْنِيَاءَ - لَزُومُ الدَّرْهِمِ الْمَضْرُوبِ لِسَكَّتِهِ <sup>(٨)</sup> ﴿وَيَكْفُرُونَ﴾ رَجَعُوا ﴿بِقَضْبٍ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ﴾ أَي: الضَّرْبِ وَالْغَضَبِ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أَي: بِسَبَبِ أَنَّهُمْ

وَإِذْ قُلْنَا أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَأَدْخِلُوا الْبَابَ سَجَدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ أَسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَجِئْنَا بِكَ يَخْرُجُ لَنَا مِمَّا تُكْنِئُ الْأَرْضُ مِنَ الْبَنَاتِ وَفَقَالُوا وَتَوَلَّوْهُمَا وَفُؤِمَهُمَا وَعَدَّسَهُمَا وَبَصَلَهُمَا قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مَصْرًا فَإِنْ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَبَغَضَ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ﴾ كَزَكْرِيَا وَيَحْيَى ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ﴾ أَي: ظَلَمُوا بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَكْفُرُونَ بِتَجَاوُزِ الْحَدِّ فِي الْمَعَاصِي، وَكَوْزُهُ <sup>(٩)</sup> لِلتَّكْيِيدِ.

(١) لباقع.

(٢) لابن عامر.

(٣) جمع سته؛ وهو: الدرر؛ أَي: أديارهم.

(٤) الحجر اللين.

(٥) يحكى كثير من المفسرين ومنهم: ابن كثير - ها أقوالاً كثيرة وغريبة في وصف الحجر، ومن أين جيء به، وكلها لا دليل عليها، وتَعَدَّيْتُهَا يُدْلَلُ عَلَى عَدَمِ صَحَّتِهَا، والظاهر أنها من الإسرائيليات، ثم لا حاجة لنا في العلم بذلك، بل نعمل القول الأرجح ما ذكره الزمخشري - وحكاها عنه ابن كثير - بقوله: ... ويحتمل أن تكون اللام للجنس لا للمعد؛ أَي: اضرب الشيء الذي يقال له: الحجر. وعن الحسن: لم يأمره أن يضرب حجراً بيمينه، قال: وهذا أظهر في المعجزة، وأبين في القدرة.

(٦) أَي: وَلَعَلَّهَا قَدْ فَهِمَ مِنْ عَامِلِهَا، وَحَسَنَ ذَلِكَ اخْتِلَافُ اللَّفْظَيْنِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿لَمْ يَكُنْ لَكُمْ مَكْرُورٌ﴾ [إبراهيم: ٢٥].

(٧) وَأَعْلَى ذَرِيَّتِهِمْ وَمَنْ نَحَا نَحْوَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

(٨) الْكَلَامُ عَلَى الْقَلْبِ؛ أَي: لَزُومُ السَّكَّةِ لِلدَّرْهِمِ؛ أَمَّا السَّكَّةُ اسْمٌ لِلْحَدِيدَةِ الْمُقَوَّشَةِ يَضْرِبُ عَلَيْهَا الدَّرَاهِمَ، فَكَذَلِكَ لَا يَخْلُو يَهُودِيٌّ مِنْ أَثَرِ الْفَقْرِ.

(٩) أَي: اسْمُ الْإِشَارَةِ؛ وَهُوَ لَفْظُ: ﴿ذَلِكَ﴾.

بشريعته ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أي: ثواب أعمالهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ رُوِيَ فِي ضَمِيرِ ﴿ءَامَنَ﴾ وَ﴿عَمِلَ﴾ لَفْظٌ ﴿مَنْ﴾ وَفِيهَا بَعْدَهُ مَعْنَاهُ.

[٦٣] ﴿وَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ عَهْدَكُمْ بِالْعَمَلِ بِمَا فِي التَّوْرَةِ ﴿وَقَدْ رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ الْجَبَلَ اقْتِلَاعًا مِنْ أَصْلِهِ عَلَيْكُمْ لَمَّا آتَيْتُمْ قُبُلَهَا، وَقُلْنَا: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ بِالْعَمَلِ بِهِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ النَّارَ أَوِ الْمَعَاصِيَ.

[٦٤] ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أَعْرَضْتُمْ ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ذَلِكُمْ﴾ الْمِيثَاقِ عَنِ الطَّاعَةِ ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ لَكُمْ بِالتَّوْبَةِ أَوْ تَأْخِيرِ الْعَذَابِ ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الْهَالِكِينَ.

[٦٥] ﴿وَلَقَدْ لَامِ قَسَمَ﴾ عَلَيْهِمْ عَرْضُ ﴿الَّذِينَ آغْتَدُوا﴾ تَجَاوَزُوا الْحَدَّ ﴿وَمِنْكُمْ فِي النَّبْتِ﴾ بِصِيدِ السَّمَكِ، وَقَدْ نَهَيْنَاهُمْ عَنْهُ، وَهُمْ أَهْلُ أَيْلَةٍ ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا فِرْدَةً حَسْبِينَ﴾ مَبْعَدِينَ؛ فَكَانُوا وَهَلَكُوا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ.

[٦٦] ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا﴾ أَيْ: تِلْكَ الْعُقُوبَةُ ﴿نَكَالًا﴾ عِبْرَةً مَانِعَةً مِنْ ارْتِكَابِ مِثْلِ مَا عَمِلُوا ﴿لَسَا يَنْ يَدَّبَهَا وَمَا خَلَقَهَا﴾ أَيْ: لِلْأَلَمِ الَّتِي فِي زَمَانِهَا وَبَعْدَهَا ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ اللَّهُ، وَخُصُّوا بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُمُ الْمُنْتَفِعُونَ بِخِلَافِ غَيْرِهِمْ.

[٦٧] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ - وَقَدْ قُتِلَ لَهُمْ قَتِيلٌ لَا يُدْرَى قَاتِلُهُ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُبْعِثَهُ لَهُمْ؛ فَدَعَاهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ قَالُوا أَلَنَجِدُنَا هُزُؤًا ﴿مَهْزُوءًا﴾ بَنَّا حَيْثُ تَجَبَّنَا بِمِثْلِ ذَلِكَ ﴿قَالَ أَعُودُ﴾ أَمْنَعُ ﴿يَا اللَّهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ الْمُسْتَهْزَيْنِ. فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهُ عَرِمَ

[٦٨] ﴿قَالُوا أَنْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا بَيَّنَّ﴾ أَيْ: مَا سَبَّحَهَا ﴿قَالَ مُوسَى: إِنَّهُ﴾ أَيْ: اللَّهُ ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ﴾ مُسَيِّئَةٌ ﴿وَلَا يَكُرُّ﴾ صَغِيرَةٌ ﴿عَوَانًا﴾ نَصَفٌ ﴿يَبَيِّنُ﴾ الْمَذْكُورَ مِنَ السَّنِينَ ﴿فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ بِهِ مِنْ ذَبْحِهَا.

[٦٩] ﴿قَالُوا أَنْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهْنًا﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا شَدِيدُ الصَّفْرِ ﴿تُسْرُ الْأَنْظُرِينَ﴾ إِلَيْهَا بِحَسْنِهَا؛ أَيْ: تَعْجِبُهُمْ.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّدِيقِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا الَّذِينَ آغْتَدُوا بِمَكْرِهِمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا فِرْدَةً حَسْبِينَ ﴿٦٦﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا أَنْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ وَلَا يَكُرُّ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَنْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهْنًا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تُسْرُ الْأَنْظُرِينَ ﴿٧٠﴾

[٦٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بِالْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِ ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هُمُ الْيَهُودُ ﴿وَالنَّصَارَى وَالصَّدِيقِينَ﴾ طَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُودِ أَوِ النَّصَارَى ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ مِنْهُمْ ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فِي زَمَنِ نَبِيِّنَا ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾

(١) أي: قبل بعثة محمد ﷺ، وأما من آمن بميسى وأدرك محمدًا ﷺ ولم يؤمن به فإنه كافر خالط مخلص في النار - كما في سورتي المائدة والنبأ، وكما صرح بذلك الأحاديث.

(٢) وقال مجاهد: الصابئون قوم بين الجوس واليهود والنصارى. (الطبري ١/٦٦٢). وقيل: قوم يعبدون الملائكة. وقيل: قوم يعبدون الكواكب. وقيل غير ذلك. وقال ابن كثير: وأظهر الأقوال والله أعلم، قول مجاهد ومتابعيه... أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا الجوس ولا المشركين، وإنما هم قوم ياتون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويفتقرونه. اهـ. تفسير ابن كثير (١/١٠٠).



﴿أَمَانِي﴾ أَكَاذِيبُ تَلْقَوْنَهَا مِنْ رُؤْسَائِهِمْ فَاعْتَمِدُوهَا ﴿وَإِنْ﴾ مَا ﴿هُمْ﴾ فِي جُحْدِ نُبُوَةِ النَّبِيِّ وَغَيْرِهِ مَا يَخْتَلِقُونَهُ ﴿إِلَّا يَطْنُونَ﴾ ظَنًّا وَلَا عِلْمَ لَهُمْ.

[٧٩] ﴿فَوَيْلٌ﴾ شِدَّةُ عَذَابٍ ﴿لِلَّذِينَ يَكْنُتُونَ﴾ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴿أَي:﴾ مُخْتَلِفًا مِنْ عِنْدِهِمْ ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ﴾ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ تَمَتُّةٌ قَلِيلًا ﴿مِنَ الدُّنْيَا﴾ وَهُمْ الْيَهُودُ غَفَرُوا صِفَةَ النَّبِيِّ فِي التَّوْرَةِ آيَةً الرَّجْمِ وَغَيْرَهُمَا، وَكُتِبَ عَلَيْهَا خِلَافُ مَا أُنْزِلَ ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ﴾ مِمَّا كُتِبَتْ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْخِطَاءِ ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ﴾ مِمَّا يَكْنُتُونَ ﴿مِنَ الرِّشَاءِ﴾<sup>(١)</sup>.

[٨٠] ﴿وَقَالُوا﴾ لَمَّا وَعَدْتُهُمُ النَّبِيُّ النَّارَ: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا﴾ تَصْنِيبًا ﴿النَّارُ﴾ إِلَّا أَنْيَا مَقْدُودَةٌ ﴿قَلِيلَةً﴾ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، مَدَّةُ عِبَادَةِ آبَائِهِمُ الْعَجَلِ ثُمَّ تَرُولُ ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّد: ﴿أَتُخَذْتُمْ﴾ خِذْفٌ مِنْهُ هِمزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام ﴿عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ مِثَاقًا مِنْهُ بِذَلِكَ ﴿فَلَنْ يُخْلَفَ﴾ اللَّهُ عَهْدَهُ ﴿بِهِ؟﴾ لَا ﴿أَمْ﴾ بَلْ ﴿فَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

[٨١] ﴿بَلَى﴾ تَمَسَّكُمْ وَتَخْلُدُونَ فِيهَا ﴿مَنْ كَسَبَ سِئَةً﴾ شَرَكًا ﴿وَأُحْطِطَ بِهِ﴾ خَطِيئَتُهُ ﴿بِالْأَفْرَادِ﴾<sup>(٢)</sup> وَالْجَمْعِ؛ أَي: اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ وَأَحْدَقَتْ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ بَأَن مَاتَ مُشْرِكًا ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿زُوعِيَ فِيهِ مَعْنَى﴾ «مَنْ» [٨٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

[٨٣] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ فِي التَّوْرَةِ وَقُلْنَا: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ بِالْبَاءِ وَالْيَاءِ<sup>(٣)</sup> ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ خَيْرٌ بِمَعْنَى النَّهْيِ، وَقُرِئَ<sup>(٤)</sup>: ﴿لَا تَعْبُدُوا﴾ أَحْسَنُوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يَرَا ﴿وَزَى الْقُرْبَى﴾ الْقَرَابَةَ عَطَفَ عَلَى الْوَالِدَيْنِ ﴿وَالْيَتَامَى وَالسَّكِينِ﴾ وَقُولُوا لِلنَّاسِ قَوْلًا ﴿إِحْسَانًا﴾ مِنْ الْأَمْرِ بِالْعُرْفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالصَّدَقِ فِي شَأْنِ مُحَمَّدٍ، وَالرَّفَقِ بِهِمْ، وَفِي قِرَاءَةِ<sup>(٥)</sup> بَضْمِ الْحَاءِ وَسُكُونِ السِّينِ مُصَدَّرٌ وَصَفٌ بِهِ مَبَالِغَةٌ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فَقَبِلْتُمْ ذَلِكَ ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أَعْرَضْتُمْ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ، فِيهِ التَّفَاتُ<sup>(٦)</sup> عَنِ الْغَيْبَةِ؛ وَالْمُرَادُ آبَاؤُهُمْ ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ عَنْهُ؛ كَأَبَائِكُمْ.

أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُوتُ وَمَا يَعْلَمُونَ  
وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ  
إِلَّا يَطْنُونَ ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ  
ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا  
فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَفَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْنُتُونَ  
﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ قُلْ  
أَتُخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَأَمْرٌ  
تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً  
وَأُحْطِطَ بِهِ﴾ خَطِيئَتُهُ دَفْأٌ وَلِئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ  
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾  
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا  
مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ  
إِحْسَانًا وَزَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا  
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ  
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ

قال - تعالى -: [٧٧] ﴿أَوْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الاستفهام للتقرير<sup>(١)</sup>، والواو الداخل<sup>(٢)</sup> عليها للعطف ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُوتُ وَمَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يخفون وما يظهرون من ذلك وغيره؛ فَيَزَعُوا<sup>(٣)</sup> عَنْ ذَلِكَ؟! [٧٨] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أَي: الْيَهُودُ ﴿أُمِّيُونَ﴾ عَوَامٌ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ الْكِتَابَ التَّوْرَةَ ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ

(١) أَي: عَلَى سَبِيلِ التَّوْبِيخِ؛ حَيْثُ اعْتَقَدُوا أَنَّ النَّاسَ يُوَاحِدُونَ الْكَافِرَ الْأَصْلِيَّ لَا حِجَةَ عَلَيْهِ، وَلَهُ عَذَرٌ قَائِمٌ عِنْدَ رَبِّهِ.

(٢) أَي: وَالْوَاوُ الدَّخَالُ الْاسْتِفْهَامُ عَلَيْهَا لِلْعَطْفِ عَلَى مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: أَيْلُومُونَهُمْ عَلَى التَّحْدِثِ بِمَا ذَكَرَ، وَلَا يَعْلَمُونَ... إلخ.

(٣) أَي: يَتَكَلَّمُوا وَيَتَزَجَّرُوا.

(٤) بِكسر الراء وضمة؛ جَمْعُ رَشْوَةٍ؛ بِتَثْنِ الرَّاءِ.

(٥) بِالْأَفْرَادِ؛ أَي: بِاعتبار ذات الشرك. والجمع؛ أَي: باعتار أفرادهِ، وَقَرَأَهَا نَافِعٌ بِالْجَمْعِ (خَطِيئَاتِهِ) وَالْباقُونَ بِالْأَفْرَادِ (خَطِيئَةٍ).

(٦) بِالياء لِحْزَةٍ وَالْكَسائي وَابن كثير.

(٧) قِرَاءَةُ شَاذَةٍ، وَقَاعِدَةُ الْفَرَسِ غَالِيًا أَنَّهُ يُشِيرُ لِلشَّادَةِ قَوْلُهُ: قُرِئَ، وَالسَّبْعِيَّةُ قَوْلُهُ: فِي قِرَاءَةٍ.

(٨) بفتح الحاء والسین لِحْزَةٍ وَالْكَسائي، جَعَلَاهُ صِفَةً لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: وَقُولُوا لِلنَّاسِ قَوْلًا حَسَنًا.

(٩) وَحُكْمَتِ الْاسْتِزْدَادَ لِلسَّمْعِ وَعَدَمَ الْمَلَلِ مِنْهُ، وَهُوَ مِنَ الْخُسُفَاتِ.

وَاِذْ اَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرَجُونَ  
 اَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ اَقْرَضْتُمْ وَاَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾  
 ثُمَّ اَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ اَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا  
 مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْاِثْمِ وَالْعُدْوَانِ  
 وَإِن يَأْتُواكُمْ اَسْرَى تَقْدُواهُمْ وَهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ  
 إِخْرَاجُهُمْ اَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ  
 فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ الْاٰخِرَىٰ فِي الْحَيٰوةِ  
 الدُّنْيَا وَنَوْمٍ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ اِلَى اَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اَلَلَّهُ  
 بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اَسْتَرَوْا الْحَيٰوةَ  
 الدُّنْيَا بِالْاٰخِرَةِ فَلَا يَخَفُفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ  
 ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ اَتَيْنَا مُوسٰى الْكِتٰبَ وَفَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ  
 بِالرُّسُلِ وَاَتَيْنَا عِيسٰى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَاَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ  
 الْقُدُسِ اَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رُسُلُنَا يَمَّا لَا تَهْوٰى اَنْفُسُكُمْ  
 اَسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا  
 غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

[٨٤] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾: قلنا: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾: تريقونها  
 بقتل بعضهم بعضاً ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ اَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾: لا يخرج بعضهم  
 بعضاً من داره ﴿ثُمَّ اَقْرَضْتُمْ﴾: قِيلَ لَكُمْ ذَلِكَ الْمِثَاقُ ﴿وَاَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: على  
 اَنْفُسكم. [٨٥] ﴿ثُمَّ اَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ اَنْفُسَكُمْ﴾: بقتل  
 بعضهم بعضاً ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾: تَطَاهَرُونَ ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا  
 مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْاِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾: وفي قراءة: بالظلم ﴿وَلِئِنْ يَأْتُواكُمْ  
 اَسْرَى﴾: وفي قراءة: ﴿اَسْرَى﴾: ﴿تَقْدُواهُمْ﴾: ﴿تَقْتُلُوهُمْ﴾: وفي قراءة: ﴿تَقْدُواهُمْ﴾: تقتلهم من الأسر بالمال أو غيره، وهو مما عهد إليهم  
 ﴿وَهُوَ﴾: أي: الشأن ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾: متصل بقوله: ﴿وَتُخْرِجُونَ﴾: والجملة بينهما (١) اعتراض: أي: كما حُرِّمَ ترك الفداء،  
 وكانت قُرَيْشٌ خَالِفُوا الْأَوَّلَ، والنضيرُ المخرج؛ فكان كل فريق يقاتل مع  
 حلفائه، ويخرب ديارهم، ويخرجهم، فإذا أُبْرِئُوا فلوهم، وكانوا إذا شِئِلُوا: لَمْ  
 تَقَاتِلُوهُمْ وَتَقْدُواهُمْ؟! قالوا: أُبْرِئُوا بالفداء. قِيلَ: قَاتِلُوا قَاتِلِيَهُمْ؟! فيقولون:  
 حَيَاءٌ أَنْ يَشْتَدَلَ حَلْفَاؤُنَا، قال - تعالى -: ﴿اَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾  
 وهو الفداء ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾: وهو ترك القتل، والإخراج، والمظاهرة  
 ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ﴾: هوان وذل ﴿فِي الْحَيٰوةِ  
 الدُّنْيَا﴾: وقد خزوا بقتل قريظة، ونفي النضير إلى الشام، وضرب الجزية  
 ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ اِلَى اَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اَلَلَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: بالباء  
 والناء (٢).

[٨٦] ﴿اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اَسْتَرَوْا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْاٰخِرَةِ﴾: بأن اتزوها عليها  
 ﴿فَلَا يَخَفُفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُنْقُذُونَ منه.

[٨٧] ﴿وَلَقَدْ اَتَيْنَا مُوسٰى الْكِتٰبَ﴾: التوراة ﴿وَفَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ  
 بِالرُّسُلِ﴾: أي: أَتَيْنَاهُمْ رُسُلًا فِي لَيْلِ رَسُولٍ ﴿وَاَتَيْنَا عِيسٰى ابْنَ مَرْيَمَ  
 الْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات؛ كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص ﴿وَاَيَّدْنَاهُ﴾  
 قُوِيْنَاهُ ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: من إضافة الموصوف إلى الصفة؛ أي: الروح المقدسة  
 «جبريل» لطهارته يسير معه حيث سار، فلم تستقيموا ﴿اَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رُسُلُنَا  
 يَمَّا لَا تَهْوٰى﴾: تحب ﴿اَنْفُسُكُمْ﴾: من الحق ﴿اَسْتَكْبَرْتُمْ﴾: تكبرتم عن اتباعه،  
 جواب كلما، وهو محل الاستفهام، والمرد به التوبيخ ﴿فَقَرِيقًا﴾: منهم  
 ﴿كَذَّبْتُمْ﴾: كعيسى ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: المضارع لحكاية الحال الماضية؛  
 أي: قتلتم؛ كزكريا ويحيى.

[٨٨] ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: للنبي استهزاء: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: جمع أغلف؛ أي: مغشاة

بأغطية؛ فلا نعي ما نقول. قال - تعالى -: ﴿بَلْ لِلْاِغْصَابِ﴾ (٣) ﴿لَعَنَهُمُ اللّٰهُ﴾  
 أبعدهم من رحمته وخذلهم عن القبول ﴿يَكْفُرُهُمْ﴾: وليس عدم قبولهم لخلل  
 في قلوبهم (٤) ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾: «ما» زائدة؛ لتأكيد القلة؛ أي: إيمانهم قليل  
 جدًا.

- (١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.
- (٢) أي: بحذف الناء الثانية التي ليست للمضارع، وهي قراءة عاصم وحزمة والكسائي.
- (٣) لحزمة.
- (٤) لحزمة وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ نافع وعاصم والكسائي (قُادُوهم)، والحاصل أن القراءات خمس: ﴿اَسْرَى﴾: بالإمالة مع ﴿تَقْدُواهُمْ﴾ فقط، و﴿اَسْرَى﴾: بالإمالة وعندها مع ﴿تَقْدُواهُمْ﴾، و﴿تَقْدُواهُمْ﴾، و﴿تَقْدُواهُمْ﴾.
- (٥) ويقال: ضمير القصة يفسره ما بعده. قال ابن هشام: ويختص بخمسة أشياء: كونه مفردة. ولو كان مرجعه مثنى أو مجموعاً، وتأخير مرجعه، وكونه جملة، ولا يعمل فيه إلا الابتداء والناسخ، ولا يتبع.
- (٦) الجملة هي قوله: ﴿وَلِئِنْ يَأْتُواكُمْ اَسْرَى تَقْدُواهُمْ﴾: وقوله: «بينهما»؛ أي: بين المظروف؛ وهو قوله: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ﴾ الآية، والمظروف عليه؛ وهو جملة: ﴿تَقْدُواهُمْ﴾؛ لأنها حال.
- (٧) بالياء لنافع وابن كثير وشعبة. وقرأ الباقون (تعملون).
- (٨) أي: الإبطالي.
- (٩) أي: كما ادعوا من أنها مغطاة، فهذا هو الخلل.

حسدًا وخوفًا على الرياسة، وجواب «لَا» الأولى دَلَّ عليه جواب الثانية ﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

[٩٠] ﴿يَسْمَا أَشْتَرَا﴾ باعوا ﴿بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي حظها من الثواب، و«ما» نكرة؛ بمعنى: شيئًا؛ تمييز لفاعل «بَسَّ». والخصوص بالذم «أَنْ يَكْفُرُوا» أي كفرهم ﴿يَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من القرآن ﴿تَبَيَّنَّا﴾ مفعول له ﴿لَهُ يَكْفُرُوا﴾ أي: حسدًا على ﴿أَنْ يُنْزِلَ اللَّهُ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(١)</sup> ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ الوحي ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ للرسالة ﴿مِنْ عِبَادَةٍ فَبَاءُ﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ﴾ من الله بكفرهم بما أنزل الله، والتذكير للتعظيم ﴿عَلَى غَضَبٍ﴾ استحقوه من قبل بتضييع النوراة والكفر بعيسى ﴿وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[٩١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ القرآن وغيره ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ أي النوراة، قال - تعالى -: ﴿رَبِّكُمُورُ﴾ الواو للحال ﴿يَمَّا وَرَاءَهُمْ﴾ سواء أو بعده من القرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ حال ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال ثانية مؤكدة ﴿لِمَا مَعَهُمْ قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿قُلْ تَقْتُلُونَ﴾ أي قتلتم ﴿أَنْبِيََاءَ اللَّهِ﴾ من قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿بِالنُّورَةِ﴾ وقد بُهِتُمْ فيها عن قتلهم، والخطاب للموجودين من زمن نبينا بما فعل آبائهم لرضاهم به.

[٩٢] ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات؛ كالعصا، واليد، وفلق البحر ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ إِلَهًا ﴿مِنْ بَعْدِ ذَهَابِهِ﴾ إلى المقات ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ باتخاذ.

[٩٣] ﴿وَإِذَا اخْتَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ على العمل بما في النوراة ﴿وَقَدْ رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الْطُورَ﴾ الجبل حين امتنعتم من قبولها؛ ليسقط عليكم، وقلنا: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ ما تؤمرون به سماع قبول. ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْعِجْلَ﴾ أي خالط قلوبهم؛ كما يخالط الشراب ﴿يَكْفُرُهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> قُلْ لَهُمْ: ﴿يَسْمَا﴾ شيئًا ﴿يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِسْنَتُكُمْ﴾ بالنوراة عبادة العجل ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بها كما زعمتم؛ المعنى: لستم بمؤمنين؛ لأن الإيمان لا يأمر بعبادة العجل، والمراد: آبائهم؛ أي: فكذلك أنتم لستم بمؤمنين بالنوراة وقد كذبتم محمدًا، والإيمان بها لا يأمر بتكذيبه.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿يَسْمَا أَشْتَرَا بِهٖ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءَ وَبِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيََاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ﴿وَإِذَا اخْتَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قُلُوبَكُمْ سَمِعًا وَعَصِيًّا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ يَكْفُرُهُمْ قُلْ يَسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِسْنَتُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[٨٩] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ من النوراة؛ هو: القرآن ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ قبل مجيئه ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقولون: اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث آخر الزمان، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ من الحق؛ وهو: بعثة النبي ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾

(١) بالتخفيف فراءة ابن كثير وأبي عمرو. وقرأ الباقون بالتشديد.

(٢) أي: بسبب كفرهم.



[٩٤] ﴿قُلْ لَهُمْ: إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْحَافُ الْعِزَّةِ﴾ أي الجنة ﴿عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾ خاصة ﴿مِنَ دُونِ النَّاسِ﴾ كما زعمتم ﴿فَتَتَّبِعُوا أَلْمُوتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ تعلق بتمنيه<sup>(١)</sup> الشيطان، على أن الأول قيد في الثاني<sup>(٢)</sup>؛ أي: إن صدقتم في زعمكم أنها لكم، ومن كانت له يؤثرها، والموصل إليها الموت، فمتَّذِّروا. [٩٥] ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ الكافرين فيجازيهم. [٩٦] ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ لام قسم ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ﴾ أحرص ﴿مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ المنكرين للبعث عليها؛ لعلهم بأن مصيرهم النار دون المشركين لإنكارهم له ﴿يُودُّ﴾ يتمنى ﴿أَحَدُهُمْ لَوْ يَمُتُّ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ «لو» مصدرية؛ بمعنى: «أد»، وهي بصلتها في تأويل مصدر مفعول «يود» ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي أحدهم ﴿بِمُزَجَّجَةٍ﴾ مبعده ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ النار ﴿أَنْ يَمُتُّ﴾ فاعل «مزججه»؛ أي: تعميره ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء<sup>(٣)</sup>؛ فيجازيهم. وسأل ابن صوريا<sup>(٤)</sup> النبي أو عمر عن يأتي بالوحي من الملائكة؟ فقال: «جبريل»؛ فقال: هو عدونا، يأتي بالعذاب، ولو كان ميكائيل لآتانا؛ لأنه يأتي بالحصب والسلم<sup>(٥)</sup>. فَنَزَلَ: [٩٧] ﴿قُلْ لَهُمْ: مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ فليمت غيظا ﴿فَلْيَلْمِ رَبَّهُ﴾ أي القرآن ﴿عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَهُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ﴾ وبُشْرَى ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٦)</sup>. [٩٨] ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَبَاءَ وَدُونَهَا﴾ عطف على الملائكة، من عطف الخاص على العام<sup>(٧)</sup>، وفي قراءة: «ميكائيل» بهمة وياء<sup>(٨)</sup>، وفي أخرى بلا ياء<sup>(٩)</sup> ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ أوقعه موقع «لهم» بيانا لحالهم. [٩٩] ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ﴾ ﴿إِذْ بَيْنَ يَدَيْكَ﴾ أي: واضحات، حال، ردِّ لقول ابن صوريا للنبي: ما جئنا بشيء<sup>(١٠)</sup> ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ كفروا بها. [١٠٠] ﴿أَوْ كَلِمَاتٍ عَهْدُوا﴾ الله ﴿عَهْدًا﴾ على الإيمان بالنبي إن خرج، أو النبي أن لا يعاونوا عليه المشركين ﴿يَذُدُّ﴾ طرده ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ بنقضه، جواب «كلمة»، وهو محل الاستفهام الإنكاري؟! ﴿يَلْ﴾ للاتفقال ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. [١٠١] ﴿وَلَكِنْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْحَافُ الْعِزَّةِ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ إِلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمَنْ أَشْرَكُوا يُوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يَمُتُّ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَجَّجٍ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يَمُتُّ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيْنَتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ أَوْ كَلِمَاتٍ عَهْدُوا عَهْدًا ابْتَدَاهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

عِنْدَ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ أي: التوراة ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي: لم يعملوا بما فيها من الإيمان بالرسول وغيره ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما فيها من أنه نبي حق أو أنها كتاب الله.

(٥) ما حاه في نزول الآية (٩٧) وما بعدها: أخرج أحمد عن ابن عباس قال: حضرت عصاة من اليهود نبي الله ﷺ يوما فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلال نسألك عنهم لا يعلمهم إلا نبي. . الحديث وفي آخره: قالوا: وأنت الآن تحدثنا؛ من رليك من الملائكة فعندنا نجتمعك أو نفارقك. قال: «فإن وليي جبريل عليه السلام، ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه». قالوا: فعندنا نفارقك؛ لو كان وليك سواه من الملائكة لتابعك وصدقك. قال: «فما يمنعكم من أن تصدقوه؟» قالوا: إنه عدونا. قال: «فعند ذلك قال الله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَلْيَلْمِ رَبَّهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. إلى قوله ﷻ: ﴿كَتَبَ اللَّهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فعند ذلك ﴿يَأْتُوهُمْ عَلَى غَنَصٍ﴾ الآية. المسند (٢٧٨/١). (إسناده صحيح) شاكر (٢٥١٤).

(١) في العبارة قلب، والأصل تعلق تمنيه بالشرطين؛ لأن «كُتِّبُوا» هو إيجاب، وهو متعلق بالشرطين.

(٢) خالصته: أنه إذا اجتمع شرطان وتوسط بينهما جواب كان الأول قيده في الثاني؛ بمعنى: أنه من تمام معناه.

(٣) ظاهره أنهما سبيتان، وليس كذلك، بل التاء عشرية قرأ بها يعقوب، واحتلف فيما زاد عن السبعة؛ هل يلحق بها فتجوز القراءة والصلاة بها، أم بالشواذ فيمتنعان؟ والمعمد الأول.

(٤) واسمه عبد الله، وكان من أحبار اليهود.

(٥) انظر: مسند أحمد (٢٥١٠). وروى البخاري في كتاب التفسير (٤٤٨٠) عن أنس نحو هذا في عبد الله بن سلام قبيل إسلامه وليس فيه أنه سبب نزل الآية..

(٦) جبريل وجبريل وجبريل، لأن كثير، ثم شعبة ثم حمزة والكسائي على الترتيب، جبريل نافع وأبي عمرو وابن عامر وحفص.

(٧) والكنة: شرفها وعظمتها، وكون النزاع فيها.

(٨) حمزة والكسائي وشعبة وابن كثير وابن عامر.

(٩) لنافع.

(١٠) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس [الدر المنثور (١٦٨١/١)].

يعمل السحر؛ لأنه كفر ﴿وَلَكِنَّ﴾ بالشديد والتخفيف <sup>(٣)</sup> ﴿الْشَّيْطَانُ﴾ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَرُ الجملة حال من ضمير «كفروا» ﴿وَمَا﴾ يعلمونهم ﴿مَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ أي: ألهاماً من السحر <sup>(٤)</sup>، وفُرى بكسر اللام <sup>(٥)</sup>، الكائنين ﴿بِبَابِلَ﴾ بلد في سواد العراق ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ بدل أو عطف بيان للملكين، قال ابن عباس: هما ساحران، كانا يعلمان السحر، وقيل: ملكان أنزلا؛ لتعليمه ابتلاء من الله للناس ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنَ﴾ زائدة ﴿أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا﴾ له نصحا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فَتْنَةٌ﴾ بليّة من الله إلى الناس؛ ليمتحنهم بتعليمه؛ فمن تعلّمه كفر، ومن تركه فهو مؤمن ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بتعليمه. فإن أتى إلا التعليم علماًه ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمُرَةِ وَزَوْجِهِ﴾ بآن ينفص كل إلى الآخر ﴿وَمَا هُمْ﴾ أي السحرة ﴿بِضَارِينَ بِهِ﴾ بالسحر ﴿وَمِنْ﴾ زائدة ﴿أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ ولا ينفعهم وهو السحر ﴿وَلَقَدْ﴾ لام قسم ﴿عَلَّمُوا﴾ أي اليهود ﴿لَمَنْ﴾ لام ابتداء معلقة لما قبلها ﴿وَمِنْ﴾ موصولة ﴿أَشْرَنَهُ﴾ اختاره أو استبدله بكتاب الله ﴿مَا لَمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ نصيب في الجنة ﴿وَلَيْسَ﴾ شيئاً ﴿شَكَّ﴾ باعوا ﴿بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: الشارين؛ أي: حظها من الآخرة إن تعلموه؛ حيث أوجب لهم النار ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة ما يصيرون إليه من العذاب، ما تعلموه.

[١٠٣] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ أي اليهود ﴿ءَامَنُوا﴾ بالنبي والقرآن ﴿وَاتَّقَوْا﴾ عقاب الله بترك معاصيه؛ كالسحر، وجواب «لو» محذوف؛ أي: لأثيبوا؛ دل عليه ﴿لَمَنُوبَةٌ﴾ ثواب، وهو مبتدأ، واللام فيه للقسام ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ خيره، مما شروا به أنفسهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لما آثروه عليه. [١٠٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا﴾ للنبي: ﴿رُعَيْنَا﴾ أمر من المراجعة، وكانوا يقولون له ذلك، وهي بلغة اليهود سب من الرعونة <sup>(٦)</sup>، فشرّوا بذلك، وخاطبوا بها النبي؛ فنهى المؤمنين عنها ﴿وَقُولُوا﴾ بدلها: ﴿انظُرْنَا﴾ أي: انظر إلينا ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ ما تومرون به سماع قبول ﴿وَلْيَكُنْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ مؤلم هو النار.

[١٠٥] ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ من العرب، عطف على أهل الكتاب، و«من» للبيان ﴿أَنْ يُزِيلَ عَلَيْكُمْ مِنْ زَائِدَةٍ﴾ وحي ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ حسداً لكم ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ نبوته ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا الشَّيْطَانُ عَلَى مُلْكٍ سَائِمَن وَمَا كَفَرَ سَائِمَن وَلَا كُنَّ الشَّيْطَانِ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَر وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فَتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمُرَةِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْهُ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَنُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْكَانُوا يَعْلَمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمِعُوا لِلَّذِينَ لَا يَكُنْ عَذَابُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

[١٠٢] ﴿وَاتَّبِعُوا﴾ عطف على «بذ» <sup>(١)</sup> ﴿مَا نَزَّلْنَا﴾ أي: نزلت ﴿الشَّيْطَانُ عَلَى﴾ عهد ﴿مُلْكٍ سَائِمَنَ﴾ من السحر، وكانت ذفنته تحت كرسيه لما نزع منكبه، أو كانت تسترق السمع، وتضم إليه أكاذيب، وتلقيه إلى الكهنة؛ فيدونونه، وفشا ذلك، وشاع أن الجن تغلم الغيب؛ فجمع سليمان الكتب ودفعها، فلما مات دلت الشياطين عليها الناس؛ فاستخرجوها، فوجدوا فيها السحر، فقالوا: إنما ملككم بهذا فتعلموه. فرفضوا كتب أنبيائهم <sup>(٢)</sup>. قال - تعالى - تبرئة لسليمان ورداً على اليهود في قولهم: انظروا إلى محمد يذكر سليمان في الأنبياء، وما كان إلا ساحراً: ﴿وَمَا كَفَرَ سَائِمَنُ﴾ أي: لم

(١) استشكل بأن المعطوف على الجواب جواب، وقوله: ﴿اتَّبِعُوا﴾ لا يصلح أن يكون جواباً؛ لعدم ترتبه على الشرط؛ لأنه سابق على بعثة الرسول ﷺ، فالأحسن عطفه على جملة: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ الآية، فهو بيان لسوء حالهم.

(٢) هذه لتفاصيل من قصته مع الجن والكتب وما وجبوه منها من سحر ونحوه طارها من الإسرائيليات، التي تخالف مناصب الأنبياء وعصمتهم وشأنهم ولا يمكن التصديق بصحتها.

(٣) بتخفيف نون ﴿لَكِنَّ﴾ ورفع ﴿الْشَّيْطَانُ﴾ قراءة حمزة والكسائي وابن عامر.

(٤) نافية؛ أي: لم ينزل على الملكين. قال ابن الأثيري: وهذا الوجه ضعيف جداً؛ لأنه خلاف الظاهر والمعنى.

(٥) وهي قراءة شاذة.

(٦) أي: الحق، والجهل، وقلة العقل، وهي بهذا المعنى عربية، وقيل: هي عبرانية، أو سريانية. ومعناها: اسمع لا سمعت.

(٧) وفيها إثبات صفة الرحمة على الوجه اللاتى بجلاله - سبحانه -، ومن آثار رحمته الشرع الذي شرعه لنبيه ﷺ ولأمته. وأما تفسيره الرحمة بالنبوة بخلاف الظاهر.

ولما طعن الكفر في النسخ، وقالوا: إن محمداً يأمر أصحابه اليوم بأمر ويهني عنه غداً، نزل: [١٠٦] ﴿مَا﴾ شرطية ﴿تَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ أي: نزل حكمها؛ إما مع لفظها أو لا، وفي قراءة<sup>(١)</sup> بضم النون من أنسخ؛ أي: نأمر أو جبرين بنسخها ﴿أَوْ﴾ [تَنْسَأُهَا] تؤخرها؛ فلا تنزل حكمها، وترفع تلاوتها؛ أو تؤخرها في اللوح المحفوظ، وفي قراءة بلا همز<sup>(٢)</sup> من النسيان<sup>(٣)</sup>؛ أي: نُنسِكُهَا أي: نمحها من قلبك، وجواب الشرط ﴿تَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ أنفع للعباد في السهولة أو كثرة الأجر ﴿أَوْ﴾ [يُنْصِرُكُمْ] في التكليف والثواب ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه النسخ والتبديل، والاستفهام للتقرير.

[١٠٧] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يفعل ما يشاء ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿وَلِيٌّ﴾ يحفظكم ﴿وَلَا يُصِيرُ﴾ يمنع عنكم عذابه إن أتاكم. ونزل لما سألهم أهل مكة أن يوسعها ويجعل الصفا ذبيحة<sup>(٤)</sup>: [١٠٨] ﴿أَمْ﴾ بَلْ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلُوا مُوسَى﴾ أي: سألوه قومه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قولهم: ﴿أَرَأَيْتَ اللَّهُ جَهَنَّمَ﴾ وغير ذلك؟ ﴿وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ أي: يأخذه بدله بترك النظر في الآيات واقتراح غيرها ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أخطأ الطريق الحق، والسواء في الأصل الوسط.

[١٠٩] ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ﴾ مصدرية ﴿يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُنُفًا حَسَكًا﴾ مفعول له، كائناً ﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: حملتهم عليهم أنفسهم الخبيثة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ﴾ في التوراة ﴿الْحَقَّ﴾ في شأن النبي ﴿وَفَاعَلُوا﴾ عنهم؛ أي: اتروهم ﴿وَأَصْغَحُوا﴾ أعرضوا، فلا تجازوهم ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ فيهم من القتال ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١١٠] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقِيمُوا لِلنَّفْسِ مِنَ خَيْرٍ﴾ طاعة؛ كصلة وصدقة ﴿وَتَجِدُوهُ﴾ أي: ثوابه ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ يَبْصِرُ﴾ فيجازيكم به.

[١١١] ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾ جمع هَائِدٍ ﴿أَوْ نَصْرًا﴾ قال ذلك يهود المدينة ونصارى نجران لما تناظروا بين يدي النبي ﷺ؛ أي: قال اليهود: لن يدخلها إلا اليهود. وقال النصارى: لن يدخلها إلا النصارى<sup>(٥)</sup>، ﴿وَلَكِنَّ الْقَوْلَ﴾ آمَانِيَّتُهُمْ ﴿شَهَوَاتِهِمُ الْبَاطِلَةَ﴾ قُلُوبُهُمْ ﴿هَآؤُلَاءِ زُيِّنَتْ لَهُمْ﴾ حجتكم على ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه. [١١٢] ﴿وَلَكِنَّ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ غَيْرُهُمْ﴾ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ؛ أي: انقاد لأمره، وَخُصَّ الوجه؛ لأنه أشرف الأعضاء؛ فَغَيَّرَهُ أَوَّلَى ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿فَلَهُ أَتَمُّ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ أي: نواب عمله الجنة ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

(١) لاين عامر.

(٢) أي: مع ضم النون ﴿نَسِيتُهَا﴾ لنانع وعاصم وحزمة والكسائي، والقراءة المضرة (تَنْسَأُهَا) لاين كثير وأبي عمرو.

(٣) الأولى أن يقول: من الإنشاء؛ لأنه مصدر الرباعي الذي الكلام فيه.

(٤) واستشكل ذلك بأن هذه السورة مدنية، والسؤال من أهل مكة كان قبل الهجرة، فالحق أن يقال: إن سبب نزولها سؤال يهود المدينة إزال كتاب من السماء؛ لأن لسياق في محاطبة اليهود، ويكون قوله: ﴿رَسُولُكُمْ﴾ أي: محمد ﷺ لأنه رسول الخلق أجمعين.

(٥) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٥٤٨/١)، ومن طريقه الطبري في تفسيره (٣٩٤/١)، وفي إسناده محمد بن أحمد؛ مجهول.

﴿مَا تَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾  
 ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾  
 ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾  
 ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلُوا مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾  
 ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُنُفًا حَسَكًا﴾  
 ﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَّ فَاعْلُوا﴾  
 ﴿وَأَصْغَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾  
 ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾  
 ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾  
 ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾  
 ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرًا﴾  
 ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَآؤُلَاءِ بَرُّهُمْ﴾  
 ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾  
 ﴿كُلٌّ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾  
 ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى  
لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ  
قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ  
يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ  
مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا  
أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي  
الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ  
وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَشَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عَلَيْهِ ﴿١١٥﴾  
وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قُنُوتٌ ﴿١١٦﴾ يَدْبَعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَلِذَا قُضِيَ أَمْرٌ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ  
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ  
كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ  
قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ  
بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُشْعَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

[١١٣] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ﴾ مُعْتَدٍ بِهِ، وكفرت  
بعيسى ﴿وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ مُعْتَدٍ بِهِ، وكفرت بموسى  
﴿وَهُمْ﴾ أي الفريقان ﴿يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ المنزل عليهم، وفي كتاب اليهود  
تصديق عيسى، وفي كتاب النصارى تصديق موسى، والجملة حال  
﴿كَذَلِكَ﴾ كما قال هؤلاء ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: المشركون من

العرب وغيرهم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ بيان لمعنى ذلك؛ أي: قالوا لكل ذي دين:  
ليسوا على شيء ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾  
من أمر الدين؛ فيدخل الحق الجنة والمظلم النار: [١١٤] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي:  
لا أحد أظلم ﴿مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ بالصلاة والتسبيح  
﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ بالهدم أو التعطيل، نزلت إخباراً عن الروم الذين خربوا  
بيت المقدس، أو في المشركين لما صدوا النبي ﷺ عام الحديبية عن البيت  
﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ خبر بمعنى الأمر؛ أي:  
أخيفهم بالجهاد؛ فلا يدخلها أحد أمنًا ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ هوان بالقتل  
والسبي والحرية ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو النار. ونزل لما طعن اليهود  
في نسخ القبلة أو في صلاة النافلة على الرحلة في السفر حيثما توجهت: [١١٥]  
﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ (١) أي: الأرض كلها؛ لأنها تاجبتاها ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا﴾  
وجوهكم في الصلاة بأمرة ﴿فَشَمَّ﴾ هناك ﴿وَجْهُ اللَّهِ﴾ (٢) قبلته التي رضىها (٣)  
﴿إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ﴾ يسع فضله كل شيء ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بتدبير خلقه (٤).  
[١١٦] ﴿وَقَالُوا﴾ بواو وبدونها (٥)، اليهود والنصارى وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ  
الْمَلَائِكَةَ بنات الله: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قال: تعالى: ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيها  
له عنه ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا وعبادًا، والملكية تنافي  
الولادة، وعبر بـ«ما» تعليلًا لما لا يعقل ﴿كُلُّ لَّهُ قُنُوتٌ﴾ مطيعون، كل بما يُراد  
منه، وفي تغليب العاقل: [١١٧] ﴿يَدْبَعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ موجدهم لا  
على مثال سيقن ﴿وَلِذَا قُضِيَ أَمْرٌ﴾ أراد ﴿أَمْرًا﴾ أي: إيجاده ﴿فَأَيْنَمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ  
فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون، وفي قراءة (٦) بالنصب (٧) جوابًا للأمر.

[١١٨] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: كفار مكة (٨) للنبي ﷺ ﴿لَوْلَا﴾  
هلا ﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ بأنك رسول الله ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ ما اقترحناه على  
صدقك ﴿كَذَلِكَ﴾ كما قال هؤلاء ﴿قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من كفار الأمم  
الماضية أنبيائهم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ من التعت وتطلب الآيات ﴿تَشَابَهَتْ  
قُلُوبُهُمْ﴾ في الكفر والعناد، فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ  
يُوقِنُونَ﴾ يعلمون أنها آيات فيؤمنون، فاقترح آية معها تعنت. [١١٩]  
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾ مَنْ أَحَابَ إِلَيْهِ  
بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ مَنْ لَمْ يَجِبْ إِلَيْهِ بالنار ﴿وَلَا تُشْعَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ النار؛  
أي: الكفار ما لهم لم يؤمنوا؟ إنما عليك البلاغ، وفي قراءة بجزم «تسأل» نهياً (٩).

(٥) ما حاء في نزول الآية (١١٥): أخرج مسلم عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه. قال: وفيه نزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا قَدْ بَيَّنَّا وَجْهَ اللَّهِ﴾ وهذا قول مجاهد وجماعة الشافعي. قال ابن القيم: إنه لا يعرف إطلاق وجه الله على القبلة لغة ولا شرعًا ولا عرفًا... بل القبلة لها اسم يخصها، والوجه له اسم يخصه... وأيضًا فمن المعلوم أن قلة الله التي تفضيها لعباده هي قبة واحدة... فكيف يقال: أي وجهه وجهها واستقبلتها فهي قبة الله؟!... وحصل الآية على استقبال المسافر في التنقل، وعلى الرحلة، وعلى حال الغيم ونحوه بعد جئًا عن ظاهر الآية وإطلاقتها وعمومها وما قصد بها... والآية لا تعرض فيها للقبلة ولا لحكم الاستقبال؛ بل سياقها لمعنى آخر؛ وهو: بيان عظمة الرب - تعالى - وسعته، وأنه أكبر من كل شيء وأعظم منه، وأنه محيط بالعالم العلوي والسفلي، فذكر في أول الآية إحاطة ملكه في قوله: ﴿وَاللَّهُ الْكَشِيُّ وَالْغَرِيبُ﴾ [البقرة: ١١٥]، فيها بذلك معنى ملكه لا يهيم، ثم ذكر عظمته - سبحانه - وأنه أكبر وأعظم من كل شيء؛ فأينما ولى المبد وجهه فم وجه الله، ثم ختم بأسس دالين على السعة والإحاطة، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢١٥]، وأيضًا هذه الآية ذكرت مع ما بعدها لبيان عظمة الرب، والرد على من جعل له ولداً، فقال: تعالى: بعدها: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية [البقرة: ١١٦]، فهذا السياق لا تعرض فيه للقبلة، ولا سبق الكلام لأجلها... فالمقام مقام تقرير لأصول التوحيد والإيمان والرد على المشركين لا بيان فرع معين جزئي. نقلًا عن: [المفسرون بين الإثبات والتأويل (١/ ٣٦٤ - ٣٦٧)] صرف. ففسير الوجه بالقبلة فيه تعطيل لصفة الوجه. (٥) بدون الواو لابن عامر. (٦) لابن عامر. (٧) بـ«أن» مضمرة بعد فاء السبيعية.

(١) اختار القرطبي أنها عامة في كل مسجد إلى يوم القيامة؛ لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع، فتخصيصها ضعيف. (٢) انظر الحديث وتخرجه في أسباب النزول. (٣) وفيه إثبات لوجه الله - تعالى - على الوجه اللائق به - تعالى -، وإن له وجهًا لا تشبهه الوجوه. (٤) وهذا قول مجاهد وجماعة الشافعي. قال ابن القيم: إنه لا يعرف إطلاق وجه الله على القبلة لغة ولا شرعًا ولا عرفًا... بل القبلة لها اسم يخصها، والوجه له اسم يخصه... وأيضًا فمن المعلوم أن قلة الله التي تفضيها لعباده هي قبة واحدة... فكيف يقال: أي وجهه وجهها واستقبلتها فهي قبة الله؟!... وحصل الآية على استقبال المسافر في التنقل، وعلى الرحلة، وعلى حال الغيم ونحوه بعد جئًا عن ظاهر الآية وإطلاقتها وعمومها وما قصد بها... والآية لا تعرض فيها للقبلة ولا لحكم الاستقبال؛ بل سياقها لمعنى آخر؛ وهو: بيان عظمة الرب - تعالى - وسعته، وأنه أكبر من كل شيء وأعظم منه، وأنه محيط بالعالم العلوي والسفلي، فذكر في أول الآية إحاطة ملكه في قوله: ﴿وَاللَّهُ الْكَشِيُّ وَالْغَرِيبُ﴾ [البقرة: ١١٥]، فيها بذلك معنى ملكه لا يهيم، ثم ذكر عظمته - سبحانه - وأنه أكبر وأعظم من كل شيء؛ فأينما ولى المبد وجهه فم وجه الله، ثم ختم بأسس دالين على السعة والإحاطة، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢١٥]، وأيضًا هذه الآية ذكرت مع ما بعدها لبيان عظمة الرب، والرد على من جعل له ولداً، فقال: تعالى: بعدها: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية [البقرة: ١١٦]، فهذا السياق لا تعرض فيه للقبلة، ولا سبق الكلام لأجلها... فالمقام مقام تقرير لأصول التوحيد والإيمان والرد على المشركين لا بيان فرع معين جزئي. نقلًا عن: [المفسرون بين الإثبات والتأويل (١/ ٣٦٤ - ٣٦٧)] صرف. ففسير الوجه بالقبلة فيه تعطيل لصفة الوجه. (٥) بدون الواو لابن عامر. (٦) لابن عامر. (٧) بـ«أن» مضمرة بعد فاء السبيعية. (٨) تقدم الإشكال بأن السورة مدنية وأن السائل له يهود المدينة، وهبل: ويمكن أن يكون كفار مكة أرسلوا ذلك السؤال له وهو بالمدينة. (٩) مع فتح التاء النافع.

وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آتِيتَهُمْ لَبَتْلُوهٗ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذْ أَبَتْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَتَمَّمْنَا قَوْلَ إِيَّايَ جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَلِتَذُكَّرُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

أحد، ولا يُصاد صيده، ولا يُختلَى خلاه<sup>(١)</sup> ﴿١٢٠﴾ وَأَنْزَلْنَا أَمْطًا مِنَ السَّمَاءِ ﴿١٢١﴾ وقد فعل بنقل الطائف من الشام إليه، وكان أقفر لا زرع فيه ولا ماء ﴿١٢٢﴾ وَمَنْ آمَنَ بِهِمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿١٢٣﴾ بدل من أهله، وخصهم بالدعاء لهم موافقة لقوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. ﴿قَالَ﴾ - تعالى -: ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾. ﴿مَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ﴾ بالتشديد والتخفيف<sup>(٢)</sup> في الدنيا بالرزق ﴿قَلِيلًا﴾ مدة حياته ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ ألجته في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾ فلا يجد عنها محيصًا ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع هي.

﴿١٢٠﴾ [١٢٠] ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ دِينَهُمْ ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ أي الإسلام ﴿هُوَ الْهُدَى﴾ وما عداه ضلال ﴿وَلَئِنَّ آتِيتَهُمْ لَبَتْلُوهٗ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ التي يدعونك إليها فوضاً<sup>(١)</sup> ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ يَحْفَظُكَ ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يَمْنَعُكَ مِنْهُ.

﴿١٢١﴾ [١٢١] ﴿يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ مبتدأ ﴿يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴿أَيُّ﴾ يقرؤه كما أنزل، والجملة حال، و﴿حَقَّ﴾ نصب على المصدر، والخبر: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ نزلت في جماعة قدموا من الحبشة وأسلموا ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ أي: بالكتاب المؤتى بأن يحرفه ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

﴿١٢٢﴾ [١٢٢] ﴿يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ تقدم مثله. ﴿وَاتَّقُوا﴾ خافوا ﴿يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ تغني ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿يَمْتَقِنُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾.

﴿١٢٣﴾ [١٢٣] ﴿وَإِذْ أَبَتْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبِّهِ﴾ وفي قراءة: ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿رَبُّهُ﴾ بِكَلِمَةٍ ﴿بِأَمْرٍ وَتَوَاتُرٍ كَلَفَهُ بِهَا﴾ قيل: هي مناسك الحج. وقيل: المضمضة، والاستنشاق، والسواك، وقص الشارب، ورفق الشعر، وقلم الإظفار، ونف الإبط، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء ﴿فَأَتَمَّمْنَا قَوْلَ إِيَّايَ جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قدوة في الدين ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أولادي: اجعل أئمة ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ الكفرة منكم؛ ذل على أنه ينال غير الظالم ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ مرجعاً يشوبون إليه ﴿١٢٤﴾ [١٢٤] ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ مرجعاً يشوبون إليه من كل جانب ﴿وَأَمْنَا﴾ مأمناً لهم من الظلم والإغارات الواقعة في غيره؛ كان الرجل يلقي قاتل أبيه فيه فلا يهجمه ﴿وَأَعِيدُوا﴾ أيها الناس ﴿مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هو الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت ﴿مُصَلًّى﴾ مكان صلاة بأن تصلوا خلفه ركعتي الطواف، وفي قراءة بفتح الحاء خبر<sup>(٣)</sup> ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ أمرناهما ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ من الأوثان ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾ المقيمين فيه ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ جمع راكم وساجد، المصلين.

﴿١٢٥﴾ [١٢٥] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ ذا أمن، وقد أجاب الله دعاءه؛ فجعله حرماً، لا يُسْفَك فيه دم إنسان، ولا يُظلم فيه

(١) أي: على فرض وقوعه.

(٢) لأن عامر، سوى النقاش عن الأحفش. وذلك في ثلاثة وثلاثين موضعاً منها خمسة عشر في هذه السورة.

(٣) أي: اتخذوا، لنافع وابن عامر.

(٤) أي: حشيشه.

(٥) بالتخفيف قراءة ابن عامر.

لتقدم قوله: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْفُلَّيْنِ﴾ ﴿وَأَرَانَا﴾ علمنا ﴿مَنَاسِكَا﴾ شرائع عبادتنا أو حجتنا ﴿وَبُنِيَ عَلَيْكَ إِنَّكَ أَنْتَ الْتَوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ سألناه التوبة مع عصمتها تواضعاً وتعليقاً لذريتهما.

[١٢٩] ﴿وَبُنِيَ وَأَبْعَثَ فِيهِمْ﴾ أي: أهل البيت ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ من أنفسهم، وقد أجاب الله دعاءه محمد ﷺ ﴿يَتْلُوا عَلَيْكَ آيَاتِكَ﴾ القرآن ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ أي: ما فيه من الأحكام ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الشرك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْقَرِيرُ﴾ الغالب ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه<sup>(١)</sup>.

[١٣٠] ﴿وَمِنْ﴾ أي: لا ﴿يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ فيتركها ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ جهل أنها مخلوقة لله، يجب عليها عبادته، أو استخف بها وامتنعها ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ﴾ اخترناه ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالسَّالَةِ وَالْخَلَّةِ ﴿وَأَيُّهُ﴾ في الآخِرَةِ ﴿لِمَنْ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

[١٣١] ﴿وَأَذْكُرُ﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ ﴿انْقَدَ لَهُ وَأَخْلَصَ لَهُ دِينَكَ﴾ قَالَ أَسَلَّمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

[١٣٢] ﴿وَوَصَّى﴾ وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: ﴿أَوْصَى﴾ ﴿بِهَآءٍ﴾ بالملة ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ نَبِيٍّ وَيَعْقُوبَ﴾ نَبِيٍّ قَالَ: ﴿يَنْبَغِي لِي أَنْ أَسْأَلَكَ لَكُمْ الدِّينَ﴾ دين الإسلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ نهي عن ترك الإسلام، وأمر بالثبات عليه إلى مصافدة الموت.

وَلَمَّا قَالَ الْيَهُودُ لِلنَّبِيِّ: أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ يَعْقُوبَ يَوْمَ مَاتَ أَوْصَى نَبِيَّهُ بِالْيَهُودِيَّةِ؛ نَزَلَ: [١٣٣] ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ حضوراً ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ﴾ بدل من ﴿إِذْ﴾ قِيلَ<sup>(٣)</sup> ﴿قَالَ لِسَيِّدِهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ بعد موتي ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ عُدَّ إسماعيل من الآباء تغليباً، ولأن العم بمنزلة الأب ﴿إِلَهًا وَحِيدًا﴾ بدل من إلهك ﴿وَنَحْنُ لَمْ مُسْلِمُونَ﴾، و﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار<sup>(٤)</sup>؛ أي: لَمْ تَحْضُرُوهُ وقت موته فكيف تنسبون إليه ما لا يليق به؟.

[١٣٤] ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ، والإشارة إلى إبراهيم ويعقوب ونبيهما، وأنت؛ لتأنيث خبره ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ سَلَفَتْ ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من العمل؛ أي: جَازَاهُ، استئناف ﴿وَلَكُمْ﴾ الخطاب لليهود ﴿مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كما لا يُسْأَلُونَ عن عملكم، والجملة تأكيد لما قبلها.

وَأَذْكُرُ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ قَالَ أَسَلَّمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِي إِنْ أَلَّهِ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

[١٢٧] ﴿وَذِكْرُ﴾ إِذْ رَفَعَ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ الْأَسَاسَ أَوِ الْجِدَارَ ﴿مِنْ آلِ بَيْتِهِ﴾ بَنِيهِ، متعلق بـ«يرفع» ﴿وَيُسَمِّعُ﴾ عطف على إبراهيم، يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ بناءً ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

[١٢٨] ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾ منقادين ﴿وَلَكَ﴾ واجعل ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾ أولادنا ﴿أُمَّةً﴾ جماعة ﴿مُسْلِمَةً لَكَ﴾ «ومن» للتبعيض، وأتى به؛

(١) الأولى: التعميم في تَقَبَّلْ احكاماً؛ فيقال: الحكيم في كل شأن من شؤنه؟ من صنعه، وقدره، وتشريعه، وجزائه، وإرساله رسله، وإنزاله كيبه، ... إلخ. وكذا يقال في كل موضع قصراً فيه الصنفان الحكمة على صنعه سبحانه وتعالى فقط.

(٢) ثنايف وابن عامر.

(٣) أي: بدل اشتمال.

(٤) أي: فتارة تفسر بها وحدها، وتارة تفسر بها وب«إله»، وتارة تفسر ب«إله» وحدها.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتُ أَنْتُمْ إِبْرَاهِيمَ  
 حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣١﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا  
 أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ  
 وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ  
 رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾  
 فَإِنِ آمَنُوا بِمَا آمَنَتْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنِ تَوَلَّوْا  
 فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ  
 ﴿١٣٣﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ  
 عَابِدُونَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ اتَّخَذْتُنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّكُمْ  
 وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٥﴾  
 أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ  
 وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ  
 اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ  
 بِغَفِلٍ غَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٦﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ  
 وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنتَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٧﴾

[١٣٥] ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ «أو» للتفصيل، وقالوا  
 الأول يهود المدينة، والثاني نصارى نجران ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ آلَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ حال من إبراهيم، مائلا عن الأديان كلها إلى الدين القيم  
 ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٣٦] ﴿قُولُوا﴾ خطاب للمؤمنين: ﴿ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ من  
 القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ من الصحف العشر ﴿وَلِإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ  
 وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ أولاده ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ من التوراة ﴿وَعِيسَى﴾ من  
 الإنجيل ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ من الكتب والآيات ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ  
 أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض؛ كاليهود والنصارى ﴿وَنَحْنُ لَهُ  
 مُسْلِمُونَ﴾.

[١٣٧] ﴿فَإِنِ آمَنُوا﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿بِشَيْءٍ﴾ «مثل» زائدة  
 ﴿مَّا آمَنَتْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنِ تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان به ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾  
 خلاف معكم ﴿نَسْتَكْفِيكَهُمْ اللَّهُ﴾ يا محمد شِقَاقُهُمْ ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾  
 لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم، وقد كفاه إياهم بقتل قريظة، ونفي الضير  
 وضرب الجزية عليهم.

[١٣٨] ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لـ ﴿آمَنَّا﴾ ونصبه بفعل مقدر؛ أي:  
 صبغتنا الله؛ والمراد بها: دينه الذي فطر الناس عليه؛ لظهور أثره على صاحبه؛  
 كالصبغ في الثوب ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ تمييز  
 ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾. قال اليهود للمسلمين: نحن أهل الكتاب الأول،  
 وقبلتنا أقدم، ولم تكن الأنبياء من العرب، ولو كان محمد نبيا، لكان منا.  
 فنزل: [١٣٩] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَتَحَاوَرْنَا﴾ تخاصموننا ﴿فِي اللَّهِ﴾ أن  
 اصطفى نبيا من العرب ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ فله أن يصطفى من يشاء  
 ﴿وَلَكَّا أَسْمَلْنَا﴾ نجأزي بها ﴿وَلَكُمُ اسْمَلْنَاكُمْ﴾ نجأزون بها؛ فلا يبعد أن  
 يكون في أعمالنا ما نستحق به الإكرام ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ الدين والعمل  
 دونكم؛ فنحن أولى بالاصطفاء، والهمزة للإنكار، والجمل الثلاث أحوال.

[١٤٠] ﴿أَمْ﴾ بل أـ ﴿تَقُولُونَ﴾ بالباء والياء<sup>(١)</sup>: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ  
 وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ﴾ لهم: ﴿ءَأَنْتُمْ  
 أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ﴾ أي: الله أعلم، وقد برأ منهما إبراهيم بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ  
 يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾<sup>(٢)</sup> والمذكورون معه تبع له ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ﴾  
 أخفى على الناس ﴿شَهَادَةً عِنْدَهُ﴾ كائنة ﴿بِرَبِّهِ﴾ أي: لا أحد أظلم  
 منه؛ وهم: اليهود؛ كتّموا شهادة الله في التوراة لإبراهيم بالخفية<sup>(٣)</sup> ﴿وَمَا  
 اللَّهُ بِغَفِلٍ غَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تهديد لهم.

[١٤١] ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنتَلُونَ  
 عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ تقدم مثله.

(١) فائدة: أخرج مسلم عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منهما: ﴿قُولُوا ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ التي في البقرة، وفي الآخرة منهما: ﴿ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ  
 وَآلِهِمْ يَأْتَا مُسْلِمُونَ﴾. مسلم. كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) باب (٣٨) القراءة في ركعتي الفجر.

(١) بالياء نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٢) آل عمران: ٦٧.

(٣) أي: ولحمد ﷺ بالرسالة؛ حيث ذكر الله أوصافه وأخلاقه في كتبهم فغيروها وبدلوها.

يا أمة محمد ﴿أَمَّا وَسَطًا﴾ خيارًا عدولاً ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يوم القيامة: أن رسلم بلغنهم ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أنه بلغكم ﴿وَمَا جَعَلْنَا صِغِيرًا لَكَ الْآنَ﴾ ﴿الْقِبْلَةَ﴾ الجهة ﴿الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ أولاً؛ وهي: الكعبة، وكان ﷺ يصلي إليها، فلما هاجر، أمر باستقبال بيت المقدس؛ تألفاً لليهود؛ فصلى إليه ستة أو سبعة عشر شهراً، ثم تحول ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ فيصده ﴿وَمَنْ يَتَّقِ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ أي: يرجع إلى الكفر؛ شكاً في الدين، وظناً أن النبي ﷺ في حيرة من أمره، وقد ارتد لذلك جماعة ﴿وَإِنْ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: وإنما كانت أي: التولية إليها لكثرة شاقة عبى الناس ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَكَى اللَّهُ﴾ منهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس<sup>(١)</sup>؛ بل ينيكم عليه؛ لأن سبب نزولها السؤال عن مات قبل التحويل<sup>(٢)</sup> ﴿إِنَّكَ اللَّهُ يَالْكَافِينَ﴾ المؤمنين ﴿لَزَوْا وَفَّ رِجْعًا﴾ في عدم إضاعة أعمالهم، والرافة شدة الرحمة، وقدم الأبلغ للفاصلة<sup>(٣)</sup>.

[١٤٤] ﴿فَلَنُؤْيِسَنَكَ قِبَلَهُ تَرْضَاهَا قَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَلِلَّهِ الَّذِينَ أُولُوا أَلَكُتَبَ لِيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٤٥﴾ وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُولُوا أَلَكُتَبَ بِكُلِّ آيَةٍ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعِ قِبَلَهُ بَعْضٌ وَلَيْنَ آتَيْتَ أَهْوَاءَ هُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِتَ الظَّالِمِينَ﴾

[١٤٥] ﴿وَلَيْنَ﴾ لام القسم ﴿آتَيْتَ الَّذِينَ أُولُوا أَلَكُتَبَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾ على صدقك في أمر القبله ﴿مَا تَيَعُّوا﴾ أي: [لا] يتبعون ﴿فَلَنُؤْيِسَنَكَ﴾ عناداً ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعِ قِبَلِهِمْ﴾ قَطْعَ لطمعه في إسلامهم وطمعهم في عوده إليها ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعِ قِبَلَهُ بَعْضٌ﴾ أي: اليهود قبله النصارى، وبالعكس ﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ التي يدعونك إليها ﴿وَلَيْنَ بَدَا مَا جَاءَكَ مِنَ الْأُسُورِ﴾ الوحي ﴿إِنَّكَ إِذَا﴾ إن اتبعتم فوضاً ﴿لَمِتَ الظَّالِمِينَ﴾

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٦﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٧﴾ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُؤْيِسَنَكَ قِبَلَهُ تَرْضَاهَا قَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَلِلَّهِ الَّذِينَ أُولُوا أَلَكُتَبَ لِيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٨﴾ وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُولُوا أَلَكُتَبَ بِكُلِّ آيَةٍ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعِ قِبَلَهُ بَعْضٌ وَلَيْنَ آتَيْتَ أَهْوَاءَ هُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِتَ الظَّالِمِينَ﴾

[١٤٦] ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ الجهال ﴿مِنْ النَّاسِ﴾ اليهود والمشركين: ﴿مَا وَلَّاهُمْ﴾ أي شئ صرف النبي ﷺ والمؤمنين ﴿عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ على استقبالها في الصلاة؛ وهي: بيت المقدس؛ والإتيان بالسبب الدالة على الاستقبال من الإخبار بالغيب ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي: الجهات كلها؛ فَيُأْمَرُ بالتوجه إلى أي جهة شاء لا اعتراض عليه ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام أي: ومنهم أنتم<sup>(١)</sup>؛ ذل على هذا: [١٤٣] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما هديناكم إليه ﴿جَعَلْنَاكُمْ﴾

(١) ما جاء في نزول الآية (١٤٤): أخرجه البخاري عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي نحو بيت المقدس ستة عشر - أو سبعة عشر - شهراً، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله: ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ فتوجه نحو الكعبة... البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - (٢) سورة البقرة باب (٢).

(١) أي: من المهتدين أمة محمد ﷺ.

(٢) عبر بالإيمان عن الصلاة؛ لأنها أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين.

(٣) هو عند البخاري وغيره، وأخرجه البخاري في تفسيره من حديث البراء (٤٨٦).

(٤) أي: مع أن العادة العكس؛ ليكون للأبلغ بعد غيره فائدة؛ فيقال: عالم تحرير، ولا يقال: تحرير عالم. والفاصلة هي الكلمة آخر الآية، كخافية الشعر وقرينة السجع.

(٥) وقيل: للتكثير. وهي بالنظر لفعل النبي ﷺ لا رؤية الله، وهو خطاب تودد.

(٦) لابن عامر، وحزمه، والكسائي، وقرأ الباقون بالياء.



الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ  
وَأَنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ  
مِنَ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ  
هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ  
جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ  
فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَلَهُ وَالْحَقُّ مِن رَّبِّكَ  
وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ  
وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا  
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ  
ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَتَّبِعُوا نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ  
وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو  
عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ  
وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَأَذْكُرُوا لِي آذِكْرَكُمْ  
وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾

﴿١٤٦﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ يَعْرِفُونَهُ أَي: محمداً ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ  
أَبْنَاءَهُمْ﴾ بنعته في كتبهم؛ قال ابن سلام: لقد عرفته حين رأيته؛ كما أعرف  
ابني، ومعرفتي لحمد أشد ﴿وَأَنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ نعته ﴿وَهُمْ  
يَعْلَمُونَ﴾ هذا الذي أنت عليه ﴿١٤٧﴾ الْحَقُّ كائنًا ﴿مِنَ رَبِّكَ﴾ فلا  
تكونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ الشاكين فيه؛ أي: من هذا النوع، فهو أبلغ من: لا تمتز. ﴿١٤٨﴾  
﴿لِكُلِّ وُجْهَةٍ﴾ من الأمم ﴿وَجْهَةٌ﴾ قبله ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ وجهه في  
صلاته، وفي فراءة<sup>(١)</sup>: ﴿مُوَلِّيهَا﴾ ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ بادروا إلى الطاعات  
وقبولها ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ يجمعكم يوم القيامة؛  
فيجازيكم بأعمالكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَن كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿١٤٩﴾ ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ لسفر<sup>(٢)</sup> ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ  
الْحَرَامِ وَإِلَيْهِ لَنَحْمِلَنَّ مِنْ رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء<sup>(٣)</sup>،  
تقدم مثله، وكرره؛ لبيان تساوي حكم السفر وغيره.

﴿١٥٠﴾ ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا  
كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ كره؛ للتأكيد<sup>(٤)</sup> ﴿لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾  
اليهود أو المشركين ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي: مجادلة في التولي إلى غيره؛ لستفي  
مجادلتهم لكم من قول اليهود: يبعد ديننا ويتبع قبلتنا. وقول المشركين:  
يدعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بالنعاد؛ فإنهم  
يقولون: ما تحول إليه إلا ميلاً إلى دين آباءه. والاستثناء متصل؛ والمعنى: لا  
يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ تخافوا جدالهم في  
التولي إليها ﴿وَاخْشَوْنِي﴾ بامثال أمري ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ عطف على ﴿لِّئَلَّا  
يَكُونَ﴾ ﴿يَتَّبِعُوا نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ بالهداية إلى معالم دينكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾  
إلى الحق.

﴿١٥١﴾ ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ متعلق بـ﴿أَنَّهُمْ﴾؛ أي: إتمام كإتمامها بإرسالها  
﴿فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ محمداً ﷺ ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ القرآن  
﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يطهركم من الشرك ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن  
﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿١٥٢﴾ ﴿فَأَذْكُرُوا لِي﴾ بالصلاة والتسبيح ونحوه ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ قيل: مغفلة  
أجازكم. وفي الحديث عن الله: ﴿مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ  
ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالِي خَيْرٌ مِنْ مَّالِيهِ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ نعمتي  
بالطاعة ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بالعصية.

﴿١٥٣﴾ ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا﴾ على الآخرة ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على  
الطاعة والبلاء ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ خضتها بالذكور؛ لتكررها وعظمتها ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ  
الصَّابِرِينَ﴾ بالعون.

(١) لابن عامر.

(٢) ظاهره فرضاً ونقلاً؛ ولكن السنة حصصت ذلك بالفريضة، وأما النافلة فتجوز في السفر لغير القبلة بشروط.

(٣) بالياء لأبي عمرو.

(٤) لغزاة الحكم حينئذ؛ لأنه أول ما ورد من النسخ.

(٥) البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

يَقُولُ ﴿يَلِكًا وَعَيْبًا﴾ يفعل بنا ما يشاء ﴿وَأَنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ في الآخرة؛ فيجازينا، وفي الحديث: «من اشتَرَجَّ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ أَجْرَهُ اللَّهُ فِيهَا وَأَخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَيْرًا»<sup>(١)</sup>، وفيه أن مصابح النبي ﷺ طُفِقَ؛ فاسترجع؛ فقالت عائشة: إنما هذا مصابح!! فقال: «كُلُّ مَا أَسَاءَ الْمُؤْمِنُ فَهُوَ مُصِيبَةٌ»<sup>(٢)</sup> [رواه أبو داود في مراسيله].  
[١٥٧] ﴿أَوَلَيْكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ نعمة<sup>(٣)</sup> ﴿وَأَوَلَيْكَ هُمُ الْمُتَهْتَكُونَ﴾ إلى الصواب.

[١٥٨] ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ جَبَلَانِ بِمَكَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أعلام دينه، جمع شعيرة ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾ أي: تَلَّسَّ بالحج أو العمرة، وأصلهما القصد والزياره ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ إثم عليه ﴿أَن يَطَّوَّفَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء ﴿بِهِمَا﴾ بأن يسعى بينهما سبعا، نزلت لما كره المسلمون ذلك؛ لأن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بهما، وعليهما صमान مسحونهما، وعن ابن عباس: أن السعي غير فرض؛ لما أفاده رفع الإثم من التخيير. وقال الشافعي وغيره: ركن، وتبين ﷺ فريضته بقوله: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الشَّعْيَ»<sup>(٤)</sup> [رواه البيهقي وغيره]، وقال: «الْبُدَاةُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ»<sup>(٥)</sup> يَغْيِي الصَّفَا [رواه مسلم] ﴿وَمَنْ طَفَّعَ﴾ وفي قراءة<sup>(٦)</sup>: بالتحنية وتشديد الطاء مجزوماً، وفيه إدغام التاء فيها ﴿حَجًّا﴾ أي: بخير؛ أي: عمل ما لم يجب عليه من طواف وغيره ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾ لعمله بالإثابة عليه ﴿عَلَيْهِ﴾ به<sup>(٧)</sup>.

ونزل في اليهود: [١٥٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ الناس ﴿مَّا أَتَيْنَاهُمْ بِهِ﴾ التَّيْنَتِ وَالْفُتَيْيَ كَاتِبَةِ الرَّجْمِ وَنَعْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿أَوَلَيْكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ يبعدهم من رحمته ﴿وَيُلْعَنُهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ أو كل شيء بالدعاء عليهم باللعنة.

[١٦٠] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ رجعوا عن ذلك ﴿وَأَسْلَمُوا﴾ عَمَلُهُمْ ﴿وَبَيَّنَّا﴾ مَا كَتَبُوا ﴿فَأَوَلَيْكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أقبل توبتهم ﴿وَأَنَّا التَّوَّابُونَ الرَّحِيمُونَ﴾ بالمؤمنين. [١٦١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ حال ﴿أَوَلَيْكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: هم مستحقون ذلك في الدنيا والآخرة، ﴿وَالنَّاسِ﴾ قيل: غائم. وقيل: المؤمنون. [١٦٢] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: اللعنة والنار المدلول بها عليها ﴿لَا يَصْفَقُهُمْ﴾ الْعَذَابُ طرفة عين ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يُفْهَلُونَ نوبة أو لعذرة. ونزل: ﴿لَا قَالُوا﴾ صِفَتْ لَنَا زُكَّ<sup>(٨)</sup>: [١٦٣] ﴿وَاللَّهُمَّ﴾ المستحق للعبادة منكم ﴿إِلَّاهُ وَحْدًا﴾ لا نظير له؛ لا في ذاته ولا في صفاته ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ هو ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾. وطلبوا آية على ذلك؛ فنزل:

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٥﴾ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بَشِيرٌ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالتَّمَرَّتِ وَيَشِيرُ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٧﴾ أَوَلَيْكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوَلَيْكَ هُمُ الْمُتَهْتَكُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أَوَلَيْكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٦٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاوَلَيْكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أَوَلَيْكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦٢﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُّ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٣﴾ وَاللَّهُمَّ إِلَهًا وَحْدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٤﴾

[١٥٤] ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هم ﴿أَمُوتٌ بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَاءٌ﴾ أرواحهم في خواصل طيور خضر تشرع في الجنة حيث شاءت؛ لحديث بذلك<sup>(١)</sup> ﴿وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ تعلمون ما هم فيه. [١٥٥] ﴿وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بَشِيرٌ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ للعدو ﴿وَالْجُوعِ﴾ القحط ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ بالهلاك ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ بالقتل والموت والأمراض ﴿وَالْتَّمَرَّتِ﴾ بالجوائح؛ أي: لنختبركم؛ فننظر أن تصبرون أم لا؟ ﴿وَيَشِيرُ الصَّابِرِينَ﴾ على البلاء بالجنة. هم [١٥٦] ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾ بلاء ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٥٨): أخرجه البخاري عن زهري قال عروة: سألت عائشة رضي الله عنها فقالت لها: رأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة؛ قالت: بس ما قلت يا ابن أخي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه أن لا يطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأصفار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند الشلل، فكان من أهل يثرب أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا سألو رسول الله ﷺ عن ذلك؛ قالوا: يا رسول الله، إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة. فأقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ الآية، قالت عائشة رضي الله عنها: وقد سن رسول الله ﷺ الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما. ثم أخبرت أبا بكر بن عبد الرحمن فقال: إن هذا لعلم ما كنت سمعته. ولقد سمعت رجلاً من أهل العلم يذكرون أن الناس - إلا من ذكرت عائشة من كان يهل بمناة - كانوا يطوفون كلهم بالصفا والمروة، فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا والمروة في القرآن، قالوا: يا رسول الله، كما نطوف بالصفا والمروة، وإن الله أنزل الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا، فهل علينا من حرج أن نطوف بالصفا والمروة؟ فأقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ الآية. قال أبو بكر: فأنسخ هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما. البخاري - كتاب الحج (٢٥) باب (٧٩) وجوب الصفا والمروة.

(١) وهو قوله ﷺ: «أرواح الشهداء في أخواف طيور خضر ترى أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأتي إلى فتاديل معلقة في ظل العرش». مسلم (١٨٨٧) من حديث ابن مسعود.  
(٢) مسلم (٩١٨) بجموع من حديث أم سلمة. (٣) ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٢٣٣). (٤) وهذا تأويل كما هو مذهبه في الصفات، والصواب إثبات هذه الصفة وغيرها. الثابت بالكتاب والسنة. لله على الوجه اللائق به شيعائه، ومن لازمه إتمامه على من يرحم. (٥) ورواه أحمد في المسند (٢٧٤٧٤) من حديث حبيبة بنت أبي جراح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٦٨). (٦) ضعف بهذا اللفظ بصيغة الأمر، وصح بلفظ «تبدأ بما بدأ الله به» وبلغظ «أبدأ بما بدأ الله به» عند مسلم وغيره (مسلم ١٢١٨).  
(٧) حمزة والكسائي. (٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٢٤٥/١) من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وهو موضوع كما ذكر صاحب الاستيعاب في بيان الأسباب (٩٠/١).

[١٦٤] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيها من العجائب ﴿وَأَخْلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالذهاب والجيء، والزيادة والنقصان ﴿وَالْفُلْكِ﴾ السفن ﴿الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ﴾ ولا ترسب موقرة ﴿يَبَا يَنْعُ﴾ النَّاسُ من التجارات والحمل ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ﴾ مطر ﴿فَأَخْسَا بِهِ الْأَرْضُ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يَبْسُهَا ﴿وَبَرَءَ﴾ فُوقَ وَنَشَرَ بِهِ ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَاكِبٍ﴾ لأنهم يسمون بالخصب الكائن عنه ﴿وَضَرَفِيفَ﴾ أَلْتَبَحَ تَقْلِيحُهَا جَنُوبًا وَشِمَالًا، حَارَةً وَبَارِدَةً ﴿وَالسَّحَابِ﴾ الغيم ﴿الْمُسَخَّرِ﴾ المذلل بأمر الله - تعالى - يسير إلى حيث شَاءَ اللَّهُ ﴿يَبْنَ﴾ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴿بِلا عِلَاقَةٍ﴾ لَا يَكُنَّ دَالَاتٌ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ - تعالى - ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون.

[١٦٥] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿أَنْدَاكًا﴾ أَصْنَامًا ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ بالتعظيم والخضوع ﴿كُحُبَ اللَّهِ﴾ أي: كحبهم له ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ من حبهم للأنبياء؛ لأنهم لا يعدلون عنه بحال ما، والكفار يعدلون في الشدة إلى الله ﴿وَلَوْ رَزَقْنَاهُ﴾ (١) تبصر يا محمد ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ باتخاذ الأنداد ﴿إِذْ يَرْوُونَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول (٢)؛ يَصْرُونَ (٣) ﴿الْعَذَابِ﴾ لرأيت أمرًا عظيمًا، ﴿وَإِذْ﴾ بمعنى إذا ﴿أَنَّ﴾ أي: لأن ﴿الْقُوَّةَ﴾ القدرة والغلبة ﴿بِلَهُمْ جَمِيعًا﴾ حال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ وفي قراءة: ﴿يَرَى﴾ بالتحانية، والفاعل ضمير السامع (٤)، وقيل: «الذين ظلموا»؛ فهي بمعنى يعلم، وأن (٥) وما بعدها (٦) سدت مسد المفعولين (٧)، وجواب «لو» محذوف، والمعنى: لو علموا في الدنيا شدة عذاب الله وأن القدرة لله وحده وقت معابنتهم له وهو يوم القيامة، لما اتخذوا من دونه أندادًا.

[١٦٦] ﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿إِذْ﴾ قبله ﴿نَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ أي: الرؤساء ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ أي: أنكروا إضلالهم ﴿وَوَقَدْ﴾ قد ﴿رَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ﴾ عطف على ﴿نَبَرَأَ﴾ ﴿يَهُمُّ﴾ عنهم ﴿الْأَسْبَابُ﴾ الوُضُلُ التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام والمودة.

[١٦٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّنَا كُنَّا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَنْتَرِ﴾ مِتْنَهُمْ أي: المتبوعين ﴿كَمَا تَنْتَرُونَ﴾ وَمَتْنًا اليوم، ﴿وَلَوْ﴾ للتمني، ﴿وَنَتَرَا﴾ جوابه ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما أراهم شدة عذابه، وتبرأ بعضهم من بعض ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ السيففة ﴿حَسَرَتٍ﴾ حال، ﴿نَدَامَاتٍ﴾ (٨) ﴿عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ بعد دخولها.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَرَأَ فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَابَةٍ وَضَرَفِيفَ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَكُنَّ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ نَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَأَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأْنَا رَبَّنَا وَإِنَّمَا كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ يَأْتِيهَا النَّاسُ كُفُولًا وَمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالٌ طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

ونزل فيمن حَزَمَ السَّوَابِ ونحوها: [١٦٨] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُفُولًا وَمَتْنًا﴾ الْأَرْضِ حَلَالًا حال ﴿طَيِّبًا﴾ صفة مؤكدة؛ أي: مُشْتَبِلًا ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ﴾ طرق ﴿الشَّيْطَانِ﴾ أي: تزيينه ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يَبِينُ العداوة.

[١٦٩] ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ﴾ الإثم ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾ القبيح شرعًا ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره.

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر. وقرأ الباقون: (يرى).

(٢) أي: بضم الياء، لابن عامر. وقرأ الباقون: (يَرْوُونَ) بالبناء للفاعل.

(٣) على القراءة الأولى: يَصْرُونَ، وعلى الثانية: يَصْرُونَ.

(٤) لو قال: ضمير الرائي؛ لكان أظهر.

(٥) أي: الأولى مع معموليها.

(٦) وهو وأن الثانية مع معموليها.

(٧) أي: فلذلك وجب فتحها، وإن لم يصح تأويلها بالمفرد؛ لأن وجوب الفتح مداره على أحد أمرين: إما تأويلها بالمصدر، وإما وقوعها موقع المفعولين لعلهم - كما هنا - مع عدم التعليق باللام.

(٨) جمع ندامة.

وَذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَشْبِعُ مَا الْقَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَمَىٰ فَهَمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ آمَنُوا كَلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ رِيبًا تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنِ اتَّكَفَرَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُشْتُرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ نَزَلَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

[١٧٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: الكفار: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من التوحيد وتحليل الطيبات ﴿قَالُوا﴾: لا ﴿بَلْ نَشْبِعُ مَا الْقَيْنَا﴾ وجدنا ﴿عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ من عبادة الأصنام وتحريم السوابب والباحاث.  
قال - تعالى -: ﴿أَمْ يَتَّبِعُونَ﴾ ﴿وَلَوْ كَانَتْ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ من أمر الدين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحق! والهمزة للإنكار.  
[١٧١] ﴿وَمَثَلُ﴾ صفة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ومن يدعوهم إلى الهدى ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ﴾ بصوت ﴿يَا﴾ ﴿لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ أي: صوتاً

ولا يفهم معناه؛ أي: في سماع الموعظة وعدم تدبرها؛ كالبهائم؛ تسمع صوت راعيها ولا تفهمه<sup>(١)</sup>، هم ﴿صُمُّ بِكُمْ عَمَىٰ فَهَمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الموعظة.

[١٧٢] ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ على ما أحل لكم ﴿إِن كُنتُمْ رِيبًا تَعْبُدُونَ﴾.

[١٧٣] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ أي: أكلها؛ إذ الكلام فيه، وكذا

ما بعدها؛ وهي: ما لكم بُدَّكَ شَرْعًا، وألحق بها بالسنة ما أئين من حي؛ وخص منها السمك والجراد ﴿وَالدَّمَ﴾ أي: المسفوح؛ كما في الأنعام ﴿وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ﴾ شُصَّ اللحم؛ لأنه معظم المقصود، وغيره بُتَّ له ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ﴾

يُغَيَّرُ اللَّهُ ﴿أي: دُبَّحَ على اسم غيره، والإهلال رفع الصوت، وكانوا يرفعونه عند الذبح لأنهم﴾ ﴿فَمَنِ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ﴾ أي: الجبانة الضرورة إلى أكل شيء مما

ذُكِرَ، فَأَكَلَهُ ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ خارج على المسلمين ﴿وَلَا عَادٍ﴾ مُتَعَدٍّ عليهم بقطع الطريق<sup>(٢)</sup> ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في أكله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ لأوليائه

﴿رَّحِيمٌ﴾ بأهل طاعته؛ حيث وسع لهم في ذلك، وخرج الباغي والعادي، ويلحق بهما كل عاص بسفره؛ كالأبي والمكاس<sup>(٣)</sup>؛ فلا يحل لهم أكل شيء

من ذلك ما لم يتوبوا، وعليه الشافعي.

[١٧٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ المشتغل

على نعت محمد ﷺ؛ وهم: اليهود ﴿وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا، يأخذونه بدل من سفلتهم، فلا يظهرونه؛ خوف فوته عليهم ﴿أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ لأنها مألهم ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ غضبًا عليهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يظهرهم من دنس الذنوب

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم من النار.

[١٧٥] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُشْتُرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ﴾ أخذوها بدل في الدنيا

﴿وَالْعَذَابُ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ المعدة لهم في الآخرة لو لم يكنوا ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ أي: ما أشد صبرهم!! وهو تعجب للمؤمنين من ارتكابهم

موجباتها من غير مبالاة، وإلا فأي صبر لهم.

[١٧٦] ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكر من أكلهم النار، وما بعده ﴿بِأَنَّهُ﴾ بسبب

أن ﴿اللَّهُ سَرَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق ب﴿سَرَّلَ﴾؛ فاختلَفوا فيه؛ حيث آمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه بكنتمه ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ بذلك

- وهم اليهود، وقيل: المشركون في القرآن؛ حيث قال بعضهم: شعر.

وبعضهم: سحر. وبعضهم: كهانة - ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق.

(١) الباء بمعنى: على.

(٢) وقيل في تفسيره - أيضًا -: لثل مضروب لتشبيه الكافر في دعائه للأصنام بالعاق على البهائم. وقيل غير ذلك.

(٣) وقيل: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ أي: في الميتة. أي: غير طالب للمحرم مع قدرته على الحلال، أو مع عدم جوعه ﴿وَلَا عَادٍ﴾ أي: متجاوز الحد في تناول ما ألبح له اضطرارًا؛ أي: لا يشبع منها.

(٤) الآتي: العبد الهارب من سيده، و «المكاس»: «التمكس»: بفتح الميم: الخيانة، والمراد به: الذي يأخذ الضريبة طلمًا.

[١٧٧] ﴿لَيْسَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَوَلَّوْا وَجُوهَكُمْ﴾ في الصلاة ﴿فَعَلَّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ نَزَلَ رَدًّا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ حَيْثُ زَعَمُوا ذَلِكَ ﴿وَلَكِنَّ الْإِلَهَ﴾ أَي: ذَا الْبَرِّ، وَفَرَى<sup>(١)</sup> بَفَتْحِ الْبَاءِ أَي: الْبَارِ ﴿مَنْ أَمَّنَ بِإِلَهِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِتَابِ﴾ أَي: الْكُتُبِ ﴿وَالْيَتِيمَ﴾ وَآقَى الْمَالَ عَلَنَ ﴿مَعَ حَبِيبِهِ﴾ لَهُ ﴿ذَوِي الشَّرَفِ﴾ الْقَرَابَةِ ﴿وَالْيَتِيمَ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ الْمَسَاكِينِ وَالسَّائِلِينَ الطَّالِبِينَ ﴿وَفِي﴾ فَكْ ﴿الرِّقَابِ﴾ الْمَكَاتِينِ وَالْأَسْرَى ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآقَى الزَّكَاةَ﴾ الْمَفْرُوضَةَ، وَمَا قَبْلَهُ فِي التَّطَوُّعِ ﴿وَالْمُؤْتُونَ يَهْدِيهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ اللَّهُ أَوْ النَّاسَ ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ نَصَبَ عَلَى الْمَدْحِ<sup>(٢)</sup> ﴿فِي الْبَأْسَاءِ﴾ شِدَّةِ الْفَقْرِ وَالضَّرَرَةِ وَالْمَرَضِ ﴿وَمِثْلَ الْبَأْسِ﴾ وَقَتِ شِدَّةِ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿أُولَئِكَ﴾ الْمُوصَفُونَ بِمَا ذَكَرَ ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ فِي إِيْمَانِهِمْ أَوْ ادَّعَا الْبِرَّ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ اللَّهُ.

[١٧٨] ﴿تَنَاجَى الَّذِينَ آمَنُوا كُنْتُمْ قُرُصَ﴾ عَنَيْكُمْ الْقَصَاصُ الْمَائِلَةُ ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ وَصَفًا<sup>(٣)</sup> وَرِعَالًا<sup>(٤)</sup> ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ يُقْتَلُ بِالْمُتَّقِينَ وَلَا يُقْتَلُ بِالْعَبِيدِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبِيدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى وَتَنَبَّأَ الشُّعْبَةُ أَنَّ الذَّكَرَ يُقْتَلُ بِهَا<sup>(٥)</sup>، وَأَنَّهُ يُغْتَبَرُ الْمَائِلَةُ فِي الدِّينِ؛ فَلَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ وَلَوْ عَبْدًا بِكَافِرٍ وَلَوْ حُرًّا<sup>(٦)</sup> ﴿فَمَنْ عَفَى لَّهُ﴾ مِنَ الْقَاتِلِينَ ﴿مِنْ﴾ ذِمَّةٍ ﴿أَخِيهِ﴾ الْمَقْتُولِ ﴿مَتًى﴾ بِأَنْ تَرَكَ الْقَصَاصَ مِنْهُ، وَتَكْبِيرَ ﴿مَتًى﴾ يُفِيدُ سَقُوطَ الْقَصَاصِ بِالْعَفْوِ عَنْ بَعْضِهِ<sup>(٧)</sup> وَمِنْ بَعْضِ الْوَرَقَةِ، وَفِي ذِكْرِ ﴿أَخِيهِ﴾ تَعَفُّطٌ<sup>(٨)</sup> ذَاغٌ إِلَى الْعَفْوِ، وَلِبَازًا بِأَنْ الْقَتْلَ لَا يَقْطَعُ أَخُوهُ الْإِيْمَانَ<sup>(٩)</sup>، وَ﴿مَتًى﴾ مُبْتَدَأٌ شَرْطِيَّةٌ أَوْ مُوَصُولَةٌ، وَالْخَيْرُ: ﴿فَالْيَتِيمَ﴾ أَي: فَعَلَى الْعَافِي اتِّبَاعَ لِلْقَاتِلِ بِالْمَعْرُوفِ ﴿بِأَنْ يَطْلُبَهُ بِالْيَدِ بِلا عَنَفٍ، وَتَرْتِبَ الْإِتِّبَاعَ عَلَى الْعَفْوِ يُفِيدُ أَنَّ الْوَاجِبَ أَحَدَهُمَا، وَهُوَ أَحَدُ قَوْلِي الشَّافِعِيِّ، وَالثَّانِي: الْوَاجِبُ الْقَصَاصُ، وَالْيَدِ بَدَلُ عَنَفٍ؛ فَلَوْ عَفَا وَلَمْ يَسْمَحْهُ فَلَا شَيْءَ وَرَجَعَ ﴿وَفِي﴾ عَلَى الْقَاتِلِ أَذَانُهُ الدِّينَ ﴿إِلَيْهِ﴾ أَي: الْعَافِي؛ وَهُوَ الْوَارِثُ ﴿يُخَاسِنُ﴾ بِلا مَطْلٍ وَلَا بَخْسٍ ﴿ذَلِكَ﴾ الْحُكْمُ الْمَذْكُورُ مِنْ جَوَازِ الْقَصَاصِ وَالْعَفْوِ عَنْهُ عَلَى الدِّينِ ﴿تَخْفِيفٌ﴾ تَسْهِيلٌ ﴿مَنْ رَزَقَكُمْ﴾ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةً بِكُمْ؛ حَيْثُ وَسِعَ فِي ذَلِكَ، وَلَمْ يَحْتَمِ أَحَدًا مِنْهُمَا؛ كَمَا حَتَمَ عَلَى الْيَهُودِ الْقَصَاصَ، وَعَلَى النَّصَارَى الدِّينَ ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى﴾ ظَلَمَ الْقَاتِلَ بِأَنْ قَتَلَ ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أَي: الْعَفْوَ ﴿فَلَمْ عَذَابُ إِلَهٍ﴾ مُؤَلَّمٌ فِي الْآخِرَةِ بِالنَّارِ، أَوْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ.

[١٧٩] ﴿وَكُنْتُمْ فِي الْقَصَاصِ حَيَّةً﴾ أَي: بَقَاءَ عَظِيمٍ ﴿يَتَأَوَّلِي الْأَلْبَابَ﴾ ذَوِي الْعُقُولِ؛ لِأَنَّ الْقَاتِلَ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ يُقْتَلُ ارْتَدَعَ؛ فَأَغْنَى نَفْسَهُ وَمَنْ أَرَادَ قَتْلَهُ؛ فَشَرَعَ لَمَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الْقَتْلَ؛ مَخَافَةَ الْقَوْدِ. [١٨٠] ﴿كُتِبَ﴾ قُرِضَ ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ﴾ أَي: أَسْبَاهُ<sup>(١٠)</sup> ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ مَالًا

﴿لَيْسَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَوَلَّوْا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ وَلَكِنَّ الْإِلَهَ مَنْ أَمَّنَ بِإِلَهِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِتَابِ وَالْيَتِيمَ وَآقَى الْمَالَ عَلَى حَبِيبِهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتِيمَ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآقَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ يَهْدِيهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَرَةِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقَصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْخُرَافِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَلْيَتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَادَّاهُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعْتَدَى بِعَدَاةٍ فَلَهُ عَذَابُ إِلَهٍ ﴿وَكُنْتُمْ فِي الْقَصَاصِ حَيَّةً يَتَأَوَّلِي الْأَلْبَابَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

﴿الْوَصِيَّةُ﴾ مَرْفُوعٌ بِ«كُتِبَ»<sup>(١١)</sup>، وَمَتَعَلَقٌ بِ«إِذَا» إِنْ كَانَتْ ظَرْفِيَّةً<sup>(١٢)</sup>، وَدَالٌ عَلَى جَوَابِهَا إِنْ كَانَتْ شَرْطِيَّةً، وَجَوَابُ<sup>(١٣)</sup> «إِنْ» أَي: فَلْيُوصِ بِالْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ بِالْعَدْلِ بِأَنْ لَا يَزِيدَ عَلَى الثَّلَاثِ، وَلَا يُفْضَلُ الْغَنَى حَقًّا، مُصَدَّرٌ مُؤَكَّدٌ لِمَضْمُونِ الْجُمْلَةِ قَبْلَهُ ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ اللَّهُ، وَهَذَا مَنَسُوخٌ بِآيَةِ الْمِيرَاثِ، وَبِحَدِيثٍ: «لَا وَصِيَّةَ لِيُورِثُ»<sup>(١٤)</sup> [رواه الترمذي].

[١٨١] ﴿فَمَنْ بَدَّلَكُمْ﴾ أَي: الْإِيصَاءَ مِنْ شَهِيدٍ وَوَصِيٍّ ﴿بَعْدَمَا سَمِعْتُمْ﴾ عِلْمَهُ ﴿فَاتَّبِعُوا إِثْمَهُ﴾ أَي: الْإِيصَاءَ الْمُبَدَّلَ ﴿عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ فِيهِ إِقَامَةُ الظَّاهِرِ مَقَامَ الْمَضْمُونِ<sup>(١٥)</sup> ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِقَوْلِ الْمُوصِي ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بِفَعْلِ الْوَصِي؛ فَمُجَازٍ عَلَيْهِ.

(١) أَي: شِدْوَ.

(٢) وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَقْدَرُ عَامِلٌ مِنْ مَادَّةٍ «مَدَحٍ» فَقَطْ؛ بَلِ الْمُرَادُ أَنَّهُ مَعْمُولٌ لِفَعْلٍ مَحْذُوفٍ كَأَخْصٍ أَوْ أَذْكَرَ أَوْ أَمْدَحَ؛ وَهُوَ لَتَنبِيْهِ عَلَى فَضِيلَةِ الصَّبْرِ.

(٣) بِأَنْ يَكُونَ الْقَاتِلُ مِثْلَ الْمُقْتُولِ أَوْ أَدْنَى مِنْهُ، وَلَا فَلَ قَوْدٌ.

(٤) كَمَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ (٢٤١٣)، وَمُسْلِمٌ (١٦٧٢) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بَرَضَ - دَقَّ - رَأْسَ يَهُودِيٍّ بَيْنَ حَجَرَيْنِ؛ لَرُشِّهِ رَأْسَ جَارِيَةٍ.

(٥) كَمَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ (٣٠٤٧)، وَمُسْلِمٌ (١٣٧٠) مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ مَرْفُوعًا: «لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ».

(٦) أَي: الْقَصَاصُ، وَلَوْ شَيْئًا يَسِيرًا كَمَشْرَةِ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ الْوَلِيُّ وَاحِدًا وَعَفَا عَنْ بَعْضِ الْقَصَاصِ.

(٧) أَي: مِنَ اللَّهِ ﷻ.

(٨) أَي: عِلْمَانَهُ؛ كَالْأَمْرَاضِ الشَّدِيدَةِ وَالْجَرَاحَاتِ الَّتِي يَطْلُبُ مِنْهَا الْمَوْتُ عَادَةً.

(٩) أَي: مَحْضَةٌ، لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَعْنَى الشَّرْطِ، بَلِ الْمُرَادُ مِنْهَا الْوَقْتُ وَالزَّمَنُ. وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: «كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْوَصِيَّةُ إِذَا حَضَرَ أَي: وَقْتُ حُضُورِ الْمَوْتِ».

(١٠) أَي: دَوَالٌ عَلَى جَوَابِ «إِنَّ». (١١) صَحِيحٌ سَنَنَ التِّرْمِذِيُّ (٢٢١٨). (١٢) أَي: مَعَ مَرَاعَاةٍ مَعْنَى «مَنْ»، وَلَوْ رَاعَى لَفْظَهَا لَقَالَ: عَلَى الَّذِي بَدَّلَهُ. وَلَوْ أَضْمَرَ لَقَالَ: عَلَيْهِ.

فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بِنَهْمِهِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

[١٨٢] ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ﴾ مُخَفَّفًا وَمُنْقَلَبًا (١) ﴿جَنَفًا﴾ ميلًا عن الحق خطأ ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ بأن تعمد ذلك بالزيادة على الثلث أو تخصيص غني مثلاً ﴿فَأَصْلَحَ بِنَهْمِهِ﴾ بين الموصي والموصى له بالأمر بالعدل ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[١٨٣] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ﴾ فُرِضَ ﴿عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من الأمم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي؛ فإنه يكسر الشهوة التي هي مبدؤها.

[١٨٤] ﴿أَيَّامًا﴾ نصب بالصيام، أو بصوموا مقدارًا ﴿تَعْدُودَاتٍ﴾ أي: قلائل أو موقتات بعدد معلوم؛ وهي: رمضان، كما سيأتي، وَقَلَّةٌ تسهيلًا على المكلفين ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ﴾ حين شهوده ﴿سَفَرٍ﴾ أي: مسافرًا سفر القصر، وأجهد الصوم في الحالين؛ فأفطر ﴿فَعِدَّةٌ﴾ فعليه عدة ما أفطر ﴿مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ يصومها بدلًا ﴿وَعَلَى الَّذِينَ لَا يُطِيقُونَهُ﴾ لكبر أو مرض لا يُؤْتِجِي برؤيه ﴿فِدْيَةٌ﴾ هي: ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ أي: قدر ما يأكله في يومه؛ وهو: مُدٌّ من غالب قوت البلد لكل يوم، وفي قراءة بإضافة ﴿فِدْيَةٌ﴾ (٢) وهي للبيان - وقيل: (لا) غير مقدرة (٣)، وكانوا مخيرين في صدر الإسلام بين الصوم والفدية، ثم نُسِخَ بتعيين الصوم بقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ أَشْهَرُ فَلْيَصُمْهُ﴾ قال ابن عباس: إلا الحامل والمريض إذا أفطرتا خوفًا على الولد؛ فإنها باقية بلا نسخ في حقهما ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بالزيادة على القدر المذكور في الفدية ﴿فَهُوَ﴾ أي: التطوع ﴿خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا﴾ مبتدأ خبره: ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من الإفطار والفدية ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أنه خير لكم فافعلوه.

تلك الأيام [١٨٥] ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر منه ﴿هُدًى﴾ حال، هاديًا من الضلالة ﴿وَاللَّيَّاتِ وَبَيِّنَاتٍ﴾ آيات واضحة ﴿وَمِنْ الْفُرْقَانِ﴾ بما يهدي إلى الحق من الأحكام ﴿وَمِنْ الْفُرْقَانِ﴾ مما يفرق بين الحق والباطل ﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾ حضر ﴿بِنَهْمٍ أَشْهَرُ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ تقدم مثله، وكرر؛ لئلا يتوهم نسخه بتعميم من شهد (٤) ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ولذا أباح لكم الفطر في المرض والسفر؛ ولكون ذلك في معنى العلة أيضًا؛ للأمر بالصوم (٥) عطف عليه: ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ بالتخفيف والتشديد (٦) ﴿أَلْوَدَّةَ﴾ أي: عدة صوم رمضان ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ عند إكمالها ﴿عَلَى مَا هَدَيْنَاكُمْ﴾ أرشدكم لمعالم دينه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ذلك.

وسأل جماعة النبي ﷺ: أَقْرَبُ رُتْنَا فَتُنَاجِيَهُ أَمْ يَبْعِدُ فَتُنَادِيَهُ؟ فَتُرَلَّى: [١٨٦] ﴿وَرَدَا سَأَلْتُ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (٧) منهم بعسي فأخبرهم بذلك ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ بإنالته ما سأل ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ دعائي بالطاعة ﴿وَلْيُؤْمِنُوا﴾ يداوموا على الإيمان ﴿بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ يهتدون.

(١) يفتح الواو وتشديد الصاد لحزمة والكسائي وشعبة.

(٢) تلغاف وابن دكوان، ومع جمع ﴿مِسْكِينٍ﴾ تلغاف وابن عامر.

(٣) أي: لفظه دالة غير مقدرة في قوله: ﴿يُطِيقُونَهُ﴾، وعلى التفسير الأول بتقدير هـ لا تكون الآية محكمة، وعند عدم التقدير تكون منسوخة.

(٤) فإنه يعم المسافرين وغيره والمرضى وغيره.

(٥) أي: صوم القضاء يعني: من غير تعيد يتتابع أو غيره.

(٦) أي: بتشديد الميم مع فتح الكاف لشعبة.

(٧) أخرجه ابن جرير واليعقوبي في معجمه وابن أبي حاتم وغيرهم من طريق الثعلبي بن حكيم عن أبيه عن جده. وفي الدر المنثور: عن طريق الثعلبي بن حكيم عن رجل من الأنصار عن أبيه عن جده

(٨/٣٥٢)، وضعفه أحمد شاكر في تعليقه على جامع البيان (٣/٤٨١).

أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَلُونَهُنَّ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَالِنَاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحُجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَوْا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٠﴾

﴿وَأَتَوْا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون (٨٠).

وَمَا ضَدَّ ﷺ عن البيت عام الحدية، وضالَّح الكفار على أن يعود العام القابض ويُخْلُوا له مكة ثلاثة أيام، وتَجَهَّزَ لعمرة القضاء، وخافوا أن لا تفي قريش ويقاتلوهم، وكَرِهَ المسلمون قتالهم في الحرم والإحرام والشهر الحرام، نَزَلَ: [١٩٠] ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لإعلاء دينه ﴿الَّذِينَ يَقْتُلُونَكَ﴾ الكفار ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ عليهم بالابتداء بالقتال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين ما حَدَّ لَهُمْ، وهذا منسوخ بآية براءة (٨٠)، أو بقوله:

[١٨٧] ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ﴾ بمعنى الإفشاء ﴿إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ بالجماع، ونزل نسخًا لما كان في صدر الإسلام على تحريمه وتحريم الأكل والشرب بعد العشاء (١) ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ كناية عن تعافيهما أو احتياج كل منهما إلى صاحبه ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَلُونَهُنَّ﴾ تخونون ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ بالجماع ليلة الصيام، وقع ذلك لعمر وغيره (٢)، واعتذروا إلى النبي ﷺ ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قَبْلَ تَوْبَتِكُمْ ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ فَالْآنَ إِذْ أَحِلَّ لَكُمْ ﴿بَشِرُوهُنَّ﴾ جامعوهن ﴿وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: أباحه من الجماع أو قَدَرَهُ مِنَ الْوَلَدِ ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ اللَّيْلَ كُلَّهُ ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ أي: الصادق؛ بيان للخيط الأبيض، وبيان الأسود محذوف؛ أي: من الليل، شَيْءٌ مَا يَدُو مِنَ الْبَيَاضِ وَمَا يَمْتَدُّ مَعَهُ مِنَ الْغَبَشِ (٣) بخطين أبيض وأسود في الامتداد ﴿فَتَرَى أَقْنَمُوا الصِّيَامَ﴾ من الفجر ﴿إِلَى اللَّيْلِ﴾ أي: إلى دخوله بغروب الشمس ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ﴾ أي: نساءكم ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ﴾ مقيمون بنية الاعتكاف ﴿فِي الْمَسْجِدِ﴾ متعلق بـ﴿عَاكِفُونَ﴾، نهي لمن كان يخرج وهو معتكف فيجامع امرأته ويعود ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ حَدَّهَا لِعِبَادِهِ لِيَقْفُوا عِنْدَهَا ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ أبلغ من «لا تعتدوها» المعبر به في آية أخرى (٤) ﴿كَذَلِكَ﴾ كما يَنْبَغُ لَكُمْ مَا ذَكَرَ ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَالِنَاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ محارمة (٥). [١٨٨] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ أي: يأكل بعضكم مال بعض ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ الحرام شرعًا؛ كالسرقة والغصب ﴿وَلَا تَدْلُوا﴾ تُلْقُوا ﴿بِهَا﴾ أي: بحكمومتها (٦) أو بالأموال رشوة ﴿إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا﴾ بالتحاكم ﴿فَرِيقًا﴾ طائفة ﴿مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ متلبسين ﴿بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم مبطلون.

[١٨٩] ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ الْأَهْلِ﴾ جمع هلال: لِمَ تَبْدُو دَقِيقَةً، ثم تزيد حتى تمتلئ نورًا، ثم تعود كما بَدَتْ، ولا تكون على حالة واحدة؛ كالشمس (٧)؟! ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ﴾ جمع ميقات ﴿لِلنَّاسِ﴾ يعلمون بها أوقات زرعهم، ومناجرهم، وعَدَدَ نساءهم، وصيامهم، وإفطارهم ﴿وَالْحُجِّ﴾ عَطَّفَ عَلَى النَّاسِ؛ أي: يُعْلَمُ بِهَا وَقْتُهَا فَلَوْ اسْتَمَرَّتْ عَلَى حَالَةٍ لَمْ يُعْرِفْ ذَلِكَ ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ في الإحرام؛ بَأَن تَقْبُوا فِيهَا نَقْبًا تَدْخُلُونَ مِنْهُ وَتَخْرُجُونَ، وَتَتَرَكُوا الْبَابَ، وَكَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَيَزْعَمُونَ بِرًا ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ أي: ذا البر ﴿مَنِ اتَّقَى﴾ اللَّهُ بَرَّكَ مَخَالَفَتَهُ ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ في الإحرام

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٨٧): أخرج البخاري عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء ﷺ: لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَلُونَهُنَّ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة البقرة: (٢) باب (٢٧). وأخرج أيضًا عن البراء ﷺ قال: «كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائمًا فحضر الإفطار فام قبل أن يطر لم يأكل ليته ولا يومه حتى يسي، وإن قيس بن حزيمة الأصباري كان صائمًا، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها: أعديك طعام؟ قالت: لا، ولكن أطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل، فقلبه عينه، فجاءت امرأته، فلما رأتها قالت: حيلة لك، فلما اتصف النهار غشي عليه. فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ ففرحوا بها فرحًا شديدًا، ونزلت: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ البخاري - كتاب الصوم (٣٠) باب (١٥).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٨٩): أخرج البخاري عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء ﷺ يقول: «نزلت هذه الآية فينا؛ كانت الأنصار إذا حجوا فجاءوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم، ولكن = (١) أي: دخول وقتها أو بعد النوم ولو قبلها، كما حصل لقيس بن حزيمة؛ فغشي عليه نصف النهار من الجوع، رواه البخاري (١٩٥) وسيأتي في أسباب النزول. (٢) لم يقل: «تخونون» لأنه لم تكن منهم الخيانة، بل كان منهم الاختيار؛ وهو: تحرك الإنسان للوقوع في الخيانة. (٣) رواه أحمد في المسند (١٥٣٦٨) من حديث كعب بن مالك، وأبو داود في مسنده (٢٣١٣) من حديث ابن عباس بنحوه، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٠٢٨).

(٤) بقية الليل أو ظلمة آخر الليل، والمراد باستداده معه اتصاله به على سبيل التعاقب. (٥) هي الآية ٢٢٩ من هذه السورة. (٦) إشارة إلى أن ﴿تَدْلُوا﴾ مجزوم عطفاً على النهي، ويؤيده قراءة أبي: ﴿وَلَا تَدْلُوا﴾ بإعادة «لا» الناهية. (٧) أي: تسرعوا وتبادروا؛ أي: لا تسرعوا بالخصوصية على الأموال إلى الحكام؛ ليعنكم على إبطال حق أو تحقيق باطل. (٨) أي بإقامة الدعوى بها باطلا. (٩) وهذه صيغة سؤاله. (١٠) وهي قوله - تعالى -: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَلْفَةً﴾ [براءة: ٣٦]، قال ابن كثير بعد أن حكى هذا القول: «وفي هذا نظر، لأن قوله: ﴿الَّذِينَ يَقْتُلُونَكَ﴾ إنما هو -





الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوفَ ۖ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۚ وَمَاتَعَوْا مِنْ خَيْرِ بَعْلَمَةِ اللَّهِ ۚ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ۗ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ ۚ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۚ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِينَ ۗ ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ۚ وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ۚ عَفْوًَّا رَحِيمًا ۚ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْ مَنَاسِكَكُمْ ۚ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ ۚ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ تَضَعُونَ وَجْهَ الْوُجُوهِ لِلْآخِرَةِ ۚ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ۚ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۚ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ۚ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۚ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۚ

إذ لو تأخر عنه لكان صفة له ﴿فَيَوْمَ﴾ الكاس من يقول رَبَّنَا آتِنَا نصيباً ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ فَيَوْمَها فيها ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ نصيب ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ نعمة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ هي الجنة ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ بعدم دخولها، وهذا بيان لما كان عليه المشركون ولحال المؤمنين، والقصد به الحث على طلب خير الدارين، كما وعد بالتواب عليه بقوله: [٢٠٢] ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ من أجل ﴿مَا كَسَبُوا﴾ عملوا من الحج والدعاء ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا؛ لحديث

الثقات عن الغيبة<sup>(١)</sup>، ﴿يَذْكُرُ عَشْرَةَ كَامِلَةً﴾ جملة تأكيد لما قبلها ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المذكور من وجوب الهدي أو الصيام على من تمتع ﴿لَيْسَ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ﴾ ساجدي المَسْجِدِ الْحَرَامِ، بأن لم يكونوا على دون مرحلتين من الحرم عند الشافعي، فإن كان فلا دم عليه ولا صيام وإن تمتع، وفي ذكر الأهل إشعار باشرط الاستيطان؛ فهو أقام قبل أشهر الحج ولم يستوطن فعليه ذلك، وهو أحد وجهين عند الشافعي، والثاني؛ لا، والأهل كناية عن النفس<sup>(٢)</sup>، وألحق بالمتمتع - فيما ذكر بالسنّة - القَارِئُ؛ وهو: من أحرم بالعمرة والحج معاً أو يُذْخِلُ الحج عليها قبل الطواف<sup>(٣)</sup>، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿وَأَعْمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ بغير مخالفة.

[١٩٧] ﴿الْحَجَّ﴾ وقته ﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾ شوال وذو القعدة وعشر ليل من ذي الحجة، وقيل: كله ﴿مَنْ فَرَضَ﴾ على نفسه ﴿فِيهِ الْحَجَّ﴾ بالإحرام به ﴿فَلَا رَفَثَ﴾<sup>(٤)</sup>، جماع فيه ﴿وَلَا فُسُوفَ﴾<sup>(٥)</sup>، مناصب ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ خصام ﴿فِي الْحَجِّ﴾ وفي قراءة: بفتح الأولين<sup>(٦)</sup>، والمراد في الثلاثة النهي ﴿وَمَا تَعْلَمُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ كصدقة ﴿يَسْأَلُكُمْ اللَّهُ﴾ فيجازيكم به. ونَزَلَ في أهل اليمن - وكانوا يحجون بلا زاد؛ فيكونون كلًّا على الناس<sup>(٧)</sup> - ﴿وَسَكَرُودُوا﴾ ما يبلغكم لسفركم ﴿فَلَيْسَ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ ما يبقى به سؤال الناس وغيره ﴿وَالَّذِينَ يَكُونُونَ الْأَلْبَابَ﴾ ذوي العقول [١٩٨] ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ طلبوا ﴿فَضْلًا﴾ رزقاً ﴿وَمِنْ رَبِّكُمْ﴾ بالتجارة في الحج، نَزَلَ رِزْقًا لكرهتهم ذلك<sup>(٨)</sup> ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ﴾ دفعتم ﴿وَمِنْ عَرَفَاتٍ﴾ بعد الوقوف بها ﴿فَإِذَا كُرُوا اللَّهَ﴾ بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية والتلهيل والدعاء ﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ هو جبل في آخر المزدلفة يقال له: فُوح<sup>(٩)</sup>، وفي الحديث: «اللَّهُ يَذْكُرُ بِهِ، يَذْكُرُ اللَّهُ وَيَذْعُو؛ حَتَّى أَشْفَرُ جَذَاهُ»<sup>(١٠)</sup> (رواه مسلم) ﴿وَاذْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُمْ﴾ لمعالم دينه ومناسك حجه، والكاف للتعليل ﴿وَإِنْ مَخِيفَةً﴾ مَخِيفَةً مِنْ قَبْلِهِ. قبل مدهاء ﴿لِمَنِ الْعَسَاكِلُ﴾ [١٩٩] ﴿ثُمَّ أَفِضُوا﴾ يا قريش ﴿وَمِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ أي: من عرفه؛ بأن تقفوا بها معهم، وكانوا ينفقون بالمزدلفة؛ ترفعان الوقوف معهم، و﴿ثُمَّ﴾ للترتيب في الذكر ﴿وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ مِنْ دُونِكُمْ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم<sup>(١١)</sup> [٢٠٠] ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ أَدْبَانَكُمْ﴾ ﴿نَسَائِكَكُمْ﴾ عبادات حجاجكم؛ بأن رَمَيْتُمْ جَمْرَةَ الْعَقِيقَةِ وَطَفَّيْتُمْ وَاسْتَقَرَّزْتُمْ بِمَنَى ﴿فَإِذَا كُرُوا اللَّهَ﴾ بالكبير والثناء ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حجاجكم بالمفاخرة<sup>(١٢)</sup> ﴿أَوْ أُنْكَرُوا﴾ ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ على الحال من ذكر المنسوب به «اذكروا»؛

(١) وأخرج البخاري عن حذيفة: «وَأَتَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُقْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الْهَلَكَةِ» قال: نزلت في النفقة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٣١).

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٩٧): أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوهم الناس، فأمر الله تعالى: ﴿وَسَكَرُودُوا قَابَكُ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾. البخاري - كتاب الحج (٢٥) باب (٦) قول الله تعالى: ﴿وَسَكَرُودُوا...﴾.

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٩٨): أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانت عكاظ ومجنته وذو الحجاز أسواقاً في الجاهلية، فلما كان الإسلام، كأنهم تأثموا، فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾». البخاري - كتاب البيوع (٣٤) باب (١).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٩٩): أخرج البخاري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: «كانت قريش ومن دان دينها ينفقون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحِمْسَ، وكان سائر العرب -

(١) حيث روعي معنى ضمير الجمع ﴿مَنْ﴾، ولو روعي اللفظ لقيل: إذا رجع، بضمير الغيبة.

(٢) وهو معنى بعيد، والأولى ما قاله غيره: من أن المراد بالأهل: الزوجة والأولاد دون الآباء والإخوة، ومعدوم الأهل المتوطن بنفسه كذلك، وإنما عبر بالأهل لكون شأن الوطن يكون بذلك.

(٣) أي: قبل الشروع في طوافها. (٤)، (٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوفَ﴾ بنون ورفع «رفث» و«فسوف». وقرأ بقية السبعة: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوفَ﴾.

(٦) أي: «رفث» و«فُسُوفُ» وهي قراءة بقية السبعة كما تقدم. (٧) وزن عمر.

(٨) مسلم (١٢١٨).

(٩) عن ابن عباس ؓ قال: كان أهل الجاهلية ينفقون في الموسم، يقول الرجل منهم: كان أبي يطعم ويحمل الحملات، ويحمل الديبات، ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم؛ فأمر الله: ﴿فَإِذَا كُرُوا اللَّهَ﴾.

أَتَقَىٰ اللَّهُ فِي حُجَّةٍ لَهُ الْحَاجُّ فِي الْحَقِيقَةِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا أَنْتُمْ لِيَّهِ تَحْشَرُونَ﴾ في الآخرة؛ فيجازيكم بأعمالكم.

[٢٠٤] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولا يعجبك في الآخرة؛ لخالفته لاعتقاده ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾ أنه موافق لقوله ﴿وَهُوَ الَّذِي الْخَضَاعُ﴾ شديد الخصومة لك ولأتباعك؛ لعداوته لك؛ وهو: الأخنس بن شريق؛ كان منافقاً حلوا الكلام للنبي ﷺ، يحلف أنه مؤمن به ومحِبُّ له؛ فيدني مجلسه؛ فأكذبه الله في ذلك، ومَرَّ بِرِزْقٍ وَخُبْرٍ لبعض المسلمين فأحرقه وعقرها ليلة<sup>(٢)</sup>؛ كما قال - تعالى -: [٢٠٥] ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ انصرف عنك ﴿سَعَىٰ﴾ مشى ﴿فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ من جملة الفساد ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِدَ﴾ أي لا يرضى به<sup>(٣)</sup>. [٢٠٦] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ في فعلك ﴿أَخَذَتِ الْعُرَّةُ﴾ حملته الأفة والحمية على العمل ﴿بِالْإِيمِ﴾ الذي أمر بأتباعه ﴿فَحَسَبُوا﴾ كافيه ﴿جَهَنَّمَ﴾ وليس الههاد<sup>(٤)</sup> الفراش هي. [٢٠٧] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ بِمِيعَةٍ ضَخِيمَةٍ﴾ أي: يذلها في طاعة الله ﴿بِآيَاتِهِ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ رضاه؛ وهو: صهيب لما آذاه المشركون هاجر إلى المدينة وترك لهم ماله<sup>(٥)</sup> ﴿وَاللَّهُ زَوَّفٌ بِالْأَعْيَادِ﴾ حيث أرشدهم لما فيه رضاه. ونَزَلَ فِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا عَظَمُوا السَّبْتَ<sup>(٦)</sup> وكرهوا الإبل<sup>(٧)</sup> بعد الإسلام: [٢٠٨] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذَلُّوا فِي [السَّلَمِ]﴾ بفتح السين وكسرهما<sup>(٨)</sup>؛ الإسلام ﴿كَأَنَّهُ﴾ حال من ﴿[السَّلَمِ]﴾؛ أي: في جميع شراعه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾ طرق ﴿الشَّيْطَانِ﴾ أي: تزيينه بالتفريق ﴿وَكُلُّ لَكُمْ عَذَابٌ مُّبِينٌ﴾ بين العداوة.

[٢٠٩] ﴿كَانَ رَكْنُهُ﴾ ملتزم عن الدخول في جميعه ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ الحجج الظاهرة على أنه حق ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء عن انتقامه منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

[٢١٠] ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ينتظر التاركون الدخول فيه ﴿إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أمره<sup>(٩)</sup>؛ كقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(١٠)</sup> أي: عذابه ﴿فِي ظُلْمٍ﴾ جمع ظلة ﴿وَمِنَ الْقَصَارِ﴾ السحاب ﴿وَالْمَلَكُ﴾ وقضى الأمر<sup>(١١)</sup> ثُمَّ أَمَرَ هَلَاكَهُمْ ﴿وَزَلَّىٰ اللَّهُ رُجُوعَ الْأُمُورِ﴾ - بالبناء للمفعول والفاعل<sup>(١٢)</sup> - في الآخرة؛ فيجازي كلًا بعمله.

- يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بها، ثم يقض منها، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَكَّاشَ النَّاسُ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) باب (٣٥)، وفي رواية قال: «أخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها أن هذه الآية نزلت في الحمن: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَكَّاشَ النَّاسُ﴾ قال: كانوا يفيضون من جمع إلى عرفات» البخاري - كتاب الحج (٢٥) باب (٩١) الوقوف بعرفة.

= كَوَكَّرُوا عَلَيْهِمْ أَوْ أَكَّسَدُوا... أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٥٥/٢) رقم (١٨٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٥٥٧/١). وحسنه صاحب الاستيعاب (١٤٢/١، ١٤٣). (١) لقد منها الحلال السيوطي كَقَلَّاهُ في وصفه نصف انهار بأنه من أيام الدنيا، والصحيح أنه نصف يوم مقداره خمسون ألف سنة، كما جاء في حديث ابن حبان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يقوم الناس رب العالمين مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة...» وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ في عقاب مانعي الزكاة في الحشر - قوله ﷺ: «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد... البخاري (١٣١٤)، ومسلم (١٦٤٧)، وقد تكرر هذا السهو في السيوطي كَقَلَّاهُ في ثلاثة مواضع غير هذا، وهي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ آية ١٩٩ من آل عمران، وقوله: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ آية ٥١ من سورة إبراهيم، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَسْرَعَ لِقَابِيَيْنَ﴾ آية ٦٢ من سورة الأنعام. ووقع مظه من الجلال المحلي في تفسيره قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ آية ١٧ من سورة غافر، وقد نيه على ذلك القاضي كسان في فقرة العتئين على تفسير الجلالين». (٢) أخرجه الطبري (٣٢٤/٢) في تفسيره عن السدي مرسلًا، وضعفه حدًا في الاستيعاب (١٤٤/١، ١٤٥). (٣) وهذا من تأويل صفة الحية التي يبتليها أهل السنة لله ﷻ على الوجه اللائق به، فهذا من تأويل الصفة ببعض لوازمها، وسبق بيان ذلك. (٤) جاء ذلك من عدة طرق كلها ضعيفة كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٤٦/١، ١٤٨). (٥) أي: اغتزوهم ببحرٍ الصيد فيه كما كان في شرع موسى. والأثر أخرجه الطبري (١٨٩/٢) من طريق ابن جريج عن عكرمة به. وهو مرسى ضعيف كما في الاستيعاب (١٤٨/١). (٦) حيث حرموا أكل لحومها وشرب ألبانها. (٧) بالفتح قراءة نافع وابن كثير والكسائي، وقرأ الباقر بالكسر. (٨) وهذا تأويل تأنيذ النصوص وكلام السلف، وهو مذهب المتدعة، أما الذي عليه السلف أهل السنة والجماعة: أن الإتيان والنجي صفتان من صفات الفعل له. شَيْخَانَهُ. وهما من أفعاله الاختيارية التي يبتونن لها له. شَيْخَانَهُ. على الوجه اللائق بجلاله وعظمته منزها عن جميع التشبيه الذي يحظر في عقول المعطلة. [المفسرون بين الإثبات والتأويل (٣٧٩ / ٢)]. (٩) النحل: ٣٣. (١٠) قوله: (بالبناء للمفعول) يعني من الرجوع وهو الرد. وقوله: (والفاعل) يعني من -

﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾<sup>(١)</sup> وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ الَّذِي الْخَضَاعُ<sup>(٢)</sup> وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ<sup>(٣)</sup> وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتِ الْعُرَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ وَجَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ<sup>(٤)</sup> وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ<sup>(٥)</sup> يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذَلُّوا فِي السَّلَامِ كَأَنَّهُ<sup>(٦)</sup> وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ<sup>(٧)</sup> فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ<sup>(٨)</sup> هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ<sup>(٩)</sup>

بذلك<sup>(١٠)</sup>.

[٢٠٣] ﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ﴾ بالتكبير عند رمي الجمرات ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ أي: أيام التشريق الثلاثة ﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ أي: استعجل بالنفر من منى ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي: في ثاني أيام التشريق بعد رمي جماره ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بالتعجيل ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ بها حتى بات ليلة الثالث ورمى جماره ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بذلك أي: هم مخبرون في ذلك ونفي الإثم ﴿لِمَنِ﴾

سَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَرَّاءَاتِهِمْ مِنْ عَالِمٍ بَيْنَهُ وَمَنْ يَبْدُلُ نِعْمَةً  
 اللَّهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زَيْنَ  
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْحَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ  
 اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ  
 ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ  
 وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ  
 فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ  
 مَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا  
 لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ  
 إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا  
 يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ  
 وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ  
 اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ  
 مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ لِلْيَسْرَى وَالْمَسْكِينِ  
 وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

شامل للقليل والكثير، وفيه بيان التفق الذي هو أحد شقي السؤال، وأجاب  
 عن المصرف الذي هو الشق الآخر بقوله: ﴿فَلِلَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ لِلْيَسْرَى وَالْمَسْكِينِ  
 وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ أي: هم أولى به ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ إيفاق أو  
 غيره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فمجاز عليه.

[٢١١] ﴿سَلَّ﴾ يا محمد ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ نبيكنا: ﴿كَرَّاءَاتِهِمْ﴾ كم  
 استفهامية معلقة<sup>(١)</sup> ﴿سَلَّ﴾ عن المفعول الثاني، وهي ثاني مفعولي ﴿آتيتا﴾<sup>(٢)</sup>،  
 ومبمزا<sup>(٣)</sup>: ﴿مِنْ عَالِمٍ بَيْنَهُ﴾ ظاهرة؛ كقلق البحر وإنزال المني والسلوى،  
 فبدلوا كفراً ﴿وَمَنْ يَبْدُلُ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ أي: ما أنعم به عليه من الآيات، لأنها  
 سبب الهداية ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ كفراً ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له.

[٢١٢] ﴿زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ بالتمويه<sup>(٤)</sup>؛  
 فأحبوها ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ هُمُ ﴿يَسْحَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لفقهم؛ كبلال وعمار  
 وصهيب؛ أي: يستهترون بهم ويعالون عليهم بالمال ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾  
 الشرك؛ وهم هؤلاء ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ  
 أي: رزقاً واسعاً في الآخرة أو الدنيا؛ بأن يملك المسخور منهم أموال الساخرين  
 وراقهم.

[٢١٣] ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على الإيمان فاختلفوا؛ بأن آمن بعض  
 وكفر بعض ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ إليهم ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالجنة  
 ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ من كفر بالنار ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى: الكتب  
 ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ ﴿أَنْزَلَ﴾، ﴿لِيَحْكُمَ﴾ به ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ فيما اختلفوا  
 فيه ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي: الدين ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي:  
 الكتاب؛ فآمن بعض وكفر بعض ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الحجج  
 الظاهرة على التوحيد، و﴿مِنْ﴾ متعلقة بـ ﴿اخْتَلَفَ﴾، وهي وما بعدها مقدم  
 على الاستثناء في المعنى ﴿بَغْيًا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ  
 آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ لإرادته ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ  
 يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ طريق الحق. ونزل في جهد أصاب  
 المسلمين: [٢١٤] ﴿أَمْ﴾ بَلْ أَمْ ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾ لَمْ  
 ﴿يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من المؤمنين من الحن؛  
 فنصبروا كما صبروا ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ﴾ حيلة مستأنفة مبنية ما قبلها ﴿الْبَأْسَاءُ﴾  
 شدة الفقر ﴿وَالضَّرَاءُ﴾ المرض ﴿وَزُلُّوا﴾ أزعجوا بأنواع البلاء ﴿حَتَّى﴾  
 يَقُولَ بالنصب والرفع<sup>(٥)</sup>؛ أي: قال ﴿الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ استبطاء  
 للنصر؛ لتناهي الشدة عليهم: ﴿مَتَى﴾ يأتي ﴿نَصْرُ اللَّهِ﴾ الذي وعدناه؛  
 فَأُجِيبُوا مِنْ قِبَلِ اللَّهِ: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ إتيانه

[٢١٥] ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ أي: الذي ينفقونه،  
 والسائل عمرو بن الجموح، وكان شيخاً ذا مال، فسأل ﷺ عما ينفق  
 وعلى من ينفق؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ﴾ بيان لـ ﴿مَا﴾،

= الرجوع؛ فرجع يستعمل لارتماً ومتعدداً، وقرأ ابن عامر وحزمة والكسائي بالياء للفاع والياقون بالياء للمفعول.

(١) التعليق: هو إبطال العمل لفظاً لا محلاً، والإلغاء؛ إبطاله لفظاً ومحلاً، فكون جملة: ﴿كَمْ عَاتَيْنَهُمْ﴾ في المعنى في محل المفعول الثاني لـ ﴿سَلَّ﴾. والتعليق مختص بأفعال القلوب، والسؤال وإن لم يكن من أعمال القلوب، إلا أنه سبب للعلم، والعلم منها، فأعطي حكمها من نصب المفعولين وصحة التعليق.

(٢) أي: إن ﴿كَمْ﴾ هي المفعول الثاني لـ ﴿آتيتا﴾، ومفعول ﴿آتيتا﴾ الأول هو: الهاء من الضمير «هم»، وهذا مذهب الجمهور.

(٣) إما يردت؛ ليعلم بها أن مدخولها وهو قوله: ﴿مِنْ عَالِمٍ بَيْنَهُ﴾ يميز لا مفعول ثانٍ لـ ﴿عَاتَيْنَهُمْ﴾.

(٤) لباء سببية؛ أي: بسبب التمويه؛ أي: الزخرفة والبهجة.

(٥) بالرفع قراءة نافع، والنصب بـ (أن) مضمره، و﴿حَتَّى﴾ بمعنى: إلى، وهي تنصب المضمر بعدها إذا كان مستقبل، والرفع باعتبار ما بعدها حالاً مقارناً لما قبلها، أو أن الفعل بعده ماضٍ؛ بمعنى: أن القول والازوال قد مضى.

(٦) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٤٠، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٣٣/١)، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به. والكلبي وأبو صالح متهمان بالكذب؛ فهو موضوع، وذكر السيوطي في الدر المنثور (٥٨٥/١) نحوه، دون تسمية السائل، وعزاه لعبد بن حميد.

خبر لكم ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْكُرُونَ﴾ ذلك، فبادروا إلى ما يأمركم به.  
وَأَرْسَلَ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ سِرَايَاهُ وَعَلَيْهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ<sup>(١)</sup>؛ فَقَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ  
وَقَتَلُوا ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ أَجْرَ يَوْمٍ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَالتَّبَسَّعَ عَلَيْهِمْ بِرَجَبٍ؛  
فَقَبِضَهُمُ الْكَفَّارُ بِاسْتِحْلَاحِهِ؛ فَنَزَلَ<sup>(٢)</sup>: [٢١٧] ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ النَّهْرِ  
الْحَرَامِ﴾ الحريم ﴿وَقَاتِلْ فِيهِ﴾ بدل اشتمال<sup>(٣)</sup> ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿وَقَاتِلْ فِيهِ  
كَبِيرٌ﴾ عظيم وزر<sup>(٤)</sup>، مبتدأ وخبر ﴿وَصَدُّ﴾ مبتدأ<sup>(٥)</sup>، منع للناس ﴿عَنِ  
سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾ بالله ﴿وَقَوْلٌ﴾ صد عن<sup>(٦)</sup> ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: مكة ﴿وَالْخُرَاجِ أَهْلِيهِ مِنْهُ﴾ وهم النبي ﷺ  
والمؤمنون، وخبر المبتدأ<sup>(٧)</sup> ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم وزرًا ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ من القتال فيه  
﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ الشرك منكم ﴿مَنْ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ لكم فيه ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ أي:  
الكفار ﴿يَقْتُلُونَكَ﴾ أيها المؤمنون ﴿حَتَّى﴾ كي ﴿يُرْذَوْكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾  
إلى الكفر ﴿إِنْ أَسْتَظْهَمُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قُبُحٌ وَمَنْ  
كَارَ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ الصالحة ﴿فِي الْآدِيَةِ  
وَالْآخِرَةِ﴾ فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها، والتقييد بالموت عليه يفيد أنه لو  
رجع إلى الإسلام لم يطل عمله؛ فينبأ عليه، ولا يعيده كالخج مثلاً، وعليه  
الشافعي ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. ولما ظن السريّة  
أنهم إن سلموا من الإثم فلا يحصل لهم أجر؛ نَزَلَ<sup>(٨)</sup>: [٢١٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ  
آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ فَارْتَفَعُوا أَوطانهم ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لإعلاء  
دينه ﴿وَأُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ ثوابه ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ للمؤمنين  
﴿رَحِيمٌ﴾ بهم. [٢١٩] ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ القمار، ما  
حكمهما؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿فِيهِمَا﴾ أي: في تعاطيهما ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾  
عظيم، وفي قراءة: بالثانية<sup>(٩)</sup>، لما يحصل بسببهما من الخاصة والمباشرة وقول  
الفحش ﴿وَمَنْعٌ لِلنَّاسِ﴾ بالذلة والفرح في الخمر، وإصابة المال بلا كد في  
الميسر ﴿وَأِثْمُهُمَا﴾ أي: ما ينشأ عنهما من المفساد ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿مِنْ  
نَفْعِهِمَا﴾ ولما نزلت شربها قَوْمٌ وامتنع عنها آخرون إلى أن حرمتها آية المائدة<sup>(١٠)</sup>  
﴿يَسْتَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ أي ما قدره؟ ﴿قُلْ﴾ أنفقوا ﴿الْمَعْرُوفَ﴾ أي:  
الفاضل عن الحاجة، ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتضيعوا أنفسكم، وفي قراءة:  
بالرفع<sup>(١١)</sup> بتقدير «هو» ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كما تَبَيَّنَ لكم ما ذَكَرَ ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ  
الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(١٢)</sup>.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا  
شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ  
لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ  
الْحَرَامِ قَاتِلْ فِيهِ قُلْ قَاتِلْ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ  
اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ  
أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ  
يُقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرْذَوْكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَظْهَمُوا وَمَنْ  
يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قُبُحٌ وَمَنْ كَارَ فَأُولَٰئِكَ  
حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ  
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ  
هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ  
اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٩﴾ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ  
قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ  
مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْتَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ الْغَوْ كَذَٰلِكَ  
يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٢٠﴾

[٢١٦] ﴿كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أَلْفَتْالٌ للكفار ﴿وَهُوَ كُرْهُ﴾  
مكرهه ﴿لَكُمْ﴾ طبعاً لمشقتة ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾  
وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴿لِيلِ النَّفْسِ إِلَى الشَّهَوَاتِ الْمَوْجِبَةِ  
لِهَلَاكِهَا، وَنَفَرِهَا عَنِ التَّكْلِيفَاتِ الْمَوْجِبَةِ لِسَعَادَتِهَا؛ فَعَلَّكُمْ لَكُمْ فِي الْقِتَالِ - وَإِنْ  
كَرِهْتُمُوهُ - خَيْرًا؛ لِأَنَّ فِيهِ إِمَّا الظَّفَرَ وَالْغَنِيمَةَ، أَوْ الشَّهَادَةَ وَالْأَجْرَ، وَفِي تَرْكِهِ  
وَلَنْ أَحْبَبْتُمُوهُ - شَرًّا؛ لِأَنَّ فِيهِ الدَّلَّ وَالْفَقْرَ وَحِرْمَانَ الْأَجْرِ وَاللَّهُ يَكْلُمُكُمْ﴾ ما هو

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢١٩): أخرجه أبو داود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما نزل تحريم الخمر قال عمر: اللهم زين لنا في الخمر بياناً شفاءً، فنزلت الآية التي في البقرة: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ الآية. أبو داود - كتاب الأشربة (٢٠) باب (١) في تحريم الخمر. صحيح سنن أبي داود (٣١١٧)، وسنن أبي الحديث بتمامه في سورة النساء الآية (٤٣)، والمائدة الآية (٦).

(١) لم تكن سرية عبد الله بن جحش أول السرايا؛ بل كانت خامستها وثامنة التحركات العسكرية، وقد ذكر أهل السير أنهم قتلوا ابن الحضرمي في آخر يوم من رجب والتبس عليهم بأول يوم من شعبان.

(٢) أخرجه نحوه البيهقي في السنن الكبرى (١٢/٩)، وفي دلائل النبوة (١٧/٣) من حديث عروة بن الزبير، وهو مرسل. وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٧٢٩/٥) رقم (٦٥١٣) من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٤٥/١)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠٤/٢) عن قتادة مرسلًا، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦٠٢/١).

(٣) أي من الشهرة؛ إذ هو مشتغل على القتال لوقوعه فيه. (٤) أي: إن كان عمدًا، فإن كان خطأ فقتل السرية؛ فلا إثم به.

(٥) أي: مع ما عطف عليه، وجعلناه أربعة فأخبر عنها بقوله: ﴿أَكْبَرُ﴾ لأنه أفعّل تفضيل، وهو يستوي فيه الواحد والأكثر إذا كان مجرداً من (أل) والإضافة.

(٦) إشارة إلى أن ﴿الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ معطوف على ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾. (٧) أي: وما عطف عليه - كما سبق.

(٨) أخرجه بنحوه ابن إسحاق في السيرة (٢٣٩/٢)، (٢٤٠) من طريق عروة بن الزبير مرسلًا، والبيهقي في دلائل النبوة (١٨/٣)، والطبري في تفسيره (٢٠٧/٢). وهو ضعيف لإرساله كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٥٤/١).

(٩) أي: كبير، وهي قراءة حمزة والكسائي. (١٠) أي: عمرو، خبر مخلوف تقديره: هو.

﴿فِي﴾ [٢٢٠] ﴿أَمْرٌ﴾ **﴿الْأَدْنَى وَالْآخِرَةُ﴾** فَنَأْخُذُونَ بِالْأَصْلَحِ لَكُمْ فِيهَا **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾** وَمَا يَلْقَوْنَ مِنَ الْخَرْجِ فِي شَأْنِهِمْ؛ فَإِنْ أَكَلُوهُمُ يَأْتِمُوا، وَإِنْ عَزَلُوا مَا لَهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَصَنَعُوا لَهُمْ طَعَامًا وَحَدَثَهُمْ فَحَرَجَ **﴿قُلْ إِصْلَاحُ لَكُمْ﴾** فِي أَمْوَالِهِمْ؛ بِتَمَنِّيْهَا، وَمَدَاخِلَتِكُمْ **﴿خَيْرٌ﴾** مِنْ تَرَكْ ذَلِكَ **﴿وَأَنْ تَخَالِطُوهُمْ﴾** أَيْ: تَخَالُطُوا نَفَقَتَكُمْ بِنَفَقَتِهِمْ **﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾** أَيْ: فَهَمُ إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ، وَمِنْ شَأْنِ الْأَخِ أَنْ يَخَالِطَ أَخَاهُ؛ أَيْ: فَلَكُمْ ذَلِكَ **﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ﴾** لِأَمْوَالِهِمْ بِمَخَالِطَتِهِ **﴿وَمِنَ الْمُصْلِحِ﴾** بِهَا؛ فَيَجَازِي كُلًّا مِنْهَا **﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَيْنَاكُمْ﴾** لَصَدَّقَ عَلَيْكُمْ بِتَحْرِيمِ الْخَالِطَةِ **﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾** غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ **﴿حَكِيمٌ﴾** فِي صَنْعِهِ <sup>(٥)</sup> [٢٢١] **﴿وَلَا تَنْكِحُوا﴾** تَنْزُوجُوا أَبْهَاءَ الْمُسْلِمِينَ **﴿الْمُشْرِكِينَ﴾** أَيْ: الْكَافِرَاتِ **﴿حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَآئِمَةً مُؤْمِنَةً خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ﴾** حَرَّةٌ، لِأَنْ سَبَبَ نَزُولِهَا الْعَيْبُ <sup>(٦)</sup> عَلَى مَنْ تَزَوَّجَ أَمَةً، وَتَرْغِيهِ فِي نِكَاحِ حُرَّةٍ مُشْرِكَةٍ **﴿وَلَوْ أَنْعَجْتُمْ﴾** لَجَمَالِهَا وَمَالِهَا، وَهَذَا مَخْصُوصٌ بِغَيْرِ الْكِتَابِيَّاتِ بَابَةٌ: **﴿وَالْفَقِصَتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾** وَلَا تَنْكِحُوا **﴿تَنْكِحُوا﴾** تَزَوَّجُوا **﴿الْمُشْرِكِينَ﴾** أَيْ: الْكَافِرَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ **﴿حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَقَدْ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبْتُمْ﴾** لِمَالِهِ وَجَمَالِهِ **﴿أُولَئِكَ﴾** أَيْ: أَهْلُ الشِّرْكِ **﴿يَدْعُونَ إِلَى الْآثَرِ﴾** بِدَعَائِهِمْ إِلَى الْعَمَلِ الْمَوْجِبِ لَهَا؛ فَلَا تَلِيقَ مَتَاكِسَتُهُمْ **﴿وَاللَّهُ يَدْعُو﴾** عَلَى لِسَانِ رَسَلِهِ **﴿إِلَى الْيَتَى وَالْمَغْفِرَةِ﴾** أَيْ: الْعَمَلِ الْمَوْجِبِ لَهَا **﴿يَذَرِيهِ﴾** يَارِدَتُهُ؛ فَتَجِبُ إِجَابَتُهُ بِتَزْوِيجِ أَوْبَائِهِ **﴿وَيَتَّبِعُ﴾** أَيْ: يَتَّبِعُ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ **﴿يَتَعَذَّلُونَ﴾** [٢٢٢] **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾** أَيْ: الْحَيْضِ أَوْ مَكَانِهِ، مَاذَا يَفْعَلُ بِالنِّسَاءِ فِيهِ؟ **﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾** قَدَرٌ أَوْ مُحَلَةٌ **﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾** اتْرَكُوا وَطْأَنَهُنَّ **﴿فِي الْمَحِيضِ﴾** أَيْ: وَقْتَهُ أَوْ مَكَانَهُ <sup>(٧)</sup>، **﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ﴾** بِالْجَمَاعِ **﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾** بِسُكُونِ الطَّاءِ وَتَشْدِيدِهَا وَهَاءً، وَفِيهِ إِدْغَامُ اِتْنَاءٍ فِي الْأَصْلِ فِي الطَّاءِ <sup>(٨)</sup>؛ أَيْ: يَتَسَلَّلْنَ بَعْدَ انْقِطَاعِهِ **﴿فَإِذَا طَهَّرْنَ فَأَتَوْهُنَّ﴾** بِالْجَمَاعِ **﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾** بِتَجَنُّبِهِ فِي الْحَيْضِ؛ وَهُوَ الْقُبْلُ، وَلَا تَعْدُوهُ إِلَى غَيْرِهِ **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾** يُبِيبُ وَيَكْرَهُ <sup>(٩)</sup> **﴿التَّوْبِينَ﴾** مِنَ الذُّنُوبِ **﴿وَيُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾** مِنَ الْأَذْنَاءِ <sup>(١٠)</sup> [٢٢٣] **﴿يَسْأَلُكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾** نِي: مُحَلُّ زَرْعِكُمُ الْوَلَدَ **﴿فَآتُوا خَيْرَتَكُمْ﴾** أَيْ: مُحَلَّهُ؛ وَهُوَ: الْقُبْلُ **﴿أَتَى﴾** كَيْفَ **﴿شِئْتُمْ﴾** مِنْ قِيَامِ وَقْعُودٍ وَاضْطِجَاعٍ وَإِقْبَالٍ وَادْبَارٍ، وَنَزَلَ رَدًّا لِقَوْلِ الْيَهُودِ: «مَنْ أَتَى امْرَأَتَهُ فِي قُبْلَيْهَا؛ أَيْ: مِنْ جِهَةِ دُبُرِهَا جَاءَ الْوَلَدَ أَحْمُولَ» <sup>(١١)</sup> **﴿وَقَدْ يُؤْتَى لِلشَّيْءِ الْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾** كَالنَّسِمَةِ عِنْدَ الْجَمَاعِ

**﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾** فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ **﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُكَلَّفُونَ﴾** بِالْبَعْثِ؛ فَيَجَازِيَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ **﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** الَّذِينَ اتَّقَوْهُ بِالْجَنَّةِ.

[٢٢٤] **﴿وَلَا تَحْسَبُوا اللَّهَ﴾** أَيْ: الْحَلْفَ بِهِ **﴿عُرْصَةً﴾** عِلَّةً مَانِعَةً <sup>(١٢)</sup> **﴿لِإِنِّي كُنْتُ﴾** أَيْ: نَعْبِئًا <sup>(١٣)</sup> لَهَا بِأَنْ تَكْفُرُوا بِالْحَلْفِ <sup>(١٤)</sup> بِهِ **﴿أَنْ﴾** لَا تَزِيدُوا وَتَسْتَفُوا **﴿فَتَكْفُرُ الْيَمِينُ عَلَى ذَلِكَ﴾** وَيَسْنُ فِيهِ الْخُنْثَ، وَيَكْفُرُ بِخِلَافِهَا عَلَى فِعْلِ الْبَرِّ وَنَحْوِهِ، فَهِيَ طَاعَةٌ **﴿وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾** الْمَعْنَى: لَا تَتَمَنَعُوا مِنْ

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزْلِ الْآيَةِ (٢٢٠): أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: **﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّذِي حَرَمَ﴾** [الأنعام: ١٥٢] **﴿وَإِنَّ الْيَتِيمَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى كُلًّا﴾** الْآيَةَ [النساء: ١٠]، انْطَلَقَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ نَيْمٌ فَعَزَلَ طَعَامَهُ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ مِنْ شَرَابِهِ، هَذَا يَفْضُلُ مِنْ طَعَامِهِمْ فَيَجْبِرُ لَهُ حَتَّى يَأْكُلَهُ أَوْ يَبْسُدَ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَكُمْ خَيْرٌ مِنْ تَخَالِطُوهُمْ﴾** فَإِخْوَانُكُمْ **﴿فَخَالِطُوهُمْ﴾** فَخَالَطُوا طَعَامَهُمْ بِطَعَامِهِمْ، وَشَرَابَهُمْ بِشَرَابِهِمْ. أَبُو دَاوُدَ - كِتَابُ الرِّسَالَةِ (١٢) بَابُ (٧) مَخَالِطَةُ الْيَتِيمِ فِي الطَّعَامِ ...

(٥٥) مَا جَاءَ فِي نَزْلِ الْآيَةِ (٢٢٢): أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاصَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يَأْكُلُوا وَلَمْ يَجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ، فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾** ... إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ»، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ فَقَالُوا: مَا يَرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفَانَا فِيهِ. مُسْلِمٌ - كِتَابُ الْحَيْضِ (٣) بَابُ (٢) جَوَازُ غَسْلِ الْحَائِضِ رَأْسَ وَجْهِهَا وَتَرْجِيلِهَا.

(٥٥٥) مَا جَاءَ فِي نَزْلِ الْآيَةِ (٢٢٣): أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ الْمَكْدَرِ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَتِ الْيَهُودُ تَقُولُ: إِذَا جَامَعُوا مِنْ وَرَائِهَا جَاءَ الْوَلَدُ أَسْوَلُ، فَنَزَلَتْ: **﴿يَسْأَلُكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ فَاَتُوا﴾**

(١) أَيْ: التَّعْيِيبُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. (٢) يُشِيرُ إِلَى مَا أَخْرَجَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي سَبَابِ النَّزْلِ ص ٤٥ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ سَوْدَاءُ فَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا؛ فَأَبَاوَا عَلَيْهِ ذَلِكَ وَعَابَاهُ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: **﴿وَلَكُمْ مَوْلَاكُمْ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبْتُمْ﴾**. وَضَعَفَ إِسْنَادُهُ فِي الْإِسْتِيعَابِ (١٦٨/١)؛ قَالَ: فِيهِ أَسْبَابُ نَصْرِ؛ ضَعْفُهُ النَّسَابِيُّ وَأَبُو زُرْعَةَ وَأَبُو نَعِيمٍ وَغَيْرُهُمْ. (٣) فَهُوَ مُصَدَّرٌ مِمَّنْ يَصْلُحُ لِلْحَدِثِ وَالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ. (٤) بِتَشْدِيدِ الطَّاءِ وَفُحْشِهَا وَفُتْحِ الْهَاءِ، قِرَاءَةُ حِمَزَةٍ وَالْكَسْبِيَّةِ وَشُعْبَةٍ. (٥) وَهَذَا تَأْوِيلٌ لَصَفَةِ الْحَبَةِ بَعْضُ لَوَازِمِهَا، وَسَبَقَ بَيَانُ الْمَذْهَبِ الْحَقِّ فِي ذَلِكَ وَإِتْبَائِهِ وَغَيْرِهَا مِنَ الصِّفَاتِ الْغَائِبَةِ بِالْكَتَابِ وَاسْتِنَاةً عَلَى الْوَجْهِ الْإِلَاقِيِّ بِهِ - شَيْخَانَهُ. (٦) الْحَسْبِيَّةُ وَالْمَعْنَوِيَّةُ. (٧) الْبُخَارِيُّ (٤٥٢٨)، وَمُسْلِمٌ (١٤٣٥) مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ. وَانْظُرْ مَا جَاءَ فِي نَزْلِ الْآيَةِ. (٨) الْمَعْنَى: لَا تَجْعَلُوا الْحَلْفَ بِاللَّهِ سَبِيحًا مَنَاقًا لَكُمْ مِنَ الْبَرِّ وَالتَّقْوَى؛ يُدْعَى أَحَدُكُمْ إِلَى بَرٍّ أَوْ صَلَةٍ رَحِمَ يَقُولُ: قَدْ حَلَفْتُ بِاللَّهِ لَا أَفْعَلُ؛ فَيَفْعَلُ بَيْنَهُ مِنْ تَرَكِ الْبَرِّ وَالْإِصْلَاحِ. (٩) أَيْ: غَرَضًا مَنَاقًا مِنْ فِعْلِ الْبَرِّ. (١٠) هَذَا تَفْسِيرٌ آخَرُ لِلآيَةِ؛ أَيْ: لَا تَكْفُرُوا بِالْحَلْفِ وَإِنْ كُنْتُمْ تَزِيدُونَ مُتَقِينَ مُصْلِحِينَ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ اجْتِنَادِ اسْمِهِ - تَعَالَى - فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَكَانَ الْمُنَاسِبُ أَنْ يَقُولَ: «أَوْ أُنْ» =

تَسْبِيحٌ لِقَوْلِهِمْ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بعزمهم، المعنى: ليس لهم بعد تربص ما ذكر<sup>(١)</sup> إلا الفينة أو الطلاق.

[٢٢٨] ﴿وَالْمُطَلَّقَتُ يَرْجِعُ إِلَى: أي: ليستظرون ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ عن النكاح ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾<sup>(٢)</sup> تمضي من حين الطلاق، جمع قرء؛ بفتح القاف<sup>(٣)</sup>؛ وهو: الطهر<sup>(٤)</sup>، أو الحيض<sup>(٥)</sup>، قولان، وهذا في المذْخُولِ بِهِنَّ، أما غيرهنَّ؛ فلا عدة عيبنَّ؛ لقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدُوٍّ﴾<sup>(٦)</sup> وفي غير الآية والصغيرة: ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾، والحوامل: فعِدَّتُهُنَّ. وَأَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ<sup>(٧)</sup> كما في سورة الطلاق، والإماء: فعِدَّتُهُنَّ قُرُوءَانِ بالشَّئِءِ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ الْوَلَدِ وَالْحَيْضِ ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُؤْمِنُ أَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ ﴿أَحَقُّ بِرَبِّهِنَّ﴾ بمراجعتنَّ، ولو أَتَيْنَ ﴿فِي ذَلِكَ﴾ أي: في زمن التربص ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ بينهما؛ لا إضرار المرأة<sup>(٨)</sup>، وهو تحريض على قصده لا شرط لجواز الرجعة، وهذا في الطلاق الرجعي، و﴿أَحَقُّ﴾ لا تفضيل فيه؛ إذ لا حق لغيرهم من نكاحهنَّ<sup>(٩)</sup> في العدة و﴿لَهُنَّ﴾ على الأزواج ﴿يُحِلُّ لِّلزَّوْجِ﴾ لهم ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ من الحقوق و﴿لِلْمَرْءِ﴾ شرعاً من حسن العشرة وترك الإضرار ونحو ذلك ﴿وَلِلرَّجَالِ﴾ عَلَيْهِمْ دَرَجَةٌ ففضيلة في الحق؛ من وجوب طاعتهم لهم لما ساقوه من المهر والإنفاق ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما ذُكِرَ لَخَلْقِهِ.

[٢٢٩] ﴿الطَّلَاقُ﴾ أي: التطلق الذي يُرَاجَعُ بَعْدَهُ ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ أي: اثنتان ﴿فَامْسَاكَ﴾ أي: فعليكم إمساكهن بعده بأن تراجعهن ﴿يَعْمُرُوهِنَّ﴾ من غير ضرر ﴿أَوْ تَتَرَبَّعَ﴾ أي: إرسالهن ﴿بِإِسْنَيْنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أيها الأزواج ﴿أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهور ﴿شَيْئًا﴾ إذا طلقتموهنَّ<sup>(١٠)</sup> ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ أي: الزوجان ﴿أَنْ لَا يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ أي: أن لا يأتيا بما حُدَّ لهما من الحقوق، وفي قراءة: ﴿يَخَافَا﴾<sup>(١١)</sup> بالبناء للمفعول، ف﴿أَنْ يَقِيمَا﴾ بدل اشتمال من الضمير فيه، وقرئ: بالفوقانية في الفعلين<sup>(١٢)</sup> ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْمَا فِي أَنْفُسِهِمَا﴾ نفسها من المال ليطلقها؛ أي: لا حرج على الزوج في أخذه ولا الزوجة في بذله ﴿يَتَلَقَّ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودَ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ﴾ قُلُوبُهُمْ أَعْلَىٰ لَكُمْ.

[٢٣٠] ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الزوج بعد الثنتين ﴿فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ﴾ بعد الطلقة الثالثة ﴿حَتَّىٰ تَنْكِحَ﴾ تزوج ﴿زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ ويطأها؛ كما في الحديث الذي رواه الشيخان<sup>(١٣)</sup> ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ أي: الزوج الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْمَا﴾ أي: الزوجة والزوج الأول ﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ إلى النكاح بعد انقضاء العدة ﴿إِنْ طَلَّ أَنْ يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودَ اللَّهِ يَبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿لَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿وَأَنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وَالْمُطَلَّقَتُ يَرْجِعُ إِلَى أَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَنْفُسِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُؤْمِنُ أَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ أَحَقُّ بِرَبِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرَّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَيْنِ فَاِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَتَرَبَّعَ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْمَا فِيمَا أَفْتَدْتُمْ بِهِ بِتِلْكَ حُدُودِ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ طَلَّ أَنْ يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يَبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

فعل ما ذكر من البر ونحوه إذا حلفتم عليه، بل اتوه وكفروا؛ لأن سبب نزولها الامتناع من ذلك ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم.

[٢٢٥] ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ وهو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف؛ نحو: والله، وبسبى والله، فلا إثم عليه، ولا كفارة<sup>(١٤)</sup> ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: قصده من الأيمان إذا حنثتم ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لما كان من اللغو ﴿عَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها.

[٢٢٦] ﴿لَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ أي: يحلفون أن لا يجامعوهن ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ قَبْلَ مَا يَفْعَلُوهُنَّ رَجَعُوا فِيهَا أَوْ بَعْدَهَا عَنِ الْيَمِينِ إِلَى الْوَطْءِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ لهم ما أتوه من ضرر المرأة بالحلف ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

[٢٢٧] ﴿وَأَنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ أي: عليه؛ بأن لا يفيقوا؛ فنبوقعه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ

١ - حَزَنُكُمْ أَذَى شَدِيدٌ ٥٥. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٣٩).

(٦) ما جاء في نزول الآية (٢٢٥): أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾: أنزلت في قوله: لا والله، وبلى والله. البخاري - كتاب الأيمان والنذور (٨٣) باب (١٤).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٢٢٨): أخرجه أبو داود: عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية رضي الله عنها أنها طلقت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن للطلقة عدة، فأُتِلَ اللهُ حين طلقت أسماء بالعدة للطلاق، فكانت أول من أنزلت فيها العدة للمطقات. أبو داود - كتاب الطلاق (٧) باب (٣٦) (في عدة المطلقة) حسن. صحيح سنن أبي داود (١٩٩٦).

= تكثرُوا... بدلاً من قوله: «بأن تكثرُوا». (١) أي: الأربعة أشهر. (٢) إنما ضبطه المفسر بالفتح قطع أنه يصح فيه الوجهان بالضم والفتح؛ لأجل جمعه في الآية على «قروء»؛ ففردها: «قروء» أما «قروء» فجمعها «أقراء». (٣) وهو مذهب الجمهور. (٤) وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد في رواية، وهو الراجح بأدلة كثيرة جمعها ابن القيم في إزاد المعاد (٢٢٥/٤).

(٥) لأحزاب: ٤٩. (٦) الطلاق: ٤. (٧) فحرم الترجمة إذ ذلك. (٨) صوابه أن يقول: فلا حق لغيرهم في ردهن ورجعتن كما عر به غيره. (٩) أي: وأما إذ كانت في عصمته ووهبت له صداقتها أو بعضه فلا بأس بذلك. (١٠) لحزمة. (١١) وهي قراءة شاذة. (١٢) البخاري (٢٦٣٩)، ومسلم (١٤٣٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

[٢٣١] ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَعَثْنَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسَكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾<sup>(١)</sup> ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ بَأَنْ تَرَاغِبُوهُنَّ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ مِنْ غَيْرِ ضَرْرٍ ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أَتَرَكَوهُنَّ حَتَّى تَنْقُضِي عِدَّتَهُنَّ ﴿وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ﴾ بِالرَّجْعَةِ ﴿يُنْزِلُكَ﴾ مَقْعُولٌ لِأَجْلِهِ ﴿لِيَسْتَدُوا﴾ عَلَيْهِنَ بِالْإِلْجَاءِ إِلَى الْإِفْتِدَاءِ، وَالتَّطْلِيقِ، وَتَطْوِيلِ الْحَبْسِ<sup>(٢)</sup> ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بِعَرِضِهَا إِلَى عَذَابِ اللَّهِ ﴿وَلَا تَنْجِدُوا مَا بَيْنَ اللَّهِ هُرُوءًا﴾ مَهْزُوعًا بِهَا بِمَخَالَفَتِهَا<sup>(٣)</sup> ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بِالإِسْلَامِ ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ الْقُرْآنِ ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ ﴿يَعْظُمُ بِهِ﴾ بَأَنْ تَشْكُرُوهُا بِالْعَمَلِ بِهِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ<sup>(٤)</sup> ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَعَثْنَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسَكُوهُنَّ﴾ انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ خُطَابٌ لِلْأُولِيَاءِ؛ أَيُ: تَمْنَعُوهُنَّ مِنْ أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ الْمُطْلَقِينَ لَهُنَّ؛ لِأَنْ سَبَبَ نَزُولِهَا: أَنَّ أُخْتِ مَعْقِلَ بْنِ يَسَارٍ طَلَقَهَا زَوْجَهَا، فَأَرَادَ أَنْ يَرَاغِبَهَا؛ فَامْتَنَعَهَا مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ؛ كَمَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ<sup>(٥)</sup> ﴿إِذَا رَزَّضُوا﴾ أَيُ: الْأَزْوَاجَ وَالنِّسَاءَ ﴿بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ شَرْعًا ﴿ذَلِكَ﴾ النَّهْيُ عَنِ الْعَضْلِ ﴿يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لِأَنَّهُ الْمُنْتَفِعُ بِهِ ﴿ذَلِكَ﴾ أَيُ: تَرَكَ الْعَضْلَ ﴿أَذْكُرْ خَيْرٌ﴾ لَكُمْ وَأَطْهَرُ لَكُمْ وَلَهُمْ لَمَّا يَخْشَى عَلَى الزَّوْجَيْنِ مِنَ الرِّبَا سَبَبُ الْعَلَاقَةِ بَيْنَهُمَا ﴿وَاللَّهُ يَسْتَكْمِلُ﴾ مَا فِيهِ الْمَصْلَحَةَ ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذَلِكَ فَاتَّبِعُوا أَوَامِرَهُ.

[٢٣٢] ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَعَثْنَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسَكُوهُنَّ﴾ انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ خُطَابٌ لِلْأُولِيَاءِ؛ أَيُ: تَمْنَعُوهُنَّ مِنْ أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ الْمُطْلَقِينَ لَهُنَّ؛ لِأَنْ سَبَبَ نَزُولِهَا: أَنَّ أُخْتِ مَعْقِلَ بْنِ يَسَارٍ طَلَقَهَا زَوْجَهَا، فَأَرَادَ أَنْ يَرَاغِبَهَا؛ فَامْتَنَعَهَا مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ؛ كَمَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ<sup>(٥)</sup> ﴿إِذَا رَزَّضُوا﴾ أَيُ: الْأَزْوَاجَ وَالنِّسَاءَ ﴿بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ شَرْعًا ﴿ذَلِكَ﴾ النَّهْيُ عَنِ الْعَضْلِ ﴿يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لِأَنَّهُ الْمُنْتَفِعُ بِهِ ﴿ذَلِكَ﴾ أَيُ: تَرَكَ الْعَضْلَ ﴿أَذْكُرْ خَيْرٌ﴾ لَكُمْ وَأَطْهَرُ لَكُمْ وَلَهُمْ لَمَّا يَخْشَى عَلَى الزَّوْجَيْنِ مِنَ الرِّبَا سَبَبُ الْعَلَاقَةِ بَيْنَهُمَا ﴿وَاللَّهُ يَسْتَكْمِلُ﴾ مَا فِيهِ الْمَصْلَحَةَ ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذَلِكَ فَاتَّبِعُوا أَوَامِرَهُ.

[٢٣٣] ﴿وَالْوِلْدَاتُ يُرْضَعْنَ﴾ أَيُ: لِيَرْضَعْنَ ﴿أُولَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ عَامَيْنِ ﴿كَامِلَيْنِ﴾ صِفَةُ مَوْكِدَةٍ<sup>(٦)</sup>، ذَلِكَ ﴿لَعِنَ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ﴾ وَلَا زِيَادَةَ عَلَيْهِ ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ أَيُ: الْأَبُ ﴿رِضْعَتُهُ﴾ إِطْعَامُ الْوِلْدَاتِ ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ عَلَى الْإِرْضَاعِ إِذَا كُنَّ مُطْلَقَاتٍ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بِقَدْرِ طَاقَتِهِ ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طَاقَتُهَا ﴿لَا تُضَاكِرُ وَلَدَهُ﴾ يُولَدُهَا أَيُ: بِسَبَبِهِ بَأَنْ تُكْرَهَ عَلَى إِرْضَاعِهِ إِذَا امْتَنَعَتْ ﴿وَلَا﴾ يُضَارُّ ﴿مَوْلُودٌ لَمْ يُولَدْ﴾ أَيُ: بِسَبَبِهِ بَأَنْ يَكْلِفَ فَوْقَ طَاقَتِهِ، وَإِضَافَةُ الْوَلَدِ إِلَى كُلِّ مِنْهُمَا فِي الْمَوْضِعِ لِلِاسْتِعْطَافِ<sup>(٧)</sup> ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ أَيُ: وَارِثِ الْأَبِ؛ وَهُوَ: الصَّبِيُّ؛ أَيُ: عَلَى وَلِيِّهِ فِي مَالِهِ ﴿وَمِثْلُ ذَلِكَ﴾ الَّذِي عَلَى الْأَبِ لِلْوَلَدَةِ مِنَ الرِّزْقِ وَالْكِسْوَةِ ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أَيُ: الْوَالِدَانِ ﴿فِيصَالًا﴾ فِطْطًا لَهُ قَبْلَ الْحَوْلَيْنِ، صَادَرًا ﴿عَنْ تَرَايَ﴾ اتِّفَاقٍ ﴿بَيْنَهُمَا وَتَشَاوَرًا﴾ بَيْنَهُمَا؛ لِتُظْهَرَ مَصْلَحَةُ الصَّبِيِّ فِيهِ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ فِي ذَلِكَ ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ﴾ خُطَابٌ لِلْآبَاءِ ﴿أَنْ تَسْرِضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ مَرَاغِبُ غَيْرِ الْوَالِدَاتِ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فِيهِ ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾ إِلَيْهِنَّ ﴿مَنْ أَيْنَ﴾ أَيُ: أَرَدْتُمْ إِيْثَاهُ لِهِنَّ مِنَ الْأَجْرَةِ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بِالْجَمِيلِ؛ كَطِيبِ النَّفْسِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ<sup>(٨)</sup> لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ.

(١) مَا حَايَ فِي نَزْلِ الْآيَةِ (٢٣٢): أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ قَالَ: حَدَّثَنِي مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ؛ قَالَ: زَوْجَتِ أُخْتِ لِي مِنْ رَجُلٍ فَطَلَقَهَا حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا جَاءَ بِخَطْبَتِهَا؛ فَقُلْتُ لَهُ: زَوْجَتُكَ وَأَنْزَلْتُكَ وَأَكْرَمْتُكَ فَطَلَقْتُهَا، ثُمَّ جِئْتَ تَخْطُبُهَا؟ لَا وَاللَّهِ لَا تَعُودُ إِلَيْكَ أَبَدًا، وَكَانَ رَجُلًا لَا بَأْسَ بِهِ، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تُرِيدُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾، فَقُلْتُ: الْآنَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَرَوَّجَهَا إِيَّاهُ. الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ الطَّلَاقِ (٢٧)، بَابُ (٧٥) نَسَخِ الْمَرَاغِبَةِ بَعْدَ التَّطْلِيقَاتِ الثَّلَاثِ.

(١) أَيُ: الْعِدَّةُ.

(٢) أَطْلُقُ الْاسْتِهْزَاءَ وَأَرَادَ الْمَخَالَفَةَ.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٥٢٩)، وَاحَاكَمَ (٢٨٠/٢).

(٤) وَقَالَتْهَا إِعْتِبَارُ الْحَوْلَيْنِ مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ.

(٥) وَتَبَيَّنَ عَلَى أَنَّهُ حَقِيقٌ بِأَنْ يَتَّفِقَا عَلَى اسْتِصْلَاحِهِ وَالْإِشْفَاقِ عَلَيْهِ؛ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُخْضِرَا بِهِ أَوْ يُتَضَارَّ بِهِ.

أَجَلَهُنَّ ﴿٢٣٥﴾ انقضت مدة تربصهن ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الأولياء ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من التزين والعرض للخطاب ﴿يَا مَعْرُوفُ﴾ شرعا ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم بباطنه كظاهره.

﴿٢٣٥﴾ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ لَوْعَتُمْ﴾ أي من خطبة النساء ﴿الَّتِي﴾ المتوفى عنهن أزواجهن في العدة، كقول الإنسان - مثلا -: «إني لك جميلة، ومن يجد مثلك، وزب راعب فيك» ﴿أَوْ أَكْتَشَفْتُمْ﴾ أضرمتم ﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من قصد نكاحهن ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَكَرْتُمْ﴾ بالخطبة ولا تصبرون عنهن؛ فأباح لكم التعريض ﴿وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي: نكاحا ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أي: ما عرف شرعا من التعريض، فلكم ذلك ﴿وَلَا تَقْرَبُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ أي: على عقده ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ﴾ أي: المكتوب من العدة ﴿أَجَلَهُ﴾ بأن ينتهي ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من العزم وغيره ﴿فَاحْذَرُوهُ﴾ أن يعاقبكم إذا عزمتم ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ غَلِيظٌ﴾ لمن يحذرهم ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها.

﴿٢٣٦﴾ ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ وفي قراءة (١): ﴿تَمَسَّوَهُنَّ﴾ أي: تجمعوهن ﴿أَوْ﴾ لم ﴿تَقْرَبُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ مهرا، ومصدرية ظرفية؛ أي: لا تبعة عليكم في الطلاق زمن عدم المسيس والفرض يائمه ولا مهر فطلقوهن ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أعطوهن ما يتمتعن به ﴿وَعَلَى الْمُوسِيعِ﴾ الغني منكم ﴿قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ﴾ الضعيف الرزق ﴿قَدَرُهُ﴾ يفيد أنه لا نظر إلى قدر الروجة ﴿مَتْنَعًا﴾ تمتعا ﴿يَا مَعْرُوفُ﴾ شرعا، صفة ﴿مَتْنَعًا﴾ ﴿حَقًّا﴾ صفة ثانية، أو مصدر مؤكد (٢) ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين.

﴿٢٣٧﴾ ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَيُصَفِّ مَا فَرَضْتُمْ﴾ يجب لهن ويرجع لكم النصف ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: أن يتفضل بعضكم على بعض ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا بَرَّصْنَ أَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٥﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتَشَفْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنَّهُ كُمْ سَتَدَّ كُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرَبُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٦﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَقْرَبُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتْنَعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٧﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَيُصَفِّ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٨﴾

﴿٢٣٨﴾ ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾ يموتون ﴿مِنْكُمْ﴾ منكم وَيَذَرُونَ ﴿أَزْوَاجًا بَرَّصْنَ﴾ أي: ليربصن ﴿يَا بَرَّصْنَ﴾ بتدبرهم عن النكاح ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ من الليالي، وهذا في غير الحوامل، أما الحوامل: فعدتهن ﴿أَنْ يَصْنَعَنَّ حَمْلَهُنَّ﴾ بآية الطلاق، والأمة على النصف من ذلك بالشبهة (١) ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ

(١) أي عدة الأمة المطلقة؛ كما في حديث عائشة مرفوعا: «طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حاضنة». رواه الترمذي (١٨٢) وضعفه، وأبو داود (٢١٨٩)، وابن ماجه (٢٠٨٠)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (١١٩٩). ورواه الدارقطني عن ابن عمر مرفوعا ومرفوعا وصحح الموقوف كما في اللخيص الجير (٢١٣/٢).

(٢) الحزمة والكسائي.

(٣) في النسخة المطبوعة: «مؤكدة»، والمثبت من الصاوي.



[٢٣٨] ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ الخمس بأدائها في أوقاتها **﴿وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾** <sup>(١)</sup> هي العصر أو الصبح أو الظهر أو غيرها، أقوال، وأفرادها بالذكور؛ لِقَضَائِهَا **﴿وَقُومُوا لِلَّهِ﴾** في الصلاة **﴿فَلْيَتَنَزَّلِ﴾** قيل: مطيعين لقوله ﷺ: «كُلُّ قُتُوبٍ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ طَاعَةٌ» <sup>(٢)</sup> [رواه أحمد وغيره]؛ وقيل: ساكتين؛ لحديث زيد بن أرقم: «كُنَّا تَتَكَلَّمُ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى نَزَلَتْ، فَأَمْرًا بِالسُّكُوتِ، وَنُهِينَا عَنِ الْكَلَامِ» <sup>(٣)</sup> [رواه الشيخان]. [٢٣٩] ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ من عدو أو سيل أو سبع **﴿وَفِي السَّالَى﴾** جمع راجل؛ أي: مشاة، صلوا **﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾** جمع راكب؛ أي: كيف أمكن؛ مستقبلتي القبلة أو غيرها، ويومئ بالركوع والسجود **﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾** من الخوف **﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾** أي: صلوا **﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾** قيل تعليمه؛ من فرائضها وحقوقها، والكاف بمعنى: مثل، و**﴿مَّا﴾** مصدرية أو موصولة.

[٢٤٠] ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ فليوصوا **﴿وَصِيَّةً﴾** وفي قراءة: بالرفع <sup>(٤)</sup>؛ أي: عليهم **﴿لَا زَوْجَهُمْ﴾** وليعطوهم **﴿مَتْنَعًا﴾** ما يتمتع به من النفقة والكسوة **﴿إِلَى﴾** تمام **﴿الْحَوْلِ﴾** من موتهم، الواجب عليهن تربصه **﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾** حال؛ أي: غير مخرجات من مسكنهن **﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾** بأنفسهن **﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾** يا أولياء الميت **﴿فِي مَا قَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ﴾** شرعاً؛ كالترين، وترك الإحداد، وقطع النفقة عنها **﴿وَاللَّهُ غَيْرُ عَرِيبٍ﴾** في ملكه **﴿حَكِيمٌ﴾** في شئيه، والوصية المذكورة منسوخة بآية الميراث، وترصص الحول بآية أربعة أشهر وعشرا السابقة المتأخرة في النزول، والسكنى ثابتة لها عند الشافعي <sup>(٥)</sup> - رحمه الله ..

[٢٤١] ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتْنَعٌ﴾ يُعْطِيَنَّ **﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾** بقدر الإمكان **﴿حَقًّا﴾** نصب بفعله المقدر <sup>(٦)</sup> **﴿عَلَى الْكُفْرَيْنِ﴾** الله - تعالى -، كرره ليغم المسوسة أيضاً؛ إذ الآية السابقة في غيرها.

[٢٤٢] ﴿كَذَلِكَ﴾ كما بين لكم ما ذكر **﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ﴾** لَمَلَكُمْ تَعْلَمُونَ تتدبرون.

[٢٤٣] ﴿إِنَّمَا تَرَكُوا﴾ استفهام تعجب <sup>(٧)</sup> وتشويق <sup>(٨)</sup> إلى استماع ما بعده؛ أي: ينته علمك <sup>(٩)</sup> **﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾** أربعة أو ثمانية أو عشر أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفاً <sup>(١٠)</sup> **﴿حَدَرُ الْمَوْتِ﴾** مفعول له، وهم قوم من بني إسرائيل وقع الطاعون ببلادهم؛ ففروا **﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾** فماتوا **﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾** بعد ثمانية أيام أو أكثر؛ بدعاء نبهم **﴿جَزْئِيلٍ﴾** - بكسر المهملة والقاف وسكون الزاي -، فعاشوا دهوراً عليهم أثر

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَدْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْنَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا قَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتْنَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يَفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيَضَعُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

الموت لا يلبسون ثوباً إلا عَادَ كالكن، واستمرت في أسباطهم **﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾** ومنه إحياء هؤلاء **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾** وهم الكفار **﴿لَا يَتَذَكَّرُونَ﴾** والقصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال، ولذا عطف عليه: [٢٤٤] **﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** أي: لإعلاء دينه **﴿وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾** لأفوالكم **﴿عَلِيمٌ﴾** بأحوالكم فمجازيكم. [٢٤٥] **﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَفْرِضُ اللَّهُ﴾** بإنفاق ماله في سبيل الله **﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾** بأن ينفقه لله **﴿يَكُنَّ﴾** عن طيب قلب **﴿فَيَضَعُهُ﴾** وفي قراءة <sup>(١)</sup>:

(١) ما جاء في نزول الآية (٢٣٨): أخرج أبو داود عن عروة بن الزبير عن زيد بن ثابت قال: كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر بالهجرة. ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحاب رسول الله ﷺ منها، فنزلت. **﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾** وقال: «إِنْ قَبِلَهَا صَلَاتَيْنِ بَعْدَهَا صَلَاتَيْنِ، أَبُو دَاوُدَ. كتاب الصلاة (٢) باب (٥) في وقت صلاة العصر (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٣٩٧). وأخرج مسلم عن شقيق بن عتبة عن البراء بن عازب قال: نزلت هذه الآية: **﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾** فقراها ما شاء الله ثم نسخها الله فنزلت: **﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾** فقال رجل كان جالساً عند شريق له: هي إذن صلاة العصر؟ فقال البراء: قد أخبرتك كيف نزلت وكيف نسخها الله. والله أعلم. مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب (٣٦) (الدليل من قال: الصلاة الوسطى صلاة العصر).

وأخرج مسلم عن زيد بن أرقم قال: كنا نتكلم في الصلاة، يكلم الرجل صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت: **﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾** فأمرنا بالسكوت، ونهينا عن الكلام. مسلم. المساجد ومواضع الصلاة (٥) باب (٧) تحريم الكلام في الصلاة.

(١) أخرجه أحمد بن حنبل (٧٥/٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٢٢٥). (٢) البخاري (١٢٠٠)، ومسلم (٥٣٩). (٣) لنافع وابن كثير والكسائي وشعبة. (٤) أي: أربعة أشهر وعشرا. (٥) وتقديره: أحقه. (٦) أي: إلقاء للمخاطب في العجب، ويستفاد من الآية أن المخاطب لم يسبق له علم بتلك القصة قبل نزول الآية. (٧) أي: إلقاها في الشوق؛ لأن ما سبق بعد الطلب أُلْدِمَ مما سبق فلا تعب، وعطف التشويق على العجب من عطف المسبب على السبب. (٨) فيه إشارة إلى أن الرؤية علمية، وضمن الفعل معنى الانتهاء؛ ليصح تعديته بماء إلى؛ أي: ألم ينته علمك إلى كذا. (٩) ذكر المفسر سنة أقوال، أصحابها الثلاثة الأخيرة؛ لأن ألوفاً جمع كثرة، ومبدؤه بعد العشرات. (١٠) لابن كثير. بالتشديد. مع الرفع، ولابن عامر. بالتشديد. مع النصب، ولحمزة والكسائي ونافع وأبي عمرو بالرفع مع التخفيف ومع إثبات الألف، ولعاصم بالنصب مع التحفيف وإثبات الألف.

شَمُولٍ ﴿أَفَتَرَى إِلَىٰ آلِمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ لَهُمْ ائْتِنَا مَلِكًا نُنْقِذَنا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأُتِينَا قِتَالًا كُتِبَ عَلَيْنَاهُمُ الْقِتَالُ فَاذْهَبُوا قَالُوا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ؟ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَّا سَبْطٌ مَّلَكَةٌ وَلَا نَبُوءَةٌ وَكَانَ دُبَاغًا أَوْ رَاعِيًا وَكَانَ يَأْتِي بَنِي إِسْرَءِيلَ يَسْأَلُهُمْ عَلَىٰ إِقَامَةِ الْمُلْكِ قَالَ النَّبِيُّ لَهُمْ: إِنْ اللَّهَ امْتَحَنَهُ خِيارَهُ لَمَلِكٌ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً سَعَةً فِي أَوَّلِهِمْ وَالْآخِرِ وَكَانَ أَعْلَمُ بَنِي إِسْرَءِيلَ يَوْمَئِذٍ وَأَجْمَلُهُمْ وَأَتْمَمَهُمْ خَلْقًا وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ إِنِّي إِنياءُ لاَ اعترض عليه ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهل له.

﴿٢٤٨﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ: لِمَا طَلَبُوا مِنْهُ آيَةً عَلَىٰ مَلِكِهِ: ﴿إِنْ آيَةٌ مِّنْهُ مَأْكُودٌ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ الصندوق، كان فيه صور الأنبياء، أنزله على آدم واستمر إليهم؛ فغلبهم العاقلة عليه وأخذوه، وكانوا يستفتحون به على عدوهم، ويقدمونه في القتال، ويسكنون إليه<sup>(١)</sup>؛ كما قال - تعالى -: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ لِّطَمَآنِهِ لِقُلُوبِكُمْ وَزَيْنَ رِّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ وَهِيَ تَعْلَا مُوسَىٰ وَعَصَاهُ وَعِمَامَةُ هَارُونَ وَفَقِيرٌ مِّنَ الْمَرْءِ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ، وَرَضًا<sup>(٢)</sup>﴾ من الألواح ﴿تَحْمِلُهَا الْمَلَائِكَةُ﴾ حال من فاعل ﴿يَأْتِيَكُمُ﴾ ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُم﴾ على ملكه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ فحملته الملائكة بين السماء والأرض، وهم ينظرون إليه حتى وضعت عند طالوت؛ فأقروا بملكه وتسارعوا إلى الجهاد؛ فاختر من شبابهم سبعين ألفًا.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ لَهُمْ ائْتِنَا مَلِكًا نُنْقِذَنا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأُتِينَا قِتَالًا كُتِبَ عَلَيْنَاهُمُ الْقِتَالُ فَاذْهَبُوا قَالُوا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٨﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٩﴾

﴿فِيضَعُهُ﴾ بالتشديد ﴿لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمائة - كما سيأتي - ﴿وَاللَّهُ يَخْتِمْ﴾ يمسك الرزق عن يشاء ابتلاء ﴿وَيُضَيِّطُ﴾ يوسع له يشاء امتحانًا ﴿وَلِأَيِّهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة بالبعث؛ فيجازيكم بأعمالكم<sup>(٣)</sup>.

﴿٢٤٦﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِكِ﴾ الجماعة ﴿مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ أي: إلى قصتهم وخبرهم ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ لَهُمْ﴾ هو:

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿إِنْ تَنَالُوا الْيَوْمَ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ و﴿مَنْ كَا الْيَوْمَ يُقْرِضَ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال أبو طلحة: يا رسول الله، وحاطني الذي كان يمكان كنا وكذا، والله لو استطعت أن أسرها لم أعلنها، قال: «راجع في قراءة أمك أحمد - المسند (٤١/٣) وأصله في الصحيحين مطولاً، وسيأتي في سورة آل عمران، الآية (٩٢)، وانظر رواية الترمذي عند الآية (١١) من سورة الحديد.

(١) أي بفتح السين وكسرها، والكسر قراءة نافع.

(٢) أي السبي المذكور في الآية السابقة.

(٣) الكلام عن التابوت وحيثه وتوارثه... إلخ لم يثبت فيه شيء عن النبي ﷺ وإنما هذه من أخبار بني إسرائيل التي نقلها إلينا مسلمة أهل الكتاب، وحملها عنهم بعض انصحابه والتابعين، ومرجعها إلى وهب بن منبه، وكعب الأحبار، وأمثالهما، والإسرائيليات على ثلاثة أقسام: الأول: ما علم صحته بالنقل الصحيح، أو كان له شاهد من الشرع يؤيده؛ فهذا صحيح مقبول، الثاني: ما علم كذبه من شرعنا أو كان لا يتفق مع العقل؛ فهذا لا يصح قبوله ولا روايته، الثالث: ما سكت عنه؛ لا هو من قبيح الأول، ولا قبيح الثاني؛ فهذا نتوقف فيه لا نكذبه ولا نصدق.

(٤) وضايف (بضم الراء): أي فئات.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ  
 بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ  
 فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ  
 إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا  
 مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ  
 قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَمَنْ فَعَرَ  
 قَلِيلَةً عَلَيَّ فَتَةً كَثِيرَةً يَا ذِئْبُ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ  
 الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا  
 رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامنا وَأَنْصُرْنَا  
 عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ  
 وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ  
 وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ  
 بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو  
 فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا  
 عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

[٢٤٩] ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ من بيت المقدس، وكان حراً شديداً وطلبوا منه الماء ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾ مختبركم ﴿بِنَهَرٍ﴾ ليظهر المطيع منكم والعاصي؛ وهو: بين الأردن وفلسطين ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾ أي: من مائه ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي: من أتباعي ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ يذقه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ بالفتح والضم (١) ﴿بِيَدِهِ﴾ فاشتفى بها ولم يزد عليها؛ فإنه مني ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ لما وافوه بكثرة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ فاقصروا على الغرقة، روي أنها كفتهم بشرهم ودوابهم، وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ وهم الذين اقتصروا على الغرقة ﴿قَالُوا﴾ أي الذين شربوا (٢) ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي: بقتالهم، وجنوا ولم يجاوزوه ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ﴿أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا اللَّهَ﴾ بالبعث؛ وهم: الذين جاوزوه: ﴿كَمَنْ فَعَرَ قَلِيلَةً عَلَيَّ فَتَةً كَثِيرَةً﴾ خبرية، بمعنى: كثير ﴿وَمِنْ فَتَةٍ﴾ جماعة ﴿قِيلَ عَلَيَّ فَتَةً كَثِيرَةً﴾ بِإِذْنِ اللَّهِ بِإِرادته ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالعون والنصر.

[٢٥٠] ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي: ظهوروا لقتالهم وتصافوا ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ أي: اصب ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامنا﴾ بتقوية قلوبنا على الجهاد ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[٢٥١] ﴿فَهَزَمُوهُمْ كَسَرُوهُمْ﴾ بِإِذْنِ اللَّهِ بِإِرادته ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ﴾ وكان في عسكر طالوت ﴿جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ في بني إسرائيل ﴿النَّبِيُّ﴾ بعد موت شمويل وطالوت، ولم يجتمعا لأحد قبله ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ كصناعة الدروع، ومنطق الطير ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ﴾ بدل، بعض من الناس ﴿بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخریب المساجد ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فدفع بعضهم ببعض.

[٢٥٢] ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿وَأَنْتَ اللَّهُ تَتْلُوهَا﴾ نقصها ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿يَا حَقُّ﴾ بالصدق ﴿وَأَنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ التأكيد «إن» وغيرهارد لقول الكفار له: ﴿كُنْتَ مُرْسَلًا﴾ (٣).

(١) أي: فتح العين وضمها، والفتح قراءة لنرفع وابن كثير وأبي عمرو. وقرأ الباقون بالضم.

(٢) أي: العصاة، وعلى هذا التفسير يكون قولهم تبرزوا لنكولهم، وأكثر المفسرين على أنهم قالوا هذا القول بعدما عبروا النهر مع طالوت ورأوا جالوت وجنوده، وبعض المفسرين - ومنهم المصنف - أن العصاة لم يعبروا النهر، بل وقفوا بساحله وقالوا معتذرين عن التضلل منادين ومسمعين لطالوت والمؤمنين معه: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ﴾ الآية؛ ولذا قال المصنف: ... وجنوا ولم يجاوزوه. ويحتمل أن يكون القائلون هم طائفة ممن عبروا مع طالوت ولم يشربوا من النهر، ولكن حصل معهم نوع استضعاف لأنفسهم فتجمعهم على الثبات والإقدام أهل الإيمان الكامل واليقين الراسخ.

(٣) الرعد: ٤٣.



اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُهُم مِّنَ  
النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ  
أَنَآتَهُ اللَّهُ الْمَلَكُ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي  
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي  
بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي  
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ لَّآلِ  
مَرِّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي  
هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ  
وَقَالَ كَمْ لَيْتَ قَالَ لَيْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ  
لَيْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ  
وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَنُظِّلَ إِلَى  
الْعِطَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا الْحَمَامَ فَلَمَّا  
تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

[٢٥٧] «اللَّهُ وَلِيُّ» ناصر ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾  
الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾  
يُخْرِجُهُم مِّنَ النَّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ذكر الإخراج؛ إما في مقابلة قوله:  
﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾، أو في كُلِّ مَنْ آمَنَ بالنبي قُتِلَ بعثته من اليهود ثم  
كَفَرُ بِهِ<sup>(١)</sup> ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢٥٨] «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ» جَادَلَ ﴿إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ لَدَى<sup>(٢)</sup> «أَنَآتَهُ  
اللَّهُ الْمَلَكُ» أي: حَمَلَهُ نَظَرُهُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ؛ وهو: النمرود  
﴿إِذْ﴾ بدلٌ من ﴿حَاجَّ﴾<sup>(٣)</sup> «قَالَ إِبْرَاهِيمُ» لَمَّا قَالَ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ الَّذِي  
تَدْعُونِي إِلَيْهِ؟: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: يخلق الحياة والموت في  
الأجساد «قَالَ هُوَ: أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ» بالقتل والعفو عنه؛ ودعا  
برجلين، فقتل أحدهما، وترك الآخر، فلما رآه عِيَا<sup>(٤)</sup> «قَالَ إِبْرَاهِيمُ» منتقلاً  
إلى حجة أوضح منها: «فَلَمَّا قَالَ اللَّهُ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا»  
أنت «مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ» تَحَيَّرَ وَدُهَشَ «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي  
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» بالكفر إلى محبة الاحتجاج.

[٢٥٩] «أَوَلَمْ يَكُنْ لَّآلِ» رَأَيْتَ<sup>(٥)</sup> «كَالَّذِي» الكاف زائدة «مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ»  
هي بيت المقدس<sup>(٦)</sup>، راكبا على حمار، ومعه سلة تين وقدح عصير؛ وهو:  
عزير<sup>(٧)</sup> «وَهِيَ خَاوِيَةٌ» ساقطة «عَلَى عُرُوشِهَا» سقطوها لما خَرَّتْهَا  
«بِخَنَصَرٍ»<sup>(٨)</sup> «قَالَ أَنَّى» كيف<sup>(٩)</sup> «يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا؟»  
استعظاماً لقدرته - تعالى<sup>(١٠)</sup> - «فَأَمَاتَهُ اللَّهُ» وَأَلْبَنَتْ «مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ»  
أحياء ليريه كيفية ذلك «قَالَ» - تعالى - له: «كَمْ لَيْتَ» مكنت هنا؟  
«قَالَ لَيْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ» لأنه نَامَ أَوَّلَ النَّهَارِ، فقبض، وأحيى عند  
الغروب؛ فظن أنه يوم النوم «قَالَ بَلْ لَيْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى  
طَعَامِكَ» التين «وَشَرَابِكَ» العصير «لَمْ يَتَسَنَّهْ» لم يتغير مع طول  
الزمان، والبهاء؛ قيل: أصل من «سَأْنَهَتْ»<sup>(١١)</sup>، وقيل للسكت من  
«سَأْنَيْتَ»<sup>(١٢)</sup>، وفي قراءة: بحذفها<sup>(١٣)</sup> «وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ» كيف هو؛  
فَرَأَهُ مِيتًا وعظامه بيض تلوح! فَعَلَّمَ ذَلِكَ لتعلم «وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً» على  
البعث «لِّلنَّاسِ» وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِطَامِ من حِمَارِكَ «كَيْفَ  
نُنْشِرُهَا» نَحْيِيهَا<sup>(١٤)</sup> بضم النون، وقرئ: بفتحها<sup>(١٥)</sup> من «أنشر، ونشر»

لغتان<sup>(١٦)</sup>، وفي قراءة: بضمها، والزاي<sup>(١٧)</sup>؛ نحرهما ونرفعها<sup>(١٨)</sup> «ثُمَّ  
نَكْسُوهَا الْحَمَامَ» فنظر إليه وقد تركت وكسيت لحمًا ونفخ فيه الروح وَنَهَقَ  
«فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ» ذَلِكَ بِالْمُشَاهَدَةِ «قَالَ أَعْلَمْتُ» علم مشاهدة «أَنَّ اللَّهَ  
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» وفي قراءة: «أَعْلَمْتُ»<sup>(١٩)</sup> أمر من الله به.

(١) قوله: «ذكر الإخراج... إلخ» جواب عن سؤال مقدر حاصله: أن الكفار لم يكونوا في نور حتى يخرجوا منه إلى الظلمات، فكيف ذلك؟ أجاب المفسر بجوابين، الأول: أنه مشاكلة لما قبله، والمراد  
منهم من أصل النور، والثاني: أنه إخراج حقيقي، وهو في كل من آمن بالنبي ﷺ قبل موته ثم ارتد بعد ذلك (٢) أي: إن قوله: «أَنَآتَهُ اللَّهُ الْمَلَكُ» مفعول لأجله، وهو سحرور  
باللام لفقد أحد شروطه؛ وهو: عدم اتحاد الفاعل؛ لأن فاعل المحاجة هو النمرود، وفاعل إتياء الملك هو الله، وإنما حذف اللام لأن حذفها مطرد مع «أَن» و«إِنَّ» (٣) أي: بدل استئصال.  
(٤) حيث لم يفهم معنى الكلام؛ لأن معنى: «يُحْيِي وَيُمِيتُ»: يخلق الحياة والموت، وما أجاب به اللعين ليس فيه خلق لهما كما هو ظاهر؛ ومن ثم فلم يلق عليه إبراهيم في ذلك وانتقل إلى حجة  
أخرى أظهر.

(٥) أشار بهذا إلى أن «كَالَّذِي» معمول لحذف يدل عليه السياق، وبه قال بعضهم، لكن من قال به يجعل الكاف اسماً بمعنى «مثل» لا زائدة. أما من جعلها زائدة جعل مدحولها مَقْطُوعًا على  
الموصول ولا يكون في الكلام حذف عامر، فُلِقَ الشارح بين القولين على وجه أوجب صعوبة الفهم. (٦) وقيل: هي القرية التي خرج منها الألو ف حذر الموت. وقيل: غيرها.  
(٧) وهذا هو القول المشهور، وقيل: غير ذلك، وصحح البعض أنه رجل شاك في البعث، كما هو ظاهر الآية... ولعله الأقرب من هذه الحادثة والتي قبلها كدليلين عظيمين على قدرة الله، وعلى  
البعث، ولا فائدة في الاشتغال بتعيين ما أبهمه الله في كتابه، والله أعلم.

(٨) «بخت»: معناه: ابن، و«نخر»: اسم للصم؛ سمي بذلك لأن أمه لما ولدته وضعت عنده، فلما وجدته قالوا: بختنصر. أي: ابن الصم، وكان كافراً مَلَكَ الأرض مشرقاً ومغرباً.  
(٩) وقيل: بمعنى: متى. (١٠) أي: لا يقدر على ذلك إلا صاحب القدرة العظيمة.

(١١) أي: فهي لام الكلمة، والفعل مجزوم بسكون الهاء، فأصل سنة: سنهية، وهي ثابته وصلًا ووقفًا.

(١٢) أي: فهي زائدة، والام الكلمة واو، والفعل مجزوم بحذف حرف العلة، وثبت الهاء في الوقف لا في الوصل، وهي قراءة حمزة والكسائي.

(١٣) أي: وصلًا، وظاهره أنها قراءة مستقلة وليس كذلك؛ وإنما هي بقية قراءة حمزة والكسائي، فهي عندهما ثبتت وفقًا وتحذف وصلًا.

(١٤) هذا التفسير لا يلزم مع قوله بعدها: «ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا»، فإن الإحياء قبله لا بعده، ويمكن أن يراد بالإحياء جمعها وضم بعضها إلى بعض، وهو معنى قراءة الزاي المعجمة.

(١٥) وهي قراءة شاذة. (١٦) لف ونشر مرتب؛ أي: نُشْرُهَا من أنشر، ونُشْرُهَا من نشر. (١٧) وبها قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي، والباقون بالراء.

(١٨) أي: نرفعها من الأرض وتردها إلى مكانها من الجسد وتركب بعضها على بعض. (١٩) حمزة والكسائي.

وضمها<sup>(١)</sup>؛ أمهلن<sup>(٢)</sup> إليك وقطعن واخلط لحمهن وريشهن ﴿ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ أَرْضِكَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَبِّ زَيْتُونَةٍ﴾ إليك ﴿يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا﴾ سريعًا ﴿وَأَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعيه؛ فأخذ طاووسًا ونسرا وغرابًا وديكًا<sup>(٣)</sup> وفعل بهن ما ذكر، وأمسك رعو سهن عنده ودعاهن؛ فطارت الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملت، ثم أقبلت إلى رعو سهن.

[٢٦١] ﴿مَثَلُ﴾ ﴿مَثَلُ﴾ صفة نفقات<sup>(٤)</sup> ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبًّا﴾ فكذلك نفقاتهم تضاعف لسبعائة ضعف ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ﴾ أكثر من ذلك ﴿لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾<sup>(٥)</sup> فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق المضاعفة.

[٢٦٢] ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا﴾ على المنفق عليه؛ بقولهم - مثلاً -: «قد أحسننا إليه وحجرت حاله» ﴿وَلَا أَذَى﴾ له يذكر ذلك إلى من لا يحب وقوفه عليه ونحوه ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثواب إنفاقهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ في الآخرة.

[٢٦٣] ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ كلام حسن، وَرَدٌّ على السائل جميل ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ له في إلحاحه ﴿خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى﴾ بالمعنى وتغيير له بالسؤال ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ عن صدقة العباد ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن المأذون والمؤذي.

[٢٦٤] ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُلْغُوا صَدَقَتَكُمْ﴾ أي: أجورها ﴿بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ إبطالاً ﴿كَالَّذِي﴾ أي: كإبطال نفقة الذي ﴿يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾ مراثيا لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هو المنافق ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ حجر أملس ﴿عَلَيْهِ ثَرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ﴾ مطر شديد ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ صلباً أملس لا شيء عليه ﴿لَا يَبْقَدُونَ﴾ استئناف<sup>(٦)</sup> لبيان مثلي المنافق المنفي رثاء الناس؛ وجمع الضمير باعتبار معنى «الذي» ﴿عَلَى شَيْءٍ وَمَا كَسَبُوا﴾ عملوا؛ أي: لا يجدون له ثواباً في الآخرة؛ كما لا يوجد على الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه لإذهاب المطر له ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنْزِلُ الْمَوْتَّ قَالَ أُولَئِكَ ثُبُورٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِّيُظْمِنَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْأً ثُمَّ آدُغُهُنَّ بِأَيْتِنِكَ سَعْيًا وَأَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦١﴾ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٢﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٣﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَلِيمٌ ﴿٢٦٤﴾ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُلْغُوا صَدَقَتَكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَبْقَدُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٥﴾

[٢٦٥] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنْزِلُ الْمَوْتَّ﴾ قَالَ ﴿تَعَالَىٰ﴾ - له: ﴿أُولَئِكَ ثُبُورٌ﴾ بقدرتي على الإحياء؛ سأله مع علمه بإيمانه بذلك؛ ليجيبه بما سأل؛ فيعلم السامعون غرضه ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ آمنت ﴿وَلَٰكِنْ﴾ سألتك ﴿لِيُظْمِنَ﴾ يسكن ﴿قَلْبِي﴾ بالمعينة المضمومة إلى الاستدلال ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ﴾ إِلَيْكَ ﴿بَكْسِرُ الصَّادِ﴾

(١) بالكسر قراءة حمزة وقرأ بقية السبعة بالضم.

(٢) تفسير للفعل على كل من القراءتين، وأمره بإماليهن إليه؛ أي: تقريرهن منه ليتحقق أوصافهن، حتى يعلم بعد الإحياء أنه لم ينتقل جزء منها عن موضعه الأول أصلاً.

(٣) ولم يرد تحديدهن وتعيينهن في شيء من الأخبار الصحيحة الثابتة، فالأولى الاقتصار على إطلاق القرآن دون تعيين.

(٤) لابد من تقدير مضاف في أحد الجانبين؛ أي: مثل نفقتهم كمثل حبة، أو مثلهم كمثل باذر حبة، والشارح سلك الأول.

(٥) غني يعطي عن سعة.

(٦) الجملة استئناف مبني على السؤال؛ كأنه قيل: فماذا يكون ما لهم حينئذ؟ فقيل: لا يقدرون... إلخ.



﴿أَيُّ نَعْمَ شَيْئًا إِبْدَاؤُهُ﴾ وَإِنْ تُخَفُّوهُمَا تَسْرُوهُمَا ﴿وَتُؤْتُوهُمَا آلَافَ قَرَّاءَةٍ فَيُؤْخِرُ لَكُمْ﴾ مِنْ إِبْدَائِهَا وَإِنِّي أَخْبَرُكُمْ أَنَّهَا صَدَقَةُ الْفَرِضِ فَلَا أَفْضَلَ إِظْهَارَهَا لِيُقْتَدَى بِهِ، وَلَوْلَا بَيْتُهُمْ، وَإِنِّي أَخْبَرُكُمْ أَنَّهَا صَدَقَةُ الْفَرِضِ فَلَا أَفْضَلَ وَالنُّونُ (١)؛ مَجْزُومًا بِالْعَطْفِ عَلَى مَحَلِّ ﴿فَهُوَ﴾ (٢) وَمَرْفُوعًا عَلَى الْاسْتِنْفَافِ ﴿عَنْكُمْ مِنْ﴾ بَعْضُ ﴿سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ عَالَمٌ بِبَاطِنِهِ كَظَاهِرِهِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ. وَلَمَّا مَنَعَ ﴿لَكُمْ﴾ مِنَ الصَّدَقِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ لِيَسْلُمُوا، نَزَلَ: [٢٧٢] ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدًى﴾ أَيُّ: النَّاسُ إِلَى الدَّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هِدَايَتُهُ إِلَى الدَّخُولِ فِيهِ ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ مَالٍ ﴿فَلَا تُؤْخِرُكُمْ﴾ لَأَنَّ ثَوَابَهُ لَهَا ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ (٣) أَيُّ: ثَوَابُهُ (٤) لَا غَيْرَهُ مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا، خَيْرٌ بِمَعْنَى النِّهْيِ (٥) ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جَزَاؤُهُ ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَنْظُرُونَ﴾ تَقْصُونَ مِنْهُ شَيْئًا، وَالْجَمْلَتَانِ (٦) تَأْكِيدٌ لِلأُولَى (٧).

[٢٧٣] ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ خَيْرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ؛ أَيُّ: الصَّدَقَاتِ ﴿الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أَيُّ: حَسَبُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْجِهَادِ، نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ وَهُمْ: أَرْبَعُمِائَةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أُرْضِدُوا لِتَعْلَمَ الْقُرْآنَ وَالْخُرُوجَ مَعَ السَّرِيَا ﴿لَا يَسْأَلُونَ صَرَفًا﴾ سَفَرًا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ لِلتَّجَارَةِ وَالْمَعَاشِ لِيُشْغَلُوا عَنْهُ بِالْجِهَادِ ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ (٨) أَيُّ: لَتَعْفِفَهُمْ عَنِ السُّؤَالِ وَتَرْكُهُ ﴿تَعْرِفُهُمْ﴾ يَا مُخَاطَبِي (٩) ﴿يَسْأَلُونَ﴾ عِلَامَتُهُمْ مِنَ التَّوَاضُعِ وَأَثَرِ الْجُهْدِ ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ﴾ شَيْئًا فَيَحْفَظُونَ ﴿إِلْحَافًا﴾ (١٠) أَيُّ: لَا سُّؤَالَ لَهُمْ أَصْلًا؛ فَلَا يَقَعُ مِنْهُمْ إِلْحَافٌ، وَهُوَ: الْإِلْحَافُ ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ مُجَازٌ عَلَيْهِ.

[٢٧٤] ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالْكَهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٦﴾ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهُمَا آلَافَ قَرَّاءَةٍ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿٧٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدًى وَلَا كُنْ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا يُفْسِدْكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَنْظُرُونَ ﴿٧٨﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالْكَهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٨٠﴾

[٢٧٥] ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَوَقِّتُمْ بِهِ﴾ فَإِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ ﴿فِيَا زَيْدُ﴾ وَمَا لِلظَّالِمِينَ ﴿بِمَنْعِ الزَّكَاةِ وَالنَّذْرِ﴾ أَوْ بِوَضْعِ الْإِنْفَاقِ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ مَانِعِينَ لَهُمْ مِنْ عَذَابِهِ.

[٢٧٦] ﴿إِنْ تُبْدُوا﴾ تَظْهِرُوا ﴿الصَّدَقَاتِ﴾ أَيُّ: النَّوَافِلِ ﴿فَنِعِمَّا

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة واللقمتان، وإنما المسكين الذي يتعفف، اقرءوا إن شئتم. يعني قوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة البقرة (٢) باب (٤٨). وأخرجه مسلم - كتاب الزكاة (١٢) باب (٣٤) المسكين الذي لا يجد غنى، ولا يفتن له، فيتصدق عليه.

(١) بالنون مع الجزم قراءة نافع وحزمة والكسائي، والنون مع الرفع قراءة ابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ ابن عامر وحفص بالباء ورفع الراء.

(٢) أي: مع خبره ومحلله جزم لوقوعه جواب الشرط.

(٣) وفيها إثبات صفة الوجه لله - سبحانه - على الوجه اللاتقي به.

(٤) قال ابن القيم: إن محله - أي الوجه - على الثواب المنفصل من أبطل الباطل؛ فإن اللغة لا تحمل ذلك، ولا يعرف أن الجزاء يسمى وجهًا للمجازي، كما أن الثواب مخلوق، فقد صح عنه ﷺ أنه استعاذ بوجه الله فقال: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَنْ تُضِلَّنِي...» [رواه أبو داود وغيره]، ولا يظن برسول الله ﷺ أن يستعذ بمخلوق... [المسرون بين الإثبات والتأويل (٢/ ٣٥٩، ٣٦٠)] تصرف.

(٥) أي: لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله.

(٦) أي: قوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَنْظُرُونَ﴾.

(٧) أي: للشرطية الأولى، وهي: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَوَاشِيَكُمْ﴾.

(٨) نكرة غير مقصودة للإشارة إلى أن حالهم ظهر لكل أحد.

(٩) مفعول مطلق عامله محذوف كما قدره المفسر، ويصح أن يكون مفعولاً لأجله؛ أي: لا يسألون لأجل الإلحاف، ويصح أن يكون حالاً؛ أي: مصدرًا من موضع الحال تقديره: لا يسألون ملحقين.



[٢٧٥] ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّبَعَهَا فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُغْزِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup> يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا بِقَبْضِهِ وَيُغْزِي الصَّدَقَاتِ بِزَيْدِهَا وَيُنْمِيهَا وَيُضَاعِفُ ثَوَابَهَا ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup> فاجر بأكمله أي: بعاقيه<sup>(٤)</sup>.

[٢٧٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٥)</sup>

[٢٧٧] ﴿يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّقُوا اللَّهَ وَذُرُّوا﴾<sup>(٦)</sup> اتركوا ﴿مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٧)</sup> صادقين في إيمانكم، فإن من شأن المؤمن امتثال أمر الله تعالى، نزلت لما عالت بعض الصحابة بغد النهي ربما كان لهم من قبل.

[٢٧٨] ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا مَا أَمَرْتُ بِهِ فَاعْمَلُوا﴾<sup>(٨)</sup> اعلموا ﴿يَحْرِبُ يَنْ أَلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾<sup>(٩)</sup> لكم، فيه تهديد شديد لهم، لما نزلت قالوا: «لا يذني» لنا بحربه ﴿إِنْ تَبَيَّنَ رَجَعْتَ عَنْهُ﴾<sup>(١٠)</sup> فلكم رؤوس ﴿أَصُولُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَزِيدُكُمْ زِيَادَةً﴾<sup>(١١)</sup> ولا تظلمون ﴿بِنَقْصِ﴾<sup>(١٢)</sup>

[٢٨٠] ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَقَعٌ غَرِيمٌ﴾<sup>(١٣)</sup> غريم ﴿ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ لَهُ﴾<sup>(١٤)</sup> له أي: عليكم تأخيره ﴿إِلَى مِيسَرَةٍ﴾<sup>(١٥)</sup> بفتح السين وضمها ﴿أَي: وَقْتُ يَسْرِ وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾<sup>(١٦)</sup> بالتشديد على إدغام التاء في الألف في الصاد، وبالتخفيف على حذفها<sup>(١٧)</sup> أي: تصدقوا على المعسر بالإبراء<sup>(١٨)</sup> ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١٩)</sup> أنه خير فافعلوه، وفي الحديث: «مَنْ أَنْظَرَ مُغْسِرًا أَوْ وَضَعَ غَنَةً أَظْلَمَ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»<sup>(٢٠)</sup> [رواه مسلم].

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٥٠).

وأخرج أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزلت الآيات من سورة البقرة في الربا خرج النبي ﷺ إلى المسجد فقرأهن على الناس، ثم حرم تجارة الخمر. البخاري - كتاب الصلاة (٨) باب (٣٧) حرم تجارة الخمر في المسجد.

(١) وهو ربا الفضل ولا يكون إلا عند اتحاد الجنس.

(٢) وهو ربا النساء، ويكون في متحد الجنس ومختلفه، وهو البيع مع تأجيل العوضين أو أحدهما.

(٣) فيها إثبات صفة الحق له ﷻ على الوجه اللائق به - سبحانه - وعلى ما تقتضيه الحكمة البالغة.

(٤) وهذا التأويل هو مذهب الأشاعرة ينفونها بدعوى أنها توهم نقضاً؛ فيرجعونها إلى معنى إرادة الثواب والعقاب، ومذهب السلف إثباتها على الحقيقة على الوجه اللائق به - سبحانه - دون أن يقتضي ذلك عندهم نقضاً ولا تشبيهاً، كما يثبتون لازم الحجة وهو الإكرام والإثابة، ولزام ضدها وهو الإهانة والعقاب، أما المعتزلة؛ فلأنهم لا يثبتون إرادة قائمة به فيفسرون الحجة بأنها نفس الثواب الواجب عندهم على الله، وضدها بالعقاب الواجب عندهم على الله؛ بناء على مذهبهم في وجوب إثابة المطيع وعقاب العاصي.

(٥) بصيغة الإفراد في نسخة، وفي أكثر النسخ بصيغة التثنية «لا يذني» وحذفت النون تخفيفاً؛ والمعنى على كل من النسخين: لا قدرة ولا طاقة لنا.

(٦) أشار بذلك إلى أن «كان» تامة، و«ذو» ناعلة، وهو الأقرب، ويصح كونها ناقصة و«ذو» اسمها، وخبرها محذوف تقديره: غريماً لكم.

(٧) بالضم قراءة نافع.

(٨) والتشديد قراءة السبعة عدا عاصم.

(٩) من كل الذين أو بعضه.

(١٠) مسلم (٣٠٠٦).

(١١) أي: «تَزِيدُكُمْ»، وهي قراءة أبي عمرو.

[٢٨١] ﴿وَأَقْفُوا يَوْمَ تُرْجَعُونَ﴾<sup>(١)</sup> بالبناء للمفعول: تردون، وللفاعل: تسيرون<sup>(٢)</sup> ﴿يَوْمَ إِلَى اللَّهِ﴾<sup>(٣)</sup> هو يوم القيامة ﴿ثُمَّ تَوَفَّى﴾<sup>(٤)</sup> فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾<sup>(٥)</sup> جزاء ﴿مَا كَسَبَتْ﴾<sup>(٦)</sup> عملت من خير وشر ﴿وَهُمْ لَا يُلْطَفُونَ﴾<sup>(٧)</sup> بنقص حسنة أو زيادة سيئة.

الكتاب ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ الدُّنْيُ لأنه المشهود عليه، فيقر ليعلم ما عليه ﴿وَرَبِّيَ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ في إملائه ﴿وَلَا يَبْحَسُ﴾ ينقص ﴿بَيْنَهُ﴾ أي: الحق ﴿سَهْقًا﴾ فإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَهْقًا مبدراً ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ عن الإملاء ليصغر أو كبير ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعِلَّ هُوَ﴾ لجزس أو جهل باللغة أو نحو ذلك ﴿فَلْيُعِلَّ وَلِيُّهُ﴾ متولي أمره من الولد ووصي وقِيم ومُتَزَجِم ﴿يَالْعَدْلُ﴾ واستشهدوا ﴿أشهدوا على الدين﴾ شهدين ﴿شاهدين﴾ من رجالكم ﴿أي: بالي المسلمين الأحرار﴾ فإن لَمْ يَكُونَا ﴿أي: الشاهدان﴾ رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأَمْرَانِ ﴿بشهودن﴾ ومَنْ رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ ﴿ليدينه وعدائيه﴾ وتعدد النساء لأجل ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ تنسى ﴿إِخْدَتُهَا﴾ الشهادة لنقص عقلمن وضبطهن ﴿فَقَدْ كَرِهَ﴾ بالتخفيف والتشديد <sup>(١)</sup> ﴿إِخْدَتُهَا﴾ الذاكرة ﴿الْأُخْرَى﴾ الناسية، وجملة الإذكار محل العلة؛ أي: لتذكر إن ضلت ودخلت على الضلال؛ لأنه سببه <sup>(٢)</sup>، وفي قراءة: بكسر <sup>(٣)</sup> ﴿أَنْ﴾ شرطية، ورفع ﴿تذكر﴾ <sup>(٤)</sup> استئناف <sup>(٥)</sup>، جوابه: ﴿وَلَا يَأْتِ الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا زَالَتْ دُعَاؤُهُ﴾ إلى تحمل الشهادة وأدائها ﴿وَلَا تَسْمَعُ﴾ تملوا من ﴿أَنْ تَكْذِبُوهُ﴾ أي: ما شهدتم عليه من الحق لكثرة وقوع ذلك ﴿سَهْقًا﴾ كان ﴿أَوْ كَبِيرًا﴾ قليلاً أو كثيراً ﴿إِلَّا أَجْلِيَّةً﴾ وقت حلوله، حال من الهاء في ﴿تَكْذِبُوهُ﴾ <sup>(٦)</sup> ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الكُتُبُ أَفْسَطُ أعدل ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ أي: أعون على إقامتها؛ لأنه يذكرها ﴿وَأَدَقُّ﴾ أقرب إلى ﴿أَنْ﴾ ن ﴿لَا تَرْتَابُوا﴾ تشكوا في قدر الحق والأجل ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونُوا﴾ تقع ﴿بِجَزْءٍ خَاصَّةٍ﴾ <sup>(٧)</sup> في قراءة: بالنصب، فـ ﴿تَكُونُ﴾ ناقصة، واسمها ضمير «التجارة» <sup>(٨)</sup> ﴿تُحْبِرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ أي: تقيضونها ولا أجل فيها ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَنْ﴾ ن ﴿لَا تَكْذِبُوا﴾ المراد بها المتجر فيه ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ عليه؛ فإنه أدفع للاختلاف، وهذا وما قبله أمر نذير ﴿وَلَا يُضَارُّكُمْ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ صاحب الحق ومن عليه؛ بتحريف أو امتناع من الشهادة أو الكتابة، ولا يضرهما صاحب الحق بتكليفها ما لا يليق في الكتابة <sup>(٩)</sup> والشهادة ﴿وَأِنْ تَقْعَلُوا﴾ ما نهيتهم عنه ﴿فَلَيْتُمْ سُوءًا﴾ خروج عن الطاعة لاحق ﴿بِكُمْ﴾ وَأَنْشَأُوا اللَّهَ في أمره ونهيه ﴿وَيُعَذِّبُكُمْ اللَّهُ﴾ مصالح أموركم، حال مقدرة، أو مستأنف <sup>(١٠)</sup> ﴿وَأَنَّه بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بَيْنِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَآكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتْلِ اللَّهُ رَبُّهُ وَلَا يَبْحَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْب الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْذِبُوا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِمْ ذَٰلِكُمْ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارُّكُمْ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَقْعَلُوا فَايَأْتَهُ وَفُسُقُوا بِكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

[٢٨٢] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾ تعاملتم ﴿بَيْنِي﴾ كُتِلْمَ وقرض ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ معلوم ﴿فَآكْتُبُوهُ﴾ استئنافاً، ودفعاً للنزاع <sup>(١)</sup> ﴿وَلْيَكْتُبْ﴾ كِتَابَ الدِّينِ ﴿بَيْنَكُمْ﴾ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ بالحق في كتابته لا يَرِيدُ في المال والأجل ولا يَبْحَسُ ﴿وَلَا يَأْب﴾ يمنع ﴿كَاتِبٌ﴾ من ﴿أَنْ يَكْتُبَ﴾ إذا دُعِيَ إليها ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ أي: فضلة بالكتابة؛ فلا يخل بها، والكاف متعلقة بـ ﴿يَأْب﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ تأكيد ﴿وَلْيُمْلِلْ﴾ يُعِلُّ

(١) أشار بذلك إلى أن الأمر في الآية للإرشاد لا للوجوب، وهو مذهب الجمهور.

(٢) عبارة غير المفسر: متعلقة بـ ﴿وَلَا يَأْب﴾ وهي الصواب؛ لأن التعلق المذكور على وجه التعليل للهي عن الإباء؛ أي يحرم عليه الإباء المذكور؛ أي الامتناع من الكتابة؛ لأجل تعليم الله - تعالى - إياها؛ فيجب عليه أن يذللها كما أمره الله - تعالى - ولا يخل بها؛ فالكاف للتعليل، و«ما» مصدرية، والهاء للكتاب.

(٣) بالتخفيف قراءة ابن كثير وأبي عمرو، ولازمة سكنو المذال، فتكون: ﴿فَقَدْ كَرِهَ﴾، قال البعض: من «الذكر» الذي هو ضد الأنثى؛ والمعنى: إن المرأة الثانية إذا شهدت مع الأولى ذكرتها؛ أي: جعلتها كالذكر؛ أي: كالجعل الذي لا يحتاج إلى غيره في الشهادة.

(٤) أي: لأن الضلال سبب الإذكار، والإذكار مسبب عنه؛ فنزل منزله؛ ومن شأن العرب إذا كان لليلة علة قدموا ذكر علة العلة، وجعلوا العلة معطوفة عليها بالفاء؛ لنحصل الدلائل من عبارة واحدة، وهذا مما يعول فيه على المعنى ويهجر فيه جانب اللفظ، فلا يرد كيف جعل ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ علة لاستشهاد المرتين بدل رجل مع أن علة إما هي التذكير. [تفسير أبي السعود].

(٥) لحزمة.

(٦) أي: مع التشديد فقط.

(٧) أي: إن أداة الشرط لم تعمل في لفظه، وجملة «فَقَدْ كَرِهَ» خير لبتداء محذوف؛ أي: «فهي تذكر» والجملة في محل جزم جواب الشرط.

(٨) قراءة السبعة عدا عاصم. وقرأ عاصم بالنصب.

(٩) أي: لا تمهلوا الأجل في الكتابة، وإنما تقولون: ثبت كذا مؤحلاً بكذا.

(١٠) أي: اسمها مضمر فيها وتقديره: إلا أن تكون المعاملة أو المباينة أو استجارة.

(١١) مثل أن يأمره بكتابة ما لم يطلع عليه، أو يمنع من إعطائه أجرته له.

(١٢) والأولى الإقتصار عليه؛ لأن جملة حالاً بخلاف القاعدة التحوية: أن الحملة المضاربة المثبتة إذا وقعت حالاً فإن الصمير يلزمها وتخلو من الواو، ولا يصح أيضاً عطفها على جملة: ﴿وَأَنْشَأُوا اللَّهَ﴾؛ لأنه يلزم منه عطف الخبر على الإنشاء.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَهُ﴾<sup>(١)</sup> فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آسِفٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَفْخَفُوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣﴾ أَمَّا الرُّسُلُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَهُ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفِرُّ مِنْ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٥﴾

الزكاة، وقَوْض موضع النجاسة ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قوة ﴿لَنَا بِهِ﴾ من التكليف والبلاء ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ ائتم ذنوبنا ﴿وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ في الرحمة زيادة على المغفرة ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ سيدنا ومتولي أمورنا ﴿فَاصْنُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ إقامة الحجة والغلبة في قتالهم؛ فإن من شأن المولى أن ينصر مواليه على الأعداء، وفي الحديث: «لما نزلت هذه الآية فقرأها ﷺ قيل له عقب كل كلمة: قد فعلت»<sup>(١)</sup> (١١).

[٢٨٣] ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي: مسافرين وتدابيتهم ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ﴾<sup>(١)</sup> وفي قراءة: ﴿فَرِهَان﴾ جمع رهن<sup>(٢)</sup> ﴿مَقْبُوضَهُ﴾ تستوثقون بها، وَيَتَّبِعُ الشُّعْثَةُ جواز الرهن في الحضر ووجود الكاتب، فالتقيد بما ذكر؛ لأن التوثيق فيه أشد<sup>(٣)</sup>، وأفاد قوله: ﴿مَقْبُوضَهُ﴾ اشتراط القبض في الرهن والاكتفاء به من المرتهن ووكيله ﴿وَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: الدائن المدين على حقه فلم يترهن ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ﴾ أي: المدين ﴿أَمْنَتَهُ﴾ دينه ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في أدائه ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ إذا دعيت لإقامتها ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آسِفٌ قَلْبُهُ﴾ خَصَّ بِالذِّكْرِ؛ لأنه محل الشهادة، ولأنه إذا أثم تبعه غيره<sup>(٤)</sup>؛ فيعاقب عليه معاقبة الآثمين ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيء منه. [٢٨٤] ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا﴾ تظهروا ﴿مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من سوء العزم عليه ﴿أَوْ تَخْفَوْهُ﴾ تسروه ﴿يُحَاسِبُكُمْ﴾ يخبركم<sup>(٥)</sup> ﴿بِهِ﴾ أي: الله ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه، والفعلان بالجزم عطف على جواب الشرط، والرفع<sup>(٦)</sup> أي: فهو ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه محاسبتكم وجزاؤكم. [٢٨٥] ﴿أَمَّا الرُّسُلُ﴾ ضِدُّ ﴿الرُّسُولِ﴾ محمد ﷺ ﴿بِمَا أَنْزَلَ إِلَهُ مِنْ رَبِّهِ﴾ من القرآن ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف عليه<sup>(٧)</sup> ﴿كُلٌّ﴾ تنوينه عوض<sup>(٨)</sup> من المضاف إليه ﴿آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾ بالجمع والإفراد<sup>(٩)</sup> ﴿وَرُسُلِهِ﴾ يقولون: ﴿لَا تَفِرُّ مِنْ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض، كما فعل اليهود والنصارى ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾ أي: ما أمرنا به سماع قبول ﴿وَأَطَعْنَا﴾ نسألك ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع بالبعث. ولما نزلت الآية التي قبلها شكها المؤمنون من الوسوسة، وشق عليهم الحامسة بها؛ فنزل: [٢٨٦] ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: ما تسعه قدرتها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من الخير؛ أي: ثوابه ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من الشر؛ أي: وزره، ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد، ولا بما لم يكسبه مما وسوست به نفسه، قولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا بِالْعَاقِبَةِ﴾ إن نسينا أو أخطأنا ﴿تَرْكْنَا الصَّوَابَ لَا عَن عَمْدٍ﴾ كما اتخذت به من قَبْلُنَا، وقد رفع الله ذلك عن هذه الأمة؛ كما ورد في الحديث<sup>(١٠)</sup>، فسأله اعتراف بنعمة الله ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾ أمرا يثقل علينا حمله ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ أي: بني إسرائيل؛ من قتل النفس في التوبة، وإخراج رُئع المال في

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٢٨٤ - ٢٨٦): أخرجه مسلم عن أبي هريرة قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله، كلنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيعها. قال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا، س قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير». قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم ذلت بها أنفسهم فأثرت الله في إثرها: ﴿آمَنَ الرُّسُلُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَهُ مِنْ رَبِّهِ﴾ =

(١) لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة ﴿فرهأن﴾. (٢) أي: كل من ﴿فرهأن﴾ و﴿رهان﴾ جمع ﴿رهن﴾، مثل شَقَف وشَقْف، وكَفَف وكَعَاب. (٣) لأهل العلب في السفر عدم وجود الكاتب ونسيان الدين والعرض للموت، وبيت السنة جواز الرهن في الحضر كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ اشترى طعاما من يهودي ورتقه درهما من حديد. البخاري (٢٠٦٨)، ومسلم (١٦٠٣). (٤) أي: في الإثم، لأنه ملك الأعضاء، إذا ضلَّ صُلِحَ الجسد كله، وإذا قُتِلَ فسد الجسد كله كما في حديث العمان بن بشير في الصحيحين؛ البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩). (٥) قوله: «يخبركم»: جواب عن سؤال وهو: أنه كيف قال في الإخفاء يحاسبكم به الله، مع أن حديث النفس لا إثم فيه ما لم يقع؛ للحديث المشهور فيه؛ فأجاب: بأن المرد بالخاصة سجد الإخبار به لا المعاقبة عليه، ولا حامل على هذا التقدير؛ إذ إن المواخذة إما أن تكون منسوخة بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ كما في حديث مسلم. أو أن تكون المواخذة على ما أخفوه من العزم القاطع والاعتقاد الجازم، وليس مجرد حديث النفس والوسوسة. (٦) أي: على الاستعفاف، والجزم قراءة نافع وابن كثير وحزمة والكسائي وأبي عمرو. (٧) وهو أحد الوجهين، والوجه الثاني: أن يكون ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ، و﴿كُلٌّ﴾ مبتدأ ثان خبره ﴿آمَنَ﴾. (٨) أي: عن ﴿الرُّسُولِ﴾ و﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾. (٩) بالافراد قراءة حمزة والكسائي. (١٠) وهي قوله ﷺ: «ذُفِعَ عَنْ أَهْلِ الْخَطَا وَالْشَّيْثَانِ وَمَا اشْتَكَوْهُا عَلَيْهِ»، رواه ابن ماجه من حديث أبي ذر الغفاري مرفوعا به، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٣١). (١١) مسلم (١٢٦)، وانظر الحديث وتخريجه في أسباب النزول.

## سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلَمْ يَكُنْ لِلَّهِ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ مِنْ قَبْلِ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ۝ إِنْ أَنَّى اللَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۝ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَقْوَالًا لَا لَبَّيْ ۝ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝

## سورة آل عمران

[مدنية، مائتان أو: إلا آية، نزلت بعد الأنفال]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] اَلَمْ يَكُنْ لِلَّهِ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ [٢] نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ [٣] مِنْ قَبْلِ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ۝ [٤] إِنْ أَنَّى اللَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۝ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَقْوَالًا لَا لَبَّيْ ۝ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝

﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [٤] ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل تنزيله ﴿هُدًى﴾ حال<sup>(١)</sup>؛ بمعنى: هاديين من الضلالة ﴿لِلنَّاسِ﴾ من تبعهما، وعبر فيها بـ﴿أَنزَلَ﴾ وفي القرآن بـ﴿أَنزَلَ﴾ المقضي للتكرير؛ لأنهما أُنزِلَا دفعة واحدة بخلافه<sup>(٢)</sup> ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ بمعنى: الكتب الفارقة بين الحق والباطل، وذكره بعد ذكر الثلاثة؛ ليعم ما عداها<sup>(٣)</sup>، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن وغيره ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ غالب على أمره؛ فلا يمنعه شيء من إنجاز وعده ووعيده ﴿ذُو انتِقَامٍ﴾ عقوبة شديدة من عصاه، لا يقدر على مثلها أحد. [٥] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ كائن ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ لعلمه بما يقع في العالم من كلي وجزي، وخصصهما بالذكر؛ لأن المحس لا يتجاوزهما. [٦] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من ذكورة وأنوثة، وبياض وسواد، وغير ذلك ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْعَزِيزُ﴾ في صنعه. [٧] ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ لادلالة ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصله المعتمد عليه في الأحكام ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ لا تفهم معانيها؛ كأوائل السور، وجعله كله مُحْكَمًا في قوله: ﴿أُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾<sup>(٤)</sup> بمعنى: أنه ليس فيه غيب، ومُتَشَابِهًا في قوله: ﴿كَيْتَابًا مُتَشَابِهًا﴾<sup>(٥)</sup> بمعنى: أنه يشبه بعضه بعضًا في الحسن والصدق ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ مثل عن الحق ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ طلب ﴿الْفِتْنَةِ﴾ لجهايلهم بوقوعهم في الشبهات واللبس ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ تفسيره ﴿وَمَا يَسْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ تفسيره ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وحده<sup>(٦)</sup> ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ الثابتون المتمكنون<sup>(٧)</sup> ﴿فِي الْوَحْيِ﴾ مبتدأ خيرة؛ ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ أي: بالمشابهة؛ أنه من عند الله، ولا نعلم معناه ﴿كُلٌّ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿وَمِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ﴾ يادغم التاء في الأصل في الدال؛ أي: يعظم ﴿إِلَّا أَقْوَالًا لَا لَبَّيْ﴾ أصحاب العقول. ويقولون أيضًا إذا رَأَوْا مَنْ يُدْعَى<sup>(٨)</sup> [٨] ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا﴾ تملأها عن الحق باتباع تأويله الذي لا يليق بنا؛ كما أزغت قلوب أولئك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أرشدتنا إليه ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ من عندك ﴿رَحْمَةً﴾ تنبيهاً<sup>(٩)</sup> ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾. [٩] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ﴾ تجمعهم ﴿لِيَوْمٍ﴾ أي: في يوم ﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿وَيَوْمَ﴾ هو يوم القيامة؛ فتجازيهم بأعمالهم؛ كما وعدت بذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ مواعده بالبعث، فيه الثقات<sup>(١٠)</sup> عن الخطاب، ويحتمل أن يكون من كلامه. تعالى<sup>(١١)</sup>، والغرض من الدعاء بذلك بيان أن هُتَمُّهُمْ أُمُّ الْآخِرَةِ؛ ولذلك سألوا الثبات على الهداية؛ لينالوا ثوابها؛ روى الشيخان عن

= وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَرَوْا بِسَاطِرَ رُسُلِهِمْ وَكَانُوا سَوِيًّا وَأَلْفَنَّا عُزْرَتَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى، فَأَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ عَهْدَ إِتِّفَاقِهِمْ﴾ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ سَيِّئْنَا أَوْ نَسِيتْنَا أَوْ نَسَاكَ أَوْ أَخْطَأْنَا ۝ قَالَ: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحِيزْ عَلَيْنَا فِتْنَةً أَوْ تُبَدِّلْ مَا تَوَلَّيْنَا﴾ قَالَ: نعم، ﴿وَأَتَيْنَاكَ عَنَّا وَكَفَّرْنَا بِكَ وَأَكْفُرْ لَنَا وَارْتَبْتَ أَنْتَ مَوْلَانَا فَاسْتَرْسِزْ عَلَيَّ الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ قَالَ: نعم. مسلم. كتاب الإيمان (١) باب (٥٧) بيان مجاوز الله عن حديث النفس. **قائلة:** وأخرج مسلم أيضًا: عن ابن عباس قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوق، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم

- (١) أشار به إلى قوله: ﴿يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ متعلق بمحذوف؛ فيكون في محل نصب على الحال.
- (٢) أي: قبل تنزيل الكتاب الذي هو القرآن. (٣) أي: من التوراة والإنجيل.
- (٤) قال الشيخ صفي الرحمن المباركفوري في تعليقه على تفسير الجلالين ص ٥٩: «هذا التوجيه اللغوي الفرق بين الإنزال والتبريل غير صحيح، وقد جرى على هذا الخطأ كثير من أهل العلم؛ فقد وقع التعبير عن نزول القرآن بالإزال ومشتقاه بنحو مائة مرة، أما التعبير بالتبريل ومشتقاه فقد وقع ما بين ثلاثين وأربعين مرة فقطه.
- (٥) فهو من عطف العام على الخاص؛ فالراد بـ﴿الْفُرْقَانَ﴾ هنا: الفرق بين الحق والباطل لا خصوص القرآن؛ فافرقان كما يعلق على القرآن يطلق على غيره من الكتب.
- (٦) هود: ١. (٧) الزمر: ٢٣. (٨) أشار به إلى أن الوقف على ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وهو مذهب الأكثرين، وهو أفسى بالقرية وأشبه بظاهر الآية. (٩) قال مالك: الراسخ في العلم من جمع أربع خصال: الحشية فيما بينه وبين الله، والتواضع فيما بينه وبين الناس، والزهدي فيما بينه وبين الدنيا، والمجاهدة فيما بينه وبين نفسه. (١٠) أي: يتبع التشابه بالعلم بظواهرها؛ أو بتأويله تأويلًا لا يليق.
- (١١) تفسيره الرحمة بالتبنيث جرتا على مذهبه في تأويل الرحمة، وسبق بيان المذهب الحق، والتبنيث من لازم الرحمة كما قال ابن كثير: ﴿وَرَحْمَةً﴾ تبنيث بها قلوبنا ونجمع بها شملنا وتزبدنا بها إيمانًا وإيقانًا. (إبن كثير ١/ ٣٢٩).
- (١٢) هذا على أنه من كلام الراسخين؛ فيه الثقات من الخطاب في قولهم: ﴿إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ﴾ إلى الغيبة في قولهم: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.
- (١٣) فلا يكون فيه الثقات على مذهب الجمهور، وفيه الثقات عن التكلم على مذهب السكاكي.

عائشة رضي الله عنها قالت: «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ إِلَى آخِرِهَا، وَقَالَ: فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَقَى اللَّهُ، فَأَخَذُوا مِنْهُمْ»<sup>(١)</sup>، وروى الطبراني في «الكبير» عن أبي موسى الأشعري أنه سمع النبي ﷺ يقول: «مَا أَخَافُ عَلَى أَتَمِّهِ إِلَّا ثَلَاثَ جَلَالٍ...» وَذَكَرَ مِنْهَا: أَنَّ يُفْتَحَ لَهُمُ الْكِتَابُ؛ فَيَأْخُذُهُ الْمُؤْمِنُ بِتَبَيُّنِ تَأْوِيلِهِ، وَلَيْسَ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ، ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٢)</sup> الحديث.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَكُلَهُمُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ أي: عذابه ﴿سَيَبْقَى وَرَأْسُكُمْ وَهُمْ وَبُذُوكُمْ﴾ بفتح الواو<sup>(٣)</sup>؛ مَا تَوْفَدَ بِهِ. [١١] ذَلَّيْهُمْ ﴿كَذَّابٌ﴾ كعادة ﴿آلِ وَرَعُونَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم؛ كعاد وثمود ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاحْذَرُوا اللَّهَ﴾ أهلهم ﴿يَذَّبُونَهُمْ﴾ والجملة<sup>(٤)</sup> مفسرة لما قبلها<sup>(٥)</sup> ﴿وَاللَّهُ شَوِيدٌ آفِيْقَابٌ﴾. وَنَزَلَ - مَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ الْيَهُودَ بِالْإِسْلَامِ مُرْجَعَةً مِنْ بَدْرٍ فَقَالُوا: لَا يَغْرُنْكَ أَنْ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ أَغْمَارًا لَا يَعْرِفُونَ الْقِتَالَ -: [١٢] ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدٌ ﴿يَلْبِذِينَ كَفَرُوا﴾ من اليهود: ﴿سَقَطُوا﴾ بالياء والياء<sup>(٦)</sup>، فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَضَرْبِ الْجُزْيَةِ، وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ ﴿وَيُشْرِكُونَ﴾ بالوجهين<sup>(٧)</sup>، فِي الْآخِرَةِ ﴿إِلَّا جَهَنَّمَ﴾ فَتَدْخُلُونَهَا ﴿وَيُشْرِكُونَ لِلَّهِ﴾ الْفَرَاشُ هِيَ<sup>(٨)</sup>.

[١٣] ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ عِبْرَةٌ، وَذَكَرَ الْفِعْلُ<sup>(٩)</sup> لِيُفْضَلَ ﴿فِي يَتَنَبَّئِينَ فَرَقَيْنِ﴾ فَرَقَيْنِ ﴿الَّتَيْنِ﴾ يَوْمَ بَدْرٍ لِلْقِتَالِ ﴿فَقَدْ تَفَتَّنِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته؛ هُم: النَّبِيُّ وَأَصْحَابُهُ، وَكَانُوا ثَلَاثًا مِائَةً وَثَلَاثَةً عَشَرَ رَجُلًا، مَعَهُمُ قُرْشَانٌ وَسِتُّ أَدْرَعٍ وَثَمَانِيَةٌ سِوْفٍ، وَأَكْثَرُهُمْ رَجَالَةٌ ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرْوِيهِمْ﴾ أي: الْكُفَّارَ ﴿وَيَتَّبِعُهُمْ﴾ أي: الْمُسْلِمِينَ؛ أي: أَكْثَرُ مِنْهُمْ، وَكَانُوا نَحْوَ أَلْفٍ ﴿رَأَى الْقَتْلَ﴾ أي: رُؤْيَا ظَاهِرَةً مُعَايَنَةً، وَقَدْ نَصَرَهُمُ اللَّهُ مَعَ قَاتِلِهِمْ ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ﴾ مِنْ نِسْكَائِهِمْ فِي ذَلِكَ الْمَذْكُورِ ﴿لِيُزَيِّنَ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ لِذَوِي الْبَصَائِرِ؛ أَمَّا يَعْتَبِرُونَ بِذَلِكَ فَتُؤْمِنُونَ! [١٤] ﴿رَبَّنَا لِلنَّاسِ حُكْبٌ الشَّهَوَاتِ﴾ مَا تَشْتَهِيهِ النَّفْسُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ، رَزَقَتْهَا اللَّهُ<sup>(١٠)</sup> إِبْلَاءً أَوْ الشَّيْطَانِ<sup>(١١)</sup> ﴿مِنْ الْأَنْسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْأَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ﴾ الْقَنَاطِيرُ: الْمَجْمُوعَةُ مِنَ الْأَذْيَابِ وَالْفَضْطَةِ وَالْحَبْلِ الْمُسَوَّمَةِ الْحَسَانِ وَالْأَنْفُسِ؛ أي: الْإِبِلَ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْحَرْثِ وَالزَّرْعِ ذَلِكَ الْمَذْكُورُ ﴿مِنْكَ الْحَيَوَاتُ الدُّنْيَا﴾ يُتَمَتَّعُ بِهَا فِيهَا ثُمَّ يَفْنَى ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَعَالِ﴾ الْمَرْجِعُ؛ وَهُوَ: الْجَنَّةُ؛ فَيَنْبَغِي الرُّغْبَةُ فِيهِ دُونَ غَيْرِهِ. [١٥] ﴿قُلْ﴾ يَا

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَكُلَهُمُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَقَى اللَّهُ، فَأَخَذُوا مِنْهُمْ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاحْذَرُوا اللَّهَ يَذَّبُ لَهُمُ اللَّهُ شَدِيدَ الْعِقَابِ ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فَرَقَتَيْنِ الَّتِي تَفَتَّنِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرْوِيهِمْ مِنْ قَبْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصَرَهُ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿رَبَّنَا لِلنَّاسِ حُكْبُ الشَّهَوَاتِ مِنَ الْأَنْسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَبْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَوَاتِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَالِ﴾ ﴿قُلْ أُوْنِيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾

محمد لقولكم: ﴿أُوْنِيْتُكُمْ﴾ أَخْبَرَكُمْ ﴿بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورِ مِنَ الشَّهَوَاتِ، اسْتَفْهَمَ تَقْرِيرَ<sup>(١٢)</sup> ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشَّرْكَ ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ خَيْرٌ مِنْتَدُوهُ ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ أي: مُقَدَّرِينَ الْخُلُودَ<sup>(١٣)</sup> فِيهَا إِذَا دَخَلُوهَا ﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ مِنَ الْخِيْضِ وَغَيْرِهِ مَا يُشْتَقَدُّ ﴿وَرِضْوَانٌ﴾ بِكَسْرِ أَوَّلِهِ وَضَمِّهِ لَفْظَانِ<sup>(١٤)</sup>؛ أي: رِضَا<sup>(١٥)</sup> كَثِيرٌ ﴿وَبِئْسَ اللَّهُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ﴾ عَالِمٌ<sup>(١٦)</sup> ﴿وَالْأَلْسِبَادُ﴾ فِيجَازِي كُلًّا مِنْهُمْ بِعَمَلِهِ.

- لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك. قال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم. فسلم وقال: أشرف نبورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته. سبق تخريجه في تفسير سورة الفاتحة. وأخرج الترمذي عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَلْفِي عَامٍ، وَأَنْزَلَ مِنْهُ آيَاتٍ خَتَمَ بِهَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَلَا يَفْرَأَنَّ فِي دَارِ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَيَقْرُبَهَا شَيْطَانٌ». الترمذي. كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٤) ما جاء في آخر سورة البقرة. صحيح سنن الترمذي (٢٣١١).

- (١) البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).
- (٢) الحديث أخرجه الطبراني في «الكبير» وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٨٠).
- (٣) وهي قراءة العشرة، وقرأ الحسن بضم الواو مصدر بمعنى: الإيقاد.
- (٤) أي حملة: ﴿كَذَّبُوا...﴾ الآية. (٥) وهي قوله: ﴿كَذَّابٌ آلِ وَرَعُونَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الآية [آل عمران: ١١].
- (٦) بالياء قراءة حمزة والكسائي.
- (٧) أي: بئاء والياء، بالياء قراءة حمزة والكسائي.
- (٨) أخرجه أبو داود عن ابن عباس، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (٦٤٧). وحسنه في الاستيعاب مجموع طرقه. الاستيعاب في بيان الأسباب (١/ ٢٣٢، ٢٣٣).
- (٩) وهو ﴿كَانَ﴾ ذَكَرَ الْفِعْلُ وَالْجَرَّ وَالْمَجْرُورَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿هَلْ كُنْ﴾. (١٠) كما في قول عمر: «اللَّهُ لَا ضَبْرَ لَنَا عَلَى مَا رَزَقْنَا لَنَا إِلَّا بِكَ» [رواه البخاري معلف في الرقاق باب قول النبي ﷺ: «هَذَا الْمَالُ خَضِرَةٌ حُلُوهُ»].
- (١١) أي: بالوسوسة.
- (١٢) وليس المراد به هنا طلب الإقرار والاعتراف من المخاطبين كما هو معنى الاستفهام التقريري في الأصل، بل المراد به التحقيق والتثبت في نفوس المخاطبين.
- (١٣) أي: ففهي حال مقدرة.
- (١٤) وهما قراءتان، والصم قراءة شعبة.
- (١٥) أنشأ بذلك إلى أن كلاً من المكسور والمضموم مصدر «رضي» فهما بمعنى واحد، وإن كان الثاني سماعيًا والأول قياسيًا.
- (١٦) وهذا تأويل، وصفة البصر من الصفات الثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة على الوجه اللاتق به دون أن يقتضي ذلك نقضاً أو تمثيلاً له بالخلق كما قال - شيخنا -: «لَيْسَ كَيْفِيَّةُ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ أَلَيْسَ كَيْفِيَّةُ» [الشورى: ١١].

معبود في الوجود يَحَقُّ ﴿إِلَّا هُوَ﴾. شهد بذلك ﴿الْمَلَكُ﴾ بالإقرار ﴿وَأُولُوا الْأَلْفِ﴾ من الأنبياء والمؤمنين بالاعتقاد واللفظ ﴿قَائِمًا﴾ بتدبير مصنوعاته، ونَصَبَهُ على الحال<sup>(١)</sup>، وعاَمل فيها معنى لجمعة؛ أي: تَقَرَّدَ ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ كرره تأكيداً ﴿الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[١٩] ﴿إِنَّ الْذِينَ﴾ المرضي ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ هو ﴿الْإِسْلَامُ﴾ أي: الشرع المبعوث به الرسل، المبني على التوحيد، وفي قراءة ففتح ﴿إِنَّ﴾ بدل من «أنه... إلخ»، بدل اشتمال<sup>(٢)</sup> ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾ اليهود والنصارى في الدين؛ بأن وَحَّدَ بعض وكَفَّرَ بعض ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ بالتوحيد ﴿بَنِيًّا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرُ يَتَّخِذَ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: المجازاة له.

[٢٠] ﴿فَإِنَّ حَاجُونَكَ﴾ خاضعك الكفار يا محمد في الدين ﴿فَقُلْ لَهُمْ: أَسَلْتُ وَجْهِي لِلَّهِ﴾ انْقَذْتُ لَهُ أَنَا ﴿وَمَنْ أَتَّبِعُ﴾ وخص الوجه بالذكر؛ لشرفه؛ فغيره أولى ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾ اليهود والنصارى ﴿وَالَّذِينَ﴾ مشركي العرب: «أَسَلْتُ» أي: أسألوا ﴿فَإِنْ أَسَلْتُمْ فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾ من الضلال ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإسلام ﴿فَكَيْفَا عَنَّا﴾ أي: التبليغ للرسالة ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ فيجازيهم بأعمالهم، وهذا قبل الأمر بالقتال<sup>(٣)</sup>.

[٢١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ يَتَّخِذُ اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ﴾ وفي قراءة: ﴿يَقْتُلُونَ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ أي: يَكْفُرُونَ<sup>(٥)</sup> الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالْقِسْطِ بالعدل ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ وهم: اليهود؛ روي أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبياً، فنهاهم مائة وسبعون من غيادهم؛ فقتلواهم من يومهم ﴿فَيَكْفُرُوا﴾ أعلمهم ﴿بِعَذَابِ اللَّهِ﴾ مؤلم، وذكر البشارة تهكم بهم، ودخلت الفاء في خبر «إن»؛ لشيبه اسمها الموصول بالشرط<sup>(٦)</sup>.

[٢٢] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ ما عملوا من خير؛ كصدقة وصلة رحم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فلا اعتداد بها؛ لعدم شرطها ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّصِيرِ﴾ مانعين من العذاب.

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَتَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَفَتَا عَذَابِ النَّارِ ﴿١٩﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿٢٠﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ يَتَّخِذَ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٢﴾ فَإِنْ حَاجُونَكَ فَقُلْ أَسَلْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنْ أَتَّبِعُ وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ أَسَلْتُمْ فَإِنْ أَسَلْتُمْ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ يَتَّخِذُ اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ يَغْيِرُ حَقَّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابِ اللَّهِ ﴿٢٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّصِيرِ ﴿٢٥﴾

[١٦] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت أو بدل من «الذين» قبله ﴿يَقُولُونَ﴾: يا رَبَّنَا إِنَّا أَمَتَا، صدقنا بك وبرسولك ﴿فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَفَتَا عَذَابِ النَّارِ﴾.

[١٧] ﴿الْمُسْتَعْفِرِينَ﴾ على الطاعة وعن المعصية، نعت ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ في الإيمان<sup>(١)</sup> ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ المطيعين لله ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ المنصديقين ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ الله؛ بأن يقولوا: اللهم اغفر لنا ﴿وَالْأَسْحَارِ﴾ أواخر الليل، غُضِّتْ بالذكر؛ لأنها وقت الغفلة ولذة النوم.

[١٨] ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ يَشْرَحُ لخلقها بالدلائل والآيات ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾

(١) بالتصديق بالقلب واللسان، والانقياد بالقلب واللسان والجوارح.

(٢) إم من لفظ الجلالة، أو من الضمير المتفصل ﴿هُوَ﴾ بعد ﴿إِلَّا هُوَ﴾، والثانية: أنه قائم بالقسط، ومتعلق الأولى بتزبيته، ذاته، ومتعلق الثانية بتزبيته صفاته.

(٣) وهي قراءة الكسائي، والتقدير: شهد الله أنه لا إله إلا هو، وشهد أن الدين...

(٤) وهذا بناء على تفسيره الإسلام بأنه الشرع؛ لأن وحدانية الله اشتمل عليها الإسلام، أما إذا فُسر بالإيمان أو التوحيد كان بدل كل من كل. وذكر الرضي: أن بدل الاشتغال أن يكون المخاطب منتظراً للبدل عند سماع البدل ومنه ما ليس كذلك.

(٥) أي: فهو منسوخ.

(٦) الصوابُ ذَكَرَ هذه العبارة بعد قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ الآية [آل عمران: ٢١]؛ لأن القراءتين إما هما في الثانية، أما الأولى فهي ﴿يَقْتُلُونَ﴾ لا غير؛ فذَكَرْنَا هُنَا شَيْئاً قَلِمَ مِنْ الشَّارِحِ.

(٧) في قراءة حمزة: ﴿يَقْتُلُونَ﴾.

(٨) واسمها الموصول هو ﴿الَّذِينَ﴾ وهو في الأصل مبتدأ، والمبتدأ متى وقع اسم موصول ولو منسوخاً قرن خبره بالفاء، إلا إذا نسخ به، ولعل، وكأنه؛ فتمتنع الفاء عند الجميع لتغير المعنى لانتهاء معنى الخبرية؛ فلا يبقى الكلام محتماً للصدق والكذب بخلافه بعد دخول «إن».

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ فَيُتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مَّعْرُضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ وَغَرَّبَهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتُمْ لِيَوْمِ لَارِيبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُزِيلُ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمُ تُقَاتُوا ۚ وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ إِن تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوا يَوْمَ يَكْلَمُ اللَّهُ يَوْمَ يَكْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

[٢٣] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا﴾ حظًا ﴿مِّنَ الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿يُدْعَوْنَ﴾ يُدْعَوْنَ ﴿إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ يُدْعَوْنَ ﴿فَيُتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مَّعْرُضُونَ﴾ عن قبول حكمه؛ نزلت في اليهود؛ زنى منهم اثنان؛ فتحاكموا إلى النبي ﷺ؛ فحكم عليهما بالرجم، فأبوا، فجيء بالتوراة، فوجد فيها؛ فرجما؛ فغضبوا.

[٢٤] ﴿ذَلِكَ﴾ التولي والإعراض ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ أي: بسبب قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ أربعين يومًا مدة عبادة آبائهم العجل ثم نزول عنهم ﴿وَوَغَرَّبَهُمْ فِي دِينِهِمْ﴾ متعلق بقوله: ﴿مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ من قولهم ذلك.

[٢٥] ﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا جُمِعْتُمْ لِيَوْمِ لَارِيبَ﴾ أي: في يوم ﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من أهل الكتاب وغيرهم جزاء ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر ﴿وَهُمْ﴾ أي: الناس ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص حسنة أو زيادة سيئة. وَزَلَّتْ - لما وعد ﷺ أمته ملك فارس والروم؛ فقال المنافقون: هيهات -: [٢٦] ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ يا الله ﴿مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي﴾ تعطي ﴿الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾ من خلقك ﴿وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ﴾ بإياديه ﴿وَتُزِيلُ مَن تَشَاءُ﴾ بزرعه منه ﴿بِيَدِكَ﴾ بقدرتك <sup>(١)</sup> ﴿الْخَيْرُ﴾ أي: والشر ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢٧] ﴿تُوَلِّجُ﴾ تدخل ﴿الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ تدخله ﴿فِي اللَّيْلِ﴾ فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ﴾ كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة ﴿وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ كالنطفة والبيضة ﴿وَتَرزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: رزقًا واسعًا.

[٢٨] ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ بالوئهم ﴿مِن دُونِ﴾ أي: غير ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: بالوئهم ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ﴾ دين ﴿اللَّهُ﴾ في شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمُ تُقَاتُوا ۚ مصدر تقية؛ أي: تخافوا مخافة، فلكم مولائهم باللسان دون القلب، وهذا قبل عزة الإسلام، ويجري فيمن هو في بلد ليس قويًا فيها ﴿وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ يخوفكم ﴿اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ أن يغضب عليكم <sup>(٢)</sup> إِنْ وَالْبِئْسَ مَوْجِبُهَا ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۖ المرجع؛ فيجازيكم.

[٢٩] ﴿قُلِ لَهُمْ﴾ إِنْ تَتَّقُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ ﴿قُلُوبِكُمْ﴾ من مولائهم ﴿أَوْ تُبْذَرُوا﴾ تظهروه ﴿يَوْمَ يَكْلَمُ اللَّهُ﴾ هو ﴿يَقْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيب من والاهم.

(١) وهذا تأويل كالح، ومعنى ركب، ومذهب السلف الصالح إثبات ما أثبت الله لنفسه وأثبت به رسوله ﷺ من غير تأويل ولا تكيف ولا تمثيل ولا تعطيل، ثم ما يقول هؤلاء في قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه: ﴿يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَبِغُضُهَا نَفَقَةٌ﴾ وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي فيها إثبات صفة اليد والأصبع وغيرها على الوجه الذي يليق بربنا جلَّ وَعَلَا؛ ثم إن يد القدرة والنعمة لا يعرف استعمالها ألبتة إلا في حق من له يد حقيقية.

(٢) يشير بذلك أن المراد بقوله - تعالى -: ﴿نَفْسَهُ﴾ أي: غضب نفسه، وهذا مذهب المؤولة، وأما السلف فيثبتون النفس لله ﷻ، ولكنهم اختلفوا أهي صفة ذات أم هي الذات نفسها؟ وإلى الأول ذهب ابن خزيمة؛ حيث ترجم في صحيحه: باب ذكر البيان من خير النبي ﷺ في إثبات النفس لله، أما ابن تيمية فقد رجح أنها بمعنى الذات، ونسب لجمهور العلماء. [المجموع (٩/ ٢٩٢)].

[٣٣] ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ خِثْرًا وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآيَاتِ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالنَّبِيِّينَ ۚ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآيَاتِ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالنَّبِيِّينَ ۚ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآيَاتِ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالنَّبِيِّينَ ۚ﴾

[٣٤] ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ دُورِهِمْ ۚ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآيَاتِ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالنَّبِيِّينَ ۚ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآيَاتِ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالنَّبِيِّينَ ۚ﴾

[٣٥] اذكر ﴿إِذْ قَالَتْ أُمُّ آدَمَ إِنَّهُ عَلَّمَهُمْ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ ۖ إِنَّهَا لَمِنَ الْغَاثِ ۚ﴾

فدعت الله، وأحسنت بالحق: يا رب إني نذرتُ أن أجعل ﴿لَكَ مَا فِي

بطني محرراً﴾ عتيقاً خالصاً من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس ﴿فَقَبَّلَ مِنِّي

إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ ۚ﴾ للدعاء ﴿الْعَلِيمُ ۚ﴾ بالثبات، وهلك عمران وهي حامل.

[٣٦] ﴿لَمَّا وَضَعَتْهَا ۖ وَلَدَتْهَا جَارِيَةٌ ۚ وَكَانَتْ تَرْتَجُو أَنْ يَكُونَ غُلَامًا ۚ إِذْ لَمْ

يكن يحرر إلا الغلمان ﴿قَالَتْ ۖ﴾ معندة: يا رب إني وضعتها أنثى والله

أعلم ﴿أَي ۖ﴾ عالم ﴿وَمَا وَضَعْتُهَا ۖ﴾ جملة اعتراض من كلامه - تعالى - وفي

قراءة: بضم التاء<sup>(٥)</sup>، ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ﴾ الذي طلبت ﴿كَالْأُنثَى ۖ﴾ التي وُهِيت؛

لأنه يُقصد للخدمة، وهي لا تصلح؛ لضعفها وعورتها وما يعتريها من الخيض

ونحوه ﴿وَلَايَ سَمِيَّتَهَا مَرْيَمَ ۖ وَلَايَ أُعِيدَهَا يَكُ ۖ وَذُرِّيَّتَهَا ۖ﴾ أولادها ﴿وَمِنَ

الْأَشْيَاطِ الْيَسِيرِ ۖ﴾ المطرود، في الحديث: ﴿مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا مَسَّهُ الشَّيْطَانُ

جِنُّ يُولَدُ ۖ فَيَسْتَهْلِكُ صَارِحًا إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا﴾<sup>(٦)</sup> [رواه الشيخان].

[٣٧] ﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا ۖ﴾ أي: قبل مريم من أمها ﴿بِقَبُولِ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا

نَبَاتًا حَسَنًا ۖ﴾ أنشأها بخلق حسن؛ فكانت تنبت في اليوم؛ كما نبت المولود

في العام، وأنت بها أمها الأجر سدة بيت المقدس؛ فقالت: دونكم هذه

النذيرة. فننفسوا فيها؛ لأنها بنت إمامهم؛ فقال زكريا: أنا أحق بها؛ لأن

خالتها عندي. فقالوا: لا حتى نقترب. فانطلقوا وهم تسعة وعشرون إلى نهر

الأردن، وألقوا أقلامهم على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد أولى بها، فثبت

قلم زكريا؛ فأخذها وتبى لها غرفة في المسجد بشلم لا يصعد إليها غيره،

وكان يأتيها بأكلمها وشربها ودهنها، فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء

وفاكهة الشتاء في الصيف؛ كما قال - تعالى -: ﴿وَوَكَّلْنَا بِهَا رَبِّهَا ۖ﴾ ضَمَّهَا

إليه، وفي قراءة: بالتشديد<sup>(٧)</sup>، ونصب ﴿زكريا﴾ ممدوداً ومقصوراً<sup>(٨)</sup>، والفاعل

«الله» ﴿كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ ۖ﴾ الغرفة، وهي أشرف المجالس

﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ ۖ﴾ من أين ﴿لَسِبَ هَذَا ۖ﴾ قالت: وهي

صغيرة: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ﴾ يأتيني به من الجنة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُرِزُّ مَنْ يُشَاءُ ۖ﴾ يَصِيرُ

حِسَابًا ﴿رِزْقًا وَاسِعًا ۖ﴾ بلا تبعة.

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَاعَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَاعَمِلَتْ  
مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ  
نَفْسَهُ ۚ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ  
فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ  
رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ  
وَعَالِ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٨﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ  
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٩﴾ إِذْ قَالَتْ أُمُّ آدَمَ إِنَّهُ عَلَّمَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ ۖ إِنَّهَا لَمِنَ  
الْغَاثِ ۚ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤٠﴾  
فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ  
وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلِقَاءِ  
رَبِّي وَ أَنَّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٤١﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ  
حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا  
زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ ۖ لَنَبْتَغِي  
قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ بِرِزْقِي مِنْ شَيْءٍ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٢﴾

[٣٠] اذكر ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَاعَمِلَتْ ۖ﴾ ﴿مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَاعَمِلَتْ  
مِنْ سُوءٍ ۖ﴾ مبدأ خبره: ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۖ﴾  
غاية في نهاية البعد فلا يصل إليها ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۖ﴾ كرر للتأكيد  
﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ۖ﴾. ونزل - لما قالوا: ما نعبد الأصنام إلا حبالاً لله؛  
ليقرّبوا إليه<sup>(١)</sup> -: [٣١] ﴿قُلْ ۖ﴾ لهم يا محمد: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي  
يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ۖ﴾ بمعنى: يتيسر<sup>(٢)</sup> ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ ۖ﴾ لِنِ اتَّبَعْتِي  
مَا سَلَفَ مِنْهُ قَبْلَ ذَلِكَ ﴿رَحِيمٌ ۖ﴾ به.

[٣٢] ﴿قُلْ ۖ﴾ لهم: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ﴾ فيما يأمركم به من التوحيد  
﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا ۖ﴾ أعرضوا عن الطاعة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ۖ﴾ فيه إقامة الظاهر  
مقام المضمر؛ أي: لا يحبهم؛ بمعنى: أنه يعاقبهم<sup>(٣)</sup>.

(١) يشير إلى ما أخرجه الواحدي بنحوه عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس به، وقال الحافظ في العجايب (٢/٦٧٨): «وهذا من منكرات جوير؛ فإن آل عمران مدنية، وهذه القصة إنما كانت

بمكة قبل الهجرة، ولعل الذي نزل فيها في أوائل الزمر»، وضعفه جُدًا في الاستيعاب (١/٢٤٢).

(٢) وهذا تأويل لصفة الحق التي أثبتها الله لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ بيض لوازمها، وسبق بيان مذهب السلف في ذلك وأنهم يثبتونها على الوجه الذي يليق به - شيخانته.

(٣) وهذا تأويل مخالف لظاهر اللفظ ومذهب السلف، وسبق بيان ذلك مراراً، ومن لازم عدم محبته - شيخانته - لهم أنه يعاقبهم.

(٤) اراد: عالم زمانهم.

(٥) لآل عمران وشعبة، وعلى هذه القراءة يكون ذلك من كلامها اعتذاراً.

(٦) البخاري (٣٤٣١)، ومسلم (٢٣٦٦) من حديث أبي هريرة.

(٧) والقراءة المفضلة بالتخفيف لئلا يربك وأبي عمرو وابن عامر.

(٨) بالمد؛ أي: زكرياء، لمن سبق ومعهم شعبة.



هَذَاكَ دَعَاكَ يَا رَبِّهِ، قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَادَّاهُ الْمَلَكُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْحَرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَيْحَتٍ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آتِيكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَادَّكَرَ رَنَّاكَ كَثِيرًا وَسَتِخْ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾ وَادَّ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُومُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرُومُ أَفَنُتِي لِرَبِّكَ وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمْ نَكُنْ لَهُمْ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُومُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

[٤٥] اذكر ﴿٤٥﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ أَي جبريل: ﴿يَمْرُومُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ أَي: ولد ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ خاطبها بنسبتها إليها تنبيها على أنها تلده بلا أب؛ إذ عادة الرجال نسبهم إلى آبائهم ﴿وَجِيهًا﴾ ذا جلال ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالنبوة ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالشفاعة والدرجات العلى ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ عند الله.

[٣٨] ﴿هَذَاكَ﴾ أَي: لما رأى زكريا ذلك، وعلم أن القادر على الإنثاء بالشيء في غير حينه قادرٌ على الإنثاء بالولد على الكبر، وكان أهل بيته انقضوا ﴿دَعَا رَبَّهُ﴾ لما دخل الحراب<sup>(١)</sup> للصلاة جوف الليل ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ ولذا ضاحيا ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.

[٣٩] ﴿فَدَّاهُ الْمَلَكُ﴾ أَي: جبريل<sup>(٢)</sup> ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْحَرَابِ﴾ أَي: المسجد ﴿أَنَّ﴾ أَي: بأن، وفي قراءة: بالكسر<sup>(٣)</sup> بتقدير القول ﴿اللَّهُ يُبَشِّرُكَ﴾ متفلا ومخفلا<sup>(٤)</sup> ﴿يَبْحَثُ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ﴾ كائنة ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ أَي: بعيسى أنه روح الله، وسُمِّيَ كلمة؛ لأنه خُلِقَ بكلمة: ﴿كُنْ﴾ ﴿وَسَيِّدًا﴾ متبوعا ﴿وَحَصُورًا﴾ ممنوعا من النساء ﴿وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ روي أنه لم يعمل خطبة ولم يهْمُ بها.

[٤٠] ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ وَلَدٌ ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ أَي: بلغت نهاية السن مائة وعشرين سنة ﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ بلغت ثمانين وتسعين ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾ من خلق الله غلاما منكما ﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ لا يعجزه عنه شيء، ولإظهار هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال، ليُجاب بها. وَلَمَّا ثاقَتْ نفسه إلى سرعة التبشُّر به.

[٤١] ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ أَي: علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ عَائِشَةُ﴾ عليه ﴿أَنْ لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أَي: تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله - تعالى - ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ أَي: لباليها ﴿إِلَّا رَمْرًا﴾ إشارة ﴿وَادَّكَرَ رَنَّاكَ كَثِيرًا وَسَتِخْ﴾ صلِّ ﴿بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ أواخر النهار وأوائله.

[٤٢] ﴿وَادَّ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ﴾ أَي جبريل: ﴿يَمْرُومُ﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ اختارك ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ من مسيس الرجال<sup>(٥)</sup> ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ أَي: أهل زمانك.

[٤٣] ﴿يَمْرُومُ أَفَنُتِي لِرَبِّكَ﴾ أطبعيه ﴿وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أَي: ضلِّي مع المصلين.

[٤٤] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من أمر زكريا ومريم ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمْ نَكُنْ لَهُمْ مَرْيَمَ﴾ ليظهر لهم ﴿أَنَّهُمْ يَكْفُلُ﴾ يرعى ﴿مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في كفالتها؛ فنعرف ذلك؛ فتخبر به، وإنما عرفته من جهة الوحي.

(١) أي: المسجد.

(٢) فيه إثبات صفة السمع لله ﷻ على الوجه اللائق به - سبحانه ..

(٣) فهو من تسمية الحصى باسم العام تعظيما له.

(٤) لجملة وابن عامر.

(٥) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي، ويكون بفتح الياء وسكون الاء وضم الشين.

(٦) ولعل الحكمة في أن الله لم يذكر في القرآن امرأة باسمها إلا هي الإشارة بطرف خفي إلى رد ما قاله الكفار من أنها زوجته، فإن العظيم عالي الهمة يأنف من ذكر اسم زوجته بين الناس؛ فكان الله يقول: لو كانت زوجة لي لما صرحت باسمها. (حاشية الصاوي على الجلالين).

(٧) أي: ومن الحيض والنفاس وكل قدر.

[٤٩] ﴿وَمَا يَجْعَلُهُ رَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ في الصبا أو بعد البلوغ؛ فنفخ جبريل في جيب درعها؛ فحملت، وكان من أمرها ما ذكر في سورة مريم، فلما بعثه الله إلى بني إسرائيل، قال لهم: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ ﴿أَلَيْسَ﴾ أي: بأبي ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ﴾ علامة على صدقي ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ هي: ﴿آيَةٌ﴾ وفي قراءة<sup>(١)</sup>: بالكسرة؛ استئنافاً ﴿أَخْلَقْتُ﴾ أصور ﴿لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ مثل صورته؛ فالكاف اسم مفعول ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ الضمير للكاف<sup>(٢)</sup> ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ وفي قراءة<sup>(٣)</sup>: ﴿طَائِرًا﴾ ﴿يَذُنُ اللَّهُ﴾ يارادته، فخلق لهم الخفاش؛ لأنه أكمل الطير خلقاً؛ فكان يطير وهم ينظرونه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً ﴿وَأُتْرِي﴾ أُنْفِي ﴿الْأَكْصَمَةَ﴾ الذي ولد أعمى ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ وَخَصَّ بِالذِّكْرِ؛ لأنهما ذاء إعياء<sup>(٤)</sup>، وكان بعثه في زمن الطب؛ فأبرأ في يوم خمسين ألف بالدعاء بشرط الإيمان ﴿وَأُتِي أَلْمُوتَىٰ يَذُنُ اللَّهُ﴾ كرهه؛ لنفي توهم الألوهية فيه؛ فأحيا «عازر» - صديقاً له - وابن العجور، وابنة العاشر؛ فعاشوا وولد لهم، و«سام بن نوح» ومات في الحال ﴿وَأُتْبِئْتُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَنْشُرُونَ﴾ تخبون ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾ مما لم أعياه؛ فكان يخبر الشخص بما أكل وبما يأكل بعد ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَايَةً لَّكُمْ﴾ إن كنتم مؤمنين.

[٥٠] ﴿وَمَا جِئْتُكُمْ بِمُضْطَفٍّ لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ قَبْلِي﴾ من التوراة ولأجل لكم بمن الذي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ فيها؛ فأحل لهم من السمك والطير ما لا صبيصة له<sup>(٥)</sup>، وقيل: أحل الجميع؛ فبعض بمعنى «كل» ﴿فَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ كرهه تأكيداً ولبيني عليه ﴿فَأَنْفُخُوا اللَّهُ وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمركم به من توحيد الله وطاعته. [٥١] ﴿إِنَّ اللَّهَ رَكَّبَ وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا﴾ الذي أمركم به ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ فكدوه ولم يؤمنوا به.

[٥٢] ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ﴾ علم ﴿عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ وأرادوا قتله ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي﴾ أعواني ذاهباً<sup>(٦)</sup> ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ لأنصر دينه ﴿قَالَ الْخَوَارِجُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ أعوان دينه؛ وهم: أصفياء عيسى، أول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلاً من الحوَر؛ وهو: البياض الخالص، وقيل: كانوا قصارين يحورون الثياب؛ أي: يبيضونها ﴿أَمَّا﴾ صدقنا ﴿وَاللَّهُ وَأَشْهَدُ﴾ يا عيسى ﴿يَا نَسًّا مُسْلِمُونَ﴾.

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي أَلْمَهْدِ وَكَهَلًا وَمَنْ أَضَلِّحَاتٍ ﴿٤٩﴾  
قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ  
اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ  
وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ  
وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ  
رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ  
فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ  
وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ  
فِي بُيُوتِكُمْ إِن فِي ذَلِكَ لَايَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٠﴾  
وَمُضْطَفًّا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ  
بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ  
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥١﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ  
هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥٢﴾ \* فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمْ  
أَلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِجُ نَحْنُ  
أَنْصَارُ اللَّهِ ءَمَّا بَالَهُ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾

[٤٦] ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي أَلْمَهْدِ﴾ أي: طفلاً قبل وقت الكلام ﴿وَكَهَلًا﴾<sup>(١)</sup> وَمَنْ أَضَلِّحَاتٍ.

[٤٧] ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ بنزوح ولا غيره ﴿قَالَ الْأَمْرُ﴾ كَذَلِكَ من خلق ولد منك بلا أب ﴿اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أراد خلقه ﴿فَلَمَّا يَقُولُ لَمْ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون.

[٤٨] ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ بالنون والياء<sup>(٢)</sup> ﴿الْكِتَابَ﴾ الخط<sup>(٣)</sup> ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾<sup>(٤)</sup> وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ.

(١) أي: ويكلمهم بأن يدعوهم إلى دين الله حال كونه كهلاً، والكهل: ما بين الغلام والشيوخ، وقيل: من له ثلاث وثلاثون سنة، وقيل: من ناهز الأربعين، وقيل: في الآية إشارة إلى نزوله - عَلَيْهِ السَّلَام - في آخر الزمان؛ ففيها إخبار عن معجزتين وحيتين.

(٢) بالنون قراءة السبعة عما عاصم ونافع.

(٣) أي: الكتابة، وقيل: المراد جنس الكتب الإلهية.

(٤) قيل: المراد بها العلم، وقيل: تهذيب الأخلاق. وقيل: قوة الفهم وحسن التدبير للأمور بوضعها في مواضعها.

(٥) لنافع.

(٦) ويصح أن يعود على الطين، وحكمة المايرة بين ما ها وما يأتي في آخر المائدة أن التكلم هنا عيسى، وهناك الله ﷻ.

(٧) لنافع.

(٨) أي: أغنيا الأطباء الذين كانوا في زمنه.

(٩) أي: شوكه يؤذي بها، وأما ما أنه صبيصة فهو باق على حلمه لم يحرم.

(١٠) حَذَّلَهُ الْمَقْدُرُ عَلَى أَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ، عَلَى أَنَّهُ هَلْ مِنَ الْبَاءِ فِي ﴿أَنْصَارِي﴾ حال كوني ذاهباً إلى الله؛ أي: مُتَجِّئاً إِلَى اللَّهِ وَشَارِعاً فِي نَصْرَةِ دِينِهِ، وَقَالَ السَّيِّدُ وَابْنُ جَرِيرٍ: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]: مع الله. وقال الحسن وأبو عبيدة: ﴿إِنْ﴾ بمعنى: «في»؛ أي: من أعواني في الله؛ أي: في ذات الله وسبيله.

[٥٣] ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ مِنَ الْإِنْجِيلِ وَآتَيْنَا الرَّسُولَ عِيسَى ﴿فَأَكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ لَكَ بِالوَحْدَانِيَةِ وَلِرَسُولِكَ بِالصِّدْقِ. قَالَ - تَعَالَى :-

[٥٤] ﴿وَمَكَرُوا﴾ أَي: كَفَرُوا بِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ عِيسَى؛ إِذْ وَكَّلُوا بِهِ مَنْ يَقْتُلُهُ غِيْلَةً ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ بِهِمْ؛ بَأَنَ أَلْقَى شِبْهَ عِيسَى عَلَى مَنْ قَصَدَ قَتْلَهُ فَقَتَلُوهُ<sup>(١)</sup> وَرَفَعَ عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ أَعْلَمُهُمْ بِهِ.

[٥٥] اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُوسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ قَابِضُكَ ﴿وَرَأَيْكَ﴾ إِلَيَّ مِنْ الدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ مَوْتٍ ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ مَبْعَدُكَ ﴿مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ صَدَقُوا بِنُتُوكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِكَ؛ وَهُمْ: الْيَهُودُ؛ يَبْلُغُونَهُمْ بِالْحِجَّةِ وَالسِّيفِ ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ.

[٥٦] ﴿فَلَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَاعْرِضْهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا﴾ بِالْقَتْلِ وَالسَّبِي وَالْجَزْيَةِ ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بِالنَّارِ ﴿وَمَا لَهُمْ بَيْنَ نَصِيرَتِكَ﴾ مَانِعِينَ مِنْهُ.

[٥٧] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَصَلُّوا الصَّلَاةَ فَتُؤْتِيهِمْ﴾ بِالْبَاءِ وَانْتُونَ<sup>(٢)</sup> ﴿أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ أَي: بِعَاقِبَتِهِمْ<sup>(٣)</sup>؛ رَوَى أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - أَرْسَلَ إِلَيْهِ سَحَابَةً فَرَفَعَتْهُ؛ فَتَعَلَّقَتْ بِهِ أَثْمُهُ وَتَكَثَّرَتْ؛ إِنَّ الْقِيَامَةَ تَجْمَعُنَا. وَكَانَ ذَلِكَ لَيْلَةَ الْقَدَرِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَلَهُ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، وَعَاشَتْ أُمُّهُ بَعْدَهُ سِتِّ سِنِينَ<sup>(٤)</sup>. وَرَوَى الشَّيْخَانُ حَدِيثًا: «إِنَّهُ يَنْزِلُ قَرِبَ السَّاعَةِ، وَيَحْكُمُ بِشَرِيعَةِ نَبِيْنَا، وَيَقْتُلُ الدَّجَالَ وَالْخَنَزِيرَ، وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَضَعُ الْجُزْيَةَ»<sup>(٥)</sup>. وَفِي حَدِيثٍ مُسْلِمٍ: «إِنَّهُ يَكْتُبُ سَبْعَ سِنِينَ»<sup>(٦)</sup>. وَفِي حَدِيثٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ: أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَيَتَوَفَّى وَيُصَلَّى عَلَيْهِ<sup>(٧)</sup>. فَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ مَجْمُوعَ لَيْلَتِهِ فِي الْأَرْضِ قَبْلَ الرَّفْعِ وَبَعْدَهُ.

[٥٨] ﴿وَذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورُ مِنْ أَمْرِ عِيسَى ﴿تَتْلُوهُ﴾ نَقَصَهُ ﴿عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدٌ ﴿مِنْ الْأَنْبِيَاءِ﴾ حَالُ مِنَ الْهَاءِ فِي ﴿تَتْلُوهُ﴾، وَعَامِلُهُ مَا فِي ﴿وَذَلِكَ﴾ مِنْ مَعْنَى الْإِشَارَةِ<sup>(٨)</sup> ﴿وَالَّذِيكَ الْحَكِيمِ﴾ الْحَكَمُ؛ أَي: الْقُرْآنَ.

[٥٩] ﴿إِنِّي مَكَّلْتُ عِيسَى﴾ شَأْنَهُ الْغَرِيبَ ﴿عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ مَادَمَ﴾ كَشَأْنَهُ فِي خَلْقِهِ مِنْ غَيْرِ أَبِي، وَهُوَ مِنْ تَشْبِيهِ الْغَرِيبِ بِالْأَرْبَابِ؛ لِيَكُونَ أَقْطَعُ لِلْخَصْمِ وَأَوْقَعُ فِي النَّفْسِ ﴿خَلَقْتُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ بِشَرِّهَا ﴿فَيَكُونُ﴾ أَي: فَكَانَ؛ وَكَذَلِكَ عِيسَى قَالَ لَهُ: «كُنْ» مِنْ غَيْرِ أَبِي؛ فَكَانَ.

[٦٠] ﴿أَلَمْ يَكُنْ مِنْ رَبِّكَ﴾ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ؛ أَي: أَمْرٌ عِيسَى ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ الشَّاكِكِينَ فِيهِ.

[٦١] ﴿فَمَنْ حَاكَمَكَ﴾ جَادِلَكَ مِنَ النَّصَارَى ﴿فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بِأَمْرِهِ ﴿فَقُلْ لَهُمْ﴾: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾

رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَآتَيْنَا الرَّسُولَ فَأَكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُوسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿فَلَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْرِضْهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ بَيْنَ نَصِيرَتِكَ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿ذَلِكَ تَتْلُوهُ عَلَيْنِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالَّذِيكَ الْحَكِيمِ﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ ﴿أَلَمْ يَكُنْ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿فَمَنْ حَاكَمَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾

وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ فَجَمَعَهُمْ ﴿ثُمَّ لَبَّيْكَ﴾ تَضَرَّعَ فِي الدَّعَاءِ ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ بِأَنَ نَقُولَ: اللَّهُمَّ الْعَنِ الْكَاذِبَ فِي شَأْنِ عِيسَى. وَقَدْ دَعَا ﷺ وَفَدَّ نَجْرَانًا لِلذَّلِكِ لَمَّا حَاجُوهُ بِهِ؛ فَقَالُوا: حَتَّى نَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا ثُمَّ نَأْتِيكَ. فَقَالَ ذَوُو رَأْيِهِمْ: لَقَدْ عَرَفْتُمْ نُبُوته وَأَنَّهُ مَا تَهْلُ قَوْمٌ نَبِيًّا إِلَّا هَلَكُوا فَوَادَعُوا الرَّجُلَ وَانْصَرَفُوا. فَأَتَوْا الرَّسُولَ ﷺ وَقَدْ خَرَجَ وَمَعَهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، وَفَاطِمَةُ وَعَلِيٌّ، وَقَالَ لَهُمْ: «إِذَا دَعَوْتُ فَأَقْبِلُوا، فَأَبُوا أَنْ يَلْعَنُوا وَصَالِحُهُ عَلَى الْحِزْبَةِ»<sup>(٩)</sup>. [رواه أبو نعيم]. وعن ابن عباس قال: لو خرج الذين يباهلون، لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا. وروى: لو خرجوا لاحترقوا.

(١) وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: إن الذي صلب شاب من تلاميذ المسيح ﷺ، رضي بأن يلقى عليه شبه المسيح، ويقتل مكانه ليكون رفيقه في الجنة. الدر المنثور [٢/٢٧٢].

(٢) بالنون، للسبعة عدا حفص.

(٣) وهذا تأويل سبق التنبيه والرد عليه وإثبات صفة الحب لله ﷻ على الوجه الذي يليق به سبحانه، ومن لازم عدم محبته سبحانه لهم أنه يعاقبهم.

(٤) وهذا تأويل ثاب به سنة صحيحة وهو أشبه بالإسرائيليات التي يتوقف في القول بها.

(٥) البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥).

(٦) مسلم (٢٩٤٠).

(٧) وأخرج أحمد وأبو داود (٤٣٢٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٦٣٥)، والصحيحة (٢١٨٢)، من حديث أبي هريرة، وفيه: «وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ».

(٨) لأنه مضمن معنى «أشيرة»، واعترض ذلك بأن العامل في الحال هو العامل في صاحبها، وصاحبها هو الهاء في: «تَتْلُوهُ»؛ فالعامل هو: «تَتْلُوهُ». قال بعضهم معتذرا عن المفسر: بأنه خلط إعرابا بآخر.

(٩) أخرجه أبو نعيم في الدلائل كما في الدر المنثور (٢٣٢/٣) وأصله عند مسلم (٢٤٠٤).

فيجزيهم، وفيه وضع الظاهر موضع المضمر.

[٦٤] ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى: ﴿تَمَتَّلُوا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوِيَّةٍ﴾ مصدر، بمعنى: مستو أمرها ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ هي: ﴿أَنَّ﴾ ن ﴿لَا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلَا تَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ كما اتخذتم الأَحبار والرهبان ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أَعْرَضُوا عن التوحيد ﴿فَقُولُوا﴾ أَنْتُمْ لَهِم: ﴿أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ موحدون. وَتَزَلَّ - لما قال اليهود: إبراهيم يهودي ونحن على دينه. وقالت النصارى كذلك -: [٦٥] ﴿يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ﴾ تخاصمون ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ بزعمكم أنه على دينكم <sup>(١)</sup> ﴿وَمَا أُنزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ بزمن طويل، وبعد نزولهما حدثت اليهودية والنصرانية ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بطلان قولكم؟! [٦٦] ﴿هَٰذَا لِلنَّبِيِّ﴾ أَنْتُمْ ﴿مَبْدَأُ﴾ يَا ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ وَالْخَبْر: ﴿حَاجَّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ مِنْ أَمْرِ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَزَعَمْتُمْ أَنْتُمْ عَلَىٰ دِينِهِمَا﴾ فِيمَا تَحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴿مِنْ شَأْنِ إِبْرَاهِيمَ﴾ وَاللَّهُ يَمْلِكُ شَأْنَهُ ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

[٦٧] قال - تعالى - تبرئة لإبراهيم: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿مُسْلِمًا﴾ موحداً ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[٦٨] ﴿إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ﴾ أَحَقُّهُمْ ﴿بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ في زمانه ﴿وَهَٰذَا النَّبِيُّ﴾ محمد، لموافقته له في أكثر شرعه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أمته؛ فهم الذين ينبغي أن يقولوا: نحن على دينه. لا أنتم ﴿وَاللَّهُ وَفِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ <sup>(٢)</sup> ناصرهم وحافظهم. وَتَزَلَّ - لما دعا اليهود مُعَاذًا وحذيفة وعماراً إلى دينهم :-

[٦٩] ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ لأن إثم إضلالهم عليهم، والمؤمنون لا يطيعونهم فيه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

[٧٠] ﴿يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن المشتمل على نعت محمد ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ تعلمون أنه الحق؟! <sup>(٣)</sup>

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ <sup>(١)</sup> فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ <sup>(٢)</sup> هَٰذَا نَشْرُهُ هَٰؤُلَاءِ حَاجَّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ <sup>(٣)</sup> مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ <sup>(٤)</sup> إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ <sup>(٥)</sup> وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ <sup>(٦)</sup> يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ <sup>(٧)</sup>

[٦٢] ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المذكور ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ﴾ الخبر ﴿الْحَقُّ﴾ الذي لا شك فيه ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَلَيْكَ اللَّهُ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعته.

[٦٣] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أَعْرَضُوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾

(٥) فائدة: أشرح الترمذي عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي ولاء من البين، وإن وليي أبي وعلي رضي». ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ﴾ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤) سورة آل عمران. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٣٩٤).

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (١٨١، ١٨٠/٢)، ومن طريقه ابن جرير في تفسيره (٢١٦/٣)، والبيهقي في الدلائل (٣٨٤/٥) عن ابن عباس، وضعفه في الاستيعاب (٢٥٩/١، ٢٦٠).

[٧١] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ بالتحرif والتزوير ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ أي: نعت النبي ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه حق!.

[٧٢] ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ اليهود لبعضهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَنْزَلَ عَلَى الْآلِينِ ءَامَنُوا﴾ أي: القرآن ﴿وَتَجِبَ الْكَهَّارُ﴾ أوله ﴿وَكَفَرُوا﴾ به ﴿وَأَجْرُهُ لَعَلَّهُمْ﴾ أي: المؤمنون ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عن دينهم؛ إذ يقولون: ما رجع هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه وهم أولو علم إلا لعلمهم بطلانه. وقالوا أيضًا: [٧٣] ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا﴾ تصدقوا ﴿إِلَّا لِمَن﴾ اللام زائدة<sup>(١)</sup> ﴿تَبِعَ﴾ وافق ﴿دِينَكُمْ﴾ قال - تعالى -: ﴿قُلْ لَّهُمْ يَا مُحَمَّد: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ هُوَ اللَّهُ﴾ الذي هو الإسلام، وما عداه ضلال، والحيلة اعتراض<sup>(٢)</sup> ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿يُؤَيِّدَ أَكْثَرُ نَفْسٍ مَّا أُوْتِيتُمْ﴾ من الكتاب والحكمة والفضائل، و﴿أَنْ﴾ مفعول «تؤمنوا»، والمستثنى منه «أحد»<sup>(٣)</sup> قدم عليه المستثنى؛ المعنى: لا تقروا<sup>(٤)</sup> بأن أحدًا يؤتى ذلك إلا لمن اتبع دينكم ﴿أَوْ﴾ بأن ﴿يُحَاجُّوكُمْ﴾ أي: المؤمنون يغلبوكم ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ يوم القيامة؛ لأنكم أصبح دينًا، وفي قراءة: ﴿أَنْ﴾<sup>(٥)</sup> بهزة التوسيع<sup>(٦)</sup> أي: أيًا<sup>(٧)</sup> أحد مثله تَقْرُونَ به؟ قال - تعالى -: ﴿قُلْ إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ فمن أين لكم أنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتهم ﴿وَاللَّهُ وَسِعَ﴾ كثير الفضل ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بمن هو أهله.

[٧٤] ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. [٧٥] ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن﴾ إن تأمنه يقطار<sup>(٨)</sup> أي: بمال كبير ﴿يُؤَدُّ إِلَيْكَ﴾ لأمانته؛ كعبد الله بن سلام أودعه رجل ألفًا ومائتي أوقية ذهبًا فأداها إليه ﴿وَمِنْهُمْ مَن﴾ إن تأمنه يدينار<sup>(٩)</sup> لا يؤدُّه إليك<sup>(١٠)</sup> لخيانته ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ لا تفارقه، فمضى فارقه أنكره؛ كعبد بن الأشرف استودعه قرشي دينارًا ففجده ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ترك الأداء ﴿يَا أَيُّهَا قَائِدُ﴾ بسبب قولهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمْنِ﴾ أي: العرب ﴿سَبِيلٌ﴾ أي: إنهم لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم، ونسبوه إليه - تعالى -، قال - تعالى -: ﴿وَيَقُولُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ﴾ في نسبة ذلك إليه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون.

[٧٦] ﴿بَلْ﴾<sup>(١١)</sup> عليهم فيهم سبيل ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ﴾ الذي عاهد عليه، أو بعهد الله إليه من أداء الأمانة وغيره ﴿وَأَتَّقِ﴾ الله بترك المعاصي وعمل الطاعات ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر<sup>(١٢)</sup> أي: يحبهم؛ بمعنى: يشيهم<sup>(١٣)</sup>. ونزل في اليهود لما بدلوا نعت

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامَنُوا بِالَّذِي أَنْزَلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجِبَ الْكَهَّارِ ﴿٧٢﴾ وَأَكْفَرُوا بِهِ ءَاخِرُهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٣﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهَدْيَ هَدَىٰ اللَّهُ أَن يُوَفَّىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ﴿٧٤﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٥﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إِن تَأْمَنَّهُ بِقِطَارٍ يُؤَدُّ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَن إِن تَأْمَنَّهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ بَلْ مَن أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَأَتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٨﴾

النبي ﷺ وعهد الله إليهم في التوراة<sup>(١٤)</sup>، وفمن حلف كاذبًا في دعوى أو في بيع سلعة -: [٧٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ يستبدلون ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ إليهم في الإيمان بالنبي وأداء الأمانة ﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾ حلفهم به - تعالى - كاذبين ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا ﴿أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ﴾ نصيب ﴿لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ غضبًا<sup>(١٥)</sup> ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ يرحمهم<sup>(١٦)</sup> ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم<sup>(١٧)</sup>.

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٧٧): أخرج البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رجلًا أقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله لقد أعصى بها ما لم يعط، فوقع فيها رجلًا من المسلمين، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ البخاري - كتاب البيوع (٣٤) باب (٢٧) ما يكره من الحلف في البيع.

(١) الأولى أن يضمن الإيمان هنا معنى الاتقياء والتسليم والإقرار، فيكون المراد: فصلده واتبعه متفادًا لما جاء به، كما هو معناه الشرعي؛ فلا تكون اللام زائدة، ونظير ذلك قوله - تعالى -: ﴿فَقَامَ لَمْ يُؤْتِ﴾. والله أعلم. (٢) أي: بين العامل والمفعول. (٣) هذا باعتبار أن اللام في قوله: ﴿لِمَن﴾ زائدة، أما على عدم تقدير زيادتها فالمستثنى منه محذوف تقديره: ولا تؤمنوا؛ أي: تقروا وتعترفوا وتصرحوا لأحد من الناس بأن أحدًا يؤتى مثل ما أوتيتهم من الفضائل واليكالات إلا لشخص اتبع دينكم. (٤) ضغن المفسر ﴿تُؤْمِنُوا﴾ معنى: تقروا؛ لتكون اللام في قوله: ﴿لِمَن﴾ أصلية. (٥) لاين كبير، وعلى هذه القراءة يكون هذا الكلام مستأنفًا. (٦) أي: بهزة الاستفهام الذي هو للتوبيخ مع الإنكار.

(٧) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿أَنْ يُؤَيِّدَ أَكْثَرُ نَفْسٍ مَّا أُوْتِيتُمْ﴾ في تأويل مصدر مبتدأ خبره محذوف تقديره: تقروا به. (٨) إضراب إبطائي، وهو ممن عن جملة قدرها المفسر بقوله: «عليهم فيهم سبيل». (٩) وكان مقتضى الظاهر أن يقول: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ يَجِبُهُ﴾، وهذا للاعتناء بشأن المؤمنين، وإشارة إلى عمومته لكل مؤمن. (١٠) وهذا تأويل غير جائز لهذه الصفة، وسبق بيان فساده، وبيان مذهب السلف في صفات الله ﷻ مراؤا. (١١) ذكره ابن حجر في المحاب (٧٠٢/٢) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وقال في الفتح (٢١٣/٨): «وقص الكلبي في تفسيره في ذلك قصة طويلة، وهي محتملة أيضًا، لكن المعتقد في ذلك ما ثبت في الصحيح». والكلبي وأبو صالح متهمان بالكذب؛ فالحديث موضوع. (١٢) أي: لا يكلمهم كلامًا ينفعهم ويسرهم، ولكن يمكن أن يكلمهم كلامًا يسوؤهم كما في قوله - سبحانه - لهم: ﴿أَنْتُمْ فِيهَا لَا تُكَلِّمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، وفي هذه الآية وغيرها إثبات صفة الكلام لله - سبحانه - على الوجه اللائق به كما هو مذهب السلف. (١٣) أي: لا ينظر إليهم نظر رحمة وإحسان، ومن لازمها: إثبات أنه ينظر للمؤمنين نظر رحمة، وفي هذا إثبات صفة البصر له على الوجه اللائق به كما جاء صريحًا في غير آية.

وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفِرَاقًا يُلَوِّنُ الْإِسْمَ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَالِيَّةَ وَالنَّيِّسَ أَرْبَابًا أَيَا أَمْرُكُمْ يَكْفُرُ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَلَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكَ إِمْرًا قَالُوا أَأَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

كاذبون. وَتَوَلَّى - لما قال نصارى نجران: إن عيسى أمرهم أن يتخذوه ربًّا. أو لما طلب بعض المسلمين السجود له ﷺ: ﴿٧٩﴾ [٧٩] «مَا كَانَ» ينبغي ﴿لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ أي: الفهم للشرعية ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴿٧٨﴾ علماء عاملين منسوبين إلى الرب بزيادة ألف ونون تفخيماً ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ بالضعيف والتشديد ﴿٧٩﴾ «الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ» بسبب ذلك؛ فإن فائدته أن تعملوا. [٨٠] «وَلَا يَأْمُرُكُمْ» بالرفع ﴿٨٠﴾ استئنافاً؛ أي: الله ﴿٨١﴾، والنصب عطفًا على ﴿يَقُولُ﴾؛ أي: البشر ﴿٨١﴾ أن تتخذوا للمالكية والنَّيِّسَ أَرْبَابًا ﴿٨٢﴾ كما اتخذت الصابغة الملاحكة، واليهود عزيرًا، والنصارى عيسى ﴿يَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ لا ينبغي له هذا ﴿٨٣﴾.

[٨١] ﴿٨١﴾ اذكر ﴿إِذْ﴾ حين ﴿أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ عهدهم ﴿لَمَّا﴾ بفتح اللام؛ للابتداء وتوكيد معنى القسم ﴿٨٠﴾ الذي في أخذ الميثاق، وكسرهما متعلقة بـ «أخذ» ﴿٨٠﴾، و«ما» موصولة على الوجهين؛ أي: للذي ﴿عَاتَيْنَاكُمْ﴾ إياه، وفي قراءة: ﴿عَاتَيْنَاكُمْ﴾ ﴿٨١﴾ ﴿مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ من الكتاب والحكمة؛ وهو: محمد ﷺ ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ جواب القسم: إن أدركنموه، وأتممهم تبع لهم في ذلك ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم: ﴿أَقْرَضْتُمْ﴾ بذلك ﴿وَأَخَذْتُمْ﴾ قبلتم ﴿عَلَى ذُلِّكُمْ﴾ إصرقٌ عهدي؟ ﴿قَالُوا أَأَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا﴾ على أنفسكم وأتباعكم بذلك ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عليكم وعليهم. [٨٢] ﴿٨٢﴾ ﴿فَمَنْ تَوَلَّى﴾ أعرض ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الميثاق ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

[٨٣] ﴿٨٣﴾ ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ بالياء والتاء ﴿٨١﴾؛ أي: المتولون ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾ انقاد ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾ بلا إباء ﴿وَكْرَهًا﴾ بالسيف ومعابنة ما يلجئ إليه ﴿وَالَّذِينَ﴾ ﴿تَرْجَعُونَ﴾ بالياء والياء ﴿٨٣﴾، والهمزة في أول الآية للإنكار.

[٧٨] ﴿٧٨﴾ ﴿وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفِرَاقًا يُلَوِّنُ الْإِسْمَ بِالْكِتَابِ﴾ طائفة؛ ككعب بن الأشرف ﴿يُلَوِّنُ الْإِسْمَ بِالْكِتَابِ﴾ أي: يعطونها بقرائه عن المنزل إلى ما حرفوه من نعت النبي ﷺ ونحوه ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ أي: المحرف ﴿وَالْكِتَابِ﴾ الذي أنزله الله ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم

(١) ذكره ابن جرير في تفسيره (٣/٣٢٥)، وعزاه في الدر المنثور للبيهقي في الدلائل عن ابن عباس عن أبي رافع القرظي. وضعفه في الاستيعاب (١/٢٦٨).

(٢) أخرجه عبد بن حميد عن الحسن كما في الدر المنثور (٣/٢٥٠). وهو ضعيف مرسل كما في الاستيعاب (١/٢٦٩).

(٣) بالتحفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، ويكون مع فتح التاء وسكون العين. وقرأ بقية السبعة: ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بالتشديد مع ضم التاء وفتح العين.

(٤) أي: بضم الراء، قراءة نافع وابن كثير والكسائي. وقرأ أبو عمرو وبخلف عن الدوري: ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ بسكون الراء، وبقية السبعة: ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ بالفتح.

(٥) أشار بذلك إلى أن فاعل ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ - بالرفع - ضمير مستتر عائد على «الله».

(٦) أي: على هذا التقدير يكون فاعل ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ - بالنصب - ضميرًا مستترًا عائدًا على «بشر».

(٧) أشد بهذا إلى أن الاستفهام إنكاري تعجبي.

(٨) أي: مؤكدة لليقين المأخوذ من الميثاق؛ فإنه تقدم أن معنى الميثاق عهد مؤكد بيمين.

(٩) أي: على أنها للتعليل ﴿لَمَّا﴾؛ أي: لرعاية وحفظ ما أتيتكم، وهي قراءة حمزة.

(١٠) لنافع.

(١١) بالياء لأبي عمرو وحفص، وبالطاء للباقيين.

(١٢) بالياء قراءة حفص، وقرأ بقية السبعة بالياء.

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ  
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ  
وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ بِالصِّدْقِ  
وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٥﴾ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ  
الْخَاسِرِينَ ﴿٨٦﴾ كَيْفَ يُهْدَىٰ اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ  
وَشَهِدُوا بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّهُ  
الرَّسُولُ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمُ لَعْنَةُ اللَّهِ  
وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُ  
عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ  
بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ  
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الصَّاكُونَ ﴿٩١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ  
كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ لَأَرْضٍ ذَهَبًا وَلَوْ  
أَفْتَدَىٰ بِهِمْ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩٢﴾

[٨٤] ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ  
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ أولاده ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ  
وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ بالصدق والتكذيب  
﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٥)</sup> مخلصون في العبادة. ونَزَلَ فيمن ارتد ولحق  
بالكفار:

[٨٥] ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ  
الْخَاسِرِينَ﴾ نصيره إلى النار المؤبدة عليه.

[٨٦] ﴿كَيْفَ﴾ أي: لا ﴿يُهْدَىٰ اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ  
وَشَهِدُوا بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ وشهادتهم ﴿أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾ قد ﴿جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾  
الحجج الظاهرات على صدق النبي ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي:  
الكافرين.

[٨٧] ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ  
أَجْمَعِينَ﴾.

[٨٨] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: اللعنة أو النار المدلول بها عليها ﴿لَا يَخَفُ  
عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ يُتَهَلَّوْنَ.

[٨٩] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ  
رَحِيمٌ﴾<sup>(٦)</sup> بهم. ونَزَلَ في اليهود:

[٩٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعِيسَى﴾ بعد إيمانهم ﴿بِوَسْطَى﴾ ثُمَّ  
أَزْدَادُوا كُفْرًا ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ إذا غرغروا أو ماتوا كفارًا  
﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الصَّاكُونَ﴾.

[٩١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ  
لَأَرْضٍ﴾ مقدار ما يملؤها ﴿ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَىٰ بِوَسْطَى﴾ أدخل الفاء في خبر  
﴿إِنَّ﴾؛ لشبهه «الذي»<sup>(٧)</sup> بالشرط وإيدانًا بنسب عدم القبول عن الموت على  
الكفر ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾  
مانعين منه.

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ في الركعة الأولى، وفي الركعة الأخرى بهذه الآية: ﴿وَرَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنْزِلَتْ وَأَنبَتْنَا أَرْسُولًا فَاعْتَبْنَا مَعَ النَّبِيِّينَ﴾ أو ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾. أبو داود - كتاب الصلاة (٢) باب (٢٩٢) في تخفيفها. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١١٢٢).

(٦) ما جاء في نزول الآيت (٨٦ - ٨٩): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم تدم، فأرسل إلى قومه: سلوا لي رسول الله ﷺ، هل لي من نوبة؟ فجاء قومه إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن فلانًا قد تدم، وإنه أمرنا أن نسالك: هل له من نوبة؟ فنزلت: ﴿كَيْفَ يُهْدَىٰ اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. فأرسل إليه فأسلم. النسائي - كتاب تحريم الدم (٣٧)، باب (١٥) نوبة المرتد، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣٧٩٢). واسم هذا الأنصاري: احارث بن سويد كما في المطالب العالية لابن حجر (٣١٤/٣).

(٧) فيه حكاية بالمعنى؛ إذ المذكور في الآية ﴿الَّذِينَ﴾ لكن حكمهما واحد.

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبِعُونَهَا عَوجًا وَأَسْتَشْهَدُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ طَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أَوْفُوا بِالْكِتَابِ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٠٠﴾

تكن على عهده حرامًا كما زعموا ﴿٩٢﴾ قُلْ لِمَ: ﴿٩٢﴾ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا ﴿٩٣﴾ لِيُتَبَيَّنَ صدق قولكم ﴿٩٤﴾ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٥﴾ فيه: فبهتوا ولم يأثروا بها. قال - تعالى: ﴿٩٤﴾ ﴿٩٤﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴿٩٥﴾ أي: ظهور الحجة بأن التحريم إنما كان من جهة يعقوب لا على عهد إبراهيم ﴿٩٦﴾ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٧﴾ المتجاوزون الحق إلى الباطل. ﴿٩٥﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ﴿٩٦﴾ في هذا: كجميع ما أخبر به ﴿٩٧﴾ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٩٨﴾ التي أنا عليها ﴿٩٩﴾ حَنِيفًا ﴿١٠٠﴾ مائلًا عن كل دين إلى الإسلام ﴿١٠١﴾ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٢﴾ ونزل. لما قالوا: قبلتنا قبل قبلكم ﴿١٠٣﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٦﴾ إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ ﴿٩٧﴾ متبعين ﴿٩٨﴾ لِيُتَبَيَّنَ ﴿٩٩﴾ في الأرض ﴿١٠٠﴾ لِلَّذِي بِبَكَّةَ ﴿١٠١﴾ بالباء، لغة في «مكة»، سميت بذلك؛ لأنها تلك أعناق الجبارة: أي: تدفقها، بناه الملائكة قبل خلق آدم، ووضع بعده الأقصى، وبينهما أربعون سنة؛ كما في حديث الصحيحين ﴿١٠٢﴾ وفي الحديث: «أنه أول ما ظهر على وجه الماء عند خلق السماوات والأرض زبدية بيضاء؛ فحدث الأرض من تحتها» ﴿١٠٣﴾ ﴿١٠٤﴾ مَبَارَكًا ﴿١٠٥﴾ حال من «الذي»؛ أي: ذا بركة ﴿١٠٦﴾ وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ لأنه قبلتهم. ﴿٩٧﴾ ﴿٩٧﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴿٩٨﴾ منها ﴿٩٩﴾ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٠﴾ أي: الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت؛ فَأَتُوا قَدَمَاهُ ﴿١٠١﴾ وبقي إلى الآن مع تطاول الزمان وتداول الأيدي عليه، ومنها: تضعيف الحسنات فيه، وأن الطير لا يعوله ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴿١٠٣﴾ لا يتعرض إليه بقتل أو ظلم أو غير ذلك ﴿١٠٤﴾ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ ﴿١٠٥﴾ واجب، بكسر الحاء وفتحها ﴿١٠٦﴾ لغتان في مصدر حج؛ بمعنى: قصد، ويدل من ﴿١٠٧﴾ «الناس»: ﴿١٠٨﴾ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴿١٠٩﴾ طريقًا؛ فُشِّرُهُ ﴿١١٠﴾ بِالزَّادِ وَالزَّاجِلِ ﴿١١١﴾. (رواه الحاكم وغيره) ﴿١١٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ ﴿١١٣﴾ بالله أو بما فرضه من الحج ﴿١١٤﴾ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ الإنس والجن والملائكة وعن عبادتهم. ﴿٩٨﴾ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَكْفُلُ الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴿٩٩﴾ القرآن ﴿١٠٠﴾ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٠١﴾ فيجازيكم عليه. ﴿٩٩﴾ ﴿٩٩﴾ قُلْ يَكْفُلُ الْكِتَابُ لِمَ تَصَدُّونَ ﴿١٠٢﴾ تَصَدُّونَ ﴿١٠٣﴾ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿١٠٤﴾ أي: دينه ﴿١٠٥﴾ مَنِ ءَامَنَ ﴿١٠٦﴾ بتكذيبكم النبي وكنتم نقيبه ﴿١٠٧﴾ تَبِعُونَهَا ﴿١٠٨﴾ أي: تطلبون السبيل ﴿١٠٩﴾ عَوجًا ﴿١١٠﴾ مصدر؛ بمعنى: معوجة؛ أي: مائلة عن الحق ﴿١١١﴾ وَأَسْتَشْهَدُ ﴿١١٢﴾ عالمون بأن الدين المرضي القيم هو دين الإسلام؛ كما في كتابكم ﴿١١٣﴾ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١١٤﴾ من الكفر والتكذيب، وإنما يؤخركم إلى وقتكم؛ ليجازيكم. ونزل. لما مر بعض اليهود ﴿١١٥﴾ على الأوس والخزرج، وغاظهم تألفهم؛ فذكروهم بما كان بينهم في الجاهلية من الفتن؛ فمشاجروا وكادوا يقتلوا: ﴿١١٦﴾ ﴿١١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ طَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أَوْفُوا بِالْكِتَابِ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١١٨﴾

﴿٩٢﴾ ﴿٩٢﴾ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ ﴿٩٣﴾ أي: ثوابه؛ وهو: الجنة ﴿٩٤﴾ حَتَّى تُنْفِقُوا ﴿٩٥﴾ تَصَدَّقُوا ﴿٩٦﴾ وَمِمَّا تُحِبُّونَ ﴿٩٧﴾ من أموالكم ﴿٩٨﴾ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٩﴾ فيجازي عليه ﴿١٠٠﴾ ونزل. لما قال اليهود: إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم وكان لا يأكل لحوم الإبل وألبانها ﴿١٠١﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٣﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا ﴿٩٤﴾ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ ﴿٩٥﴾ يعقوب ﴿٩٦﴾ نَفْسِي ﴿٩٧﴾ وهو الإبل لما حصل له عرق الشما - بالفتح والقصر؛ فندر إن شفي لا يأكلها فحرم عليه ﴿٩٨﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ﴿٩٩﴾ وذلك بعد إبراهيم، ولم

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نحلًا، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد. وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها، طيب قال: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿قُلْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إلي بيرحاء. وإنما صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعاها يا رسول الله حيث أراك الله. قال رسول الله ﷺ: «خير. ذلك مال رابع، وإني سمعت ما قلت. وإني أرى أن تجعلها في الأقربين» قال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه ونبي عمه، البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة آل عمران (٣) باب (٥).

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٧٥)، (٧٦)، والمخالف في العجاف (٧١٦/٢)، عن الكلبي وأبي ورق، وهو موضوع كما في الاستيعاب (٢٧٤/١)، (٢٧٥).

(٢) البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠) من حديث أبي ذر وليس فيه أن الذي بناه الملائكة.

(٣) ذكره الطبري في تفسيره من طريق عبد الله بن عمرو ومجاهد موقوفًا عليهما. وعزه في الدر المنثور للطبراني والبيهقي في شعبه عن عبد الله بن عمرو [الدر المنثور (٢٦٥/٤)].

(٤) أشار الشارح بذلك أن آياته لا تنحصر في هذين المائتين؛ ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾، ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، وإنما خصهما بالذكر؛ لعظمتهما، وأنها تقوم بهما الحجة على الكفار؛ إذ هم مبركون لهما بحواسم.

(٥) ليس على هذا دليل والواقع على خلافه إذ إن الطير يعوله ويجلس على سقفه كما هو مشاهد.

(٦) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة. (٧) أي: بدل بعض من كل، ولعلنا محذوف تقديره: منهم.

(٨) الحاكم في المستدرک (٤٤٢/١)، وابن ماجه (٢٨٩٦)، والترمذي (٨١٣) من حديث ابن عمر، والدارقطني من حديث أنس، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٣٣٥).

(٩) أخرجه ابن إسحاق في الغاري (١٨٥/٢) عن زيد بن أسلم، ومن طريقه الطبري في تفسيره (١٧، ١٦/٤)، وضعفه الحاكم إسناده في الإصابة (٨٧/١)، وهذا اليهودي قبل اسمه: شاس بن



وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَنَقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَتَعْرُوفٍ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَمِن رَّحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾

[١٠١] ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ استفهام تعجب وتوبيخ ﴿وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ بَانَ يَطَاعُ ﴿فَلَا يَغْفِي﴾، وَيُشَكِّرُ فَلَا يَكْفُرُ، وَيَذْكُرُ فَلَا يُنْسِي؛ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَقْوَىٰ عَلَىٰ هَذَا؟ ﴿فَتَسَبَّحْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى﴾: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾<sup>(١)</sup>. ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ موجدون.

[١٠٣] ﴿وَأَعْتَصِمُوا﴾ تَمَسَّكُوا ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ أي: دينه ﴿جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ بعد الإسلام ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ إِنْعَامَهُ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يا معشر الأوس والخزرج ﴿إِذْ كُنْتُمْ﴾ قبل الإسلام ﴿أَعْدَاءً فَأَلَّفَ جَمْعٌ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام ﴿فَأَصْبَحْتُمْ﴾ فَصَرَّمْ ﴿بِنِعْمَتِهِ﴾ إِخْوَانًا ﴿فِي الدِّينِ وَالْوَلَايَةِ﴾ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا طَرَفٍ ﴿حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ لَيْسَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْوُقُوعِ فِيهَا إِلَّا أَنْ تَمُوتُوا كَفَرًا ﴿فَنَقَذَكُمْ مِّنْهَا﴾ بِالْإِيمَانِ ﴿كَذَلِكَ﴾ كَمَا بَيْنَ لَكُمْ مَا ذَكَرَ ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ.

[١٠٤] ﴿وَلَتَكُنَّ بَيْنَكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ الإسلام ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الْفَائِزُونَ، وَ﴿مِنْ﴾ لِلتَّبَعِضِ<sup>(٢)</sup>؛ لِأَنَّ مَا ذَكَرَ فَرَضَ كِفَايَةً لَا يَلِمْ كُلَّ أُمَّةٍ، وَلَا يَلِيقُ بِكُلِّ أَحَدٍ؛ كَالْجَاهِلِ.

[١٠٥] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ عَنْ دِينِهِمْ ﴿وَاخْتَلَفُوا﴾ فِيهِ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُمْ﴾ هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى<sup>(٣)</sup> ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٠٦] ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ أي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وَهُمْ الْكَافِرُونَ فَيَلْقَوْنَ فِي النَّارِ وَيُقَالُ لَهُمْ تَوْبِيخًا: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ يَوْمَ أَخَذَ الْمِيثَاقَ ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[١٠٧] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup> أي: جَنَّتِهِ ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١٠٨] ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ هَذِهِ الْآيَاتُ ﴿تَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ بَانَ يَأْخُذُهُمْ بِغَيْرِ جَرَمٍ.

- قيس. وجاء نحوه عن معاهد كما في تفسير الطبري (١٧/٤). وضعفهما في الاستيعاب (٢٧٩/١، ٢٨٠).

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد، وعبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن أبي شيبه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في الناسخ والطبراني والحاكم وصححه ابن مردويه عن ابن مسعود. [الدر المنثور (١٠٥/٢)].

(٢) العنان: ١٦.

(٣) وفي: صلة؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ [الحج: ٣٠] لم يرد اجتناب بعض الأوثان، بل أراد: فاجتنبوا الأوثان. قال ابن كثير: المقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُفَرِّدْهُ، فَإِنْ لَمْ يَفْرِدْهُ فليُشَارِكْهُ، فَإِنْ لَمْ يَفْرِدْهُ فليُطِيعْهُ، وَكَذَلِكَ أَسْعَفُ الْإِيمَانُ﴾ [تفسير ابن كثير (٣٦٨/١)].

(٤) محكي هذا عن أبي ثني كعب. وقال الحسن: هم المنافقون تكلّموا بالإيمان بالسنتهم وألّفوا بقلوبهم. وعن عكرمة أنهم أهل الكتاب، آمنوا بأنبيائهم ومحمد ﷺ قبل أن يبعث، فلما بعث كفروا به. والآية - والله أعلم - تحذير لهذه الأمة أن يسلكوا سبيل التفرق والاختلاف في الدين كما سلكه من قبهم من اليهود والنصارى حتى ربما أدى بهم إلى الكفر. والعياذ بالله. بعد إيمانهم، فيقال بهم كما قيل لهؤلاء: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، ويشهد له قوله تعالى: ﴿فِي أَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْعِصْمَةِ بِحَبْلِ اللَّهِ وَبِهِمْ عَنِ التَّفَرُّقِ بَعْدَ أَنْ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾.

(٥) فيها إثبات صفة الرحمة لله - سبحانه.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٩﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٠﴾ لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى وَلَنْ يَفْتَلُوَكُمْ يُؤَلُّوْكُمْ إِلَّا دَبَارَ شَيْءٍ لَا يَصُرُونَ ﴿٢١﴾ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ اللَّهُ أَلْذَلَّةَ آيِنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءَ وَبَغَضِبِ مِّنَ اللَّهِ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿٢٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٢٥﴾

أُخْرِجَتْ أَظْهَرَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٠﴾ كعبد الله بن سلام ﷺ وأصحابه ﷺ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٠﴾ الكافرون.

[١١١] ﴿لَنْ يَضُرَّكُمْ﴾ أي: اليهود يا معشر المسلمين بشيء ﴿إِلَّا أَذًى﴾ باللسان من سب ووعيد ﴿وَلَنْ يَفْتَلُوَكُمْ﴾ يُولُّوكم الْأَذْيَارَ منزهين ﴿ثُمَّ لَا يَصُرُّوكم﴾ عليكم؛ بل لكم النصر عليهم.

[١١٢] ﴿ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ اللَّهُ أَلْذَلَّةَ آيِنَ مَا تُقِفُوا﴾ حينما وجدوا؛ فلا عز لهم ولا اعتصام ﴿إِلَّا﴾ كاتين ﴿وَيَحْبِلُ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ (١) المؤمنين؛ وهو: عهدهم إليهم بالأمان على أداء الجزية؛ أي: لا عصمة لهم غير ذلك (٢) ﴿وَبَآءَ وَبَغَضِبِ مِّنَ اللَّهِ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ﴾ تأكيداً ﴿بِمَا عَصَوْا﴾ أمر الله ﴿وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ يتجاوزون الحلال إلى الحرام.

[١١٣] ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ أي: أهل الكتاب ﴿سَوَاءً﴾ مستويين ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ مستقيمة ثابتة على الحق؛ كعبد الله بن سلام ﷺ وأصحابه ﷺ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يصلون، حال.

[١١٤] ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ومنهم من ليسوا كذلك، وليسوا من الصالحين.

[١١٥] ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ بالباء (٣) أيها الأمة، والباء؛ أي: الأمة القائمة ﴿مِنَ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ بالوجهين (٤)؛ أي: تعدوا ثوابه؛ بل تجازون عليه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (٥).

[١٠٩] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا وَعَيْدًا ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ﴾ تصير ﴿الْأُمُورُ﴾.

[١١٠] ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ يا أمة محمد في علم الله - تعالى - خَيْرَ أُمَّةٍ

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام. البخاري - كتاب التفسير

(٦٥) - سورة آل عمران (٣) باب (٧) ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

(٥٥) ما جاء في نزول الآيات (١١٣-١١٥) أخرج أحمد عن ابن مسعود قال: أخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء ثم حرج إلى المسجد إذا الناس ينتظرون الصلاة.

قال: أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم. قال: وأزل هؤلاء الآيات: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ حتى بلغ: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾

أحمد - المسند (٣٩٦/١). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣٧٦٠).

(١) يعني: إلا بعهد من الله، وهو أن يسلموا.

(٢) لكن إن كان اعتصامهم بحبل من الله بأن يسلموا ارتفع عنهم الذل وعصموا نفوسهم وأموالهم، وإن كان من الناس فقد عصموا نفوسهم وعاشوا في ذل.

(٣) بالناء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٤) أي: الباء والتاء، بالناء لمن سبق ذكرهم.

[١١٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ أَي: من عذبه ﴿سَيِّئًا﴾ وخصهما بالذكر؛ لأن الإنسان يدفع عن نفسه نارة بفداء المال، وثارة بالاستعانة بالأولاد ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١١٧] ﴿مَثَلُ﴾ صفة ﴿مَا يُنْفِقُونَ﴾ أي: الكفار ﴿فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في عداوة النبي أو صدقة ونحوها<sup>(١)</sup> ﴿كَمَثَلٍ يَبِيعُ فِيهَا صِرًّا﴾ حر أو برد شديد ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ﴾ زرع ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر والعصية ﴿فَأَهْلَكْنَاهُ﴾ فلم ينتفعوا به؛ فكذلك نفقاتهم ذاهبة لا ينتفعون بها ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بضياغ نفقاتهم ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر الموجب لضيعاعها.

[١١٨] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً﴾ أصفياء تطلعونهم على سرهم ﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾ أي: غيركم من اليهود والنصارى والمنافقين ﴿لَا يَأُولِيكُمْ حَبَالًا﴾ نصب بنزع الحافض؛ أي: لا يقصرون لكم في الفساد ﴿وَدُّوا﴾ تمنا ﴿وَمَا عَيْنُهُمْ﴾ أي: عتقكم؛ وهو: شدة الضرر ﴿فَقَدْ بَدَتْ﴾ ظهرت ﴿الْبَغْضَاءُ﴾ العداوة لكم ﴿مِنْ أَقْوَاهُمْ﴾ بالوقعة فيكم وإطلاع المشركين على سرهم ﴿وَمَا تُخْفِي بُدُورُهُمْ﴾ من العداوة ﴿أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ على عداوتهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ ذلك فلا توالوهم.

[١١٩] ﴿هَا﴾ للتبعية ﴿أَنْتُمْ﴾ يا ﴿أَوْلَادُ﴾ المؤمنين ﴿يُحِبُّوهُمْ﴾ لقراحتهم منكم وصدقتهم ﴿وَلَا يُحِبُّوكُمْ﴾ لخلفتهم لكم في الدين ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أي: بالكتب كلها، ولا يؤمنون بكتابكم ﴿وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَنْكُمْ﴾ أطراف الأصابع ﴿مِنْ الْقَوْلِ﴾ شدة الغضب؛ لما يرون من اختلافكم، ويعبر عن شدة الغضب بعض الأنامل مجازًا، وإن لم يكن ثمَّ غَضٌّ ﴿فَلَمْ يُولَوْا يَعْظِمُكُمْ﴾ أي: افقوا عليه إلى الموت<sup>(٢)</sup>؛ فلن تروا ما يسركم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب، ومنه ما يضمرة هؤلاء.

[١٢٠] ﴿إِنْ تَسْتَكْسِمُ﴾ تصبكم ﴿حَسَنَةً﴾ نعمة؛ كنصر وغنيمة ﴿تَنْصُرُهُمْ﴾ تنزيهم ﴿وَإِنْ تَصِيبُكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ كهزيمة وجذب ﴿يَقْرَحُوا بِهَا﴾ وجملة الشرط متصلة بالشرط قبل، وما بينهما اعتراض؛ والمعنى: أنهم متناهون في عداوتكم؛ فلم توالوهم؟! فاجتنبوها ﴿وَإِنْ تَصِيرُوا﴾ على أذاهم ﴿وَتَقْتُلُوا﴾ الله في مواليتهم وغيرها ﴿[يَضْرِبُكُمْ]﴾ بكسر الضاد، وسكون الراء<sup>(٣)</sup> وضمها وتشديدها<sup>(٤)</sup> ﴿كَيْدَهُمْ سَيِّئًا﴾ إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ لَكُمْ ﴿بِالْيَاءِ وَالنَّاءِ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿يُحِيطُ﴾ عالم<sup>(٦)</sup>؛ فيجازيهم به.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾  
مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكْنَاهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأُولُونَكُمْ حَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَقْوَاهُمْ وَمَا تُخْفِي بُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَآؤُنْتَ أَولَادُ يُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّوكُمْ وَتَوَمَّنُوا بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَيْنُكُمْ أَلَا تَأْمَلُ مِنَ الْقَبِيطِ قُلُومًا يَعِظُكُمْ أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِنْ تَسْتَكْسِمُ حَسَنَةً تَنْصُرُهُمْ وَإِنْ تَصِيبُكُمْ سَيِّئَةٌ يَقْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا لَا يَضْرِبُكُمْ كَيْدُهُمْ سَيِّئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ عَدَّتْ مِنْ أَهْلِكَ بُيُوتُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ الْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

[١٢١] ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذْ عَدَّتْ مِنْ أَهْلِكَ﴾ من المدينة ﴿بُيُوتُ﴾ تنزل ﴿الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ﴾ مراكز يقفون فيها ﴿لِلْقِتَالِ﴾ وَاللَّهُ سَمِيعٌ ﴿لَأَقْوَامِكُمْ﴾ بأحوالكم؛ وهو يوم أحد؛ خرج النبي ﷺ بألف أو إلا خمسين رجلا، والمشركون ثلاثة آلاف، ونزل بالشعب يوم السبت سابع شوال سنة ثلاث من الهجرة، وجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وسوى صفوفهم، وأجلس جيشًا من الرماة، وأمر عليهم عبد الله بن جبير بسفح الجبل، وقال: «انصمخوا غنًا بالنبلي، لا يأتون من ورائنا، ولا تزيحوا غلبتنا أو نصيرنا»<sup>(٧)</sup>.

(١) كصلة الرحم ومواساة الفقراء.

(٢) دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله إلى أن يهلكوا به، أو باشتداده إلى أن يهلكهم.

(٣) من صار يضير، وهذه القراءة لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) أي: تشديد الراء مع ضم الضاد من ضَرْبٍ يضرب، وهي قراءة بقية السبعة.

(٥) قراءة المشرة بالياء، والقراءة بالناء شاذة، وقد سها السيوطي عن التنبيه إلى ذلك كما جرت عادته بأن يقول عن القراءة الشاذة: وقرئ.

(٦) فهو - سبحانه - محيط بهم وأعمالهم ومكائدهم، حافظ له، لا يعزب عنه شيء منه.

(٧) لم أعره عليه بهذا اللفظ لكن أخرجه البخاري (٣٧٣٧) من حديث البراء بن عازب نحوه.

فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٣﴾ لِيُثْقِلُوا بِهِ دُونَ غَيْرِهِ. وَتَزَلَّ . لَمَا هَزَمُوا تَذَكَّرُوا لَهُمْ  
بِنِعْمَةِ اللَّهِ .: [١٢٣] ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ موضع بين مكة والمدينة  
﴿وَأَنْتُمْ أُولُوْهُ﴾ بقلة العدد والسلاح ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾ نعمه.  
[١٢٤] ﴿إِذْ﴾ ظرف لـ «نصركم» ﴿نَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ توعدهم تطميناً:  
﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُثَبِّدَ﴾ يعينكم ﴿رِجَالٌ مِّنَ النَّفِثَةِ﴾ النَّفِثَةُ مِنَ الْمَلِكَةِ  
مُزِيلِينَ ﴿بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ﴾<sup>(٩)</sup>.

[١٢٥] ﴿بَلَىٰ﴾ يكفيكم ذلك، وفي الأنفال ﴿بَلَىٰ﴾؛ لأنه أمدهم أولاً  
بها، ثم صارت ثلاثة، ثم صارت خمسة؛ كما قال - تعالى -: ﴿إِنْ تَصَبَّرُوا﴾ على  
لقاء العدو ﴿وَتَتَّقُوا اللَّهَ فِي الْحَالِفَةِ﴾ وَتَأْتُواكُمْ أَي: المشركون ﴿مِنَ فُورِهِمْ﴾  
وقتهم ﴿هَذَا يُبَدِّلُكُمْ رِجَالَكُمْ بِخَسَاءٍ﴾ النَّفِثَةُ مَسُومِينَ بِكسر الواو  
وفتحها<sup>(١٠)</sup>؛ أي: مُعْلَيْنَ، وقد صبروا وأنجز الله وعده، بأن قاتلت معهم الملائكة  
على خيل بلق، عليهم عمام صفر<sup>(١١)</sup> أبيض<sup>(١٢)</sup>، أرسلوها بين أكفاهم.

[١٢٦] ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي: الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ بالنصر  
﴿وَلِتُطْمَئِنَّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُكُمْ يَوْمَ﴾ فلا تجزع من كثرة العدو وقتلكم ﴿وَمَا  
النَّصْرُ إِلَّا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ يؤتيه من يشاء، وليس بكثرة الجند.

[١٢٧] ﴿لِيَقْطَعَ﴾ متعلق بـ «نصركم»؛ أي: ليهلك ﴿حَطَرًا مِّنَ الَّذِينَ  
كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ يذلهم بالهزيمة ﴿فَيَنْقَلِبُوا﴾ يرجعوا  
﴿حَآئِبِينَ﴾ لم ينالوا ما راموه. وَتَزَلَّتْ . كَمَا كَثُرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ ﴿وَشَجَّ وَجْهُهُ﴾  
يَوْمَ أُحُدٍ، وقال: «كَيْفَ يَفْلَحُ قَوْمٌ خَضَعُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالْذَمِّ؟»<sup>(١٣)</sup> .  
[١٢٨] ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ بل الأمر لله فاصبر ﴿أَوْ﴾ بمعنى: «إلى»  
أن ﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ بالإسلام ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ بالكفر.

[١٢٩] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا وَعِيدًا  
﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَاللَّهُ  
عَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمٌ﴾ بأهل طاعته.

[١٣٠] ﴿يَتَأْتِيَكَ الْأَيُّ مَاتُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾  
بألف ودونها<sup>(١٤)</sup>؛ بأن تزيدوا في المال عند حلول الأجل وتؤخروا الطلب  
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بتركه ﴿لَعَلَّكُمْ تَلْحَقُونَ﴾ تفوزون. [١٣١] ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ﴾  
الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ أن تعذبوا بها. [١٣٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَارْضَوْا  
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

إِذْ هَمَّتْ طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ  
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٣﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ  
فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ أَذَقُوا لِلْمُؤْمِنِينَ  
أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُثَبِّدَ لَكُمْ رِجَالٌ مِّنَ النَّفِثَةِ أَلَمْ يَكْفِيكُمْ  
مُزِيلِينَ ﴿١٢٥﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَاتَّقُواكُمْ مِّنْ فُورِهِمْ  
هَذَا يُثَبِّدُ لَكُمْ رِجَالٌ بِخَسَاءٍ أَلَمْ يَكْفِيكُمْ مَسُومِينَ  
﴿١٢٦﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ  
وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٧﴾ لِيَقْطَعَ  
مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَآئِبِينَ ﴿١٢٨﴾  
لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ  
ظَالِمُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن  
يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣٠﴾ يَأْتِيهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً  
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ  
لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣٢﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَارْضَوْا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٣﴾

[١٢٢] ﴿إِذْ﴾ بدل من «إذ» قبله ﴿هَمَّتْ﴾ بنو سلمة وبنو حارثة جناحا  
العسكر ﴿طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ﴾ أَنْ تَفْشَلَا تَجَبُّنَا عَنْ الْقِتَالِ وَتَرْجِعَا لَمَا رَجَعَ  
عبدالله بن أبي المنافق وأصحابه، وقال: غلام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ وقال -  
لأبي جابر السلمي القاتل له: أُنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم: لو نعلم قتلاً  
لا تبعناكم. فنبتهما الله ولم ينصرهما ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ ناصرهما ﴿وَعَلَى اللَّهِ

(٩) ما جاء في نزول الآية (١٢٨): أخرجه البخاري عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر، يقول: «اللهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً»، بعدما يقول: «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد»؛ فأقول الله: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» إلى قوله: «ظَالِمُونَ». البخاري كتاب التفسير (٦٥). سورة آل عمران (٣) باب (٩).  
وأخرج مسلم عن أنس أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في رأسه، فجعل يسيل الدم عنه، ويقول: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله؟»  
فأقول الله ﷻ: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» مسلم - كتاب الجهاد والسير (٦٤) باب (٣٧) غزوة أحد.  
قال الحافظ في الفتح (٧٥/٨): «طريق الجمع بينه وبين حديث ابن عمر أنه ﷺ دعا على المذكورين بعد ذلك في صلاته؛ فنزلت الآية في الأمرين معاً؛ فيما وقع من الأمر المذكور، وفيما نشأ عنه من الدعاء عليهم. وذلك في أحد...».

(١) بالتشديد، ومعه فتح اللون، قراءة ابن عامر.  
(٢) قراءتان سبعيتان، وهي بالكسر: اسم فاعل؛ والمعنى: معلمين أنفسهم آداب الحرب، وبالفتح: اسم مفعول؛ بمعنى: أن الله علمهم آدابه، وبالفتح قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن عمر.  
(٣) هذا ما رواه أبو نعيم في «فضائله» عن عروة بن الزبير: «كَانَتْ غَسَاتُ جَبْرِيلَ يَوْمَ بَدْرٍ صَفْرَاءَ؛ فَتَزَلَّتِ الْمَلَايِكَةُ كَذَلِكَ».  
(٤) هذا ما رواه إسحاق والطبراني عن ابن عباس قال: «كَانَتْ سِيَمَاءُ الْمَلَايِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ غَسَائِمُهُمْ بَيْضَاءَ، مُعْلَيْنَ بِالصُّوفِ الْبَيْضِ فِي تَوَاجِي الدُّوَابِّ وَأَذْنَائِهِا»، وجمع بين الروايتين بأن جبريل كانت عاماته صفراء، وغيره كانت عاماته بيضاء.  
(٥) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٧) وصححه الألباني، وأحمد (١٢٣٦٦، ١٢٦٦٣) من حديث أنس بن مالك، وأخرجه مسلم (٢٣٤٦) بلفظ «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته...».  
(٦) أي: «مُضْعَفَةً» وهي قرابة بين كثير وابن عامر، ومعناها كما ذكر المفسر؛ كان الطالب يقول: أتقضي أم تري؟ فربما فعل ذلك ما؛ فزيد الدين أضعافاً مضعفة. «مُضْعَفَةً»: إشارة إلى تكرير التضعيف عاماً بعد عام كما كانوا يضاعفون، وهذا توحي لا تقييد أو بحسب الواقعة.

﴿١٣٣﴾ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٤﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِ الْعَظِيمِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٥﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمِن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِعَمَلِهِمْ فِيهَا رِجَالٌ لَّا يُلَاقُونَ فِيهَا كَلًّا وَلَا يُضِلُّونَ فِيهَا وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن مَّوَدِّعٍ ﴿١٣٧﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَارِثُوا فِي الْكُفَّارِ لِيَمْلِكَهُمْ ثُمَّ أَخَذْنَاهُمْ فَيَسِيرُوا بِهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ الرُّسُلُ أَيُّ آخِرِ أَمْرِهِمْ مِنَ الْهَلَاكِ فَلَا تَجْرُوا لَعْنَتَهُمْ فَتَمْلِكَهُمْ لَوْفَتَهُمْ ﴿١٣٩﴾ هَٰذَا الْقُرْآنُ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ أَلْحَقَهُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلَا تَهْتَفُوا عَنْ قِتَالِ الْكُفَّارِ وَلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا أَصَابَكُمْ بِأَحَدٍ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ بِالْغَلْبَةِ عَلَيْهِمْ ﴿١٤١﴾ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ حَقًّا وَجَوَابَهُ دَلَّ عَلَيْهِ مَجْمُوعُ مَا قَبْلَهُ ﴿١٤٢﴾ وَإِنْ يَمَسُّكُمْ إِحْدَىٰ ذُلٌّ أَوْ بَلَاءٌ أَوْ جَحْدٌ أَوْ جَرَحٌ أَوْ نَحْوُهُ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ الْكُفَّارُ قَرْحٌ مِّثْلُهُ يَبْدُرُ ﴿١٤٣﴾ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاؤُهَا لَهَا تَضَرُّعُهَا بَيْنَ النَّاسِ يَوْمًا لِّفِرَةٍ وَيَوْمًا لِأُخْرَىٰ لِيَتَعَطَّلُوا وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ عِلْمَ ظُهُورِ ﴿١٤٤﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَخْلَصُوا فِي إِيْمَانِهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ وَتَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ يَكْرَهُهُمْ بِالشَّهَادَةِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ وَتَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٦﴾

﴿١٣٣﴾ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين. أي: كمرضها لو وصلت إحداها بالأخرى، والعرض: السعة. أعدت للمتقين: الله بعمل الطاعات وترك المعاصي.

﴿١٣٤﴾ الذين ينفقون في السراء والضراء والكظم العظيم والعافين. السير: والعسر. والكظم: التمسك. الكافين: عن إمضائه مع القدرة. والعافين: عني الناس. أي: من ظلمهم؛ أي: التاركين عقوبتهم. والله يحب المحسنين. بهذه الأفعال؛ أي: بيبهم.

﴿١٣٥﴾ والذين إذا فعلوا فحشة أو ظلموا أنفسهم بما دونه، كالقبلة، ذكروا الله. أي: وعيده. فاستغفروا لذنوبهم ومن: أي: لا ينفروا الذنوب إلا الله ولم يصيروا يداوموا. على ما فعلوا. بل أعلوا عنه. وهم يملكون. أن الذي أتوه معصية.

﴿١٣٦﴾ أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنت تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها. حال مقدرة؛ أي: مقدرين الخلود فيها إذا دخلوها. ويتم أجر العاملين بالطاعة هذا الأجر. ونزل في هزيمة أحد:

﴿١٣٧﴾ قد خلت مضت. من قبلكم سنن. طرائق في الكفار ياملهم ثم أخذهم فسيروا. أيها المؤمنون في الأرض فانظروا كيف كان عقبة المكذبين. الرسل؛ أي: آخر أمرهم من الهلاك؛ فلا تجرنا لغبتهم؛ فأنما أمهلهم لوقتهم.

﴿١٣٨﴾ هذا القرآن. بيان للناس. كلهم. وهدي. من الضلالة وموعظة للمتقين. منهم.

﴿١٣٩﴾ ولا تهتفوا. تضرعوا عن قتال الكفار ولا تحزنوا. على ما أصابكم بأحد. وأنتم الأعلى. بالغبلة عليهم. إن كنتم مؤمنين. حقًا. وجوابه دل عليه مجموع ما قبله.

﴿١٤٠﴾ إن يمسكم بأحد. يصبكم بأحد. بفتح القاف وضما. جهد من جرح ونحوه. فقد مس القوم. الكفار. قرح. مثله. يبدر. وتلك الأيام نداولها. تضرعها. بين الناس. يومًا لفرة ويومًا لأخرى؛ ليتعطوا. وليعلم الله. علم ظهور. الذين آمنوا. أخلصوا في إيمانهم من غيرهم. وتتخذ منكم شهداء. يكرههم بالشهادة. والله لا يحب الظالمين. الكافرين؛ أي: يعاقبهم. وما ينعم به عليهم استدرج.

(١) وإثبات الراو قراءة الجمهور عطفًا تفسيريًا على: ﴿وَأَلِيمُوا اللَّهَ﴾؛ كرسم مصاحف مكة والعراق، و«دونها» في قراءة نافع وابن عامر على الاستئناف؛ كرسم المصحف الشامي والمديني.

(٢) وهما تأويل. كما سبق مرارًا. ومذهب السلف إثبات هذه الصفات دون أن يقتضي ذلك نقضًا في حق الباري ﷻ، كما يزعم هؤلاء المؤولة وغيرهم من المعتلة، ومن لازم محبته. سبحانه وتعالى. للمحسنين أن يبيهم.

(٣) بالضم لحزمة والكسائي وشعبة. وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٤) وهما تأويل، ومذهب السلف إثبات صفات رنا على الوجه الملائق به. سبحانه. ومن لازم عدم محبته للظالمين أن يعاقبهم.

[١٤٣] ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّونَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ حيث قلتم: ليت لنا يوماً كيوم بدر؛ لننال ما نال شهداؤه ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمْوهُ﴾ أي: سببته الحرب ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ أي: بصراء تتأملون الحال كيف هي؟ فلم انهزمتم؟! ونزل في هزيمتهم لما أشيع أن النبي قُتل، وقال لهم المنافقون: إن كان قُتل فارجعوا إلى دينكم:

[١٤٤] ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ كغيره ﴿انْفَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ رجعتم إلى الكفر، والجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري؛ أي: ما كان معبوداً فرجعوا ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَمُرَّ اللَّهُ شَيْئاً﴾ وإنما يضر نفسه ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ نعمه بالثبات.

[١٤٥] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقضائه ﴿كَتَبْنَا﴾ مصدر؛ أي: كتب الله ذلك ﴿مُؤَجَّلًا﴾ مؤقَّتا، لا يتقدم ولا يتأخر؛ فلم انهزمتم والهزيمة لا تدفع الموت، والثبات لا يقطع الحياة؟! ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ بعمله ﴿تَوَابَ الدُّنْيَا﴾ أي: جزاءه منها ﴿تُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ ما قسم له، ولا حظ له في الآخرة ﴿وَمَنْ يُرِدْ تَوَابَ الْآخِرَةِ تُوْتِيهِ مِنْهَا﴾ أي: من ثوابها ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

[١٤٦] ﴿وَكَانَ﴾ كم ﴿مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ﴾<sup>(١)</sup> وفي قراءة: ﴿قَتَلَ﴾، والفاعل ضميره<sup>(٢)</sup> ﴿مَعَهُ﴾ خبر مبتدؤه: ﴿رَبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ جموع كثيرة ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ جنوا ﴿لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ من الجراح وقتل أنبيائهم وأصحابهم ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ عن الجهاد ﴿وَمَا أَسْتَكَاثُوا﴾ خضعوا لعدوهم؛ كما فعلتم حين قتل: قتل النبي ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الضَّعِيفِينَ﴾ عسى البلاء؛ أي: يبيهم<sup>(٣)</sup>.

[١٤٧] ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ﴾ عند قتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا﴾ تجاوزنا الحد ﴿فِي أَمْرِنَا﴾ إيداناً بأن ما أصابهم لسوء فعلهم وهضمنا لأنفسهم ﴿وَكُنْتُمْ أَقْدَامُنَا﴾ بالقرعة على الجهاد ﴿وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[١٤٨] ﴿فَقَاتِلْهُمْ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا﴾ النصر والغنيمة ﴿وَحَسَنَ تَوَابَ الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة، وحسنه: التفضل فوق الاستحقاق ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وَلِيَمُحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٥﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْفَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَمُرَّ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ تَوَابَ الدُّنْيَا تُوْتِيهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ تَوَابَ الْآخِرَةِ تُوْتِيهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَاثُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الضَّابِرِينَ ﴿١٤٨﴾ قَالُوا رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَتُبْ عَلَيْنَا أَقْدَامَنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٩﴾ فَجَاءَهُمُ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ تَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٠﴾

[١٤٩] ﴿وَلِيَمُحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يطهرهم من الذنوب بما يصيبهم ﴿وَيَمَحَقَ﴾ يهلك ﴿الْكَافِرِينَ﴾.

[١٤٢] ﴿أَمْ﴾ بل<sup>(١)</sup> أ<sup>(٢)</sup> ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾ لم يعلم الله الذين جاهدوا ومنكم عدم ظهور ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ في الشدة؟!.

(١) ﴿أَمْ﴾ منقطعة؛ فلذا فسرها المفسر بـ«بل» التي للإضراب الانقاضي.

(٢) الهمزة المقدرة للاستفهام الإنكاري.

(٣) أخرجه ابن جرير عن الضحاك (٧٤/٤) من طريق جوير عنه به، وجوير ضعيف جداً كما في التقريب (١٣٦/١) وهو مرسل أيضاً، وضعفه حدداً في الاستيعاب (٣٠٥/١).

(٤) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون ﴿قاتل﴾.

(٥) يعود إلى النبي، ويحتمل أن يكون الفاعل «ريون»، وعلى القراءة الأولى: (قُلْ يكون نائب الفاعل: «ريون»، أو ضميراً مستتراً يعود إلى «ني».

(٦) هذا تأويل سبق الرد عليه مراراً ويان مذهب السلف من إثبات الصفات على الوجه اللائق به - سبحانه - ومن لازم محبته سبحانه للصابرين أن يبيهم وبكرهم.

[١٤٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيما يأمرونكم به ﴿رُدُّوكُمْ إِلَى الْكُفْرِ﴾ عَلَى أَغْفِيكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّصِيرِينَ﴾ فاطميوه دونهم.

[١٥١] ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ بسكون العين وضماً<sup>(١)</sup>؛ الخوف، وقد عزموا بعد ارتحالهم من أخذ على العود واستئصال المسلمين، فزعوا وهم يرجعون<sup>(٢)</sup> ﴿يَمَّا أَشْرَكُوا﴾ بسبب إشراكهم ﴿بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ حجة<sup>(٣)</sup> على عبادته؛ وهو: الأصنام ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالنَّاصِرِينَ﴾ ما أوى ﴿الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين هي.

[١٥٢] ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ إياكم بالنصر ﴿إِذَا تَحْسَنْتُمْ﴾ تقاتلونهم ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته ﴿حَتَّى إِذَا فَتِلْتُمْ﴾ جبنتم عن القتال ﴿وَتَنَزَّعْتُمْ﴾ اختفتم ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أي: أمر النبي ﷺ بالمقام في سفح الجبل للرمي؛ فقال بعضهم: نذهب؛ فقد نصبر أصحابنا. وبعضكم: لا نخالف أمر النبي ﷺ ﴿وَعَصَيْتُمْ﴾ أمره؛ فتركتم المركز؛ لطلب الغنيمة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ اللَّهُ﴾ مَّا جَبْتُمْ من النصر، وجواب «إذا» ذل عليه ما قبله؛ أي: منعكم نصره ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ فترك المركز للغنيمة ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ فثبت به حتى قتل؛ كعبد الله بن جبير وأصحابه<sup>(٤)</sup> ﴿ثُمَّ مَكَنَّاكُمْ﴾ عطف على جواب «إذا» المقدر: رَدُّكُمْ بِالْهَزِيمَةِ عَنْهُمْ أي: الكفار ﴿لِيَتَلَيَّكُمْ﴾ ليمتحنكم؛ فيظهر المخلص من غيره ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ ما ارتكبموه ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالعفو.

[١٥٣] اذكروا ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ تبعدون في الأرض هارين ﴿وَلَا تَلُوتُونَ﴾ تُعْرِجُونَ ﴿عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجْتُمْ﴾ أي: من ورائكم؛ يقول: ﴿إِنِّي عِبَادُ اللَّهِ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿فَأَتَيْنَكُمْ﴾ فجازاكم<sup>(٦)</sup> ﴿عَمَّا﴾ الهزيمة ﴿يَعْمَرُ﴾ بسبب غمكم للرسول بالخلفة، وقيل: الباء بمعنى: على؛ أي: مضاعفاً على غم فوت الغنيمة ﴿لِيَكَيْلًا﴾ متعلق بـ«عفا»، أو بـ«أتابكم»؛ فلا زائدة<sup>(٧)</sup> ﴿تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمة ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ من القتل والهزيمة ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا  
يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ  
﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّصِيرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي  
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ يَمَّا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ  
مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا وَلَهُمُ النَّارُ وَيَسَّ  
مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ  
وَعْدَهُ إِذْ تَحْسَنْتُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَتِلْتُمْ  
وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ  
مَّا حُجِبَتْ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ  
يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ  
وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ  
﴿١٥٢﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلُوتُونَ عَلَى أَحَدٍ  
وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجْتُمْ فَأَتَيْنَكُمْ  
عَمَّا يَعْمَرُ لِيَكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا  
مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

(١) بالضم لابن عامر والكسائي.

(٢) أخرجه ابن جرير عن السدي (٨١/٤) وضعفه جداً في الاستيعاب (٣٠٧/١).

(٣) سميت سلطاناً؛ لوضوحها وإثارتها، أو لقوتها ونفوذها.

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٣٩).

(٥) أخرجه الطبري عن السدي (٨٠٥٠).

(٦) جعل الإثابة بمعنى: العقاب، وأصلها في الحسنات؛ لأنه وضعها موضع الثواب؛ ومعناه: جعل مكان الثواب الذي كنتم ترجون عَمَّا يَمُوتُ.

(٧) قوله: «فلا زائدة» راجع إلى تعليق «كَيْلًا» بـ«أتابكم» فقط؛ والمعنى: فجازاكم بالغم لأجل أن تحزنوا، أما إذا كانت متعلقة بـ«عَمَّا» فلا تكون زائدة؛ أي: عفا عنكم لأجل أن ينفي حزنكم.

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْآمَةِ نُعَاسًا يَشْعِي طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يَخْشَوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَاتَلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنْ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ آتَى الْجَمْعَانَ إِنَّمَا أَسْأَلَهُمْ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمَيِّتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَعْقَرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

[١٥٤] ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْآمَةِ﴾ أمّا<sup>(١)</sup> ﴿نُعَاسًا﴾ بدل<sup>(٢)</sup> ﴿يَمَنًى﴾ بالياء والناء<sup>(٣)</sup> ﴿طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾ وهم المؤمنون؛ فكانوا يبدون<sup>(٤)</sup> تحت الحجب<sup>(٥)</sup> وتسقط السيوف منهم ﴿وَلَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ أي: حملتهم على الهيم؛ فلا رغبة لهم إلا بنجاتها دون النبي وأصحابه؛ فلم يناموا؛ وهم المناقرون ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ ظَنًّا غَيْرَ الظَّنِّ

﴿الْحَقِّ ظَنًّا﴾ أي: كظنّ ﴿الْجَاهِلِيَّةِ﴾ حيث اعتقدوا أن النبي قُبِلَ<sup>(٦)</sup> أو لا يُضَرُّ ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ﴾ أي: النصر الذي وعدناه ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ لهم: ﴿إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ بالنصب تأكيد، أو الرفع مبتدأ خبره: ﴿لِلَّهِ﴾ أي: القضاء له، يفعل ما يشاء ﴿يَخْشَوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ﴾ يظهرون ﴿لَكَ﴾ يقولون: بيان لما قبله ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ ما قَاتَلْنَا هَهُنَا؛ أي: لو كان الاختيار إلينا، لم نخرج؛ فلم نقل، لكن أخرجننا كرهنا ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ وفيكم من كَتَبَ اللَّهُ عليه القتل ﴿لَبَرَزَ﴾ خرج ﴿الَّذِينَ كُتِبَ﴾ قضِيَ ﴿عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ﴾ منكم ﴿إِنْ مَضَاجِعِهِمْ﴾ مصارعهم؛ فيقتلوا، ولم ينجم قعودهم؛ لأن قضاء - تعالى - كائن لا محالة ﴿وَلَوْ﴾ فعل ما فعل بأحمد ﴿لِيَبْتَلِيَ﴾ يختبر ﴿اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم من الإخلاص والنفاق ﴿وَلِيُمَحَّصَ﴾ يميز ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب، لا يخفى عليه شيء؛ وإنما يبتلي؛ ليظهر للناس.

[١٥٥] ﴿إِنْ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾ عن القتال ﴿يَوْمَ آتَى الْجَمْعَانَ﴾ جفغ المسلمون وجفغ الكفار بأحمد؛ وهم: المسلمون إلا اثني عشر رجلاً ﴿إِنَّمَا أَسْأَلَهُمْ﴾ أزلهم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ بوسوسه ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ من الذنوب وهو مخالفة أمر النبي ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ للمؤمنين ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يتعجل على العصاة.

[١٥٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: المناققين ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ أي: في شأنهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا﴾ سافروا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ فماتوا ﴿أَوْ كَانُوا غُرَى﴾ جفغ غار؛ فقتلوا: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ أي: لا تقولوا قتلهم ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ القول في عاقبة أمرهم ﴿حَسْرَةً﴾ في قلوبهم ﴿وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمَيِّتُ﴾ فلا يمنع عن الموت قعود ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالناء والياء<sup>(١)</sup> ﴿بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

[١٥٧] ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم ﴿قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: الجهاد ﴿أَوْ مِتُّمْ﴾ بضم الميم وكسر هاء<sup>(٢)</sup>؛ من مات يموت<sup>(٣)</sup> ومات<sup>(٤)</sup> أي: أُنْكِم الموت فيه ﴿لَمَعْقَرَةٌ﴾ كائنة ﴿بِرَبِّ اللَّهِ﴾ لذنوبكم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ منه لكم على ذلك، واللام ومدخلها جواب القسم<sup>(٥)</sup>، وهو في موضع الفعل، مبتدأ خبره: ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الدنيا بالناء والياء<sup>(٦)</sup>.

(١) أشار بذلك إلى أن الأمة والأمن بمعنى واحد، وهو الطمأنينة سواء زال الخوف أم لا؟ وقيل: إن الأمن هو الطمأنينة مع روائ سبب الخوف، والأمنة هي الطمأنينة مع وجود أسبابه.

(٢) أي: بدل كل من كل وهو ظاهر، لأن الأمنة هي النعاس بهيئها، وقيل: بدل اشتغال؛ لأن الأمنة لها اشتغال بالنعاس وهو له اشتغال بها؛ لأنه لا يحصل النعاس إلا للأمن.

(٣) بالناء قراءة حمزة والكسائي، وعلى الياء الضمير عائد على النعاس، وعلى الناء الضمير عائد على الأمنة.

(٤) أي: ييلون.

(٥) جمع حجة: اسم للترس والدرقة.

(٦) أي: ولن يظهر دبه ولا يتم ما دعا إليه.

(٧) أشار به إلى أنه استفهام إنكاري معناه النفي.

(٨) وجملة ﴿كُلُّ شَيْءٍ خَيْرٌ مِنْ﴾، والرفع قراءة أبي عمرو.

(٩) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير.

(١٠) بالكسر قراءة حمزة والكسائي ونافع.

(١١) قوله: (من مات يموت)، راجع إلى قراءة الضم، من باب: قال يقول، وأصله: يموت؛ بسكون الميم وضم الواو، نقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها.

(١٢) قوله: (وميات)، راجع إلى قراءة الكسر؛ وهي من باب: خاف يخاف، وأصله: من مات يموت؛ بسكون الميم وفتح الواو، نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها، ثم تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلت ألقا.

(١٣) وجوب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم؛ لقول ابن مالك: واحذف لدى اجتماع شرط وقسم \* جواب ما أعرت فهو ملزم

(١٤) بالناء قراءة السبعة عدا حفص.



[١٥٨] ﴿وَلَيْنَ﴾ لا م قسم ﴿مُتَمَّ﴾ بالوجهين<sup>(١)</sup> ﴿أَوْ قِيلْتُمْ﴾ في الجهاد وغيره ﴿لِإِلَهِ اللَّهِ﴾ لا إلى غيره ﴿تُحْشَرُونَ﴾ في الآخرة؛ فيجازيكم.

[١٥٩] ﴿فِيمَا رَحِمَ بَيْنَ اللَّهِ لَيْتَ﴾ يا محمد ﴿لَهُمْ﴾ أي: سهلت أخلاقك إذ خالفوك ﴿وَكُنْتُ فَطَا﴾ سَجَى الخَلْقِ ﴿عَلَيْطَ الْقَلْبِ﴾ جافيا فأغلظت لهم ﴿لَا تَقْضُوا﴾ تفرقوا ﴿بَيْنَ حَوْلِكَ فَاعْفُ﴾ تجاوز ﴿عَنْهُمْ﴾ ما أتوه ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ذنوبهم حتى أغفر لهم ﴿وَشَاوَرَهُمْ﴾ استخرج آراءهم ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أي: شأنك من الحرب وغيره؛ تطييبا لقلوبهم، وليستئذ بك، وكان ﷺ كثير المشاورة بهم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ على إمضاء ما تريد بعد المشاورة ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثوبه لا بالمشاورة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ عليه.

[١٦٠] ﴿إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ﴾ يُعَنِّكُم على عدوك؛ كيوم بدر ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ يترك نصركم؛ كيوم أُخِذَ ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرِكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد خذلانه؛ أي: لا ناصر لكم ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ لا غيره ﴿فَلْيَتَوَكَّلْ﴾ لِيُنْقِزْ ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾. وَتَوَكَّلْتُ - لما فقدت قطيفة حمراء يوم أُخِذَ؛ فقال بعض الناس: لعل النبي أخذها -: [١٦١] ﴿وَمَا كَانَ﴾ ما ينبغي ﴿لِيَنْبِيَ أَنْ يَقُولَ﴾ يخون في الغنيمة؛ فلا تظنوا به ذلك، وفي قراءة بالبناء للسمعول<sup>(٢)</sup>؛ أي: أَن تَنْسَبَ إِلَى الْغُلُولِ ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ حاملًا له على عنقه ﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ﴾ الْعَالَ وَغَيْرُهُ جَزَاءً ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ عملت ﴿وَهُمْ لَا يظْلَمُونَ﴾ شيئا<sup>(٣)</sup>.

[١٦٢] ﴿أَقْمِنِ أَتَّبِعَ رِضْوَانُ اللَّهِ﴾ فأطاع ولم يغل ﴿كَمَنْ يَلَهُ﴾ رجع ﴿يَسْخَطُ بَيْنَ اللَّهِ﴾ لمصيته وغلوه ﴿وَمَا وَنُهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ المرجع هي؛ لا<sup>(٤)</sup>. [١٦٣] ﴿هُمْ دَرَجَتٌ﴾ أي: أصحاب درجات ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: مختلفو المنازل؛ فليكن أتبغ رضوانه الثواب، وليز ثبأه يسخطه العقاب ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ﴾ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿فِي جَزَائِهِمْ﴾ به. [١٦٤] ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: عربيا مثلهم؛ ليفهموا عنه ويشرفوا به، لا ملكا ولا عجميا ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ﴾ الْقُرْآنَ ﴿وَوَرِّثَهُمْ﴾ يظهريهم من الذنوب ﴿وَوَعَّظَهُمْ﴾ الْكِتَابَ ﴿الْقُرْآنَ﴾ وَالْحِكْمَةَ السَّنة ﴿وَوَانَ﴾ مخففة؛ أي: إنهم ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل بعثه ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بَيِّن.

[١٦٥] ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ بِأُخِذَ بِقَتْلِ سَبْعِينَ مِنْكُمْ ﴿قَدْ أَصَابَكُمْ مُثْلَهَا﴾ بيدر بقتل سبعين وأسر سبعين منهم ﴿فَلْتَرْجِعْ﴾ متعجين: ﴿أَنِّي﴾ من أين لنا ﴿هَذَا﴾ الخذلان ونحن مسلمون ورسول الله فينا؟! والجملة الأخيرة<sup>(٥)</sup> محل الاستفهام الإنكاري<sup>(٦)</sup> ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ لأنكم تركتم المركز؛ فخذلتم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه النصر ومنعه، وقد جازاكم بخلافكم.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٦١): أخرج أبو داود عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلَّ﴾ في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر، فقال بعض الناس: لعل رسول الله ﷺ أخذها، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلَّ﴾ إلى آخر الآية. أبو داود - كتاب الحروف والقراءات (٢٤) رقم (٣٩٧١). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٣٦٠).

(١) أي: ضم الميم وكسرها، والكسر قراءة حمزة والكسائي ونافع.

(٢) رواه أبو داود (٣٩٧١)، والترمذي (٣٠٠٩)، وانظر ما جاء في نزول الآية، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٣٦٠).

(٣) لحمزة والكسائي ونافع وابن عامر.

(٤) قوله: (لا)، جواب الاستفهام.

(٥) وهي قوله: ﴿فَلْتَرْجِعْ﴾.

(٦) أي: فهو بمعنى النفي؛ والمعنى: لا تقولوا ذلك حين أصابكم مصيبة؛ لأنه من عند أنفسكم؛ فسيه ظاهر لا يتعجب منه.

وَلَيْنَ مُتَمَّ أَوْ قِيلْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَا غَلِظَ الْقَلْبُ لَا نَقْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرِكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلَّ وَمَنْ يَكُلَّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَقْمِنِ أَتَّبِعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ يَلَهُ اللَّهُ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَنُهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أُولَئِكَ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

للمؤمنين، وكانوا قبل أقرب إلى الإيمان من حيث الظاهر ﴿يَقُولُونَ﴾  
بأفوههم مآ لیس فی قلوبهم ﴿ولو علموا قتلاً لم يتبعوكم﴾ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من النفاق.

[١٦٨] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من «الذين» قبله<sup>(١)</sup>، أو نعت ﴿قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾  
في الدين ﴿وَقَدْ قَاتَلُوا﴾ عن الجهاد: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ أي: شهداء أخيه  
أو إخواننا في القعود ﴿مَا قُتِلُوا قُلٌّ﴾ لهم: ﴿فَادْرءُوا﴾ ادفعوا ﴿وَعَنْ  
أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ﴾ إن كنتم صديقين ﴿في أن القعود ينجي منه﴾.  
[١٦٩] ونزل في الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا﴾ بالتخفيف  
والتشديد<sup>(٢)</sup> ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لأجل دينه ﴿أَمْوَاتًا بَلْ هُمْ﴾  
عند ربهم ﴿أَرْوَاحُهُمْ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ تَحْضُرُ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ﴾  
كما ورد في الحديث<sup>(٣)</sup> ﴿يَرْزُقُونَ﴾ يأكلون من ثمار الجنة<sup>(٤)</sup>.

[١٧٠] ﴿وَرَحِيمٍ﴾ حال من ضمير «يرزقون» ﴿يَسَاءَ عَاقِبَتُهُمُ اللَّهُ﴾ من  
فضله ﴿وَهُمْ﴾ هم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾  
من إخوانهم المؤمنين، ويبدل من «الذين» ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ بأن ﴿لَا خَوْفٌ  
عَلَيْهِمْ﴾ أي: الذين لم يلحقوا بهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة؛ المعنى:  
يفرحون بأمنهم وفرحهم.

[١٧١] ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ﴾ ثواب ﴿مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ زيادة عليه  
﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح عطفًا على «نعمة» وبالكسر استئنافًا<sup>(٥)</sup> ﴿اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ  
الْمُؤْمِنِينَ﴾ بل بأجرهم.

[١٧٢] ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ دعاءٌ بالخروج  
للقاتل؛ لما أراد أبو سفيان وأصحابه العودة<sup>(٦)</sup>، تواعدوا مع النبي ﷺ سوق بدر  
العام المقبل من يوم أُحُدٍ ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ بأُحُدٍ<sup>(٨)</sup>، وخبر  
المبتدأ: ﴿بِالَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَأَتَقُوا﴾ مخالفتهم ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾  
هو الجنة.

[١٧٣] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من «الذين» قبله، أو نعت ﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾  
أي: نعيم بن مسعود الأشجعي: ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ أبا سفيان وأصحابه ﴿قَدْ  
جَبَعُوا لَكُمْ﴾ الجموع؛ ليسأتصلوكم ﴿فَاقْتَوْهُمْ﴾ ولا تأتوهم ﴿فَزَادَهُمْ﴾  
ذلك القول ﴿إِيْنًا﴾ تصديقًا بالله ويقينًا ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ كافيًا  
أمرهم ﴿وَيَعْتَمِدُ الْوَكِيلُ﴾ المفوض إليه الأمر هو، وخرجوا مع النبي ﷺ؛  
فوافوا سوق بدر، وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه؛ فلم يأتوا،  
وكان معهم تجارات فباعوا وريحوا<sup>(٩)</sup>. قال الله - تعالى -:

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فِإِذَنْ اللَّهُ وَلِعَلَّ الْمُؤْمِنِينَ  
وَلِعَلَّ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَيَقْتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبَعَتَكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ  
أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعِدُوا  
لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلٌّ فَادْرءُوا وَعَنْ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ  
كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ  
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ  
مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ  
بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ فَفَضْلٌ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى اللَّهُ لِيُضِيعَ أَجْرَ  
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ  
الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ  
الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ  
فَزَادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

[١٦٦] ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ بأُحُدٍ ﴿فِإِذَنْ اللَّهُ﴾ بإرادته  
﴿وَلِعَلَّكُمْ﴾ علم ظهور<sup>(١)</sup> ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ حقًا.

[١٦٧] ﴿وَلِعَلَّ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ الذين ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾ لما انصرفوا عن  
القتال؛ وهم: عبد الله بن أبي وأصحابه: ﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾  
أعداءه ﴿أَوْ ادْفَعُوا﴾ عنا القوم بتكثير سوادكم إن لم تقاتلوا ﴿قَالُوا لَوْ  
نَعْلَمُ﴾ نخسين<sup>(٢)</sup> ﴿وَقِتَالًا لَا تَبَعَتَكُمْ﴾ قال - تعالى - تكذبتا لهم:  
﴿هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ بما أظهروا من خذلانهم

(١) ما جاء في نزول الآية (١٦٩): أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد حمل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمرها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أننا أحياهم في الجنة نرزق، فلا يرهبوا في الجهاد ولا يتكلموا عند الحرب؟ فقال الله سبحانه: أنا أعلمهم عنكم. قال: فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية. أبو داود كتاب الجهاد (٩) باب (٢٧) في فضل الشهادة. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢١٩٩).

(١) أي: بالنسبة للخلق.

(٢) وفي الآية قول آخر لعله الأقرب، وهو أن المعنى: لو تعلم أنه سيكون قتال لقاتلنا معكم. وفي الإتيان (١٢٧/٢) قال الشيخ السيوطي رحمه الله في كلامه على الحذف: «نحو ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبَعَتَكُمْ﴾ أي: مكان قتال، والمراد مكانًا صالحًا للقتال، وإنما كان كذلك لأنهم كانوا أخير الناس بالقتال، ويتفكرون بأن يتفوهوا بأنهم لا يعرفونه، فالعادة تمنع أن يريدوا: لو تعلم حقيقة القتال، فلذلك قدره مجاهد: مكان قتال». (٣) وهو قوله: ﴿الَّذِينَ نَافَقُوا﴾. (٤) بالتشديد قراءة ابن عامر. (٥) رواه مسلم من حديث ابن مسعود (١٨٨٧)، وسبق ذكره وتخريجه عند الآية (١٥٤) من سورة البقرة. (٦) بالكسر قراءة الكسائي. (٧) أخرج نحوه النسائي في التفسير (٣٤٣/١)، والطبراني في الكبير عن ابن عباس (١١/١١٣٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢١/٦): «ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الجواز، وهو ثقة، وصححه السيوطي في الدر المنثور (٢٨٥/١)». وقال الحافظ في الفتح (٢٢٨/٨-٢٢٩): «الحقوف إرساله عن عكرمة ليس فيه ابن عباس... وضعفه في الاستيعاب (٣٣٤/١)». (٨) فيه أن الذين استجابوا لله والرسول ﷺ هم الذين حضروا أحدًا، ونزلت في أهل أحد حين دعاهم للقتال ثانية، وقال: «لا يخرج معنا إلا من شهد القتال»، واستجاب له المسلمون على ما بهم من الجرح الشديد والخوف المريد، وسار ﷺ والمسلمون معه حتى بلعوا حمراء الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة، فالآية ليست في غزوة بدر الموقعة كما ذهب لبعضهم. وقول المفسر: لما أراد أبو سفيان وأصحابه... إلخ غير صحيح؛ إذ إن خروجه ﷺ والصحابه لم يكن نتيجة إرادة أبي سفيان وأصحابه العود كما ذكر. (٩) ذكره الواقدي في مغاريه (٢٨٤/١)، وأكثر أهل السير أن هذه الحادثة كانت بعد أحد في حمراء الأسد، ويؤيده ما أخرجه في الصحيحين عن عائشة ﷺ قالت لغروة: يا ابن أخي كان أبوك، منهم الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون: خاف أن يرجعوا، قال: «من ذهب في إثرهم ... الحديث» البخاري (٤٠٧٧)، ومسلم (١٨٨١).

[١٧٤] ﴿فَأَنقَلَبُوا﴾ رجعوا من بدر ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ بسلامة وريح ﴿لَمْ يَمَسَّهِنَّ سُوءٌ﴾ من قتل أو جرح ﴿وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بطاعته واطاعة رسوله في الخروج ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ على أهل طاعته.

[١٧٥] ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ﴾ أي: القاتل لكم: إن الناس... إلخ ﴿الشَّيْطَانُ يَوْفَىٰ﴾ كُمْ ﴿أُولَآئِكَ﴾ الكفار ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُون﴾ في ترك أمري ﴿إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ حَقًّا.

[١٧٦] ﴿وَلَا يُخْزِنُكُمُ﴾ بضم الباء وكسر الزاي<sup>(١)</sup>، ويفتحها وضم الزاي؛ من «خزّنه» لغة في «أخزّنه»<sup>(٢)</sup> ﴿الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ يعقون فيه سريعاً بنصرته؛ وهم: أهل مكة أو المنافقون؛ أي: لا نهتم لكفرهم ﴿إِنَّهُمْ لَن يَصْرِوْاَ اللَّهَ شَيْئًا﴾ بفتحهم؛ وإنما يضرون أنفسهم ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا﴾ نصيباً ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة؛ فلذلك خذلهم الله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في النار.

[١٧٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أَشْرَكُوا بِالْإِيمَانِ ﴿أَي: أَخَذُوهُ بِدَلَّةٍ﴾ لَن يَصْرِوْاَ اللَّهُ بكفرهم ﴿شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[١٧٨] ﴿وَلَا يَحْسِنَنَّ﴾ بالياء والتاء<sup>(٣)</sup> ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَنَّمَا تُنَلِّي ﴿أَي: إِمْلَأْنَا﴾ لَهُمْ ﴿بِنُطُولِ الْأَعْمَارِ وَتَأْخِيرِهِمْ﴾ ﴿خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ و«أن» ومعمولها سدت مسد المفعولين في قراءة التحتانية، ومسد الثاني في الأخرى ﴿إِنَّمَا تُنَلِّي﴾ نمل ﴿لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا﴾ بكثرة المعاصي ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة في الآخرة.

[١٧٩] ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ﴾ لِيترك ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ﴾ أيها الناس ﴿عَلَيْهِ﴾ من اختلاط المخلص بغيره ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ بالتخفيف والتشديد؛ يفصل ﴿الْحَيِّثُ﴾ المناق ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ المؤمن بالتكاليف الشاقة المبينة لذلك؛ ففعل ذلك يوم أُحُد ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ﴾ فتعرفوا المناق من غيره قبل التمييز ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي﴾ يختار ﴿مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ فيطّلع على غيبه؛ كما أطلع النبي ﷺ على حال المنافقين ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ النفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٨٠] ﴿وَلَا يَحْسِنَنَّ﴾ بالياء والتاء<sup>(٤)</sup> ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ أي: بركاته ﴿هُوَ﴾ أي: بخلهم ﴿خَيْرٌ لَهُمْ﴾ مفعول ثان، والضمير للفصل، والأول<sup>(٥)</sup> «بخلهم» مقدراً قبل الموصول على الفوقانية<sup>(٦)</sup>، وقبل الضمير على التحتانية<sup>(٧)</sup> ﴿بَلْ هُوَ مَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ﴾ أي: بركاته من المال ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن يجعل حية في عنقه تنهشه؛ كما ورد في الحديث<sup>(٨)</sup> ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يرثهما بعد فناء أهلها ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالياء والياء<sup>(٩)</sup> ﴿خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

(١) وهي قراءة نافع.

(٢) قوله: «من «خزّنه»... إلخ» راجع إلى القراءة الثانية بفتح الباء وضم الزاي.

(٣) قرأتان سينتان، وبإتاء قراءة حمزة. وعلى قراءة التاء وهي قراءة حمزة: الخطاب للنبي ﷺ، وقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مفعول أول ل (تحسين)، وقوله: ﴿أَنَّمَا تُنَلِّي هُمْ﴾ في محل المفعول الثاني. وعلى قراءة الياء - وهي قراءة الباقيين - : يكون قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فاعل (تحسين) وقوله: ﴿أَنَّمَا تُنَلِّي هُمْ خَيْرٌ...﴾ سد مسد مفعوليها كما ذكر المفسر.

(٤) التاء: قراءة حمزة، وبالياء قرأ الباقون.

(٥) أي المفعول الأول.

(٦) أي فتقديره: (ولا تحسن بخل الذين يبخلون... إلخ) خبراً لهم؛ فقول المفسر: «بخلهم» فيه تسامح؛ لأن المقدّر قبل الموصول يكون مضافاً له لا للضمير، وإنما المضاف إلى الضمير هو ما قدر قبله.

(٧) أي فتقديره: (ولا يحسن الذين يبخلون... إلخ) بخلهم خبراً لهم.

(٨) وهو قوله ﷺ: «مثل مال مانع الزكاة شجاع أقرع له زبيبتان، يأخذ بلمرئيه ويقول: أنا كنزك، أنا مالك، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسِنَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾... الآية. البخاري (٤٥٦٥)، ومسلم (٩٨٨).

(٩) بالياء قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وبالتاء قرأ الباقون.

فَأَنقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهِنَّ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَفَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَخْزِنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَصْرِوْاَ اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَصْرِوْاَ اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسِنَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا تُنَلِّي أَنَّمَا نُطَوِّلُ الْأَعْمَارَ وَتَأْخِيرِهِمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ﴿١٧٨﴾ إِنَّمَا تُنَلِّي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٩﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٨٠﴾ وَلَا يَحْسِنَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨١﴾

نَكَبَ ﴿وَقَتْلَهُمْ﴾ بالنصب والرفع<sup>(١)</sup> ﴿الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ﴾  
 بالنون والياء<sup>(٢)</sup>؛ أي: الله لهم في الآخرة على لسان الملائكة: ﴿ذُوقُوا  
 عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ النار. ويقال لهم إذا ألقوا فيها: [١٨٢] ﴿ذَلِكَ﴾  
 العذاب ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾ عبر بها عن الإنسان؛ لأن أكثر الأفعال تُزاول  
 بها ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ أي: بذي ظلم<sup>(٣)</sup> ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ فيعذبهم بغير  
 ذنب. [١٨٣] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت للذين قبله ﴿قَالُوا﴾ محمد: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾  
 قد ﴿عٰهَدَ إِلَيْنَا﴾ في التوراة ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾ نصده عنه ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيََنَا﴾  
 بِقُرْآنٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ فلا نؤمن لك حتى تأتينا به؛ وهو ما يُتَقَوَّبُ به إلى  
 الله من نعم وغيره، فإن قيل جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقته، وإلا بقي  
 مكانه، وعُهِدَ إلى بني إسرائيل ذلك إلا في المسيح ومحمد، قال - تعالى -:  
 ﴿فَلَمَّا﴾ لهم توبيخاً: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ بالمعجزات  
 ﴿وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلَمَّ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ إن كنتم صديقين  
 ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكُمْ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ بالعبادات والخطاب لمن في زمن نبينا  
 محمد ﷺ وإن كان الفعل لأجدادهم؛ لرضاعهم به ﴿فَلَمَّا قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ إن  
 كنتم صديقين في أنكم تؤمنون عند الإنيان به؟ [١٨٤] ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكُمْ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ بالمعجزات ﴿وَالَّذِينَ﴾  
 كصحف إبراهيم ﴿وَالَّذِينَ﴾ وفي قراءة: ياتيات الباء فيها<sup>(٤)</sup> ﴿الْمُنِيرِ﴾  
 الواضح؛ هو: التوراة والإنجيل؛ فاصبر كما صبروا.

[١٨٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ الْجُؤَرَ﴾ جزاء  
 أعمالكم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ﴾ بعد ﴿عَنِ الْكُفْرِ﴾ وأدخل الجنة  
 ﴿فَقَدْ فَازَ﴾ نال غايه مطلوبه<sup>(٥)</sup> ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ أي: العيش فيها ﴿إِلَّا مَتَاعٌ﴾  
 مُتَعٌ مُزَوَّرٌ الباطل؛ يتمتع بها قليلاً ثم يفتنى.

[١٨٦] ﴿تُسَبَّحُ لِلَّهِ﴾ حذف منه نون الرفع؛ لتوالي النونات، والواو  
 ضمير الجمع؛ لانتفاء الساكنين؛ لُحْثِيُونَ ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ بالفرائض فيها  
 والحوالح ﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾ بالعبادات والبلاد ﴿وَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الَّذِينَ أُوتُوا  
 الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ اليهود والنصارى<sup>(٦)</sup> ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ من  
 العرب ﴿أَذْكَى كَثِيرًا﴾ من السب والطعن والتشبيب<sup>(٧)</sup> بنسائكم  
 ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾ على ذلك ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي: من معزوماتها التي يحرم عليها؛ لوجوبها.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ  
 سَنَكُفُّ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْآبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ  
 ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨٦﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ  
 وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٨٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ  
 عٰهَدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيََنَا بِقُرْآنٍ  
 تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ يَأْتِيَنَّكُمْ  
 وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلَمَّ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٨﴾  
 فَإِنْ كَذَّبُوكُمْ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكُمْ جَاءُوا  
 بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٩﴾ كُلُّ نَفْسٍ  
 ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ الْجُؤَرَ كَمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
 فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا  
 الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿١٩٠﴾ تَسْبَحُونَ فِي  
 أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا  
 الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذْيَ كَثِيرٍ  
 وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٩١﴾

[١٨١] ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾  
 وهم اليهود قالوه لما نزل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وقالوا: لو  
 كان غنياً ما استقرضنا<sup>(١)</sup> ﴿سَنَكُفُّ﴾ نأمر بكتب ﴿مَا قَالُوا﴾ في  
 صحائف أعمالهم؛ ليجازوا عليه، وفي قراءة: بالياء مبنياً للمفعول<sup>(٢)</sup> ﴿وَوَقْتُ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٨٦): أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه - وكان أحد الثلاثة الذين تب عليهم - وكان كعب بن الأشرف يهجو النبي ﷺ ويحرض عليه كفار قريش وكان النبي ﷺ حين قدم المدينة وأهلها أخلاط، منهم المسلمون، ومنهم المشركون يعبدون الأوثان، واليهود، وكانوا يؤذون النبي ﷺ وأصحابه، فأمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالصبر والعفو، ففهم من قوله: ﴿وَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الآية. فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى النبي ﷺ أمر النبي ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رجلاً يقتلونه، فبعث محمد بن مسلمة - وذكر قصة قتله، فلما قتلوه فرغت اليهود والمشركون، فعدوا على النبي ﷺ، فقالوا: طرق صاحبنا قتل. فذكر لهم النبي ﷺ الذي كان يقول. ودعاهم النبي ﷺ إلى أن يكف عنه وبينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه. فكف النبي ﷺ عنه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة.

أبو داود - كتاب الخراج والإمارة (١٤) باب (٢٢) كيف كان إخراج اليهود من المدينة. (صحيح الإسناد) صحيح سنن أبي داود (٢٠٩٤).

(١) أخرجه بنحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٦٠/٢). عن ابن عباس بسند حسن.

(٢) لف ونشر مرتب؛ والنصب (وقلهم): على قراءة (شون) وهي قراءة حمزة، والرفع (وقلهم): على قراءة الباء للبيان.

(٣) على التفضيل في الهامش السابق.

(٤) دفع بذلك ما يقال: إن المنفي: كثرة الظلم؛ فيفيد أن أصل الظلم ثابت - فأجاب بأن هذه الصيغة للنسب لا للسلطة.

(٥) قرأ هشام: (وبالزبور وبالكتاب)، وقرأ ابن ذكوان: (وبالزبور والكتاب).

(٦) هذا التفسير يوهم عدم إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، وهو مذهب المعتزلة - الذي هو أعظم نعيم وغاية مطلوب، كما قال البلقيني: استخرجته من الكشف اعتزلاً بالمناقش من تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ الْكُفْرِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾. قال: أي فوز أعظم من دخول الجنة؛ أشار به إلى عدم الرؤية. والمصنف مذهبه إثبات الرؤية كما في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ...﴾ [الأنعام: ١٠٣] قال: أي لا تراه، وهذا مخصوص؛ لرؤية المؤمنين له في الآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْبُيُوتُ بِأَمْرٍ﴾ [النبي: ٢٢، ٢٣] وحديث الشيخين: ﴿إنكم سترون ربكم...﴾.

(٨) أي بذكر محاسنهن وأوصافهن بالفصائد، وتناشدها بينهم، وكان يفعل ذلك كعب بن الأشرف، لعنه الله.

[١٨٧] ﴿وَذَكَرْ﴾ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ: أَي: العهد عليهم في التوراة ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ﴾ أَي: الكتاب ﴿لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ أَي: الكتاب، والباء والتاء في الفعلين<sup>(١)</sup> ﴿فَتَبَيَّنَهُ﴾ طرحو الميثاق ﴿وَرَأَى ظُهُورَهُمْ﴾ فلم يعملوا به ﴿وَأَشْتَرَوْا بِهِ﴾ أَخَذُوا بِهِ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا من سفلتهم برياستهم في العلم، فكتموه خوف فوته عليهم ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ شراؤهم هذا.

[١٨٨] ﴿لَا يَتَحَسَّبُ﴾ بالباء والتاء<sup>(٢)</sup> ﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا﴾ فعلوا في إضلال الناس ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ من التمسك بالحق وهم على ضلال ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ في الوجهين<sup>(٣)</sup> تأكيد ﴿بِمَقَادِرِهِ﴾ بمكان ينجون فيه ﴿وَمِنَ الْعَذَابِ﴾ في الآخرة؛ بل هم في مكان يعذبون فيه؛ وهو: جهنم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم فيها<sup>(٤)</sup>، ومفعولا «بحسب» الأولى ذل عليها مفعولا الثانية على قراءة التحتانية<sup>(٥)</sup>، وعلى الفوقانية حذف الثاني فقط<sup>(٦)</sup>. [١٨٩] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيب الكافرين وإلجاء المؤمنين.

[١٩٠] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيها من العجائب ﴿وَأَخْتِلَافِ أَلْبُلِّ وَالنَّهَارِ﴾ بالجيء والذهاب، والزيادة والنقصان ﴿لَا تَكُنَّ﴾ دلالات على قدرته - تعالى - ﴿لِأُولَى الْأَلْبَتِ﴾ لدوي العقول. [١٩١] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت لما قبله، أو بدل ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ مضطجعين؛ أي: في كل حال، وعن ابن عباس: يصلون كذلك حسب الطاقة ﴿وَيَتَذَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ليستدلوا به على قدرة صانعهما، يقولون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا﴾ خلق الذي نراه ﴿بَطَلًا﴾ حال، عبثا؛ بل دليلا على كمال قدرتك ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها لك عن العبث ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

[١٩٢] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن ذَخِلَ النَّارَ﴾ للخلود فيها ﴿فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ أَهْنَتْهُ ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين، فيه وُضِعَ الظاهر موضع المضمي<sup>(٧)</sup>؛ إشعارا بتخصيص الخزي بهم ﴿وَمِنْ زَائِدَةٍ﴾ أَنْصَارٍ يمنعونهم من عذاب الله - تعالى.

[١٩٣] ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي﴾ يدعو الناس ﴿لِلْإِيمَانِ﴾ أي: إليه؛ وهو: محمد، أو إقرآن ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ به ﴿رَبَّنَا قَاغُورَ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ غَطًّا﴾ غَطًّا سَيِّئَاتِنَا فلا تظهرها

وإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُخِيسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ أَلْبُلِّ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَى الْأَلْبَتِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَذَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطَلًا سُبْحَانَكَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن ذَخِلَ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا قَاغُورَ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّافًا لَنَا ذُنُوبَنَا رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿١٩٣﴾

بالعقاب عليها ﴿وَتَوَقَّافًا﴾ اقبض أرواحنا ﴿مَعَ﴾ في جملة ﴿الْأَبْرَارِ﴾ الأنبياء والصالحين. [١٩٤] ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا﴾ أعطنا ﴿مَا وَعَدْتَنَا﴾ به ﴿عَلَىٰ أَلْسِنَةٍ رُّسُلِكَ﴾ من الرحمة والفضل، وشؤالهم ذلك - وإن كان وعده - تعالى - لا يُخْلَفُ - سؤال أن يجعلهم من مستحقه؛ لأنهم لم يتقنوا استحقاقهم له، وتكرير «ربنا» مبالغة في التضرع ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ الوعد بالبعث والجزاء.

\*\*\*

(هـ) ما جاء في نزول الآية (١٨٨): أنسرح البخاري عن أبي سعيد الخدري ؓ إن رجلاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخشعوا عنه وفرحوا بمقدمهم خلاف رسول الله ﷺ، فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتدوا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمدا بما لم يفعلوا، فنزلت: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ...﴾ الآية. البخاري كتاب التفسير (٦٥). سورة آل عمران (٣) باب (١٦).

(١) أي وهما: «بيبينه» و«لا يكتمون»، وقراءة الباء لابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ الباقون بالتاء في الموضعين.

(٢) قرأ بالياء: نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر، والباقيون بالتاء.

(٣) أي على القراءةين بالياء والتاء.

(٤) والتقدير: أنفسهم ناجين.

(٥) وتشدده: ناجين من عذاب الله.

(٦) حيث قال: ﴿وَمَا لَظَالِمِينَ﴾ ولم يقل: ﴿وما لهم﴾.

(٧) للتوكيد.

(٨) هي نسخة: «خط»، والمثبت هو الموافق لما بعده في قوله: «فلا تظهرها... إلخ».

إِلَى الْمَدِينَةِ ﴿وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَوَدُّوا فِي سَبِيلِي﴾ دِينِي ﴿وَقَاتِلُوا﴾ الْكُفَّارَ ﴿وَقَاتِلُوا﴾ بِالْخَفِيفِ وَالشَّدِيدِ<sup>(١)</sup>، وَفِي قِرَاءَةٍ بِتَقْدِيمِهِ<sup>(٢)</sup> ﴿لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أَسْتَرَهَا بِالْمَغْفِرَةِ ﴿وَلَا تُدْخِلْنَهُمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا﴾ مَصْدَرٌ مِنْ مَعْنَى «لَا كُفْرَانَ» مُؤَكَّدٌ لَهُ ﴿وَمَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ فِيهِ الثَّقَاتُ عَنْ التَّكَلُّمِ<sup>(٣)</sup> ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ الْحِزَاءُ.

[١٩٦] وَنَزَلَ - لَمَّا قَالَ الْمُسْلِمُونَ: أَعْدَاءُ اللَّهِ فِيمَا نَرَى مِنَ الْخَيْرِ، وَنَحْنُ فِي الْجَهْدِ -: ﴿لَا يَغْنَبُكَ قَلْبُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾<sup>(٤)</sup> تَصْرِفُهُمْ ﴿فِي الْيَلَدِ﴾ بِالْجَارَةِ وَالْكَسْبِ.

[١٩٧] هُوَ ﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ﴾ يَمْتَحِنُونَ بِهِ يَسِيرًا فِي الدُّنْيَا وَيَفْنَى ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ لِلْهَادِ الْفِرَاشَ﴾ هِيَ.

[١٩٨] ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ أَيُّ؛ مُقَدَّرِينَ الْخُلُودِ ﴿فِيهَا نُزُلًا﴾ وَهُوَ مَا يُعَدُّ لِلضَّيْفِ، وَنُصِبَهُ عَلَى الْحَالِ مِنْ «جَنَّتٍ»، وَالْعَامِلُ فِيهَا مَعْنَى الظَّرْفِ ﴿وَمَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ﴾ خَيْرٌ لِلْآثَرِ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا.

[١٩٩] ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ كَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابُهُ، وَالنَّجَاشِيُّ<sup>(٥)</sup> ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ أَيُّ: الْقُرْآنَ ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أَيُّ: التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿حَسْبِئِلَهُمْ﴾ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ «يُؤْمِنُ» مُرَاعَى فِيهِ مَعْنَى «مَنْ»؛ أَيُّ: مُتَوَاضِعِينَ ﴿لِلَّهِ لَا يَشْكُرُونَ بِتَأْيِيدِ اللَّهِ﴾ أَيْتِي عَنْهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مِنْ بَعَثِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِنَ الدُّنْيَا بَأَنْ يَكْتُمُوهُمَا؛ خَوْفًا عَلَى الرِّيَاسَةِ؛ كَقَعْلِ غَيْرِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثَوَابُ أَعْمَالِهِمْ ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يُؤْتُوْنَهُ مَرَّتَيْنِ؛ كَمَا فِي الْقَصَصِ<sup>(٦)</sup> ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ بِحَسَابِ الْخَلْقِ فِي قَدْرِ نَصْفِ نَهَارٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا<sup>(٧)</sup>.

[٢٠٠] ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصِيرُوا﴾ عَلَى الطَّاعَاتِ وَالْمَصَائِبِ، وَعَنِ الْمَعَاصِي ﴿وَصَارُوا﴾ الْكُفَّارَ؛ فَلَا يَكُونُوا أَشَدَّ صَبْرًا مِنْكُمْ ﴿وَرَابِطُوا﴾ أَقْبِمُوا عَلَى الْجِهَادِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تَفُوزُونَ بِالْجَنَّةِ وَتَنْجُونَ مِنَ النَّارِ.

\*\*\*

فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَيْ لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَتَى بِبَعْضِكُمْ مِنْ بَعْضٍ قَالَتِ هَاجَرُ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَوَدُّوا فِي سَبِيلِي وَقَاتِلُوا وَقَاتِلُوا لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا تُدْخِلْنَهُمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ لَا يَغْنَبُكَ قَلْبُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْيَلَدِ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَهَادَ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآثَرِ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْكُرُونَ بِتَأْيِيدِ اللَّهِ ثُمَّ قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصِيرُوا وَصَارُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

### سُورَةُ النَّبَاِ

[١٩٥] ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ دَعَاؤَهُمْ ﴿إِنْ﴾ أَيُّ: بَأْنِي ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَتَى بِبَعْضِكُمْ﴾ كَاتِبٌ ﴿مِنْ بَعْضٍ﴾ أَيُّ: الذَّكَوْرُ مِنَ الْإِنَاثِ وَبِالْعَكْسِ، وَالْجُمْلَةُ مُؤَكَّدَةٌ لِمَا قَبْلُهَا؛ أَيُّ: هُمْ سَوَاءٌ فِي الْمَجَازَةِ بِالْأَعْمَالِ وَتَرَكَ تَضْيِيعَهَا، نَزَلَتْ لَمَّا قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَا أَسْمَعُ ذِكْرَ النِّسَاءِ فِي الْهَجْرَةِ بِنِسَاءِ<sup>(١)</sup>، ﴿قَالَتِ هَاجَرُ﴾ مِنَ مَكَّةِ

(٥) مَا جَاءَ فِي سَبَبِ نَزُولِ آيَةِ (١٩٥): أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا أَسْمَعُ ذِكْرَ النِّسَاءِ فِي الْهَجْرَةِ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَتَى بِبَعْضِكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٥) سُورَةُ النِّسَاءِ (صَحِيحٌ بِمَا قِيلَ) صَحِيحٌ سَنَ التِّرْمِذِيُّ (٢٤٢٠).

(٥٥) مَا جَاءَ فِي سَبَبِ نَزُولِ آيَةِ (١٩٩): أَخْرَجَ النَّسَائِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٣٥٦/١) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا جَاءَ نَعِيُّ النَّجَاشِيِّ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَلُّوا عَلَيْهِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَصَلِّي عَلَى عَبْدِ حَشِيٍّ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ﴾، قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَادِ (٣٨/٣): «رَوَاهُ الرَّارُ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرَجَالُ الصُّبْرَانِيِّ ثَقَاتٌ». اهـ.

وَذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ. وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ فِي الْإِسْتِيعَابِ فِي بَيَانِ الْأَسْبَابِ (٣٥٢/١).

(١) بِالْشَّدِيدِ قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ وَابْنِ عَامِرٍ.

(٢) أَيُّ: يَتَقَدَّمُ الْمَبْنِيُّ لِلْمَفْعُولِ، لَكِنْ بِالْخَفِيفِ، وَتَكُونُ الْوَاوُ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ بِمَعْنَى: مَعَ؛ أَيُّ: مَعَ كَوْنِهِمْ قَاتِلُوا فَلَمْ يَفِرُوا، بَلْ قَاتِلُوا فِي حَالِ مَقَاتِلَتِهِمُ الْأَعْدَاءَ، وَهِيَ قِرَاءَةُ حِمَزَةِ وَالْكَسَاةِ.

(٣) أَيُّ: وَكَانَ مَقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يَقُولَ: «ثَوَابًا مِنْ عِنْدِي»، وَإِنَّمَا أَظْهَرَ مَحْسُورَ الْإِضْمَارِ تَشْرِيفًا لَهُمْ.

(٤) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ، وَذَكَرَهُ الْبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٥٤/٢).

(٥) الْآيَاتُ مِنْ ٥٠ حَتَّى ٥٥ مِنَ السُّورَةِ.

(٦) سَبَقَ بَيَانُ أَنَّ هَذَا سَهْوٌ مِنْ إِبْرَاهِيمَ السَّيُوطِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ الْبَقَرَةِ رَقْمَ (٢٠٢) - وَالصَّحِيحُ أَنَّ اللَّهَ بِحَسَابِ الْخَلْقِ فِي قَدْرِ نَصْفِ نَهَارٍ مِقْدَارَهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَاعَةٍ؛ كَمَا فِي صَحِيحِ ابْنِ حِبَانَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِقْدَارَ نَصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَاعَةٍ»، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي عِقَابِ مَانِعِي الزَّكَاةِ فِي الْحَشْرِ - قَوْلُهُ ﷺ: «فِي يَوْمٍ كَادَ مِقْدَارَهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَاعَةٍ حَتَّى يَقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ...» الْبُخَارِيُّ (١٣١٤)، وَمُسْلِمٌ (١٦٤٧).

## سُورَةُ النِّسَاءِ

[مدنية، وآياتها مائة وخمس أو ست أو سبع وسبعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: عقابه بأن تطيعوه ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ﴾ آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ بالمد من ضلع من أضلاعه اليسرى ﴿وَبَيْنَهُمْ﴾ فرق ونشر ﴿وَمِنْهُمَا﴾ من آدم وحواء ﴿بِرَبٍّ كَبِيرٍ وَنَسَاءٍ﴾ كثيرة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ﴾ (١) فيه إدغام التاء في الأصل في السين (٢)، وفي قراءة بالتخفيف (٣) بحذفها؛ أي: تتساءلون ﴿بِهِ﴾ فيما بينكم حين يقول بعضهم لبعض: أسألك بالله، وأنشدك بالله ﴿وَمَنْ اتَّقُوا﴾ (٤) ﴿الْأَرْخَامَ﴾ أن تقطعوها، وفي قراءة (٥) بالجر عطفاً على الضمير في «به»، وكانوا يتناشدون بالرحم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ حافظاً لأعمالكم، فيجازيكم بها؛ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

[٢] ونزل في يتيم طلب من وليه ماله فمنعه: ﴿وَمَا تَوْأَمَتَيْنِ﴾ (٥) الضغار الألى (٦) لا أب لهم ﴿أَمْوَالَهُمْ﴾ إذا بلغوا ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْكَيْفَ﴾ الحرام ﴿بِالطَّبِيعِ﴾ الحلال؛ أي: تأخذوه بدل كما تفعلون من أخذ الحيد من مال اليتيم وجعل الرديء من مالكم مكانه ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾ مضمومة ﴿إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ أي: أكلها ﴿كَأَنَّهُمْ حُومٌ﴾ ذئبا ﴿كَبِيرًا﴾ عظيماً.

[٣] ولما نزلت تخرجوا من ولاية النيامي، وكان فيهم من تحته العشر أو الثمان من الأزواج، فلا يعدل بينهم؛ فنزل: ﴿وَلَنْ يَخْفَظَهُمْ﴾ (٧) ﴿لَا تَقْسِطُوا﴾ تعدلوا ﴿فِي الْبَيْنِ﴾ فتخرجتم من أمرهم فخافوا - أيضاً - أن لا تعدلوا بين النساء (٨) إذا نكحتموهن ﴿فَأَنْكِحُوا﴾ تزوجوا ﴿مَا﴾ بمعنى: من ﴿طَابَ لَكُمْ مِنَ النَّسَاءِ﴾ ثلثت وثلثت أي اثنتين اثنتين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً، ولا تزيدوا على ذلك ﴿فَلَنْ يَخْفَظَهُمْ﴾ (٩) ﴿لَا تَعْدِلُوا﴾ فيهم بالنفقة والقسم ﴿فَوَاحِشَهُمْ﴾ انكحوها ﴿أَوْ﴾ اقتصروا على ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الإماء؛ إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات (١٠) ﴿ذَلِكَ﴾ أي: نكاح الأربع فقط، أو الواحدة، أو الثنوي (١١) ﴿أَقْرَبُ﴾ أقرب إلى ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾ تجوروا (١٢).

[٤] ﴿وَتَأْتُوا﴾ أعطوا ﴿النِّسَاءَ صَدَقَاتٍ﴾ جمع صدقة: مهرهن ﴿بِحِلَّةٍ﴾ مصدر (١٣) عطية عن طيب نفس ﴿فَلَنْ يَطِيبَ لَكُمْ عَنْ مَقَرٍّ مِنْهُ نَفْسًا﴾ تمييز محول عن الفاعل؛ أي: طابت أنفسهن لكم عن شيء من الصداق فوهبهن لكم ﴿فَكُلُوا مِنْهُنَّ طَبِيبًا﴾ (١٤) ﴿مَرْثِيًا﴾ محموداً العاقبة، لا ضرر فيه عليكم في الآخرة، نزلت ردّاً على من كره ذلك.

[٥] ﴿وَلَا تَوْتُوا﴾ أيها الأولياء ﴿الْأَسْقَهَاءَ﴾ المُنْذَرِينَ من الرجال والنساء والصبيان ﴿أَمْوَالَكُمْ﴾ أي: أموالكم التي في أيديكم ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ مصدر «قام»؛ أي: تقوم بمعاشكم وصلاح أولادكم؛ فيضيعوها في غير وجهها، وفي قراءة: ﴿قِيَمًا﴾ (١٥) جمع «قيمة»؛ ما تقوم به الأمعة ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهَا﴾ أي: أطعموهم منها ﴿وَاسْكُوهُمْ﴾ ووفوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٣): أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً كانت له يتيمة فكنحها، وكان لها علق، وكان يسكنها عليه، ولم يكن لها من نفسه شيء، فنزلت: ﴿وَلَنْ يَخْفَظَهُمْ﴾ (٧) ﴿لَا تَقْسِطُوا﴾ -

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. (٢) فأسله: تتساءلون؛ فبقت التاء سبباً ثم أدغمت في السين؛ لقرب مخرجيهما. (٣) قرأه الكوفيون حمزة والكسائي وعاصم مخففاً على حذف إحدى التائين، وشدد الباقون على إدغام التاء الثانية في السين. (٤) حمزة. (٥) أخرجه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير رضي الله عنه (الدر المنثور ٢/٧٢٧) وسنده ضعيف كما في الاستيعاب (٣٥٨/١). (٦) أي الذين. (٧) أي: النيامي. (٨) أي: فلا يجب العدل بينهم لا في القسم ولا في النفقة ولا في الكسوة. (٩) مؤيد من معنى قوله: ﴿تَأْتُوا﴾ (١٠) نافع وابن عامر. (١١) وكذلك هو عند الحنابلة، وأما أبو حنيفة فقال: يبلوغ الذكر ثمانين سنة، والجارية سبع عشرة سنة. وقال مالك: يبلوغها ثمانين سنة. والأرجح الأول وهو قول الجمهور. (١٢) الأفضل أن يقول: علمتم؛ لما سببه للارشاد. (١٣) أي: تعليم لمصالح الدنيا؛ فهو أمر مدب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الرِّبَا الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَيْنَهُمَا رَحِمًا كَبِيرًا وَنَسَاءً وَالَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْضَرِّ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النَّسَاءِ مَتْنً وَتِلْكَ وَرِيعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِشُهُ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذَى الْأَعْمَالِ ﴿٣﴾ وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ بِحِلَّةٍ فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴿٤﴾ وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ مِنْهَا وَاسْكُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا وَاتَّبَلُوا الْيَتَامَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ عَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٥﴾

عَدُوَّهُمْ عَدَّةٌ جَمِيلَةٌ؛ بِإِعْطَائِهِمْ أَمْوَالَهُمْ إِذَا رُشِدُوا.

[٦] ﴿وَاتَّبَلُوا﴾ اختبروا ﴿الْيَتَامَى﴾ قبل البلوغ: في دينهم، وتصرفهم في أحوالهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ أي: صاروا أهلاً له، بالاحتلام أو السن؛ وهو: استكمال خمس عشرة سنة عند الشافعي (١) ﴿فَلَنْ آنَسْتُمْ﴾ أبصرتم (٢) ﴿بَيْنَهُمْ رُشْدًا﴾ صلاحاً في دينهم ومالهم ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا﴾ أيها الأولياء ﴿إِسْرَافًا﴾ بغير حق، حال ﴿وَبِدَارًا﴾ أي: مبادرين إلى إنفاقها مخافة ﴿أَنْ يَكْبَرُوا﴾ رُشْدًا؛ فيلزمكم تسليمها إليهم ﴿وَمَنْ كَانَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ أي: يعف عن مال اليتيم ويمتنع من أكله ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ﴾ منه ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر أجره عمله ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: إلى النيامي ﴿أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾ أنهم تسلموها، ويرثهم؛ لئلا يقع اختلاف؛ فترجعوا إلى البيعة، وهذا أمر إرشاد (٣) ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ﴾ الباء: زائدة ﴿حَسِيبًا﴾ حافظاً لأعمال خلقه، ومحاسبهم.

تهاون الناس في تركه؛ وعليه فهو نذير، وعن ابن عباس: واجب.

[٩] ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لِيُخَفَّ عَلَى الْيَتَامَى﴾ الآية أي: ليخفف على اليتامى ﴿الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا﴾ أي: قاربوا أن يتركوا ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: من بعد موتهم ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَفًا﴾ أولادًا صغارًا ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ الضَّعَافُ ﴿فَلْيَسْعُوا اللَّهَ﴾ في أمر اليتامى، وليأتوا إليهم ما يحبون أن يُفْعَلَ بذريعتهم من بعدهم ﴿وَلْيَقُولُوا لِلْمَيْتِ﴾ أي: قولوا سيديك صوابًا بأن يأمرهم أن يتصدق بدون ثلثه، ويُذَّع الباقي لورثته، ولا يتركهم عائلة.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى﴾ الآية أي: يأكلون في بطونهم أي: ملاًها ﴿نَارًا﴾ لأنه يقول إليها ﴿وَسَيَمْلَأُكُمْ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول (١) يدخلون ﴿سِوَاهَا﴾ نازًا، شديدة يحترقون فيها.

[١١] ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي﴾ أي: يأمركم ﴿اللَّهُ فِي﴾ شأن ﴿أَوْلَادِكُمْ﴾ بما يُذَكِّرُ ﴿لِلذِّكْرِ﴾ منهم ﴿مِثْلَ حَظِّ﴾ نصيب ﴿الْأُنثَيَيْنِ﴾ إذا اجتمعتا معه فله نصيب نصف المال ولهما النصف، فإن كان معه واحدة فلها الثلث وله الثلثان، وإن انفرد حاز المال ﴿فَإِنْ كُنَّ﴾ أي: الأولاد ﴿نِسَاءً﴾ فقط ﴿فَوَقَّ﴾ أي: اتَّخَذْنَ فَلَهُنَّ ثُلُثًا مَا تَرَكَ﴾ أي: المِثْلُ، وكذا الانثيان، لأنه للأنثيين بقوله: ﴿فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ فيما أُولَى؛ ولأن البنت تستحق الثلث مع الذكر؛ فمع الأنثى أُولَى، ﴿وَقَوْفٌ﴾ قيل: صلة، وقيل: لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد، لما فهم استحقاق البنين الثلثين من جعل الثلث لواحدة مع الذكر ﴿وَلِنْ كَانَتْ﴾ المولودة ﴿وَحِيدَةً﴾ وفي قراءة: بالرفع (٢)؛ «فكانت» تامة ﴿فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهَا﴾ أي: للثَّيْتِ، ويبدل منهما ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا﴾ أَلْسُدُّسٌ وَمِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ ذكر أو أنثى، ونكتة البدل: إفادة أنهما لا يشتركان فيه، وأُخِذَ بالولد ولد الابن، وبالأب الجد ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَرَزَقَتْهُ أَبَوَاهُ﴾ فقط أو مع زوج ﴿فَلِأُمِّهِ﴾ بضم الهمزة وكسرها (٣)؛ «فراوا» من الانتقال من ضمة إلى كسرة؛ لتلقه في الموضعين (٤) ﴿أَلْتَلَّكَ﴾ أي: ثلث

المال أو ما يبقى بعد الزوج، والباقي للأب ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ أي: إثنان فصاعداً - ذكورا أو إناثاً - ﴿فَلِأَبَوَيْهِ أَلْسُدُّسٌ﴾ والباقي للأب، ولا شيء للإخوة، وإِذْ مِنْ ذِكْرِ مَا ذَكَرَ مِنْ بَدَلِ تَفْذِيلِ ﴿وَصِيَّتَهُ يُوْصِي﴾ بالبناء للقاص والمفعول (٥) ﴿بِهَا أَوْ﴾ قضاء ﴿دَيْنٍ﴾ عليه (٦).

وتقديم الوصية على الدين وإن كانت مؤخره عنه في الوفاء: للاهتمام بها، ﴿عَائِيَاكُمْ وَبَنَاتِكُمْ﴾ مبتدأ خبره: ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمُ أَقْرَبُ لَكُمْ تَعْقًا﴾ في الدنيا والآخرة؛ فظان أن ابنه أنفع له؛ فبعضه الميراث؛ فيكون الأب أنفع، وبالعكس، وإنما العالم بذلك هو الله؛ ففرض لكم الميراث ﴿فَرِيضَةً مِّنْكَ اللَّهُ﴾ إِنْ كَانَ عَلِيًّا﴾ بخلفه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دَبَّرَهُ لَهُمْ؛ أي: لم يزل مُتَّصِفًا بذلك.

لِرَجَالٍ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرُ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (٧) وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٨) وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٩) إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ الَّتِي تَحْتَمِلُ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠) يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنًا أَوْ أَبَاكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمُ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنْ كَانَ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١)

[٧] ونزل - ردًا لما كان عليه في الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار (١) -: ﴿لِلرِّجَالِ﴾ الأولاد والأقرباء ﴿نَصِيبٌ﴾ حَظٌّ ﴿وَمِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ الْمُتَوَفَّوْنَ ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾ أي: المال ﴿أَوْ كَثُرُ﴾ جعله الله ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ مقطوعًا بتسليمه إليهم.

[٨] ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ﴾ للميراث ﴿أُولُو الْقُرْبَىٰ﴾ ذُو الْقُرْبَى مِنْ لَيرث ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ﴾ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ شَيْقًا قبل القسمة ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أي: قولوا لهم قولًا حسنًا، وإذا كان الورثة صغارًا ﴿فَقُولُوا مَعْرُوفًا﴾ جميعًا؛ بأن تعتذروا إليهم أنكم لا تملكونه وأنه للصغار، وهذا قيل: إنه منسوخ، وقيل: لا، ولكن

في التفسير - البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١).

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١) أخرجه البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: عادي النبي ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشين، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل، فدعا بماء فوضأ منه ثم رش علي فأنفت، فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي﴾ أَوْلَادِكُمْ. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (٤).

وأخرج أبو داود عن جابر بن عبد الله قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى جئنا امرأة من الأنصار في الأسواق، فبجاعت المرأة بابتين لها، فقالت: يا رسول الله. هاتان بنتا ثابت بن قيس قتل معك يوم أحد، وقد استنفا عمهما مالهما وميراثهما كله فلم يدع لهما مالاً إلا أخذه فتمتري يا رسول الله؟ فولله لا تتكحان أبداً إلا ولهما مال. فقال رسول الله ﷺ: «بقيضي الله في ذلك». قال: ونزلت سورة ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي﴾ أَوْلَادِكُمْ. الآية. فادعوا لي المرأة وصاحبها فقال لعمري: «أعطتهما الثلثين، وأعطت أمهما الثمن، وما بقي فلنك». أبو داود - كتاب الفرائض (١٣) باب (٤) ما جاء في ميراث الصلب. وقال عقبه: «أخطأ يثرب فيه، إنما هما ابنتا سعد بن الربيع. وثابت بن قيس قتل يوم البماهة. ثم ساق رواية أخرى على الصواب.

(١) أخرجه نحوه الطبري في جامع البيان (١٧٦/٤) عن قتادة، وهو مرسل صحيح الإسناد كما في الاستيعاب (٣٦٧/١).

(٢) أي: لمن حضرته الوفاة. (٣) بالبناء للمفعول لابن عامر وشعبة. (٤) لنافع. (٥) بالكسر حمزة والكسائي. (٦) راجع إلى الكسر.

(٧) أي: في قوله: ﴿فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾، وقوله: ﴿فَلِأَبَوَيْهِ أَلْسُدُّسٌ﴾. (٨) بابنها للمفعول لابن كثير وابن عامر وشعبة.



[١٢] ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُمْ وَلَدٌ وَلَكُمْ مِنْكُمْ أَوْ مِنْ غَيْرِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ ذَرْبٌ وَالْحَقُّ بِالْوَلَدِ فِي ذَلِكَ وَلَدُ الْإِبْنِ بِالْإِجْمَاعِ ﴿وَلَهُنَّ﴾ أي: الزوجات: تَعْدُدُ أَوْ لَا ﴿الرُّبْعُ﴾ وَمِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ وَلَهُنَّ مِنْكُمْ أَوْ مِنْ غَيْرِكُمْ فَلَهُنَّ الثُّلُثُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوَصِّونَ بِهَا أَوْ ذَرْبٌ ﴿وَلَدُ الْإِبْنِ فِي ذَلِكَ كَالْوَلَدِ إِجْمَاعًا﴾ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوَرِّثُ صَفَةً، وَالْخَبَرُ<sup>(١)</sup> ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: لا والد له ولا ولد ﴿أَوْ أُمُّرَأَةٌ﴾ تَوَرَّثَتْ كِلَالَةً ﴿وَلَكُمْ﴾ أي: للموروث كِلَالَةً ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتُ﴾ أي: مِنْ أُمِّ، وَقَرَأَ بِهِ ابْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُ<sup>(٢)</sup> ﴿فَلِكُلِّ وَحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ مَا تَرَكَ ﴿فَإِنْ كَانُوا﴾ أي: الإخوة والأخوات من الأم ﴿أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ﴾ أي: من واحد ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ بِسَوِيٍّ فِيهِ ذَكَرَهُمْ وَأَنفَاهُمْ ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ ذَرْبٍ غَيْرِ مُضَاعَفٍ﴾ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ «يُوصِي»؛ أي: غَيْرِ مَدْخُلِ الضَّرَرِ عَلَى الْوَرِثَةِ بَأَنْ يُوَصِّيَ بِأَكْثَرِ مِنَ الثَّلَاثِ ﴿وَصِيَّةٌ﴾ مُصَدَّرٌ مُؤَكَّدٌ لـ «يُوصِيكُمْ» ﴿مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِمَا ذُبُّهُ لِحَلْقِهِ مِنَ الْفَرَائِضِ ﴿حَلِيمٌ﴾ بِتَأْخِيرِ الْعُقُوبَةِ عَنْهُ خَالَفَهُ، وَخَصَّتِ الشُّعْنَةُ تَوَرِثَ مَنْ ذَكَرَ مِنْ لَيْسَ فِيهِ مَانِعٌ مِنْ قَتْلِ، أَوْ اخْتِلَافِ دِينٍ، أَوْ قَتْلِ.

[١٣] ﴿يَلِكُ﴾ الْأَعْكَامُ الْمَذْكُورَةُ - مِنْ أَمْرِ الْيَتَامَى وَمَا بَعْدَهُ - ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ شَرَائِعُهُ أَسْبَغَ خُدَّهَا لِعِبَادِهِ؛ لِيَعْمَلُوا بِهَا، وَلَا يَتَعَدَّوْهَا ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فِيمَا حَكَمَ بِهِ ﴿يُدْخِلْهُ﴾ بِالْبَيَاءِ وَالنُّونِ<sup>(٣)</sup>؛ الْفَتْحَا<sup>(٤)</sup> ﴿جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْقَفُورُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٤] ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ﴾ بِالْوَجْهِينِ<sup>(٥)</sup> ﴿نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ﴾ فِيهَا ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذُو إِهَانَةٍ، رُوِيَ فِي الضَّمَانِ فِي الْآيَتَيْنِ لَفْظُ «مَنْ»<sup>(٦)</sup> وَفِي «خَالِدِينَ» مَعْنَاهَا.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُمْ وَلَدٌ وَلَكُمْ مِنْكُمْ أَوْ مِنْ غَيْرِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ ذَرْبٌ وَالْحَقُّ بِالْوَلَدِ فِي ذَلِكَ وَلَدُ الْإِبْنِ بِالْإِجْمَاعِ ﴿وَلَهُنَّ﴾ أي: الزوجات: تَعْدُدُ أَوْ لَا ﴿الرُّبْعُ﴾ وَمِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ وَلَهُنَّ مِنْكُمْ أَوْ مِنْ غَيْرِكُمْ فَلَهُنَّ الثُّلُثُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوَصِّونَ بِهَا أَوْ ذَرْبٌ ﴿وَلَدُ الْإِبْنِ فِي ذَلِكَ كَالْوَلَدِ إِجْمَاعًا﴾ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوَرِّثُ صَفَةً، وَالْخَبَرُ<sup>(١)</sup> ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: لا والد له ولا ولد ﴿أَوْ أُمُّرَأَةٌ﴾ تَوَرَّثَتْ كِلَالَةً ﴿وَلَكُمْ﴾ أي: للموروث كِلَالَةً ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتُ﴾ أي: مِنْ أُمِّ، وَقَرَأَ بِهِ ابْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُ<sup>(٢)</sup> ﴿فَلِكُلِّ وَحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ مَا تَرَكَ ﴿فَإِنْ كَانُوا﴾ أي: الإخوة والأخوات من الأم ﴿أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ﴾ أي: من واحد ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ بِسَوِيٍّ فِيهِ ذَكَرَهُمْ وَأَنفَاهُمْ ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ ذَرْبٍ غَيْرِ مُضَاعَفٍ﴾ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ «يُوصِي»؛ أي: غَيْرِ مَدْخُلِ الضَّرَرِ عَلَى الْوَرِثَةِ بَأَنْ يُوَصِّيَ بِأَكْثَرِ مِنَ الثَّلَاثِ ﴿وَصِيَّةٌ﴾ مُصَدَّرٌ مُؤَكَّدٌ لـ «يُوصِيكُمْ» ﴿مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِمَا ذُبُّهُ لِحَلْقِهِ مِنَ الْفَرَائِضِ ﴿حَلِيمٌ﴾ بِتَأْخِيرِ الْعُقُوبَةِ عَنْهُ خَالَفَهُ، وَخَصَّتِ الشُّعْنَةُ تَوَرِثَ مَنْ ذَكَرَ مِنْ لَيْسَ فِيهِ مَانِعٌ مِنْ قَتْلِ، أَوْ اخْتِلَافِ دِينٍ، أَوْ قَتْلِ.

﴿يَلِكُ﴾ الْأَعْكَامُ الْمَذْكُورَةُ - مِنْ أَمْرِ الْيَتَامَى وَمَا بَعْدَهُ - ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ شَرَائِعُهُ أَسْبَغَ خُدَّهَا لِعِبَادِهِ؛ لِيَعْمَلُوا بِهَا، وَلَا يَتَعَدَّوْهَا ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فِيمَا حَكَمَ بِهِ ﴿يُدْخِلْهُ﴾ بِالْبَيَاءِ وَالنُّونِ<sup>(٣)</sup>؛ الْفَتْحَا<sup>(٤)</sup> ﴿جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْقَفُورُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ﴾ بِالْوَجْهِينِ<sup>(٥)</sup> ﴿نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ﴾ فِيهَا ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذُو إِهَانَةٍ، رُوِيَ فِي الضَّمَانِ فِي الْآيَتَيْنِ لَفْظُ «مَنْ»<sup>(٦)</sup> وَفِي «خَالِدِينَ» مَعْنَاهَا.

(١) أي: خبر ﴿كَانَ﴾، وهذا على أنها ناقصة، وأما باعتبارها تامة؛ فتكون ﴿كَذَلِكَ﴾ حالاً.

(٢) وهي قراءة شاذة.

(٣) بالنون لتافع وابن عامر.

(٤) راجع للنون؛ وهو الفتحة من الغيبة للتكلم.

(٥) أي: بالياء والنون، والنون لتافع وابن عامر.

(٦) أي: فأفرد في قوله: ﴿يُدْخِلْهُ﴾ في الموضعين، وفي قوله: ﴿وَلَهُ﴾ أي: فجمع؛ مراعاة لعنى ﴿مَنْ﴾.

الفاحشة: الزنا أو اللواط<sup>(١)</sup> ﴿مِنْكُمْ﴾ أي: الرجال ﴿فَتَأْذُوهُمَا﴾ بالسُّبِّ والضرب بالنعال ﴿فَإِنْ تَابَا﴾ منها ﴿وَأَصْلَحَا﴾ العمل ﴿فَاعْرِضْهُمَا﴾ عَنْهُمْ وَلَا تُوْذُوهُمَا ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا﴾ على من تاب ﴿حَسِيمًا﴾ به، وهذا منسوخ بالحد إن أُريد بها الزنا، وكذا إن أُريد بها اللواط عند الشافعي، لكن المفعول به لا يرجع عنده - وإن كان مُحْصَنًا - بل يجلد ويغرب، وإرادة اللواط أظهر؛ بدليل ثنية الضمير<sup>(٢)</sup>، والأول قال: أراد الزاني والزانية، ويرده تبيينهما بـ«من» المتصلة بضمير الرجال<sup>(٣)</sup>، واشتركا في الأذى. والتوبة والإعراض، وهو مخصوص بالرجال لما تَقَدَّمَ في النساء من الحسب.

[١٧] ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: التي كتب على نفسه قبولها بفضلِهِ ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ أَسْوَءَ الْعَمَلِ﴾ المعصية ﴿بِحَسْبِ الْهَلَاكِ﴾ حال؛ أي: جاهلين إذا عصوا ربهم ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْهُمْ﴾ زمن ﴿قَرِيبٌ﴾ قبل أن يُغْرَضُوا ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يقبل توبتهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه بهم.

[١٨] ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الذنوب ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ وأخذ في النزاع ﴿قَالَ﴾ عند مشاهدته ما هو فيه: ﴿إِنِّي بُنْتُ الْكَفَّ﴾ فلا ينفعه ذلك، ولا يقبل منه ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ إذا تابوا في الآخرة عند معاينة العذاب؛ لا تقبل منهم ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا أَغْذَاً﴾ أَعْدَدْنَا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً.

[١٩] ﴿يَتَأْتِيهَا الذِّبْنَ﴾ أَمْسُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ ﴿أَي: ذَاتَهُنَّ﴾ كَرِهًا ﴿بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ، لَغَتَانِ﴾؛ أي: مُكْرِهِيَهُنَّ<sup>(٤)</sup> على ذلك - كانوا في الجاهلية<sup>(٥)</sup> يترئون نساء أقرانهم، فإن شاءوا تزوجوهن بلا صداقي، أو زُوْجُوهُنَّ وأخذوا صداقهن، أو عَضَلُوهُنَّ؛ حتى يفتدين بما ورثته، أو يَمْتَنُّنَ فَرِثُوهُنَّ؛ فَنَهَوْا عَنْ ذَلِكَ - ﴿وَلَا أَنْ تَمْسُلُوهُنَّ﴾ أي: تمنعن أزواجهن عن نكاح غيركم؛ بِإِشَاقِيهِنَّ ولا رغبة لكم فيهنَّ؛ ضِرَارًا ﴿لِيَذْهَبُوا بِمَعْرُوفٍ مَا عَابَتْهُنَّ﴾ من المهر ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَتْحٍ مُبِينَةٍ﴾ بفتح الباء وكسرها<sup>(٦)</sup>؛ أي: يَبَيِّنُ<sup>(٧)</sup>، أو هي بينة؛ أي: زنا أو نُشُوز<sup>(٨)</sup>؛ فلکم أن تُضَارَّوهُنَّ؛ حتى يَفْتَدِيَنَّ مِنْكُمْ وَيُخْلِفَنَّ ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: بالإجمال في القول والنفقة والمبيت ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ فاصبروا ﴿فَمَعْسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَبَرًا كَثِيرًا﴾ ولعله يجعل فيهن ذلك؛ بأن يترككم منهنَّ وَلَدًا صالحًا.

وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٧﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَقَاذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٨﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّوْءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُنْتُ الْكَفَّ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٠﴾ يَتَأْتِيهَا الذِّبْنَ أَمْسُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْمَلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِمَعْرُوفٍ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَتْحٍ مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَعْسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَبَرًا كَثِيرًا ﴿٢١﴾

[١٥] ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ﴾ الزَّنا ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ﴾ أي: من رجالكم المسلمين ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾ عليهن بها ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ احبسوهن ﴿فِي الْبُيُوتِ﴾ وامنعهن من مخالطة الناس ﴿حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ﴾ أي: ملائكته ﴿أَوْ﴾ إلى أَنْ ﴿يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ طريقًا إلى الخروج منها - أمروا بذلك أول الإسلام ثم جعل لهن سبيلًا؛ يجلد البكر مائة وتغريها عامًا؛ ورجم المحصنة، وفي الحديث: لَمَّا بَيَّنَّ الْحَدَّ - قال: «خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا» [رواه مسلم]<sup>(١)</sup>. [١٦] ﴿وَالَّذَانِ﴾ بتخفيف النون وتشديدها<sup>(٢)</sup> ﴿يَأْتِيَنِهَا﴾ أي:

(١) مسلم (١٦٩٠). وقامه: «الْثُبُّ تُوْجُمٌ، وَالْجَزْرُ تَجْلُدٌ».

(٢) بالشديد مع المد اللام لاين كثير.

(٣) قولان للمفسرين، ورجح المصنف الثاني بقوله: «إرادة اللواط أظهر... إلخ».

(٤) أي: في قوله: «وَالَّذَانِ»، وقد يقال: إنه فيه تغليب الذكر على الأنثى.

(٥) وهو قوله: «مِنْكُمْ».

(٦) وهما قراءتان، والضم قراءة حمزة والكسائي.

(٧) وفي بعض النسخ: «مكرهين» جمع مكره: اسم فاعل، ومفعوله محذوف؛ أي: مكرهين لهن.

(٨) أي: وفي صدر الإسلام.

(٩) بالفتح لاين كثير وشعبة.

(١٠) أي: بينها من يدعيها وأوضحها وأظهرها.

(١١) خروج عن طاعة الزوج.

وَأَنْ أَرَدْتُمْ أَسْبَدَالَ رَوْحٍ مَكَانَ رَوْحٍ وَءَاتَيْتُمْ  
إِحْدَاهُنَّ قِطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ  
بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مَيْبِنَا ۝ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى  
بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنِ مِنْكُمْ مِيثَاقًا عَلَيْهِ  
لَا تَأْخُذُوا مِنْكُمْ مِيثَاقًا وَإِنَّمَا مَيْبِنَا ۝ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ  
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ  
سَبِيلًا ۝ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ  
وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبنَاتُ  
الْأَخِ وَبنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ  
وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ  
وَرَبَائِبُكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ  
الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا  
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَالٌ بَيْنَايَكُمْ الَّذِينَ مِنْ  
أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَتَجَمَّعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا  
مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝

[٢٠] ﴿وَلَنْ أَرَدْتُمْ أَسْبَدَالَ رَوْحٍ مَكَانَ رَوْحٍ﴾ أي: أَخَذَهَا بَدَلَهَا  
بأن طَلَقْتُمُوهَا ﴿وَلَنْ﴾ قد ﴿ءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ﴾ أي: الرُّوحَاتِ ﴿قِطَارًا﴾  
مَالًا كَثِيرًا ضِدًّا ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا طَلَعًا  
﴿وَلَنْ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ بَيِّنًا، وَنَصَبُهَا عَلَى الْحَالِ، وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّوْبِيخِ وَاللَّانْكَارِ فِي  
قَوْلِهِ [٢١] ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ أي: بِأَيِّ وَحَةٍ ﴿وَقَدْ أَفْضَى﴾ وَضَلَ  
﴿بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ بِالْجَمَاعِ الْمُتَوَرِّدِ لِلْمُتَعَرِّفِ ﴿وَأَخَذْتُمْ مِنْكُمْ  
مِيثَاقًا﴾ غَيْطًا ﴿عَلَيْطًا﴾ شَدِيدًا؛ وَهُوَ: مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ إِفْسَاحِهِمْ بِمَعْرِفِ  
أَوْ تَشْرِيجِهِمْ بِإِحْسَانٍ.

[٢٢] ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا﴾ بِعَنَى: مَنْ ﴿نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ  
إِلَّا﴾ لَكِنْ ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ مِنْ فَعْلَمِكُمْ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ مَغْفُورٌ عَنْهُ ﴿إِنَّهُ﴾ أي:  
يُكَافِئُهُ ﴿كَانَ فَحِشَةً﴾ فِجْهًا ﴿وَمَقْتًا﴾ سَبًّا لِلْمَقْتِ مِنَ اللَّهِ - وَهُوَ  
أَشَدُّ الْبَغْضِ - ﴿وَسَاءَ﴾ بِسْ ﴿سَبِيلًا﴾ طَرِيقًا ذَلِكَ.

[٢٣] ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ، وَشَمِلَتْ الْجَدَّاتِ  
مِنْ قِبَلِ الْأَبِ أَوْ الْأُمِّ ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ وَشَمِلَتْ بَنَاتِ الْأَوْلَادِ وَأَنْ سَقَلْنَ  
﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ مِنْ جِهَةِ الْأَبِ أَوْ الْأُمِّ ﴿وَعَمَّاتُكُمْ﴾ أي: أَخَوَاتِ آبَائِكُمْ  
وَأَجْدَادِكُمْ ﴿وَوَخَالَاتُكُمْ﴾ أي: أَخَوَاتِ أُمَّهَاتِكُمْ وَجَدَاتِكُمْ ﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ  
وَبَنَاتُ الْأَخْتِ﴾ وَيَدْخُلُ فِيهِنَّ أَوْلَادُهُمْ ﴿وَأُمَّهَاتُكُمْ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ قِيلَ  
اسْتِكْمَالُ الْحَوْلَيْنِ عَشْرَ رَضَعَاتٍ <sup>(١)</sup> - كَمَا بَيَّنَّ الْحَدِيثُ - ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ  
الرِّضْعَةِ﴾ وَيَلْحَقُ بِذَلِكَ - بِالشَّيْءِ - الْبَنَاتُ مِنْهَا؛ وَهُنَّ مَنْ أَرْضَعْنَهُمْ مَوْطُورَاتُهُ،  
وَالْعَمَّاتُ وَالْخَالَاتُ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ مِنْهَا؛ لِحَدِيثِ «يَخْرُجُ مِنَ  
الرِّضَاعِ مَا يَخْرُجُ مِنَ النَّسَبِ» [رواه البخاري ومسلم] <sup>(٢)</sup>.

﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ﴾ جَمْعُ «رَبِيبَةٍ»؛ وَهِيَ بِنْتُ الزَّوْجَةِ مِنْ  
غَيْرِهِ ﴿الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ تَرْبُونَهُنَّ، صِفَةُ مُوَافَقَةٍ لِلْغَالِبِ؛ فَلَا مَفْهُومَ لَهَا  
﴿وَمِنْ نِسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ أي: جَامِعَتُمُوهُنَّ ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا  
دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي نِكَاحِ بَنَاتِهِنَّ إِذَا فَارَقْتُمُوهُنَّ  
﴿وَوَخَالَاتُكُمْ﴾ أَزْوَاجُ ﴿بَنَاتِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ بِخِلَافِ مَنْ  
تَبَيَّنَتْهُمْ؛ فَلَكُمْ نِكَاحُ حِلَالِهِمْ ﴿وَأَنْ تَتَجَمَّعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ مِنْ  
نَسَبٍ أَوْ رِضَاعٍ؛ بِالنِّكَاحِ، وَيُلْحَقُ بِهِمَا - بِالشَّيْءِ - الْجَمْعُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عَمَّتِهَا، أَوْ  
خَالَاتِهَا <sup>(٣)</sup>، وَيَجُوزُ نِكَاحُ كُلِّ وَاحِدَةٍ عَلَى الْإِنْفِرَادِ، وَمِلْكُهُمَا مَعًا، وَبَطْأً وَاحِدَةً  
﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - مِنْ نِكَاحِهِمْ بَعْضُ مَا ذُكِرَ - فَلَا  
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لِمَا سَلَفَ مِنْكُمْ قَبْلَ النَّهْيِ  
﴿رَحِيمًا﴾ بِكُمْ فِي ذَلِكَ.

(١) وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدُ وَهُوَ الرَّاجِحُ؛ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ: «كَانَ فِينَا أَثَرُ مِنَ الْقُرْآنِ: عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُخْرَجُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ نُحِبُّنَ بِحَقِّنَ مَعْلُومَاتٍ، فَذُفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُنَّ فِينَا يُفْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ».

(٢) الْبُخَارِيُّ (٢٦٤٥)، وَمُسْلِمٌ (١٤٤٧).

(٣) الْبُخَارِيُّ (٥١٠٨)، وَمُسْلِمٌ (١٤٠٨).

مُتَزَوِّجِينَ<sup>(٥)</sup> «عَبْرَ مُسْلِمِينَ» زانين «فَمَا» فَمَنْ «أَسْتَمْتَعْتُمْ» تَمَتَّعْتُمْ «بِهِ» مِنْهُنَّ «مَنْ تَزَوَّجْتُمْ بِالْوَطْءِ» فَتَأْوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُهُورَهُنَّ التي فرضتم لهن «فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ» أَنْتُمْ وَهْن «بِهِ» مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ «مِنْ حَطِّهَا أَوْ بَغْضِهَا أَوْ زِيَادَةِ عَلَيْهَا» إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا بِخَلْقِهِ «حَكِيمًا» فيما دَبَّرَهُ لهن.

[٢٥] «وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا» غَشَى لـ «أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ» الْحَرَّاتِ «الْمُؤْمِنَاتِ» وهو جَزْئِي عَلَى الْغَايِبِ؛ فَلَا مَفْهُومَ لَهُ<sup>(٦)</sup> «فَمَنْ تَزَوَّجْتُمْ بِالْوَطْءِ» فَتَأْوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُهُورَهُنَّ «بِالْمَعْرُوفِ» مِنْ غَيْرِ مَطْلٍ وَنَقْصٍ «مُحْصَنَاتٍ» عَفَافَاتٍ، حَال «عَبْرَ مُسْلِمِينَ» زَانِيَاتٍ جَهْرًا «وَلَا مُتَّخِذَاتٍ أَخْدَانٍ» أَيْلَاءَ يَزْنُونَ بِهِنَّ سِرًّا «فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ زُوجَهُنَّ» وَفِي قِرَاءَةِ الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ<sup>(٧)</sup> تَزَوَّجْنَ «فَلَنْ أَتِيَنَّ بِتَحِيَّةٍ» زَنَا «فَعَلَيْتُمْ نِصْفَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ» الْحَرَّاتِ الْأَبْكَارِ إِذَا زَانِينَ «وَمِنْ الْعَذَابِ» الْحَدِّ؛ فَيُجْلَدُ خَمْسِينَ وَيَعْرُضْنَ نِصْفَ سَنَةٍ، وَيُقَاسَ عَلَيْهِنَ الْعَبْدُ، وَلَمْ يُجْعَلِ الْإِحْصَانُ شَرْطًا لَوْجُوبِ الْحَدِّ؛ بَلْ لِإِفَادَةِ أَنَّهُ لَا رَجْمَ عَلَيْهِنَ أَصْلًا «ذَلِكَ» أَيْ: نِكَاحُ الْمَمْلُوكَاتِ عِنْدَ عَدَمِ الطَّوْلِ «لِيَمُنَّ حَيْشُو» خَافَ «الْعَتَّةَ» الزَّانَا، وَأَصْلُهُ الْمَشَقَّةُ؛ سَمِيَ بِهِ الزَّانَا؛ لِأَنَّهُ سَبَّحَهَا بِالْحَدِّ فِي الدُّنْيَا وَالْعُقُوبَةُ فِي الْآخِرَةِ «مِنْكُمْ» بِخِلَافِ مَنْ لَا يَخَافُهُ مِنَ الْأَحْرَارِ؛ فَلَا يَحِلُّ لَهُ نِكَاحُهَا، وَكَذَا مِنْ اسْتَطَاعَ طَوْلَ حُرَّةٍ؛ وَعَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ، وَخَرَجَ بِقَوْلِهِ: «وَمَنْ فَنَيْتَكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ» الْكَافِرَاتِ؛ فَلَا يَحِلُّ لَهُ نِكَاحُهَا - وَلَوْ عَدِمَ<sup>(٨)</sup> وَخَافَ - «وَأَنْ تَصْبِرُوا» عَنْ نِكَاحِ الْمَمْلُوكَاتِ «حَتَّى لَكُمْ» لَعَلَّ بَصِيرَ الْوَلَدِ رَقِيقًا «وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ» بِالتَّوْبَةِ فِي ذَلِكَ.

[٢٦] «يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ» شَرَائِعَ دِينِكُمْ وَمَصَالِحَ أَمْرِكُمْ «وَيُذَيِّبَكُمْ سُنَنَ» طَرَائِقَ «الَّذِينَ» مِنْ قَبْلِكُمْ «مِنَ الْأَنْبِيَاءِ» فِي التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ فَتَتَّبِعُوهُمْ «وَيُتَوَبَّعُ عَلَيْكُمْ» يَرْجِعُ بِكُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَى طَاعَتِهِ «وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِكُمْ» «حَكِيمٌ» فِيمَا دَبَّرَهُ لَكُمْ.

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِلَّاءَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْلِمِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَتَأْوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا<sup>(٩)</sup> وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَيَتَيْكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيْمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآؤُهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْلِمَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ أَنْ تَتَيْنَ بِفَحْشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(١٠)</sup> يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيُتَوَبَّعَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ<sup>(١١)</sup>

[٢٤] «وَمَنْ حُزِمَتْ عَلَيْكُمْ» الْمُحْصَنَاتُ «أَيْ: ذَوَاتُ الْأَرْوَاجِ» مِنْ أَلْسِنَةٍ «أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ قَبْلَ مَفَارِقَةِ أَرْوَاجِهِنَّ» حَرَّاتٍ مُسْلِمَاتٍ كُنَّ أَوْ لَا - «إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»<sup>(١٢)</sup> مِنَ الْإِمَاءِ بِالسُّبْحِيِّ؛ فَلَكُمْ وَطْأُهُنَّ - وَإِنْ كَانَ لهن أَرْوَاجٌ فِي دَارِ الْحَرْبِ بَعْدَ اسْتِبْرَاءِ «كَتَبَ اللَّهُ» نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ<sup>(١٣)</sup> أَيْ: كُتِبَ ذَلِكَ «عَلَيْكُمْ وَأُخِلَّ» بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ، وَالْمَفْعُولُ «لَكُمْ تَا وَرَاءَ ذَلِكَ» أَيْ: سِوَى مَا حُزِمَ عَلَيْكُمْ مِنَ النِّسَاءِ «أَنْ تَبْتَغُوا» تَطْلُبُوا النِّسَاءَ «بِأَمْوَالِكُمْ» بِصَدَاقِ<sup>(١٤)</sup> أَوْ تَمَنِ<sup>(١٥)</sup> «مُحْصِنِينَ»

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٤): أخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ يوم حنين نُبِثَ جيشًا إلى أوطاس فلقوا عدوًا فقاتلهم، فظهروا عليهم وأصابوا لهم سبايا، فكان ناشًا من أصحاب رسول الله ﷺ ترحلوا من غشيانهم من أجل أزواجهن من المشركين، فأزول الله ﷻ في ذلك: «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» أَيْ فَنَهَى لَكُمْ حِلَالَ إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ. مسلم - كتاب الرضا (١٧) باب (٩) جواز وطء المسبية بعد الاستبراء.

(١١) أَيْ: الْمَوْكِدَ لِعَامِلِهِ الْمَعْنَى، الْمُسْتَفَادَ مِنْ قَوْلِهِ: «حُزِمَتْ»؛ فَإِنَّ التَّحْرِيمَ وَالْفَرْضَ وَالْكَسْبَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ.

(١٢) بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ عَمْرٍو وَابْنِ عَامِرٍ وَشُعْبَةَ.

(١٣) أَيْ: بِالتَّزْوِيجِ.

(١٤) أَيْ: بِالْمَالِ.

(١٥) أَوْ مُتَمَلِّكِينَ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: «أَوْ تَمَنِ».

(١٦) وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ فَإِنَّهُ إِنْ قَدَرَ عَلَى طَوْلِ حُرَّةٍ كَتَابَةِ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ أُمَّةً مُسْلِمَةً، وَابْتِخَارَهُ الْقُرْطُبِي. وَالْقَوْلُ الثَّانِي: إِنَّ لَهُ ذَلِكَ، وَالْأُمَّةُ الْمُؤْمِنَةُ خَيْرٌ مِنَ الْحُرَّةِ الْكَتَابَةِ، وَابْتِخَارَهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ. وَهُوَ الْأَوَّلَى وَالْأَظْهَرُ بِنَصِّ هَذِهِ آيَةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١٧) وَهِيَ قِرَاءَةُ حَمْرَةَ وَالْكَسَائِيُّ وَشُعْبَةُ.

(١٨) أَيْ: عَدِمَ الطَّوْلَ، وَخَافَ الْعَنَتَ.

[٢٧] ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كَوْرُهُ لِبَنِي عِيهِ ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ اليهود والنصارى، أو الجوس، أو الزناة ﴿أَنْ تَقِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ تعدلوا عن الحق؛ بارتكاب ما حرم عليكم فتكونوا مثلهم.

[٢٨] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ يُهَيِّلْ عَلَيْكُمْ أَحْكَامَ الشَّرْعِ ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ لا يصبر عن النساء والشهوات.

[٢٩] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ بالحرام في الشرع؛ كالربا والغصب ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ<sup>(١)</sup> ﴿أَنْ تَكُونَ تَمَعٌ﴾ تَمَعٌ ﴿بِتَجَارَةٍ﴾ وفي قراءة بالنصب<sup>(٢)</sup>، أَنْ تَكُونَ الْأَمْوَالُ أَمْوَالُ تَجَارَةٍ صَادِرَةٌ عَنْ تَرَاضٍ بَيْنَكُمْ ﴿وَطِيبْ نَفْسٌ﴾ فَلَكُمْ أَنْ تَأْكُلُوهَا وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴿بَارْتِكَابَ مَا يُوْدِي إِلَى هَلَاكِهَا﴾ أَيَا كَانَ فِي الدُّنْيَا أَوِ الْآخِرَةِ.

- بقرينة: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ فِي مَنَعِهِ لَكُمْ مِنْ ذَلِكَ.

[٣٠] ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أَي: مَا نَهَى عَنْهُ ﴿عُدُوًّا﴾ تَجَاوَزًا لِلْحَالِ، حَالٍ ﴿وَطُلْمًا﴾ تَاكِدٌ ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾ نَدْخَلُهُ ﴿نَارًا﴾ يَحْتَرِقُ فِيهَا ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ هَيْئًا.

[٣١] ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَارَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ﴾ وَهِيَ مَا وَرَدَ عَلَيْهَا وَعِيدٌ؛ كَالْقَتْلِ وَالزَّانَا وَالسَّرَقَةِ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: هِيَ إِلَى السَّبْعَةِ أَقْرَبُ<sup>(٣)</sup> ﴿تُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ الصَّغَارُ؛ بِالطَّاعَاتِ ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا﴾ بضم الميم وَفَتْحًا<sup>(٤)</sup>؛ أَي: إِدْخَالًا، أَوْ مَوْضِعًا<sup>(٥)</sup> ﴿كَرِيمًا﴾ هُوَ الْجَنَّةُ.

[٣٢] ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ مِنْ جِهَةِ الدُّنْيَا أَوِ الدِّينِ؛ لِأَنَّهُ يُؤْدِي إِلَى التَّحَاشِدِ وَالتَّبَاعُضِ ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ بِسَبَبِ مَا عَمِلُوا مِنَ الْجِهَادِ وَغَيْرِهِ ﴿وَاللِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبْنَ﴾ مِنْ طَاعَةِ أَزْوَاجِهِنَّ، وَحِفْظِ فُرُوجِهِنَّ - نَزَلَتْ لَمَّا قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: لَيْتَنِي كُنَّا رَجُلًا فَجَاهَدْنَا؛ وَكَانَ لَنَا مِثْلُ أَجْرِ الرِّجَالِ<sup>(٦)</sup> - ﴿وَسَلُّوا﴾ بِهَمْزَةٍ، وَدُونَهَا<sup>(٧)</sup> ﴿وَاللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ مَا اخْتَجَمْتُمْ إِلَيْهِ يُفْطِلْكُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكُلُّ شَيْءًا عَظِيمًا﴾<sup>(٨)</sup> وَمِنْهُ مَحَلُّ الْفَضْلِ وَسُؤَالِ الْكَمِّ.

[٣٣] ﴿وَلِكُلٍّ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ﴾ جَعَلْتُمْ مَوَالِيَّكُمْ غُضْبَةً يَعْطُونَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴿لَهُمْ مِنْ الْمَالِ﴾ وَالَّذِينَ عَاقَدْتُمْ بِالْفِ، وَدُونَهَا<sup>(٩)</sup> ﴿أَيْمَنُكُمْ﴾ جَمْعُ «يَمِينٍ» بِمَعْنَى الْقِسْمِ، أَوِ الْيَدِ؛ أَي: الْخُلَفَاءُ الَّذِينَ عَاهَدْتُمُوهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى النُّصْرَةِ وَالْإِثْرِ ﴿فَتَأْتُوهُمْ﴾ الْآنَ

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تَمَعٌ عَنْ تَجَارَةٍ صَادِرَةٍ عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُوًّا وَطُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَارَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ وَسَلُّوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ اللَّهَ كَانَ يَكُلُّ شَيْءًا عَظِيمًا وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَّ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدْتُمْ أَيْمَنُكُمْ فَتَأْتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنْ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا

﴿نَصِيبُهُمْ﴾ حَظُّهُمْ مِنَ الْمِيرَاثِ؛ وَهُوَ: السُّدُسُ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ مُطْلَعًا، وَمِنْهُ حَالِكُمْ، وَهَذَا مَنْسُوخٌ<sup>(١)</sup> بِقَوْلِهِ: ﴿وَأُولُوا الْأَرْكَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) مَا جَاءَ فِي رِوَايَةِ الْآيَةِ (٣٢): أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَغْزُو الرِّجَالُ وَلَا يَغْزُو النِّسَاءُ، وَإِنَّمَا لَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾. اِرْمِذِي - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٥) سُورَةُ النِّسَاءِ. التِّرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٥) (صَحِيحُ الْإِسْنَادِ) صَحِيحُ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٢٤١٩).

(٢) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْاِسْتِثْنَاءَ مُنْقَطِعٌ؛ لِأَنَّ التَّجَارَةَ لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ الْأَمْوَالِ الْمَأْكُولَةِ بِالْبَاطِلِ، وَخَصَّ التَّجَارَةَ بِالذِّكْرِ دُونَ غَيْرِهَا كَالْهَبَةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْوَصِيَّةِ؛ لِأَنَّ غَالِبَ التَّصَرُّفِ فِي الْأَمْوَالِ بِهَا.

(٣) وَالْقِرَاءَةُ لِمُفْرَدَةٍ بِالضَّمِّ، نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ.

(٤) أَي: مِنْهَا لِلْمُسْلِمِينَ الَّتِي قَبِلَ بِهَا.

(٥) وَالْفَتْحُ قِرَاءَةُ نَافِعٍ.

(٦) لَفٌ وَنَشْرٌ مُرْتَبٍ، فِدْخَالًا عَلَى قِرَاءَةِ ﴿مَدْخَلًا﴾؛ وَمَوْضِعًا عَلَى قِرَاءَةِ: ﴿مَدْخَلًا﴾. فَيَكُونُ اسْمُ كَانَ.

(٧) أَخْرَجَ نَحْوَهُ الطَّرِيقِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ (٩٣٩، ٩٢٤) وَنَحْوَهُ أَضْحَا عَنْ عَطَاءٍ (٩٢٤) وَنَحْوَهُ عَنْ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ (٩٢٤) وَلَكِنَّهَا مُبْهَمَةٌ فِي النِّسَاءِ وَيَسَّرَ فِيهَا تَعْيِينَ أُمِّ سَلَمَةَ فِي هَذَا الْمَقُولِ. وَلَكِنْ أَمْرَحَ التِّرْمِذِيُّ (٢٩٤٨) وَغَيْرُهُ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَغْزُو الرِّجَالُ وَلَا تَغْزُو النِّسَاءُ وَإِنَّمَا لَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ وَأَنْزَلَ فِيهَا ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

(٨) بِدُونِهَا قِرَاءَةُ الْكِسَائِيِّ وَابْنِ كَثِيرٍ.

(٩) بِالْأَلْفِ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ.

(١٠) أَي: قَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتُمْ أَيْمَنُكُمْ﴾ [النِّسَاءُ: ٣٣].

(١١) الْأَحْزَابُ: ٦.

أَمْوَالِهِمْ فَأَلْفَلَحَتْ ﴿٣٥﴾ مَنَّهُنَّ ﴿قَتَلَتْ﴾ مطيعات لأزواجهن ﴿حَفِظَتْ﴾ لِلْعَيْبِ ﴿٣٦﴾ أي: لفروجهن وغيرها في غيبة أزواجهن ﴿يَمَّا حَفِظَ﴾ من ﴿١﴾  
 ﴿أَنَّ﴾ حيث أوصى عليهن الأزواج ﴿٢﴾ ﴿وَأَلَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ عصبانهن لكم؛ بأن ظهرت أمارته ﴿فَيُطْعَمُهُنَّ﴾ فحقوقهن الله ﴿وَأُفْعِرُهُنَّ﴾ في المصاحج اعزلوا إلى فراش آخر؛ إن أظهرن النشوز ﴿وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾ ضرباً غير مبرح؛ إن لم يرجعن بالهجران ﴿فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ﴾ فيما يراد منهن ﴿فَلَا تَبْغُوا﴾ تطلبوا ﴿عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى ضربهن ظلماً ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتموهن.

[٣٥] ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ علمتم ﴿شِقَاقَ﴾ خلاف ﴿بَيْنَهُمَا﴾ بين الزوجين، والإضافة للاتساع؛ أي: شقاقاً بينهما ﴿فَاقْبَعُوا﴾ إلهما برضاهما ﴿حَكَمًا﴾ رجلاً عدلاً ﴿وَبَيْنَ أَهْلِيهِ﴾ أقاربه ﴿وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ ويؤكد ﴿الرُّؤُوحَ حَكَمَةً﴾ في الصلاق وقبول عوض عليه، وتؤكد كل هي حكمة في الاختلاع؛ فيجتهدان وبأمران الظالم بالرجوع، أو يفرقان؛ إن رأياه، قال - تعالى -: ﴿وَإِنْ يُرِيدَا﴾ أي: الحكمان ﴿إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ بين الزوجين ﴿٣٦﴾ أي: يُقَدِّرُهُمَا عَلَى مَا هُوَ الطاعة من إصلاح أو فراق ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿خَبِيرًا﴾ بالباطن كالظواهر.

[٣٦] ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وَخُدُّوهُ ﴿وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ﴾ شَيْئًا وَكُنْ أَحْسَنُوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وَوَالِدَيْ جَانِبِ ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ القرابة ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ الْقُرْبِ مِنَكَ فِي الْجَوَارِ أَوِ النَّسَبِ وَالْجَارِ الْجَنَبِ الْبَعِيدُ عَنْكَ فِي الْجَوَارِ أَوِ النَّسَبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنَبِ الرَّفِيقُ فِي سَفَرٍ أَوْ صَانَعَةٍ وَقِيلَ: الزَّوْجَةُ ﴿وَأَبْنَى السَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ مِنَ الْأَرْقَاءِ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا﴾ مُتَكَبِّرًا ﴿فَخُورًا﴾ عَلَى النَّاسِ بِمَا أَوْتِيَ.

[٣٧] ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَسْخَرُونَ﴾ بما يحب عليهم ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ به ﴿وَيَكْسِبُونَ سَاءً﴾ أَنَاثُهُمْ أَنَّهُ مِنْ قَسْلِهِمْ ﴿مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَالِ﴾ وهم: اليهود، وخبر المبتدأ: لهم وعيد شديد ﴿١﴾ ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ بذلك وبغيره ﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ذَا إِهَانَةٍ.

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَصْلَحَ قَاتِلَتْ حَفِظَتْ لِلْعَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعُظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَصَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَاقْبَعُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا

[٣٤] ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ﴾ مسلطون ﴿عَلَى النِّسَاءِ﴾ يؤدبونهن ويأخذون على أيديهن ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي: بتفضيله لهم عليهن بالعلم والعقل والولاية وغير ذلك ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا﴾ عليهن

(١) أشار المصنف إلى أن «ما» اسم موصول، أو نكرة موصوفة، والعائد محذوف قدره بقوله: «هن».

(٢) وقيل: جفظ الله لهم؛ أي: توفيق الله لهم. وقيل: بهيئهم عن المخالفة.

(٣) اشتراط التوكيل هو مذهب الأحناف والشافعية، لانحصار مهمة الحكّمين عندهم في الإصلاح، ولا يحق لهما التفرق بين الزوجين إلا بتفويض منهما، بخلاف المذهب المالكي الذي يعطي الحكّمين حق الحكم بالتفريق من غير توكيل منهما.

(٤) ويحتمل أن يعود الضمير على الزوجين؛ والمعنى: إن يرد الزوجان إصلاحاً؛ معاشرته بالمعروف وترك ما يسيء، تحصل الموافقة بينهما.

(٥) ويحتمل أن يعود الضمير على الحكّمين؛ والمعنى: لا يحصل اختلاف بين الحكّمين؛ بل تحصل الموافقة بينهما.

(٦) أي: محذوف، وهذا تقديره.



قَالُوا مَعَنَا وَأَطَعْنَا بدل ﴿وَعَصَيْنَا﴾ ﴿وَأَسْمَعُ﴾ فقط ﴿وَأَنْظُرْنَا﴾ انظر إلينا بدل ﴿رَعَيْنَا﴾ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ مما قالوه ﴿وَأَقْوَمُ﴾ أعدل منه ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿يَكْفُرُوهَ﴾ فلا يؤمنون إلا قليلاً منهم، كعبد الله بن سلام وأصحابه.

[٤٧] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أَوْثُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَطْمِئِنَّ وَجُوهُهَا﴾ منحو ما فيها من العين والأنف والمحابب ﴿فَرَدَّهَا عَلَيَّ آدَابُهَا﴾ فجعلها كالأقفاء لوجهاً واحداً ﴿أَوْ لَعَنَهُمْ﴾ نمسخهم قرده ﴿كَمَا لَمَسْنَا﴾ مسخنا ﴿أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ منهم ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ قضاؤه ﴿مَفْعُولًا﴾، ولما نزلت أسلم عبد الله بن سلام (١)؛ فقيل: كان وعيداً بشرط؛ فلما أسلم بعضهم رُفِعَ، وقيل: يكون طمس ومسح قبل قيام الساعة.

[٤٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ﴾ أي: الإشراك ﴿بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ﴾ سوى ﴿ذَلِكَ﴾ من الذنوب ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ المغفرة له؛ بأن يدخله الجنة بلا عذاب، ومن شاء عذبه من المؤمنين بذنوبه ثم يدخله الجنة ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ فقد افترى إثماً ذنباً عظيماً كبيراً.

[٤٩] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ وهم اليهود؛ حيث قالوا: ﴿عَنْ آبَائِنَا اللَّهُ وَآبَائِهِمْ﴾ (٢) أي: ليس الأمر بتزكيتهم أنفسهم ﴿بَلِ اللَّهُ يُرِيكَ﴾ يظهر ﴿مَنْ يَكْفُرُ﴾ بالإيمان ﴿وَلَا يَظْلُمُونَ﴾ يثقفون من أعمالهم ﴿قَلِيلًا﴾ قدر قشرة (٣) النواة.

[٥٠] ﴿وَأَنْظُرْ﴾ متعجباً ﴿كَيْفَ يَقْعُدُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ﴾ بذلك ﴿وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ يثماً. ونزل في كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود لما قديموا مكة، وشاهدوا قتلى بدر؛ وحرصوا المشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربة النبي ﷺ.

[٥١] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْثُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالْجَنُّونَ﴾ (٤) صنمان لقريش ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: سفيان (٥) وأصحابه؛ حين قالوا لهم: أنحن أهدي سبيلاً ونحن ولاد البيت؛ نسقي الحاج ونقري الضيف، ونفك العاني، ونفعل... أم محمد؛ وقد خالف دين أبائه، وقطع الرحم، وفارق الحرم؟ ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أي: أنتم ﴿أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ أقوم طريقاً.

[٥٢] ﴿وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ حال؛ بمعنى: الدعاء؛ أي: لا سمعت ﴿وَرَعَيْنَا﴾ وقد نهى عن خطابه بها؛ وهي كلمة سب بلغتهم تحريفاً ﴿بِالَّذِينَ هُمْ وَأَطَعْنَا﴾ قدحاً ﴿فِي الَّذِينَ﴾ الإسلام ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٥٣﴾ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعَيْنَا بِالَّذِينَ هُمْ وَأَطَعْنَا فِي الَّذِينَ هَادُوا أَنَّهُمْ قَالُوا أَسْمَعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمُ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٤﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أَوْثُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَطْمِئِنَّ وَجُوهُهَا فَرَدَّهَا عَلَى آدَابِهَا أَوْ لَعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٥٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرِيكَ مَنْ يَشَاءُ وَلَا يَظْلُمُونَ قَلِيلًا ﴿٥٧﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْعُدُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْثُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالْجَنُّونَ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥٩﴾

[٤٥] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ منكم؛ فيخبركم بهم لتجنبوهم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ حافظاً لكم منهم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ مانعاً لكم من كيدهم.

[٤٦] ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قوم ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ يغيرون ﴿الْكَلِمَ﴾ الذي أنزل الله في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضع عليها ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للنبي ﷺ إذا أمرهم بشيء: ﴿سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أملك ﴿وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ حال؛ بمعنى: الدعاء؛ أي: لا سمعت ﴿وَرَعَيْنَا﴾ وقد نهى عن خطابه بها؛ وهي كلمة سب بلغتهم تحريفاً ﴿بِالَّذِينَ هُمْ وَأَطَعْنَا﴾ قدحاً ﴿فِي الَّذِينَ﴾ الإسلام ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ

= اللهم بين لنا في الحمر بياناً شفاء، فنزلت الآية التي في البقرة: ﴿يَتَذَكَّرُكَ عَرَبُ الْحَمْرِ وَالْمَشْرِ قُلْ فِيهِمَا إِنَّكُمْ كَذِبٌ﴾ الآية. قال: فدعا عمر، فقرئت عليه. قال: اللهم بين لنا في الحمر بياناً شفاء، فنزلت الآية التي في النساء: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنُوا الْفَسَادَ وَأَنْتُمْ مُكَرَّمُونَ﴾ فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقمت لصلاة ينادي: ألا لا يقرب الصلاة سكران. فدعي عمر فقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا في الحمر بياناً شفاء، فنزلت هذه الآية: ﴿قُلْ أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ قال عمر: انتهينا. وضححه الألباني وسبق تخريجه عند الآية (٢١٩) من سورة البقرة.

(١) لم أجد أن عبد الله بن سلام أسلم لما نزلت، وإن كان القرطبي قد ذكره في تفسيره بلا إسناد، ولكن ورد إسلام كعب الأحبار لما سمع هذه الآية فيما أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي إدريس الخولاني، وابن جرير عن عيسى بن المغيرة وإسناده ضعيف [الدر المنثور (٣٠١/٢)].

(٢) المائدة: ١٨. (٣) قشرة النواة هي القطمير، وأما الفيل فهو الحيط الذي في شق النواة.

وقيل: الفيل هو ما يخرج بين أصبعيك أو كفك من الوسخ إذا فلتتهما، وقيل فيه غير ذلك. انظر: [الدر المنثور (٣٠٥/٢)] وغيره.

(٤) أخرجه نحوه عبد الرزاق وابن جرير عن عكرمة مرسلًا بدون ذكر قتلي بدر [الدر المنثور (٣٠١/٢)]، وأخرجه أحمد كما في تفسير القرآن العظيم (٥٢٥/١)، والطبري في جامعه (٨٥/٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩٧٣/٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٥٧٢) عن عكرمة عن ابن عباس، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح صحيح على شرط الصحيح.

(٥) وذلك قبل إسلامه ﷺ.



[٥٢] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ مانعاً من عذابه.

[٥٣] ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ أي ليس لهم شيء منه ولو كان ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَصِيرًا﴾ أي شيئاً تافهاً قدّر النقرة في ظهر النواة؛ لفرط بخلهم.

[٥٤] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من النبوة وكثرة النساء؛ أي: يمتصون زواله عنه، ويقولون: لو كان شيئاً لاشتغل عن النساء<sup>(١)</sup> ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ جدّه؛ كموسى<sup>(٢)</sup> وداود وسليمان ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ والنبوة ﴿وَوَاتَيْنَاهُمْ مَلَكًا عَظِيمًا﴾ فكان داود تسع وتسعون امرأة، وسليمان ألف؛ ما بين حرة ورسولة<sup>(٣)</sup>.

[٥٥] ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِ﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِ﴾ فلم يؤمن ﴿وَكُنْ يَوْمَهُمْ كَيْفَ كُنْتُمْ﴾ عذاباً لمن لا يؤمن.

[٥٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْتَظِرُونَ﴾ نَصِيحَتِهِمْ نَدخلهم ﴿نَارًا﴾ يحترقون فيها ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ﴾ احترقت ﴿جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ بأن تعاد إلى حالها الأول، غير محترقة ﴿يَلْبِثُونَ فِيهَا﴾ ليقاسوا شدته ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمًا﴾ في خلقه.

[٥٧] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَكُنْ فِيهَا زَرْعٌ وَلَا يَنْتَبَهُونَ﴾ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴿بِأَنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمًا﴾ في خلقه.

[٥٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ﴾ أي: ما أؤتمن عليه من الحقوق ﴿إِلَى أَهْلِهَا﴾ نزلت لما أخذ علي ﷺ مفاتيح الكعبة من عثمان بن طلحة الحنفي سادنها قسراً، لما قدّم النبي ﷺ مكة عام الفتح ومنعه؛ وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أمتعه. فأمر رسول الله ﷺ برده إليه؛ وقال: «هاك خالدة تالدة»<sup>(٤)</sup>، فعجب من ذلك؛ فقرأ له عليّ الآية؛ فأسلم، وأعطاه عند موته لأخيه شيبه بقي في ولده والآية. وإن وردت على سبب خاص - فعمومها مغتبر بقرينة الجمع ﴿وَإِذَا حُكِّمْتُمْ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ يأمركم ﴿أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ إِنَّ اللَّهَ يَهْدِي لِمَنْ يَشَاءُ فيه إغدام ميم «نغم» في «ما» النكرة الموصوفة؛ أي: نعم شيئاً ﴿يُطْعَمُونَ يَوْمَهُ﴾ تأدية الأمانة والحكم بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا﴾ لما يقال ﴿يَصِيرُ﴾ بما يفعل.

[٥٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾  
أَمْرُهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا ﴿٥٣﴾ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَصِيرًا ﴿٥٤﴾  
يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مَلَكًا عَظِيمًا ﴿٥٥﴾  
فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمْ وَمِنْهُمْ مَن صَدَعَتْ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٦﴾  
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْتَظِرُونَ نَصِيلَهُمْ نَارًا كَمَا فَضَحَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٧﴾  
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَكُنْ فِيهَا زَرْعٌ وَلَا يَنْتَبَهُونَ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيُقَاسُوا شِدَّةَ عَذَابِهِمْ يَوْمَئِذٍ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٨﴾  
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَكُنْ فِيهَا زَرْعٌ وَلَا يَنْتَبَهُونَ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيُقَاسُوا شِدَّةَ عَذَابِهِمْ يَوْمَئِذٍ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٦٠﴾

﴿الْأَمْرِ﴾ أي: الولاة ﴿يُنْكَرُ﴾ إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله<sup>(١)</sup> ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إلى كتابه ﴿وَالرَّسُولِ﴾ مدة حياته، وبعده إلى شئبه؛ أي: اكشفوا عليه منهما ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ذلك؛ أي: الرد إليهما ﴿خَيْرٌ﴾ لكم من التنازع والقول بالرأي ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مآلاً.

(١) ما جاء في نزول الآية (٥٩): أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ قال: نزلت في عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ بعث النبي ﷺ في سرية البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١١).

وأخرج أيضاً عن علي ﷺ قال: بعث النبي ﷺ سرية فاستعمل رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطعموه. ففضب، فقال: أليس أمركم النبي ﷺ أن تطعموني؟ قالوا: بلى. قال: فاجمعوا لي حطب. فجمعوا. فقال: أوقدوا ناراً، فأوقدوا. فقال: ادخلوها. فهجروا، وجعل بعضهم يسلك بعضاً ويقولون: فرنا إلى النبي ﷺ من النار. فمأزوا حتى خمدت النار فسكن غضبه. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة إنما الطاعة في المعروف» البخاري - كتاب المغازي (٦٤) باب (٥٩).

(٢) والظاهر أن المراد بالناس هنا: الرسول والمؤمنون، والفضل: النبوة والكتاب والعز والنصر والتمكين، حسدتهم أي يهود على ذلك، كما اختاره طائفة من المفسرين؛ كالقاسمي والسدي. ولا وجه لظاهر إقحام ذكر النساء، كما لا نقل صحيح. والله أعلم.

(٣) المعنى: فقد جمعنا لأسلافكم من ديرة إبراهيم بين الملك والنبوة، فلا شيء تخصون محمداً ﷺ يا عيسى دون غيره من أنعم الله عليه. وأما تخصيص المفسر الملك العظيم بتعدد الزوجات ففيه نظر، والصواب الإطلاق. والله أعلم.

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول بدون ذكر جملة (هاك...)، وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم»، يعني حجابة الكعبة [الدر المنثور (٣١٢/٢)]. وإسنادهما ضعيف كما في الاستيعاب (٤١٤/١)، وأخرج ابن إسحاق بسند صحيح في السيرة (٤١١/٢)، ونقله ابن كثير في تفسيره (٥٢٨/١) عن صفية بنت شيبة: أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكة واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت؛ فطاف به سبعمائة على راحلته... فلما فرغ من طوافه؛ دعا عثمان بن أبي طلحة فأخذ منه مفاتيح الكعبة؛ ففتحت له فدخلها... ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده، فقال يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية؛ فقال رسول الله ﷺ: «أليس عثمان بن أبي طلحة؟» فدعي له، فقال: «هاك مفاتيحك يا عثمان؛ اليوم يوم وفاء وبره».

وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ ﴿٦١﴾ الكثير الطغيان؛ وهو: كعب بن الأشرف ﴿وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ ولا يوالوه ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق.

[٦١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْحُكْمِ وَإِلَى الرَّسُولِ لِيَحْكُمَ بَيْنَكُمْ﴾ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ ﴿يَعْرِضُونَ عَنْكَ﴾ إلى غيرك ﴿صُدُّوا﴾.

[٦٢] ﴿فَكَفَّ﴾ يصنعون ﴿وَإِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ عَقُوبَةٌ ﴿يَمَّا قَدَّمْتْ أَيْدِيَهُمْ﴾ من الكفر والمعاصي؛ أي: يقفرون على لإعراض والفرار منها؛ لا ﴿ثُمَّ جَاءَ وَكَ﴾ معطوف على: ﴿يَصُدُّونَ﴾ ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَا﴾ بالحكمة إلى غيرك ﴿إِلَّا إِحْسَانًا﴾ صلحا ﴿وَتَوَقُّعًا﴾ تأليفاً بين الخصمين؛ بالتقريب في الحكم دون الحمل على مؤ الحن.

[٦٣] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق وكذبهم في عذرهم ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ بالصفح ﴿وَعَظَّمَهُمْ﴾ خوفهم الله ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي﴾ شأن ﴿أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ مؤثرا فيهم؛ أي: ازجرهم ليرجعوا عن كفرهم.

[٦٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ فيما يأمر به ويحكم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمره؛ لا ليعصى ويخالف ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتحاكمهم إلى الطاغوت ﴿جَاءَ وَكَ﴾ تائبين ﴿فَأَسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴿فَبِهِ الْفِتَاءُ﴾ عن الخطأ؛ تفخيما لشأنه ﴿لَوْجَدُوا﴾ اللَّهُ تَوَّابًا ﴿عَلَيْهِمْ رَحِيمًا﴾ بهم.

[٦٥] ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ (١) لا: زائدة (٢) ﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكُمْ﴾ فيما شَجَرَ ﴿اخْتَلَفَ﴾ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحْدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرْجًا ﴿ضَيْقًا أَوْ شُكًا﴾ وَمَا قَضَيْتَ بِهِ ﴿وَيَسْلُبُوا﴾ ينقادوا لحكمك ﴿سَلِيلًا﴾ من غير مُعَارَضَةٍ (٣).

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُّوا وَإِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ يَمَّا قَدَّمْتْ أَيْدِيَهُمْ ثُمَّ جَاءَ وَكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّمَهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءَ وَكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكُمْ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرْجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلُبُوا سَلِيلًا

[٦٠] ونزل لما اختصم يهودي ومنافق؛ فدعا المنافق إلى كعب بن الأشرف ليحكم بينهما، ودعا اليهودي إلى النبي ﷺ فأثابه فقبض لليهودي؛ فلم يرض المنافق، وأثابه عمره؛ فذكر اليهودي ذلك، فقال للمنافق: أكذاك؟ قال: نعم؛ فقتله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾

(١) ما حاء في نزول الآية (٦٥): أخرج البخاري عن عروة قال: خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شريح من الحرق، فقال النبي ﷺ: «اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك» فقل الأنصاري: يا رسول الله، أن كان «بن عمتك» فتلون وجهه، ثم قال: «اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجذر ثم أرسل الماء إلى جارك». واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري. وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه معة. قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكُمْ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾. البخاري. كتاب التفسير (١٢) سورة النساء (٤) باب (١٢).

(١) أخرجه التلمبي عن ابن عباس [الدر المنثور (٣٢٠/٢)]، وقال الحافظ في الفتح (٣٨/٥): «وهذا الإسناد وإن كان ضعيفاً؛ لكن تقوى بطريق مجاهد، ولا يضره الاختلاف لإمكان التعدد». وتُعَبَّ بأن في إسنادهما الكلبي وأبا صالح وهما كذابان. (الاستيعاب ٤٢٤/١) وأخرج الطبراني في الكبير (١٢٠٤٥/٢٩٥/١١) وابن أبي حاتم في تفسيره بسند صحيح عن ابن عباس قال:

• كان أبو بردة الأسلمي كاهنًا يقضي بين اليهود فيما يتنافرون إليه؛ فضاغر إليه أناس من أسلم؛ فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ﴾. فكان أبو بردة يرضى عن اليهود فيمنعهم من التحاكم إلى الطاغوت، وفيهم نزلت،... وقالت طائفة: نزلت في الزبير مع الأنصاري، وكانت الحصرمة في سقي يستأن... وذكر القصة.

(٣) وهو اختيار الرمخشري، وقال الطبري: قوله: ﴿فَلَا﴾ رد على ما تقدم ذكره، تقديره: فليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك. ثم استأنف القسم بقوله: ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اقْتُلُوا مَنْ  
يَرْضَاكُمْ مِمَّا فَعَلْتُمْ لَا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ  
بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا أَلَّاتِيَتْهُمْ  
مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْتُهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا  
﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ  
عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ  
وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى  
بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ بَيَّأْنًا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ  
فَإَنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ تَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ  
فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا فَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ  
مَعَهُمْ شَاهِدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ كَأَن  
لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ  
فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ فَلْيَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ  
يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يَقْتُلْ فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيَهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

[٧٤] قال تعالى: ﴿فَلْيَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿الَّذِينَ  
يَشْرُونَ﴾ يبيعون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
فَيُقْتَلْ﴾ يُشْتَشْهُدُ ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾ يَغْلِبُ بِغَدْوِهِ ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾  
ثوابًا جزيلاً.

[٦٦] ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ﴾ مُفَسَّرَةٌ (١) ﴿اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ  
اقْتُلُوا مَنْ يَرْضَاكُمْ﴾ كما كتبنا على بني إسرائيل ﴿مِمَّا فَعَلْتُمْ﴾ أي: المكتوب  
عليهم ﴿لَا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ بالرفع: على البدل، والنصب: على الاستثناء (٢) ﴿يَتَّبِعُونَ  
وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من طاعة الرسول ﷺ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ  
وَأَشَدَّ تَنبِيئًا﴾ تحقيقًا لإيمانهم.

[٦٧] ﴿وَإِذَا﴾ أي: لو تَنَبَّأُوا ﴿لَا تَنَبَّأُهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿أَجْرًا  
عَظِيمًا﴾ هو: الجنة [٦٨] ﴿وَلَهَدَيْتُهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾.

[٦٩] قال بعض الصحابة للنبي ﷺ: كيف نراك في الجنة وأنت في  
الدرجات العلى ونحن أسفل منك؟ فنزل: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ (٣) ﴿فِيمَا  
أَمَرَ بِهِ﴾ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ أَفْضَلُ  
أصحاب الأنبياء؛ لمبايعتهم في الصدق والتصدق ﴿وَالشُّهَدَاءَ﴾ القتلى في  
سبيل الله ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ غير من ذكر ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ رفقاء في  
الجنة؛ بأن يستمتع فيها برويتهم وزيارتهم والحضور معهم - وإن كان مفرهم  
في الدرجات العالية بالنسبة إلى غيرهم ..

[٧٠] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: كونهم مع من ذكر، مبتدأ خبره: ﴿الْفَضْلُ مِنَ  
اللَّهِ﴾ تفصل به عليهم، لا أنهم نالوه بطاعتهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ بواب  
الآخرة؛ أي: ففوقوا بما أخبركم به ﴿وَلَا يَنْبُتُكَ﴾ مثلاً خَيْرٌ (٤).

[٧١] ﴿يَبَيَّأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ من عدوكم؛ أي: احتذروا  
منه وتيقظوا له ﴿فَإَنْفِرُوا﴾ انهضوا إلى قتاله ﴿ثُبَاتٍ﴾ (٥) منفردين؛ سرية بعد  
أخرى ﴿أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين.

[٧٢] ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ لَيُتَأَخَّرَنَّ عن القتال؛ كعبد الله بن أبي  
المنافق وأصحابه، وجعلَهُ منهم من حيث الظاهر (٦)، واللام في الفعل: للقسمة  
﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ كقتل وهزيمة ﴿قَالُوا فَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ  
مَعَهُمْ شَاهِدًا﴾ حاضراً فأصاب.

[٧٣] ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ﴾ كفتح وغنيمة  
﴿لَيَقُولُنَّ﴾ نادياً ﴿كَأَن﴾ مُحْضَفَةٌ واسمها: محذوف؛ أي: كأنه ﴿لَمْ  
يَكُنْ﴾ بالياء والفاء (٧) ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ معرفة وضادقة، وهذا راجع إلى  
قوله: ﴿فَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ واعتراض به بين القول ومقوله؛ وهو: ﴿يَا﴾ للتنبيه  
﴿لَيَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ أخذ خطأ وافزأ من الغنيمة.

(١) أي: بمعنى: أي، وضابطها أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه.

(٢) أي: ﴿إِلَّا كَيْلًا﴾، وهي قراءة ابن عامر.

(٣) أخرجه نحوه بإسناد حسن مجموع طرقه الطبراني في الصغير (٢٦/١)، والأوسط (١٥٢/١)، رقم (٤٧٧) من حديث عائشة. قال الحافظ ابن حجر في «العجاب» (٩١٤/٢): «رجال  
موثقون». وأخرج ابن شعبة في مصنفه (٥٠١/١) رقم ١١٨٢٣، والطبري في جامعه (١٠٤/٥) عن مسروق مرسلاً، ويشهد له رواية الطبراني عن عائشة.

(٤) سورة فاطر: آية ١٤.

(٥) مفرداً؛ ثبة؛ وهي: الجماعة من الرجال فوق العشرة إلى المائة.

(٦) أي: إنه ليس منهم في حقيقة الأمر، بل هو عدو لهم.

(٧) بالياء قراءة السبعة عدا حفص وابن كثير.



مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ۖ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَأُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرُءَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۖ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَظُّونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّ فَضْلَ اللَّهِ عَلَى كُفْرِكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَآتَبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٢﴾ فَقَتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَأَنكَفَرُ الْإِنْفُسُكَ وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اللَّهِ أَنْ يَكْفَ بِأَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٣﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا ۖ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٤﴾

تَقِيءُ مُقِيَةً ۖ مُقِيدًا ۖ فَيَجَازِي كُلَّ أَحَدٍ بِمَا عَمِلَ.

[٨٦] «وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ ۖ كَأَنَّ قِيلَ لَكُمْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ فَحَيُّوا الْحَيَّ بِأَحْسَنَ مِنْهَا ۖ» بَأْنْ تَقُولُوا لَهُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ «أَوْ رُدُّوها ۖ» بَأْنْ تَقُولُوا لَهُ كَمَا قَالَ: أَيُّ الْوَاجِبِ أَخَذْتُمَا، وَالْأَوَّلُ أَفْضَلُ ۖ «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۖ» مُحَابِيَتًا ۖ فَيَجَازِي عَلَيْهِ، وَمِنْهُ رَدُّ السَّلَامِ، وَخَصَّتِ السَّنَةَ الْكَافِرَ وَالْمُبْتَدِعَ وَالْفَاسِقَ وَالْمُسْلِمَ عَلَى قَاضِي الْحَاجَةِ وَمَنْ فِي الْحَقَامِ وَالْأَكْلِ؛ فَلَا يَجِبُ الرُّدُّ عَلَيْهِمْ؛ بَلْ يُكْرَهُ فِي غَيْرِ الْأَحْيَاءِ؛ وَيُقَالُ لِلْكَافِرِ: «وَعَلَيْكَ».

[٨٠] «مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى ۖ» أَعْرِضَ عَنْ طَاعَتِكَ فَلَا يُهْمُّكَ ۖ «فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ۖ» حَافِظًا لأَعْمَالِهِمْ بَلْ نَذِيرًا، وَالْيَنَاءُ أَسْرَهُمْ؛ فَنَجَازِيهِمْ، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ.

[٨١] «وَيَقُولُونَ ۖ» أَيُّ: الْمُنَافِقُونَ - إِذَا جَاءُوكَ - : أَمَرْنَا ۖ «طَاعَةٌ ۖ» لَكَ ۖ «فَإِذَا بَرَأُوا ۖ» خَرَجُوا ۖ «مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ۖ» يَادْغَامُ التَّاءِ فِي الطَّاءِ وَتَرَكَهُ (١)؛ أَيُّ: أَضْمَرْتُ ۖ «غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ۖ» لَكَ فِي حَضُورِكَ مِنَ الطَّاعَةِ؛ أَيُّ: عَصِيَانِكَ ۖ «وَاللَّهُ يَكْتُبُ ۖ» بِأَمْرِ يَكْتُبُ (٢) ۖ «مَا يُبَيِّتُونَ ۖ» فِي صَحَافَتِهِمْ؛ لِيَجَازُوا عَلَيْهِ ۖ «فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ» بِالْصَّفْحِ ۖ «وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ» يُقَى بِهِ؛ فَإِنَّهُ كَافِيكَ ۖ «وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۖ» مُقَوِّضًا إِلَيْهِ.

[٨٢] «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ۖ» يَتَأَمَّلُونَ «الْفَرُءَانُ ۖ» وَمَا فِيهِ مِنَ الْمَعَانِي الْبَدِيْعَةِ ۖ «وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۖ» تَنَاقُضًا فِي مَعَانِيهِ وَتَبَاطُؤًا فِي نَظْمِهِ.

[٨٣] «وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ ۖ» عَنْ سَرَايَا النَّبِيِّ ﷺ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ «مِنْ الْأَمْنِ ۖ» بِالْانْصَرِ «أَوِ الْخَوْفِ ۖ» بِالْهَزِيمَةِ «أَذَاعُوا بِهِ ۖ» أَفْشَوْهُ؛ نَزَلَ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، أَوْ فِي ضِعْفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ تَقْصُفَ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَتَأَذَى النَّبِيُّ ﷺ (٣) ۖ «وَلَوْ رَدُّوهُ ۖ» أَيُّ: الْخَبَرِ ۖ «إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ ۖ» أَيُّ: ذَوِي الرَّأْيِ مِنْ أَكْبَارِ الصَّحَابَةِ؛ أَيُّ: لَوْ سَكَنُوا عَنْهُ حَتَّى يُخْبِرُوا بِهِ ۖ «لَعَلِمَهُ ۖ» هَلْ هُوَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَذَاعَ أَوْ لَا «الَّذِينَ يَسْتَنَظُّونَهُ ۖ» يَتَبَعُونَهُ وَيَطْلُبُونَهُ عِلْمَهُ؛ وَهُمْ: الْمَذْبُوعُونَ «مِنْهُمْ ۖ» مِنَ الرَّسُولِ وَأُولَى الْأَمْرِ ۖ «وَلَوْ أَنَّ فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۖ» بِالْإِسْلَامِ «وَرَحْمَتُهُ ۖ» لَكُمْ؛ بِالْفَرْقَانِ «لَأَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ ۖ» فِيمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ مِنَ الْفَوَاحِشِ «إِلَّا قَلِيلًا ۖ».

[٨٤] «فَقَتِلَ ۖ» يَا مُحَمَّدُ ۖ «فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكُفَّ إِلَّا نَفْسُكَ ۖ» فَلَا تَهْتَمُ بِتَخْلُفِهِمْ عَنْكَ، الْمَعْنَى: قَاتِلْ - وَلَوْ وَحْدَكَ - فَإِنَّكَ مَوْعُودٌ بِالنَّصْرِ «وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ» حَثَّهُمْ عَلَى الْقِتَالِ، وَرَغَّبَهُمْ فِيهِ «عَنِ اللَّهِ أَنْ يَكْفَ بِأَسَ» حَرْبِ «الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا ۖ» مِنْهُمْ «وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ۖ» تَعَذُّبًا مِنْهُمْ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَأُخْرِجَنَّ وَلَوْ وَخْهَدِي (٤) ۖ» فَخَرَجَ بِسَبْعِينَ (٥) رَاكِبًا إِلَى بَدْرِ الصُّغْرَى؛ فَكَفَّ اللَّهُ بِأَسَ الْكَفَّارِ؛ بِإِلْقَاءِ الرَّعْبِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَمَنْعَ أُنْبِيَّ سَفِيَانٍ عَنِ الْخُرُوجِ - كَمَا تَقَدَّمَ فِي آلِ عِمْرَانَ -.

[٨٥] «مَنْ يَشْفَعْ ۖ» بَيْنَ النَّاسِ «شَفَاعَةً حَسَنَةً ۖ» مُوَافِقَةً لِلشَّرْعِ «يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ ۖ» مِنَ الْأَجْرِ «مِنْهَا ۖ» بِسَبَبِهَا «وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً ۖ» مُخَالِفَةً لَهُ «يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ ۖ» نَصِيبٌ مِنَ الْوُزْرِ «مِنْهَا ۖ» بِسَبَبِهَا «وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۖ».

(١) بِالْإِدْغَامِ لِحَمْزَةِ وَأُنْبِيَّ عَمْرُو.

(٢) وَصِفَةُ الْكِتَابَةِ ثَابِتَةً لِلَّهِ - سَبْحَانَهُ - عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ، كَمَا هُوَ ظَاهِرُ هَذِهِ الْآيَةِ، وَالَّتِي قَبْلُهَا، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «مَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ يَدِيهِ عَلَى نَفْسِهِ: أَنْ رَغَبْتَنِي غَلَبْتُ نَفْسِي». وَفِي حَدِيثِ احْتِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى: «قَالَ آدَمُ: يَا مُوسَى اشْفَعْكَ اللَّهُ بِكَلَامِي وَنَحَطْ لَكَ الثُّورَةُ بِيَدِي» [متفق عليهما].

(٣) أَخْرَجَ نَحْوَهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ ابْنِ زَيْدٍ [الدر المنثور (٢/٣٣٤)].

(٤) ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ وَعُكْرَمَةَ (١٣٧/٢)، وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَالِ الْبَرَةِ.

(٥) قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ السِّيَرِ: الصَّحِيحُ أَنَّهُ خَرَجَ فِي أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةٍ فِي السَّنَةِ الْمُرَاجَعَةِ لِلْهَجْرَةِ.

[٨٨] ولما رجع ناس من أحد اختلف الناس فيهم؛ فقال فريق: اقتلهم، وقال فريق: لا، فنزل: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ من الكفر والمعاصي ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ؟﴾ أي: تفتدوهم من جملة المهتدين، والاستفهام في الموضعين للإنكار ﴿وَمَن يُضِلِلْهُ﴾ أي: الله فلن يهديه لكم سبيلاً ﴿طريقاً إلى الهدى﴾.

[٨٩] ﴿وَرُدُّوهُ﴾ تَمَتُّوا ﴿لَوْ تَكَفَّرُونَ﴾ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوا أَنْتُمْ وَهُمْ ﴿سَوَاءً﴾ في الكفر ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ توالوهم - وإن أظهروا الإيمان - ﴿حَتَّىٰ يَخْشَوُا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هجرة صحيحة تُعَقِّقُ إيمانهم ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ وأقاموا على ما هم عليه ﴿فَعَذَابُكُمْ﴾ بالأسر ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا﴾ توالونه ﴿وَلَا تَصِيرُوا﴾ تنصرون به على عدوكم.

[٩٠] ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ بلجئون ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ﴾ عهد بالأمان لهم ولمن وصل إليهم؛ كما عاهد النبي ﷺ هلال بن عوير الأسلمي<sup>(١)</sup> ﴿أَوَّلَ﴾ الذين ﴿جَاءَكُمْ﴾ وقد ﴿حَصَرْتُمْ﴾ ضاقت ﴿صُدُّوهُمْ﴾ عن ﴿أَن يُقَاتِلُوكُمْ﴾ مع قومهم ﴿أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ معكم؛ أي: تمسكين عن قتالهم؛ فلا تعرضوا إليهم بأخذ ولا قتل - وهذا وما بعده منسوخ بآية السيف - ﴿وَلَوْ سَاءَ أَلْفُ اللَّهِ﴾ تسليطهم عليكم ﴿كَسَلْتُمْ عَلَيْهِمُ﴾ بأن يقوي قلوبهم ﴿فَلَقَاتِلُوكُمْ﴾ ولكنه لم يشأ؛ فآلفى في قلوبهم الرعب ﴿فَإِن اعْتَرَضْتُمْ﴾ فتم يقتلواكم وألقوا إليكم السلم؛ الصلح؛ أي: اتفادوا ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالأخذ والقتل.

[٩١] ﴿سَتَجِدُونَ مَآخِرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ﴾ يظهر الإيمان عندكم ﴿وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ بالكفر إذا رجعوا إليهم؛ وهم: أسد وغطفان ﴿كُلُّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ دعا إلى الشرك ﴿أُرْكَسُوا﴾ فيها وقعوا أشد وقوع ﴿فَإِن لَّمْ يَعْزِلُوكُمْ﴾ يترك قتالكم ﴿وَلَوْ﴾ لم ﴿يَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ لم ﴿يَكْفُرُوا أَيْدِيَهُمْ﴾ عنكم ﴿فَعَذَابُكُمْ﴾ بالأسر ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ﴾ وجدتموهم ﴿وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ برهاناً يتناظروا على قتلهم وسيبهم؛ لغدرهم.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٨﴾ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ أَرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلْهُ اللَّهُ فَلَنْ يَهْدِيَهُ رَبُّكُمْ سَبِيلًا ﴿٨٩﴾ ﴿وَرُدُّوهُ كَمَا كَفَرُوا وَقَتُّوهُمْ سَوَاءٌ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ أَوْجَاءٌ وَكَمْ حَصَرْتُمْ صُدُّوهُمْ أَن يَقَاتِلُوكُمْ أَوْ يَقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ سَاءَ أَلْفُ اللَّهِ لَسَاطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَرَضْتُمْ فَامْنَحُوهُمْ فَتَقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ مَآخِرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَّا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْزِلُوكُمْ وَيَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩١﴾

[٨٧] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ والله<sup>(١)</sup> ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ من قوركم ﴿إِلَى﴾ في ﴿يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ وَمَنْ﴾ أي: لا أخذ ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ قولاً.

(١) ما جاء في نزول الآية (٨٨): أخرج البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: لما خرج النبي ﷺ إلى أحد رجع ناس من أصحابه، فقالت فرقة: نقتلهم. وقالت فرقة: لا نقتلهم، فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾. وقال النبي ﷺ: «إنها تنفي الرجال كما تنفي النار خبث الحديد» البخاري - كتاب فضائل المدينة (٢٩) باب (١٠) المدينة تنفي الخبث.

(١) أشار بذلك إلى أن اللام في قوله: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ موطئة لقسم محذوف.

(٢) روى ابن أبي حاتم عن طريق مجاهد أنها نزلت في هلال بن عوير الأسلمي وكان بينه وبين المسلمين عهد، وقصد ناس من قومه فكره أن يقاتل المسلمين وكره أن يقاتل قومه [فتح الباري (١٠/٨)].



لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ٥٥ دَرَجَتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥٦ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ٥٧ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ٥٨ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥٩ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعًا كَثِيرًا وَسِعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٦٠ وَإِذَا ضَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ٦١

[٩٥] لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ بالرفع صفة، والنصب (١) استثناء؛ من زمانة أو عَمَى ونحوه ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾

لضرر (دَرَجَةً) فضيلة لاستوائهما في النية وزيادة المجاهدين بالمباشرة ﴿وَلَا﴾ من الفريقين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾ الجنة ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ لغير ضرر ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ويبدل منه (٢) (٥٥).

[٩٦] ﴿دَرَجَتٍ مِنْهُ﴾ منازل بعضها فوق بعض من الكرامة ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ منصوبان بفعلهما المقدّر (٣) ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمًا﴾ بأهل طاعته.

[٩٧] ونزل في جماعة أسلموا ولم يهاجروا فقتلوا يوم بدر مع الكفار ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ بالمقام مع الكفار وترك الهجرة ﴿قَالُوا﴾ لهم موبخين: ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ أي: في أي شيء كنتم في أمر دينكم ﴿قَالُوا﴾ معذرين: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ عاجزين عن إقامة الدين ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿قَالُوا﴾ لهم توبيخًا: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ من أرض الكفر إلى بلد آخر كما فعل غيركم، قال الله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ هي (٤).

[٩٨] ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ الذين لا يستطيعون حيلة ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ لا قوة لهم على الهجرة ولا نفقة ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ طريقًا إلى أرض الهجرة.

[٩٩] ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

[١٠٠] ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعًا﴾ مهاجرة ﴿كَثِيرًا وَسِعَةً﴾ في الرزق ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ﴾ في الطريق؛ كما وقع لجندع بن صُمْرَةَ الليثي (٥) ﴿فَقَدْ وَقَعَ﴾ ثبت ﴿أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

[١٠١] ﴿وَلِذَا ضَرَيْتُمْ﴾ سافرتُم ﴿فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في أن تقصروا من الصلوة ﴿بأن تردوها من أربع إلى اثنين﴾ ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ﴾ أي: يبالغكم بمكروه ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بين اللواقح إذ ذاك (٥)؛ فلا مفهوم له، وبينت السنة أن المراد بالسفر: الطويل؛ وهو: أربع برد؛ وهي مرحلتان، ويؤخذ من قوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أنه رخصة لا واجب، وعليه الشافعي (٦) ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ يبيّن العداوة.

﴿عَزَّ وَجَلَّ﴾ الْكَافِرُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا: تلك العنيفة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١٧)، ومسلم - كتاب التفسير (٥٤) رقم (٣٠٢٥). وفي رواية لأحمد عن ابن عباس (٧٢٩/١): مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب رسول الله ﷺ وهو يسوق غنًا له، فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعدونا. فمدوا إليه قتلوه، وأثرا بغنمه الذي ﷺ فنزلت هذه الآية... (٨).

(٥) ما جاء في نزول الآية (٩٥): أخرجه البخاري عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ أملى عليه ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فجاء ابن أم مكتوم وهو يلها على قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت - وكان أعمى. فأنزل الله على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي، فقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي ثم شوي عه، فأنزل الله: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١٨).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٩٧): أخرجه البخاري عن محمد بن عبد الرحمن أبو الأسود قال: قطع على أهل المدينة بعث فاكثبت فيه، فلفت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته، فنهاه عن ذلك أشد النبي، ثم قال: أخبرني ابن عباس أن ناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين يكترون سواد المشركين على رسول الله ﷺ يأتي السهم يرمي به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيقتل، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾. الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١٩).

(١) بالنصب قراءة نافع والكسائي وابن عامر.

(٢) أي: غفر لهم مغفرة، ورحمهم رحمة.

(٤) ذكره الطبري مرسلًا عن قتادة في جامع البيان (١٥١/٥)، وكان شيخًا مربط كثيرًا، فلما سمع الآية قال: والله ما أنا من استثنى الله؛ فإني لأجد حيلة ولي من المال ما يليني وأبعد منها، والله لا أبيت بمكة، أخرجنوني. فخرجوا به على سرير حتى أتوا به التَّجْعُ فأكبره الموت... وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٥٠/٣) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٩٥٣/٢، ٩٥٤) بسند حسن عن الزبير بن العوام قال: هاجر خالد بن حزام إلى أرض الحبشة؛ فنهشته حية في الطريق؛ فمات ففوت فيه: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾... الآية.

(٥) أي: قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ الآية، إلخ.

(٦) وعليه أيضًا جمهور أهل العلم خلافاً للحنفية القائلين بوجوبه على المسافر.



وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مِّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٣﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقُوَىٰ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٥﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٦﴾

[١٠٢] ﴿وَلِذَا كُنْتُ﴾ يا محمد حاضرًا ﴿فِيهِمْ﴾ وأنتم تخافون العدو ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ وهذا جري على عادة القرآن في الخطاب، فلا مفهوم له ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ﴾ وتأخر طائفة ﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾ أي: الطائفة التي قامت معك ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ أي: صلوا ﴿فَلْيَكُونُوا﴾ أي: الطائفة الأخرى ﴿مِن وَرَائِكُمْ﴾ يحرسون إلى أن تقضوا الصلاة، وتذهب هذه الطائفة تحرس ﴿وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم إلى أن تقضوا الصلاة، وقد فعل النبي ﷺ كذلك بطن نخل. [رواه الشيخان] (١) ﴿وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ﴾ إذا قمت إلى الصلاة ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ بأن يحملوا عليكم؛ فيأخذوك، وهذا علة الأمر بأخذ السلاح ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مِّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ فلا تحملوها، وهذا يفيد إيجاب حملها عند عدم العذر، وهو أحد قولين للشافعي، والثاني: أنه سنة، ورجح ﴿وَحُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ من العدو؛ أي: احذروا منه ما استطعتم ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ذا إهانة (٢).

[١٠٣] ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ فرغتم منها ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتهليل والتسبيح ﴿قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ مضطجعين؛ أي: في كل حال ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ﴾ أمنتُم ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أدوها بحقوقها ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ أي: مفروضًا ﴿مَوْقُوتًا﴾ أي: مقدارًا وقها؛ فلا تؤخر عنه.

[١٠٤] ﴿لَا يَأْتِ بِكُمْ طَائِفَةٌ﴾ في طلب أبي سفيان وأصحابه، لما رجعوا من أحد فشكوا الجراحات -: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ تضعفوا ﴿فِي ابْتِغَاءِ﴾ طلب ﴿الْقُوَى﴾ الكفار لقتالهم ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا﴾ نجدون ألم الجراح ﴿فَلْيَهِنُوا يَأْمُونًا كَمَا تَأْمُونُونَ﴾ أي: مثلكم، ولا يجبنون (٣) على قتالكم ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ من النصر والثواب عليه ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ هم، فأنتم تزيدون عليهم بذلك؛ فينبغي أن تكونوا أرغب منهم فيه ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿حَكِيمًا﴾ (٤) في صنعه.

[١٠٥] وسرق طُعْمَةُ بْنُ أَبِيرقِ دِرْعًا وَخَافَهَا عند يهودي، فوجدت عنده،

فرماه طعمة بها، وحلف أنه ما سرقها، فسأل قومه النبي ﷺ أن يجادل عنه ويرثه؛ فنزل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ (٥) القرآن ﴿وَالْحَقُّ﴾ متعلق بـ﴿أَنْزَلْ﴾ ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ﴾ أعلمك ﴿اللَّهُ﴾ فيه ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ﴾ كطعمة ﴿خَصِيمًا﴾ مخاصمًا عنه.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠٢): أخرج أحمد عن مجاهد عن أبي عبيد الله الزرقي قال: كنا مع رسول الله ﷺ ببغداد فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القلعة. فصلينا بنا رسول الله ﷺ الظهر فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا عرتهم. ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبياتهم وأنفسهم قال: فنزل جبريل ﷺ بهذه الآية بين الظهر والعصر: ﴿وَلِذَا كُنْتُ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾. قال: فحضرت، فأمرهم رسول الله ﷺ فأخذوا السلاح. قال: فصفتنا خلفه صفين... إلخ. أحمد. المسند (٥٩٤/٦٠). وأخرجه أبو داود دون التصريح بلفظ الآية. وفيه نزلت آية القصر. كتاب الصلاة (٢) باب (٢٨١) صلاة الخوف. وصحيح سنن أبي داود (١٠٩٦).

(١) البخاري (٤١٣٧)، ومسلم (٨٤٠) من حديث جابر بن عبد الله. (٢) وهم جميع من حضر أحدًا من المؤمنين الناحين، وكانوا ستمائة وثلاثين.

(٣) في «حاشية الصاوي»: «يجبنوا»، وقال في «الشرح»: «المناسب «يجبنون» بالنون إلا أن يقال: حذفت تخفيفًا.

(٤) ذكره البيهقي في تفسيره (٢٨٢/٢).

(٥) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة نحوه [الدر المنثور (٣٨٤/٢)]، ورواه الكلبي عن ابن عباس كما في تفسير البيهقي (٢٨٣/٢)، ورواه الطبري برقم (١٠٤١٤) عن ابن زيد أيضًا (١٨٤/٩).

لأن وبال حياتهم عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا﴾ كثير الخيانة ﴿أَيُّهَا﴾ أي: بعاقبه<sup>(١)</sup>.

[١٠٨] ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ أي: طعمة وقومه حياءً ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُمْ﴾ بعلمه ﴿إِذْ يَبْتَغُونَ﴾ يضمرون ﴿مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ من عزمهم على الحلف على نفي السرقة ورمي اليهودي بها ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ علماً.

[١٠٩] ﴿هَآؤُنْتُمْ﴾ يا ﴿هَؤُلَاءِ﴾ خطاب لقوم طعمة ﴿جَدَلْتُمْ﴾ خاصمتهم ﴿عَنْهُمْ﴾ أي: عن طعمة وذويه، وقرئ: ﴿عَنْهُ﴾<sup>(٢)</sup> وفي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّلْ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِذَا عَذَبَهُمْ أَمَّ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا يتولى أمرهم، ويذب عنهم؛ أي: لا أحد يفعل ذلك<sup>(٣)</sup>.

[١١٠] ﴿وَمَنْ يَمَلَّ سَوَاءً﴾ ذنباً بسوء به غيره؛ كرمي طعمة اليهودي ﴿أَوْ يَطْلُبْ نَفْسَهُ﴾ يعمل ذنباً قاصراً<sup>(٤)</sup> عليه ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ منه؛ أي: يَتُبُّ يَجِدُ اللَّهَ عَفْوَكَ لَهُ ﴿رَجِيماً﴾ به.

[١١١] ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ ذنباً ﴿فَلْيَمَّا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ لأنَّ وَبَالَهَ عَلَيْهَا وَلَا يَضُرُّ غَيْرَهُ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ في صنعه.

[١١٢] ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ ذنباً صغيراً ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ ذنباً كبيراً ﴿ثُمَّ يَرَوْهُ بَرِيًّا﴾ منه ﴿فَقَدْ أَحْتَمَلَ﴾ تحمل ﴿ثِيئَتَنَا﴾ برميهِ ﴿وَإِثْمَانَا﴾ بئساً بكسبه.

[١١٣] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾<sup>(٥)</sup> بالعصمة ﴿هَلَّتْ﴾ أضمرت ﴿طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ من قوم طعمة ﴿أَنْ يُضْلُوكَ﴾ عن القضاء بالحق بتلبيسهم عليك ﴿وَمَا يُضْلُوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ﴾؛ لأن وبال إضلالهم عليهم ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ من الأحكام والغيب ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ بذلك وغيره ﴿عَظِيمًا﴾.

وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا هَآؤُنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمَّنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا وَمَنْ يَعْمَلْ سَوَاءً أَوْ يَطْلُبْ نَفْسَهُ وَثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ عَفُورًا رَحِيمًا وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ وَعَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ وَمَا يُضْلُوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا

[١٠٦] ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ ما هممت به ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾.

[١٠٧] ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ يخونونها بالمعاصي؛

(١) وهذا تأويل من المصنف رحمه الله لصفة عدم المحبة من الله بلامها، ومذهب السلف إثبات هذه الصفات وغيرها على ما يليق بجلال الله تعالى.

(٢) وهي قراءة شاذة.

(٣) أشار بذلك إلى أن الاستغفار إنكارى بمعنى النفي.

(٤) في حاشية الصاوي: «يعمل ذنب قاصره».

(٥) وفيها إثبات صفة الرحمة لله - سبحانه.

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١١٤) وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَن يَشْرِكْ بِهِ ۚ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١١٦) إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا (١١٧) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١١٨) وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مُنِيتَهُمْ وَلَا مَرَّتْهُمْ فَلَيْتَ كُنَّ أَذَانًا أَلْفَعُمُ وَلَا تَعْمُرُهُمْ فَلْيَعِزَّنِي خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا (١١٩) يَعْدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا عُرْوًا (١٢٠) وَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (١٢١)

لا تَبْغُ وَلَا جَزَاءَ ﴿وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ بذلك ﴿إِلَّا عُرْوًا﴾ باطلًا. [١٢١] ﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ معدلاً.

﴿١١٤﴾ ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ﴾ أي: الناس؛ أي: ما يتناجون فيه ويتحدثون ﴿إِلَّا﴾ نَجْوَى ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ عمل بَرٍّ ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ لا غيره من أمور الدنيا ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ بالنون والياء (١)، أي: الله ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿١١٥﴾ ﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾ يخالف ﴿الرَّسُولَ﴾ فيما جاء به من الحق ﴿وَمِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ ظهر له الحق بالمعجزات ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: طريقهم الذي هم عليه من الدين؛ بأن يكفر ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾ نجعله واليًا لما تولاها من الضلال؛ بأن نخلي بينه وبينه في الدنيا ونُصْلِهِ ﴿نُدْخِلُهُ فِي الْآخِرَةِ﴾ جَهَنَّمَ ﴿فِيحْرِقُ فِيهَا﴾ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿مَرَجَاهُ﴾.

﴿١١٦﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَن يَشْرِكْ بِهِ﴾ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿عن الحق﴾ (٢).

﴿١١٧﴾ ﴿إِن يَدْعُونَ﴾ يعبد المشركون ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: الله؛ أي: غيره ﴿إِلَّا إِنَاثًا﴾ أصنامًا مؤنثة؛ كالات والعزى ومناة ﴿وَلِإِن يَدْعُونَ﴾ يعبدون بعبادتها ﴿إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ خارجًا عن الطاعة لطاعتهم له فيها؛ وهو: إبليس.

﴿١١٨﴾ ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أبعدَه عن رحمته ﴿وَقَالَ﴾ أي: الشيطان ﴿لَأَتَّخِذَنَّ﴾ لأجعلن لي ﴿مِن عِبِيدِكَ نَصِيبًا﴾ حَقًّا ﴿مَّفْرُوضًا﴾ مقطوعًا أَدْعُوهم إلى طاعتي.

﴿١١٩﴾ ﴿لَا ضَلَّتْهُمْ﴾ عن الحق بالسوسة ﴿وَلَا مُنِيتَهُمْ﴾ أَلْقَى فِي قُلُوبِهِمْ طُولَ الْحَيَاةِ، وَأَنْ لَا تَبْغُ وَلَا حِسَابَ ﴿وَلَا مَرَّتْهُمْ﴾ فَلَيْتَ كُنَّ يَقْطَعْنَ ﴿أَذَانًا أَلْفَعُمُ﴾ وقد فعل ذلك بِالْبُخَائِرِ (٣) ﴿وَلَا مَرَّتْهُمْ﴾ فَلَيْتَ كُنَّ خَلْقَ اللَّهِ دِينَهُ (٤) بِالْكَفْرِ، وَإِحْلَالِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَتَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا﴾ يتولاه ويطيعه ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ يَبْتَئِصِرُهُ إِلَى النَّارِ الْمُؤَبَّدَةِ عَلَيْهِ.

﴿١٢٠﴾ ﴿يَعْدُهُمْ﴾ طُولُ الْعُمُرِ ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ نَبْلُ الْأَمَالِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنْ

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١٠٥ - ١١٦): أخرج الترمذي عن قتادة بن النعمان قال: كان أهل بيت مَثًا يقال لهم بنو أبيرق يشر، وبشير، ومبشر، وكان بشير رجلًا ناقصًا يقول الشعر بهجو به أصحاب رسول الله ﷺ ثم ينحله بعض العرب ثم يقول: قال فلان كذا وكذا، قال فلان كذا وكذا، فإذا سمع أصحاب رسول الله ﷺ ذلك الشعر قالوا: والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الحديث أو كما قال الرجل، وقالوا ابن أبيرق قالها ... فقدمت صافضة من الشام فباتع عمي رفاعه بن زيد حملًا من الدرهم فحمله في مشرة له، وفي المشرة سلاح ودرع وسيف، فعدي عليه من تحت البيت فنقبت المشرة، وأخذ الطعام والسلاح، فلما أصبح أتاني عمي رفاعه، فقال: يا ابن أخي إنه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشرتنا فذهب بطعامنا وسلاحنا. قال: فتحسننا في الدار وسألنا، فقبل لنا: قد ربنا بني أبيرق استوفدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم. قال: وكان بنو أبيرق قالوا: ونحن نسأل في الدار. والله ما نرى صاحبكم إلا ليبد بن سهيل - رجل منا له صلاح وإسلام - فلما سمع ليبد اختط سيفه وقال: أنا أسرق؟ فوالله ليخالطكم هذا السيف أو لنبيتن هذه السرفة. قالوا: إليك عنها أيها الرجل مما أنت بصاحبها، فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها. فقال لي عمي: يا ابن أخي، لو أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له.

قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي رفاعه بن زيد فنقبوا مشرة له وأخذوا سلاحه وطعامه، فليردوا علينا سلاحنا، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال النبي ﷺ: (سأمر في ذلك) فلما سمع بنو أبيرق أنوا رجلاً منهم يقال له أسير بن عروة فكلوه في ذلك، فاجتمع في ذلك ناس من أهل الدار فقالوا: يا رسول الله، إن قتادة بن النعمان وعمه عمدوا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرفة من غير بينة ولا ثبت. قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فكلته، فقال: عمدت إلى أهل بيت ذك منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرفة على غير ثبت ولا بينة. قال: فرجعت، ولوددت أنني خرجت من بعض مالي ولم أكلهم رسول الله ﷺ في ذلك فأتاني عمي رفاعه فقال: يا ابن أخي، ما صنعت؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله ﷺ، فقال: الله المستعان.

فلم يلبث أن نزل القرآن: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُنْ لِلْمُتَكَلِّمِينَ خَصِيمًا﴾ بنو أبيرق ﴿وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ﴾ أي ما قلت لقتادة ﴿إِنَّمَا اللَّهُ =

(١) بالياء قراءة حمزة وأبي عمرو.

(٢) جمع بحيرة، وهي أن تلد الناقة أربعة بطون وتأتي في الخامس يذكّر، فكانوا لا يحملون عليها ولا يأخذون نتاجها ويجعلون لها للطوغيت. ويشقون آذانها علامة على ذلك.

(٣) وقيل: المراد بهلما التغير الوشم. وقيل: المراد خصاء الدواب. والأقرب كما اختاره بعض المفسرين: أنه يشمل تغير الخلقة الظاهرة؛ بِالْوُشْمِ وَالْوُشْرِ وَالْقَصِّ وَالْقُلُوجِ لِلْحَسَنِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، كَمَا يَشْمَلُ الْخَلْقَةَ الْبَاطِنَةَ، حَيْثُ لَهُ - سِحْنَانُهُ - خَلْقُ عِبَادَةِ حَفَاءَ مَقْطُورِينَ عَلَى الْحَقِّ، فَاجْتَنَلَتْهُمْ عَنْ هَذَا الْخَلْقِ الْجَمِيلِ، وَزَيَّنَتْ لَهُمُ الشَّرَّ وَالشَّرْكَ وَالْكَفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ.

وَعَدًا وَحَقًّا حَقًّا<sup>(١)</sup> ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ أي: قولاً.

[١٢٣] وَنَزَلَ - لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب :: ﴿لَيْسَ﴾ الأمر منوطاً ﴿بِأَمَانَتِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾<sup>(٢)</sup> بل بالعمل الصالح ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ إما في الآخرة<sup>(٣)</sup> أو في الدنيا بالبلاء والنحن - كما ورد في الحديث<sup>(٤)</sup> - ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَلِيًّا﴾ يحفظه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾<sup>(٥)</sup> يمنع منه.

[١٢٤] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ شَيْئًا﴾ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ بِالْبِنَاءِ لِلْمَعْمُولِ وَالْفَاعِلِ<sup>(٦)</sup> ﴿الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ قَدَّرَ نَقَرَةَ النِّوَابَةِ.

[١٢٥] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد<sup>(٧)</sup> ﴿أَحْسَنُ دِينًا وَمَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ أي: انقاد وأخلص عمله ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ مُؤْتَحِدٌ ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ الموافقة لملة الإسلام ﴿حَنِيفًا﴾ حال؛ أي: مثلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ صَفِيًّا لخالص المحبة له.

[١٢٦] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً ﴿وَكُنَّ﴾ الله بكلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴿عِلْمًا وَقُدْرَةً﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

[١٢٧] ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ يطلبون منك الفتوى ﴿فِي﴾ شَأْنِ ﴿النِّسَاءِ﴾

وميراثهن ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن من آية الميراث، وفتيكم أيضاً ﴿فِي بَيْنِ النِّسَاءِ﴾ التي لا تُؤْتَوْنَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ ﴿فَرَضَ﴾ من الميراث ﴿وَتَرْغَبُونَ﴾ أيها الأولياء

عن<sup>(٨)</sup> ﴿أَنْ تَنكِحُوهُنَّ﴾ لدمامتهن، وتعطلوهن<sup>(٩)</sup> أن يتزوجن طمعاً في ميراثهن؛ أي: يفتيكم أن لا تفعلوا ذلك ﴿وَوَيْ﴾ في ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ الصغار

﴿مِنَ الْوُلْدِ﴾ أن تعطوهم حقوقهم<sup>(١٠)</sup> ﴿وَوَيْ﴾ يأمركم ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلنِّسَاءِ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل في الميراث والمهر ﴿وَمَا تَقَعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ

كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ فيجازيكم به<sup>(١١)</sup>.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا<sup>(١٢)</sup> لَيْسَ بِأَمَانَتِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا<sup>(١٣)</sup> وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا<sup>(١٤)</sup> وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا<sup>(١٥)</sup> وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا<sup>(١٦)</sup> وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتْلَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتَوْنَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلنِّسَاءِ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا<sup>(١٧)</sup>

[١٢٢] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ أي: وعدهم الله ذلك

كَانَ عَقُورًا رَجِيمًا وَلَا يُجَادِلُ... إلى قوله: ﴿عَقُورًا رَجِيمًا﴾ أي لو استغفروا الله لغفر لهم، ﴿وَمَنْ يَكْتِيبْ إِثْمًا﴾ إلى قوله: ﴿إِثْمًا ثُبِنًا﴾ قوله للبيد: ﴿وَلَا فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾ إلى قوله: ﴿مُسَوِّفٌ تُوْتِيهِ أَمْرًا عَظِيمًا﴾.

فلما نزل القرآن أتى رسول الله ﷺ بالسلح فرده إلى رفاعه، فقال قتادة: لما أتيت عمي بالسلح، وكان شيئاً قد عسى أو عشي في الجاهلية، وكنت أرى إسلامه مدخولاً، فلما أتته بالسلح قال: يا ابن أخي، هو في سبيل الله، فعرفت أن إسلامه كان صحيحاً، فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشركين، فنزل على سلافة بنت سعد بن سمية، فأنزل الله: ﴿وَمَنْ يُنَاقِ الرُّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدًى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُسْلِمِينَ قُلُوبُهُمْ مَأْتُولٌ وَتُصَلِّوْهُمُ جَهَنَّمَ وَمَكَاتٌ مُصِيرًا﴾<sup>(١٨)</sup> إِنَّ اللَّهَ لَا يَقُورُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَنْتَوِي مَا دُونَ ذَلِكَ لَيْسَ بِشَيْءٍ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا.

فلما نزل على سلافة رماها حسان بن ثابت بأهات من شعره، فأخذت رحله فوضعت على رأسها، ثم خرجت به فرمت به في الأبطح، ثم قالت: أهديت لي شعر حسان؟ ما كنت تأتيني بخير. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥) سورة النساء (حسن). صحيح سنن الترمذي (٢٤٣٢).

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: ﴿قاربوا وسددوا﴾ ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها أو الشوكة يشاكها. مسلم - كتاب البر والصلة (٤٥) باب (١٤) ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن.

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٢٧): أخرج البخاري عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة ؓ عن قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْزِيكُمْ﴾ إلى ﴿وَلَا يَكْفُرُكُمْ﴾ قالت: يا ابن أخي، هي التهمة تكون في حجر وليها =

(١) أشار بذلك إلى أن «وعداً» و«حقاً» منصوبان بعلين محذوفين من لفظهما، ويصح أن يكون «حقاً» صفة لدوعداء. (٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر من طريق جوير عن الضحاك كما في الدر المنثور (٣٩٩/٢).

(٤) يشير إلى ما أخرجه عبد بن حميد في مسنده، والترمذي في سننه وضعفه، في نزول الآية أن أبا بكر قال: يا رسول الله، وأنتا لم تجزئوا بكل سوء علمناه؟ فقال ﷺ: وَأَمَّا أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ الْمُؤْمِنُونَ فَتَجَزَّوْنَ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ دُونُ، وَأَمَّا الْأَخْرُونَ فَجَمَعْتُمْ لَهُمْ ذَلِكَ، حَتَّى يُجَازَوْا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن الترمذي (٣٢٤٣).

(٥) بالياء للمفعول قراءة ابن كثير وأبي عمرو وشعبة. (٦) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري.

(٧) هذا على أحد وجهي التفسير، وأن الرغبة بمعنى: الزهد، والبعض قدر «في» إشارة إلى أن الرغبة بمعنى: الحب، ويؤيده ما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة ؓ قالت: «هَذِهِ التَّيْمَةُ تَكُونُ فِي جِغْرِ وَلِئَهَا؛ فَرِغَتْ فِي جَعَالِهَا وَتَالَهَا، وَتُرِيدُ أَنْ يَنْقُصَ صِلَاقُهَا، فَتَهْوَا عَنْ يَكَايَهِمْ إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهُمْ فِي إِكْمَالِ الصَّدَقَةِ... الحديث. (٨) أي: تمنعوه.

(٩) وكانوا في الجاهلية لا يورثون الصبيان مطلقاً ولا النساء.

[١٢٨] ﴿وَإِنْ أَمْرًا﴾ مرفوعٌ بفعل<sup>(١)</sup> يفسره ﴿خَافَتْ﴾ تَوَقَّعَتْ ﴿مِنْ بَعْلِهَا﴾ زوجها ﴿شُورًا﴾ تَرْفَعًا عليها بترك مضاجعتها، والتفسير في نفقتها، لبغضها وطموح عينه إلى أجمل منها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ عنها بوجهه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُفَصِّلَا﴾ فيه إدغام الناء في الأصل في الصاد، وفي قراءة: ﴿يُضِلُّهَا﴾<sup>(٢)</sup> من أصلح ﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ في القسم والنفقة؛ بأن ترك له شيئاً طلياً لبقاء الصحية؛ فإن رضيت بذلك، وإلا فعلى الزوج أن يفريقها أو يفارقها ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفقرة والنشور والإعراض، قال - تعالى - في بيان ما يجبل عليه الإنسان: ﴿وَأُحْضِرْتُ الْأَنْفُسَ الشَّخَّ﴾ شدة البخل؛ أي: مجبئٌ عليه؛ فكأنها حاضرت له لا تعيب عنه؛ المعنى: أن المرأة لا تكاد تسمح بنصيبها من زوجها، والرجل لا يكاد يسمح عليها بنفسه إذا أحب غيرها ﴿وَإِنْ تَحْسَبُوا عَشْرَةَ نِسَاءٍ﴾ وَتَقُولُوا الجور عليهن ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به<sup>(٣)</sup>.

[١٢٩] ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا﴾ تسووا ﴿بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ في المحبة ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على ذلك ﴿فَلَا تَبِيلُوا﴾ كَلَّ الْمِيلَ إلى التي تحبون في القسم والنفقة ﴿فَتَذَرُوهَا﴾ أي: تتركوا المال عنها ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ التي لا هي أمي ولا هي ذات ثقل ﴿وَإِنْ تُصِلُّوهَا﴾ بالعدل بالقسم ﴿وَتَقُولُوا﴾ الجور ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا﴾ لما في قلبكم من الميل ﴿رَحِيمًا﴾ بكم في ذلك.

[١٣٠] ﴿وَإِنْ يَفْرَقَا﴾ أي: الزوجان بالطلاق ﴿يَعْنِ اللَّهُ كُلاًَّ﴾ عن صاحبه ﴿مِنْ سَعَتِهِ﴾ أي: فضله؛ بأن يرزقها زوجها غيره ويرزقه غيرها ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا﴾ خلقه في الفضل ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبر لهم.

[١٣١] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِمَعْنَى الْكِتَابِ﴾ من قبلكم ﴿أَي: اليهود والنصارى﴾ ﴿وَيَاكُمْ﴾ يا أهل القرآن ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿أَتَقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه؛ بأن تطيعوه ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ وَلَكُمْ:﴾ ﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾ بما وصَّيتم به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً وعبداً؛ فلا يضره كفركم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿حَكِيمًا﴾ محموداً في صنعه بهم.

[١٣٢] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كرره تأكيداً لتقرير موجب التقوى ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ شهيداً؛ بأن ما فيهما له.

[١٣٣] ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْ عَنْ ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ يا ﴿أَيُّهَا النَّاسُ وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرْتُ الْأَنْفُسَ الشَّخَّ وَإِنْ تَحْسَبُوا أَنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَبِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصِلُّوهَا وَتَقُولُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا وَإِنْ يَفْرَقَا يَعْنِ اللَّهُ كُلاًَّ مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَكِيمًا وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا إِنْ يَسْأَلْكُمْ عَنْ ذَلِكَ قَدِيرًا مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا

[١٣٤] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ لمن أراده لا عند غيره، فلم يطلب أحدكم<sup>(١)</sup> الأخسر، وملا طلب الأعلى بإخلاصه له؛ حيث كان مطلبه لا يوجد إلا عنده ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

- تشاركه في ماله فيعجبه مالها وجمالها، فريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيهما مثل ما يعطيهما غيره. فنهوا أن ينكحوا إلا أن يقسطوا لهم ويبلغوا بهن أعلى ستهن من الصداق ... قالت عائشة: ثم إن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية، فأنزل الله: ﴿وَيَسْتَفْتِيكَ النَّبِيُّ﴾، والذي ذكر الله أنه ينلي عليكم في الكتاب الآية الأولى التي قال فيها: ﴿وَإِنْ جُنِفَ إِلَّا تَقْبِلُوا فِي الْبَيْنِ فَاكْبَحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النَّسَاءِ﴾، وقول الله في الآية الأخرى: ﴿وَيَعْبُودُونَ أَنْ تُنْكِحُوهُمْ﴾، يعني هي رغبة أحدكم لبيته التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال، فنهوا أن ينكحوا ما رغبوا في مالها من يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهن عنهن. البخاري - كتاب الشركة (٤٧) باب (٧) شركة اليم وأهل الميراث.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٢٨): أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾، قالت: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمسكتة منها، يريد أن يفارقها، تقول: أجعلك من شأني في حل، فنزلت هذه الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (٢٤).

وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال: خشيت سودة أن يطلقها النبي ﷺ فقالت: لا تطلقني وأمسكني، واجعل يومي لعائشة. ففعل، فنزلت: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾. فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز. كأنه من قول ابن عباس. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥) سورة النساء (صحيح). صحيح سنن الترمذي (٢٤٣٤).

(١) ولا يصح جعله مبتدأ؛ لأن أداة الشرط لا يليها إلا الفعل ولو تقدرا.

(٢) وهي قراءة عاصم وحزمة والكسائي، وقرأ بقية السبعة ﴿يُضِلُّهَا﴾.

(٣) في حاشية الصاوي: وأحدهم.

وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ المشهود عليه ﴿عَنِيًّا أَوْ قَرِيبًا﴾ قَالَهُ أَوْلَىٰ بِهَا مِنكُمْ، وأعلم بمصالحهما ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ﴾ في شهادتكم؛ بأن ثماثوا الغني لرضاه، أو الفقير رحمة له ﴿لَنْ﴾ لا ﴿تَعْدِلُوا﴾ عن الحق ﴿وَلَنْ تَلُودُوا﴾ تحرفوا الشهادة، وفي قراءة<sup>(١)</sup> بحذف الواو الأولى تخفيفاً ﴿أَوْ تَعْرِضُوا﴾ عن أداها ﴿فَلَنْ﴾ إِنَّهُ كَانَ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرًا ﴿يَأَيُّهَا﴾ به.

[١٣٦] ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ داوموا على الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﴿مُحَمَّدٌ ﷺ﴾؛ وهو: القرآن ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ على الرسل؛ بمعنى: الكتب، وفي قراءة بالبناء للفاعل في الفعلين<sup>(٢)</sup> ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق.

[١٣٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بوسى؛ وهم: اليهود ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعبادتهم العجل ﴿ثُمَّ آمَنُوا﴾ بعده ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعبسى ﴿ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا﴾ بمحمد ﴿لَنْ يَكُنَ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ﴾ ما أقاموا عليه ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الحق.

[١٣٨] ﴿بَشِّرْ﴾ أخبر يا محمد ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾ بِأَنَّهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مؤلماً؛ هو: عذاب النار.

[١٣٩] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل أو نعت للمنافقين ﴿يَجِدُونَ الْكُفْرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لما يتوهمون فيهم من القوة ﴿يَبْتَغُونَ﴾ يطلبون ﴿عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ استشفهم إنكاري؛ أي: لا يجدون عندهم ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ في الدنيا والآخرة، ولا ينالها إلا أولياؤه.

[١٤٠] ﴿وَقَدْ نَزَّلَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول<sup>(٣)</sup> ﴿عَلَيْكُمْ﴾ الْكِتَابَ القرآن في سورة الأنعام<sup>(٤)</sup> ﴿أَنْ﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ فلا تعدوا معها<sup>(٥)</sup> أي: الكافرين والمستهزئين ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَرِيبٍ﴾ إنك إذا إن قعدتم معهم ﴿يَسْتَهْزِئُوا﴾ في الإنم<sup>(٥)</sup> ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ عَنِيًّا أَوْ قَرِيبًا﴾ قَالَهُ أَوْلَىٰ بِهَا مِنكُمْ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَلَنْ تُلَوُّوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرًا ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ﴾ بِأَنَّهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَرِيبٍ﴾ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٣٥﴾

[١٣٥] ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ قائمين ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿شُهَدَاءَ﴾ بالحق ﴿وَلَوْ﴾ كانت الشهادة ﴿عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ فاشهدوا عليها؛ بأن تقروا بالحق ولا تكتموا ﴿أَوْ﴾ على ﴿الْوَالِدِينَ﴾

(١) لحرمة وابن عامر.

(٢) أي: ﴿نَزَّلَ﴾ و﴿أُنْزِلَ﴾ وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) بالبناء للمفعول قراءة السبعة عدا عاصم.

(٤) وهو قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي حَدِيثٍ غَرِيبٍ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَرِيبٍ﴾ [الأنعام: ٦٨].

(٥) أي: كفروا أو غيره؛ فالراضي بالكفر كافر، والراضي بالحرم عاص.

[١٤١] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ﴾ قبلة<sup>(١)</sup> ﴿يَرْبَعُونَ﴾ ينتظرون ﴿يَكُمُ﴾ الدوائر ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾ ظفر وغنيمة ﴿وَمِنْ اللَّهِ قَالُوا﴾ لكم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ﴾ في الدين والجهاد؛ فأعطونا من الغنمة ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الظفر عليكم ﴿قَالُوا﴾ لهم: ﴿أَلَمْ نَسْتَحِذْ﴾ نشتول ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ونقدر على أخذكم وقتلكم فأبقينا عليكم ﴿وَوَلَّيْنَا أَلَم﴾ ننفقكم من المؤمنين ﴿أَنْ يَظْفَرُوا بِكُمْ﴾ بتخذيلهم ومراسلتهم بأخبارهم؛ فلنا عليكم المنة، قال - تعالى -: ﴿فَاللَّهُ يَجْعَلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿بِأَنْ يَدْخُلَكُمْ الْجَنَّةَ وَيَدْخُلَهُمُ النَّارُ﴾ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً طريقاً بالاستئصال<sup>(٢)</sup>.

[١٤٢] ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ﴾ بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر؛ ليدفعوا عنهم أحكامه الدينية ﴿وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ مجازيهم على خداعهم<sup>(٣)</sup>؛ فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نية على ما أبطنوه، ويعاقبون في الآخرة ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ﴾ مع المؤمنين ﴿قَامُوا كَسَالَةً﴾ متهاولين ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ بصلاتهم ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ يصلون ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياء.

[١٤٣] ﴿مُذَبِّذِينَ﴾ مترددين ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الكفر والإيمان ﴿لَا﴾ منسوين ﴿إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي: الكفار ﴿وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي: المؤمنين ﴿وَمَنْ يُضِلِلْ﴾ الله فلن يجد لهم سبيلاً طريقاً إلى الهدى. ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَنْجِذُوا الْكَافِرِينَ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَرِيدُونَ أَنْ يَجْعَلُوا اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بمواليتهم ﴿سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ برهاناً بيناً على نفاقكم.

[١٤٤] ﴿إِنَّ الْكُفْرَانَ فِي الذَّرِكِ﴾ المكان ﴿الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ وهو قعرها ﴿وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ مانعاً من العذاب.

[١٤٦] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من انفاق ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿وَأَعْتَصَمُوا﴾ رتقوا ﴿بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ من الرياء ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما يؤتونه ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ في الآخرة؛ وهو: الجنة.

الَّذِينَ يَرِثُصُوتُ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَةً يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَنْجِذُوا الْكَافِرِينَ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَرِيدُونَ أَنْ يَجْعَلُوا اللَّهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الذَّرِكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

[١٤٧] ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ﴾ نعمة ﴿وَأَمَنْتُمْ﴾ به، والاستفهام بمعنى النفي؛ أي: لا يعذبكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا﴾ لأعمال المؤمنين بالإثابة ﴿عَلِيمًا﴾ بخلفه.

(١) وهو قوله: ﴿الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ الْكَافِرِينَ أُولِيَاءَ﴾ [النساء: ١٣٩]، والأحسن أنه نعت ثان للمنافقين.

(٢) دفع بذلك ما يقال: إن الكفار بالمشاهدة لهم سبيل على المؤمنين في الدنيا، فأجاب بأن المعنى: أن الكفار لا يستأصلون المؤمنين، ويجاب أيضاً: أن المراد سبيلاً بالشرع؛ فإن شريعة الإسلام ظاهرة إلى يوم القيامة؛ فمن ذلك أن الكافر لا يرث المسلم، وليس له أن يملك عبداً مسلماً، ولا يقتل مسلماً بالذمعي.

(٣) وهذا تأويل لهذه الصفة التي أثبتها الله لنفسه، وسبق بيان مذهب السلف فيها وفي أمثالها في مواضع كثيرة ووجوب الإيمان بها وإثباتها لله على ما يليق به - سبحانه وتعالى - دون تأويل أو تعطيل أو تمثيل أو تكيف.

ويدعو عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾ لما يقال ﴿عَلِيمًا﴾ بما يفعل.

[١٤٩] ﴿إِنْ تَبَدُّوا﴾ تظهروا ﴿خَيْرًا﴾ من أعمال البر ﴿أَوْ تَخَفُوا﴾ تعلموه سرًا ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ ظلم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾.

[١٥٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُقْرِفُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴿بَأَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ دُونَهُمْ﴾ وَيَقُولُونَ قَوْلًا يَبْغِضُونَ ﴿بَعْضُ﴾ مِنَ الرسل ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ مِنْهُمْ ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُتَّخَذُوا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الكفر والإيمان ﴿سَبِيلًا﴾ طريقًا يذهبون إليه.

[١٥١] ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ مصدر مؤكد (٢) لمضمون الجملة قبله ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ذا إهانة؛ وهو: عذاب النار.

[١٥٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ كلهم ﴿وَلَمْ يُقْرِفُوا بَيْنَ أَلْحَرِ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمُ﴾ بالياء والنون (٣) ﴿أُجُورُهُمْ﴾ نواب أعمالهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمًا﴾ بأهل طاعته.

[١٥٣] ﴿يَسْأَلُكَ﴾ يا محمد ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود ﴿أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ جملة كما أنزل على موسى نعتًا؛ فإن استكبرت ذلك ﴿فَقَدْ سَأَلُوا﴾ أي: أبأؤهم ﴿مُوسَى أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ عيانًا ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّلَافَةَ﴾ الموت عقابًا لهم ﴿يُظْلِمُهُمْ﴾ حيث تَعَثَّوْا في السؤال ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلها ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ المعجرات على وحدانية الله ﴿فَعَقَبْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ ولم نستأصلهم ﴿وَوَاتَيْنَا مُوسَى شَارِعًا مُبِينًا﴾ تسلطًا بينًا ظاهرًا عليهم؛ حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبة فأطاعوه.

[١٥٤] ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ الجبل ﴿بِمِيقَتِهِمْ﴾ بسبب أخذ الميثاق عليهم؛ لـخافوا فقبلوه ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ﴾ وهو مفضل عليهم: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ﴾ باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجدوا انحناء ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا﴾ وفي قراءة بفتح العين وتشديد الدال (٤)، وفيه إدغام التاء في الأصل في الدال؛ أي: لا تعتدوا ﴿فِي السَّبْتِ﴾ باصطياد الحيتان فيه ﴿وَكَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ على ذلك فنقضوه.

﴿لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تَخَفُوا أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُقْرِفُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ قَوْلًا يَبْغِضُونَ بَعْضُ مِنَ الرسل وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ مِنْهُمْ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُتَّخَذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُقْرِفُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمُ أُجُورُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا رَحِيمًا﴾ ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّلَافَةَ يَظْلِمُهُمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَقَبْنَا عَنْ ذَلِكَ وَوَاتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيقَتِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾

[١٤٨] ﴿لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ من أحد؛ أي: يعاقبه عليه (١) ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ فلا يؤاخذه بالجهر به؛ بأن يخبر عن ظلم ظالمه

(١) وهذا تأويل لصفة المحبة التي أُلْهِمَتْها لنفسه ببعض لوازمها، وسبق بيان مذهب السلف في ذلك وإثباتها على ما يليق بجلاله - سبحانه ..

(٢) أي: وعامه محذوف ويقدر مؤخرًا عن الجملة المؤكدة لها، وتقديره: أحق حَقًّا.

(٣) بالنون قراءة السبعة عدا حمص.

(٤) لنافع، واجلس قالون حركة العين.



[١٥٥] ﴿فِيمَا نَقُصُّهُمْ﴾ «ما» زائدة، و«الباء» للسببية متعلقة بمحذوف؛ أي: لعناهم بسبب نقضهم ﴿وَيُشَقِّقُهُمْ وَيَكْفُرُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ فُلُونَا غُلْفٌ لَا نَعِي كَلَامَكَ﴾ «بَلْ طَلَعَ» ختم الله عليهما يكفرهم فلا تعي وغطا ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قِيلًا﴾ منهم؛ كعبدالله بن سلام وأصحابه.

[١٥٦] ﴿وَيَكْفُرُهُمْ﴾ ثاني بعيسى، وكرر الباء للفصل بينه وبين ما عطف عليه ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ هَتَّأْنَا عَظِيمًا﴾ حيث رموها بالزنا.

[١٥٧] ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ مفتخرين ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ في زعمهم<sup>(١)</sup>؛ أي: مجموع ذلك عذبناهم، قال - تعالى - تكذبا لهم في قتله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ المقتول والمصلوب - وهو صاحبهم - بعيسى؛ أي: ألقى الله عليه شبهه فظنوه إياه ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: في عيسى ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ من قتله؛ حيث قال بعضهم - لما رأوا المقتول؛ الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده -: فليس به، وقال آخرون: بل هو هو ﴿مَا هُمْ بِهِ﴾ بقتله ﴿مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعُ الظَّنِّ﴾ استثناء منقطع<sup>(٢)</sup>؛ أي: لكن يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ حال مؤكدة لنفي القتل [١٥٨] ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه.

[١٥٩] ﴿وَإِنَّ﴾ ما ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أحد ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ بعيسى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي: الكتابي حين يعاين ملائكة الموت؛ فلا ينفعه إيمانه، أو قبل موت عيسى<sup>(٣)</sup> لما ينزل قرب الساعة - كما ورد في حديث<sup>(٤)</sup> - ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ﴾ عيسى ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ بما فعلوه، لما بعث إليهم.

[١٦٠] ﴿فَيُظْلَمُونَ﴾ أي: فيسب ظلم ﴿مِنْ الَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود ﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أَجَلَتْ لَهُمْ﴾ هي التي في قوله - تعالى -: ﴿حَرَمَتْ كُلُّ ذِي ظُلْمٍ﴾<sup>(٥)</sup> الآية ﴿وَبَصَدَّهِمُ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه صفا كثيرا.

[١٦١] ﴿وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوا عَنْهُ﴾ في التوراة ﴿وَأَكْبَهُمُ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبُطْلِ﴾ بالرشا في الحكم ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما.

[١٦٢] ﴿لَكِنَّ الرَّاكِبِينَ﴾ الثابتون ﴿فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ كعبدالله بن سلام ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُهاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ﴾ يؤمنونك بما أنزل إليك وما أنزل من

فِيمَا نَقُصُّهُمْ مَيْتَقَهُمْ وَكُفْرُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ فُلُونَا غُلْفٌ بَلْ طَلَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَيَكْفُرُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَلِئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٦﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٧﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَوَعَدْنا الْقِيَمَةَ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٨﴾ فَيُظْلَمُونَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أَجَلَتْ لَهُمْ وَبَصَدَّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٥٩﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوا عَنْهُ وَأَكْبَهُمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبُطْلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦٠﴾ لَكِنَّ الرَّاكِبِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦١﴾

قَبْلَكَ ﴿١٦٢﴾ من الكتب ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ الصَّلَاةَ﴾ نصب على المدح<sup>(٦)</sup>، وفري بالرفع<sup>(٧)</sup> ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾ بالنون والياء<sup>(٨)</sup> ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنة.

(٥) ثالثة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها» ثم يقول أبو هريرة: «واقروا إن شئتم: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَوَعَدْنا الْقِيَمَةَ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾» البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٤٩) نزول عيسى ابن مريم، وأخرجه مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٧١) نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ.

(١) متعلق بقوله: ﴿فَيُظْلَمُونَ﴾، وفي نسخة «في زعمهم» بالإفراد؛ ويكون متعلقاً بقوله: ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾.

(٢) لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم.

(٣) وهذا وجه آخر في التفسير.

(٤) الأنعام: ١٤٦.

(٥) وذلك تعظيماً لشأنهم.

(٦) وهي قراءة شاذة.

(٧) بالياء قراءة حمزة.

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ۚ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ۚ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۚ لَكِنْ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ وَبِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُتُكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۚ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۚ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۚ ﴾

[١٦٣] ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَكَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ابْنِهِ ۚ وَيَعْقُوبَ ۚ ابْنِ إِسْحَاقَ ۚ وَالْأَسْبَاطِ ۚ أَوْلَادَهُ ۚ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ ﴾

وَأَتَيْنَا ﴿ دَاوُدَ زُبُورًا ﴾ بالفتح؛ اسم للكتاب الموثى، والضم (١)؛ مصدر بمعنى: مزبورا أي: مكتوبا.

[١٦٤] ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ روي أنه - تعالى - بعث ثمانية آلاف نبي؛ أربعة آلاف من إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس، قاله الشيخ (٢) في سورة غافر (٣) ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى ﴾ بلا واسطة ﴿ تَكْلِيمًا ﴾.

[١٦٥] ﴿ رُسُلًا ﴾ بدل من ﴿ رُسُلًا ﴾ قَبْلَهُ ﴿ مُبَشِّرِينَ ﴾ بالثواب من آمن ﴿ وَمُنْذِرِينَ ﴾ بالعقاب من كفر، أرسلناهم ﴿ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ ﴾ يقال ﴿ بَعْدَ ﴾ إرسال ﴿ الرُّسُلِ ﴾ إليهم فيقولوا: ﴿ رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُفِصَ مَا بَيْنَكَ وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) فيعناهم لقطع عذرهم ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا ﴾ في ملكه ﴿ حَكِيمًا ﴾ في صنعته.

[١٦٦] ﴿ وَنَزَّلْنَا سُلَيْمَانَ الْيَهُودَ عَنْ نُبُوتهِ ۚ فَانْكُرُوهُ ۚ لَكِنْ اللَّهُ يَشْهَدُ ﴾ (٥) بين نبوتك ﴿ يَمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾ من القرآن المعجز ﴿ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ ملتبسا ﴿ بِعِلْمِهِ ﴾ أي: علما به، أو وفيه علمه ﴿ وَالْمَلَكُتُكُ يَشْهَدُونَ ﴾ لك أيضا ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ على ذلك.

[١٦٧] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بالله ﴿ وَصَدُّوا ﴾ الناس ﴿ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ دين الإسلام بكنيتهم نفث محمد ﷺ، وهم: اليهود ﴿ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ عن الحق.

[١٦٨] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بالله ﴿ وَظَلَمُوا ﴾ نبيه بكنمان نعته ﴿ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾ من الطرق.

[١٦٩] ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ ﴾ أي: الطريق المؤدي إليها ﴿ خَالِدِينَ ﴾ مقدرين الخلود ﴿ فِيهَا ﴾ إذا دخلوها ﴿ أَبَدًا ﴾ وكان ذلك على الله يسيرا ﴿ هُنَا ۚ ﴾

[١٧٠] ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ ﴾ محمد ﷺ ﴿ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا ﴾ به، وانصدوا ﴿ خَيْرًا لَكُمْ ﴾ مما أنتم فيه ﴿ وَإِنْ تَكْفُرُوا ﴾ به ﴿ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ملكا وخلقاً وعبداً؛ فلا يضره كفركم ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ﴾ بخلقهم ﴿ حَكِيمًا ﴾ في صنوعهم بهم.

(١) وهي قراءة حمزة.

(٢) أي: الجلال المحلي.

(٣) أي: عند تفسير قوله - تعالى - ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [عافر: ٧٨].

(٤) القصص: ٤٧.

(٥) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس [الدر المنثور (٤٣٩/٦)]. وإسناده ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (٥٢٠/١).

[١٧١] ﴿يَتَأَمَّلَ الْكِتَابَ﴾ الإنجيل ﴿لَا تَقُولُوا﴾ تجاوزوا الحد ﴿فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْقَوْلَ﴾ الْحَقُّ ﴿مَنْ تَزِيهَهُ عَنِ الشَّرِيعَةِ وَالْوَلَدَ﴾ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَذَّبْتَهُ أَفَلَنهَا أَوْصَلَهَا اللَّهُ ﴿إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٍ﴾ أي: ذو روح ﴿مِنْهُ﴾ أَضْيَفَ إِلَيْهِ - تَشْرِيفًا لَهُ، وَلَيْسَ كَمَا زَعَمَتِ ابْنُ اللَّهِ، أَوْ إِلَهًا مَعَهُ، أَوْ ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ؛ لِأَنَّ ذَا الرُّوحِ مَرْكَبٌ، وَالْإِلَهَ مَنْزَعٌ عَنِ التَّرْكِبِ وَعَنِ نَسَبِ الْمَرْكَبِ إِلَيْهِ <sup>(١)</sup> ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. وَلَا تَقُولُوا لِلْأَلْهَةِ﴾ ثَلَاثَةٌ ﴿اللَّهُ وَعِيسَى وَأُمُّهُ﴾ أَتَنَّهُوا ﴿عَنْ ذَلِكَ وَاتُّرَا﴾ ﴿خَيْرًا لَكُمْ﴾ مِنْهُ؛ وَهُوَ: التَّوْحِيدُ ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَنَهُ﴾ تَزِيهًا لَهُ عَنْ ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمْ وَلَدٌ لَهُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خَلْقًا وَمَلَكًا وَعَبِيدًا، وَالْمَلَكِيَّةُ تَنَافِي النُّبُوَّةَ ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ شَهِيدًا عَلَى ذَلِكَ.

[١٧٢] ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ﴾ يَتَكَبَّرُ وَيَأْنَفُ ﴿الْمَسِيحُ﴾ الَّذِي زَعَمْتُمْ أَنَّهُ إِلَهُ عَنْ ﴿أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَكُ الْمَقْرُونُ﴾ عِنْدَ اللَّهِ لَا يَسْتَنْكِفُونَ أَنْ يَكُونُوا عِبِيدًا، وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْإِسْتِطْرَادِ، ذِكْرُ اللَّوْدِ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّهَا آلِهَةٌ أَوْ بَنَاتُ اللَّهِ، كَمَا رَدَّ بِمَا قَبْلَهُ عَلَى النَّصَارَى الزَّاعِمِينَ - ذَلِكَ الْمَقْصُودُ - خَطَابَتُهُمْ ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِي. وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيَّ جَمِيعًا﴾ فِي الْآخِرَةِ.

[١٧٣] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ، وَلَا أَذْنَ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ عَنْ عِبَادَتِهِ ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مُؤَلِمًا؛ هُوَ: عَذَابُ النَّارِ ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَي: غَيْرِهِ ﴿وَلِيًّا﴾ يَدْفَعُهُ عَنْهُمْ ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يَنْصُرُهُمْ مِنْهُ. [١٧٤] ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ هُوَ: النَّبِيُّ ﷺ ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ بَيِّنًا؛ وَهُوَ: الْقُرْآنُ.

[١٧٥] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ مَتْنِ

يَتَأَمَّلَ الْكِتَابَ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْقَوْلَ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَذَّبْتَهُ أَفَلَنهَا أَوْصَلَهَا اللَّهُ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٍ مِنْهُ فَتَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَتَنَّهُوا عَنْ ذَلِكَ وَاتُّرَا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا <sup>(١)</sup> أَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَكُ الْمَقْرُونُ وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِي وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيَّ جَمِيعًا <sup>(٢)</sup> فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا <sup>(٣)</sup> يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا <sup>(٤)</sup> فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ مَتْنِ وَفَضْلٍ وَهَدْيِهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا <sup>(٥)</sup>

وَفَضْلٍ وَهَدْيِهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا طَرِيقًا ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ هُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ.

(١) وهذه الألفاظ محدثة ومهمة، فإن كان يقصد منها نفي الصفات التي أنبتها الله لنفسه أو أنبتها له رسوله ﷺ من اليد والقدم وغيرها؛ فهو باطل، وإن كان يقصد منها نفي صفات النقص عنه - سبحانه - فهو حق، ولكن التعبير عن ذلك بعبارات السلف أسلم وأولى.

﴿إِنْ كَانَتْ﴾ أي الأخان ﴿أَثْنَيْنِ﴾ أي: فصاعداً؛ لأنها نزلت في جابر وقد مات عن أخوات<sup>(١)</sup> ﴿فَلَهُمَا الثَّانِي مِمَّا تَرَكَ﴾ الأخ ﴿وَلِنْ كَانُوا﴾ أي: الورثة ﴿إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلَهُمَا مِمَّا تَرَكَ﴾ منهم ﴿وَمِنْ حَظِّ الْأَثْنَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ شرائع دينكم لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَصِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه الميراث، روى الشيخان عن البراء: أنها آخر آية نزلت؛ أي: من الفرائض<sup>(٢)</sup>.

### سورة المائدة

[مدنية، وآياتها مائة وعشرون آية<sup>(٣)</sup>]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ العهد المؤكدة التي بينكم وبين الله والناس ﴿أَحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَمْثَرِ﴾ الإبل والبقر والغنم أكلاً بعد الذبح<sup>(٤)</sup> ﴿إِلَّا مَا يَمْلِكُ عَلَيْكُمْ﴾ تحريره في ﴿حُرْمَتِ عَلَيْكُمْ الْأَيْمَةِ﴾<sup>(٥)</sup> الآية، فالاستثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً، والتحرير لما غرض من الموت<sup>(٦)</sup> ونحوه ﴿غَيْرَ مُجْلِ الْقَيْدِ وَأَنْتُمْ حُرٌّ﴾ أي: مُخْرَجُونَ، ونصب ﴿غَيْرَ﴾ على الحال من ضمير ﴿لَكُمْ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرِيدُ﴾ من التحليل وغيره لا اعتراض عليه.

[٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا سَعْيَكُمْ﴾ جمع سعيعة؛ أي: معالم دينه؛ بالصيد في الإحرام ﴿وَلَا التَّهَرَّجُوا﴾ بالقتال فيه ﴿وَلَا الْمُدَى﴾ ما أهدي إلى الحرم من الثعم بالعرض له ﴿وَلَا الْقَتْلَ﴾ جمع قلاعة؛ وهي: ما كان يقلد به من شجر الحرم ليأمن؛ أي: لا تعرضوا لها ولا لأصحابها ﴿وَلَا تَحْلُوا﴾ تحلوا ﴿مَائِينَ﴾ قاصدين ﴿الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ بأن تقاتلوه<sup>(٧)</sup> ﴿يَنْتَعُونَ﴾ قتلًا رزقاً ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ بالنجارة ﴿وَرِضْوَانًا﴾ منه بقصده بزعمهم الفاسد، وهذا منسوخ بآية براءة<sup>(٨)</sup> ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ من الإحرام ﴿فَاصْطَادُوا﴾ أمر بإباحة ﴿وَلَا يَجُوزُ عَلَيْكُمْ﴾ يكسبكم ﴿سَعْيَانِ﴾ بفتح النون وسكونها<sup>(٩)</sup>؛ بعض ﴿فَوْرٍ﴾ لأجل ﴿أَنْ صَدُوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ عليهم بالقتل وغيره ﴿وَتَمَازُونَا عَلَى الْبَرِّ﴾ بفعل ما أمرتم به ﴿وَالْتَقَوْا﴾ بترك ما نهيتهم عنه ﴿وَلَا تَمَازُونَا﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿عَلَى الْبَرِّ﴾ المعاصي ﴿وَالْمَدُونِ﴾ التعدي في حدود الله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالفه.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفَيِّسُكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمَرُوا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثَّانِيانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

### سورة المائدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْعَمِ إِلَّا مَا يُكَلِّ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُجْلِ الْقَيْدِ وَأَنْتُمْ حُرٌّ إِنْ اللَّهُ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا سَعْيَكُمْ اللَّهُ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِنَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجُوزُ مِنْكُمْ شَيْءٌ أَنْ صَدُّوا عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

[١٧٦] ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ في الكلاله<sup>(١)</sup> ﴿قُلِ اللَّهُ يُفَيِّسُكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ إِنْ أَمَرُوا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثَّانِيانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٧٦): أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله قال: مرضت فأتاني رسول الله ﷺ وأبو بكر يهوداني ماشيين فأعمني عليّ، فوضاً ثم صب عني من وضوئه فأقمت. قلت: يا رسول الله كيف أقضي في مالي؟ فلم يرُدْ عليّ شيئاً حتى نزلت آية الميراث: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفَيِّسُكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ مسلم - كتاب الفرائض (٢٣) - باب (٢) ميراث الكلاله.

(١) اختلف في المراد بالكلاله؛ وأصح الأقوال فيها هي أن يموت الميت وليس له فرع ولا أصل.

(٢) لأن الجملة الشرطية لا يليها إلا الفعل ولو تقديرًا.

(٣) البخاري (١٩٤) س حديث جابر، وأخرج نحوه مسلم (١٦١٦).

(٤) البخاري (٤٦٠٥)، ومسلم (١٦١٨).

(٥) في نسخة: مدنية، مائة وعشرون أو: وثلاث أو: ثلاث آية.

(٦) لو قال: «بعد التذكية» لكان أحسن؛ يشتمل البحر - أيضًا.

(٧) وهي عشرة أشياء مطعومة كما جاءت في الآية: أولها الميتة وأخرها ما ذبح على النصب.

(٨) لأن ما قبل ﴿وَلَا﴾ فيما أحل. وما بعدها فيما حرم؛ أي: ما بعدها مغاير لما قبلها في الحكم والاتصال إذا كانا متفقين في الحكم، ويلزم من ذلك أن كل استثناء منقطع؛ لأن ما بعد ﴿وَلَا﴾ دائماً مخالف لما قبلها منقطعاً كان أو متصلاً. وأهل اللغة على أن الاستثناء المتصل أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، والمنقطع أن يكون من غير جنسه.

(٩) وإن حمل على غير القتال؛ كالظلم، فليس بمنسوخ.

(١٠) أي: قوله: ﴿وَلَا التَّهَرَّجُوا الْحَرَامَ وَلَا الْمُدَى وَلَا الْقَتْلَ﴾ الآية [المائدة: ٢]، وليس في المائدة منسوخ غير هذه الآية.

(١١) بالسكون قراءة شعبة وابن عامر.

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَزِيرِ وَمَا أَهْلَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ  
وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْفُودَةُ وَالْمَرْوِيَّةُ وَالطَّيْحَةُ وَمَا أَكَلَ  
السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا  
بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقِ الْيَوْمَ يَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا  
تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكَلَتْ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ  
نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ  
غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ١٢ يَسْتَأْذِنُكَ مَاذَا  
أَجَلَ لَهُمْ قُلْ أَجَلَ لَكُمْ الطَّيْبَةُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ  
مُكَلِّينَ يُعَاوَنُوهِنَّ فَمَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ  
وَاذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ١٣  
الْيَوْمَ أَجَلَ لَكُمْ الطَّيْبَةُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ  
وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ  
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ  
مُحْصِنِينَ غَيْرِ مُسْلِفِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ  
بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ١٤

لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ الْحَارِمَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
مِن قَبْلِكُمْ حَلٌّ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنْهُمْ ١٢ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ  
مُحْصِنِينَ ١٣ وَغَيْرُ مُسْلِفِينَ ١٤ مَعْلَنِينَ بِالزَّنا بَيْنَهُمْ وَلَا  
مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ١٥ مِنْهُمْ، تَسْرُونَ بِالزَّنا بَيْنَهُمْ ١٦ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ ١٧  
يَرْتَدُّ ١٨ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ١٩ الصَّالِحُ قَبْلَ ذَلِكَ؛ فَلَا يَعْتَدُ بِهِ، وَلَا يَنْبَأُ عَلَيْهِ  
٢٠ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٢١ إِذَا مَاتَ عَلَيْهِ.

[٣] حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ أَي: أكلها ١٢ وَالْدَّمُ أَي: المسفوح - كما  
في الأنعام ١١. وَتَحْمُ الْخَنَزِيرِ وَمَا أَهْلَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ، بَأَن ذُبِحَ عَلَى اسم غيره  
وَالْمُنْخَفَقَةُ الميته خنقاً ١٣ وَالْمَوْفُودَةُ المقتولة يضطج أخرى لها ١٤ وَمَا أَكَلَ  
السَّبُعُ منه ١٥ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ أَي: أدرستم فيه الروح من هذه الأشياء  
فَذَبَحْتُمُوهُ، وَمَا ذُبِحَ عَلَى اسم ١٦ النَّصَبِ جمع نصاب؛ وهي: الأصنام  
وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا ١٧ تطلبوا القسم والحكم ١٨ بِالْأَزْلَمِ جمع زلم - يفتح  
الزاي وضمها مع فتح اللام -: قدح - بكسر القاف - صغير لا ريش له ولا  
نصل، وكانت سبعة عند سادن الكعبة، عليها أعلام، وكانوا يحكمونها؛ فإن  
أمرتهم اتسمروا وإن نهيتهم انتهوا ١٩ ذَلِكُمْ فَسُقِ ٢٠ حُجُوج عن الطاعة، ونزل  
يوم عرفة عام حجة الوداع ٢١. الْيَوْمَ يَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ ٢٢ أَن  
ترتدوا عنه بعد طمعهم في ذلك لما رأوا من قوته ٢٣ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ  
أَكَلَتْ لَكُمْ دِينَكُمْ ٢٤ أحكامه وفرائضه، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام  
وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ٢٥ بإكمالها، وقيل: بدخول مكة آمين ٢٦ وَرَضِيتُ  
أَي: اختَرْتُ ٢٧ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ ٢٨ مَجَاعَةٍ إِلَى أَي  
شيء مما حرم عليه فأكله ٢٩ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ ٣٠ مائل ٣١ لِإِثْمٍ ٣٢ معصية ٣٣ فَإِنَّ اللَّهَ  
عَفُورٌ ٣٤ لَه مَا أَكَلَ ٣٥ رَحِيمٌ ٣٦ به في إباحته، بخلاف المائل للإثم؛ أَي: التلبس  
به كقواطع الطريق والباغي مثلاً؛ فَلَا يَحِلُّ لَهُ الْأَكْلُ.

[٤] يَسْتَأْذِنُكَ يَا مُحَمَّدٌ ٣٧ مَاذَا أَجَلَ لَهُمْ ٣٨ مِنَ الطَّعَامِ ٣٩ قُلْ أَجَلَ لَكُمْ  
الطَّيْبَةُ ٤٠ الْمُسْتَلَذَاتُ ٤١ وَصِيدٌ ٤٢ مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ ٤٣ الْكُوَاكِبُ مِنَ  
الكلاب والسباع والطيور ٤٤ مُكَلِّينَ ٤٥ حَالٌ مِنْ كَلْبَتِ الْكَلْبِ - بالتشديد ؛  
أَي: أرسلته على الصيد ٤٦ تَعْلُوبُونَهُ ٤٧ حَالٌ مِنْ ضَمِيرٍ ٤٨ مُكَلِّينَ ٤٩ أَي:  
تؤدبونهم ٥٠ يَمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ٥١ مِنْ آدَابِ الصَّيْدِ ٥٢ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ٥٣ وَإِنْ  
قُتِلَتْهُ، بَأَن لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ، بخلاف غير المعلمة؛ فَلَا يَحِلُّ صيدها، وَغَلَامَتُهَا ٥٤  
أَنْ تَشْتَرِيَهَا إِذَا أُزِيلَتْ وَتَنْزَحِرَ إِذَا رُجِرَتْ، وَتَمْسِكُ الصَّيْدَ وَلَا تَأْكُلْ مِنْهُ،  
وَأَقْلُ مَا يَعْرِفُ بِهِ ثَلَاثُ مَرَّاتٍ، فَإِنْ أَكَلَتْ مِنْهُ فَلَيْسَ بِمَا أَمْسَكْنَ عَلَى  
صاحبها؛ فَلَا يَحِلُّ أَكْلُهُ كَمَا فِي حَدِيثِ الصَّحِيحِينَ وَفِيهِ: «أَنْ صَيَّدَ الشَّهْمُ  
إِذَا أُزِيلَ وَدُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَصَيْدِ الْمُعْلَمِ مِنَ الْجَوَارِحِ» ٥٥. «وَاذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ  
عَلَيْهِ» عِنْدَ إِسْرَائِيلَ ٥٦ «وَأَقْفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» ٥٧.

[٥] الْيَوْمَ أَجَلَ لَكُمْ الطَّيْبَةُ ٥٨ الْمُسْتَلَذَاتُ ٥٩ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
أَي: ذبائح اليهود والنصارى ٦٠ حَلٌّ ٦١ حلال ٦٢ نَكْرٌ ٦٣ وَطَعَامُكُمْ ٦٤ إِيَّاهُمْ ٦٥

(١) أَي: فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى -: «هُوَ ذِمَّةٌ مُشْتَرَاةٌ» [الأنعام: ١٤٥].

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٤٠٧)، وَمُسْلِمٌ (٣٠١٧).

(٣) هَذَا تَأْوِيلٌ لَصِفَةِ الرِّضَا الثَّانِيَةِ لِلَّهِ ﷻ عَلَى الرَّجُلِ الَّذِي يَلِيْقُ بِهِ سَبْحَانَهُ. وَمِنْ لُزَامِهَا أَنَّهُ اخْتَارَ مَا رَضَاهُ مِنَ الدِّينِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ.

(٤) ذَكَرَ أَرْبَعَ عِلَامَاتٍ وَهِيَ مُعْتَبَرَةٌ فِي الْكَلْبِ وَالسَّبُعِ، وَأَمَّا الطَّيْرُ فَلَا يُعْتَبَرُ فِيهِ إِلَّا قَبْدَانٌ: أَلَا يَأْكُلُ مِنْهُ، وَإِذَا أُرْسِلَ اسْتَرْسَلَ، وَيَرَى مَالِكًا أَنْ الْأَكْلَ يَسِ قَبْدًا كَذَلِكَ فِي الْكَلْبِ وَالسَّبُعِ، وَلَمْ يَأْخُذْ بِالْحَدِيثِ.

(٥) لَا يُوْجِدُ بِهَذَا اللَّفْظِ فِي الصَّحِيحِينَ وَلَكِنْ يَسْتَفَادُ هَذَا الْحُكْمُ مِنْ أَحَادِيثَ فِيهِمَا. انْظُرْ: الْبُخَارِيُّ (٥٠٦٢)، وَمُسْلِمٌ (٣٥٦٥).

(٦) ذَهَبَ الْمُصَنِّفُ إِلَى أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ إِلَى «مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ»، وَقِيلَ: عَائِدٌ إِلَى «مَا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ»؛ أَي: سَمَا اللَّهَ إِذَا أَدْرَكْتُمْ ذِكَاةً.

ألقوا المسح بها من غير إمالة ماء، وهو اسم جنس فيكفي أقل ما يصدق عليه؛ وهو: مسح بعض شفره<sup>(٣)</sup>، وعليه الشافعي **﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾** بالنصب، عطفًا على **﴿وَأَيْدِيَكُمْ﴾**، وبالجر على الجوار<sup>(٤)</sup> **﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾** أي: معها - كما يثبت الشئ<sup>(٥)</sup> ١. وهما: العظام الناتان في كل رجل عند مفصل الساق والقدم، والفصل بين الأيدي والأرجل المغسولة بالرأس المسح يغيد وجوب الترتيب في طهارة هذه الأعضاء، وعليه الشافعي، ويؤخذ من السنة وجوب النية فيه كغيره من العبادات **﴿وَأَنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطْفَرُوا﴾** فاعتسلوا **﴿وَأَنْ كُنْتُمْ مَرْتَجِينَ﴾** مرضًا يضره الماء **﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾** أي: مسافرين **﴿أَوْ جَسَدًا أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾** أي: أخذت **﴿أَوْ لَنَسَمْتُمُ النِّسَاءَ﴾** سبق مثله في آية النساء **﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً﴾** بعد طلبه **﴿فَتَيَمَّمُوا﴾** أقصدوا **﴿صَدِيدًا طَيِّبًا﴾** ترابًا طاهرًا **﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾** مع المرفقين **﴿وَبَنَةً﴾** بضربتين<sup>(٦)</sup>، والباء للإلصاق، وَبَنَتِ الشَّئَ أن المراد استيعاب العضوين بالمسح<sup>(٧)</sup> **﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾** ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم **﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾** من الأحداث والذنوب **﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾** بالإسلام؛ ببيان شرائع الدين **﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** نعمة<sup>(٨)</sup>.

[٧] **﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾** بالإسلام **﴿وَمِنْ نِعْمَتِهِ﴾** عهده **﴿الَّذِي وَافَّقَكُمْ بِهِ﴾** عاهدكم عليه **﴿إِذْ قُلْتُمْ﴾** للنبي ﷺ حين بايعتموه: **﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾** في كل ما تأمر به وتنهى؛ بما نحب ونكره **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾** في ميثاقه أن تنقضوه **﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** بما في القلوب، فغيره أولى.

[٨] **﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُرُوبًا قَوْمِينَ﴾** قائمين **﴿لِلَّهِ﴾** بحقوقه **﴿شُهَدَاءَ يَأْتِسُطُ بِالْعَدْلِ﴾** ولا يجرمكم **﴿يَحْمِلَتُكُمْ سَنَنُكُمْ﴾** بنفص **﴿قَوْمٍ﴾** أي: الكفار **﴿عَلَىٰ أَلَّا تَعْدُوا﴾** فتناولوا منهم؛ لعداوتهم **﴿أَعْدُوا﴾** في العدو والولي **﴿هُوَ﴾** أي: العدل **﴿أَقْرَبُ لِلْقَوَىٰ وَأَتَقُوا﴾** **﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾** فيجازيكم به.

[٩] **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** وعدًا حسنًا **﴿لَهُمْ مَقْرَرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾** هو الجنة.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطْفَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَنَسَمْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٦ وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٧ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُرُوبًا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ يَأْتِسُطُ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدُوا أَعْدَاؤُهُمْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَقْرَرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ٩

[٦] **﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ﴾** أي: أردتم القيام **﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾** وأنتم محدثون **﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾** أي: معها - كما يثبت الشئ<sup>(١)</sup> - **﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾** الباء للإلصاق<sup>(٢)</sup>؛ أي:

(٥) ما جاء في نزول الآية (٦): أخرجه البخاري عن عائشة **﴿سَقَطَتْ قِلَادَةٌ لِي بِالْيَدِ﴾** ونحن داخلون المدينة - فأناب النبي ﷺ ونزل، فنتى رأسه في حجري راقداً. أقبل أبو بكر فلكرني لكزة شديدة وقال: حبست الناس في قِلَادَةٍ؟ في الموت لكان رسول الله ﷺ وقد أوجعني، ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد؛ فنزلت: **﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾** الآية. قال أسيد بن حصير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر، ما أنتم إلا بركة لهم. البخاري - التفسير (٦٥) - سورة المائدة (٥) باب (٣).

(١) من حديث وائل بن حجر الحضرمي أن النبي ﷺ غسل في وضوئه يمينه ويساره، حتى جاوز المرفق ثلاثاً، وغسل رجله حتى حاوز الكعبين. أخرجه الدارقطني من حديث عثمان، وأخرجه الدارقطني والبيهقي عن جابر، وأخرجه الزبair والطبراني من حديث وائل بن حجر، وأخرجه الطحاوي والطبراني من حديث ثعلبة بن عباد عن أبيه مرفوعاً [فتح الباري (٣٥٠/١)]. وانظر: صحيح الجامع (٤٦٩٨)، والسلسلة الصحيحة (٩٩/٥).

(٢) وقيل: للتبعض. وهو قول مرجوح.  
(٣) وقال أبو حنيفة: يجب مسح الجميع كما يجب مسح الوجه في التيمم. وهو الصحيح.  
(٤) قراءة الجرارين كثير وأبي عمرو وحزمة وشعبة، وقوله: «على الجوار»؛ أي: فهو في المعنى منصوب بفتحة مقدرة على آخره، واعترض على هذا بأنه لم يرد الجار بالمجاورة إلا في النعت، والأولى أن يقال: إنه مجرور بنفاذ معنى، معطوف على الرؤوس، والمسح مسلط عليه ويحمل على حالة ليس الخف.  
(٥) كما تقدم قربنا في حديث وائل بن حجر.  
(٦) حديث الضربتين ضعيف، والصحيح أن التيمم ضربة واحدة كما في حديث عمار عند البخاري مرفوعاً: «إنما كان يكفيك هكذا»، ونفع فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه. البخاري (٣٤٧).  
(٧) حديث زوي عن ابن عمر عند الدارقطني (١٨٠/١) مرفوعاً، وصحح الأئمة وقفه على ابن عمر.

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

[١١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ هُمْ قَرِيشٌ وَأَن يَسْطُوا﴾ يمدوا ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ هُمْ قَرِيشٌ وَأَن يَسْطُوا﴾ ليفتكوا بكم ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ وعصمكم مما أرادوا بكم ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ<sup>(١)</sup>

[١٢] ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ بما يذكر بعد<sup>(٢)</sup> ﴿وَبَعَثْنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة - أقمنا ﴿مِنْهُمْ أَنَّى عَشَرَ نَفِيسًا﴾ من كل سبط نقيب يكون كفيلاً على قومه؛ بالوفاء بالعهد توثقة عليهم ﴿وَقَالَ لَهُمْ﴾ ﴿اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بالعون والصرة ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ﴾ وَأَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ ﴿وَأَمَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾ وَعَزَّرْتُمُوهُمْ ﴿نَصَرْتُمُوهُمْ﴾ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴿بِالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ﴾ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْبَاقِ﴾ الميثاق ﴿مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أخطأ طريق الحق؛ والسواء في الأصل: الوسط، فنقضوا الميثاق.

[١٣] قال الله - تعالى -: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ﴾ «ما» زائدة ﴿مِيثَاقَهُمْ لَعْنَهُمْ﴾ أبعدناهم عن رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ لا تلين لقبول الإيمان ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ الذي في التوراة من نعت محمد ﷺ وغيره ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله عليها؛ أي: يبدلونه ﴿وَنَسُوا﴾ تركوا ﴿حَظًّا﴾ نصيباً ﴿فِيمَا ذُكِّرُوا﴾ أمروا ﴿بِهِ﴾ في التوراة من اتباع محمد ﷺ ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿تَطَّلِعُ﴾ تظهر ﴿عَلَى خَائِنَةٍ﴾ أي: خيانة ﴿وَمِنْهُمْ﴾ بنقض العهد وغيره ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ من أسلم ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وهذا منسوخ بآية السيف<sup>(٣)</sup>.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ هُمْ قَرِيشٌ وَأَن يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا نَقُضُهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

(١) فائدة: قال الألوسي: «والآية إشارة إلى ما أخرجه مسلم وغيره من حديث جابر أن المشركين رأوا أن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله تعالى عنهم بمسفات قاموا إلى الطهر مقاً، فلما صلوا ندبوا ألا كانوا أكبروا عليهم، وهما أن يوقعوا بهم إذا قاموا إلى صلاة العصر؛ فرد الله تعالى كيدهم بأن أنزل صلاة الخوف...».

وقبل غير ذلك. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٢٤/٦، ١٢٥).

(٢) أي: من قوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ الآية [التائدة: ١٢].

(٣) وهي الآية الخامسة من سورة التوبة.

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْلَوُكُمْ كَثِيرٌ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ وَسَلُّوسُ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

[١٤] ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي﴾ متعلق بقوله: ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ كما أخذنا على بني إسرائيل العهد، ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ في الإنجيل؛ من الإيمان وغيره، ونقضوا الميثاق ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ بتفرقهم واختلاف أهوائهم، فكل فرقة تكفر الأخرى ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه.

[١٥] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ﴾ تكتمون ﴿وَمِنَ الْكِتَابِ﴾ التوراة والإنجيل؛ آية الرجم وصفته <sup>(١)</sup> ﴿وَيَعْلَوُكُمْ كَثِيرٌ﴾ من ذلك؛ فلا يبينه إذا لم يكن فيه مصلحة إلا إفضاحكم. ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ هو النبي ﷺ ﴿وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ قرآن ﴿مُبِينٌ﴾ بَيِّنٌ ظَاهِرٌ.

[١٦] ﴿يَهْدِي بِهِ﴾ أي: بالكتاب ﴿اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ بأن آمن ﴿سَلُّوسُ السَّلَامِ﴾ طرق السلامة ﴿وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام.

[١٧] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ حيث جعلوه إلهاً، وهم العقويّة - فرقة من النصارى <sup>(٢)</sup> - ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ﴾ أي: يدفع ﴿وَمِنَ الْعَذَابِ﴾ عذاب ﴿اللَّهُ سَيِّئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي: لا أحد يملك ذلك، ولو كان المسيح إلهاً؛ لقدّر عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَاءٌ <sup>(٣)</sup>﴾ هَدِيرٌ﴾

(١) فائدة: أخرج الحاكم (٤/٤٠٠) وغيره عن ابن عباس ؓ قال: (من كفر بالرجم، فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحاسب. وذلك قول الله ﷻ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٧٦/١٠) وصححه الأرنؤوط. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٤٤٢٠).

(٢) بل هذا هو معتقد عامتهم.

(٣) والأولى الإطلاق وعدم التقييد. كما أطلق الله ﷻ، ورسوله ﷺ، كما أنه أكمل في الصفة، والله أعلم.







[٣٢] ﴿وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ الذي فعله قابيل ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا يَغْتَرِ نَفْسًا يَغْتَرِ نَفْسًا﴾ قتلها ﴿أَوْ﴾ بغير فساده ﴿أَنَّهُ﴾ في الأرض ﴿مَنْ كَفَرَ أَوْ رَدَّ أَوْ قَطَعَ طَرِيقًا أَوْ نَحْوَهُ﴾ فَكَانَ قَتْلَ النَّاسِ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَتْ أَحْيَا النَّاسِ جَمِيعًا ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجرات ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَكُفْرٌ﴾ مجاوزون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك.

[٣٣] ونزل في العرينين - لما قدموا المدينة وهم مرضى<sup>(١)</sup>؛ فأذن لهم النبي ﷺ أن يخرجوا إلى الإبل ويشربوا من آبائها وألبانها، فلما ضحكوا قتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الإبل :- ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ بِمُحَارَبَةٍ مِّنَ الْأَرْضِ وَوَسِعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بقطع الطريق ﴿أَن يُقْتَلُوا أَوْ يُكَلِّبُوا أَوْ يُقَطِّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ﴾ أي: أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ ﴿أَوْ﴾ لترتيب الأحوال، فالقتل لمن قتل فقط، والصلب لمن قتل وأخذ المال، والقطع لمن أخذ المال ولم يقتل، والنفي لمن أخاف فقط، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي<sup>(٢)</sup>، وأصح قوليه: أن الصلب ثلاثاً<sup>(٣)</sup> بعد القتل، وقيل: قبله قليلاً. ويلحق بالنفي ما أشبهه في التشكيل من الخيس وغيره<sup>(٤)</sup> ﴿ذَلِكَ﴾ الجزاء المذكور ﴿لَهُمْ جِزْيٌ﴾ ذل ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو عذاب النار.

[٣٤] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من المحاربين والْقَطَّاعِ ﴿مَنْ قَبْلَ أَن تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ﴾ لهم ما أتوه ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم، عتبر بذلك دون ﴿فلا تحذوهم﴾؛ ليفيد أنه لا يسقط عنه توبته إلا حدود الله دون حقوق الآدميين، كذا ظهر لي، ولم أر من تعرض له، والله أعلم. فإذا قتل وأخذ المال يقتل ويقطع ولا يصلب<sup>(٥)</sup>، وهو أصح قول الشافعي، ولا تنفد توبته بعد القدرة عليه شيئاً، وهو أصح قوليه أيضاً<sup>(٦)</sup>.

[٣٥] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفَقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه؛ بأن تطيعوه ﴿وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا ﴿إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ ما يقربكم إليه من طاعته ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿لَقَدْ تَقْلِبُونَ﴾ تموزون.

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا يَغْتَرِ نَفْسًا أَوْ فَسَادًا فِي الْأَرْضِ فَكَانَ قَتْلَ النَّاسِ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَتْ أَحْيَا النَّاسِ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَكُفْرٌ لَّكَرُفُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَّحِيمٌ ﴿٣٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفَقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ تَبَتْ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَوَسَّعُ لَعْنُهُمْ لِيُفْتَدُوا بِهِ، مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

[٣٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ تَبَتْ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَوَسَّعُ لَعْنُهُمْ لِيُفْتَدُوا بِهِ، مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٣٣، ٣٤): أخرج النسائي عن أنس: أن نفرًا من عُكْلٍ قدموا على النبي ﷺ فاجتوا المدينة فأمرهم النبي ﷺ أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من آبائها وألبانها ففعلوا، فقتلوا راعيها واستاقوها، فبعث النبي ﷺ في طلبهم قال: فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم، وسخر أعينهم، ولم يحسمهم، وتركهم حتى ماتوا، فانزل الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ﴾ الآية. النسائي - كتاب تحريم الدم (٣٧) باب (٧)، والحديث عند البخاري بدون ذكر نزول الآية.

البخاري - كتاب الوضوء (٤) باب (٦٦) أبواب الإبل والدواب والغنم ومرايضها.

(١) لم أجده عن ابن عباس أو غيره، وأخرج ابن جرير (٢٠٢/٤) عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَتْلَ النَّاسِ جَمِيعًا﴾ قال: أوق نفسه كما لو قتل الناس جميعًا. وفي قوله: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ قال: من سلم من قتلها. وانظر أيضًا: [الدر المنثور (٦٤/٣)]. وروى الشيخان عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ليس من نفس تقتل ظلمًا، إلا كان على ابن آدم الأول كفل - أي نصيب - من دمها؛ لأنه أول من سن القتل». البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (٤٤٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٩٨) والنسائي (٣٩٥٩) عن أنس بن مالك، والقصة في البخاري ومسلم بدون ذكر أنها سبب لنزول الآية. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣٧٥٨).

(٣) وعند مالك: ﴿أَوْ﴾ على بابها للتخيير، لكن بحسب ما يراه الحاكم.

(٤) أي: ثلاثة أيام.

(٥) وعند مالك: النفي لإبعاده عن الأرض مسافة قصر، ولا يكفي الحيس.

(٦) أي: إذ تاب قبل القدرة عليه؛ فلا يسقط في هذه الحال المذكورة إلا الصلب؛ لأنه من حق الله.

الكوع، وَيَنْتَبِثُ الشَّئُ أَنْ الَّذِي<sup>(١)</sup> يقطع فيه ربع دينار فصاعداً، وأنه إذا عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليد اليسرى ثم الرجل اليمنى، وبعد ذلك يعز<sup>(٢)</sup> ﴿جَزَاءً﴾ نصب على المصدر ﴿يَمَّا كَسَبَا نَكَالاً﴾ عقوبة لهما ﴿وَنَآلَهُمَا اللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في خلقه. [٣٩] ﴿فَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ رجع عن السرقة ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَارْتَدَّ اللَّهُ بِنُوبٍ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ في التعبير بهذا ما تقدم؛ فلا يسقط بتوبته حق الآدمي من القطع ورد المال، نعم يَنْتَبِثُ الشَّئُ أنه إن عفا عنه قبل الرفع إلى الإمام سقط القطع، وعليه الشافعي<sup>(٣)</sup>.

[٤٠] ﴿أَلَمْ تَلَمْ﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه التعذيب والمغفرة.

[٤١] ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا مَحْزَنٌ﴾ صنع ﴿الَّذِينَ يُسْرِغُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ يقعون فيه بسرعة؛ أي: يظهره إذا وجدوا فرصة ﴿وَنَآلَهُمُ الْعَذَابُ﴾ قالوا آمناً بأفوههم<sup>(٤)</sup> بالسنتهم متعلق بـ ﴿قَالُوا﴾ ﴿وَلَمْ تَوْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ وهم المنافقون ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قوم ﴿سَمِعُوا لِلْكَذِبِ﴾ الذي افترته أجارهم سماع قبول ﴿سَمِعُوا﴾ منك ﴿لِقَوْمٍ﴾ لأجل قوم ﴿آخَرِينَ﴾ من اليهود ﴿لَمْ يَأْتُواكَ﴾ وهم أهل خير، زنى فيهم محصنان فكرهوا رجمهما؛ فبعثوا قريظة ليسألوا النبي ﷺ عن حكمهما ﴿يَحْرِقُونَ أَلْكَامَهُ﴾ الذي في التوراة؛ كآية الرجم ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله عليها؛ أي: يبدلونه ﴿يَقُولُونَ﴾ لمن أرسلوهم: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا﴾ الحكم المحرف؛ أي: الجلد الذي أفتاكم به محمد ﴿فَحُذِرُوا﴾ فاقبلوه ﴿وَأَنْ لَمْ تَوْفَوْهُ﴾ بل أفتاكم بخلافه ﴿فَحُذِرُوا﴾ أن تقبلوه ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ إضلاله ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ في دفعها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِمْ قُلُوبَهُمْ﴾ من الكفر، ولو أراد له كان ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ ذل بالفضيحة والحزبة ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ<sup>(٥)</sup> وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ<sup>(٦)</sup> فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(٧)</sup> أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ<sup>(٨)</sup> يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِغُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمِعُوا لِلْكَذِبِ سَمِعُوا لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِتُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِمْ قُلُوبَهُمْ وَلَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ<sup>(٩)</sup>

[٣٧] ﴿يُرِيدُونَ﴾ يمتنون ﴿أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ دائم.

[٣٨] ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ «ال» فيهما موصولة مبتدأ، ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره؛ وهو: ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ أي: يمين كل منهما من

(٥) ما جاء في نزول الآية (٣٩): أخرجه أحمد عن عبد الله بن عمرو أن امرأة سرفت على عهد النبي ﷺ فجاء بها الذين سرفتهم، فقالوا: يا رسول الله، إن هذه المرأة سرفتنا، قال قومها: فجن نفديها. يعني أهلها. فقال رسول الله ﷺ: «اقطعوا يدها» فقالوا: نحن نفديها بخمسائة دينار. قال: «اقطعوا يدها» قال: فقطعت يدها اليمنى، فقالت المرأة: هل لي من توبة يا رسول الله؟ قال: «نعم، أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك» فأبذل الله ﷻ في سورة المائدة: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ﴾ إلى آخر الآية. أحمد - المسند (١٧٧/٢). وقال أحمد شاذر: إسناده صحيح (٦٦٥٧). قال ابن كثير: «وهذه المرأة هي المخزومية التي سرفت. وحديثها ثابت في الصحيحين».

(١) رواه البخاري (٦٢٩١)، ومسلم (٣١٨٩، ٣١٩٠، ٣١٩٢)، عن عائشة مرفوعاً.

(٢) وهذا مذهب الشافعي ومالك، وعند الحنيفة ورجحه ابن قدامة: لو عاد في الثالثة والرابعة يعز، ولا تقطع يده اليسرى ولا رجله اليمنى. وهو الأصح؛ لأن قطع يديه فوت منفعة الجنس، فلا تبقى له يد يأكل بها ولا يتوضأ ولا يستطيب ولا يدفع عن نفسه؛ فيصير كالهالك، ولأنه لو جاز قطع اليدين لقطعت اليسرى في المرة الثانية لأنها آلة البطش الكلي، وإنما لم تقطع للمفسدة في قطعها. [الغني (٩/ ١٠٦ - ١٠٩)].

(٣) وعند مالك: لا ينفع عفو من عطفه، لأنه حق الله.

(٤) أي: لقوله: ﴿الَّذِينَ يُسْرِغُونَ﴾ [المائدة: ٤١].

[٤٢] هُمْ ﴿سَمِعُوا لَكَذِبَ أَنْكَلُونَ﴾ [للسُّخْبِ] ﴿بِضْمِ الْحَاءِ وَسُكُونِهَا﴾<sup>(١)</sup>؛ أَي: الحرام؛ كالرشا ﴿فَإِنْ جَاءَوكَ﴾ لِحُكْمِ بَيْنَهُمْ ﴿فَأَحْكَمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ هذا التخيير منسوخ بقوله - تعالى -: ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ﴾ الآية، فيجب الحكم بينهم إذا توافعا إلينا، وهو أصح قولي الشافعي<sup>(٢)</sup>، فلو توافعا إلينا مع مسلم وجب إجماعاً ﴿وَإِنْ تَقَرَّضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضْرُوكَ سَيْئًا﴾ وَإِنْ حَكَمْتَ بَيْنَهُمْ ﴿فَأَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ بِالْعَدْلِ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين في الحكم؛ أَي: بينهم<sup>(٣)</sup>.

[٤٣] ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُوكَ﴾ وَعِنْدَهُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ بِالرَّجْمِ، اسْتِفْهَامٌ تَعَجِيبٌ؛ أَي: لم يقصدوا بذلك معرفة الحق، بل ما هو أهون عليهم<sup>(٤)</sup> ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾ يعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ التحكيم ﴿وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٤٤] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَنُورٌ﴾ يان للأحكام ﴿يُحْكَمْ بِهَا التَّيُّبُونَ﴾ من بني إسرائيل ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ انقادوا لله ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبِّيُّونَ﴾ العلماء منه ﴿وَالْأَحْبَارُ﴾ الفقهاء ﴿بِمَا﴾ أَي: بسبب الذي ﴿أَسْتَحْفَظُوا﴾ استودعوه؛ أَي: استحفظهم الله إياه ﴿مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ أَنْ يبدلوه ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ أَنَّهُ حَقٌّ ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّكَاسَ﴾ أيها اليهود في إظهار ما عندكم من نعت محمد ﷺ والرجم وغيرها ﴿وَأَخْشَوْا﴾ في كتمانها ﴿وَلَا تَنْفَرُوا﴾ تستبدلوا ﴿بِإِيتَائِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا تأخذونه على كتمانها ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ به.

[٤٥] ﴿وَكُنَّا﴾ فرضنا ﴿عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ أَي: التوراة ﴿أَنْ أَلْفَسَ﴾ تقتل ﴿بِالْفَنَسِ﴾ إذا قتلها ﴿وَالْعَيْنُ﴾ ثَقْفًا ﴿بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفِ﴾ يُجْدَعُ ﴿بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنِ﴾ تقطع ﴿بِالْأُذُنِ وَاللِّسَنِ﴾ تقلع ﴿بِاللِّسَنِ﴾ وفي قراءة بالرفع في الأربعة<sup>(٥)</sup> ﴿وَالْجُرُوحُ﴾ بالوجهين<sup>(٦)</sup> ﴿قِصَاصٌ﴾ أَي: يقتض فيها إذا أمكن؛ كاليد والرجل ونحو ذلك، وما لا يمكن فيه الحكومة، وهذا الحكم وإن كتب عليهم فهو مقرر في شرعنا ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾

سَمِعُوا لَكَذِبَ أَنْكَلُونَ لَلْسُخْبِ فَإِنْ جَاءَوكَ فَأَحْكَمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضْرُوكَ سَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيفَ يُحْكِمُوكَ عِنْدَهُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمْ بِهَا التَّيُّبُونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا أَسْتَحْفَظُوا مِنَ النَّاسِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْا وَلَا تَنْفَرُوا بِإِيتَائِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا فِيهَا أَنْ أَلْفَسَ بِالْفَنَسِ وَالْعَيْنُ وَالْأَنْفُ وَالْأُذُنُ وَاللِّسَنُ وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾

أَي: بالقصاص؛ بَأَنْ مَكَّنَ مِنْ نَفْسِهِ ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ لِمَا أَتَاهُ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ فِي الْقِصَاصِ وَغَيْرِهِ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٤٥): أخرجه الترمذي عن عمران بن حصين أن رجلاً عض يد رجل، فزعه يده، فوقع ثنياء، فاختصموا إلى النبي ﷺ، فقال: «بعض أحدكم أخاه كما بعض الفحل!! لا دية لك». فأنزل الله: ﴿وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾. الترمذي - كتاب الديات (١٤) باب (٢٠) ما جاء في القصاص. وقال: حسن صحيح.

والحديث في صحيح مسلم يلوّن ذكر نزول الآية، وكذلك في صحيح البخاري لكن من حديث يعلى بن أمية.

(١) بالضم قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) ومشهور مذهب مالك أن التخيير باق وليس بمنسوخ، وبه قال أحمد وهو الراجح، واختاره السعدي مغللاً بأنهم لا قصد لهم في الحكم الشرعي إلا أن يكون موافقاً لأهوائهم، وكذلك القاسمي وزاد: لأنه لا ماعاة بين الآيتين، فالأولى فيها التخيير، والأخرى فيها كيفية الحكم إذا حكم بينهم.

(٣) وهذا تأويل يلزم الصفة، وسبق بيان مذهب السلف من إثبات هذه الصفة وغيرها على الوجه اللائق به - سبحانه.

(٤) وهو الجدل.

(٥) للكسائي.

(٦) بالرفع والنصب، والرفع قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ. قُلْ هِيَ التَّوْرَةُ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ ﴿وَتُورٌ﴾ بيان للأحكام ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ حال ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ لما فيها من الأحكام ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَقُلْنَا: ﴿لِيُحْكَمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ من الأحكام، وفي قراءة (١) بنصب «يحكم» وكسر لامه، عطفًا على معمول «آتينا» ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٢).

[٤٨] ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بأنزله ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّتْ يَدَايِي﴾ قُلْ هِيَ التَّوْرَةُ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ ﴿وَالْحَقُّ﴾ الكتاب بمعنى: الكتب (٣) ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم﴾ بين أهل الكتاب إذا ترفعوا إليك ﴿بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ إليك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ عادلاً ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ لكل جعلنا منكم أيها الأمم ﴿شِرْعَةً﴾ شريعة ﴿وَمِنْهَا جَاءَ طَرِيقًا﴾ واضحًا في الدين يشون عليه ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على شريعة واحدة ﴿وَلَكِنْ﴾ وفركم فرقًا ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِي مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ من الشرائع المختلفة؛ لينظر الطمع منكم والعاصي ﴿فَلْيَسْتَفِيقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ سارعوا إليها ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ بالبعث ﴿فَلْيُحْكَمْ بِمَا كُتِبَ فِيهِ تَحْلِفُونَ﴾ من أمر الدين، ويجزي كلاً منكم بعمله.

[٤٩] ﴿وَأَن آخُكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاعْتَدِرْهُمْ﴾ لأن لا ﴿يَقْتُولُوكَ﴾ يضلوك ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكَ إِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الحكم المنزل وأرادوا غيره ﴿فَقُلْنَا أَنَا نُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ﴾ بالعقوبة في الدنيا ﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ التي أتوها؛ ومنها: التولي، ويجازيهم على جميعها في الأخرى ﴿وَكَانَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾.

[٥٠] ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا يَشَاءُ﴾ بالياء والتاء (٤) ﴿يُطْلَبُونَ مِنَ الْمَدَاهِنَةِ وَالْمِيلِ إِذَا تَوَلَّوْا﴾ استفهام إنكاري ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا يَقُومُ﴾ عند قوم ﴿يُوقِفُونَ﴾ به خصوصًا بالذكر؛ لأنهم الذين يتدبرون.

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَتُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٥١﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّجًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَيْنَاهُمْ فَاسْتَفِيقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيَنْتَعِبُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكَ إِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمْنَا نَارِيذُ اللَّهِ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٥٤﴾ فَخُذْ الْجِهْلِيَّةَ بِبَعْضٍ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا يَقُومُ يُوقِفُونَ ﴿٥٥﴾

[٤٦] ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ أتينا ﴿عَلَىٰ آثَرِهِمْ﴾ أي: النبيين ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾

(٥٠) ما جاء في نزول الآيات (٤١ - ٤٧): أخرج مسلم عن البراء بن عازب قال: مرُّ على النبي ﷺ يهودي محملاً مجلولاً فدعاهم ﷺ فقال: «هكذا تحدون حد الزاني في كتابكم؟» قالوا: نعم. فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: «أنتم بك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟» قال: لا، ولولا أنك نشدتنني بهذا لم أخبرك. فجده الرجم، ولكنه كثير في أشرافنا، فكننا إذ أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيم على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أتممته». فأمر به فرجم، فأمر الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا يَحْزَنْكُمُ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ أُوْتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ يقول: اتوا محملاً فإن أمركم بالتحميم والجلد مخذوه وإن أنصركم بالرجم فاحذروا، فأمر الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ مسلم. كتاب الخلود (٢٩) باب (٦) رجم اليهود أهل الذمة في الزنى.

وأخرج أحمد عن ابن عباس قال: إن الله ﷻ أنزل: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا يَشَاءُ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُقْسِفُونَ﴾، أنزلها الله في لطائف من اليهود، وكانت إحداهما قد فهرت الأخرى في الجاهلية، حتى ارتضوا، أو اصطلحوا. على أن كل قبيل قتلته العزيرة من الذليلة فدبته حمسون وسقاً، وكل قبيل قتلته الذليلة من العزيرة فدبته مائة وسق. فكانوا على ذلك حتى قدم النبي ﷺ المدينة فذلت الطائفتان كلتاها لمقدم رسول الله ﷺ ويومئذ لم يظهر ولم يوطئها عليه وهو في الصلح.

فقتلت الذليلة من العزيرة قبلاً، فأرسلت العزيرة إلى الذليلة أن: «بعوا إلينا غنات وسق، فقالت الذليلة: وهل كان هذا في حين فط، دينهما واحد، ونسبهما واحد، وبديهما واحد، دية بعضهم نصف دية بعض. إنا إنما أعطيناكم هذا شيئاً منكم لنا ورفقاً منكم، فأما إذا قدم محمد فلا نعطيك ذلك، فكادت الحرب تهيج بينهما، ثم ارتضوا على أن يجعلوا رسول الله ﷺ بينهم، ثم ذكرت العزيرة فقالت: والله ما محمد يعطيك منكم منهم ضعف ما يعطيهم منكم، ولقد صدقوا! ما أعطونا هذا إلا شيئاً منا وقهراً لهم، فدشوا إلى محمد من يخبر لكم رأيه، إن أعطاكم ما تريدون حكمتموه، وإن لم يعطكم حذرتم فلم تحكموه.

فدسوا إلى رسول الله ﷺ ناشاً من المنافقين ليخبروا بهم رأي رسول الله ﷻ فلما جاء رسول الله ﷻ أخبر الله ﷻ رسوله بأمرهم كله، وأرادوا، فأمر الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا يَحْزَنْكُمُ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ثم قال: فيها: والله. نزلت، وإياها عن النبي ﷺ. أحمد. المسند (٢٤٦/١). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٢٢١٢).

وأخرج أبو داود عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ اقرضهم﴾ الآية. قال: كان بنو النضير إذا قتلوا من بني قريظة أدوا نصف الدية، وإذا قتل بنو قريظة من بني النضير أدوا إليهم الدية كاملة. فسؤى رسول الله ﷺ بينهم. أبو داود. كتاب الأفضية (١٨) باب (١٠). الحكم بين أهل الذمة. (حسن صحيح الإسناد) صحيح سنن أبي داود (٣٠٦٢).

(١) أي في «العين» وما بعدها، وهي قراءة لحمة. (٢) أي: فذالة للجنس. (٣) بالياء قراءة ابن عامر.

[٥١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۚ تَوَلَّوْنَهُمْ وَهُمْ يُبْغِضُونَكُم بِبَعْضِ أَوْلِيَائِهِمْ ۚ بَعْضٌ يَتَّبِعُكُم فَأَنذِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۚ﴾ [٥٢] ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ۖ ضَعُفَ إِيمَانُهُمْ ۖ كَيْدُ اللَّهِ مِنْ أَشْيِ الْمُنَافِقِينَ ۖ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ ۖ فِي مَوَالِيهِمْ يُفْلِحُونَ ۚ﴾ معتمدون عنها: ﴿تَحْشَىٰ أَنْ تُصِيبَ دَابَّةٌ ۚ يَدُورُ بِهَا الدَّهْرُ عَلَيْنَا ۖ مِنْ جَدْبٍ أَوْ غَلَبَةٍ ۖ وَلَا يَتِمُّ أَمْرُ مُحَمَّدٍ ۖ فَلَا يَمِيرُونَا ۚ﴾ قال - تعالى -: ﴿فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ ۚ بِالنَّصْرِ لِنَبِيِّهِ يُظَاهِرَ دِينَهُ ۚ أَوْ أَمْرٌ مِّنْ عِندِهِ ۚ﴾ بهتك ستر المنافقين واقتضاهم ﴿فَيُصِيبُحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ۚ﴾ من الشك وموالة الكفار ﴿تَدِيرُ ۚ﴾.

[٥٣] ﴿وَيَقُولُ ۖ بِالرَّفْعِ اسْتِنَافًا - بَوَاوِ وَدُونَهَا ١٠ ۖ وَبِالنَّصْبِ ١١ ۖ﴾ عطفًا على ﴿يَأْتِي ۚ﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا ۚ﴾ لبعضهم إذا هنك سترهم تعجبًا: ﴿أَهْوَلًا ۚ﴾ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۚ غَايَةُ اجتهادهم فيها ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ﴾ في الدين قال - تعالى -: ﴿حِطَّتْ ۚ﴾ بطلت ﴿أَعْمَلْتُمْ ۚ﴾ الصالحة ١٢ ﴿فَأَصْبَحُوا ۚ﴾ صاروا ﴿خَيْرِينَ ۚ﴾ الدنيا بالفضيحة والآخرة بالعقاب.

[٥٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ ۖ بِالْفِكَ وَالْإِدْعَامِ ١٣ ۖ﴾ يرجع ﴿مِنْكُمْ ۚ﴾ عَنْ دِينِهِ ۚ إِلَى الْكُفَرِ ۖ إِخْبَارٌ بِمَا عَلَّمَ اللَّهُ وَقُوعَهُ ۖ وَقَدْ ارْتَدَّ جَمَاعَةٌ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِدَلِيلِهِمْ ۖ يَقْوِي بِهِمْ وَيُجِيبُهُمْ ۚ قَالَ ﷺ: ﴿هُم قَوْمٌ هَذَاهُ ۖ﴾ وأشار إلى أبي موسى الأشعري ١٤ ﴿رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ﴾ ﴿أَذَلَّةٌ ۚ﴾ عاطفين ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضَ ۚ﴾ أُنْشَاء ﴿عَلَى الْكُفَرِيِّنَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ تَوَمَّةَ لَا يَمُرُّ ۚ﴾ فيه: كما يخاف المنافقون لوم الكفار ﴿وَالَّذِينَ قَضَىٰ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ ١٥ ۚ﴾ كثير الفضل ﴿عَلَيْهِمْ ۚ﴾ بمن هو أهله. [٥٥] وَنَزَلَ - لما قال ابن سلام: يا رسول الله، إن قومنا هجرونا -: ﴿إِنَّمَا وَكَلَّمْنَا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ١٦ ۚ﴾ خاشعون، أو يصلون صلاة التطوع.

[٥٦] ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۚ فَعِثْمُهُمْ وَيَنْصُرُهُمْ ۚ وَإِنَّا لَنُجِيبُ اللَّهُ هُمُ الْفَاطِلُونَ ۚ﴾ لنصره إياهم؛ أوقعه موقع: ﴿فإنهم﴾ بيانا لأنهم من حربه؛ أي: أتباعه.

[٥٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكَ هُزُؤًا ۚ مَهْزُوءًا بِهِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۚ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَوَاقَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۚ﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَنْ تُصِيبَ دَابَّةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِندِهِ فَيُصِيبُحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدِيرُ مِنَ الشَّكِّ وَمَوَالِيَهُمْ يُفْلِحُونَ فِي مَوَالِيهِمْ يُفْلِحُونَ ضَعُفَ إِيمَانُهُمْ كَيْدُ اللَّهِ مِنْ أَشْيِ الْمُنَافِقِينَ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ فِي مَوَالِيهِمْ يُفْلِحُونَ مَعْتَمِدُونَ عَنْهَا: تَحْشَى أَنْ تُصِيبَ دَابَّةٌ يَدُورُ بِهَا الدَّهْرُ عَلَيْنَا مِنْ جَدْبٍ أَوْ غَلَبَةٍ وَلَا يَتِمُّ أَمْرُ مُحَمَّدٍ فَلَا يَمِيرُونَا قَالَ - تَعَالَى -: فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ بِالنَّصْرِ لِنَبِيِّهِ يُظَاهِرَ دِينَهُ أَوْ أَمْرٌ مِّنْ عِندِهِ بِهِتْكَ سِتْرَ الْمُنَافِقِينَ وَاقْتَضَاهُمْ فَيُصِيبُحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الشَّكِّ وَمَوَالِيَهُمْ يُفْلِحُونَ تَدِيرُ مِنَ الشَّكِّ وَمَوَالِيَهُمْ يُفْلِحُونَ عَطْفًا عَلَى الَّذِينَ يَأْتِي الَّذِينَ آمَنُوا لِبَعْضِهِمْ إِذَا هُنَاكَ سِتْرُهُمْ تَعْجَبًا: أَهْوَلًا الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ غَايَةُ اجْتِهَادِهِمْ فِيهَا إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ فِي الدِّينِ قَالَ - تَعَالَى -: حِطَّتْ بَطُلَتْ أَعْمَلْتُمْ الصَّالِحَاتِ فَاصْبَحُوا صَارُوا خَيْرِينَ الدُّنْيَا بِالْفَضِيحَةِ وَالْآخِرَةِ بِالْعِقَابِ

﴿وَلَعِبَاءُ مِّنَ اللَّيَالِي أَوْ أَوَّلِ الْكَتَبِ مِّن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارُ﴾ المشركين؛ بالجر والنصب ١٧ ﴿أَوْلِيَائِهِمْ ۚ﴾ بترك مواليتهم ﴿إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۚ﴾ صادقين في إيمانكم.

- وأخرج النسائي عن ابن عباس قال: كان قريظة بالنضير، وكان النضير أشرف من قريظة، وكان إذا قتل رجل من قريظة رجلاً من النضير قتل به، وإذا قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة أدى مائة وسق من تمر، فلما بعث النبي ﷺ قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة، فقالوا: ادفعوا إلينا نقتله، فقالوا: بيننا وبينكم النبي ﷺ، فأقره، فنزلت: ﴿وَإِن كُنْتُمْ تَحِبُّونَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَقْرَبُوا بَيْنَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكَ هُزُؤًا ۚ مَهْزُوءًا بِهِ﴾ [٥٧] وقال ابن جرير: يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال والجلود والتدبير. وقال مثله ابن كثير.

(١) بدونها قراءة نافع وابن كثير وابن عامر.  
(٢) أي: مع إثبات الواو قراءة أبي عمرو.  
(٣) أي: بحسب الظاهر.  
(٤) بالفتحة؛ أي: ﴿يَتَرَكُونَهُمْ﴾، وهي قراءة نافع وابن عامر.  
(٥) أخرجه ابن سعد وابن أبي شبة في مسنده وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الدلائل من حديث عياض الأشعري، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٦٨/٧) [الدر المنثور (١٨٨/٢)].  
(٦) قال ابن جرير: يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال والجلود والتدبير. وقال مثله ابن كثير.  
(٧) أخرجه ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس نحوه [الدر المنثور (٥٢٠/٢)] وهو موضوع كما ذكر صاحب الاستيعاب (٦٧/٢).  
(٨) بالجر قراءة الكسائي وأبي عمرو.

على «أَنْ آمَنَّا» المعنى: ما تذكرون إلا إيماننا، ومخالفتمكم في عدم قبوله المعبر عنه بالفسق اللازم عنه، وليس هذا مما ينكر<sup>(١)</sup>.

[٦٠] «قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ» أخبركم «بِشَيْءٍ مِّنْ أَهْلِ «ذَلِكَ» الذي تنقمونه «مُتَوَّعَةً» ثواباً بمعنى جزاء<sup>(٢)</sup> «عِنْدَ اللَّهِ» هو «مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ» أبعدته عن رحمته «وَعَصَبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ» والخنازير بالمسخ «وَوَعَدَ «عَبْدَ الطُّغُوتِ» الشيطان بطاعته، وروعي في «مِنْهُمْ» معنى «مِنْ»، وفيما قبله: لفظها؛ وهم: اليهود، وفي قراءة<sup>(٣)</sup> بضم باء «عَبْدُ» وإضافته إلى ما بعد اسم جمع لـ «عَبْدُ»، ونصبه بالعطف على «الفردة» «أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا» تمييز؛ لأن ماوأهم النار «وَأَصْلُ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ» طريق الحق، وأصل السواء الوسط، وذكر «شَرٌّ» «وَأَصْلُ» في مقابلة قولهم: لا نعلم ديناً شراً من دينكم.

[٦١] «وَإِذَا جَاءَكُمْ» أي: منافقو اليهود «قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا» إليكم متلبسين «بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا» من عندكم متلبسين «بِالْهُدَى» ولم يؤمنوا «وَاللَّهُ أَغْلَىٰ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ» هـ من النفاق.

[٦٢] «وَرَرَىٰ كَثِيرٌ مِنْهُمْ» أي: اليهود «يُسْرِعُونَ» يقعون سريعاً «فِي الْآثَرِ» الكذب «وَالْعُدُولَ» الظلم «وَأَكْثِلَهُمُ الشُّحْتُ» الحرام؛ كالرش «لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» هـ عملهم هذا [٦٣] «لَوْلَا» هلا «يَهْتَمُّ» الرِّيَاسَةُ وَالْأَخْبَارُ منهم «عَنْ قَوْلِهِ الْإِثْمُ» الكذب «وَأَكْثِلَهُمُ الشُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» هـ ترك نهيم.

[٦٤] «وَقَالَتِ الْيَهُودُ» لما ضيق عليهم بتكذيبهم النبي ﷺ بعد أن كانوا أكثر الناس ملاً: «يَدَّ أَسْوُ مَعُولَةٍ» مقبوضة عن إردار الرزق علينا؛ كنؤا به عن البخل - تعالى الله عن ذلك - قال - تعالى -: «غُلَّتْ» أمسكت «الْأَيْدِي» عن فعل الخيرات دعاء عليهم «وَلِيُؤْمِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ» مبالغة في الوصف بالجلود، وثقَّى اليد؛ لإفادة الكثرة<sup>(٤)</sup>؛ إذ غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطي يديه «يُفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ» من توسيع وتضييق لا اعتراض عليه «وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» من القرآن «طُغَيْنَا وَكُفَرْنَا» لكفرهم به «وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدُوةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ» فكل فرقة منهم تخالف الأخرى «كَلَّمَآ أَوْفَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ» أي: لحرب النبي ﷺ «أَطْفَأَهَا اللَّهُ» أي: كلما أرادوه ردُّهم «وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا» أي: مفسدين بالمعاصي «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» بمعنى: أنه يعاقبهم<sup>(٥)</sup>.

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هَاهُنَا وَإِلَيْكَ يَا نَهْمُ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُونَ وَمِنَ الْآءِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ وَأَن كُنتُمْ تَفْقَهُونَ ﴿٦١﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ مِّنْ ذَلِكَ مُتَوَّعَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَصَبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ لَجَأُوا بِكَ آلَؤُا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦٣﴾ وَرَرَىٰ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْآثَرِ وَالْعُدُولِ وَلَئِذَا كَلِمَةُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْلَا يَهْتَمُّهُمْ الرِّبَا يَتَوَنُّوْنَ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمُ وَأَكْثِلَهُمُ الشُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغَيْنَا وَكُفَرْنَا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدُوةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْفَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٦﴾

[٥٨] «وَالَّذِينَ» إِذَا نَادَيْتُمْ دعوتهم «إِلَى الصَّلَاةِ» بالأذان «اتَّخَذُوا» أي: الصلاة «هَاهُنَا وَإِلَيْكَ» بأن يستهزئوا بها ويتضحكوا «ذَلِكَ» الاتخاذ «يَأْتُهُمْ» أي: بسبب أنهم «قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ».

[٥٩] «وَنَزَلَ» لما قال اليهود للنبي ﷺ: «مَنْ يَأْتِي مِنَ الرِّسْلِ» فقال: «يَاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا» الآية، فلما ذكر عيسى قالوا: لا نعلم ديناً شراً من دينكم: «قُلْ يَأْتِي هَلْ تَتَّقُونَ»<sup>(١)</sup> تذكرون «وَمِنَ الْآءِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ» إلى الأنبياء «وَأَن كُنتُمْ تَفْقَهُونَ» عطف

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٧٤/٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص ٦٥)، وأخرج نحوه ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس وفيه: «فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا: لا نؤس بعيسى» [الدر المنثور (٥٢٢/٢)]، وإسناده ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (٧١/٢).

(٢) فالاستثناء منقطع.

(٣) أي: بالقلب، وهو تهكم بهم.

(٤) لجمرة.

(٥) وله - سبحانه - يدان حقيقة، ومذهب السلف بالإجماع إثبات الصفات لله على الوجه اللائق به من غير تكيف ولا تحريف ولا تمثيل ولا تعطيل.

(٦) وهذا تأويل بلازم للصفة وهو خلاف مذهب السلف، وسبق بيان إثبات هذه الصفة ونحوها لله على الوجه اللائق به - سبحانه - «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [الشورى: ١١].



[٦٥] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا بِمَحْمَدٍ ﷺ وَأَتَقَوْا﴾ الْكَفَرَ ﴿لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ وَلَآكُنْ لَهُمْ جَنَّتٌ أَلِيمَةٌ﴾.

[٦٦] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْبَةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ بِالْعَمَلِ بِمَا فِيهِمَا؛ وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالنَّبِيِّ ﷺ ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ مِنَ الْكِتَابِ ﴿وَمِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ قَوْفِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ بَأَن يُوسِعَ عَلَيْهِمُ الرِّزْقَ وَيُفِضَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ﴿مِنْهُمْ أُمَةً﴾ جَمَاعَةً ﴿مُقْتَصِدَةً﴾ تَعْمَلُ بِهِ؛ وَهَمٌّ مِنْ أَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ﴾ بِسِئَرِهِمْ ﴿بِمَا شِئُوا بِمَعْمَلُونَ﴾ هـ.

[٦٧] ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْعَنُ جَمِيعٌ﴾ مِمَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴿وَلَا تَكُنْ مِنْ شَيْءٍ مَخَافًا أَنْ تَمْلِكُ بِحُكْمِهِ﴾ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ أَيُّ لَمْ تَبْلُغْ جَمِيعَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ بِالْإِفْرَادِ وَالْجَمْعِ (١)؛ لِأَن كِتْمَانَ بَعْضِهَا كِتْمَانُ كُلِّهَا ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ أَنْ يَقْتُلُوكَ، وَكَانَ ﷺ يُحَرِّسُ حَتَّى نَزَلَتْ، فَقَالَ: «انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ» (٢) [رواه الحاكم] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٦٨] ﴿قُلْ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ مِنَ الدِّينِ مَعْتَدٌ بِهِ ﴿حَقٌّ تَقِيمُوا التَّوْبَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (٣) بَأَن تَعْمَلُوا بِمَا فِيهِ؛ وَمِنَ الْإِيمَانِ بِي ﴿وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ ﴿تَلْفِئًا وَكُفْرًا﴾ لِكُفْرِهِمْ بِهِ ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ تَحْزَنُ ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِكَ؛ أَيُّ لَا تَهْتَمُّ بِهِمْ.

[٦٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هُمُ الْيَهُودُ، مُبْتَدَأُ ﴿وَالصَّابِغُونَ﴾ (٤) فِرْقَةٌ مِنْهُمْ ﴿وَالصَّغْرَى﴾ وَيُجَدُّ مِنَ الْمُبْتَدَأِ ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ مِنْهُمْ ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَدَلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فِي الْآخِرَةِ، خَيْرُ الْمُبْتَدَأِ (٥)، وَدَالٌ عَلَى خَيْرِهِ.

[٧٠] ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا﴾ كَلَّمَآ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ ﴿يَمَّا لَا تَهْوِي أُنْفُسُهُمْ﴾ مِنَ الْحَقِّ كَذِبُهُ ﴿فَرِيقًا﴾ مِنْهُمْ ﴿كَذَّبُوا وَفَرِيقًا﴾ مِنْهُمْ ﴿يَقْتُلُونَ﴾ كَزَكَرِيَّا، وَالتَّعْبِيرُ بِهِ (٦) دُونَ (قَتَلُوا) حِكَايَةً لِلْحَالِ الْمَاضِيَةِ (٧) لِفَاصِلَةٍ.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَأَتَقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلْنَا لَهُمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْبَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ قَوْفِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْعَنُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿قُلْ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْبَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالصَّغْرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كَلَّمَآ جَاءَهُمْ رَسُولٌ يَمَّا لَا تَهْوِي أُنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن سفيان قال: ما في القرآن آية أشد علي من ﴿لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْبَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾. البخاري - كتاب الرقاق (٨١) باب (١٩) الرجاء مع الخوف.

قال المحافظ في الفتح: «يعني أن من لم يعمل بما أنزل الله في كتابه فليس على شيء، ومقتضاه أن من أحل ببعض الفرائض فقد أحل بالجميع، ولأجل ذلك أطلق كونها أشد من غيرها...». انفتح (١١٩/٨).

(١) بالجمع قراءة نافع وابن عامر وشعبة.

(٢) الحاكم (٣١٣/٢)، ورواه الترمذي في تفسير القرآن، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٤٠)، وروى ابن حبان في صحيحه (١٧٣٩ - موارد) عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل منزلاً نظروا أعظم شجرة يرونها فجعلوها للنبي ﷺ فينزل تحتها، وينزل أصحابه بعد ذلك في ظل الشجرة. فبينما هو نازل تحت شجرة - وقد علق السيف عليها - إذ جاء أعرابي فأخذ السيف من الشجرة، لم دانه من النبي ﷺ وهو نائم فأيقظه، فقال: يا محمد من يمنعك مني الليلة؟ فقال النبي ﷺ: «الله»، فأمر الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْعَنُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٤٨٩).

(٣) وُفِعَ عَلَى الْإِبْدَاءِ، وَغَيْرِهِ مَحْذُوفٌ، كَأَنَّهُ قِيلَ: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ كَذًا، وَالصَّابِغُونَ كَذَلِكُ. «القامسي».

(٤) أي: قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٦٩].

(٥) أي: بال مضارع.

(٦) أي: كأنها حصلت الآن.

(٧) أي: ومراعاة للفاصلة، وهي المحافظة على رعوس الآي.

[٧٤] ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ مما قالوا، استفهام توبيخ ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لمن تاب ﴿رَحِيمٌ﴾ به.

[٧٥] ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فهو بمضي مثلهم وليس ياله كما زعموا، وإلا لما مضى ﴿وَأَنْتُمْ صَادِقَةٌ﴾ مبالغة في الصدق ﴿كَانَ يَكْفُلُ أَنْ يَنْتَفِخَ مِنْ يَدَيْهِمَا﴾ من الناس؛ ومن كان كذلك لا يكون إلهاً؛ لتركيبه وضعفه وما ينشأ منه من البول والغائط ﴿أَنْتُمْ أَنْظَرُ﴾ متعجباً ﴿كَيْفَ بُنِيتَ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ على وحدانيتنا ﴿ثُمَّ أَنْظَرُ أَنْتُمْ كَيْفَ يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن الحق مع قيام البرهان.

[٧٦] ﴿قُلْ أَشْهَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَيُّ غَيْرِهِ﴾ أي: غيره ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالكم، والاستفهام للإنكار.

[٧٧] ﴿قُلْ يَهْدِي إِلَيْكُمُ الْبُحْرَى وَالنَّصَارَى﴾: ﴿لَا تَعْلَمُوا﴾ تجاوزوا الحد ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ علماً ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ بأن تضعوا عيسى أو ترفعه فوق حقه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ بغلوهم؛ وهم: أسلافهم ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ من الناس ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ عن طريق الحق، والسواء في الأصل: الوسط.

وَحَسِبُوا إِلَّا تَكُونُ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لِي إِسْرَءِيلَ يَلْعَبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظَرِكُمْ نَبِئْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرْتُمْ يَتُوفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَهْدِي إِلَيْكُمُ الْحَقُّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾

[٧١] ﴿وَحَسِبُوا﴾ ظنوا ﴿أَنَّ﴾ لَمْ يَكُنْ ﴿فِتْنَةً﴾ بالرفع <sup>(١)</sup>؛ فَأَنْ مَخْفَفَةٌ، والنصب؛ فهي ناصبة؛ أي: تقع ﴿فِتْنَةً﴾ عذاب بهم على تكذيب الرسل وقتلهم ﴿فَعَمُوا﴾ عن الحق؛ فلم يصبروه ﴿وَصَمُوا﴾ عن استماعه ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لما تابوا ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا﴾ ثانياً ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ بَدَلٌ مِنَ الضمير <sup>(٢)</sup> ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم به.

[٧٢] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ سبق مثله <sup>(٣)</sup> ﴿وَقَالَ لَهُمْ﴾ ﴿الْمَسِيحُ يَبْنِي لِي إِسْرَءِيلَ يَلْعَبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ فإني عبد ولست ياله ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ في العبادة غيره ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ منعه أن يدخلها ﴿وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ يمنعونهم من عذاب الله.

[٧٣] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ أي: أحدها، والآخران: عيسى وأمه؛ وهم: فرقة من النصارى ﴿وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من التثليث ويؤخذوا ﴿لَيَمَسَّنَّ أَذْيَابُ كَفَرُوا﴾ أي: ثبتوا على الكفر ﴿مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ﴾ مؤلم؛ وهو: النار.

(١) قراءة أبي عمرو وحمة والكسائي.

(٢) أي: في قوله: ﴿فَعَمُوا وَصَمُوا﴾ [المائدة: ٧١]، والضمير هو الفاعل.

(٣) في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ نَقَضَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].

لَهُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ  
 دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا  
 يَعْتَدُونَ ﴿٨٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ  
 لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٨٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ  
 يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ  
 أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ  
 خَالِدُونَ ﴿٩٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
 الْآخِرِ مَا اخْتَدَوْهُمُ أُولَئِكَ لَنْ يَكُنْ لَهُمْ فِتْنَةٌ  
 قَلِيلٌ ﴿٩١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً  
 لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ  
 أَقْرَبَهُمْ قَوْمًا لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي  
 ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ مِنْهُمْ قَيْسِيَّةٌ وَرُحَبَانَا وَأَنْتُمْ  
 لَا تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى  
 الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا  
 مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَفَأَكْفُتُكُمْ شَاهِدِينَ ﴿٩٣﴾

[٧٨] ﴿لَهُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾ بَأْنِ  
 دَعَا عَلَيْهِمْ؛ فَفَسَخُوا قِرْدَةً؛ وَهُمْ: أَصْحَابُ أَيْلَةٍ ﴿وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ بَأْنِ  
 دَعَا عَلَيْهِمْ؛ فَفَسَخُوا خَنَازِيرَ؛ وَهُمْ: أَصْحَابُ الْمَائِدَةِ ﴿ذَلِكَ﴾ اللُّعْنُ ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

[٧٩] ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ أَي: لَا يَنْهَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا ﴿عَنْ﴾  
 مَعَاوِدَةٍ ﴿مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فَعَلُهُمْ هَذَا.

[٨٠] ﴿تَرَى﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾  
 كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ مُغْضًا لَكَ ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ مِنْ  
 الْعَمَلِ لِمَعَادِهِمُ الْمَوْجِبَ لَهُمْ ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ  
 خَالِدُونَ﴾.

[٨١] ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ مُحَمَّدٌ ﴿وَمَا أُنْزِلَ  
 إِلَيْهِ مَا اخْتَدَوْهُمْ﴾ أَي: الْكُفَّارُ ﴿أُولَئِكَ لَنْ يَكُنْ لَهُمْ فِتْنَةٌ قَلِيلٌ﴾  
 خَارِجُونَ عَنِ الْإِيمَانِ.

[٨٢] ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾  
 الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ؛ لِتَضَاعَفَ كُفْرُهُمْ وَجَهْلُهُمْ  
 وَانْهَامَكُهُمْ فِي اتِّبَاعِ الْهَوَىٰ ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ قَوْمًا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾  
 الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ أَي: قَرِبَ مَوَدَّتُهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿يَأْتِيهِمْ مِنْهُمْ قَيْسِيَّةٌ﴾  
 سَبَبُ أَنْ ﴿مِنْهُمْ قَيْسِيَّةٌ﴾ عِلْمَاءُ ﴿وَرُحَبَانَا﴾ عُشْرَاءُ ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَسْتَكْبِرُونَ﴾  
 عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ كَمَا يَسْتَكْبِرُ الْيَهُودُ وَأَهْلُ مَكَّةَ. نَزَلَتْ فِي وَفْدِ  
 النَّجَاشِيِّ الْقَادِمِينَ عَلَيْهِ مِنَ الْحِشْيَةِ قَرَأَ ﴿سُورَةُ يَسَ﴾ فَبَكَوْا وَأَسْلَمُوا؛ وَقَالُوا:  
 مَا أَشْبَهَ هَذَا بِمَا كَانَ يَنْزِلُ عَلَى عِيسَى <sup>(١)</sup>.

[٨٣] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ ﴿تَرَى  
 أَعْيُنَهُمْ تَفِضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ صَدَقْنَا  
 بَنِيكَ وَكُتَابَكَ ﴿فَأَكْفُتُكُمْ شَاهِدِينَ﴾ الْمَقْرِبِينَ بِتَصَدِيقِهِمْ.

(١) أَخْرَجَ نَعْوَةَ عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ وَأَبُو الشَّيْخِ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ [الدر المنثور (٥٣٧/٢)].

والمشهور في كتب السير والتفاسير أنها نزلت في النجاشي وأصحابه، بعدما سمعوا سورة «مریم» من جعفر بن أبي طالب عليه السلام، لما قدم مع المسلمين في الهجرة الأولى للحبيشة، ففاضت أعينهم من الدمع مما عرفوا من الحق، ثم أسلم النجاشي. أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٩/١٤)، وابن أبي حاتم في التفسير (١١٨٠٥/٤)، وأبو نعيم في الحلية (١١٧/١) عن عروة بن الزبير، وهو مرسل صحيح الإسناد كما في الاستيعاب (٨٠/٢).

قال القاضي كنعان معلقاً على ذلك في قرة العين على تفسير الجلالين ص ١٥٣: «وما بحب التنبيه إليه؛ أن هذه الآيات لا تشمل جميع النصاري كما يتوهم البعض؛ فإن عداوتهم للمسلمين ظاهرة، ووقائع التاريخ في الأندلس والحروب الصليبية، حتى عصرنا، تشهد على ذلك، بل تشير الآيات إلى جماعة موصوفة منهم، سمعوا القرآن؛ ففاضت أعينهم من الدمع لمعرفة الحق، ثم آمنوا؛ ففي هؤلاء نزلت الآيات...» اهـ.

قلت: ويؤكد ذلك ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤٩/٦ رقم ٦١٢١) بسند صحيح عن سلمان قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة صنعت طعناً، فجئت به النبي ﷺ فقال: «ما هذا يا سلمان؟» قلت: صدقة. فقال لأصحابه: «كلوا» ولم يأكل، ثم إنني رجعت حتى جمعت طعناً، فأتيته به، فقال: «ما هذا يا سلمان؟» قلت: هدية، فضرب يده فأكل، وقال لأصحابه: «كلوا». قلت: يا رسول الله، أخبرني عن النصاري؟ قال: «لا خير فيهم ولا فيمن أحبهم»، فقلت وأنا مثقل: فأقر الله ﷻ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ حتى بلغ: ﴿يَفِضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾؛ فأرسل إلي رسول الله ﷺ فقال: «يا سلمان، إن أصحابك هؤلاء الذين ذكر الله». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٤٣/٩): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير سلامة العجلي وقد وثقه ابن حبان» وصححه في الاستيعاب (٨٢/٢).

[٨٧] ونزل - لما هم قومه من الصحابة أن يلازموا الصوم والقيام، ولا يقربوا النساء والطيب، ولا يأكلوا اللحم، ولا يناموا على الفراش -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنُوا طَيِّبَتْ مَا أَعْلَىٰ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَسْتَدُوا﴾ (١) تتجاوزوا أمر الله ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

[٨٨] ﴿وَكُلُوا وَمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ مفعول، والجاء والمجرور قبله حال متعلق به ﴿وَأَقْبُوا اللَّهَ الَّذِي أَنشَأَ بِهِ مَوْثُوتَ﴾ (٢).

[٨٩] ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ الْكَائِنِ﴾ الكائن في أَيْمَنِكُمْ هو: ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف؛ كقول الإنسان: لا والله، وبلى والله، ولكن يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ، بالتخفيف والتشديد، وفي قراءة: ﴿عَاقِدْتُمْ﴾ (٣) ﴿الْأَيْمَنِ﴾ عليه؛ بأن حلفتكم عن قصد ﴿فَكَفَرْتُمْ﴾ أي: اليمين؛ إذا خنتكم فيه ﴿إِلْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ﴾ لكل مسكين مَدٌّ ﴿وَمِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْبَعُونَ﴾ منه ﴿أَهْلِيكُمْ﴾ أي: أفضديه وأغلبه؛ لا أعلاه ولا أدناه ﴿أَوْ كَسَوْتُهُمْ﴾ بما يسمى كسوة؛ قميص وعمامة وإزار، ولا يكفي دفع ما ذكر إلى مسكين واحد، وعليه الشافعي (٤) ﴿أَوْ تَحَرِيرَ﴾ عتق ﴿رَقَبَةٍ﴾ أي: مؤمنة كما في كفارة القتل والظهار حلاً للمطلق على المقيد (٥) ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ﴾ واحداً مما ذكر ﴿فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ كفارته، وظاهره أنه لا يشترط التتابع؛ وعليه الشافعي ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿كَفَرَةٌ أَيْمَنِيكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحننتم ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾ أن تنكثوها ما لم تكن على فعل يَرُ أو إصلاح بين الناس - كما في سورة البقرة - ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ما بين لكم ما ذكر ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ، لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، ع على ذلك (٦).

[٩٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ الْمُسْكِرُ الَّذِي يَخَامِرُ الْعَقْلَ﴾ ﴿وَالْمَيْسِرُ﴾ القمار ﴿وَالْأَنصَابُ﴾ الأصنام ﴿وَالْأَزْلَامُ﴾ قدام الاستقسام ﴿وَبَشٌّ﴾ خبيث مستفذر ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ الذي يزينه ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أي: الرجس المعبر عن هذه الأشياء أن تفعلوه ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْهَمُونَ﴾.

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿١﴾ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ بِمَا قَالُوا أَجَنَّتْ تَجَرَّى مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَنْهَرُ خَلِيدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنُوا طَيِّبَتْ مَا أَعْلَىٰ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٤﴾ وَكُلُوا وَمِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَقْبُوا اللَّهَ الَّذِي أَنشَأَ بِهِ مَوْثُوتَ ﴿٥﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ الْكَائِنِ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِطَاعَةِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْبَعُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْتُهُمْ أَوْ تَحَرِيرَ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةٌ أَيْمَنَكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْهَمُونَ ﴿٧﴾

[٨٤] ﴿و﴾ قالوا في جواب من عيّرهم بالإسلام من اليهود: ﴿مَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ القرآن؛ أي: لا مانع لنا من الإيمان مع وجوب مقتضيه ﴿وَنَطْمَعُ﴾ عطف على: ﴿نُؤْمِنُ﴾ ﴿أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ المؤمنين الجنة.

[٨٥] قال تعالى: ﴿فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتْ تَجَرَّى مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَنْهَرُ خَلِيدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالإيمان.

[٨٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨٧)، (٨٨): أخرج الترمذي عن ابن عباس أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني إذا أصبت اللحم انتشرت إلى النساء وأخذتني شهوتي، فحرمت علي اللحم. فأمر الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنُوا طَيِّبَتْ مَا أَعْلَىٰ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَسْتَدُوا إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ وَكُلُوا وَمِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب

(٦) سورة المائدة (صحيح). صحيح سنن الترمذي (٢٤٤١).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٨٩): أخرج ابن ماجه عن ابن عباس قال: كان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه سعة، وكان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه شدة، فنزلت: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْبَعُونَ أَهْلِيكُمْ﴾. ابن ماجه - كتاب الكفارات (١١) باب (١٠)، وسكت عليه الألباني.

فائدة: أخرج البخاري عن عائشة أن أباها كان لا يبحث في بين حتى أنزل الله كفارة اليمين. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المائدة (٥).

(١) أخرجه نحوه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عكرمة وليس فيه ذكر الطيب والقيام، وأخرج ابن جرير عن إبراهيم النخعي (قال: كانوا حرموا الطيب واللحم فأمر الله هذا فيهم)، وفي البخاري (٤٦٧٥) ومسلم (٢٤٨٧) عن عائشة قصة نحو ذلك بدون ذكر أنها سبب لنزول الآية، وليس فيها ذكر الطيب [الدر المنثور (٥٤٤/٦)].

وأخرج الطبري عن السدي... فحرم بعضهم أكل اللحم والودك وأن يأكل بالنهار وحرم بعضهم النوم وحرم بعضهم النساء... (١٣٤٥).

(٢) لابن ذكوان، وبالتخفيف بدون ألف قراءة حمزة والكسائي وشعبة.

(٣) والجمهور، وهو الزجاج.

(٤) وهذا مذهب مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة: لا يحمل المطلق على المقيد إلا إذا اتحد السبب، وهنا اختلف فلا حمل، ويكفي في اليمين والظهار عنده عتق الكافرة.

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ  
فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ  
الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا  
الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رَسُولِنَا  
الْبَلْعُ الْمُمِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
ثُمَّ اتَّقَوْا ءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ  
الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوَكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ  
مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ ءَأْيَدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ  
بِالْغَيْبِ فَمَن أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ  
مِنْكُمْ فَتَعَدَّىٰ فَجْزَاءٌ مِّثْلَ مَا قَتَلَ مِنَ النِّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا  
عَدْلٍ مِنْكُمْ هَذَا يَبْلُغُ الْكَعْبَةَ أَوْ كَفَرَةً طَعَامَ مَسْكِينٍ  
أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا يَدُوقُ وَبَالَ أَمْرِهُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا  
سَلَفَ وَمَن عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إِلَيْهِ ﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ﴿ذُو  
الْإِنْتِقَامِ﴾ مِمَّنْ عَصَاهُ، وَالْحَقُّ بِقَتْلِهِ مُتَعَدِّيًا فِيمَا ذَكَرَ الْخَطَأُ.

[٩١] ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ  
وَالْمَيْسِرِ﴾ إِذَا اتَّيَمُّوهُمَا؛ لِمَا يَحْصُلُ فِيهِمَا مِنَ الشَّرِّ وَالْفِتَنِ ﴿وَيَصُدَّكُمْ﴾  
بِالْإِشْغَالِ بِهِمَا ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ خَصَّصَهَا بِالذِّكْرِ تَعْظِيمًا لَهَا ﴿فَهَلْ  
أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ عَنْ إِيَّائِهِمَا؛ أَيْ: انْتَهَوْا<sup>(٩١)</sup>.

[٩٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا﴾ الْمَعَاصِيَ ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عَنْ  
الطَّاعَةِ ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْعُ الْمُمِينُ﴾ الْإِبْلَاقُ الْبَيْنُ، وَجَزَاؤُكُمْ عَلَيْنَا.  
[٩٣] ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا﴾  
أَكَلُوا مِنَ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قَبْلَ التَّحْرِيمِ ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ الْخُرْمَاتِ ﴿وَعَمِلُوا  
وَصَلَّوْا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَعَمِلُوا﴾ ثَبَتُوا عَلَى التَّقْوَى وَالْإِيمَانِ ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا  
وَأَحْسَنُوا﴾ الْعَمَلِ ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ بِمَعْنَى: أَنَّهُ يَشِيهُمُ<sup>(٩٢)</sup> <sup>(٩٣)</sup>.

[٩٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوَكُمُ اللَّهُ﴾ لِيُخَبِّرَكُمْ ﴿اللَّهُ بِشَيْءٍ﴾ يَرْسِلُهُ لَكُمْ ﴿وَمِنَ  
الصَّيْدِ تَنَالَهُ﴾ أَيْ: الصَّغَارَ مِنْهُ ﴿ءَأْيَدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ الْكِبَارَ مِنْهُ، وَكَانَ ذَلِكَ  
بِالْحَدِيثَةِ وَهُمْ مُخْرِمُونَ<sup>(٩٤)</sup>؛ فَكَانَتْ الْوَحْشُ وَالطَّيْرُ تَغْشَاهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ﴿لِيَعْلَمَ  
اللَّهُ﴾ عِلْمَ ظُهُورٍ ﴿مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ حَالٌ؛ أَيْ: غَائِبًا لَمْ يَرَهُ؛ فَيَجْتَنِبُ الصَّيْدَ  
﴿فَمَن أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ النَّهْيُ عَنْهُ؛ فَاصْطَادَهُ ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٩٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ مُخْرِمُونَ بِحُجٍّ أَوْ  
عَمْرَةٍ ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَدِّيًا فَجْزَاءٌ﴾ بِالتَّوْبِينِ وَرَفْعِ مَا بَعْدَهَا؛ أَيْ: فَعَلِيهِ جَزَاءٌ  
هُوَ: ﴿مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النِّعَمِ﴾ أَيْ: شَبِيهِ فِي الْخَلْقَةِ، وَفِي قِرَاءَةِ<sup>(٩٥)</sup>؛ بِإِضَافَةِ  
«جَزَاءٍ»، ﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾ أَيْ: بِاللَّشِّ رَجُلَانِ ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ لَهَا قُطْعَةُ يَمِيزَانِ  
بِهَا أَشْبَهَ الْأَشْيَاءَ بِهِ، وَقَدْ حَكَّمَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ<sup>(٩٥)</sup> فِي النِّعَامَةِ بِذَنْبَةٍ،  
وَابْنُ عَبَّاسٍ وَأَبُو عُبَيْدَةَ فِي بَقْرِ الْوَحْشِ وَحِمَارِهِ بِبِقْرَةٍ، وَابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَوْفٍ فِي  
الظُّبْيِ بِشَاةٍ، وَحَكَّمَ بِهَا<sup>(٩٥)</sup> ابْنُ عَبَّاسٍ وَعُمَرُ وَغَيْرُهُمَا فِي الْحِمَامِ؛ لِأَنَّهُ يَشَبِيهِهَا فِي  
الْعَبِّ<sup>(٩٥)</sup> ﴿هَذَا﴾ حَالٌ مِّنَ «جَزَاءٍ» ﴿يَبْلُغُ الْكَعْبَةَ﴾ أَيْ: يَبْلُغُ بِهِ الْحَرَمَ؛ فَيَذْبَحُ  
فِيهِ، وَيَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَى مَسَاكِينِهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَذْبَحَ حَيْثُ كَانَ، وَنَصَبَهُ نَعْلًا لِّمَا  
قَبْلَهُ. وَإِنْ أَضْيَفَ؛ لِأَنِّ إِضَافَتَهُ لَفْظِيَّةٍ؛ لَا تَقْبِدُ تَعْرِيفًا؛ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلصَّيْدِ مِثْلُ  
مِنَ النِّعَمِ كَالْعَصْفُورِ وَالْجَرَادِ فَعَلِيهِ قِيَمَتُهُ ﴿أَوْ﴾ عَلَيْهِ ﴿كَفَّارَةٌ﴾ غَيْرُ الْجَزَاءِ.  
وَإِنْ وَجَدَهُ - هِيَ: ﴿طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ مِّنْ غَالِبِ قُوَّةِ الْبِلَدِ مَا يَسَاوِي قِيَمَةَ  
الْجِزَاءِ لِكُلِّ مَسْكِينٍ مِّثْلًا، وَفِي قِرَاءَةِ<sup>(٩٥)</sup>؛ بِإِضَافَةٍ ﴿كَفَّارَةٌ﴾ لِّمَا بَعْدَهُ، وَهِيَ  
لِلْبَيَانِ ﴿أَوْ﴾ عَلَيْهِ ﴿عَدْلٌ﴾ مِثْلُ «ذَلِكَ» الطَّعَامِ ﴿صِيَامًا﴾ بِصَوْمِهِ؛ عَنْ  
كُلِّ مِثْلٍ يَوْمٍ، وَإِنْ وَجَدَهُ وَجِبَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ﴾ ثَقُلَ جَزَاءُ  
﴿أَمْرِهِ﴾ الَّذِي فَعَلَهُ ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْ سَلَفٍ﴾ مِّنْ قَتْلِ الصَّيْدِ قَبْلَ تَحْرِيمِهِ

(٩٠) مَا جَاءَ فِي زُيْلِ الْآيَتَيْنِ (٩٠، ٩١). أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتُ مِنَ الْقُرْآنِ. قَالَ: ... وَآتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ، فَقَالُوا: تَعَالِ نَطْعُوكَ وَنَسْقِيكَ خَمْرًا - وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَحْرِمَ الْخَمْرَ. قَالَ: فَاتَّيَبْتُ فِي حُشٍّ - وَالْحِشِّ: الْبُسْتَانُ. فَإِذَا رَأْسُ جَزُورٍ مَشْرُوبٍ عَنْدهُمْ وَزِقٌ مِّنْ خَمْرٍ. قَالَ: فَأَكَلْتُ وَشَرَبْتُ مَعَهُمْ. قَالَ: فَذَكَرْتُ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرِينَ عَنْدهُمْ، فَقُلْتُ: الْمُهَاجِرُونَ خَيْرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ. قَالَ: فَأَخَذَ رَجُلٌ أَحَدَ لَحْيِي الرَّأْسِ فَضْرِبَنِي بِهِ، فَجَرَحَ بَأَنفِي، فَآتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبِرْتُهُ، فَأَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي - بِعَنِي نَفْسِهِ - شَأْنُ الْخَمْرِ ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَصْنَامُ وَالْأَكْثَابُ وَالْأَصْنَامُ﴾. مُسْلِمٌ كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ (٤٤) بَابُ (٥) فَضْلُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ.

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ: اللَّهُمَّ يَبْلُغُ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شَفَاءٍ، فَزَلَّتْ لِي فِي الْبَقْرِ: ﴿يَسْتَلْزِمُكَ غَرَبُ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ الْآيَةَ. فَدَعَا عُمَرَ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ يَبْلُغُ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شَفَاءٍ، فَزَلَّتْ لِي فِي الْمَالِدَةِ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾. فَدَعَا عُمَرَ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: انْتَهَيْتُ انْتِهَائِي. التِّرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٦) سُورَةُ الْمَالِدَةِ. وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: حَرَّمَ الْخَمْرَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: قَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْمَدِينَةِ وَهُمْ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَأْكُلُونَ الْمَيْسِرَ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْهَا فَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّ: ﴿يَسْتَلْزِمُكَ غَرَبُ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. فَقَالَ النَّاسُ: مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، إِنَّمَا قَالَ: ﴿فِيهَا إِثْمٌ كَثِيرٌ﴾، وَكَانُوا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ مِنَ الْأَيَّامِ صَلَّى رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، أَمْ أَصْحَابُهُ فِي الْمَغْرِبِ خَلَطَ فِي قِرَاءَةِ، فَأَنزَلَ اللَّهُ فِيهَا آيَةً أَغْلَظَ مِنْهَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ﴾. فَدَعَا عُمَرَ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: انْتَهَيْتُ انْتِهَائِي. سَبَقَ تَحْرِيمُهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ عِنْدَ الْآيَةِ (٢١٩).

ثُمَّ أُنزِلَتْ آيَةٌ أَغْلَظُ مِنْ ذَلِكَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا أَكْثَرَ النَّاسِ أَثَمٌ وَالْأَكْثَرُ يَلْمِزُكَ لَتَلْعَبَنَ فَاغْتَبِوهُ لَكُمْ لَتَلْعَبَنَ﴾. فَقَالُوا: انْتَهَيْتُ. سَبَقَ تَحْرِيمُهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ عِنْدَ الْآيَةِ (٢١٩).  
(٩٥) مَا جَاءَ فِي زُيْلِ الْآيَةِ (٩٣): أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَتَبَ سَلَفِي الْقَوْمِ فِي مِثْلِ أَبِي طَلْحَةَ - وَكَانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ الْقُضَيْخَ - فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنَادًا يَنَادِي: أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ.

(٩٦) وَهَذَا تَأْوِيلٌ لِلصَّفَةِ بِأَعْرَاضِهَا، وَمَذْهَبُ السَّلَفِ إِثْبَاتُ الْإِيمَانِ بِهَا عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ - سَبْحَانَهُ - وَسَبَّحَ ذَلِكَ مَرَّاتًا. (٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ مَقَاتِلِ بْنِ حِيَّانٍ [الَّذِي النُّشُورُ (٥٧٦/٢)].

(٣) لِلنَّاعِ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبُو عُمَرَ وَابْنُ عَامَرٍ. (٤) أَيْ بِالْمَدِينَةِ. (٥) أَيْ: شَرِبَ الْمَاءَ بِلَا قُضْ. (٦) لِلنَّاعِ وَابْنِ عَامَرٍ.

نمرات كل شيء إليه، وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: ﴿فِيمَا﴾ بلا ألف؛ مصدر قام غير مُغَلٍّ<sup>(٣)</sup> والشَّهْرُ الْحَرَامُ بمعنى: الأشهر الحرم. ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب. قياماً لهم؛ بأمنهم من القتال فيها ﴿وَالْهَدَى وَالْقَلِيدَ﴾ قياماً لهم؛ بأمن صاحبيهما من التعرض له ﴿ذَلِكَ﴾ الجعل المذكور ﴿يَتَعَلَّمُونَ أَنَّهُ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فإن جعله ذلك لجلب المصالح لكم ودفع المضار عنكم قبل وقوعها دليل على علمه بما هو في الوجود وما هو كائن.

[٩٨] ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لأعدائه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ ذَلِيلٌ لَهُمْ﴾ بهم.

[٩٩] ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ لكم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ تظهرون من العمل ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ تخفون منه؛ فيجازيكم به.

[١٠٠] ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ الْحَرَامُ وَالطَّيِّبُ الْحَلَالُ وَلَوْ أَنِّي أَلْبَسْتُكُمْ ثِيَابًا مِثْلَ ثِيَابِ الْخَبِيثِ فَتَبَعُوا أَفَلَا تَكُونُونَ يَاقِينَ﴾ أي: سرك ﴿كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّبَعُوا اللَّهَ﴾ في تركه ﴿يَتَأُولَى الْأَنْبِيَاءَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ تفوزون.

[١٠١] ﴿وَنَزَلَ﴾ لما أكرموا سؤاله ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ﴾ تظهر ﴿لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ لما فيها من المشقة ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ﴾ في زمن النبي ﴿يُبْدَ لَكُمْ﴾ المعنى: إذا سألتكم عن أشياء في زمنه ينزل القرآن بإدائها، ومتى أبداها ساءتكم؛ فلا تسألوا عنها؛ قد عفا الله عنها عن مسألتكم؛ فلا تعودوا ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

[١٠٢] ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ فَأَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ أي: الأشياء ﴿قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أنبياءهم؛ فأجيبوا ببيان أحكامها ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا﴾ صاروا ﴿بِهَا كَافِرِينَ﴾ بتركهم العمل بها.

[١٠٣] ﴿مَا جَعَلَ﴾ شرع ﴿اللَّهُ مِنْ بَيْعَرٍ وَلَا سَلْبَةٍ وَلَا وَصِيَّةٍ وَلَا حَكْمٍ﴾ كما كان أهل الجاهلية يفعلونه، روى البخاري عن سعيد بن المسيب قال: البعيرة: التي يمنع درها للطواغيت؛ فلا يحلبها أحد من الناس، والسالبة: التي كانوا يسيبونها لأنهمهم؛ فلا يحمل عليها شيء، والوصيلة: الناقة البكرة تكرر في أول نتاج الإبل بأثنى، ثم تنثني بغد بأثنى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم؛ إن وصلت إحداها بأحرى، ليس بينهما ذكر، والحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعداد؛ فإذا قضى ضرابه ودغوه للطواغيت وأعفوه من أن يحمل عليه شيء وشوهه الحامي ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ في ذلك وفي نسبته إليه ﴿وَأَكْذَبَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ في ذلك افتراء؛ لأنهم قلدوا فيه آباءهم.

أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَعَةً لِكُمْ وَلِلْسَيَّارَةِ وَحَرَمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٨﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ فِيمَا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلِيدَ ذَلِكَ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٩﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٠﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابَ لَعَلَّكُمْ تُفْهَمُونَ ﴿١٠٢﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ أَنْ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٤﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَيْعَرٍ وَلَا سَلْبَةٍ وَلَا وَصِيَّةٍ وَلَا حَكْمٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْذَبَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٥﴾

[٩٦] ﴿أَجَلٌ لَكُمْ﴾ أيها الناس - خلافاً لأنتم أو مخرجين - ﴿صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ أن تأكلوه؛ وهو: ما لا يعيش إلا فيه؛ كالسمك، بخلاف ما يعيش فيه وفي البر؛ كالسرطان ﴿وَلطَعَامُهُ﴾ ما يقذفه ميتاً ﴿مَتَعَةً﴾ تمتيعاً ﴿لَكُمْ﴾ تأكلونه ﴿وَالسَيَّارَةِ﴾ المسافرين منكم؛ يتزودونه ﴿وَحَرَمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ﴾ وهو: ما يعيش فيه من الوحش المأكول؛ أن تصيدهوه ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ فلو صاده خللاً فللمحرم أكله. كما بينته السنة<sup>(١)</sup> - ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

[٩٧] ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ المحرم ﴿فِيمَا لِلنَّاسِ﴾ يقوم به أمر دينهم؛ بالحج إليه، ودنياهم؛ بأمن داخله، وعدم التعرض له، وجبي

= قال: فقال لي أبو طلحة: أخرج أهرقها، فخرجت فهرقها، فجرت في سلك المدينة. فقال بعض القوم: قد قتل قوم وهي في بطونهم، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ الآية. البخاري - كتاب المظالم (٤٦) باب (٢١) صب الحمر في الطريق.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠١): أخرج البخاري عن موسى بن أسن عن أسن رضي الله عنه قال: حطبت رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثله قط. قال: «لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلاً ولبكيتم كثيراً. قال: فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنن، فقال رجل: من أي؟ قال: «أبوك فلان». فنزلت هذه الآية: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المائدة باب (١٢).

وأخرج أيضاً عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل من أي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ حتى فرغ من الآية كلها. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المائدة (٥) باب (١٢).

(١) روى البخاري (٢٣٨٢) ومسلم (٢٠٦٣) واللفظ له عن أبي قتادة السلماني أنه كان مع رسول الله ﷺ حتى إذا كان ببعض طريق مكة تخلف مع أصحاب له محرمين وهو غير محرم فرأى حملاً وحشياً فاستوى على فرسه فسأل أصحابه أن يناولوه سوطه فأبوا عليه فسألهم رمحه فأبوا عليه فأخذته ثم شد على الحمار فقتله، فأكل منه بعض أصحاب النبي ﷺ وأبى بعضهم، فأدركوا رسول الله ﷺ فسألوه عن ذلك فقال: «إنما هي طعمة أطعمكموها الله». (٢) لابن عامر. (٣) أخرج نحوه الطبري عن أسن بن مالك وفيه (سألوه حتى أجفوه بالمسألة...) (١٢٩٧)، وعن قتادة وفيه «حتى أكلوا عليه...» (١٢٨٠)، وأخرج البخاري (٤٢٥٦) عن ابن عباس قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل: من أي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقي؟

[١٠٤] «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ» أي: إلى حكمه من تحليل ما حرمهم ﴿فَقَالُوا حَسْبُنَا﴾ كافياً ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ مَنَافِعَ﴾ من الدين والشرعة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْآيَاتُ مِنْ أَنْزِلْنَا إِلَيْهِمْ﴾ إلى الحق، والاستفهام للإنكار. [١٠٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: احفظوها، وقوموا بصلاحها ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قيل: المراد: لا يضركم من ضل من أهل الكتاب، وقيل: المراد غيرهم؛ لحديث أبي ثعلبة الحاشني: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «اتَّبِعُوا بِالْغُرُوبِ، وَتَنَاهَا عَنْ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ شَيْخًا طَاعًا وَهُوَ مُتَّبَعٌ وَذُنَا مُؤْتَرَةٌ وَغِيَابُ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ؛ فَعَلَيْكَ نَفْسُكَ»<sup>(١)</sup> [رواه الحاكم وغيره] «إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فيجازيكم به.

[١٠٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: أسبابه ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ خبر بمعنى الأمر: أي: لشهد، وإضافة ﴿شَهِدُوا﴾ لـ «دين» على الاتساع<sup>(٢)</sup> و﴿حِينَ﴾ بدل من ﴿إِذَا﴾ أو ظرف لـ ﴿حَضَرَ﴾ «أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ» أي: غير ملتكم ﴿إِنْ أَنْتُمْ صَرِفْتُمْ﴾ سافرتُمْ «فِي الْأَرْضِ فَاصْبِرْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا» توقفونهما، صفة «آخَرَانِ» «وَمِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ» أي: صلاة العصر ﴿فَيَقْسِمَانِ﴾ يحلفان «بِاللَّهِ» إنَّ أَتَيْتُمْ شَكِكْتُمْ ﴿وَيَقُولَانِ﴾: «لَا نَشْتَرِي بِدِينِ اللَّهِ» كَيْتَا عِوَضًا نَأْخُذَهُ بَدْلَهُ مِنَ الدُّنْيَا بَأَن نَحْلِفَ بِهِ أَوْ نَشْهَدَ كَذِبًا لِأَجْلِهِ «وَلَوْ كَانُ الْقَسْمُ لَهُ أَوْ الشَّهَادَةُ لَهُ» ذَا قُرْبَى قَرَاتِهِ مَا «وَلَا نَكُنُّ شُهَدَاءَ اللَّهِ» التي أمرنا بها «إِنَّا إِذَا» إِنْ كَتَمْنَاهَا «لَيْنِ الْآثِمِينَ».

[١٠٧] «إِنْ غَيْرُكُمْ» أطلع بعد حلفهما «عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا» أي: فعلا ما يوجب؛ من خيانة أو كذب في الشهادة؛ بَأَن وَجَدَ عِنْدَهُمَا مِثْلًا مَا أَثِمَ بِهِ وَادْعَايَا أَنَّهُمَا ابْتِغَاءَ مِنَ الْمِيتِ أَوْ وَصِي لِهَمَا بِهِ «فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا» في توجه اليمين عليهما «مَنْ الَّتِي اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمَا» الوصية؛ وهم: الورثة، ويبدل من «آخَرَانِ» «الَّذَيْنِ» بالميت؛ أي: الأقربان إليه، وفي قراءة<sup>(٣)</sup> «الَّذَيْنِ» جمع أول؛ صفة أو بدل من «الَّذِينَ» ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ على خيانة الشاهدين؛ ويقولان: «لَشَهِدْنَا» مِمَّنَا «أَنْ» أَصْدَق «مِنْ شَهَدَتِهِمَا» مِمَّنَا «وَمَا أَهْتَدَيْنَا» تجاوزنا الحق في اليمين «إِنَّا إِذَا لَيْنَ الظَّالِمِينَ» المعنى: ليشهد المحتضر على وصيته اثنين، أو يوصي إليهما من أهل دينه أو غيرهم؛ إن فقدهم لسفر ونحوه، فإن ارتاب الورثة فيهما؛ فادَّعُوا أَنَّهُمَا خَانَا بِأُحْدِ شَيْءٍ أَوْ دَفَعَهُ إِلَى شَخْصٍ زَعَمَا أَنَّ الْمِيتَ أَوْصَى لَهُ بِهِ؛ فيحلفا إلى آخره، فإن أطلع على أمانة تكذيبهما فادَّعِيَا دَفْعًا لَهُ؛ حلف أقرب الورثة على كذبهما وصدق ما ادَّعوه، والحكم ثابت في الوصيين، منسوخ في الشاهدين<sup>(٤)</sup>، وكذا شهادة غير أهل الملة منسوخة، واعتبار صلاة العصر؛ للتغليظ، وتخصيص الحلف في الآية باثنين من أقرب الورثة؛ لخصوص الواقعة التي نزلت لها؛ وهي: ما رواه البخاري<sup>(٥)</sup> أن رجلاً من بني سهم خرج مع تميم الداري وعدي بن بداء - أي: وهما نصرانيان -

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ عَابَةً أَوَّلَوْ كَانُوا أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ صَرِفْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَاصْبِرْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكُنُّ شُهَدَاءَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ ﴿إِنْ غَيْرُكُمْ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَقْلَابُ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَنَّهُمَا قَدْ شَهِدْتَهُمَا وَمَا كُنَّا بِأَعْيُنِنَا إِنْ كُنَّا الظَّالِمِينَ﴾ ﴿ذَلِكَ أَتَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُونَ أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ آيَتِهِمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم، فلما قدما بتركته فقدوا حجامًا من فضة مَخُوضًا بالذهب؛ فرعوا إلى النبي ﷺ فنزلت؛ فاحلفهما، ثم وَجَدَ الجام بمكة؛ فقالوا: ابتعنا من تميم وعدي؛ فنزلت الآية الثانية؛ فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا، وفي رواية الترمذي<sup>(١)</sup>؛ فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا وكانا أقرب إليه، وفي رواية؛ فمرض؛ فأوصى إليهما، وأمرهما أن يُبْلِغَا ما ترك أهله، فلما مات أحذا الحجام وَدَفَعَا إلى أهله ما بقي.

[١٠٨] «ذَلِكَ» الحكم المذكور؛ من رد اليمين على الورثة «أَذْفَ» أقرب إلى «أَنْ يَأْتُوا» أي: الشهود أو الأوصياء «بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا» الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة «أَوْ» أقرب إلى أَنْ «يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ آيَتِهِمْ» على الورثة المدعين؛ فيحلفون على خيانتهم وكذبهم؛ فيفتضحون ويغرمون؛ فلا يكذبوا «وَأَتَّقُوا اللَّهَ» بترك الخيانة والكذب «وَأَسْمِعُوا» ما تومرون به سماع قَبُولِ «وَأَنَّه لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» الخارجين عن طاعته إلى سبيل الخير<sup>(٢)</sup>.

(٥) ما جاء في رول الآيات (١٠٦ - ١٠٨): أخرج البخاري عن ابن عباس رضى الله عنهما: قال: خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بداء، فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم، فلما قدما =

(١) لم أجد عند الحاكم، ورواه الترمذي (٢٩٨٤) وأبو داود (٣٧٧٨) وابن ماجه (٤٠٠٤) وضعفه الألباني لكن بعضه صحيح. صحيح وضعيف الجامع (٢٣٤٤)، ضعيف الترغيب والترهيب (١٨٤٦).

(٢) أي: التسميح والتجوز، وأضيفت إلى «الدين» ولم تنصف إلى «الأموال»؛ لأن الشهادة على الأموال تمنع فساد الدين، والأصل فيه شهادة بينهم؛ أي: ففرض عليكم أن يشهد الوصية بينهم اثنين؛ فحذف المفعول به، وأضيفت الشهادة إلى الظرف، وهو المسمى عند النحويين بالمفعول على السعة. (٣) لحزة وشعبة. (٤) أي: عند من يشترط في الشهود الإسلام ولو عند فقد المسلمين، وأما من لم يشترط فلا نسخ عنه. (٥) البخاري (٢٧٨٠). (٦) أخرجه الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٦) سورة المائدة. [ضعيف الإسناد جليل] [ضعيف سنن الترمذي (٥٨٦)].

لهم توبيحاً لقومهم: ﴿مَاذَا﴾ أي: الذي ﴿أَجَبْتُمْ بِهِ﴾ به حين دعوتهم إلى التوحيد ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ بذلك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ ما غاب عن العباد، وذهب عنهم علمه؛ لشدة هول يوم القيامة؛ وفرغهم، ثم يشهدون على أمهم لما يسكنون.

[١١٠] اذكر ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾ بشكرها ﴿إِذْ آتَيْنَاكَ﴾ قُوَّتُكَ ﴿يُوحِ الْأَقْدُسُ﴾ جبريل ﴿تَكِيدُ النَّاسَ﴾ حال من الكاف في ﴿آتَيْنَاكَ﴾ ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ أي: طفلاً ﴿وَكَهَلًا﴾ يفيد نزوله قبل الساعة؛ لأنه رفع قبل الكهولة. كما سبق في آل عمران .. ﴿وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالزُّرْنَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيِّئَةٍ﴾ كصورة ﴿الطَّيْرِ﴾ والكاف اسم بمعنى: مثل، مفعول ﴿يَاذَنِي فَتَنْفِخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ بإرادتي ﴿وَنُفِثُ الْأَكْصَمَ وَالْأَنْزَمَ﴾ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرَجُ الْمَوْتَى من قبورهم أحياء ﴿يَاذَنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ﴾ حين هَمُّوا بقتلك ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ وفي قراءة: ﴿سَاجِرٌ﴾ <sup>(١)</sup> أي: عيسى.

[١١١] ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ أمرتهم على لسانه ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿ءَامِنُوا بِرِسُولِي﴾ وَرِسُولِي عيسى ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِهِمَا﴾ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

[١١٢] اذكر ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ يفعل ﴿رَبُّكَ﴾ وفي قراءة: بالقوفانية ونصب ما بعده <sup>(٢)</sup>؛ أي: تقدر أن تسأله ﴿أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ قال لهم عيسى: ﴿أَتَقْوُوا اللَّهَ﴾ في اقتراف الآيات ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[١١٣] ﴿قَالُوا نُؤَيِّدُكَ﴾ سؤالها من أجل ﴿أَنْ تَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ﴾ تسكن ﴿فَلَوْنَا﴾ بزيادة اليقين ﴿وَتَعْلَمَ﴾ نرداد علماً ﴿أَنْ﴾ مخففة؛ أي: أنك ﴿قَدْ صَدَقْتَنَا وَكُنْ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ <sup>(٣)</sup> إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ آتَيْنَاكَ يُرُوحَ الْأَقْدُسُ تَكِيدُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالزُّرْنَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيِّئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفِخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَنُفِثُ الْأَكْصَمَ وَالْأَنْزَمَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرَجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ <sup>(٤)</sup> وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِرِسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ <sup>(٥)</sup> إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالُوا أَتَقْوُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ <sup>(٦)</sup> قَالُوا نُؤَيِّدُكَ نَأْكُلُ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَتَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَكُنْ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ <sup>(٧)</sup>

[١٠٩] اذكر ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ هو: يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ﴾

= بتركتهم فقدوا جاماً من فضة مخوَّضاً من ذهب، فأحضرهما رسول الله ﷺ ثم وجد الجمجمة، فقالوا: اجننا من تميم وعدي، فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا: لشهادتنا أحق من شهادتهما، وإن الجمجمة لصاحبهم. قال: وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿يُنَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ﴾. البخاري كتاب الوصايا (٥٥) باب (٣٥).

(١) لحمة والكسائي.

(٢) أي: ﴿تَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ وهي قراءة الكسائي.



[١١٤] ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾. يوم نزولها ﴿عِيدًا﴾ نعظمه ونشرفه ﴿لَأَوَّلِنَا﴾ بدل من ﴿لَنَا﴾؛ بإعادة الجاء ﴿وَوَآخِرِنَا﴾ من يأتي بعدنا ﴿وَوَآيَةً مِنْكَ﴾ على قدرتك ونبوتي ﴿وَوَرَّزُقْنَا﴾ بإيها ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

[١١٥] ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ مستحيبًا له: ﴿إِنِّي مُنْزِلُهَا﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(١)</sup> ﴿عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ﴾ أي: بعد نزولها ﴿مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ فنزلت الملائكة بها من السماء؛ عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات، فأكلوا منها حتى شبعوا<sup>(٢)</sup>. قاله ابن عباس، وفي حديث: ﴿أَنْزِلَتِ الْمَائِدَةُ مِنَ السَّمَاءِ خُبْرًا وَلَحْمًا فَأَمْرُوا أَنْ لَا يَحْمِلُوا وَلَا يَدْجِرُوا لَعْدًا فَحَاتُوا وَادَّخَرُوا فَمَسَحُوا قِرَدَةً وَخَنَازِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>.

[١١٦] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إذ قال ﴿أَيُّ يَقُولُ﴾: ﴿اللَّهُ﴾ لعيسى؛ في القيامة توبيخًا لقومه: ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ مَأْتِ قُلْتُ لِلنَّاسِ أَخْبُدُونِي وَأُمِّي إِلَهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ عِيسَى: وقد أُرعد: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها لك عما لا يليق بك من شريك وغيره ﴿مَا يَكُونُ﴾ ما ينبغي ﴿لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ خبر ﴿لَيْسَ﴾ و﴿لِي﴾ للثنين ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُمْ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمَ مَا﴾ أخفيه ﴿فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أي: ما تخفيه من معلوماتك<sup>(٤)</sup> ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾<sup>(٥)</sup>.

[١١٧] ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ وهو: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِنْكُمْ﴾ رقيبًا؛ معهم ما يقولون ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ قبضتني؛ بالرفع إلى السماء ﴿كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ الحفيظ لأعمالهم ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من قولي لهم، وقولهم بعدي، وغير ذلك ﴿شَهِيدٌ مُطَّلِعٌ عَلَّامٌ بِهِ﴾.

[١١٨] ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي: من أقام على الكفر منهم ﴿فَأَنْتَ عَذَابُهُمْ﴾ وأنت مالكهم؛ تتصرف فيهم كيف شئت، لا اعتراض عليك ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي: لمن آمن منهم ﴿فَأِنَّكَ أَنْتَ الْغَنِيُّ﴾ على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[١١٩] ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا﴾ أي: يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ﴾ في الدنيا؛ كعيسى ﴿صِدْقُهُمْ﴾ لأنه يوم الجزاء ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته<sup>(٦)</sup> ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بشوابه<sup>(٧)</sup> ﴿ذَلِكَ الْقَرُورُ الْمَطْمُوحُ﴾ ولا ينفع الكاذبين في الدنيا صدقهم فيه؛ كالكفار لما يؤمنون عند رؤية العذاب.

[١٢٠] ﴿يَلِلَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خزائن المطر والنبات والرزق

وغيرها ﴿وَمَا فِيهِ﴾ أتى به «ما» تغليبا لغیر العاقل ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه إثابة الصادق وتعذيب الكاذب. وخص العقل ذاته فليس عليها بقادر<sup>(٨)</sup>.

\*\*\*

(١) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: تلقى عيسى حجه، ولقاه الله في قوله: ﴿وَرَأَى قَالَ اللَّهُ يَعْجِزُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ مَأْتِ قُلْتُ لِلنَّاسِ أَخْبُدُونِي وَأُمِّي إِلَهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿فَلَقَاهُ اللَّهُ﴾: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ الآية كلها. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٦) سورة المائدة، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٥٠).

(٢) بالتخفيف؛ أي: للزاي، ولازمه سكون النون، قراءة حمزة والكسائي وإن كثير وأبي عمرو.

(٣) ذكره البغوي عن ابن عباس (١١٩/٣)، وأخرج قريبا منه ابن جرير عن إسحاق بن عبد الله [الدر المنثور (٦١٣/٢)].

(٤) أخرجه الترمذي (٢٩٨٧) وابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأباري في كتاب الأضداد وأبو الشيخ وابن مردويه عن عمار بن ياسر مرفوعا [الدر المنثور (٦١٢/٢)]، وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن الترمذي (٥٨٧).

(٥) ومذهب السلف إثبات صفة النفس لله ﷻ على الوجه اللاتق به، وهل هي الذات أم صفة للذات؟ قولان للسلف، والجهميون أنها هي الذات.

(٦) وهذا تأويل بصفة رضاه ﷻ ومذهب السلف إثباتها لله ﷻ على الوجه اللاتق به بلا تأويل أو تعطيل أو تكيف أو تمثيل، وسبق مرارا التنبيه على ذلك.

(٧) هذا تأويل لصفة الرضا ببعض لوازمها من الثواب ونحوه، وسبق مرارا التنبيه على ذلك.

(٨) ومثل هذا الإطلاق الأولي الإمساك عنه، ولم يقل به أحد من السلف.

## سورة الأنعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ  
وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝ هُوَ الَّذِي  
خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ  
تَمْتَرُونَ ۝ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ  
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝ وَمَا أَنْتُمْ مِنْ عَائِدِينَ مِنْ  
عَائِلَةٍ رَّبُّهُمْ إِلَّا كَأَنْتُمْ كَذِبُونَ ۝ فَكَذَّبُوا بِالْحَقِّ  
لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا يهْتَكِمُونَ ۝  
أَلَمْ يَرَوْا كَرَاهِيَتَنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَتْهُمْ فِي الْأَرْضِ  
مَا لَمْ يُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا آلِهَتَهُمْ  
نَجْرًا مِنْ خِيتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ يَوْمَهُمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا  
آخَرِينَ ۝ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى كَثَبٍ مِنْ قَرْطَاسٍ فَاتَمَسَّوهُ بِأَيْدِيهِمْ  
لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُومٌ ۝ وَقَالُوا أَوَلَا أَنْزَلَ  
عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْآمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ۝

## سورة الأنعام

[مكية<sup>(\*)</sup>] إلا: ﴿وَمَا تَدْرُوْا أَنَّ اللَّهَ﴾ الآيات الثلاث، وإلا: ﴿قُلْ تَسَاءَلُوا﴾  
الآيات الثلاث، وهي: مائة وخمس، أو: وست وستون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ﴾ وهو: الوصف بالجميل، ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ وهل المراد  
الإعلام بذلك للإيمان به أو الشاء به أو هما؟ احتمالات، أفيدنا الثالث، قاله

الشيخ<sup>(١)</sup> في سورة الكهف ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ خصهما  
بالذكر؛ لأنهما أعظم المخلوقات للناظرين ﴿وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿الظُّلُمَاتِ  
وَالنُّورَ﴾ أي: كل ظلمة ونور، وجمعهما<sup>(٢)</sup>؛ دونه؛ لكثرة أسبابها، وهذا من  
دلائل وحدانيته ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مع قيام هذا الدليل ﴿بِرَبِّهِمْ  
يَعْدِلُونَ﴾ يسوون غيره في العبادة.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا﴾  
لكم تموتون عند انتهائه ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ مضروب ﴿عِنْدَهُ﴾ بعنكم ﴿ثُمَّ  
أَنْتُمْ﴾ أيها الكفار ﴿تَمْتَرُونَ﴾ تشكون في البعث بعد علمكم أنه ابتداء  
خلقكم، ومن قدر على الابتداء فهدى على الإعادة أقدر.

[٣] ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ مستحق للعبادة ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ  
وَجَهْرَكُمْ﴾ ما تسرون وما تجهرن به بينكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ تعملون من  
خير وشر.

[٤] ﴿وَمَا أَنْتُمْ مِنْ عَائِدِينَ﴾ أي: أهل مكة ﴿مِنْ﴾ صلة ﴿عَائِدِينَ مِنْ عَائِلَةٍ  
رَبِّهِمْ﴾ من القرآن ﴿إِلَّا كَأَنْتُمْ كَذِبُونَ﴾.

[٥] ﴿فَكَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ﴾  
عواقب ﴿مَا كَانُوا يهْتَكِمُونَ﴾.

[٦] ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها ﴿كَمْ﴾ خبرية؛ بمعنى:  
كثيرة ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أمم من الأمم الماضية ﴿مَكَتْهُمْ﴾  
أعطيناهم مكانًا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بالقوة والسعة ﴿مَا لَوْ شِئْنَا﴾ نعط ﴿لَكَرَّ﴾  
فيه، التفات عن الغيبة ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ الْمَطَرِ﴾ عليهم مِدْرَارًا متتابعًا  
﴿وَجَعَلْنَا آلِهَتَهُمْ نَجْرًا مِنْ خِيتِهِمْ﴾ تحت مساكنهم ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ يَوْمَهُمْ﴾  
بتكذيبهم الأنبياء ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾.

[٧] ﴿لَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى كَثَبٍ﴾ مكتوبًا ﴿فِي قَرْطَاسٍ﴾ رق؛ كما اقترحه  
﴿فَلَمَسُّوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أبلغ من «عابونه»؛ لأنه أنقى للشك ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ثقتنا وعنادنا.

[٨] ﴿وَقَالُوا أَوَلَا﴾ هلا ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﷺ ﴿مَلَكٌ﴾ يصدقه  
﴿لَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ﴾ كما اقترحوا؛ فلم يؤمنوا ﴿فَلَقَضَى الْأَمْرَ﴾ بهلاكهم ﴿ثُمَّ  
لَا يُنْظَرُونَ﴾ يهللون لتوبة أو معذرة، كعادة الله فيمن قبلهم؛ من إهلاكهم  
عند وجود مقترحهم إذا لم يؤمنوا.

(\*) فائدة: تقسيم الشور إلى مكية ومدنية، وتكون الشورة كلها مكية أو مدنية إما هو الأغلب الأعظم في شور القرآن، ذلك أنه قد وردت آيات مدنية في شور مكية والعكس على وجه القلة، وسبب  
ذلك ما نفرض بأن ترتيب الآيات توقيفي بالإجماع كما تقدم، قال ابن حجر رحمه الله: وقد اعتنى بعض الأئمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدنية في الشور المكية... إلى أن قال: وأما عكس ذلك  
وهو نزول شيء من سورة مكية، تأخر نزول تلك الشورة إلى المدنية فلم أره إلا نادرا.  
والاستثناء المذكور مشهور في تحبب القراء ومثبت في المصاحف، وثبوت وقوعه دلل عليه الأدلة، لكن هل يقبل كل ما يذكر من الاستثناء أم لا بد من النظر فيه؟  
ذهب المحققون من أهل التفسير إلى أنه لا يصح الاستثناء إلا بتدليل لأنه خلاف الأصل. ولا يجوز القول عن هذا الأصل إلا بتدليل صحيح صريح.  
قال ابن الحصار في نظرية للسور المكية والمدنية:

وذا الذي احتفظ فيه الزوالة له  
وما سوى ذلك مكى صرله  
فليس كل غلاب جاء ففتير  
إلا خلاف له حظ من النظر

وقد تنبغ السوطي رحمه الله ما قبل باستثناءه وذكر الأدلة على ذلك مختصرا في كتابه الإنقاذ.

(١) أي: الحلال المحلي.

(٢) أي: الظلمة.

[٩] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: المنزل لإيهم ﴿مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ﴾ أي: الملك ﴿رَجُلًا﴾ أي: على صورته؛ ليمكنوا من رؤيته؛ إذ لا قوة للبشر على رؤية الملك ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا لَلْبَشَرِئَاتُ﴾ شُبُهَاتُ ﴿عَلَيْهِمْ مَا يَلْبُسُونَ﴾ على أنفسهم؛ بأن يقولوا: ما هذا إلا بشر مثلكم.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاهُ بَرُئِينَ مِنْ بَيْنِكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَحَاقَ﴾ نزل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ سَخَّرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وهو: العذاب؛ فكذا يحق بمن استهزأ بك.

[١١] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ الرسل؛ من هلاكهم بالعذاب؛ ليعتبروا.

[١٢] ﴿قُلْ لَيْنَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ إن لم يقولوه؛ لا جواب غيره ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ﴾<sup>(١)</sup> قضى على نفسه ﴿الرَّحْمَةَ﴾ فضلاً منه، وفيه تلطف في دعائهم إلى الإيمان ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ليجازيكم بأعمالكم ﴿لَا رَبَّ شَكَّ﴾ فيه أَلَيَّتْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بتعرضها للعذاب، مبتدأ، خبره: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٣] ﴿وَلَمْ﴾ - تعالى - ﴿مَا سَكَنَ﴾ حل ﴿فِي الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: كل شيء؛ فهو ربه وخالقه ومالكه ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يفعل.

[١٤] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَعَزَّ اللَّهُ أَخْذَ وَلِيًّا﴾ أعبدوه ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعهما ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ﴾ يَرْزُقُ ﴿وَلَا يَطْعَمُ﴾ يَرْزُقُ ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ لله من هذه الأمة ﴿وَوَقِيلَ لِي: لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ به.

[١٥] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عِبَادَةَ غَيْرِهِ﴾ عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمٍ هو: يوم القيامة.

[١٦] ﴿مَنْ يَصْرِفْ﴾ بالبناء للمفعول؛ أي: العذاب، وللفاعل<sup>(٢)</sup>؛ أي: الله، والعائد: محذوف ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ - تعالى -؛ أي: أراد له الخير<sup>(٣)</sup> ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْأُمِينُ﴾ النجاة الظاهرة.

[١٧] ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضْرٍ﴾ بلاء كمرض وقبر ﴿فَلَا كَيْفَ﴾ رافع ﴿لَهُ﴾ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ﴾ كصحة وغنى ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلْبَشَرِئَاتُ عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاهُ بَرُئِينَ مِنْ بَيْنِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخَّرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُلْ لَمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا سَكَنَ فِي الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ أَعَزَّ اللَّهُ أَخْذَ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْأُمِينُ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضْرٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْغَايُ فَفَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

قَدِيرٌ ومنه مَشَكَّ به؛ ولا يقدر على رده عنك غيره.

[١٨] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ الْقَادِرُ﴾<sup>(٤)</sup> الذي لا يعجزه شيء مستعلاً<sup>(٥)</sup> ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿الْخَبِيرُ﴾ ببواطنهم؛ كظواهرهم.

(١) وفيها إثبات صفة الكتابة له - سبحانه - كما سبق التنبيه عليه.

(٢) قراءة حمزة والكسائي وشعبة.

(٣) هذا تأويل للصفة بلازمها، ومذهب السلف إثبات ما أثبت الله لنفسه على ما يليق به سبحانه.

(٤) قال ابن جرير: ﴿الْقَادِرُ﴾: الدَّلِيلُ الشَّعْبِيُّ خَلَقَ الْعَالِي عَلَيْهِمْ. وقال ابن كثير: هو الذي خضعت له الجبابرة، وغتت له الوجوه، وفُتِّرَ كل شيء.

(٥) وهذا تأويل لصفة الفوقية، وهو مذهب المولاة الذين يفنون عن الله علو الذات، وهو - سبحانه - له علو الذات وعلو الشأن وعلو القهر.

الأصنام.

[٢٠] ﴿الَّذِينَ مَاتَ مِنْهُمْ أَلَسْ يَبْغُفُونَ﴾ أي: محمدًا، بنعته في كتابهم ﴿كَمَا يَغْفِرُونَ آبَاءَهُمْ الَّذِينَ حَارَبُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ منهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

[٢١] ﴿رَمَى﴾ أي: لا أحد ﴿أَتْلُوهُ وَمَنْ أَقْرَأَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة للشريك إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿إِنَّمَا﴾ أي: الشأن ﴿لَا يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ بذلك. ﴿وَذَكَرَ﴾ يَوْمَ تَحْشُرُهُمْ جَمْعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا نوبيخا: ﴿إِن شِرْكَكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنهم شركاء الله.

[٢٢] ﴿ثُمَّ لَوْ تَكُنْ﴾ بالتاء والياء <sup>(١)</sup> ﴿فَيَنْتَهُم﴾ بالصب والرفع <sup>(٢)</sup>؛ أي: معذرتهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ أي: قولهم ﴿وَاللَّهُ رَيْنَا﴾ بالجر: نعمت، والنصب <sup>(٤)</sup> نداء ﴿مَا كُنَّا مُتْرِكِينَ﴾ <sup>(٥)</sup>.

[۲۳] قال - تعالى :- ﴿انْظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَذَّبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِم﴾ بنفي الشرك عنهم ﴿وَصَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُمْ﴾ مَا كَانُوا يَقْرَأُونَ ﴿هُ﴾ على الله من شركاء.

[illegible]

[٢٥] ﴿وَمَنْ يَهْتَفِ بِالنَّاسِ عَنْهُ﴾ عن اتباع النبي ﷺ ﴿وَيَتَوَكَّلْ﴾ يتباعدون ﴿عَنْهُ﴾ فلا يؤمنون به، وقيل: نزلت في أبي طالب كان ينهى عن ذاه ولا يؤمن به<sup>(٥)</sup>.

[٢٦] ﴿وَأَن﴾ مَا ﴿يَهْلِكُونَ﴾ بِالنَّارِ عَنْهُ ﴿إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾ لَأَن ضَرَرَهُ عَلَيْهِمْ ﴿وَمَا تَسْأَلُونَ﴾ بِذَلِكَ.

[١٧] **وَلَوْ تَرَىٰٓ ذَٰلِكُمْ يَوْمَئِذٍ عَرَضُوا عَلَىٰ النَّارِ قَالُوا يَا لَيْتَنَّا كُنَّا نَسْتَنصِصُ إِلَى الدُّنْيَا وَلَا نَكْذِبُ ۖ كَذَّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَكُنُوا مِنَ الْكَاثِبِينَ**  
يرفع الفعلين استئنافاً، ونصبهما في جواب التمني، ورفع الأول ونصب الثاني<sup>(١)</sup>، وجواب «لو» لرأيت أمراً عظيماً.

قُلْ أَى شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَى هَذَا الْقُرْآنِ أَنْ لَذِكْرُكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْنَكُم لَتَشْهَدُ وَنَأْنُ مَعَ اللَّهِ الْهَاءُ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ وَإِنِّى بَرىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٦﴾ الَّذِينَ أَتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٨﴾ وَقَوْمٌ تَحْسِرُهُمْ جَمِيعًا أَنَّهُمْ فَقُولَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَعَمُوا أَنَّهُمْ لَمْ يُكُنْ لَهُمْ قِسْمٌ مِنَ الدِّينِ لَوْلَا رَبَّنَا مَا كُنَّا فِيْ مَشْرِكٍ ﴿١٩﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمُ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفَىٰ أَذَانَهُمْ وَقُرْآنٌ رِزْوَانٌ لِّكُلِّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ لَيُحْجِذُنَّ قَوْلُكَ أَلَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢١﴾ وَهُمْ يَهْتَفُونَ عَنْهُ وَيَنْعُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكَذَّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَكَانُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

[١٩] وَتَزَلْ - لما قالوا للنبي ﷺ: اتنا بمن يشهد لك بالنبوة؛ فإن أهل الكتاب أنكروك<sup>(١)</sup> -: ﴿قُلْ لَهُمْ: «أَتُنْفِئُ كَبِيرَ شَيْدَةٍ» تَمِيزَ مَحْوَلٍ عَنِ الْمَبْدَأِ ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ إِنْ لَمْ يَقُولُوا: لَا جَوَابَ غَيْرِهِ؛ هُوَ «شَيْدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» عَلَى صَدَقِي ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُذَكِّرَكُمْ﴾: أَوْفَعَكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ بِرَبِّهِ وَمَنْ يَلِغُ ﴿عَطَفَ عَلَى ضَمِيرِ «أَنْذَرَكُمْ»﴾: أَي: بَلَّغَهُ الْقُرْآنُ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ «لَيْسَ لَكُمْ لَتَشْهَدُوا أَنْتُمْ مَعَهُ مَا لَهُ» أُخْرَى: اسْتَفْهَامٌ إِنْكَارِي ﴿قُلْ لَهُمْ: «لَا أَشْهَدُ» بِذَلِكَ﴾ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُي وَجِدْتُ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ» مَعَهُ مِنْ

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن سعيد قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي؛ قال: ... ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ﴾، ﴿وَأَنزَلْنَا مَا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾. فقد كتبوا في هذه الآية... فقال: ... أما قوله: ﴿مَا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾، ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ﴾، فإن الله بغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، وقال المشركون: تعالوا نقول: «ما كنا مشركين»، فلم على أفواههم، فنطق أيديهم؛ فعندئذ عرف أن الله لا يكتم حديثاً، وعنده ﴿يُودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ ثُمَّ الْأَرْضُ وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ﴾ الآية. البخاري . كتاب التفسير (٦٥) . سورة فصلت (٤١) الترجمة.

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول عن الكلبي، والكلبي كذاب.

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) بالنصب قراءة نافع وحمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

(٤) بالنصب قراءة حمزة والكسائي.

(٥) أخرجه نحوه الفرياني وعبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس، وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي. وحسنه صاحب الاستيعاب لمجموع طرقه (١٣٢/٢)، وأخرجه نحوه أيضاً ابن أبي شبة وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن القاسم بن مخيمرة [الدر المنثور (١٥/٢)].

(٦) بالرفع ثم النصب قراءة ابن عامر، وبالرفع في الفعلين قراءة نافع والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

[٢٨] قال - تعالى -: ﴿بَلِّغْ لِلضَّالِّينَ عِلْمَ رَبِّهِمْ﴾<sup>(١)</sup> عن إرادة الإيمان المفهوم من التمني ﴿يَذَاهِبْ عَنْهُمُ غِيظَهُمْ﴾ ظاهر ﴿لَهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ يكتبون بقولهم: ﴿وَاللَّهُ رَئِيمًا مَّا كُنَّا مُتَعِدِّينَ﴾ بشهادة جوارحهم؛ ففعلوا ذلك ﴿وَلَوْ رُدُّوا إِلَى الدُّنْيَا فَرَضًا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ من الشرك ﴿وَلَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ في وعدهم بالإيمان.

[٢٩] ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ النَّارِ﴾ أي: منكر البعث: ﴿إِنَّ مَا هِيَ﴾ أي: الحياة: ﴿إِلَّا حَيَاتَانَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

[٣٠] ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فُتِفُوا﴾ عرضوا ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ لرأيت أمرا عظيما ﴿قَالَ لَهُمْ عَسَىٰ لِسَانُ الْمَلَائِكَةِ تَوْبِيحًا﴾ أي: أليس هذا؟ البعث والحساب ﴿وَالْحَقُّ قَالُوا بَلَّيْنَا وَرَبَّنَا﴾ إنه الحق ﴿قَالَ فَذُقُوا الْعَذَابَ﴾ بما كنتم تكفرون به في الدنيا.

[٣١] ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَتَّىٰ غَايَةَ الْكَذِبِ﴾ إذا جاءتهم الساعةُ القيامةُ ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿قَالُوا خَسِرْنَا﴾ هي شدة التألم، وندأوها مجاز؛ أي: هذا أوانك فاحضري ﴿عَلَىٰ مَا قَرَّرْنَا﴾ قسرتنا ﴿فِيهَا﴾ أي: الدنيا ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ بأن تأتيهم عند البعث في أقبح شيء صورة، وأنته ربحا؛ فتركهم ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُ بِكُمْ﴾ يحملونه حملهم ذلك.

[٣٢] ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: الاشتغال بها ﴿إِلَّا لُغْوٌ وَهُوَ﴾ وأما الطاعة وما يعين عليها فمن أمور الآخرة ﴿وَالَّذَارُ الْآخِرَةُ﴾ وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: ﴿وَالَّذَارُ الْآخِرَةُ﴾ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ لِّ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ﴾ الشرع ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ بالباء والتاء<sup>(٣)</sup>، ذلك فيؤمنون.

[٣٣] ﴿قَدْ جَاءَ الْحَقُّقُ﴾ أي: تعلم إنهم ﴿أَيُّ الشَّأْنِ﴾ أي: ليحزنك الذي يقولون لك من التكذيب ﴿فَأَنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ﴾ في السر لعلمهم أنك صادق، وفي قراءة بالتحقيق<sup>(٤)</sup>؛ أي: لا ينسبونك إلى الكذب ﴿وَلَكِنَّ أَفْكَارَ الَّذِينَ﴾ وضعه موضع المضمر ﴿بَيَّاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿يَجْحَدُونَ﴾ يكذبون.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَصَبِرُوا عَلَىٰ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ أي: لا تهاجموا قومهم؛ فاصبر حتى يأتيك النصر بإهلاك قومك ﴿وَلَا يُبَدِّلُ الْكَلِمَاتِ اللَّهُ﴾ مواعيده<sup>(٥)</sup> ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأَنْبِيَاءِ﴾ ما يسكن به قلبك.

بَلِّغْ لَهُم مَّا كَانُوا يُفْعَلُونَ مِنْ قَبْلُ وَوَرِّدُوا الْعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَأَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ فُتِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَّيْنَا وَرَبَّنَا قَالَ فَذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا لَوْ أَنَّا حَسَرْنَا عَلَىٰ مَا قَرَّرْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لُغْوٌ وَلَهُوَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ عَلِمْنَا إِنَّهُ يَمْنَحُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ لَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ فَصَبِرُوا عَلَىٰ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ وَأَوْذُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأَنْبِيَاءِ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كِبَرُكَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلَامًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَبَّتْ كُلُّ الْأُمَّةِ عَلَىٰ الْهَدْيِ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

[٣٥] ﴿وَإِنْ كَانَ كِبَرُكَ عَظِيمًا﴾ عَظِيمًا ﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ عن الإسلام؛ لحرصك عليهم ﴿فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا سِرًّا﴾ في الأرض أو سَلَامًا مُصْعَدًا ﴿فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾ مما اقترحوا فاعمل؛ المعنى: أنك لا تستطيع ذلك؛ فاصبر حتى يحكم الله ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هدايتهم ﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾ ولكن لم يشأ ذلك؛ فلم يؤمنوا ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بذلك.

(٥) فائدة: دخول «قد» على الفعل المضارع من «علم» جاء في ستة مواضع في القرآن الكريم؛ قال ابن هشام في كتابه «معني اللبيب عن كتب الأعاريب»: «... المعنى الثالث من معاني «قد»: التقليل، وهو ضريان: تقليل وقوع الفعل نحو: «قد يصدق الكذوب»، وقد يجود البخيل»، وتقليل متعلقه نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ تَعْلَمُ مَا أُشْرَفُ عَلَيْهِ﴾ أي: ما أتم عليه هو أقل معلوماته سبحانه، وزعم بعضهم أنها في هذه الأمثلة للتحقيق؛ اهـ. وقد أخذ الجلالان؛ الخليلي والسيوطي بقول هذا البعض؛ إنها للتحقيق لا لتقليل في هذه المواضع على خلاف القاعدة.

(١) أي: الإبطالي؛ والمعنى: ليس الأمر كما قالوا: من أنهم لو رُدُّوا لآمَنُوا.

(٢) لابن عامر.

(٣) بالياء، قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٤) لنافع والكسائي.

(٥) المراد بكلمات الله هنا ما كتبه بالنصر في الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين، ووعده إياهم بذلك. ومن لوازم ذلك إثبات صفة الكلام لله ﷻ كما هو مذهب السلف.

بالتشديد والتخفيف<sup>(١)</sup> ﴿٣٨﴾ زائدة ﴿دَائِرَةٌ﴾ قمشي ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلِيمٌ يَطِيرُ﴾ في الهواء ﴿يَجْتَاحُو إِلَّا أُمَّمُ أُنْثَاهُمْ﴾ في تدبير خلقها ورزقها وأحوالها ﴿مَا فَطَرْنَا﴾ تركنا ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿وَمِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ فلم نكتبه ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ فيقضي بينهم، ويقصص للجهنم من القرآن، ثم يقول لهم: كونوا تراثا.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿سُوءٌ﴾ عن سماعها سماع قبول ﴿وَبِكُمْ﴾ عن النطق بالحق ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿مَنْ يَسْأَلُ اللَّهَ﴾ إضلاله ﴿بِضَلَالَةٍ وَمَنْ يَسْأَلْهُ﴾ هدايته ﴿يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَوِيرٍ﴾ دين الإسلام.

[٤٠] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿آرَأَيْتَكُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ في الدنيا ﴿أَوْ أَنْتُمْ أَلْسِنَةُ اللَّهِ﴾ القيامة المشتملة عليه بغتة ﴿أَغْيَرُ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾ لا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن الأصنام تنفعكم فادعوها.

[٤١] ﴿بَلْ إِيَّاهُ﴾ لا غيره ﴿تَدْعُونَ﴾ في الشدائد ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ أن يكشفه عنكم من الضر ونحوه ﴿إِنْ شَاءَ﴾ كَشَفَهُ ﴿وَنَسُونَ﴾ تتركون ﴿مَا كُنْتُمْ كُونَ﴾ معه من الأصنام؛ فلا تدعونه.

[٤٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّنْ زَايِدَةٍ﴾ زائدة ﴿فَبَلَكَ﴾ رسلا فكذبوهم ﴿فَأَخَذْنَاهُم بِالْأَسْأَةِ﴾ شدة الفقر ﴿وَالضَّرَاءِ﴾ المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرُّعُونَ﴾ يتذللون فيؤمنون.

[٤٣] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿إِذَا جَاءَهُمْ بِأُسْنًا﴾ عذابنا ﴿تَضَرَّعُوا﴾ أي: لم يفعلوا ذلك مع قيام المفتضي له ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلم تزل للإيمان ﴿وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي؛ فأصروا عليها.

[٤٤] ﴿فَلَنَسْأَلُنَّ﴾ تركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا ونحووا ﴿وَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ بالأساء والضراء؛ فلم يعظوا ﴿فَنَحْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٢)</sup> ﴿عَلَيْهِمْ أَيْوَابٌ كُلٌّ مِّنْهُمْ﴾ من النعم استدراجا لهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ فرح بطير ﴿أَخَذْنَاهُمْ﴾ بالعذاب ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ أيسون من كل خير<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ فَرًّا إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنْ أَلَّهِ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلِيمٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أُمَّمُ أُنْثَاهُمْ مَا فَطَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمْ وَكُفِّرْ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَاءُ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ أَلْسِنَةُ السَّاعَةِ أَعْبَدُ اللَّهَ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَنَسُونَ مَا كُنْتُمْ كُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنَانَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿فَلَمَّا دُسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾

[٣٦] ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ دعاك إلى الإيمان ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم واعتبار ﴿وَالْمَوْتَىٰ﴾ أي: الكفار، شبههم به في عدم السماع ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُرْجَعُونَ﴾ يردون؛ فيجازيهم بأعمالهم.

[٣٧] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: كفار مكة: ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كالناقة والعصا والمائدة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ﴾

(١) فائدة: أخرج أحمد عن عفيّة بن عامر، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَىٰ مَعْصِيَةٍ مَا يَحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَنَسْأَلُنَّ مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾. فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ». مسند أحمد (١٤٥/٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦١).

(٢) بالتخفيف، ولازمه سكون النون، قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٣) بالتشديد قراءة ابن عامر.

[٤٥] ﴿فَقُطِعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: آخرهم؛ بأن استوصلوا  
﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على نصر الرسل واهلاك الكافرين.

[٤٦] ﴿قُلْ لِأَهْلِ مَكَّةَ: ﴿أَرَيْتُمْ﴾ أَحِبْرُونِي ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَبْعَ مِائَةٍ﴾ مِنْكُمْ ﴿وَأَصْرَحَكُمْ﴾ أَعْمَاكُمْ ﴿وَسَخَّرَ﴾ طَبْعَ ﴿عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ فَلَا تَعْرِفُونَ شَيْئًا ﴿مَنْ إِلَهٌ عِندَ اللَّهِ بِأَيْمَانِكُمْ﴾ يَوْمَ ﴿بِمَا أَخَذَهُ مِنْكُمْ﴾ بِرِزْعِكُمْ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ كَيْفَ تَعْرِفُونَ ﴿يُنِيبُونَ﴾ إِلَى الذَّلَالَاتِ عَلَى وَحْدَانِيَّتَا ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدَقُونَ﴾ يَخْرُصُونَ عَنْهَا فَلَا يُؤْمِنُونَ.

[٤٧] ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ بَعْتُمْ أَوْ جَهَنَّمَ﴾  
 لِيَأْأُرْ نَهَارًا ﴿هَذَا يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرون؛ أي: ما يهلك إلا  
 هم.

[٤٨] ﴿وَمَا تُرِيدُ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالجنة ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ من كفر بالنار ﴿فَمَنْ آمَنَ﴾ بهم ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

[٤٩] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يُمْسِكُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾  
يخرجون عن الطاعة.

[٥٠] ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾، الَّتِي مِنْهَا يُوزَنُ ﴿وَلَا﴾ إِنِّي ﴿أَعْلَمُ الْغَيْبُ﴾ مَا غَاب عَنِّي وَلَمْ يُوْحِ إِلَيَّ﴾، وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي ﴿مَلَكٌ﴾، مِنَ الْمَلَائِكَةِ ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿أَتَّبِعُ﴾ إِلَّا مَا يُوْحِي إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْكَافِرُ ﴿وَالْمُحْسِنُ﴾، الْمُؤْمِنُ؟ لَا ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ فِي ذَلِكَ قَوْمُونَ.

[٥١] وَأَنْذِرْ خَوْفٌ يَدُكُ أَي: الْقُرْآنُ الَّذِي يَخْشَوْنَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ أَي: غَيْرُهُ وَلَوْ يُنْصِرُهُمْ وَلَا شَيْعٌ يَشْفَعُ لَهُمْ وَجَمَلَةُ النَّفْيِ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ ﴿يُحْشَرُونَ﴾ وَهِيَ مَحَلُّ الْخَوْفِ، وَالْمُرَادُ بِهِمُ: الْمُؤْمِنُونَ الْعَاصُونَ أَلْعَلَّهُمْ يَقُونَ أَلْعَلَّهُمُ اللَّهُ يَأْقُلَعُهُمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ وَعَمَلُ الطَّاعَاتِ.

[٥٢] ﴿وَلَا تَقْرُؤْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوِ وَالْغَيْبِ يُرِيدُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾<sup>١</sup> ﴿رَبَّهُمْ﴾. تعالى - لا شيئاً من أعراض الدنيا؛ وهم: الفقراء، وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردوهم؛ ليجالسوه، وأراد النبي ﷺ ذلك؛

فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾  
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ  
مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصْرَفُ الْأَيَاتِ  
ثُمَّ هُمْ يَصْدُرُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ  
بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا  
تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ  
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
يَسْهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ  
عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ  
إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا وَحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ  
أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَوْا إِلَى  
رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ  
﴿٢٢﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ  
وَجْهَهُ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمِمَّا يَحْسَبُونَ  
عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٣﴾

طعنا في إسلامهم<sup>(١)</sup> ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ إِنَّ  
كَانَ بَاطِنُهُمْ غَيْرَ مُّؤْمِنٍ ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جَوَابُ  
النَّفْيِ ﴿فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ.

(١) أخرج نحو ذلك مسلم (٢٤١٣) عن سعد بن أبي وقاص.

اللَّهُ يَاعْلَمُ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٤٠﴾ له؛ فيهديهم؟ بلى.

[٥٤] ﴿وَإِذْ جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ لَهُمْ: «سَلَّمَ عَلَيْكُمْ كُنْتُ قَضَىٰ (رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةً إِنَّهُ: أَي: الشَّانُ، وفي قراءة: بالفتح (١)؛ بَدَلٌ مِنْ «الرَّحْمَةِ» مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا يَحْكَمُهُ مِنْ حَيْثُ ارْتَكَبَهُ ثُمَّ تَابَ رَجَعَ مِنْ بَعْدِهِ» بعد عمله عنه وَأَصْلَحَ عَمَلُهُ فَإِنَّهُ: أَي: اللَّهُ عَفُوٌّ لَهُ «رَحِيمٌ» به، وفي قراءة: بالفتح (٢)؛ أَي: فَاغْفِرْ لَهُ.

[٥٥] وَكَذَلِكَ ﴿٥٥﴾ كَمَا بَيْنَا مَا ذُكِرَ **فَفَصِّلْ** نَيْنِ **الْآيَاتِ** الْقُرْآنِ ﴿٥٦﴾ لِيُظْهِرَ الْحَقَّ؛ **فَفَعِّلْ** بِهِ **وَلِتَسْتَبِينَ** نَظَرُ **سَبِيلُ** طَرِيقِ **الْمُحَرِّمِينَ** ﴿٥٧﴾ **فَفَتْحَتْ**، وَفِي قِرَاءَةٍ **بِالْمُتَحَابَّةِ** (٣)، وَفِي أُخْرَى: **بِالْفَوَاقِيَةِ** وَنَصَبَ **سَبِيلُ** (٤)؛ **حُطَابٌ** لِلنَّبِيِّ ﷺ.

[٥٦] قُلْ إِنِّي نَبِيٌّ أَنَا أَعْبُدُ الذِّكْرَ تَعْبُدُونَ ﴿٥٦﴾ مِن دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَنِيعَ أَمْرُهُمْ كَمُ ﴿٥٧﴾ فِي عِبَادَتِهَا قَدْ ضَلَّكُمُ إِذْ أَكَا ﴿٥٨﴾ إِن اتَّبَعْتَهَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٩﴾

[٥٧] ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾: أي: قد كذبتم بيده؛ بريي؛ حيث أشرحكم ما عندي ما تستعجلون بيده من العذاب ﴿إِنِّي مَا أَلْحِكُمْ﴾: في ذلك وغيره ﴿إِلَّا يَدُ بَعْضِ الْقَضَاءِ﴾: الحق وهو خير الفصلين الحاكيم، وفي قراءة: ﴿بَعْضُ﴾: أي: يقول.

[٥٨] ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا سَأَلْتُمُوْنَ بِهِ، لَقُفَى الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾﴾ بَأَن أَعْجَجه لَكُمْ، وَأُسْتَرِج، وَلَكِنه عِنْدَ اللَّهِ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾﴾ مَتى يَعْقِبُهُمْ<sup>(٥)</sup>.

[٩١] ﴿وَعِنْدَهُ﴾ - تعالى - ﴿مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ﴾ خزائنه أو الطرق الموصلة إلى علمه ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ وهي: الخمسة التي في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الآية<sup>(١)</sup>، كما رواه البخاري<sup>(٢)</sup> ﴿وَيَسْمَعُ مَا يَحْدُثُ فِي الْأَرْضِ وَالْفِجَارِ﴾ والفتنة والفتنة التي على الأنهار ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنَ زُلْزَلَةٍ وَلَا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبْرٌ فِي طُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا طَبْرٌ وَلَا بَابٌ عَظُفٌ عَلَى: ﴿وَرَقْدَةٍ﴾ ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هو: اللوح المحفوظ، والاستثناء: بدل اشتمال<sup>(٣)</sup> من الاستثناء قبله.

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِثْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا مَلَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ إِعْيَادًا تَنَادَفُوا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَذَّبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ إِنَّهُ مِنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ سَيِلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٩﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا اتَّبِعْ أَهْوَاءَ كُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذْ أَوْمَأُ أَنْتُمْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٦٠﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِي الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٦١﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٦٢﴾ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا سُفِّطَ مِنْ رَزَقٍ إِلَّا بِإِيعَامِهَا وَلَا جَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَاسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦٣﴾

[٥٣] ﴿رَكَعًا رَكَعًا﴾ فَتَنَّا ابْنَانَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ۖ أَي: الشَّرِيفِ بِالْوَضِيعِ، وَالْغَنِيِّ بِالْفَقِيرِ؛ بَأَن قَدَمَانِهِ السَّيْقَ إِلَى الْإِيمَانِ ﴿يَقُولُوا﴾ أَي: الشَّرَفَاءُ وَالْأَغْنِيَاءُ مُنْكَرِينَ: ﴿أَهْلَؤُنَا﴾ الْفُقَرَاءَ ﴿رَبُّكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَن يَبْتَسِ﴾ بِالْهَدَايَةِ: أَي: لَوْ كَانَ مَا هُمْ عَلَيْهِ هُدًى مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿أَلَيْسَ

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٥١ - ٥٨): أخرج مسلم عن سعد قال: كنا عند النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: احرد هؤلاء لا يجتزون علينا. قال: ركت أنا، وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأقول الله ﷻ: ﴿لَا تَقْرُؤُا الَّذِينَ يَدْعُونَ بِهِمُ الْيَلْتَفِتُوا وَلَئِنْ يَرَوْهُ يُدْعُوا بِحَبْلٍ مِّنْ عَنَابِ الْفُلِّ﴾. كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب (٥) في فضائل سعد بن أبي وقاص.

وأخرج ابن ماجه عن خباب في قوله تعالى: **وَلَا تَقْرَأُ الْكِتَابَ بِحَدِّ مَوْلَىٰكَ فَإِذَا هُوَ لَكَ فَاعْبَا** إلى قوله: **فَتُحْكَمُومِنَ الظَّالِمِينَ** قال: جاء الأعرم بن حابس الضمعي، وعيينة بن حصن الفزاري، فوجدوا رسول الله ﷺ مع سهيب وبلال وعمار وخباب قاعدًا في ناس من الضعفاء من المؤمنين. فلما أروهم حول النبي ﷺ حرقوهم. فأقوه فخلوا به وقالوا: إنا نريد أن نجعل لنا منك مجلسًا تعرف لنا به العرب فضلًا، وإن وفود العرب تأتيك فستحسب أن أتانا العرب مع هذه الأعداء. فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فأقمهم إن شئت.

قال: «نعم». قالوا: فكتب لنا عليك كتاباً. قال: فدعا بصفيحة، ودعا علياً ليكتب، ومن تعود في ناحية، فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: ﴿لَا تَقْرَأُ الَّذِينَ يُدْعُونَ بِرَبِّهِمْ بِالْعَنَاءِ وَيَذَرُونَهُمْ مَا عَلَيْهِمْ مَأْثَرُهُمْ إِنَّهُمْ كَافِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. ثم ذكر الأفرع بن حابس وعيينة بن حصن فقال: ﴿وَصَلَّاتُكَ فَتَنًا بَعْضُهُمْ يَفْتِنُ لِقَوْلِهِمْ أَهَؤُلَاءِ رُسُلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ سَآئِرُ اللَّهِ يَلْبِثُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]. ثم قال: فلدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته، وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا. ابن ماجه - كتاب الزهد (٣٧) باب (٧) مجالسة الفراء (صحيح) صحيح سنن ابن ماجه (٢٣٢٩). وسنأتي بقيته عند الآية (٢٨) من سورة الكهف.

وأخرج أحمد عن ابن مسعود قال: مر اللذان على رسول الله ﷺ وعنده خباب وصهيب وبلال وعمرار، فقالوا: أُرِضت بهذا؟ فنزل فيهم القرآن: ﴿وَأَكْبَرُ بِهِ الَّذِينَ يَتَخَفُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَمَّا أَسْلَمُ بِاللَّيْلِ﴾.

(١) قرأ نافع بفتح ﴿أَنَّهُ﴾ وكسر ﴿فَإِنَّهُ﴾، وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو بالكسر في الموضعين.

(٢) قرأ نافع بفتح **قَاتِلَهُ** وكسر **قَاتِلَهُ**، وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو بالكسر في الموضعين. (٣) الحزمة والكسائي وشعبة. (٤) نافع. (٥) والقراءة المفسدة لحزمة والكسائي وأبي عمرو وابن عامر. (٦) لقمان: ٣٤. (٧) البخاري (١٠٣٩) عن عبد الله بن عمر مرفوعاً. (٨) وذلك أن دائرة العلم أوسع من دائرة اللوح، وهذا على أن المراد بالكتاب اللوح، وكما أفاده المفسر، وأما إن أريد بالكتاب علم الله كان بدل كل من كل لزيادة التأكيد والإيضاح.



وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْغَايُ الْقَاهِرُ ﴿٦١﴾ وَرُسُلُ عَلَيْهِ حَقُّهُ وَمَلَائِكَةُ تَحْصِي أَعْمَالِكُمْ ﴿٦٢﴾ وَإِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ فِي قَرَارِهِ ﴿٦٣﴾ وَرُسُلُنَا لَئِنْ كُنْتُمْ إِلَّا لَهَ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسَيْنِ ﴿٦٤﴾ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا آتٍ مِنْ قَوْكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُفْقِدَ بَعْضَكُمْ بِأَسْ بَعْضٍ أَنْظِرْ كَيْفَ تُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٧﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٨﴾ لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ يُعَامِلُونَ ﴿٦٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُبْسِتُ لَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٧٠﴾

[٦٨] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن؛ بالاستهزاء ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تجالسهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ وَاَمَّا ﴿فِيهِ إِدْغَامُ نُونٍ﴾ الشرطية في «ما» المزيدة ﴿يُبْسِتُكَ﴾ بسكون النون والتخفيف، وفتحها والتشديد<sup>(١)</sup> ﴿الشَّيْطَانُ﴾ فقعدت معهم ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ﴾ أي: تذكرة ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمَر.

[٦٠] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ يقبض أرواحكم عند النوم ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾ كسبتم ﴿بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي: النهار؛ يرُدُّ أرواحكم ﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ هو: أجل الحياة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بالبعث ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

[٦١] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ مستعلا<sup>(٢)</sup> ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً مَلَائِكَةً تَحْصِي أَعْمَالَكُمْ ﴿حَقِّقْ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ﴾ وفي قراءة: ﴿تَوَفَّاهُ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿رُسُلُنَا﴾ الملائكة الموكلون بقبض الأرواح ﴿وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ يقصرون فيما يؤمرون به.

[٦٢] ﴿ثُمَّ رُدُّوْا﴾ أي: الخلق ﴿إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمْ﴾ مالِكهم ﴿الْحَقِّقْ﴾ الثابت العدل؛ ليجازيهم ﴿إِلَّا لَهَ الْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ فيهم ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسَيْنِ﴾ بحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهارٍ من أيام الدنيا؛ لخديث<sup>(٤)</sup> بذلك.

[٦٣] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ أهوالهما في أسفاركم حين ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا﴾ علانية ﴿وَخُفْيَةً﴾ سرا؛ تقولون: ﴿لَّيِّنَ﴾ لام قسم ﴿أَمِينُنَا﴾ وفي قراءة: ﴿أَمِينُنَا﴾<sup>(٥)</sup> أي: الله ﴿وَمِنْ هَذِهِ﴾ الظلمات والشدائد ﴿لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ المؤمنين.

[٦٤] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٦)</sup> ﴿فِيهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ عَمَّ سواها ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ به.

[٦٥] ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ قَوْكُمْ﴾ من السماء؛ كالجارية والصيحة ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كالخسف ﴿أَوْ يَلْبَسَكُمْ﴾ يُخْلِطُكُمْ ﴿شِيعًا﴾ فِرَقًا مختلفة الأهواء ﴿وَيُلْبِسُكُمْ بِأَسْ بَعْضُكُمْ بِأَسْ بَعْضٍ﴾ بالقتال، قال ﷺ لما نزلت: ﴿هَذَا أَهْوَىٰ وَأَيْسَرُ﴾، ولما نزل ما قبله: ﴿أَعُوذُ بِوَجْهِكَ﴾ [رواه البخاري]<sup>(٧)</sup>، وروى مسلم حديث: «سَأَلْتُ رَبِّي أَلَا يَجْعَلُ بَأْسَ أُمَّتِي يَنْتَهُمُ؛ فَمَنْتَهُنَّهَا»<sup>(٨)</sup>، وفي حديث: «لَا نَزَلَتْ قَالُ: أَمَّا إِنَّهَا كَائِنَةٌ وَلَمْ يَأْتِ تَأْوِيلُهَا بَعْدُ»<sup>(٩)</sup> ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ تُصَرِّفُ﴾ نبين لهم ﴿الْآيَاتِ﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ يعلمون أن ما هم عليه باطل.

[٦٦] ﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ الصدق ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ فأجازيكم، إنما أنا مُنْذِرٌ، وأمركم إلى الله.. وهذا قبل الأمر بالقتال ..

[٦٧] ﴿لِكُلِّ نَبَأٍ﴾ خبر ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ وقت يقع فيه ويستقر، ومنه عذابكم ﴿وَسَوْفَ يُعَامِلُونَ﴾ تهديد لهم.

(١) سبق الرد على ما ذهب إليه المفسر من تأويل هذه الصفة وبيان مذهب السلف فيها.

(٢) لحزمة.

(٣) سبق بيان أن هذا سبق قلم من السيوطي رحمه الله، وأن الحساب يقع في قدر نصف نهار مقداره خمسون ألف سنة وليس أيام الدنيا. راجع تفسير اية (٢٠٢) من سورة البقرة.

(٤) لانافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٥) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن ذكوان.

(٦) البخاري (٤٦٢٨) عن جابر بن عبد الله مرفوعا.

(٧) مسلم (٢٨٩٠) عن سعد بن أبي وقاص مرفوعا.

(٨) رواه الترمذي (٢٩٩٢) وأحمد (١٣٨٧) ونعيم بن حماد في الفتن وابن أبي حاتم وابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص مرفوعا [إندر المنثور (٣٢/٣)] وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن الترمذي (٥٩٢).

(٩) بفتحها قراءة ابن عامر.

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٧٠﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ إِنَّ بُسُلَ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعِدْ كُلَّ عَدْلٍ لَأُؤْخَذَ مِنْهَا أَوْلِيَاكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ أَنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابٍ بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَاكُمْ اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ انْتَظِرْ فَلِنْ هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمَرْنَا لِلْمُسْلِمِينَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٢﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ أَلَمْ يَكُنْ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٤﴾

[٦٩] وقال المسلمون: إن قمنا كلما خاضوا لم نستطع أن نجلس في المسجد وأن نطوف؛ فنزل: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ (١) الله ﴿مِنْ حِسَابِهِمْ﴾ أي: الخاضعين ﴿مِنْ زَائِدَةٍ﴾ أي: شيء. إذا جالسوهم ﴿وَلَكِنْ﴾

عليهم ﴿ذِكْرِي﴾ تذكرة لهم وموعظة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الخوض. [٧٠] ﴿وَذَرِ﴾ اترك ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ﴾ الذي كلفوه ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ باستهزائهم به ﴿وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ فلا تتعرض لهم - وهذا قبل الأمر بالقتال - ﴿وَذَكِّرْ﴾ عظم ﴿بِهِ﴾ بالقرآن الناس لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تُبْسِلَ نَفْسٌ﴾ تسلم إلى الهلاك ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيٌّ﴾ ناصر ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يمنع عنها العذاب ﴿وَإِنْ تَعِدْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ تقدي كل فداء ﴿لَأُؤْخَذَ مِنْهَا﴾ ما تقدي به ﴿أَوْلِيَاكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بكفرهم.

[٧١] ﴿قُلْ أَدْعُوا﴾ أنعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ بتركها؛ وهو: الأصنام ﴿وَنُرْذِقُ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾ نرجع مشركين ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَاكُمْ﴾ إلى الإسلام ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ﴾ أضلته ﴿الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ﴾ متحيرا؛ لا يدري أين يذهب، حال من: الهاء (٢) ﴿لَهُ﴾ أَصْحَابٌ ﴿رُفَقَةٌ﴾ يدعونهم إلى الهدى؛ أي: ليهدهو الطريق؛ يقولون له: ﴿انْتَظِرْ﴾ فلا يجيبهم؛ فيهلك، والاستفهام (٣): للإنكار، وجملة التشبيه: حال من ضمير ﴿نُرْذِقُ﴾ ﴿قُلْ إِنَّ هَذِهِ هِيَ الْإِسْلَامُ﴾ الذي هو الإسلام ﴿هُوَ﴾ الْهُدَىٰ ﴿وَمَا عَدَاهُ ضَلَالٌ﴾ وَأَمَرْنَا لِلْمُسْلِمِينَ ﴿أَي: بَأَن نَسْلَمَ﴾ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

[٧٢] ﴿وَأَنْ﴾ أي: بَأَن ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ﴾ - تعالى - ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تجمعون يوم القيامة؛ للحساب.

[٧٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: مُحَقًّا. ﴿وَذَكَرَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَقُولُ لِلشَّيْءِ: كُنْ فَيَكُونُ﴾ هو: يوم القيامة؛ يقول للخلق: قوموا؛ فيقوموا. ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ الصديق الواقع لا محالة ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن؛ النفخة الثانية من إسماعيل، لا مُلْك فيه لغيره ﴿لَئِنْ أَسْأَلْتُكَ الْيَوْمَ لِلَّهِ﴾ (٤) ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿الْخَبِيرُ﴾ بباطن الأشياء كظواهرها.

(١) ذكر البغوي عن ابن عباس نحوه (١٥٥/٣).

(٢) أي: الضمير في: ﴿اسْتَهْوَتْهُ﴾.

(٣) في قوله: ﴿انْتَظِرْ﴾.

(٤) غافر: ١٦.

[٧٤] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَزَّرَ﴾ هو: لقبه واسمه: تارخ<sup>(١)</sup> ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ تعبدها؟ استفهام توبيخ ﴿إِنِّي أَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْتُكَ بِاتِّخَاذِهَا فِي ضَلَالٍ عَنِ الْحَقِّ مُبِينٌ﴾ بَيِّن.

[٧٥] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما أربناه إضلال أبيه وقومه ﴿نَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ﴾ ملك ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ليستدل به على وحدانيته ﴿وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بها، وجملة ﴿وَكَذَلِكَ﴾ وما بعدها: اعتراض وعطف على ﴿قَالَ﴾.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَزَّ أَظْلَمُ﴾ أَظْلَمُ عَلَيْهِ أَلِيلَ رَمَا كَوْنًا ﴿قِيلَ﴾ هو الزُّهْرَةُ ﴿قَالَ﴾ لقومه - وكانوا نجَّامين -: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ في زعمكم ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ غاب ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ إِلَّا طَالِطًا﴾ أن اتخذهم أربابًا؛ لأن الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال<sup>(٢)</sup>؛ لأنهما من شأن الحوادث؛ فلم ينجع فيهم ذلك.

[٧٧] ﴿فَلَمَّا رَمَا الْقَمَرَ بَارِعًا﴾ طالعا ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ﴾ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِي رَبِّي يَبْتَغِي عَلَى الْهَدَىٰ ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ تعريض لقومها؛ بأنهم على ضلال؛ فلم ينجع<sup>(٣)</sup> فيهم ذلك.

[٧٨] ﴿فَلَمَّا رَمَا الشَّمْسَ بَارِعَةً﴾ قَالَ هَذَا ذَكَرَهُ؛ لذكير خبره<sup>(٤)</sup> ﴿رَبِّي﴾ هَذَا أَكْبَرُ من الكوكب والقمر ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾ وقويت عليهم الحجة؛ ولم يرجعوا ﴿قَالَ يَقُولُونَ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ﴾ بالله - من الأصنام والأجرام المحذرة المحتاجة إلى تمحيص ..

[٧٩] فقالوا له: ما تعبد؟ قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ قصدت بعبادتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: الله ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً إلى الدين القيم ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ به.

[٨٠] ﴿وَحَاجَّتُمْ قَوْمَهُ جَادَلُوهُ فِي دِينِهِ﴾ وهددوه بالأصنام؛ أن تصيبه بسوء إن تركها ﴿قَالَ اتَّخَذْتُمُونِي﴾ بتشديد النون، وتخفيفها؛ بحذف إحدى النونين<sup>(٥)</sup>. وهي: نون الرفع عند النجاة، ونون الوقاية عند القراء - أئجدلونني في وحدانية ﴿أَللَّهُ وَقَدْ هَدَّنِي﴾ - تعالى - إليها ﴿وَلَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ من الأصنام؛ أن تصيبني بسوء؛ لعدم قدرتها على شيء ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَسَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ من المكروه يصيبني؛ فيكون ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وسع علمه كل شيء ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون؟.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَزَّرَ﴾ اتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِيَّارَكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿وَكَذَلِكَ نَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فَلَمَّا جَزَّ عَلَيْهِ أَلِيلَ رَمَا كَوْنًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ إِلَّا طَالِطًا ﴿فَلَمَّا رَمَا الْقَمَرَ بَارِعًا﴾ قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿فَلَمَّا رَمَا الشَّمْسَ بَارِعَةً﴾ قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا رَبِّي هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَقُولُونَ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وَحَاجَّتْهُ قَوْمُهُ قَالَ اتَّخَذْتُمُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَّنِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَسَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[٨١] ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ بالله - وهي لا تضر ولا تنفع - ﴿وَلَا تَخَافُونَ﴾ أنتم من الله ﴿أَتُنْكِرُ شُرَكَاءَ اللَّهِ﴾ في العبادة ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ﴾ بعبادته ﴿عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ حجة وبرهاناً - وهو القادر على كل شيء - ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ أنحن أم أنتم؟ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ من الأحق به؟ أي: وهو: نحن؛ فاتبعوه.

(١) ويقرأ بالحاء المعجمة، والحاء المهملة، وقيل: إن أَرَزَ اشْتُهُ، وتارخ لَقِيَهُ.

(٢) وهذه العبارة مجملة، ولم ترد في كلام السلف، فإن أراد بها نفي صفات الفعل من الجهي والزلزال الإلهي وغيرها من الصفات التي أثبتها الله لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ، فهذا تأويل وتعطيل وهو خلاف مذهب السلف، وإن أراد بها نفي التغير الذي يقتضي نقضا فيكون المعنى صحيحا، ولكن هذه الألفاظ لم ترد في كلام السلف، فالأولى اجتنابها.

(٣) أي: يؤثر ويؤيد.

(٤) وهو قوله: ﴿رَبِّي﴾.

(٥) بالتخفيف والحذف قراءة نافع وابن ذكوان.

على وحدانية الله - من أقول الكوكب وما بعده - والنبؤ: ﴿عَاتِبَتْهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ أرشدناه لها؛ بحجة ﴿عَلَى قَوْمِهِ تَرَفَعَ دَرَجَتٍ مِّنْ شَأْنِهِ﴾ بالإضافة والتثنية<sup>(٢)</sup>؛ في العلم والحكمة ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلَيْهِ﴾ بخلقه.

[٨٤] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ابنه ﴿وَكُلًّا﴾ منهما ﴿هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل إبراهيم ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ﴾ أي: نوح ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ابنه ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ ابن يعقوب ﴿وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجَّيْنَا الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٨٥] ﴿وَذَكَرْنَا وَيْحَ﴾ ابنه ﴿وَعِيسَى﴾ ابن مريم؛ فيد أن الذرية تتناول أولاد البنت ﴿وَالْيَاسَ﴾ ابن أخي<sup>(٣)</sup> هارون؛ أخي موسى ﴿كُلٌّ﴾ منهم ﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

[٨٦] ﴿وَأَسْمَاعِيلَ﴾ ابن إبراهيم ﴿وَالْيَسَعَ﴾ اللام زائدة ﴿وَيُوشَعَ﴾ ولوطاً ﴿ابن هارون؛ أخي إبراهيم﴾ ﴿وَكُلًّا﴾ منهم ﴿فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بالنبوة.

[٨٧] ﴿وَمِنَ الْآيَاتِ﴾ وذرِّيَّتِهِمْ ﴿وَلِخُوشَ﴾ عطف على «كُلًّا» أو «نُوحًا»، و«مِنْ»: للتبعية؛ لأن بعضهم لم يكن له ولد، وبعضهم كان في ولده كفر ﴿وَأَجْنِبْنَاهُمْ﴾ اخترناهم ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[٨٨] ﴿ذَلِكَ﴾ الدين الذي هدوا إليه ﴿هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنَ عِبَادِهِ﴾ و«لَوْ أَشْرَكُوا» فرضاً ﴿لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

[٨٩] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى: الكتب ﴿وَاللَّكَّ﴾ الحكمة ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ فإن يكفّر بها: أي: بهذه الثلاثة ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أي: أهل مكة ﴿وَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ أرصدنا لها ﴿قَوْمًا لِّيُؤْثِرُوا بِهَا الْكُفْرَ﴾ هم: المهاجرون والأنصار.

[٩٠] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ﴾ هم ﴿اللَّهُ فَبُهِدْنَاهُمْ﴾ طريقهم من التوحيد والصبر ﴿أَقْنَدَهُ﴾ بهاء السكت وفقاً وصلوا، وفي قراءة<sup>(٤)</sup>: «بحذفها وصلوا» ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: القرآن ﴿أَجْرًا﴾ تعطينه ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنسان والجن.

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٨﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَتٍ مِّنْ شَأْنِهِ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ وَرَكَرَبًا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٩١﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَحُوطًا وَكَوْنًا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٩٢﴾ وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٩٣﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنَ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لِّيُؤْثِرُوا بِهَا الْكُفْرَ فِيهَا الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبُهِدْنَاهُمْ أَقْنَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٥﴾

[٨٢] قال - تعالى -: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾ يخلطوا ﴿إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي: شريك - كما فُسر بذلك في حديث الصحيحين<sup>(١)</sup> - ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ﴾ من العذاب ﴿وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾.

[٨٣] ﴿وَتِلْكَ﴾ مبتدأ، ويُبدل منه: ﴿حُجَّتُنَا﴾ التي احتج بها إبراهيم

(١) وهو حديث ابن مسعود: لما نزلت ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ الآية [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على المسلمين وقالوا: أيما لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «فَإِنَّ ذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ الشُّكُّ؛ أَنَّمْ تَشْفَعُوا قَوْلَ لَقَعَانٍ لِأَخِيهِ: «يَبْنَئِي لَا شَرِيكَ يَأْتِي بِكَ الْفِتْرَةَ تَطْلُفُ عَظِيمٌ» [لقمان: ١٣]... الحديث. البخاري (٤٦٢٩)، ومسلم (١٢٤).

(٢) بالإضافة قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) كذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي نسخة القاضي كنعان: «ابن هارون» قال: وهو الصحيح؛ فيلبس من ذرية هارون.

(٤) حمزة والكسائي.

[٩١] ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: اليهود ﴿اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: ما عظموه حق عظمته: أو ما عرفوه حق معرفته ﴿إِذْ قَالُوا لَنبِيِّ اللَّهِ﴾ وقد خاصموه في القرآن: - ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ لَهُم﴾: ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ﴾ البلاء والنساء (١) في المواضع الثلاثة (٢) ﴿فَرَاتِينَ﴾ أي: يكتبونه في دَفَائِرٍ مُّقْطَعَةٍ ﴿يُنَادُونَهَا﴾ أي: ما يجوب إبداءه منها ﴿وَيُخْفُونَ كَيْدًا﴾ مما فيها؛ كنت محمد ﷺ ﴿وَعَلِمْتُمْ﴾ أيها اليهود؛ في القرآن ﴿مَا لَمْ تَدْعُوا اللَّهَ وَلَا آبَاءَكُمْ﴾ من التوراة؛ بيان ما التمس عليكم، واختلفتم فيه ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ أنزله. إن لم يقولوه - لا جواب غيره ﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ﴾ باطلهم ﴿يَلْعَبُونَ﴾ (٣).

[٩٢] ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُكًا مُّصَدِّقًا لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَلَنُنَزِّلَهُ﴾ بالبلاء والبلاء (٤)، عطف على معنى ما قبله؛ أي: أنزلناه للبركة، والتصديق، ولنتنزه به ﴿أَمْ الْفِرْعَوْنُ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ أي: أهل مكة وسائر الناس ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ خوفًا من عقابها (٥).

[٩٣] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بادعاء النبوة، ولم يبيِّن ﴿أَوْ قَالَ أَوْحَى إِلَيَّ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ نزلت في مسيلة (٦) ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ وهم: المستهزون، قالوا: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ المذكورون ﴿فِي عَذَابِ سَكْرَاتٍ﴾ ﴿الْوَرَىٰ وَالْمَلَكُوتُ﴾ بأسطوا أيديهم؛ إليهم بالضرب والتعذيب؛ ويقولون لهم تعنيفًا: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ إلينا؛ لنقبضها ﴿الْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ الهوان ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ بدعوى النبوة والإيحاء كذبًا ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تكبرون عن الإيمان بها، وجواب ﴿لَوْ﴾: رأيت أمرًا فظيلاً.

[٩٤] ﴿وَقُلْ﴾ يقال لهم - إذا بعثوا -: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾ منفردين عن الأهل والمال والولد ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: حفاة عراة غولًا ﴿وَرَكْنَكُمْ﴾ مَا حَوَّلْنَاكُمْ، أعطيناكم من الأموال ﴿وَرَأَىٰ ظُهُورَكُمْ﴾ في الدنيا بغير اختياركم ﴿وَقُلْ﴾ يقال لهم توبيخًا: ﴿مَا تَرَىٰ مِنْكُمْ شُفَعَاءَكُمُ﴾ الأصنام ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾ أي: في استحقاق عبادتكم ﴿شُرَكَاءُ﴾ لله ﴿لَقَدْ

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا يَسْتَكْبِرُونَ وَهُمْ عَلَىٰ غَوْلٍ أَلِيمٍ لِّئَلَّا تُجْعَلُونَهُ قُرْآنًا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا آبَاءَكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُكًا مُّصَدِّقًا لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَنُنَزِّلَهُ الْفُرْقَى وَمَنْ حَوْلَهُ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي عَمَزَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ (٧) وضلَّكم؛ أي: تشتت جمعكم، وفي قراءة: بالنصب (٨): طرف؛ أي: وضلَّكم بيشكم وضلَّ ذهب عنكم مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ في الدنيا؛ من شفاعتها.

(١) بالبلاء قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٢) أي: «يجعلون»، و«يدعون»، و«يجفون».

(٣) أخرج العبري نحوه عن ابن عباس في جامع البيان (١٧٧/٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره، وحسن صاحب الاستيعاب إسناده (١٤٥/٢).

(٤) بالبلاء قراءة شعبة.

(٥) أي: الآخرة.

(٦) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر عن ابن جريج، وأخرجه عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة، وأخرجه ابن جرير وأبو الشيخ عن عكرمة [الدر المنثور (٥٦/٢)]. وقال صاحب

الاستيعاب: «إسناده ضعيف جدًا» (١٤٨/٢).

(٧) بالرفع قراءة حمزة وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة: هو فاعل «تَقَطَّعَ»، و«البي» بمعنى: الوصل، وهو المراد هنا، ويطلق ويراد به البعد، من باب تسمية الأضداد.

(٨) والفاعل في هذه القراءة: ضمير يعود على الوصل المفهوم من قوله: «شُفَعَاءَكُمُ» و«شُرَكَاءَكُمُ»؛ لأن بين الشفع والمشفوع له اتصالًا، و«بَيْنَكُمْ» ظرف له، والتقدير: تقطع الوصل فيما بينكم.

﴿الذِّلَّ﴾ ﴿حُسْبَانًا﴾ حسابًا للأوقات، أو الباء محذوفة؛ وهو: حالٌ من مُقَدَّرٍ؛ أي: يجريان بحسبانٍ - كما في آية الرحمن (١) - ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿تَقْدِيرَ الْغَيْرِ﴾ في ملكه ﴿الْغَيْرِ﴾ بخلفه.

[٩٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ ﴿فِي الْأَسْفَارِ﴾ ﴿يَذَرُفَضْلًا﴾ ﴿يَبْنِئُ﴾ ﴿الْأَيْتُ﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون.

[٩٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ خلقكم من نفس واحدة ﴿فَمِنْكُمْ ذَكَرٌ﴾ منكم في الرحمة ﴿وَمَا يَسْتَفْهِمُ أَكْثَرُ النَّاسِ شَيْئًا سِوَ مَا تُحْكِمُ الْآيَاتُ﴾ ما يفهمون ما يحكم الله آياته ﴿لَقَدْ فَصَّلْنَا لِقَاؤَ رَبِّكَمْ فِي الْقُرْآنِ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ﴾ ما يقال لهم.

[٩٩] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ النَّبَاتَ﴾ فيه النفاث عن الفيئة **﴿بِهِ﴾** بالماء **﴿وَبَاتَ كُلُّ شَيْءٍ﴾** نبت **﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾** أي: النبات، شيئاً **﴿حَضَرًا﴾** بمعنى: أخضر **﴿فَخَرَجَ مِنْهُ﴾** من الحضر **﴿حَبًّا مُزَرَّجًا﴾** يركب بعضه بعضاً، كسناجس الخطة ونحوها **﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾** خبز، ويبدل منه: **﴿مِنَ ظَلَمٍ﴾** أول ما يخرج منها، والمبتدأ: **﴿فَيَزِنُ﴾** عراجين **﴿دَابِئَةً﴾** قريب بعضها من بعض **﴿وَوَجَدْنَاهُ﴾** أخرجناه **﴿جَنَّتْ﴾** سابت **﴿فَمِنْ أَغْنَىٰ وَالزَّيْتُونَ وَالزَّيْتُونَ﴾** ورَفُهًا، حال **﴿وَعِزِّ مَثَلٍ﴾** ثمرهما **﴿أَنْظَرُوا﴾** يا مخاطبون<sup>(٤)</sup> نظر اعتباراً **﴿إِلَىٰ ثَمَرِهِ﴾** بفتح التاء والميم، وبوضعهما<sup>(٥)</sup>؛ وهو: جمع **﴿ثَمَرَةٍ﴾** كـ: **﴿شَجَرَةٍ﴾** و**﴿شَجَرٍ﴾**، و**﴿أَخْشَبَ﴾** و**﴿أَشْرَبَ﴾** أول ما يبدو كيف هو **﴿وَوَجَدْنَاهُ﴾** إلى **﴿يَتَّبِعُهُ﴾** نضجه إذا أدرك كيف يعود **﴿إِنِّي فِي ذَلِكُمْ لَكَاذِبٌ﴾** دلالات على قدرته - تعالى - على البعث وغيره **﴿لَقَوْمٍ يُفُوتُونَ﴾** خصوا بالذكر؛ لأنهم المتفوعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

[١٠٠] وَجَعَلُوا لِيَوْمٍ مَّعْهُ نَائِبٌ شَرَاءٌ مَّعْهُ أُولُو، ويبدل منه: **الْبَيْنَ**، حيث أطاعوهم في عبادة الأوثان (وَوُكِّلَ) قد خَلَقَهُمْ فكيف يكونون شركاء **وَمَرْفُوعًا** بالتحفيف، والتشديد (١٦)؛ أي: اختلفوا **لَمْ يَبَيِّنْ** وبَيَّنَّتْ يَبَيِّنُ عَلَيْهِمْ، حيث قالوا: غَضِبَ ابْنُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ** تنزيها له **وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** بأن له ولداً.

[١٠١] هو ﴿يَدْعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مبدعهما من غير مثال سبق  
 ﴿أَنِّي﴾ كيف ﴿يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ﴾ ولم تكن له صبيحة زوجته ﴿وَمَخْلُ كُلِّ  
 شَيْءٍ﴾ من شأنه أن يخلق وهو بكل شيء عليم.

﴿١٠٠﴾ إِنَّ اللَّهَ قَالِي الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ قَانِي تَوْفُكُونَ ﴿١٠١﴾ قَالِي الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٠٢﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿١٠٤﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَسَبِّهِ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٥﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِبَاتِ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ الْبَينَ وَبَنَىٰ بَيعِرَ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٦﴾ يَدْبَعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠٧﴾

[٩٥] ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ﴾ شَافٍ ﴿الْمَيْمَنَ﴾ عَنِ النَّبَاتِ ﴿وَالْأُيُوتَ﴾ عَنِ النَّخْلِ ﴿يُخْرِجُ الْحَنَى مِنَ الْمَيْمَنَ﴾ كَالْإِنْسَانِ وَالطَّائِرَ مِنَ النُّطْفَةِ وَالْبَيْضَةِ ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيْمَنَ﴾ الطُّفْلَةَ وَالْبَيْضَةَ ﴿وَمِنَ الْحَنَى ذَلِكُمْ﴾ فَالِقُ الْمَخْرَجِ ﴿اللَّهُ فَالِقُ تَوَفُّكُونَ﴾ فَكَيْفَ تَصْرَفُونَ عَنِ الْإِيمَانِ مَعَ قِيَامِ الْبِرَاهَانِ ١٩.

[٩٦] ﴿فَإِنِّي الْإِمْرَاجُ﴾ مصدر؛ بمعنى: الصبح؛ أي: شاقَّ عموذُ الصبح؛ وهو: أول ما يبدو من نور النهار عن ظلمة الليل (وَجَاعِلُ اللَّيْلِ<sup>(١)</sup> سَكَنًا) تسكن فيه الخلق من التعب وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بالنصب: عطفاً على محل

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥].

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٤) وفي بعض النسخ: «يا مخاطبين» باعتباره نكرة غير معين.

(٥) بالضم لحمزة والكسائي.

(٦) بالتشديد قراءة نافع.

[١٠٢] ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ وَحُذِّرُهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَيْلٌ حَفِظٌ.

[١٠٣] ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ (١) أي: لا تراه، وهذا مخصص؛ لرؤية المؤمنين في الآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُؤْمِنُ تَأْمِنُهُ﴾ (٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِقَةٌ (٣) وحدث الشيخين ﴿إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَتَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ﴾ (٤) وقيل: المراد: لا تحيط به ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ أي: يراها، ولا تراه، ولا يجوز في غيره أن يدرك البصر وهو لا يدركه أو يحيط به علماً ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ بأوليائه ﴿بِالْغَيْبِ﴾ بهم.

[١٠٤] قل يا محمد لهم: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ﴾ حُجَجٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ هَا قَامَنَ ﴿فَلْيَفْشِسْهُ﴾ أبصر؛ لأن ثواب إبصاره له ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ عنها؛ فضل ﴿فَعَلَيْهَا﴾ وبال إضلاله ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمُحِيطٍ﴾ رقيب لأعمالكم، إنما أنا نذير.

[١٠٥] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نُصْرَفُ﴾ نين ﴿الْآيَاتِ﴾ ليعتبروا ﴿وَيَقُولُوا﴾ أي: الكفار في عاقبة الأمر: ﴿إِذَا زُشْتُ﴾ (٥) ذكرت أهل الكتاب، وفي قراءة: ﴿ذُرْسْتُ﴾ أي: كتب الماضي؛ وجمت بهذا منها ﴿وَلْيُؤْمِنُوا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

[١٠٦] ﴿أَتَجْعَلُ مَا يُرَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: القرآن ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٠٧] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ رقيباً؛ فتجازيهم بأعمالهم ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِكَائِلٍ﴾ فتجبرهم على الإيمان - وهذا (٦) قبل الأمر بالقتال..

[١٠٨] ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿أَي: الْأَصْنَامِ﴾ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا؛ اعتداء وظلماً ﴿يَغْيِرُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: جهلاً منهم بالله ﴿كَذَلِكَ﴾ كما زينا لهؤلاء ما هم عليه ﴿رَبَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ مِنْ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَأَنُوهُ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم به.

[١٠٩] ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي: غاية اجتهدهم فيها ﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ بَأَةٌ﴾ مما اقترحوا ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلُوبُهُمْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ينزلها كما يشاء، وإنما أنا نذير ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ يدريكم بإيمانهم إذا جاءت؛ أي: أنتم لا تدرون ذلك ﴿إِنَّمَا﴾ (٧) إذا جاءت لا يُؤْمِنُونَ﴾ لما سبق في علمي، وفي قراءة: بالناء (٨) خطاباً للكفار، وفي أخرى:

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلْيَفْشِسْهُ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيطٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ نُصْرِفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِكَبْنَةِ رُلَقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ أَتَسْبِعُ مَا فِي الْيَدِ يَأْتِيكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا يَغْيِرُ عَلَيْهِمْ كَذَلِكَ رَبَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ بَأَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلُوبُهُمْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أُولَ الْأَمْرِ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

يفتح (أن)؛ بمعنى: نَعْلٌ، أو معمولاً لما قبلها.

[١١٠] ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾ نحول قلوبهم عن الحق؛ فلا يفهمونه ﴿وَأَبْصُرَهُمْ﴾ عنه؛ فلا يبصرونه؛ فلا يؤمنون ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ أي: بما أنزل من الآيات ﴿أُولَ الْأَمْرِ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ﴾ نتركهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ ضلالهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون متحيرين.

(١) فائدة: أخرج البخاري عن مسروق قال: قلت لعائشة (رضي الله عنها) هل رأى محمد (ﷺ) ربه؟ فقالت: لقد قفْتُ شعري بما قلت، أين أنت من ثلاث؟ من حدثكهم فقد كذب؛ من حدثك أن محمداً (ﷺ) رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾... ولكن رأى جبريل (عليه السلام) في صورته مرتين. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة النجم (٥٣) باب (١)، وأخرجه مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٧٨) إثبات رؤية المؤمنين ربه في الآخرة.

(٢) القيامة: ٢٢، ٢٣.

(٣) أخرج نحوه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٨٣).

(٤) لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ ابن عامر بفتح السين أيضاً ﴿ذُرْسْتُ﴾ بمعنى: انحمت.

(٥) أي: الأمر بالإعراض عن المشركين، وليس الإخبار على الإيمان.

(٦) وهي قرلة ابن كثير وأبي عمرو، وشعبة بخلافه.

(٧) حمزة وابن عمر، ولا يقرأ بالناء إلا من يقرأ «هأن» [أنها] بالفتح. أما من يقرأ بكسر «إن» فينعم معها الباء في «لا يؤمنون».

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ذلك.

[١١٢] ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ كما جعلنا هؤلاء أعداءك، ويدل منه: ﴿شَيْطَانٍ﴾ مرّة ﴿الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ موهبة من الباطل ﴿غُرُورًا﴾ أي: ليغروهم ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلَهُ﴾ أي: الإيهام المذكور ﴿فَذَرْنَهُمْ﴾ دع الكفار ﴿وَمَا يَفْعَلُونَ﴾ من الكفر وغيره مما زين لهم - وهذا قبل الأمر بالقتال ..

[١١٣] ﴿وَلَيَصْحُنَّ﴾ عطف على ﴿غُرُورًا﴾ أي: تميل ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: الزخرف ﴿أَفَعِدَّةٌ﴾ قلوب ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَقْرِضُونَهُ﴾ يكسبوا ﴿مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ من الذنوب؛ فيعاقبوا عليه. ونزل - لما طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل بينه وبينهم حكماً -: [١١٤] قل: ﴿أَفَتَعْبُرُونَ اللَّهَ أَبْتَغَى﴾ <sup>(١)</sup> أطلب ﴿حُكْمًا﴾ قاضياً بيني وبينكم ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿مُفَصَّلًا﴾ مبيناً فيه الحق من الباطل ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ التوراة؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَمْلِكُونَ أَنْهُمْ لَا يُؤْمَرُوا﴾ بالصغيف والتشديد <sup>(٢)</sup> ﴿وَمِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَ تَكُونُوا مِنَ الْمُنْكَرِينَ﴾ الشاكين فيه، والمراد بذلك: التقرير للكفار أنه حق.

[١١٥] ﴿وَوَسَّاتُ﴾ [كَلِمَاتُ] <sup>(٣)</sup> رَبِّكَ ﴿بِالْأَحْكَامِ وَالْمَوَاعِيدِ﴾ صدقاً وعدلاً ﴿تَمِيزُ﴾ لا مبدل لِكَلِمَتِهِ ﴿بِقِصِّ أَوْ خَلِيفٍ﴾ وهو السميع ﴿لَا يُقَالُ﴾ <sup>(٤)</sup> بما يفعل.

[١١٦] ﴿وَمَنْ يُطِيعِ أَكْثَرَ مِنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الكفار ﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دبه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ في مجادلهم لك في أمر الميتة؛ إذ قالوا: ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم ﴿وَرِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في ذلك.

[١١٧] ﴿إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَنْ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ وهو أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿فِي جَزَائِهِمْ كُلِّ مِنْهُمْ﴾.

[١١٨] ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ بِكُمْ﴾ أي: ذبح على اسمه ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِنَا مُؤْمِنِينَ﴾

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَيْنَا وَكَانَ هُمُ الْمُتَوَقِّعُونَ﴾ وحشرنا عليهم كل شيء قبلًا ما كانوا يؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانٍ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْنَهُمْ وَمَا يَفْعَلُونَ﴾ ولَيَصْحُنَّ إِلَيْهِ أَفَعِدَّةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَقْرِضُونَهُ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغَى﴾ حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آمَنُوا أَتَيْتَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿وَوَسَّاتُ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ صدقاً وعدلاً لا مبدل لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿وَإِنْ تُطِيعِ أَكْثَرَ مِنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ﴿إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِنَا مُؤْمِنِينَ﴾

[١١١] ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَيْنَا وَكَانَ هُمُ الْمُتَوَقِّعُونَ﴾ كما اقترحوا وحشرنا جمعنا عليهم كل شيء قبلًا بضمين؛ جمع «قبيل» أي: فوجاً فوجاً، وبكسر القاف وفتح الباء <sup>(١)</sup>؛ أي: معانية؛ فشهدوا بصدقك ﴿مَا كَانُوا يُؤْمِنُونَ﴾ لما سبق في علم الله ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إيمانهم؛ فيؤمنوا

(١) فائدة: أخرج النسائي عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: لما أمر النبي ﷺ بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر، فقام رسول الله ﷺ وأخذ يقول ووضع رداءه ناحية الخندق، وقال: ﴿وَوَسَّاتُ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مَبْدُولَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فندر - أي سقط - ثلث الحجر، وسلمان الفارسي قائم ينظر، فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برقاً، ثم ضرب الثانية وقال: ﴿وَوَسَّاتُ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مَبْدُولَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فندر الثلث الآخر، فبرق برقاً فراه سلمان. ثم ضرب الثالثة وقال: ﴿وَوَسَّاتُ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مَبْدُولَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فندر الثلث الباقي، وخرج رسول الله ﷺ فأخذ رداءه وجلس. النسائي - كتاب الجهاد (٢٥) باب (٤٢) غزوة الترك والحبيشة، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٩٧٦).

(١) بالكسر قراءة نافع وابن عامر.

(٢) لم أجده.

(٣) بالخفيف قراءة السبعة عدا ابن عامر وحفص.

(٤) قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.



[١١٩] ﴿وَمَا لَكُمْ أَنْ﴾ ﴿لَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ من الذبائح ﴿وَقَدْ فَضَّلَ﴾ بالبناء للمفعول، وللفاعل في الفعلين<sup>(١)</sup> ﴿لَكُمْ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> في آية ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَيْسَةُ﴾ ﴿إِلَّا مَا أَضْطَرُّنَا إِلَيْهِ﴾ منه؛ فهو أيضاً حلال لكم؛ المعنى: لا مانع لكم من أكل ما ذكر، وقد بين لكم الحرام أكله؛ وهذا ليس منه ﴿وَإِنْ كَثُرَ لَا يُضِلُّكُمْ﴾ بفتح الياء وضمها<sup>(٣)</sup> ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بما نهوا أنفسهم؛ من تحليل الميتة وغيرها ﴿يَغَيِّرُ عَلَيْكُمْ﴾ يعتمدونه في ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين.

[١٢٠] ﴿وَذَرُوا﴾ اتركوا ﴿ظَهَرَ الْآثَرُ وَبَاطِنُهُ﴾ علانيته وسره، و﴿الْآثَرُ﴾ قيل: الرنا، وقيل: كل معصية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالْآيَةِ﴾ سَيُخْرَجُونَ في الآخرة ﴿يَمَّا كَانُوا يَقَرُّونَ﴾ يكتسبون.

[١٢١] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ بأن مات، أو ذبح على اسم غيره، وإلا فما ذبحه المسلم ولم يُسَمَّ فيه عمداً أو نسياناً؛ فهو حلال، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي<sup>(٤)</sup> ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: الأكل منه<sup>(٥)</sup> ﴿لَفِسْقٌ﴾ خروج عما يحل ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَيُفْسِدُ﴾ يوسوس ﴿إِلَى أَوْلِيَاءِهِ﴾ الكفار ﴿لِيُجْدِلَكُمْ﴾ في تحليل الميتة ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فيه ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

[١٢٢] وَنَزَلَ في أبي جهل وغيره: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِنَّا﴾ بالكفر ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ بالهدى ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ﴾ في النَّاسِ يتبصر به الحق من غيره؛ وهو: الإيمان ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ﴾ «مثل»: زائدة؛ أي: كمن هو ﴿فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ وهو: الكافر؟ لا ﴿كَذَلِكَ﴾ كما زين للمؤمنين الإيمان ﴿رُئِينَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والمعاصي.

[١٢٣] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا فُشَاق مكة أكابرها ﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مَجْرِمِهَا لِيَتَذَكَّرُوا فِيهَا﴾ بالصد عن الإيمان ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ لأن وباله عليهم ﴿وَمَا تَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

[١٢٤] ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿آيَةٌ﴾ على صدق النبي ﷺ ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهِ﴾ حَتَّى نَوَظُّهُ وَنَظُّهُ مَا أَوْفَى رُسُلُ اللَّهِ ﷺ من الرسالة والوحي إلينا؛ لأننا أكثر مالا، وأكبر سيئاً، قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ﴾ والجمع والافراد<sup>(٧)</sup>، و﴿حَيْثُ﴾ مفعول به لفعل دل عليه ﴿أَعْلَمُ﴾

وَمَا لَكُمْ أَنْ لَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرُّنَا إِلَيْهِ وَإِنْ كَثُرَ لَا يُضِلُّكُمْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بَعِثْ عَلَيْنَا رِبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ وَذَرُوا ظَهَرَ الْآثَرِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالْآيَةِ سَيُخْرَجُونَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَيُفْسِدُ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجْدِلَكُمْ وَأَنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ أَوْ مَنْ كَانَ مِنَّا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ رُبِّ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مَجْرِمِهَا لِيَمْزُجُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهِ حَتَّى نَوَظُّهُ وَمَثَلُهُ مَا أَوْفَى رُسُلُ اللَّهِ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ

أي: يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه؛ فيضعها، وهؤلاء ليسوا أهلًا لها ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ بقولهم ذلك ﴿صَغَارٌ﴾ ذُلٌّ ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ بما كَانُوا يَمْكُرُونَ أي: بسبب مكرهم.

(٥) ما جاء في نزول الآيات: (١١٩ - ١٢١): أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عباس قال: أتى ناس النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، أتأكل ما يقتل، ولا تأكل ما يقتل الله؟ فأمر الله: ﴿تَذَكَّرُوا﴾ ﴿وَمَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ إن كُنتُمْ يَتَذَكَّرُونَ مؤيدين، إلى قوله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٧) سورة الأنعام. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٤٥٤).

(١) بالبناء للمفعول قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، ووافقه في الثاني حمزة والكسائي وشعبة.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٤) وعند مالك وأبي حنيفة ورواية عن أحمد: إن تركها عمداً لا تؤكل.

(٥) وقيل: إن الضمير يعود على ما ذكر اسم غير الله عليه عند الذبح، ويؤيده قوله تعالى: ﴿أَوْ يَتَّبِعُوا أُهْلًا يَغَيِّرُ اللَّهُ يُبْدِلُ﴾.

(٦) بالجمع قراءة السبعة عدا ابن كثير وحفص.

أي: يسلمه ﴿عَلَّ الذِّبْنَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٢٦] ﴿وَهَذَا﴾ الذي أنت عليه يا محمد ﴿صِرْطُ﴾ طريق ﴿رَبِّكَ﴾ مستقيماً لا عوج فيه، ونصبه على الحال المؤكد للجملته، والعامل فيها معنى الإشارة ﴿فَدَفَعْنَا﴾ يننا ﴿الْأَلْبَتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الدال؛ أي: يتعظرون، ونحطوا بالذكر؛ لأنهم المنتفعون.

[١٢٧] ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَٰمِ﴾ أي: السلام؛ وهي الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهَا﴾ وما كانوا يعملون.

[١٢٨] ﴿وَإِذْ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ بالنون وباء<sup>(٦)</sup>؛ أي: الله الخلق ﴿جَمِيعًا﴾ ويقال لهم: ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ قَدِ اسْتَكْرَرْتُمْ مِنَ الْإِنسِ﴾ يا عواظكم ﴿وَقَالَ أُولِيَائُهُمُ﴾ الذين أطاعوهم ﴿مِنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ انتفع الإنس بتزوين الجن لهم الشهوات، والجن بطاعة الإنس لهم ﴿وَكَلَّنَا لَبَنًا الَّذِي أَكَلَتْ لَنَا﴾ وهو يوم القيامة، وهذا تحسر منهم ﴿قَالَ﴾ - تعالى - لهم على لسان الملائكة<sup>(٧)</sup>: ﴿النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ﴾ مأواكم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ من الأوقات التي يخرجون فيها لشرب الحميم<sup>(٨)</sup>؛ فإنه خارجها؛ كما قال - تعالى -: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَكِلَى الْحَمِيمِ﴾<sup>(٩)</sup> وعن ابن عباس: أنه فيمن علم الله أنهم يؤمنون ف«ما» بمعنى: «من» ﴿إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه.

[١٢٩] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما متعنا عصاة الإنس والجن بعضهم ببعض ﴿ثَوْبِي﴾ من الولاية ﴿بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ أي: على بعض ﴿وَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي.

[١٣٠] ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنسُ أَلَدَ بَائِكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ﴾ أي: من مجموعكم؛ أي: بعضهم الصادق بالإنس، أو رسل الجن نذرتهم الذين يسمعون كلام الرسل فيبلغون قومهم ﴿يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ عَائِنِي وَنَذَرُونَكُمْ إِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ أن قد بلغنا، قال - تعالى -: ﴿وَعَرَّضْنَاهُمْ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا﴾ فلم يؤمنوا ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٧﴾ وَهَذَا صِرْطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٨﴾ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهَا يُعَالِمُونَ ﴿١٢٩﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنُّ قَدِ اسْتَكْرَرْتُمْ مِنَ الْإِنسِ وَقَالَ أُولِيَائُهُمْ مِنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتِ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ فَخَلِّدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٠﴾ وَكَذَلِكَ قَوْلِي بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا يُمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٣١﴾ يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنسُ أَلَدَ بَائِكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ عَائِنِي وَيَنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَعَرَّضْنَاهُمْ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٢﴾

[١٢٥] ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ بأن يقدف في قلبه نوراً؛ فينفسح له ويقبله - كما ورد في حديث<sup>(١)</sup> - ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٢)</sup>؛ عن قبوله ﴿خَرَجًا﴾ شديد الضيق؛ بكسر الراء: صفة، وفتحها<sup>(٣)</sup>: مصدر؛ وصف فيه مبالغة ﴿كَأَنَّمَا يَصْعَدُ﴾ وفي قراءة: ﴿يَصْأَعِدُ﴾<sup>(٤)</sup> وفيهما إدغام التاء في الأصل في الصاد، وفي أخرى بسكونها<sup>(٥)</sup> ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ إذا كلف الإيمان لشدة عليه ﴿كَذَلِكَ﴾ الجعل ﴿يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ﴾ العذاب أو الشيطان؛

(١) يشير إلى ما جاء في حديث: لما نزلت هذه الآية شيل رسول الله ﷺ عن صدره، فقال: «هُوَ نُورٌ يُقَدِّفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ؛ فَيَنْشُرُ لَهُ وَيَنْفِخُ لَهُ...» الحديث. أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٧/٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٢٥)، وإسناده ضعيف جداً؛ فيه عبد الله بن المسور وهو متروك كما قال الدارقطني.

(٢) بالكسر قراءة نافع وشعبة.

(٣) بالفتح قراءة ابن كثير.

(٤) لابن كثير.

(٥) بالنون قراءة السبعة عدد حفص.

(٦) ظاهر الآية أن هذا الكلام من الله تعالى إليهم، وفيها إثبات صفة الكلام لله ﷻ كما هو مذهب السلف. وقول المصنف: على لسان الملائكة، صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل، وربما هذا فرار من إثبات صفة الكلام لله ﷻ. والله أعلم.

(٧) في معنى هذا الاستثناء أقوال عدة للمفسرين، فذهب بعضهم إلى أنها شاملة لعصاة الموحدين وللكفار، والمستثنى العصاة؛ لأنهم لا يخلدون، ورؤى بأن السياق في بيان حال الكفار، وبأن استعمال ﴿مَا﴾ للعقلاء قليل، وذهب بعضهم إلى أن المراد المدة التي كانوا فيها في الدنيا والبرخ ويوم القيامة قبل دخولهم النار، وذهب بعضهم إلى أن المراد النقل من النار إلى الزمهرير، وقيل: المراد المبالغة في الخلود؛ بمعنى: أنه لا ينتهي إلا وقت مشيئة الله، وهو مما لا يكون. وقيل: المراد بيان أن أمرهم موكول إلى الله، وأن ذلك ليس بأمر واجب عليه. وقيل: المراد إلا ما شاء من زيادة عذابهم، وقيل: استثنى قولاً سبق علمه أنهم يسلمون. وقيل غير ذلك، فאלله أعلم.

(٨) الصفات: ٦٨.

[١٣١] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إرسال الرسل ﴿أَنْ﴾ اللام مقدرة، وهي مخففة؛ أي: لأنه ﴿لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ﴾ أَلْفَرَى يُطْلَوُ منها ﴿أَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ لم يُوسِّلْ إليهم رسول بين لهم؟

[١٣٢] ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من العالمين ﴿دَرَجَاتٌ﴾ جزاء ﴿وَمَا عَمِلُوا﴾ من خير وشر ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بالباء والتاء<sup>(١)</sup>.

[١٣٣] ﴿وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ، يا أهل مكة بالإهلاك ﴿وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ من الخلق ﴿كَأَنَّمَا أَنتَ كُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ مُّكَرَّوْنَ﴾ أذهبهم؛ ولكنه أبفكم رحمة لكم.

[١٣٤] ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ من الساعة والعذاب ﴿لَآتٍ﴾ لا محالة ﴿وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ فائتين عذابنا.

[١٣٥] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿يَتَوَكَّرُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ عسى حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ مِنْهُ﴾ موصولة؛ مفعول العلم ﴿تَكُونُ لَهُمْ عَقِيبَةُ الدَّارِ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، أنحن أم أنتم ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ﴾ يسعد ﴿الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون.

[١٣٦] ﴿وَجَعَلُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿يَوْمَ مِمَّا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿مِنَ الْحَرِّ﴾ الزرع ﴿وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ يصرفونه إلى الضيفان والمساكين، ولشركائهم نصيبًا يصرفونه إلى سدنتها ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْغِمِهِمْ﴾ بالفتح والضم<sup>(٢)</sup> ﴿وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ فكانوا إذا سقط في نصيب الله شيء من نصيبها التقطوه، أو في نصيبها شيء من نصيبه تركوه؛ وقالوا: إن الله غني عن هذا. كما قال - تعالى -: ﴿كَانَ لِشُرَكِّيهِمْ قَلِيلٌ﴾ يصِلُ إِلَهُ اللَّهِ أي: لجهته<sup>(٣)</sup> ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ قَلِيلٌ﴾ فهو يصِلُ إِلَهُ شُرَكَائِهِمْ<sup>(٤)</sup> ساءَ ﴿بِئْسَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم هذا.

[١٣٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما زين لهم ما ذُكِرَ ﴿ذُنُوبَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ﴾ بالوَأَدِ ﴿شُرَكَائِهِمْ﴾ من الجن؛ بالرفع: فاعل ﴿ذُنُوبَ﴾، وفي قراءة: بينائه للمفعول ورفع «قتل»، ونصب «الأولاد» به، وجر «شركائهم» بإضافته<sup>(٥)</sup>، وفيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول - ولا يضر<sup>(٦)</sup> - وإضافة القتل إلى الشركاء لأمرهم به ﴿يُزِدُّهُمْ﴾ يهلكهم ﴿وَلَيْسُوا بِدِينِهِمْ﴾ يخلطوا ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوا قَدْرَهُمْ وَمَا يُفَرُّونَ﴾

ذَلِكَ أَنْ تَرَى كُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ أَلْفَرَى يُطْلَوُ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنتَ كُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ مُّكَرَّوْنَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَتَوَكَّرُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ مِنْهُ تَكُونُ لَهُمْ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرِّ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْغِمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ قَلِيلٌ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ يُزِدُّهُمْ وَلَيْسُوا بِدِينِهِمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوا قَدْرَهُمْ وَمَا يُفَرُّونَ ﴿١٣٧﴾

(١) بالتاء قراءة ابن عامر.

(٢) أي: للزاي، والضم للكسائي.

(٣) أي: إلى المصارف التي شرع الله الصرف فيها؛ كالصدقة وصلة الرحم وقري الضيف.

(٤) أي: يجعلونه لأنهم ويفتقونها في مصالحها.

(٥) لابن عامر.

(٦) يرد على من أنكر ذلك.

وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ جِزْرًا لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ  
بِرَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ طُهْرُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ  
أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا  
يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ  
لِّذِكْرِنَا وَمَحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِمَّنَّةً  
فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ وَحَكِيمٌ  
عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ  
عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا  
وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ \* وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ  
مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا  
أُكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ  
كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآذِنُوا أَجْقَهُ بِنَوْمٍ حَصَادِهِ  
وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ  
حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ لَّوْا فَمَا رَزَقَكُمْ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا  
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾

[١٣٨] ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ جِزْرًا﴾ حرام ﴿لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾ من خُدَمَةِ الْأَوْتَانِ وَغَيْرِهِمْ ﴿بِرَعْمِهِمْ﴾ أي: لا حجة لهم فيه

﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ طُهْرُهَا﴾ فلا تركب؛ كالسوايب والحوامي ﴿وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عند ذبحها، بل يذكرون اسم أصنامهم، ونسبوا ذلك إلى الله ﴿افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ عليه.

[١٣٩] ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾ الحرمة؛ وهي: السوايب والباحث ﴿خَالِصَةٌ﴾ حلال ﴿لِّذِكْرِنَا وَمَحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾ أي: النساء ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِمَّنَّةً﴾ بالرفع والنصب<sup>(١)</sup> مع تأنيث الفعل وتذكيره<sup>(٢)</sup> ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ﴾ الله ﴿وَصَفْفَهُمْ﴾ ذلك بالتحليل والتحريم؛ أي: جزاءه ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقهم.

[١٤٠] ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٣)</sup> ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾ بالوَادِ ﴿سَفَهًا﴾ جهلاً ﴿يَعْتَرِ عَلَيْهِمْ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ عما ذُكِرَ ﴿افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

[١٤١] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾ خلق ﴿جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ مبسوطات على الأرض؛ كالبطيخ ﴿وَعَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ بأن ارتفعت على ساق؛ كالنخل ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُمْ﴾ ثمره وخبثه في الهيئة والطعم ﴿وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا﴾ ورقهما، حال ﴿وَعَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ طعمهما ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ قبل النضج ﴿وَآذِنُوا أَجْقَهُ﴾ زكاته ﴿بِنَوْمٍ حَصَادِهِ﴾ بالفتح والكسر<sup>(٥)</sup>؛ من الغشْرِ<sup>(٦)</sup> أو بضمه<sup>(٧)</sup> ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ بإعطاء كنه<sup>(٨)</sup>؛ فلا يبقى لبعاليكم شيء ﴿إِنَّكُمْ لَا تُحِبُّونَ الْمُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين ما حُدَّ لهم.

[١٤٢] ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ﴾ صالحة للحمل عليها؛ كالإبل الكبار ﴿وَفَرَسَاتٌ﴾ لا تصلح له؛ كالإبل الصغار والغنم؛ سُئِلَتْ فَرَسًا؛ لأنها كالفرس للأرض؛ لدنوها منها ﴿كُلُوا وَمَا رَزَقَكُمْ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ طرائقه من التحريم والتحليل ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ بين العداوة.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «إذا سُرَّك أن تعلم جهل العرب، فقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾. البخاري كتاب المناقب (٦١) باب (١٢) قصة زمزم وجعل العرب.

(١) بالرفع لابن كثير وابن عامر.

(٢) بالتأنيث لابن عامر وشعبة.

(٣) بالتشديد لابن كثير وابن عامر.

(٤) أي: جاء «حصاده». بالكسر قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن كثير.

(٥) أي: فيما سقي بغير كلفة؛ كمطر ونحوه من غير آلة.

(٦) أي: فيما احتاج في سقيه إلى كلفة وآلة.

(٧) قوله: «إعطاء كنه فلا يبقى لبعاليكم شيء»؛ تفسيره الإسراف بهذا هو قول محمد بن مروان المعروف بالسدي الصغير، وهو قول غير قوي. واختار ابن جرير الطبري قول عطاء بن أبي رباح أنه نهى عن الإسراف في كل شيء، وظاهر سياق الآية النهي عن الإسراف في الأكل؛ لما فيه من مضرة العقل والبدن؛ كقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١].

[١٤٣] ﴿تَمَيِّزَةَ أَرْوَاحٍ﴾ أضاف؛ بدل من ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ﴾ زوجين ﴿أَنْثَيْنِ﴾ ذكر وأنثى ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ﴾ بالفتح والسكر (١) ﴿أَنْثَيْنِ قُلْ﴾ يا محمد - لمن حرم ذكور الأنعام تارة وإنانها أخرى، ونسب ذلك إلى الله : ﴿لَا تَذَكَّرْنَ﴾ من الضأن والمعز ﴿حَرَّمَ﴾ الله عليكم ﴿أَيُّ الْأُنثَيْنِ﴾ منهما ﴿أَمَّا اسْتَحَمَلْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامَ الْأُنثَيْنِ﴾ ذكرا كان أو أنثى ﴿تَبْتَغِي بِعِلْمٍ﴾ عن كيفية تحريم ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه؛ المعنى: من أين جاء التحريم؟ فإن كان من قبل الذكورة فجميع الذكور حرام، أو الأنوثة فجميع الإناث، أو اشتغال الرحم فالزوجان، فمن أين التخصص؟ والاستفهام للإنكار.

[١٤٤] ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ أَنْثَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ أَنْثَيْنِ قُلْ لَّذَكَّرَيْنِ حَرَّمَ أَيْ الْأُنثَيْنِ أَمَّا اسْتَحَمَلْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامَ الْأُنثَيْنِ أَمْ﴾ بل ﴿كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ حضوراً ﴿إِذْ وَصَّيْنَاهُ اللَّهُ بِهَذَا﴾ التحريم، فاعتمدتم ذلك! لا بل أنتم كاذبون فيه ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِنِّي أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بذلك ﴿يُضِلُّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

[١٤٥] ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أي: ذبح على اسم غيره ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا ذُكِرَ فَأكَلَهُ﴾ عَيْرٌ بَاغٍ وَلَا عَادٍ (٢) ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُورٌ﴾ له ما أكل ﴿رَجِيمٌ﴾ به، ويلحق بما ذُكِرَ بالشَّيْءِ كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ وَمَخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ.

[١٤٦] ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: اليهود ﴿حَرَمَاتٌ كُلُّ ذِي ظُفْرٍ﴾ وهو ما لم تفرق أصابعه؛ كالإبل والنعامة ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمَاتٌ عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا﴾ الثروب (٣)، وشحم الكلى ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ أي: ما علق بها منه ﴿أَوْ﴾ حملته ﴿الْحَوَائِصَ﴾ الأمعاء، جمع حاوياً، أو حافية ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِظُفْرٍ﴾ منه؛ وهو: شحم الإلية؛ فإنه أحل لهم ﴿ذَلِكَ﴾ التحريم ﴿حَرَمْتُهُمْ﴾ به ﴿بِغَيْرِهِمْ﴾ بسبب ظلمهم - بما سبق في سورة النساء (٤) - ﴿رَبَّنَا اصْصِلُوا﴾ في أخبارنا ومواعدنا.

تَمَيِّزَةَ أَرْوَاحٍ مِنَ الضَّأْنِ أَنْثَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ أَنْثَيْنِ قُلْ لَّذَكَّرَيْنِ حَرَّمَ أَمَّا الْأُنثَيْنِ أَمَّا اسْتَحَمَلْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامَ الْأُنثَيْنِ تَبْتَغِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١) وَمِنَ الْإِبِلِ أَنْثَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ أَنْثَيْنِ قُلْ لَّذَكَّرَيْنِ حَرَّمَ أَمَّا الْأُنثَيْنِ أَمَّا اسْتَحَمَلْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامَ الْأُنثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْنَاهُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِنِّي أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢) قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ عَيْرٌ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُورٌ رَجِيمٌ (٣) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَاتٌ كُلُّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمَاتٌ عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِظُفْرٍ ذَلِكَ حَرَمْتُهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٤)

(١) بالفتح لاين كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) بابتاء قراءة حمزة وابن كثير وابن عامر.

(٣) وهذا سبق قلم من المصنف كَقَوْلِهِ: فقراءة الرفع مع النوقانية وليس مع النوقانية كما ذكر المصنف، وهي لاين عامر.

(٤) راجع تفسير ﴿عَيْرٌ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ في سورة البقرة اية (١٧٣).

(٥) جمع «ثرب»: شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء، والمراد هنا الذي على الكرش فقط.

(٦) أي: قوه تعالى: ﴿فِيمَا تَفْضِيهِمْ يَشْفَعُهمْ وَكَفَرِهِمْ كَبِدَتْهُمُ﴾ الآية [النساء: ١٥٥]، إلى قوله: ﴿يُظِلُّونَ مِنَ النَّارِ﴾ هَادُوا حَرَمَاتٌ عَلَيْهِمْ طَبَقَتْ أُجَلَتْ لَهُمْ [النساء: ١٦٠].



[١٥٢] ﴿وَلَا تَقْرُؤُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: بالحصلة التي هِيَ أَحْسَنُ، وهي ما فيه صلاحه ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ بأن يحتلم<sup>(٥)</sup> ﴿وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْيَمْرَآنَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل وترك البخس ﴿لَا تُكَلِّفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاعتها في ذلك؛ فإن أخطأ في الكيل والوزن - والله يعلم صحة نيته؛ فلا مؤاخذه عليه؛ كما ورد في حديث<sup>(١)</sup>، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فِي حَكْمٍ أَوْ غَيْرِهِ﴾ فَأَعِدُّوا<sup>(٢)</sup> بالصدق ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المقول له أو عليه ﴿فَا قُرْبَىٰ﴾ قرابة ﴿وَرِيعَهُ﴾ الله أَوْفُوا<sup>(٣)</sup> ذَلِكَمُ وَصَّيْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بالشديد تتعظون<sup>(٤)</sup> والسكون.

[١٥٣] ﴿وَأَن﴾ بالفتح، على تقدير اللام، والكسر استئنافاً<sup>(٥)</sup> ﴿هَذَا﴾ الذي وصيتكم به ﴿صِرْطِي مُسْتَقِيمًا﴾ حال ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ الطرق المخالفة له ﴿فَتَذَكَّرُونَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين؛ تميل ﴿بِكُمْ﴾ عَنْ سَبِيلِي دِينه ﴿ذَلِكَمُ وَصَّيْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

[١٥٤] ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة، و﴿ثُمَّ﴾ لترتيب الأخبار ﴿تَمَامًا﴾ للنعمة ﴿عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنَ﴾ بالقيام به ﴿وَتَقْصِيلاً﴾ بياناً ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَالَمِهِم﴾ أي: بني إسرائيل ﴿يَلْقَاءُ رَبَّهُمْ﴾ بالبعث ﴿يَوْمَئِذٍ﴾.

[١٥٥] ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكًا فَاتَّبِعُونِي﴾ يا أهل مكة بالعمل بما فيه ﴿وَاتَّقُوا﴾ الكفر ﴿فَلَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ أنزلناه.

[١٥٦] ﴿لَٰ أَن﴾ لا ﴿تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ﴾ اليهود والنصارى ﴿مِن قَبْلِنَا وَإِن﴾ مخفية، واسمها محذوف؛ أي: إنا ﴿كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾ قراءتهم ﴿لَعَنَّا﴾ لعدم معرفتنا لها؛ إذ لَيْسَتْ بِعَيْنَا.

[١٥٧] ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ لوجه أذهاننا ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً﴾ لمن اتبعه ﴿فَمَن﴾ أي: لا أحد ﴿أَطَاعَ﴾ وَمَن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ أَعْرَضَ عَنْهَا سَتَجَرَى الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي: أشده ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾

﴿وَلَا تَقْرُؤُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْيَمْرَآنَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كُنْتُمْ ذَا قُرْبَىٰ وَرِيعَهُ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكَمُ وَصَّيْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٧)</sup> وَأَن هَذَا صِرْطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُونِي وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِي ذَلِكُمْ وَصَّيْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ<sup>(٨)</sup> ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَقْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَالَمِهِم يَلْقَاءُ رَبَّهُمْ يَوْمَئِذٍ وَهَذَا كِتَابُنَا أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكًا فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ<sup>(٩)</sup> أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَعَنَّا<sup>(١٠)</sup> وَأَتَيْنَاكَ الْكِتَابَ الْكَتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكَ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكَ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً فَمَن أَطَاعَ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَتَجَرَى الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنَّا كُنَّا أَوْفَىٰ إِلَيْهِمْ وَأَنَّا كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُصَدِّقُونَ<sup>(١١)</sup>

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٥٢): أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: لما أنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرُؤُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتِيمِ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ الآية. انطلق من كان عنده يبيع فحول طعامه من طعامه وشرابه من شرابه، فجعل يفضل من طعامه فيحس له حتى يأكله أو يفسد، فاشد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأمر الله ﷻ: ﴿وَتَسْلُكُونَكُم بِعَيْنِي﴾ قل ﴿إِنَّمَا يَسْلُكُكُمْ فِي بُطُونِكُمْ﴾ فخلطوا طعامهم بطعامه وشرابه بشرابه. سبق تخريجه عند الآية (٢٢٠) من سورة البقرة. (هـ) فائدة: أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال: خط رسول الله ﷺ خطاً بيده، ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيماً». قال: ثم خط عن يمينه وشماله، ثم قال: «هذه السبل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه» ثم قرأ: ﴿وَأَن هَذَا صِرْطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُونِي وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾. مسند أحمد (٤٦٥/١، ٤٦٥)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٤١٤٢)، وأخرج نحوه ابن ماجه من حديث سابر بن عبد الله، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١١).

(١) أخرج ابن مردويه عن سعيد بن المسيب قال: تلا رسول الله ﷻ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْيَمْرَآنَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فقال: من أوفى على يديه في الكيل واليزان والله يعلم صحة نيته بالوفاء فيهما لم يؤخذ وذلك تأويل وسعها (الدر المنثور (١٠/٣)).

(٢) وهي قراءة نفع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٣) بالكسر قراءة حمزة والكسائي، وقرأ ابن عامر بالفتح مع سكون لود.

تنفعها توبتها؛ كما في الحديث ﴿قُلْ أَنْتَظِرُونَ﴾ أخذ هذه الأشياء ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ ذلك.

[١٥٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَرَأُوا دِيْنَهُمْ﴾ باختلافهم فيه؛ فأخذوا بعضه وتركوا بعضه ﴿وَكَانُوا يَشْكُرُونَ﴾ فرقا في ذلك، وفي قراءة: ﴿فَارْتَفَعُوا﴾<sup>(١)</sup> أي: تركوا دينهم الذي أمروا به؛ وهم: اليهود والنصارى ﴿لَسْتَ فِي شَيْءٍ أَيْ: فلا تعرض لهم﴾ ﴿لَمَّا أَسْرَهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ يتولاه ﴿وَمَنْ يَنْتَظِرْهُمْ﴾ في الآخرة ﴿يَمَّا كَانُوا يَقُولُونَ﴾ فيجازيهم به، وهذا منسوخ بآية السيف.

[١٦٠] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ أي: لا إله إلا الله ﴿فَلَمْ يَشْكُرْ مَثَلَهَا﴾ أي: جزاء عشر حسنات ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ أي: جزاءه ﴿وَمَنْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون من جزائهم شيئا.

[١٦١] ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ويبدل من محله: ﴿وَبِنَا قِيمًا﴾ مستقيما ﴿يَلَهُ إِزِيدُهُمْ حَيْثُ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٦٢] ﴿قُلْ إِن صِلَاتِي وَنُسُكِي عِبَادَتِي مِنْ حَجٍّ وَغَيْرِهِ﴾ ويحياتي حياتي ﴿وَمَسَافِي مَوْتِي﴾ لله رب العالمين.

[١٦٣] ﴿لَا شَرِيكَ لَكَ﴾ في ذلك ﴿وَبِذَلِكَ﴾ أي: التوحيد ﴿أُفْرِزْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة.

[١٦٤] ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنِّي رَبِّي﴾ أي: لا أطلب غيره ﴿وَهُوَ رَبُّ الْمَالِكِ﴾ كل شيء ولا تكسب كل نفس ذنبا ﴿إِلَّا عَلَيْهِمَا وَلَا تُزْرَى﴾ تحمل نفس ﴿وَارِدَةٌ﴾ أمة ﴿وَزَرْ﴾ نفس ﴿أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكَ مَرْجِعُكُمْ فَيُنْشِرُكُمْ يَمَّا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾.

[١٦٥] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ﴾ جمع خليفة؛ أي: يخلف بعضكم بعضا فيها ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ بالمال والجاه وغير ذلك ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾ أعطاكم؛ ليظهر المطيع منكم والعاصي ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّكُمْ لَعُودُونَ﴾ للمؤمنين ﴿رَجِيعٌ﴾ بهم.

\*\*\*

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ فَخُيِّرْتُهُمْ يَمَّا كَانُوا يَقُولُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلٍ هَاتُوا مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيْنًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِن صِلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنِّي رَبِّي وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنْشِرُكُمْ يَمَّا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

[١٥٨] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظر المكذوبون ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ﴾ بالناء والباء<sup>(١)</sup> ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أي: أمره؛ بمعنى: عذابه<sup>(٢)</sup> ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ أي: علاماته الدالة على الساعة ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ وهي طلوع الشمس من مغربها؛ كما في حديث الصحيحين<sup>(٣)</sup> ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ الجملة صفة «النفس» ﴿أَوْ﴾ نفسا لم تكن ﴿كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾<sup>(٤)</sup> طاعة؛ أي: لا

(١) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة ؓ، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرأها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾». البخاري. كتاب الرقاق (٨١) باب (٤٠)، وأخرجه مسلم. كتاب الإيمان (١) باب (٧٢) بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان.

(٢) الباء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) وهذا تأويل لهذه الصفة من صفات الفعل التي أتيها ربنا ﷻ لنفسه، ونحن نتبناها له ونؤمن بها على الوجه اللاتق به. شحناؤه. ولا يشبه إتيانه إتيان الخلقين، ﴿لَسْتَ كَيْتِلُورَ شَيْءٍ وَهُوَ أَلَسُوْمُ الْخَيْرِ﴾ [الشورى: ١١].

(٤) البخاري (٤٦٣٦)، ومسلم (١٥٧)، وعند مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه» (٢٧٠٣)، والأخبار في هذا المعنى كثيرة.

(٥) حمزة والكسائي.

(٦) وهذا التفسير على القراءة بالتشديد، وهي لنافع وابن كثير وأبي عمرو، وأما على قراءة باقي السبعة بدون تشديد فعلى أنه مصدر نعت به، وأصله «فَوْزَم» كدَوْعُزْ، فَعُلَّ لِعِلَالٍ فَعْلِيلٌ كالتقديم.



## سُورَةُ الْأَعْرَافِ

[مكية إلا ﴿وَسَتَلَهُمْ﴾ عَنْ الْقَرْيَةِ ﴿الْثَمَانِ أَوْ الْخَمْسِ آيَاتِ، مائتان وخمس أو : ست آيات، نزلت بعد (ص)] (\*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَاللَّصَّ﴾ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ بِذَلِكَ.

[٢] هذا ﴿كُنْتُ أُنْزِلُ إِلَيْكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ ضيق ﴿وَمَنْهُ﴾ أَنْ تَبْلُغَهُ مَخَافَةٌ أَنْ تَكْذِبَ ﴿لِيُنْذِرَ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِ﴿أُنْزِلُ﴾ أَي: لِلإِنْدَارِ ﴿بِهِ﴾ وَذِكْرِي تَذَكُّرَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ.

[٣] قل لهم: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلُ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أَي: الْقُرْآنَ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ تَتَّبِعُوا ﴿مَنْ دُونَهُ﴾ أَي: اللَّهَ؛ أَي: غَيْرِهِ ﴿أُولَئِكَ﴾ تَطِيعُونَهُمْ فِي مَعْصِيَةِ - تَعَالَى - ﴿فَلَا مَا تَذْكُرُونَ﴾ بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ (١)؛ تَعْتَظُونَ، وَفِيهِ إِدْغَامُ النَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الذَّالِ، وَفِي قِرَاءَةٍ: بِسُكُونِهَا (٢)، وَ﴿مَا﴾ زَائِدَةٌ لِلتَّكْثِيرِ الْقَلَّةِ.

[٤] ﴿وَكَمْ﴾ خَبْرِيَّةٌ مَفْعُولٌ ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أُرِيدَ أَهْلُهَا ﴿أَفَلَمْ تَكُنْهَا﴾ أَرَدْنَا إِهْلَاكَهَا ﴿فَجَاءَهَا بِأَسْنَا﴾ عَذَابُنَا ﴿يَبْتَأُ﴾ لِيلاً ﴿أَوْ هُمْ قَالُوا﴾ نَأْمُونَ بِالظُّهْرِ؛ وَالْقَبُولَةُ: اسْتِرَاحَةُ نِصْفِ النَّهَارِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهَا نَوْمٌ؛ أَي: مَرَّةٌ جَاءَهَا لَيْلًا، وَمَرَّةٌ جَاءَهَا نَهَارًا. [٥] ﴿مَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ قَوْلُهُمْ ﴿يَذَّجَأْهُمْ بِأَسْنَا﴾ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ.

[٦] ﴿فَلَنَسْتَأْذِنَ الْآلِينَ أَرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أَي: الْأُمَمَ عَنْ إِجَابَتِهِمُ الرِّسَالَ، وَعَمَلُهُمْ فِيمَا بَلَّغَهُمْ ﴿وَلَنَسْتَأْذِنَ الْقُرَيْشِينَ﴾ عَنْ الْإِبْلَاحِ.

[٧] ﴿فَلَنَقْصُرَ عَنْهُمْ بِعِلْمِهِمْ﴾ لِنَعْبِرَنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ بِمَا فَعَلُوهُ ﴿وَمَا كُنَّا غَافِينَ﴾ عَنْ إِبْلَاحِ الرِّسَالِ وَالْأُمَمِ الْخَالِيَةِ فِيمَا عَمِلُوا.

[٨] ﴿وَالْوَزْنَ﴾ لِلْأَعْمَالِ أَوْ لِمَصَاحِفِهَا بِمِيزَانٍ لَهُ لِسَانٌ وَكَفَّتَانُ - كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثٍ (٣) - كَانَتْ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أَي: يَوْمَ السُّؤَالِ الْمَذْكُورِ؛ وَهُوَ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿الْحَقُّ﴾ الْعَدْلُ، صِفَةُ الْوِزْنِ ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بِالْحَسَنَاتِ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الْفَائِزُونَ.

[٩] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بِالسَّيِّئَاتِ ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بِتَصْيِيرِهَا إِلَى النَّارِ ﴿يَمَّا كَانُوا بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ﴾ بِجَحْدُونِ.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ﴾ يَا بَنِي آدَمَ ﴿فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ﴾ بِالْيَاءِ (٤)؛ أَسْبَابًا نَعِيشُونَ بِهَا، جَمْعُ مَعِيشَةٍ ﴿فَلَا مَا﴾ لِلتَّكْثِيرِ الْقَلَّةِ ﴿تَشْكُرُونَ﴾ عَلَى ذَلِكَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْمَصْرُ (١) كُنْتُ أُنْزِلُ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ  
لِيُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرِي لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلُ إِلَيْكُمْ  
مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ  
(٣) وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا نَسْفَتَهَا أَوْ هَمَّ  
قَالُوا (٤) فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا  
إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٥) فَلَنَسْتَأْذِنَ الَّذِينَ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ وَلَنَسْتَأْذِنَ  
الْمُرْسَلِينَ (٦) فَلَنَقْصُرَ عَنْهُمْ بِعِلْمِهِمْ وَمَا كُنَّا غَافِينَ (٧)  
وَالْوَزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ  
الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا  
أَنْفُسَهُمْ يَمَّا كَانُوا بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ (٩) وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ  
فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ  
(١٠) وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ  
اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١)

[١١] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ أَي: أَبَاكُمْ آدَمَ ﴿فَلَمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ أَي: صَوَّرْنَاكُمْ وَأَنْتُمْ فِي ظَهْرِ ﴿فَلَمَّا قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سُجُودَ تَحْقِيقٍ بِالْإِحْنَاءِ ﴿تَسْجُدُوا﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَا الْحَنِ؛ كَانَ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ ﴿لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾

(ه) فائدة: أخرجه البخاري عن مروان بن الحكم قال: قال لي زيد بن ثابت: «ما لك تقرأ في المغرب بقصاري؟ وقد سمعت النبي ﷺ يقرأ بطولي الطويلين». البخاري - كتاب الأذان (١٠) باب (٩٨) القراءة في المغرب. وأخرجه أبو داود وزاد: وقال - أي ابن أبي مليكة راوي الحديث - : قلت: وما طولي الطويلين؟ قال: - أي عروة بن الزبير الراوي عن مروان - : الأعراف، والأخرى الأعمام. أبو داود - كتاب الصلاة (٢) باب (١٢٢) قدر القراءة في المغرب، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٢٨).

(١) قوله: «بالتاء»؛ أي: مع تشديد الذال بعدها، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقوله: «والياء»؛ أي: قبل التاء مع تخفيف الذال، وهي قراءة ابن عامر. (٢) هكذا في النسخ المطبوعة التي بأيدينا، وهو سهو من المصنف رحمه الله، وصوابه: «بتخفيفها»؛ أي الذال، وحاصله: أن في «تذكرون» ثلاث قراءات سبعة هي: «تذكرون» بالتاء مع تشديد الذال وتخفيفها، و«تذكرون» بياء قبل التاء.

(٣) أخرج ابن المنذر واللائكالي عن عبد الملك بن أبي سليمان قال: ذكر الميزان عند الحسن فقال: له لسان وكفتان. وأخرج أبو الشيخ عن الكلبي في قوله: ﴿وَالْوَزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨] قال: أخبرني أبو صالح عن ابن عباس أنه قال: له لسان وكفتان يوزن، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ومنالهم في الجنة بما كانوا ياتينوا يظلمون [الدر المنثور (٢/٢٩١)]، وأخرج البيهقي في الشعب عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «الميزان له لسان وكفتان، يوزن فيه الحسنات والسيئات»، ولم أقف على حديث مرفوع فيه ذكر الميزان.

(٤) أي: باتفاق القراء؛ لأن الياء أصلية.

[١٥] ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ وفي آية أخرى: ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾<sup>(١)</sup> أي: يوم النفخة الأولى.

[١٦] ﴿قَالَ فِيمَا آغُوتِي﴾ أي: يا غواثك لي؛ و«الباء» للقسام وجوابه ﴿لَأَمْتَدَّ لَكُمْ﴾ أي: لبني آدم ﴿صِرْطُكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: على الطريق الموصل إليك.

[١٧] ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ أي: من كل جهة؛ فأمنعهم عن سلوكه، قال ابن عباس: ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم؛ لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله - تعالى. ﴿وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ مؤمنين.

[١٨] ﴿قَالَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا مَذْمُومًا بِالْهَمزة؛ معيبًا أو مَقْمُومًا مَذْمُومًا﴾ مُبْعَدًا عن الرحمة ﴿لَنْ يَمَكَّ مِنْهُمْ﴾ من الناس؛ و«اللام» للابتداء، أو موطئة للقسام؛ وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: منك بذريعتك ومن الناس، وفيه تغليب الحاضر على الغائب، وفي الجملة معنى جزاء «من» الشرطية؛ أي: من تبعك أعذبه.

[١٩] ﴿ذُوقْ﴾ قال: ﴿تَذَادُمُ أَشْكُنَ أَنتَ﴾ تأكيد للضمير في ﴿أَشْكُنَ﴾ ليعطف عليه ﴿وَرَوْحِكَ﴾ حواء، بالمد ﴿الْجَنَّةَ فَكَلًا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ بالأكمل منها؛ وهي: الجنة<sup>(٢)</sup> ﴿فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

[٢٠] ﴿فَوَسَّوْا لَهَا الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿يَبْدِي﴾ يظهر ﴿لَهَا مَا وَرَى﴾ فُوعِل؛ من المواراة ﴿عَنْهَا مِنْ سَوَاءٍ تَيْهًا وَقَالَ مَا تَهَكُّمًا رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا﴾ كراهة ﴿أَنْ تَكُونُوا مَلَائِكِينَ﴾ وقرئ بكسر اللام<sup>(٣)</sup> ﴿أَوْ تَكُونُوا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ أي: وذلك لازم عن الأكل منها؛ كما في آية أخرى: ﴿هَلْ أَذْكَ عَلَى شَجَرَةٍ تُقْلَدُ وَمَلِكٌ لَا يَبْلُغُ﴾<sup>(٤)</sup>.

[٢١] ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ أي: أقسم لهما بالله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ في ذلك.

[٢٢] ﴿فَذَلَّلَهُمَا﴾ حَطَّطَهُمَا عن منزلتهما ﴿يُفْرِدُونَ﴾ منه ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ أي: أكلَا منها ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوَاءُهُمَا﴾ أي: ظهر لكل منهما فُتْبَلُهُ وَقِيلَ الآخر وَذُبُرُهُ، وَشُمُيَ كل منهما سَوَاءً؛ لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وَطَوَّعَا بِمُخَصَّصَاتٍ﴾ أخذًا بـلِزْقَانِ ﴿عَلَيْهِمَا مِنْ رِزْقِ الْجَنَّةِ﴾ ليسترا به ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يَبْسُ العداوة، والاستفهام للتقرير.

قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٦﴾ قَالَ فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فِيمَا آغُوتِي لَا أَقْدِرُ لَهُمْ صِرْطُكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْمُومًا وَمَقَامْدُورًا لِمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٢﴾ وَيَتَذَكَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ أَنَّكَ وَرَوْحُكَ الْجَنَّةَ فَكَلًا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٣﴾ فَوَسَّوْا لَهَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهَا مَا وَرَى عَنْهَا مِنْ سَوَاءٍ تَيْهًا وَقَالَ مَا تَهَكُّمًا رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا مَلَائِكِينَ أَوْ تَكُونُوا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٤﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٥﴾ فَذَلَّلَهُمَا بِعُرْوَةٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رِزْقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾

[١٢] ﴿قَالَ﴾ - تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَهْمُنَ﴾ ﴿لَا﴾ زائدة ﴿تَسْجُدَ إِذْ﴾ حين ﴿أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

[١٣] ﴿قَالَ فَأَهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السماوات ﴿فَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ فَاخْرُجْ ﴿مِنْهَا﴾ ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ الدُّلِيلِينَ.

[١٤] ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ أخرني ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: الناس.

(١) الحجر: ٣٨.

(٢) لم يرد ما يعتمد عليه في تعيين هذه الشجرة، ولا حاجة إلى ذلك؛ لأنه ليس المقصود معرفة عين تلك الشجرة، وما لا يكون مقصودًا لا ينبغي الانشغال به - كما ذكر أهل التحقيق.

(٣) وهي قراءة شاذة.

(٤) طه: ١٢٠.

[٢٣] ﴿قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا بِمَعْصِيَتِنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

[٢٤] ﴿قَالَ أَهْطُوا﴾ أي: آدم وحواء؛ بما اشمئتما عليه من ذريتهما ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ من ظلم بعضهم بعضاً ﴿وَلَكَّرَ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرًّا﴾ أي: مكان استقرار ﴿وَمَتَّعَ﴾ تمتع ﴿إِلَى حِينٍ﴾ تنقضي فيه أجالكم.

[٢٥] ﴿قَالَ فِيهَا﴾ أي: الأرض ﴿يَحْيَوْنَ﴾ وفيها تموتون وميتها ﴿تَخْرُجُونَ﴾ بالبعث، بالبناء للفاعل والمفعول<sup>(١)</sup>.

[٢٦] ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ لِسَانَ﴾ أي: خلقناه لكم<sup>(٢)</sup> ﴿يُؤَدِّرِيْ﴾ يستر ﴿سَوَاءَ بَيْنِكُمْ وَرَيْشًا﴾ وهو ما يتجمل به من الثياب ﴿وَلِبَاسٍ الْقَوِيُّ﴾ العمل الصالح والسمت الحسن، بالنصب<sup>(٣)</sup> عطف على ﴿لِسَانَ﴾، والرفع مبتدأ، خبره: جملة ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ فيؤمنون، فيه التفات عن الخطاب.

[٢٧] ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ لَا يَفْقَهُكُمْ﴾ بضلكم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ أي: لا تتبعوه؛ ففتنوا ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ﴾ بفتنته ﴿وَمِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ﴾ حال ﴿عَنْهُمَا﴾ لِبَاسَهُمَا يُرِيهِمَا سَوَاءَ تَهْمًا إِتَمَّ أَي: الشيطان ﴿رَبَّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ جنوده ﴿وَمِنْ حَيْثُ لَا رَوْحَهُمْ﴾ للظافة أجسادهم، أو عدم ألوانهم ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ﴾ أعواناً وقرناء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٢٨] ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَجَسَةً﴾ كالشرك، وطوافهم بالبيت عراة قائلين: لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها. فنهوا عنها ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا﴾ فاقصدنا بهم ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ أيضاً ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: إِنْ أَلَّ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ؟ أنه قاله، استفهام إنكار.

[٢٩] ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَأَقِيمُوا﴾ معطوف على معنى ﴿بِالْقِسْطِ﴾ أي: قال: أقسطوا وأقيموا. أو قبله فاقبلوا، مقدراً ﴿وَجُوهَكُمْ﴾ لله ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي: أخلصوا له سجودكم ﴿وَادْعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ خلقكم ولم تكونوا شيئاً ﴿تَعُودُونَ﴾ أي: يعيدكم أحياء يوم القيامة.

[٣٠] ﴿فَرِيقًا﴾ منكم ﴿هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ.

(١) بالبناء للفاعل قراءة الكسائي وابن ذكوان.

(٢) وهذا أحد الأقوال، وهو كقولهم تعالى: ﴿وَأَرْزَلْ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ قَلِيلًا﴾ أي: خلق، وقيل: المراد المطر الذي ينبت به القطن والكتان. فجعل المسبب بمنزلة السبب، وقيل: المعنى: ألهمناكم كيفية صعبته. وقيل: المعنى: قضينا وقسمنا لكم؛ حيث كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وقضاه - شيخنا - مما توصف بالنزول. وقيل: هو على ظاهر معناه المعروف، فإنه ينزل من ظهور الأنعام من أصولها وأوبارها وأشعارها، وهذا الأخير هو الأقرب. وفي الآية إثبات صفة علوية. جل وعلا. فوق خلقه، وهو ما يتحاشى المفسر - عفا الله عنه - إثباته موافقة لمذهب الأشعري. ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِنْهَايَ لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ وانظر مجموع الفتاوى (٢٤٦/١٢ - ٢٥٧).

(٣) وهي قراءة نافع والكسائي وابن عامر.

قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهْطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَّعَ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ لِسَانَ يُؤَدِّرِيْ سَوَاءَ بَيْنِكُمْ وَرَيْشًا وَلِبَاسٍ الْقَوِيُّ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْنِيْ عَادَمَ لَا يَفْقَهُكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاءَ تَهْمًا إِنَّهُ رَبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا رَوْحَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَجَسَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣٢﴾

[٣٢] ﴿قُلْ﴾ إنكاراً عليهم: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ من اللباس ﴿وَالطَّيِّبَاتِ﴾ المستلذات ﴿وَمِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالاستحقاق، وإن شاركهم فيها غيرهم ﴿خَالِصَةً﴾ خاصة بهم، بالرفع والنصب<sup>(١)</sup>، حال ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ﴾ نبيها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون؛ فإنهم المستفعلن بها.

[٣٣] ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ الكبائر؛ كالزنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي: جهرها وسرها ﴿وَالْإِثْمَ﴾ المعصية ﴿وَالَّذِينَ عَلَى النَّاسِ يَغِيْرُ الْحَقَّ﴾ وهو الظلم ﴿وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَا يَرْزُقُ بِهِ﴾ بإشراكه ﴿سُلْطَانًا﴾ حجة ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره.

[٣٤] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ عليه.

[٣٥] ﴿يَبْنِيْءَ ءَادَمَ إِنَّمَا﴾ فيه إدغام نون ﴿إِنَّ﴾ الشرطية في «ما» المريدة ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ مَا يَنْتَهَى عَنْتُمْ﴾ الشرع ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاشْتَكَبُوا﴾ تكبروا ﴿عَنْهَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٣٧] ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿أُولَئِكَ يَنْهَكُمُ عَنْهُمُ﴾ يصيبهم ﴿حُطَّتْ﴾ الرزق والأجل وغير ذلك ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا﴾ أي: الملائكة ﴿يَقُولُونَ لَهُمْ قَالُوا﴾ لهم تبكيًا: ﴿إِنَّمَا مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا﴾ غابوا ﴿عَنْهَا﴾ فلم نرهم ﴿وَسُيُودًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ عند الموت ﴿أَلْهَمْتُ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

﴿يَبْنِيْءَ ءَادَمَ خُدُوْا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَطَيَّبَتْ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالَّذِينَ يَتَّبِعِيْنَ الْحَقَّ وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلِّ بِهِمْ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ ﴿يَبْنِيْءَ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ مَا يَنْتَهَى عَنْتُمْ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنْهَكُمُ عَنْهُمُ مِنَ الْكَذِبِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَقَّوْنَهُمْ قَالُوا إِنَّمَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنْهُمْ وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾

[٣١] ﴿يَبْنِيْءَ ءَادَمَ خُدُوْا زِينَتَكُمْ﴾ ما يستر عورتكم<sup>(٢)</sup> ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ عند الصلاة والطواف ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ ما شئتم ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾

(١) ما جاء في نزول الآية (٣١): أخرج مسلم عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول: من يعبرني تطوافاً يجعله على فرجها؟ تقول: اليوم يلدو بعضه أو كله. فما بدا منه فلا أحله. فنزلت هذه الآية: ﴿خُدُوْا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾. مسلم - كتاب التفسير (٥٤) باب (٢) رقم (٣٠٢٨).

(٢) بالرفع قراءة نافع.

[٣٨] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - لهم يوم القيامة: ﴿ادْخُلُوا فِي﴾ جملة ﴿أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ جملة ﴿خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ متعلق بـ ﴿ادْخُلُوا﴾. ﴿كَلِمًا دَخَلَتْ أُنْتُمْ﴾ النار ﴿لَمَنْتُمْ أَخْبَأَ﴾ التي قبلها؛ لضلالها بها ﴿حَتَّى إِذَا أَذَارَكُمْ﴾ تلاحقوا ﴿وَبِهَا جَمِيعًا﴾ قالت أخرتهم ﴿وهم الأبعاد﴾ ولا أولهم ﴿أَي: لأجلهم﴾<sup>(١)</sup>؛ وهم: المتبوعون: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصَلُّوا فَنَاهَمْ عَذَابَ ضَعْفًا﴾ مُضَعَّفًا ﴿مِنَ النَّارِ﴾ قال - تعالى -: ﴿لِكُلِّ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ﴾ ضَعْفٌ عذاب مُضَعَّفٌ ﴿وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بالياء والناء<sup>(٢)</sup>، ما لكل فريق. [٣٩] ﴿وَقَالَتْ أُولَهُمْ لِأَخْرَجْتُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ لأنكم لم تكفروا بسببنا؛ فنحن وأنتم سواء، قال - تعالى - لهم: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ يَمَّا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

[٤٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا ﴿عَنْهَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ إذا غرغ بأرواحهم إليها بعد الموت، يهبط بها إلى «سجين»، بخلاف المؤمن، تفتح له، ويصعد بروحه إلى السماء السابعة، كما ورد في حديث<sup>(٣)</sup>، ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ﴾ يدخل ﴿الْمَلَكُ فِي سِرِّ الْحَيَاطِ﴾ ثقب الإبرة، وهو غير ممكن، فكذا دخولهم ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿يَجْزَى الْمُجْرِمِينَ﴾ بالكفر، [٤١] ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراش ﴿وَمِنْ قَوْفِهِمْ غَوَاشٍ﴾ أغطية من النار، جمع غاشية، وتوينة عوض من الياء المحذوفة ﴿وَكَذَلِكَ يَجْزَى الظَّالِمِينَ﴾.

[٤٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتهما من العمل اعراض بينه وبين خبره؛ وهو: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٤٣] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ﴾ حقد كان بينهم في الدنيا ﴿يَجْزَى مِنْ تَجْهِيمٍ﴾ تحت قصورهم ﴿الْأَثَرُ﴾ وقالوا: عند الاستقرار في منازلهم ﴿الْحَسَدُ﴾ إلى الذي هدانا لهذا العمل الذي هذا جزاؤه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ﴾ حذف جواب ﴿لَوْلَا﴾ دلالة ما قبله عليه.

﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ﴾ مخففة؛ أي: أنه، أو مفسرة في المواضع الخمسة ﴿يَلِكُمْ الْجَنَّةُ أَوْرُشُومُهَا يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

قَالَ ادْخُلُوا فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كَلِمًا دَخَلَتْ أُنْتُمْ لَمَنْتُمْ أَخْبَأَ حَتَّى إِذَا أَذَارَكُمْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرَجْتُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصَلُّوا فَنَاهَمْ عَذَابَ ضَعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَتْ لِكُلِّ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ ضَعْفٌ عَذَابٍ مُضَعَّفٌ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ وَقَالَتْ أُولَهُمْ لِأَخْرَجْتُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ يَمَّا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحْ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْمَلَكُ فِي سِرِّ الْحَيَاطِ وَكَذَلِكَ يَجْزَى الْمُجْرِمِينَ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ قَوْفِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ يَجْزَى الظَّالِمِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ يَجْزَى مِنْ تَجْهِيمٍ أَنْ تَقْصُرَهُمُ الْأَثَرُ وَقَالُوا عِنْدَ الْإِسْقَارِ فِي مَنَازِلِهِمْ الْحَسَدُ إِلَى الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا عَمِلْنَا هَذَا جَزَاءَهُ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ يَلِكُمْ الْجَنَّةُ أَوْرُشُومُهَا يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

(١) فائدة: أخرج مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ينادي منادي: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تعملوا فلا تبأسوا أبدًا، فذلك قول الله ﷻ: ﴿وَنُودُوا أَنْ يَلِكُمْ الْجَنَّةُ أَوْرُشُومُهَا يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾». مسلم - كتاب الجنة (٥١) باب (٨) في دوام نعيم أهل الجنة.

(١) وفي نسخة «لأجلهم».

(٢) بالياء قراءة شعبة.

(٣) روى أحمد (٨٥٥١)، والنسائي (١٨٣٣)، وابن ماجه (٤٢٦٢) عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الميت تحضره الملائكة؛ فإذا كان الرجل صالحًا، قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء السابعة التي فيها الله ﷻ. وإذا كان الرجل سوء، قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة، وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يرجع بها إلى السماء فيستفتح لها فقال: من هذا؟ يقال: فلان، فقال: لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث. ارجعي ذميمة؛ فإنها لا تفتح لك أبواب السماء؛ فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر. والحديث أصله في الصحيحين وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢٤٣٧).

﴿أَنْ لَّمْ يَكُنْ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

[٤٥] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَيَبْغُونَ﴾ أي: يطلبون السبيل ﴿عَوَجًا﴾ معوجة ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾.

[٤٦] ﴿وَيَبْغُونَ﴾ أي: أصحاب الجنة والنار ﴿حِجَابًا﴾ حاجر، قيل: هو سور الأعراف ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾ وهو سور الجنة ﴿رِجَالٌ﴾ استوت حسناتهم وسبائهم؛ كما في الحديث<sup>(١)</sup> ﴿يَرْفَعُونَ كُلًّا﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بِإِسْمِهِمْ﴾ بعلامتهم؛ وهي: بياض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين؛ لرؤيتهم لهم؛ إذ موضعهم عال ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا﴾ قال - تعالى -: ﴿ثُمَّ يَدْخُلُونَهَا﴾ أي: أصحاب الأعراف الجنة ﴿وَهُمْ يَلْمِزُونَ﴾ في دخولها. قال الحسن: لم يطمعهم إلا لكرامة يريدها بهم. وروى الحاكم عن حذيفة قال: «بينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال: قوموا ادخلوا الجنة؛ فقد غفرت لكم»<sup>(٢)</sup>.

[٤٧] ﴿وَلَا تَصْرُفْ أَبْصَرَهُمْ﴾ أي: أصحاب الأعراف ﴿لِقَاءَهُ﴾ لِقَاءَهُ ﴿أَصْحَابَ النَّارِ﴾ قالوا ربنا لا نجعلنا في النار ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

[٤٨] ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ من أصحاب النار ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون<sup>(٣)</sup> ﴿أَهْلُولَا﴾ الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون<sup>(٤)</sup> ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا ﴿وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمْ﴾ أَلْهِيَةُ الدُّنْيَا ﴿فَالْيَوْمَ نَنسُوهُمْ﴾ تركهم في النار ﴿كَمَا كَانُوا يَنسَوْنَ﴾ أي: وكما جحدوا. بالبناء للمفعول، و«دخلوا»<sup>(٥)</sup> فجعلته النفي حال؛ أي: مقولاً لهم ذلك<sup>(٦)</sup>.

[٥١] ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمْ﴾ أَلْهِيَةُ الدُّنْيَا ﴿فَالْيَوْمَ نَنسُوهُمْ﴾ تركهم في النار ﴿كَمَا كَانُوا يَنسَوْنَ﴾ أي: وكما جحدوا. بالبناء للمفعول، و«دخلوا»<sup>(٥)</sup> فجعلته النفي حال؛ أي: مقولاً لهم ذلك<sup>(٦)</sup>.

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ قَالَتْ مُؤَدَّتُ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ وَيَبْغُونَ حِجَابًا وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَنَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ \* وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهْلُولَا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمْ أَلْهِيَةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسُوهُمْ كَمَا كَانُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا يَتَنَبَّهُونَ ﴿٥١﴾

[٤٤] ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ تقريراً أو تأكيداً: ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ من الثواب ﴿حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ من العذاب ﴿حَقًّا قَالُوا نَعَمْ قَالَتْ مُؤَدَّتُ بَيْنَهُمْ﴾ نادى مناد ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين الفريقين أسمعهم:

(١) أخرجه أبو الشيخ وابن مردويه وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «توضع الميزان يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صوابه دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صوابه دخل النار». قيل: يا رسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته؟ قال: «أولئك أصحاب الأعراف» (ثُمَّ يَدْخُلُونَهَا وَهُمْ يَلْمِزُونَ).

والأحاديث والآثار في هذا المعنى كثيرة (والدر المنثور ١/٦٢٢).

(٢) الحاكم (٢/٣٢٠)، وقال في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(٣) وهما قراءتان شاذتان، على عادة المصنف رحمه الله؛ حيث يغير في الشاذ في الغالب (بقرئ)، وفي السبعي بقوله: «وفي قراءة».

(٤) قال السمين الحلبي: «أي وعلى هاتين القراءتين؛ فالجملة المنفية في محل نصب بقول مقدر، ذلك القول منصوب على الحال؛ أي مقولاً لهم: لا خوف...» اهـ.

[٥٢] ﴿وَلَقَدْ جِئْنَهُمْ بِأَي: أهل مكة ﴿بِكُتَيْبٍ﴾ قرآن ﴿فَصَلَّنَاهُ عَلَىٰ هُدًى وَرَحْمَةً﴾ بالأخبار والوعيد والوعيد ﴿وَعَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حال؛ أي: عالين بما فُضِّل فيه ﴿هُدًى﴾ حال من الهاء ﴿وَرَحْمَةً﴾ لِيُفْرِمَ يُؤْمِنُونَ ﴿به﴾.

[٥٣] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ عاقبة ما فيه ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ هو يوم القيامة ﴿يَقُولُ الَّذِينَ شَكَّوْهُ مِنْ قَبْلُ﴾ تركوا الإيمان به: ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ قَوْلَ لَنَا مِنْ شُعْمَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ﴾ هل ﴿تُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ نوحده الله ونترك الشرك؛ فيقال لهم: لا.

قال - تعالى -: ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ إذ صاروا إلى الهلاك ﴿وَصَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ من دعوى الشريك.

[٥٤] ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا؛ أي: في قدرها؛ لأنه لم يكن ثم شمس، ولو شاء خلقهن في لحظة، والعدل عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْمَرْجِ﴾ هو في اللغة: سرير الملك، استواء؛ يليق به<sup>(١)</sup> ﴿يُعْثِي الْبَلَاءَ﴾ مخففاً ومشدداً<sup>(٢)</sup>؛ أي: يُطْغِي كلاً منهما بالآخر ﴿يُطْلِمُ﴾ يطلب كل منهما بالآخر طلياً ﴿جَيْشًا﴾ سريعاً ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ﴾ بالنصب عطفًا على ﴿السَّمَوَاتِ﴾ والرفع مبتدأ خبره: ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾<sup>(٣)</sup> مذللات ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بقدرته<sup>(٤)</sup> ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ جميعاً ﴿وَالْأَكْثَرُ﴾ كله ﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظم ﴿اللَّهُ رَبُّ﴾ مالك ﴿الْعَالَمِينَ﴾.

[٥٥] ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ حال؛ تذللاً ﴿وَخُفْيَةً﴾ سرًا ﴿إِنَّكُمْ لَا يُجِبُ الْمُتَعَذِّبُ﴾ في الدعاء؛ بالتشدد ورفع الصوت.

[٥٦] ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالشرك والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بيعت الرسل ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطُمَعًا﴾ في رحمته ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِمَّنِ الْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين، وتذكير ﴿قَرِيبٌ﴾ الخبير به عن ﴿رَحْمَتِ﴾ لإضافته إلى الله.

[٥٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾ [نُشْرًا]<sup>(١)</sup> يَبِّتَ يَدَى رَحْمَتِهِ: أي: متفرقة فذائم المطر، وفي قراءة: بسكون الشين تخفيفاً<sup>(٢)</sup>، وفي أخرى: بسكونها وفتح النون مصدر<sup>(٣)</sup>، وفي أخرى: بسكونها وضم الموحدة بدل النون<sup>(٤)</sup>؛ أي: مبشراً، ومفرد الأولى: «نشور» كـ «رسول»، والأخيرة<sup>(٥)</sup>: «بشير» ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَفْلَحَ﴾ حملت الرياح ﴿سَحَابًا يَقْرَأُ﴾ بالمطر

وَلَقَدْ جِئْنَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ شَكَّوْهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ قَوْلَ لَنَا مِنْ شُعْمَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ تُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْثِي الْبَلَاءَ لِيَلَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطُمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا لِّبَن يَدَى رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَفْلَحَ سَحَابًا نَقَّالَا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَاهُ أَلْمَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

﴿سُقْنَاهُ﴾ أي: السحاب، وفيه التفات عن الغيبة ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ لا نبات به؛ أي: لإحيائها ﴿فَأَنْزَلْنَاهُ﴾ بالبلد ﴿الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ بالماء ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ﴾ الإخراج ﴿نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ من قبورهم بالإحياء ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فهو منون.

(١) إن كان المصنف يريد بذلك تفويض كيفية الاستواء فهذا حق، كما قال مالك: «... والكيف مجهول»، وأما إن كان يريد بذلك أن معنى الاستواء نفسه مجهول، فيكون فراغاً من إثبات صفة العلو والاستواء على العرش؛ إذ إن كلام السلف في معنى الاستواء أنه العلو والارتفاع والاستقرار.

(٢) بتشديد الشين، ولازمه فتح الباء قراءة حمزة والكسائي وشعبة.

(٣) بالرفع في الأربع الكلمات قراءة ابن عامر.

(٤) وهذا صرف للفظ عن ظاهره، وتطيل لصفة الأمر، والمراد منه كلام الله وحكمه، وهو غير القدرة.

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٦) لابن عامر.

(٧) لحمزة والكسائي.

(٨) وهي قراءة عاصم.

(٩) في نسخة مطبوعة: «والآخرة».

رَبِّهِ ﴿ هَذَا مَثَلٌ لِلْمُؤْمِنِ بِسَمْعِ الْمَوْعِظَةِ فَيَنْتَفِعُ بِهَا ﴾ ﴿ وَالَّذِي خَبَتْ ﴾ تَرَاهِ ﴿ لَا يَخْرُجُ ﴾ نَبَاتُهُ ﴿ إِلَّا نَكْبًا ﴾ غَيْرًا بِمَشَقَّةٍ، وَهَذَا مَثَلٌ لِلْكَافِرِ ﴿ كَذَلِكَ ﴾ كَمَا يَكُنُّ مَا ذَكَرَ ﴿ تُصَرِّفُ ﴾ يُبَيِّنُ ﴿ الْأَلْبَتَّ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ اللَّهُ فَيُؤْمِنُونَ. [٥٩] ﴿ لَقَدْ ﴾ جَوَابُ قَسَمٍ مُحَذِّفٍ ﴿ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُورُوا عِبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ بِالْجُرْ (١) صَفَةً لِّلْإِلَهِ، وَبِالرَّفْعِ بَدَلٌ مِنْ مَحَلِّهِ ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ ﴾ إِنْ عَبَدْتُمْ غَيْرَهُ ﴿ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. [٦٠] ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الْأَشْرَافُ ﴾ مِنْ قَوْمِهِ ﴿ إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي صَعْلٍ مُبِينٍ ﴾ يَتَبَيَّنُ.

[٦١] ﴿ قَالَ يَنْقُورُ لَيْسَ بِ صَلَاةٍ ﴾ هِيَ أَعْمٌ مِنَ الصَّلَاةِ؛ فَفِيهَا أَبْلَغُ مِنْ نَفِيهِ ﴿ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

[٦٢] ﴿ [أُبَيِّنُكُمْ] ﴾ (٢) بِالْتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ ﴿ رَسَلْتُكَ رَبِّي وَأَنْصَحُ ﴾ أُرِيدُ الْحِجْرَ ﴿ لَكُنْ وَأَعْلَمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

[٦٣] ﴿ أَهْ ﴾ كَذِبُهُمْ ﴿ وَنَجَّيْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرُكُمْ ﴾ مَوْعِظَةٌ ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ عَلَى لِسَانِ ﴿ رَجُلٍ يَنْتَكِرُ يُنْذِرُكُمْ ﴾ الْعَذَابَ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا ﴿ وَلِنُنْفِقُوا ﴾ اللَّهُ ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبْتُمْ ﴾ بِهَا.

[٦٤] ﴿ كَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ مِنَ الْغُرَقِ ﴿ فِي الْفُلِّ ﴾ السَّفِينَةِ ﴿ وَأَعْرَفْنَا الْأَلْبَتَّ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ بِالطُّوفَانِ ﴿ إِنْهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَنِيبِينَ ﴾ عَنِ الْحَقِّ.

[٦٥] ﴿ وَ ﴾ أَرْسَلْنَا ﴿ إِلَى عَادٍ ﴾ الْأُولَى (٣) ﴿ أَمَّا هُمْ هُودًا ﴾ قَالَ يَنْقُورُ عَابِدُوا اللَّهَ وَخُذُوهُ ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ تَخَافُونَهُ فَتُؤْمِنُونَ.

[٦٦] ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي سَفَاهَةٍ جَهْلَالَةٍ ﴿ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴾ فِي رِسَالَتِكَ.

[٦٧] ﴿ قَالَ يَنْقُورُ لَيْسَ بِ سَفَاهَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ وَيَاذِنُ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكْبًا كَذَلِكَ نَصَرَفُ الْأَلْبَتَّ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (٥٨) لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُورُوا عِبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي صَعْلٍ مُبِينٍ (٦٠) قَالَ يَنْقُورُ لَيْسَ بِ صَلَاةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَيِّنُكُمْ رَسَلْتُكَ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢) أَوْحَيْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرُكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِّ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَنِيبِينَ (٦٤) عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُورُوا عِبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَنْقُورُ لَيْسَ بِ سَفَاهَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧)

[٥٨] ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ ﴾ الْعَذْبُ التَّرَابِ ﴿ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ ﴾ حَسَنًا ﴿ وَيَاذِنُ

(١) وهي قراءة الكسائي.

(٢) بالتحفيف قراءة أبي عمرو.

(٣) وهم قوم نبي الله هود عليه السلام؛ كما جاء وصفهم بذلك في سورة النجم في قوله تعالى: ﴿ وَآتَيْنَاهُ أَمْلَكًا عَظِيمًا الْأَوَّلَ ﴾ [النجم: ٥٠] ، وأما عاد الآخرة، وهم المعنويون بـ «عاده» عند الإطلاق. فهم

«نمود» قوم نبي الله صالح عليه السلام.



[٦٨] ﴿أَتُفْسِرُكُمْ وَتَكُنَّ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ مأمون على الرسالة.  
 [٦٩] ﴿أَوْ يَحْتَسِبُ أَنْ جَاءَهُ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّهِ عَلَى لِسَانٍ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَکُمْ وَأَذْکُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَرَادَّکُمْ فِي الْمَلْأَنِ بَضْطَةً قُوَّةٍ وَطَوَّلَا، وَكَانَ طَوِيلُهَا مِائَةَ ذِرَاعٍ وَقَصِيرُهَا سِتِينَ<sup>(١)</sup>﴾ فَذْکُرُوا ءَالَ اللَّهِ إِلَهُكُمْ نِعْمَةً لَعَلَّکُمْ تَقْلِحُونَ تفرزون.  
 [٧٠] ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأِنَّا إِيمَاءٌ﴾ به من العذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في قولك.

[٧١] ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ عَذَابٌ وَعَصَيْتُمْ أَمْرًا لِيُنْذِرَکُمْ فِي سَمَاءٍ سَمَّيْنَاهَا﴾ أي: سميت بها ﴿أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ﴾ أصنامًا تعبدونها ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا﴾ أي: بعبادتها ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾ حجة وبرهان ﴿فَانْظُرُوا﴾ العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظِرِينَ﴾ ذلك بتكذيبكم لي؛ فأرسلت عليهم الريح العقيم.  
 [٧٢] ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾ أي: هودًا ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ من المؤمنين ﴿يَرْجِعُونَ﴾ وَقَطَعْنَا دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: استأصلناهم ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ عطف على ﴿كَذَبُوا﴾.

[٧٣] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إِلَى شُؤْمٍ بترك الصرف<sup>(٢)</sup>؛ مراد: به القبيلة ﴿أَنَّهُمْ صَالِحٌ قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادًا لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مَعِيزَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ على صدقي ﴿هَذِهِ نَافَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ حال، عاملها معنى الإشارة، وكانوا سألوه أن يخرجها لهم من صخرة غشيها ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾ يعقر أو ضرب ﴿فِيَاخُذْکُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ﴾

أَتُفْسِرُكُمْ رَسَلَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْ يَحْتَسِبُ أَنْ جَاءَهُ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّهِ عَلَى لِسَانٍ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَکُمْ وَأَذْکُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَرَادَّکُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَذْکُرُوا ءَالَ اللَّهِ إِلَهُكُمْ لَعَلَّکُمْ تَقْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأِنَّا إِيمَاءٌ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصَيْتُمْ أَمْرًا لِيُنْذِرَکُمْ فِي سَمَاءٍ سَمَّيْنَاهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ أَمْجَدُ لَوْ تَنِي فِي سَمَاءٍ سَمَّيْنَاهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَى شُؤْمٍ أَنَّهُمْ صَالِحٌ قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادًا لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَافَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْکُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

(١) تحديد طول أطولهم وأقصرهم على هذا النحو مخالف لما جاء في الصحيح في وصف آدم عليه السلام؛ ففي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن». البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١). فهذا الحديث صريح في أنه ليس بعد آدم من هو أطول منه.

(٢) أي بالرفع من الصرف؛ للعلمية والثابتة.

وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ  
 فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجُونَ  
 الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا الْآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي  
 الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٦﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ  
 قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ  
 أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ  
 مُؤْمِنُونَ ﴿٧٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي  
 ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٨﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ  
 أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَسْتَنَابِمْا تَعْدَانَا إِنْ كُنْتَ  
 مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٩﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّحْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ  
 جَاشِمِينَ ﴿٨٠﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ  
 رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ  
 ﴿٨١﴾ وَلَوْ طَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحْشَةَ مَا سَبَقَكُمْ  
 بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٢﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ  
 شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨٣﴾

[٧٤] ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ في الأرض ﴿مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾

وَبَوَّأَكُمْ ﴿أسكنكم﴾ في الأرض تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا ﴿تسكنونها في الصيف﴾ وَتَنْجُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ﴿تسكنونها في الشتاء﴾ ونصبه على الحال المقدرة <sup>(١)</sup> ﴿فَاذْكُرُوا الْآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

[٧٥] ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ تَكَبَّرُوا عَنْ الْإِيمَانِ بِهِ ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ أي: من قومه، بدل مما قبله بإعادة الجار ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ إليكم ﴿قَالُوا﴾: نعم ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

[٧٦] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ وكانت الناقة لها يوم في الماء ولهم يوم، فَعَلُوا ذَلِكَ.

[٧٧] ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ عقرها ﴿فَدَاؤُهَا﴾ <sup>(٢)</sup> بأمرهم؛ بأن قتلها بالسيف ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَتَيْنَا بِمَا نَعُدُّكَ﴾ به من العذاب على قتلها ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٧٨] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّحْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة من الأرض، والصيحة من السماء ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاشِمِينَ﴾ باركين على الرُّكَبِ ميتين.

[٧٩] ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ﴾.

[٨٠] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿لَوْطًا﴾ وَيُذِلُّ مِنْهُ ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحْشَةَ﴾ أي: أدبار الرجال ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن.

[٨١] ﴿إِنَّكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال الألف بينهما على الوجهين، وفي قراءة: ﴿إِنَّكُمْ﴾ <sup>(٣)</sup> ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿منجاوزون الحلال إلى الحرام﴾.

(١) أي تدحرجونها مقدَّرين جعلها بيوتًا لكم.

(٢) ابن سالف.

(٣) قرأ السبعة عدا نافع وحفص بهزتين على لفظ الاستفهام، الذي في معناه التوبيخ، غير أن ابن كثير يسهل الهمزة الثانية بين الهمزة والياء، وكذلك أبو عمرو لكنه يدخل بين الهمزتين ألفًا فيمد، وهشامًا يدخل بين الهمزتين ألفًا مع تخفيفهما، بخلاف عنه، وهكذا في جميع النظائر من كل همزتين مجتمعتين في كلمة، الثانية منهما مكسورة، ومع موافقة نافع لابن كثير موافقة قالون لأي عمرو وهشام.

[٨٢] ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ﴾ أي: لو طأ وأتباعه ﴿وَمِنْ قَوْمِكُمْ إِلَهُهُمْ أَنَأْسُ يَتْلَاهُمْ﴾ من أديار الرجال.

[٨٣] ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا كَانَتْ مِنْ الْغَائِبِينَ﴾ الباقين في العذاب.

[٨٤] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ هو حجارة السجيل؛ فأهلكتهم ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

[٨٥] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ شُعْبَاءٌ قَالُوا يَتَّقُوا رَبَّ لِمَ تَأْتِيكُمْ بَاسٌ مِّنْ آلِهَتِكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ بَاسٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ صِدْقٍ﴾ فأتوا ﴿فَأَوْفُوا﴾ أتموا ﴿الْكَيْدَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا﴾ تنقصوا ﴿النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بيعت الرسل ﴿ذَلِكُمْ﴾ المذكور ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مريدي الإيمان فبادروا إليه.

[٨٦] ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ طَرِيقٍ﴾ طريق ﴿تُوعِدُونَ﴾ تخوفون الناس بأخذ ثيابهم أو العكس<sup>(١)</sup> منهم ﴿وَتَصُدُّونَ﴾ تصرفون ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِ﴾ بتوعدكم إياه بالقتل ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ تطلبون الطريق ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكُفِّرْتُمْ﴾ وآنظروا كيف كَانَتْ عِقَابُهُ الْمُفْسِدِينَ قبلكم بتكذيب رسلهم؛ أي: آخر أمرهم من الهلاك.

[٨٧] ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّا يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ فآصبروا ﴿انتظروا﴾ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وبينكم بإنجاء الحق وإهلاك المبطل ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعدلهم.

وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ أَنَاهُمْ أَنَأْسُ يَتْلَاهُمْ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ شُعْبَاءٌ قَالُوا يَتَّقُوا رَبَّ لِمَ تَأْتِيكُمْ بَاسٌ مِّنْ آلِهَتِكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ بَاسٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ صِدْقٍ فَآتُوا الْكَيْدَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكُفِّرْتُمْ وَآنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّا يُؤْمِنُوا فَآصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

(١) المكس (يفتح الميم وسكون الكاف): الضريبة، والجباية والإتاوة التي تؤخذ بغير حق. وأصله في اللغة: الخيانة. و«المكاس»: هو أخذها.

وأخرج مسلم في صحيحه (١٦٩٥) في قصة رجم الغامدية: «... لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له...». وفي هذا دليل على عظم هذا الذنب وأن المكس من أقبح المعاصي والذنوب والموبقات؛ وذلك لكثرة مطالبات الناس له وظلامتهم عنده. كما ذكر النووي في شرحه على صحيح مسلم.

وأخرج أحمد في مسنده (١٦٨٤٣) وأبو داود في سننه (٢٩٣٧) من حديث عقبة بن عامر مرفوعاً: «لا يدخل الجنة صاحب مكس». وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٦٣١).

ملتهم قَطُّ، وعلى نحوه أجاب: ﴿قَالَ أَلَمْ نَعُودْ فِيهَا﴾ ﴿وَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ لها؟! استفهام إنكار.

[٨٩] ﴿فَقَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِيثَاقًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ فَمِنْكُمْ شَاقِقٌ يُدْخِلُ فِي مِلَّتِهِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ﴾ ذلك فيخذلنا ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وسع علمه كل شيء، ومنه حالي وحالكم ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ﴾ احكم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ الحاكمين.

[٩٠] ﴿وَقَالَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿لَيْنَ﴾ لا قسم ﴿أَتُبْعُكُمْ شُعْبًا إِنْ كُنَّا إِذَا الْخَسِرُونَ﴾.

[٩١] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَصَبَّحُوا فِي دَارِهِمْ جاثين﴾ باركين على الرُّكَبِ ميتين ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا﴾ مبتدأ وخبره: ﴿كَانَ﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: كأنهم ﴿لَمْ يَنْتَوُوا﴾ يقيموا ﴿فِيهَا﴾ في ديارهم.

[٩٢] ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا﴾ كانوا هُمُ الْخَسِرُونَ ﴿التأكيد بإعادة الموصول وغيره للرد عليهم في قولهم السابق.

[٩٣] ﴿فَتَوَلَّى﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ﴾ وَقَالَ يَقَوْمُ لَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِرِسَالَتٍ رَبي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ فلم تؤمنوا ﴿فَكَيْفَ ءاسى﴾ أحزن ﴿عَلَى قَوْمٍ كَفِرِينَ﴾ استفهام بمعنى النفي<sup>(١)</sup>.

[٩٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ فكذبوه ﴿إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ بشدة الفقر والسرارة المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ يتذللون فيؤمنون.

[٩٥] ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا﴾ أعطيناهم ﴿مَكَانَ السَّيِّئَةِ﴾ العذاب ﴿الْحَسَنَةَ﴾ الغنى والصحة ﴿حَتَّىٰ عَفَّوْا﴾ كثروا ﴿وَقَالُوا﴾ كفروا للنعمة: ﴿قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ كما مسنا، وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله، فكونوا على ما أنتم عليه، قال - تعالى -: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ بالعذاب ﴿بِقَتَّةٍ﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت مجيئه قبله.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ بِشُعْبٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ ﴿فَقَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِيثَاقًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ فَمِنْكُمْ شَاقِقٌ يُدْخِلُ فِي مِلَّتِهِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَيْنَ أَتُبْعُكُمْ شُعْبًا إِنْ كُنَّا إِذَا الْخَسِرُونَ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جاثين﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَانُوا لَمْ يَنْتَوُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَانُوا هُمُ الْخَسِرِينَ ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَقَوْمُ لَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِرِسَالَتٍ رَبي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءاسى عَلَى قَوْمٍ كَفِرِينَ﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَّوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

[٨٨] ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ عن الإيمان ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ بِشُعْبٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ ترجعن ﴿فِي مِلَّتِنَا﴾ ديننا، وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد؛ لأن شعبيًا لم يكن في

[٩٦] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾ المكذِبِينَ ﴿ءَامَنُوا﴾ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِمْ ﴿وَاتَّقَوْا﴾ الْكَفْرَ وَالْمَعَاصِيَ ﴿لَفَتَحْنَا﴾ بِالْخَفِيفِ وَالْتَشْدِيدِ<sup>(١)</sup> ﴿عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ سَمَاءٍ﴾ بِالْمَطَرِ ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بِالنَّبَاتِ ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا﴾ الرِّسْلَ ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ عَاقِبَتَهُمْ ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[٩٧] ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ الْمَكْدُونِ ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾ عَذَابُنَا ﴿بَيْتًا﴾ لَيْلًا ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ غَافِلُونَ عَنْهُ.

[٩٨] ﴿أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا صُحَّى﴾ نَهَارًا ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

[٩٩] ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ اسْتِدْرَاجَهُ إِيَّاهُمْ بِالنِّعْمَةِ وَأَخْذَهُمْ بَغْتَةً<sup>(٢)</sup> ﴿فَلَا يَأْتِيَنَّ مَكْرَهُ اللَّهِ إِلَّا الْفُؤْمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

[١٠٠] ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ بَيْنَ ﴿لِلَّذِينَ يَرْتُوتِ الْأَرْضَ﴾ بِالسَّكَنِ ﴿وَمَنْ بَعْدَ﴾ هَلَاكِ ﴿أَهْلِهَا أَنْ﴾ فَاعِلٌ، مَخْفِقَةٌ وَاسْمُهَا مَحْذُوفٌ؛ أَيْ: أَنَّهُ ﴿لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ﴾ بِالْعَذَابِ ﴿يَذُوبُهُمْ﴾ كَمَا أَصْبَنَا مِنْ قَبْلِهِمْ، وَالهَمْزَةُ فِي الْمَوَاضِعِ الْأَرْبَعَةِ لِلتَّوْبِيخِ، وَالْفَاءُ وَالْوَاوُ الدَّاخِلَةُ عَلَيْهِمَا لِلْعُطْفِ، وَفِي قِرَاءَةِ: بِسُكُونِ الْوَاوِ فِي الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ<sup>(٣)</sup> عَطْفًا بِ﴿أَوْ﴾ وَ﴿وَحْنُ﴾ نَحْنُ ﴿نَطْبَعُ﴾ نَخْتُمُ ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الْمَوْعِظَةَ سَمَاعَ تَدْبِيرٍ.

[١٠١] ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ﴾ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿وَمِنْ أَنْبِيَائِهَا﴾ أَخْبَارَ أَهْلِهَا ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الْمَعْجَزَاتِ الظَّاهِرَاتِ ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عِنْدَ مَجِيئِهِمْ ﴿يَمَّا كَذَّبُوا﴾ كَفَرُوا بِهِ ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾ قَبْلَ مَجِيئِهِمْ، بَلِ اسْتَمَرُّوا عَلَى الْكُفْرِ ﴿كَذَلِكَ﴾ الطَّبْعُ ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.

[١٠٢] ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ﴾ أَيْ: النَّاسِ ﴿مِنْ عَهْدٍ﴾ أَيْ: فَوَاءَ بَعْدَهُمْ يَوْمَ اخْتِذِ الْمِيثَاقَ<sup>(٤)</sup> ﴿وَإِنْ﴾ مَخْفِقَةٌ ﴿وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾.

[١٠٣] ﴿ثُمَّ بَشَّرْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أَيْ: الرِّسْلَ الْمَذْكُورِينَ ﴿مُوسَىٰ﴾ بِأَيَّتِنَا ﴿النَّسْعَ﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴿قَوْمَهُ﴾ فَظَلَمُوا ﴿كَفَرُوا﴾ بِهَا فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ بِالْكَفْرِ مِنْ إِهْلَاكَهُمْ.

[١٠٤] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إِلَيْكَ.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيْتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا صُحَّى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْفُؤْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُوتِ الْأَرْضَ مَنْ بَعْدَ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبِيَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَشَّرْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِأَيَّتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

(١) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٢) ومذهب السلف في هذا النوع من الصفات إثباته لله ﷻ على الوجه اللائق به - سبحانه -، وهي فيما سيق له مدح وكمال، ولكن لا تطلق عليه ﷻ مجردة بدون ذكر متعلقها، وكذا لا يشتق له اسم أو صفة منها؛ فلا يقال: ماكر ولا مخادع.

(٣) وهو قوله - تعالى -: ﴿أَوْ آمِنَ﴾، وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر.

(٤) وهم في صلب أبيهم آدم ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُ رَكِّبَكَ مِنْ تَحْتِ مَادَمٍ مِنْ لُطُوفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَنبَتَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكَ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

- [١٠٦] ﴿قَالَ﴾ فرعون له: ﴿إِنْ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ﴾ على دعواك ﴿فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ فيها.
- [١٠٧] ﴿قَالَ لَنْ عَصَاةٌ فَإِذَا هِيَ تُمْبَرُّ﴾ حية عظيمة.
- [١٠٨] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بِيَضَاءٍ﴾ ذات شعاع<sup>(١)</sup> ﴿لِلنَّظِيرِينَ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة<sup>(٢)</sup>.
- [١٠٩] ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ فائق في علم السحر، وفي الشعراء: أنه من قول فرعون نفسه؛ فكانهم قالوه معه على سبيل التشاور.
- [١١٠] ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَنْصَبِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.
- [١١١] ﴿قَالُوا أَرَيْتَهُ وَأَنَّى لَهُ أَتْرَابُ﴾ أخر أمرهما ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ جامعين.
- [١١٢] ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَرٍ﴾ وفي قراءة: ﴿سَحَارٍ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿عَلِيمٌ﴾ يفضّل موسى في علم السحر؛ فجمعوا.
- [١١٣] ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا أَأِتَيْنَا بِنَحْلٍ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين<sup>(٤)</sup> ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾.
- [١١٤] ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَيْنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.
- [١١٥] ﴿قَالُوا يَكُونُ مِنَّا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا وَلِئِنْ كُنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ ما معنا.
- [١١٦] ﴿قَالَ أَلْقُوا﴾ أمر للإذن بتقديم إلقائهم توصلاً به إلى إظهار الحق ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ حيالهم وعصبيهم ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ صرفوها عن حقيقة إدراكها ﴿وَأَنصَبُوهُمْ﴾ خوفهم؛ حيث خيلوها حيات تسعى ﴿وَجَاءَهُمْ بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾.
- [١١٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ بحذف إحدى التاءين في الأصل<sup>(٥)</sup>؛ تبتلع ﴿مَا يَدْعُونَ﴾ يلقبون بتمويههم.
- [١١٨] ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من السحر.
- [١١٩] ﴿فَغُلِبُوا﴾ أي: فرعون وقومه ﴿هَٰذَا لَكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾ صاروا ذليلاً.
- [١٢٠] ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ﴾.

حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٦﴾ قَالَ إِنْ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ لَنْ عَصَاةٌ فَإِذَا هِيَ تُمْبَرُّ ﴿١٠٨﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيَضَاءٍ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٠٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ عَلِيمٌ ﴿١١٠﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَنْصَبِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١١﴾ قَالُوا أَرَيْتَهُ وَأَنَّى لَهُ أَتْرَابُ ﴿١١٢﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَرٍ عَلِيمٌ ﴿١١٣﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَيْنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٥﴾ قَالُوا يَكُونُ مِنَّا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا وَلِئِنْ كُنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ أَلْقُوا ﴿١١٧﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَجَاءَهُمْ بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٨﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٩﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٠﴾ فَغُلِبُوا هَٰذَا لَكُمْ أَنفُسُكُمْ ﴿١٢١﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٢٢﴾

- [١٠٥] فكذبه فقال: أنا ﴿حَقِيقٌ﴾ جدير ﴿عَلَىٰ أَنْ﴾ أي: بأن ﴿لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ وفي قراءة: بتشديد الياء<sup>(١)</sup>، فه ﴿حَقِيقٌ﴾ مبتدأ خبره: ﴿وَأَنْ﴾ وما بعده.
- ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ﴾ إلى الشام ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وكان استغنيهم.

(١) مع فتحها، أي: بياء ﴿عَلَىٰ﴾ من قوله: ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ﴾ وهي لنافع.

(٢) من غير برص ولا مرض.

(٣) أي: السمة.

(٤) لحمة والكساية.

(٥) ظاهر كلام المصنف يفيد أن هنا قراءتين فقط، مع أنها أربع. فكان عليه أن يقول: وإدخال ألف بينهما وتركه، وبقيت خامسة وهي ﴿إِنَّ﴾ بهمزة واحدة، وهي قراءة نافع وابن كثير وحفص، أما قراءة الاستفهام فهي لباقي السبعة، على أصل كل واحد كما سبق ذكره في: ﴿إِنَّكُمْ لَأَتُونَ﴾.

(٦) أي: وأصلها: تلتقف، وهي قراءة السبعة عدا حفص.

قَالُوا أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ  
 فِرْعَوْنُ أَمْسِكْ بِهِ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّ هَذَا مَكْرٌ  
 مَكْرُومٌ فِي الْمَدِينَةِ لَخُجْرُومَتِهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ  
 ﴿١٢٣﴾ لَا فِطْرَانَ إِلَهِكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَضِلَّ بَنُوكُمْ  
 أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نَقُصُّكُمْ  
 إِلَّا أَنْ أَمَّا يَاتِيَتْ رَبَّنَا لَمَجَاءُ تَنَا أَفْرَغَ عَلَيْنَا صَبْرًا  
 وَتَوَقَّتْ مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْذَرُ مُوسَى  
 وَقَوْمَهُ وَلِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرُكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ  
 أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾  
 قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ  
 لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾  
 قَالُوا أَوِذْنًا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ  
 عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ  
 فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ  
 بِالْيَسِينِ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٣٠﴾

﴿١٢١﴾ قَالُوا أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ.

﴿١٢٢﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٣﴾ لعلهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر.

﴿١٢٣﴾ قَالُوا فِرْعَوْنُ أَمْسِكْ بِهِ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّ هَذَا مَكْرٌ مَكْرُومٌ فِي الْمَدِينَةِ لَخُجْرُومَتِهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٤﴾ مَا يَكُنْ مِنْكُمْ مَنِي.

﴿١٢٤﴾ لَا فِطْرَانَ إِلَهِكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ أَي: يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿١٢٥﴾ ثُمَّ لَأَضِلَّ بَنُوكُمْ أَجْمَعِينَ.

﴿١٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ بعد موتنا بأي وجه كان ﴿١٢٦﴾ وَمَا نَقُصُّكُمْ تَنَكَّرَ وَمَا إِنَّا أَنْ أَمَّا يَاتِيَتْ رَبَّنَا لَمَجَاءُ تَنَا رَّبَّنَا أَفْرَغَ عَلَيْنَا صَبْرًا عند فعل ما توعدنا به؛ لئلا نرجع كفارًا ﴿١٢٧﴾ وَتَوَقَّتْ مُسْلِمِينَ.

﴿١٢٧﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ له ﴿١٢٨﴾ أَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بالدعاء إلى مخالفتك ﴿١٢٩﴾ وَيَذَرُكَ وَءَالِهَتَكَ وكان صنع لهم أصنامًا صغارًا يعبدونها، وقال: أنا ربكم وربها؛ ولذا قال: ﴿١٣٠﴾ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَخْلَى ﴿١٣١﴾ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ بالتشديد والتخفيف ﴿١٣٢﴾ أَبْنَاءَهُمْ المولودين ﴿١٣٣﴾ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ نستحييهم من قبل ﴿١٣٤﴾ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ قادرون؛ ففعلوا بهم ذلك فشكا بنو إسرائيل.

﴿١٣٥﴾ قَالُوا أَوِذْنًا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٣٦﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالْيَسِينِ ﴿١٣٧﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٣٨﴾

﴿١٣٩﴾ قَالُوا أَوِذْنًا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٤١﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٤٢﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٤٣﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٤٤﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٤٥﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٤٦﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٤٧﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٤٨﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٤٩﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٥٠﴾

﴿١٥١﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٥٢﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٥٣﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٥٤﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٥٥﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٥٦﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٥٧﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٥٨﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٥٩﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٦٠﴾

﴿١٦١﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٦٢﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٦٣﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٦٤﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٦٥﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٦٦﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٦٧﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٦٨﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٦٩﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٧٠﴾

﴿١٧١﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٧٢﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٧٣﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٧٤﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٧٥﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٧٦﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٧٧﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٧٨﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٧٩﴾ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٨٠﴾

(١) وهي قراءة نافع والنبري وأبي عمرو وابن عامر؛ حيث قرأوا بهجمة مخففة وبعدها همزة بين يين، وبعدها ألف بدل من الساكنة، وكذلك قرأ قبل إذا ابتأ بها، أما في الوصل فقرأوا بواو بدل من الهمزة الأولى؛ لانضمام ما قبلها وهي مفتوحة، وخفف الثانية بين يين إرادة التخفيف، وقرأ حفص بإسقاط الأولى وتحقيق الثانية وبعدها ألف، وقرأ حمزة والكسائي وشعبة بهجرتين محققتين بعدهما ألف، وكذلك في موضع طه والشعراء.

(٢) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير.

نستحقها ولم يشكروا عليها ﴿وَلَنْ نُصِيبَهُمْ سَيْئَةً﴾ جذب وبلاء ﴿يَظُنُّوٓا۟﴾ يتشاءموا ﴿يَمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُٓ﴾ من المؤمنين ﴿أَلَا إِنَّمَا طَلَيْتُهُمْ﴾ شؤمهم ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ يأتيهم به ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن ما يصيبهم من عنده.

[١٣٢] ﴿وَقَالُوا لِمُوسَىٰ: ﴿مَهْمَا تَأْتِيَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ فدعا عليهم.

[١٣٣] ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ وهو ماء دخن بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام ﴿وَالْجَرَادَ﴾ فأكل زرعهم وثمارهم كذلك ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ السوس، أو نوع من القزاد<sup>(١)</sup> فتبع ما تركه الجراد ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾ فملأت بيوتهم وطعامهم ﴿وَالدَّمَ﴾ في مياههم ﴿آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾ مبيات ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

[١٣٤] ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ العذاب ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ يما عهد عندك ﴿من كشف العذاب عنا إن آمنا﴾ ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.

[١٣٥] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسى ﴿عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ يَلْفُوهٖ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم.

[١٣٦] ﴿فَلَنَقَمَنَّا مِنْهُمْ﴾ فاعرفنهم في الآخرة ﴿الْبَحْرَ الْمَلِيحَ﴾ بالآخرة بسبب أنهم ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ لا يتدبرونها.

[١٣٧] ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ بالاستعباد؛ وهم: بنو إسرائيل ﴿مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر صفة للأرض؛ وهي: الشام ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ﴾ وهي قوله - تعالى -: ﴿وَرُبِّيذِلَّ أَنْ تَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup> إلخ ﴿عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ يَمَّا صَبَرُوا﴾ على أذى عدوهم ﴿وَدَمَّرْنَا أَهْلَكُنَا﴾ ما كانت يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وقومه من العمارة ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ بكسر الراء وضمها<sup>(٣)</sup> يرفعون من البنيان.

فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَلَيْتُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِيَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٣﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ۗ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٤﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ۖ إِنَّمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَنَا لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ يَلْفُوهٖ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ الْبَحْرَ الْمَلِيحَ ۖ وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ يَمَّا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

[١٣١] ﴿فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ الحصب والغنى ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ أي:

(١) وقيل: هو القمل المعروف.

(٢) القصص: ٥٠.

(٣) بالضم قراءة شعبة وابن عامر.



وَجَوْرًا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَانِ لَهُمْ قَالُوا يَمْوَسَىٰ آجَعَلْنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا مَّعْبُودًا وَأُصْلِهِ: ابْغِي لَكُمْ وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْآلِهَاتِ فِي زَمَانِكُمْ بِمَا ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿١٤٠﴾ وَذِكْرُوا إِذْ أَبْغَيْتَكُمْ فِي قِرَاءَةِ: ﴿أَبْغَيْتُمْ﴾ (١) وَمِنْ آيَاتِ فِرْعَوْنَ يُسْأَلُ: بِكُلْفُونِكُمْ وَيَذِيقُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ أَشَدُّ: وَهُوَ: ﴿يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ وَيَسْتَفْقُونَ﴾ فِي سَاءَةٍ وَفِي ذَلِكُمْ الْإِنْجَاءُ وَالْعَذَابُ ﴿سَاءَةٌ﴾ إِنْجَاءٌ أَوْ ابْتِلَاءٌ وَمِنْ رَيْبِكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ أَفَلَا تَتَعَلَّوْنَ فَنَتَبَّهَتْهُمَا عَمَّا قُلْتُمْ؟ ﴿١٤٢﴾ وَوَعَدْنَاكَ بِالْفِ دُونَهَا (٢) مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً نُكَلِّمُهُ عِنْدَ انْتِهَائِهَا بِأَنْ يَصُومَهَا: وَهِيَ: ذُو الْقَعْدَةِ: فَصَامَهَا: فَلَمَّا تَمَّتْ أَنْكَرَ تَحْلُوفَ قَوْمِهِ (٣)؛ فَاسْتَأْذَنَ: فَأَمَرَ اللَّهُ بِعَشْرَةِ أُخْرَى لِيُكَلِّمَهُ بِخُلُوفٍ فِيمَا: كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ﴾ مِنْ ذِي الْحِجَةِ ﴿فَتَمَّ مِيقَتُ رَبِّهِ﴾ وَقَدْ وَعَدَهُ بِكَلَامِهِ إِيَّاهُ ﴿أَرْبَعِينَ﴾ حَالٌ ﴿لَيْلَةً﴾ تَمِيزُ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾ عِنْدَ ذَهَابِهِ إِلَى الْجَبَلِ لِلْمُنَاجَاةِ: ﴿أَتَخْلِفُنِي﴾ كَنْ خَلِيفَتِي ﴿فِي قَوْمِي وَأُصْلِحْ﴾ أَتُرْهِمُ ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بِمُوَاقِفَتِهِمْ عَلَى الْمَعَاصِي. ﴿١٤٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَتِنَا: أَي: لِلْوَقْتِ الَّذِي وَعَدْنَاهُ بِالْكَلامِ فِيهِ ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ بِلَا وَسْطَةٍ كَلَامًا سَمِعَهُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ (٤) ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي﴾ نَفْسَكَ ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرِنِي: أَي: لَا تَقْدِرُ عَلَى رُؤْيِي، وَالتَّعْبِيرُ بِهِ دُونَ «لَنْ أَرَى» يُفِيدُ إِمْكَانَ رُؤْيِهِ - تَعَالَى - ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ الَّذِي هُوَ أَقْوَى مِنْكَ ﴿فَإِنْ أَمْسَرَ﴾ ثَبَّتَ ﴿مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي﴾: أَي: ثَبَّتَ رُؤْيِي، وَإِلَّا فَلَا طَاقَةَ لَكَ. ﴿فَلَمَّا بَحَّلَ رَبُّهُ رَبُّهُ﴾: أَي: ظَهَرَ مِنْ نُورِهِ قَدْرُ نِصْفِ أَثْمَلِيَةِ الْخَنْصَرِ: كَمَا فِي حَدِيثِ صَحِيحِهِ الْحَاكِمِ (٥) ﴿لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ بِالْقَصْرِ وَالْمَدِّ (٦)؛ أَي: مَدَكُو كَمَا مُسْتَوِيًا بِالْأَرْضِ ﴿وَحَرَّ مُوسَىٰ صَبَقًا﴾ مَغْشِيًا عَلَيْهِ لَهَوْلَ مَا

﴿١٣٨﴾ وَجَوْرًا: بَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا: فَمَرُوا ﴿عَلَى قَوْمٍ يَمْكُفُونَ﴾: بِضَمِّ الْكَافِ وَكُسْرِهَا (١) ﴿عَلَى أَصْنَانٍ لَهُمْ﴾: يَقِيمُونَ عَلَى عِبَادَتِهَا ﴿قَالُوا يَمْوَسَىٰ آجَعَلْنَا إِلَهًا﴾: صَنَعْنَا نَعْبِدَهُ ﴿كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٩﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَرٌ: حَيْثُ قَابِلَتُمْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِمَا قُلْتُمُوهُ. ﴿١٣٩﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَرٌ: هَاكِ ﴿مَّا هُمْ فِيهِ وَبَطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿١٤٠﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا: مَعْبُودًا، وَأُصْلِهِ: ابْغِي لَكُمْ وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْآلِهَاتِ فِي زَمَانِكُمْ بِمَا ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿١٤١﴾ وَذِكْرُوا إِذْ أَبْغَيْتَكُمْ: فِي قِرَاءَةِ: ﴿أَبْغَيْتُمْ﴾ (٢) وَمِنْ آيَاتِ فِرْعَوْنَ يُسْأَلُ: بِكُلْفُونِكُمْ وَيَذِيقُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ أَشَدُّ: وَهُوَ: ﴿يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ وَيَسْتَفْقُونَ﴾ فِي سَاءَةٍ وَفِي ذَلِكُمْ الْإِنْجَاءُ وَالْعَذَابُ ﴿سَاءَةٌ﴾ إِنْجَاءٌ أَوْ ابْتِلَاءٌ وَمِنْ رَيْبِكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ أَفَلَا تَتَعَلَّوْنَ فَنَتَبَّهَتْهُمَا عَمَّا قُلْتُمْ؟

﴿١٤٢﴾ وَوَعَدْنَاكَ بِالْفِ دُونَهَا (٢) مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً نُكَلِّمُهُ عِنْدَ انْتِهَائِهَا بِأَنْ يَصُومَهَا: وَهِيَ: ذُو الْقَعْدَةِ: فَصَامَهَا: فَلَمَّا تَمَّتْ أَنْكَرَ تَحْلُوفَ قَوْمِهِ (٣)؛ فَاسْتَأْذَنَ: فَأَمَرَ اللَّهُ بِعَشْرَةِ أُخْرَى لِيُكَلِّمَهُ بِخُلُوفٍ فِيمَا: كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ﴾ مِنْ ذِي الْحِجَةِ ﴿فَتَمَّ مِيقَتُ رَبِّهِ﴾ وَقَدْ وَعَدَهُ بِكَلَامِهِ إِيَّاهُ ﴿أَرْبَعِينَ﴾ حَالٌ ﴿لَيْلَةً﴾ تَمِيزُ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾ عِنْدَ ذَهَابِهِ إِلَى الْجَبَلِ لِلْمُنَاجَاةِ: ﴿أَتَخْلِفُنِي﴾ كَنْ خَلِيفَتِي ﴿فِي قَوْمِي وَأُصْلِحْ﴾ أَتُرْهِمُ ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بِمُوَاقِفَتِهِمْ عَلَى الْمَعَاصِي.

﴿١٤٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَتِنَا: أَي: لِلْوَقْتِ الَّذِي وَعَدْنَاهُ بِالْكَلامِ فِيهِ ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ بِلَا وَسْطَةٍ كَلَامًا سَمِعَهُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ (٤) ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي﴾ نَفْسَكَ ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرِنِي: أَي: لَا تَقْدِرُ عَلَى رُؤْيِي، وَالتَّعْبِيرُ بِهِ دُونَ «لَنْ أَرَى» يُفِيدُ إِمْكَانَ رُؤْيِهِ - تَعَالَى - ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ الَّذِي هُوَ أَقْوَى مِنْكَ ﴿فَإِنْ أَمْسَرَ﴾ ثَبَّتَ ﴿مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي﴾: أَي: ثَبَّتَ رُؤْيِي، وَإِلَّا فَلَا طَاقَةَ لَكَ.

﴿فَلَمَّا بَحَّلَ رَبُّهُ رَبُّهُ﴾: أَي: ظَهَرَ مِنْ نُورِهِ قَدْرُ نِصْفِ أَثْمَلِيَةِ الْخَنْصَرِ: كَمَا فِي حَدِيثِ صَحِيحِهِ الْحَاكِمِ (٥) ﴿لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ بِالْقَصْرِ وَالْمَدِّ (٦)؛ أَي: مَدَكُو كَمَا مُسْتَوِيًا بِالْأَرْضِ ﴿وَحَرَّ مُوسَىٰ صَبَقًا﴾ مَغْشِيًا عَلَيْهِ لَهَوْلَ مَا

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

(٢) لابن عامر.

(٣) ببنون ألف قراءة أبي عمرو.

(٤) أخرجه الديلمي عن ابن عباس مرفوعاً. [الدر المنثور (٥٣٦/٣)].

(٥) وهذا فرار من المفسر من إثبات الجهة والعلو بذاته. شَيْعَانَةٌ، كما هو منهج الأشاعرة، وأما عند أهل السنة: فهم مجمعون على إثبات هذا العلو، ومهم من بثبت الجهة لكن بقصدون بذلك إثبات العلو، ومنهم من قال في الجهة والمكان: لا ينبغي إثباتهما ولا فصلهما مطلقاً. يعني يستفصل القائل بذلك عن مراده؛ فإن أراد نفي العلو أو غيره من المعاني الباطلة ردّ قوله، وإن أراد بذلك إثبات العلو، واقفاه، وهذا هو الصحيح - إن شاء الله.

(٦) المستدرک (٣٢٠/٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وروى أحمد (١١٨١٢) عن أنس بن مالك مرفوعاً ذكر طرف الخنصر.

وفي سنن الترمذي (٣٠٠٠) قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وروى أحمد (١١٨١٢) عن أنس بن مالك مرفوعاً ذكر طرف الخنصر.

وفي سنن الترمذي (٣٠٠٠) قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وروى أحمد (١١٨١٢) عن أنس بن مالك مرفوعاً ذكر طرف الخنصر.

وفي سنن الترمذي (٣٠٠٠) قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وروى أحمد (١١٨١٢) عن أنس بن مالك مرفوعاً ذكر طرف الخنصر.

وفي سنن الترمذي (٣٠٠٠) قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وروى أحمد (١١٨١٢) عن أنس بن مالك مرفوعاً ذكر طرف الخنصر.

(٧) بالمد قراءة حمزة والكسائي.

رَأَى ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ﴾ تَزْيِيدًا لَكَ ﴿ثَبَّتَ إِلَيْكَ﴾ مِنْ سَوَالِ مَا لَمْ أَوْمَرُ بِهِ ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فِي زَمَانِي.

[١٤٥] ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَامِ﴾ أي: ألواح التوراة، وكانت من صدر الجنة، أو زبرجد، أو زمرد، سبعة أو عشرة<sup>(١)</sup> ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾ تبيينًا ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ بدل من الجار والمجرور ﴿قَبْلَهُ﴾ فنحنها ﴿قَبْلَهُ﴾ قلنا مقدارًا ﴿يَقُودُوا﴾ بجد واجتهاد ﴿وَأَمْرَ قَوْمِكَ﴾ يأخذوا بأحسنها سائرهم ﴿دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ فرعون وأتباعه؛ وهي: مصر؛ لتعبروا بهم.

[١٤٦] ﴿سَاصِرُفٌ عَنْ عَابِتِي﴾ دلائل قدرتي من المصنوعات وغيرها ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ فِي الْأَرْضِ يَغْتَرِ الْأَقْيَ﴾ بأن أخذناهم؛ فلا يتكبرون فيها ﴿وَلَا يَرْوُا كَلَّ عَابِتٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَيْلًا﴾ طريق ﴿الرُّشْدِ﴾ الهدى الذي جاء من عند الله ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ يسلكوه ﴿وَلَا يَرْوُا سَيْلًا﴾ الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ ذلك ﴿الصَّوْفِ﴾ بأنهم كذبوا بعبادتنا وكأوا عنها غفيلين ﴿تَقْدَمُ مِثْلَهُ﴾.

[١٤٧] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ ما عملوه في الدنيا من خير؛ كصلة رحم وصدقة؛ فلا ثواب لهم<sup>(٢)</sup>؛ لعدم شرطه ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَجْزُونَ﴾ إلّا جزء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من التكذيب والمعاصي.

[١٤٨] ﴿وَأَتَّخِذَ قَوْمٌ مَوْسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد ذهابه إلى المناجاة ﴿مِنْ شَيْئِهِمْ﴾ الذي استعاروه من قوم فرعون بعلبة غوس<sup>(٣)</sup>؛ فبقى عندهم ﴿عِجْلًا﴾ صاعه لهم منه السامري ﴿جَسَدًا﴾ بدل؛ لحما ودما ﴿لَمْ خَوَّارٌ﴾ أي: صوت يسمع؛ انقلب كذلك بوضع التراب الذي أخذه من حافر فرس جبريل في فمه؛ فإن أثره الحياة فيما يؤضغ فيه<sup>(٤)</sup>، ومفعول ﴿أَتَّخِذَ﴾ الثاني محذوف؛ أي: إلها ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكِلُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ فكيف يتخذونها؟! ﴿أَتَّخِذُوهُ﴾ إلها ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ باتخاذهم.

[١٤٩] ﴿وَلَا سَيْطٌ فِي آيَاتِهِمْ﴾ أي: ندموا على عبادته ﴿وَرَأَوْا﴾ علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ صَلُّوا﴾ بها، وذلك بعد رجوع موسى ﴿قَالُوا لَيْنَ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ بالياء والتاء فيهما<sup>(٥)</sup> ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

قَالَ يَمْوَسَّىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَامِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٧﴾ سَاصِرُفٌ عَنْ عَابِتِي الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ فِي الْأَرْضِ يَغْتَرِ الْأَقْيَ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ عَابِتٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَيْلًا الرُّشْدَ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَيْلًا لَفِي يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَأَتَّخِذَ قَوْمٌ مَوْسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حَلِيهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَرُّوْا أَنَّهُ لَا يَكِلُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي آيَاتِهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ صَلُّوا قَالُوا لَيْنَ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٥١﴾

[١٤٤] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - له: ﴿يَمْوَسَّىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ أهل زمانك ﴿بِرِسَالَتِي﴾ بالجمع والإفراد<sup>(١)</sup> ﴿وَبِكَلِمِي﴾ أي: تكليمي إياك ﴿فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ﴾ من الفضل ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لأنهم.

(١) بالإفراد قراءة نافع وابن كثير.

(٢) والصحيح عدم تحديد شيء من ذلك من غير دليل.

(٣) في الآخرة؛ لعدم إيمانهم، ولكنهم يجازون عليه في الدنيا حتى إذا أقضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزي بها. رواه مسلم (٢٨٠٨).

(٤) هذا قول أكثر المفسرين، وظاهر الآية يقتضي أن الحلي ملك لهم؛ وأن الإضافة في قوله: ﴿عِجْلًا﴾ هي إضافة الملك. لكن قولهم في آية طه: ﴿عِجْلًا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقُورِ﴾ [طه: ٨٧] بإضافة الزينة إلى غيرهم وهم القبط يعكر على ذلك. وأجيب بأن قولهم يحتمل أن يكون لظنهم الحرمة لجهلهم؛ وقيل غير ذلك. والله أعلم.

(٥) أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد في قوله: ﴿وَأَتَّخِذَ قَوْمٌ مَوْسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ شَيْئِهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨]. قال: حين دفنوها ألقي عليها السامري قبضة من تراب من أثر فرس جبريل عليه السلام. [الدر المنثور (٢٣٤/٣)].

(٦) بالتاء قراءة حمزة والكسائي، وعلى قراءة الباء يكون ﴿وَرَأَوْا﴾ مرفوعًا على الفاعلية، وعلى قراءة التاء يكون منصوبًا على النداء.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَتَعْبُدُونَ مَا لَكُمْ بِرَبِّكُمْ وَأَلْقُوا الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوا بِكَ وَالْقَوْمَ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْعِمْ فِي الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا بِرَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي سُجَّتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا أَلِيمَقَاتًا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنِّي أَنُتَلِّكُهُمْ بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنِّي إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾

[١٥٠] ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ﴾ من جهتهم ﴿أَسِفًا﴾ شديد الحزن ﴿قَالَ لَهُمْ﴾: ﴿بِئْسَمَا﴾ أي: بئس خلافة ﴿خَلَفْتُمُونِي﴾ ها ﴿مِنْ بَعْدِي﴾ خلافتكم هذه؛ حيث أشركتكم ﴿أَعْبَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ وَأَلْقُوا ﴿الْأَلْوَابَ﴾<sup>(١)</sup> ألواح التوراة غضبا لربه؛ فنكسرت ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي: بشعره يمينه، ولحيته بشماله ﴿يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ غضبا ﴿قَالَ﴾: يا ﴿ابْنَ أُمِّ﴾ بكسر الميم<sup>(٢)</sup> وفحتها؛ أراد: أمي، وذكروها أغطت لقلبه ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوا بِكَ﴾ قاربوا ﴿يَقْتُلُونَنِي﴾ فَلَا تُشْعِمْ ﴿تُفْرِحْ﴾ فِي الْأَعْدَاءِ يَا هَانِك لِيَاي ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ عبادة العجل في المواجهة.

[١٥١] ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ ما صنعت بأخي ﴿وَلِإِخِي﴾ أشركته في الدعاء؛ إرضاء له ودفعاً للشتمات به ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

[١٥٢] قال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلها ﴿سَيِّئًا لَهُمْ غَضَبٌ﴾ عذاب<sup>(٣)</sup> ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فعذبوا بالأمر يقتل أنفسهم، وضربت عليهم الذلة إلى يوم القيامة ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناهاهم ﴿نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ على الله؛ بالإشراك وغيره.

[١٥٣] ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا﴾ رجعوا عنها ﴿مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا﴾ بالله ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: التوبة ﴿لَعَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

[١٥٤] ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ سكن ﴿عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ﴾ التي ألَّفها ﴿وَفِي سُجَّتِهَا﴾ أي: ما نسخ فيها؛ أي: كتب ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ يخافون، وأدخل اللام على المفعول؛ لنقدمه.

[١٥٥] ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ أي: من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ ممن لم يعبدوا العجل بأمره - تعالى - ﴿لِمَقَاتِلَتِهِ﴾ أي: للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه؛ ليعتدروا من عبادة أصحابهم العجل؛ فخرج بهم ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة، قال ابن عباس: لأنهم لم يزالوا قومهم حين عبدوا العجل. قال: وهم غير الذين سألوها الرؤية وأخذتهم الصاعقة<sup>(٤)</sup>، ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل خروجي

بهم؛ ليعاين بنو إسرائيل ذلك ولا يتهموني ﴿وَإِنِّي أَنُتَلِّكُهُمْ بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنِّي﴾؟ استفهام استعطاف؛ أي: لا تعدبنا بذنب غيرنا ﴿إِنَّ﴾ ما ﴿هِيَ﴾ أي: الفتنة التي وقع فيها السفهاء ﴿إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ ابتلاؤك ﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾ إضلاله ﴿وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ هدايته ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾ متولي أمورنا ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾.

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة؛ إن الله ﷻ أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الألواح، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت». (المسند ٢٧١/١)، وصرحه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٧٤).

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي وابن عامر وشعبة.

(٢) تأويل الغضب من الله بالعذاب هذا مذهب المعتزلة، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة لله ﷻ على الوجه اللائق به، ومن لازمها استحقاقهم العذاب.

(٣) أخرج عبد بن حميد وابن أبي عمير العذني في مسنده وابن جرير وأبو الشيخ عن ابن عباس قال: إن السبعين الذين اختارهم موسى من قومه إنما أخذتهم الرجفة لأنهم لم يرضوا بالعجل ولم يهوا عنه. قلت: ولكن أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن نوف الكعالي ما يفيد أنهم هم الذين سألوها الرؤية. انظر: [الدر المنثور ٢٣٨/٣: ٢٣٩].

وَأَكْتَبْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ  
 إِنَّا هُنَا إِنَّا إِلَيْنَا قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي  
 وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ  
 الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ  
 الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ  
 فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ  
 عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ  
 الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ  
 عَلَيْهِمْ فَإِذَا زُيِّنَ لَهُمْ نَجَاسَتُهُمْ وَمُنَافِقَتُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ  
 النَّبِيَّ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ الْقُرْآنَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾  
 قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي  
 لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ  
 فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ  
 وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِنْ  
 قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

[١٥٦] ﴿وَأَكْتُبْنَا﴾ أَوْجَبُ (١) ﴿لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي

الْآخِرَةِ﴾ حَسَنَةً ﴿إِنَّا هُنَا﴾ ثَبَاتًا ﴿إِلَيْنَا قَالَ﴾ - تعالى :- ﴿عَذَابِي  
 أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ﴾ غَشَتْ ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾  
 فِي الدُّنْيَا ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ  
 الزَّكَاةَ﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ.

[١٥٧] ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ مُحَمَّدًا ﷺ ﴿الَّذِي  
 يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ بِاسْمِهِ وَصِفَتِهِ ﴿يَأْمُرُهُمْ  
 بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ مَا حَرَّمَ فِي  
 شَرْعِهِمْ ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ مِنَ الْمَيْتَةِ وَنَحْوِهَا ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ  
 إِصْرَهُمْ﴾ ثَقْلَهُمْ ﴿وَالْأَغْلَالَ﴾ الشَّدَائِدَ ﴿الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ كَفَلِ  
 النَّفْسَ مِنَ النَّوْبَةِ، وَقَطَعَ أَثَرِ النَّجَاسَةِ ﴿فَالَّذِينَ زُيِّنَ لَهُمْ نَجَاسَتُهُمْ  
 وَمُنَافِقَتُهُمْ﴾ وَفَقَرَهُمْ ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ وَاتَّبَعُوا النَّبِيَّ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ أَيُّ  
 الْقُرْآنِ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

[١٥٨] ﴿قُلْ﴾ خُطَابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ  
 إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي  
 وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾  
 الْقُرْآنِ ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ تَرْشِدُونَ.

[١٥٩] ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ جَمَاعَةٌ ﴿يَهْدُونَ﴾ النَّاسَ ﴿بِالْحَقِّ  
 وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ فِي الْحُكْمِ.

[١٦٠] ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ فِرْقَانَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ «أَفَنَقَى عَشْرَةً» حال ﴿أَسْبَاطًا﴾ بدل منه، أي: قبائل ﴿أُمَمًا﴾ بدل مما قبله ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ في التيه ﴿أَبِ أَضْرِبِ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ فضربه ﴿فَأَنبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط ﴿فَدَعَا كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ سبط منهم ﴿مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ﴾ في التيه، من حر الشمس ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَرَ وَالسَّلَوى﴾ «هما الترجيعين»<sup>(١)</sup> والطير السماوي - بخفيف الميم والقصر - وقلنا لهم: ﴿كُؤُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

[١٦١] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِرْيَةِ﴾ «إِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ» بيت المقدس ﴿وَكُؤُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا: أَمَرْنَا﴾ «حِطَّةً وَأَدْخَلُوا الْبَابَ» أي: باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجود انحناء ﴿تَغْفِرُ﴾ بالنون والتاء مَبْنِيًّا للمفعول<sup>(٢)</sup> ﴿لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَتَرْنَاهُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالطاعة ثوابًا.

[١٦٢] ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا: حبة في شعرة. ودخلوا يزحفون على أستاههم<sup>(٣)</sup> ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ رِجْرًا﴾ عذابًا ﴿وَمِنَ السَّمَاءِ يَمَاسُ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.

[١٦٣] ﴿وَسَأَلْنَاهُمْ يَا مُحَمَّدُ تَوْبِيحًا﴾ «عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ» مجاورة بحر القلزم؛ وهي: «أبلة»، ما وقع بأهلها ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ يعتدون ﴿فِي السَّبْتِ﴾ بصيد السمك المأمورين بتركه فيه ﴿إِذْ ظُرِفَ لَـ﴾ «يَعْدُونَ» «تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا» ظاهرة على الماء «وَيَوْمَ لَا يَسْبُتُونَ» لا يعظمون السبت؛ أي: سائر الأيام ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ ابتلاء من الله ﴿كَذَلِكَ تَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ولما صادوا السمك افترقت القرية اثلاثًا؛ ثلث صادوا معهم، وثلث نهوهم، وثلث أمسكوا عن الصيد والنهي.

وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَأَنبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدَّرْنَا كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا سَالِوَهُمُ الْغَمَمَ وَالسَّلَوى كُؤُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُؤُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَأَدْخَلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَتَرْنَاهُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ رِجْرًا مِنْ السَّمَاءِ يَمَاسُ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسَأَلْنَاهُمْ يَا مُحَمَّدُ تَوْبِيحًا عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبُتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ تَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

(ه) فائدة: أخرج مسلم عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل عن النبي ﷺ أن: «الْكُفَاةُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ». مسلم - كتاب الأشربة (٣٦) باب (٢٨) فضل الكفاة ومداواة العين بها.

(ه) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: قال لبي إسرائيل: ﴿وَأَدْخَلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً﴾ فدخلوا يزحفون على أستاههم، فبدلوا، وقالوا: حطة حبة من شعيرة البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة الأعراف (٧).

(١) وهو شيء حلو كان ينزل عليهم مثل التلج.

(٢) بالناء لابن عامر ونافع، لكن ابن عامر قرأ ﴿خَطِيئَتَكُمْ﴾ بالإفراد، وقرأ أبو عمرو بالنون كالباقين لكنه قرأ ﴿خَطِيئَتَكُمْ﴾ من غير تاء على الجمع المكسر لخطيئة، كالذي في سورة البقرة.

وَأَذَقْنَا أُمَّةً مِنْهُمْ لِمَ يَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ  
عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾  
فَلَمَّا سَأَلُوا مَادُّكَ وَإِيَّاهُ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ  
وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾  
فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾  
وَأَذَقْنَا الَّذِينَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ  
سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾  
وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِمَّا مَنَّاهُمْ عَلَى الصَّالِحِينَ وَهُمْ فِي  
دُونِ ذَلِكَ وَبَوَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ  
يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ  
يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ  
يَأْتِيَهُمْ عَرَضٌ مِثْلُ الَّذِي أَخَذُوا لَيُغْفَرُوا عَلَيْهِمْ فَيَتَّقُوا الْكِتَابَ  
أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالْأُدَارُ الْآخِرَةُ  
خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ  
بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصَلِّينَ ﴿١٧٠﴾

[١٦٤] ﴿وَإِذْ﴾ عطف على ﴿وَإِذْ﴾ قبله ﴿قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ﴾ لم تصد ولم  
تته لمن نهى: ﴿لَمْ يَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا﴾:  
موعظتنا ﴿مَعذِرَةٌ﴾ نعتذر بها ﴿إِلَى رَبِّكُمْ﴾ فلا ننسب إلى تقصير في ترك  
النهى ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الصيغ.  
[١٦٥] ﴿فَلَمَّا سَأَلُوا﴾ تركوا ﴿مَا دُّكَ﴾ وعظوا ﴿بِهِ﴾ فلم

يرجعوا ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالاعتداء  
﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ شديد ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

[١٦٦] ﴿قُلْنَا عَتَوْا﴾ تكبروا ﴿عَنْ﴾ ترك ﴿مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا  
قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ صاغرين؛ فكانواها، وهذا تفصيل لما قبله، قال ابن عباس:  
ما أدري ما قيل بالفرقة الساقطة.

وقال عكرمة: لم تهلك، لأنها كرهت ما فعلوه، وقالت: ﴿لَمْ يَعْطُونَ﴾  
البح. وروى الحاكم عن ابن عباس: أنه رجع إليه وأعجبه<sup>(١)</sup>.

[١٦٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ﴾ أعلم<sup>(٢)</sup> ﴿رَبِّكَ لِيَبْعَثَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: اليهود  
﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ بالذلل وأخذ الجزية؛ فبعث  
عليهم «سليمان»، وبعده «بختنصر» فقتلهم وسبواهم وضرب عليهم الجزية؛  
فكانوا يؤدونها إلى الجوس إلى أن بعث نبينا عليه السلام؛ فغضبها عليهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ  
لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَأَذَقْنَا لَعْنَهُمْ﴾ لأهل طاعته ﴿رَجِيمٌ﴾ بهم.

[١٦٨] ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ﴾ ففراقهم ﴿فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ فرقا ﴿وَبَوَلَّوْنَاهُمْ  
الضَّالِّينَ وَمِنْهُمْ﴾ ناس ﴿دُونَ ذَلِكَ﴾ الكفار والفساقون ﴿وَبَوَلَّوْنَاهُمْ  
بِالْحَسَنَاتِ﴾ بالتعم ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ التَّعَمُّ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن فسقهم.

[١٦٩] ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ التوراة عن آبائهم  
﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ أي: حطام هذا الشيء الدنيء؛ أي: الدنيا من  
حلال وحرام ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ما فعلناه ﴿وَإِنْ يَأْتِيَهُمْ عَرَضٌ مِثْلُ الَّذِي أَخَذُوا﴾  
الجملة حال؛ أي: يرجون المغفرة وهم عائدون إلى ما فعلوه مصرون عليه،

وليس في التوراة وعْدُ المغفرة مع الإصرار ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾ استفهام تقرير ﴿عَلَيْهِمْ  
يَتَّقُوا الْكِتَابَ﴾ الإضافة بمعنى: في ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ  
وَدَرَسُوا﴾ عطف على ﴿يُؤْخَذُ﴾ قرأوا ﴿مَا فِيهِ﴾ فلم كذبوا عليه بنسبة  
المغفرة إليه مع الإصرار؟! ﴿وَالْأُدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الحرام  
﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ بالياء والتاء<sup>(٣)</sup>، أنها خير؛ فيؤثرونها على الدنيا.

[١٧٠] ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ بالتشديد والتخفيف<sup>(٤)</sup> ﴿بِالْكِتَابِ﴾ منهم  
﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ  
الْمُصَلِّينَ﴾ الجملة خبر «الذين»، وفيه وضع الظاهر موضع المضمر؛ أي:  
أجرهم.

(١) الحاكم (٣٥٢/٢)، وقال في التلخيص: صحيح، وأخرج نحوه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه عن عكرمة، وأخرج نحوه أيضا عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن  
عكرمة [الدر المنثور (٢٥٠٢/٣)، (٢٥٣)].

(٢) مفعوله محذوف، والتقدير: أعلم ربك أسلافهم.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٤) بالتخفيف قراءة شعبة.

[١٧١] ﴿وَإِذْ نَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رَبِّكَ رُوحًا حَدِيدًا﴾ رَفَعْنَاهُ مِنْ أَصْلِهِ ﴿فَوَقَّهْمَ كَلَامَهُمْ﴾ وَطَرَأَ فِيهِمْ أَقْبَنُوهُمْ ﴿أَنَّهُمْ يَقْنَنُوا﴾ وَأَقْبَنُ بِهِمْ سَاقَطَ عَلَيْهِمْ؛ بَعْدَ اللَّهِ إِيَّاهُمْ بِوُقُوعِهِ إِنْ لَمْ يَقْبَلُوا أَحْكَامَ التَّوْرَةِ، وَكَانُوا أَنْوَغًا لِيَقْبَلُوهَا، وَقَبِلُوا، وَقَلْنَا لَهُمْ: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ ﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ بِالْعَمَلِ بِهِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

[١٧٢] ﴿وَإِذْ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ﴾ حِينَ ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ بَدَلَ اشْتِمَالٍ مِمَّا قَبْلَهُ، بِإِعَادَةِ الْحَارِ ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بَأَن أُخْرِجَ بَعْضُهُمْ مِنْ صُلْبِ بَعْضٍ مِنْ صُلْبِ آدَمَ، نَسْلًا بَعْدَ نَسْلِ؛ كَنَحْنُو مَا يَتَوَالَدُونَ كَالَّذِي بَدَلْنَا نَعْمَانَ يَوْمَ عَرَفَةَ<sup>(١)</sup>، وَنَصَبَ لَهُمْ دَلَالًا عَلَى رُبوبيته، وَرَكَّبَ فِيهِمْ عَقْلًا ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ قَالَ: ﴿الْأَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ أَنْتَ رَبُّنَا ﴿شَهِدْنَا﴾ بِذَلِكَ؛ وَالْإِشْهَادُ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ لَا ﴿يَقُولُوا﴾ بِالْبَاءِ وَالتَّاءِ<sup>(٢)</sup> فِي الْمَوْضِعَيْنِ؛ أَيِ: الْكُفَّارِ ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا﴾ التَّوْحِيدِ ﴿عَافِينَ﴾ لَا نَعْرِفُهُ.

[١٧٣] ﴿أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أَيِ: قَبْلَنَا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ فَاقْتَدَيْنَا بِهِمْ ﴿أَفَنَبْكُنَا﴾ تَعْدَبُنَا ﴿عِمَّا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ مِنْ آبَائِنَا؛ بِتَأْسِيسِ الشَّرِكِ؛ الْمَعْنَى: لَا يُمْكِنُ لَهُمُ الْاجْتِهَادُ بِذَلِكَ مَعَ إِشْهَادِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمُ بِالْوَحِيدِ، وَالتَّذْكِيرُ بِهِ عَلَى لِسَانِ صَاحِبِ الْمُعْجَزَةِ قَائِمٌ ذِكْرُهُ فِي النَّفْسِ.

[١٧٤] ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْأَنْبِيَاءَ﴾ يُبَيِّنُهَا بِمِثْلِ مَا يَتَنَا الْبَيِّنَاتِ، لِيَتَذَكَّرُوا وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ عَنْ كُفْرِهِمْ.

[١٧٥] ﴿وَأَتَى﴾ يَا مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيِ: الْيَهُودِ ﴿نَبَأٌ﴾ خَبَرٌ ﴿الَّذِي آتَيْنَاهُ عَائِينَاهُ فَأَنسَخْ مِنْهَا﴾ خَرَجَ بِكُفْرِهِ؛ كَمَا تَخْرُجُ الْحَيَّةُ مِنْ جِلْدِهَا؛ وَهُوَ: «بَلَعِمَ بِنَ بَاعُورَاءَ» مِنْ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ<sup>(٣)</sup>، شِئِلَ أَنْ يُدْعَى عَلَى مُوسَى وَأَهْدَى إِلَيْهِ شَيْءٌ؛ فَدَعَا فَانْقَلَبَ عَلَيْهِ<sup>(٤)</sup>؛ وَانْدَلَعَ لِسَانُهُ عَلَى صَدْرِهِ<sup>(٥)</sup> ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ فَادْرَكَهُ فَصَارَ قَرِيبَهُ ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾.

[١٧٦] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ إِلَى مَنَازِلِ الْعُلَمَاءِ﴾ بِهَا: بَأَن نُوَفِّقَهُ لِلْعَمَلِ ﴿وَلَنَكْنِيَهُ أَهْلَهُ﴾ سَكَنَ ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ أَيِ: الدُّنْيَا، وَمَالَ إِلَيْهَا ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ فِي دَعَائِهِ إِلَيْهَا؛ فَوَضَعْنَاهُ ﴿فَمَسَّكُهُ﴾ صَبَغَهُ ﴿كَمَلِ الْكَفَّابُ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ﴾ بِالطَّرْدِ وَالزَّجْرِ ﴿يَلْهَثُ﴾ يَذْلُغُ لِسَانَهُ ﴿أَوْ﴾ إِنْ تَتَرَكَّهُ يَلْهَثُ وَلَيْسَ غَيْرُهُ مِنَ الْخِيَوَانِ كَذَلِكَ؛ وَجَمَلْنَا الشَّرْطَ حَالًا؛ أَيِ: لَاهِنًا ذَلِيلًا بِكُلِّ حَالٍ، وَالْقَصْدُ الشَّبِيهِ فِي الْمَوْضِعِ وَالْحَقِيقَةُ؛ بِقَرْنَةِ الْفَاءِ الْمَشْعُورَةِ بِتَرْتِيبٍ مَا بَعْدَهَا عَلَى مَا قَبْلَهَا مِنَ الْمِيلِ إِلَى الدُّنْيَا وَاتِّبَاعِ الْهَوَى،

﴿وَإِذْ نَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رَبِّكَ رُوحًا حَدِيدًا﴾ طَرَأَ فِيهِمْ أَقْبَنُوهُمْ وَأَقْبَنُ بِهِمْ سَاقَطَ عَلَيْهِمْ؛ بَعْدَ اللَّهِ إِيَّاهُمْ بِوُقُوعِهِ إِنْ لَمْ يَقْبَلُوا أَحْكَامَ التَّوْرَةِ، وَكَانُوا أَنْوَغًا لِيَقْبَلُوهَا، وَقَبِلُوا، وَقَلْنَا لَهُمْ: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ ﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ بِالْعَمَلِ بِهِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ الْأَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى أَنْتَ رَبُّنَا شَهِدْنَا بِذَلِكَ؛ وَالْإِشْهَادُ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ لَا يَقُولُوا بِالْبَاءِ وَالتَّاءِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ؛ أَيِ: الْكُفَّارِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا التَّوْحِيدِ عَافِينَ لَا نَعْرِفُهُ.

﴿أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أَيِ: قَبْلَنَا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ فَاقْتَدَيْنَا بِهِمْ أَفَنَبْكُنَا تَعْدَبُنَا عِمَّا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ مِنْ آبَائِنَا؛ بِتَأْسِيسِ الشَّرِكِ؛ الْمَعْنَى: لَا يُمْكِنُ لَهُمُ الْاجْتِهَادُ بِذَلِكَ مَعَ إِشْهَادِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمُ بِالْوَحِيدِ، وَالتَّذْكِيرُ بِهِ عَلَى لِسَانِ صَاحِبِ الْمُعْجَزَةِ قَائِمٌ ذِكْرُهُ فِي النَّفْسِ.

﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْأَنْبِيَاءَ﴾ يُبَيِّنُهَا بِمِثْلِ مَا يَتَنَا الْبَيِّنَاتِ، لِيَتَذَكَّرُوا وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ عَنْ كُفْرِهِمْ.

﴿وَأَتَى﴾ يَا مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيِ: الْيَهُودِ نَبَأٌ خَبَرٌ الَّذِي آتَيْنَاهُ عَائِينَاهُ فَأَنسَخْ مِنْهَا خَرَجَ بِكُفْرِهِ؛ كَمَا تَخْرُجُ الْحَيَّةُ مِنْ جِلْدِهَا؛ وَهُوَ: «بَلَعِمَ بِنَ بَاعُورَاءَ» مِنْ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، شِئِلَ أَنْ يُدْعَى عَلَى مُوسَى وَأَهْدَى إِلَيْهِ شَيْءٌ؛ فَدَعَا فَانْقَلَبَ عَلَيْهِ؛ وَانْدَلَعَ لِسَانُهُ عَلَى صَدْرِهِ فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَادْرَكَهُ فَصَارَ قَرِيبَهُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ إِلَى مَنَازِلِ الْعُلَمَاءِ﴾ بِهَا: بَأَن نُوَفِّقَهُ لِلْعَمَلِ وَلَنَكْنِيَهُ أَهْلَهُ سَكَنَ إِلَى الْأَرْضِ أَيِ: الدُّنْيَا، وَمَالَ إِلَيْهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فِي دَعَائِهِ إِلَيْهَا؛ فَوَضَعْنَاهُ فَمَسَّكُهُ صَبَغَهُ كَمَلِ الْكَفَّابُ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ بِالطَّرْدِ وَالزَّجْرِ يَلْهَثُ يَذْلُغُ لِسَانَهُ أَوْ إِنْ تَتَرَكَّهُ يَلْهَثُ وَلَيْسَ غَيْرُهُ مِنَ الْخِيَوَانِ كَذَلِكَ؛ وَجَمَلْنَا الشَّرْطَ حَالًا؛ أَيِ: لَاهِنًا ذَلِيلًا بِكُلِّ حَالٍ، وَالْقَصْدُ الشَّبِيهِ فِي الْمَوْضِعِ وَالْحَقِيقَةُ؛ بِقَرْنَةِ الْفَاءِ الْمَشْعُورَةِ بِتَرْتِيبٍ مَا بَعْدَهَا عَلَى مَا قَبْلَهَا مِنَ الْمِيلِ إِلَى الدُّنْيَا وَاتِّبَاعِ الْهَوَى،

وبقرينة قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ الْمَثَلُ ﴿مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾ عَلَى الْيَهُودِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يَتَذَكَّرُونَ فِيهَا؛ فَيُؤْمِنُونَ.

[١٧٧] ﴿سَاءَ﴾ بِسَ ﴿مَثَلُ الْقَوْمِ﴾ أَيِ: مِثْلُ الْقَوْمِ ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ﴾ بِالْكَذِبِ.

[١٧٨] ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَا تِلْكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

(١) أَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ (٢٧٢/١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَخَذَ اللَّهُ الْبَيِّنَاتِ مِنْ ظُهُورِ آدَمَ بِتَعْدُنَ - بِعَنِي عَرَفَةَ - فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ فَرَأَاهَا، فَتَرَاهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالَّذِي، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قَبْلًا قَالَ: ﴿الْأَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا عَافِينَ». وَقَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ شَاكِرٌ فِي تَخْرِيجِهِ عَلَى الْمُسْنَدِ (٢٤٥٥): إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَصَحَّحَ الْأَلْبَانِيُّ إِسْنَادَهُ فِي الْمَشْكَاةِ (١٢١)، وَفِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى الطُّحَاوِيِّ (٢١٩) وَنَعْمَانَ بِالْفَتْحِ: وَادٍ فِي طَرِيقِ الطَّائِفِ يَخْرُجُ إِلَى عَرَفَاتٍ.

(٢) بِالنَّاءِ قِرَاءَةُ أَنِي عَمْرُو، وَالْمَوْضِعُ الثَّانِي الْمَشَارَ إِلَى هُوَ قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا﴾.

(٣) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٥١/١)، وَالطَّبْرِيُّ فِي جَامِعِ الْبَيَّانِ (٨٢/٩)، وَالطَّبْرِيُّ فِي الْكَبِيرِ (٢١٩/٩)، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ (٣٢٥/٢)، وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَادِ (٢٥/٧): «رَوَاهُ الْإِسْرَائِيلِيُّ وَرَجَلُهُ رَجُلٌ صَحِيحٌ». وَذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنِيرِ (٢٦٦/٣). وَفِي آيَةِ أَقْوَالٍ أُخْرَى، قَقِيلٌ: هُوَ أَمِيَّةٌ بِنَ أَبِي الصَّلْتِ، كَمَا أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٥٠٨/١) وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ (١٦٦/٥) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - بِسَنَدٍ صَحِيحٍ كَمَا قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَادِ (٢٥/٧). وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ.

وَبَلْعَامُ هَذَا قِيلَ: هُوَ عَالِمٌ مِنْ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقِيلَ: كَانَ نَبِيًّا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ.

(٤) وَرَدَّ ذِكْرُ ذَلِكَ فِيْمَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَأَبُو الشَّيْخِ عَنْ الْمُعْتَمَرِ (يَحْيَى عَنْ سَيَّارٍ) (الدَّرِّ الْمُنِيرِ ٢٦٨/٣).

(٥) قَوْلُهُ: (وَإِذْ نَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رَبِّكَ رُوحًا حَدِيدًا) وَفِي تَفْسِيرِهِ: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَسَّكُهُ﴾ كَمَلِ الْكَفَّابُ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتَرَكَّهُ يَلْهَثُ [الأعراف: ١٧٦]: اِخْتَلَفَ الْمُسَرِّوْنَ فِي مَعْنَاهُ، وَعَلَى سِيَاقِ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ سَالِمَ بْنِ أَبِي النَّضْرِ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَسَّكُهُ﴾ كَمَلِ الْكَفَّابُ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتَرَكَّهُ يَلْهَثُ، وَفِي تَرْكِ ظَاهِرٍ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ: فَصَارَ مِثْلُهُ فِي ضِلَالِهِ وَاسْتِمْرَارِهِ فِيهِ وَعَصْمِ اتِّفَاعِهِ بِالْإِيمَانِ وَاعْتِمَادِهِ كَالْكَلْبِ فِي لَهْيَتِهِ فِي حَالَتِهِ؛ إِنْ حَمَلَتْ عَلَيْهِ وَإِنْ تَرَكَهُ هُوَ يَلْهَثُ فِي الْحَالَيْنِ، فَكَذَلِكَ هَذَا لَا يَنْتَفِعُ بِالْمَوْعِظَةِ وَالِدُّعَا إِلَى الْإِيمَانِ وَلَا عَدَمُهُ... (تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ ٢٥٦/٢).





[١٨٨] ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا﴾ أجليه ﴿وَلَا ضَرًّا أَدْفَعُهُ﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ مَا غَاب عَنِّي ﴿لَنَسْتَكْثِرُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ﴾ من فقر وغيره؛ لاحترازي عنه باجتناب المضار ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ بالنار للكافرين وَبَشِيرٌ بالجنة ﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٨٩] ﴿هُوَ﴾ أي: الله ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أي: آدم ﴿وَجَعَلَ خَلْقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ وبأنفها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا﴾ هو النطفة ﴿فَحَمَرَتْ بِهِ﴾ ذهب وجاءت؛ لحفته ﴿فَلَمَّا أَفَلَّتْ﴾ بكبر الولد في بطنها، وأشفقا أن يكون بهيمة<sup>(١)</sup> ﴿دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آمَنَّا بِكَ﴾ ولذا ﴿صَلَحَا﴾ سويا ﴿لَنَكُونَ مِنَ الْمُشْكِرِينَ﴾ لك عليه.

[١٩٠] ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا﴾ ولذا ﴿صَلَحَا جَعَلَا لَكُم شُرَكَاءَ﴾ وفي قراءة: بكسر الشين والتنون<sup>(٢)</sup>؛ أي: شريكا ﴿فِيمَا آتَاهُمَا﴾ بتسميته عبد الحارث، ولا ينبغي أن يكون عبداً إلا لله، وليس بإشراك في العبودية؛ لعصمة آدم<sup>(٣)</sup>.

وروى سمره عن النبي ﷺ قال: «لَمَّا وَلَدَتْ حَوَاءُ طَافَ بِهَا إِبْلِيسُ - وَكَانَ لَا يَعْشُقُ لَهَا وَلَدًا - فَقَالَ: سَمِعَهُ عَبْدَ الْحَارِثِ؛ فَإِنَّهُ يَعْشُقُ؛ فَسَمِعْتُهُ؛ فَقَاسَ؛ فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَمْرُهُ»<sup>(٤)</sup> إرواه الحاكم، وقال: صحيح. والترمذي وقال: حسن غريب. ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: أهل مكة به من الأصنام، والجملة سببية عطف على ﴿خَلَقَكُمْ﴾ وما بينهما اعتراض.

[١٩١] ﴿يُشْرِكُونَ﴾ به في العبادة ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾. [١٩٢] ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ أي: لعابديهم ﴿نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرِفُونَ﴾ بمنعها من أراد بهم سوءاً من كسر أو غيره، والاستفهام للتوبيخ. [١٩٣] ﴿وَإِنْ دَعَوْهُمْ﴾ أي: الأصنام ﴿إِلَى الْمَدَى لَا يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ بِالتَّخْفِيمِ وَالتَّشْدِيدِ»<sup>(٥)</sup> «سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْهُمْ» إليه ﴿أَمْ أَنْتُمْ صَادِقُونَ﴾ عن دعائهم، لا يتبعوه؛ لعدم سماعهم.

[١٩٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ دَعَّوْا﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا﴾ مملوكة ﴿أَمْثَلُكُمْ قَادَعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ دعاءكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنها آلهة.

[١٩٥] ثُمَّ بَيَّنَّ غَايَةَ عِزِّهِمْ وَفَضْلَ عَابِدِهِمْ عَلَيْهِمْ فقال: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ أَيْدٍ جَمْعُ يَدٍ﴾ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ؟ بل أ ﴿لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ﴾ استفهام إنكاري؛ أي: ليس لهم شيء من ذلك مما هو لكم، فكيف تعبدونهم وأنتم أتم حالاً منهم؟! ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ إلى هلاكهم ﴿ثُمَّ يَكْذِبُونَ فَلَا تَنْظُرُونَ﴾ تهللون؛ فإني لا أبالي بكم.

(١) يشير إلى ما ورد في بعض الأحاديث والآثار والتي يفهم منها أن المراد بهذا السياق آدم وحواء، وهي وإهية الإسناد معلولة كما بينه الحافظ ابن كثير في تفسيره، ولا يعتمد عليها؛ إذ أصلها مأخوذ من أقاصيص مثبلة أهل الكتاب، ويُقَالُ لثمة من السلف لها، وذكر كثير من المفسرين لها لا يجدي في صحتها شيئاً كما أفاده أهل التحقيق.

(٢) لنافع وشعبة.

(٣) هذا الذي احتاره المفسر من أن الكلام في آدم وحواء، وفسروا الشرك بأنه تسمية الولد «عبدالحارث» لا في الصفة والرواية. وقال آخرون: إن ما في الآيتين لا يعني آدم وزوجته، بل يعم جنس الآدميين، وبين حال المشركين من ذريتهما، وهذا الذي يعمل عليه، فقلوه - تعالى -: ﴿جَعَلَا لَكُمْ﴾؛ يعني: الجنسين؛ أي: الذكر والأنثى الكافرين، دل على هنا قوله تعالى بعدها: ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ولم يقل: «الشركاء». قال القرطبي: هذا حسن. وروى ابن كثير في تفسيره عن قتادة قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى زرقهم الله أولاداً فهدودوا ونصروا... قال ابن كثير: وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري - رجحه الله - في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته. ١. هـ.

(٤) الترمذي (٣٠٠٣) وأحمد (١٩٢٥٨) وضعه الألباني في ضعيف الجامع (٤٧٦٩).

(٥) بالتحفيف قراءة نافع.

إِنْ وَلَقِيَ اللَّهَ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصَرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَا آجِبْنَاهُمْ أَقُلْ إِنَّمَا آتَيْتُكُمْ بِوَحْيٍ إِلَىٰ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ نَضَعُا وَيُخَفِّفُا وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَنْ عِبَادَتِهِ وَسَبَّحُونَهُ وَكَانُوا يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

[١٩٦] ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ اليسر من أخلاق الناس ولا تبحث عنها ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ بالمعروف ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١) فلا تقابلهم بسفاههم.

[٢٠٠] ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ أي: إن يصرفك عما أمرت به صارف ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ جواب الشرط وجواب الأمر محذوف أي: يدفعه عنك ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ للقول ﴿عَلِيمٌ﴾ بالفعل.

[٢٠١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ﴾ أصابهم ﴿طَافٌ﴾ (٢) وفي قراءة: ﴿طَافٌ﴾ أي: شيء ألم بهم ﴿مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ عقاب الله وثوابه ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ الحق من غيره؛ فيرجعون.

[٢٠٢] ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ أي: إخوان الشياطين من الكفار ﴿يَمُدُّوهُمْ﴾ أي: الشياطين ﴿فِي الْغَىِّ تَذَكَّرُوا﴾ هم ﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾ يكفون عنه بالتبصر؛ كما تبصر المتقون.

[٢٠٣] ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ﴾ أي: لأهل مكة ﴿يَنَاقِضُوا﴾ مما اقترحوا ﴿قَالُوا لَا آجِبْنَاهُمْ﴾ هَلَّا ﴿آجِبْنَاهُمْ﴾ أنشأنا من قبل نفسك ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا آتَيْتُكُمْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ وليس لي أن آتي من عند نفسي بشيء ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَصَائِرُ﴾ حجج ﴿مِّنَ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[٢٠٤] ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ عن الكلام ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ نزلت في ترك الكلام في الخطبة (٣)، وعُزِّزَ عنها بالقرآن؛ لاشتغالها عليه، وقيل: في قراءة القرآن مطلقاً (٤).

[٢٠٥] ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ أي: سراً ﴿نَضَعُا وَيُخَفِّفُا﴾ نللاً ﴿وَالْآصَالِ﴾ خوفاً منه ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ أي: فصلاً بينهما ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ أوائل النهار وأواخره ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ عن ذكر الله.

[٢٠٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَنْ عِبَادَتِهِ وَسَبَّحُونَهُ وَكَانُوا يَسْجُدُونَ﴾ أي: يكفون عن عبادته ويسبِّحونه عما لا يليق به ﴿وَلَمْ يَسْجُدُوا﴾ أي: يخصصونه بالخضوع والعبادة؛ فكونوا مثلهم.

\*\*\*

[١٩٦] ﴿إِنْ وَلَقِيَ اللَّهَ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ﴾ متولي أموري ﴿الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ بحفظه.

[١٩٧] ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصَرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرُونَ﴾ فكيف أبالي بهم.

[١٩٨] ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ أي: الأصنام ﴿إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: الأصنام يا محمد ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: يقابلونك كالناظر ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

(١) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قدم عيينة بن حصص بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس - وكان من النفر الذين يدينهم عمر - وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً. فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه عند هذا الأمر، فاستأذن لي عليه. قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعينيه، فأذن له عمر. فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بالعدل، فغضب عمر حتى همَّ به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وفقاً عند كتاب الله. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة الأعراف (٧) باب (٥)، ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾.

(٢) وهي قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) أخرج نحوه ابن مردويه عن ابن عباس، وأخرج نحوه أيضاً ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس، ففي هذه الآثار ما يفيد أن الإنصات للقرآن في الصلاة وللخطبة على السواء. [الدر المنثور (٢٨٧/٣)]، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٤٨٧/٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤٦/٥)، والطبري في جامعه (١١٠/٩). والبيهقي في الكبرى (١٥٥/٢) وغيرهم من طرق عن مجاهد. وهو صحيح مجموعها عن مجاهد.

(٤) ويدخل في ذلك دخولاً أولياً، مؤكداً الاستماع والإنصات للإمام إذا قرأ في الصلاة الجهرية، وهذا القول بالعموم هو الأرجح، واختاره غير واحد من المفسرين.

## سُورَةُ الْأَنْفَالِ

[مدنية، أو: إلا ﴿وإذ يصر بك﴾ الآيات السبع؛ فمكية، خمس أو ست أو سبع وسبعون آية، نزلت بعد البقرة<sup>(١)</sup>]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لما اختلف المسلمون في غنائم بدر، فقال الشبان: هي لنا؛ لأننا باشرنا القتال.

وقال الشيوخ: كنا ردعنا لكم تحت الرايات، ولو انكشفتهم لقتلنا؛ فلا تستأثروا بها.

[١] فنزل: ﴿يَسْأَلُونَكَ يَا مُحَمَّدٌ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ الغنائم لمن هي ﴿قُلْ لَهُمُ: ﴿الْأَنْفَالُ لِلَّهِ﴾ يجعلها حيث شاء ﴿وَالرَّسُولُ﴾ يقسمها بأمر الله<sup>(٢)</sup>؛ فقسمها ﷺ بينهم على السواء [رواه الحاكم في المستدرک<sup>(٣)</sup>] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وأصلحوا ذات بينكم، أي: حقيقة ما بينكم، بالمودة وترك النزاع ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إن كنتم مؤمنين ﴿حَقًّا﴾ [٢] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الكاملون الإيمان ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ أي: وعيده ﴿وَجِلَتْ﴾ خافت ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ وإذا ثَلِثَتْ عَلَيْهِمْ أَيْسَرُ رَأْدَتِهِمْ إِسْكَانًا تصديقًا ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ به يثقون، لا بغيره. [٣] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُنْفِقُونَ﴾ في طاعة الله.

[٤] ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ صدقًا بلا شك ﴿هُمْ دَرَجَتٌ﴾ منازل في الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة. [٥] ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ«أخرج» ﴿وَأَنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾ الخروج، والجملة حال من كاف ﴿أَخْرَجَكَ﴾ و﴿كَمَا﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذه الحال في كراهتهم لها مثل إخراجك في حال كراهتهم، وقد كان خيرًا لهم؛ فكذاك أيضًا، وذلك أن أبا سفيان قدم يغير من الشام، فخرج النبي ﷺ وأصحابه ليغتموها، فعلمت قريش، فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة؛ ليزبوا عنها؛ وهم: النفير، وأخذ أبو سفيان بالغير طريق الساحل؛ فنجت؛ فقبل لأبي جهل: ارجع. فأبى، وسار إلى بدر؛ فاشاور النبي ﷺ أصحابه، وقال: «إِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ؛ فَوَافَقَهُ عَلَى قِتَالِ النَّفِيرِ<sup>(٤)</sup>»، وكره بعضهم ذلك، وقالوا: لم نستعد له. كما

## سُورَةُ الْأَنْفَالِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَدَّ ذَاتَ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّقَ الْحَقَّ يَكْفِيتَهُ وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُخَيِّقَ الْحَقَّ وَيَبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

قال - تعالى: [٦] ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ القتال ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ ظهر لهم ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ إليه عيانًا في كراهتهم له. [٧] ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ العير أو النفير ﴿أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ﴾ تريدون ﴿أَنْ غَدَّ ذَاتَ الشَّوْكَةِ﴾ أي: البأس والسلاح؛ وهي: العير ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ لقلعة عددها ومددها؛ بخلاف النفير ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّقَ الْحَقَّ﴾ يظهره ﴿يَكْفِيتَهُ﴾ السابقة بظهور الإسلام ﴿وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ آخرهم؛ بالاستئصال؛ فأمركم بقتال النفير [٨] ﴿لِيُخَيِّقَ﴾

(٥) ما جاء في نزول السورة: خرج البخاري عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنه سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنفال (٨).

وأخرج أحمد عن أبي أمامة الباهلي قال: سألت عباد بن الصامت عن الأنفال فقال: فيها معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في الفل وسأيت فيه أخلاقنا. أحمد - المسند (٣٢٢/٥). وأخرجه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي (٣٢٦/٢). وأخرج أحمد أيضًا عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير، وقتل سعيد بن العاص وأخذت سيفه - وكان يسمى ذا الكتيبة - فأنبت به نبي الله ﷺ قال: «ذهب فاطرحه في القبض» قال: فرجعت وبني ما لا يعمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلسي. قال: فما جاوزت إلا يسيرًا حتى نزلت سورة الأنفال. فقال لي رسول الله ﷺ: «ذهب فخذ سيفك». أحمد. المسند (١٨٠/١). وأخرجه مسلم. كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب (١٢) الأنفال وفيه: نزلت هذه الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولُ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١ - ٥): أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «من فعل كذا وكذا فعل من النفل كذا وكذا». قال: فقدم الفتيان ولزم المشيخة الرايات، فلم يرموها، فلما فتح الله عليهم قال المشيخة: كنا ردعنا لكم، لو انهزمتم لقتلنا، فلا تذهبوا بالمغنم وبقبي، فأبى الفتيان وقالوا: جعله رسول الله ﷺ لنا، فأنازل الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولُ﴾ إلى قوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾ يقول: فكان ذلك خيرًا لهم، فكذاك أيضًا فأطيعوني فإني أعلم عاقبة هذا منكم. أبو داود - كتاب الجهاد (٩) باب (١٥٦) في النفل (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٢٣٧٦).

وأخرج أحمد عن أبي أمامة عن عباد بن الصامت قال: خرجنا مع النبي ﷺ فشهدت معه بدراء، فالتقى الناس، فهزم الله تبارك وتعالى العدو، فانطلقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل وفته الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب. وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا، نحن -

(١) المستدرک (٣٢٦/٢)، وروى نحوه أحمد (٢١٦٨٥، ٢١٦٩١) عن عباد بن الصامت، وكذلك ابن مردويه عن عائشة [الدر المنثور (٢٩٤/٣)] وصححه الألباني في فقه السيرة بلفظ: «قسمهما رسول الله ﷺ بين المسلمين».

(٢) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ  
مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ١ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى  
وَلِتُظْمِنَ بِهِ فُؤُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ  
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢ إِذْ يُغَشِّبُكُمُ الْغَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ  
عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ كُفْرَ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ  
رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ  
٣ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا  
فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ٤ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ  
شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ  
شَدِيدُ الْعِقَابِ ٥ ذَلِكَ فَذُوقُوا وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ  
عَذَابَ النَّارِ ٦ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ  
كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ٧ وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ  
دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ  
بِغَضَبِ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ٨

أَلْحَقْ وَيُطْلِعْ يَحِقُّ الْبَطْلُ الْكُفْرُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ المشركون ذلك.

[٩] اذكر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ يطلبون منه العون بالنصر عليهم<sup>(٩)</sup>

﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿مُمِدُّكُمْ﴾ معينكم ﴿بِالْفِ  
الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ متتابعين يردف بعضهم بعضاً، وعدهم بها أولاً، ثم  
صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة؛ كما في آل عمران، وقرئ: ﴿بِالْفِ﴾<sup>(١)</sup>  
كـ «أفلس» جمع. [١٠] ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ﴾ أي: الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَى  
وَلِتُظْمِنَ بِهِ فُؤُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.  
[١١] اذكر ﴿إِذْ يُغَشِّبُكُمُ الْغَاسَ أَمَنَةً﴾ أمناً مما حصل لكم من الخوف  
﴿وَمِنَهُ﴾ - تعالى - ﴿وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ كُفْرَ بِهِ﴾ من الأحداث  
والجنابات ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ﴾ وسوسته إليكم؛ بأنكم لو كنتم على  
الحق ما كنتم ظمأى محدثين، والمشركون على الماء ﴿وَلِيَرْبِطَ﴾ يحبس ﴿عَلَى  
قُلُوبِكُمْ﴾ باليقين والصبر ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ أن تسوخ في الرمل.

[١٢] ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ الذين أمد بهم المسلمين ﴿أَنِّي﴾  
أي: بأني ﴿مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصر ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالإعانة والتبشير  
﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ الخوف ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ  
الْأَعْنَاقِ﴾ أي: الرؤوس ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي: أطراف اليدين  
والرجلين؛ فكان الرجل يقصد ضرب رقبته الكافر؛ فتسقط قبل أن يصل إليه  
سيفه<sup>(٢)</sup>، ورامهم بقبضة من الحصى؛ فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه  
منها شيء؛ فهُزِمُوا<sup>(٣)</sup>. [١٣] ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الواقع بهم ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُوا﴾  
خالفوا ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له.

[١٤] ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿فَذُوقُوا﴾ أيها الكفار في الدنيا ﴿وَأَنَّ  
لِلْكَافِرِينَ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾. [١٥] ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا  
لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا﴾ أي: مجتمعين؛ كأنهم لكثرتهم يرحفون ﴿فَلَا  
تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ منهزمين.

[١٦] ﴿وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم لقائهم ﴿يُؤَيِّرُهُمْ﴾ إِلَّا مُتَحَرِّفًا  
منعطفًا ﴿لِقِتَالٍ﴾ بأن يريهم القوة مكيدة، وهو يريد الكرّة ﴿أَوْ مُتَحَيِّرًا﴾  
منعطفًا ﴿إِلَى فِتْنَةٍ﴾ جماعة من المسلمين يستنجد بها ﴿فَقَدْ بَاءَ﴾ رجع  
﴿بِغَضَبِ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع هي، وهذا  
مخصوص بما إذا لم يزد الكفار على الضعيف.

= نفينا عنها العدو وهزماهم. وقال الذين أحذقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحب بها منا، نحن أحذقنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به. فنزلت: ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا﴾. فقسما رسول الله ﷺ على فواق بين المسلمين. قال: وكان رسول الله ﷺ إذا أغار في أرض العدو نزل الربيع، وإذا أقبل راجعاً وكل الناس نفل الثالث. وكان يكره الأنفال. ويقول: «ليرد قوي المؤمنين على ضعيفهم». أحمد - المسند (٣٢٤/٥)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١٣٦، ١٣٥/٢)، وصححه ابن حبان (الإحسان: ١٦٩٣).

(٥) ما جاء في نزول الآية (٩): أخرجه مسلم عن ابن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً - فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم أجز لي ما وعدتني. اللهم أت ما وعدتني. اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعدي في الأرض». فما زال يهتف بربه، ماذا يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه. فأتاه أبو بكر، فأخذ رداؤه فلقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله، كفكفنا مناشدتك ربك، فإنه سيسجز لك ما وعدك. فانزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ فأمد الله باللائكة.

قال ابن عباس: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه. وصوت الفارس يقول: أقدم حيروم. فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقاً. فنظر إليه فإذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت، ذلك مدد السماء الثالثة» فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين. مسلم - الجهاد والسير (٣٢) باب (١٨) الإمداد باللائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم.

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٦): أخرجه أبو داود عن أبي سعيد قال: نزلت في يوم بدر. . . ﴿وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ يُؤَيِّرُهُمْ﴾. أبو داود - كتاب الجهاد (٩) باب (١٠٦) في التولي يوم الزحف. (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٢٣٠٦).

(١) وهي قراءة شاذة. (٢) أخرجه ذلك أبو الشيخ وابن مردويه عن أبي أمامة بن سهل الأنصاري عن أبيه. [الدر المنثور (٣٣/٤)]، ويشهد له ما رواه مسلم عن ابن عباس ﷺ قال: «بينما رجل من المسلمين يومئذ، يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس فوقه يقول: أقدم حيروم فنظر إليه؛ فإذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه... الحديث» وتقدم تخريجه قريباً في أسباب النزول. (٣) روى ذلك الطبراني بإسناد حسن والواقدي وابن جرير الطبري وغيرهم. وعند مسلم أنه ﷺ فعل ذلك وقاله يوم حنين؛ فيحتمل تكرار الأمر منه ﷺ في الغزوات. (مسلم ١٧٧٧).

[١٧] ﴿فَلَمَّا تَفَتَّلُوهُمْ﴾ بيدر بقوتكم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَلَّهٗمْ﴾ بنصره إياكم ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ يا محمد أعين القوم ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ بالحصى؛ لأن كَمَا من الحصى لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بَشَرٍ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ بإبصار ذلك إليهم؛ فعل ذلك ليقهر الكافرين ﴿وَلِيُثَبِّتَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءٌ﴾ عطاء ﴿حَسَنًا﴾ هو الغنمة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَبْعُثُ﴾ لأقوالهم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بأحوالهم.

[١٨] ﴿ذَلِكُمْ﴾ الإبلاء حق ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ﴾ مضعف ﴿كَيِّدٌ﴾ لكافرين.

[١٩] ﴿إِنْ تَسْتَغِيثُوا﴾ أيها الكفار؛ إن تطلبوا الفتح؛ أي: القضاء؛ حيث قال أبو جهل منكم: «اللهم أينما كان أقطع للرحم، وأتانا بما لا نعرف، فأحنه الغداة»<sup>(١)</sup>؛ أي: أهلكه ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ القضاء بهلاك من هو كذلك؛ وهو: أبو جهل ومن قيل معه دون النبي ﷺ والمؤمنين ﴿وَأِنْ تَنْهَوْا﴾ عن الكفر والحرب ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا ﴿لِقَالِ النَّبِيِّ ﷺ﴾ ﴿تَعُدُّ﴾ لنصره عليكم ﴿وَأَنْ تَقْبَلُ﴾ تدفع ﴿عَنْكُمْ﴾ ففَتْحَكُمْ ﴿جَمَاعَاتِكُمْ﴾ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿بَكْسَرٍ﴾ «إِنْ» استئنافاً، وفتحها على تقدير اللام<sup>(٢)</sup>.

[٢٠] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا﴾ تعرضوا ﴿عَنْهُ﴾ بمخالفة أمره ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ القرآن والمواظ.

[٢١] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واتعاض؛ وهم: المنافقون أو المشركون.

[٢٢] ﴿إِنَّ سَرَّ الْأَوَائِبِ عِنْدَ اللَّهِ الْهُمُّ﴾ عن سماع الحق ﴿أَلَيْكُمْ﴾ عن النطق به ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

[٢٣] ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ صلاحاً بسماع الحق ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ سماع تفهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ فرضاً، وقد علم أن لا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ عنه ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ عن قبوله عناداً وجحوداً.

[٢٤] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ من أمر الدين؛ لأنه سبب الحياة الأبدية ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته ﴿وَأَنَّهُ

فَلَمَّا تَفَتَّلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَلَّهٗمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُثَبِّتَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدُ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَغِيثُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدًا وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ سَرَّ الْأَوَائِبِ عِنْدَ اللَّهِ الْأَصْمُ الْبَكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمُتْخَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبُ الَّذِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجاريكم بأعمالكم.

[٢٥] ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةَ﴾ إن أصابتكم ﴿لَا تُصِيبُ الَّذِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ بن تَعْمُهُمْ وغيرهم، واتقوا ما يانكار موجبها من المنكر ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالفه.

(١) ما حاه في نزول الآية (١٩): أخرجه أحمد في المسند عن عبد الله بن ثعلبة بن ضمر - بهجمة مصغراً - أن أبا جهل قال حين التقى القوم: اللهم أقطعنا للرحم، وأتانا بما لا نعرف، فأحنه الغداة: فكان المستفتح. (المسند ٤٣١/٥)، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٣٢٨/٢)، وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن إسحاق في المغازي (٢٧٠/٢) وفيه عنده زيادة: «...» وكان ذلك استفتاحه، فأرسل الله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَغِيثُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾.

(٢) بالكسر قراءة حمزة والكسائي وشعبة وأبي عمرو وابن كثير.

(٣) روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: هم نفر من بني عبد الدار. صحيح البخاري (٤٦٤٦).

تَعُوذُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴿١﴾ لَا تَحْزَنُوا أَمَّا تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ ما ائتمتم عليه من الدين وغيره ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

[٢٨] ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ أَمُولُكُمْ وَأُولَئِكُمْ فَتَنَةٌ لَكُمْ، ضَاةٌ عَنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فلا تفوتوه؛ بمراعاة الأموال والأولاد والحيانة لأجلهم.

[٢٩] ﴿وَنَزَلَ فِي تَوْبَتِهِ﴾: ﴿يَأْتِيهَا الْيَتِيمَ أَمَانًا إِنَّ تَقْنُوا اللَّهَ﴾ بالإبانة وغيرها ﴿يَعْمَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ بينكم وبين ما تخافون؛ فتجنون ﴿وَيَكْفُرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

[٣٠] ﴿وَذَكَرَ يَا مُحَمَّدُ﴾: ﴿وَأَنَّ تَعْلَمُ بِكَ الْيَتِيمَ كَفَرًا﴾ وقد اجتمعوا للمشاورة في شأنك بدار الندوة ﴿لِيُتَبَوَّكَ﴾ يوتفوك ويحبسوك ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ كلهم قتلًا رجل واحد ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكة ﴿وَيَتَذَكَّرُونَ﴾ بك ﴿وَيَتَذَكَّرُ اللَّهُ﴾ بهم؛ بتدبير أمرك؛ بأن أوحى إليك ما دبروه وأمرك بالخروج ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُنْكَرِينَ﴾ أعلمهم به.

[٣١] ﴿وَإِذَا نُنَاقِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ قاله النضر بن الحارث؛ لأنه كان يأتي الخيرة، يتجسس؛ فيشتري كتب أخبار الأعاجم، ويحدث بها أهل مكة ﴿إِنَّ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿إِلَّا أَصْطِيلٌ﴾ أكاذيب ﴿الْأَوَّلِينَ﴾.

[٣٢] ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ هَذَا﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ المنزل ﴿مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم على إنكاره، قاله النضر وغيره استهزاء وإيهامًا أنه على بصيرة، وجزم بطلانه. قال - تعالى - [٣٣] ﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِنُعَذِّبَهُمْ﴾ بما سألوهم ﴿وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ لأن العذاب إذا نزل غم، ولم تعذب أمة إلا بعد خروج نبيا والمؤمنين منها ﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِنُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ حيث يقولون في طوافهم: غفرانك غفرانك. وقيل: هم المؤمنون المستضعفون فيهم. كما قال - تعالى - : ﴿لَوْ تَرَكْنَا لَعَذَابُ الْيَتِيمَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٥).

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَفَتَكُمْ النَّاسُ فَوَافِكُمْ وَأَيْدِكُمْ بِصُرُوهٖ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتُخَوِّفُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخَوَّفُوا أَمَانَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعَامُونَ ﴿٢﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ أَمُولُكُمْ وَأُولَئِكُمْ فَتَنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَقْنُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ وَإِذْ يَمَكُرُ بِكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُبْسِتُونَ أَيْ قَتَلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥﴾ وَإِذَا نُنَاقِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَصْطِيلٌ الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٨﴾

[٢٦] ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَفَتَكُمْ النَّاسُ﴾ يأخذكم الكفار بسرعة ﴿فَوَافِكُمْ﴾ إلى المدينة ﴿وَأَيْدِكُمْ﴾ قواكم ﴿بِصُرُوهٖ﴾ يوم بدر بالملائكة ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه. ونزل في أبي لبابة مروان ابن عبد المنذر وقد بعثه ﷺ إلى بني قريظة؛ لينزلوا على حكمه؛ فاستشاروه؛ فأشار إليهم أنه الذبيح؛ لأن عياله وماله فيهم. [٢٧] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا

(٥) ما جاء في زول الآيتين (٣٣، ٣٤): أخرجه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فنزلت: ﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِنُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِنُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وَمَا لَهُمْ إِلَّا يَعُذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنفال (٨) باب (٣)، وباب (٤).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٤٦/٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٨٤/٥) والسيوطي في الدر المنثور (٤٨/٤)، وإسناده ضعيف.

(٢) لم أجده.

(٣) ومذهب السلف في هذا النوع من الصفات إثباته لله ﷻ على الوجه اللائق به. شتيخاته، وهي فيما سبقت له مدح وكمال، ولكن لا تطلق عليه صفات مجردة بدون ذكر متعلقها؛ وكذا لا يشق له اسم أو صفة منها؛ فلا يقال: ماكر، ولا مخادع.

(٤) أخرجه نحوه ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي. وليس فيه ذكر الانحياز بالكتب وإنما فيه سماعه لسجع أهلها وكلامهم - [الدر المنثور (٣٢٧/٣)]. وإسناده ضعيف جدًا كما ذكر صاحب الاستيعاب (٢٣٢/٢).

(٥) الفتح: ٢٥.

[٣٤] ﴿وَمَا لَهُمْ أَهٌ نَّ﴾ لَا يَعْلَمُونَ اللَّهَ ﴿بِالسَّيْفِ بَعْدَ خُرُوجِكَ، والمستضعفين، وعلى القول الأول: هي ناسخة لما قبلها، وقد عذبهم الله بيدر وغيره ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يَمْنَعُونَ النَّبِيَّ ﷺ والمسلمين ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أَنْ يَطُوفُوا بِهِ ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ كَمَا زَعَمُوا ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَنْ لَا وَلَايَةَ لَهُمْ عَلَيْهِ. [٣٥] ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً﴾ صَفِيرًا ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ تَصَفِيفًا أَيْ: جَعَلُوا ذَلِكَ مَوْضِعَ صَلَاتِهِمْ الَّتِي أَمَرُوا بِهَا<sup>(١)</sup> ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ بيدر ﴿يَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[٣٦] ﴿إِنَّ الْبَيْتَ كَفَرُوا يُفْشِقُونَ أَمْرَهُمْ﴾ فِي حَرْبِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَفْشِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ﴾ فِي عَاقِبَةِ الْأَمْرِ ﴿عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ﴾ نَدَامَةً؛ لِفَوَاتِهَا وَفَوَاتِ مَا فَصَدُوهُ ﴿ثُمَّ يُقَالُونَ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِنْهُمْ ﴿إِلَى جَهَنَّمَ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿يُحْتَرُونَ﴾ يَسْأَلُونَ. [٣٧] ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِ«تَكُونُ» بِالْتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ<sup>(٢)</sup>؛ أَيْ: يَفْصِلُ ﴿الْخَيْثَ﴾ الْكَافِرَ ﴿وَالطَّيِّبَ﴾ الْمُؤْمِنَ ﴿وَيَجْعَلُ الْخَيْثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا﴾ يَجْمَعُهُ مَتْرَاكِمًا بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ﴿فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أَوْلِيَاءَ هُمْ الْخَائِرُونَ﴾.

[٣٨] ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كَأَنِّي سَفِيَانٌ وَأَصْحَابِي: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ عَنِ الْكُفْرِ وَقَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿يَغْفِرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ﴿وَإِنْ يَبُوءُوا﴾ إِلَى قِتَالِهِ ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ أَيْ: سُنَّتُنَا فِيهِمْ بِالْإِهْلَاكِ؛ فَكَذَا نَفْعَلُ بِهِمْ.

[٣٩] ﴿وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ﴾ تَوْجِدَ ﴿فِتْنَةً﴾ شَرَكٌ ﴿وَيَكُونُ﴾ الَّذِينَ كُتِبَ لَهُمْ وَحْدَهُ، وَلَا يَمِيدُ غَيْرُهُ ﴿فَإِنْ أَنْهَوْا﴾ عَنِ الْكُفْرِ ﴿قَارَبَ اللَّهُ يَمَا يَعْمَلُونَ بِصِيرٍ﴾ فَيَجَازِيهِمْ بِهِ.

[٤٠] ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عَنِ الْإِيمَانِ ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾ نَاصِرَكُمْ وَمُتَوَلِّي أُمُورِكُمْ ﴿وَيَعْمُ الْمَوْلَى﴾ هُوَ ﴿وَيَعْمُ النَّصِيرُ﴾ أَيْ: النَّاصِرُ لَكُمْ.

وَمَا لَهُمْ إِلَّا يَعْلَمُونَ اللَّهَ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ وَإِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ يَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُفْشِقُونَ أَمْرَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَفْشِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يُعْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَيْثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أَوْلِيَاءَ هُمْ الْخَائِرُونَ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونُ الَّذِينَ كُتِبَ لَهُمْ اللَّهُ يَمَا يَعْمَلُونَ بِصِيرٍ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ

(١) قال القرطبي: ... وفي معنى الآية رد على الجهال من المصوفة الذين يرقصون ويصفقون، وذلك كله منكر ينتزه عن مشه العفلاء، وينشبه فاعله بالمشركون فيما كانوا يفعلونه عند البيت اهـ.

(٢) بالتشديد قراءة حمزة والكسائي، فتكون هكذا: ﴿يُعْشِرُ﴾.

المنقطع في سفره من المسلمين؛ أي: يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه، من أن لكل خمس الخمس، والأحماس الأربعة الباقية للغنائم **﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾** فاعلموا ذلك **﴿وَمَا﴾** عطف على **﴿بِاللَّهِ﴾** **﴿أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾** محمد ﷺ من الملائكة والآيات **﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾** أي: يوم بدر الفارق بين الحق والباطل **﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾** المسلمون والكفار **﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** ومنه نصركم مع قتلهم وكثرتهم.

[٤٢] **﴿إِذْ﴾** بدل من **﴿يَوْمَ﴾** **﴿أَنْتُمْ﴾** كاثون **﴿بِالْعُدُوِّ الَّذِينَ﴾** القرى من المدينة؛ وهي - بضم العين وكسرها<sup>(١)</sup> - : جانب الوادي **﴿وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْفُصُوءِ﴾** البغدى منها **﴿وَالرَّكْبُ﴾** العير كاثون بمكان **﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾** مما يلي البحر **﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ أَنْتُمْ وَالنَّفِيرَ لِلْقِتَالِ﴾** لاختلفت في الميعاد ولكنكم جمعكم بغير ميعاد **﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا﴾** في علمه؛ وهو: نصر الإسلام ومحق الكفر، فعمل ذلك **﴿لِيَهْلِكَ﴾** يكفر **﴿مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾** أي: بعد حجة ظاهرة قامت عليه؛ وهي: نصر المؤمنين مع قتلهم على الجيش الكثير **﴿وَيُحْيِيَ﴾** يؤمن **﴿مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**.

[٤٣] اذكر **﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاقِعَ﴾** أي: نومك **﴿فَلَيْلًا﴾** فأخبرت به أصحابك؛ فسروا **﴿وَلَوْ أَرَادْتُمْ كَثِيرًا لَفُتِنْتُمْ﴾** جبشتم **﴿وَلَنَنزِعَنَّ﴾** اختلفتم **﴿فِي الْأَمْرِ﴾** أمر القتال **﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَكَمٌ﴾** كُم من الفشل والتنازع **﴿إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَذَاتُ الصُّدُورِ﴾** بما في القلوب.

[٤٤] **﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾** أيها المؤمنون **﴿إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ فَلَيْلًا﴾** نحو سبعين، أو مائة، وهم ألف؛ لتقدموا عليهم **﴿وَيَقْلِلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾** ليقدموا ولا يرجعوا عن قتالكم، وهذا قبل التحام الحرب، فلما التحم أراهم إياهم مثلهم؛ كما في آل عمران **﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾** نصير **﴿الْأُمُورُ﴾**.

[٤٥] **﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِئَةً﴾** جماعة كافرة **﴿فَاتَّبَعُوا﴾** لقتالهم ولا تنهزموا **﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾** ادعوه بالنصر **﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾** تفوزون.

**﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾** ولذي القربى واليتيم والمسكين **﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾** إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقي الجمع **﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** **﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الَّذِينَ وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْفُصُوءِ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيُحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** **﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاقِعَ فَلَيْلًا وَلَوْ أَرَادَكُمْ كَثِيرًا لَفُتِنْتُمْ وَلَنَنزِعَنَّ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَكَمٌ إِنَّهُ عَلَيْهِمْ يَذَاتُ الصُّدُورِ﴾** **﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ فَلَيْلًا وَيَقْلِلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾** **﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِئَةً فَاتَّبَعُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾**

[٤٦] **﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾** أخذتم من الكفار قهراً **﴿مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾** يأمر فيه بما يشاء **﴿وَالرَّسُولُ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾** قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب **﴿وَالْيَتِيمِ﴾** أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء **﴿وَالسَّبِيلِ﴾** ذوي الحاجة من المسلمين **﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾**





[٥٤] ﴿كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿وَكُلٌّ﴾ من الأمم المكذبة ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

[٥٥] ﴿وَنَزَلَ فِي قِرْطَةَ<sup>(١)</sup>﴾: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٦] ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾ أن لا يعينوا المشركين ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَاهِدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ عاهدوا فيها ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ الله في عذرهم.

[٥٧] ﴿فَلَمَّا﴾ فيه إدغام نون ﴿إِنْ﴾ الشرطية في ﴿مَا﴾ المزيدة ﴿تَتَّقُهُمْ﴾ تجدنهم ﴿فِي الْحَرْبِ فَتَرَدُّ﴾ فرق ﴿بِهِمْ مَن خَلَفَهُمْ﴾ من المحاربين؛ بالتسكيل بهم والعقوبة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: الذين خلفهم ﴿يَذْكُرُونَ﴾ يتعظرون بهم.

[٥٨] ﴿وَأَمَّا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ﴾ عاهدوك ﴿خِيَانَةً﴾ في عهد بأمانة تلوح لك ﴿فَأُذِنَ﴾ اطرح عهدهم ﴿إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ حال؛ أي: مستويا أنت وهم في العلم بنقض العهد؛ بأن تعلمهم به؛ لئلا يتهموك بالغدر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ﴾.

[٥٩] ﴿وَنَزَلَ فِيمَنْ أَفْلَتَ يَوْمَ بدر<sup>(٢)</sup>﴾: ﴿وَلَا تَحْصِيَنَّ﴾<sup>(٣)</sup> يا محمد ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا﴾ الله؛ أي: فاتوه ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ لا يفوتونه، وفي قراءة: بالتحثانية، فالفعول الأول محذوف؛ أي: أنفسهم، وفي أخرى: بفتح ﴿إِنْ﴾<sup>(٤)</sup> على تقدير اللام.

[٦٠] ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ لقتالهم ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ قال ﷺ: ﴿هِيَ الرُّغْمِي﴾ [رواه مسلم]<sup>(٥)</sup> ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ مصدر؛ بمعنى: حبسها في سبيل الله ﴿تَرْهَبُونَ﴾ تخوفون ﴿بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿وَالْآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ أي: غيرهم؛ وهم: المنافقون، أو اليهود ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُمْلِكُونَ﴾ تنقصون منه شيئا.

[٦١] ﴿وَأِنْ جَنَحُوا﴾ مالوا ﴿لِلْإِسْلَامِ﴾ بكسر السين وفتحها<sup>(٦)</sup>؛ الصلح ﴿فَاجْتَنِبْهُمْ﴾ وعاهدهم، وقال ابن عباس: هذا منسوخ بآية السيف. وقال مجاهد: مخصوص بأهل الكتاب؛ إذ نزلت في بني قريظة<sup>(٧)</sup> ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثنى به ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيَّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَيَّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ<sup>(٨)</sup> كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ<sup>(٩)</sup> إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ<sup>(١٠)</sup> الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَاهِدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ<sup>(١١)</sup> فَمَا تَتْلِفُ لَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَتَرَدِّ بِهِمْ مَن خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ<sup>(١٢)</sup> وَمَا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ<sup>(١٣)</sup> وَلَا يُحْصِيَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ<sup>(١٤)</sup> وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ<sup>(١٥)</sup> وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنِبْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ<sup>(١٦)</sup>

[٥٣] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: تعذيب الكفرة ﴿بِأَنَّ﴾ أي: بسبب أن ﴿اللَّهُ لَمْ يَكُ مُعَيَّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ﴾ مبدلاً لها بالنقمة ﴿حَتَّى يُعَيَّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ يبدلوا نعمتهم كفراً؛ كتبديل كفار مكة إطاعتهم من جوع وأمنهم من خوف وَتَعَثَّ النبي ﷺ إليهم بالكفر والصد عن سبيل الله وقتال المؤمنين ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَاهِدَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٦] [الدر المنثور (٣/٣٤٧)].

(٢) ذكر نحوه البغوي في تفسيره (٣/٣٦٩).

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

(٤) لأن عامر.

(٥) أخرجه نحوه مسلم (٣٥٤١) عن عتبة بن عامر مرفوعاً.

(٦) بالكسر لشعبة.

(٧) قال ابن كثير: وهذا فيه نظر؛ لأن السياق كله في وقعة بدر، وذكرها مكتنف لهذا كله. ثم قال معلقاً على القول بالنسخ: «وفيه نظر أيضاً؛ لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، فأما إن كان العدو كثيراً فإنه يجوز مهادنتهم كما دلت عليه هذه الآية الكريمة، وكما فعل النبي ﷺ يوم الحديبية، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص. والله أعلم». اهـ.

[٦٢] ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَنْتَ لَهُ كَافٍ﴾ كافٍ ﴿لَهُمْ عِشْرُونَ صَبْرًا﴾ عِشْرُونَ صَبْرًا ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿كَافٍ﴾ كَافٍ.

[٦٣] ﴿وَاللَّهُ جَمَعَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ بعد الإحن ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ بِقُدْرَتِهِ﴾ بِقُدْرَتِهِ.

[٦٤] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ حَسْبُكَ اللَّهُ ﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

[٦٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ﴾ حَرِّضَ ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ عَلَى الْقِتَالِ ﴿لِلْكَفَارِ﴾ لِلْكَفَارِ ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرًا يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ مِنْهُمْ ﴿وَإِنْ يَكُنْ﴾ بِالْيَاءِ وَالنَّاءِ ﴿مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ﴾ أَيْ: بِسَبَبِ أَنَّهُمْ ﴿قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ وَهَذَا خَبَرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ؛ أَيْ: لِقَاتِلِ الْعَشْرُونَ مِنْكُمْ الْمِائَتِينَ، وَالْمِائَةُ أَلْفٌ وَيَتْبَوْنَ لَهُمْ، ثُمَّ يُخْبِرُ - لَمْ كُتِبُوا - بِقَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ شُعْفًا﴾ بِضَمِّ الشَّادِ وَفَتْحِهَا<sup>(١)</sup>، عَنْ قِتَالِ عَشْرَةِ أَمْثَالِكُمْ<sup>(٢)</sup> ﴿وَإِنْ يَكُنْ﴾ بِالْيَاءِ وَالنَّاءِ ﴿مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ مِنْهُمْ ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بِإِرَادَتِهِ؛ وَهُوَ: خَبَرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ؛ أَيْ: لِقَاتِلِ أَلْفِ مِثْلِيكُمْ وَيَتْبَوْنَ لَهُمْ ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بِعَوْنِهِ.

[٦٦] ﴿وَنَزَلَ - لَمْ أَخَذُوا الْفِدَاءَ مِنْ أَسْرَى بَدْرٍ﴾<sup>(٤)</sup> : ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ﴾ بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ<sup>(٥)</sup> ﴿لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتَخَذَ فِي الْأَرْضِينَ﴾ بِبَالٍ فِي قِتْلِ الْكَفَارِ ﴿تُرِيدُونَ﴾ أَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿عَرَضَ الْأَلْفِ﴾ حَطَامُهَا بِأَخْذِ الْفِدَاءِ ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ﴾ لَكُمْ ﴿الْآخِرَةَ﴾ أَيْ: ثَوَابَهَا بِقِتَالِهِمْ<sup>(٦)</sup> ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وَهَذَا مَنْسُوخٌ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا مَتَّ بَعْدَ وَلَمَّا فِدَاءً﴾<sup>(٧)</sup>.

[٦٨] ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ بِإِحْلَالِ الْغَنَائِمِ وَالْأَسْرَى لَكُمْ ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ مِنَ الْفِدَاءِ ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[٦٩] ﴿لَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا لَيْسَ وَأَنْتُمْ وَاللَّهُ لَئِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (٦٥، ٦٦): أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرًا يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم ألا يفر واحد من عشرة، فجاء التخفيف، فقال: ﴿لَقَدْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ شُعْفًا﴾ فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ. قال: فلما خفف الله عنهم العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنفال (٨) باب (٧).

(٥٥) ما جاء في نزول الآيات (٦٧ - ٦٩). أخرجه مسلم عن ابن عباس قال: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟» فقال أبو بكر: يا بني الله، هم أبو بكر، ولكي أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم؛ فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان - نسيتا لعمر فأضرب عنقه؛ فون هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قنت. فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان يكيان. قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء أتت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تابكت ليكأنكما. فقال رسول الله ﷺ: «أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة». شجرة قريبة من بني الله ﷺ وأزول الله ﷺ. ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتَخَذَ فِي الْأَرْضِينَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا لَيْسَ وَأَنْتُمْ وَاللَّهُ لَئِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٨) الإمداد باللائحة.

وأخرج الترمذي عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لم تزل الغنائم لأحد سود الرؤوس من فلكم، كانت تنزل نار من السماء فتأكلها» قال سليمان الأعمش: فمن يقول هذا إلا أبو هريرة الآن، فلما كان يوم بدر وقعوا في الغنائم قبل أن تزل لهم؛ فأزل الله: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٩) سورة الأنفال. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٤٦٣).

(١) بالثناء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بالضم قراءة السبعة عدا حمزة وعاصم.

(٣) بالثناء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٤) أخرجه مسلم (٣٣٠٩) عن عمر بن الخطاب.

(٥) بالثناء قراءة أبي عمرو.

(٦) القتال: ٤.

يَمَّا أَجَذَ مِنْكُمْ. من الفداء؛ بأن يضعفه لكم في الدنيا ويثبتكم في الآخرة  
وَيَغْفِرَ لَكُمْ. ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾.

[٧١] ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا﴾ أي: الأسرى ﴿يُخَانَتُكَ﴾ بما أظهروا من القول  
﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل بدر بالكفر ﴿فَأَمَّا كُنْ مِنْهُمْ﴾ بدر؛ قتلاً  
وأسراً؛ فليتوقعوا مثل ذلك إن عادوا ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في  
صنعه.

[٧٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ وَهُمْ الْمُهَاجِرُونَ وَالَّذِينَ آوَوْا﴾ النبي ﷺ ﴿وَنَصَرُوا﴾ وهم الأنصار  
﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصر والإرث ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا﴾  
مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ ﴿بِكسر الواو وضحتها﴾ ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ فلا إرث بينكم  
وبينهم، ولا نصيب لهم في الغنيمة ﴿حَقٌّ يُهَاجِرُوا﴾ وهذا منسوخ بآخر  
السورة ﴿وَلَنْ أَسْتَصِرَّكُمْ فِي الَّذِينَ قَعَلْتُمْ﴾ النصير ﴿لهم على الكفار﴾ إلا  
على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد؛ فلا تصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم  
﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٧٣] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصر والإرث؛ فلا  
إرث بينكم وبينهم ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: تولى المسلمين وقمع الكفار ﴿تَكُنْ  
فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ بقوة الكفر وضعف الإسلام.

[٧٤] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا  
وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة.

[٧٥] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ﴾ أي: بعد السابقين إلى الإيمان والهجرة  
﴿وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مَعَكُمْ﴾ أيها المهاجرون والأنصار ﴿وَأُولُوا  
الْأَرْثِ﴾ ذوو القربات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في الإرث؛ من التوارث في  
الإيمان والهجرة المذكورة في الآية السابقة ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ اللوح المحفوظ  
﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَالِمٌ﴾ ومنه حكمة الميراث.

يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ  
فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ  
وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ  
مِنْ قَبْلُ فَأَمَّا كُنْ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ  
آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا  
وَإِنْ أَسْتَصِرَّكُمْ فِي الَّذِينَ قَعَلْتُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ  
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ قِسْقٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿وَالَّذِينَ  
كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي  
الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ  
حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ  
وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مَعَكُمْ وَأُولُوا الْأَرْثِ  
بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[٧٠] ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ يَت﴾ [الأسارى] (١) وفي قراءة:  
﴿الأسرى﴾ ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ إيماناً وإخلاصاً ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾

\*\*\*

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَكَأَنَّهُمْ رَجُلٌ﴾ [النساء: ٣٣] كان لرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب، فبرث أحدهما الآخر،  
فسخ ذلك الأنفال، فقال تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْثِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾. أبو داود - كتاب الفرائض (١٣) باب (١٦) سح ميراث العقد بميراث الرحم، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود  
(٣٥٣٥): حسن صحيح.

(١) وهي قراءة أبي عمرو.

(٢) بالكسر حمزة.

## سُورَةُ التَّوْبَةِ

## سُورَةُ التَّوْبَةِ

[مدنية، أو إلا الآيتين آخرها. مائة وثلاثون،  
أو: إلا آية، نزلت بعد المائة] (\*)

ولم تكتب فيها بالبسملة؛ لأنه ﷺ لم يأمر بذلك؛ كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم<sup>(١)</sup>. وأخرج في معناه عن علي: أن البسملة أمان، وهي نزلت لرفع الأمان بالسيف<sup>(٢)</sup>. وعن حذيفة: «إِنَّكُمْ تَسْتَوْنَهَا سُورَةُ التَّوْبَةِ وَهِيَ سُورَةُ الْعَذَابِ»<sup>(٣)</sup>، وروى البخاري عن البراء: أنها آخر سورة نزلت<sup>(٤)</sup>.

[١] هذه ﴿سُرَّةُ﴾ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿وَإِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ عهدًا مطلقًا أو دون أربعة أشهر أو فوقها، ونص العهد بما يذكر في قوله: [٢] ﴿فَيَسْجُودُ﴾ سبوا أمين أيها المشركون ﴿فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ أولها شوال - بدليل ما سيأتي -، ولا أمان لكم بعدها ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّهُمْ عَذْرُ مَعْجَرٍ اللَّهِ﴾ أي: فأتيت عذابه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَعَزَّى الْكَافِرِينَ﴾ مذلهم في الدنيا بالقتل والآخرة بالنار. [٣] ﴿وَأَذَانٌ﴾ إعلام ﴿مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴿يَوْمَ انْحَرِ﴾ أَنْ: أي: بأن ﴿اللَّهُ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وعهودهم ﴿وَرَسُولُهُ﴾ بريء أيضًا، «وقد بعث النبي ﷺ عليًا من الشقة؛ وهي: سنة تسع، فأذن يوم النحر يمتن يده الآيات، وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف في البيت عريان»<sup>(٥)</sup> [رواه البخاري]. ﴿فَإِنْ تَبَيَّنَ﴾ من الكفر ﴿وَهُوَ حَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ عَنْ الْإِيمَانِ ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّهُمْ عَذْرُ مَعْجَرٍ اللَّهِ وَبَشِّرِ﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَدَابِ إِلَيْهِمْ ﴿مُؤَلِّمٌ﴾ وهو: القتل والأسر في الدنيا والنار في الآخرة. [٤] ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ من شروط العهد ﴿وَلَمْ يَطْغَوْا﴾ يعاونوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ من الكفار ﴿فَأَيَّدُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ﴾ انقضاء ﴿مَدَّتْهُمْ﴾ التي عاهدتم عليها<sup>(٦)</sup> ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ بإتمام العهد.

[٥] ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ﴾ خَرَجَ ﴿الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ وهي آخر مدة التأجيل<sup>(٧)</sup> ﴿وَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُواهُمْ﴾ في جِلْ أَوْ خَرَمَ ﴿وَوُضُّوهُمْ﴾ بِالْأَسْرِ ﴿وَأَحْضَرُوهُمْ﴾ فِي الْقِدَاعِ وَالْحَصُونِ، حَتَّى يَضْطَرُّوا إِلَى الْقَتْلِ أَوْ الْإِسْلَامِ ﴿وَأَعْدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ طَرِيق يَسْلُكُونَهُ، وَنَصَبَ ﴿كُلِّ﴾ عَلَى

بِرَاءَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿فَيَسْجُودُ﴾ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَأَعْلَمُوا أَنَّهُمْ عَذْرُ مَعْجَرٍ اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ فَإِنْ تَبَيَّنَ فَهُوَ حَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فاعلموا أَنَّهُمْ عَذْرُ مَعْجَرٍ اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَدَابِ إِلَيْهِ ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُواهُمْ وَأَحْضَرُوهُمْ وَأَعِدُّوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾

نَزَعَ الْخَافِضَ ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ مِنَ الْكُفْرِ ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ وَلَا تَتَعَرَّضُوا لَهُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لِمَنْ تَابَ.

[٦] ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ مَرْفُوعٌ بِفَعْلٍ بِفَسْرِهِ ﴿اسْتَجَارَكَ﴾ اسْتَأْمَنَكَ مِنَ الْقَتْلِ ﴿فَأَجِرْهُ﴾ أَمْنُهُ ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ الْقُرْآنَ ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ وَهُوَ دَارُ قَوْمِهِ إِنْ لَمْ يُؤْمِنْ؛ لِيَنْظُرَ فِي أَمْرِهِ ﴿ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورُ ﴿وَأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ دِينَ اللَّهِ؛ فَلَا بَدَ لَهُمْ مِنْ سَمَاعِ الْقُرْآنِ؛ لِيَعْلَمُوا.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن البراء: آخر سورة نزلت براءة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة التوبة (٩) باب (١) والمراد معظمها، وإلا ففيها آيات كثيرة نزلت قبل سنة الوفاة النبوية، فأولها مثلاً رُل عقب فتح مكة في سنة تسع عام حج أبي بكر بالناس - كما سيأتي - وقد نزلت ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وهي من المائة في حجة الوداع سنة عشر بينما غالب سورة براءة نزل في غزوة تبوك سنة تسع، وقد أخرج النسائي عن ابن عباس أن سورة النصر آخر سورة نزلت من القرآن، فالجمع بينهما أن آخر سورة النصر نزولها كاملة، بخلاف براءة فالمراد معظمها. (راجع تفصيل ذلك في الفتح ٨/ ١٦٧، ٦٥٠، ٦٠٦).

(١) المستدرک (٣٣٠/٢).

(٢) المستدرک (٣٣٠/٢).

(٣) المستدرک (٣٣٠/٢).

(٤) البخاري (٤٦٥٤)، ومسلم (١٦١٨).

(٥) البخاري (٣٦٩)، ومسلم (١٣٤٧) عن أبي هريرة.

(٦) قيل: هم: «بنو ضمرة» من قبائل «بني بكر» من «كنانة» قال: لم ينقضوا عهدهم مع النبي ﷺ فأمر بإتمام عهدهم إلى مدتهم. وقيل: هم من لهم عهد مؤقت ولم ينقضوه.

(٧) قيل: هذا التأجيل خاص بالذين نقضوا العهد، وهم «قریش» الذين أعانوا حلفاءهم «بنی دُلَّ» من «بنی بكر» على «خزاعة» حلفاء النبي ﷺ. وقيل: هو لمن كان له عهد مطلق ليس بمؤقت؛ فضرر له هذا الأجل يسبح في الأرض؛ أي يذهب إليها لينجو بنفسه.

رَسُولِهِ ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ بِهِمَا غَادِرُونَ﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴿يَوْمَ الْحُدُوبَةِ﴾ وَهُمْ قَرِيشُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَبْلِ (١) ﴿فَمَا اسْتَقْتَمُوا لَكُمْ﴾ أَقَامُوا عَلَى الْعَهْدِ وَلَمْ يَنْقُضُوهُ ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ عَلَى الْوَفَاءِ بِهِ، وَ«مَا» شَرْطِيَّةٌ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ وَقَدْ اسْتَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى عَهْدِهِمْ حَتَّى نَقَضُوا بِإِعَانَةِ بَنِي بَكْرٍ عَلَى خِزَاعَةٍ.

[٨] ﴿كَيْفَ﴾ يَكُونُ لَهُمْ عَهْدٌ ﴿وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ يَظْفَرُوا بِكُمْ ﴿لَا يَرْقُبُوا﴾ يَرَاوُا ﴿فِيكُمْ﴾ إِلَّا قَرَابَةً ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ عَهْدًا، بَلْ يُؤْذِيكُمْ مَا اسْتَطَاعُوا، وَجُمْلَةُ الشَّرْطِ حَالٌ ﴿يُرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بِكَلَامِهِمُ الْحَسَنَ ﴿وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ﴾ الْوَفَاءَ بِهِ ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَسِيقُونَ﴾ نَاقِضُونَ لِلْعَهْدِ.

[٩] ﴿أَشْرَوْا بِعَاثِلَةِ اللَّهِ﴾ الْقُرْآنَ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِنَ الدُّنْيَا؛ أَيْ: تَرَكَوا اتِّبَاعَهَا لِلشَّهَوَاتِ وَالْهَوَىٰ ﴿فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دِينِهِ ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ﴾ بِسْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، هُ عَمِلَهُمْ هَذَا.

[١٠] ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُكَذِّبُونَ﴾.

[١١] ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَلِإِحْسَانِكُمْ﴾ أَيْ: فَهَمُ إِخْوَانِكُمْ ﴿فِي الدِّينِ وَتَفْصِلُ﴾ نَبِيٍّ ﴿الْأَلْبَتِ يَقُومُ يَسْكُنُونَ﴾ يَتَدَبَّرُونَ.

[١٢] ﴿وَإِنْ نَكَثُوا﴾ نَقَضُوا ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾ مَوَائِقَهُمْ ﴿بَيْنَ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ عَابَوْهُ ﴿فَقَتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفَرِ﴾ رُؤْسَاءَهُ فِيهِ، وَضَعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الْمَضْمَرِ ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ﴾ عَهْدُ ﴿لَهُمْ﴾ وَفِي قِرَاءَةِ: بِالْكَسْرِ (٢) ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ﴾ عَنِ الْكُفْرِ.

[١٣] ﴿آلَا﴾ لِلتَّحْذِيرِ ﴿فَقَدْ نَكَثُوا قَوْمًا نَكَثُوا﴾ نَقَضُوا ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾ عَهْدَهُمْ ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ مِنْ مَكَّةَ - لِمَا تَشَاوَرُوا فِيهِ بَدَارِ الدُّوَّةِ - ﴿وَهُمْ بَدِءُوكُمْ﴾ بِالْفِتْنِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿حَيْثُ قَاتَلُوا﴾ خِزَاعَةَ حُلَفَاءِكُمْ مَعَ بَنِي بَكْرٍ، فَمَا يَنْعَمُ أَنْ تَقَاتِلُوهُمْ؟! ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ أَمْ تَخْشَوْنَهُمْ؟! ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ فِي تَرْكِ قِتَالِهِمْ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧) كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَسِيقُونَ (٨) أَشْرَوْا بِعَاثِلَةِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُكَذِّبُونَ (١٠) فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَلِإِحْسَانِكُمْ فِي الدِّينِ وَتَفْصِلُ الْآلِ بَتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١) وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفَرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ (١٢) أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدِءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣)

[٧] ﴿كَيْفَ﴾ أَيْ: لَا يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ

(١) وقيل: هم: «بنو ضمرة الذين دخلوا في عهد قريش.

(٢) أَيْ: «لَا إِيمَانَ لَهُمْ» وَهِيَ لَا بَيِّنَاتٍ.

[١٤] ﴿فَتَلَوُهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ يقتلهم ﴿بِأَيْدِيكُمْ وَتَحْزِينِهِمْ﴾ بذلهم بالأسر والقهر ﴿وَيَضْرِبُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ بما فعل بهم؛ وهم: بنو خراعة.

[١٥] ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ كَرَبَهَا ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ بالرجوع إلى الإسلام؛ كما في سفیان ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

[١٦] ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَعْلَمْ﴾ الله علم ظهور ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ بإخلاص ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ﴾ بطانة وأولياء؛ المعنى: ولم يظهر المخلصون؛ وهم: الموصوفون بما ذكر من غيرهم ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٧] ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ بالافراد والجمع<sup>(١)</sup>؛ بدخوله والقعود فيه ﴿شُهَدَاءَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ لعدم شرطها ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

[١٨] ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَرَ أَحَدًا﴾ إلّا الله فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَّقِينَ<sup>(٢)</sup>.

[١٩] ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْقَرَامِ﴾ أي: أهل ذلك ﴿كَفَنَ مَآمِنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ في الفضل ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين، نزلت ردًا على من قال ذلك<sup>(٣)</sup>؛ وهو: العباس أو غيره<sup>(٤)</sup>.

[٢٠] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةٍ﴾ رتبة ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ من غيرهم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ الظافرون بالخير.

فَتَلَوُهُمُ يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَتَحْزِينِهِمْ وَيَضْرِبُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شُهَدَاءَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَرَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَّقِينَ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةٍ عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٩): أخرج مسلم عن النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعطي الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قُلتُم. فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ. وهو يوم الجمعة. ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستقيت فيها احتلقتُم فيه. فأقول الله ﷻ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْقَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ إلى آخرها. مسلم - كتاب الإمارة (٣٣) باب (٢٩) فض الشهاداة في سبيل الله.

(١) بالافراد قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب. ويكون المقصود: المسجد الحرام.

(٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس (ترويه في العباس) [الدر المنثور (٣/٣٩٥)]: وأخرجه مسلم (٣/٤٩١) عن النعمان بن بشير (نزولها في رجل).

مُقِيمٌ دائِمٌ.

[٢٢] ﴿خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَا أَبَدًا﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ. [٢٣] وَنَزَلَ فِيمَن تَرَكَ الْهَجْرَةَ لِأَجْلِ أَهْلِهِ وَتِجَارَتِهِ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَبَنُونَكُمْ ءَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا﴾ اختاروا ﴿الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ يَكُفِّرْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَٰلِغُونَ﴾.

[٢٤] ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَإِبْنَاؤُكُمْ وَبَنُونَكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ مِنِّي فِي قِرَاءَةِ (١): ﴿عَشِيرَاتِكُمْ﴾ وَأَمْوَالُكُمْ أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ﴾ اكتسبتموها ﴿وَتَجَرَّةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ عدم نفاذها ﴿وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنِّي﴾ وَرَسُولُهُ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ ﴿فَقَعْدَمُ لِأَجَلِهِ عَنِ الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ فَتَرَضَّوْا﴾ انتظروا ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ تهديد لهم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ﴾.

[٢٥] ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ﴾ للحرب ﴿كَثِيرَةٍ﴾ كبدِرَ وقریظة والنضير ﴿وَوَإِذْ ذَكَرَ حُنَيْنَ﴾ وَإِذْ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ؛ أَي: يَوْمَ قَاتَلَكُمْ فِيهِ هَوَازِنَ، وَذَلِكَ فِي شَوَالِ سَنَةِ ثَمَانَ ﴿إِذْ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿يَوْمٍ﴾ ﴿أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ فقلتم: لَنْ نَغْلِبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ. وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، وَالْكَفَّارُ أَرْبَعَةَ أَلْفٍ ﴿فَلَمْ تَغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ «مَا» مُصَدِّرَةٌ؛ أَي: مَعَ رَحْبِهَا؛ أَي: سَعَتِهَا؛ فَلَمْ تَجِدُوا مَكَانًا تَطْمَئِنُّونَ إِلَيْهِ؛ لَشِدَّةِ مَا لَحِقَكُمْ مِنَ الْخَوْفِ ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ مُنْهَزِمِينَ، وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَلَيْسَ مَعَهُ غَيْرُ الْعَبَّاسِ، وَأَبُو سَفْيَانَ أَخَذَ بِرُكَايِهِ [٢٦] ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَيِّدَتَهُ﴾ طَمَأْنِنَتَهُ ﴿عَنْ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فَرَدُّوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا نَادَاهُمُ الْعَبَّاسُ بِإِذْنِهِ (٢)، وَقَاتَلُوا ﴿وَأُنْزِلَ جُنُودًا لَّهُمْ تَرَوُهَا﴾ مَلَائِكَةٌ ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ ﴿وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَعَلَتْ لَهُمْ فِيهَا نِعِيمٌ مُّقِيمٌ (١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢) يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَأَحْوَانَكُمْ ءَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَٰلِغُونَ (٣) قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَبَنُونَكُمْ وَأَحْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنِّي وَرَسُولُهُ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَضَّوْا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ (٤) لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٥) ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَيِّدَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأُنْزِلَ جُنُودًا لَّهُمْ تَرَوُهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٦)

[٢٦] ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَعَلَتْ لَهُمْ فِيهَا نِعِيمٌ

(١) لشعة.

(٢) أي ياذن رسول الله ﷺ.



[٢٧] ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ منهم بالإسلام ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٢٨] ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ﴾ فذر؛ لحب باطنهم ﴿فَلَا يَفْرُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ أي: لا يدخلوا الحرم ﴿بَعْدَ عَابِهِمْ هَذَا﴾ غام يتبع من الهجرة ﴿وَلَنْ حَقَّقَهُ عَلَيْهِمْ فَقَرَاءُ﴾ بانقطاع تجارتهم عنكم ﴿فَسَوْفَ يُعْذِرُكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ وقد أغناهم بالفتح والحزبة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾.

[٢٩] ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ والا لأنوا بالنبي ﷺ ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ كالحمر ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ الثابت الناسخ لغيره من الأديان؛ وهو: دين الإسلام ﴿وَمِنْ بَيَانِ لِلَّذِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ الخراج المضروب عليهم كل عام ﴿عَنْ يَدٍ﴾ حال؛ أي: منقادين، أو بأيديهم لا يؤكلون بها ﴿وَهُمْ صَافِرُونَ﴾ أذلاء منقادون لحكم الإسلام.

[٣٠] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ﴾ عيسى ﴿أَبْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ لا مستند لهم عليه بل ﴿يَضَعُونَ﴾ يشابهون به ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ من آبائهم تقليداً لهم ﴿فَتَنَلَّهُمْ﴾ لنعمهم ﴿اللَّهُ أَفْ﴾ كيف ﴿يُؤَفِّكُونَ﴾ يصرفون عن الحق مع قيام الدليل.

[٣١] ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ﴾ علماء اليهود ﴿وَرُهْبَنَهُمْ﴾ عُثَاذَ النصارى ﴿أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ حيث اتبعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله<sup>(١)</sup> ﴿وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا﴾ في التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوهُ﴾ أي: بأن يعبدوا ﴿إِلَّاهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ﴾ تنزيهاً له ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَتَابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ فَلَا يَفْرُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَابِهِمْ هَذَا وَلَنْ حَقَّقَهُ عَلَيْهِمْ فَقَرَاءُ بِانْقِطَاعِ تِجَارَتِهِمْ عَنْكُمْ فَسَوْفَ يُعْذِرُكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَافِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ لَا مُسْتَدَّ لَهُمْ عَلَيْهِ بَلْ يَضَعُونَ بِشَابَهُنَّ بِهِ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ مِنْ آبَائِهِمْ تَقْلِيدًا لَهُمْ فَتَنَلَّهُمْ لِنَعْمِهِمْ اللَّهُ أَفْ كَيْفَ يُؤَفِّكُونَ بِصَرْفِهِمْ عَنِ الْحَقِّ مَعَ قِيَامِ الدَّلِيلِ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَعُلَمَاءَهُمُ عِزَادَ النَّصَارَى أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ حَيْثُ اتَّبَعُوهُمْ فِي تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَتَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ<sup>(١)</sup> وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ إِلَّا لِيَعْبُدُوهُ أَيْ: بِأَنْ يَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ تَنْزِيهًا لَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

(١) أخرج الترمذي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال بعد أن قرأ هذه الآية: «أما إلههم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوله، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه». كتاب

تفسير القرآن (٤٨) - باب (١٠) سورة براءة. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٧١).

[٣٣] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ﴾ يُظَاهِرُهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك.

[٣٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَاْكُفُّونَ﴾ يأخذون ﴿أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبُطْلِ﴾ كالرشا في الحكم ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَالَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَكْذِبُونَ﴾ الذهب وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقِدُونَهَا﴾ أي: الكنوز ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لا يؤدون منها حق من الزكاة والخير ﴿فَيُبَشِّرُهُمْ﴾ أخبرهم ﴿بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

[٣٥] ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ﴾ تحرق ﴿بِهَا جَاهَهُمْ وَجُودُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ وتوسع جلودهم حتى توضع عليها كلها، ويقال لهم: ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ﴾ (٣٥) أي: جزاءه.

[٣٦] ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾ المعتد بها للسنة ﴿عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ في كتاب الله: اللوح المحفوظ ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَنَبَأَ﴾ أي: الشهور ﴿أَرْبَعَةَ حُرُمٍ﴾ مُحَرَّمَةٍ؛ ذو القعدة، وذو الحجة، وأحرم، وَرَجَبٌ ﴿ذَلِكَ﴾ أي: تحريمها ﴿الَّذِينَ الْقَيْمُ﴾ المستقيم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيمَنْ﴾ أي: الأشهر الحرم ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بالمعاصي، فإنها فيها أعظم وزرا، وقيل: في الأشهر كلها ﴿وَقَتَلُوا الْمُشْرِكِينَ كَلْفَةً﴾ جميعا في كل الشهور ﴿كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَلْفَةً﴾ وأعلموا أن الله مع الْمُتَّقِينَ ﴿بِالنَّصْرِ﴾ (١).

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَنَّىٰ أَن تُبْعَثَ لَهُمْ رُسُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ أَلْفُ عَشْرَ سَنَةٍ مِّنْ غَيْرِ الْحِسَابِ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْهُدَىٰ وَوَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَاْكُفُّونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبُطْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقِدُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَبِئْسَ لَهَا مِثْقَالُ ذَرَّةٍ يَوْمَ تَحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ ﴿٣٨﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ الَّذِينَ الْقَيْمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَتَلُوا الْمُشْرِكِينَ كَلْفَةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَلْفَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٩﴾

[٣٢] ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ شَوْعُهُ وَبَرَاهِينُهُ ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بأفواههم فيه ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَنَّىٰ﴾ يظهر ﴿نُورُهُمْ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ذلك.

(٥) فائدة: 'خرج مسلم عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى». فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أن ذلك تاما. قال: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحا، فوفي كل من في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيقي من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم». مسلم. كتاب الفتن وأشرط الساعة (٥٢) باب (١٧) لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا احلصة.

(٥٥) فائدة: أخرج الترمذي عن ثوبان لما نزلت ﴿وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ قال: كما مع النبي ﷺ في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه: أنزل في الذهب والفضة ما أنزل لو علمنا أي المال خير فتخذه؟ فقال: «أفضله: لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه». الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٠) سورة براءة. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٤٧٠).

(٥٥) فائدة: أخرج البخاري عن خالد بن أسلم قال: خرجنا مع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فقال أعرابي: أخبرني عن قول الله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقِدُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؟ قال ابن عمر رضي الله عنهما: من كنز فم يؤد زكاتها فويل له، إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله لظهور الأموال. البخاري. كتاب الزكاة (٢٤) باب (٤) ما أدى زكاته فليس بكفر.

(١) في الآية إثبات معية الله ﷻ الخاصة للمؤمنين، ومعية الله تعالى مع عبده نوحا، معية عامة، ومعية خاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين، وحقيقة المعية الصحية اللافقة، وقد أخبر سبحانه أنه مع خلقه، مع كونه مستويا على عرشه، وقرن بين الأمرين كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِيهِ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمِمَّا يَحِيطُ بِهَا وَمَا يَشْعُرُ مِنْ شَيْءٍ وَمَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِ ثَمَرٌ مِّنْ شَيْءٍ مَّا ذُكِّرَ وَلَوْ أَنَّهُ يَرَىٰ ذِكْرًا مِّنْ عِندِ رَبِّكَ يُخَبِّرُكَ بِذَلِكَ فَهُوَ يَخْبِرُ﴾ [الحديد: ٤] فأخبر أنه استوى على عرشه، وأنه مع خلقه يصير أعمالهم من فوق عرشه، فعلمه لا ياقض معيته، ومعيته لا تبطل عنه.

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُخَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُطَاطَأُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَزَمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلِئْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَنْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٢٨﴾ أَلَا تَنْفِرُوا بَعَثَ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ أَلَا تَضُرُّهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٠﴾

[٢٧] ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ أي: التأخير لحزمة شهر إلى آخر؛ كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير مخزومة الحوم إذا هلّ وهم في القتال إلى صفر ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ لكفرهم بحكم الله فيه ﴿يُضَلُّ﴾ بضم الياء وفتحها <sup>(١)</sup> ﴿يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ﴾ أي: النسية عَامًا وَيُخَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُطَاطَأُوا يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بذلك ﴿عِدَّةَ﴾ عدد ﴿مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ من الأشهر؛ فلا يزيدوا على تحريم أربعة ولا ينقصوا، ولا ينظروا إلى أعيانها ﴿فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ فظنوه حسنا ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٢٨] ﴿لَا دَعَا النَّبِيَّ ﷺ النَّاسَ إِلَى غُرُوبِ تَبُوكَ﴾ وكانوا في عسرة وشدة حَزَمُوا، فشق عليهم: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلِئْتُمْ﴾ <sup>(٢)</sup> يادغام التاء في الأصل في التلئة واجتلاب همزة الوصل؛ أي: تباطأتم وملتزم عن الجهاد ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ والقعود فيها؟ والاستفهام للتوبيخ ﴿أَنْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولذاتها ﴿مِنَ الْآخِرَةِ﴾ أي: بدل نعيمها ﴿فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي﴾ جنب متاع ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ حقير.

[٢٩] ﴿إِلَّا﴾ يادغام «لا» في نون «إن» الشرطية في الموضعين <sup>(٣)</sup> ﴿تَنْفِرُوا﴾ تخرجوا مع النبي ﷺ للجهاد ﴿يَعِزُّبَكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً ﴿وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يأت بهم بدلكم ﴿وَلَا تَضُرُّهُ﴾ أي: الله، أو النبي ﷺ ﴿سَكِينَتًا﴾ بترك نصره؛ فإن الله ناصر دينه ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه نصر دينه وتأييده.

[٣٠] ﴿إِلَّا تَضُرُّهُ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ﴾ حين ﴿أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من مكة؛ أي: ألجؤوه إلى الخروج لما أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ﴾ حال؛ أي: أحد اثنين، والآخر أبو بكر - المعنى: نصره الله في مثل تلك الحالة؛ فلا يخذله في غيرها - ﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿إِذْ﴾ قبله ﴿هُمَا فِي الْغَارِ﴾ نقب في جبل ثور ﴿إِذْ﴾ بدل ثانٍ ﴿يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ أبي بكر - وقد قال له لما رأى أقدام المشركين: (لو نظر أحدكم تحت قدميه لأبصرنا) <sup>(٤)</sup> : ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ بنصره ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ طمأنينته ﴿عَلَيْهِ﴾ قيل: على النبي ﷺ. وقيل: على أبي بكر، ﴿وَأَيَّدَهُ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿وَجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾

ملائكة في الغار، ومواطن قتاله ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: دعوة الشرك ﴿السُّفْلَى﴾ المقلوبة ﴿وَكَلِمَةَ اللَّهِ﴾ أي: كلمة الشهادة ﴿هُوَ الْعُلْيَا﴾ الظاهرة الغالبة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعته.

(١) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) أخرج نحوه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد. [الدر المنثور (٤٢٧/٣)]، وهو مرسل صحيح الإسناد كما قال صاحب الاستيعاب (٢٧٧/٢).

(٣) أي: هذا، وقوله: ﴿إِلَّا تَضُرُّهُ﴾.

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).



[٤٨] ﴿لَقَدْ أَسْعَوْا لَكُمْ﴾ لك ﴿الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ﴾ أول ما قَدِمَتْ المدينة ﴿وَسَاءُوا لَكُمُ الْأُمُورُ﴾ أي: أُجْلُوا الْفِكَرَ فِي كَيْدِكَ وَإِبْطَالِ دِينِكَ ﴿حَقٌّ جَكَةَ الْحَقِّ﴾ البصر ﴿وَوَلَّهَكَ عَزًّا﴾ أَمَرَ اللَّهُ دِينَهُ ﴿وَهُمْ كَذِبُونَ﴾ له؛ فدخلوا فيه ظاهراً.

[٤٩] ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْأَلُ أُنْذَنَ لِي﴾ في التخلف ﴿وَلَا تَقْتَتِي﴾ وهو الْجَدُّ بن قيس، قال له النبي ﷺ: «هَلْ لَكَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ؟» فقال: إني مغرم بالنساء، وأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن؛ فأفتن<sup>(١)</sup>. قال - تعالى -: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ بالتخفيف، وقرئ: «سَقَطَ»<sup>(٢)</sup> ﴿وَرَأَتْ جَهَنَّمَ لَمُجِيطَةً يَأْكُلُ الْكُفْرَ﴾ لا محيص لهم عنها.

[٥٠] ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ﴾ كسر وغيبة ﴿كُتِبَتْ لَهُمْ﴾ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ شِدَّةٌ يَقُولُوا قَدْ أُنْذِنَا أَمْرًا بِالْحَرَمِ حِينَ تَخْشَوْنَ مِنْ قَبْلُ قَبْلَ هَذِهِ الْمَصِيبَةِ وَيَسْأَلُونَ وَهُمْ فِرْحُونَ بما أصابك. [٥١] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا إصابته ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ ناصرنا، ومتولي أمورنا ﴿وَعَلَّ اللَّهُ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٢] ﴿قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين من الأصل؛ أي: تَرْضَوْنَ أَنْ يَفْعَ إِلَّا إِحْدَى الْعَاقِبَتَيْنِ ﴿الْحُسْنَيْنِ﴾ تثنية «حسنى» تأنيث «أحسن»: النصر أو الشهادة ﴿وَعَنْ تَرْضَى﴾ ننتظر ﴿يَكُمُ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِندِهِ﴾ بقارعة من السماء ﴿أَوْ يَأْخُذَ بِنَا﴾ بَأَنْ يُؤْذَنَ لَنَا فِي قِتَالِكُمْ ﴿فَتَرْضَوْا﴾ بنا ذلك ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرْضِصُونَ﴾ عاقبتكم.

[٥٣] ﴿فَلَنْ أُنْفِقُوا﴾ في طاعة الله ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ﴾ ما أنفقتموه ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ والأمر هنا بمعنى الخير.

[٥٤] ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقُولُوا﴾ بالياء والتاء<sup>(٣)</sup> ﴿يَنْتَفَعْنَاهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ فَاعِلٌ، وَأَنْ يُقْبَلَ﴾ مفعول ﴿كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى متفلقون ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَذِبُونَ﴾ النفقة؛ لأنهم يعدونها مفرماً.

لَقَدْ أَسْعَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَالُوا لَكَ الْأُمُورَ حَقٌّ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أُنْذِنَ لِي وَلَا تَقْتَتِي إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمُجِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ وَإِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَسْأَلُونَ وَهُمْ فِرْحُونَ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ قُلْ هَلْ تَرْضَوْنَ بِنَا إِلَّا أَحَدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَمَنْ نَرْتَضِ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِندِهِ أَوْ يَأْخُذَ بِنَا فَرْتَضُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرْضِصُونَ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقُولُوا يَنْتَفَعْنَاهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ فَاعِلٌ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَذِبُونَ

(١) أخرج نحوه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله، وكذا ابن المنذر والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة عن ابن عباس [الدر المنثور (٤٤٣/٣)]، واختلف في تحسينه وتضعيفه؛ فحسبه فريق بشواهدهم منهم صاحب الاستيعاب (٢٨١/٢ - ٢٨٣)، ومنهم من ضعفه كالهيشي وغيره كما في المجموع (٣٠/٧).

(٢) وهي قراءة شاذة.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي وخلف.

﴿أَوْ مَخْلَافًا﴾ موضعاً يدخلونه ﴿لَوْلَا إِلَيْنَا يَوْمَهُمْ يَبْجَحُونَ﴾ يسرعون في دخوله والانصراف عنكم إسراراً لا يرده شيء؛ كالفرس الجموح.

[٥٨] ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلُورُكَ يَتِيبُكَ﴾ (٥٨) ﴿فِي﴾ قَسَمٍ ﴿الْصَّدَقَاتِ إِنَّا أَعْطَوْنَا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِن لَّمْ يَعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ﴾.

[٥٩] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ من الغنائم ونحوها ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ من غنيمته أخرى ما يكفيها ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ أن يغنيننا وجواب (لوه): لكان خيراً لهم.

[٦٠] ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلزَّكَاةِ مَصْرُوفَةٌ﴾ لِلْفُقَرَاءِ ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَكْفِيهِمْ﴾ يَجِدُونَ مَا يَقَعُ مَوْقِعًا مِنْ كِفَاتِهِمْ ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَكْفِيهِمْ ﴿وَالْمُعَلِّمِينَ عَلَيْهِمَا﴾ أَي: الصَّدَقَاتُ مِنْ جَابِ وَقَابِسٍ وَكَاتِبٍ وَخَاتِبٍ ﴿وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبِهِمْ﴾ لِيَسْلُمُوا أَوْ يَبْتَغِي إِسْلَامَهُمْ أَوْ يَسْلَمَ نَظَرًا لَهُمْ أَوْ يَذْبُوا عَنْ الْمُسْلِمِينَ أَقْسَامًا؛ الْأَوَّلُ وَالْأَخِيرُ لَا يُعْطِيَانِ الْيَوْمَ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - لِعِزِّ الْإِسْلَامِ، بِخِلَافِ الْآخَرِينَ يُعْطِيَانِ عَلَى الْأَصَحِّ ﴿وَفِي﴾ فَكٍّ ﴿الرِّقَابِ﴾ أَي: الْمَكَاتِبِ ﴿وَالْقَدِيرِينَ﴾ أَهْلُ الدُّنْيَا إِنْ اسْتَدَانُوا لغير معصية، أَوْ تَابُوا وَلَيْسَ لَهُمْ وَفَاءٌ، أَوْ لِإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ وَلَوْ أَغْنَاءُ ﴿وَفِي﴾ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿أَي: الْقَائِمِينَ بِالْجِهَادِ مِنْ لَا فِيهِ لَهُمْ وَلَوْ أَغْنَاءُ﴾ ﴿وَأَيُّ السَّبِيلِ﴾ الْمُنْقَطِعُ فِي سَفَرِهِ ﴿فَرِيضَةً﴾ نَصَبُ يَفْعِلُهُ الْمَقْدَرُ ﴿وَيُنِ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بِخَلْقِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي صَنْعِهِ؛ فَلَا يَجُوزُ صَرْفُهَا لِغَيْرِ هَؤُلَاءِ، وَلَا يُنْعَى صَنْفٌ مِنْهُمْ (١) إِذَا وَجَدَ، فَيَقْسِمُهَا لِإِمَامٍ عَلَيْهِمْ عَلَى السَّوَاءِ، وَلَهُ تَفْضِيلُ بَعْضِ أَحَادِ الصَّنَفِ عَلَى بَعْضٍ، وَأَفَادَتِ «اللام» وَجُوبَ اسْتِغْرَاقِ أَفْرَادِهِ (٢)، لَكِنْ لَا يَجِبُ عَلَى صَاحِبِ الْمَالِ إِذَا قَسَمَ لِعَسْرِهِ، بَلْ يَكْفِي إِعْطَاءُ ثَلَاثَةٍ مِنْ كُلِّ صَنْفٍ، وَلَا يَكْفِي دُونَهَا. كَمَا أَفَادَتِ صِغَةُ الْجَمْعِ، وَبَيَّنَتِ الشُّعْنَةُ أَنَّ شَرْطَ الْمَعْطَى مِنْهَا الْإِسْلَامَ، وَأَنْ لَا يَكُونَ هَاشِمِيًّا وَلَا مَطْلِبِيًّا.

[٦١] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أَي: الْمَاقِفِينَ ﴿الَّذِينَ يُوَدُّونَ النَّبِيَّ﴾ بِغَيْبِهِ وَيُنْقِلُ حَدِيثَهُ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ - إِذَا نَهَا عَنْ ذَلِكَ؛ لئلا يبلغه -: ﴿هُوَ أَذُنٌ﴾ أَي: يَسْمَعُ كُلَّ قِيلٍ وَيَقْبَلُهُ، إِذَا حَلَفْنَا أَنَا لَمْ نَقُلْ صِدْقًا ﴿فَلَا﴾: هُوَ ﴿أَذُنٌ﴾ مُشْتَمِعٌ ﴿خَيْرَ أَلْسِنَةٍ﴾ لَا مُشْتَمِعٌ شَرٌّ ﴿يُؤَيِّنُ بِاللَّهِ وَيُؤَيِّنُ﴾ يَصْدُقُ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فِيمَا أَخْبَرُوهُ بِهِ لَا لِغَيْرِهِمْ، وَ«اللام» زائدة للفرق بين إيمان التسليم وغيره ﴿وَرَحْمَةً﴾ بِالرَّفْعِ عَطْفًا عَلَى ﴿أَذُنٌ﴾ وَالْجَرِّ (٣) عَطْفًا عَلَى ﴿خَيْرٍ﴾ ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُوَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

فَلَا تُعْجِبَكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ بِكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْزُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَحْذَرُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَعْرَظًا أَوْ مَدَحَلًا لَوْلَا إِلَيْنَا يَوْمَهُمْ يَبْجَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَلُورُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنِ أَعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِن لَّمْ يَعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُعَلِّمِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَامِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَيُّ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

[٥٥] ﴿فَلَا تُعْجِبَكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ أَي: لَا تَسْتَحْسِنُ نِقْمَتًا عَلَيْهِمْ؛ فَهِيَ: اسْتِدْرَاجٌ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ أَي: أَنْ يَعْذِبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِمَا يَلْقَوْنَ فِي جَمْعِهَا مِنَ الْمُشَقَّةِ، وَفِيهَا مِنَ الْمَصَائِبِ ﴿وَتَرْهَقَ﴾ تَخْرُجُ ﴿أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ فَيَعْذِبُهُمْ فِي الْآخِرَةِ أَشَدَّ الْعَذَابِ.

[٥٦] ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ أَي: مُؤْمِنُونَ ﴿وَمَا هُمْ بِكُمْ﴾ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْزُقُونَ يَخَافُونَ أَنْ تَفْعَلُوا بِهِمْ كَالْمَشْرِكِينَ؛ فَيَحْلِفُونَ نَقِيَّةً.

[٥٧] ﴿لَوْ يَحْذَرُونَ مَلْجَأًا﴾ يُلْجَأُونَ إِلَيْهِ ﴿أَوْ مَعْرَظًا﴾ سَرَادِيبُ

(٥) مَا جَاءَ فِي زُيْلِ الْآيَةِ (٥٨): أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ، جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذِي الْحَوِصَةِ الْمِصْبِيُّ فَقَالَ: أَعْدَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: «وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟» قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عَقَبَهُ. قَالَ: «دَعِهِ» فَإِنْ لَهُ أَصْحَابًا يَحْفَرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرِّمَّةِ، يَنْظُرُ فِي قُلْذِهِ فَلَا يُوْجِدُ فِيهِ شَيْءَ، ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى رِصَافِهِ فَلَا يُوْجِدُ فِيهِ شَيْءَ، ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى نَعْجِيهِ فَلَا يُوْجِدُ فِيهِ شَيْءَ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْتُ وَالِدَمُ. أَتَيْهِمْ: رَجُلٌ إِحْدَى يَدَيْهِ. أَوْ قَالَ: ثَلَاثِيَّةٌ - مِثْلُ ثَلَاثِي الْمَرْأَةِ. أَوْ قَالَ: مِثْلُ الرِّبْضَةِ تَدْرُدُ - يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فَرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيًّا قَتَلَهُ وَأَنَا مَعَهُ. جِيءَ بِالرَّجُلِ عَلَى النَّعْتِ الَّتِي نَعَتَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: فَتَرَلْتُ فِيهِ: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلُورُكَ يَتِيبُكَ﴾. الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ اسْتِثْبَاتِ لِمَرْتَدِينَ (٨٨) بَابُ (٧) مَنْ تَرَكَ قَاتِلَ الْخَوَارِجِ لِلتَّائِلِيفِ.

(١) ذَكَرَ الثَّوْرِيُّ عَنِ الشَّافِعِيِّ: أَنَّ الْكُفْرَ إِنْ جَازَ تَأْلِيْفُهُمْ فَإِنَّمَا يَعْطُونَ مِنْ سَهْمِ الْمَصَالِحِ مِنَ الْبَنِي وَنَحْوِهِ، وَلَا يَعْطُونَ مِنَ الزَّكَاةِ. وَقَالَ جَمْهُورُ الْخَفِيَّةِ بِنَسْخِ سَهْمِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ. وَعِنْدَ الْحَاطِلَةِ وَالْمَالِكِيَّةِ: أَنَّهُ بَاقٍ لَمْ يَنْسَخْ، وَهُوَ الصَّحِيحُ؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ بِالنَّسْخِ لَيْسَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ صَرِيحٌ. وَالْحَاجَةُ إِلَى تَأْلِيْفِ الْقُلُوبِ لَمْ تَنْقَطِعْ.

(٢) وَهَذَا مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ، وَعِنْدَ الْجَمْهُورِ لَا يُلْزَمُ تَعْيِينَ الْأَصْنَافِ؛ فَالْإِلَامُ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾، لِإِيَّانِ الْمَصْرُوفِ، لَا لِلِاسْتِحْقَاقِ، وَهَذَا هُوَ الْأَرْجَحُ، لَكِنْ قَانَ مَالِكٌ: الْأَمْرُ عِنْدَنَا فِي قِسْمِ الصَّدَقَاتِ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى وَجْهِ الْجَاهِدِ مِنَ الْوَالِي، فَأَيُّ الْأَصْنَافِ كَانَتِ الْحَاجَةُ فِيهِ وَالْعَدَدُ أَثَرُ ذَلِكَ الصَّنَفِ بِقَدَرِ مَا يَرَى الْوَالِي... وَهُوَ أَوَّلَى مَا يُوْخِذُ بِهِ فِي حَالِ جُودِ الْحَاكِمِ الشَّرْعِيِّ، وَإِلَّا فَأَلْقَرَبُ مَا نَقَلَ عَنِ النُّخَعِيِّ وَغَيْرِهِ: إِذَا كَانَ الْمَالُ كَثِيرًا فَنَفَرَتْ فِي الْأَصْنَافِ، وَإِذَا كَانَ قَلِيلًا فَاعْلَظَ صَنَفًا وَاحِدًا... مَعَ مَرَاعَاةِ الْأَشَدِّ حَاجَةً... وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٣) بِالْجَرِّ قِرَاءَةُ حِمَزة.

[٦٢] ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول أنهم ما أتوه ﴿لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ بالطاعة ﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ حقاً، وتوحيد الضمير؛ لتلازم الرضاهين، أو خبر «الله» أو «رسوله» محذوف.

[٦٣] ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ أي: الشأن ﴿مَنْ يُعَادِدُ﴾ يشاقق ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنْتَ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ جزء ﴿خَلِيداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾.

[٦٤] ﴿يَخَذَرُ﴾ يخاف ﴿الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق، وهم مع ذلك يستهزئون ﴿قُلْ أَسْتَهْزِئُكُمْ﴾ أمر تهديد ﴿إِنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ مَظْهَرًا مَا تَخَذَرُونَ﴾ لإخراجه من نفاقكم.

[٦٥] ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ عن استهزائهم بك والقرآن وهم سائرون معك إلى تبوك ﴿لِيَقُولُوا﴾ معتردين: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَكُنَّا نُلْعَبُ﴾ في الحديث؛ لنقطع به الطريق، ولم نقصد ذلك ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ ﴿أَيُّ اللَّهِ وَعَالِيهِ رَسُولُهُ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾.

[٦٦] ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ عنه ﴿فَدَكَّرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي: ظهر كفركم بعد إظهار الإيمان ﴿إِنْ يُعْطِ﴾ بالياء مبنياً للمفعول، والنون مبنياً للفاعل ﴿عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾ بإخلاصها وتوبتها؛ كمخشي بن حمير<sup>(١)</sup> ﴿تُعَذِّبُ﴾ بالناء والنون<sup>(٢)</sup> ﴿طَائِفَةً﴾<sup>(٣)</sup> يَأْتُهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ مصربين على النفاق والاستهزاء.

[٦٧] ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أي: منسابهون في الدين؛ كأبعض الشيء الواحد ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ الإيمان والطاعة ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ عن الإنفاق في الطاعة ﴿سُئِلَ اللَّهُ﴾ تركوا طاعته ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ تركهم من لطفه ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

[٦٨] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾

يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٣﴾ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ وَأَنَّهُ يُخَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِيداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ يَخَذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنَّ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ أَسْتَهْزِئُكُمْ إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَخَذَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولُوا إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَلَعَبُ قُلْ أَيُّ اللَّهِ وَعَالِيهِ رَسُولُهُ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٦﴾ لَا تَعْتَذِرُوا عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ تُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٧﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ سُئِلَ اللَّهُ فَتَسَبَّحَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٩﴾

هِيَ حَسْبُهُمْ جزاء وعقابا ﴿وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم، أنتم أيها المنافقون.

(١) في بعض النسخ: «جحش بن حمير».

(٢) بالبناء للمفعول في الفعلين قراءة السبعة عدا عاصم؛ ﴿إِنْ يُعْطِ﴾ عن طائفة منكم تُعَذِّبُ طائفةً، وقرأ عاصم بالنون والبناء للفاعل فيها.

(٣) بالرفع والنصب؛ ففيها فراءتان سبجتان: الأولى: ﴿إِنْ يُعْطِ﴾ عن طائفة منكم تُعَذِّبُ طائفةً بالرفع، والثانية: ﴿إِنْ نَعْفُ﴾ عن طائفة منكم تُعَذِّبُ طائفةً بالنصب. وراجع الحاشية السابقة.

وَأُولَٰئِكَ فَاسْتَغْنَوْا ﴿٧٠﴾ تَتَعَمَّوْا ﴿٧١﴾ بِخَلْقِهِمْ ﴿٧٢﴾ نَصَبِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا ﴿٧٣﴾ فَاسْتَغْنَوْا ﴿٧٤﴾  
أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ ﴿٧٥﴾ بِخَلْقِكُمْ ﴿٧٦﴾ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ ﴿٧٧﴾ وَخُضَّتُمْ  
فِي الْبَاطِلِ وَالطُّغْيَانِ فِي النَّبِيِّ ﷺ ﴿٧٨﴾ كَالَّذِي خَاصُّوا ﴿٧٩﴾ أَيُّ: كَخَوَاضِهِمْ  
﴿٨٠﴾ وَأُولَٰئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٨١﴾

[٧٠] ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَ  
قَوْمُ هُودٍ﴾ و﴿وَكُمُودٌ﴾ قوم صالح و﴿وَقَوْمٌ لِّمَرْيَمَ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ قوم  
شعيب و﴿وَالْمُؤْتَفِكِينَ﴾ قرى قوم لوط؛ أي: أهلها و﴿أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ  
يَأْتِيَنَّهُمْ﴾ بالمعجزات؛ فكذبوهم؛ فأهلكوا و﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾  
بأن يعذبهم بغير ذنب و﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب الذنب.

[٧١] ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ  
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء عن إنجاز  
وعده ووعدته و﴿حَكِيمٌ﴾ لا يضع شيئاً إلا في محله.

[٧٢] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ إقامة و﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ  
أَكْبَرُ﴾ أعظم من ذلك كله و﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَآكَثَرُ أَمْوَالًا  
وَأُولَٰئِكَ فَاسْتَغْنَوْا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَغْنَوْا بِخَلْقِهِمْ  
كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضَّتُمْ  
كَالَّذِي خَاصُّوا وَأُولَٰئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٧٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ  
نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَكُمُودٌ وَقَوْمُ  
إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ  
بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا  
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٧﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ  
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ  
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ وَأُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ  
﴿٧٦﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ  
وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٥﴾

[٦٩] ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَآكَثَرُ أَمْوَالًا

(هـ) فائدة: في قوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ مقول قوله في المنافقين: ﴿بَعْضُهُمْ رِئَاسَةٌ

فَالصَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ: دَعِيَ فِي جَانِبِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِأَنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الْأَلْحَمَةَ الْجَامِعَةَ بَيْنَهُمْ هِيَ وَلَايَةُ الْإِسْلَامِ؛ فَهَمَّ فِيهَا عَلَى السَّوَاءِ، لَيْسَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ مُقَلِّدًا لِلْآخَرِ وَلَا تَابِعًا لَهُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ؛ لَمَّا فِي مَعْنَى الْوَلَايَةِ مِنَ الْإِشْعَارِ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّنَاصُرِ بِخِلَافِ الْمُنَافِقِينَ، مَكَانَ بَعْضُهُمْ نَاشِئٌ مِنْ بَعْضٍ فِي مَذَاهِبِهِمْ...، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ (٢٦٢/١١).



[٧٣] ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ باللسان والحجة ﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتهاز والملكوت ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ المرجع هي.

[٧٤] ﴿يُخَلِّفُونَ﴾ أي: المنفقون ﴿يَاللَّهُ مَا قَالُوا﴾ ما بلغك عنهم من الشبث ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام ﴿وَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمَآئِةٌ يَنْتَوُونَ﴾ من الفتك بالنبي ليلة العقبة عند عودهم من تبوك - وهم بضعة عشر رجلاً - فضرِبَ عمار بن ياسر وجماعة الرُّوَاحِلِ لما عَشُرُوا فَرُؤُوا<sup>(١)</sup> ﴿وَمَا تَقْضُوا﴾ أَنْتَكُمُوهَا ﴿أَنْتَكُمُوهَا﴾ لَا أَنْ أَغْنِيَهُمُ اللَّهُ وَيَسْئَلُوا مِنْ فَضْلِي﴾ بالغنائم بعد شدة حاجتهم؛ المعنى: لم ينلهم منه إلا هذا، وليس مما ينقم<sup>(٢)</sup> ﴿فَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾ عن النفاق ويؤمنوا بك ﴿بِكَ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان ﴿يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ بالقتل ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ دِينٍ﴾ يحفظهم منه ﴿وَلَا يَصِيرُ﴾ ينعهم.

[٧٥] ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد ﴿وَلَنْكُونَنَّ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ وهو ثعلبة بن حاطب؛ سأل النبي ﷺ أَنْ يدعو له أَنْ يرزقه الله مَالاً، ويؤدي منه إلى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فدعا له؛ فوسع عليه؛ فانقطع عن الجمعة والجماعة؛ ومنع الزكاة<sup>(٣)</sup>؛ كما قال - تعالى -: [٧٦] ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ خَبِلُوا بِوَعْدِهِمْ﴾ عن طاعة الله ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

[٧٧] ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ أي: فصر عاقبتهم ﴿نِفَاقًا﴾ ثَابِتًا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ﴾ أي: الله؛ وهو: يوم القيامة ﴿بِمَا اسْتَفْلَحُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ فيه، فجاء بعد ذلك إلى النبي ﷺ بركاته، فقال: «إِنَّ اللَّهَ مُتَعَفِّفٌ أَنْ أَقْبَلَ مِنْكَ»؛ فجعل يحثو التراب على رأسه، ثم جاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها، ثم إلى عمر فلم يقبلها، ثم إلى عثمان فلم يقبلها، ومات في زمانه<sup>(٤)</sup>.

[٧٨] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ أي: المنافقون ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ مَا أَشْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ ﴿وَوَجَّهْنَهُمْ﴾ مَا تَاجَا بِهِ بَيْنَهُمْ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾ مَا غَابَ عَنِ الْعِيَانِ. ولما نزلت آية الصدقة جاء رجل فصدَّق بشيء كثير، فقال المنافقون: مُرَاءٍ. وجاء رجل فصدَّق بصاع، فقالوا: إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا. فنزل: [٧٩] ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَلْمِزُونَ﴾

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَا لَهُمْ بِهِمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٤﴾ يُخَلِّفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمَآئِةٌ يَنْتَوُونَ إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَكْخِرْ لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ دِينٍ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ خَبِلُوا بِوَعْدِهِمْ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مَعْرِضُونَ ﴿٧٧﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ ﴿٧٩﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨٠﴾

يعيبون<sup>(٥)</sup> ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾ المتسولين ﴿وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ طاقهم؛ فيأتون به ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ والخبر ﴿سَخَّرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ جازاهم على سخريتهم<sup>(٦)</sup> ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٧٩): أخرجه البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل، فجاء رجل فصدَّق بشيء كثير، فقالوا: مرأى، وجاء رجل فصدَّق بصاع، فقالوا: إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا. فنزلت: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ...﴾ الآية. البخاري - كتاب الزكاة (٢٤) باب (١٠) اتقوا النار ولو بشق تمرة.

(١) القصة أخرجه البيهقي في الدلائل عن عروة وعن حذيفة بن إيمان، وأخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الضحاك وليس في أي منها أن عمار بن ياسر ضرب وجوه الرُّوَاحِلِ وانظر: الدر المنثور (٤٦٤/٣ - ٤٦٦) وحسنه صاحب الاستيعاب بقوله: وهذا إسناد حسن؛ رجاله ثقات، إلا ابن إسحاق وهو صدوق حجة في «الغازي» الاستيعاب (٢٩١/٢).

(٢) أي يكره؛ فالاستثناء منقطع.

(٣) هذه القصة التي أشار إليها السيوطي وهي قصة متداولة على الألسن نقلها بعض المفسرين دون إنكار نسبتها إلى ثعلبة، وتعبها آخرون بالقد واستبعدوا نزولها في حق صحابي شهد معركة بدر، قال القرطبي: وثعلبة بدري، أنصاري، وعن شهد الله له ورسوله بالإيمان، فما روي عنه غير صحيح، والمراجع أنها نزلت في رجال من المنافقين كما قال الضحاك، والله أعلم.

(٤) أخرجه الحسن بن سفيان وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والعسكري في الأمثال والطبراني وابن منده والبارودي وأبو نعيم في معرفة الصحابة وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عسك عن أبي أمانة الباهلي كما في الدر المنثور (٤٦٧/٣). قال البيهقي في الشعب (٧٩/٤، ٨٠): «وفي إسناد هذا الحديث نظر، وهو مشهور فيما أهل التفسير، والله أعلم». وقال البيهقي في الجمع (٢٣٧/٧): «رواه الطبراني، وفيه علي بن يزيد الأنهاني، وهو متروك». ولزبد من البيان والتفصيل راجع كتاب «الشهاب الثاقب في الذب عن الصحابي ثعلب بن حاطب رضي الله عنه» للبهلي.

(٥) وهذا تأويل لهذه الصفة التي أثبتها الله ﷻ لنفسه، وهي فيما سبقت له مدح وكمال، ولكنها لا تطلق عليه - شُخَّانَةً - مجردة بدون ذكر متعلقها، كما لا يشق له اسم أو صفة منها؛ فلا يقال: سخر... ومذهب السلف الإيمان بها على الوجه اللائق به - شُخَّانَةً - من غير تأويل، ولا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تكيف.

بالسبعين المبالغة في كثرة الاستغفار. وفي البخاري حديث: «لَوْ عَلِمَ آتِي لَوْ زِدَتْ عَلَى الشَّيْعِينَ غَفْرًا لَزِدَتْ عَلَيْهَا»<sup>(٢)</sup>، وقيل: المراد العدد المخصوص. لحديثه أيضًا: «وَسَأَزِيدُ عَلَى الشَّيْعِينَ»<sup>(٣)</sup>، فَيَنْتَهِ لِهِمْ حَسَمُ الْمَغْفِرَةِ بآيَةٍ: «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ»<sup>(٤)</sup>، «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَةِ وَرَسُولِهِ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ».

[٨١] ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن تبوك ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي: بقعودهم ﴿خَلْفَ﴾ أي: بعد ﴿رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿لَا تَنْفِرُوا﴾ تخرجوا إلى الجهاد ﴿فِي الْحَرْبِ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ من تبوك؛ فالأولى أَنْ يُقَرِّبَهَا بترك التخلف ﴿لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ يعلمون ذلك ما تخلفوا.

[٨٢] ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ في الدنيا ﴿وَلْيَبْكُوا﴾ في الآخرة ﴿كثيرًا جزاءً﴾ بما كَانُوا يَكْرَهُونَ، خبر عن حالهم بصيغة الأمر.

[٨٣] ﴿فَإِنْ رَجَعْتَ﴾ رَدَّكَ ﴿اللَّهُ﴾ من تبوك ﴿إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾ من تخلف بالمدينة من المنافقين ﴿فَأَسْتَدْرِكُ الْخُرُوجَ﴾ معك إلى غزوة أخرى ﴿فَقُلْ لَهُمْ﴾: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَهَمَّ فَلْيَسْئُرُوا ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُوا الطَّلُوفِ مِنْهُمْ وَقَالُوا دَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَلْعِدِينَ

[٨٤] ﴿وَمَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ابْنِ أُتَيٍّ نَزَلَ﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ<sup>(٥)</sup> لدفن أُوْزَيْرَةَ<sup>(٦)</sup>، ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنَابُوا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾ كافرون.

[٨٥] ﴿وَلَا تُجِيبْ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

[٨٦] ﴿وَلَمَّا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾ أي: طائفة من القرآن ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّلُوفِ﴾ ذوو الغنى ﴿وَمِنْهُمْ﴾ وَقَالُوا دَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَلْعِدِينَ.

اسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨١﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرْبِ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨٢﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٣﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنَكَ لِلخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَانُوا وَهُمْ فَلْيَسْئُرُوا ﴿٨٥﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٦﴾ وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُوا الطَّلُوفِ مِنْهُمْ وَقَالُوا دَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَلْعِدِينَ ﴿٨٧﴾

[٨٠] ﴿اسْتَغْفِرَ﴾ يا محمد ﴿لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ تخيير له في الاستغفار وتزكوه، قال ﷺ: «إِنِّي خِيْتُ فَاخْزَوْهُ»؛ يعني: الاستغفار. [رواه البخاري]<sup>(١)</sup> ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ قيل: المراد

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٨٤): أخرجه البخاري عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: لما توفي عبدالله بن أبي جاه ابنه عبدالله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه. ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه. فقام عمر فأخذ ثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا خِيَرْتِي اللَّهُ فَقَالَ: «اسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً» وَسَأَزِيدُ عَلَى السَّبْعِينَ» قَالَ: إِنَّهُ مَنَاقِف. قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَنزَلَ اللَّهُ: «وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة براءة (٩) باب (١٢).

(١) البخاري (١٣٦٦) عن عمر بن الخطاب مرفوعًا.

(٢) البخاري (١٣٦٦) ..

(٣) البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٢٤٠٠) عن ابن عمر مرفوعًا.

(٤) المناقب: ٦.

(٥) البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٢٤٠٠) عن عبد الله بن عمر مرفوعًا.

[٨٧] ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ جمع «خالفه» أي: النساء اللاتي تخلفن في البيوت ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الحيز.

[٨٨] ﴿لَكِنَّكَ أَرْسِلْتَ رَسُولًا مَعَهُمْ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الفائزون.

[٨٩] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[٩٠] ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ بإدغام التاء في الأصل في النال؛ أي: المعتذرون؛ بمعنى: المعتذرين، وقرئ به<sup>(١)</sup> ﴿يَتَأْتُونَ الْأَعْرَابَ﴾ إلى النبي ﷺ ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في القعود لعذرهم؛ فأذن لهم ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في ادعاء الإيمان من منافقي الأعراب عن المجيء للاعتذار ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٩١] ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾ كالسيوخ ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ كالعقبي والزمنى ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ﴾ في الجهاد ﴿حَرْجٌ﴾ إنهم في التخلف عنه ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ في حال قعودهم؛ بعدم الإرجاف والتشيط والطاعة ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ بذلك ﴿وَيَنْ سَبِيلَ﴾ طريق بالمواخذه ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم في التوسعة في ذلك.

[٩٢] ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لَيَذْلَبُنَّهُمْ﴾ معك إلى الغزو؛ وهم: سبعة من الأنصار، وقيل: بنو مقرن ﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أُخْلِصُكُمْ عَلَيْهِ﴾<sup>(٢)</sup> حال ﴿تَوَلَّوْا﴾ جواب ﴿إِذَا﴾ أي: انصرفوا ﴿وَأَعْيَبْنَاهُمْ﴾ فَيُفْضِ تَسِيل ﴿وَيَنْ﴾ للبيان ﴿الذَّمْعَ حَزَنًا﴾ لأجل ﴿أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ في الجهاد.

[٩٣] ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ فِي التَّخَلُّفِ﴾ في التخلف ﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ تقدم مثله.

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنَّكَ أَرْسِلْتَ رَسُولًا مَعَهُمْ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَسَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لَيَذْلَبُنَّهُمْ وَلَا أَجِدُ مَا أُخْلِصُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَبْنَاهُمْ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ فَيُضْفَوا عَلَى السَّبِيلِ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٩٣﴾

(ه) فائدة: أخرج البخاري عن أبي موسى ﷺ قال: أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الخيلان لهم إذ هم معي في جيش العسرة - وهي غزوة تبوك - فقلت: يا نبي الله، إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم، فقال: «والله لا أحملكم على شيء»، ووافقته وهو غضبان ولا أشعر، ورجعت حزينا من منع النبي ﷺ ومن مخافة أن يكون النبي ﷺ وجد في نفسه علي. فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم الذي قال النبي ﷺ فلم ألبث إلا سبعة إذ سمعت بلالا ينادي: أي عبدالله بن قيس، فأجبتة. فقال: أجب رسول الله بدعوك. فلما أتته قال: «شذ هذين القرنين - لست أبرة اتباعهن حينئذ من سعد - فاطلق بهن إلى أصحابك...». البخاري - كتاب المغازي (٦٤) باب (٧٨) غزوة تبوك.

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَجَابِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ يُرْثِرُونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٦) سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ مِنْ تَبَوُّك، أَنَّهُمْ مَعْدُونُونَ فِي التَّخْلُفِ (لِتَعْرِضُوا عَنْهُمْ) بِتَوَكُّلِ الْمَغَانِبَةِ (فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ) قَدْ رُجِسَ، لُغْبٌ بَاطِنُهُمْ (وَمَا أَوْلَهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (٩٧) يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِيَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٩٨) الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْمَلُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٩٩) وَالْأَعْرَابُ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٠) وَالْأَعْرَابُ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ قُرْبًا عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَاتِ الرَّسُولِ أَلَّا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَفْوَراً رَحِيمٌ (١٠١)

[٩٤] ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ فِي التَّخْلُفِ ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ مِنَ الْعَزْوِ

﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ نَصَدَقَكُمْ ﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَجَابِكُمْ﴾ أَي: أَخْبَرْنَا بِأَحْوَالِكُمْ ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرُدُّونَ﴾ بِالْبُعْثِ ﴿إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أَي: اللَّهُ ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٩٦) فَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهِ.

[٩٥] ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ﴾ رَجَعْتُمْ ﴿إِلَيْهِمْ﴾ مِنْ تَبَوُّك، أَنَّهُمْ مَعْدُونُونَ فِي التَّخْلُفِ (لِتَعْرِضُوا عَنْهُمْ) بِتَوَكُّلِ الْمَغَانِبَةِ (فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ) قَدْ رُجِسَ، لُغْبٌ بَاطِنُهُمْ (وَمَا أَوْلَهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ).

[٩٦] ﴿يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِيَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أَي: عَنْهُمْ، وَلَا يَنْفَعُ رِضَاكُمْ مَعَ سُخْطِ اللَّهِ.

[٩٧] ﴿الْأَعْرَابُ﴾ أَهْلُ الْبَدْوِ ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ مِنْ أَهْلِ الْمَدَنِ؛ لِجَهْلِهِمْ وَغِلَظِ طَبَاعِهِمْ وَتَغْيِيرِهِمْ عَنْ سَمَاعِ الْقُرْآنِ ﴿وَأَجْدَرُ﴾ أَوْلَى ﴿أَنْ﴾ أَي: بَانَ ﴿أَلَّا يَعْمَلُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِخَلْقِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي صَنْعِهِ بِهِمْ.

[٩٨] ﴿وَالْأَعْرَابُ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ﴾ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿مَغْرَمًا﴾ غَرَامَةً وَخُسْرَانًا، لِأَنَّهُ لَا يَرْجُو ثَوَابَهُ، بَلْ يَنْفِقُهُ خَوْفًا وَهَمًّا: بَنُو أَسَدٍ وَغُطْفَانٍ ﴿وَيَتَرَبَّصُّ﴾ يَنْتَظِرُ ﴿بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ دَوَائِرُ الزَّمَانِ أَنْ تَنْقَلِبَ عَلَيْكُمْ؛ فَيَنْخَلِصَ، ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ (١)؛ أَي: يَدُورُ الْعَذَابُ وَالْهَلَاكُ عَلَيْهِمْ لَا عَلَيْكُمْ ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِأَقْوَالِ عِبَادِهِ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِأَعْمَالِهِمْ.

[٩٩] ﴿وَالَّذِينَ الْأَعْرَابُ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ كَجَهَنَّةٍ وَمَرْبَةٍ ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ﴾ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿قُرْبًا﴾ تَقَرُّبًا ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَ﴾ وَسَبِيلًا إِلَى ﴿صَلَاتِ﴾ دَعَوَاتِ الرَّسُولِ ﴿لَهُ﴾ أَلَّا إِنَّهَا ﴿يُنْفِقُ﴾ نَفَقَتُهُمْ ﴿قُرْبَةٌ﴾ بِضَمِّ الرَّاءِ وَسُكُونِهَا (٢) ﴿لَهُمْ﴾ عِنْدَهُ ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ جَنَّتِهِ (٣) ﴿إِنْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَفْوَراً﴾ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ ﴿رَحِيمٌ﴾ بِهِمْ.

(٩٥) فائدة: أخرج البخاري عن كعب بن مالك: ... وكنا أيها الثلاثة الذين خلفوا عن الأمر الذي قيل من هؤلاء الذين اعتذروا وحين أنزل الله لنا التوبة، فلما ذكر الذين كذبوا رسول الله ﷺ من المخلفين فاعترضوا بالباطل ذكروا بشراً ما ذكر به أحد؛ قال الله سبحانه: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَجَابِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ...﴾ الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة براءة (٩) باب (١٨) ﴿وَكُلُّ الْفَكَّةَةِ الْأَيْتِ خُتُّوا...﴾.

(١) بالضم قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بالضم قراءة ورش.

(٣) وهذا تفسير باللازم، فإزاء من المنفسر من إثبات الصفة كما هو منهج الأشاعرة، وسبق التنبيه على أن منهج أهل السنة إثبات الصفات على الوجه اللائق به - مُبْجَاهَةً - من غير تكييف ولا تقييد ولا تأويل ولا تعطيل.

[١٠٠] ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأُولَئِكَ هُمُ الْمُفَوَّقُونَ﴾ وهم من شهد بدراً، أو جميع الصحابة ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ﴾ إلى يوم القيامة ﴿يُخَسِّنُ﴾ في العمل ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته <sup>(١)</sup> ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بشوابه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وفي قراءة: زيادة «من» <sup>(٢)</sup> ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٠١] ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمُ يَأْتِي الدِّينَةَ﴾ من الأعراب مُنْفِقُونَ ﴿كَاسِلُمُ الْأَشْجَعِ وَغَفَارٍ﴾ ومن أهل المدينة ﴿مُتَّفِقُونَ عَلَى الْإِنْفَاقِ﴾ لجأ فيه واشتدوا ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿تَحْنُ تَعْلَمُهُمْ سَعْدُهُمْ مَرْدُونَ﴾ بالفضيحة، أو القتل في الدنيا، وعذاب القبر ﴿فَمَنْ يَرُدُّوهُمْ﴾ في الآخرة ﴿إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ هو النار.

[١٠٢] ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمُ يَأْتِي الدِّينَةَ﴾ مبتدأ ﴿أَعْرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ من التخلف، نعت، والخبر: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾ وهو جهادهم قبل ذلك، أو اعترافهم بذنوبهم أو غير ذلك ﴿وَأَعْرَضُوا عَنْهَا﴾ وهو: تخلفهم ﴿عَنِ اللَّهِ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿نزلت في أبي لبابة وجماعة أوثقوا أنفسهم في سوري المسجد - لما بلغهم ما نزل في المتخلفين - وحلفوا لا يحلهم إلا النبي ﷺ؛ فحلَّهم لما نزلت <sup>(٣)</sup>﴾.

[١٠٣] ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ من ذنوبهم؛ فَأَخَذَ ثَلَاثَ أَمْوَالِهِمْ وَتَصَدَّقَ بِهَا ﴿وَصَلَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ادْعُ لَهُمْ ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ رَحْمَةٌ﴾ قِيلَ: «طمأنينة بقبول توبتهم» ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[١٠٤] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ بِالْصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ﴾ على عبادِهِ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُمُ ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم؟! والاستفهام للتقرير، والقصد به هو تهييجهم إلى التوبة والصدقة.

[١٠٥] ﴿وَقِيلَ لَهُمْ، أَوِ لَنْتُمْ﴾ ما شئتم ﴿فَسَبَّحُوا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرُسُلَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ وَسَرُدُونَ﴾ بالبعث ﴿إِلَى عِلِّيِّ الْعَالَمِينَ وَالشَّاهِدِينَ﴾ أي: الله ﴿فَيُفَيْدُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ <sup>(٤)</sup> فيجازيكم به.

[١٠٦] ﴿وَالْآخِرُونَ﴾ من المتخلفين ﴿[مُؤْجُونَ]﴾ بالهمز وتركه <sup>(٥)</sup>: مؤخرون عن التوبة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فيهم بما يشاء ﴿إِنَّمَا يَعِدُّهُمْ﴾ بأن يمينهم بلا

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأُولَئِكَ هُمُ الْمُفَوَّقُونَ أَتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْإِنْفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ وَآخِرُونَ آخِرُونَ أَتَعْرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرُ سَيِّئَاتٍ عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرُدُونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالَمِينَ وَالشَّاهِدِينَ فَيُفَيْدُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَآخِرُونَ مَرَجُونَ لِمَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَإِنَّمَا يَعْذِبُهُمْ مَا يَأْتِيهِمْ عَلَيْهِمُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

توبة ﴿وَمَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلفيهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم؛ وهم الثلاثة الآتون بعد: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ، تخلفوا كسلاً وميلاً إلى الدَّعَاةِ لا نفاقاً، ولم يعتدروا إلى النبي ﷺ كغيرهم، فوقف أمرهم خمسين ليلة وهَجَرَهُمُ النَّاسُ حتى نزلت توبتهم بعد.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: إذا أعجبك حسن عمل امرئ فقل: ﴿اَتَمَلَّوْا فَسَبِّحُوا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرُسُلَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ ولا يستخفلك أحد. البخاري - كتاب التوحيد (٩٧) باب (٤٦)...

قال الخافظ في الفتح (٥١٤/١٣): وقال ابن التين عن الداودي: معناه: لا تغتر بمدح أحد وحاسب نفسك. والصواب ما قاله غيره: أن المعنى: لا تغرَّك أحد بعمله فظن به الخير إلا إن رأيته واقعاً عند حدود الشريعة.

(١) حرى المصنف على طريقته في تأويل الصفات ببعض لوازمها، ومذهب السلف إثبات الصفات لله ﷻ التي أثبتها لنفسه على الوجه اللائق به - شيخنا - ومنها صفة الرضا، ومن لازمها التوفيق للطاعات وقبولها والإثابة عليها.

(٢) لا بأس كثير.

(٣) وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس [الدر المنثور (٤٨٧/٣)] وكذا ابن المنذر والبيهقي في الدلائل وليس فيها التصريح بأن ذلك بسبب ما نزل في المتخلفين. وحسنه صاحب الاستيعاب بشواهد. (الاستيعاب ٣/٣٢٥).

(٤) بالهمز قراءة ابن كثير وشعبة وأبي عمرو وابن عامر.

والحر، والنواسة على المسلمين ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في ذلك، وكانوا سألو النبي ﷺ أن يصلي فيه؛ فنزل: [١٠٨] ﴿لَا تَقُمْ﴾ تصل ﴿وفيهِ أَبَدًا﴾ فأرسل جماعة هدموه وحرقوه وجعلوا مكانه كناسة ثَلَّثِي فيها الجُفُفُ ﴿لَتَسْجِدَ أُنَاسٌ﴾ بُيِّنَتْ قِوَاعُهُ ﴿عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ وضع يوم خَلَلَتْ بِذَرِّ الهَجْرَةِ، وهو: مسجد قباء؛ كما في البخاري (١) ﴿أَحَقُّ﴾ منه ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿تَقُومَ﴾ تصلي ﴿وفيهِ فِيهِ رِجَالٌ﴾ هم الأنصار ﴿يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ أي يَتَّيِبُهُم، فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء، روى ابن خزيمة في (صحيحه) عن عويمر ابن ساعدة: أنه ﷺ أتاهم في مسجد قباء، فقال: «إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ أَحْسَنَ عَلَيْكُمْ الشَّاءَ فِي الطُّهُورِ فِي قِصَّةِ مَسْجِدِكُمْ، فَمَا هَذَا الطُّهُورُ الَّذِي تَطْهَرُونَ بِهِ؟»، قالوا: والله يا رسول الله، ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود، وكانوا يغسلون أديبارهم من الغائط؛ فغسلنا كما غسلوا<sup>(٢)</sup>. وفي حديث رواه البزار: فقالوا: تنبع الحجارة بالماء<sup>(٣)</sup>. فقال: «هُوَ ذَاكَ، فَعَلَيْكُمْوه»<sup>(٤)</sup>.

[١٠٩] ﴿أَمَنْ أَسْسَ بُيُوتَكُمْ عَلَى تَقْوَى﴾ مخافة ﴿رَبِّكَ وَاللَّهُ وَ﴾ رجاء ﴿وَرُضُونِ﴾ منه ﴿حَتَّى أَمْ مَنْ أَسْسَ بُيُوتَكُمْ عَلَى شُكَا﴾ طرف ﴿جُرْئِي﴾ بضم الراء وسكونها<sup>(٥)</sup>؛ جانب ﴿هَارِ﴾ مشرف على السقوط ﴿فَأَنهَارٍ يَدِ﴾ سقط مع ثانيه ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ خير<sup>(٦)</sup>، تمثيل للثبات على ضِدِّ التَّقْوَى بما يؤول إليه، والاستفهام للتقرير؛ أي: الأول خير؛ وهو مثال: مسجد قباء، والثاني مثال: مسجد الضرار ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

[١١٠] ﴿لَا يَزَالُ يُبَيِّنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِبَّيْكَ﴾ شَكَا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ لَا أَنْ تَقْطَعَ تنفصل ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ بأن يموتوا ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم.

[١١١] ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ بأن يبذلوها في طاعته؛ كالجهاد ﴿وَأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فَيَقْبَلُونَ وَيُسَلِّتُونَ جملة استئناف بيان للشراء، وفي قراءة: بتقديم النبي للمفعول<sup>(٧)</sup>؛ أي: فَيُقْبَلُ بعضهم وَيُقَاتِلُ الباقي ﴿وَسَدَّ عَنْهُمُ الْخُفَا﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف ﴿فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى يَعْتَدِهِ رَبُّكَ﴾ أي: لا أحد أوفى منه ﴿فَأَسْتَبْشِرُوا﴾ فيه النفات عن الغيبة ﴿بِشَيْءٍ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ وَذَلِكَ البيع ﴿هُوَ الْفَقْرُ الْعَظِيمُ﴾ التَّيْلُ غَايَةُ الْمَطْلُوبِ.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْوَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٩﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا الْمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١١٠﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنهَارُ يَهِيهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١١﴾ لَا يَزَالُ يُبَيِّنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِبَّيْكَ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقْطَعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿١١٢﴾ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْبَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى يَعْتَدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِشَيْءٍ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَقْرُ الْعَظِيمُ ﴿١١٣﴾

[١٠٧] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ﴿وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ﴾ ضِرَارًا مضارة لأهل مسجد قباء ﴿وَكُفْرًا﴾ لأنهم بَنَوْهُ بأمر أبي عامر الراهب؛ ليكون معقلًا له يقدم فيه من يأتي من عنده، وكان ذهب ليأتي بجند من قيصر لقتال النبي ﷺ ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين يصلون بقاء؛ بصلابة بعضهم في مسجدِهِمْ ﴿وَإِرْصَادًا﴾ ترفقًا ﴿لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل بنائه؛ وهو: أبو عامر المذكور ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَا﴾ بينائه ﴿إِلَّا﴾ الفعللة ﴿الْحُسْوَ﴾ من الرفق بالمسكين في المطر

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠٨): أخرج أبو داود عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: نزلت هذه الآية في أهل قباء ﴿وفيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ قال: كانوا يستنجون بالماء، فنزلت فهم هذه الآية.

أبو داود - كتاب الطهارة (١) باب (٢٣) في الاستنجاء بالماء. (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٣٤).

وأخرج ابن ماجه عن أبي أيوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك: أن هذه الآية نزلت ﴿وفيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الأنصار، إن الله قد أثنى عليكم في الطهور، فما طهروكم؟» قالوا: نوضاً للصلاة، ونغسل من الجنابة، ونستنجي بالماء.

قال: «هو ذاك فعليكموه». ابن ماجه - كتاب الطهارة (١) باب (٢٨) الاستنجاء بالماء. (صحيح) صحيح سنن ابن ماجه (٢٨٥).

(١) البخاري (٣٩٠٦) من حديث عائشة.

(٢) وهذا تأويل لصفة الحق بأحد لوازمها وهو الإثبات، ومذهب السلف إثبات ما أثبتته الله ﷻ لنفسه ورسوله ﷺ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكيف ﴿لَيْسَ كَيْتَبُوه﴾ شَيْءٌ وَهُوَ الْبَيْعُ الْخَصِيرُ [الشورى: ١١].

(٣) أخرجه أحمد (١٤٩٣٨) وابن خزيمة والطبراني والحاكم وابن مردويه عن عويم بن ساعدة [الدر المنثور (٤٩٧/٣)]، وحسنه الألباني في الثمر المستطاب (٥٣٩/٢).

(٤) مختصر زوائد مسند البزار (١٥٠) والجمع بين الحجارة والماء كما قال النووي: باطل. ولا يصح الحديث بهذا اللفظ. وانظر: الضعيفة حديث رقم (١٠٣١).

(٥) بسكونها حمزة وشعبة وابن عامر.

(٦) قدره؛ إشارة إلى أن خير ﴿مَنْ﴾ الثانية محذوف.

(٧) حمزة والكسائي.

[١١٢] ﴿التَّائِبِينَ﴾ رفع على المدح بتقدير مبتدأ<sup>(١)</sup>؛ من الشرك والنفاق<sup>(٢)</sup> ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ المخلصون العبادة لله ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ له على كل حال ﴿السَّائِمُونَ﴾ الصائمون ﴿الْمُتَحَنِّنُونَ﴾ السَّاجِدُونَ ﴿أَي: المصلون﴾ ﴿الْأَمِيرُونَ﴾ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ لأحكامه بالعمل بها ﴿وَيُؤْتِرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالحنّة.

[١١٣] وَنَزَلَ فِي اسْتِغْفَارِهِ ﷺ لَعْنَهُ أَبِي طَالِبٍ، وَاسْتِغْفَارِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ لِأَبَوَيْهِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْكُفْرِ﴾.

[١١٤] ﴿وَمَا كَانَتْ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ بقوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾<sup>(٣)</sup> رجاء أن يسلم ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾ بموته على الكفر ﴿تَوَلَّى مِنْهُ﴾ وترك الاستغفار له ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَكْرَهُهُ﴾ كثير التضرع والدعاء ﴿حَلِيمٌ﴾ صبور على الأذى.

[١١٥] ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُضِلُّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ لِلْإِسْلَامِ﴾ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ من العمل؛ فلا يتقوه؛ فيستحقوا الإضلال ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه مستحق الإضلال والهداية.

[١١٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَمْلِكِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْحَى وَيُؤَيِّتُ وَمَا لَكُمْ أَيْهَا النَّاسُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ يحفظكم منه ﴿وَلَا نُصِيرُكُمْ عَنْ ضَرْبِهِ﴾.

[١١٧] ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ﴾ أي: آدم توبته ﴿عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ أي: وقفها؛ وهي: حالهم في غزوة تبوك، كان الرجلان يقتسمان تمرًا، والعشرة يعقبون البعير الواحد، واشتد الحر حتى شربوا القُرُوثَ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ تَرِيحُهُ﴾ بالباء والياء<sup>(٤)</sup>: تميل ﴿فَلَوْ بَقِيَ مِنْهُمْ﴾ عن اتباعه إلى التخلف؛ لما هم فيه من الشدة ﴿تَمَّتْ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ بالباء ﴿إِنَّهُمْ يَهْمُ رَدُّهُ وَهُمْ لَا يَصِيرُ﴾.

التَّائِبُونَ الْعَالِمُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِبُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْكُفْرِ ﴿١١٣﴾ كَانَتْ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَوَلَّى مِنْهُ وَتَرَكَ اسْتِغْفَارَ لَهُ ﴿١١٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَكْرَهُهُ كَثِيرٌ مُتَضَرِّعٌ وَالدَّعَاءُ ﴿حَلِيمٌ﴾ صَبُورٌ عَلَى الْأَذَى. ﴿١١٥﴾ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُضِلُّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ لِلْإِسْلَامِ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَمْلِكِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْحَى وَيُؤَيِّتُ وَمَا لَكُمْ أَيْهَا النَّاسُ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَهُ وَمُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُخَيِّمُ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٧﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٨﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١٣، ١١٤): أخرج البخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أمية. فقال النبي ﷺ: «أبي، قل: لا إله إلا الله، أحاج لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال النبي ﷺ: «لأستغفر لك ما لم أنه عنك». فنزلت: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْكُفْرِ﴾. وأخرجه الترمذي عن علي بن أبي طالب قال: سمعت رجلاً يستغفر لأبويه، وهما مشركان، فقلت له: تستغفر لأبويك وهما مشركان؟ فقال: أوليس استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك؟ فذكرت ذلك للنبي ﷺ فنزلت: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾.

لترمذي - تفسير القرآن (٤٨) باب (١٠) سورة براءة. (حسن) صحيح سنن الترمذي (٢٤٧٧).

ورواه النسائي - كتاب الجنايز (٢١) باب (١٠٢) النهي عن الاستغفار للمشركين - وفيه: فنزلت: ﴿وَمَا كَانَتْ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ﴾ الآية. ورواه أحمد - المسند (٩٩/١)، إني قوله: ﴿تَوَلَّى مِنْهُ﴾. فالظاهر أن الآيتين نزلتا جميعاً، وأن الاختصار من تصرف الرواة.

(١) أي: هم التائبون.

(٢) متعلق بـ ﴿التَّائِبِينَ﴾.

(٣) مريم: ٤٧.

(٤) بالباء قراءة السبعة عدا حمزة وحفص.





[١٢٣] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قِيلُوا لِلَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ: الْأَقْرَبُ فَالْأَقْرَبُ مِنْهُمْ﴾ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً شَدَّةً: أَي: أَغْلَظُوا عَلَيْهِمْ ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر.

[١٢٤] ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِّنَ الْقُرْآنِ فَجَاهِهِمْ﴾ أَي: الْمُنَافِقِينَ ﴿مَنْ يَقُولُ﴾ لِأَصْحَابِهِ اسْتَهْزَاءً: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ تصديقًا، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ لتصديقهم بها ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بفرحون بها.

[١٢٥] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ ضَعُفُ اعْتِقَادٍ ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ كَفَرُوا إِلَىٰ كُفْرِهِمْ؛ لَكُفْرِهِمْ بِهَا ﴿وَسَاءَلُوا وَهُمْ كُفْرًا﴾.

[١٢٦] ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ بِالْبَاءِ: أَي: الْمُنَافِقُونَ، وَالتَّاءِ: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿أَنَّهُمْ يَفْشَتُونَ﴾ يَنْتَلُونَ ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ بِالْفِطْحِ وَالْأَمْرَاضِ ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ مِنْ نِفَاقِهِمْ ﴿وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ يَتَذَكَّرُونَ.

[١٢٧] ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فِيهَا ذِكْرُهُمْ وَقَرَأَهَا النَّبِيُّ ﷺ ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يَرِيدُونَ الْهَرَبَ، يَقُولُونَ: ﴿هَذَا يَرْكَبُكُمْ مِّنْ أَحَدٍ﴾ إِذَا قَمَعْتُمْ؛ فَإِنْ لَمْ يَرْهَمْ أَحَدٌ قَامُوا، وَلَا تَبَتُّوا ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا﴾ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عَنِ الْهُدَىٰ ﴿يَأْتُهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الْحَقُّ؛ لَعَدَمِ تَدْبِيرِهِمْ.

[١٢٨] ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أَي: مِنْكُمْ؛ مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿عَزِيزٌ﴾ شَدِيدٌ ﴿عَلَيْهِ مَا عَشَيْتُمْ﴾ أَي: عَنَتُمْ؛ أَي: مَشَقَّتْكُمْ وَلِقَاؤُكُمْ الْمَكْرُوهَ ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أَنْ تَهْتَدُوا ﴿يَا مُؤْمِنِينَ رَوْفٌ﴾ شَدِيدُ الرَّحْمَةِ ﴿رَحِيمٌ﴾ يَرِيدُ لَهُمُ الْخَيْرَ.

[١٢٩] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عَنِ الْإِيمَانِ بِكَ ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ﴾ كَافِيَ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ بِهِ وَتَقَشَّ لَا بَغْيَهِ ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرْسِيِّ﴾ ﴿الْعَظِيمِ﴾ خَصَّهُ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ الْخُلُوقَاتِ، وَرَوَى الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، عَنْ أَنَسٍ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ.<sup>(١)</sup>

\*\*\*

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قِيلُوا لِلَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ  
وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ  
وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ  
هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ  
يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ  
رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَا تَوَّأَوْهُمْ كُفْرًا وَلَا  
يُرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْشَتُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ  
ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ وَإِذَا مَا  
أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَوْكُمْ  
مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ  
لَّا يَفْقَهُونَ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ  
عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ  
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ  
إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

سُورَةُ التَّوْبَةِ

(١) بالناء قراءة حمزة.

(٢) وهذا رأي الحسن البصري والصواب أن العرش غير الكرسي، فالكرسي موضع القدمين له - شَيْخَانَةٌ -، أما العرش فهو سرير الملك، وهو الذي عليه استوى الرحمن - جُلُ فِي غَلَاةٍ.

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٣٣٨/٢)، وأخرجه أحمد في المسند (١١٧/٥)، وقد ورد أن آخر آية نزلت هي: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾، وورد أيضًا أنها: ﴿وَأَلْفُوا يَوْمًا تُرْجِمُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، وقد جمع الحافظ ابن حجر بين هذه الآثار، ورجح - وغيره من العلماء - آخريه آية البقرة لما فيها من الإشارة إلى معنى الوفاة المستمرة لخاتمة النزول [الفتح (٥٣/٨)].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا ۚ أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ۝ إِنَّ رَبَّنَا لَأَعْلَمُ الْاِلٰهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ ثُمَّ اَسْوٰى عَلَى الْعَرْشِ ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ اِذْنِهِ ۚ ذٰلِكُمْ اَللّٰهُ رَبُّكُمْ فَاَعْبُدُوْهُ ۚ اَفَلَا تَذَكَّرُوْنَ ۝ اِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللّٰهُ حَقًّا اِنَّهُ يَبْدُوْا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ وَلِيَجْزِيَ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيْمٍ وَعَذَابٌ اَلِيْمٌ يَّمَا كَانُوْا يَكْفُرُوْنَ ۝ هُوَ الَّذِيْ جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوْا عَدَدَ السَّيِّنِ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اَللّٰهُ ذٰلِكَ اِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْاٰيٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ ۝ اِنْ فِيْ اٰخْتِلَافِ اَلْيَلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اَللّٰهُ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ لَآيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُوْنَ ۝

## سورة يونس

[مكية إلا: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ﴾ الآيتين، أو: الثلاث، أو: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ الآية. مائة وتسع، أو: وعشر آيات، نزلت بعد الإسراء]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك. ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿ءَايَاتُ﴾

الْكِتَابِ ﴿الْقُرْآن، والإضافة بمعنى «من»﴾ الْكَبِيرِ ﴿الحكيم.

[٢] ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ أي: أهل مكة، استفهام إنكار، والجار والمجرور حال من قوله: ﴿عَجَبًا﴾ بالنصب خبر «كان»، وبالرفع اسمها<sup>(١)</sup>، والخبر وهو اسمها على الأولى: ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾؛ أي: بإحساننا ﴿إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿أَنَّ﴾ مفسرة ﴿أَنْذِرُ﴾ خَوْفٌ ﴿النَّاسِ﴾ الكافرين بالعذاب ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ﴾ أي: بأن ﴿لَهُمْ قَدَمٌ﴾ سلف ﴿صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: أجراً حسناً بما قدموه من الأعمال ﴿نَالَ الْكَافِرُونَ﴾ يَكْ هَذَا ﴿الْقُرْآنَ﴾ المشتمل على ذلك ﴿لِسِحْرٍ﴾<sup>(٢)</sup> مُبِينٌ ﴿يَسَّرَ﴾ وفي قراءة: ﴿لِسِحْرٍ﴾، والمشار إليه النبي ﷺ.

[٣] ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَأَعْلَمُ الْاِلٰهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا، أي: في قمرها، لأنه لم يكن ثَمَّ شمس ولا قمر، ولو شاء لخلقهم في لحة، والعدول عنه لتعليم خلقه الثابت ﴿ثُمَّ اَسْوٰى عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواءه بليق به ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ بين الخلائق ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ﴾ يشفع لأحد ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ اِذْنِهِ﴾ ردّاً لقولهم: إن الأصنام تشفع لهم ﴿ذٰلِكُمْ﴾ الخالق المدبر ﴿اَللّٰهُ رَبُّكُمْ﴾ فاعبدوه ﴿وَعُدُّهُ﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُوْنَ ﴿يادعاهم التاء في الأصل في الدال<sup>(٣)</sup>﴾.

[٤] ﴿اِلَيْهِ﴾ تعالى ﴿مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللّٰهُ حَقًّا﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المقدر ﴿إِلَيْهِ﴾ بالكسر استئنافاً، والفتح<sup>(٤)</sup> على تقدير الهم ﴿يَبْدُوْا الْخَلْقَ﴾ أي: بدأه بالإنشاء ﴿ثُمَّ يُعِيْدُهُ﴾ بالبعث ﴿لِيَجْزِيَ﴾ يثيب ﴿الَّذِيْنَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيْمٍ﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وَعَذَابٌ اَلِيْمٌ﴾ مؤلم ﴿يَمَا كَانُوْا يَكْفُرُوْنَ﴾ أي: بسبب كفرهم.

[٥] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاً﴾ ذات ضياء؛ أي: نور ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ﴾ من حيث سيره ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرين منزلاً في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر، ويستمر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً، أو ليلة إن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿لِتَعْلَمُوْا﴾ بذلك ﴿عَدَدَ السَّيِّنِ وَالْحِسَابِ﴾ مَا خَلَقَ اَللّٰهُ ذٰلِكَ ﴿الْمَذْكُورِ﴾ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴿لَا عِشَاءَ﴾ تعالى عن ذلك ﴿يُفَصِّلُ﴾ بالياء والنون<sup>(٥)</sup> ﴿بَيْنَ﴾ الْاَلَايَةِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ ﴿يتدبرون.

[٦] ﴿إِنْ فِي اٰخْتِلَافِ اَلْيَلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالذهاب والمجيء، والزيادة والنقصان ﴿وَمَا خَلَقَ اَللّٰهُ فِي السَّمٰوٰتِ﴾ من ملائكة، وشمس، وقمر، ونجوم، وغير ذلك ﴿وَفِي﴾ فِي الْاَرْضِ ﴿من حيوان، وجمال، وبحار، وأنهار، وأشجار، وغيرها﴾ لَأَكُنَّ ﴿دلالات على قدرته تعالى﴾ لِقَوْمٍ يَتَّقُوْنَ ﴿هُ﴾ فيؤمنون، خصصهم بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بها.

(١) وهي قراءة شاذة، ولم يجر المفسر على عادته في الإشارة إلى القراءة الشاذة بقوله: (وقرئ).

(٢) وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر وفالون وأبي جعفر ويعقوب، وقرأ بنخفيف الدال (تَذَكَّرُونَ): حفص وحزمة والكسائي وحلف.

(٤) طاهره أنها بالفتح قراءة سبعة وليس كذلك، بل هي عشيرة لأبي جعفر.

(٥) بالنون قراءة نافع وابن عامر وحزمة والكسائي وشعبة.

[٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ بالبعث ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بدل الآخرة؛ لأنكارهم لها ﴿وَالْمَأْوَىٰ إِلَيْهَا﴾ سكنوا إليها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا﴾ دلائل وحدانيتنا ﴿عَتَوْنَ﴾ تاركون النظر فيها.

[٨] ﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الشرك والمعاصي.

[٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ﴾ يرشدهم ﴿رَبُّهُمْ يَهْدِيهِمْ﴾ به بأن جعل لهم نوراً يهتدون به يوم القيامة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ الْخَيْرِ﴾.

[١٠] ﴿دَعْوَتُهُمْ فِيهَا﴾ طلبهم لما يشتهونه في الجنة أن يقولوا: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ أي: يا الله، فإذا ما طلبوه وجدوه بين أيديهم <sup>(١)</sup> ﴿وَقِيَّتُهُمْ﴾ فيما بينهم ﴿فِيهَا سَلَامٌ وَأُخْرُ دَعْوَتُهُمْ أَنْ﴾ مفسرة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١١] ونزل لما استعجل المشركون العذاب: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ﴾ أي: كاستعجالهم ﴿بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل <sup>(٢)</sup> ﴿إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ بالرفع والنصب <sup>(٣)</sup> بأن يهلكهم، ولكن يهلكهم ﴿فَتَذَرُكَ﴾ تترك ﴿الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي مُلْكِنَا﴾ يترددون متحيرين <sup>(٤)</sup>.

[١٢] ﴿وَأَمَّا مَنْ الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ﴾ الضَّرُّ ﴿الْمَرَضُ وَالْفَقْرُ﴾ دَعَا لِحُجَّتِهِ ﴿أَي: مضطجعاً أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ أي: في كل حال ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُضْرَهُ مَرَّةً﴾ على كفره ﴿كَانَ﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: كأنه ﴿لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ صَرْفٍ مَسْئَةٍ كَذَلِكَ﴾ كما زين له الدُّعَاءُ عند الضرر والإعراض عند الرخاء ﴿وَرَبَّنَا لِلْمُتَسْرِفِينَ﴾ المشركين ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٣] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونُ الْأُولَىٰ﴾ الأمم ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾ يا أهل مكة ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ بالشرك ﴿وَوَقَدْ﴾ قد ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على صدقهم ﴿وَمَا كَانُوا يَنْصِتُونَ﴾ عطف على ﴿ظَلَمُوا﴾ ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أهلكنا أولئك ﴿تَجْرَىٰ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ الْخَيْرِ ﴿٩﴾ دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأُخْرُ دَعْوَتُهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَبُذِّرَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا الْجَنَّةَ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُضْرَهُ وَنُصِّرْهُ مَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ صَرْفٍ مَسَّةٍ كَذَلِكَ زَيَّنَ لِلْمُتَسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِكَ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا يَنْصِتُونَ كَذَلِكَ تَجْرَىٰ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

[١٤] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ﴾ يا أهل مكة ﴿خَلِيفَةً﴾ جمع خليفة ﴿فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فيها، وهل تعتبرون بهم فنصدقوا رسلنا؟.

(١) هذا أحد الأقوال، والقول الآخر أن المعنى أن دعاءهم الذي يدعون به في الجنة هو تسبيح الله وتقديسه، وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح أن يقولوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وهذا هو الأرجح.

(٢) بالبناء للفاعل قراءة ابن عامر.

(٣) بالنصب قراءة ابن عامر.

(٤) أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾ قال: هو قول الإنسان لولده وماله إذا غضب عليه: اللَّهُمَّ لَا تَارِكَ فِيهِ وَالعنه. ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ قال: لأهلك من دعا عليه ولأماته. [الدر المنثور (٣٤٦/٥)]. وأخرجه البخاري في كتاب التفسير (٦٥) - سورة يونس (١٠).

باب (١) الترجمة.

يَكُونُ ﴿بَنِي﴾ أَنْ أُنْزِلَ مِنْ تِلْقَايَ ﴿قِيلَ﴾ تَقْسِيْ إِنَّ ﴿مَا﴾ أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ إِيَّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي ﴿بَبَدِيلِهِ﴾ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

[١٦] ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ أَعْلَمَكُمْ بِدَعَايِهِ﴾، ﴿وَالَا نَافِيَةَ عَطْفٍ عَلَى مَا قَبْلَهُ﴾، ﴿وَفِي قِرَاءَةِ﴾: ﴿بَلَامَ جَوَابِ «لَوْ»﴾؛ أَيْ: لِأَعْلَمَكُمْ بِهِ عَلَى لِسَانٍ غَيْرِي ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ﴾ مَكَثْتُ ﴿فِيكُمْ عُمُرًا﴾ سِنِيًّا<sup>(١)</sup> أَرْبَعِينَ ﴿مَنْ قَبْلَهُ﴾ لَا أَحْدَثَكُمْ بِشَيْءٍ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ قِبَلِي.

[١٧] ﴿فَمَنْ﴾ أَيْ: لَا أَحَدٌ ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ أَقْدَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بِنَسْبَةِ الشَّرِيكِ إِلَيْهِ ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ الْقُرْآنَ ﴿إِنَّهُ﴾ أَيْ: الشَّأْنُ ﴿لَا يُفْلِحُ﴾ يَسْعَدُ ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ الْمَشْرُكُونَ.

[١٨] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ أَيْ: غَيْرِهِ ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ إِنْ لَمْ يَعْبُدُوهُ ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ إِنْ عْبَدُوهُ، وَهُوَ الْأَصْنَامُ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ عَنْهَا: ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿أَتُنَبِّئُوكَ اللَّهُ تَخْبِرُونَهُ﴾ بِمَا لَا يَسْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴿اسْتَغْفَمُ إِنكَارًا﴾ إِذْ لَوْ كَانَ لَهُ شَرِيكَ لَعَلِمَهُ؛ إِذْ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تَنْزِيهَا لَهُ ﴿وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ مَعَهُ.

[١٩] ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الْإِسْلَامُ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى نُوْحٍ<sup>(٢)</sup>، وَقِيلَ: مِنْ عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى عَمْرِو بْنِ لُحْيٍ ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾ بِأَنْ ثَبِتَ بَعْضُ وَكُفِرَ بَعْضُ ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بِتَأْخِيرِ الْجَزَاءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿لَفُتِّي بِلَهْمٍ﴾ أَيْ: النَّاسِ فِي الدُّنْيَا ﴿فِيَمَا فِيهِمْ يَخْتَلِفُونَ﴾ مِنَ الدِّينِ بِتَعَذُّبِ الْكَافِرِينَ.

[٢٠] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أَيْ: أَهْلُ مَكَّةَ: ﴿لَوْ لَا﴾ هَلَا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿آيَةً مِنْ رَبِّهِ﴾ كَمَا كَانَ لِلْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْمُنَاقَةِ وَالْعَصَا وَالْإِذْنِ ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿إِنَّمَا الْغَيْبُ﴾ مَا غَابَ عَنِ الْعِبَادِ؛ أَيْ: أَمْرُهُ ﴿إِلَهِ﴾ وَمِنَهُ الْآيَاتُ، فَلَا يَأْتِي بِهَا إِلَّا هُوَ، وَإِنَّمَا عَلَيَّ التَّبْلِيغُ ﴿فَانْظُرُوا﴾ الْعَذَابَ إِنْ لَمْ تَوْمِنُوا ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾.

وَإِذَا نُنْزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا نَنْتَحِيظُ قَالَ الذِّبْرُ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَيْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَايَ نَفْسِي إِنْ أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِيَّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مَنْ قَبْلَهُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُتِّي بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْ لَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْظُرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٢٠﴾

[١٥] ﴿وَإِذَا نُنْزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ الْقُرْآنَ ﴿نَنْتَحِيظُ﴾ ظَاهِرَاتٍ، حَالِ ﴿قَالَ الذِّبْرُ﴾ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَا يَخَافُونَ الْبَعْثَ ﴿أَتَيْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا﴾ لَيْسَ فِيهِ عِبَادَةٌ كَالِهِنَا ﴿أَوْ بَدَّلَهُ﴾ مِنْ تِلْقَايَ نَفْسِكَ ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿مَا

(١) لابن كثير، بحلف عن البري، وتكون الامم للتاكيد؛ أَيْ: وَلَا تُفَرِّقُوا.

(٢) وجري المفسر فيه على طريقة من يجعله مثل «حين» ومنه حديث: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ نَبِيًّا كُنَيْتَيْنِ نُوشَفُ» فِي إِحْدَى الرَّوَابِيتِ.

(٣) وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، وهو الصحيح؛ فَإِنَّ قَوْمَ نُوْحٍ الْفُلَّ كَانُوا هُمْ أَوَّلَ مَنْ كَفَرَ بِالرَّحْمَنِ وَعَبَدَ الْأَوْثَانَ مِنَ الْأُمَمِ.

[٢١] ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَكَّنَا لَأَقَلُّوا مَكْرًا﴾ أي: كفار مكة ﴿رَحْمَةً﴾ مطرًا وخصبًا ﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ﴾ بؤس وجذب ﴿مَسْتَهْمٌ﴾ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي عَمَائِنَا بِالاستهزاء والتكذيب ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا مجازاة<sup>(١)</sup> ﴿إِنْ رُسُلُنَا الْخَفِظَةُ يَكْتُمُونَ مَا تَكْذُرُونَ﴾ بالباء والياء<sup>(٢)</sup>.

[٢٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُبْرِئُكُمُ الْفُلْكَ﴾ وفي قراءة: ﴿يُنْشِرُكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ السَّفِينِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ فِيهِ الْفُتَاتُ عَنِ الْخُطَابِ ﴿بِرِيحٍ طَبَيعٍ﴾ لينة ﴿وَقَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ شديدة الهبوب تكسر كل شيء ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أي: أهلكوا ﴿دَعَا اللَّهُ مُؤَلِّصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ الدعاء ﴿لِيُنْ﴾ لام قسم ﴿أَجْعَلْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْأَهْوَالِ لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ الموحدين.

[٢٣] ﴿فَلَمَّا أَتَتْهُمْ إِذَا هُمْ يُبْعَثُونَ﴾ فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْعَقَىٰ بِالشَّرِكِ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَيْتُمْكُمْ﴾ ظلمكم ﴿عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ لأن إثمه عليها هو ﴿[مَنْعَكُمْ]﴾<sup>(٤)</sup> السَّيْرَةَ الدُّنْيَا تمتعون فيها قليلاً ﴿فَوَدَّ إِنَّا سَرَجَمَكُمُ﴾ بعد الموت ﴿فَنَجْزِيَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فنجازيكم عليه، وفي قراءة بنصب ﴿مَنْعَكُمْ﴾<sup>(٥)</sup> أي: تمتعون.

[٢٤] ﴿إِنَّمَا مَثَلُ﴾ صفة ﴿الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا كَمَا﴾ مطر ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ بسببه ﴿بَثَّ الْأَرْضُ﴾ واشتبك بعضه ببعض ﴿بِمَا يَأْكُلُ النَّاسُ مِنَ الْبُرِّ وَالشَّعِيرِ وَغَيْرِهِمَا﴾ من الكَلَامِ ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَغْذَى الْأَرْضُ زُرْعَهَا﴾ بهجتها من النبات ﴿وَأَزْيَنْتَ﴾ بالزهر، وأصله: تربت أبليت التاء زايًا وأدغمت في الزاي ﴿وَطَرَسَ﴾ أهلها أَنَّهُمْ تَدِيرُونَ عِبَادًا ﴿مَتَمَكِّنُونَ مِنْ تَحْصِيلِ ثَمَارِهَا﴾ أَتْلَاهَا ثَمَرُهَا قَضَانَا أَوْ عَذَابِنَا ﴿لِيَلَا أَوْ تَهَارَا فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي: زرعها ﴿حَصِيدًا﴾ كالخضود بالمنجل ﴿كَانَ﴾ مخففة؛ أي: كأنها ﴿لَمْ تَنْفَ﴾ تكن ﴿بِالْأَمْسِ﴾ كَذَلِكَ فَفَصِّلْ نُثِيرُ ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾.

[٢٥] ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ أي: السلامة وهي الجنة بالدعاء إلى الإيمان ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٦)</sup> دين الإسلام.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن الواس بن سمعان الكلبي قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، عَلَى كَنَفِي - أَيِ جَانِبِي - الصِّرَاطِ زُورَانِ - أَيِ: حِدَارَانِ - لِهَمَا أَبْوَابٍ مُفْتَحَتَا، عَلَى الْأَبْوَابِ سُورٌ وَدَاعٌ يَدْعُو عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ، وَدَاعٌ يَدْعُو فَوْقَهُ ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

والأبواب التي على كنفِي الصِّرَاطِ حدود الله، فلا يقع أحد في حدود الله حتى يكشف السر، والذي يدعو من فوقه واعظ ربه. الترمذي. كتاب الأمثال (٤٥) باب (١) ما جاء في مثل الله لعباده، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٢٩٥).

(١) وحقيقة المكر هو التدمير الحكيم في إزال العقوبة بالجزم من حيث لا يشعر، فهو أحص من مطلق المجازاة؛ فالكر من الله سبحانه بدير لرد كيد الكائد في تحره وإزال العقوبة به من حيث لا يشعر، ومجازاته بجنس عمله وسعيه وبيته، وسبق بيان مذهب السلف في هذا النوع من الصفات، وأنها فيما سبقت له مدح وكمال، ونشنتها لله ﷻ على ما يليق به. شيخنا - من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمس ولا تكيف.

(٢) ظاهره أنها بالياء قراءة سبعة وليس كذلك، بل هي عشرية لرؤح.

(٣) لابن عامر.

(٤) قراءة الرفع للسبعة عدا حفص.

(٥) وهي قراءة حفص.

[٢٧] ﴿وَالَّذِينَ عَظِفَ عَلَى﴾ [لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا]؛ أي: وللذين ﴿كَسَبُوا﴾ [الذِّنِّيَّاتِ] عملوا الشر ﴿جَزَاءَ سَيِّئَةٍ يَنْتَهِمُ بِهَا﴾ [وَرَهْفُهُمْ ذَلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنْ] زائدة ﴿عَاصِرٍ﴾ مانع ﴿كَأَنَّمَا أَغْشَيْتَ﴾ [الْبَسْتُ] [وَجُوهَهُمْ قَطْعًا] بفتح الطاء جمع قطعة، وإسكانها أي: جزءاً<sup>(١)</sup> ﴿وَمِنَ الْبَلِّ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ﴾ [الْآثَرِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ].

[٢٨] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكُونُونَ﴾ [يَوْمَ تَحْشَرُهُمْ] أي: الخلق ﴿جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾ [نُصِبَ بِهِ الرِّمَاحُ] مقدراً ﴿أَنْتُمْ﴾ تأكيد للضمير المستتر في الفعل المقدر؛ يعطف عليه ﴿وَشُرَكَاءُكُمْ﴾ أي: الأصنام ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكُونُونَ﴾ [يَوْمَ تَحْشَرُهُمْ] وبين المؤمنين كما في آية ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكُونُونَ] ﴿وَقَالَ لَهُمْ﴾ [شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِنَّا نَكُونُونَ] ﴿مَا﴾ نافية، وقدم المفعول، للفاصلة<sup>(٢)</sup>.

[٢٩] ﴿فَكُنْ لِلَّهِ شَهِيدًا﴾ [بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن] مخففة؛ أي: إنا ﴿كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ﴾ [لَغَافِلِينَ].

[٣٠] ﴿مَالِكٍ﴾ أي: ذلك اليوم ﴿تَبْلُغُوا﴾ من البلوى، وفي قراءة بناءين<sup>(٣)</sup> من التلاوة ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ قدمت من العمل ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ﴾ [الثابت الدائم] ﴿وَصَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ عليه من الشركاء.

[٣١] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ [مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ] بالنبات ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ﴾ بمعنى الأصماع؛ أي: خلقها ﴿وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ [بين الخلائق] ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ هو ﴿اللَّهُ فَقُلْ لَهُمْ﴾ [أَفَلَا تَنْقُورُونَ] فتنمون.

[٣٢] ﴿فَلَنَكْفُرُنَّ﴾ [الفاعل لهذه الأشياء] ﴿اللَّهُ رَزَقَنَا الْحَقَّ﴾ [الثابت] ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ استفهام تقرير؛ أي: ليس بعده غيره، فمن أخطأ الحق وهو عبادة الله وقع في الضلال ﴿وَأَنَّى﴾ كيف ﴿تَضُرُّونَ﴾ عن الإيمان مع قيام البرهان؟!.

[٣٣] ﴿كَذَلِكَ﴾ كما صرف هؤلاء عن الإيمان ﴿حَقَّتْ لِرَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ كفروا، وهي ﴿لَا مَلَأَتْ لَهُمْ﴾ [الآية<sup>(٤)</sup>]، أو هي ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمَثِلُهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَأَنَّمَا أَغْشَيْتَ وَجُوهَهُمْ قَطْعًا مِنْ أَيْلٍ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ] [وَيَوْمَ تَحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِنَّا نَكُونُونَ] [كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا] [بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ] [هَٰذَا كَلَّا تَبْلُغُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ] [قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ] [فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ] [فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنِ تَضُرُّونَ] [كَذَلِكَ حَقَّتْ لِرَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ]

[٢٦] ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالإيمان ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ [وَزِيَادَةٌ] هي النظر إليه - تعالى - كما في حديث مسلم<sup>(١)</sup> ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾ يعشى ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ سواد ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ كآبة ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

(١) مسلم (١٨١) عن صهيب بن سنان عن النبي ﷺ قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ ثم تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

(٢) بالإسكان قراءة الكسائي وابن كثير.

(٣) يس: ٥٩.

(٤) أي لمرعاة ربوس الآيات.

(٥) حمزة والكسائي.

(٦) السجدة: ١٣.

[٣٤] ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا لِلْحَقِّ مِمَّ يُدْعَى قُلْ اللَّهُ يَسْتَدْعُوا لِلْحَقِّ مِمَّ يُدْعَى قُلْ تَدْعُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ مَعَ قِيَامِ الدَّلِيلِ﴾.

[٣٥] ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ بِنَصْبِ الْحُجَجِ وَخُلِقَ الْإِهْتِدَاءُ﴾ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ؟ وهو الله ﴿أَحَقُّ أَنْ يُنَبِّئَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي﴾ يَهْدِي ﴿إِلَّا أَنْ يَهْدِي﴾ أَحق أن ينصيح؟ استفهام تقرير وتوبيخ؛ أي: الأول أحق ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد من اتباع ما لا يحق اتباعه؟

[٣٦] ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ﴾ إِلَّا غُلًّا ﴿حَيْثُ قَلَدُوا فِيهِ آبَاءَهُمْ﴾ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿فِيمَا الْمَطْلُوبُ مِنْهُ الْعِلْمُ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿فِيَجَازِيهِمْ عَلَيْهِ﴾.

[٣٧] ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى﴾ أي: افتراء ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلَكِنْ أَنْزَلَ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَتَقْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ تبين ما كتبه الله من الأحكام وغيرها ﴿لَا رَبَّ شَكَّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْمُنْكَرِينَ﴾ متعلق بـ ﴿تَصْدِيقٍ﴾ أو «أنزل» المحذوف، وقرئ<sup>(١)</sup> برفع ﴿تَصْدِيقٍ﴾ و﴿تَقْصِيلٍ﴾ بتقدير هو.

[٣٨] ﴿أَمْ بَلْ أَهْوَى بُولُونُ أَفْتَرِيَّتِهِ﴾ اختلقه محمد ﴿قُلْ فَأَنَّا بِسُورَةِ يَسْلُوبٍ﴾ في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء؛ فإنكم عريون فصحاء مثلي ﴿وَأَدْعَاؤٍ﴾ للإعانة عليه ﴿مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي: غيره ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنه افتراء فلم يقدروا<sup>(٢)</sup> على ذلك.

[٣٩] قال - تعالى -: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ أي: القرآن ولم يتدبروه ﴿وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ عاقبة ما فيه من الوعيد ﴿كَذَلِكَ﴾ التكذيب ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ بتكذيب الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك فكذلك نهلك هؤلاء.

[٤٠] ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: أهل مكة ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ لعلم الله ذلك منهم ﴿وَيَوْمَئِذٍ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أبداً ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ تهديد لهم.

[٤١] ﴿وَإِنْ كَذَّبَكَ فَقُلْ لَهُمْ﴾: ﴿لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي: لكل جزاء عمله ﴿أَنْتُمْ رِبِّيُونَ وَمَا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ وَمِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا منسوخ بآية السيف.

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا لِلْحَقِّ مِمَّ يُدْعَى قُلْ اللَّهُ يَدْعُوا لِلْحَقِّ مِمَّ يُدْعَى قُلْ تَدْعُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ مَعَ قِيَامِ الدَّلِيلِ

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ بِنَصْبِ الْحُجَجِ وَخُلِقَ الْإِهْتِدَاءُ

قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ؟ وهو الله أَحَقُّ أَنْ يُنَبِّئَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي

يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي أَحق أن ينصيح؟ استفهام تقرير وتوبيخ؛ أي: الأول أحق

فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ هذا الحكم الفاسد من اتباع ما لا يحق اتباعه؟

وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ إِلَّا غُلًّا

حَيْثُ قَلَدُوا فِيهِ آبَاءَهُمْ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا

فِيمَا الْمَطْلُوبُ مِنْهُ الْعِلْمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ

فِيَجَازِيهِمْ عَلَيْهِ

وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى

أي: افتراء مِنْ دُونِ اللَّهِ

أي: غيره وَلَكِنْ أَنْزَلَ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ

من الكتب وَتَقْصِيلَ الْكِتَابِ

تبين ما كتبه الله من الأحكام وغيرها لَا رَبَّ شَكَّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْمُنْكَرِينَ

متعلق بـ تَصْدِيقٍ أو «أنزل» المحذوف، وقرئ<sup>(١)</sup> برفع تَصْدِيقٍ و﴿تَقْصِيلٍ﴾ بتقدير هو.

أَمْ بَلْ أَهْوَى بُولُونُ أَفْتَرِيَّتِهِ

اختلقه محمد قُلْ فَأَنَّا بِسُورَةِ يَسْلُوبٍ

في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء؛ فإنكم عريون فصحاء مثلي

وَأَدْعَاؤٍ للإعانة عليه

مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ أي: غيره

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

في أنه افتراء فلم يقدروا<sup>(٢)</sup> على ذلك.

قال - تعالى -:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ أي: القرآن ولم يتدبروه

﴿وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ عاقبة ما فيه من الوعيد

﴿كَذَلِكَ﴾ التكذيب

﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ بتكذيب الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك فكذلك نهلك هؤلاء.

﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: أهل مكة

﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ لعلم الله ذلك منهم

﴿وَيَوْمَئِذٍ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أبداً

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ تهديد لهم.

﴿وَإِنْ كَذَّبَكَ فَقُلْ لَهُمْ﴾: ﴿لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي: لكل جزاء عمله

﴿أَنْتُمْ رِبِّيُونَ وَمَا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ وَمِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا منسوخ بآية السيف.

[٤٢] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت القرآن ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ﴾ شبههم بهم في عدم الانتفاع بما يتلى عليهم ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ مع الصمم ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ يتدبرون.

(١) أي: شذوذاً.

(٢) وهي نسخة: «تقدروا» بالباء، والمثبت أظهر.

القبور ﴿لَا سَاعَةَ مِّنَ النَّهَارِ﴾ لهول ما رأوا، وجملة التشبيه حال من الضمير ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرف بعضهم بعضاً إذا بعثوا، ثم ينقطع التعارف؛ لشدة الأحوال، والجملة حال مقدرة<sup>(١)</sup>، أو متعلق الظرف<sup>(٢)</sup> ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

[٤٦] ﴿وَمَا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المريدة ﴿رَبُّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْلَمُ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف؛ أي: فذاك ﴿أَوْ نُرِيكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ مُطْلِعٌ ﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ من تكذيبهم وكفرهم فيعذبهم أشد العذاب.

[٤٧] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم ﴿رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ إليهم فكذبوه ﴿فَضَىٰ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل، فيعذبون وينجي الرسول ومن صدقه ﴿وَهُمْ لَا يَظُنُّونَ﴾ بتعذيبهم بغير جرم فكذاك نفعل بهؤلاء.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَن هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه. [٤٩] ﴿قُلْ لَا أَتْلُوهُ﴾ لِنَفْسِي صَرَخاً أذفعه ﴿وَلَا نَقَعُ﴾ أجلبه ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن يقدرني عليه، فكيف أملك لكم حلول العذاب ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة معلومة لهلاكهم ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِرُّونَ﴾ يتأخرون عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ يتقدمون عليه.

[٥٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِن أَتَاكُمْ عَذَابٌ﴾؛ أي: الله ﴿يَنَزِّلُ﴾ ليلاً ﴿أَوْ نَهَارًا مَّاذَا﴾ أي شيء ﴿يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾ أي: العذاب ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون، فيه وضع الظاهر موضع المضمَر، وجملة الاستفهام جواب الشرط؛ كقولك: إذا أتيتك ماذا تعطيني؟ والمراد به التهويل؛ أي: ما أعظم ما استعجلوه.

[٥١] ﴿أَنزِلْهُ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ خلَّ بكم ﴿ءَامِنْتُمْ بِهِ﴾؛ أي: الله، أو العذاب عند نزوله، والهمزة لإنكار التأخير، فلا يقبل منكم، ويقال لكم: ﴿ءَالْتَمَنَّا تَزْمُونُ﴾ وقد كنتم به تَسْتَعْجِلُونَ استهزاء.

[٥٢] ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ أي: الذي تخلدون فيه ﴿هَلْ تَعْلَمُونَ﴾ ما ﴿تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

[٥٣] ﴿وَسَنَسْخِرُونَكَ﴾ يستخبرونك ﴿أَحَقُّ هُوَ﴾؛ أي: ما وعدتنا به من العذاب والبعث ﴿قُلْ إِيَّايَ﴾ نعم ﴿وَرَبِّكَ إِنَّمَا لِحَقِّ وَمَا أَنشَأَ بِمُعْجِرِينَ﴾ بغائتين العذاب.

وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْأَعْمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّيَنَّكَ فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٩﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥١﴾ قُلْ لَا أَتْلُوهُ لِنَفْسِي صَرَخًا وَلَا نَقَعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِرُّونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن أَتَاكُمْ عَذَابُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٣﴾ أَنُؤْمِنُ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامِنْتُمْ بِهِ ءَالْتَمَنَّا تَزْمُونُ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٤﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَسْتَعِزُّونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِيَّايَ وَرَبِّي إِنَّهُ وَلِحَقِّ وَمَا أَنُؤْمِنُ بِمُعْجِرِينَ ﴿٥٦﴾

[٤٣] ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْأَعْمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ شبههم بهم في عدم الاهتمام، بل أعظم ﴿فَأَنهَا لَا تَعْمَىٰ الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الْأَفْئِدَةِ﴾<sup>(١)</sup>.

[٤٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

[٤٥] ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> كان؛ أي: كأنهم ﴿لَّمْ يَلْسُوا﴾ في الدنيا أو

(١) الحج: ٤٦.

(٢) هي قراءة السبعة ما عدا حفص، وقرأ حفص بالياء: ﴿يُحْشَرُهُمْ﴾.

(٣) أي: يوم نحشرهم متعارفين بينهم.

(٤) أي: «يوم»، وتقدير الكلام: يتعارفون بينهم يوم نحشرهم.



[٥٤] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ ﴿١﴾ كَفَرَتْ ﴿٢﴾ مَا فِي الْأَرْضِ ﴿٣﴾ جَمِيعًا مِّنَ الْأُمُولِ ﴿٤﴾ لَافْتَدَتْ يَوْمَهُ ﴿٥﴾ مِّنَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ ﴿٧﴾ عَلَى تَرْكِ الْإِيمَانِ ﴿٨﴾ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ ﴿٩﴾ أَخْفَاهَا رؤسَاهُمْ عَنِ الضَّعْفَاءِ الَّذِينَ أَضْلَوْهُمْ خِيفَةَ التَّعْبِيرِ ﴿١٠﴾ وَفُصِّحَ بَيْنَهُمْ ﴿١١﴾ بَيْنَ الْخَالِقِ ﴿١٢﴾ بِالْقِسْطِ ﴿١٣﴾ بِالْعَدْلِ ﴿١٤﴾ وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ ﴿١٥﴾ شَيْئًا.﴾

[٥٥] ﴿أَلَا إِنَّ يَوْمَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ آيَةً وَعَدَ اللَّهُ ﴿١﴾ بِالْعَذَابِ وَالْجَزَاءِ ﴿٢﴾ حَقًّا ﴿٣﴾ ثَابِتٌ ﴿٤﴾ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ ﴿٥﴾ أَيُّ النَّاسِ ﴿٦﴾ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ذَلِكَ.﴾

[٥٦] ﴿هُوَ يُحْيِي. وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١﴾ فِي الْآخِرَةِ فَيَجْزِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ.﴾

[٥٧] ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ﴿١﴾ أَيُّ أَهْلِ مَكَّةَ ﴿٢﴾ فَقَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴿٣﴾ كِتَابٌ فِيهِ مَا لَكُمْ وَمَا عَلَيْكُمْ وَهُوَ الْقُرْآنُ ﴿٤﴾ وَشِفَاءٌ ﴿٥﴾ دَوَاءٌ ﴿٦﴾ لِمَا فِي الصُّدُورِ ﴿٧﴾ مِّنَ الْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ وَالشُّكُوكِ ﴿٨﴾ وَهَدًى ﴿٩﴾ مِّنَ الضَّلَالِ ﴿١٠﴾ وَرَحْمَةٌ ﴿١١﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ بِهِ.﴾

[٥٨] ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ ﴿١﴾ وَالْإِسْلَامِ ﴿٢﴾ وَبِرَحْمَتِهِ ﴿٣﴾ الْقُرْآنُ ﴿٤﴾ فَبِذَلِكَ ﴿٥﴾ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ ﴿٦﴾ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٧﴾ مِّنَ الدُّنْيَا وَالْبَاءِ وَالنَّاءِ ﴿٨﴾.﴾

[٥٩] ﴿قُلْ أَنَبَشْتُمْ ﴿١﴾ أَخْبَرُونِي ﴿٢﴾ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿٣﴾ خَلْقٌ ﴿٤﴾ لَّكُمْ يَرْبُ زَرْبٍ فَيَجْعَلْهُ مِنهُ حَرَامًا وَسَلَكًا ﴿٥﴾ كَالْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ ﴿٦﴾ وَالْمَيْتَةِ ﴿٧﴾ قُلْ ءَاللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴿٨﴾ فِي ذَلِكَ بِالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ ﴿٩﴾ أَمْ عَلَى اللَّهِ نَفْثُوكَ ﴿١٠﴾ تَكْذِبُونَ بِنِسْبَةِ ذَلِكَ إِلَيْهِ.﴾

[٦٠] ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴿١﴾ أَيُّ شَيْءٍ ظَنُّهُمْ بِهِ ﴿٢﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٣﴾ أَيْحْسِبُونَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُهُمْ؟! ﴿٤﴾ لَا ﴿٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴿٦﴾ بِإِيمَانِهِمُ وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ ﴿٧﴾ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٨﴾.﴾

[٦١] ﴿وَمَا تَكُونُ ﴿١﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿٢﴾ فِي شَأْنٍ ﴿٣﴾ أَمْرٌ ﴿٤﴾ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ ﴿٥﴾ أَيُّ: مَنِ الشَّأْنِ أَوْ اللَّهِ ﴿٦﴾ مِمَّنْ قُرْءَانٍ ﴿٧﴾ أَنْزَلَهُ عَلَيْكَ ﴿٨﴾ وَلَا تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ خَاطِبُهُ وَأَمْتُهُ ﴿١٠﴾ مِمَّنْ عَمَلٍ إِلَّا كَمَا عَلَّمَكُمُ شُهُودًا ﴿١١﴾ رِقَابًا ﴿١٢﴾ إِذْ تُفَيْصُونَ ﴿١٣﴾ تَأْخُذُونَ ﴿١٤﴾ فِيهِ ﴿١٥﴾ أَيُّ: الْعَمَلِ ﴿١٦﴾ وَمَا يَنْزُبُ ﴿١٧﴾ يَغِيبُ ﴿١٨﴾ عَنْ رَبِّكَ مِمَّنْ مَّتَقَالٍ ﴿١٩﴾ وَزَنَ ﴿٢٠﴾ ذَرَرًا ﴿٢١﴾ أَصْغَرَ غَلَّةِ

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُصِّحَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ آيَةً وَعَدَ اللَّهُ بِالْعَذَابِ وَالْجَزَاءِ حَقًّا ثَابِتٌ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ أَيُّ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَيُّ أَهْلِ مَكَّةَ فَقَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ كِتَابٌ فِيهِ مَا لَكُمْ وَمَا عَلَيْكُمْ وَهُوَ الْقُرْآنُ وَشِفَاءٌ دَوَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ مِّنَ الْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ وَالشُّكُوكِ وَهَدًى مِّنَ الضَّلَالِ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَنَبَشْتُمْ أَخْبَرُونِي مَا أَنْزَلَ اللَّهُ خَلْقٌ لَّكُمْ يَرْبُ زَرْبٍ فَيَجْعَلْهُ مِنهُ حَرَامًا وَسَلَكًا كَالْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَالْمَيْتَةِ قُلْ ءَاللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ فِي ذَلِكَ بِالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ أَمْ عَلَى اللَّهِ نَفْثُوكَ تَكْذِبُونَ بِنِسْبَةِ ذَلِكَ إِلَيْهِ. ﴿٥٩﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَالْإِسْلَامِ وَبِرَحْمَتِهِ الْقُرْآنُ فَبِذَلِكَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ مِّنَ الدُّنْيَا وَالْبَاءِ وَالنَّاءِ. ﴿٥٩﴾ قُلْ أَنَبَشْتُمْ أَخْبَرُونِي مَا أَنْزَلَ اللَّهُ خَلْقٌ لَّكُمْ يَرْبُ زَرْبٍ فَيَجْعَلْهُ مِنهُ حَرَامًا وَسَلَكًا كَالْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَالْمَيْتَةِ قُلْ ءَاللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ فِي ذَلِكَ بِالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ أَمْ عَلَى اللَّهِ نَفْثُوكَ تَكْذِبُونَ بِنِسْبَةِ ذَلِكَ إِلَيْهِ. ﴿٦٠﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ أَيُّ شَيْءٍ ظَنُّهُمْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْحْسِبُونَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُهُمْ؟! لَا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ بِإِيمَانِهِمُ وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ. ﴿٦١﴾ وَمَا تَكُونُ يَا مُحَمَّدُ فِي شَأْنٍ أَمْرٌ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ أَيُّ: مَنِ الشَّأْنِ أَوْ اللَّهِ مِمَّنْ قُرْءَانٍ أَنْزَلَهُ عَلَيْكَ وَلَا تَعْمَلُونَ خَاطِبُهُ وَأَمْتُهُ مِمَّنْ عَمَلٍ إِلَّا كَمَا عَلَّمَكُمُ شُهُودًا رِقَابًا إِذْ تُفَيْصُونَ تَأْخُذُونَ فِيهِ أَيُّ: الْعَمَلِ وَمَا يَنْزُبُ يَغِيبُ عَنْ رَبِّكَ مِمَّنْ مَّتَقَالٍ وَزَنَ ذَرَرًا أَصْغَرَ غَلَّةِ

﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ بَيِّنٌ هُوَ اللُّوحُ الْمَحْفُوظُ.

(١) بالناء لابن عامر.

(٢) الأقرب. كما سبق في كثرة. أن يحمل الإنزال على معناه الظاهر، ويكون في الآية إثبات علوه. تعالى. بذاته فوق خلقه، كما هو مذهب السلف قاطبة، وهو ما يحتاجه المفسر ذكره موافقة لمذهب الأشاعرة.

(٣) سبق بيان معنى البحيرة والسائبة عند تفسير الآية (١٠٣) من سورة المائدة.

[٦٤] ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فُشِّرَتْ فِي حَدِيثٍ صَحِيحِهِ الْحَاكِمُ بِالرُّوْيَا الصَّالِحَةِ يَرَاهَا الرَّجُلُ أَوْ تُرَى لَهُ<sup>(١)</sup> ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ الْجَنَّةُ وَالْثَوَابُ ﴿لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَتِ اللَّهِ﴾ لَا تَحْلُفُ لِمَوَاعِيدِهِ ﴿ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورُ ﴿هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[٦٥] ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ لَكَ: لَسْتُ مَرْسَلًا وَغَيْرِهِ ﴿إِنَّ﴾ اسْتِنَافَ ﴿الْعِزَّةِ﴾ الْقُوَّةَ ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ هُوَ السَّمِيعُ ﴿لِلْقَوْلِ﴾ الْعَلِيمُ بِالْفِعْلِ فَيَجَازِيهِمْ وَيَنْصَرِكُ.

[٦٦] ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ عِبِيدًا وَمَلَكًا وَخَلْقًا﴾ وَمَا يَبْجَعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَعْبدُونَ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَي: غَيْرِهِ أَصْنَافًا ﴿شُرَكَاءَ﴾ لَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ ﴿إِنْ﴾ مَا يَدْعُونَ ﴿يَدْعُونَ﴾ فِي ذَلِكَ ﴿إِلَّا الظَّنُّ﴾ أَي: ظَنُّهُمْ أَنَّهَا إِلَهَةٌ تَشْفَعُ لَهُمْ ﴿وَأِنْ﴾ مَا هُمْ ﴿إِلَّا يَحْمُصُونَ﴾ يَكْذِبُونَ فِي ذَلِكَ.

[٦٧] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآيِلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَهَارَ مُبْصِرًا﴾ إِسْنَادُ الْإِبْصَارِ إِلَيْهِ مَجَازٌ؛ لِأَنَّهُ يُبْصِرُ فِيهِ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دَلَالَاتٍ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ تَعَالَى ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سَمَاعٌ تَدْبِيرٌ وَاتِعَاضٌ.

[٦٨] ﴿قَالُوا﴾ أَي: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ: ﴿أَتَعْبُدُ اللَّهَ وَلَدًا﴾ قَالَ تَعَالَى لَهُمْ: ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تَنْزِيهًا لَهُ عَنِ الْوَلَدِ ﴿هُوَ الْعَلِيُّ﴾ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا يَطْلُبُ الْوَلَدَ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ﴿لَكُمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مَلَكًا وَخَلْقًا وَعِبِيدًا ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ حُجَّةٍ ﴿بِهَذَا﴾ الَّذِي يَقُولُونَهُ ﴿أَنقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ اسْتِفْهَامٌ تَوْبِيخٌ.

[٦٩] ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بِنسبة الْوَلَدِ إِلَيْهِ ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ لَا يَسْعُدُونَ.

[٧٠] لَهُمْ ﴿مَتَاعٌ﴾ قَلِيلٌ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ يَتَمَتَّعُونَ بِهِ مَدَّةَ حَيَاتِهِمْ ﴿ثُمَّ﴾ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ بِالْمَوْتِ ﴿ثُمَّ نُنْفِثُهُمْ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ﴾ بَعْدَ الْمَوْتِ ﴿يَمَّا﴾ كَانُوا يَكْفُرُونَ.

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ أَنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَشِيعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَشِيعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآيِلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَهَارَ مُبْصِرًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿قَالُوا أَتَأْتِخَذُ اللَّهَ وَلَدًا﴾ سُبْحَنَهُ وَهُوَ الْعَلِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُنْفِثُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿

[٦٢] ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فِي الْآخِرَةِ.

[٦٣] هُمْ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿اللَّهُ بِامْتِنَالِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

(١) المستدرک (٣٤٠/٢). ورواه الترمذي (٢١٩٩) وأحمد (٢٦٢٥٠) عن أبي الدرداء مرفوعًا. ورواه الترمذي (٢٢٠١) وابن ماجه (٢٨٨٨) وأحمد (٢١٦٣٠) عن عباد بن الصامت مرفوعًا، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٨٥٤).

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِن كَانَ كِبَرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ (٧١) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجَرٍ إِنَّ آجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢) فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي أُلْهَالِكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خُلَفَاءَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (٧٣) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ وَهُمْ بِالْبَيْتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (٧٤) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَيَسْحَرُكُمْ بِهِ (٧٦) قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ إِنَّهُ لَيَسْحَرُ بِهَذَا وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَتَى بِهِ وَأَبْطَلَ سِحْرَ السَّحَرَةِ؟ وَلَا يُلْقِي السَّحَرُونَ وَالْإِسْتِغْنَامُ فِي الْمَوْضِعِينَ لِلْإِنكَارِ. (٧٧) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفَنَّاكَ لُتْرَدْنَا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَكُنَّا لَكُمْ

[٧١] ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمُ﴾ أي: كفار مكة ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿نُوحٍ﴾ ويبدل منه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ﴾ إن كَانَ كِبَرَ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ شق ﴿عَلَيْكُمْ﴾ مَقَامِي ﴿لِي﴾ فيكم ﴿وَتَذَكَّرِي﴾ وعظي لإياكم ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ نَمَلَى اللَّهُ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ ﴿اعزموا عسى أمر تفعلونه بي﴾ وَشُرَكَاءُكُمْ ﴿الوار بمعنى مع﴾ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴿مستورا بل أظهره وجاهروني به﴾ ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ ﴿امضوا فيما أردتموه﴾ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴿تمهلون، فإني لست مباليا بكم﴾.

[٧٢] ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجَرٍ﴾ ثواب عليه ففعلوا ﴿إِنَّ﴾ ما ﴿آجِرِيَ﴾ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ وأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿.

[٧٣] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي أُلْهَالِكِ﴾ السفينة ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أي: من معه ﴿عَلَيْهِمْ﴾ في الأرض ﴿وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالطوفان ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ من إهلاكهم فكذلك نفعل بمن كذب.

[٧٤] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: نوح ﴿رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ كإبراهيم وهود وصالح ﴿فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجرات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل بعث الرسل إليهم ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ فلا تقبل الإيمان كما طبعتنا على قلوب أولئك.

[٧٥] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ قومه ﴿بِآيَاتِنَا﴾ التسع (١) ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَيَسْحَرُكُمْ بِهِ﴾ يبين ظاهراً.

[٧٧] ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ إنه لسحر ﴿أَيَسْحَرُ بِهَذَا﴾ وقد أَفْلَحَ مَنْ أَتَى بِهِ وَأَبْطَلَ سِحْرَ السَّحَرَةِ؟ ﴿وَلَا يُلْقِي السَّحَرُونَ وَالْإِسْتِغْنَامُ فِي الْمَوْضِعِينَ لِلْإِنكَارِ﴾.

[٧٨] ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفَنَّاكَ لُتْرَدْنَا﴾ لُتْرَدْنَا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَكُنَّا لَكُمْ

الْكِبْرِيَاءَ﴾ الملك ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ مصدقين.

(١) وهي: العصا، واليد، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والثمنون، ونقص الثمرات. وهذه الآيات كانت لفرعون وقومه ليؤمنوا، وهي بخلاف الآيات التي أوتيتها موسى عليه السلام لإسرائيل ليؤمنوا، وهي: ثقل البحر، وإنزال المني والسلوى، وتقليل الغمام، وتضييق الماء من الحجر، ونطق الجبل، أي رفعه فوق رؤوسهم، ومسح الذين عتوا منهم، وإتيان الختان يوم سبئهم، والرجفة، والصاعقة، وإحياء الميت القليل بضربه ببعض البقرة التي أمروا بذبحها.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ  
 قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقَوْمَا أَنتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ  
 مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرَانِ اللَّهُ سَيَبْطِلُهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَيُصْلِحُ  
 عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُخَيِّئُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ  
 الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَاءَ أَمْنٍ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةً مِنْ قَوْمِهِ عَلَى  
 خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ  
 فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يَلْقَوْنَ  
 كُتُبَكُمْ فَمِنْكُمْ أَتَمَنُّ بِأَلَلِهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾  
 فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ  
 ﴿٨٥﴾ وَنَحْنُ بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى  
 وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا الْقَوْمَ كَمَا يُحْضِرُ يُبُوتَا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ  
 قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَى  
 رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ  
 الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ  
 وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

[٧٩] وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فائق في علم السحر.

[٨٠] فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى ﴿٨٠﴾ بعد ما قالوا له: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُلْقِي

وَلَيْمَّا أَنْ تَكُونَ تَحْتَ الْمَلَكَيْنِ ﴿٧٩﴾﴾: ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾.

[٨١] ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ حالهم وعصبيهم ﴿قَالَ مُوسَى مَا﴾ استفهامية مبتدأ  
 خبره ﴿جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾ (١) بدل، وفي قراءة بهزرة واحدة (٢) إخبار (٣)،  
 فـ «ما» (٤) اسم موصول مبتدأ (٥) ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ﴾ أي: سيمحقه ﴿إِنَّ اللَّهَ  
 لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

[٨٢] ﴿وَيُخَيِّئُ﴾ يثبت ويظهر ﴿اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ بمواعيده ﴿وَلَوْ  
 كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

[٨٣] ﴿فَمَاءَ أَمْنٍ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةً﴾ طائفة ﴿مِنْ﴾ أولاد ﴿قَوْمِهِ﴾ أي:  
 فرعون ﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ بصرفهم عن دينه  
 بتعديده ﴿وَلَنْ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾ متكبر ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَلَنْهُ لِيَنْ  
 الْمُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين الحد بادعاء الربوبية.

[٨٤] ﴿وَقَالَ مُوسَى يَلْقَوْنَ كُتُبَكُمْ فَمِنْكُمْ أَتَمَنُّ بِأَلَلِهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ  
 مُسْلِمِينَ﴾.

[٨٥] ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ لا  
 تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتنوا بنا.

[٨٦] ﴿وَنَحْنُ بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[٨٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا﴾ اتخذوا ﴿الْقَوْمَ كَمَا يُحْضِرُ يُبُوتَا  
 وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ فضلى تصلون فيه لتأمنوا من الخوف، وكان  
 فرعون منعهم من الصلاة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أتموها ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾  
 بالنصر والجنة.

[٨٨] ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي  
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا آتَيْتَهُمْ ذَلِكَ لِيُضِلُّوا﴾ في عاقبته ﴿عَنْ سَبِيلِكَ﴾  
 دينك ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ امسحها ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ اطبع  
 عليها واستوثق ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ المؤلم، دعا عليه وأمر  
 هارون على دعائه.

(١) الأعراف: ١١٥.

(٢) قرأ أبو عمرو بالمد والهمز، وقوله: خبره؛ أي: ﴿جِئْتُمْ بِهِ﴾، وبدل؛ أي: ﴿السحر﴾.

(٣) أي همزة الوصل في «السحر».

(٤) أي فهو إخبار.

(٥) على هذه القراءة.

(٦) وخبره: جملة: «إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ».

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ مَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْنَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْفُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ءَأَلْفَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩٠﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْوَءَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَكُونَ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَكَوْنُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٦﴾

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٩٧] ﴿وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فلا ينفعهم حينئذ.

[٨٩] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ﴾ فمسخت أموالهم حجارة، ولم يؤمن فرعون حتى أدركه العرق ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ على الرسالة والدعوة إلى أن يأتيهم العذاب ﴿وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في استعجال قضائي، روي أنه مكث بعدها أربعين سنة<sup>(١)</sup>.

[٩٠] ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْنَهُمْ﴾ لحقهم ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا﴾ مفعول له ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْفُ﴾ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿كره ليقبل منه فلم يقبل، ودس جبريل في فيه من حمأة<sup>(٢)</sup> البحر مخافة أن تتاله الرحمة<sup>(٣)</sup>﴾.

[٩١] وقال له: ﴿ءَأَلْفَنَ﴾ تؤمن ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بضاللك وإضلالك عن الإيمان.

[٩٢] ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ نخرجك من البحر ﴿بِبدَنِكَ﴾ جسدك الذي لا روح فيه ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ﴾ بعدك ﴿ءَايَةً﴾ عبرة فيعرفوا عبوديتك ولا يقدموا على مثل فعلك، وعن ابن عباس أن بعض بني إسرائيل شكوا في موته فأخرج لهم لبروه<sup>(٤)</sup> ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ لا يعتبرون بها.

[٩٣] ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ أنزلنا ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْوَءَ صِدْقٍ﴾ منزل كرامة، وهو الشام ومصر ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ بأن آمن بعض وكفر بعض ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ رُبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿من أمر الدين بإنجاء المؤمنين وتعذيب الكافرين﴾.

[٩٤] ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ من القصص فرضاً<sup>(٥)</sup> ﴿فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾ فإنه ثابت عندهم يخبروك بصدقه، قال ﷺ: «لا أشك ولا أسأل»<sup>(٦)</sup> ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه.

[٩٥] ﴿وَلَا تَكُونَ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَكَوْنُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

[٩٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالعداب

(٥) ما جاء في برول الآية (٩٤): أخرج أبو داود عن أبي زميل قال: سألت ابن عباس فقلت: ما شيء أجده في صدري؟ قال: ما هو؟ قلت: والله ما أتكلم به. قال: فقال لي: أشيء من شك؟ قال: وضحك، قال: ما نجا من ذلك أحد، قال: حتى أنزل الله ﷻ: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ قال: فقال لي: إذا وجدت في نفسك شيئاً نقل: ﴿مِمَّا الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالْأَطْلَقُ وَالْكَاطِبُ وَهُوَ يَقُولُ كَقَوْلِي عَلَيْهِ﴾ أبو داود - كتاب الأدب (٣٥) باب (١١٨) في رد الموسومة. (حسن الإسناد) صحيح سنن أبي داود (٤٢٦٢).

(١) أخرجه الحكيم الترمذي عن مجاهد وهو قول ضعيف، كما ذكر القاضي كعان في قرعة العينين.

(٢) لحمزة والكسائي.

(٣) أي طينه.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٠٣٢) وأحمد (٢٦٨١) عن ابن عباس مرفوعاً، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٠٦).

(٥) ذكر ابن كثير في تفسيره نحوه وكذلك في البداية والنهاية، وأخرج نحوه الطبري (١٧٨٧٤).

(٦) أخرجه عبد الرزق وابن جرير عن قتادة [الدر المنثور (٥٧١/٣)] وهو ضعيف لإرساله.

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ  
لَمَاءَ آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٩﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ  
كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ  
﴿١٠٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ  
عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ  
﴿١٠٢﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آيَاتِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ  
قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٣﴾ ثُمَّ نُنْجِي  
رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾  
قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ  
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنَا وَأُمِرْتُ  
أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَنْ أَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا  
وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا  
يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مَرَبَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾

[٩٨] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلاً ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ أريد أهلها ﴿ءَامَنَتْ﴾ قبل نزول

العذاب بها ﴿فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا﴾ لكن ﴿قَوْمٌ يُونُسَ﴾ عند رؤية  
أمارة العذاب ولم يؤمنوا إلى حلوله ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ انقضاء أجالهم.

[٩٩] ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ  
النَّاسَ﴾ بما لم يشأه الله منهم ﴿حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ لا.

[١٠٠] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَيَجْعَلُ  
الرَّجْسَ﴾ العذاب ﴿عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون آيات الله.

[١٠١] ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿أَنْظِرُوا مَاذَا﴾ أي: الذي ﴿فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ﴾ من الآيات الدالة على وحدانية الله - تعالى - ﴿وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ  
وَالنَّذْرُ﴾ جمع نذير؛ أي: الرسل ﴿عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في علم الله؛ أي:  
ما تنفعهم.

[١٠٢] ﴿فَهَلْ﴾ فما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ بكذبك ﴿إِلَّا مِثْلَ آيَاتِ الَّذِينَ  
خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم؛ أي: مثل وقائعهم من العذاب ﴿قُلْ فَانْتَظِرُوا﴾  
ذلك ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾.

[١٠٣] ﴿ثُمَّ نُنْجِي﴾ المضارع لحكاية الحال الماضي ﴿رُسُلَنَا وَالَّذِينَ  
ءَامَنُوا﴾ من العذاب ﴿كَذَلِكَ﴾ الإنجاء ﴿حَقًّا عَلَيْنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النبي  
ﷺ وأصحابه حين تعذيب المشركين.

[١٠٤] ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ  
دِينِي﴾ أنه حق ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره وهو  
الأصنام لشككم فيه ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنَا﴾ يقبض أرواحكم  
﴿وَأُمِرْتُ أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٠٥] ﴿وَلَنْ أَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ مائلاً إليه ﴿وَلَا  
تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٠٦] ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ تعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ﴾ إن عبدته ﴿وَلَا  
يَضُرُّكَ﴾ إن لم تعبدته ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ﴾ ذلك فرضاً ﴿فَإِنَّكَ إِذَا مَرَبَ الظَّالِمِينَ﴾.

وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِيدْ  
بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ  
وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ  
مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ  
فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٩﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ  
إِلَيْكَ وَأَصِرْ حَتَّىٰ يَخُوضَ لِمَا لَمْ يَكُن لَكَ بِهِ بِلَاءٌ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١١٠﴾

## سُورَةُ هُودٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكْبَةُ أَحْكَمَتْ أَيْتَهُ وَتُرْفِصَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١٠٨﴾  
الْأَتَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا  
رَبَّكُمْ ثُمَّ يُؤْتُوا إِلَيْهِ يُعْطِكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ  
كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۚ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ  
كَبِيرٍ ﴿١١٠﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١١﴾ إِلَّا أَنَّهُمْ  
يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ۚ أَلَا جِنَّةٌ يَسْتَعِشُونَ شِيَابَهُمْ  
يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٢﴾

ونزل كما رواه البخاري<sup>(١)</sup> عن ابن عباس فيمن كان يستحي أن يتخلى<sup>(٢)</sup> أو  
يجامع فيفضي<sup>(٣)</sup> إلى السماء.

[٥] وقيل: في المنافقين: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾؛ أي:  
الله ﴿أَلَا جِنَّةٌ يَسْتَعِشُونَ شِيَابَهُمْ﴾ يتغبطون بها ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ تعالى ﴿مَا  
يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فلا يعني استخفاؤهم<sup>(٤)</sup> ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ  
الصُّدُورِ﴾ أي: بما في القلوب.

[١٠٧] ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ﴾ يصيبك ﴿اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ كفقر ومرض ﴿فَلَا  
كَاشِفَ﴾ رافع ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنَّ رَبَّكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ﴾ دافع  
﴿لِفَضْلِهِ﴾ الذي أرادك به ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ أي: بالخير ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ  
وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

[١٠٨] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ  
رَبِّكُمْ فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾؛ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَنْ ضَلَّ  
فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن وبال ضلاله عليها ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾  
فأجبركم على الهدى.

[١٠٩] ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ من ربك ﴿وَأَصِرْ﴾ على الدعوة وأذاهم  
﴿حَتَّىٰ يَخُوضَ لِمَا لَمْ يَكُن لَكَ بِهِ بِلَاءٌ﴾ فهم بأمره ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أغدلهم، وقد صبر  
حتى حكم على المشركين بالقتال، وأهل الكتاب بالجزية.

## سُورَةُ هُودٍ

[مكية إلا: ﴿وَأَنذِرُ الْمَسْلُومَةَ﴾ الآية، أو: إلا: ﴿فَلَمَّا كَثُرَ﴾  
الآية، و﴿أَوَّلَتْكَ يَوْمَئِذٍ﴾ الآية. مائتان واثنان، أو: وثلاث  
وعشرون آية، نزلت بعد يونس<sup>(٥)</sup>]

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّكْبَةُ﴾ الله أعلم بمراده بذلك، هذا ﴿رَكْبَةُ أَخَافَتْ أَيْتَهُ﴾ عجيب  
النظم وبديع المعاني ﴿ثُمَّ فَضِلَتْ﴾ يثبت بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿مِنْ  
لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ أي: الله.

[٢] ﴿وَأَنذِرُ﴾ أي: بأن ﴿لَا تُقْبَدُوا إِلَّا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ نَذِيرٌ﴾ بالعذاب إن  
كفرتم ﴿وَيُنذِرُ﴾ بالثواب إن آمنتم.

[٣] ﴿وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ يُؤْتُوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾  
بالطاعة ﴿يُعْطِيهِمْ﴾ في الدنيا ﴿مَتَاعًا حَسَنًا﴾ بطيب عيش وسعة رزق ﴿إِلَىٰ  
أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو الموت ﴿وَيُؤْتِ﴾ في الآخرة ﴿كُلَّ ذِي فَضْلٍ﴾ في  
العمل ﴿فَضْلَهُ﴾ جزاءه ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ فيه بحذف إحدى التاءين؛ أي:  
تعرضوا ﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هو يوم القيامة.

[٤] ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه الثواب والعذاب.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، قد شئت؟! قال: «شيتني هود الواقعة والمرسلات وعم يساءلون، وإدا الشمس كورت». الترمذي - كتب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥٧) سورة الواقعة، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥٥).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٥): عن محمد بن عباد بن جعفر أنه سمع ابن عباس يقرأ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ﴾ قل: سألته عنها؟ فقال: أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم. أخرجه البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة هود (١١) باب (١).

(١) البخاري (٤٦٨٢).

(٢) أي: يقضي حاجته من البول والغائط.

(٣) فالآية على هذا القول في تعليم التوحيد والراقبة، وأن الله مطلع عليهم في جميع أحوالهم، ولا ينافي ذلك نذب التغطية عند التخلي والجماع.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَعْبُودُونَ مِنْ بَعْدِ الْآلِهَةِ لَيَقُولُنَّ الْإِنْسَانُ أَكْفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا اسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَفَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْكُمْ كَفُورٌ﴾ ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعَمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَصَابِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا أَلَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ كُنْزًا أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾

[٦] ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ هي ما دب عليها ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ تكفل به فضلاً منه تعالى ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ مسكنها في الدنيا أو

الصلب ﴿وَمُسْتَوْدَعُهَا﴾ بعد الموت أو في الرحم ﴿كُلٌّ﴾ مما ذكر ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ بَيِّن، هو اللوح المحفوظ.

[٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿رَكَاتٍ عَرَشُهُ﴾ قبل خلقهما ﴿عَلَى الْمَاءِ﴾ وهو على متن الريح <sup>(١)</sup> ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلق بـ ﴿خَلَقَ﴾؛ أي: خلقهما وما فيهما من منافع لكم ومصالح؛ ليختبركم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: أطوع لله ﴿وَلَئِنْ قُلْتُمْ﴾ يا محمد لهم: ﴿إِنَّكُمْ مَعْبُودُونَ مِنْ بَعْدِ الْآلِهَةِ لَيَقُولُنَّ﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ ﴿هَذَا﴾ القرآن الناطق بالبعث أو الذي تقوله ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ بَيِّن، وفي قراءة <sup>(٢)</sup> ﴿سَاحِرٌ﴾ والمشار إليه النبي ﷺ.

[٨] ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ مَجِيءٍ أَتَوْا أَوْفَاتٍ﴾ مَعْدُودَةٌ لَيَقُولُنَّ استهزاء: ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾ ما يمنع من النزول، قال تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا﴾ مدفوعاً عنهم ﴿وَحَاقَ﴾ نزل بهم ﴿مَا كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ من العذاب.

[٩] ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ الْكَافِرَ ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ غنى وصحة ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْكُمْ كَفُورٌ﴾ شديد الكفر <sup>به</sup>.

[١٠] ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعَمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ﴾ فقر وشدة ﴿مَسَتْهُ لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ﴾ المصائب ﴿عَنِّي﴾ ولم يتوقع زوالها ولا شكر عليها ﴿إِنَّمَا لَفِرِحَ﴾ بطر ﴿فَخُورٌ﴾ على الناس بما أوتي.

[١١] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الضراء ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في النعماء ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هو الجنة.

[١٢] ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ فلا تبلغهم إياه لتهاونهم به ﴿وَصَابِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ بتلاوته عليهم لأجل ﴿أَنْ يَقُولُوا أَلَوْلَا﴾ هَلَا ﴿أَنْزَلْ عَلَيْهِ كُنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ يصدقه كما اقترحنا ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ فما عليك إلا البلاغ لا الإتيان بما اقترحوه ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ حفيظ فيجازيهم.

(١) هذا القول مروى عن ابن عباس، ومعناه أن الريح مخلوقة قبل الماء، والصحيح أن أول مخلوق هو الماء لحديث البخاري عن عمران بن حصيص، أنه ﷺ من عن أحوال هذا العالم؛ فقال: «كان الله، ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء». رواه البخاري في بدء الخلق (٣١٩٢).

(٢) لحمة والكسائي.



[١٣] ﴿أَمْ﴾ بل أُولَئِكَ أَقْرَبُهُ ﴿أَي﴾ القرآن ﴿قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ﴾ في الفصاحة والبلاغة<sup>(١)</sup> ﴿مُقَرَّرِيَّتْ﴾ فإنكم عربون فصحاء مثلي، تحداهم بها أولاً ثم بسورة<sup>(٢)</sup> ﴿وَأَدْعُوا﴾ للمعاونة على ذلك ﴿مَنْ أَسْتَطْعَمَ﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿أَي﴾ غيره ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنه افترأ.

[١٤] ﴿فَأَنذَرْتُ﴾ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ﴿أَي﴾ مَنْ دَعَوْتَهُمْ للمعاونة ﴿فَاعْلَمُوا﴾ خطاب للمشرِكين ﴿أَنَّمَا أُنْزِلَ﴾ ملتبساً ﴿بِغَلْمِ اللَّهِ﴾ وليس افترأ عليه ﴿وَأَنْ﴾ مخففة ﴿أَي﴾ أنه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ بعد هذه الحجة القاطعة؛ أَيْ: أسلموا.

[١٥] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بَانَ أَصْرَ عَلَى الشَّرِكِ، وَقِيلَ: هِيَ فِي الْمَرَاتِينِ ﴿تُوفِّي إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ﴾ أَيْ: جِزَاءُ مَا عَمِلُوهُ مِنْ خَيْرٍ كَصَدَقَةٍ وَصَلَةِ رَحِمٍ ﴿فِيهَا﴾ بَانَ نَوْعُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ أَيْ: الدُّنْيَا ﴿لَا يَخْشَوْنَ﴾ بِنَقْصُونِ شَيْءٍ.

[١٦] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ بِطُلُوعِ مَا سَعَوْا﴾ أَيْ: الْآخِرَةُ، فَلَا ثَوَابَ لَهُ ﴿وَيُطْلَىٰ مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ﴾.

[١٧] ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتْرَفٍ﴾ بِيَانٍ ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ وَهُوَ النَّبِيُّ ﷺ أَوِ الْمُؤْمِنُونَ، وَهِيَ الْقُرْآنُ ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ يَتَّبِعُهُ ﴿شَاهِدٌ﴾ لَهُ بِصَدَقَةِ ﴿وَمِنْهُ﴾ أَيْ: مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ جَبْرِيلُ ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ الْقُرْآنُ ﴿كُتِبَ مُوسَىٰ﴾ التَّوْرَةُ شَاهِدٌ لَهُ أَيْضًا ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ حَالٌ، كَمَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ لَا ﴿أُولَئِكَ﴾ أَيْ: مَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أَيْ: بِالْقُرْآنِ، فَلَهُمُ الْجَنَّةُ ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ مِنَ الْآخِرَابِ ﴿جَمِيعَ الْكُفَّارِ﴾ فَقَالَتِ النَّارُ مَوْعِدُكُمْ فَلَا تَكُ فِي مَرِيضَةٍ ﴿شَكَّ مِنْهُ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أَيْ: أَهْلَ مَكَّةَ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٨] ﴿وَمَنْ﴾ أَيْ: لَا أَحَدَ ﴿أَظْلَمُ مِنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بِنِسْبَةِ الشَّرِيكِ وَالْوَلَدِ إِلَيْهِ ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي حِمْلَةِ الْخَلْقِ ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾ جَمْعُ شَاهِدٍ، وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ لِلرَّسْلِ بِالْبَلَاغِ وَعَلَى الْكُفَّارِ بِالْكَذِبِ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ آلَا﴾

أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَىٰ قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَّتْ  
وَأَدْعُوا مَنْ أَسْتَطْعَمُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ  
فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْ  
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ  
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوْفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَلُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا  
لَا يَخْشَوْنَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا  
النَّارُ وَحِطَّ مَا سَعَوْا فِيهَا وَطُلُوعِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ  
أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتْرَفٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ  
كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ  
بِهِ مِنَ الْآخِرَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مَرِيضَةٍ إِنَّهُ  
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ وَمَنْ  
أَظْلَمُ مِنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ  
رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ  
أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ  
اللَّهِ وَيَعْبُدُونَ هَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا

لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ<sup>(٣)</sup> المشرِكين.

[١٩] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دِينَ الْإِسْلَامِ ﴿وَيَتَّبِعُونَ﴾ يَطْلُبُونَ السَّبِيلَ ﴿عُوجًا﴾ مَعُوجَةً ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ﴾ تَأْكِيدٌ ﴿كَاذِبُونَ﴾.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ بَدَىٰ الْمُؤْمِنَ فَبُذِعَ عَلَيْهِ كُفَّهُ وَبَسْتُهُ، فَيَقُولُ: أَعْرِفْ ذَنْبَ كَذَا؟ أَعْرِفْ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ. حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَىٰ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ؛ قَالَ: سَبَرْتَهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَىٰ كِتَابُ حَسَنَاتِهِ. وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: «هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ آلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ». البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة هود (١١) باب (٤) «وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ آلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ».

(١) وغير ذلك من وجوه تحشيه وإعجازه الكثيرة.

(٢) في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ شَكٍّ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعْنَا أَزْوَاجًا فَلَهُنَّ شَتْرٌ مِنْ شَيْءٍ﴾ [البقرة: ٢٣].

أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضَاعِفُ لَهُمْ أَعْدَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢١﴾ لَا جُرْمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَصْمَىٰ وَالْأَصْبَحِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِتْيَ لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْإِسْرِ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَىٰ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَىٰ أَتَّبِعُكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَبَادُوكَ وَالرَّأْيَ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَفَعَلْتُ عَلَيْكُمْ أُنْزِلْكُمْ مِثْلَهَا كَرِهُونَ ﴿٢٨﴾

[٢٠] ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُعْجِزِينَ﴾ الله ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَمِنْ أَوْلِيَاءٍ﴾ أنصار ينعونهم من عذابه ﴿يُضَاعِفُ لَهُمْ

الْعَذَابَ﴾ بإضالهم غيرهم ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ للحق ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ أي: لفرط كراهتهم له كأنهم لم يستطيعوا ذلك.

[٢١] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ﴾ غاب ﴿عَنْهُمْ﴾ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾.

[٢٢] ﴿لَا جُرْمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾.

[٢٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا﴾ سكنوا واطمأنوا أو

أنابوا ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢٤] ﴿مَثَلُ﴾ صفة ﴿الْفَرِيقَيْنِ﴾ الكفار والمؤمنين ﴿كَالْأَصْمَىٰ

وَالْبَصِيرِ﴾ هذا مثل الكافر ﴿وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ هذا مثل المؤمن ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا؟﴾ لا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup> فيه إدغام التاء في الأصل في الدال؛

تتعتلون.

[٢٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ أي: بأني، وفي قراءة

بالكسر<sup>(٢)</sup> على حذف القول<sup>(٣)</sup> ﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بَيْنَ الْإِنْدَارِ.

[٢٦] ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن

عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمِ الْإِسْرِ﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة.

[٢٧] ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ وهم الأشراف: ﴿مَا تَرَىٰ

إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ ولا فصل لك علينا ﴿وَمَا تَرَىٰ أَتَّبِعُكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ

أَرَادُوا﴾ أسافلنا؛ كَالْحَاكِيَةِ وَالْأَسَاكِفَةِ ﴿بَادُوا﴾ الرَّأْيَ ﴿بِالْهَمَزِ

وتركة<sup>(٤)</sup>؛ أي: ابتداء من غير تفكير فيك، ونصبه على الظرف؛ أي: وقت

حدوث أول رأيهم ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلٍ﴾ فتستحقون به الاتباع

منا ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ في دعوى الرسالة، أدرجوا قومه معه في

الخطاب.

[٢٨] ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿وَمِنْ

رَبِّي وَمَا آتَنِي رَحْمَةً مِنْ رَبِّي عِنْدِي﴾ [فَعَمِيَّتْ] خفيت ﴿عَلَيْكُمْ﴾ وفي

قراءة: بتشديد الميم والبناء للمفعول<sup>(٥)</sup> ﴿أُنْزِلْكُمْ مِثْلَهَا﴾ أنجزكم على قبولها

﴿وَأَنْتُمْ لَهَا كَاذِبُونَ﴾ لا نقدر على ذلك.

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) قراءة ﴿أَنْتِي﴾ بالفتح للكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) تقديره: «قال إني».

(٤) بالهمز قراءة أبي عمرو.

(٥) وبلون التشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وهي المفسرة أولاً.

[٢٩] ﴿وَيَقُولُوا لَا آتَاكُمُ عَلَيْهِمْ عَلَى تَبْلِغِ الرِّسَالَةِ﴾ مَالًا ﴿مَالًا﴾ تَعْطُونِيهِ ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿أَجْرِي﴾ ثَوَابِي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كَمَا أُمَرْتُ بِهِمْ ﴿إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ﴾ بِالْبَيْتِ فِي جَارِيهِمْ وَيَأْخُذُ لَهُمْ مِنْ ظِلِّهِمْ وَطَرْدُهُمْ ﴿وَلَكَيْفَ أَتَذَكَّرُ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ عَاقِبَةُ أَمْرِكُمْ.

[٣٠] ﴿وَيَقُولُوا مَنْ يَضُرُّنِي﴾ بِمَعْنَى ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ أَي: عَذَابُهُ ﴿إِنْ طَرَدْتَهُمْ﴾ أَي: لَا نَاصِرَ لِي ﴿أَفَلَا﴾ فَهَلَا ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ يَادْعَامُ النَّاءِ الثَّانِيَةِ فِي الْأَصْلِ فِي الذَّالِ (١) تَتَعَطَّلُونَ.

[٣١] ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدَ خَزَائِنِ اللَّهِ وَلَا لِي﴾ أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ ﴿إِنِّي مُلْكٌ﴾ بَلْ أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ تَخْفَرُ ﴿أَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ قُلُوبِهِمْ ﴿إِنِّي إِذًا﴾ إِنْ قُلْتُ ذَلِكَ ﴿لَكُنَّ الظَّالِمِينَ﴾.

[٣٢] ﴿قَالُوا لَيْتَنُوحٌ قَدْ جَدَدْنَا لَنَا﴾ خَاصِمَتَنَا ﴿فَاكْزَرَتْ﴾ جَدَلْنَا فَأَنَّا يَمَّا تَمِدَنَّا﴾ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فِيهِ.

[٣٣] ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾ تَعَجَّلَ لَكُمْ فَإِنْ أَمَرَ إِلَيْهِ لَا إِلَهَ ﴿وَمَا أَنشَأَ يُمْعِرِينَ﴾ بِفَاتِحَتِ اللَّهِ.

[٣٤] ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصِيحِي﴾ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَصْحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴿أَي: إِغْوَاءَكُمْ، وَحَوَابِ الشَّرْطِ دَلَّ عَلَيْهِ: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصِيحِي﴾، هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[٣٥] قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ﴾ بَلْ أَمْ يَقُولُونَ ﴿أَي: كَفَارِ مَكَّةَ﴾ أَفْتَرَيْنَهُ ﴿اخْتَلَقَ مُحَمَّدٌ الْقُرْآنَ﴾ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُمْ فَمَلَكُ إِجْرَائِي ﴿إِنَّمَا﴾ أَي: عَقُوبَتُهُ ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ وَمِمَّا يَجْعَلُونَ﴾ مِنْ إِجْرَائِكُمْ فِي نَسْبَةِ الْإِفْتِرَاءِ إِلَيَّ.

[٣٦] ﴿وَأَوْحَى﴾ إِلَيَّ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا يَنْفَعُكُمْ ﴿يَا كَاوُلُوا بِقَعْلُون﴾ مِنَ الشَّرْكِ. فَدَعَا عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ﴾ (٢) إِلَهِي، فَأَجَابَ اللَّهُ دَعَاءَهُ فَقَالَ: [٣٧] ﴿وَأَصْبَحَ الْفُلُكُ السَّفِينَةَ﴾ بِأَعْيُنِنَا ﴿بَرَأَى مِنَّا وَحَفَظَنَا﴾ (٣) ﴿وَوَحَّيْنَا﴾ أَمْرَنَا ﴿وَلَا تَخْطِبْنِي فِي

وَيَقُولُوا لَا آتَاكُمُ عَلَيْهِمْ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنْ أَرَنْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقُولُوا مَنْ يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتَهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدَ خَزَائِنِ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مُلْكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ وَإِنِّي إِذَا لَمَنْ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا لَيْتَنُوحٌ قَدْ جَدَدْنَا لَنَا فَكْزَرَتْ جَدَلْنَا فَأَنَّا يَمَّا تَمِدَنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصِيحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَصْحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلِّي إِجْرَائِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا يَجْعَلُونَ ﴿٣٥﴾ وَأَوْحَى إِلَيَّ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا يَنْفَعُكُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْبَحَ الْفُلُكُ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَّيْنَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٣٧﴾

الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كَفَرُوا بِرُكْ إِهْلَاكِهِمْ ﴿إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

(١) قرأ بتحفيف الذال حفص وحزمة والكسائي وشدها بقية السبعة.

(٢) نوح: ٢٦.

(٣) في هذه الآية وغيرها يثبت - سبحانه - لنفسه عتبا يرى بها جميع المراتب، وهي صفة حقيقة لله تعالى على ما يليق به - سبحانه -، نؤمن بها ونثبتها لربنا كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وأما تأويل العين بأنها عبارة عن الإدراك والإحاطة فهو مذهب الأشاعرة وغيرهم من أهل التأويل.

[٤٠] ﴿حَقٌّ﴾ غاية الصنع ﴿إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وَقَارَ الْثُورُ﴾ للبخاز بالماء<sup>(١)</sup>، وكان ذلك علامة لنوح ﴿فَلَمَّا أَتَى فِيهَا﴾ في السفينة ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾ ذكرًا وأنثى؛ أي: من كل أنواعهما ﴿اثنَيْنِ﴾ ذكرًا وأنثى، وهو مفعول<sup>(٢)</sup>، وفي القصة أن الله حشر لنوح السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملهما في السفينة ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: زوجته وأولاده ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي: منهم بالإهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم الثلاثة ﴿وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قيل: كانوا ستة رجال ونساءهم، وقيل: جميع من كان في السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء.

[٤١] ﴿وَقَالَ﴾ نوح: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ يَجْرِيهَا﴾ [وَمَوْسِمَهَا] بفتح اليمين وضمهما<sup>(٣)</sup> مصدران؛ أي: جريها ورسوها؛ أي: منتهى سيرها ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ حيث لم يهلكنا.

[٤٢] ﴿وَهُنَّ يَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ في الارتفاع والعظم ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ كنعان<sup>(٤)</sup> ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ عن السفينة: ﴿يَبْتَئِ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٤٣] ﴿قَالَ سَوَاءٌ لِي جِبِلٌّ يَعْصِمُنِي﴾ بمعنى ﴿مِنْ أَلَمَاءَ﴾ قال لا عاصم اليوم من أمر الله عذابه ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ رَحِمَ﴾ الله فهو المعصوم، قال تعالى: ﴿وَسَالَ بِهِنَّ أَلَمٌ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾.

[٤٤] ﴿وَقِيلَ يٰنَارُ أَتْلَيْ مَاءَكِ﴾ الذي نبع منك فشرته دون ما نزل من السماء فصار أنهارًا وبحارًا ﴿وَيَسْمَاءُ أَقْلَى﴾ أمسكي عن المطر فأمسكت ﴿رَغِيضٌ﴾ نقص ﴿أَلَمَاءَ وَفُضِيَ الْأَمْرُ﴾ ثم أمر هلاك قوم نوح ﴿وَأَسْتَوَتْ﴾ وقفت السفينة ﴿عَلَى الْجُودَى﴾ جبل بالجزيرة بقرب الموصل ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ هلاكًا ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين.

[٤٥] ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي﴾ كنعان ﴿مِنْ أَهْلِي﴾ وقد وعدتني بنجاتهم ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ الذي لا تخلف فيه ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكِيمِينَ﴾ أعلمهم وأعدلهم.

وَيَصْنَعُ الْفُلَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ نَعْتَمُوتُ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَقَارَ الْثُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبُهَا وَمَرْضَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْتَئِ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَوَاءٌ لِي جِبِلٌّ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يٰنَارُ أَتْلَيْ مَاءَكِ وَيَسْمَاءُ أَقْلَى وَغِيصَ الْمَاءُ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكِيمِينَ ﴿٤٥﴾

[٣٨] ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلَ﴾ حكاية حال ماضية ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ﴾ جماعة ﴿مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ استهزؤا به ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ إذا نبهونا وغرقتم.

[٣٩] ﴿فَسَوْفَ نَعْتَمُوتُ مَنْ﴾ موصولة، مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾.

(١) قول جمهور السلف وعلماء الخلف أن المعنى: حتى فار الماء من التناثر التي هي مكان النار، صارت تقور ماء، وقيل: المراد الكتابة عن اشتداد الأمر، كما يقال: حمي انطيس، والوطيس: التنور، وهو من فصيح الكلام وبلغه، وقيل غير ذلك.

(٢) والقراءة المفسرة بإضافة «كُلٌّ» هي قراءة السبعة عدا حفص الذي نون؛ حيث عدى الفعل وهو «احْمِلْ» إلى «زَوْجَيْنِ» فيكون مفعولًا، و «اثنَيْنِ» نعتًا لـ «زَوْجَيْنِ» وفيه معنى التأكيد، كقوله: ﴿لَا تَنْتَبِهُوا إِلَّا هَئِذَا نُنَادِيكُمْ﴾، والتقدير: احمل فيها زوجين اثنين من كل شيء، ثم حذف ما أضيف إليه «كل» فُكِّنَ «كَلًا». أما الجمهور فعُدَى الفعل إلى «اثنَيْنِ»، والتقدير: احمل فيها اثنين.

(٣) أي في قوله: ﴿يَجْرِيهَا وَمَوْسِمَهَا﴾، وقوله: «بفتح اليمين» سبق قلم؛ فإن فتحهما قراءة شاذة؛ والصواب أن يقول: بضم اليمين، أو فتح الأولى مع ضم الثانية، والأولى قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) على افترض صحة تسمية ابن نوح بهذا الهالك بـ «كنعان»؛ فإنه غير «كنعان» جد الكنعانيين، فإن جدهم هو: كنعان بن سام بن نوح.

قَالَ يَنْبُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِينَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّي أَخْشَاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخُوذُكَ أَنْ أَتُكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْبُوحُ أَهَيْطَ بِسَلْمٍ مَتَى وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمِتُّهُمْ ثُمَّ يَمْسُرُ مَتَا عَذَابِ آيَمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَذَابَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَرْتُمُ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

[٤٦] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿يَنْبُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الناجين أو من أهل دينك ﴿إِنَّهُ﴾ أي: سؤالك إياي بِنجاته ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ فإنه كافر ولا نجاة للكافرين، وفي قراءة (١) بكسر ميم ﴿عَمِلٌ﴾ فعل، ونصب ﴿غَيْرُ﴾ فالضمير لابنه ﴿فَلَا [تَسْأَلِينَ]﴾ بالتشديد والتخفيف (٢) ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ﴾ علم ﴿من﴾ إجماع ابنك ﴿إِنِّي أَخْشَاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بسؤالك ما لم تعلم (٣).

[٤٧] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخُوذُكَ﴾ من ﴿أَنْ أَتُكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ﴾ علم ﴿وَلَا تَغْفِرْ لِي﴾ ما فرط مني ﴿وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾.

[٤٨] ﴿قِيلَ يَنْبُوحُ أَهَيْطَ﴾ انزل من السفينة ﴿بِسَلْمٍ﴾ بسلامة أو بجمعة ﴿مَتَى وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ في السفينة أي من أولادهم وذريتهم وهم المؤمنون ﴿وَأُمَمٌ﴾ بالرفع ممن معك (٤) ﴿سَنُمِتُّهُمْ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمْسُرُ مَتَا عَذَابِ آيَمٍ﴾ في الآخرة، وهم الكفار.

[٤٩] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات المتضمنة قصة نوح ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا﴾ أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴿الْقُرْآنُ﴾ فَاصْبِرْ ﴿عَلَى التَّلْيِغِ وَأَذَى قَوْمِكَ﴾ كما صبر نوح ﴿إِنَّ الْعَذَابَ﴾ المحموده ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

[٥٠] ﴿وَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ إِنْ عَادَ لَعَنَاهُمْ ﴿مِنَ الْقَبِيلَةِ﴾ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَخُذُوهُ مَا لَكُمْ مِّنْ زَائِدَةٍ ﴿إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ إِنْ مَا ﴿أَنْتُمْ﴾ في عبادتكم الأوثان ﴿إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ كاذبون على الله.

[٥١] ﴿يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التوحيد ﴿أَجْرًا﴾ إِنْ مَا ﴿أَجَرْتُمُ﴾ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ﴿خَلَقَنِي﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾.

[٥٢] ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ﴾ المطر وكانوا قد مُنِغَوْه ﴿عَلَيْكُمْ﴾ مِدْرَارًا ﴿كثير الدور﴾ وَيزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى ﴿مَعِ قُوَّتِكُمْ﴾ بالمال والولد ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ مشركين.

[٥٣] ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ برهان على قولك ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾ أي: نقولك ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

(١) لكسائي.

(٢) بالنون المشددة مع فتح اللام وصلًا ووفقًا لقراءة ابن كثير، وقرأ قاتلون، وابن عامر ﴿فَلَا تَسْأَلِينَ﴾ وصلًا ووفقًا، وقرأ ورش وأبو جعفر ﴿فَلَا تَسْأَلِينَ﴾ بإثبات الياء وصلًا، وحذفها وفتحًا.

(٣) أي: أنهاك.

(٤) أي من ذريتهم.

[٥٥] ﴿مِن دُونِهِ فَكِدُون﴾ احتالوا في هلاكهم ﴿جَمِيعًا﴾ أنتم وأولادكم ﴿فَمَنْ لَا يَظُنُّونَ﴾ تمهلون.

[٥٦] ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنَّ زَائِدَةٍ﴾ زائدة ﴿وَدَائِدَةٍ﴾ نسيمة تدب على الأرض ﴿إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِكُمْ﴾ أي: مالكها وقاهرها، فلا نفع ولا ضرر إلا بإذنه، ونخص الناصية بالذكر؛ لأن من أخذ بناصيته يكون في غاية الذل ﴿إِنِّي رَّبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: طريق الحق والعدل.

[٥٧] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ فيه حذف إحدى التاءين؛ أي: تعرضوا ﴿فَقَدْ أَرْسَلْنَاكُمْ مَاءً أَرْسَلْنَا بِهِ إِلِكُمْ وَبَسَّخَلَفَ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّنَّ شَيْئًا﴾ بإشراككم ﴿إِنِّي رَّبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ﴾ رقيب.

[٥٨] ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ عذابنا ﴿وَجَعَلْنَا هُودًا وَأَلْدَيْنَا أَمْنًا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ﴾ هداية<sup>(١)</sup> ﴿مِنَّا وَجَعَلْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد.

[٥٩] ﴿وَتِلْكَ آيَاتُ الْآرَامِ﴾ إشارة إلى آفامهم؛ أي: فسبحوا في الأرض وانظروا إليها، ثم وصف أحوالهم فقال: ﴿جَعَلُوا يَتَذَكَّرُ رَبَّهُمْ وَعَصُوا رُسُلَهُ﴾ جمع؛ لأن من عصى رسولاً عصى جميع الرسل؛ لاشترائهم في أصل ما جاؤوا به وهو التوحيد ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ أي: السفلة ﴿أَمَرَ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيبٍ﴾ معاند للحق من رؤسائهم.

[٦٠] ﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ من الناس ﴿وَيَوْمَ الْآخِرَةِ﴾ لعنة على رؤوس الخلائق ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جحدوا ﴿رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا﴾ من رحمة الله ﴿لِلْعَادِ قَوْمٍ هُودٍ﴾.

[٦١] ﴿وَأَرْسَلْنَا﴾ أرسلنا ﴿إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿صَالِحًا﴾ قال يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ وَخُذُوهُ وَمَا لَكُمْ مِنْ آلِهِ عَزِيزٌ هُوَ أَنْشَأَكُمْ ابْنَاداً خَلَقَكُمْ مِنْ الْأَرْضِ بَخْلَقَ أَيْكُمْ آدَمَ مِنْهَا ﴿وَأَسْتَعْمَرُوا فِيهَا﴾ جعلكم عملاً تسكنون بها ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿إِنِّي رَّبِّي قَرِيبٌ﴾ من خلقه بعلمه ﴿يُجِيبُ﴾ لمن سأله.

[٦٢] ﴿قَالُوا يَصْلِحْ ذَنبَكَ كُنْتَ مِنَّا مَرْجُومًا﴾ نرجو أن تكون سيئاً ﴿قَبِلَ هَذَا﴾ الذي صدر منك ﴿أَنْتَهُنَّ أَنْ تَقْبَلَ مَا يَقْبَلُ آبَاؤُنَا﴾ من الأوثان ﴿وَرَبَّنَا لَنَلِيَنَّ شَيْئًا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿مَرْيَبٍ﴾ موقع في الرب.

إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرِكَ بَعْضُ الْهَيْتَانِ بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُ أَنَّ بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ<sup>(١)</sup> مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ<sup>(٢)</sup> إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ<sup>(٣)</sup> فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنِّي رَّبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ<sup>(٤)</sup> وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ<sup>(٥)</sup> وَتِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الَّتِي كُنَّا نَقُولُ لِرَبِّهِمْ وَعَصُوا رُسُلَهُ وَأَتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيبٍ<sup>(٦)</sup> وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْآخِرَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ<sup>(٧)</sup> وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَإِنِّي رَّبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ<sup>(٨)</sup> قَالُوا لَئِنْ لَّمْ يُصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُومًا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَنَلِيَنَّ شَيْئًا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مَرْيَبٍ<sup>(٩)</sup>

[٥٤] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تَقُولُ﴾ في شأنك ﴿إِلَّا اعْتَرِكَ﴾ أصابك ﴿بَعْضُ الْهَيْتَانِ بِسُوءٍ﴾ فخبلك؛ لسببك إياها، فأنت تهدي ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ عَلَيَّ﴾ وأشهدوا أنني بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ<sup>(١)</sup> به.

(١) تأويل هذه الرحمة بالهداية أو غيرها؛ هي طريقة المولة خوف إرادة التشبيه في صفات الله ﷻ، وهذا فهم خاطئ، ومذهب السلف إثبات هذه الصفات التي أنبأها ربنا ﷻ لنفسه دون أن يفتني ذلك تشبيهاً وهو - سبحانه - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وهو السميع البصير ﴿الشورى: ١١﴾.

قَالَ يَقُومُ أَرَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي وَعَاقِبِي مِنْهُ رَحْمَةً نَبُوَّةٌ<sup>(١)</sup> «فَمَنْ يَصْنَعُ» بِمَعْنَى «يُؤَيِّدُ» بِأَمْرِكُمْ لِي بِذَلِكَ «غَيْرَ تَحْسِيرٍ» تَضْلِيلٍ. [٦٤] «وَيَتَوَرَّعُ هَذِهِ» نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ «مَائَةً» حَالٌ، عَامِلُهُ الْإِشَارَةُ<sup>(٢)</sup> «نَذَرُهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ» غَفْرٌ «فَيَاذْكُرْ عَذَابَ قُرَيْبٍ» إِنْ عَقَرْتُمُوهَا. [٦٥] «فَعَقَرُوهَا» عَقَرَهَا قَدْأَرُ بِأَمْرِهِمْ «فَقَالَ» صَالِحٌ: «تَمَتَّعُوا» عِشُوا «فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ» ثُمَّ تَهْلِكُونَ «ذَلِكَ» وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ فِيهِ. [٦٦] «فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا» بِهَلَاكِهِمْ «بَنِيَّاتَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ» وَهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ «رَحِمَةً مِنَّا وَمِنْ خِزْيٍ يُؤَيِّدُ» بِكُسْرِ الْمِيمِ إِعْرَابًا وَفَتْحًا بِنَاءً؛ لِإِضَافَتِهِ إِلَى مَبْنِيٍّ<sup>(٣)</sup> وَهُوَ الْأَكْمَرُ<sup>(٤)</sup> «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ» الْغَالِبُ. [٦٧] «وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الضَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِينَ» بَارِكِينَ عَلَى الرِّكْبِ مَبْنِيٍّ. [٦٨] «كَانَ» مُخَفَّفَةٌ، وَاسْمُهَا مُحَذُوفٌ؛ أَيْ: كَانَهُمْ «لَمْ يَتَّقُوا» يَقِيمُوا «فِيهَا» فِي دَارِهِمْ «إِلَّا أَنْ تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدَ التَّمُودِ» بِالصَّرْفِ وَتَرْكِهِ<sup>(٥)</sup> عَلَى مَعْنَى الْخِي<sup>(٦)</sup> وَالْقَبِيلَةِ<sup>(٧)</sup>. [٦٩] «وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشَرِ» بِإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ بَعْدَهُ «قَالُوا سَلَامًا» مُصَدَّرٌ «قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ» «فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ بِوَجَلِّ حَنِيزٍ» مَشْوِيٍّ. [٧٠] «فَلَمَّا رَأَى أَلْيَهُمْ لَا يُفِيدُ إِلَيْهِ نَصْرَهُمْ» بِمَعْنَى: أُنْكَرَهُمْ «وَأَرْجَسَ» أَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ «بَيْنَهُمْ خِيفَةً» خَوْفًا «قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَزْسِلُنَا إِلَى قَوْمٍ لَوْطٍ» لِهَلَاكِهِمْ. [٧١] «وَأَمْرَانَهُ» أَيْ: امْرَأَةَ إِبْرَاهِيمَ سَارَةَ «قَائِمَةً» تَخْدِمُهُمْ «فَضَحَّكَتْ» اسْتَبْشَارًا بِهَلَاكِهِمْ «فَنَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ» بَعْدَ «إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ» وَلَدَهُ تَعِيشَ إِلَى أَنْ تَرَاهُ.

(١) النبوة أثر من آثار رحمة الله ﷻ، التي هي من صفاته - شَيْخَانَهُ -، وَنَبِيَّاتُهُ لَهُ ﷻ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ عَلَى الرَّجْحِ اللَّائِقِ بِهِ.

(٢) أَيْ اسْمُ الْإِشَارَةِ؛ وَهُوَ «هَذِهِ» مَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ، وَتَقْدِيرُهُ: «وَذَلُّوْهَا».

(٣) بِالْفَتْحِ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَالْكَسَائِيِّ.

(٤) أَيْ فِي اللَّفْظِ؛ أَمَّا قِرَاءَةُ فَهِيَ سَوَاءٌ.

(٥) بِالصَّرْفِ قِرَاءَةُ الْكَسَائِيِّ.

(٦) قَوْلُهُ: «الْخِي» رَاجِعٌ لِلصَّرْفِ؛ فَإِنْ اسْمُ «تَمُودَ» يُصَرَّفُ إِذَا أُطْلِقَ مُرَادًا بِهِ الْأَبَ الْأَكْبَرُ أَوْ الْخِي؛ أَيْ دِيَارِهِمْ.

(٧) قَوْلُهُ: «الْقَبِيلَةُ» رَاجِعٌ لَتَرْكِهِ؛ فَإِنْ اسْمُ «تَمُودَ» يَتَّعَمُّ مِنَ الصَّرْفِ لِلْعِلْمِيَةِ وَالتَّائِيثِ إِذَا أُريدَ بِهِ الْقَبِيلَةُ.





فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا  
حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ مَّضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ  
وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ وَإِلَى مَدِينَتِ أَخَاهُمْ  
شُعَيْبًا قَالَ يَقَوْمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّن إِلَهٍ غَيْرُهُ  
وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ  
وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَقَوْمُ  
أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ  
أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْبَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ  
اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ  
بِحَفِيفٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصَلَوْنَاكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ  
مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ  
لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُ  
عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ  
أُخَالِفَكُمْ إِلَّا مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ  
مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

[٨٢] ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ أي: قهرهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ﴾ طين طبع بالنار ﴿مُضُودٍ﴾ متتابع. ﴿مُّسَوِّمَةً﴾ معلّمة عليها اسم من يُرمي بها ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ظرف لها ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ أي: أهل مكة ﴿بِيعِيدٍ﴾.

[٨٣] ﴿وَإِلَى مَدِينَتِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ قَالَ يَقَوْمُ أَغْبِدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ ﴿مَا لَكُمْ مِّن إِلَهٍ غَيْرِهِ﴾ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ ﴿نعمة تنبئكم عن التطفيف﴾ ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن لم تؤمنوا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ بكم، يهلككم، ووصف اليوم به محاز؛ لوقوعه فيه.

[٨٤] ﴿وَيَقَوْمُ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ أتموها ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ لا تنقصوهم من حقهم شيئاً ﴿وَلَا تَعْبَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره؛ من (عَثَى) بكسر المثلثة: أفسد، ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها ﴿تَعْبَثُوا﴾.

[٨٥] ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ﴾ رزقه اباقي لكم بعد إيفاء الكيل والوزن ﴿وَحَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من البخس ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ ﴿رقيب أجازيكم بأعمالكم، إنما بعثت نذيراً﴾.

[٨٦] ﴿قَالُوا﴾ له استهزاء: ﴿يَشْعِيبُ أَصَلَوْنَاكَ تَأْمُرُكَ﴾ بتكليف ﴿أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿أَوْ﴾ نترك ﴿أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾؟ المعنى: هذا أمر باطل لا يدعو إليه داع بخير ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ قالوا ذلك استهزاء.

[٨٧] ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ حلالاً، أفأشوبه بالحرام من البخس والتطفيف؟ ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾ وأذهب ﴿إِلَّا مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ﴾<sup>(١)</sup> فارتكبه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ لكم بالعدل ﴿مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي﴾ قدرتي على ذلك وغيره من الطاعات ﴿إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أرجع.

(١) فائدة: أخرج أحمد عن مسروق أن امرأة جاءت إلى ابن مسعود فقالت: أنبت أوك تنهى عن الواصلة؟ قال: نعم ... الحديث، وفيه: قالت المرأة: فلعله في بعض سائلك؟! قال: ادخلي. فدخلت ثم خرجت، فقالت: ما رأيت بأشأ. قال: ما حفظك إذن وصية العبد الصالح: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَّا مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ﴾.

المسند (٤١٤/١ - ٤١٥)، وقال أحمد شاكر: [إسناده صحيح (٣٩٤٥)]. وقوى الأرنؤوط إسناده في تخريجه على المسند (٣٩٤٥) (٥٨/٧). وأصله في الصحيحين: البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥).

﴿يَجْرِمُ﴾، والضمير مفعول أول، والثاني (١): ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ من العذاب ﴿وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ﴾ أي: منازلهم أو زمن هلاكهم ﴿وَيَنْصُرُكُمْ يَجِيدُ﴾ فاعتبروا.

[٩٠] ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّ رَحِيمٌ﴾ بالمؤمنين ﴿وَذُوذُ﴾ محب لهم.

[٩١] ﴿قَالُوا﴾ إلهنا بقلة المبالاة: ﴿يَنْشَعِبُ مَا نَفَقَهُ﴾ نفهم ﴿كثيراً﴾ وما نقول ﴿وإنَّا لَنرَبُّكَ﴾ فينا ضعيفاً ذليلاً ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ عشيرتك ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ بالحجارة ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيزٌ﴾ كريم عن الرجم، وإنما رهطك هم الأعره.

[٩٢] ﴿قَالَ يَنْقُورُ أَزْهَقِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ فتركوا قتلي لأجلهم ولا تحفظوني لله ﴿وَأَتَّخِذْتُمُوهُ﴾ أي: الله ﴿وَرَأَيْتُمْ ظَهْرَنَا﴾ منبوءاً خلف ظهوركم لا تراقبونه ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ علماً فيجازيكم.

[٩٣] ﴿وَيَنْقُورُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ حالكم ﴿إِنِّي عَمِلٌ﴾ على حالتي ﴿سَوْفَ تَقْلُوبُونَ مِنْ﴾ موصولة مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ﴾ انتظروا عاقبة أمركم ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ منتظر.

[٩٤] ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿بَجَّيْنَا شُعَبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْغَةَ﴾ صاح بهم جبريل ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جُثَثٍ﴾ باركين على الركب ميتين.

[٩٥] ﴿كَانَ﴾ مخففة؛ أي: كأنهم ﴿لَمْ يَتَوَّأ﴾ يقيموا ﴿فِيهَا إِلَّا بَعْدًا لَعْنَيْنِ﴾ كما بعثت نعوذ.

[٩٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ برهان بين ظاهر.

[٩٧] ﴿إِنْ فِرْعَوْنُ وَمَلَأِيهِ﴾ فأتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد.

وَيَنْقُورُ لَا يَجْرِمُكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ يَبْعِدُ (٨٨) وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَذُوذُ (٨٩) قَالُوا إِنَّا شُعَيْبٌ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَبُّكَ إِنَّمَا ضَعِيفٌ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيزٌ (٩٠) قَالَ يَنْقُورُ أَزْهَقِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَأَتَّخِذْتُمُوهُ وَرَاءَ كُمُ ظَهْرًا إِنَّا رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩١) وَيَنْقُورُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَقْلُوبُونَ مِنْ بَيَاتِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٢) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْغَةَ فَاصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جُثَثٍ (٩٣) كَأَن لَّمْ يَعْلَمُوا فِيهَا إِلَّا بَعْدَ الْمَدِينِ كَمَا بَعْدَتْ نَعُودٌ (٩٤) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٩٥) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٦)

[٨٩] ﴿وَيَنْقُورُ لَا يَجْرِمُكُمْ﴾ بكسبتكم (١) ﴿شِقَاقِي﴾ خلافي فاعل

(١) هذا هو قول الزجاج. وقال الحسن البصري وقادة: «يجملنكم».

(٢) أي المفعول الثاني هو: المصدر المؤول من جملة.

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْدَحَهُمُ النَّارَ وَيَبْسُ الْوَرْدُ  
 الْمَرْوُدُ (١٨) وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَبْسُ  
 الرِّفْدُ الْمَرْوُدُ (١٩) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى نَقْصُهُ عَلَيْكَ  
 مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (٢٠) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا  
 أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ  
 اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (٢١)  
 وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفَرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ  
 أَلَمٌ شَدِيدٌ (٢٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ  
 ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (٢٣)  
 وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ (٢٤) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ  
 إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (٢٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا فِي  
 النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (٢٦) خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ  
 وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (٢٧)  
 \* وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ  
 السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوزٍ (٢٨)

[٩٨] ﴿يَقْدُمُ﴾ يتقدم ﴿قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ فينبعونه كما اتبعوه في الدنيا ﴿فَأَوْدَحَهُمُ﴾ أدخلهم ﴿النَّارَ وَيَبْسُ الْوَرْدُ الْمَرْوُدُ﴾ هي. [٩٩] ﴿وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ﴾ أي: الدنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ لعنة ﴿رَبِّكَ﴾ العون ﴿الْمَرْوُدُ﴾ ردهم. [١٠٠] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور مبتدأ خبره: ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى نَقْصُهُ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْهَا﴾ أي: الفرى ﴿فَقَائِمٌ﴾ هلك أهله دونه ﴿وَوَحَصِيدٌ﴾ هلك بأهله فلا أثر له كالزروع المحصود بالمناجل. [١٠١] ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالشرك ﴿فَمَا أَغْنَتْ﴾ دفعت ﴿عَنْهُمْ﴾ إِلَهُهُمْ الَّتِي يَدْعُونَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أي: غيره ﴿مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عذابه ﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾ بعبادتهم لها ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ تخسير. [١٠٢] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الأخذ ﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفَرَى﴾ أريد أهلها ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ بالذنوب أي فلا يغني عنهم من أخذه شيء ﴿إِنْ أَخَذَهُ﴾ أَلَمٌ شَدِيدٌ روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ﴾ ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ الآية (١). [١٠٣] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من القصص ﴿لَآيَةً﴾ لعلبة ﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ ذلك أي: يوم القيامة ﴿يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ﴾ فيه ﴿النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ يشهده جميع الخلائق. [١٠٤] ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾ لوقت معلوم عند الله. [١٠٥] ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ذلك اليوم ﴿وَلَا تَكَلَّمُ﴾ فيه حذف إحدى التاءين ﴿نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ تعالى ﴿فَمِنْهُمْ﴾ أي: الخلق ﴿شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ منهم ﴿وَسَعِيدٌ﴾ كتب كل في الأزل. [١٠٦] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا﴾ في علمه تعالى ﴿فَتَبَّى النَّارَ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ صوت ضعيف (٢). [١٠٧] ﴿خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي: مدة دوامهما في الدنيا ﴿إِلَّا﴾ غير ﴿مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ من الزيادة على مدتهما مما لا ينتهي له (٣)، والمعنى: خالدين فيها أبداً ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾.

[١٠٨] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْعَدُوا﴾ بفتح السين (٤) وضمها ﴿فَتَبَّى الْجَنَّةَ﴾ خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا ﴿غَيْرَ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ كما تقدم، ودل عليه فيهم قوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوزٍ﴾ مقطوع، وما تقدم من التأويل هو الذي ظهر وهو خال من التكلف، والله أعلم بمراده.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا نبي الله، فعلام نعمل؟ على شيء قد فرغ منه، أو على شيء لم يفرغ منه؟ قال: «بل على شيء قد فرغ منه، وجرت به الأقاليم يا عمر، ولكن كل ميسر لما خلق له». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٢) سورة هود. وضمحه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٨٦).

(١) البخاري (٥٢٦) واللفظ له، ومسلم (٢٧٦٣).  
 (٢) روي هذا التفسير عن ابن عباس، وقيل غير ذلك. وأصل «الزفير» هو: أول صوت الحمار، و«الشهيق»: آخره، وكلاهما يصدران عن الحمار بقوة وشدة. وهما يصدران عن الإنسان أيضًا خاصة حال تعب وإرهاقه.  
 (٣) وأكثر علماء السلف والخلف أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ممن يخرجهم الله من النار بشفاعاة الشانعين ثم برحمته - سبحانه -، وأما قوله: ﴿مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧] فجزئياً على عادة العرب في إفادة الدوام بذلك، أو المراد جنس السماوات والأرض؛ لأنه لا بد في عالم الآخرة أيضًا من سموات وأرض.  
 (٤) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

بالتصديق والتكذيب كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾  
بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَقُنْ بِهِنَّ﴾ في الدنيا  
فيما اختلفوا فيه ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: المكذبين به ﴿لَقِيَ شَكَّ مِنْهُ مَرِيبٌ﴾ موقع  
في الريبة.

[١١١] ﴿وَأَن﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(١)</sup> ﴿كَلَامٌ﴾ كل الخلائق  
﴿لَمَّا﴾ «ما» زائدة، واللام موطئة لقسم مقدر، أو فارقة<sup>(٢)</sup>، وفي قراءة:  
بتشديد «لما» بمعنى «إلا» ف«إن»<sup>(٣)</sup> نافية ﴿لَقُنْ بِهِنَّ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ﴾ أي:  
جزاءها ﴿إِنَّهُمْ يَمَّا يَمْلِكُونَ خَيْرٌ﴾ عالم بيوطنه كظواهره.

[١١٢] ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾  
ليستقم ﴿مَنْ تَابَ﴾ آمن ﴿مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ تجاوزوا حدود الله ﴿إِنَّهُمْ يَمَّا  
يَمْلِكُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

[١١٣] ﴿وَلَا تَرْكَبُوا﴾ قبلوا ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ عبودة أو مهادنة أو رضا  
بأعمالهم ﴿فَتَسْكَبُوا﴾ تصيكم ﴿النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ﴾ أي:  
غيره ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿أَوَّلِيَّةٍ﴾ يحفظونكم منه ﴿ثُمَّ لَا تُصْرَفُونَ﴾ تمنعون  
من عذابه.

[١١٤] ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾ الغداة والعشي؛ أي: الصبح  
والظهر والعصر ﴿وَرُفَاكَ﴾ جمع زلفة؛ أي: طائفة ﴿مِنْ أَيْلٍ﴾ المغرب  
والعشاء ﴿إِنَّ الْمَسْنُونَةَ﴾ كالصلوات الخمس ﴿يُدْهِنُ الشَّيْءَاتِ﴾ الذنوب  
الصغائر، نزلت<sup>(٥)</sup> فيمن قيل أجنبية فأخبره النبي ﷺ فقال: ألي هذا؟ فقال:  
«لجميع أمتي كلهم» رواه الشيخان<sup>(٤)</sup> ﴿ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرَةِ﴾ عظة  
للمتعظين.

[١١٥] ﴿وَأَصْبِرْ﴾ يا محمد على أذى قومك، أو على الصلاة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ  
لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالصبر على الطاعة.

[١١٦] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم الماضية ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ  
أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾ أصحاب دين وفضل ﴿يَتَّبِعُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ المراد به  
النفي؛ أي: ما كان فيهم ذلك ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿فَلَيْلًا وَمَنْ أُنْجِنَا مِنْهُمْ﴾  
نهبوا فنجوا، و«من» للبيان ﴿وَأَتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالفساد وترك النهي  
﴿مَا أَتْرَفُوا﴾ نعموا ﴿فَبِهِ وَكَانُوا يُجْرِمُونَ﴾.

[١١٧] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ مِنْهُ لَهَا وَوَهَّلَهَا  
مُصْلِحُونَ﴾ مؤمنون.

فَلَا تَأْكُلُ فِي مَرْيَةٍ مِمَّا يَعْْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ  
ءَابَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوَفُّوهُمْ نَصِيْبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ  
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ  
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَرِيبٌ  
﴿وَأَن كَلَّا لَمَّا يُؤْفِكُهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ يَمَّا يَمْلِكُونَ  
خَيْرٌ﴾ فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا  
إِنَّهُ يَمَّا يَمْلِكُونَ بَصِيرٌ﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا  
فَتَمَسْكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ  
لَا تُصْرَفُونَ ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفَاكَ  
أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ الشَّيْءَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي  
لِلذَّكْرِينَ ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ  
﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَمْهَوْنَ  
عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ  
الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتْرَفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿وَمَا  
كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾

[١٠٩] ﴿فَلَا تَأْكُلُ﴾ يا محمد ﴿فِي مَرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِمَّا يَعْْبُدُونَ هَوَاهُ﴾  
من الأصنام، إننا نعذبهم كما عذبنا من قبلهم، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿مَا  
يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ ءَابَاؤُهُمْ﴾ أي: كعبادتهم ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ وقد عذبناهم  
﴿وَأِنَّا لَمَوَفُّوهُمْ﴾ مثلهم ﴿نَصِيْبَهُمْ﴾ حظهم من العذاب ﴿غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾  
أي: ناقصا.

[١١٠] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١٤) : أخرج البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رجلاً أصاب من امرأة قبله، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فأنزلت عليه: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفَاكَ مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْمَسْنُونَةَ يُدْهِنُ الشَّيْءَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرَةِ﴾. البخاري - كتاب النفس (٦٥) - سورة هود (١١) باب (٥).

(١) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وشعبة.

(٢) أي بين «إن» المهمله والنافية.

(٣) على قراءة التخفيف، وقراها بالتخفيف نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي.

(٤) البخاري (٥٢٦)، ومسلم (٢٧٦٣) عن ابن مسعود.

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ  
 (١٨) إِلَّا مَن رَّجَعْنَا رَبُّكَ إِلَى ذَلِكِ خَلْقُهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ  
 لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٩) وَلَا تَقْصُ  
 عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ الرُّسُلِ مَا نَسِيتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ  
 الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
 أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (٢١) وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ  
 (٢٢) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ  
 فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٣)

## سُورَةُ يُوسُفَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا  
 عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ  
 الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ  
 لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣) إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ  
 أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤)

[١٨] ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أهل دين واحد ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في الدين.

[١٩] ﴿إِلَّا مَن رَّجَعْنَا رَبُّكَ﴾ أراد لهم الخير<sup>(١)</sup>، فلا يختلفون فيه ﴿وَلَذَلِكَ خَلْقَهُمْ﴾ أي: أهل الاختلاف له، وأهل الرحمة لها ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ وهي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

[٢٠] ﴿وَلَا تَقْصُ﴾ نصب بـ ﴿نَقُصُّ﴾ وتوينه عوض المضاف إليه؛ أي: كل ما يحتاج إليه ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ الرُّسُلِ مَا﴾ بدل من ﴿كُلِّ﴾ ﴿تَنَسِيتُ﴾ نظم من ﴿يُؤْ﴾ فُؤَادَكَ ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾ الأنبياء أو الآيات ﴿الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ خصوصاً بالذكر لانففاعهم بها في الإيمان بخلاف الكفار.

[٢١] ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ على حالتنا تهديد لهم.

[٢٢] ﴿وَانظُرُوا﴾ عاقبة أمركم ﴿إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ ذلك.

[٢٣] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: علم ما غاب فيهما ﴿وَالَّذِينَ يَزِجُ﴾ بالبناء للفاعل يعود، والمفعول يَزِجُ<sup>(٢)</sup> ﴿الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ فينتقم من عصى ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ ثب به فإنه كافيك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ وإنما يؤخرهم، وفي قراءة بالفوقانية<sup>(٣)</sup>.

## سُورَةُ يُوسُفَ

[مكية، مائة وإحدى عشرة آية، نزلت بعد هود]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[٤] اذكر ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يعقوب: ﴿يَا أَبَتِ﴾ بالكسر دلالة على باء الإضافة المحذوفة، والفتح دلالة على ألف محذوفة قلبت عن الباء<sup>(١)</sup> ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ في المنام ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾ تأكيد ﴿لِي سَاجِدِينَ﴾ جمع بالياء والنون للوصف بالسجود الذي هو من صفات العقلاء.

[١] ﴿الرَّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿الْكِتَابِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى «من» ﴿الْمُبِينِ﴾ المظهر للحق من الباطل.

[٢] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تَعْقِلُونَ﴾ تفقهون معانيه.

[٣] ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا﴾ بإيحائنا ﴿إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن﴾ مخففة؛ أي: وإنه ﴿كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

(١) تأويل رحمة الله ﷻ بإرادة الخير والثواب ونحوه مذهب المؤولة، وهذا فرع التعطيل، ومذهب السلف إثبات هذه الصفات لله ﷻ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعميل ولا تكييف ولا تمثيل.

(٢) بالبناء للفاعل قراءة السبعة عدا نافع وحفص.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٤) بالفتح قراءة ابن عامر.

قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا  
 إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ  
 رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ  
 وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ  
 وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ  
 وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ  
 إِلَيْنَا إِنَّمَا وَمَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾  
 أَفْتَلَوْا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَبْحِلُ لَكُمْ وَجْهَ آيِكُمْ  
 وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ  
 لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيِّبَتِ الْغَيْبِ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ  
 السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمُرُنَا بِعَلَى  
 يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبُ  
 وَإِنَّا لَهُ لَحَفَظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَلَخَافُ  
 أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ  
 أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَلْخَسِرُونَ ﴿١٤﴾

[٥] ﴿قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾  
 يحثلون في هلاكك؛ حسداً لعلمهم بتأويلها من أنهم الكواكب والشمس

أملك والقمر أبوك ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ظاهر العداوة.  
 [٦] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما رأيت ﴿يَجْتَبِيكَ﴾ يختارك ﴿رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ بالنبوة ﴿وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾ أولاده ﴿كَمَا أَتَمَّهَا﴾ بالنبوة ﴿عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ رَّبُّكَ عَلَيْهِمْ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم.

[٧] ﴿لَقَدْ كَانَ فِي﴾ خبر ﴿يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾ وهم أحد عشر  
 ﴿آيَاتٍ﴾ عبر ﴿لِلْسَّائِلِينَ﴾ عن خبرهم.

[٨] اذكر ﴿إِذْ قَالُوا﴾ أي: بعض إخوة يوسف لبعضهم: ﴿لِيُوسُفُ﴾  
 مبتداً ﴿وَأَخُوهُ﴾ شقيقه بنيامين ﴿أَحَبُّ﴾ خبر ﴿إِلَيْنَا وَمَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾  
 جماعة ﴿إِنَّ آبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ خطأ ﴿مُبِينٍ﴾ بين إيهامهما علينا.

[٩] ﴿أَفْتَلَوْا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ أي: بأرض بعيدة ﴿يَبْحِلُ لَكُمْ وَجْهَ آيِكُمْ﴾  
 أيكم بأن يقبل عليكم ولا يلتفت لغريمكم ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد  
 قتل يوسف أو طرحه ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ بأن تتوبوا.

[١٠] ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ هو يهوذا: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيِّبَتِ الْغَيْبِ﴾  
 في غيبوبة الحبس، مظلم البئر، وفي قراءة بالجمع <sup>(١)</sup> ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ  
 السَّيَّارَةِ﴾ المسافرين ﴿إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ما أردتم من التفريق فاكتفوا  
 بذلك.

[١١] ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمُرُنَا بِعَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ﴾  
 لقائمون بمصلحه.

[١٢] ﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا﴾ إلى الصحراء ﴿يَرْتَعُ وَنَلْعَبُ﴾ بالنون  
 والباء <sup>(٢)</sup> فيهما ننشط ونسبح ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَفَظُونَ﴾.

[١٣] ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا﴾ أي: ذهابكم ﴿بِهِ﴾ لرفاقه  
 ﴿وَأَخَاؤُكُمْ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ المراد به الجنس، وكانت أرضهم كثيرة  
 الذئاب ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ مشغولون.

[١٤] ﴿قَالُوا لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ جماعة  
 ﴿إِنَّا إِذَا لَلْخَسِرُونَ﴾ عاجزون.

(١) لنافع.

(٢) بالياء مع كسر العين قراءة نافع، وبالنون مع كسرها قراءة ابن كثير، وبالنون مع إسكانها قراءة أبي عمرو وابن عامر، والياء ساكنة في جميع القراءات.

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَبَتِ الْبَيْتِ وَأَوْحَيْنَا  
إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِ هَذَا وَهُم لَا يُشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءَ  
أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِشُّ  
وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ  
بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَهُ عَلَى قَمِيصِهِ  
بِدْمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ  
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ  
فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْ رُبِّي هَذَا غُلٌّ وَأَسْرُوهُ  
يَصْغَعُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخِيسٍ  
دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ  
الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مِرَّةَ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى  
أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي  
الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى  
أَمْرِهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ  
وَاتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ يُخْرِجُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

[١٥] فأرسله معهم ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا﴾ عزموا ﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَبَتِ الْبَيْتِ﴾ وجواب «لَمَّا» محذوف؛ أي: فعلوا ذلك بأن نزعوا قميصه بعد ضربه وإهانته وإرادة قتله، وأدلوه، فلما وصل إلى نصف البئر ألقيوه لموت فسقط في الماء، ثم أوى إلى صخرة فنادوه فأجابهم يظن رحمتهم فأرادوا رضخه بصخرة فمنعهم بهذا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ في الحب وخشي خفيقة، وله سبع عشرة سنة أو دونها؛ تطميناً لقلبه ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ﴾ بعد اليوم ﴿بِأَمْرِهِمْ﴾ بصنيعهم ﴿هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بك حال الإنباء.

[١٦] ﴿وَيَاكَ أَبَاهُمْ عِشَاءً﴾ وقت المساء ﴿يَبْكُونَ﴾.

[١٧] ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِشُّ﴾ نرسمي ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا﴾ ثيابنا ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ﴾ بمصدق ﴿لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ عندك لانهمتنا في هذه القصة؛ لحبة يوسف، فكيف وأنت تسيء الظن بنا<sup>(١)</sup>.

[١٨] ﴿وَيَاكَ عَلَيَّ قَمِيصِي﴾ محله، نصب على الظرفية؛ أي: فوقه ﴿يَدْرِي كَذِبٌ﴾؛ أي: ذي كذب بأن ذبحوا سحلة ولطخواه بدمها وذهلوا عن شقه وقالوا: إنه دمه ﴿قَالَ﴾ يعقوب لما رآه صحيحاً وعلم كذبهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ زَيْتٌ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ ففعلتموه به ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ لا جزع فيه، وهو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: أمرى ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾ المطلوب منه العون ﴿عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ﴾ تذكرون من أمر يوسف.

[١٩] ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ مسافرون من مدين إلى مصر فنزلوا قريباً من جب يوسف ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ الذي يرد الماء ليستقي منه ﴿فَأَدْلَى﴾ أرسل ﴿دَلْوَهُ﴾ في البئر فعلق بها يوسف فأخرجه فلما رآه ﴿قَالَ يَا بُشْرَى﴾<sup>(٢)</sup>، وفي قراءة: ﴿يَبُشْ رُبِّي﴾، ونداؤها محاز؛ أي: احضري فهذا وقتك ﴿هَذَا غُلٌّ﴾ فعلم به إخوته فأنوه ﴿وَأَسْرُوهُ﴾ أي: أخفوا أمره جاعليه ﴿يَصْغَعُ﴾ بأن قالوا: هذا عبداً أبى، وسكت يوسف خوفاً من أن يقتلوه<sup>(٣)</sup> ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَشَرَوْهُ﴾ باعوه منهم ﴿بِثَمَنٍ بَخِيسٍ﴾ ناقص ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ عشرين أو اثنين وعشرين ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ إخوته<sup>(٤)</sup> ﴿فِيهِ مِنْ الزَّاهِدِينَ﴾ فجاءت به السيارة إلى مصر فباعه الذي اشتراه بعشرين ديناراً وزوجي نعل وثوبين.

[٢١] ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ وهو قطمير العزيز ﴿لَا مِرَّةَ أَكْرَمِي زَلِيخا: أَكْرَمِي مَثْوَاهُ﴾ مقامه عندنا ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ وكان حصوراً<sup>(٥)</sup> ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما نجينا من القتل والحب وعطفنا عليه قلب

(١) هذا الكلام قدّره المؤلف إشارة إلى أن ﴿لَوْ﴾ شرطية وجوابها محذوف، والأقرب جعل الواو حالية و﴿لَوْ﴾ رائدة.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) والقول الآخر: أي أسره الواردون من بقية السيارة، وقالوا: اشتريناه من أصحاب الماء وهو الظاهر؛ أي أن الذين أسروه بضاعة وشروه ثمن بخس هم السيارة؛ أي المسافرين من القافلة، واشتراه منهم رجل من أهل مصر؛ فلم يقع بيعه وشراؤه إلا مرة واحدة.

(٤) وهذا على القول الأول، وعلى القول الآخر: يكون الضمير عائداً إلى السيارة، ويكون زهدهم فيه؛ لخوفهم من إتاقه كما زعم إخوته.

(٥) أي: لا يأتي النساء أو غنيماً، والضمير يعود إلى العزيز.

العزيز ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر حتى بلغ ما بلغ ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا، عطف على مقدار متعلق بـ﴿مَكَّنَّا﴾ أي: لنملكه أو الواو زائدة ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ تعالى، لا يعجزه شيء ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وهو ثلاثون سنة أو: وثلاث ﴿وَاتَيْنَهُ حُكْمًا﴾ حكمة ﴿وَعِلْمًا﴾ فقها في الدين قبل أن يبعث نبياً ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿يُخْرِجُ الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم.

الشان ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الزناة.

[٢٤] ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْسُفَ﴾ قصدت منه الجماع ﴿وَهُمَّ بِهَا﴾ قصد ذلك <sup>(١)</sup> ﴿لَوْلَا أَن رَّآهُ بُرْهَنَ رَبِّهِ﴾ قال ابن عباس: مثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله <sup>(٢)</sup>، وجواب «لولا»: لجامعها ﴿كَذَلِكَ﴾ أريانه البرهان ﴿لِيُصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ الخيانة ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ الزنا ﴿إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [المخلصين] <sup>(٣)</sup> ﴿فِي الطَّاعَةِ﴾ وفي قراءة بفتح اللام، أي: المختارين. [٢٥] ﴿وَأَسْتَبَقَا الْآبَاءَ﴾ بادر إليه يوسف للفرار، وهي للتشبث به فأمسكت ثوبه وجذبه إليها ﴿وَقَدَّتْ﴾ شقت ﴿فَيَبِصُمُ﴾ من دُبرٍ ﴿وَأَلْفَاكَ﴾ وجدا، ﴿سَيِّدَهَا﴾ زوجها ﴿لَدَا الْآبَاءِ﴾ فنزعت نفسها ثم ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ زنا ﴿إِلَّا أَن يُسَجَّنَ﴾ يحبس في سجن ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم بأن يضرب.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ يوسف متبرئاً: ﴿هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ ابن عمها، روي أنه كان في المهد <sup>(٤)</sup> فقال: ﴿إِنْ كَانَتْ فَيَبِصُمُ قَدْ مِّنْ قُبُلٍ﴾ قدام ﴿فَصَدَّقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾. [٢٧] ﴿وَإِنْ كَانَتْ فَيَبِصُمُ قَدْ مِّنْ دُبرٍ﴾ خلف ﴿وَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

[٢٨] ﴿فَلَمَّا رَأَتْ﴾ زوجها ﴿فَيَبِصُمُ قَدْ مِّنْ دُبرٍ﴾ قال ابن عباس: قولك: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ إلخ ﴿مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ أيها النساء ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾.

[٢٩] ثم قال: يا ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الأمر ولا تذكره لئلا يشيع ﴿وَأَسْتَغْفِرِي﴾ يا زليخا ﴿لِذُنُوبِكِ﴾ كُنتِ مِنَ الْفَاطِيئِينَ ﴿الْأَثَمِينَ﴾ واشتهر الخبر وشاع.

[٣٠] ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ مدينة مصر: ﴿أَمْرَأْتُ الْعَزِيزِ تُرَوِّدُ فَتَاهَا﴾ عبداً ﴿عَنْ نَّفْسِهِ﴾ قد شغفها حباً ﴿تَمِيزُ﴾ أي: دخل حبه شغاف قلبها؛ أي: غلافه ﴿إِنَّا لَنَرُّهَا فِي صَكْلٍ﴾ أي: في خطا ﴿رُبِينٍ﴾ تين بحبها إياه.

وَرَوَدَّتْهُ أَلْقَى هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهُمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّآهُ بُرْهَنَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِيُصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٥﴾ وَأَسْتَبَقَا الْآبَاءَ وَقَدَّتْ فَيَبِصُمُهُ مِنْ دُبُرٍ وَالْفَيَّاسِيْدَ هَذَا الْآبَاءُ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٦﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ فَيَبِصُمُهُ وَقَدْ مِّنْ قُبُلٍ فَصَدَّقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٢٧﴾ إِنْ كَانَ فَيَبِصُمُهُ وَقَدْ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّا رَأَتْ أَقْيَمِيصُهُ وَقَدْ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٩﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذُنُوبِكِ إِنَّكَ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَوِّدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرُّهَا فِي صَكْلٍ مُّبِينٍ ﴿٣١﴾

[٢٣] ﴿وَرَوَدَّتْهُ أَلْقَى هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ هي زليخا ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي: طلبت منه أن يواقعها ﴿وَوَلَّغَتْ الْأَبْوَابَ﴾ للبيت ﴿وَقَالَتْ﴾ له: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ أي: هلم، واللام للثنين، وفي قراءة بكسر الهاء <sup>(١)</sup>، وأخرى بضم التاء <sup>(٢)</sup> ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أعوذ بالله من ذلك ﴿إِنَّهُ﴾ الذي اشتراكي ﴿رَبِّي﴾ سيدي <sup>(٣)</sup> ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ مقامي فلا أخونه في أهله ﴿إِنَّهُ﴾ أي:

(١) لنافع وابن عامر.

(٢) أي مع فتح الهاء، وهي لابن كثير، وذكر المصنف ثلاث قراءات وكلها سبعة، وبقي فرائد اللسان هما: ﴿هَيْتُ﴾ بكسر الهاء والهمزة الساكنة وفتح التاء أو ضمها.

(٣) والقول الآخر أنه الرب على ظاهره وهو الله ﷻ.

(٤) معاذ الله أن ينسب مثل هذا الهم لبي كريم مع أن الله ﷻ أثبت براته في أكثر من خمسة مواضع من القصة ذاتها، وجمهور القراء على الوقف عند قوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْسُفَ﴾، ومعناه: إرادة الفاحشة، وأما علة بها فمسي؛ لوجود برهان ربه، وهذا سائق في اللغة؛ إذ يجوز تقديم جواب (لولا) عليها؛ فيكون المعنى: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، ونظيره قوله - تعالى -: ﴿إِنْ كَانَتْ فَيَبِصُمُ قَدْ مِّنْ قُبُلٍ﴾. وكذا قوله - تعالى -: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْآبَاءَ﴾. ورجع طائفة من المفسرين أن المراد بهمة الظلمة مجرد خاطر طرا عليه بمقتضى الجبهة البشرية، ثم دفعه وصرفه الله عنه بمقتضى العصمة النبوية... وهذا القول أحسن ما قيل في تفسير الآية.

(٥) وهذه الرواية من الإسرائيليات الرودودة التي لا تليق بنبي كريم.

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام، والباقون بفتحها.

(٧) أخرج ذلك أحمد والبيهقي وغيرهما عن ابن عباس.



فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا  
وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ  
كَذَبْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا  
إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودَتْهُ  
عَنْ نَفْسِهِ فَأَسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَاءَ أُمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ  
وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي  
إِلَيْهِ وَلَا أَضْطَرُّ عَنِّي كَيْدُهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ  
﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ  
الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُذُوعُهُ  
حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي  
رَأَيْتُ أُعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي رَأَيْتُ أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي  
خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ  
الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا  
بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ  
مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾

بقوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ﴾ دين ﴿قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ﴾  
تاكيد ﴿كَافِرُونَ﴾.

[٣١] ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ غيبتهن لها ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ﴾  
أَعَدَّتْ ﴿لَهُنَّ مُتَكًا﴾ طعامًا يقطع بالسكين؛ للاتكاء عنده<sup>(١)</sup> وهو الأتويع  
﴿وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ﴾ ليوسف: ﴿أَخْرِجْ عَلَيْهِنَّ  
فَلَمَّا رَأَيْنَهُ﴾ أعظمته ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ بالسكاكين، ولم يشعروا  
بالألم؛ لشغل قبهن بيوسف ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ تنزيهاً له ﴿مَا هَذَا﴾ أي:  
يوسف ﴿بَشَرًا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ لما حواه من الحسن الذي لا  
يكون عادة في النسمة البشرية، وفي الحديث: «أنه أعطي شطر الحسن»<sup>(٢)</sup>.

[٣٢] ﴿قَالَتْ﴾ امرأة العزيز لما رأت ما حل بهن: ﴿فَذَلِكُنَّ﴾  
﴿الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ في حبه، بيان لعذرها ﴿وَلَقَدْ رُودَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾  
فَأَسْتَعْصَمَ ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا مَأْمُورٌ﴾ به ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ  
الصَّغِيرِينَ﴾ الذليلين؛ فقلن له: أطع مولاناك.

[٣٣] ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَلَا أَضْطَرُّ عَنِّي﴾  
كَيْدُهُنَّ أَصْبُ ﴿أَمِلُ﴾ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ ﴿أَصِيرُ﴾ مِّنَ الْجَاهِلِينَ المذنبين، والقصد  
بذلك الدعاء؛ فلذا قال تعالى: [٣٤] ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُ﴾ دعاءه ﴿فَصَرَفَ  
عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

[٣٥] ﴿ثُمَّ بَدَأَ﴾ ظهر ﴿لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾ الدالات على براءة  
يوسف أن يسجنوه، دل على هذا: ﴿لَيُسْجَنَنَّ حَتَّىٰ﴾ إلى ﴿حِينٍ﴾ ينقطع  
فيه كلام الناس.

[٣٦] ﴿فَسَجَنَ﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ غلامان للملك؛ أحدهما  
ساقيه، والآخر صاحب طعامه، فرأياه يعبر الرؤيا، فقالا: لنخبرنه ﴿قَالَ  
أَحَدُهُمَا﴾ وهو الساقى: ﴿إِنِّي أَرْنِي أُعْصِرُ خَمْرًا﴾ أي: عنباً ﴿وَقَالَ  
الْآخَرُ﴾ وهو صاحب الطعام: ﴿إِنِّي أَرْنِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ  
مِنْهُ نَبِّئْنَا﴾ خبرنا ﴿بِتَأْوِيلِهِ﴾ بتعبيره ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٣٧] ﴿قَالَ﴾ لهما مخبراً أنه عالم بتعبير الرؤيا: ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ  
تُرْزَقَانِيهِ﴾ في منامكما ﴿إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ في البقطة ﴿قَبْلَ أَنْ  
يَأْتِيَكُمَا﴾ تأويله ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ فيه حث على إيمانهما، ثم قواه

(١) سمي الطعام بذلك؛ لأنه يتوكل عنده على عادة المتكبرين من أكل الفواكه حال الاتكاء.

(٢) رواه مسلم (١٦٢) عن أنس بن مالك مرفوعاً.

فَقَبِلَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ وَهُمْ الْكَافِرُونَ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٤٠﴾

[٣٩] ثم صرح بدعائهما إلى الإيمان فقال: ﴿يَصْحَبِي﴾ ساكني ﴿الْيَسْجَنِ﴾ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤٠﴾ خير؟ استفهام تقرير.

[٤٠] ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ سميتم بها أصناما ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ بعبادتها ﴿وَمِنْ سُلْطَانٍ﴾ حجة وبرهان ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ﴾ القضاء ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾ وحده ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ﴾ التوحيد ﴿الَّذِينَ الْفَسَمُ﴾ المستقيم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.

[٤١] ﴿يَصْحَبِي﴾ السَّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا ﴿٤١﴾ أي: الساقى فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ﴾ سيده ﴿خَمْرًا﴾ على عادته ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ﴾ فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ هذا تأويل رؤياكما، فقلا: ما رأينا شيئا<sup>(١)</sup>، فقال: ﴿فُتْنَى﴾ تم ﴿الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ سألتما عنه صدقما أم كذبتما.

[٤٢] ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾ أيمن ﴿أَنْتُمْ نَاجٍ مِنْهُمَا﴾ وهو الساقى: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ سيدك قل له: إن في السجن غلاما محبوبا ظلما، فخرج ﴿فَأَنْسَنَاهُ﴾ أي: الساقى ﴿الشَّيْطَانُ ذَكَرَكَ﴾ يوسف عند ﴿رَبِّهِ﴾ فَلَبِثَ مَكَثَ يَوْسُفَ ﴿فِي السَّجْنِ يَضَعُ سِنَّينَ﴾ قيل: سبعا، وقيل: اثنتي عشرة.

[٤٣] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ ملك مصر الريان بن الوليد: ﴿إِنِّي أَرَى فِي رُؤْيَايَ رَأَيْتُ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ يَبْتَلِعُهُنَّ سَبْعٌ مِنْ الْقِطْرِ وَأَخْرَجْتُ عَلَيْهَا سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ قد أتوت على الحضر وعلت عليها ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونًا فِي رُؤْيَايَ﴾ ينو لي تعبيرها ﴿إِنْ كُنْتُ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ فاعبروها.

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْحَبِي السَّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَتَمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْحَبِي السَّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ فُتْنَى الْأَمْرِ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَنَاهُ الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونًا فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

[٣٨] ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ﴾ ينبغي ﴿لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ زائدة ﴿فُتْنَى﴾ لعصمتنا ﴿ذَلِكَ﴾ التوحيد ﴿وَمِنْ

(١) هذا أحد القولين، والقول الآخر: أنهما رأيا ذلك حقيقة، وهو الصحيح لظاهر القرآن.

[٤٤] ﴿قَالُوا﴾: هذه ﴿أَصْنَعْتُ أَخْلَعُ﴾ أخلاط ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَخْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾.

[٤٥] ﴿وَقَالَ الَّذِي نَحَا يَنْهَاهُ﴾ أي: من الفتيين، وهو السافى ﴿وَاذْكُرْ﴾ فيه إبدال التاء في الأصل دالاً وإدغامها في الدال؛ أي: تذكر ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ حين، حال يوسف: ﴿أَنَا أَنْتُمْ تَتَأْوِيلُوا قَارِئُونَ﴾.

[٤٦] فأرسوه فأنى يوسف فقال: يا ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ الكثير الصدق ﴿أَفَتَنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ يَسْمَانُ بِأَكْلِهِنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعُ سُتُودَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلَّيْ أَنْجِعَ إِلَى النَّاسِ﴾ أي: الملك وأصحابه ﴿لَعَلَّهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ تعبيرها.

[٤٧] ﴿وَقَالَ تَزْرَعُونَ﴾ أي: ازرعوا ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا﴾ متتابعة، وهي تأويل السبع السمان ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُّوهُ﴾ أي: اتركوه ﴿فِي سُتُبِهِ﴾ لئلا يفسد ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ فادرسوه.

[٤٨] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: السبع الخصباء ﴿سَبْعُ شِدَادٍ﴾ مجذبات صعب، وهي تأويل السبع العجاف ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ من الحب المزروع في السنين الخصباء؛ أي: تاكلونه فيهن ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ﴾ تدخرون.

[٤٩] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: السبع المجذبات ﴿عَامٌ فِيهِ يَأْكُلُ النَّاسُ بِالْمَطَرِ﴾ وفيه يعصرون الأعناب وغيرها لخصبه.

[٥٠] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ لما جاءه الرسول وأخبره بتأويلها: ﴿أَتُنَوِّي بِهِ﴾ أي: بالذي عبرها ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ﴾ أي: يوسف ﴿الرَّسُولُ﴾ وطلبه للخروج ﴿قَالَ﴾ قاصداً لإظهار براءته: ﴿أَنْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَتَعْلَمَ﴾ أن يسأل ﴿مَا بَالُ﴾ حال ﴿الْيَسَوءِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي﴾ سيدي <sup>(١)</sup> ﴿يَكِيدُونِ عَلِيمٌ﴾ <sup>(٢)</sup>.

[٥١] فرجع فأخبر الملك فجمعهم ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿إِذْ رَاودْتُمْ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ هل وجدتن منه ميلاً ليكن؟ ﴿فَلَمَّا خَشَّ إِلَيْهِ مَا عَلَمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَنِّ حَصَصَ﴾ وضع ﴿الْحَقُّ أَنَا رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في قوله: ﴿هِيَ رَاودَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ <sup>(٣)</sup>.

قَالُوا أَصْنَعْتَ أَخْلَعُ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَخْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَحَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أَنْتُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسَلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتَنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ يَسْمَانُ بِأَكْلِهِنَّ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُتُودَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلَّيْ أَنْجِعَ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُّوهُ فِي سُتُبِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ كَأَنَّ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَنْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَتَعْلَمَ مَا بَالُ الْيَسَوءِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيِّدٍ عَلِيمٍ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاودْتُمْ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ فَلَنْ حَشَّ إِلَهُ مَا عَلَمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَنِّ حَصَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ لَعَلَّيْ أَنْجِعَ إِلَى رَبِّكَ فَتَعْلَمَ مَا بَالُ الْيَسَوءِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيِّدٍ عَلِيمٍ ﴿٥٢﴾

[٥٢] فأخبر يوسف بذلك فقال: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: طلب البراءة ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخْنُءُ﴾ في أهله <sup>(١)</sup> ﴿بِالْعَيْبِ﴾ حال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ﴾.

(٥) مائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف ثم جاءني الرسول أجبت» ثم قرأ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَنْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَتَعْلَمَ مَا بَالُ الْيَسَوءِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٣) سورة يوسف. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٦٠٤). وأصله في الصحيحين بمعناه البخاري (٦٩٩٢)، ومسلم (١٥١).

قال النووي: «... وقال النبي ﷺ عن نفسه ما قاله نواضحاً وإيضاحاً للبلاغ في بيان كمال فضيلة يوسف». شرح النووي على مسلم (٣٣٩/٢ - ٣٤٠).

(١) قيل: المراد بالرب: الله - تعالى - ويكون في كلامه الْعَيْبِ الفريضة لله ﷻ.

(٢) يوسف: ٢٦.

(٣) اختيار المصنف أن يوسف هو قائل ذلك، وهو قول الطبري وبعض التابعين كمجاهد وسعيد بن جبير والحسن البصري وغيرهم؛ وظاهر السياق والذي عليه أكثر المحققين من المفسرين - كابن كثير وابن تيمية وابن القيم وغيرهم - أن هذا من كلام امرأة العزيز والمعنى: ليعلم زوجي أنني لم أرتكب الفاحشة، وإنما هي مراودة، وما أبرئ نفسي؛ فإن النفس البشرية يغلب عليها الشهوة فأمر بالسوء.

[٥٥] ﴿قَالَ﴾ يوسف: ﴿أَجْعَلِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿إِنِّي حَافِظٌ عَلَيْهَا﴾ ذو حفظ وعلم بأمرها، وقيل: كاتب حاسب.

[٥٦] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كإتعامنا عليه بالخلاص من السجن ﴿مَكَّنَّا يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿يَتَوَكَّلْ﴾ ينزل ﴿وَهِيَ حَيْثُ يَسَّاءُ﴾ بعد الضيق والحس، وفي القصة أن الملك تَوَجَّه وَحَمَّه<sup>(١)</sup> وولاه مكان العزيز، وعزله ومات بعد، فزوجه امرأته فوجدتها عذراء وولدت له ولدين<sup>(٢)</sup>، وأقام العدل بمصر ودانت له الرقاب ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٥٧] ﴿وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ من أجر الدنيا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

[٥٨] ودخلت سينا القحط، وأصاب أرض كنعان الشام ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ إلا بنيامين، ليمتاروا لما بلغهم أن عزيز مصر يعطي الطعام بئمه ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾ أنهم إخوته ﴿وَهُمْ لَهُ مُكْرِمُونَ﴾ لا يعرفونه؛ لبعد عهدهم به وظنهم هلاكه، فكلموه بالعبرانية، فقال كالنكر عليهم: ما أقدمكم بلادي؟ فقالوا: للميرة، فقال: لعلكم عيون، قالوا: معاذ الله، قال: فمن أين أنتم؟ قالوا: من بلاد كنعان وأبونا يعقوب نبي الله، قال: وله أولاد غيركم؟ قالوا: نعم، كنا اثني عشر فذهب أصغرنا هلك في البرية وكان أحبنا إليه، وبقي شقيقه فاحتسبه؛ لئيسلي به عنه، فأمر يائزاهم وإكرامهم.

[٥٩] ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ﴾ وفي لهم كيلهم ﴿قَالَ أَتُونِي بِأَجْرِكُمْ﴾ من أياكم ﴿أَي: بنيامين؛ لأعلم صدقكم فيما قلتم﴾ ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾ أنه من غير بخس ﴿وَلَمَّا خَبَرَ الْمُرْزِلِينَ﴾.

[٦٠] ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُون﴾ ﴿قَالُوا سَرَدُودٌ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ ﴿وَلَمَّا لَفَعَلُون﴾ ﴿وَقَالَ لِفَتْنِهِ أَجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِجَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا إِنَّا نَمْنَعُ مِنْكَ الْكَيْلَ فَارْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

[٦١] ﴿قَالَ سَرَدُودٌ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ سنجهد في طلبه منه ﴿وَلَمَّا لَفَعَلُون﴾ ذلك.

[٦٢] ﴿وَقَالَ لِفَتْنِهِ﴾ وفي قراءة: ﴿لِفَتْنِهِ﴾<sup>(٣)</sup> غلمانه: ﴿أَجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ﴾ التي أتوا بها ثمن الميرة، وكانت دراهم ﴿فِي رِجَالِهِمْ﴾ أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ﴾ وفرغوا أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلينا؛ لأنهم لا يستحلون إمساكها.

[٦٣] ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا إِنَّا نَمْنَعُ مِنْكَ الْكَيْلَ﴾ إن لم ترسل أخانا إليه ﴿فَارْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلْ﴾ بالنون والياء<sup>(٤)</sup> ﴿وَلَمَّا لَفَعَلُون﴾.

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ إلا ما رجعت ﴿إِنِّي رَجَعْتُ رَجَعْتُ﴾ فصممه ﴿إِنِّي رَجَعْتُ رَجَعْتُ﴾ [٥٤] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِهِ؟﴾ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿قَالَ أَجْعَلِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَافِظٌ عَلَيْهَا﴾ ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَوَكَّلُ﴾ ﴿وَهِيَ حَيْثُ يَسَّاءُ﴾ يُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُكْرِمُونَ﴾ ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ﴾ قَالَ أَتُونِي بِأَجْرِكُمْ مِنْ أَيْكِهِمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَلَمَّا خَبَرَ الْمُرْزِلِينَ ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُون﴾ ﴿قَالُوا سَرَدُودٌ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ ﴿وَلَمَّا لَفَعَلُون﴾ ﴿وَقَالَ لِفَتْنِهِ أَجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِجَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا إِنَّا نَمْنَعُ مِنْكَ الْكَيْلَ فَارْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

[٥٣] ثم تواضع لله<sup>(١)</sup> فقال: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ من الزلل ﴿إِنَّ النَّفْسَ﴾ الجنس ﴿لَأَمَّارَةٌ﴾ كثيرة الأمر ﴿بِالسُّوءِ﴾ إلا ما، بمعنى ﴿مَنْ﴾ ﴿رَجَعْتُ رَجَعْتُ﴾ فصممه ﴿إِنِّي رَجَعْتُ رَجَعْتُ﴾.

[٥٤] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِهِ؟﴾ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي ﴿أَجْعَلُهُ خَالِصًا لِي﴾ دون شريك، فجاءه الرسول وقال: أجب الملك، فقام وودع أهل السجن ودعا لهم، ثم اغتسل ولبس ثيابا حسنا ودخل عليه ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾ قَالَ لَهُ: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ ذو مكانة وأمانة على أمرنا، فماذا ترى أن نفعل؟ قال: اجمع الطعام وازرع زرعا كثيرا في هذه السنين الخصبه وادخر الطعام في سنبله فتأتي إليك الحلق ليمتاروا منك، فقال: ومن لي بهذا؟.

(١) هذا على اختيار المصنف أن الكلام المتقدم وهذا من كلام يوسف، وأكثر المحققين على خلافه وأنه من كلام امرأة العزيز.

(٢) أي حلاه بخاته.

(٣) هذا الكلام ليس عليه دليل، وهو يتنافى مع مقام النبوة؛ إذ كيف يتزوج نبي كريم من امرأة علم منها لإرادة الفحشاء؟!

(٤) أي: لا كيل ولا قُوب.

(٥) والقراءة الأولى لتافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٦) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ قَالَ هَلْ خَيْرٌ حِفْظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَاتَنَا مَا نَبِيٌّ هَٰذَا بَالُفُوقَانِ ﴿٦٥﴾؛ خطابًا ليعقوب وكانوا ذكروا له إكرامه لهم هَذِهِ بَضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلِنَا ﴿٦٦﴾ نَأْتِي بِالْمِيرَةِ لَهُمْ وَهِيَ الطَّعَامُ وَتَحْفَظُ أَهْلَانَا وَتَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴿٦٧﴾ لِأَخِينَا ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٨﴾ سَهْلٌ عَلَى الْمَلِكِ لِسَخَاةِ. ﴿٦٩﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا ﴿٧٠﴾ عَهْدًا مِّنَ اللَّهِ بِأَنْ تَخْلِفُوا ﴿٧١﴾ لِتَأْتِيَنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يَحْطَ بِكُمْ ﴿٧٢﴾ بِأَنْ تَمُوتُوا أَوْ تَغْلِبُوا فَلَا تُطِيقُوا الْإِنْيَانِ بِهِ، فَأَجَابَهُ عَلَى ذَلِكَ ﴿فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ بِذَلِكَ ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ نَحْنُ وَأَنْتُمْ ﴿وَكَيْلٌ﴾ شَهِيدٌ، وَأَرْسَلَهُ مَعَهُمْ. ﴿٧٣﴾ وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِصْرَ ﴿٧٤﴾ مِنْ بَابٍ وَجِبٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابِ مُتَفَرِّقَةٍ ﴿٧٥﴾ لِتَلَا تَصْبِيحُ الْعَيْنِ ﴿وَمَا أَغْنَىٰ﴾ أَدْفَعُ ﴿عَنْكُمْ﴾ بِقَوْلِي ذَلِكَ ﴿مِنَ اللَّهِ مِنْ﴾ زَائِدَةٍ ﴿شَيْءٍ﴾ قَدَرَهُ عَلَيْكُمْ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ شَفَقَةٌ ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿أَلْمَحُّكُمْ إِلَّا يَشُ﴾ وَحْدَهُ ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ بِهِ وَثَقْتُ ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾. ﴿٧٦﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ أَي: مُتَفَرِّقِينَ ﴿مَا كُنَّا بُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أَي: قَضَاهُ ﴿مِنْ﴾ زَائِدَةٍ ﴿شَيْءٍ إِلَّا﴾ لَكِنْ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ﴿وَهِيَ إِرَادَةُ دَفْعِ الْعَيْنِ شَفَقَةً وَرَائِدَةً لِّدَوِّ عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ لِتَعْلِيمِنَا إِيَّاهُ ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وَهُمْ الْكُفَّارُ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ إِلَهَامَ اللَّهِ لِأَصْفِيَانِهِ. ﴿٧٧﴾ ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يَوْسُفَ﴾ ضَمَّ ﴿إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ قَالَ إِيَّيْنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ ﴿٧٨﴾ تَحْزَنُ ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الْحَسَدِ لَنَا، وَأَمْرُهُ أَنْ لَا يَخْبِرَهُمْ، وَتَوَاطَأَ مَعَهُ عَلَى أَنَّهُ سَيَحْتَالُ عَلَى أَن يَبْقِيَ عِنْدَهُ.

﴿٦٤﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ ﴿٦٥﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَاتَنَا مَا نَبِيٌّ هَٰذَا بَالُفُوقَانِ ﴿٦٦﴾ نَأْتِي بِالْمِيرَةِ لَهُمْ وَهِيَ الطَّعَامُ وَتَحْفَظُ أَهْلَانَا وَتَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴿٦٧﴾ لِأَخِينَا ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٨﴾ سَهْلٌ عَلَى الْمَلِكِ لِسَخَاةِ.

﴿٦٩﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا ﴿٧٠﴾ عَهْدًا مِّنَ اللَّهِ بِأَنْ تَخْلِفُوا ﴿٧١﴾ لِتَأْتِيَنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يَحْطَ بِكُمْ ﴿٧٢﴾ بِأَنْ تَمُوتُوا أَوْ تَغْلِبُوا فَلَا تُطِيقُوا الْإِنْيَانِ بِهِ، فَأَجَابَهُ عَلَى ذَلِكَ ﴿فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ بِذَلِكَ ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ نَحْنُ وَأَنْتُمْ ﴿وَكَيْلٌ﴾ شَهِيدٌ، وَأَرْسَلَهُ مَعَهُمْ.

﴿٧٣﴾ وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِصْرَ ﴿٧٤﴾ مِنْ بَابٍ وَجِبٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابِ مُتَفَرِّقَةٍ ﴿٧٥﴾ لِتَلَا تَصْبِيحُ الْعَيْنِ ﴿وَمَا أَغْنَىٰ﴾ أَدْفَعُ ﴿عَنْكُمْ﴾ بِقَوْلِي ذَلِكَ ﴿مِنَ اللَّهِ مِنْ﴾ زَائِدَةٍ ﴿شَيْءٍ﴾ قَدَرَهُ عَلَيْكُمْ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ شَفَقَةٌ ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿أَلْمَحُّكُمْ إِلَّا يَشُ﴾ وَحْدَهُ ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ بِهِ وَثَقْتُ ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

﴿٧٦﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ أَي: مُتَفَرِّقِينَ ﴿مَا كُنَّا بُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أَي: قَضَاهُ ﴿مِنْ﴾ زَائِدَةٍ ﴿شَيْءٍ إِلَّا﴾ لَكِنْ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ﴿وَهِيَ إِرَادَةُ دَفْعِ الْعَيْنِ شَفَقَةً وَرَائِدَةً لِّدَوِّ عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ لِتَعْلِيمِنَا إِيَّاهُ ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وَهُمْ الْكُفَّارُ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ إِلَهَامَ اللَّهِ لِأَصْفِيَانِهِ.

﴿٧٧﴾ ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يَوْسُفَ﴾ ضَمَّ ﴿إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ قَالَ إِيَّيْنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ ﴿٧٨﴾ تَحْزَنُ ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الْحَسَدِ لَنَا، وَأَمْرُهُ أَنْ لَا يَخْبِرَهُمْ، وَتَوَاطَأَ مَعَهُ عَلَى أَنَّهُ سَيَحْتَالُ عَلَى أَن يَبْقِيَ عِنْدَهُ.

(١) وهي قراءة حفص وحزمة والكسائي، والقراءة الأولى للنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) أي: تنغي، وهي قراءة شاذة.

[٧٢] ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صُوعًا﴾ صاع ﴿الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطعام ﴿وَأَنَا بِيدِهِ بِالْحِمْلِ﴾ زعيم ﴿زَعِيمٌ﴾ كفيلا.

[٧٣] ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ قسم فيه معنى التعجب ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ ما سرقنا قط.

[٧٤] ﴿قَالُوا﴾ أي: المؤذن وأصحابه: ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ أي: السارق ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ في قولكم: ما كنا سارقين، ووجد فيكم؟

[٧٥] ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ يُسْتَرْقَى، ثم أكد بقوله: ﴿هُوَ﴾ أي: السارق ﴿جَزَاؤُهُ﴾ أي: المسروق لا غير، وكانت سنة آل يعقوب ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿يَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ بالسرقه، فصرحوا يوسف بنفثيش أو عيبتهم.

[٧٦] ﴿فَبَدَأَ بِأَرْعَابِهِمْ﴾ ففتشها ﴿قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ لئلا يتهم ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾ أي: السقاية ﴿مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ قال - تعالى -: ﴿كَذَلِكَ﴾ الكيد ﴿كَذْنَا يُوْسُفَ﴾ علمناه الاحتيال في أخذ أخيه ﴿مَا كَانَ﴾ يوسف ﴿لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ رقيقاً عن السرقة ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ حكم ملك مصر؛ لأن جزاءه عنده الضرب وتغريم مثلي المسروق لا الاسترقاق ﴿إِلَّا أَنْ يَنْشَأَ اللَّهُ﴾ أخذه بحكم أبيه؛ أي: لم يتمكن من أخذه إلا بمشيئة الله بإلهامه سؤال إخوته وجوابهم يستنتهم ﴿تَرْفَعُ [دَرَجَاتٍ] مَنْ نَشَاءُ﴾ بالإضافة والتنوين<sup>(١)</sup> في العلم كيوسف ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ﴾ من المخلوقين ﴿عَلِيمٌ﴾ أعلم منه حتى ينتهي إلى الله - تعالى.

[٧٧] ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: يوسف وكان سرق لأبي أمه صنفاً من ذهب فكسره؛ لئلا يعبد<sup>(٢)</sup>.

﴿فَأَسْرَهَا يُوْسُفَ فِي نَفْسِهِ﴾ وَلَمْ يُبْدِهَا بِظَهَرِهَا ﴿لَهُمْ﴾ والضمير للكلمة التي في قوله ﴿قَالَ﴾ في نفسه: ﴿أَنْتُمْ سَرَّ مَكَانًا﴾ من يوسف وأخيه لسرقتكم أخاكم من أبيكم وظلمكم له ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ بما تصفون ﴿تَذْكُرُونَ مِنْ أَمْرِهِ﴾.

[٧٨] ﴿قَالُوا بَكَتُنَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ يحبه أكثر منا ويتسلى به عن ولده الهالك ويحزنه فراقه ﴿فَخَذَّ أَحَدًاكَ﴾ استعبده ﴿مَكَانَهُ﴾ بدلاً منه ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ في أفعالك.

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ انْتَبِهُوا ﴿٧٧﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧٨﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٩﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٨٠﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٨١﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ يَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٨٢﴾ فَبَدَأَ بِأَرْعَابِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَذْنَا يُوْسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوْسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ سَرَّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٨٤﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدًا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾

[٧٠] ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾ هي صاع من الذهب مرصع بالجوهر ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ بنامين ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد بعد انفصالهم عن مجلس يوسف ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ القافلة ﴿انْتَبِهُوا﴾ انفضالهم عن مجلس يوسف ﴿قَالُوا﴾ قد ﴿أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا﴾ ما الذي ﴿تَفْقَدُونَ﴾.

(١) بالإضافة لدافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) روى ذلك ابن مردويه مرفوعاً عن ابن عباس مرفوعاً، وقيل غير ذلك، ولم يصح من ذلك شيء مرفوعاً ولا موقوفاً، والصحيح أن قولهم هذا محض كذب وإفراء على يوسف وأخيه، كما نقل

القرطبي عن الحسن البصري.



﴿وَجَعَلْنَا يَوْسَفَ مُرْجَدًا مَدْفُوعًا<sup>(١)</sup>﴾ يدفعها كل من رآها لردائها، وكانت دراهم زبوا<sup>(٢)</sup> أو غيرها ﴿فَأَوْفَى﴾ أتم ﴿لَنَا الْكَيْلَ وَصَدَّقَ عَلَيْنَا﴾ بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ يبيهم، فرق لهم وأدر كته الرحمة، ورفع الحجاب بينه وبينهم.

[٨٩] ثم ﴿قَالَ﴾ لهم توبيخا: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسَفَ﴾ من الضرب والبيع وغير ذلك ﴿وَأَيُّدِ﴾ من هضمكم له بعد فراق أخيه ﴿إِذْ أَنْشَرْ جَاهِلُونَ﴾ ما يقول إليه أمر يوسف.

[٩٠] ﴿قَالُوا﴾ بعد أن عرفوه لما ظهر من شمائله متبئين: ﴿أَوَإِنَّكَ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين<sup>(٣)</sup> ﴿لَأَنْتَ يَوْسُفُ قَالَ أَنَا يَوْسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ﴾ أنعم ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا بِالْاجْتِمَاعِ﴾ إئت من يتيي يخف الله ويصير على ما يناله ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمير.

[٩١] ﴿قَالُوا نَالَهُ لَقَدْ عَازَرَكَ﴾ فضلك ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا بِالْمَلِكِ وَغَيْرِهِ﴾ وإن مخففة، أي: إنا ﴿كُنَّا لَخٰطِلِيْنَ﴾ آلمين في أمرك فأذلناك. [٩٢] ﴿قَالَ لَا تَنْزِبْ﴾ عتب ﴿عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ خصه بالذكر؛ لأنه مظنة التشريب فغيره أولى ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

[٩٣] وسألهم عن أبيه فقالوا: ذهب عيناه، فقال: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ وهو قميص إبراهيم الذي لبسه حين ألقى في النار، كان في عنقه في الحب وهو من الجنة أمره جبريل بإرساله وقال: إن فيه ريحا ولا يلقى على مبتلى إلا عوفي<sup>(٤)</sup> ﴿فَالْقَوُّهُ عَلَى وَجْهِهِ إِي بَارَ﴾ بصر ﴿بَصِيرًا وَأَتَوَفَّيْ بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٩٤] ﴿وَلَمَّا فَصَلَ الْعَيْسُ﴾ خرجت من عرش مصر ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لمن حضر من بنه وأولادهم: ﴿إِنِّي لَأَكِيدُ رِيحَ يَوْسُفَ﴾ أوصلته إليه الصبأ<sup>(٥)</sup> بإذنه تعالى من مسير ثلاثة أيام أو ثمانية أو أكثر ﴿كُلُّوْا أَنْ تَقْدِرُوْا﴾ تسفهون لصدقتموني.

[٩٥] ﴿قَالُوا لَهُ﴾: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ﴾ خطلك ﴿الْقَدِيرِ﴾ من إفراط في محبته ورجاء لقائه على بعد العهد.

يَبْقَى أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْكُسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُرْجَدَةٍ قَاوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْشَرْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يَوْسُفُ قَالَ أَنَا يَوْسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَيَصِيرَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَازَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخٰطِلِيْنَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَنْزِبْ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا قَاوْفُهُ عَلَى وَجْهِهِ إِي يَابَ بَصِيرًا وَأَتَوَفَّيْ بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَ الْعَيْسُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجْدِرِيحَ يَوْسُفَ لَوْلَا أَنْ تَقْدِرُونَ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ ﴿٩٥﴾

[٨٧] ثم قال: ﴿يَبْقَى أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ اطلبوا خبرهما ﴿وَلَا تَأْكُسُوا﴾ تفنطوا ﴿مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ رحمته ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ فانطلقوا نحو مصر ليوسف. [٨٨] ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ الجوع

(١) أي مردودة.

(٢) جمع «زيف»، وهو الذي خلط به نحاس أو غيره مع الفضة، فيكون مرغوبا عنه.

(٣) أي التحقيق والتسهيل؛ فالقراءات أربع سبعة. وقرأ ابن كثير هنا بالخير ﴿إِنَّكَ﴾ وهي قراءة خامسة سبعة أيضا.

(٤) ليس على ذلك دليل، وإنما هو من الإسرائيليات التي لا يعتمد مثلها في تفسير كلام الله، كما أن ظاهر نسبة القميص لنفسه عليه السلام خلاف ما ذكر، والله أعلم.

(٥) «الصبأ»: ريح مهبط من مطلع الشمس؛ إذا استوى الليل والنهار، ومقابلتها: «الدبور»، وأخرج الشيخان من حديث ابن عباس مرفوعا: «نُصِرْتُ بالصبأ، وأهلك عاد بالدبور».



[٩٦] ﴿فَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

[٩٧] ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ .

[٩٨] ﴿قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ . آخر ذلك إلى السحر؛ ليكون أقرب إلى الإجابة أو إلى ليلة الجمعة، ثم توجهوا إلى مصر وخرج يوسف والأكابر لتلقيهم.

[٩٩] ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ۖ فِي مَضْرَبَةٍ ۖ ﴿١٠٠﴾ ﴿عَاذَتْكُمْ ضَمُّهُ إِلَى أَبِيهِ أَبَوَيْهِ﴾ أباه وأمه، أو خالته ﴿وَقَالَ﴾ لهم: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ﴾ إن شاء الله ءامين ﴿فَدَخَلُوا وَجَلَسَ يُوْسُفُ عَلَى سَرِيرِهِ﴾ .

[١٠٠] ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ﴾ أجلسهما معه ﴿عَلَى الْأَرَقِيں﴾ السرير ﴿وَوَضَعُوا﴾ أي: أبواه وإخوته ﴿لَهُ سُجْدًا﴾ سجدوا انحناء لا وضع جبهة وكان تحتهم في ذلك الزمان ﴿وَقَالَ يَتْلُبُ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَى مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ إلى ﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ لم يقل من الحب تكرمًا، لئلا تخلل إخوته ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَدْوِ﴾ البادية ﴿وَمِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ﴾ أفسد ﴿السَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ إن ربي لطيف لما يشاء إنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ ﴿بَخَلَقَهُ﴾ الْحَكِيمُ ﴿فِي صَنَعِهِ﴾ وأقام عنده أبوه أربعًا وعشرين سنة أو سبع عشرة سنة، وكان مدة فراقه ثماني عشرة أو أربعين أو ثمانين سنة، وحضره الموت فوصى يوسف أن يحمله ويدفنه عند أبيه، فمضى بنفسه ودفنه ثمة، ثم عاد إلى مصر وأقام بعده ثلاثًا وعشرين سنة<sup>(١)</sup>.

[١٠١] ﴿وَلَمَّا تِمَّ أَمْرُهُ وَعِلِمُ أَنَّهُ لَا يَدُومُ تَأْتَتْ نَفْسُهُ إِلَى الْمَلِكِ الدَّائِمُ فَقَالَ﴾ ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا ﴿فَاطْرُ﴾ خالق ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ﴾ متولي مصالحتي ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ من آبائي، فعاش بعد ذلك أسبوعًا أو أكثر ومات وله مائة وعشرون سنة، وتشاخ المصريون في قبره فجعلوه في صندوق من مرمر ودفنوه في أعلى النيل لتعم البركة جانبيه، فسبحان من لا انقضاء للملكة<sup>(٢)</sup>.

[١٠٢] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من أمر يوسف ﴿وَمِنْ أَنْبَاءِ﴾ أخبار ﴿الْغَيْبِ﴾

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ۖ عَاذَتْكُمْ ضَمُّهُ إِلَى أَبِيهِ أَبَوَيْهِ ﴿٩٩﴾ وَقَالَ لَهُمْ: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ﴾ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿١٠٠﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى السَّرِيرِ وَوَضَعُوا لَهُ سُجْدًا ۖ وَقَالَ يَتْلُبُ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَى مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ السَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۖ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠١﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۖ فَاطْرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠٢﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ يُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾

ما غاب عنك يا محمد ﴿يُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ لدى إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ في كيدته أي عزموا عليه ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ به أي: لم تحضرهم فتعرف قصتهم فتخبر بها، وإنما حصل لك علمها من جهة الوحي.

[١٠٣] ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ على إيمانهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾ .

(١) أي خيمته، وكان ذلك خارج امدية على عادة الملوك.

(٢) هذه التفاصيل لا دليل صحيح عليها، فالأولى الاكتفاء بقصة الله علينا، وهو أحسن القصص.

(٣) هذه التفاصيل لا دليل صحيح عليها، فالأولى الاكتفاء بما قصه الله علينا، وهو أحسن القصص.

[١٠٦] ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾ حيث يقرن بأنه الخالق الرازق ﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ به عبادة الأصنام، ولذا كانوا يقولون في تليبتهم: «لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك»، يعونها.

[١٠٧] ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ غَشِيَةٍ﴾ نعمة تغشاهم ﴿بَيْنَ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت إتيانها قبله.

[١٠٨] ﴿قُلْ لَهُمْ: هَذِهِ سَبِيلِي﴾ وفسرها بقوله: ﴿أَدْعُوا إِلَى دِينِ اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ حجة واضحة ﴿أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعَنِي﴾ آمن بي، عطف على ﴿أَنَا﴾ المبتدأ الخبر عنه بما قبله ﴿وَسَيَحْنُ اللَّهُ﴾ تنزيهاً له عن الشركاء ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ من جملة سبيله أيضاً.

[١٠٩] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا﴾ [يُوحَى] ﴿وَفِي قِرَاءَةِ النَّوْنِ وَكَسَرَ الْحَاءِ﴾<sup>(١)</sup> ﴿إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ الأمصار؛ لأنهم أعلم وأحلم بخلاف أهل البوادي لحفاهم وجهلهم ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أهل مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: آخر أمرهم من إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ الله ﴿أَفَلَا يَعْلَمُونَ﴾ بالباء والتاء<sup>(٢)</sup>، يا أهل مكة هذا فتوّنون.

[١١٠] ﴿حَقٌّ﴾ غاية لما دل عليه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا﴾ أي: فترأى نصرهم حتى ﴿إِذَا اسْتَيْسَسَ﴾ يس ﴿الرُّسُلُ وَظَنُوا﴾ أيقن الرسل<sup>(٣)</sup> ﴿أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ بالتشديد تكذيباً لا إيمان بعده، والتخفيف<sup>(٤)</sup>؛ أي: ظن الأمم أن الرسل أنحلوا ما وعدوا به من النصر ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُفِخَ﴾ بنونين مشدداً ومخففاً، وبنون مشدداً ماض<sup>(٥)</sup> ﴿مِنْ نَشَأٍ﴾ ولا يردُّ بأسناً عذابنا ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين.

[١١١] ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي فَصَصِهِمْ﴾ أي: الرسل ﴿عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول ﴿وَمَا كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ يختلق ولكن كان ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ﴾ تبين ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوا بالذكر لاتفاعهم به دون غيرهم.

\*\*\*

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٧﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٨﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٩﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٠﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا لَوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا يَعْلَمُونَ ﴿١١١﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُفِخَ مِنْ نَشَأٍ وَلَا يَرُدُّ بِأَسْنَانٍ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٢﴾ لَقَدْ كَانَ فِي فَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١٣﴾

[١٠٤] ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ تأخذه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾.

[١٠٥] ﴿وَكَأَيِّنْ﴾ وكم ﴿مِنْ آيَةٍ﴾ دالة على وحدانية الله ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ يشاهدونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ لا يفكرون بها.

(١) بالياء قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالنون وكسر الحاء.

(٢) بالياء لحزمة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) وهذا راجع لقراءة التشديد في ﴿كُذِّبُوا﴾.

(٤) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٥) حاصل ما ذكره ثلاث قراءات، وظاهر كلامه أنها كلها سبعة، وليس كذلك؛ فقراءة التشديد مع النونين قراءة شاذة، أما قراءة التخفيف مع النونين فيه للسبعة عدا عاصم وابن عامر.

## سُورَةُ الرَّحْمَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِجًّا وَأَنْهَارًا وَكُلٌّ فِيهَا خَلْقٌ ثَلَاثِينَ يَغْشَى السَّيْلَ الْتَهَارُونَ فِي ذَلِكَ لَا يَتَذَكَّرُونَ ۝ فِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مَّتَجَوَّزٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْتَبٍ وَرَزَّ وَخَيْلٌ صِنُوءٌ وَغَيْرُ صِنُوءٍ يَسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَتُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَذْكَاتُ الرِّبَا أَمْ نَالِيفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلُلُ فِي أَعْتَابِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝

حقيق بالعجب ﴿قَوْلُهُمْ﴾ منكرين البعث: ﴿أَوَآذًا كُنَّا نُرَبِّئُكُمْ عَلَيْنَا لَعَلَّيْ خَلَقِي جَدِيدٌ﴾ لأن القادر على إنشاء الخلق وما تقدم على غير مثال قادر على إعادتهم، وفي الهمزتين في الموضعين التحقيق، وتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركها<sup>(٨)</sup>، وفي قراءة بالاستفهام في الأول والخبر في الثاني<sup>(٩)</sup>، وأخرى عكسه<sup>(١٠)</sup> ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلُلُ فِي أَعْتَابِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

## سُورَةُ الرَّحْمَةِ

[مكية إلا: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية، ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ الآية. أو: - مدنية إلا: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا﴾ الآية، ثلاث، أو: أربع، أو: خمس، أو: ست وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّحْمَةِ﴾ الله أعلم بمداهم بذلك ﴿وَتِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى «من» ﴿وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: القرآن، مبتدأ خبره: ﴿الْحَقُّ﴾ لا شك فيه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بأنه من عنده تعالى.

[٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أي: العمد جمع عماد وهو الأسطوانة، وهو صادق بأن لا عمد أصلاً ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواء يليق به<sup>(١)</sup> ﴿وَسَحَّرَ﴾ ذَلَّلَ ﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِي﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يوم القيامة ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ يقضي أمر ملكه ﴿يُفَصِّلُ﴾ بين ﴿الْآيَاتِ﴾ دلالات قدرته ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ﴾ بالبعث ﴿تُوقِنُونَ﴾.

[٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ﴾ بسط ﴿الْأَرْضَ وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿فِيهَا رِجًّا﴾ جبلاً نوابت ﴿وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رِجًّا ثَلَاثِينَ﴾ من كل نوع ﴿يَغْشَى﴾ يغطي ﴿السَّيْلَ﴾ بظلمته ﴿الْبَّهَارُ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ المذكور ﴿لَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لَقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنع الله.

[٤] ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ﴾ بقاع مختلفة ﴿مَّتَجَوَّزٌ﴾ متلاصقات، فمنها طيب وسبخ، وقليل الربيع وكثيره، وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿وَجَنَّتْ﴾ بساتين ﴿وَمِنْ أَعْتَبٍ وَرَزَّ﴾ بالرفع عطفًا على ﴿وَجَنَّتْ﴾، والجر<sup>(٢)</sup> على ﴿أَعْتَبٍ﴾، وكذا قوله<sup>(٣)</sup>: ﴿وَخَيْلٌ صِنُوءٌ﴾ جمع صنو، وهي الثَّخَلَاتُ<sup>(٤)</sup> يجمعها أصل واحد وتنشعب فروعها ﴿وَغَيْرُ صِنُوءٍ﴾ مفردة ﴿تُسْقَى﴾ بالناء؛ أي: الجنات وما فيها، والياء<sup>(٥)</sup>؛ أي: المذكور ﴿بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَتُفَضَّلُ﴾ بالنون والياء<sup>(٦)</sup> ﴿بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ بضم الكاف وسكونها<sup>(٧)</sup>؛ فمن حلو وحامض، وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[٥] ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ﴾ يا محمد من تكذيب الكفار لك ﴿فَعَجَبٌ﴾

(١) سبق التعليق على هذا الإحاطة وأنه إذا كان توبيخاً في الكيفية فعم، وأما إن كان المراد نفي معناه من العلو والاستقرار فهذه طريقة أهل التأويل.

(٢) بالجر قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن عامر وشعبة.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن عامر وشعبة.

(٤) وفي نسخة مطبوعة: «الثَّخَلَاتُ».

(٥) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٦) فهذه أربع قراءات.

(٧) حاصل ما ذكره المؤلف من القراءات ما يلي:

قرأ نافع والكسائي ﴿أَوَآذًا﴾ بهمزتين؛ الأولى مفتوحة والثانية مكسورة على الاستفهام.

وقرأوا ﴿أَوَآذًا﴾ بهمزة واحدة مكسورة على الخبر كل على أصله، فقالون يسهل الثانية في ﴿أَوَآذًا﴾ ويدخل ألفاً بينها وبين الأولى، وورث يسهلها من غير إدخال، والكسائي يحققها من غير

إدخال، وقرأ ابن عامر بالإخيار في الأول والاستفهام في الثاني وكل على أصله كذلك، فهشام يحققها مع الإدخال فولاً واحداً، وابن ذكوان يحققها بلا إدخال.

وقرأ بقية السبعة بالاستفهام فيهما وكل على قاعدته، فابن كثير بالتسهيل بلا إدخال، وأبو عمرو بالتسهيل مع الإدخال، وعاصم وحزمة بالتحقيق من غير إدخال.

[٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا ﴿١﴾ هَلَّا ﴿٢﴾ أَنْزَلَ عَلَيْهِ ﴿٣﴾ عَلَى مُحَمَّد ﴿٤﴾ آيَةً مِّن دُونِهِ ﴿٥﴾ كَالْعَصَا وَالْيَدِ وَالنَّاقَةِ؟ قَالَ - تعالى -: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ﴿٦﴾﴾ مخوف الكافرين وليس عليك إتيان الآيات ﴿٧﴾ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٨﴾﴾ نبي يدعوهم إلى ربهم بما يعطيه من الآيات لا بما يفترون.

[٨] ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى ﴿١﴾﴾ من ذكر وأنثى وواحد ومتعدد وغير ذلك ﴿وَمَا يُفَيْضُ ﴿٢﴾﴾ تنقص ﴿الْأَرْحَامُ ﴿٣﴾﴾ من مدة الحمل ﴿وَمَا تَزَادُ ﴿٤﴾﴾ منه ﴿وَكُلُّ أُنْثَىٰ عِنْدَ رَبِّكَ بِمَا عَمِلَتْ ﴿٥﴾﴾ بقدر وحد لا يتجاوز.

[٩] ﴿عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ وَالْشَّهَادَةُ ﴿١﴾﴾ ما غاب وما شوه ﴿الْكَبِيرُ ﴿٢﴾﴾ العظيم ﴿الْمُتَعَالَى ﴿٣﴾﴾ على خلقه بالقهر <sup>(١)</sup>، بياء ودونها <sup>(٢)</sup>.

[١٠] ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ ﴿١﴾﴾ في علمه تعالى ﴿مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ ﴿٢﴾﴾ مستتر ﴿بِالْإِيلِ ﴿٣﴾﴾ بظلامه ﴿وَسَارٍ ﴿٤﴾﴾ ظاهر بذهابه في سرية <sup>(١)</sup> أي طريقه ﴿بِالنَّهَارِ ﴿٢﴾﴾.

[١١] ﴿لَهُمُ الْإِنْسَانُ ﴿١﴾﴾ ملائكة تتبعه ﴿مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ ﴿٢﴾﴾ قدماه ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ ﴿٣﴾﴾ ورائه ﴿يَحْفَظُونَهُ مِّن أَمْرِ اللَّهِ ﴿٤﴾﴾ أي: بأمر من الجن وغيرهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ مَا يُقَوْمُ ﴿٥﴾﴾ لا يسلبهم نعمته ﴿حَتَّىٰ يُغْفِرُوا مَا يَفْسِدُ ﴿٦﴾﴾ من الحالة الجميلة بالمعصية ﴿وَلِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقْوَمُ سَوَاءً ﴿٧﴾﴾ عذاباً ﴿فَلَا مَرَدَ لَهُ ﴿٨﴾﴾ من المعقبات ولا غيرها ﴿وَمَا لَهُمْ ﴿٩﴾﴾ لمن أراد الله بهم سوءاً ﴿مِّن دُونِهِ ﴿١٠﴾﴾ أي: غير الله ﴿مِنْ زَائِدَةٍ ﴿١١﴾﴾ زائدة ﴿وَالِ ﴿١٢﴾﴾ بمنعهم.

[١٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَرَكُمْ خَوْفًا ﴿١﴾﴾ للمسافرين من الصواعق <sup>(١)</sup> ﴿وَلَمَّا عَاثَ ﴿٢﴾﴾ للمقيم في المطر <sup>(٢)</sup> ﴿وَيُنْشِئُ ﴿٣﴾﴾ يخلق ﴿السَّحَابَ ﴿٤﴾﴾ الأقاليم بالمطر.

[١٣] ﴿رَبِّسِحْ الزَّعْدُ ﴿١﴾﴾ هو ملك <sup>(١)</sup> موكل بالسحاب يسوقه متلبساً ﴿بِحَمْدِهِ ﴿٢﴾﴾ أي: يقول: سبحان الله وبحمده ﴿وَيَسْبَحُ ﴿٣﴾﴾ يسبح ﴿السَّمَاوَاتُ مِّن خِفَّتِهِ ﴿٤﴾﴾ أي: الله ﴿وَيُرْسِلُ ﴿٥﴾﴾ أَرْسُلَهُ ﴿السَّحَابَ﴾ وهي نار تخرج من السحاب ﴿فَيَصِيبُ ﴿٦﴾﴾ بها مَن يَشَاءُ ﴿فَنَحْرَقُهُ﴾، فنحرقه، ونزل في رجل بعث إليه النبي ﷺ من يدعو فقال: من رسول الله؟ وما الله؟ أمن ذهب هو أم من فضة أم نحاس؟ فنزلت به صاعقة فذهبت بقمح <sup>(١)</sup> رأسه <sup>(٢)</sup> ﴿وَهُمْ ﴿٣﴾﴾ أي: الكفار ﴿يُجَادِلُونَ ﴿٤﴾﴾ يخاصمون النبي ﷺ ﴿فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿٥﴾﴾ القوة أو الأخذ.

وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٢﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٣﴾ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ وَالْشَّهَادَةُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى ﴿٤﴾ سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿٥﴾ لَهُ مَعْقِبَتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ وَمِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَلِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقْوَمُ سَوَاءً فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِمَّنْ وَالِ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَرَكُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿٧﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُوتُ مِّنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِمَالِ ﴿٨﴾

[٦] ونزل في استعجالهم العذاب استهزاء: ﴿وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ الْعَذَابِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ الرحمة ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُ﴾ جمع (المثله) يوزن (الشفرة)؛ أي: عقوبات أمثالهم من المكذبين، أفلا يعتبرون بها؟ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ مع (ظلمهم) واللا لم يترك على ظهرها دابة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه.

(١) وهذا أحد معاني العلو الثابتة لله ﷻ، وله العلو الشامخ وعلو القهر وعلو الذات، ولا يجوز قصر العلو على نوع واحد فقط.  
(٢) في البوصل والوقف، فبالياء قرأ بن كثير، على الأصل؛ لأن الألف واللام أذهبا التزيين الذي تحذف الياء من أجله، فرجعت الياء، وبالحذف قرأ الباقون اتباعاً للخط، واكتفاءً بدلالة الكسرة على الياء.

(٣) قال في القاموس المحيط: السارب: الناهب على وجهه في الأرض.

(٤) وهذا القصر لا وجه له؛ إذ إنه يصلح أن يكون خوفاً وطمعا للمسافرين والمقيمين معاً، فهو تارة يكون خيراً وأخرى شراً للجميع.

(٥) وهذا القصر لا وجه له؛ إذ إنه يصلح أن يكون خوفاً وطمعا للمسافرين والمقيمين معاً، فهو تارة يكون خيراً وأخرى شراً للجميع.

(٦) أخرج الترمذي في كتاب التفسير عن ابن عباس قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، أبحرنا من الرعد ما هو؟ قال: «ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه محاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله... الحديث، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٩٢)، والمحاريق: جمع مخراق، والمراد به هنا آلة تخرج بها الملائكة السحاب. وقيل: المراد بتسبيح المخلوقات من الجمادات وغير العقلاء: تسبيح الدلالة؛ فكل محدث يدل على أن الله خالق قادر. وقل: هذا التسبيح حقيقة، ولا مانع من أن ينطق الله أي شيء بذلك، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ شَيْءٍ نَّفْثُوهُنَّ لَسِيحُهُمْ﴾، وقوله: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُنَبِّئُنَّ بِالْغَيْبِ وَالْخَبَرِ﴾، وقوله: ﴿الَّذِي أُنْزِلَ كُلُّ قَوْمٍ﴾، ولا تعارض بين القولين؛ فالرعد ملك موكل بالسحاب، وهو يسبح بحمد ربه، كما أن المخلوقات كلها تسبح حقيقة بحمد الله، والله أعلم.

(٧) بكسر القاف؛ عظم الرأس الذي فوق الدماغ.

(٨) أخرج نحوه النسائي والزار وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني في الأوسط وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أنس بن مالك (٩٩/٤) في الدر المنثور. وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣٠٤/١) رقم (٦٩٢)، وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة.

[١٤] ﴿لَهُ تَعَالَى دَعْوَةُ الْمُنَى﴾ أي: كلمته، وهي لا إله إلا الله ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ بِالْبَاءِ وَالتَّاءِ﴾<sup>(١)</sup> يعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره وهم الأصنام ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ مما يطلبونه ﴿إِلَّا﴾ استجابة ﴿كَبْسُطٍ﴾ أي: كاستجابة باسط ﴿كَتَبَهُ إِلَى الْمَاءِ﴾ على شفير البحر يدعو ﴿يَتْلَعُ فَاذْ﴾ بارتفاعه من البحر إليه ﴿وَمَا هُوَ بِبَلَّوٍ﴾ أي: فاه أبداً فكذلك ما هم بمستجيبين لهم ﴿وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ﴾ عبادتهم الأصنام، أو حقيقة الدعاء ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ ضَيَاعٍ﴾.

[١٥] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾ كالمؤمنين ﴿وَكَرْهًا﴾ كالمنافقين ومن أكرهه بالسيف<sup>(٢)</sup> ﴿وَمَنْ يَسْجُدْ﴾ ظللهم بِالْعُدْوَةِ الْبُكْرِ<sup>(٣)</sup> ﴿وَالْأَصَالِ﴾ العشايا.

[١٦] ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ﴾ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ إِنْ لَمْ يَقُولُوا فلا جواب غيره ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: أَفَأَتَّخِذُهُمْ دُونِي؟ أي: غيره ﴿أَوَّلِيَّةً﴾ أصناماً تعبدونها ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسٍ نَقْمًا وَلَا مَكْرًا﴾ وتركتم مالكمها؟ استفهام توبيخ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن ﴿أَمْ هَلْ تَسَوَّى الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ الإيمان؟ لا ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَمَا يَخْلُقُ فَتَشَبَّهَ الْخَلْقُ﴾ أي: خلق الشركاء بخلق الله ﴿عَلَيْهِمْ﴾ فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم؟ استفهام إنكار؛ أي: ليس الأمر كذلك ولا يستحق العبادة إلا الخالق ﴿قُلْ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ لا شريك له فيه فلا شريك له في العبادة ﴿وَمَوْهُ الْوَحِيدُ الْقَهْرُ﴾ لعباده. ثم ضرب مثلاً للحق والباطل فقال: [١٧] ﴿أَنْزَلَ تَعَالَى﴾ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً ﴿مَطَرًا﴾ فَسَاءَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴿فَاتَّخَذَ السَّيْلُ رِبْدًا رَابِعًا﴾ عاليًا عليه، هو ما على وجهه من قدر ونحوه ﴿وَمَا يُثْقِلُونَ﴾ بالبناء والياء<sup>(٤)</sup> ﴿عَلَيْهِ فِي الْكَارِ﴾ من جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس ﴿أَتَبْنَسَاءُ﴾ طلب ﴿جَلِيَّةٍ﴾ زينة ﴿أَوْ مَتَعَ﴾ يتنفع به كالأواني إذا أذيت ﴿زَيْدٌ مِثْلُهُ﴾ أي: مثل زيد السيل وهو خبثه الذي ينفيه الكبر ﴿كَذَلِكَ﴾ المذكور ﴿يَبْصُرُ اللَّهُ الْخَلْقَ وَالْبَاطِلَ﴾ أي: مثلهما ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ﴾ من السيل وما أوفد عليه من الجواهر ﴿يَذْهَبُ جُفَاءً﴾ باطلاً مرمياً به ﴿وَأَمَّا مَا يَبْعَثُ النَّاسُ﴾ من الماء والجواهر ﴿فِيمَكَّنْكَ﴾ يبقى ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ زماناً، كذلك الباطل يضمحل وينمحى وإن علا على الحق في بعض الأوقات، والحق ثابت باق، ﴿كَذَلِكَ﴾ المذكور ﴿يَصْرُفُ﴾ يَبْسُفُ ﴿اللَّهُ الْأَمْتَالُ﴾.

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كَبْسُطٍ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلَّوٍ وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْأَصَالِ ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَأَتَّخِذُهُمْ دُونِي دُونَهُ أَوْ لِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسَوَّى الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَمَا يَخْلُقُ فَتَشَبَّهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَحِيدُ الْقَهْرُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَاءَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاتَّخَذَ السَّيْلُ رِبْدًا رَابِعًا وَمِمَّا يُوقَدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَصْرِبُ اللَّهُ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ فَاَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكِّنْكَ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَصْرِبُ اللَّهُ الْأَمْتَالُ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ وَلَوْ أَنَّ لَهُمْ مَتَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا فِتْنَدُوا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ

[١٨] ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أجابوه بالطاعة ﴿الْحُسْنَى﴾ الجنة ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ وهم الكفار ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا فِتْنَدُوا بِهِ﴾ من العذاب ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ وهو المأخذة بكل ما عملوه لا يغفر منه شيء ﴿وَمَا أَوْفَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ الفراش هي.

(١) ظاهرهما أنهما قراءتان سبعيتان، وليس كذلك، فالباء هي قراءة السبعة، أما التاء فشاذة.

(٢) هذا المعنى غير واضح، ولا يستقيم مع قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، والأقرب أن يقال: إن المراد بالسجود كرهاً: هو انقياد غير المؤمنين من الكفار والمنافقين لإرادته شخاطة وتديبه وتصريفه، لا يقدرون أن يمتنعوا عليه، وكذا تتقاد له تعالى ظلالمهم؛ كما لا يبعد أن يخلق الله تعالى في الظلال أفعالها وعقولا بها تسجد لله، كما خلقها للجال والغيرها حتى اشتغلت بالنسيح، ويجوز أن يراد بسجودها ما يشاهد فيها من هيئة السجود تبعاً لأصحابها، وهذه الآية كقولها تعالى: ﴿وَلَهُ أَشْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ نَفْسٍ يَنْفَخُ فِي ظُلُمَةٍ عَنِ الْيَمِينِ وَالْأَسْأَلِ شَجْدًا لِلَّهِ وَمَنْ دَرَجُونَ﴾ [الرحل: ٤٨].

(٣) جمع بكرة وهي من أول النهار.

(٤) بالياء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

عهد ﴿وَلَا يَنْفُضُونَ الْعَيْتَ﴾ بترك الإيمان أو الفرائض.  
 [٢١] ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ من الإيمان والرحم وغير ذلك ﴿وَيَخْفُونَ سُوَةَ الْحِسَابِ﴾ وعيده. ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الطاعة والبلاء وعن المعصية ﴿أَتَيْتَهُمْ﴾ طلب ﴿وَرَجِعَ رَبُّهُمْ﴾ لا غيره من أعراض الدنيا ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا فِي الطَّاعَةِ﴾ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُوكَ ﴿يَدْفَعُونَ﴾ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ كالجهل بالحلم والأذى بالصبر ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة.

[٢٣] هي ﴿جَنَّتْ عَنِّي﴾ إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ هم ﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ آمن ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَزُرِّيَّاتِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ وإن لم يعملوا بعملهم، يكونون في درجاتهم تكملة لهم ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ من أبواب الجنة، أو القصور أول دخولهم للجنة<sup>(١)</sup>.

[٢٤] يقولون: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾ هذا الثواب ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ بصبركم في الدنيا ﴿فَعِمَّ عَقَبَى الدَّارِ﴾ عقباكم.

[٢٥] ﴿وَالَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ البعد من رحمة الله ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ العاقبة السيئة في الدار الآخرة، وهي جهنم.  
 [٢٦] ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعهُ ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وَلَمْ يَبْسُطِ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴿وَفَرَحُوا﴾ أي: أهل مكة فرح بظن ﴿بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: بما نالوه فيها ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي﴾ جنب حياة ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَّعٌ﴾ شيء قليل يتمتع به ويذهب.

[٢٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة: ﴿لَوْلَا﴾ هَلَا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كالعصا والبد والناقة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ إضلالة؛ فلا تغني عنه الآيات شيئا ﴿وَيَهْدِي﴾ يرشد ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى دينه ﴿مَنْ أُنَابَ﴾ رجع إليه. ويبدل من ﴿مَنْ﴾: [٢٨] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ يذكر الله ﴿أَيَّ﴾ وعده ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أي: قلوب المؤمنين.

\* أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَا هُوَ أَعْلَمُ إِمَّا يَذْكُرُ أُولَ الْأَلْبَابِ ﴿الَّذِينَ يُوَفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْفُضُونَ الْعَيْتَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخْفُونَ سُوَةَ الْحِسَابِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُوكُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ﴾ ﴿جَنَّتْ عَنِّي يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَعِمَّ عَقَبَى الدَّارِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَّعٌ﴾ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

[١٩] ونزل في حمزة وأبي جهل<sup>(١)</sup>: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ فأنه به ﴿كَمَا هُوَ أَعْلَمُ﴾ لا يعلمه ولا يؤمن به؟ لا ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ﴾ يتعظ ﴿أُولَ الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.

[٢٠] ﴿الَّذِينَ يُوَفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ المأخوذ عليهم وهم في عالم النذر، أو كل

(١) لم أقف في كتب أسباب النزول أو غيرها من كتب التفسير على ما يشهد لهذا القول، والمشهور أن الآية عامة في التفريق بين المؤمنين والكافرين كما ذكر ذلك قتادة وغيره. كما في الدر المنثور وتفسير الطبري وغيرهما. والله أعلم.

(٢) ولا دليل على هذا الحصر، وظاهر إطلاق الآية - عليه المفسرون - أنه غير محصور بهذا الوقت، بل يدخلون عليهم في غيره.

[٢٩] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَتَوْا﴾<sup>(١)</sup> مصدر من الطيب<sup>(٢)</sup>، أو شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها<sup>(٣)</sup> ﴿لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَتَوْا﴾ مرجع.

[٣٠] ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أرسلنا الأنبياء قبلك ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَبِثُوا نَبَأَهُمْ﴾ نقرأ ﴿عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ حيث قالوا لما أمروا بالسجود له: وما الرحمن؟ ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾.

[٣١] ونزل لما قالوا له: إن كنت نبيا فسير عنا جبال مكة، واجعل لنا فيها أنهارا وعيونا؛ لغرس ونزرع، وابتع لنا آباءنا الموتى يكلمونا أنك نبي<sup>(٤)</sup>: ﴿وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا شَهِرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ نقلت عن أماكنها ﴿وَأَوْ قَطِعتْ﴾ شققت ﴿بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ بأن يحيوا لما آمنوا ﴿بَلْ يَلَوُ الْأُمَمُ جَمِيعًا﴾ لا لغيره فلا يؤمن إلا من شاء إيمانه دون غيره إن أوتوا ما اقترحوا، ونزل لما أراد الصحابة إظهار ما اقترحوا طمعا في إيمانهم: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ يعلم<sup>(٥)</sup> ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ﴾ مخفية؛ أي: أنه ﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ إلى الإيمان من غير آية ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا﴾ يصنعهم؛ أي: كفرهم ﴿فَارْعَوْهُمُ﴾ داهية تفرعهم بصنوف البلاء من القتل والأسر والحرب والجذب ﴿أَوْ تَحُلْ﴾ يا محمد بجيشك<sup>(٦)</sup> ﴿قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ﴾ مكة ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالنصر عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ وقد حل بالحدودية حتى أتى فتح مكة.

[٣٢] ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بُرْسُلَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ كما استهزئ بك، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿فَأَمْلَيْتُمْ﴾ أمهلت ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا تُمْ أَخَذْتُمُ﴾ بالعقوبة ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أي: هو واقع موقعه، وكذلك أفعَل بمن استهزأ بك.

[٣٣] ﴿أَفَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾ رقيب ﴿عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر، وهو الله، كمن ليس كذلك من الأصنام؟ لا، دل على هذا ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ له من هم؟ ﴿أَمْ﴾ بل أُنَبِّئُونَهُمْ تخبرون الله ﴿بِمَا﴾ أي: بشريك ﴿لَا يَخْلُقُ لَهُ﴾ في الأرض استفهام إنكار؛ أي: لا شريك له إذ لو كان لعلمه، تعالى عن ذلك ﴿أَمْ﴾ بل تسمونهم شركاء ﴿يُظَاهِرُونَ الْقَوْلَ﴾ بظن باطل لا حقيقة له في الباطن ﴿بَلْ يَرَيْنَ لِلَّذِينَ

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَتَوْا ﴿٢٩﴾ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَبِثُوا نَبَأَهُمْ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا شَهِرَتْ بِهِ الْجِبَالُ وَأَوْ قَطِعتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ يَلَوُ الْأُمَمُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِيَنَّكَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تُحْلُ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بُرْسُلَ مِنْ قَبْلِكُمْ فَأَمْلَيْتُمْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا تُمْ أَخَذْتُمُ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُمْ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يُظَاهِرُونَ الْقَوْلَ بَلْ يَرَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ أَمْ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ أَمْ﴾ بل تسمونهم شركاء ﴿يُظَاهِرُونَ الْقَوْلَ﴾ بظن باطل لا حقيقة له في الباطن ﴿بَلْ يَرَيْنَ لِلَّذِينَ

كَفَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ كفرهم ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ طريق الهدى ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

[٣٤] ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالقتل والأسر ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أشد منه ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: عذابه ﴿وَمِنْ وَاقٍ﴾ مانع.

(١) قال الزمخشري: ﴿طُوبَى﴾: مصدر من «طاب» كبرى وزلغى، ومعنى «طوبى لك»: أصبت خيرا وطيبا.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه عن محمد بن علي بن الحسين بن فاطمة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى لو يسير الراكب الجواب في ظلها لساير فيه مائة عام قبل أن يقطعها...» الحديث [الدر المنثور (١١٣/٤)].

وجاء نحو هذا المعنى في حديث رواه أحمد (١٢٤٥) عن أبي سعيد الخدري مرفوعا، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٣٩/٤) رقم (١٩٨٥) وحسنه في صحيح الجامع (٣٩١٨).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٥/١٢) رقم (١٢٦١٧) عن ابن عباس، والفضاء المقدسي في الأحاديث المختارة (٥٥٦/٩)، رقم (٥٥٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٣/٧): «رواه الطبراني، وفيه قابوس بن أبي طيبان، وقد وثق».

(٤) وهي لغة هوازن؛ حيث يطلقون «يئس» على معنى «علم».

(٥) والقول الآخر، وهو الظاهر من السياق: أن الضمير يعود إلى الفارعة؛ أي: تصيب من حولهم؛ لينظروا ويعتبروا.

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهَدْيِ الْكَذِبِ﴾ كعب الله بن سلام وغيره من مؤمني اليهود ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ لموافقته ما عندهم ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ الذين تحزبوا عليك بالمعاداة من المشركين واليهود ﴿مَنْ يُكْرِهْ بَعْضُهُمْ كَذَرَ الرَّحْمَنِ وَمَا عَدَا الْقِصَصِ﴾ قُلْ إِنَّمَا أُوتِيتُ ﴿فِيمَا أُنزِلَ إِلَيَّ﴾ أَنَّهُ: بَأَنَّ ﴿أَعْبَدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرَكَ بِهِ﴾ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَقَابٌ مرجعي.

[٣٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الإنزال ﴿أُنزِلَتْ﴾ أي: القرآن ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب تحكم به بين الناس ﴿وَلَكِنْ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: الكفار فيما يدعونك إليه من ملتهم فرضاً ﴿بِمَدِّ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بالتوحيد ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ زَائِلَةٍ﴾ ناصر ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ مانع من عذابه.

[٣٨] ونزل لما عيره بكثرة النساء<sup>(١)</sup>: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ أولاداً وأنت مثلهم ﴿وَمَا كَانَ لِرُسُولِكَ مِنْهُمْ أَنْ يَأْتِيَ بِتَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لأنهم عبيد مريبون ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾ مدة ﴿كُتِبَ﴾ مكتوب فيه تحديده.

[٣٩] ﴿وَمَحْوُ اللَّهِ﴾ منه ﴿مَا يَشَاءُ وَيُتَبِّتُ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٢)</sup>، فيه ما يشاء من الأحكام وغيرها ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصله الذي لا يتغير منه شيء، وهو ما كتبه في الأزل.

[٤٠] ﴿وَأَمَّا﴾ فيه ادغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿فَرِيضَتِكَ بَعْضَ الَّذِي تَوْعَدُهُمْ﴾ به من العذاب في حياتك. وجواب الشرط محذوف؛ أي: فذاك ﴿أَوْ تَوَفَّتْكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَوَيْلٌ لَكَ مِنَ الْبَلَاءِ﴾ ما عليك إلا التبليغ ﴿وَعَلَيْتَ الْحِسَابَ﴾ إذا صاروا إلينا فنجازيهم.

[٤١] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أي: أهل مكة ﴿أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ نقصد أرضهم ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بالفتح على النبي ﷺ ﴿وَاللَّهُ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ لا راد ﴿لِحُكْمِهِ﴾ وهو سريع الحساب.

[٤٢] ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم بأبيائهم كما مكروا بك ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ وليس مكروهم كمكروه؛ لأنه - تعالى - ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ فيعلمها جزاءه، وهذا هو المكر كله؛ لأنه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ﴾ المراد به الجنس، وفي قراءة: ﴿الْكُفَّارُ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿لِمَنْ عَقَبَى الدَّارِ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة ألهم أم النبي ﷺ وأصحابه.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ تجري من تحتها الأنهار ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُمَاتُهَا تَنْقُصُ﴾ لا ينفى ﴿وَقُلُوبُهُمْ لَا تَعْلَمُ﴾ أي: الجنة ﴿عَقَبَى﴾ عاقبة ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿وَعَقَبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ تجري من تحتها الأنهار ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُمَاتُهَا تَنْقُصُ﴾ لا ينفى ﴿وَقُلُوبُهُمْ لَا تَعْلَمُ﴾ أي: الجنة ﴿عَقَبَى﴾ عاقبة ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿وَعَقَبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ تجري من تحتها الأنهار ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُمَاتُهَا تَنْقُصُ﴾ لا ينفى ﴿وَقُلُوبُهُمْ لَا تَعْلَمُ﴾ أي: الجنة ﴿عَقَبَى﴾ عاقبة ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿وَعَقَبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾

[٣٥] ﴿مَثَلُ﴾ صفة ﴿الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ مبتدأ خبره محذوف؛ أي: فيما نقص عليكم ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ما يؤكل فيها ﴿دَائِمٌ﴾ لا ينفى ﴿وَقُلُوبُهُمْ لَا تَعْلَمُ﴾ شمس لعدمها فيها ﴿وَقُلُوبُهُمْ لَا تَعْلَمُ﴾ أي: الجنة ﴿عَقَبَى﴾ عاقبة ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿وَعَقَبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾

(١) كان تعبيرهم له ﷺ بذلك بقصد الطعن في نبوته ﷺ.

(٢) وهما قراءتان سبيتان، وبالتشديد قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن عامر.

(٣) وانقراءة المفسرة لنافع وابن كثير وأبي عمرو.



وَقُولُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا  
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ

[٤٣] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَكَ: لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ لَهُمْ: كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ من مؤمني اليهود والنصارى.

\*\*\*

### سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ  
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ١  
اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَقِيلَ  
لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ٢ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ  
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ  
اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ٣ وَمَا  
أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ  
فَضْلَ اللَّهِ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ ٤ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ  
قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا  
اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ٥

[مكية إلا: ﴿أَنْتُمْ تَرَىٰ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا﴾ الآيتين فمدينيتان. وآياتها:

إحدى، أو: اثنتان، أو: أربع، أو: خمس وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّ﴾ الله أعلم بمراحه بذلك، هذا القرآن ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بأمر ﴿رَبِّهِمْ﴾ وبإذن من ﴿إِلَى النُّورِ﴾: ﴿إِلَى صِرَاطٍ طَرِيقِ﴾ الْعَزِيزِ الْعَالِمِ الْحَمِيدِ المحمود.

[٢] ﴿اللَّهُ﴾ بالجر بدل أو عطف بيان وما بعده صفة، والرفع (١) مبتدأ خبره: ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

[٣] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ يختارون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ أي: السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ عن الحق.

[٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ﴾ بلغة ﴿قَوْمِهِ﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ (٢) ليفهمهم ما أتى به ﴿فَضْلَ اللَّهِ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ التسع، وقلنا له: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ بنعمه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ التذكير ﴿لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على الطاعة ﴿شَكُورٍ﴾ للنعم.

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن أبي در قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يعث الله نبياً إلا بلغة قومه». (المسند ١٨٥/٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٩٧).

(١) بالرفع فراءة دفع وابن عامر.

وَاِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهٖ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ اِذْ اَنْجَاكُمْ مِنْ اٰلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُوْنَكُمْ سُوًۢءَ الْعَذَابِ وَيُذَيِّحُوْنَ اَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُوْنَ نِسَاءَكُمْ وَفِيْ ذٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيْمٌ ۝۱۰ وَاِذْ تَاَذَّنْ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَّاۤزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ اِنَّ عَذَابِيْ لَشَدِيْدٌ ۝۱۱ وَقَالَ مُوسٰى اِنْ تَكْفُرُوْۤا اَنْتُمْ وَمَنْ فِى الْاَرْضِ جَمِيْعًا فَاِنَّ اللّٰهَ لَغَنِيٌّ حَمِيْدٌ ۝۱۲ اَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُوْۤا الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٌ لُّوْجٌ وَعَادٌ وَثَمُوْدٌ وَالَّذِيْنَ مِنْۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ اِلَّا اللّٰهُ جَاۤءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰتِ فَرَدُّوْۤا اَيْدِيَهُمْ فِىْ اَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوْۤا اِنَّا كَفَرْنَا بِمَاۤ اُرْسِلْتُمْ بِهِۦ وَاِنَا لَفِىْ شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُوْنَآ اِلَيْهِ مُرِيْبٍ ۝۱۳ قَالَتْ رُسُلُهُمْ اَفِىْ اللّٰهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ يَدْعُوْكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوْبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ اِلٰى اَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوْۤا اِنْ اَنْتُمْ اِلَّاۤ اَبَشْرٌ مِّثْلُنَا فَرِيْدُوْۤا اَنْ تَصُدُّوْۤا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ اٰۤبَاؤُنَا فَاَنْتُمْ اِسْلَاطِيْنٌ مُّبِيْنٌ ۝۱۴

[٦] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿وَ﴾ اِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهٖ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ اِذْ اَنْجَاكُمْ مِنْ اٰلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُوْنَكُمْ سُوًۢءَ الْعَذَابِ وَيُذَيِّحُوْنَ اَبْنَاءَكُمْ ﴿وَ﴾ المولودين ﴿وَ﴾ وَيَسْتَحْيُوْنَ ﴿وَ﴾ يَسْتَحْيُوْنَ ﴿وَ﴾ لَقَوْلِ بَعْضِ الْكُهَنَةِ: اِنْ مَوْلَاكَ يُولَدُ فِيْ بَنِيْ اِسْرَآئِيْلَ يَكُوْنُ سَبَبَ ذَهَابِ مَلِكِ فِرْعَوْنَ ﴿وَ﴾ وَفِيْ ذٰلِكُمْ ﴿وَ﴾ الْاِنْجَاءُ اَوْ الْعَذَابِ ﴿بَلَاءٌ﴾ اِنْعَامٌ اَوْ اِبْتِلَاءٌ ﴿مِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيْمٌ﴾.

[٧] ﴿وَ﴾ اِذْ تَاَذَّنْ ﴿وَ﴾ اَعْلَمَ ﴿رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ﴾ نعمتي بالتوحيد والطاعة ﴿لَّاۤزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ﴾ جحدتم النعمة بالكفر والمعصية لأعذبكم، دل عليه: ﴿اِنَّ عَذَابِيْ لَشَدِيْدٌ﴾.

[٨] ﴿وَقَالَ مُوسٰى﴾ لقومه: ﴿اِنْ تَكْفُرُوْۤا اَنْتُمْ وَمَنْ فِى الْاَرْضِ جَمِيْعًا﴾ فَاِنَّ اللّٰهَ لَغَنِيٌّ ﴿عن خلفه﴾ ﴿حَمِيْدٌ﴾ محمود في صناعه بهم.

[٩] ﴿اَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ استفهام تقرير ﴿نَبُوْۤا﴾ خبر ﴿الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٌ لُّوْجٌ﴾ قوم هود ﴿وَتَمُوْدٌ﴾ قوم صالح ﴿وَالَّذِيْنَ مِنْۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ اِلَّا اللّٰهُ﴾ لكنهم ﴿جَاۤءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰتِ﴾ بالحجج الواضحة على صدقهم ﴿فَرَدُّوْۤا﴾ أي: الأثم ﴿اَيْدِيَهُمْ فِىْ اَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: إليها؛ ليعضوا عليها من شدة الغيظ <sup>(١)</sup> ﴿وَقَالُوْۤا اِنَّا كَفَرْنَا بِمَاۤ اُرْسِلْتُمْ بِهِۦ﴾ في زعمكم ﴿وَاِنَا لَفِىْ شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُوْنَآ اِلَيْهِ مُرِيْبٍ﴾ موقع في الرية.

[١٠] ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ اَفِىْ اللّٰهِ شَكٌّ﴾ استفهام إنكار؛ أي: لا شك في توحيده للذلائل الظاهرة عليه ﴿فَاطِرِ﴾ خالق ﴿السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ يَدْعُوْكُمْ﴾ إلى طاعته ﴿لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوْبِكُمْ﴾ «من» زائدة فإن الإسلام يغفر به ما قبله، أو تبعضية لإخراج حقوق العباد ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ بلا عذاب ﴿اِلٰى اَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أجل الموت ﴿قَالُوْۤا اِنْ﴾ ما ﴿اَنْتُمْ اِلَّاۤ اَبَشْرٌ مِّثْلُنَا﴾ تُرِيْدُوْنَ اَنْ تَصُدُّوْۤا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ اٰۤبَاؤُنَا ﴿من الأصنام﴾ ﴿فَاَنْتُمْ اِسْلَاطِيْنٌ مُّبِيْنٌ﴾ حجة ظاهرة على صدقكم.

(١) هذا قول ابن مسعود، وقيل: معناه أنهم أشاروا إلى أفواه الرسل بأمرهم بالسكوت. وقيل: بل وضعوا أيديهم على أفواههم تكذيباً لهم. وقيل: بل هو عبارة عن سكوتهم عن جواب الرسل وعدم الإيمان بهم. وقيل غير ذلك.



أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَرَبُّرُؤُوسِهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّنا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سِوَاهُ عَلَيْنَا أَجْرِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّجِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾

[١٩] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر يا مخاطب، استفهام تقرير ﴿أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ«خلق» ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بذلك. [٢٠] ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ شديد.

[٢١] ﴿وَرَبُّرُؤُوسِهِ جَمِيعًا﴾ أي: الخلاق، والتعبير فيه وفيما بعده بالماضي؛ لتحقيق وقوعه ﴿وَالَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ الأتباع ﴿لَلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ المتبوعين: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ «من» الأولى للتبيين، والثانية للتبعيض ﴿قَالُوا﴾ المتبوعون: ﴿لَوْ هَدَّنا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ لدعواكم إلى الهدى ﴿سِوَاهُ عَلَيْنَا أَجْرِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّجِيصٍ﴾ ملجأ.

[٢٢] ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار واجتمعوا عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ بالبعث والجزاء فصدقكم ﴿وَوَعَدْتُكُمْ﴾ أنه غير كائن ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ قوة وقدرة أقهركم على متابعتي ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ﴾ على إجابتي ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ بمغيتكم ﴿وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِي﴾ بفتح الياء وكسرها<sup>(٥)</sup> ﴿إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾ بإشراككم إياي مع الله ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٢٣] ﴿وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا﴾ من الله ومن الملائكة وفيما بينهم ﴿سَلَامٌ﴾.

[٢٤] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ أي: لا إله إلا الله ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هي النخلة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا﴾ غصنها ﴿فِي السَّمَاءِ﴾<sup>(٦)</sup>.

(٥) فائدة أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: وأخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ولا تحث. أي تسقط. ورقها؟. فوقع في نفسي أنها النخلة، فكرهت أن أتكلم وكنم أبو بكر وعمر، فلما لم يتكلما قال النبي ﷺ: وهي النخلة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة إبراهيم (١٤) باب (١) ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، وأخرجه مسلم - كتاب صفات المنافقين (٥٠) باب (١٥) المؤمن مثل النخلة.

(٦) بالكسر قراءة حمزة.





مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ  
وَأَفْعَدْتُ لَهُمْ هَوَاءً ۖ وَأَنْذَرْتُ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ  
فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ  
دَعْوَتِكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ ۖ أُولَئِكَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ  
مَالِكُمْ مِنْ زَوَالٍ ۖ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا  
أَنْفُسَهُمْ وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ  
الْأَمْثَالَ ۖ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ  
وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ۖ فَلَا  
تُحْسِبَنَّ اللَّهُ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ  
ذُو انْتِقَامٍ ۖ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ  
وَيَرْزُقُ اللَّهُ الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ ۖ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ  
مُقَرَّرِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۖ سَرَّابِلُهُمْ مِنْ طَيْرٍ وَتَعَثَّى  
وُجُوهُهُمْ النَّارُ ۖ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ  
إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۖ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذِرُوا بِهِ  
وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَحِيدٌ وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْبَابَ ۖ

نهار من أيام الدنيا لحديث<sup>(٧)</sup> بذلك.

[٥٢] «هَذَا» القرآن «بَلَّغٌ لِلنَّاسِ» أي: أنزل لتبليغهم «وَلِيُنْذِرُوا وَلِيَعْلَمُوا» بما فيه من الحجج «وَأَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ» أي: الله «وَحِيدٌ وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْبَابَ» أي: أصحاب العقول

\*\*\*

[٤٣] «مُهْطِعِينَ» مسرعين، حال «مُقْنِعِي» رافعي «رُءُوسِهِمْ» إلى السماء «لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ» بصرهم «وَأَفْعَدْتُ لَهُمْ هَوَاءً» خالية من العقل لفرعهم.

[٤٤] «وَأَنْذَرْتُ» خَوْفٌ بِأَمْرٍ مِنَ الْكَافِرِ «يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ» هو يوم القيامة «فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا» كفروا: «رَبَّنَا أَخْرِنَا» بَانَ تَرَدْنَا إِلَى الدُّنْيَا «إِلَّا أَجَلٌ قَرِيبٌ نَحْبُ دَعْوَتِكَ» بالتوحيد «وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ» يقال لهم توبيخاً: «أُولَئِكَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ» حلفتُمْ «مِنْ قَبْلِ» فِي الدُّنْيَا «مَالِكُمْ مِنْ» زَائِدَةٌ «زَوَالٍ» عنها إلى الآخرة.

[٤٥] «وَسَكَنْتُمْ» فيها «فِي مَسْكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» بالكفر من الأمم السابقة «وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ» من العقوبة فلم تنزعوا «وَضَرَبْنَا» بَيْنَا «لَكُمْ الْأَمْثَالَ» فِي الْقُرْآنِ، فلم تعتبروا.

[٤٦] «وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ» بالنبي ﷺ «مَكْرَهُمْ» حيث أرادوا قتله أو تقييده أو إخراجهم «وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ» أي: علمه أو جزاؤه «وَلَنْ يَنْفَعَهُمْ» مَا كَانَتْ مَكْرُهُمْ «وَأَنْ عَظُمَ» لِيُزِيلَ مِنْهُ الْجِبَالَ «الْمَعْنَى: لَا يَبْعَثُ بِهِ وَلَا يَضُرُّ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ، وَالْمَرَادُ بِالْجِبَالِ هُنَا حَقِيقَتُهَا، وَقِيلَ: شَرَاةُ الْإِسْلَامِ الْمَشْبُوهَةِ بِهَا فِي الْقَرَارِ وَالثَبَاتِ، وَفِي قِرَاءَةِ<sup>(١)</sup> يَفْتَحُ لَامَ «لَتَزُولَ» وَرَفْعُ الْفِعْلِ، فَ«إِنْ» مَخْفُفَةٌ، وَالْمَرَادُ تَعْظِيمُ مَكْرِهِمْ، وَقِيلَ: الْمَرَادُ بِالْمَكْرِ كُفْرُهُمْ، وَيُنَاسِبُهُ عَلَى الثَّانِيَةِ<sup>(٢)</sup>: «تَكْادُ السَّمَوَاتُ يَفْقَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا»<sup>(٣)</sup>، وَعَلَى الْأُولَى: مَا قَرَأَ<sup>(٤)</sup>: «وَمَا كَانَ».

[٤٧] «فَلَا تُحْسِبَنَّ اللَّهُ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ» بالنصر «إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ» غَالِبٌ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ «ذُو انْتِقَامٍ» مِمَّنْ عَصَاهُ.

[٤٨] أَذْكَرُ «يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ» هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، فَيُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ نَفِيعَةٍ كَمَا فِي حَدِيثِ الصَّحِيحِينَ<sup>(٥)</sup>، وَرَوَى مُسْلِمٌ حَدِيثًا: سَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «عَلَى الصَّرَاطِ»<sup>(٦)</sup>، «وَيَرْزُقُوا» خَرَجُوا مِنَ الْقُبُورِ «لِلَّوْحِدِ الْقَهَّارِ».

[٤٩] «وَتَرَى» بِأَمْرٍ مِنَ مُحَمَّدٍ، تَبَصَّرَ «الْمُجْرِمِينَ» الْكَافِرِينَ «يَوْمَئِذٍ مُقَرَّرِينَ» مُشْدُودِينَ مَعَ شَيَاطِينِهِمْ «فِي الْأَصْفَادِ» الْغُلُودِ أَوِ الْأَغْلَالِ. [٥٠] «سَرَّابِلُهُمْ» قَمِيصُهُمْ «مِنْ طَيْرٍ» لَأَنَّهُ أَبْلَغُ لاشتعال النار «وَتَعَثَّى» تَعَلُّو «وُجُوهُهُمْ النَّارُ».

[٥١] «لِيَجْزِيَ» مُتَعَلِّقٌ بِ«يَرْزُقُوا» «اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ» مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ «إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» يَحْسَابُ جَمِيعَ الْخَلْقِ فِي قَدْرِ نِصْفٍ

(١) للكسائي.

(٢) أي: القراءة الثانية.

(٣) مريم: ٩٠.

(٤) أي: الذي قرأه، وهي قراءة شاذة؛ أي قرأ شاذاً: (وما كان مكرهم...).

(٥) البخاري (٥٥١٠) ومسلم (١٩٤٢) عن سهل بن سعد مرفوعاً.

(٦) مسلم (١٩٤٢) من حديث عائشة.

(٧) أخرجه الطبري (٢٥٩/١٩) عن إبراهيم في قوله: «فَمَنْ كُنَّ أَلْسِنَتُهُمْ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُنْتَقَرًا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا» [التفرقة: ٢٤] قال: كانوا يرون أنه يفرغ من حساب الناس يوم القيامة في نصف فليل هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار.

وأخرج نحوه عن ابن جريج وكذلك ذكره ابن كثير عن سعيد بن عبيد (٣٠٤/٢)، وكذلك البغوي عن عطاء عن ابن عباس ومقاتل (٢٢١/٨)، وسبق بيان أن السيوطي رحمه الله قد -

## سُورَةُ الْحَجَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ۝ رُبَّمَا يَوَدُّ  
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوِ كَانُوا مُسْلِمِينَ ۝ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا  
وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا أَهْلَكْنَا  
مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ۝ مَا تَسْبِقُ مِنْ أَمْرِهِ  
أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ۝ وَقَالُوا يَأْتِيُنَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ  
الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝ لَوْ مَا تَأْتِيُنَا بِالْمَلَكِ كَذِبٌ إِنْ كُنْتَ  
مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ مَا نَزَّلَ الْمَلَكُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا  
إِذَا مُنْظَرِينَ ۝ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ۝  
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِمْ  
مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ  
فِي قُلُوبِ الْمُتَجَرِّمِينَ ۝ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ  
۝ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝  
لَقَالُوا إِنَّمَا سَكَبَتْ أَنْصَبُ نَابِلٌ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ۝

## سُورَةُ الْحَجَرِ

[مكية، تسع وتسعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَاتُ  
الْكِتَابِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى «من» ﴿وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ مظهر للحق من  
الباطل، غطف بزيادة صفة.

[٢] ﴿رُبَّمَا﴾ بالتشديد والتخفيف<sup>(١)</sup> ﴿يَوَدُّ﴾ يطمح ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يوم القيامة إذا عابوا حالهم وحال المسلمين ﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾  
وهو ذرٌ للتكثير فإنه يكثر منهم تمني ذلك، وقيل: للتقليل فإن الأحوال  
تدهشهم فلا يفقهون حتى يتمنوا ذلك إلا في أحيان قليلة.

[٣] ﴿ذَرَهُمْ﴾ اترك الكفار يا محمد ﴿يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ بدنياتهم  
﴿وَيُلْهِمُ﴾ يشغلهم ﴿الْأَمَلُ﴾ بطول العمر وغيره عن الإيمان ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٤] ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ زائدة ﴿قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ محدود لأملاكها.

[٥] ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أَمْرِهِ﴾ زائدة ﴿أَمْرِهِ أَجَلُهُ وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾ يتأخرون عنه.

[٦] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: كفار مكة للنبي ﷺ ﴿يَأْتِيُنَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ  
الذِّكْرُ﴾ القرآن في زعمه ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾.

[٧] ﴿لَوْ مَا﴾ هلاً ﴿تَأْتِيُنَا بِالْمَلَكِ﴾ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿فِي  
قَوْلِكَ﴾ إنك نبي وإن هذا القرآن من عند الله.

[٨] قال - تعالى -: ﴿مَا تَنْزِيلُ﴾<sup>(٢)</sup> فيه حذف إحدى التاءين  
﴿الْمَلَكِ﴾ إلا بِالْحَقِّ بالعذاب ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا﴾ حين نزول الملائكة  
بالعذاب ﴿مُنْظَرِينَ﴾ مؤخرين.

[٩] ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد لاسم «إن» أو فصل<sup>(٣)</sup> ﴿نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ القرآن  
﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ من التبديل والتحرif والزيادة والنقص.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ رسلاً ﴿فِي شَيْعِ﴾ فرق ﴿الْأَوَّلِينَ﴾.

[١١] ﴿وَمَا﴾ كان ﴿يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾  
كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﷺ.

[١٢] ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾ أي: مثل إدخالنا التكذيب في قلوب أولئك  
ندخله ﴿فِي قُلُوبِ الْمُتَجَرِّمِينَ﴾ أي: كفار مكة.

[١٣] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالنبي ﷺ ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: سنة  
الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم، وهؤلاء مثلهم.

[١٤] ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ﴾ في الباب  
﴿يَعْرُجُونَ﴾ يصعدون.

[١٥] ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سَكَبَتْ﴾ سدت ﴿أَنْصَبُ نَابِلٌ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾  
يعجل إلينا ذلك.

(١) بالتشديد. قراءة السبعة عدا نافع وعاصم.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وعندهم «الملائكة» بالرفع، وفراً شعبة كذلك لكن بضم التاء، وقرأ حفص وحزمة والكسائي: «ما تنزل الملائكة» بالنون ونصب «الملائكة».

(٣) ضمير فصل، واعتراض بأن ضمير الفصل لا يكون إلا ضمير غيبة ولا يقع إلا بين اسمين، وهنا ليس كذلك، فالأولى الاختصار على الأول.





[٣٤] ﴿قَالَ فَخُذْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السموات ﴿فَإِنَّكَ نَجِيمٌ﴾ مطرود.

[٣٥] ﴿وَأَنَّ عَلَنِكَ اللَّعْنَةَ﴾ أي: لعنة الله عليك يا إبليس.

[٣٦] ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: الناس.

[٣٧] ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾.

[٣٨] ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ وقت النفخة الأولى.

[٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ أي: يا غواث لي، والباء للقسمة وجوابه:

﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ المعاصي ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: المؤمنين.

[٤١] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٤٢] ﴿هُوَ﴾ وإن عبادي: أي: المؤمنين ﴿لَكِنَّ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ قوة

﴿وَلَا﴾ لكن ﴿مَنْ أَمَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الكافرين.

[٤٣] ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: من اتبعك معك.

[٤٤] ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ أطباق ﴿لِكُلِّ بَابٍ﴾ منها ﴿يُنْتَهَمُ جُزْءٌ﴾

نصيب ﴿مَقْسُومٌ﴾.

[٤٥] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ تجري فيها.

[٤٦] ﴿وَيَقَالُ لَهُمْ﴾: ﴿ادْخُلُوا هَذَا بَابًا﴾ أي: سالين من كل مخوف، أو مع

سلام، أي: سلّموا، وادخلوا ﴿بِأَمْرٍ﴾ من كل فرع.

[٤٧] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ حقد ﴿إِخْوَانًا﴾ حال منهم

﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾<sup>(٥)</sup> حال أيضا؛ أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض

لدوران الأسرة بهم.

[٤٨] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا نَجْوَ﴾ تعب ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُتَحَرِّجِينَ﴾ أبدا.

[٤٩] ﴿نَجْوَى﴾ خبر يا محمد ﴿عِبَادِي﴾ أي: أنا العفّور ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

﴿الرَّحِيمِ﴾ بهم.

[٥٠] ﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾ للعصاة ﴿هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ المؤلم.

[٥١] ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ صَافٍ﴾ خبر يا محمد ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ وهم الملائكة اثنا عشر أو عشرة أو

ثلاثة منهم جبريل<sup>(٦)</sup>.

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ  
لَا سَاجِدًا لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَافٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾  
قَالَ فَخُذْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ إِلَى يَوْمِ  
الَّذِينَ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ  
مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّمَا  
أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ  
﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُتَّقِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ  
مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ  
اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾  
لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ  
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوا هَذَا بَابًا أَمِينٍ ﴿٤٦﴾  
وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ  
﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَجَسٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾  
\* نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي  
هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ صَافٍ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾

[٣٢] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ﴾ ما منعك ﴿أَلَّا﴾ أن تكون ﴿مَعَ السَّاجِدِينَ﴾.

[٣٣] ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لَا سَاجِدًا﴾ لا ينبغي لي أن أسجد ﴿لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَافٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن يزيد بن زريع: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾... أن أبا سعيد الخدري رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيفصل بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا تهدأوا وهوا أدن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدي بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا». البخاري - كتاب الرقاق (٨١) باب (٤٨) القصص يوم القيامة.

(٦) ذكر عددهم ليس عليه دليل صحيح، وليس منه كبير فائدة.

[٥٢] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ أي: هذا اللفظ ﴿قَالَ﴾ إبراهيم لما عرض عليهم الأكل فلم يأكلوا: ﴿إِنَّا مِنْكُمْ بَعْضٌ﴾ خائفون.  
 [٥٣] ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ لا تخف ﴿إِنَّا﴾ رسل ربك ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَالِمٍ﴾ ذي علم كثير، هو إسحاق، كما ذكر في سورة هود.  
 [٥٤] ﴿قَالَ أَسْتَرْثَمُونِي﴾ بالولد ﴿عَلَىٰ أَنْ مَسَىٰ الْكِبَرُ﴾ حال؛ أي: مع مسه بإيها ﴿فِيمَ﴾ بأي شيء ﴿نُبَشِّرُونَ﴾ استفهام تعجب.  
 [٥٥] ﴿قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ الآيسين.

[٥٦] ﴿قَالَ وَمَنْ﴾ أي: لا ﴿يَقْطَعُ﴾ بكسر النون وفتحها<sup>(١)</sup> ﴿وَرِثَةً زَبِيًّا﴾ إِلَّا الْفَالِأُولُ الكافرون.  
 [٥٧] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿إِنِّي الْمُرْسَلُونَ﴾.  
 [٥٨] ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ كافرين؛ أي: قوم لوط لإهلاكهم.  
 [٥٩] ﴿إِلَّا ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجِّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لإيمانهم.  
 [٦٠] ﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ قَدَرْنَا إِنِّي كُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ﴾ الباقين في العذاب لكفرها.

[٦١] ﴿فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ﴾ أي: لوصا ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾.  
 [٦٢] ﴿قَالَ لَهُمْ﴾ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكَرُونَ لا أعرفكم.  
 [٦٣] ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا﴾ أي: قومك ﴿فِيهِ يَمْزُوجُونَ﴾ يشكون، وهو العذاب.  
 [٦٤] ﴿وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَمُصَدِّقُونَ﴾ في قولنا.  
 [٦٥] ﴿فَأَنزِلْ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَذْبَنَهُمْ﴾ امش خلفهم ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ فلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ وهو الشام.

[٦٦] ﴿وَقَضَيْنَا أَوْحِينَا﴾ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرُ وهو دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٍ مُّصْجِحِينَ حال؛ أي: يتم استئصالهم في الصباح.  
 [٦٧] ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ﴾ مدينة سدوم، وهم قوم لوط لما أخبروا أن في بيت لوط نودًا حسنا وهم الملائكة ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ حال، طمعا في فعل

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا أَنْكُمْ وَرَجُلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَسْتَرْثَمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَىٰ الْكِبَرُ فِيمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَذْبَنَهُمْ مِنْكُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَىٰ الظَّالِمِينَ ﴿٥٦﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٧﴾ إِنَّا لَمُنَجِّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا أَمْرَاتُهُ قَدَرْنَا إِنِّي كُنَّا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٥٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦٠﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكَرُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْزُوجُونَ ﴿٦٢﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَمُصَدِّقُونَ ﴿٦٣﴾ فَأَنزِلْ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَذْبَنَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْجِحِينَ ﴿٦٥﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَرِيظِي فَلَا تَقْضُحُونِ ﴿٦٧﴾ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْرُوجُوا ﴿٦٨﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نُنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦٩﴾

الفاحشة بهم.

[٦٨] ﴿قَالَ﴾ لوط: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَرِيظِي فَلَا تَقْضُحُونِ﴾.

[٦٩] ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْرُوجُوا﴾ بقصدكم إياهم بفعل الفاحشة بهم.

[٧٠] ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نُنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ عن إضافتهم.

طِينِ طَبَخَ بِالنَّارِ.

[٧٥] ﴿إِنْ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالات على وحدانية الله ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ للناظرين المعتبرين.

[٧٨] ﴿وَإِنْ﴾ مخففة، أي: إنه ﴿كَانَ أَصْحَبُ الْأَيْكَةِ﴾ هي غيضة شجر بقرب مدين، وهم قوم شعيب ﴿ظَالِمِينَ﴾ بتكذيبهم شعيباً.

[٧٩] ﴿وَلَا تَقْنَتُوا مِنْهُمْ﴾ بَأَن أهلكناهم بشدة الحر ﴿وَلَهُمْ﴾ أي: قرى قوم لوط والأبيكة<sup>(١)</sup> ﴿لِيَأْمُرُوا﴾ طريق ﴿مُتَّبِعِينَ﴾ واضح، أفلا تعتبرون بهم يا أهل مكة؟! [٨٠] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْمَجِجِ﴾ واد بين المدينة والشام، وهم ثمود ﴿الْمُوسِرِينَ﴾ بتكذيبهم صالحاً؛ لأنه تكذيب لباقى الرسل لاشتراكهم في الجحىء باتوحيده.

[٨١] ﴿وَأَلَيْسَ لَهُمْ آيَاتُنَا﴾ في الناقة ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ لا يتفكرون فيها.

[٨٢] ﴿وَكُنَّا نَسْتَحْوِجُ مِنَ الْإِبْرَآءِ نِوَالًا آمِنِينَ﴾ .  
[٨٣] ﴿فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ﴾ وقت الصباح .

[٨٤] ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ العذاب ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من بناء الحصون وجمع الأموال.

[٨٥] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ لَلسَّاعَةِ لَأَيُّبٌ﴾ لا محالة فيجازي كل أحد بعمله ﴿فَأَصْحَفُ﴾ يا محمد عن قومك ﴿الْأَصْحَفُ الْجَمِيلُ﴾ أعرض عنهم إعراضاً لا جزع فيه، وهذا منسوخ بآية السيف.

[٨٦] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَافِقُ﴾ لكل شيء ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء.  
[٨٧] ﴿وَلَقَدْ أَلَيْنَاكَ سَعَاءَ مِنَ الْمُنَى﴾ قال ﷺ: «هي الفاتحة» رواه

[٨٨] لَا تَمُدَّنْ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا ۖ أَصْنَافًا مِّنْهُمْ وَلَا

[٨٩] ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ﴾ من عذاب الله أن ينزل عليكم

[٩٠] ﴿كَمَا أُنْزِلْنَا﴾ العذاب ﴿عَلَى الْمُفْتَسِمِينَ﴾<sup>(٥)</sup> اليهود والنصارى.

قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتُ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧٥﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ  
يَعْمَهُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٧﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمُ  
سَافِلًا وَأَفْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِبْرَةً مِنْ سِجْلِ ﴿٧٨﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ  
لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٩﴾ وَإِنَّا لِلْأَسْبَلِ مُقِيمٌ ﴿٨٠﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ  
لَآيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ظَالِمِينَ ﴿٨٢﴾  
فَاتَّقِمْنَا مِنْهُمُ وَإِنَّمَا إِلَهُ مَرْيَمَ ﴿٨٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ  
الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٤﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ  
﴿٨٥﴾ وَكَانُوا يَتَحَوَّنُ مِنْ أَلْبَابِ يُورَا ءَامِينَ ﴿٨٦﴾ فَأَخَذَتْهُمُ  
الصَّيْحَةُ مَصْرُجِينَ ﴿٨٧﴾ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٨﴾  
وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَابَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ  
السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ  
الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٩٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَكَ سَعَةً مِمَّنْ أَلْمَنَانِي  
وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٩١﴾ لَا تَدْنِ عَيْنُكَ إِلَى مَامَتَعَابِهِ أَرْوَجَا  
مِنْهُمْ وَلَا تُخِنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلْ  
إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٩٣﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٤﴾

[٧١] ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ما تريدون من قضاء الشهوة فتزوجوهن.

[٧٢] قال - تعالى :- ﴿لَمَمْرُكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ أي: وحياتك<sup>(١)</sup> ﴿وَأَنفُسَهُمْ﴾  
لنفسك ﴿وَأَنفُسَهُمْ﴾ يترددون.

[٧٣] ﴿فَاخَذَهُمْ الصَّيْحَةُ﴾ صيحة جبريل ﴿مُشْرِقِينَ﴾ وقت شروق الشمس.

[٧٤] ﴿فَجَعَلْنَا عَذِيبًا﴾ أي: قرامم ﴿سَافِلًا﴾ بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ﴾

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿كُنَّا أَتَيْنَا عَلَى الْمُتَفَيِّتِينَ﴾ : قال: «أمنوا بعض وكفروا ببعض: اليهود والنصارى». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة الحجر (١٥) باب (٤) ﴿الَّذِينَ جَاءُوا الْفُرْيَانَ بِعَظْمَيْهِمْ﴾. ويؤخذ من هذا أن **الْمُتَفَيِّتِينَ** من القسمة؛ أي فروا وقسموا ما أنزل عليهم فأمنوا ببعضه وكفروا ببعضه.

وقال البخاري: **الْمُتَفَيِّتِينَ**: الذي حلفوا. قال الحافظ في الفتح (٢٣٤/٨): «هكذا جعل المقتسمين من القسم بمعنى الحلف، والمعروف أنه من القسمة، وبه جزم الطبري وغيره، وسياق الكلام يدل عليه...».

وقال ابن كثير: ﴿الْمُتَقَسِّمِينَ﴾ أي المتحالفين؛ أي تحالفوا على مخالفة الأنبياء وتكذيبهم وأذاهم... تفسير ابن كثير (٥٣٨/٢).

(١) والله شَهِيدٌ أَن يُقْسَمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِلْبَشَرِ، فَلَا يَجُوزُ لَهُمْ الْحَلْفُ إِلَّا بِخَالِقِهِمْ ﷻ. (٢) أي: وأصحاب الأيكة.

(٣) سبق تخريجہ فی أول سورة الفاتحة.

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ قَوْلِيكَ لَسْتَ أَتَاهُمْ  
 أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ  
 عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ  
 يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ  
 أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ  
 مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

## سُورَةُ النُّحْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنِّي أَمُرُّ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ  
 ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ  
 عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ  
 الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَلَا نُنْعَمُ  
 عَلَيْكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَىوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٥﴾

[٤] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ مَنِيٍّ إِلَى أَنْ صِيرَهُ قُوًى شَدِيدًا ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شَدِيدُ الْخُصُومَةِ ﴿مُبِينٌ﴾ بَيِّنٌ ﴿٥﴾ فِي نَفْيِ الْبُعْثِ قَائِلًا: ﴿مَنْ يُبْخِي أَلْعَلَّظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٥).

[٥] ﴿وَالْأَنْتُمْ﴾ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ، وَنَصَبَهُ بِفَعْلٍ مُقَدَّرٍ يَفْسِرُهُ: ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ مِنْ جَمَلَةِ النَّاسِ (٦) ﴿فِيهَا وَفَاءٌ﴾ مَا تَسْتَدْفِقُونَ بِهِ مِنَ الْأَكْسِيَةِ وَالْأَرْدِيَةِ مِنْ أَشْعَارِهَا وَأَصْوَابِهَا ﴿وَمَنْتَفِعٌ﴾ مِنَ النَّسْلِ وَالْأُذُرِ وَالرَّكُوبِ ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ قَدَمُ الظَّرْفِ لِلْفَاصِلَةِ (٧).

[٦] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ زِينَةٌ ﴿حِينَ تَرْجَىوْنَ﴾ تَرُدُّونَهَا إِلَى مَرَايحِهَا بِالْعَشِيِّ ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ تَخْرُجُونَهَا إِلَى الْمَرْعَى بِالْغَدَاةِ.

[٩١] ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ أَي: كَتَبَهُمُ الْمُنْزِلَةَ عَلَيْهِمْ ﴿عِضِينَ﴾ أَجْزَاءً، حَيْثُ آمَنُوا بِبَعْضٍ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ (١)، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِمُ الَّذِينَ اقْتَسَمُوا طَرُقَ مَكَّةَ يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي الْقُرْآنِ: سَحَرٌ، وَبَعْضُهُمْ: كِهَانَةٌ، وَبَعْضُهُمْ شَعْرٌ.

[٩٢] ﴿قَوْلِيكَ لَسْتَ أَتَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ سَوَالُ تَوْخِيحٍ.

[٩٣] ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٩٤] ﴿فَأَصْدَعْ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾ بِهِ؛ أَي: أَجْهَرُ بِهِ وَأَمْضَاهُ ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ هَذَا قَبْلُ الْأَمْرِ بِالْجِهَادِ.

[٩٥] ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ بِكَ يَا هَلَاكُنَا كُلَّاهُمْ بِآفَةٍ، وَهُمْ الْوَلِيدُ ابْنُ الْمُغِيرَةِ، وَالْعَاصِي بْنُ وَائِلٍ، وَعَدِي بْنُ قَيْسٍ، وَالْأَسُودُ بْنُ الْمَطْلَبِ، وَالْأَسُودُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثٍ (٢).

[٩٦] ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ صَفَةً، وَقِيلَ: مُبْتَدَأٌ، وَلْتَضْمَنَهُ مَعْنَى الشَّرْطِ دَخَلَتْ الْفَاءُ فِي خَبَرِهِ وَهِيَ: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عَاقِبَةُ أَمْرِهِمْ.

[٩٧] ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ﴾ لِلتَّحْقِيقِ ﴿نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ مِنَ الْاسْتِهْزَاءِ وَالتَّكْذِيبِ.

[٩٨] ﴿فَسَبِّحْ﴾ مُلْتَبِسًا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أَي: قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ الْمُسْلِمِينَ.

[٩٩] ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ الْمَوْتَ.

## سُورَةُ النُّحْلِ

[مَكَّةَ إِلَّا: ﴿وَإِنْ عَافَيْتَهُ﴾ إِلَى آخِرِهَا.

مائة وثمان وعشرون آية، نزلت بعد الكهف]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] لَمَّا اسْتَبَطَّ الْمُشْرِكُونَ الْعَذَابَ نَزَلَ: ﴿إِنِّي أَمُرُّ اللَّهَ﴾ أَي: السَّاعَةَ، وَأَتَى بِصِبْغَةِ الْمَاضِي لِتَحْقِيقِ وَقْعِهِ؛ أَي: قَرِيبَ ﴿فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ﴾ تَطْلُبُوهُ قَبْلَ حِينِهِ فَإِنَّهُ وَاقِعٌ لَا مُحَالَةَ ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تَنْزِيهِهَا لَهُ ﴿وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بِهِ غَيْرُهُ.

[٢] ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾ أَي: جِبْرِيلَ ﴿بِالرُّوحِ﴾ بِالْوَحْيِ ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ بِإِرَادَتِهِ (٣) ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وَهُمْ الْأَنْبِيَاءُ ﴿أَنْ﴾ مَفْسُورَةٌ ﴿أَنْذِرُوا﴾ خَوْفُوا الْكَافِرِينَ بِالْعَذَابِ وَأَعِصِمُوهُمْ ﴿أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ خَافُونَ.

[٣] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أَي: مُحَقَّقًا ﴿تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بِهِ مِنَ الْأَصْنَامِ.

(١) هَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ (١٧٣/٥ - ١٧٤ رَقْم ٤٩٨٦)، وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي دَلَالِ الْبُيُوتِ (٣١٦/٢ - ٣١٧)، وَالضَّيَاءُ الْقُدْسِيُّ فِي الْأَحَادِيثِ الْخَاتِرَةِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي الْجَمْعِ (٧/ ٤٧): «فَهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْحَكِيمِ النِّسَابُورِيُّ، وَلَمْ أَعْرِفْهُ، وَبِفِي رَجَالَهُ ثَقَاتٌ رِجَالُ الصَّحِيحِ». وَحَسَنَةُ السُّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَثُورِ (١٠١/٥)، وَصَحَّحَهُ الضَّيَاءُ الْقُدْسِيُّ.

(٣) وَالْأَمْرُ غَيْرُ الْإِرَادَةِ، وَالصُّوَابُ أَنْ يَقَالَ: إِنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْأَمْرِ كَلَامُ اللَّهِ وَحُكْمُهُ، وَالْأَشْتَرُ بِتَحَاشُونَ مِنْ إِثْبَاتِ حَقِيقَةِ الْكَلَامِ لِلَّهِ شَيْخَانَةً.

(٤) أَي: يَبَيِّنُ الْخُصُومَةَ.

(٥) يَس: ٧٨.

(٦) يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْحَطَابَ فِي ﴿لَكُمْ﴾ لِقَرِيضٍ، وَالصُّوَابُ حَمَلُهَا عَلَى الْعُمُومِ.

(٧) أَي: مِرَاعَاةَ لِرُغُوسِ الْآيِ.

وَتَحْمِلْ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلَاغِهِ إِلَّا نَفِيقٌ  
 الْأَنْفِيقُ إِن رَّبَّكُمْ لَءَوْفٌ رَّحِيمٌ ٧ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ  
 وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٨  
 وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَىٰكُمْ  
 أَجْمَعِينَ ٩ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ  
 مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُثْبِتُ لَكُمْ  
 بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالْخَيْلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ  
 الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ  
 ١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ  
 وَالنَّجْمُومُ مَسْخَرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ  
 يَعْقِلُونَ ١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا  
 أَلْوَنَهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ١٣  
 وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا  
 وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ  
 فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٤

[٧] ﴿وَتَحْمِلْ أَثْقَالَكُمْ﴾ أحمالكم ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلَاغِهِ﴾  
 واصلين إليه على غير الإبل ﴿إِلَّا نَفِيقٌ﴾ بجهدا ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ

لَءَوْفٌ رَّحِيمٌ﴾ بكم؛ حيث خلقها لكم. [٨] ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ مفعول  
 له، والتعليل بهما بتعريف النعم لا ينافي خلقها لغير ذلك كالأكل في الخيل  
 الثابت بحديث الصحيحين<sup>(١)</sup> ﴿وَيَخْلُقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الأشياء العجيبة  
 الغريبة.

[٩] ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أي: بيان الطريق المستقيم ﴿وَمِنْهَا﴾ أي:  
 السبيل ﴿جَائِرٌ﴾ حائد عن الاستقامة ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ هدايتكم ﴿لَهَدَىٰكُمْ﴾  
 إلى قصد السبيل ﴿أَجْمَعِينَ﴾ فتهتدون إليه باختيار منكم.

[١٠] ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾ تشرّبونه  
 ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ نبت بسببه ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ ترعون دوابكم.

[١١] ﴿يُثْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالْخَيْلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ  
 الثَّمَرَاتِ﴾ إن في ذلك المذكور ﴿لَآيَةً﴾ دالة على وحدانيته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ  
 يَعْقِلُونَ﴾ في صنعه فيؤمنون.

[١٢] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ﴾ بالنصب عطفاً على ما  
 قبله، والرفع: مبتدأ ﴿وَالْقَمَرَ وَالنَّجْمُومُ﴾ بالوجهين<sup>(٢)</sup> ﴿مَسْخَرَاتٌ﴾ بالنصب  
 حال، والرفع خبر ﴿بِأَمْرِ رَبِّهِ﴾ بإرادته<sup>(٣)</sup> ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ  
 يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[١٣] ﴿وَمَا ذَرَأَ﴾ سخر لكم ﴿لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ خلق ﴿لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ من  
 الحيوان والنبات وغير ذلك ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَنَهُ﴾ كأحمر وأصفر وأخضر وغيرها  
 ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون.

[١٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ ذلك لركوبه والغوص فيه  
 ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً  
 تَلْبَسُونَهَا﴾ هي اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ﴾ تبصر ﴿الْفُلْكَ﴾ السفن  
 ﴿مَوَازِرَ فِيهِ﴾ تمر الماء؛ أي: تشقه بجزيرها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة  
 ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ عطف على ﴿لِتَأْكُلُوا﴾؛ تطلبوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ تعالى  
 بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ذلك.

(١) وهو حديث أسماء: نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرشا ونحن بالمدينة فأكلناه. البخاري (٥٥١١)، ومسلم (١٩٤٢).

(٢) أي بالنصب والرفع، وقرأ ابن عامر بالرفع في الأربعة كلمات، ووافقه حفص في ﴿وَالنَّجْمُومُ مَسْخَرَاتٌ﴾، وقرأ السبعة عدا حفص وابن عامر بالنصب في الأربعة.

(٣) الأمر غير الإرادة. وراجع التعليق على الآية رقم (٢).



تخالفون المؤمنين ﴿فبهم﴾ في شأنهم ﴿قَالَ﴾ أي: يقول ﴿الَّذِينَ﴾ أوتوا الأثر ﴿من الأنبياء والمؤمنين﴾: ﴿إِنَّ الْآخِرَى الْيَوْمَ وَالْأَوَّلَى عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يقولونه شمانية بهم.

[٢٨] ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ﴾ بالتاء والياء (١) ﴿الْمَلَائِكَةُ طَالِعَاتُ أَنْفُسِهِمْ﴾ بالكسر ﴿فَالْقَوْلُ السَّعِيرُ﴾ انقادوا واستسلموا عند الموت قائلين: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ شرك، فتقول الملائكة: ﴿بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

[٢٩] ويقال لهم: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

[٣٠] ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك: ﴿مَاذَا أُنْزِلَ رِزْقُكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالإيمان ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ حياة طيبة ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا وما فيها، قال - تعالى - فيها: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ هي.

[٣١] ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ إقامة، مبتدأ، خبره: ﴿يَدْخُلُونَهَا غَيْرَ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ لهم فيها ما يشاءون ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٣٢] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت ﴿تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من الكفر ﴿يَقُولُونَ﴾ لهم عند الموت: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ ويقال لهم في الآخرة: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٣٣] ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ينتظر الكفار ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ﴾ بالتاء والياء (٢) ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَبِّيكَ﴾ العذاب أو القيامة المشتملة عليه ﴿كَذَلِكَ﴾ كما فعل هؤلاء ﴿تَعْمَلُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم كذبوا رسلهم فأهلكوا ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكسر.

[٣٤] ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ أي: جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ﴾ ما كانوا يو. يستهزون ﴿أَي: العذاب.

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْآخِرَىٰ أَيْسَرُ وَالْأَوَّلَىٰ أَشَدُّ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِمَاتُ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا لَسْتُمْ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أُنْزِلَ رِزْقُكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَوْنَ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبَاتٍ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ بذلهم ﴿وَيَقُولُ﴾ الله لهم على لسان الملائكة توبيخاً (١): ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ برعكم ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ﴾

(١) وهذا تأويل يظهر الآية بغير دليل، وقَعَ لذلك مذهبه في نفي صفة القول والكلام عن الله ﷻ، وهو ما بينه السلف الصالح على الوجه اللائق به - شيخنا.

(٢) بالياء قراءة حمزة.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي.





[٤٥] ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا﴾ المَكَرَاتِ ﴿الْمَكْرَتَاتِ﴾ بالنسيءِ في دار الندوة من تقيده أو قتله أو إخراجهم، كما ذكر في الأنفال ﴿أَنْ يَخَيِّفَ اللَّهُ بِهِمُ الْكَافِرِينَ﴾ كفارون ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: من جهة لا تخطر بالبال، وقد أهلكوا بغير علم يكونوا يقدرون ذلك.

[٤٦] ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ﴾ في أسفارهم للتجارة ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتي العذاب.

[٤٧] ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ تَقْصُصُ شَيْئًا فَشَيْئًا، حتى يهلك الجميع (١)، حال من الفاعل أو المفعول ﴿فَإِنْ رَزَقَكُمْ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ حيث لم يعاجلهم بالعقوبة.

[٤٨] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ له ظل كشجرة وجبل ﴿يَفْتَقِدُوا﴾ تتميل ﴿ظِلُّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ جمع شمال؛ أي عن جانبيهما أول النهار وآخره ﴿سَجْدًا لِلَّهِ﴾ حال؛ أي: خاضعين لله بما يراد منهم ﴿وَهُمْ﴾ أي: الظلال ﴿ذِكْرُونَ﴾ صاغرون، نُزِّلُوا منزلة العقلاء.

[٤٩] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾ نسمة تدب عليها؛ أي: تخضع له بما يراد منها، وغلب في الإنيان بما لا يعقل لكثرة ﴿وَالْمَلَائِكَةِ﴾ خصصهم بالذكر تفضيلاً ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبرون عن عبادته.

[٥٠] ﴿يَخَافُونَ﴾ أي: الملائكة، حال من ضمير «يستكبرون» ﴿رَبِّهِمْ مِنْ قُوَّتِهِ﴾ حال من «هم»؛ أي: عاليًا عليهم بالقهر (٢) ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ به.

[٥١] ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ تأكيد ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ أتى به لإثبات الإلهية والوحدانية ﴿فَإِنِّي فَازِهِبُونَ﴾ خافون دون غيري، وفيه التفات عن الغيبة.

[٥٢] ﴿وَلَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا وعبيدًا ﴿وَلَهُ الدِّينُ﴾ الطاعة ﴿وَاصْبِرْ﴾ دائمًا، حال من «الدين»، والعامل فيه معنى الظرف ﴿أَفَعَزَّ اللَّهُ ثَنَفُونَ﴾ وهو الإله الحق ولا إله غيره، والاستفهام للإنكار والتوبيخ.

[٥٣] ﴿وَمَا يَكُم مِّنْ يَّعْمَرٍ فَعِنَ اللَّهُ﴾ لا يأتي بها غيره، و«ما» شرطية أو موصولة ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ﴾ أصابكم ﴿الضَّرُّ﴾ الفقر ﴿فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون غيره.

[٥٤] ﴿ثُمَّ إِذَا كُفِيَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَتَسْلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْيِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَاهُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّوْا ظِلُّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٧﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قُوَّتِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٨﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَازِهِبُونَ ﴿٩﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَكُم مِّنْ نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالْيَهُ تَجْتَرُونَ ﴿١١﴾ ثُمَّ إِذَا كُفِيَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿١٢﴾

[٤٣] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة ﴿فَتَسْلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ العلماء بالثورة والإنجيل ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمَلُونَ﴾ ذلك فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد ﷺ.

[٤٤] ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: أرسلناهم بالحجج الواضحة ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ فيه من الحلال والحرام ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فيعتبرون.

(١) والقول الآخر: أي: في حال خوفهم.

(٢) فَعَزَّ الْعَلُو عَلَى عُلُوِّ قَهْرٍ غَيْرِ صَحِيحٍ، وَمَذْهَبُ السَّلَفِ إِثْبَاتُ جَمِيعِ حِصَالِ الْعُلُوِّ لَهُ. شَيْخَانَهُ: عُلُوُّ الشَّانِ، وَعُلُوُّ الْقَهْرِ، وَعُلُوُّ الذَّاتِ.

[٥٥] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ﴾ من النعمة ﴿فَتَمْنَعُوا﴾ باجماعكم على عبادة الأصنام، أمر تهديد ﴿فَتَقَوَّيْتُمْ﴾ تَعَلُّوْتُمْ ﴿عَاقِبَةُ ذَلِكَ﴾.

[٥٦] ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ أي: المشركون ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنها تضر ولا تنفع وهي الأصنام ﴿نَصِيْبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الحرث والأعام بقولهم: هذا لله وهذا لشركائنا ﴿تَاللَّهِ لَنَشْتَعْلَنَ﴾ سؤال توبيخ، وفيه التفات عن الغيبة ﴿عَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ﴾ على الله من أنه أمركم بذلك.

[٥٧] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتَ﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيها له عما زعموا ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾؛ أي: البنون، والجملة في محل رفع أو نصب به يجعل، المعنى: يجعلون له البنات التي يكرهونها وهو منزّه عن الولد، ويجعلون لهم الأبناء الذين يختارونهم، فيخصون بالأسنى<sup>(١)</sup> كقولهم: ﴿فَأَسْتَفْتِنَهُمُ الرَّبُّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

[٥٨] ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ﴾ تولد له ﴿ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجْهَهُ مُسْوَدًّا﴾ متغيرا تغير مفعولهم ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ممتلئ غما، فكيف تنسب البنات إليه تعالى؟! [٥٩] ﴿يَتَوَرَّيْنِ﴾ يخفي ﴿مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي: قومه ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ خوفا من التعبير مترددا فيما يفعل به ﴿أَيُّسِيكُمُ﴾ يتركه بلا قتل ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾ هوان وذل ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ بأن يده ﴿أَلَا سَاءَ﴾ بش ﴿مَا يَجْعَلُونَ﴾ حكمهم هذا، حيث نسبوا لخالقهم البنات اللاتي هن عندهم بهذا الخلل.

[٦٠] ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: الكفار ﴿مِثْلَ السَّوْءِ﴾ أي: الصفة الشؤى بمعنى القبيحة، وهي وأدهم البنات مع احتياجهم إليهن للنكاح ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ الصفة العليا، وهو أنه لا إله إلا هو ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خلقه.

[٦١] ﴿وَلَوْ تَوَاجَدَ اللَّهُ النَّاسُ بظُلُومِهِ﴾ بالمعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَنِّيَّ﴾ أي: الأرض ﴿مِنَ دَابَّتِهِ﴾ نسمة تدب عليها ﴿وَلَكِنْ يُؤْخِرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَرْجِعُونَ ﴿عَنهُ﴾ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ ﴿عَلَيْهِ﴾.

[٦٢] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ لأنفسهم من البنات والشريك في الرياسة، وإهانة الرسل ﴿وَنَصِفُ﴾ تقول ﴿أَلَيْسَتْهُمْ﴾ مع ذلك ﴿الْكُذِبُ﴾ وهو ﴿أَنَّ لَهُمُ الْمُسْتَسْنَ﴾ عند الله؛ أي: الجنة؛ لقوله: ﴿وَلَكِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْىٰ﴾<sup>(٣)</sup> قال - تعالى -: ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقا ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ متروكون فيها أو مقدمون إليها، وفي قراءة بكسر الراء<sup>(٤)</sup>؛ أي: متجاوزون الحد.

[٦٣] ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ رسلا ﴿فَرَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ

لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمْنَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيْبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَنَسْتَعْلَنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَقْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتَ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَرَّيْنِ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُّسِيكُمُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مِثْلُ النُّعُوذِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يَوَازِغِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلُومِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤْخِرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَرْجِعُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَنَصِفُ أَلَيْسَتْهُمْ الْكُذِبُ أَنْ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَاجِرَةً إِنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَاهُ فَهُوَ لَهُمْ يَلِيقُهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِلنَّبِيِّينَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُمْ ذَاكَ رَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

أَعْمَاهُمْ السَّيِّئَةُ فَرَاوَهَا حَسَنَةً، فكَذَّبُوا الرِّسْلَ ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ متولي أمورهم ﴿الْيَوْمَ﴾ أي: في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم في الآخرة، وقيل: المراد باليوم يوم القيامة على حكاية الحال الآتية؛ أي: لا ولي لهم غيره وهو عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصرهم؟!.

[٦٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿إِلَّا لِلنَّبِيِّينَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ من أمر الدين ﴿وَهُدًى﴾ عطف على ﴿لِلنَّبِيِّينَ﴾ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ به.

(١) أي: الأرفع والأشرف.

(٢) الصفات: ١٤٩.

(٣) فصلت: ٥٠.

(٤) لنافع.

أولون، وهو بينهما ﴿سَاءَ لِلْأَشْرِيِّينَ﴾ سهل المرور في حلقهم لا يغص به. [٦٧] ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ ثمر ﴿تَنَجِدُونَ مِنْهُ سَكْرًا﴾ خمرًا يسكر، سميت بالمصدر، وهذا قبل تحريرها ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ كالتمر والزيزب والحل والدبس<sup>(١)</sup> ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً﴾ دالة على قدرته - تعالى - ﴿لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[٦٨] ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ وحي إلهام ﴿أَنِ﴾ مفسرة أو مصدرية ﴿اتَّخِذِي مِنَ لِبْنَالٍ يَوْمًا﴾ تأوين إليها ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ﴾ يومًا ﴿وَمِمَّا يَخْرِشُونَ﴾ أي: الناس.

[٦٩] ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي﴾ ادخلي ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾ طرقه في طلب المرعى ﴿ذُلًّا﴾ جمع ذلول، حال من السبل؛ أي: مسخرة لك فلا تغشرك عليك وإن توغرت ولا تضلي على العودة منها وإن بعدت، وقيل: من الضمير في «اسلكي»؛ أي: منقادًا لما يراود منك ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ هو العسل ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ من الأوجاع؛ قيل: لبعضها كما دل عليه تنكير «شفاء»، أو لكلها بضميمته إلى غيره. أقول: وبدونها بنيت<sup>(٢)</sup>، وقد أمر به ﷺ من استطلق عليه بطنه [رواه الشيخان]<sup>(٣)</sup> ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ في صنعه تعالى.

[٧٠] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ أي: أخسسه من الهرم والخرف ﴿لَكِنْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بتدبير خلقه ﴿وَكَبِيرٌ﴾ على ما يريد<sup>(٤)</sup>.

[٧١] ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى الْآخَرِ فِي الْآزْرِقِ﴾ فمنكم غني وفقير، ومالك ومملوك ﴿فَمَا آتَيْتَ فَضْلًا﴾ أي: الموالي ﴿بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: بجاعلي ما رزقناهم شركة بينهم وبين ممالكهم ﴿فَهُمْ؟﴾ أي: الممالك والموالي ﴿فِيهِ سَوَاءٌ﴾ شركاء، المعنى: ليس لهم شركاء من ممالكهم في أموالهم، فكيف يجعلون بعض ممالك الله شركاء له؟ ﴿أَفَتَبْعُمَهُ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ يكفرون؛ حيث يجعلون له شركاء.

[٧٢] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ فخلق حواء من ضلع آدم، وسائر الناس من نطف الرجال والنساء ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَدَّةٍ﴾ أولاد الأولاد ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ من أنواع الثمار والحبوب والحيوان ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾ الصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمَتِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ بإشراكهم.

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿وَأَنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ تَتَفَكَّرُونَ﴾ وَمِمَّا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ اللَّبْنِ يَوْمًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ لِآيَةً بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَتَبْعُمَهُ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَدَّةٍ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

[٦٥] ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يسها ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً﴾ دالة على البعث ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر.

[٦٦] ﴿وَأَنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ﴾ اعتبار ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾ بيان للعبرة ﴿بَيْنَ قَرْنٍ﴾ ثعل بطنه. أي: الأنعام ﴿وَمِنْ﴾ للابتداء متعلقة بـ ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿بَيْنِ قَرْنٍ﴾ ثعل الكرش ﴿وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا﴾ لا يشوبه شيء من الفرث والدم من طعم أو ريح

(١) هو غسل الرطب، ويطلق على غسل العنب.

(٢) أي: يبيح الشفاء الجارمة أن الله يخلق الشفاء عند استعجاله لإخياره - تعالى - بذلك.

(٣) البخاري (٥٢٧٧)، ومسلم (٤١٠٧) عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً.

(٤) الأولى الإطلاق، فهو سبحانه قدير على كل شيء يريد به أو لا يريد به.

[٧٣] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمٰوٰتِ وَلَا الْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ بالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿شَيْئًا﴾ بدل من ﴿رِزْقًا﴾ ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ يقدرون على شيء وهو الأصنام.  
[٧٤] ﴿فَلَا تَضْرِبُوا يَدَيْهِ أَلْمَنَٰلَ﴾ لا تجعلوا لله أشباها تشركونهم به ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ أن لا مثل له ﴿وَأَنشُرْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٧٥] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه، ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ صفة تميزه من الحرة فإنه عبد الله ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ لعدم ملكه ﴿وَمِنْ نَّكَرَةٍ مَّوصُوفَةٍ﴾ أي: حوا ﴿رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ أي: يتصرف فيه كيف يشاء، والأول مثل الأصنام، والثاني مثله تعالى (١) ﴿هَلْ يَسْتَوِي﴾ أي: العبيد العجزة والحر المتصرف؟ لا ﴿الْعَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.

[٧٦] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه: ﴿رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ ولد أخرس ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ لأنه لا يفهم ولا يفهم ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾ ثقل ﴿عَلَى مَوْلَاهُ﴾ ولي أمره ﴿أَيْنَمَا يُوْجِهُهُ﴾ يصرفه ﴿لَا يَأْتِ﴾ منه ﴿يَخْبَرُ﴾ بنسخ (٢)، وهذا مثل الكافر ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ﴾ أي: الأبيكم المذكور ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ أي: ومن هو ناطق نافع للناس حيث يأمر به ويحث عليه ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وهو الثاني المؤمن؟ لا، وقيل: هذا مثل الله، والأبيكم للأصنام (٣)، والذي قبله مثل الكافر والمؤمن.  
[٧٧] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: علم ما غاب فيهما ﴿وَمَا أَسْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ لأنه بلفظ: كن فيكون ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٧٨] ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ الجملة حال ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ بمعنى الأسماع ﴿وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ القلوب ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ على ذلك فتؤمنون.

[٧٩] ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ مِّنَ اللَّهِ يَبْقَوْنَ فِي الْغَوِيِّ سَوَآءٍ﴾ أي: الهواء بين السماء والأرض ﴿مَا يَمْلِكُهُنَّ﴾ عند قبض

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمٰوٰتِ وَلَا الْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا يَدَيْهِ أَلْمَنَٰلَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ \* ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمِنْ رَزْقِنَا مَنَآرِزًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوْجِهُهُ لَا يَأْتِ بِخَبَرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

أجسحتهم أو بسطها أن يقمن ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ بقدرته ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ هي خلقها بحيث يمكنها الطيران، وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه، وإمسكها.

(١) أخرج الطيري في جامع البيان (١٠١/١٤) والواحدي في أسباب النزول عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت في رجل من قريش وعبدته، في هشام بن عمر، وهو الذي ينفق ماله سرًّا وجهراً، وفي عبده أبي الجوزاء الذي كان ينهاه، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٥١/٥). وحسن إنشاده في الاستيعاب (٤١٥/٢).

(٢) بنسخ: بضم نون؛ أي: لا يأت بشيء نافع.

(٣) وأخرج البخاري في التاريخ الكبير (٣٠٦/١ - ٣٠٧)، والعسيري في جامع إنبان (١٠١/١٤)، والواحدي في أسباب النزول عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: هو عثمان بن عفان، قال: والأبيكم الذي أنبما بوجهه لا يأت بخبر؛ ذلك مولى عثمان بن عفان. كان عثمان ينفق عليه ويكفله ويكنيه المؤمنة، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه، وينهاه عن الصدقة والمعروف؛ فنزلت فيهما. وحسن إنشاده في الاستيعاب (٤١٦/٢).

للحمل (١) «يَوْمَ ظَعْنِكُمْ» سفركم «وَيَوْمَ إِفَامَتِكُمْ» ومن أصوافها أي: الغنم «وَأَوْبَارِهَا» أي: الإبل «وَأَشْعَارِهَا» أي: المعر «أَنَّا» متاعا لبيوتكم كبسط وأكسية «وَمَتَاعًا» تمتعون به «إِلَى حِينٍ» يلي فيه.

[٨١] «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا» جمع ظل، تقيكم حر الشمس «وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا» جمع كن، وهو ما يستكن فيه كالغار والشرب (٢) «وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ» قمصا «تَقِيكُمْ الْحَرَّ» أي: البرد «وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ» حربكم؛ أي: الطعن والضرب فيها كالدرع والجواشن (٣) «كَذَلِكَ» كما خلق هذه الأشياء «يُنِيرُ نَعَمَتَهُ» في الدنيا «وَعَلَيْكُمْ» بخلق ما تحتاجون إليه «لَسَّكُمْ» يا أهل مكة «تُسَلُّوْنَ» توحدون.

[٨٢] «فَإِنْ تَوَلَّوْا» أعرضوا عن الإسلام «إِنَّمَا عَلَيْكُمْ» يا محمد «الْبَلَاءُ الْكَبِيرُ» الإبلاغ البين، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٨٣] «يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ» أي: يقرون بأنها من عنده «ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا» يشاركونهم «وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ».

[٨٤] «وَلَا تَذَكَّرُ» يَوْمَ تَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا، هو نبيها يشهد لها وعليها، وهو يوم القيامة «ثُمَّ لَا يُؤْتَى لِلَّذِينَ كَفَرُوا» في الاعتذار «وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» لا يطلب منهم العتبي؛ أي: الرجوع إلى ما يرضي الله.

[٨٥] «وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا» كفروا «الْعَذَابَ» النار «فَلَا يَخَفُوا» عَذَابُ الْعَذَاب «وَلَا هُمْ يُنْكِرُونَ» يهلون عنه إذا رأوه.

[٨٦] «وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ» من الشياطين وغيرها «قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا» نعبدكم «مِنْ دُونِكَ» قَالُوا إِلَهِهُمْ الْقَوْلُ» أي: قالوا لهم: «إِنَّكُمْ لَكَذِبُونَ» في قولكم: إنكم عبدتمونا، كما في آية أخرى: «مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ» (٤) سيكفرون بعبادتهم.

[٨٧] «وَالْقَوْمُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَأْذِنُونَ» أي: استسلموا لحكمه «وَسَلَّ غَابَ عَنْهُمْ» تَمَّا كَانُوا يَقْرَءُونَ، من أن ألهمهم تشفع لهم.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (٨١) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرِّ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُنِيرُ نَعَمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨٢) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْكَبِيرُ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (٨٣) وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٨٤) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٥) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ قَالُوا إِلَهِهُمْ الْقَوْلُ إِلَهُكُمْ أَلْقُوا إِلَهُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ (٨٦) وَالْقَوْمُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَأْذِنُونَ (٨٧)

[٨٠] «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا» موضعا تسكنون فيه «وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا» كالخيام والقباب «تَسْتَخِفُّونَهَا»

(١) أي: يخفف عليكم حملها.

(٢) اشرب: البيت في الأرض.

(٣) هي أيضا نوع من الدروع.

(٤) انقص: ٦٣.

[٨٨] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿زِدْنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ الذي استحقوه بكفرهم، قال ابن مسعود: عقارب أنيابها كالنخل الطوال<sup>(١)</sup> ﴿يَمَّا كَانُوا يَفْسُدُونَ﴾ بصددهم الناس عن الإيمان.

[٨٩] ﴿وَرَكَّبْنَا بَيْنَهُمْ﴾ يا محمد ﴿شُهَدَاءَ عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي: قومك ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ بَيَانًا ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الناس من أمر الشريعة ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ﴾ بالجنة ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ الموحدين.

[٩٠] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ التوحيد أو الإنصاف ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾ أداء الفرائض أو أن تعبد الله كأنك تراه، كما في الحديث<sup>(٢)</sup> ﴿وَأَيُّهَا﴾ إعطاء ﴿ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ القرابة خصه بالذكر اهتمامًا به ﴿وَيَتَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ الزنا ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ شرعًا من الكفر والمعاصي ﴿وَالْبِغْيِ﴾ الظلم للناس خصه بالذكر اهتمامًا، كما بدأ بالفحشاء كذلك ﴿يُعْظَمُ﴾ بالأمر والنهي ﴿لَعْنَكُمْ﴾ [تَذَكُّرُونَ]<sup>(٣)</sup> تعظون، وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال، وفي «المستدرک» عن ابن مسعود: وهذه أجمع آية في القرآن للخير والشر<sup>(٤)</sup>.

[٩١] ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ من البيع والأيمان وغيرها ﴿إِذَا عٰهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ توثيقها ﴿وَقَدْ جَمَعْتُمْ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَيْدًا﴾ بالفداء حيث حلفتم به، والجملة حال ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ﴾ تهديد لهم.

[٩٢] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ﴾ أفسدت ﴿عَزْلَهَا﴾ ما عزلته ﴿مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ إحكام له وبرم ﴿أَنْتُمْ كُنَّا﴾ حال، جمع نَكَثَ وهو ما يَنْكُثُ؛ أي: يحل إحكامه، وهي امرأة حقةاء من مكة كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه<sup>(٥)</sup> ﴿تَنْبِذُونَ﴾ حال من ضمير «تكونوا»؛ أي: لا تكونوا مثلها في اتخاذكم ﴿أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا﴾ هو ما يدخل في الشيء وليس منه؛ أي: فسادًا أو حديعة ﴿يَنْتَكُمُ﴾ بأن تنقضوها ﴿أَنْ﴾ أي: لأن ﴿تَكُونُوا أُمَّةً﴾ جماعة ﴿هِيَ أَرْبَىٰ﴾ أكثر ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ وكانوا يحالفون الحلفاء فإذا وُجدَ أكثر منهم وأَعَزُّ، نقضوا حلف أولئك وحالفوهم ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ﴾ يختبركم ﴿اللَّهُ بِرِّكُمْ﴾ أي: بما أمر به من الوفاء بالعهد لينظر الطمع منكم والمعاصي، أو يكون

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبِغْيِ يُعْظَمُ لَعْنَكُمْ تَذَكُّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عٰهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَمَعْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَيْدًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَقْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ عَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْتُمْ كُنَّا تَتَخَذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا يَنْتَكُمُ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَبْضُلُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْتَلْنَ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

أمة أرى لينظر آفون أم لا ﴿وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا من أمر العهد وغيره بأن يعذب الناكث ويثيب الوافي.

[٩٣] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعْتُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أهل دين واحد ﴿وَلَكِنْ يَبْضُلُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْتَلْنَ﴾ يوم القيامة سؤال تبكيك ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لتجازوا عليه.

(١) أخرج نحوه عبد الرزاق والفرغاني وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وهاد بن السري وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه، والبيهقي في البعث والنشور كما في الدر المنثور (٢٣٩/٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٧٨)، ح (٣).

(٢) البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) المستدرک (٣٥٦/٢)، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، وحسن الألباني إسناده، عن ابن مسعود ؓ قال: «ما في القرآن آية أجمع للحلال وحرام وأمر ونهي من هذه الآية» وذكرها. [صحيح الأدب المفرد (٣٧٦)].

(٥) ذكر خبرها أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٣٧٥/٦)، ٣٣٧٦، رقم (٧٧١٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٦٢/٥).

وقال صاحب الاستيعاب: هذا سند ضعيف جدًا. الاستيعاب (٤٢١/٢).

﴿وَيَذُوقُوا أَلْسُوهُ﴾ أي: العذاب ﴿يَمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: بصدكم عن الوفاء بالعهد، أو بصدكم غيركم عنه؛ لأنه يستن بكم ﴿وَلَكِنَّ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة.

[٩٥] ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا يَعْهَدَ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا﴾ من الدنيا بأن تنقضوه لأجله ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ﴾ من الثواب ﴿هُوَ خَيْرٌ نَكْرًا﴾ مما في الدنيا ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فلا تنقضوا.

[٩٦] ﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾ من الدنيا ﴿يَفْضَلُ﴾ بغيره ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بِأَقْبَرُ﴾ دائم ﴿وَلْيَخْزَيَنَّ﴾ بالياء والنون<sup>(١)</sup> ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ من الوفاء بالعهود ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أحسن بمعنى حسن.

[٩٧] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ قيل: هي حياة الجنة<sup>(٢)</sup>، وقيل: في الدنيا بالقناعة<sup>(٣)</sup> أو الرزق الحلال<sup>(٤)</sup> ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٩٨] ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ أي: أردت قراءته ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أي: قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

[٩٩] ﴿إِنَّهُمْ لَكَا سُلْطٰنٌ﴾ تسلط ﴿عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رِيْهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

[١٠٠] ﴿إِنَّمَا سُلْطٰنُهُمُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُمُ﴾ بطاعته ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ أي: الله ﴿مُشْرِكُونَ﴾.

[١٠١] ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ﴾ بنسخها وإنزال غيرها لمصلحة العباد ﴿وَاللَّهُ أَشْلَعُ﴾ يَمَا يَزُولُ ﴿قَالُوا﴾ أي: الكفار للنبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ كذاب تقول من عندك ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة القرآن وفائدة النسخ.

[١٠٢] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ جبريل ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ﴿نزل﴾ ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بإيمانهم به ﴿وَهُدَىٰ وَيُذَكِّرَ﴾ لِلْمُسْلِمِينَ.

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَرِلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا أَلْسُوهُ يَمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكِنَّ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٩٥ وَلَا تَتَّبِعُوا يَعْهَدَ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٩٦ مَا عِنْدَكُمْ يَفْضَلُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بِأَقْبَرُ وَلْيَخْزَيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٩٧ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٩٨ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ٩٩ إِنَّهُمْ لَكَا سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رِيْهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ١٠٠ إِنَّمَا سُلْطٰنُهُمُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ١٠١ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَغْلَمُ يَمَا يَزُولُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٠٢ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ١٠٣

[٩٤] ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ كره تأكيداً ﴿فَتَرِلَ قَدَمٌ﴾ أي: أقدامكم من محجة الإسلام ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ استقامتها عليها

(١) باباء قراءة حمزة والكسائي ونافع وأبي عمرو، وابن عامر بخلاف عنه.

(٢) هذا قول الحسن البصري كما في الدر المنثور (١٦٥/٥).

(٣) هذا قول محمد بن كعب القرظي كما في الدر المنثور (١٦٤/٥).

(٤) هذا قول ابن عباس كما في الدر المنثور (١٦٤/٥).



[١٠٣] ﴿وَلَقَدْ﴾ للتفصيل (١) ﴿نَعَلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ﴾ لقمران ﴿بَشَرٌ﴾ وهو قين (٢) نصراني كان النبي ﷺ يدخل عليه، قال تعالى: ﴿لِسَانٌ لَّعَنَ﴾ الذي يُلْحِدُونَ ﴿يَمِيلُونَ﴾ إِلَيْهِ. أنه يعلمه ﴿أَعَجَبُوا وَهَذَا﴾ القرآن ﴿لِسَانٌ عَكَّاثٌ﴾ ثُبُوتٌ ذو بيان وفصاحة، فكيف يعلمه أعجمي (٣)؟

[١٠٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[١٠٥] ﴿إِنَّمَا يَنْتَرَى الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن، بقولهم: هذا من قول البشر ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ والتأكيد بالترديد وإن «وغيرهما رد لقولهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفَرِّقٌ﴾.

[١٠٦] ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾ على التلطف بالكفر فتلفظ به ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ و«من» مبتدأ، أو شرطية، والخبر أو الجواب: لهم وعيد شديد، دل على هذا: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ له؛ أي: فتحه ووسعه بمعنى طاب به نفسه ﴿فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٠٧] ﴿ذَلِكَ﴾ الوعيد لهم ﴿بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ اختاروها ﴿عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

[١٠٨] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ عما يراد بهم.

[١٠٩] ﴿لَا جِرمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

[١١٠] ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبُّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ إلى المدينة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ عذبوا وتلفظوا بالكفر، وفي قراءة للبناء للفاعل (٤)؛ أي: كفروا أو فتنوا الناس عن الإيمان ﴿ثُمَّ جَهَدُوا وَصَبَرُوا﴾ على الطاعة ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ مَدْجَهَا﴾ أي: الفتنة ﴿لَعَنُوا﴾ لهم ﴿رَجِيمٌ﴾ بهم، وخير «إن» الأولى دل عليه خبر الثانية.

وَلَقَدْ نَعَلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَنْتَرَى الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَاجِرَةٌ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾

(١) القاعدة أن «قد» تكون للتفصيل إذا جاء بعدها فعل ماضٍ، وتكون للتفصيل إذا جاء بعدها فعل مضارع. ذكره ابن هشام في «مغني البليغ». وأخذ الجلالان بقول بعض البغويين: إنها للتفصيل لا لتفصيل في هذه المواضع.

وعلى القاعدة أنها لتفصيل؛ يكون المراد تفصيل متعلق بالفعل والمعنى هنا: قرأهم إنما يعلمه... هو أقل معلوماته سبحانه.

(٢) أي: حداد، كان رومياً، وفي نسخة: قرأ أي: عبد.

(٣) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٩/١٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٦٧/٥)، وضعف إسناده في ليات المنقول ص (١٣٤)، وأخرج الطبري بسند صحيح في جامع البيان (١٤/١٢٠) عن عبيد بن مسلم الحضرمي؛ قال: كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عين التمر؛ يُسمى أحدهما: يسار، والآخر: جبر، وكانا يقرآن كتاباً لهما، فرمى مر رسول الله ﷺ فقام عليهما، فقالا للمشركين: إنما يتعلم محمد منهما؛ فأنزل الله ﷻ هذه الآية. وذكره الواحدي في أسباب النزول ص (١٩٠)، وصححه الخافض أيضاً في الإصباح (٤٤٧/٢).

(٤) لابن عامر، ويحتمل على هذه القراءة أن يكون الفعل لازماً؛ فيكون معنى ﴿فَتُفْتَنُوا﴾ أي: افتتنوا، وإليه أشار لمفسر بقوله: «أي كفروا»، ويحتمل أن يكون متعدياً، وأشار إليه بقوله: «أو فتنوا» الناس....



[١١٩] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عليهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: الجاهلة أو التوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

[١٢٠] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ إماماً قُدوةً جامعاً لحصال الخير ﴿فَاتَّبَعْنَا﴾ مطيعاً ﴿لِلَّهِ خَبِيفًا﴾ مثلاً إلى الدين القيم ﴿وَلَوْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٢١] ﴿شَاقِرًا﴾ لَا نَعْمِيَّةَ أَجَنَّهُ ﴿اصْطَفَاهُ﴾ وَهَدَنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

[١٢٢] ﴿وَمَا آتَيْنَاكَ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ هيثناء الحسن في كل أهل الأديان ﴿وَأَيُّكَ فِي الْآخِرَةِ﴾ لِيَمُنَّ الصَّالِحِينَ ﴿الَّذِينَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾.

[١٢٣] ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿أَنْ آتِيَكَ مَلَكٌ﴾ دين ﴿إِبْرَاهِيمَ خَبِيفًا﴾ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿كَرَّرَ رَدًّا عَلَى زَعْمِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَنَّهُمْ عَلَى دِينِهِ﴾.

[١٢٤] ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾ فرض تعظيمه ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ على نبيهم، وهم اليهود أمروا أن يفرغوا للعبادة يوم الجمعة، فقالوا: لا نزيد، واختاروا السبت فشدد عليهم فيه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمره؛ بأن يثيب الطائع ويعذب العاصي بانتهاك حرمة.

[١٢٥] ﴿أَدْعُ﴾ الناس يا محمد ﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ دينه ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ بالقرآن ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ مواعظه أو القول الرقيق ﴿وَيَحْدِثْ لَهُمْ يَأْتِي﴾ أي: المجادلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته والدعاء إلى حججه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَنْ صَدَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿فِي جَاذِبِهِمْ﴾ وهذا قبل الأمر بالقتال.

[١٢٦] ونزل لما قُتِلَ حمزة ومُثِّلَ به فقال ﷺ: وقد رآه: «لأمثلن بسبعين منهم مكانك»: ﴿وَإِنَّ عَاقِبَتَهُمْ لَأَيُّهَا يَوْمَئِذٍ﴾ وَلَكِنْ صَدَّ عَنْ الْإِنْتِقَامِ ﴿أَيُّ الصَّبْرِ﴾ خَيْرٌ لِيَصْكُرِينَ ﴿كَفَّ﴾ وكفر عن يمينه رواه البزار<sup>(١)</sup>.

[١٢٧] ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ بتوفيقه ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الكفار وإن لم يؤمنوا لحرصك على إيمانهم ﴿وَلَا تَأْكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَبِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاقِرًا لَا نَعْمِيَّةَ أَجَنَّهُ وَهَدَنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ آتِيَكَ مَلَكٌ إِبْرَاهِيمَ خَبِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْ لَهُمْ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ صَبْرُكُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّادِقِينَ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ

يَمْكُرُونَ﴾ أي: لا تهتم بمكرهم فأننا ناصرهم عليهم.

[١٢٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ بالطاعة والصبر بالعون والنصر<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) ما جاء في قول الآية (١٢٦): في المسند عن أبي بن كعب أنه أصيب يوم أحد من الأنصار أربعة وستون، وأصيب من المهاجرين ستة وحمزة، فقتلوا بقتلهم، فقالت الأنصار: لن أصبنا منهم يوماً من الدهر لربهم عليهم، فلما كان يوم فتح مكة نادى رجل من القوم لا يعرف: لا قرش بعد اليوم، فأقول لله تعالى على نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّ عَاقِبَتَهُمْ لَأَيُّهَا يَوْمَئِذٍ﴾ مَا عَوْسُهُمْ بِهِ، الآية، فقال نبي الله ﷺ: «كفوا عن القوم». المسند (١٣٥/٥)، وقد أخرج الترمذي نحوه، كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٧) سورة النحل. (حسن صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٥٠١).

(٢) أخرجه ابن سعد والبرار وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل من حديث أبي هريرة كما في الدر المنثور (٢٥٥/٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٩/٦): «رواه البزار والطبراني، وفيه صالح بن بشير المري وهو ضعيف». وضيفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٨/٢) رقم (٥٥٠).

(٣) هذا من لوازم معيته - سبحانه - الخاصة بعباده المؤمنين، ومعيته - سبحانه - مع خلقه نوعان؛ عامة وخاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين، وحقيقتها الصحيحة اللاحقة، وقد أخبر - سبحانه - أنه مع خلقه، مع كونه مستوراً على عرشه، وقد بين الأمرين في آية الحديد، وكلاهما حق.

## سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى  
الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ عَائِدَتِنَا إِنَّهُ  
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ  
هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ لَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾  
ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلٍ مَّع نُّوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾  
وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ  
مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا  
بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ  
الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُوفَةَ  
عَلَيْهِمْ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾  
إِن أَحْسَنُوا أَحْسَنُوا لَأُنْفِيسَهُمْ وَإِن أَسَاءُوا فَسَاءَ فِعْلُهُمَا فَإِذَا  
جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسْطَوْ أَوْجُوهُهُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ  
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

## سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

[مكية: إلا : ﴿وَرَن كَادُوا يَقْتُلُونَكَ الْآيَاتِ الثَّمَانِ﴾ مائة وعشر،  
أو : إحدى عشرة آية، نزلت بعد القصص]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سُبْحَنَ﴾ أي: تنزيه ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿لَيْلًا﴾ نصب على الظرف، والإسراء سير الليل، وفائدة ذكره الإشارة بتكبره إلى تقاليل مدته ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ بيت المقدس لبعده منه ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ بالعمار والأنهار ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ عَائِدَتِنَا﴾ عجائب قدرتنا ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ أي: العالم <sup>(١)</sup> بأقوال النبي ﷺ وأفعاله <sup>(٢)</sup> فأنعم عليه بالإسراء المشتمل على اجتماعه بالأنبياء، وعروجه إلى السماء، ورؤية عجائب الملكوت، ومناجاته له - تعالى - فإنه ﷺ قال: «أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس، فربطت الدابة بالحلقة التي تربط فيها الأنبياء، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت، فجاءني جبريل بإناء من حمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، قال جبريل: أصبت القطرة. قال:

ثم عرج بي إلى السماء الدنيا، فاستفتح جبريل؛ قيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه. ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بالخير، ثم عرج بي إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا بابي الحالة يحيى ويعيسى فرحبا بي ودعوا لي بالخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا يادريس، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بهارون، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. فقيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بموسى، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم فإذا هو مستند إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه، ثم ذهب إلى سدرة المنتهى فإذا أوراها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله - تعالى - يستطيع أن يصفها من حسنها، قال: فأوحى الله إلي ما أوحى وفرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة في كل يوم وليلة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك، وإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربي فقلت: أي رب خفف عن أمتي. فحط عني خمسا، فرجعت إلى موسى قال: ما فعلت؟ فقلت: قد حط عني خمسا. قال: إن أمتك لا تطيق ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمسا خمسا حتى قال: يا محمد، هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر ففلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى، فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فإن أمتك لا تطيق ذلك. فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت [رواه الشيخان، واللفظ لمسلم] <sup>(٣)</sup>. وروى الحاكم في «المستدرک» عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ربي ﷻ» <sup>(٤)</sup>.

[٢] قال - تعالى -: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي

(١) العلم من لوازم السمع والبصر، ولكنهما غيره، وفي الآية إثبات هاتين الصفتين له. سبحانه.، ومذهب السلف الإيمان بهما على الوجه اللاتق به من غير تمثيل، ولا تكيف، ولا تأويل ولا تعطيل؛ كما قال - سبحانه -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. (٢) هذا التخصيص لا يظهر وجهه، فالصواب الإطلاق، فهو - سبحانه - السميع بكل مسموع، والبصير بكل مبصر. (٣) البخاري (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢٢) عن أنس بن مالك. (٤) رواه أحمد عن ابن عباس مرفوعا كما في جامع السعدي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٦٤).

إِسْرَءِيلَ ﴿لَهُ أَكُنْ لَّا يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ يفوضون إليه أمرهم،  
وفي قراءة: ﴿لَتُخْذُوا﴾<sup>(١)</sup> بالفوقانية التفاتًا، فواؤه زائدة، والقول مضمر.  
[٣] يا ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة ﴿إِذْ كُنْتُمْ عَبْدًا  
شُكْرًا﴾ كثير الشكر لنا حامدًا في جميع أحواله.  
[٤] ﴿وَضَعَيْنَا أَوْحِينَ﴾ إلى بَنِي إِسْرَءِيلَ في الْكِتَابِ التوراة  
﴿لَتَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أرض الشام بالمعاصي ﴿مَرَتَيْنِ وَلَتَعْلَنَ عُلُوكُكُمْ﴾  
تبعون بغيا عظيما.  
[٥] ﴿إِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِنَّا﴾ أولى مرتي الفساد ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا  
أُولَى بَأْسٍ شَدِيدًا﴾ أصحاب قوة في الحرب والبطش ﴿فَجَاءُواكُمْ تَرَدُّدًا  
لَطْلُبِكُمْ﴾ خِلَالِ أَيَّامِكُمْ وسط دياركم ليقتلوكم ويتبشروكم ﴿وَكُنْتُمْ عِدَا  
مَقُولًا﴾ وقد أفسدوا الأولى بقتل زكريا فبعث عليهم جالوت<sup>(٢)</sup> وجنوده  
فقتلوهم وسبوا أولادهم وخربوا بيت المقدس.  
[٦] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾ الدولة والغلبة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بعد مائة سنة  
بقتل جالوت ﴿وَأَنذَرْنَاكُمْ بِأَمْرٍ وَبَيِّنَةٍ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ عشيرة.  
[٧] وقالنا: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ﴾ بالطاعة ﴿أَحْسَنَّا لَأَفْسِدُكُمْ﴾ لأن ثوابه<sup>(٣)</sup>  
لها ﴿وَأِنْ أَسَاءْتُمْ﴾ بالفساد ﴿فَلَنَكُنَّ﴾ إساءتكم ﴿إِذَا جَاءَ وَعْدُ﴾ المرة  
﴿الْآخِرَةِ﴾ بعشاهم ﴿لَيُسْخَرْنَ وَجُوهُكُمْ﴾ يحزنوكم بالقتل والسبي حزنا  
يظهر في جرهكم ﴿وَلَيَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ﴾ بيت المقدس فيخربوه ﴿كَمَا  
دَخَلُوهُ﴾ وخربوه ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وليستروا يهلكوا ﴿مِمَّا عَلَوْا﴾ غلبوا عليه  
﴿نَبِيرًا﴾ هلاكًا، وقد أفسدوا ثانيا بقتل يحيى فبعث عليهم بختنصر فقتل  
منهم ألوفا وسبى ذريتهم وخرب بيت المقدس<sup>(٤)</sup>.  
[٨] وقلنا في الكتاب: ﴿عَسَىٰ ذِكْرُكَ أَنْ يَرْحَمَكَ﴾ بعد المرة الثانية إن تبتم  
﴿وَأِنْ عُدْتُمْ﴾ إلى الفساد ﴿عَدْنَا﴾ إلى العقوبة، وقد عادوا بتكذيب  
محمد ﷺ فسط عليهم بقتل قريظة ونفي النضير وضرب الجزية عليهم  
﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ محبسا وسجنًا.  
[٩] ﴿إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّذِي﴾ أي: للطريقة التي ﴿هِيَ أَقْوَمُ﴾  
أعدل وأصوب ﴿وَيُشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا  
كَبِيرًا﴾.  
[١٠] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أعدنا ﴿أَعَدْنَا﴾ لهم  
عَذَابًا أَلِيمًا مؤلما هو النار.  
[١١] ﴿وَيَذَعُ الْإِنْسَانُ النَّفْسَ﴾ على نفسه وأهله إذا ضجر ﴿دَعَا﴾ أي:  
كدهائه له ﴿وَالْحَيَّرَ﴾ كَانَ الْإِنْسَانُ الْجَنَسِ ﴿عَمَلًا﴾ بالدعاء على نفسه وعدم  
النظر في عاقبته.  
[١٢] ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ وَالنَّهَارَ عَابَتَيْنِ﴾ الدلتين على قدرتنا ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ  
الْأَيْلِ﴾ طمسنا نورها بالظلام لتسكنوا فيه، والإضافة للبيان ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ  
النَّهَارِ مَبْصُرَةً﴾ أي: مبصرا فيها بالضوء ﴿لَتَبْتَغُوا﴾ فيه ﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾  
بالكسب ﴿وَلَتَعْلَمُوا﴾ بهما ﴿عَدَدَ النَّسِينَ وَالْجَسَابِ﴾ للأوقات ﴿وَكُلَّ  
شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿فَضْلَتَهُ تَفْصِيلًا﴾ بيناه تبييها.  
[١٣] ﴿كُلُّ إِنْسَانٍ أَلَمَّتْهُ طَائِرُهُ﴾ عمله يحمله ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ خص

بالذكر؛ لأن الزوم فيه أشد، وقال مجاهد: ما من مولود يولد إلا وفي عنقه  
ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد<sup>(٥)</sup>.

[١٤] ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا﴾ مكتوبا فيه عمله ﴿يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾  
صفنا له كتابا. ويقال له: ﴿أَفَرَأَىٰ كِتَابَكَ﴾ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا  
محاسبًا.

[١٥] ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَنْ ضَلَّ  
فإنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن إثمها عليها ﴿وَلَا يُزِدُ﴾ نفس ﴿وَارْزُقْ﴾ أئمة؛ أي: لا  
تحمل ﴿وَزِدْ﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ أحدا ﴿حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾  
يبيِّن له ما يجب عليه.

[١٦] ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْنًا مَرَّوْهَا﴾ مُتَعَمِّمًا بمعنى رؤسائها،  
بالصاعقة على لسان رسلنا ﴿فَنَقُصِّوْهُ فِيهَا﴾ فخرجوا عن أمرنا ﴿حَقَّقَ عَلَيْهَا  
الْقَوْلَ﴾ بالعباد ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريبها.

[١٧] ﴿وَكَمْ﴾ أي: كثيرا ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ الْأَمْ﴾ ومن بعد نُوحٍ  
وَكُنِّي بِرَبِّكَ يَذُوبُ عِبَاوَهُ حَبِيرًا بصيرا ﴿عَالِمًا بِوَاطْنِهَا وظواهرها، و«به» يتعلق  
﴿يَذُوبُ﴾.

(١) بالياء قراءة أبي عمرو. (٢) اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلمين عليهم؛ من هم، وعن ابن عباس أنه جالوت وجنوده. (٣) أي ثواب الإحسان.

(٤) وفي هذا نظر؛ حيث إن بختنصر كان بينه وبين يحيى التلافة عدة قرون. وقيل أيضا: إن الذي حارب بيت المقدس الخراب الثاني هو: «طيطوس» الروماني. ولا دليل صحيح على شيء من ذلك،  
فالأولى التوقف، والله أعلم.

(٥) ذكره ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه [الدر المنثور (٢٥٠/٥)].

مطروذاً عن الرحمة.

[١٩] ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا عَمِلَ عَلَيْهِ اللّٰثِقَاتُ بِهَا﴾ ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ حال ﴿فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا﴾ عند الله؛ أي: مقبولاً مثاباً عليه.

[٢٠] ﴿كُلًّا﴾ من الفريقين ﴿ثُمِّدَ﴾ نطقي ﴿هَتَّؤَلَاءُ وَهَتَّؤَلَاءُ﴾ بدل ﴿يَنْ﴾ متعلق بـ «التمد» ﴿عَطَاءَ رَبِّكَ﴾ في الدنيا ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ﴾ فيها ﴿مَحْظُورًا﴾ ممنوعاً عن أحد.

[٢١] ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في الرزق والجاه ﴿وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ من الدنيا، فينبغي الاعتناء بها دونها.

[٢٢] ﴿لَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُومًا﴾ لا ناصر لك.

[٢٣] ﴿وَقَضَىٰ﴾ أمر ﴿رَبِّكَ أَهْنُ﴾ أي: بأن ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ وأن تحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ بأن تروهما ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا﴾ فاعل ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾ وفي قراءة ﴿يَبْلُغَانِ﴾ (١) ذأ أحدهما بدل من ألفه ﴿فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا إِفْ﴾ بفتح الفاء، وكسرهما منوناً وغير منون (٢) مصدر بمعنى ثأ وقبحاً ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ ترجمهما ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ جميلاً لينا.

[٢٤] ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ﴾ ألن لهما جانبك الدليل ﴿وَمِنَ الرَّحْمَةِ﴾ أي: لرققتك عليهما ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّحَنِى﴾ رحمتي حين ﴿رَبَّيْنِى صَغِيرًا﴾.

[٢٥] ﴿رَبِّكَ أَغْلَرُ بِمَا فِي نَفْسِكَ﴾ من إضمار البر والعقوق ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ طاعين لله ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ﴾ الرجاعين إلى طاعته ﴿عَفْوَكَ﴾ لما صدر منهم في حق الوالدين من بادرة وهم لا يضمنون عفوفاً.

[٢٦] ﴿وَأَدَّبَ﴾ أعطى ﴿ذَا الْقُرْنَيْنِ﴾ القرابة ﴿حَقَّهُ﴾ من البر والصلة ﴿وَالْمُسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا يُبْدِرْ بَيِّزًا﴾ بالإنفاق في غير طاعة الله.

[٢٧] ﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ أي: على طريقتهم ﴿وَكَانَ الشَّيَاطِينُ لِرَبِّهِمْ كَفُورًا﴾ شديد الكفر لنعمه، فكذلك أخوه المبذر.

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ جَعَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّذْهُورًا ﴿١٩﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ﴿٢٠﴾ كَلَّا نُمَدِّدْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢١﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢٢﴾ لَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُومًا ﴿٢٣﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أِفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٤﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴿٢٥﴾ رَبِّكَ أَغْلَرُ بِمَا فِي نَفْسِكَ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ عَفْوَكَ ﴿٢٦﴾ وَأَدَّبَ ذَا الْقُرْنَيْنِ حَقَّهُ وَالْمُسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يُبْدِرْ بَيِّزًا ﴿٢٧﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٨﴾

[١٨] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿الْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا ﴿جَعَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ التعجيل له، بدل من «له» بإعادة الجار ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا﴾ يذهبها ﴿مَذْمُومًا﴾ ملوماً ﴿مَّذْهُورًا﴾

(١) مع كسر النون مشددة حمزة والكسائي.

(٢) بالفتح وبدون تنوين قراءة ابن كثير وابن عامر، وبالكسر كذلك قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.



ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا  
آخَرَ تَتَلَفَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَذْمُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكَ  
بِالْبَيْنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثَاءً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾  
فُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا تَجْعَلُ إِلَّا ذِي الْعَرْشِ سَيِّدًا ﴿٤٢﴾

سُبْحَنَهُ وَوَعَلَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتِ  
السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَيْسِبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ  
لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ

الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
حُجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
بِالْآخِرَةِ حُجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٦﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ

وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا نَفَلًا فَلَا يَسْمَعُونَهُ وَإِذَا ذَكَرْتَ  
رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ حَدَّثُوا وَلَوْ أَنَّ أَدْبَرُهُمْ نُفُورًا عَنْهُ ﴿٤٧﴾ وَتَحْنُ أَعْلَى

يَمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ  
قِرَاءَتِكَ وَإِذْ هُمْ نَحْوَى يَتَسَاءَلُونَ فِيهِمْ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَذَابًا وَإِذَا

يَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لِمَنْ هَذَا الَّذِي يَتْلُو هَذَا الْقُرْآنَ قُلْ هُوَ نَذِيرٌ لِلْعَالَمِينَ  
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا

فُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا تَجْعَلُ إِلَّا ذِي الْعَرْشِ سَيِّدًا  
سُبْحَنَهُ وَوَعَلَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتِ

السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَيْسِبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ  
لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ

الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
حُجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بِالْآخِرَةِ حُجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٦﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ  
وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا نَفَلًا فَلَا يَسْمَعُونَهُ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ

حَدَّثُوا وَلَوْ أَنَّ أَدْبَرُهُمْ نُفُورًا عَنْهُ ﴿٤٧﴾ وَتَحْنُ أَعْلَى يَمَا يَسْتَمِعُونَ  
بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ قِرَاءَتِكَ وَإِذْ هُمْ نَحْوَى

يَتَسَاءَلُونَ فِيهِمْ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَذَابًا وَإِذَا يَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لِمَنْ هَذَا  
الَّذِي يَتْلُو هَذَا الْقُرْآنَ قُلْ هُوَ نَذِيرٌ لِلْعَالَمِينَ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ

لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا فُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ  
إِذَا لَا تَجْعَلُ إِلَّا ذِي الْعَرْشِ سَيِّدًا سُبْحَنَهُ وَوَعَلَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا

كَبِيرًا تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ  
إِلَّا أَيْسِبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا

وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
حُجَابًا مَسْتُورًا وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بِالْآخِرَةِ حُجَابًا مَسْتُورًا وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ  
وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا نَفَلًا فَلَا يَسْمَعُونَهُ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ

حَدَّثُوا وَلَوْ أَنَّ أَدْبَرُهُمْ نُفُورًا عَنْهُ وَتَحْنُ أَعْلَى يَمَا يَسْتَمِعُونَ  
بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ قِرَاءَتِكَ وَإِذْ هُمْ نَحْوَى

يَتَسَاءَلُونَ فِيهِمْ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَذَابًا وَإِذَا يَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لِمَنْ هَذَا  
الَّذِي يَتْلُو هَذَا الْقُرْآنَ قُلْ هُوَ نَذِيرٌ لِلْعَالَمِينَ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ

لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا فُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ  
إِذَا لَا تَجْعَلُ إِلَّا ذِي الْعَرْشِ سَيِّدًا سُبْحَنَهُ وَوَعَلَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا

كَبِيرًا تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ  
إِلَّا أَيْسِبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا  
آخَرَ تَتَلَفَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَذْمُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكَ  
بِالْبَيْنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثَاءً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾  
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾  
فُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا تَجْعَلُ إِلَّا ذِي الْعَرْشِ سَيِّدًا  
سُبْحَنَهُ وَوَعَلَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٢﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتِ  
السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَيْسِبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ  
لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ  
الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حُجَابًا  
مَسْتُورًا ﴿٤٤﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ  
وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ حَدَّثُوا وَلَوْ أَنَّ أَدْبَرَهُمْ نُفُورًا ﴿٤٥﴾  
تَحْنُ أَعْلَى يَمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ  
قِرَاءَتِكَ وَإِذْ هُمْ نَحْوَى يَتَسَاءَلُونَ فِيهِمْ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَذَابًا وَإِذَا  
يَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لِمَنْ هَذَا الَّذِي يَتْلُو هَذَا الْقُرْآنَ قُلْ هُوَ نَذِيرٌ لِلْعَالَمِينَ  
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا

فُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا تَجْعَلُ إِلَّا ذِي الْعَرْشِ سَيِّدًا  
سُبْحَنَهُ وَوَعَلَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٢﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتِ  
السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَيْسِبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ  
لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ

الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
حُجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٤﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ

وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا نَفَلًا فَلَا يَسْمَعُونَهُ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ  
حَدَّثُوا وَلَوْ أَنَّ أَدْبَرَهُمْ نُفُورًا عَنْهُ ﴿٤٥﴾ وَتَحْنُ أَعْلَى يَمَا يَسْتَمِعُونَ

بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ قِرَاءَتِكَ وَإِذْ هُمْ نَحْوَى  
يَتَسَاءَلُونَ فِيهِمْ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَذَابًا وَإِذَا يَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لِمَنْ هَذَا

الَّذِي يَتْلُو هَذَا الْقُرْآنَ قُلْ هُوَ نَذِيرٌ لِلْعَالَمِينَ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ  
لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا فُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ

إِذَا لَا تَجْعَلُ إِلَّا ذِي الْعَرْشِ سَيِّدًا سُبْحَنَهُ وَوَعَلَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا  
كَبِيرًا تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ

إِلَّا أَيْسِبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا  
وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ

حُجَابًا مَسْتُورًا وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
بِالْآخِرَةِ حُجَابًا مَسْتُورًا وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ

وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا نَفَلًا فَلَا يَسْمَعُونَهُ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ  
حَدَّثُوا وَلَوْ أَنَّ أَدْبَرَهُمْ نُفُورًا عَنْهُ وَتَحْنُ أَعْلَى يَمَا يَسْتَمِعُونَ

(١) والقول الآخر في تفسير الآية أن المعنى: لطلبوا التوصل والتقرب إليه، إفراذا له - سبحانه - بالعبودية والتوجه، وهذا القول هو الصحيح المنقول عن السلف، كما بينه شارح الطحاوية، واختاره ابن كثير وغيره.

(٢) يشير إلى ما أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١٩٥/٢، ١٩٦) عن أسماء بنت أبي بكر قال: لما نزلت ﴿تَبَيَّنَ بَدَأُ أَبِي لَهَبٍ﴾ (سورة المسد) أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر (حجر) وهي تقول: مديماً أينا، ودينه قلبنا، وأمره عصينا. والبي في المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر، قال: «يا رسول الله، قد أقبلت، وأنا أخاف أن تراك. قال النبي ﷺ: إنها لن تراني. وقرأ قرأتاً فاعتصم به كما قال. وقرأ: ﴿وَلَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حُجَابًا مَسْتُورًا﴾، فوفقت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ... الحديث. وأخرجه أيضاً أبو يعلى في مسنده (٣٣/١ رقم ٢٥) عن ابن عباس بنحوه، وفي إسناده عند أبي يعلى عطاء بن السائب، وقد اختلط، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٤/٧)، ونسبه إلى أبي يعلى والزار وضعفه بعباءة. هذا أحد الأقوال، والقول الآخر في تفسير الآية أن المراد بالحجاب المستور: أي: من الجهل وعمى القلب، فهم لإعراضهم ونفاقهم عن دعوتهم ﷺ كُفِّرَ بينه وبينهم حجاب يمنعهم من السماع ويحول بينهم وبين الهدى، وهذا القول هو الأقرب، وعليه جمهور المفسرين.



[٥٠] ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حِيدًا﴾.

[٥١] ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ يعظم عن قبول الحياة فضلاً عن العظام والرفات فلا بد من إيجاد الروح فيكم ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾ إلى الحياة ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ﴾ خلقكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ولم تكونوا شيئاً؛ لأن القادر على البدء قادر على الإعادة، بل هي أهون ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ يحركون ﴿إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ تعجباً ﴿وَيَقُولُونَ﴾ استهزاء: ﴿مَتَى هُوَ﴾ أي: البعث ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

[٥٢] ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ يناديكم من القبور على لسان إسرافيل ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ فتجيبون دعوته من القبور ﴿يَحْمَدُونَ﴾ بأمره، وقيل: وله الحمد ﴿وَتَقُولُونَ﴾ ما ﴿لَيْسَتْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لهول ما ترون.

[٥٣] ﴿وَقُلْ لِّسَادِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقولوا للكفار <sup>(١)</sup> الكلمة ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ ﴿بَيْنَهُمْ﴾ يَفْسُدُ ﴿بَيْنَهُمْ﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا بَيِّنَ الْعَدَاوَةِ.

[٥٤] والكلمة التي هي أحسن هي: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ إِنَّ بَشَرًا يَرْحَمُكُمْ بالتوبة والإيمان ﴿أَوْ إِنْ يَشَأْ﴾ تعذيبكم ﴿يُعَذِّبُكُمْ﴾ بالموت على الكفر ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ فتجبرهم على الإيمان، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٥٥] ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيخضعهم بما شاء على قدر أحوالهم ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ بتخصيص كل منهم بفضيلة كموسى بالكلام، وإبراهيم بالخلعة، ومحمد بالإسراء ﴿وَمَا أَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾.

[٥٦] ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ﴾ أنهم آلهة ﴿مَنْ دُونِهِ﴾ كالملائكة وعيسى وعزير ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ﴾ كَنَفَ النَّفَرِ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا له إلى غيركم.

[٥٧] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ لهم آلهة ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ يطلبون ﴿إِلَى رَبِّهِمْ أَلْوَسِيلًا﴾ القربة بالطاعة ﴿أَيُّهُمْ﴾ بدل من واو «يتبعون»؛ أي: يتبعها الذي هو ﴿أَقْرَبُ﴾ إليه فكيف بغيره ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ كغيرهم، فكيف تدعونهم آلهة ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ <sup>(٢)</sup>.

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حِيدًا﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُقْضَىٰ إِلَيْكَ رُءُوسُهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَقُولُونَ إِنْ لَيْسَ إِلَّا قَلِيلًا قُلْ لِّعِبَادِيَ يَقُولُ الْآلِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمُ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا وَإِنْ مِنْ قَرِيبَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا

[٥٨] ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْ قَرِيبَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ بالموت ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بالقتل وغيره ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾ مكتوباً.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٧): أخرج مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: كان نفر من الإنس يعبدون نفراً من الجن، فأسلم نفر من الجن، واستمسك الإنس بعبادتهم. فنزلت: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أَلْوَسِيلًا﴾. مسلم - كتاب التفسير (٥٤) باب (٤) (٣٠٣)، وهو في البخاري (٤٧١٤، ٤٧١٥) دون التصريح بسبب النزول.

(١) هذا أحد الأقوال في تفسير هذه الآية، ولعله يشير إلى ما ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (١٩٥)، عن الكلبي قال: كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بالقول والفعل، فشكروا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية. والحديث ضعيف كما في الاستيعاب (٤٤٠/٢). والقول الثاني: هو أن الآية تحث المؤمنين على أن يتخاطبوا فيما بينهم بالتي هي أحسن. وهذا هو الأطهر والأنسب، والله أعلم.

فيؤمنوا<sup>(٩)</sup>.

[٦٠] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ إِنَّ رَبَّكَ لَآتِيهِمْ بِخَبْرٍ﴾ ففهم في قبضته، فبلغهم ولا تخف أحدا فهو يعصمك منهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَرْبَابًا إِلَٰهَ إِلَّا رُبُّكَ﴾ عينا ليلة الإسراء<sup>(١)</sup> ﴿إِلَّا وَفْتَنَهُ لِّلنَّاسِ﴾ أهل مكة إذ كذبوا بها وارتمد بعضهم لما أخبرهم بها ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ وهي الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم، جعلناها فتنه لهم، إذ قالوا: النار تحرق الشجر فكيف تنبت ﴿وَنُفِثُوا فِيهَا﴾ بها ﴿فَمَا يَرِيدُهُمْ﴾ تخويفنا ﴿إِلَّا طَعْنًا كَبِيرًا﴾.

[٦١] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ إِنَّ رَبَّكَ لَآتِيهِمْ بِخَبْرٍ﴾ ففهم في قبضته، فبلغهم ولا تخف أحدا فهو يعصمك منهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَرْبَابًا إِلَٰهَ إِلَّا رُبُّكَ﴾ عينا ليلة الإسراء<sup>(١)</sup> ﴿إِلَّا وَفْتَنَهُ لِّلنَّاسِ﴾ أهل مكة إذ كذبوا بها وارتمد بعضهم لما أخبرهم بها ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ وهي الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم، جعلناها فتنه لهم، إذ قالوا: النار تحرق الشجر فكيف تنبت ﴿وَنُفِثُوا فِيهَا﴾ بها ﴿فَمَا يَرِيدُهُمْ﴾ تخويفنا ﴿إِلَّا طَعْنًا كَبِيرًا﴾.

[٦٢] ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ أي: أخبرني ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ﴾ فضلت ﴿عَلَيْكَ﴾ بالأمر بالسجود له و ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ﴾<sup>(١)</sup> ﴿لَيْسَ لَّامٍ قَسَمَ﴾ الْفَرَزْدَنْ إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ لَأَحْتَنِكَ لَأَسْأَمِلَنَّ ﴿ذُرِّيَّتَهُ﴾ بالإغواء ﴿وَلَا قِيلِيلًا﴾ منهم ممن عصته.

[٦٣] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - له: ﴿أَذْهَبَ﴾ مُنْظَرًا إِلَى وَفْتِ النَّفْخَةِ الْأُولَى ﴿فَمَنْ يَتَّبِعْ مِنْهُمْ فَلَنَ جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَا كَفَرَ﴾ أنت وهم ﴿جَزَاءُ مَا كَفَرَ﴾ واهزأ كاملاً.

[٦٤] ﴿وَأَسْتَفْزِرُ﴾ استخف ﴿مَنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ بدعائك بالغناء والمزامير وكل داع إلى المعصية ﴿وَأَلْبَيْتَ﴾ صبغ ﴿عَلَيْهِمْ بِحَبْلِكَ وَرَجَلِكَ﴾ وهم الركاب والمشاة في المعاصي ﴿وَوَشَّارُكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ المحرمة كالربا والغصب ﴿وَالْأَوْلَادِ﴾ من الزنى ﴿وَعِدَّتُهُمْ﴾ بأن لا بعث ولا جزاء ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ بذلك ﴿وَلَا غُرُورًا﴾ باطلاً.

[٦٥] ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ المؤمنين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ تسلط وقوة ﴿وَكُنْتَ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ حافظاً لهم منك.

[٦٦] ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْسِي﴾ يُجْزِي ﴿لَكُمْ الْفُلُوكَ﴾ السفن ﴿فِي الْبَحْرِ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ تطليبا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ - تعالى - بالنجارة ﴿إِنَّكُمْ كَانَتْ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ في تسخيرها لكم.

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا تَبَيَّنَا نُمُودَ الْتَافَةٍ مُبْصِرَةٍ فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخَوِيفًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرَّءْيَا إِلَّا آيَةً لِّكَ إِلَّا وَفْتَنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ وَنُفِثُوا فِيهَا يَرِيدُهُمْ إِلَّا طَغَيْنَا كِبِيرًا ﴿٦١﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أُوْحِقَنَّ إِلَيْ يَوْمِ الْفِتْنَةِ لَأَحْتَنِكَ كُنْ دُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٣﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَتَّبِعْ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَا كَفَرَ مَوْفُورًا ﴿٦٤﴾ وَأَسْتَفْزِرُ مَنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَلْبَيْتَ عَلَيْهِمْ بِحَبْلِكَ وَرَجَلِكَ وَوَشَّارُكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّتُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٥﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٦﴾ رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْسِي لَكُمْ الْفُلُوكَ فِي الْبَحْرِ لِيَبْتَلِيَكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٧﴾

[٥٩] ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ التي اقترحتها أهل مكة ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ لما أرسلناهم فأهلكناهم، ولو أرسلناهم إلى هؤلاء لكدبوا بها واستحقوا الإهلاك، وقد حكمنا بإمهالهم؛ لإتمام أمر محمد ﷺ ﴿وَمَا تَبَيَّنَا نُمُودَ الْتَافَةٍ﴾ آية ﴿مُبْصِرَةٍ﴾ بَيِّنَةٌ واضحة ﴿فَظَلَمُوا﴾ كفروا بها فأهلكوا ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾ المعجزات ﴿إِلَّا تَخَوِيفًا﴾ للعباد

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٩): أخرج أحمد عن ابن عباس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا دعبا، وأن ينحي الجبال عنهم فيزددوا [إضعاف من الزرع]، فقبل له: إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت أن تؤنيهم الذي سألو، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم. قال: «لا، بل أستاذي بهم، فأقول الله ﷻ هذه الآية: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَمَا تَبَيَّنَا نُمُودَ الْتَافَةٍ مُبْصِرَةٍ». أحمد - المسند (٢٥٨/١). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٢٣٣٣).

(١) أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَرْبَابًا إِلَّا رُبُّكَ إِلَّا وَفْتَنَهُ لِّلنَّاسِ﴾ قال: هي رؤيا عين أربها ليلة أسري به. ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ قال: شجرة الزقوم البخاري (٣٨٨٨).

(٢) الأعراف: ١٢.



[٧٨] ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ السَّمِيسِ﴾ أي: من وقت زوالها ﴿إِلَى عَشَى الْآيْلِ﴾ إقبال ظلمته؛ أي: الظهر والعصر والمغرب والعشاء ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ صلاة الصبح ﴿وَإِنْ قَرَأَانَ الْفَجْرِ كَانَتْ مَشْهُودًا﴾ تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار<sup>(١)</sup>.

[٧٩] ﴿وَمِنْ آيَاتِ فَتْحِكَ﴾ فصل ﴿بِهِ﴾ بالقرآن ﴿نَافِلَةٌ لَكَ﴾ فريضة زائدة لك دون أمرك أو فضيلة على الصلوات المفروضة ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ﴾ يقيمك ﴿رَبُّكَ﴾ في الآخرة ﴿مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ يحمذك فيه الأولون والآخرون، وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء.

[٨٠] ونزل لما أمر بالهجرة<sup>(٢)</sup>: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي الْمَدِينَةَ﴾ مُدْخَلٌ صِدْقٌ إخراجاً مرضياً لا أرى فيه ما أكره ﴿وَأَخْرِجْنِي﴾ من مكة ﴿مُخْرَجٌ﴾ صِدْقٌ إخراجاً لا ألقت بقلبي إليها ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ قوة تنصرنى بها على أعدائك.

[٨١] ﴿وَقُلْ﴾ عند دخولك مكة: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَالْإِسْلَامُ﴾ رَزَقَ الْبَاطِلُ بطل الكفر ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ مضمحللاً زائلاً، وقد دخلها ﴿وَحَوْلَ الْبَيْتِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُونَ صَنَاءً﴾ فجعل يطعنها بعود في يده ويقول ذلك حتى سقطت، رواه الشيخان<sup>(٣)</sup>.

[٨٢] ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْفُرْقَانِ﴾ البيان ﴿مَا هُوَ شَفَاءٌ﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ به ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ لكفرهم به.

[٨٣] ﴿وَإِذَا نَفَخْنَا فِي الْإِنْسَانِ﴾ الكافر ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَنَنَا بِحَايِيَةٍ﴾ شئ عطفه متبختراً ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْفَقْرُ وَالشَّدَّةُ﴾ كان يؤسأ ﴿فَنُطَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾.

[٨٤] ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ منا ومنكم ﴿يَعْمَلُ عَلَى شَاكِرَةٍ﴾ طريقته ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ طريقاً فنيه.

[٨٥] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ أي: اليهود ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾ الذي يحيا به البدن ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي: علمه لا تعلمونه ﴿وَمَا أُوْتِشِرَ بَيْنَ أَلْوَامٍ إِلَّا قَلِيلًا﴾ بالنسبة إلى علمه تعالى<sup>(٤)</sup>.

[٨٦] ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن بأن نحوه من الصدور والمصاحف ﴿فَنُحْمٌ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلِيًّا﴾ وكيلاً.

وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٨﴾ سُنَّةٌ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٩﴾ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ السَّمِيسِ إِلَى عَشَى الْآيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنْ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَتْ مَشْهُودًا ﴿٨٠﴾ وَمِنْ آيَاتِ فَتْحِكَ بِهِ نَافِلَةٌ لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٨١﴾ وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مُدْخَلٌ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجٌ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٢﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨٣﴾ وَنُزِّلَ مِنَ الْفُرْقَانِ إِنْ هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٤﴾ وَإِذَا نَفَخْنَا فِي الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَنَا بِحَايِيَةٍ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُوْسَأُ ﴿٨٥﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِرَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٦﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِشِرَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٧﴾ وَلَكِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلِيًّا وَكَيْلًا ﴿٨٨﴾

[٧٦] ونزل لما قال له اليهود: إن كنت نبياً فالحق بالشام فإنها أرض الأنبياء<sup>(١)</sup>: ﴿وَإِنْ﴾ مخفية ﴿كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أرض المدينة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ وإذ لو أخرجوك ﴿لَا يَلْبِثُونَ خَلْفَكَ﴾ فيها ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثم يهلكون.

[٧٧] ﴿سُنَّةٌ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ أي: كسنتنا فيهم من إهلاك من أخرجهم ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ تبديلاً.

(١) ما جاء في نزول الآية (٨٥): أخرجه البخاري عن عبد الله قال: بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث وهو متكئ على عسيب إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال: ما رابكم إليه، وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه! فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً، فعلمت أنه يوحى إليه، فقامت مقامى، فلما نزل الوحي قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِشِرَ بَيْنَ أَلْوَامٍ إِلَّا قَلِيلًا﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة الإسراء (١٧) باب (١٣).

وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسال عنه هذا الرجل. فقال: سلوه عن الروح، قال: فسألوه عن الروح، فأئز الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٨) سورة بني إسرائيل. (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٥١٠).

وهذا الحديث يدل على أن هذه الآية مكية، فيتمشى ذلك مع كون السورة كلها مكية، وحديث ابن مسعود السابق قال ابن كثير: (يقضي فيما يظهر بادي الرأي أن هذه الآية مدنية... وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه بالمدنية مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك، أو أنه نزل عليه الوحي بأنه يجيبهم عما سأله بالآية المتقدم إنزالها عليه، وهي هذه الآية).

(١) أخرجه نحوه ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل وابن عساکر عن عبد الرحمن بن عثم (الدر المنثور (٣٥٣/٤))، وضعفه السيوطي في لياح القلوب (ص ١٣٩) وقال: (هذا مرسل ضعيف الإسناد). وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿لَيَسْأَلَنَّكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ قال: هم أهل مكة إخراج النبي ﷺ من مكة، وقد فعلوا بعد ذلك؛ فأملكهم الله يوم بدر، ولم يلبثوا بعده إلا قليلاً... ذكره الطبري في جامع البيان (٩٠/١٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٣٢٠/٥)، وهو مرسل كما في الاستيعاب (٤٥٢/٢).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعاً به، وأحمد في المسند (٤٧٤/٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٠٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٠٦٤)، وأحمد (١٨٤٧) عن ابن عباس، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٦١٠)، وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٢٩١/٣): «إسناده صحيح».

(٤) البخاري (٢٤٧٨)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عبد الله بن مسعود.

[٨٧] ﴿إِلَّا﴾ لكن أبقناه ﴿رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَـبِيرًا﴾ عظيمًا؛ حيث أنزله عليك وأعطاك المقام المحمود وغير ذلك من الفضائل.

[٨٨] ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْدُسُ وَالْحِجُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ﴾ في الفصاحة والبلاغة <sup>(١)</sup> ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ معيًا.

[٨٩] نزل ردًّا لقولهم: ﴿لَوْ شَاءَ لَقُلْنَا يَسْلُ هَٰذَا﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بينا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ صفة لحدوف؛ أي: مثلاً من جنس كل مثل؛ ليتعظوا ﴿فَأَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ جحودًا للحق.

[٩٠] ﴿وَقَالُوا﴾ عطف على «أبي»: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ عينا ينبع منها الماء.

[٩١] ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّمَّنْ فِي بَسْتَانٍ﴾ بستان ﴿مِّنْ خَيْلٍ وَعَنَبٍ فَتَقْجِرَ الْآفَاقُ خِلَالَهَا﴾ وسطها ﴿تَفْجِرًا﴾.

[٩٢] ﴿أَوْ تُنْقِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا كَيْفًا﴾ قطعًا ﴿أَوْ نَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ مِثَالًا﴾ مقابلة وعيانًا ففراهم.

[٩٣] ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذَرْبٍ﴾ ذرب ﴿أَوْ رَرْقٍ﴾ تصعد ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ بسلم ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ لورقيت فيها ﴿حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ منها ﴿كِتَابًا﴾ فيه تصديقك ﴿تَقْرَأُهُ﴾ قل لهم: ﴿سُبْحَانَ رَبِّيَ﴾ تعجب ﴿هَلْ﴾ ما ﴿كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ ولم يبعث ملكًا.

[٩٤] ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا﴾ أي قولهم منكربين: ﴿أُبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ ولم يبعث ملكًا.

[٩٥] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ﴾ بدل البشر ﴿مَلَائِكَةً يَّمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمُ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ إذ لا يُوسَّلُ إلى قوم رسول إلا من جنسهم؛ ليتمكنهم مخاطبته والفهم عنه.

[٩٦] ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿إِنَّهُ

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَـبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْحِجُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ ﴿٨٨﴾ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٠﴾ وَقَالُوا﴾ عطف على «أبي»: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩١﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ خَيْلٍ وَعَنَبٍ فَتَقْجِرَ الْآفَاقُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩٢﴾ أَوْ تُنْقِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا كَيْفًا ﴿٩٣﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذَرْبٍ أَوْ رَرْقٍ فِي السَّمَاءِ ﴿٩٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا﴾ أي قولهم منكربين: ﴿أُبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ عالمًا <sup>(٣)</sup> ببواطنهم وظواهرهم.

(١) ذكر العلماء أن أوجه الإعجاز في القرآن عديدة؛ ومنها: الإخبار بالغيبات، والعذوبة في الألفاظ، والبراعة في الأسلوب، والإيجاز في العبارة مع إفادة المعاني الكثيرة، وكونه لا يتخلق مع كثرة التلاوة ولا يملُّ بياضه، وكونه يجمع علومًا ومعارف لم يجمعها كاتب غيره، وغير ذلك.

(٢) الأنفال: ٣١.

(٣) والعلم غير البصر، وإن كان من لوازمه، فثبت هذه الصفة لله ﷻ على الوجه اللائق به سبحانه.

يهدونهم ﴿٩٨﴾ من دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٩٩﴾ مَا شِئْنَا عَلَىٰ وَجْهِهِمْ عَمِيًّا ﴿١٠٠﴾ وَكَمْ رِجْسًا مَا أُولَئِكَ جَهَنَّمَ كَلِمًا بَخْتًا سَكَنَ لَهَا بَطَنًا ﴿١٠١﴾ وَزَيْنًا ﴿١٠٢﴾

﴿٩٨﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا ﴿٩٩﴾ مَا أَكُنَّا عِندَ رَبِّنَا إِلَّا مَعْدُودَاتٍ فُتِنُوا أَنَا نَسْتَعْتُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿١٠٠﴾

﴿٩٩﴾ ﴿١٠٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِن دُونِهِمْ عِجْلًا قَبْلَهُمْ لِيُحْشَرُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿١٠١﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّن دُونِهِمْ عِجْلًا قَبْلَهُمْ لِيُحْشَرُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿١٠٢﴾

﴿١٠٠﴾ ﴿١٠١﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّن دُونِهِمْ عِجْلًا قَبْلَهُمْ لِيُحْشَرُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿١٠٢﴾

﴿١٠١﴾ ﴿١٠٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّن دُونِهِمْ عِجْلًا قَبْلَهُمْ لِيُحْشَرُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿١٠٣﴾

﴿١٠٢﴾ ﴿١٠٣﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّن دُونِهِمْ عِجْلًا قَبْلَهُمْ لِيُحْشَرُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿١٠٤﴾

﴿١٠٣﴾ ﴿١٠٤﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّن دُونِهِمْ عِجْلًا قَبْلَهُمْ لِيُحْشَرُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿١٠٥﴾

وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَعَلُوهُ لَمْ يُهتَدِ وَمَن يَضِلَّ فَلَنْ يُجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وَجْهِهِمْ عَمِيًّا وَكَمْ رِجْسًا مَا أُولَئِكَ جَهَنَّمَ كَلِمًا بَخْتًا سَكَنَ لَهَا بَطَنًا ﴿٩٨﴾ وَزَيْنًا ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا ﴿١٠٠﴾ مَا أَكُنَّا عِندَ رَبِّنَا إِلَّا مَعْدُودَاتٍ فُتِنُوا أَنَا نَسْتَعْتُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿١٠١﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّن دُونِهِمْ عِجْلًا قَبْلَهُمْ لِيُحْشَرُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿١٠٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّن دُونِهِمْ عِجْلًا قَبْلَهُمْ لِيُحْشَرُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿١٠٣﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّن دُونِهِمْ عِجْلًا قَبْلَهُمْ لِيُحْشَرُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿١٠٤﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّن دُونِهِمْ عِجْلًا قَبْلَهُمْ لِيُحْشَرُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿١٠٥﴾

﴿٩٧﴾ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَعَلُوهُ لَمْ يُهتَدِ وَمَن يَضِلَّ فَلَنْ يُجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴿٩٨﴾

(١) وهذه هي الآيات التي أوتيتها موسى عليه السلام لفرعون وقومه، وهي غير الآيات التي أوتيتها لحمل قومه بني إسرائيل على الاستقامة، كما تقدم في تفسير سورة يونس آية (٧٥).

(٢) أي «فأنا»، والمناسب أن يقول: «وقري»، جريا على طريقته؛ لأنها قراءة شاذة.

(٣) أي: من «غلبت»، وهي للكسائي.

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥٥﴾  
وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكَمٍّ وَنُزْلًا نَزِيلًا ﴿١٥٦﴾  
قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذَانِ سُجَّدًا ﴿١٥٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٥٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْآذَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٥٩﴾ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَتَبْغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٦٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِنَ الدَّلِيلِ وَكَرِهَ تَكْبِيرًا ﴿١٦١﴾

### سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا لِمَنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَكِينٍ فِيهِ ابْدَأَ ﴿٣﴾ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

آخر السورة (٣). والله - تعالى - أعلم (٤).

### سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

[مكية إلا ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ الآية .]

مائة وعشر آيات أو خمس عشرة آية، نزلت بعد سورة الغاشية (٤)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ﴾ وهو الوصف بالجميل، ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ تعالى، وهل المراد

(٥) ما جاء في رول الآية (١١٠): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يرفع صوته بالقرآن، وكان المشركون إذا سمعوا صوته سبوا القرآن ومن جاء به، فكان النبي ﷺ يخفض صوته بالقرآن ما كان يسمعه أصحابه، فأقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا﴾ وَأَبْشِرْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا. النسائي - كتاب الافتتاح (١١) باب (٨٠)، وأخرجه أيضًا بنحوه البخاري في كتاب التفسير (٦٥) باب (١٤)، ومسلم في كتاب الصلاة (٤) باب (٣١).

(٦) قَالَ مُؤَلَّفُهُ: هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الذي أَلَّفَهُ الشيخ الإمام العالم الحق جلال الدين المحلي الشافعي رحمه الله، وقد أفرغت فيه جهدي، وبذلت فكري فيه في نقاش أراها إن شاء الله تعالى يجدي، وألغته في مدة قدر ميعاد الكليم (١)، وجعلته وسيلة للفوز بجنات النعيم، وهو - في الحقيقة - مستفاد من الكتاب المكمل، وعليه في الآي المشابهة الاعتماد والمعلول، فرحم الله امرأً نَظَرَ بعين الانصاف إليه، ووقف فيه على حَقٍّ، فأطعني عليه. وَقَدْ قُلْتُ:

(١) أخرج نحوه ابن مردويه وابن جرير عن ابن عباس (الدر المنثور (٣٧٣/٤)). وضعف صاحب الاستيعاب إسناده (٤٦٤/٢). (٢) الترمذي (٣٤٢٩) من حديث أبي هريرة مرفوعاً وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٦٩٦). وأسماء الله ﷻ ليست محصورة بهذه الأسماء، بل لا حصر لها، أو لا سبيل لبشر إلى ذلك، كما قال ﷻ: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ اسْمُكَ هُوَ لَكَ؛ سَقِيتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَرْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَشْتَاتَوْهُ بِهٍ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ...». أخرجه أحمد في المسند (٣٧٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الكلم الطيب (١٠٢). (٣) أحمد (١٥٠٨١) عن معاذ بن أنس مرفوعاً، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٩) والسلسلة الضعيفة (٥٣/٤) رقم (١٥٤٧). (٤) من أول سورة الكهف يبدأ القسم الذي فسر الجلال المحلي رحمه الله.

(٥) وهو أربعون يوماً؛ حيث فرغ من جمعه وتسويده، أما تحريره ونقله من المسودة فإلى سادس صفر، وهي مدة أربعة أشهر إلا أربعة أيام كما سيأتي.

[١٥٥] ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ المشتغل عليه ﴿نَزَلَ﴾ كما أنزل لم يعثره تبديل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ من أمن بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ من كفر بالنار. [١٥٦] ﴿وَقُرْءَانًا﴾ منصوب بفعل يفعله ﴿وَقُرْءَانُهُ﴾ نزلناه مفرقاً في عشرين سنة أو ثلاث ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكَمٍّ﴾ مهل وتؤدة ليفهموه ﴿وَنُزْلًا نَزِيلًا﴾ شيئاً بعد شيء على حسب المصالح. [١٥٧] ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ تهديد لهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ قبل نزوله، وهم مؤمنو أهل الكتاب ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذَانِ سُجَّدًا﴾. [١٥٨] ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ تنزيهاً لها عن خلف الوعد ﴿إِنْ﴾ مخفية ﴿كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ بنزوله وبعث النبي ﷺ ﴿لَمَفْعُولًا﴾. [١٥٩] ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْآذَانِ يَبْكُونَ﴾ عطف بزيادة صفة ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ القرآن ﴿خُشُوعًا﴾ تواضعاً لله. [١٦٠] وكان ﷺ يقول: «يا الله يا رحمن» فقالوا: بينها أن نعيد إليهم وهو يدعو إليها آخر معه، فنزل: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ أي: سموه بأيهما أو نادوه بأن تقولوا: يا الله يا رحمن (١)، ﴿أَيُّكُمْ﴾ شرطية ﴿فَمَا﴾ زائدة؛ أي: أي هذين ﴿تَدْعُوا﴾ فهو حسن، دل على هذا: ﴿قُلْ﴾ أي: لسماعهما ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ وهذا منها، فإنها كما في الحديث: «الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، الباري، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكيم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المحيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الأحد، الصمد، القادر، المقدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، اتواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور» (رواه الترمذي) (٢)، قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ﴾ بقرأتك بها فيسمعك المشركون فيسبوك ويسبوا القرآن ومن أنزله ﴿وَلَا تَخَافُوهَا﴾ تسر بها ﴿وَلَا﴾ ليتضع أصحابك ﴿وَلَا تَبْشِرْ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الجهر والمخافة ﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً وسطاً (٣). [١٦١] ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ في الألوهية ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ﴾ ينصره ﴿مِنْ﴾ أجل ﴿الَّذِي﴾ أي: لم يذل فيحتاج إلى ناصر ﴿وَكَرِهَ تَكْبِيرًا﴾ عظمه عظمة تامة عن اتخاذ الولد الشريك والذل وكل ما لا يليق به، وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على أنه المستحق لجميع الحمد لكل ما ذاته وتفرده في صفاته، وروى الإمام أحمد في «مسنده» عن معاذ الجهني عن رسول الله ﷺ أن كان يقول: «آية العز: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ إلى

أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٌ ﴿١﴾ الْكِتَابَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ فِيهِ عِلْمًا ﴿٣﴾ اخْتِلَافًا أَوْ تَنَاقُضًا، والحكمة حال من «الكتاب».

[٢] ﴿يَسْمَعُ﴾ مستقيمًا، حال ثانية مؤكدة ﴿يُسْمِعُ﴾ يخوف بالكتاب الكافرين ﴿بِأَسْمَاءٍ﴾ عذابًا ﴿شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ﴾ من قبل الله ﴿وَيُنِيرُ الْغُيُوبَ﴾ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴿تَنَكُّبٌ﴾ فِيهِ أَبْكَاءٌ هو الحجة [٤] ﴿وَسُيُورٌ﴾ من جملة الكافرين ﴿وَالَّذِينَ قَالُوا أَتُحَدِّثُ اللَّهُ وَلَئِكَ﴾ [٥] ﴿مَا لَهُمْ بِهِ﴾ بهذا القول ﴿مِّنْ عِلْمٍ وَلَا لِإِبْرَاهِيمَ﴾ من قبلهم القائلين له ﴿كَذَّبْتَ﴾ عظمت ﴿كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ «كلمة» تقيس مفسر للضمير المهم، والمخصوص بالمدح محذوف؛ أي: مقاتلهم المذكورة ﴿إِنَّ﴾ ما ﴿يَقُولُونَ﴾ في ذلك ﴿وَالَّذِينَ قَالُوا أَتُحَدِّثُ﴾ [٦] ﴿فَلَمَّا لَمْ يَنْجُ﴾ مهلك ﴿فَنَفَسَكَ عَلَىٰ عَائِزِهِمْ﴾ بعدهم؛ أي: بعد توليهم عنك ﴿إِنَّ لَّكَ يَوْمَئِذٍ بِهَذَا الْخَبِيرِ﴾ القرآن ﴿أَسْفًا﴾ غيظًا وحرنا منك؛ لحرصك على إيمانهم، ونصبه على المفعول له. [٧] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾ من الحيوان والنبات والشجر والأنهار وغير ذلك ﴿زِينَةً لِّمَن يَسْمَعُ﴾ لاختير الناس الناظرين إلى ذلك ﴿أَنَّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فيه؛ أي: أزهد له<sup>(١)</sup>. [٨] ﴿وَأَنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾ فناءً ﴿جَزْأًا﴾ يابسا لا يثبت. [٩] ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ أي: ظننت ﴿أَنَّا أَصْحَابُ الْكَهْفِ﴾ الغار في الجبل ﴿وَالرَّقِيمِ﴾ اللوح المكتوب فيه أسماءهم وأنسابهم، وقد سئل ﷺ عن قصتهم ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ في قصتهم ﴿مِّنْ﴾ جملة ﴿ءَايَاتِنَا عَجَبًا﴾ خبر كان، وما قبله حال؛ أي: كانوا عجبًا دون باقي الآيات، أو أعجبها، ليس الأمر كذلك.

[١٠] اذكر ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ جمع فتى، وهو الشاب الكاس، خائفين على إيمانهم من قومهم الكفار ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنْكَ مِّن قَبْلِكَ﴾ رَجَعْنَا وَهَيْئًا أصلح ﴿لَنَا مِن أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ هداية. [١١] ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ﴾ أي: أَعْمَيْنَاهُمْ ﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ معدودة. [١٢] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أَيْقَظْنَاهُمْ ﴿لِنَعْلَمَ﴾ علم مشاهدة

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِإِبْرَاهِيمَ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿١﴾ فَلَعَلَّكَ بِنَجْعِ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ هَذَا الْحَدِيثَ أَسَفًا ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٣﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٤﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٥﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنْكَ رَحْمَةً وَهِيَ لَنَا مِن أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿٦﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿٧﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَمْ يَتْلُوا أَمَدًا ﴿٨﴾ تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ بَنَاهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿٩﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوهُنَّ دُونَهُ إِنَّا لَقَدْ فَتَنَّا إِذَا شَطَطًا ﴿١٠﴾ هَلْؤَلَاءِ قَوْمٌ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١١﴾

الإعلام بذلك للإيمان به أو الشك به أو هما؟ احتمالات، أفيدها الثالث ﴿الَّذِي

عَدَدْتُ اللَّهُ زَمِي إِذْ هَدَانِي  
فَمَنْ لِي بِمَقَالَةٍ كَأَنَّهُ عَنَّهُ  
لَمَّا أُنْذِرْتُ نَجْعَ عَجَبِي وَشَغْفِي  
وَمَنْ لِي بِالْقُدُوبِ وَلَوْ بِحَرْبِ

هذا، ولم يكن قط في تخليدي أن أتمرض لذلك؛ لعلمي بالعجز عن الخوض في هذه المسالك، وعسى الله أن ينفع به نفعًا جبارًا، فيفتح به قلوبًا عُثْمًا، وأعينًا عُثْمًا، وأذنانًا صُفًا، وكأني بن اعتاد المطولات، وقد أَشْرَبَتْ من هذه التكملة وأصلها حسنًا، وعدل إلى صريح العناد، ولم يوجه إلى دقائقها فهما ﴿وَمَنْ كَلَّمَ فِي هَذِهِ أَشَمُّ فَهَرٍ فِي الْخَيْرَةِ أَشَمُّ﴾. رزقا الله به هداية إلى سبيل الحق وتوفيقًا وإطلاعا على دقائق كلماته وغتفقا، وجعلنا به ﴿مَعَ الْوَيْلِ أَنَّمَا اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ الْكَيْفِ وَالْخَيْرِ وَالْشَّهَادَةِ وَالصَّلَاحِ وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾. وفرغ من تأليف يوم الأحد عاشر شوال سنة سبعين وثمانمائة، وكان ابتداء في يوم الأربعاء استهل رمضان من السنة المذكورة، وفرغ من تبينه يوم الأربعاء سادس صفر سنة إحدى وسبعين وثمانمائة، والله أعلم. قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر الخطيب الطونسي: أخبرني صديقي العلامة كمال الدين المحلي أخو شيخنا الشيخ جلال الدين المحلي - رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى - أنه رأى أخاه الشيخ جلال الدين المذكور في النوم يديه صديقنا الشيخ العلامة الخفوق جلال الدين السيوطي مصنف هذه التكملة، وقد أخذ الشيخ هذه التكملة في يده وتصفحها ويقول لمصنفها المذكور: أَيُّهَا أَحْسَنُ وَضْعِي أَوْ وَضَعُكَ؟ فقال: فقال: انظر، وعرض عليه مواضع فيها، وكأنه يشير إلى اعتراض فيها بلفظ، ومصنف هذه التكملة كلما أورد عليه شيئا يجيبه والشيخ ينسجم ويضحك. قال شيخنا الإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي مصنف هذه التكملة: الذي أعقده وأجزم به أن الوضع الذي وضعه الشيخ جلال الدين المحلي - رَجَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى - في قلعته أحسن من وضعي أنا بطريقتي كثيرة؛ كيف وَغَالِبٌ ما وضعه هنا متيسر من وضعه ومستفاد منه لا مريه عدي في ذلك، وأما الذي يُرَى في المنام المكتوب أعلاه، فلعل الشيخ أشار به إلى المواضع القليلة التي خالفك وضعه فيها؛ لكنه، وهي سيرة جدًا، ما أَطْفَأَ تَبَعٌ عَشْرَةَ مواضع: منها: أن الشيخ قال في «سورة ص»: والروح جسم لطيف يحيى به الإنسان بنفذه فيه. وكنت تبعته أولا؛ فذكرت هذا الحد في «سورة الحجر» ثم ضربت عليه؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَيَتَذَكَّرُ فِي نَافْسِهِ مِمَّا أُتِيَ بِهِ﴾ الآية، فهي صريحة أو كالصريحة في أن الروح من علم الله - تعالى - لا تعلمه؛ فالإمسك عن تعريفها أولى؛ ولذا قال الشيخ تاج الدين بن السبكي في «جمع الجوامع»: والروح لم يكلم عليها محمد ﷺ؛ فنسك عنها. ومنها: أن الشيخ قال في «سورة الحج»: الصابون فرقة من اليهود. فذكرت ذلك في «سورة البقرة»، وزدت: أو النصارى؛ بيانا لقول ثانيا؛ فإنه المعروف؛ خصوصا عند أصحابنا لفقهاء، وفي «فناهاج»؛ وإن خالفتم السامرة اليهود والصابئة النصارى في أصل دينهم، وفي «شروحه» أن الشافعي رحمه الله نقل على أن الصابيين فرقة من النصارى، ولا أستحضر الآن موضعا ثالثا؛ فكان الشيخ - رَجَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى - يشير إلى مثل هذا، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

(١) قال في حاشية الصاوي: «والمنى: تعجز بين حسن العمل وسيئه بتلك الرينة؛ فمن زهداها كان من أهل الحسن، ومن رغب فيها كان بضد ذلك» (٤/٣). وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: «أي أخلصه وأصوبه». تفسير الكرم الرحمن، ص (٥٠٤).



وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْرَأْنَا إِلَى الْكَهْفِ  
 يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَاقًا  
 ﴿١٦﴾ وَرَأَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوَعْنَ كَهْفَهُمْ ذَاتِ  
 الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبَهُمْ ذَاتِ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ  
 مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ  
 يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحَسَّبُهُمْ أَنْ يَقَاطَا  
 وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَهُمْ ذَاتِ الْيَمِينِ وَذَاتِ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ  
 بَسِيطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ  
 فِرَارًا وَلَمُلَمْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ  
 لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْنَا قَالُوا لَبِثْنَا  
 يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا  
 أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى  
 طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ  
 بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ  
 أَوْ يُعَذِّبُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

ذلك: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ فابْعَثُوا أَحَدَكُمْ ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾ بسكون  
 الراء وكسر هاء<sup>(١)</sup>؛ فبضعتكم ﴿هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ يقال: إنها المسماة الآن  
 (طَرُوس) بفتح الراء<sup>(٢)</sup> ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ أي: أي أطعمة المدينة  
 أحل ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾  
 [٢٠] ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ يقتلوكم بالرجم ﴿أَوْ  
 يُعَذِّبُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا﴾ أي: إن عدم في ملتهم ﴿أَبَدًا﴾.

﴿أَيُّ الْحَرَيْنِ﴾ الفريقين المختلفين في مدة لبثهم ﴿أَحْصَى﴾ أفعال بمعنى أضبط  
 ﴿لِمَا لَبِثُوا﴾ للبث، متعلق بما بعده ﴿أَمَدًا﴾ غاية. [١٣] ﴿فَتَنْ نَقُصُّ﴾  
 نقرأ ﴿عَلَيْكَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ بالصدق ﴿إِنَّهُمْ فِيهِ عَامَتُوا بِرَبِّهِمْ وَذُنُوبُهُمْ  
 هُدًى﴾. [١٤] ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قلوبناهم على قول الحق ﴿إِذْ  
 قَامُوا﴾ بين يدي ملكهم وقد أمرهم بالسجود للأصنام ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رَبِّ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿إِنَّمَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا  
 شَطَطًا﴾ أي: قولاً ذا شطط؛ أي: إفراط في الكفر إن دعونا إلهاً غير الله،  
 قرئاً [١٥] ﴿هَذُلًا﴾ مبتدأ ﴿قَوْمًا﴾ عطف بيان ﴿أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ  
 ءَالِهَةً لَوْلَا هَؤُلَاءِ عَلَيْهِمْ﴾ على عبادتهم ﴿يُسَلِّطِينَ بَيْنَ﴾  
 بحجة ظاهرة ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لا أحد أظلم ﴿مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾  
 بنسبة الشريك إليه - تعالى -.

[١٦] قال بعض الفتيه لبعض: ﴿وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ  
 فَأَوْرَأْنَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَاقًا﴾  
 بكسر الميم وفتح الفاء، وبالعكس<sup>(١)</sup>؛ ما تترفقون به من غداء وعشاء.  
 [١٧] ﴿وَرَأَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوَعْنَ﴾ بالتشديد والتخفيف<sup>(٢)</sup>  
 تميل ﴿عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتِ الْيَمِينِ﴾ ناحيته ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبَهُمْ ذَاتُ  
 الشِّمَالِ﴾ تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم ألبته ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾  
 متمس من الكهف بناهم برد الريح ونسيمها ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿وَمِنْ آيَاتِ  
 اللَّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ  
 وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾.

[١٨] ﴿وَتَحَسَّبُهُمْ﴾ لو رأيتمهم ﴿أَيْقَاطَا﴾ أي: متبهن؛ لأن أعينهم  
 مفتوحة، جمع (يقظ) بكسر القاف ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ نيام، جمع راقد  
 ﴿وَنُقِلَهُمْ ذَاتِ الْيَمِينِ وَذَاتِ الشِّمَالِ﴾ لئلا تأكل الأرض لحومهم ﴿وَكَلْبُهُمْ  
 سِيطٌ ذِرَاعِيهِ﴾ يديه ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ بفناء الكهف، وكانوا إذا انقلبوا انقلب  
 هو مثلهم في النوم واليقظة ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا  
 [وَلَمُلَمْتَ]﴾ بالتشديد والتخفيف<sup>(٣)</sup> ﴿مِنْهُمْ رُعبًا﴾ بسكون العين  
 وضمتها<sup>(٤)</sup>، منعم الله بالربع من دخول أحد عليهم.

[١٩] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما فعلنا بهم ما ذكرنا ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾ أبقظناهم  
 ﴿لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ عن حالهم ومدة لبثهم ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْنَا  
 قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس  
 وبعثوا عند غروبها فظنوا أنه غروب يوم الدخول، ثم ﴿قَالُوا﴾ متوقفين في

(١) يفتح الميم وكسر الفاء قراءة نافع وابن عامر.

(٢) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ ابن عامر بإسكان الزاي وتشديد الراء من غير ألف.

(٣) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير.

(٤) بالضم قراءة الكسائي وابن عامر.

(٥) بالسكون قراءة حمزة وشعبة وأبي عمرو.

(٦) وفي مجمل ما استعجم ليكرى «طَرُوس» بضم أوله، وإسكان ثانيه: معروفة، من الثغور الجزرية. قال أبو حاتم: هكذا يقول الأصمعي. وغيره يقول: «طَرُوس»... (٨٩٠/٣).

[٢٢] ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي: المتنازعون في عدد الفتية في زمن النبي ﷺ أي: يقول بعضهم: هم ﴿ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُهُمْ كُلَّهُمْ وَيَقُولُونَ﴾ أي بعضهم: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُلُّهُمْ﴾ والقولان لنصارى نجران ﴿رَجَاءً بِالْغَيْبِ﴾ أي: ظنًا في الغيبة عنهم، وهو راجع إلى القولين معًا، ونصبه على المفعول له، أي: لظنهم ذلك ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي المؤمنون: ﴿سَبْعَةٌ وَتَأْتِيهِمْ كُتُبُهُمْ﴾ الجملة من المبتدأ وخبره صفة «سبعة» بزيادة الواو، وقيل: تأكيد أو دلالة على لصوق الصفة بالموصوف، ووصف الأولين بالرجم دون الثالث دليل على أنه مرضي وصحيح ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال ابن عباس: أنا من القليل. وذكرهم سبعة<sup>(١)</sup> ﴿فَلَا تَعْمَارٍ﴾ تجادل ﴿فِيهِمْ إِلَّا مِرَّةً ظَهَرَ﴾ بما أنزل عليك ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ﴾ تطلب الفتيا ﴿وَنُفِثَهُمْ﴾ من أهل الكتاب اليهود ﴿أَسَدًا﴾.

[٢٣] وسأله أهل مكة عن خبر أهل الكهف فقال: «أخبركم به غدا» ولم يقل: إن شاء الله فنزل ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ﴾ أي: لأجل شيء ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ أي: فيما يستقبل من الزمان [٢٤] ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إلا ملتفتا بمشيئة الله - تعالى - بأن تقول: إن شاء الله ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ﴾ أي: مشيئته معلقًا بها ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ ويكون ذكرها بعد النسيان كذكرها مع القول، قال الحسن وغيره: ما دام في المجلس<sup>(٢)</sup> ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي لِقُرْبَىٰ مِنْ هَذَا﴾ من خبر أهل الكهف في الدلالة على نبوتي ﴿رُسُلًا﴾ هداية، وقد فعل الله ذلك.

[٢٥] ﴿وَلْيَتْلُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ وَتِسْعِينَ﴾ بالتونين<sup>(٣)</sup> ﴿سِتِينَ﴾ عطف بيان لـ «ثلاثمائة»، وهذه السنون الثلاثمائة عند أهل الكهف شمسية وتزيد القمرية عليها عند العرب تسع سنين، وقد ذكرت في قوله: ﴿وَأَزْدَادُوا تِسْعًا﴾ أي: تسع سنين، فالثلاثمائة الشمسية ثلاثمائة وتسع قمرية.

[٢٦] ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيَتْلُوا﴾ من اختلفوا فيه، وهو ما تقدم ذكره ﴿لَمْ يَغِيبْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: علمه ﴿أَبْصُرَ بِهِ﴾ أي: بالله هي صيغة تعجب ﴿وَأَسْمِعُ﴾ به كذلك بمعنى ما أبصره وما أسمع، وهما على جهة المجاز<sup>(٤)</sup>، والمراد أنه - تعالى - لا يغيب عن بصره وسمعه شيء ﴿مَا لَكُمْ﴾ لأهل السماوات والأرض ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ من ولني ناصر ﴿وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ لأنه غني عن الشريك.

[٢٧] ﴿وَأَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ملجأ.

وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّلُ فِي بَيْنِهِمْ أَنُفُسُهُمْ أَفَرَأَوْهُمُ فَقَالُوا بُنُوآءُ عَلَيْهِمْ بَنِيَانًا زُيِّنَ لَهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ عَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُهُمْ كُلَّهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُلُّهُمْ رَجَاءً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَتَأْتِيهِمْ كُلُّهُمْ فَلْيَرْبِ أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تَعْمَارٍ فِيهِمْ إِلَّا مِرَّةً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي لِقُرْبَىٰ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿وَلْيَتْلُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ وَتِسْعِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيَتْلُوا اللَّهُ غِيبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿وَأَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿

[٢١] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما بعثناهم ﴿أَغْتَرْنَا﴾ أطلعنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ قومهم والمؤمنين ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ أي: قومهم ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ﴾ بطريق أن القادر على إقامتهم المدة الطويلة وإبقائهم على حالهم بلا غداء، قادر على إحياء الموتى ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهَا﴾ إذ: معمول لـ «أغترنا» ﴿يَتَنَزَّلُونَ﴾ أي: المؤمنون والكفار ﴿بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ﴾ أمر الفتية في البناء حولهم ﴿فَقَالُوا﴾ أي الكفار: ﴿بُنُوآءُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: حولهم ﴿بَنِيَانًا﴾ يستريحهم ﴿وَرُيِّنَ لَهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ قَالَ الَّذِينَ عَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ ﴿أمر الفتية وهم المؤمنون<sup>(١)</sup>﴾: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ حولهم ﴿مَسْجِدًا﴾ يصلى فيه، وفعل ذلك على باب الكهف.

(١) الظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ، وقيل: هم أهل الشرك منهم وليسوا المسمون. وعلى أي حال فقد جله شرعًا بتحريم ذلك، قال ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». يحنز ما فعلوا. رواه البخاري (٤٣٦)، ومسلم (٥٣١)، وقال ﷺ: «... أَلَا وَانْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ صَالِحِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، فإني أنذركم عن ذلك». رواه مسلم (٥٣٢).

(٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهم عنه [الدر المنثور (٣٩٤/٤)].

(٣) أخرجه نحوه ابن المنذر عن مجاهد [الدر المنثور (٣٩٤/٤)] وذكره محمد بن إسحاق عن ابن عباس كما في تفسير ابن كثير (٧٧، ٧٠/٣)، وضعف إسناده في الاستيعاب (٤٧١/٢).

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (١٦٢/٥)، وأخرج ابن أبي حاتم عن طريق عمرو بن دينار عن عطاء أنه قال: من حلف على يمين فله الثيا حلب ناقة. قال: وكان طاووس يقول: ما دام في مجلسه [الدر المنثور (٣٩٤/٤)].

(٥) وقرأ حمزة والكسائي بغير تنوين.

(٦) بل هما على جهة الحقيقة، نبتهما لله ﷻ على الوجه اللائق به من غير تكيف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل.

[٢٨] ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ احْسَبْهَا مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفُتُورِ وَالْعَنِيِّ يُرِيدُونَ عِبَادَتَهُمْ وَجْهَهُ﴾ تعالى، لا شيئاً من أعراض الدنيا، وهم الفقراء «وَلَا تَقْدُ» تنصرف «عَيْنَاكَ عَنْهُمْ» عبر بهما عن صاحبهما «يُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا نَطْمَعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا» أي: القرآن، هو عينة ابن حصن وأصحابه «وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ» في الشرك «وَكُنَّا أَمْرُهُ قُرْطًا» إسرافاً<sup>(١)</sup>.

[٢٩] ﴿وَقُلْ لَهُ وَأَصْحَابُهُ هَذَا الْقُرْآنُ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ تهديد لهم «إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ» أي: الكافرين «نَارًا أَحَاطَ بِهِنَّ سُرَادِقُهَا» ما أحاط بها «وَلَنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاوُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ» كحمر الزيت «يَشْوِي الْوُجُوهَ» من حره إذا قرب إليها «يَسْكَ الشَّرَابِ» هو «وَسَاءَتْ» أي: النار «مُرْتَفَقًا» تمييز منقول عن الفاعل، أي: فُجِحَ مرتفقها، وهو مقابل لقوله الآتي في الجنة: «وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا» ولا فأي ارتفاق في النار.

[٣٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ الجملة خبر «إِنَّ الَّذِينَ»، وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر، والمعنى: أجروهم؛ أي: نبيهم بما تضمنته.

[٣١] ﴿أُولَئِكَ هُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ إقامه «يَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ» قيل: «ومن» زائدة، وقيل: للتبعض، وهي جمع أسورة كأحمره، جمع سوار «وَمِنْ ذَهَبٍ وَيَبْسُوْنَ ثِيَابًا خَضِرًا مِنْ سُنْدُسٍ» ما رقى من الديباج<sup>(١)</sup> «وَيَسْتَرْقُونَ» ما غلظ منه، وفي آية الرحمن «يَلْبَسُونَ ثِيَابًا خَضِرًا مِنْ سُنْدُسٍ»<sup>(٢)</sup> «مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ» جمع أريكة، وهي السرير في الحجرة، وهي بيت يزين بالثياب والستور للعرس «وَيَوْمَ الثَّوَابِ» الجزاء الجنة «وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا».

[٣٢] ﴿وَأَنْتَرِبَ اجعل «لَهُمْ» للكفار مع المؤمنين «مَثَلًا لَظَالِمِينَ» بدل، وهو وما بعده تفسير للمثل «جَعَلْنَا لِأَكْثَرِهِمُ الْكَافِرَ جَنَّاتٍ» يستأنين «وَمِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَافَتُهُمَا يَنْخُلُ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا» يقات به.

[٣٣] ﴿كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ» «كلنا» مفرد يدل على التثنية، مبتدأ «ءَأَنْتَ» خبره «أَكْأَلَهُمَا» ثمرها «وَلَمْ تَطْلُرْ» تنقص «وَبَيْنَهُمَا شِجَرًا وَقَجْرًا» أي: شققنا «جَعَلْنَاهُمَا نَهْرًا» يجري بينهما.

[٣٤] ﴿وَكُنَّا لَكُمْ» مع الجنتين «ثَمَرًا» بفتح التاء والميم، وبضمهما، وبضم الأول وسكون الثاني<sup>(٣)</sup>، وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر، وخشبة

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْعَنِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِنَّ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاوُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خَضِرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَاسْتَرْقُونَ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعَمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ وَاصْبِرْ لَهُمْ مَثَلًا لِرَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لَاحِدَهُمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ ءَأَنْتَ أَكْأَلَهُمَا وَنَحْنُ نَطْلُرُهُمَا شِجَرًا وَجَعَلْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُمَا تَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

وخشُب، وبدنة وبدن «فَقَالَ لِصَاحِبِهِ» المؤمن «وَهُوَ يُحَاوِرُهُ» يفاخره: «أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا» عشيرة.

(١) ما جاء في نزول الآية (٢٨): أخرج ابن ماجه عن حباب في قوله: «وَلَا تَطْلُرْ الْأَرْنَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ» إلى قوله: «كُنَّا لَكُمْ مَثَلًا لَظَالِمِينَ» قال: جاء الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن الفزاري فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعد في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول النبي ﷺ حفرهم، فأتوه، فخلوا به، وقالوا: نريد أن نجعل لنا منك مجلس تعرف لنا به العرب فضلاً، فإن وفود العرب تأتيك فستحي أن نرانا العرب مع هذه الأعداء. فإذا نحن جنك فأفهم عنك، فإذا نحن فرغنا فأفهمهم إن شئت. قال: نعم. قالوا فاكب لنا عليك كتاباً، قال: فدعا بصحيفة ودعا علياً ليكتب، ونحن قوم في ناحية منزل جبريل عليه السلام، فقال: «وَلَا تَطْلُرْ الْأَرْنَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْعَنِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابٍ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابٍ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْلُرُهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ».

وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركتنا، فأقول الله: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْعَنِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَقْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ» لا تجالس الأشراف. «يُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا نَطْمَعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا» يعني عيينة والأقرع «وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا» قال: هلاكاً. قال: أمر عيينة والأقرع ثم ضرب لهم مثل الرجلين، ومثل الحياة الدنيا. قال حبيب: فكنا نعد مع النبي ﷺ فإذا بلما الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم. ابن ماجه - كتاب الزهد (٣٧) باب (٧) مجالسة الفقراء (صحيح) صحيح سنن ابن ماجه (٣٢٢٩).

(١) أي الحرير.

(٢) الرحمن: ٥٤.

(٣) بضمهما قراءة السبعة عدا عاصم وأبي عمرو، وبضم التاء وسكون الميم قراءة أبي عمرو، وبفتح التاء والميم قراءة عاصم.

وَن دَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٨﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٩﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ تُظْفَقُ ثُمَّ سَوَّيَكَ رَجُلًا ﴿٤٠﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤١﴾ وَلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٤٢﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَِيعِدًا زَلَقًا ﴿٤٣﴾ أَرْضًا مَّلسَاءَ لَا يَبُتُّ عَلَيْهَا قَدَمٌ ﴿٤٤﴾ أَوْ يُصْبِحُ مَاؤها غُورًا ﴿٤٥﴾ بِمَعْنَى: غَائِرًا، عطف على «يُرسِل» دون «تُصبح»؛ لأن غور الماء لا يتسبب عن الصواعق ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَبًا﴾ حيلة تدركه بها.

﴿٤٠﴾ [٣٨] ﴿لَكِنَّا﴾ أصله (لكن أنا)، نقلت حركة الهجمة إلى النون أو حذفت الهجمة ثم أدمغت النون في مثلها ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن تفسيره الجملة بعده، والمعنى: أنا أقول: ﴿اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

﴿٣٩﴾ [٣٩] ﴿وَلَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ﴾ عند إعجابك بها: هذا ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ وفي الحديث: «من أعطي خيرًا من أهل أو مال فيقول عند ذلك: ما شاء الله لا قوة إلا بالله؛ لم ير فيه مكروها» <sup>(١)</sup> ﴿إِن تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ضمير فصل بين المفعولين ﴿أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾.

﴿٤٠﴾ [٤٠] ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ﴾ جواب الشرط ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾ جمع حسبانة؛ أي: صواعق ﴿مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَِيعِدًا زَلَقًا﴾ أرضًا ملساء لا يثبت عليها قدم ﴿٤١﴾ [٤١] ﴿أَوْ يُصْبِحُ مَاؤها غُورًا﴾ بمعنى: غائراً، عطف على «يُرسِل» دون «تُصبح»؛ لأن غور الماء لا يتسبب عن الصواعق ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَبًا﴾ حيلة تدركه بها.

﴿٤٢﴾ [٤٢] ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ بأوجه الضبط السابقة <sup>(٢)</sup> مع جنته بالهلاك فهلكت ﴿فَأُصْبِحَ يَقَلِّبُ كُفَيْدًا﴾ ندماً وتعسراً ﴿وَعَلَىٰ مَا أَفْقَىٰ فِيهَا﴾ في عمارة جنته ﴿وَهِيَ حَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿وَعَلَىٰ غُرُوشِهَا﴾ دعائها للكرم بأن سقطت، ثم سقط الكرم ﴿وَيَقُولُ يَا رَبِّ لَنَنْبِئَنَّهُ لَنُشْرِكَ رَبِّيَ أَحَدًا﴾.

﴿٤٣﴾ [٤٣] ﴿وَلَمْ تَكُنْ﴾ بالتاء والياء <sup>(٣)</sup> ﴿لَمْ يَنْفَعْ﴾ جماعة ﴿بَصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ عند هلاكها ﴿وَمَا كَانَ مُنْصِرًا﴾ عند هلاكها بنفسه.

﴿٤٤﴾ [٤٤] ﴿هَٰئِلَاتِ﴾ أي: يوم القيامة ﴿الْوَلِيَّةُ﴾ بفتح الواو: النصر، وبكسرهما <sup>(٤)</sup>: الملك ﴿لِلَّهِ﴾ [الْحَقُّ] بالرفع صفة «الولاية»، وبالجر صفة الجملة <sup>(٥)</sup> ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ من ثواب غيره لو كان يثيب ﴿وَحَيْرٌ﴾ غَفْيًا ﴿بِضْمِ الْقَافِ وَسُكُونِهَا﴾ عاقبة للمؤمنين، ونصبهما على التمييز.

﴿٤٥﴾ [٤٥] ﴿وَأُصْرِبَ﴾ صَيَّرَ ﴿لَهُمْ﴾ لقومك ﴿مَثَلُ الْيَوْمِ الدُّنْيَا﴾ مفعول أول ﴿كَمَاءٍ﴾ مفعول ثانٍ ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ تكاثف بسبب نزول الماء ﴿يَبَأْتُ الْأَرْضِينَ﴾ أو امتزج الماء بالنبات فزوي وخشن ﴿فَأُصْبِحَ﴾ صار النبات ﴿هَشِيمًا﴾ يابساً متفرقة أجزاؤه ﴿تَذَرُوهُ﴾ تنثره وتفرقه ﴿الرَّيْحُ﴾ فنذهب به، المعنى: شبه الدنيا نبات حسن فينبس فتكسر ففرقه الرياح، وفي قراءة: ﴿الرَّيْحُ﴾ <sup>(٦)</sup> ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ قادراً.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٨﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٩﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ تُظْفَقُ ثُمَّ سَوَّيَكَ رَجُلًا ﴿٤٠﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤١﴾ وَلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٤٢﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَِيعِدًا زَلَقًا ﴿٤٣﴾ أَوْ يُصْبِحُ مَاؤها غُورًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ وَطَبًا ﴿٤٤﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهَ عَلَىٰ مَا أَفْقَىٰ فِيهَا وَهِيَ حَاوِيَةٌ عَلَىٰ غُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلْبِثُنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٥﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ وَفْتَهُ يَصْرُوهُ وَمِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ﴿٤٦﴾ هَٰئِلَاتِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٧﴾ وَأَصْرِبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذَرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٨﴾

﴿٣٥﴾ [٣٥] ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ بصاحبه بطوف به فيها ويريه أثمارها، ولم يقل: جنته؛ إرادة للرؤية، وقيل: اكتفاء بالواحد ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ بالكفر ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾ تنعدم «هذه أبداً».

﴿٣٦﴾ [٣٦] ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَى رَبِّي﴾ في الآخرة على زعمك ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ مرجعاً.

﴿٣٧﴾ [٣٧] ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ يجاوبه: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ

(١) لم أجده بهذا اللفظ. وأخرج نحوه أبو يعلى وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أنس مرفوعاً بلفظ: «ما أنعم الله على عبد نعمة؛ من أهل أو مال أو ولد، فيقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، إلا دفع الله عنه كل أفة، حتى تأتيه ميتة». وانظر: [الدر المنثور (٤/٤٠٥)]، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٠٢٦).

(٢) أي: السابق يأنها في قوله - تعالى -: ﴿وَكَانَ لَهُ قَمَرٌ﴾ وللقرآن أنفسهم.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٤) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

(٥) بالرفع قراءة الكسائي ونسب عمرو.

(٦) بالسكون قرأ عاصم وحمزة، وقرأ الباقون بالضم.

(٧) لحمزة والكسائي.

[٤٦] ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يتجمل بهما فيها ﴿وَالْبَاقِيَتُ أَخْسَرُ مِنْ هَٰؤُلَاءِ﴾ هي: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»، زاد بعضهم: «ولا حول ولا قوة إلا بالله»<sup>(١)</sup> «خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا» أي: ما يأمله الإنسان ويرجوه عند الله - تعالى ..

[٤٧] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتَقَرَّبُونَ﴾ يذهب بها عن وجه الأرض فتصير هباءً منبثًا، وفي قراءة بالنون وكسر الباء ونصب «الجال» ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ ظاهرة ليس عليها شيء من جبل ولا غيره ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ المؤمنين والكافرين ﴿فَلَمْ تَقْدِرُوا﴾ نترك ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

[٤٨] ﴿وَعَرَّضُوا عَنْ رَبِّكَ صَفًا﴾ حال؛ أي: مصطفين كل أمة صف، ويقال لهم: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: فرادى حفاة عراة غرلاً، ويقال لمنكري البعث: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ خَفَافَةٌ مِنَ الْثِقَالِ﴾ أي: أنه ﴿أَنْ تَجْعَلَ لِكُلِّ مَوْعِدَةٍ لِلْبَعثِ﴾.

[٤٩] ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ كتاب كل امرئ في يمينه من المؤمنين، وفي شماله من الكافرين ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مُتَشَفِّعِينَ﴾ خائفين ﴿وَمِمَّا فِيهِ يُنْفِقُونَ﴾ عند معابنتهم ما فيه من السيئات: ﴿يَا﴾ للتبيين ﴿وَلَيْتَنَّا هَلَكْنَا﴾ وهو مصدر لا فعل له من لفظه ﴿مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يَقْدِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ من ذنوبنا ﴿إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ عدناها وأنتها، تعجبوا منه في ذلك ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاسِرًا﴾ ميثاقاً في كتابهم ﴿وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ لا يعاقبه بغير جرم ولا ينقص من ثواب مؤمن.

[٥٠] ﴿وَإِذْ﴾ منصوب بـ «اذكر» ﴿قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجدوا انحناء لا وضع جبهة<sup>(٢)</sup> تحية له ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ قيل: هو نوع من الملائكة، فالاستثناء متصل، وقيل: هو منقطع<sup>(٣)</sup>، وإبليس هو أبو الجن، فله ذرية ذكرت معه بعد، والملائكة لا ذرية لهم ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ أي: خرج عن طاعته ترك السجود ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ﴾ الخطاب لآدم وذريته، والهاء في الموضعين لإبليس ﴿أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ تطيعونهم ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ أي: أعداء حال ﴿يَنْسِلُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ إبليس وذريته في إطاعتهم بدل إطاعة الله.

[٥١] ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾ أي: إبليس وذريته ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: لم أحضر بعضهم خلق بعض ﴿وَمَا كُنْتُمْ مَتَّخِذِ الْمُرْسَلِينَ﴾ الشياطين ﴿عُضْدًا﴾ أعواناً في الحق، فكيف تطيعونهم؟! ﴿وَيَوْمَ﴾ منصوب بـ «اذكر» ﴿يَقُولُ﴾ بالياء والنون<sup>(٤)</sup>: ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾ الأوثان ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ ليشفعوا لكم بزعمكم ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ

(١) أخرجه أحمد في المسند (٧١/١) موقوفاً على عثمان بن عفان رضي الله عنه ما سئل: فما الباقيات يا عثمان؟ قال: «هن: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله». قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٥١٣): إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد في المسند (٧٥/٣) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً به، والحاكم في مستدركه (٥١٢/١) وصححه وأقره الذهبي. وصححه ابن حبان (الإحسان ١٠٢/٢)، وقال المناوي: «قال الهيثمي: إسناده أحمد حسن، فيض القدير (٤٩٩/١). وضعه الألباني في صحيح الجامع (٩٢٨).

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بالوقف بالنون، وكسر الباء ونصب «الجال».

(٣) قال القرطبي: اختلف الناس في كيفية سجد الملائكة لآدم بعد اتفاقهم على أنه لم يكن السجود عبادة، فقال الجمهور: كان هذا أمراً للملائكة بوضع الجباه على الأرض؛ كالسجود المعتاد في الصلاة؛ لأنه الظاهر من السجود في العرف والشرع.

(٤) وهذا القول هو الصحيح الذي تشهد له النصوص؛ فإبليس ليس من الملائكة، ولا نوعاً منها كما ذكر البعض؛ لأنه خلق من نار، والملائكة خلقت من نور كما في حديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الخان من مارح من نار، وخلق آدم مما وصف لكم». رواه مسلم (٢٩٩٦). وهل هو أصل الجن أم واحد منهم؟ قولان لأهل العلم؛ ذهب الجلالان إلى أنه أصل الجن، وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية كما في الفتاوى (٢٣٥/٤، ٣٤٦).

(٥) بالنون قراءة حمزة.

الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَتُ أَخْسَرُ مِنْ هَٰؤُلَاءِ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَعَرَّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ فِي مَقَابِلِهِمْ وَيَقُولُونَ بَوَيْلَ لَنَا مَا هَٰذَا الصِّكْرِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاسِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مَتَّخِذِ الْمُرْسَلِينَ عَصْدًا وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَوْمَ تَأْتِي سَاعَةُ يَوْمِنَا وَتُمْسَقُ بِالنَّارِ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا

يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ لَمْ يَجِيبُوهُمْ ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين الأوثان وعابديها ﴿مُوقِفًا﴾ وادّتا من أودية جهنم يهلكون فيه جميعاً، وهو من (وَقَفَ) بالفتح: هلك.

[٥٣] ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا﴾ أي: أيقنوا ﴿أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾ أي: واقعون فيها ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ معدلاً.





ما قبله؛ لعدم العذر هنا. [٧٦] ولهذا ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ أي: بعد هذه المرة ﴿فَلَا تُصَيِّبْ﴾ لا تتركني أتبعك ﴿فَقَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي﴾ بالشديد والتخفيف<sup>(١)</sup> من قبلي ﴿عَذَابًا﴾ في مفارقتك لي.

[٧٧] ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ هي أنطاكية<sup>(٢)</sup> ﴿اسْتَظْعَمُوا أَهْلُهَا﴾ طلبا منهم الطعام بضيافة ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوا فَوْجَهُمَا فَبَدَأَ جِدَارًا﴾ ارتفاعه مائة ذراع<sup>(٣)</sup> ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضَّ﴾ أي: يقرب أن يسقط ليلانه ﴿فَأَقَامَهُ﴾ الحضر بيده ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَنَزَّلْتَ﴾<sup>(٤)</sup>، وفي قراءة: ﴿لَتَنَزَّلْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ مجفلاً، حيث لم يضيّفونا مع حاجتنا إلى الطعام. [٧٨] ﴿قَالَ﴾ له الحضر: ﴿هَذَا فِرَاقُ﴾ أي: وقت فراق ﴿يُنِي وَيُنِي﴾ فيه إضافة (بين) إلى غير متعدد، سوّغها تكريره بالعطف بالواو ﴿سَأَيْتُكَ﴾ قبل فراقي لك ﴿يَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.

[٧٩] ﴿أَتَا السَّفِينَةَ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ﴾ عشرة ﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ بها مجارة لها؛ طلباً للكسب ﴿فَارْتَدَّتْ أَنْ أَيْبَا وَكَانَ رَدَّهُمْ﴾ إذا رجعوا، أو أمامهم الآن ﴿تِلْكَ﴾ كافر ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صالحة ﴿غَصَبًا﴾ نصبه على المصدر المبين لنوع الأخذ. [٨٠] ﴿وَأَمَّا الْفُلُّ فَكَانَ آتُوهُ مُؤْمِنِينَ فَنُحِشِينَ أَنْ يَرْتَفِعَهَا طُفِينًا وَكُفْرًا﴾ فإنه كما في حديث مسلم<sup>(٥)</sup> طبع كافراً، ولو عاش لأرقهما ذلك لمحبتهما له، يتبعانه في ذلك. [٨١] ﴿فَارْتَدَّا أَنْ يَتْلُوهُمَا﴾ بالتشديد والتخفيف<sup>(٦)</sup> ﴿رُتْمًا سَبْرًا مِنْهُ زَكَاةٌ﴾ أي: صلاحاً وثقًى ﴿وَأَقْرَبَ﴾ منه ﴿رُتْمًا﴾ بسكون الحاء وضمها<sup>(٧)</sup>؛ رحمة؛ وهي: البر بوالديه، فأبدلها - تعالى - جارية تزوجت نبياً فولدت نبياً، فهدى الله - تعالى - به أمة<sup>(٨)</sup>. [٨٢] ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ تَحْتَهُ كَنْزٌ مَالٍ مَدْفُونٍ مِنْ ذَهَبٍ وَفُضَّةٍ﴾ أي: أختبأ بل بأمر إلهام<sup>(٩)</sup> من الله صليهما، فحفظا بصلاحه في أنفسهما ومالهما ﴿فَارَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ أي: إنباس رشدتهما ﴿وَيَسْتَخِرَا كَرَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾

مفعول له عامله، أراد ﴿وَمَا قَعَلْتُمْ﴾ أي: ما ذكر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار ﴿عَنْ أَمْرِي﴾ أي: اختبأ بل بأمر إلهام<sup>(١٠)</sup> من الله ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ يقال: استطاع واستطاع بمعنى أطاق، ففي هذا وما قبله جمع بين اللغتين، وتوعد العبرة في ﴿فَارْتَدَّتْ﴾، ﴿فَارْتَدَّا﴾، ﴿فَارَادَ رَبُّكَ﴾<sup>(١١)</sup>. [٨٣] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ أي: اليهود ﴿عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ﴾ اسمه الإسكندر<sup>(١٢)</sup>، ولم يكن نبياً ﴿قُلْ سَأَتْلُوهُ﴾ سأقص ﴿عَلَيْكُمْ مِنْهُ﴾ من حاله ﴿ذِكْرًا﴾ خبراً.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَيِّبْ فَقَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عَذَابًا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَظْعَمُوا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوا فَوْجَهُمَا فَبَدَأَ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضَّ فَأَقَامَهُ وَقَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَنَزَّلْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأَيْتُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَارْتَدَّتْ أَنْ أَيْبَا وَكَانَ رَدَّهُمْ طَلِبًا لِلْكَسْبِ وَأَمَّا الْفُلُّ فَكَانَ آتُوهُ مُؤْمِنِينَ فَنُحِشِينَ أَنْ يَرْتَفِعَهَا طُفِينًا وَكُفْرًا فَارْتَدَّا أَنْ يَتْلُوهُمَا رُتْمًا سَبْرًا مِنْهُ زَكَاةٌ وَأَقْرَبَ رُتْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخِرَا كَرَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا قَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا

عَلَّمَكَ لَمْ يَلِغَ الْجَنَّتْ<sup>(١)</sup> يلعب مع الصبيان أحسنهم وجهًا ﴿فَقَتَلَهُ﴾ الحضر بأن ذبحه بالسكين مضطجعا، أو اقتلع رأسه بيده، أو ضرب رأسه بالجدار، أقوال<sup>(٢)</sup>، وأتى هنا بالفاء العاطفة؛ لأن القتل عقب اللقاء، وجواب «إذا» ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَاكِيَةً﴾<sup>(٣)</sup> أي: طاهرة لم تبلغ حد التكليف، وفي قراءة ﴿زَكِيَّةً﴾ بتشديد الياء بلا ألف ﴿يَعْبَرُ نَفْسِينَ﴾ أي: لم تقتل نفسًا ﴿فَقَدْ جَنَّتْ شَيْئًا ذِكْرًا﴾ بسكون الكاف وضمها<sup>(٤)</sup>؛ أي: منكرا. [٧٥] ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ زاد «لك» على

(١) أي لم يبلغ حد التكليف.

(٢) وهي قرعة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة ﴿زَكِيَّةً﴾ بتشديد الياء وبلا ألف.

(٣) بالضم قراءة نافع وشعبة وابن ذكوان.

(٤) في صحيح مسلم وصف أهل القرية بكونهم «لثامًا» أي بخلاء. وفي: إن هذه القرية هي «أنطاكية» كما ذكر المصنف، وعلى هذا القول يكون «مجمع البحرين» في القصة هو: المضيق الجامع بين البحرين؛ «المنوسط» و«الأسودة»، وقال الشهابي: هي: «زَوْفَةُ» في المغرب. وعلى هذا القول يكون «مجمع البحرين» في القصة هو المضيق المعروف بمضيق جبل طارق، الجامع بين البحر «المنوسط» والمحيط الأطلسي. أما ما ذكره المصنف من كون «مجمع البحرين» ملتقى بحر الروم وفارس مما يلي المشرق فقد تعقبه الشيخ صفي الرحمن المباركفوري بقوله: «بحر الروم لا يلتقي ببحر فرس في أي مكان، بل بينهما حاجز شاسع من الأرض لا يغيان، والظاهر أنه ملتقى خديج السويس بخليج العقبة قرب شرم الشيخ. والله أعلم» ١. ص (٣١١). وانظر كلام القاضي كعاب في قرة العينين ص (٣٨٩، ٣٩١). (٧) وهذا لا دليل صحيح عليه، ولا فائدة من تحديده. (٨) فتخفيف التاء وكسر الحاء من غير ألف وصل، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. (٩) مسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب مرفوعًا، ولفظ البخاري: «فكان كافراً» (٣١٤٩).

(١٠) هذا الذي ذكره المفسر. رحمه الله. يحتاج إلى دليل عليه، ولا دليل. وقال القرطبي: «قال علمنا: وهذا بعيد».

(١١) اختار المصنف أن الحضر كان وإيا ولم يكن نبياً، وعلى القول الآخر يكون هذا وحياً لا إلهاماً. والله أعلم.

(١٢) وذلك على سبيل التأنيب مع الله، بنسبة ما طاهره لإفساد محض إلى نفسه، وما هو نفع محض إلى الله تعالى.

(١٣) ليس هناك دليل صحيح على ما ذهب إليه المصنف، ثم الظاهر أنه يعي الإسكندر المقدوني، وقد كان من المشركين وليس من المسلمين، فضلاً عن أن يكون من أولياء الله الصالحين.



[٨٤] ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ سُبُلًا يَتسَبَّلُ فِيهَا﴾ بتسهيل السير فيها ﴿وَمَا يَشْكُرُ﴾ أي: ﴿وَمَا يَتَّقِ﴾. يحتاج إليه ﴿سُبُلًا﴾ طريقًا يوصله إلى مراده.

[٨٥] ﴿فَاتَّبَعُوا سَبِيلًا﴾ سلك طريقًا نحو الغرب.

[٨٦] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَقْرَبَ الْمَشْرِقِ﴾ موضع غروبها ﴿وَبَدَّهَا نُجُومٌ﴾ عَرَبٌ جَمْعُ ذَاتِ حَمَاءٍ وهي الطين الأسود، وعروبها في العين في رأي العين، وإلا فهي أعظم من الدنيا<sup>(١)</sup> ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا﴾ أي: العين ﴿قَوْمًا﴾ كافرين ﴿فَلَمَّا يَدَّا الْفَرِيقَ﴾ بالهام ﴿إِنَّا أَنْ نَعُدَّ بِ الْقَوْمِ بِالْقَتْلِ﴾ وإِنَّا أَنْ نُنْجِدَ فِيهِمْ خُسْنًا بالأسر.

[٨٧] ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ بالشرك ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ نقلته ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا﴾ بسكون الكاف وضمها<sup>(٢)</sup> شديدًا في النار.

[٨٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ﴾ الحسنى<sup>(٣)</sup> أي: الجنة، والإضافة للبيان، وفي قراءة: بنصب ﴿جَزَاءً﴾ وتوניה، قال الفراء: ونصبه على التفسير؛ أي: لجهة النسبة<sup>(٤)</sup> ﴿وَسَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ إِسْرًا﴾ أي: تأمره بما يسهل عليه.

[٨٩] ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبِيلًا﴾ نحو المشرق.

[٩٠] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ موضع طلوعها ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ هم الزُّنُجُ ﴿ثُمَّ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا﴾ أي: الشمس ﴿سَبِيلًا﴾ من لباس ولا سقف؛ لأن أرضهم لا تحمل بناء<sup>(٥)</sup>، ولهم سروب<sup>(٦)</sup> يغيبون فيها عند طلوع الشمس ويظهرون عند ارتفاعها.

[٩١] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: الأمر كما قلنا ﴿وَقَدْ أَهْطَأَ بِمَا لَدَيْهِ﴾ أي: عند ذي القرنين من الآلات والجد وغيرهما ﴿خَيْرًا﴾ علمًا.

[٩٢] ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبِيلًا﴾.

[٩٣] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّيْنِ﴾ بفتح السين وضمها<sup>(٧)</sup>، هنا وبعدهما<sup>(٨)</sup>؛ جبالًا بمنقطع بلاد الترك<sup>(٩)</sup>، سد الإسكندر ما بينهما كما سيأتي.

﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا﴾ أي: أمامهما ﴿قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أي: لا يفهمونه إلا بعد بضع، وفي قراءة بضم الباء وكسر القاف<sup>(١٠)</sup>.

[٩٤] ﴿قَالُوا يَدَّبَّا الْقَرْيَتَيْنِ﴾ يَنْ يَجُوجُ وَمَاجُوجُ بالهمز وتركه<sup>(١١)</sup> هما اسمان أعجميان لقبيلتين فلم ينصرفا ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالنهْب والبعي عند خروجهم إلينا ﴿فَبَدَّلَ لَكَ خَرَابًا﴾ جَعَلًا من المال، وفي قراءة: ﴿خَرَابًا﴾<sup>(١٢)</sup> ﴿عَلَّ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ حاجزًا فلا يصلون إلينا.

[٩٥] ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي﴾ بنونين من غير إدغام<sup>(١٣)</sup> ﴿فِيهِ رَبِّي﴾ من المال وغيره ﴿خَيْرٌ﴾ من خرجكم الذي جعلونه لي، فلا حاجة بي إليه، وأجعل لكم السد تبرعًا ﴿فَاعِيشُوا بِقَوْمٍ﴾ لما أطلبه منكم ﴿أَجْعَلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾

رَدْمًا حاجزًا حصينًا.

[٩٦] ﴿أَتُونِي زُرَّيرَ الْحَدِيدِ﴾ قطعه، على قدر الحجارة التي يبنى بها، فبنى بها، وجعل بينها الحطب والفحم ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَتْ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ بضم الحرفين وفتحهما وضم الأول وسكون الثاني<sup>(١٤)</sup>؛ أي: جانبي الجبلين بالبناء، ووضع المنافع والنار حول ذلك ﴿قَالَ نُفْحُوا﴾ نفخوها ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ﴾ أي: الحديد ﴿نَارًا﴾ أي: كالنار ﴿قَالَ أَتُونِي أَرُغَّ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ هو النحاس المذاب، تنازع فيه الفعلان، وحذف من الأول<sup>(١٥)</sup>؛ لإعمال الثاني، فأفرغ النحاس المذاب على الحديد الشحقي فدخل بين زبره فصارا شيئًا واحدًا.

[٩٧] ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا﴾ أي: يأجوج ومأجوج ﴿أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ يعلوا ظهره؛ لارتفاعه وملاسته ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَقَابٌ﴾ لصلابته وسكبه.

(١) لعله يقصد أعظم من الأرض، أو أرض الدنيا.

(٢) وهي فراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ الباقون بنصب «جزاء» والتنوين.

(٣) أي نسمة الخير الملقم إلى المبدأ المؤخر، وتقديره: «فله أحسن ثبوت بها جزاء».

(٤) قال القاضي كنعان: «... لا وجه له؛ لأنه لا يوجد مكان في الأرض لا يحمل بناء...» قرة العينين ص (٣٩٣) هامش (١).

(٥) قال القاضي كنعان: «قوله: «لهم سروب» يناقض نفي السرب في الآية... فيكون المعنى الصحيح: قوم لا ينحدون شيئًا يستريح من الشمس» السابق ص (٣٩٣) هامش (١).

(٦) بالضم قراءة السبعة عند ابن كثير وأبي عمرو وحفص. (٨) أي: في هذه الآية، وفي قوله الآتي: ﴿عَلَّ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤]، فقرأ في بالضم نافع وابن عامر وشعبة.

(٩) هذا الذي قطع به المصنف من أن السد في بلاد ترك لا دليل عليه.

(١٠) لحمزة والكسائي.

(١١) بالضم قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وبضم فسكون قراءة شعبة.

(١٢) أي هو وصمير، والأصل: أتوني قطرًا أفرغ عليه قطرًا.

(١٣) بترك الهمزة قراءة السبعة عند عاصم. (١٤) حمزة والكسائي.

(١٥) لابن كثير.

[١٠١] ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ بدل من «الكافرين» ﴿فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾ أي: القرآن، فهم عمي لا يهتدون به ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أي: لا يقدرون أن يسمعوا من النبي ما يتلوهم عليهم بغضا له فلا يؤمنون به.

[١٠٢] ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾ أي: ملائكتي وعيسى وعزير ﴿مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ أربابا مفعول ثانٍ لـ «يتخذوا»، والمفعول الثاني لـ «حسب» محذوف، المعنى: أظنوا أن الاتخاذ المذكور لا يغضبني ولا أعاقبهم عليه؟ كلا ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لَهُمْ لِلْكَافِرِينَ﴾ هؤلاء وغيرهم ﴿نُزُلًا﴾ أي: هي معدة لهم كالنزل المعد للضيف.

[١٠٣] ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ تمييز طابق المميز<sup>(٢)</sup>، ويتهم بقوله: [١٠٤] ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي آيَاتِنَا﴾ بطل عملهم ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ﴾ يظنون ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ عملا يجازون عليه.

[١٠٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بدلائل توحيده من القرآن وغيره ﴿وَلِقَائِهِ﴾ أي: وبالبعث والحساب والثواب والعقاب ﴿وَلِحُطَّتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت ﴿فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ أي: لا تجعل لهم قدرا.

[١٠٦] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر الذي ذكرت عن حبوط أعمالهم وغيره، مبتدأ، خبره: ﴿حِزَابُهُمْ جَهَنَّمَ﴾ بما كفروا وأخذوا بآبائي ورسلي هزوا؛ أي: مهزوا بها.

[١٠٧] ﴿بِئْنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علم الله ﴿جَنَّتُ الْفُرُوسِ﴾ هو وسط الجنة وأعلامها، والإضافة إليه للبيان ﴿نُزُلًا﴾ منزلا.

[١٠٨] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ﴾ يطلبون ﴿عَنَّا جُولًا﴾ تحولا إلى غيرها.

[١٠٩] ﴿قُلْ لَوْ كَانِ الْآخِرُ﴾ أي: ماؤه ﴿مِدَادًا﴾ هو ما يكتب به ﴿لِكُنْتُ رَبِّي﴾ الدالة على حكمه وعجابه<sup>(٣)</sup> بأن تكتب به ﴿لَنُقَدِّمَ الْبَحْرَ فِي كِتَابَتِهِ﴾ قُلْ أَنْ نَقْدَقَ بالناء والياء<sup>(٤)</sup>: تفرغ ﴿لِكُنْتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾ أي: البحر ﴿مِدَادًا﴾ زيادة فيه لنفد ولم تفرغ هي، ونصبه على التمييز<sup>(٥)</sup>.

[١١٠] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾ آدمي ﴿مِثْلُكُمْ يُوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ أن: المكشوفة بـ «ما» باقية على مصدريتها، والمعنى: يوحى إليّ وحدانية الإله ﴿فَنَرَىٰ كَانِ يَحْرَأَ﴾ يأمل ﴿لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ بالبعث والجزاء ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾ أي: فيها بأن يراني ﴿أَمَّا﴾.

\*\*\*

قَالَ هَذَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿١٠١﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ مَجْمَعًا ﴿١٠٢﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠٤﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٥﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٦﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيرُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحُطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١٠٨﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا الْبَنِيَّ وَرُسُلِي هُزُلًا ﴿١٠٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١١٠﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١١١﴾ قُلْ لَوْ كَانِ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكُنْتُ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١١٢﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٣﴾

[٩٨] ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين: ﴿هَذَا﴾ أي: السد؛ أي: الإقدار عليه ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّي﴾ نعمة<sup>(١)</sup>؛ لأنه مانع من خروجهم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم القريب من البعث ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ مذكورا مبسوطا ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم وغيره ﴿حَقًّا﴾ كائنا.

[٩٩] قال - تعالى -: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ يختلط به لكثرتهم ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أي: القرن للبعث ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ مَجْمَعًا﴾ أي: الخلائق في مكان واحد يوم القيامة ﴿جَمًّا﴾.

[١٠٠] ﴿وَعَرَضْنَا﴾ قربنا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾.

(هـ) ما جاء في نزول الآية (١٠٩). أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل. فقال: سلوه عن الروح. فسأوه عن الروح، فأقر الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الآية. قالوا: أوتينا علمك كثيرا، أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي حيرا كثيرا، فأولت: ﴿قُلْ لَوْ كَانِ الْآخِرُ مِدَادًا لَكُنْتُ رَبِّي لَنُقَدِّمَ الْبَحْرَ﴾ إلى آخر الآية. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٨) سورة الإسراء. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٥١٠).

(١) النعمة أثر من آثار رحمة الله ﷻ، وتفسيرها بها من قصر لعام على بعض أفرادها، فضلا عن كونه من أبواب التأويل ونفي صفة الرحمة عن الله ﷻ كما هي طريقة المصنف - غفر الله لنا وله. (٢) أي في الجمع، ذ «أعمالا» تمييز جاء حقا مطابقا للتمييز وهو «الأحسرين».

(٣) وهذا من قصر العام على بعض أفرادها، وكلمات لله ﷻ تشمل كلامه - سبحانه - وحكمه وآياته الدالة عليه، وهذا لأن المصنف - غفر الله لنا وله - يقول بالكلام النفسي، ولا يثبت الكلام لله ﷻ على الوجه اللائق به كما هي طريقة السلف.

(٤) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

## سورة مريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[مكية، أو: إلا سجدها فمدنية، أو إلا: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَدْيِهِمْ خَلْفٌ﴾ الآيتين فمدنيتان، وهي ثمان أو تسع وتسعون آية، نزلت بعد فاطر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿كَهَيِّصٌ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

[٢] هذا ﴿ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدُكَ﴾ مفعول ﴿رَحْمَتِ﴾ ﴿رَكَرَكَ﴾ بيان له.

[٣] ﴿إِذْ﴾ متعلق بـ ﴿رَحْمَتِ﴾ ﴿نَادَى رَبُّهُ يَدَّاءُ﴾ مشتملاً على دعاء ﴿حَافِيَا﴾ سراً جوف الليل، لأنه أسرع للإجابة.

[٤] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنٌ﴾ ضعف ﴿أَعْلَمُ﴾ جويغهُ ﴿مَنِي﴾ واشتعل الرأس مني ﴿شَيْبَا﴾ تمييز محول عن الفاعل <sup>(١)</sup> أي: انتشر الشيب في شعره؛ كما ينتشر شعاع النار في الحطب، وإني أريد أن أدعوك ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ﴾ أي: بدعائي إياك ﴿رَبِّ شَيْبًا﴾ أي: خائباً فيما مضى، فلا تخيبنني فيما يأتي.

[٥] ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِي﴾ أي: الذين يلوني في النسب؛ كني الغم من وراءى أي: بعد موتي على الدين أن يضيغوه، كما شاهده في بني إسرائيل من تبديل الدين ﴿وَكَاَنَتِ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ لا تلد ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ ابناً.

[٦] ﴿يَرْتَضِي﴾ <sup>(٢)</sup> بالجرم: جواب الأمر، وبالرفع: صفة ﴿وَلِيًّا﴾ و﴿يَرْثِي﴾ بالوجهين <sup>(٣)</sup> من آل يعقوب ﴿جَدِّي﴾ العلم والنسب ﴿وَأَجْمَلَهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ أي: مرضياً عندك.

[٧] قال تعالى - في إجابة طلبه الابن الحاصل به رحمته: ﴿يَزَكِّرُنَا إِنَّا كُنَّا بِكَ بِغُلَامٍ﴾ يرث كما سألت ﴿أَسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ أي: مسمى يحيى.

[٨] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ﴾ <sup>(٤)</sup> ﴿عَتِيًّا﴾ من «عتا»: يس؛ أي: نهاية السن مائة وعشرين سنة، وبلغت امرأته ثمانين سنة، وأصل «عتي»: «عُثُو»، وكسرت التاء تخفيفاً، وقلب الواو الأولى ياءً لمناسبة الكسرة، والثانية ياءً لتدغم فيها الياء.

[٩] ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾ من خلق غلام منكما ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْئٍ﴾ أي: بأن أود عليك قوة الجماع، وأفق رجم امرأتك للغلو ﴿وَقَدْ

## سورة مريم

كَهَيِّصٌ ﴿ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدُكَ رَكَرَكَ﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ يَدَّاءَ حَافِيَا ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَسْتَعْلِلُ الرَّأْسَ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِي مِنْ وَّرَاءِي وَكَانَتِ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرْتَضِي وَيَرْثِي مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿يَزَكِّرُنَا إِنَّا كُنَّا بِكَ بِغُلَامٍ أَسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عَتِيًّا ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْئٍ﴾ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ قَالَ إِنِّي أَنَا نُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾

خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا قبل خلقك، ولإظهار الله هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال؛ ليجاب بما يدل عليها.

[١٠] ولما تأقت نفسه إلى سرعة المبشر به ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ أي: علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ إِنِّي أَنَا نُكَلِّمُ النَّاسَ﴾ أي: تتمتع من كلامهم؛ بخلاف ذكر الله ﴿فَلَنَكُ لِيَالٍ﴾ أي: بأيامها؛ كما في آل عمران ثلاثة أيام ﴿سَوِيًّا﴾ حال من فاعل ﴿نُكَلِّمُ﴾ أي: بلا علة.

[١١] ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ أي: المسجد، وكانوا ينتظرون فتحه؛ يصلوا فيه بأمره على العادة ﴿فَأَوْحَىٰ﴾ أشار ﴿إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا﴾ صلوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أوائل النهار وأواخره على العادة؛ فعلم يخبرهم من كلامهم خفها يحيى.

(١) تقديره: اشتعل شيب رأسي.

(٢) للكسائي وأبي عمرو وقرأ الباقون بالرفع.

(٣) أي بالجرم والرفع، والجرم للكسائي، وأبي عمرو، وقرأ الباقون بالرفع.

(٤) بضم العين، وهي قراءة سبعة أبي عمرو وشعبة ونافع وابن كثير، وقرأ الباقون ﴿عَتِيًّا﴾ بكسر العين.

[١٥] ﴿وَسَلَّمَ﴾ منا ﴿عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ أي: في هذه الأيام المخوفة التي يرى ما لم يرهُ قَبْلَهَا؛ فهو آمن فيها.

[١٦] ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ الْقُرْآنَ﴾ مَرْيَمَ ﴿أَي: خَيْرَهَا﴾ (إِذْ) حِينَ أَنْبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿أَي: اعترلت في مكان نحو الشرق من الدار.

[١٧] ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ أرسلت سترا تستتر به؛ لِثُغْلِي وَأُثْنَهَا أو ثيابها أو تغتسل من حيضها ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ جبريل ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ بعد لبسها ثيابها ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾ تام الخلق.

[١٨] ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا﴾ فتنهني عني بتعويدي.

[١٩] ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ (لِلْهَبِ) ﴿لَكَ عَلَمًا نَضِيبًا﴾ بالنبوة.

[٢٠] ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ بتزوج ﴿وَلَمْ أَكُ نَافِلًا﴾ زانية.

[٢١] ﴿قَالَ: الْأَمْرُ﴾ كَذَلِكَ ﴿مِنْ خَلْقِ غُلَامٍ مِنْكَ مِنْ غَيْرِ آبٍ﴾ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ ﴿أَي: بَأَن يَنْفَخُ بِأَمْرِي جبريل فيك فتحملي به، ولكن ما ذكر في معنى العلة؛ غَطَّفَ عليه: ﴿وَلْيَجْعَلْهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ على قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً﴾ لِمَن آمَنَ بِهِ ﴿وَكَانَ﴾ خلقه ﴿أَمْرًا قَصِيًّا﴾ به في علمي؛ فنفع جبريل في جيب درعها؛ فأحست بالحمل في بطنها مُصَوِّرًا.

[٢٢] ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ﴾ تَحْتُ ﴿بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ بعيدًا من أهلها.

[٢٣] ﴿فَأَلَّاءَ هَا﴾ جاء بها ﴿الْمَخَاضُ﴾ وَجَعُ الولادة ﴿إِلَى جَذَعِ النَّخْلَةِ﴾ لتحمده عليه؛ فولدت، والحمل والتصوير والولادة في ساعة<sup>(٤)</sup> ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ (يَتَّبِعِي) مَثَاقِلَ هَذَا ﴿الْأَمْرُ﴾ وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنِيًّا ﴿شَيْئًا مَتْرُوكًا لَا يَعْرِفُ وَلَا يَذْكُرُ.

[٢٤] ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ أَي: جبريل، وكان أَشْفَلَ مِنْهَا<sup>(٥)</sup> ﴿أَلَا تَحْزَنِي﴾ قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحَنُّكَ سَرِيًّا ﴿نَهَزَ مَاءٌ كَانَ قَدْ انْقَطَعَ.

[٢٥] ﴿وَهَزَيْتُ إِلَيْكَ بِجِذَعِ النَّخْلَةِ﴾ كانت يابسة، و(الباء): زائدة ﴿تَشَاقُطُ﴾<sup>(٦)</sup> أَصْلُهُ بَنَاءَيْنِ؛ قَلْبُ الثَّانِيَةِ سِيئًا، وَأَدْغَمْتُ فِي السَّيْنِ، وَفِي قِرَاءَةِ تَرْكُهَا<sup>(٧)</sup> ﴿عَلَيْكَ رَطْبًا﴾ تَمْيِيزٌ ﴿جَنِيًّا﴾ صَفْتُهُ.

يَدْحَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَنبِئْهُ الْحُكْمَ صَدِيقًا ﴿١٦﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٧﴾ وَبَشِّرْهُ بِوَلَدِهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٨﴾ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٩﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿٢٠﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿٢١﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿٢٣﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ لِمَ أَكُ بِعِيًّا ﴿٢٤﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَلْيَجْعَلْهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا قَصِيًّا ﴿٢٥﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذَعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنِيًّا ﴿٢٧﴾ فَادْنَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحَنُّكَ سَرِيًّا ﴿٢٨﴾ وَهَزَيْتُ إِلَيْكَ بِجِذَعِ النَّخْلَةِ فَسَاقِطٌ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٩﴾

[١٢] وبعد ولادته بستين قال الله - تعالى - له: ﴿يَدْحَى خُذِ الْكِتَابَ﴾ أي: التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجهد ﴿وَأَنبِئْهُ الْحُكْمَ﴾ النبوة<sup>(١)</sup> ﴿صَدِيقًا﴾ ابن ثلاث سنين<sup>(٢)</sup>.

[١٣] ﴿وَحَنَانًا﴾ رحمة للناس ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿وَزَكَاةً﴾ صدقة عليهم ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ روي أنه لم يَعْمَلْ خطيئة ولم يَهْمُ بها.

[١٤] ﴿وَبَشِّرْهُ بِوَلَدِهِ﴾ أَي: محسنًا إليهما ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا﴾ متكبِّرًا ﴿عَصِيًّا﴾ عاصيًا لربه.

(١) وقيل: الحكمة والفقہ في الدين. ذكره ابن كثير في تفسيره ولم يذكر غيره (١١١/٣). وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: الفهم. [إبدر المنشور (٤٨٤/٥)].

(٢) هذا قول قتادة، كما في إبدر المنشور (٤٨٤/٥).

(٣) وهي قراءة قالون بخلف عه، وورش، وأبي عمرو، وقرأ الباقر «لأهَب» وهو الوجه الثاني لقالون.

(٤) هذا قول ابن عباس. ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (١١٤/٣) واستغفبه، وقال: «فالمشهور الظاهر، والله على كل شيء قدير، أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن...» اهـ.

(٥) وهذا قول ابن عباس، وقيل: المنادي عيسى، وكان ذلك معجزة وآية وتسكينًا لقلبها. قال القرطبي: والأول أظهر - يعني: أنه جبريل عليه السلام.

(٦) قرأ السبعة عدا حفص بفتح الناء والقاف، ومع تشديد السين إلا حمزة.

(٧) أي ترك الناء المقلوقة سينًا.

[٢٦٦] ﴿فَكُلِي﴾ من الرطب ﴿وَأَشْرَبِي﴾ من السريّ ﴿وَوَدَّيْ عَيْنَا﴾ بالولد؛ فميز محول من الفاعل؛ أي: لتقر عينك به؛ أي: تسكن؛ فلا تطمح إلى غيره ﴿فَلَمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿وَدَّيْ﴾ حذفت منه لام الفعل وعينه، وألقيت حركتها على الراء، وكسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين ﴿وَمِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ فيسألك عن ولدك ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أي: إسماكا عن الكلام في شأنه، وغيره من الأناسي؛ بدليل: ﴿فَلَنْ أَكْلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ أي: بعد ذلك.

[٢٧٧] ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلَةً﴾ حال؛ فأراه ﴿فَقَالُوا يَمْرُؤٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئَ فَرِيًّا﴾ عظيمًا؛ حيث أتيت بولد من غير أب.

[٢٨٨] ﴿وَتَأَخَذَتْ هَـرُونَ﴾ <sup>(١)</sup> هو رجل صالح؛ أي: يا شبيته في العفة ﴿وَمَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا﴾ أي: زانية ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ أي: زانية؛ فمن أين لك هذا الولد؟!

[٢٩٩] ﴿فَأَشَارَتْ﴾ لهم ﴿إِلَيْهِ﴾ أن كلموه ﴿فَقَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ﴾ أي: وجد ﴿فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾.

[٣٠٠] ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ﴾ أي: الإنجيل ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

[٣١١] ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ أي: ثقافًا للناس، إخبار بما كتب له ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ أمرني بهما ﴿وَمَا مُمْتَحِنًا﴾.

[٣٢٢] ﴿وَوَبَّرْنَا يُولَدِي﴾ منصوب بـ«جعلني» مقدراً <sup>(١)</sup> ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ متعاطفًا ﴿سَقِيًّا﴾ عاصيًا لربه.

[٣٣٣] ﴿وَالسَّلَامُ﴾ من الله ﴿عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ يقال فيه ما تقدم في السيد يحيى.

[٣٤٤] قال - تعالى -: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ [قُولِ الْحَقِّ] بِالرَّفْعِ: خبر مبتدأ مقدر؛ أي: قول ابن مريم، وبالنصب: بتقدير «قلت» <sup>(٢)</sup>؛ والمعنى: القول الحق ﴿الَّذِي فِيهِ يَبْتَرُونَ﴾ من المرية؛ أي: يشكون؛ وهم: النصارى، قالوا: إن عيسى ابن الله، كذبوا: [٣٥٥] ﴿مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ﴾ تنزيها له عن ذلك ﴿إِذَا قُضِيَ أَمْرًا﴾ أي: أراد أن يحدثه ﴿فَلَمَّا يَقُولُ لَمْ يَكُنْ فَيَكُونُ﴾ بالرفع: بتقدير «هو»، وبالنصب: بتقدير «أن» <sup>(٣)</sup>؛ ومن ذلك خلق عيسى من غير أب.

[٣٦٦] ﴿وَأَنَّهُ رَبِّي وَرَبُّكَ﴾ فاعْبُدُوهُ ﴿بِفَتْحٍ﴾ ﴿أَنَّ﴾ بتقدير «اذكر»، وبكسرهما <sup>(٤)</sup> بتقدير «قل»؛ بدليل: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ <sup>(٥)</sup> ﴿هَذَا﴾ المذكور ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ مُؤَدٍّ إِلَى الْجَنَّةِ.

فَكُلِي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكْلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلَةً فَقَالُوا يَمْرُؤٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا يَتَأَخَذَتْ هَـرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا مُمْتَحِنًا وَوَبَّرْنَا يُولَدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا سَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَبْتَرُونَ مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ

[٣٧٧] ﴿فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: النصارى في عيسى، أهو ابن الله، أو إله معه، أو ثالث ثلاثة؟! ﴿فَوَيْلٌ﴾ فشدّة عذاب ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بما ذكروا وغيره ﴿مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: حضور يوم القيامة وأهواله.

[٣٨٨] ﴿أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَبْصِرْ﴾ بهم، صيغتا تعجب؛ بمعنى: ما أسمعهم وما أبصرهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونا﴾ في الآخرة ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ﴾ من إقامة الظاهر مقام المضمر ﴿الْيَوْمَ﴾ أي: في الدنيا ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: يتبين؛ به صموا عن سماع الحق وعموا عن إبصاره؛ أي: اعجب منهم يا مخاطب في سماعهم وإبصارهم في الآخرة بعد أن كانوا في الدنيا صمًا عميًا.

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: لما قدمت نجران سألتني، فقالوا: إنكم تقرأون: ﴿يَتَأَخَذَتْ هَـرُونَ﴾، وموسى قس عيسى بكذا وكذا؟! فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك، فقال: «إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم». مسلم - كتاب الآداب (٣٨) باب (١) النهي عن التكفي بأبي القاسم ويان ما يستحب من الأسماء.

(١) أي: التقدير: جعلني ربًّا.

(٢) بالرفع قراءة السبعة عدا عاصم وابن عامر.

(٣) بالنصب قراءة ابن عامر.

(٤) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٥) المائدة: ١١٧.

[٤١] ﴿وَأَذْكُرْ﴾ لهم ﴿فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: خبره ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾ مبالغة في الصدق ﴿يَتَّبِعُ﴾ ويبدل من خبره: [٤٢] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ أزر: ﴿يَتَّابُ﴾ التاء عوض عن ياء الإضافة، ولا يجمع بينهما، وكان يعبد الأصنام ﴿لَمْ يَغِدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ﴾ لا يكفيك ﴿شَيْئًا﴾ من نفع أو ضرر.

[٤٣] ﴿يَتَّابُ﴾ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْإِلَهِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبَعْنِي أَهْلَكَ صِرَاطًا ﴿طَرِيقًا﴾ ﴿سَوِيًّا﴾ مستقيماً.

[٤٤] ﴿يَتَّابُ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ بطاعتك إياه في عبادة الأصنام ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ كثير العصيان.

[٤٥] ﴿يَتَّابُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ إن لم تتب ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ ناصراً وقريناً في النار.

[٤٦] ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِ يَتَّبِعُونَ﴾ فعبها ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ عَنِ التَّعَرُّضِ لَهَا﴾ لا تَحْمُكَ ﴿بِالْحِجَارَةِ﴾ أو بالكلام الفحيح؛ فاحذرني ﴿وَأَهْجُرِي مَيْتًا﴾ دمهراً طويلاً.

[٤٧] ﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ﴾ مني؛ أي: لا أصيبك بمكروه ﴿وَسَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ لَمْ كَانَتْ بِى حَقِيًّا ﴿مِنْ خَفِيٍّ﴾ أي: بارأ؛ فيجيب دعائي، وقد أوفى بوعده المذكور في الشعراء: ﴿وَأَغْفِرْ لَأَيُّ﴾ <sup>(١)</sup> وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو الله؛ كما ذكره في براءة <sup>(٢)</sup>.

[٤٨] ﴿وَأَعِزِّلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا﴾ أعبد ﴿رَبِّي عَسَى أَنْ﴾ ن ﴿لَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي﴾ بعبادته ﴿شَقِيًّا﴾ كما شقيتم بعبادة الأصنام.

[٤٩] ﴿فَلَمَّا أَعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ بأن ذهب إلى الأرض المقدسة ﴿وَهَبْنَا لَهُمُ﴾ ابنين يأنس بهما ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا﴾ منهما ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾.

[٥٠] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمُ﴾ للثلاثة ﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ المال والولد ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ رفيعاً؛ هو: الثناء الحسن في جميع أهل الأديان.

[٥١] ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى﴾ إِنَّهُ كَانَ ﴿مُخْلِصًا﴾ بكسر اللام وفصحها <sup>(٣)</sup>؛ من أخلص في عبادته، وخلصه الله من الدنس ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾.

وَأَذْكُرْهُ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَّابُ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَتَّابُ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا يَأْتِيكَ فَاتَّبَعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَتَّابُ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَّابُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِ يَتَّبِعُونَ يَتَّبِعُونَ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ عَنِ التَّعَرُّضِ لَهَا لَآتِيَنَّكَ مِنَ الْحِجَارِ مَا يَأْتِيكَ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ وَسَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعِزِّلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا أَعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمُ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾

[٣٩] ﴿وَأَذْكُرْهُ﴾ تخوف يا محمد كفار مكة ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ هو يوم القيامة؛ يتحسر فيه المسيء على ترك الإحسان في الدنيا ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ لهم فيه بالعذاب ﴿وَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ <sup>(١)</sup> به.

[٤٠] ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد ﴿رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ من العقلاء وغيرهم؛ بإهلاكهم ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ فيه لسجاء.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبِشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مَنَادٌ: يَا أَهْلَ لُجَّةٍ، فَيُشْرَبُونَ. أَيْ يَدْخُلُونَ أَعْنَاقَهُمْ - وَيَنْظُرُونَ. يَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ. وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ. ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلِدُوا فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلِدُوا فَلَا مَوْتَ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَذْكُرْهُ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة مريم (١٩) باب (١) ﴿وَأَذْكُرْهُ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾، وأخرجه مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها (٥١) باب (١٣) النار يدخلها الجبارون.

(١) الشعراء: ٨٦.

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَوَكَّأَ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ١١٤].

(٣) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقُرَأَ بفتح اللام بقية السبعة.

[٥٢] «وَنَدَيْتَهُ» يقول: «يَمْوُصَحْ إِنْتَ أَنَا اللَّهُ»<sup>(١)</sup> «وَمِنْ جَانِبِ الطُّورِ» اسم جبل «الْأَيْمَنِ» أي: الذي يلي يمين موسى حين أقبل من مدين «وَقَرَّبْتُهُ نَجْمًا» مناجاة؛ بأن أسمعه الله - تعالى - كلامه.

[٥٣] «وَوَهَبْنَا لَكُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا نَعْمَتًا» «أَخَاهُ هَرُونَ» بدل أو عطفت بيان «نَيْبًا» حال؛ هي المقصودة بالهبة إجابة لسؤاله أن يرسل أخاه معه، وكان أشرف منه.

[٥٤] «وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ» لم يعذ شيئاً إلا وفي به، وانتظر من وعده ثلاثة أيام، أو حولاً حتى رجع إليه في مكانه «وَكَانَ رَسُولًا» إلى جرحهم «نَيْبًا».

[٥٥] «وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ» أي: قومه «بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا» أصله «مرضو»؛ قلبت الواو الواو ياعين، والضممة كسرة.

[٥٦] «وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِيْدْرِسَ» هو جد أبي نوح «إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا».

[٥٧] «وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا» هو حي في السماء الرابعة أو السادسة أو السابعة، أو في الجنة أدخلها بعد أن أذيق الموت، وأحيى ولم يخرج منها<sup>(٢)</sup>.

[٥٨] «أُولَئِكَ» مبتدأ «الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» صفة له «وَمِنَ الَّذِينَ» بيان له، وهو في معنى الصفة، وما بعده إلى جملة الشرط صفة «الطيبين»، فقوله: «وَمِنَ ذُرِّيَّتِهِ آدَمُ» أي: إدريس «وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ» في السفينة؛ أي: إبراهيم ابن ابنه سام «وَمِنَ ذُرِّيَّتِهِ إِبْرَاهِيمَ» أي: إسماعيل وإسحاق ويعقوب «وَمِنْ ذُرِّيَّةٍ إِسْمَاعِيلَ» هو يعقوب؛ أي: موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى «وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا» أي: من جملتهم، وخبر «أُولَئِكَ»: «إِنَّا نُنْزِلُ الْكِتَابَ عَلَى الْبَشَرِ خَرُوفًا مُسْجَرًا وَكِتَابًا» جمع «ساجدة» «وباك» أي: فكونوا مثلهم، وأصل «ويكي»؛ بكوئي؛ قلبت الواو ياء والضممة كسرة.

[٥٩] «خَلَقَ مِنْ بَيْنِهِمْ خَلْفَ أَصَاغُوا الصَّلَاةَ» بتركها؛ كاليهود والنصارى<sup>(٣)</sup> «وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ» من المعاصي «فَسُوفَ يَقْفَرُونَ عَنَّا» هو وإد في جهنم؛ أي: يقعون فيه.

[٦٠] «إِنَّا» لكن «مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُلْقُونَ» ينقصون «شَيْئًا» من ثوابهم.

[٦١] «جَعَلْنَا عَدُوًّا» إقامة، بدل من «الْجَنَّةِ» «الَّذِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْعَذَابِ» حال؛ أي: غائب عنها «إِنَّهُمْ كَانُوا وَعْدُومًا» أي: موعوده «مَائِيًّا» بمعنى: آتيا، وأصله «ماتوي»، أو موعوده هنا الجنة يأتيه أهله.

[٦٢] «لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءًا» من الكلام «إِنَّا» لكن يسمعون «سَلَامًا» من الملائكة عليهم، أو من بعضهم على بعض «وَقَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا»

وَنَدَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْتُهُ نَجْمًا<sup>(١)</sup> وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَرُونَ نَبِيًّا<sup>(٢)</sup> وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا<sup>(٣)</sup> وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا<sup>(٤)</sup> وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِيْدْرِسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا<sup>(٥)</sup> وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا<sup>(٦)</sup> أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الْكِتَابِ خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ<sup>(٧)</sup> تِلْكَ آيَاتُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ<sup>(٨)</sup> خَلَقَ أَصَاغُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا<sup>(٩)</sup> إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُلْقُونَ فِيهَا شَيْئًا وَهُمْ فِيهَا يَبْتَغِ الْوَعْدَ الْمَائِيًّا<sup>(١٠)</sup> لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءًا سَلَامًا وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ سَلَامًا<sup>(١١)</sup> وَلَا يَرَوْنَ فِيهَا كَلَامًا إِلَّا سَلَامًا<sup>(١٢)</sup> وَلَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ مِمَّا يَشْتَهُونَ<sup>(١٣)</sup> وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ<sup>(١٤)</sup> وَمَنْ يُؤْتَ الْوَيْسُوعَ<sup>(١٥)</sup> يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فِي الْوَيْسُوعِ آيَةً<sup>(١٦)</sup> وَمَنْ يُؤْتَ الْوَيْسُوعَ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فِي الْوَيْسُوعِ آيَةً<sup>(١٧)</sup> وَمَنْ يُؤْتَ الْوَيْسُوعَ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فِي الْوَيْسُوعِ آيَةً<sup>(١٨)</sup> وَمَنْ يُؤْتَ الْوَيْسُوعَ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فِي الْوَيْسُوعِ آيَةً<sup>(١٩)</sup> وَمَنْ يُؤْتَ الْوَيْسُوعَ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فِي الْوَيْسُوعِ آيَةً<sup>(٢٠)</sup>

بُكْرَةً وَعَشِيًّا<sup>(٢١)</sup> أي: على قدرهما في الدنيا، وليس في الجنة نهار ولا ليل، بل ضوء ونور أبديًا.

[٦٣] «تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ» نعطي «وَنُورِلُ» «مَنْ كَانَ نَقِيًّا» ببطائه.

[٦٤] «وَنَزَّلَ لَنَا تَاخُرَ الْوَحْيِ آيَاتًا» وقال النبي ﷺ لجبريل: «مَا يَنْفَعُ أَنْ نَزُّوْنَا أَكْثَرَ بِمَا نَزُّوْنَا»: «وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَمْ يَكُنْ آيِدِينَا»<sup>(٢٢)</sup> أي: أماننا من أمور الآخرة «وَمَا خَلَفْنَا» من أمور الدنيا «وَمَا يَكُنْ ذَلِكَ» أي: ما يكون في هذا الوقت إلى قيام الساعة؛ أي: له علم ذلك جميعه «وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا» بمعنى ناسيًا؛ أي: تاركًا لك بتأخير الوحي عنك<sup>(٢٣)</sup>.

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٦٤): أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما يملك أن نزورنا أكثر مما نزورنا؟ فنزلت: «وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَمْ يَكُنْ آيِدِينَا...». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة مريم (١٩) باب (٢).

(١) القصص: ٣٠.

(٢) وهذا تأويل لصفة الرحمة ببعض لوازمها، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة وغيرها مما أتته الله لنفسه أو أتته له رسوله ﷺ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل. (٣) لا يوجد دليل قطعي على صحة هذا التفسير، والأقرب أن المراد بهذه الرفعة ما أعطاه الله إياه من شرف النبوة والثناء الحسن، فكان عالي الذكر، عالي المنزلة، وأخرج مسلم عن أس بن مالك في حديث المراح بطوله، وفيه: «ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل ﷺ. قيل: من هذا؟ قال: محمد. قال: وقد بعث إليه؟ قال: بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحب بي ودعا لي بخير. قال الله ﷻ: «وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا». مسلم (١٦٢).

(٤) وقيل: المراد بإضاعتها فعلها بعد خروج أوقاتها. وقيل: المراد لم يأوا بها على الوجه المشروع. والظاهر أن كل ذلك يدخل في إضاعة الصلاة، ولا تعارض بين هذه الأقوال، كما لا وجه ظاهر لحصر المراد بالآية في اليهود والنصارى، بل هي عامة؛ فتشمل كل من لم يقم بحقوق الصلاة، وهذا نص في أن إضاعة الصلاة من الكبائر.

(هـ) أخرجه نحوه البخاري (٢٢١٨) عن ابن عباس.

الذال وضم الكاف ﴿أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ فيستدل بالابتداء على الإعادة.

[٦٨] ﴿قَوْلِكَ لَنُحْضِرَنَّهُمْ﴾ أي: المنكرين للبعث ﴿وَالشَّيْطَانِ﴾ أي: تجمع كلاً منهم وشيطانه في سلسلة ﴿لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ من خارجها ﴿يَجِيئُكَ﴾ على الركب، جمع «جاث»، وأصله «جثو» أو «جثوي» من «جثا يجثو» أو «يجثي» لغتان.

[٦٩] ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ فرقة منهم ﴿أُيُومًا أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ جراءة.

[٧٠] ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ أَهْلَهُ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِمَا أَحَقُّ بِهِمْ﴾ ألقوا بهم، الأشد (٧) وغيره منهم ﴿صَلِيلًا﴾ دخولاً واحترافاً؛ فبدأ بهم، وأصله «صلوي» من «صلي» بكسر اللام وفتحها.

[٧١] ﴿وَلِإِنْ﴾ أي: ما ﴿يَنْكُرُ﴾ أحد ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ أي: داخل جهنم ﴿كَأَنَّهُ عَلَىٰ رَيْكٍ حَنًا مَّقْصِيًّا﴾ حتمه وقضى به، لا يتركه.

[٧٢] ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ مشدداً ومخففاً (٨) ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرَّ والكفر منها ﴿وَنَذَرُ الْفَاطِلِينَ﴾ بالشرك والكفر ﴿فِيهَا يَجِيئُكَ﴾ (٩) على الركب.

[٧٣] ﴿وَإِذَا نُنَجِّي﴾ أي: المؤمنين والكافرين ﴿عَنِ النَّارِ﴾ من القرآن ﴿يَنْتَرُونَ﴾ واضحات، حال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ نحن وأنتم ﴿خَيْرٌ مَقَامًا﴾ منزلاً ومسكناً؛ بالفتح: من قام، وبالضم: من أقام (١٠) ﴿وَأَحْسَنُ نَزِيلًا﴾ بمعنى: النادي؛ وهو: مجتمع القوم يتحدثون فيه؛ يعنون: نحن؛ فنكون خيراً منكم.

[٧٤] قال - تعالى -: ﴿وَوَكِّرْ﴾ أي: كثيراً ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَبْلٍ﴾ أي: أمة من الأمم الماضية ﴿هُمْ أَتَسْنَأَنَّ﴾ ملاً ومتاعاً ﴿وَرِيًّا﴾ منظراً من الرؤية؛ فكما أهلكناهم لكفرهم نهلك هؤلاء.

[٧٥] ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾ شرط، جوابه: ﴿فَلْيَمْدَدْ﴾ بمعنى: الخير؛ أي: يمد ﴿لَهُ الْوَحْنُ مَنَّا﴾ في الدنيا يستدرجه ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ إمَّا الْعَذَابَ كَالْقَتْلِ والأسر ﴿وَأَمَّا النَّاسُ﴾ المشتعلة على جهنم فيدخلونها ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَن هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ أعواناً، أهم أم المؤمنين، وجدهم الشياطين وجند المؤمنين عليهم (١١) الملائكة؟.

[٧٦] ﴿وَنَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾ بالإيمان ﴿هُدًى﴾ بما ينزل عليهم من الآيات ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هي الطاعة (١٢) تبقى لصاحبها ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ أي: ما يرد إليه ويرجع، بخلاف أعمال الكفار، والحيرية هنا في مقابلة قولهم: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾.

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٨﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٩﴾ أَوْلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٧٠﴾ قَوْلِكَ لَنُحْضِرَنَّهُمْ وَالشَّيْطَانِ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٧٢﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَغْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِمَا صَالِحٌ وَإِنْ مَنَعُكَ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧٣﴾ ثُمَّ نَسْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٤﴾ وَإِذَا نُنَجِّي الْعِبَادَ عَلَيْهِمْ أَئِنَّا يَتُوبُونَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَبْلٍ هُمْ أَحْسَنُ أَتْنَاهُمْ إِنْ شَاءَ رَبِّيَا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَن هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا وَنَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَتَسْنَأَنَّ رَبُّكَ عَمَلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٧﴾

[٦٥] هو ﴿رَبِّ﴾ مالك ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ أي: اصبر عليها ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ مسمى بذلك؟ لا.

[٦٦] ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ المنكر للبعث؛ أي: تُنْ خَلْف، أو الوليد بن المغيرة النازل فيه الآية: ﴿إِذَا﴾ بتحقيق الهجرة الثانية وتسهيلها، وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأخرى (١) ﴿وَمَا مِنْ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا﴾ من القبر؛ كما يقول محمد! فلاستفهام بمعنى: النفي؛ أي: لا أحيأ بعد الموت، و«ما» زائدة للتأكيد، وكنا «اللام».

[٦٧] ورد عليه بقوله - تعالى -: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ﴾ (٢) الْإِنْسَانُ أصله «يتذكر»؛ أبدلت التاء ذالاً وأدغمت في الذال، وفي قراءة: تركها، وسكون

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لا يدخل النار - إن شاء الله - من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها». قالت: بئى يا رسول الله. فافترها. فقالت حفصة: ﴿وَلَنْ يَنْكُرَ إِلَّا وَارِدُهَا﴾. فقال النبي ﷺ: «قد قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ نَسْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾». مسلم - كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب (٣٧) من فضائل أصحاب الشجرة.

(١) وقرأ ابن ذكوان من طريق الصوري وغيره بآخر «وإياه»، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون ﴿يَذْكُرُ﴾.

(٣) أي: (الأشد على الرحمن عتياً).

(٤) محملاً قراءة الكسائي، ولازمه إسكان اللون.

(٥) بالضم قراءة ابن كثير.

(٦) متعلق بـ«لنحضرهم» لتضمنه معنى المعاونين، كما وقع لهم في بدر من انخدال إبليس وجنده عنهم، وقتال الملائكة مع المؤمنين.

(٧) رجاء في الحديث أنها: «الكبير، والتلهيل، والتسييح، والتحميد، ولا حول ولا قوة إلا بالله» كما تقدم في تفسير سورة الكهف آية (٤٦).



[٧٧] ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ العاصي بن وائل ﴿وَقَالَ﴾ لخباب ابن الأرت القتال به: ثَبُتَ بعد الموت، والمطالب له جمال: ﴿لَأُوتِيَنَّكَ﴾ مالا وولداً فاقضيك<sup>(١)</sup>.

[٧٨] قال - تعالى -: ﴿أَطْلَعَ الْغَيْبَ﴾ أي: أعلمه، وأنه يؤتى ما قاله، واستغنى بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل؛ فحذفت ﴿أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ بأن يؤتى ما قاله؟!

[٧٩] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: لا يؤتى ذلك ﴿سَنَكْتُبُ﴾ نأمر بكذب ﴿مَا يَقُولُ وَنَعُدُّكَ لَمْ يَنْ لَمَذَابٍ مَذَابًا﴾ نزيده بذلك عذاباً فوق عذاب كفره.

[٨٠] ﴿وَنُرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ من المال والولد ﴿وَيَأْتِينَا﴾ يوم القيامة ﴿كَذَلِكَ﴾ لا مال له ولا ولد<sup>(٢)</sup>.

[٨١] ﴿وَأَخَذُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿مِنْ دُوبِ اللَّهِ﴾ الأوثان ﴿مَا لِلَّهِ﴾ يعبدونهم ﴿يَكُونُوا هُمْ عِرًا﴾ شعفاء عند الله؛ بأن لا يعذبوا.

[٨٢] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: لا مانع من عذابهم ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ أي: الآلهة ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾ أي: ينفرن؛ كما في آية أخرى: ﴿مَا كَانُوا إِلَّا يَتَّبِعُونَ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ صِدًّا﴾ أعواناً وأعداء.

[٨٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾ سُلْطَانَهُمْ ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ تَزُولُ﴾ تهيجهم إلى المعاصي ﴿إِذَا﴾.

[٨٤] ﴿فَلَا تَعْمَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بطلب العذاب ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾ الأيام والليالي أو الأنفاس ﴿عَذَابًا﴾ إلى وقت عذابهم.

[٨٥] اذكر ﴿يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ إيمانهم ﴿إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَفًّا﴾ جمع وافد؛ بمعنى: راکب.

[٨٦] ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ﴾ بكفرهم ﴿إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا﴾ جمع وارد؛ بمعنى: ماش عطشان.

[٨٧] ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أي: الناس ﴿الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ أي: شهادة أن لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله<sup>(٤)</sup>.

[٨٨] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله: ﴿أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾.

[٨٩] قال - تعالى - لهم: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ أي: منكراً عظيماً.

[٩٠] ﴿تَصْكَازُ﴾ بالباء والياء<sup>(٥)</sup> ﴿الشَّكْرُ﴾ يَنْقُطُونَ<sup>(٦)</sup> بالنون<sup>(٧)</sup>، وفي قراءة بالياء وتشديد الطاء<sup>(٨)</sup>؛ بالانشقاق، ﴿مِنْهُ﴾ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ أي: تنطق عليهم؛ من أجل: [٩١] ﴿أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾.

[٩٢] قال - تعالى -: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: ما يليق به

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٧٧ - ٨٠): أخرج البخاري عن خباب قال: كنت رجلاً قبيحاً، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أنقاضاً، فقال لي: لا أقاضيك حتى تكفر بمحمد. قال: قلت: لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث. قال: واني لمبعوث من بعد الموت؟ فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد. فنزلت: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وولداً﴾ [٧٧] أَلَيْبَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا [٧٨] كَذَلِكَ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَعُدُّكَ لَمْ يَنْ لَمَذَابٍ مَذَابًا [٧٩] وَنُرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا [٨٠].

(١) أخرجه البخاري (٢٠٩١)، وانظر ما جاء في نزول الآيات.

(٢) القصص: ٦٣.

(٣) هذا قول ابن عباس، نقله عنه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء وأصناف. [الدر المنثور (٥٤١/٥)].

(٤) بالياء قراءة نافع والكسائي.

(٥) لأي عمر وابن عامر وحزمة وشعبة.

(٦) مع قراءة «تكاذه» ثُفَرًا؛ «ينفطرون» بالنون والياء. ومع قراءة «يكاده» باباء؛ تقرأ: «ينفطرون» بالياء فقط.

## سورة طه

[ مكية مائة وخمس وثلاثون آية، أو: أربعون، أو: اثنتان،

نزلت بعد مريم ]  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] طه ﴿الله أعلم بما بهداه بذلك﴾.

[٢] ﴿مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ يا محمد ﴿لِتَشْفَى﴾ لتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل؛ أي: خفف عن نفسك.

[٣] ﴿إِلَّا﴾ لكن أنزلناه ﴿نَذِيرَةً﴾ به ﴿لِمَن يَخْشَى﴾ يخاف الله.

[٤] ﴿تَنزِيلًا﴾ بدل من اللفظ بفعله الناصب له ﴿وَمِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ جمع «عليها» كـ «كبرى» و «كثير».

[٥] هو ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ﴾ وهو في اللغة: سرير الملك ﴿أُسْتَوَى﴾ استواء يليق به<sup>(١)</sup>.

[٦] ﴿لَمْ يَأْمُرْ بِالْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ وَمَا يَنْبَغِيهِمَا﴾ من المخلوقات ﴿وَمَا تَحْتِ الْكُرْسِيِّ﴾ هو التراب الندي؛ والمراد: الأرضون السبع؛ لأنها تحته.

[٧] ﴿وَلَمَّا تَجَهَّرَ بِأَقْوَالِهِ﴾ في ذكر أو دعاء، فالله غني عن الجهر به ﴿فَلَمَّا يَكْفُرُ الْإِنْسَانُ بِمَا كُنَّ يَفْعَلُونَ﴾ منه؛ أي: ما حدثت به النفس وما خطر، ولم تحدث به؛ فلا تجهد نفسك بالجهر.

[٨] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث<sup>(٢)</sup>؛ والحسنى مؤنث الأحسن.

[٩] ﴿وَهَلْ كُنْتَ تَتَذَكَّرُ﴾ قد ﴿أَنْتَكَ حَبِثْتُ مَوْسَى﴾.

[١٠] ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ لِامْرَأَتِهِ﴾ أنكرها؛ هنا؛ وذلك في مسيره من مدينت طالبا مصر ﴿إِنِّي أَكُنْتُ بِمِصْرَ﴾ نارا لعلني أليكن مني بقبس؛ بشعلة في رأس قبيلة أو عود ﴿أَوْ أُجِدُّ عَلَى النَّارِ هَذَى﴾ أي: هادئا يدلني على الطريق، وكان أخطأها لظلمة الليل، وقال: «لعل»؛ لعدم الجزم بوفاء الوعد.

[١١] ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ وهي شجرة عوسج<sup>(٣)</sup> ﴿نُودِيَ بِمُوسَى﴾.

[١٢] ﴿إِنِّي﴾ بكسر الهمزة؛ بتأويل ﴿نُودِيَ﴾ «بـ» قيل، «يفتحها»؛ بتقدير الباء<sup>(٤)</sup> ﴿أَنَا﴾ تأكيد لياء التكلم ﴿رَبُّكَ فَاقْلَعْ عَلَيْكَ﴾ إنك بالوادي المقدس المطهر أو المبارك ﴿طُوبَى﴾ بدل، أو عطفت بيان؛ بالتثوين وتركه<sup>(٥)</sup>، مصروف باعتبار المكان، وغير مصروف للتأنيث؛ باعتبار البقعة مع العلمية.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسْتَرْزُقُهُ يُلَاسَانُكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدُنَّا ﴿٩٧﴾ وَكَرَّهْنَا قَوْلَهُمْ مِّنْ قُرْآنٍ هَلْ نَحْنُ مِنْهُمْ مِن أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

## سورة طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ لِيَشْفَى ﴿إِلَّا تَذَكَّرَ﴾ لِمَن يَخْشَى ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أُسْتَوَى ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ وَإِن تَجَهَّرْ بِأَقْوَالِهِ فَإِنَّهُ يُعَلِّمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هَذَى﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ بِمُوسَى ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاقْلَعْ عَلَيْكَ﴾ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿٩٦﴾

[٩٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿فَلَمَّا يَسْتَرْزُقُهُ﴾ أي: القرآن ﴿يُلَاسَانُكَ﴾ العربي ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ الفائزين بالإيمان ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدُنَّا﴾ جمع ألد؛ أي: جويل بالباطل، وهم: كفار مكة.

[٩٨] ﴿وَكَمْ﴾ أي: كثيرا ﴿أَمَلْنَا فَلَمَّا قَبَلَهُمْ مِّنْ قُرْآنٍ﴾ أي: أمة من الأمم الماضية؛ بتكذيبهم الرسل ﴿هَلْ نَحْنُ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ صوتا خفيا؟ لا، فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء.

\*\*\*

(١) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أحب الله عبدا نادى جبريل: إني قد أحببت فلانا فلأجبه». قال: فينادي في السماء، ثم تنزل له الحبة في أهل الأرض؛ فذلك قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾... الحديث. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٢٠) سورة مريم، وضمحه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٢٨).

(٢) سبق التعليق على هذا التفسير، وأنه إذا كان المراد بالتفويض تفويض الكيفية فهو حق، وأما إن كان يريد أن معنى الاستواء مجهول فهو فرار من إثبات صفة لعلو والصعود والارتفاع والاستقرار على العرش التي هي من معاني الاستواء عند السلف.

(٣) سبق التعليق على هذا الحصر، وذكرنا أن الأسماء الحسنى لا يحصى عددها إلا الله ﷻ في تفسير الآية (١١٠) من سورة الإسراء.

(٤) وهو قول بعض أهل اللغة، واختاره بعض المفسرين، واختار غيرهم أنها على بابها من الاستفهام، وقد يراد به التقرير.

(٥) وهذا أحد الأقوال فيها، وقيل غير ذلك، ولا دليل على الجميع، وذكر ابن كثير أن الضمير يعود إلى النار.

(٦) بترك التثوين قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

[١٣] ﴿وَأَنَا أَخَذْتُكَ﴾ من قومك ﴿فَأَسْتَعِمْ لِيَا يُوْحَىٰ﴾ إليك مني.  
[١٤] ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ فيها.

[١٥] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ عن الناس، ويظهر لهم قريبها بعلاماتها ﴿لِيُخْزِي﴾ فيها ﴿كُلَّ نَفْسٍ يَمُدُّنَّ﴾ به من خير أو شر.  
[١٦] ﴿فَلَا يَصُدُّكَ﴾ بصرنك ﴿عَنَّا﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في إنكارها ﴿فَتَرَدَّى﴾ أي: فهلك إن صدقت عنها.

[١٧] ﴿وَمَا تِلْكَ﴾ كائنه ﴿بِمِيمِنِكَ يَمُوسَىٰ﴾؟ الاستفهام للتقرير؛ ليرتب عليه المعجزة فيها [١٨] ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ﴾ أعتد ﴿عَلَيْهَا﴾ عند الوثوب والمشي ﴿وَأَمْشِي﴾ أخطب ورق الشجر ﴿بِهَا﴾ ليسقط ﴿عَنِّي غَنَمِي﴾ فناكله ﴿وَلِي فِيهَا مَنَازِلُ﴾ جمع مأربة؛ مثلث الراء؛ أي: حوائج ﴿أُخْرَىٰ﴾ كحمل الزاد والسقاء وطرد الهوام؛ زاد في الجواب بيان حاجاته بها.  
[١٩] ﴿قَالَ أَنَهَا يَمُوسَىٰ﴾.

[٢٠] ﴿فَأَلْقَنَاهَا فَإِذَا هِيَ حَبَّةٌ﴾ ثعبان عظيم ﴿تَسْعَى﴾ تمشي على بطنها سريعاً؛ كسرعة الثعبان الصغير المسمى بالجان؛ المعبر به فيها في آية أخرى<sup>(١)</sup>.  
[٢١] ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْفَ﴾ منها ﴿سُعِيدُكَ سِيرَتهَا﴾ منصوب بنزع الخافض؛ أي: إلى حالتها ﴿الْأُولَىٰ﴾ فأدخل يده في فيها؛ فعادت عصا؛ فتبين أن موضع الإدخال موضع مسكها بين شعبتها، وأرى ذلك السيد موسى؛ لئلا يجزع إذا انقلب حية لدى فرعون.

[٢٢] ﴿وَأَضْمَمَ يَدَكَ﴾ اليمنى؛ بمعنى: الكف ﴿إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ أي: جنبك الأيسر تحت العضد إلى الإبط وأخرجها ﴿تَخْرُجُ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأمانة ﴿يَبْضَاءُ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾ أي: برص، تضيء كشعاع الشمس تغشى البصر ﴿آيَةً أُخْرَىٰ﴾ وهي بياض، حالان من ضمير ﴿تَخْرُجُ﴾.

[٢٣] ﴿لِيُذَكِّرَ﴾ بها إذا فعلت ذلك؛ لإظهارها ﴿مِنْ آيَاتِنَا﴾ الآية ﴿الْكُذْبَىٰ﴾ أي: العظمى على رسالتك، وإذا أراد عودها إلى حالتها الأولى ضمها إلى جناحه؛ كما تقدم وأخرجها.

[٢٤] ﴿أَذْهَبَ﴾ رسولاً ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ ومن معه ﴿إِذْهُ طَغَىٰ﴾ جاوز الحد في كفره إلى ادعاء الإلهية.

[٢٥] ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ وَسَعَةً لِتَحْمِلَ الرسالة.

[٢٦] ﴿وَيَذِّرْ﴾ سهل ﴿لِي أَمْرِي﴾ لأبلغها.

[٢٧] ﴿وَأَلْحَلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ حَدَّثْتُ من احتراقه بجمرة وضعها بفيه وهو صغير<sup>(٢)</sup>.

[٢٨] ﴿يَفْقَهُوا﴾ يفهموا ﴿قَوْلِي﴾ عند تبليغ الرسالة.

(١) وهو قوله - تعالى -: ﴿فَلَمَّا رَوَّاهَا بِهَرَّةٍ فَلَاحَهَا جَهَنَّمَ﴾ [الزلزال: ١٠].

(٢) هذا قول كثير من المفسرين في بيان العقدة وسببها، وليس فيه شيء مرفوع إلى النبي ﷺ، وإنما هو من كلام سعيد بن جبير، نقلها عنه عبد ابن حميد وابن المنذر، وابن أبي حاتم كما في ندر المنثور (٥٦٦/٥، ٥٦٧)، قال: غجمة بجمرة نار أدخلها في فيه عن أمر امرأة فرعون تدرأ به عنه عقوبة فرعون حين هم بقتله، بعد أن أخذ بلحيته وهو لا يعقل، قائلة: إنه لا يعقل، فقدموا له طبقاً فيه جمر وتمر، فأخذ الجمرة بوضعها في فيه فاحترق لسانه. وقيل: كان ذلك التعقد في لسانه خيلفة. وعلى كلا القولين فهي عقدة كانت في لسانه حلها الله تعالى كما أخر، وهذا بكفي.

(٣) بصغيتي المضارع المجزوم؛ أي: ﴿أَلْحَلْتُ﴾ بهزمة قطع مفتوحة، و﴿أَشْرَكْتُ﴾ بهزمة مضمومة، وهي قرابة ابن عامر.

(٤) العلم غير البصر، وإن كان من لوازمه؛ فثبت صفة البصر لله عز وجل على الوجه اللائق به سبحانه.

وَأَنَا أَخَذْتُكَ فَاسْتَعِمْ لِمَا وَحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِيُخْزِي ﴿١٥﴾ كُلَّ نَفْسٍ يَمُدُّنَّ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرَدَّى ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِمِيمِنِكَ يَمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ وَاعْلَيْهَا وَأَهْسُ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَنَازِلُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَنَهَا يَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَنَاهَا فَإِذَا هِيَ حَبَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْفَ سُعِيدُكَ سِيرَتهَا سِرَّتُهَا ﴿٢١﴾ وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيَّضَاءُ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِيُذَكِّرَ مِّن آيَاتِنَا الْكُذْبَىٰ ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَذِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَلْحَلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ أَشَدَّ ذِكْرًا لِّي ﴿٢٨﴾ وَأَشْرَكْتُ فِي أَمْرِي ﴿٢٩﴾ كَيْ كَيْفَ كَيْفَ ﴿٣٠﴾ وَتَذَكَّرْتُ كَيْفًا ﴿٣١﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٢﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٤﴾

[٢٩] ﴿وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا﴾ معيها عليها ﴿مِّنْ أَهْلِي﴾.

[٣٠] ﴿هَكَذَؤُنَّ﴾ مفعول ثاني ﴿أَخِي﴾ عطف بيان.

[٣١] ﴿أَشَدُّ ذِكْرًا لِّي﴾ أي: أشدُّ بؤءَ أَرَىٰ؛ ظهري.

[٣٢] ﴿وَأَشْرَكْتُ فِي أَمْرِي﴾ أي: الرسالة، والفعلان بصيغتي الأمر، والمضارع المجزوم<sup>(٣)</sup>، وهو جواب الطلب.

[٣٣] ﴿كَيْ سَعِيدُكَ﴾ تسيبها ﴿كَيْفًا﴾.

[٣٤] ﴿وَتَذَكَّرْتُ﴾ ذكروا ﴿كَيْفًا﴾.

[٣٥] ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ عالماً<sup>(٤)</sup>؛ فأنعمت بالرسالة.

[٣٦] ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ﴾ مثلاً عليك.

[٣٧] ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ﴾.

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ۖ أَنْ أَقْبِرِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِفِيهِ  
فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ وَعَدُوٌّ لَّهُ ۖ وَالْقُبُورُ  
عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّمِّي وَلِصْصَعٍ عَلَىٰ عَيْنِي ۖ إِذْ مَشَىٰ أَخُتُكَ فَتَقُولُ  
هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا  
وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَتَوَلَّىٰ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا  
فَلْيَلِثْ سَيْنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَىٰ ۖ  
وَأَصْطَنَعْنَاكَ لِنَفْسِي ۖ أَذْهَبَ أَنتَ وَأُخْرُكَ بِعَايَتِي وَلَا  
تَبَيَّنَ فِي ذِكْرِي ۖ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا  
لَّيْسَ لَكَهُمَا رَبٌّ ذَكَرُوا وَحِشِي ۖ قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَتَخَفُ أَنْ يَفْشُرَ  
عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْعَىٰ ۖ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ  
ۖ فَأَتَيْنَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ  
وَلَا نُعَذِّبُهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِنْ أَتَبَعَ  
أَلْهَدَىٰ ۖ إِنَّا قَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَبَ  
وَتَوَلَّىٰ ۖ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْوَسَىٰ ۖ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ  
كُلَّ شَيْءٍ حَلْفَهُ ۖ ثُمَّ هْدَىٰ ۖ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۖ

[٣٨] ﴿إِذْ﴾ للتعليل ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُمِّكَ﴾ منامًا أو إلهامًا لما ولدتك  
وخافت أن يقتلك فرعون في جملة من يولد ﴿مَا يُوحَىٰ﴾ في أمرك، ويبدل  
منه: [٣٩] ﴿أَنْ أَقْبِرِيهِ﴾ ألقيه ﴿فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِفِيهِ﴾ بالتابوت ﴿فِي الْيَمِّ﴾  
بحر النيل ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ أي: شاطئه، والأمر بمعنى الخير ﴿يَأْخُذْهُ  
عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾ وهو فرعون ﴿وَالْقُبُورُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ﴾  
مِثِّي لنحب في الناس؛ فأحبك فرعون وكل من رآك ﴿وَلِصْصَعٍ عَلَىٰ عَيْنِي﴾  
نُرِّي على رعايتي وحفظي لك<sup>(١)</sup>.

[٤٠] ﴿إِذْ﴾ للتعليل ﴿نَسْتَبِيحُ أَفْئَتَكَ﴾ مريم؛ لتعرف من خبرك، وقد

أحضروا مراضع وأنت لا تقبل ثدي واحدة منهم ﴿فَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن  
يَكْفُلُهُ﴾ فأجبت؛ فجاءت بأمة فقيل نديها ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ  
عَيْنُكَ﴾ بلقائك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حينئذ ﴿وَوَلَّىٰ نَفْسًا﴾ هو القبطي بمصر<sup>(٢)</sup>؛  
فاغتممت لقتله من جهة فرعون ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾  
بالإيقاع في غير ذلك وخلصناك منه ﴿فَلْيَلِثْ سَيْنِينَ﴾ عشرا ﴿فِي أَهْلِ  
مَدْيَنَ﴾ بعد مجيئك إليها من مصر عند شعيب<sup>(٣)</sup> النبي وتزوجك بانيته ﴿ثُمَّ  
جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ في عمري بالرسالة؛ وهو: أربعون سنة من عمرك  
﴿يَمْوَسَىٰ﴾.

[٤١] ﴿وَأَصْطَنَعْنَاكَ﴾ اخترتك ﴿لِنَفْسِي﴾ بالرسالة.

[٤٢] ﴿أَذْهَبَ أَنتَ وَأُخْرُكُ﴾ إلى الناس ﴿وَبَايَعْتِي﴾ التسع<sup>(٤)</sup> ﴿وَلَا تَبَيَّنَ﴾  
تفترًا ﴿فِي ذِكْرِي﴾ بتسبيح وغيره.

[٤٣] ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ بَدْعَاهُ الرُّبُوبِيَّة.

[٤٤] ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْسَ لَكَهُمَا رَبٌّ﴾ في رجوعه عن ذلك ﴿أَلَمْ نَذْكُرْكَ﴾ يتعظ  
﴿أَنْ يَتَخَفَ﴾ الله؛ فيرجع، والترجي بالنسبة إليهما لعلمه - تعالى - بأنه لا  
يرجع.

[٤٥] ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَتَخَفُ أَنْ يَفْشُرَ عَلَيْنَا﴾ أي: يَعْجَلَ بالعقوبة ﴿أَوْ أَنْ  
يَطْعَىٰ﴾ علينا؛ أي: يتكر.

[٤٦] ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا﴾ يعزوني<sup>(٥)</sup> ﴿أَسْمَعُ﴾ ما يقول  
﴿وَأَرَىٰ﴾ ما يفعل.

[٤٧] ﴿فَأَتَيْنَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ إلى الشام  
﴿وَلَا نُعَذِّبُهُمْ﴾ أي: خل عنهم من استعمالك إياهم في أشغالك الشاقة؛  
كالخفر والبناء وحمل الثقل ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ﴾ بحجة ﴿وَمِنْ رَبِّكَ﴾ على  
صدقنا بالرسالة ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِنْ أَتَبَعَ أَهْدَىٰ﴾ أي: السلامة له من العذاب.

[٤٨] ﴿إِنَّا قَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَبَ﴾ ما جئنا به  
﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض عنه؛ فَأَتَيْنَاهُ وَقَالَ جميع ما ذكر.

[٤٩] ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْوَسَىٰ﴾ اقتصر عليه؛ لأنه الأصل، ولإدلاله عليه  
بالتربية [٥٠] ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْخَلْقِ حَلْفَهُ﴾ الذي هو  
عليه متميز به عن غيره ﴿ثُمَّ هْدَىٰ﴾ الحيوان منه إلى مطعمه ومشربه ومنكحه  
وغير ذلك.

[٥١] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿فَمَا بَالُ﴾ حال ﴿الْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿الْأُولَىٰ﴾  
كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عبادتهم الأوثان.

(١) وفيها إثبات صفة العين لله - سبحانه - على الحقيقة، كما هو مذهب السلف الصالح.

(٢) قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: قتل قبطًا كافرا. تفسير البيهقي (٧٧٣/٥). وأخرج مسلم عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: «ما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ». مسلم (٢٩٠٥).

(٣) المشهور عند كثير من العلماء أن صاحب مدين المذكور في سورة القصص هو شعيب الطيّل، وقيل غير ذلك، وإنما هو رجل مؤمن من أهل «مدين»؛ لأن شعيبا الطيّل كان قبل موسى يزعم، والصواب أن هذا لا يدرك إلا بخبر، ولا خبر نجب به الحجة في ذلك. (انظر كلام ابن كثير والسعدي في تفسير سورة القصص، آية رقم ٢٥، ٢٨).

(٤) هذا قول ابن عباس، وسوى بيان هذه الآيات في تفسير الآية (٧٥) من سورة يونس. وقيل: المقصود هنا: آيات انشوراة.

(٥) هذا من لوازم معيته - سبحانه - الخاصة بعباده المؤمنين، ومعنيته - سبحانه - مع خلقه نوعان - كما تقدم في آخر النحل - معية عامة؛ ومعناها: إحاطته بكل الخلق علما وقدره، ومعية خاصة لأوليائه بالإعانة والرعاية والكفاية والنصر والتأييد والهداية والتوفيق، وقد اشتمل القرآن عليها.

[٥٢] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿عَلَّمَهَا﴾ أي: علم حالهم محفوظ ﴿عِنْدَ رَبِّي﴾ فِي كِتَابٍ. هو اللوح المحفوظ، يجازيهم عليها يوم القيامة ﴿لَا يَضِلُّ﴾ يغيب ﴿رَبِّي﴾ عن شيء ﴿وَلَا يَنْسَى﴾ ربي شيئاً. [٥٣] هو ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ في جملة الخلق ﴿الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فراشا ﴿وَسَلَكَ﴾ سهول ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقاً ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً، قال - تعالى - تسميها لما وصفه به موسى، وخطاباً لأهل مكة: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِوَدِّهِ أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً ﴿مِنْ بَنَاتِ شَقْتٍ﴾ صفة ﴿أَزْوَاجًا﴾ أي: مختلفة الألوان والطعوم وغيرهما، و﴿شَقْتٍ﴾ جمع «شيت»؛ ك«مريض» و«مرضى»؛ من شت الأمز: تفرق.

[٥٤] ﴿كُلُوا﴾ منها ﴿وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ فيها، جمع نعم؛ وهي: الإبل والبقر والغنم، يقال: رعت الأنعام ورعيتها. والأمر للإباحة، وتذكير الثغمة، والجملة حال من ضمير «أخرجنا»؛ أي: مبيحين لكم الأكل ورعي الأنعام ﴿إِنَّ فِي ذَلِكََ﴾ المذكور هنا ﴿لَآيَاتٍ﴾ لعباد ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ لأصحاب العقول، جمع «أهنية»؛ ك«عُرْف» و«عُرف»؛ سُمي به العقل؛ لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح.

[٥٥] ﴿مِنْهَا﴾ أي: من الأرض ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ بخلق أيكم آدم منها ﴿وَمِنْهَا نُبْذِكُمْ﴾ مقبورين بعد الموت ﴿وَمِنْهَا نَخْرِكُمْ﴾ عند البعث ﴿تَارَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَى﴾ كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم.

[٥٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ أي: أبصرنا فرعون ﴿بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ التسع ﴿فَكَذَّبَ﴾ بها وزعم أنها سحر ﴿وَأَنَّى﴾ أن يوحد الله - تعالى - .

[٥٧] ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ مصر، ويكون لك الملك فيها ﴿بِسِحْرِكَ يَمْؤِسُونَ﴾.

[٥٨] ﴿فَسَأَلْنَاهُ﴾ بِسِحْرِ مَلِكِهِ بِعارضه ﴿فَجَعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ لذلك ﴿لَّا تَخْلِفُكُمْ عَنْهُ﴾ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا منصوب بنزع الخافض في ﴿[سِوَى]﴾ بكسر أوله وضمه (١)؛ أي: وسطاً تستوي إليه مسافة الجائي من الصرفين.

[٥٩] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون ﴿وَأَن يُخَشِّرَ النَّاسُ﴾ يجمع أهل مصر ﴿ضُحًى﴾ وقته للنظر فيما يقع.

[٦٠] ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ﴾ أدبر ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ أي: ذوي كيده من السحرة ﴿ثُمَّ أَقْبَى﴾ بهم الموعد.

[٦١] ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾ وهم اثنان وسبعون (٢) مع كل واحد حبل وعصا: ﴿وَتِلْكَ﴾ أي: أئزكممك الله الويل ﴿لَا تَقْرَءُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يُبَارِكُ أَحَدُكُمْ معه ﴿فَيَسْجُدْكُمْ﴾ بضم الياء وكسر الحاء ويفتخهما (٣)؛ أي: يهلككم ﴿بِعَذَابٍ﴾ من عنده ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنْ أَفْتَرَى﴾ كذب

قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَاسْلَكْ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ بَنَاتِ شَقْتٍ﴾ كُؤُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَإِنِّي﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْؤِسُونَ ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا تَخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن يُخَشِّرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَقْبَى﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَتِلْكَ لَاتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى ﴿فَتَنَزَّلْ أَمْرُهُمْ بَيْنَهُمْ وَآسَرُوا النَّجْوَى﴾ قَالُوا إِن هَذَا لَسِحْرٌ بَرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرَفَيْكُمْ الْمَثَلِ ﴿فَاجْمَعُوا إِلَيْكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾

على الله.

[٦٢] ﴿فَتَنَزَّلْ أَمْرُهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ في موسى وأخيه ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ أي: الكلام بينهم فيها [٦٣] ﴿قَالُوا﴾ لأنفسهم: ﴿[إِن هَذَا]﴾ لأبي عمرو، ولغيره: «هذان» (٤)، وهو موافق للغة من يأتي في المثنى بالالف في أحواله الثلاث، ﴿لَسِحْرٌ بَرِيدَانِ﴾ بفتح الجيم أن يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرَفَيْكُمْ الْمَثَلِ مؤنث «أمثل»؛ بمعنى: أشرف؛ أي: بأشرافكم، بميلهم إليهما لغلبتهما.

[٦٤] ﴿فَاجْمَعُوا﴾ (٥) كَيْدَهُمْ من السحرة؛ بهمة وصل وفتح الميم من جمع؛ أي: لَمْ، وبهمة فصع وكسر الميم من أجمع: أحكم ﴿ثُمَّ آتُوا صَفًا﴾ حال؛ أي: مصطفين ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ غلب.

(١) بالكسر قراءة نافع والكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) سبق أن لأولي في مثل هذه المواطن التي لم يصح فيها دليل الاقتصار على موضع العبارة والفائدة، فلو كان في العلم بعددهم فائدة لَيُبَيِّنُ اللَّهُ الْكُرْهِ.

(٣) يفتحهما قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) فيها ثلاث قراءات سجيعة. غير قراءة أبي عمرو وهي سجيعة أيضاً ، الأولى: «إِنَّ هَذَا» بتخفيف «إِنَّ» وتشديد نون «هَذَا». وهي قراءة ابن كثير، مع المد المشيع. والثانية: تخفيف «إِنَّ» ونون «هَذَا» وهي قراءة حفص، والثالثة: تشديد نون «إِنَّ» وتخفيف نون «هَذَا» وهي قراءة الباقين.

(٥) وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ الباقون بهمة قطع وكسر الميم «أجمعوا».

حيات ﴿تَتَّقِي﴾ على بطونها.

[٦٧] ﴿فَأَوْجَسَ﴾ أحس ﴿فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾ أي: خاف من جهة أن سحرهم من جنس معجزته أن يبتس أمره على الناس؛ فلا يؤمنوا به.

[٦٨] ﴿فَلَمَّا﴾ له: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَلِيُّ﴾ عليهم بالغلبة.

[٦٩] ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ﴾ وهي عصاه ﴿فَلَقَقَ﴾ تعلق ﴿مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ بسحره؛ فآلفى موسى عصاه؛ فلتقت كل ما صنعوه.

[٧٠] ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِجْنًا﴾ خروا ساجدين لله - تعالى - ﴿فَالرَّا بَيْنَهُمْ يَرِيَّ هَرُونَ وَمُوسَى﴾.

[٧١] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿أَأَنْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً<sup>(١)</sup> ﴿كَلَمْ يَقُلْ أَنْ ءَادَنَّ﴾ أنا ﴿لَكُمْ إِنَّهُ لَكَيْدٌ﴾ معلمكم ﴿وَالَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُفْلِحُونَ أَيَّدِيكُمْ وَارْتَمَكُم مِّنْ خَلْفٍ﴾ حال؛ بمعنى: مختلفة؛ أي: الأيدي اليمنى والأرجل اليسرى ﴿وَلَا صِلَتُكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ أي: عليها ﴿وَلَعَلَّكُمْ ءَاتَيْنَا﴾ يعني نفسه وزب موسى ﴿أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ أدام على مخالفته.

[٧٢] ﴿فَالرَّا لَنْ نُؤْذِرَكَ﴾ نخشاك ﴿عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ﴾ الدالة على صدق موسى ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ خلقنا، قسم؛ أو: عطف على ﴿مَا﴾ ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ أي: اصنع ما قلته ﴿إِنَّمَا نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ النصب<sup>(٢)</sup> على الاتساع<sup>(٣)</sup>؛ أي: فيها، ونجزي عليه في الآخرة.

[٧٣] ﴿إِنَّمَا نَأْمُرُ بِرَبِّنَا لِنَخْلِيَنَا﴾ من الإشراك وغيره ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ إنه ومن يأتي ربه، فجزما فإن له وجهه لا يموت فيها ولا يحيى<sup>(٤)</sup> ومن يأتيه مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى<sup>(٥)</sup> جنّت عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى<sup>(٦)</sup>

[٧٤] قال - تعالى -: ﴿إِنَّكُمْ مِّنْ بَيْنِ رَيْبٍ يُحَرِّمُ﴾ كافراً؛ كفرعون ﴿فَإِنْ لَّمْ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياة تنفعه.

[٧٥] ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ الفرائض والنوافل ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ جمع «عليا» مؤنث «أعلى».

[٧٦] ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ أي: إقامة، بيان له<sup>(٤)</sup> ﴿تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ وذلك جزاء من تزكى<sup>(٦)</sup> تطهر من الذنوب.

قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّمَا أَنْتَ ثُلْقَىٰ وَإِنَّا نَكُونُ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٧﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِئَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ يُخْلِلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمْ تَسَعَى ﴿٦٨﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٧٠﴾ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٧١﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِجْنًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى ﴿٧٢﴾ قَالَ ءَامَنَّا لَهُ وَقَبْلَ أَنْ ءَادَنَّ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَيْدٌ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُفْلِحُونَ أَيَّدِيكُمْ وَارْتَمَكُم مِّنْ خَلْفٍ وَلَا صِلَتُكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَعَلَّكُمْ ءَاتَيْنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْذِرَكَ تَوْشِكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٤﴾ إِنَّمَا نَأْمُرُ بِرَبِّنَا لِنَخْلِيَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٥﴾ إِنَّهُ وَمَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٧٦﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٧﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٨﴾

[٦٥] ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ﴾ اختر ﴿إِنَّمَا أَنْ تُلْقَى﴾ عصاك أولاً ﴿وَإِنَّمَا أَنْ نَكُونُ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ عصاه.

[٦٦] ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ فآلفوا ﴿فَإِذَا جِئَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ﴾ أصله: «غصوه»؛ قلبت الواو إناءين، وكسرت العين والصاد ﴿يُخْلِلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمْ﴾

(١) راجع التعليق على الآية (١٢٣) من سورة الأعراف.

(٢) أي نصب «هذه» المبدل منها: «الحياة الدنيا».

(٣) أي في اللغة؛ أي: نصبت برح الحافض؛ بتقدير: «إنما تقضي في هذه الحياة الدنيا»، وهذا خلافاً لما ذكر وأطرد؛ حيث يكثر ويترد حذف الجار مع «أن» و «أن»، ويأتي الحذف في غيرهما قليلاً على سبيل الاتساع والتشخيص، كما ذكر ابن هشام في «معني اللبيب».

(٤) أي لقوله: «الدرجات العلى».

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا  
 فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا يَخْشَى ﴿٧٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ  
 بِجُنُودِهِ فَفَشَلَ مِنْ آلَيْهِ مَا عَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَصْلَ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ  
 وَمَاهِدَى ﴿٧٩﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ يَلْذَنُّ أَتَى يَلْذَنُّ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَعَدَاكُمْ  
 جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ﴿٨٠﴾ كَلُومًا  
 طَيِّبَةً مَّا رَزَقْنَكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي  
 وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ لِمَنِ تَابَ  
 وَمَا مِنْ وَعَمَلٍ صَلَاحٍ مَّا أَهْتَدَى ﴿٨٢﴾ وَمَا أَعْجَلَكُ عَنْ  
 قَوْمِكَ بِمُوسَى ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ  
 رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ عَدَاكَ وَأَصْلَهُمْ  
 السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ  
 يَقَوْمِ الْوَيْدُكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ  
 أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ  
 مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا  
 أَوْ زَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدْ فَتَنَّا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾

[٨٧] ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾ مثلث الميم<sup>(٧)</sup>؛ أي: بقدرتنا أو  
 أمرنا ﴿وَلَكِنَّا حُمِلْنَا﴾ بفتح الحاء مخففاً، وبضمها وكسر الميم مشدداً<sup>(٨)</sup>  
 ﴿أَوْ زَارًا﴾ أنقلأ<sup>(٩)</sup> من زينة القوم؛ أي: خلقي قوم فرعون، استعارها منهم  
 بنو إسرائيل بعلية حموس<sup>(١٠)</sup>؛ فبقيت عندهم ﴿فَقَدْ فَتَنَّا﴾ طرحناها في النار بأمر  
 السامري ﴿فَكَذَلِكَ﴾ كما ألقينا ﴿أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ ما معه من حليهم، ومن  
 التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل على الوجه الآتي:

[٧٧] ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ بهزمة قطع من  
 «أسرى»، وبهزمة وصل وكسر النون<sup>(١١)</sup> من «سرى» لغتان؛ أي: سر بهم ليلاً  
 من أرض مصر ﴿فَاصْرَبْ لَهُمْ﴾ اجعل لهم بالضرب بعصاك ﴿طَرِيقًا فِي  
 الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ أي: يابسا؛ فامتثل ما أُمِر به، وأيس الله الأرض؛ فمروا فيها  
 ﴿لَا تَخَفْ دَرَكًا﴾ أي: أن يدركك فرعون ﴿وَلَا يَخْشَى﴾ غرقاً.

[٧٨] ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾ وهو معهم ﴿فَفَشَلَ مِنْ آلَيْهِ﴾ أي:  
 البحر ﴿وَمَا عَشِيَهُمْ﴾ فأغرقهم.

[٧٩] ﴿وَأَصْلَ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾ بدعائهم إلى عبادته ﴿وَمَا هَدَى﴾ بل أوقعهم  
 في الهلاك خلاف قوله: ﴿وَمَا أَهْدَيْكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾<sup>(١٢)</sup>.

[٨٠] ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ آمَنَّاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ﴾ فرعون بإغراقه ﴿وَوَعَدْنَاكُمْ  
 جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ فتوتى موسى التوراة للعمل بها ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ  
 وَالسَّلْوَى﴾ هما «الشَّوْجِبِينَ» و«الشَّمَانِي»؛ بتخفيف الميم والقصر، والمنادى من  
 وجد من اليهود رمز النبي ﷺ، وخوطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم زمن  
 النبي موسى توطئة لقوله تعالى - بهم: [٨١] ﴿كَلُومًا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾  
 أي: المثلِّم به عليكم ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ بأن تكفروا النعمة به ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ  
 غَضَبِي﴾ بكسر الحاء؛ أي: يجب، وبضمها<sup>(١٣)</sup>؛ أي: ينزل ﴿وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ  
 غَضَبِي﴾ بكسر الهمزة وضمها<sup>(١٤)</sup> ﴿فَقَدْ هَوَى﴾ سقط في النار.

[٨٢] ﴿وَإِنِّي لَأَعْلَمُ لِمَنِ تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَمَا مِنْ﴾ وحَّد الله ﴿وَعَمِلَ  
 صَالِحًا﴾ يصدق بالفرض والنفل ﴿ثُمَّ أَهْتَدَى﴾ باستمراره على ما دُكر إلى  
 موته.

[٨٣] ﴿وَمَا أَعْجَلَكُ عَنْ قَوْمِكَ﴾ لحييء ميعاد أخذ التوراة<sup>(١٥)</sup>  
 ﴿بِمُوسَى﴾.

[٨٤] ﴿قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ﴾ أي: بالقرب مني بأنون ﴿عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ  
 رَبِّ لِتَرْضَى﴾ عني؛ أي: زيادة في رضاك، وقيل الجواب، أتى بالاعتذار<sup>(١٦)</sup>،  
 بحسب ظنه، وتخلف المظنون لما: [٨٥] ﴿قَالَ﴾ - تعالى -: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا  
 قَوْمَكَ مِنْ عَدَاكَ﴾ أي: بعد فراقك لهم ﴿وَأَصْلَهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ فعبدوا العجل.  
 [٨٦] ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ﴾ من جهتهم ﴿أَسِفًا﴾ شديد  
 الحزن.

﴿قَالَ يَقَوْمِ الْوَيْدُكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَا حَسَنًا﴾ أي: صدقاً أنه يعطيكم  
 التوراة ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ مدة مفارقتي إياكم ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ  
 يَحِلَّ﴾ يجب ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بعبادتكم العجل ﴿فَأَخْلَفْتُمْ  
 مَوْعِدِي﴾ وتركتم الحجيء بعدي.

(١) بهزمة وصل وكسر النون قراءة نافع وابن كثير.

(٢) غافر: ٢٩.

(٣) بالضم قراءة الكسائي وقرأ الباقون بالكسر.

(٤) بالضم قراءة الكسائي وقرأ الباقون بالكسر.

(٥) أي شيء جعلك متعجلاً عن قومك وسابقاً لهم؟

(٦) عن سبقه لقومه.

(٧) بالكسر قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وبالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٨) بالفتح قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

(٩) وقيل: إن الحمي كان لبي (إسرائيل)، وراجع ما تقدم في تفسير آية الأعراف رقم (١٤٨).

[٩٠] ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ أَي: قبل أن يرجع موسى: ﴿يَقُولُوا إِنَّمَا أَفْتَيْنَاكُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي﴾ في عبادته ﴿وَاطِيعُوا أَمْرِي﴾ فيها.

[٩١] ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ﴾ نزال ﴿عَلَيْهِ عَذَابَيْنِ﴾ على عبادته مقيمين ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾.

[٩٢] ﴿قَالَ﴾ موسى بعد رجوعه: ﴿يَهْرُوتُ مِمَّا مَنَعَكَ إِذْ دَلَّيْنَاهُمْ ضَلُوكَ﴾ بعبادته [٩٣] ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَكَ تَتْبَعُنَّ﴾ لا زائدة ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ بإقامته بين من يعبد غير الله - تعالى ١٩.

[٩٤] ﴿قَالَ﴾ هارون: ﴿تَتَّبِعُونِي﴾ بكسر الميم وفتحها<sup>(١)</sup>؛ أراد أمي، وذخريها أعطفت لقلبه ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾ وكان أخذها بشماله ﴿وَلَا بِرَأْسِي﴾ وكان أخذ شعره يمينه غضبا ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ لو اتبعتك، ولا بد أن يتبعني جمع ممن لم يعبدوا العجل ﴿أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وتغضب عليّ ﴿وَلَمْ تَرْفَعْ﴾ تنتظر ﴿قَوْلِي﴾ فيما رأيته في ذلك.

[٩٥] ﴿قَالَ قَمَا خَطْبُكَ﴾ شأنك الداعي إلى ما صنعت ﴿يَسْمِعُونِي؟﴾

[٩٦] ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ بالياء والناء<sup>(٢)</sup>؛ أي: علمت ما لم يعلموه ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ﴾ تراب ﴿أَثَرِ﴾ حافر فرس ﴿الرَّسُولِ﴾ جبريل ﴿فَقَبَضْتُهَا﴾ ألفتها في صورة العجل المصاغ<sup>(٣)</sup> ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لَكَ﴾ رزئت ﴿لِي نَفْسِي﴾ وألقيت فيها أن أخذ قبضة من تراب ما ذكر، وألقيها على ما لا روح له يصير له روح، ورأيت قومك طلبوا منك أن تجعل لهم إلهًا، فحدثني نفسي أن يكون ذلك العجل إلههم<sup>(٤)</sup>.

[٩٧] ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿فَأَذْهَبْ﴾ من بيننا ﴿فَإِنَّكَ لَكِ فِي الْحَيَوةِ﴾ أي: مدة حياتك ﴿أَنْ تَقُولَ﴾ لمن رأيته: ﴿لَا مَسَاسَ﴾ أي: لا تقربني؛ فكان يهيم في البرية، وإذا مس أحداً أو مسه أخذ حُمًا جميعاً<sup>(٥)</sup> ﴿وَلَنْ لَّكَ مَوْعِدًا﴾ لعذابك ﴿لَنْ تُخْلِفَهُ﴾ بكسر اللام، أي: لن تغيب عنه، وفتحها<sup>(٦)</sup>؛ أي: بل تعث إليه ﴿وَأَنْظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ﴾ أصله «ظلمت» بلامين، أولاهما مكسورة حذفت تخفيفاً؛ أي: دمت ﴿عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ أي: مقيماً تبعده ﴿أَتَسْمِعْتَهُ﴾ بالنار ﴿شُرَّ لَنَسِيفَتِهِ فِي النَّارِ﴾ شَفَا<sup>(٧)</sup> نُذْرَتُهُ في هواء البحر، وفعل موسى بعد ذبحه<sup>(٨)</sup> ما ذكره.

[٩٨] ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ تمييز محوّل عن الفاعل؛ أي: وسع علمه كل شيء.

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمُ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٩٩﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقُولُوا إِنَّمَا أَفْتَيْنَاكُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَاطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٠١﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَذَابَيْنِ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿١٠٢﴾ قَالِ يَهْرُوتُ مِمَّا مَنَعَكَ إِذْ دَلَّيْنَاهُمْ ضَلُوكَ ﴿١٠٣﴾ أَفَلَا تَتَّبِعُنَّ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿١٠٤﴾ قَالَ يَنْتَوَرُّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْفَعْ قَوْلِي ﴿١٠٥﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِعُونِي ﴿١٠٦﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي ﴿١٠٧﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ أَخْلِفَهُ وَأَنْظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنْ خْلِفَهُ ثُمَّ لَنَسِيفَتِهِ فِي النَّارِ نَسْفًا ﴿١٠٨﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٠٩﴾

[٨٨] ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا﴾ صاغه من الحلي ﴿جَسَدًا﴾ لحماً ودماً<sup>(١)</sup> ﴿لَهُمْ خُورٌ﴾ أي: صوت يُسمع؛ أي: انقلب كذلك بسبب التراب الذي أثاره الحياة فيما يوضع فيه، ووضعه بعد صوغه في فيه ﴿فَقَالُوا﴾ أي: السامري وأتباعه: ﴿هَذَا إِلَهُكُمُ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ موسى ربه هنا، وذهب بطلابه. [٨٩] قال - تعالى -: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ﴾، ثم مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿لَا يُرْجِعُ﴾ العجل ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أي: لا يرد لهم جواباً ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا﴾ أي: دفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أي: جلبه؛ أي: فكيف يُخَذُّ إِلَهُهَا<sup>(٢)</sup>.

(١) هذا قول الحسن البصري وفتاده، واختاره الجلال المحلي هنا. وقال مجاهد: بل كانت الريح إذا دخلت من دُخْره، خرجت من فمه فيخور كما يحور البقرة؛ أي لم يصر حيًا. ويشهد له ظاهر قوله: «جسد» الذي يدل على أنه لا حياة فيه. وقيل غير ذلك. والله أعلم.

(٢) بالكسر قراءة حمزة والكسائي وابن عامر وشعبة. وقرأ الباقون بالفتح.

(٣) بالناء قراءة حمزة والكسائي وقرأ الباقون بالياء.

(٤) الصواب: «المصوغ»؛ لأنه من «صاغ» الثلاثي.

(٥) ما ذكره المفسر هنا يذكره عامة المفسرين، واختلفوا متى رأى السامري جبريل عليه السلام، وكيف اختص برؤيته ومعرفة من بين الناس، بينما ذهب بعض أهل العلم إلى: أن كل هذا ليس عليه آثاره من علم ولا يدل عليه انتزاع الكرم؛ ولذا فسر بعضهم بوجه آخر، وهو أن يكون المراد بالرسول: موسى عليه السلام، وبذلك: سته رسمه الذي أمر به، فكان السامري قال: عرفنا أنتم عليه ليس بحق، وقد كنت قبضت قبضة من أثرك أي الرسول؛ أي: شيئاً من سنتك ودينك، فخذته؛ أي: طرحته، فصار ما صار. وإنما أورد بلفظ الإخبار عن غائب، كما يقول الرجل لرئيسه وهو مواجه له: ما يقول الأمير في كذا؟ وماذا يأمر الأمير؟ وأما دعاؤه موسى عليه السلام رسولاً مع جحده وكفره، فعلى مثل مذهب من حكى الله - تعالى - عنهم قولهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾، وإن لم يؤموا بالإنزال، فالله أعلم.

(٦) هذا أيضاً ما لا دليل صحيح يعتمد عليه، وفقره البعض: بأن المراد المنع من أن يخالف أحداً أو يخالفه أحد، عقوبة له، وفقره آخرون: بأنه كناية عن انقطاع نسله، فلا يكون له ولد يؤنس؛ لأن المراد يكتى به عن النكاح. فالله أعلم.

(٧) بالكسر قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون بالفتح.

(٨) اختار الجلال المحلي أنه عجل حي من لحم ودم. وسبق ذكر الخلاف في ذلك.



[٩٩] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما قصصنا عليك يا محمد هذه القصة ﴿نَفْسٌ عَلَيْكَ مِنْ أُنْبَاءِ﴾ أخبار ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾ من لأمم ﴿وَقَدْ عَلِمْتَنِي﴾ أعطيتناك ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ من عندنا ﴿ذِكْرًا﴾ قرأنا. [١٠٠] ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلم يؤمن به ﴿فَلَنَّمْ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا﴾ حملاً ثقيلاً من الإثم.

[١٠١] ﴿خَلِيدِينَ فِيهِ﴾ أي: في عذاب الوزر ﴿وَسَاءَ لَكُم يَوْمَ الْقِيَمَةِ جَنَاحٌ﴾ تمييز مفسر للضمير في «ساء»، والخصوص بالذم محذوف تقديره: «وزرهم»، واللام للبيان، ويبدل من ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: [١٠٢] ﴿يَوْمَ يُفْعَخُ فِي الْأَصْوَارِ﴾ القرن النفخة الثانية ﴿وَيُخَشِّرُ الْمُخْرِجِينَ﴾ الكافرين ﴿يَوْمَ يُزْفَقُ﴾ عيونهم مع سواد وجوههم [١٠٣] ﴿يَسْخَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يتساورون ﴿إِنْ مَا لَيْسَ لَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾ من الليالي بأيامها. [١٠٤] ﴿تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ في ذلك؛ أي: ليس كما قالوا ﴿إِذْ يَقُولُ أَفْلَهِمْ﴾ أغدلتهم ﴿طَرِيقَةً﴾ فيه: ﴿إِنْ لَيْسَ لَهُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ يستقلون لبثهم في الدنيا جدًا لما يعانونه في الآخرة من أهوالها.

[١٠٥] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ كيف تكون يوم القيامة ﴿فَقُلْ لَهُمْ﴾: ﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ بأن يفتتها كالرمل السائل، ثم يطيرها بالرياح.

[١٠٦] ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا﴾ منبسطة ﴿صَفْصَفًا﴾ مستوية.

[١٠٧] ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾ انخفاضًا ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ ارتفاعًا. [١٠٨] ﴿يَوْمَ يُزْفَقُ﴾ أي: يوم إذ نسفت الجبال ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ أي: الناس بعد القيام من القبور ﴿الدَّاعِيَ﴾ إلى الخشعر بصوته؛ وهو: إسرافيل، يقول: هلموا إلى عرض الرحمن ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُمْ﴾ أي: لا اتباعهم؛ أي: لا يقدرون أن لا يتبعوا ﴿وَحَشَعَتِ﴾ سكنت ﴿الْأَصْوَارُ لِلرَّحْمَنِ﴾ فلا تسمع إلا همسًا ﴿صَوْتِ وَطءِ الْأَقْدَامِ﴾ في نقلها إلى الخشعر؛ كصوت أخفاف الإبل في مشيتها<sup>(١)</sup>.

[١٠٩] ﴿يَوْمَ لَا تَنفَعُ الشَّفَعَةُ أَحَدًا﴾ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ﴿أَنْ يَشْفَعَ لَهُ﴾ ويرضى له ﴿وَرَبُّنَا لَمْ يَقُولْ﴾ بأن يقول: لا إله إلا الله.

[١١٠] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمور الدنيا ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ علمًا لا يعلمون ذلك.

[١١١] ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ خُضَعًا﴾ للحي القيوم ﴿أَيُّ اللَّهِ﴾ وقد خاب خسر ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي: شirkًا.

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿١٠١﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٢﴾ خَلِيدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ يُفْعَخُ فِي الْأَصْوَارِ وَيُخَشِّرُ الْمُخْرِجِينَ يَوْمَ يُزْفَقُ ﴿١٠٤﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَيْسَ إِلَّا عَشْرٌ ﴿١٠٥﴾ تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهِمْ طَرِيقَةً إِنْ لَيْسَ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٦﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٧﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٨﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٩﴾ يَوْمَ يُزْفَقُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَارُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١١٠﴾ يَوْمَ لَا تَنفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١١١﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ ﴿١١٢﴾ عِلْمًا ﴿١١٣﴾ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١٤﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٥﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ الشُّرَكَ ﴿١١٦﴾ أَوْ يُحْدِثُ الْقُرْآنَ ﴿١١٧﴾ لَهُمْ ذِكْرًا مِنْ تَقْدِيمِهِمْ مِنَ الْأَمِّ؛ فيعتبرون.

[١١٢] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فلا يخاف ظلمًا ﴿بزيادة في سيئاته﴾ ولا هضمًا ﴿بنقص من حسناته﴾.

[١١٣] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ معطوف على ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ﴾ أي: مثل إنزال ما ذكر ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا﴾ كررنا ﴿فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ الشُّرَكَ ﴿أَوْ يُحْدِثُ الْقُرْآنَ﴾ لهم ذكرا ﴿مِنْ تَقْدِيمِهِمْ مِنَ الْأَمِّ؛ فيعتبرون﴾.

(١) وقيل: هو همس الشفاعة، وعلى كلا القولين: «فالفهمس» هو الصوت الخفي.



[١٢٦] «قَالَ: الْأَمْرُ كَذَلِكَ أَنْتَكَ إِنَّا نَقَسِينَا» تركتها ولم تؤمن بها «وَكَذَلِكَ» مثل نسيانك آياتنا «الْيَوْمَ نُنْصِرُ» نُثْرِكُ فِي النَّارِ.

[١٢٧] «وَكَذَلِكَ» ومثل جزائنا من أعرض عن القرآن «يَجْزِي مَنْ شَرَفَ» أشرك «وَلَمْ يُؤْمِنْ بِكَائِدِ رَبِّهِ» وَلَعْدَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْقَبْرِ «وَأَبْقَى» أَدُومَ.

[١٢٨] «أَقْلَمَ يَدَيْ» بَيَّنَّ «لَهُمْ» لِكْفَارِ مَكَّةَ «كَمْ» خبرية مفعول «أَهْلَكْنَا» أي: كثيرا إهلاكنا «قَبْلَهُمْ» مِنَ الْقُرُونِ «أَي: الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ» بتكذيب الرسل «يَمْشُونَ» حال من ضمير «لَهُمْ» «فِي مَسْكِنِهِمْ» في سفرهم إلى الشام وغيرها؛ فيعتبروا، وما ذكر<sup>(١)</sup> من أخذ<sup>(٢)</sup>: «إهلاك» من فعله الخالي عن حرف مصدر؛ لرعاية المعنى لا مانع منه<sup>(٣)</sup> «وَإِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ» لعبارة «لَأُولَى الْآيَاتِ» لذوي العقول.

[١٢٩] «وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ» بتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة «لَكَانَ الْإِهْلَاكُ لِرَأْمَا» لازما لهم في الدنيا «وَأَجَلٌ مُّسَمًّى» مضروب لهم، معطوف على الضمير المستتر في «كَانَ»، وقام الفصل بخبرها مكان التأكيـد.

[١٣٠] «فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ» منسوخ بآية القتال «وَسَبِّحْ» صَلِّ «بِحَمْدِ رَبِّكَ» حال؛ أي: متلبسا به «فَقَدْ طُلُوعَ الشَّمْسِ» صلاة الصبح «وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» صلاة العصر «وَمِنْ آتَائِ اللَّيْلِ» ساعاته «وَسَبِّحْ» صَلِّ الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ «وَأَطْرَافَ النَّهَارِ» عطف على محس «وَمِنْ آتَائِ» المنصوب؛ أي: صَلِّ الظُّهْرَ؛ لأن وقتها يدخل بزوال الشمس؛ فهو طَرْفُ النصف الأول، وطَرْفُ النصف الثاني «لَعَلَّكَ تَرْضَى» بما تُعْطَى مِنَ الثَّوَابِ.

[١٣١] «وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا» أصنافا «مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» زينتها وبهجتها «لِنُفْتِنَهُمْ فِيهِ» بأن يطفوا «وَرِزْقًا رِيبًا» فِي الْجَنَّةِ «خَيْرٌ» مما أوتوه في الدنيا «وَأَبْقَى» أَدُومَ.

[١٣٢] «وَأَمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ» اصبر «عَلَيْهَا» لَا تَسْتَلْكَ نَكْفِكَ «رِزْقًا» بنفسك ولا لغيرك «فَتَنْزُقَكَ» وَالْعَاقِبَةُ» الْجَنَّةُ لِلتَّقْوَى» لأهلها.

[١٣٣] «وَقَالُوا» المشركون: «لَوْلَا» هَلَّا «يَأْتِينَا» محمد «بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ» مما يقتضونه «وَأَلَمْ تَأْتِهِمْ» بالباء والياء<sup>(٥)</sup> «بَيِّنَةٌ» بيان «مِمَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى» المشتمل عليه القرآن؛ من أنباء الأمم الماضية، وإهلاكهم بتكذيب الرسل.

[١٣٤] «وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ» قبل محمد الرسول

قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَكَ إِنَّا نَقَسِينَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْصِرُ  
وَكَذَلِكَ يَجْزِي مَنْ شَرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِكَائِدِ رَبِّهِ وَلَعْدَابُ الْآخِرَةِ  
أَشَدُّ وَأَبْقَى أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ  
يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَأُولَى الْآيَاتِ  
وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِرَأْمَا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى  
فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ  
وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آتَائِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ  
تَرْضَى وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنُفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقًا رِيبًا خَيْرٌ وَأَبْقَى وَأَمُرْ أَهْلَكَ  
بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ  
لِلتَّقْوَى وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ  
بَيِّنَةٌ مِمَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ  
مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ  
آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى قُلْ كُلُّ مُرْصِدٍ فَرَصُوعًا  
فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى

«لَقَالُوا» يوم القيامة: «رَبَّنَا لَوْلَا» هَلَّا «أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ  
آيَاتِكَ» المرسل بها «وَمِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ» فِي الْقِيَامَةِ «وَنَخْزَى» فِي  
جَهَنَّمَ.

[١٣٥] «قُلْ» لَهُمْ: «كُلُّ» مِمَّا مِنْكُمْ «مُتَرَبِّصٌ» منتظر ما يؤول  
إليه الأمر «فَرَصُوعًا فَسَتَعْلَمُونَ» فِي الْقِيَامَةِ «مَنْ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ» الطريق  
«السَّوِيِّ» المستقيم «وَمَنِ اهْتَدَى» مِنَ الضَّلَالَةِ أَنَحْنُ أَمْ أَنْتُمْ؟

\*\*\*

(١) في تفسير: «كم أهلكنا».

(٢) أي: أخذ المصدر.

(٣) أي: لا مانع منه لغة.

(٤) أي: على الصلاة؛ بإقامتها حدودها وأركانها وخشوعها؛ فإن ذلك شاق على الفرس، ولكن ينبغي جهادها على ذلك والصبر معها. فالضمير في قوله: «عليها» يرجع إلى الصلاة، وليس إلى «أهلك».

(٥) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وابن عامر وشعبة.

## سورة الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾  
 مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ  
 يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ  
 ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَةَ وَأَنْتُمْ  
 تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ يَعْلَمُ الْقَوْلُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ  
 وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ  
 أَفْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ  
 ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ أَهْلَكْنَاهُمْ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ  
 ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ  
 الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا  
 لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ  
 الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَاهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾  
 لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

## سورة الأنبياء

[مكية، وهي: مائة وإحدى عشرة، أو: واثنان عشرة آية،

نزلت بعد سورة [إبراهيم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَقْرَبَ﴾ قرب ﴿لِلنَّاسِ﴾ أهل مكة منكري البعث  
 ﴿حِسَابُهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿تُبْصِرُونَ﴾ عن التأهب له  
 بالإيمان.  
 [٢] ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ﴾ شيئاً فشيئاً؛ أي: لفظ  
 قرآن<sup>(١)</sup> ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يستهزئون.  
 [٣] ﴿لَاهِيَةً﴾ غافلة ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ عن معناه ﴿وَأَسْرَأَ النَّجْوَى﴾ الكلام  
 الذي يترك ظلموا بدل من وار ﴿وَأَسْرَأَ النَّجْوَى﴾ هَلْ هَذَا؟ أي:  
 محمد ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ فما يأتي به سحر ﴿أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَةَ﴾

تبعونه ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ تعلمون أنه سحر.  
 [٤] ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿رَبِّ يَعْلَمُ الْقَوْلُ﴾ كائنات في السماء والأرض وهو  
 السميع ﴿لَا أُسْرُوهُ﴾ أعلم به.  
 [٥] ﴿بَلْ﴾ للانتقال من غرض إلى آخر في المواضع الثلاثة ﴿قَالُوا﴾ فيما  
 أتى به من القرآن: هو ﴿أَضْغَتْ أَحْلَامٌ﴾ أخلط رآها في النوم ﴿بَلْ﴾  
 أفترناه اختلقه ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ فما أتى به سحر ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا﴾  
 أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ كالناقة والعصا واليد.  
 [٦] قال تعالى: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ﴾ أي: أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾  
 بتكذيبها ما أتاه من الآيات ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾؟ لا.  
 [٧] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي﴾ وفي قراءة: بالياء وفتح  
 الحاء<sup>(٢)</sup> ﴿وَالْيَوْمَ﴾ لا ملائكة ﴿فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ العلماء بالنبوة والإنجيل  
 ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك؛ فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقرب  
 من تصديق المؤمنين بمحمد<sup>(٣)</sup>.  
 [٨] ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ أي: الرسل ﴿جَسَدًا﴾ بمعنى: أجساداً ﴿لَا﴾  
 يأكلون الطعام بل يأكلونه ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ في الدنيا.  
 [٩] ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ بإنجائهم ﴿فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ﴾ المصدقين  
 لهم ﴿وَاهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ المكذبين لهم.  
 [١٠] ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ يا معشر قريش ﴿كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ لأنه  
 بلغنكم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتؤمنون به.

(١) وهذا على مذهب الأشاعرة الباطل أن القرآن معنى قائم بذات الرب، أما الألفاظ فمخلوقة، وأن كلام الله قديم، وأنه وصف قائم بالذات، وهذا خلاف مذهب السلف في كلام الله ﷻ وأنه تعالى لم يزل متكلاً بمشيئته وإرادته بما شاء وكيف شاء، وكلامه بمشيئته من لوازم ذاته المقدسة.

(٢) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ حمزة والكسائي كذلك لكن مع الإمالة، وقرأ حفص بالنون وكسر الحاء.

(٣) صلى الله عليه وسلم.

[١١] ﴿وَكَمْ فَصَصْنَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ أَيُّ أَهْلِهِيَ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ كافرًا ﴿وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾.  
 [١٢] ﴿فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسَاسِنَا شَعَرَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ بِالْإِهْلَاكِ﴾ إِذَا هُمْ مِنْهَا يُرْكَضُونَ ﴿يَهْرَبُونَ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ﴾  
 [١٣] فَقَالَتْ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ اسْتَهْزَؤُا: ﴿لَا تَرْكَضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ تُعْمَشُونَ فِيهِ وَمَسْكِكُمْ لَعَنَكُمْ فَتَسْلُونَ﴾ شَيْقًا مِنْ دِينَاكُمْ عَلَى الْعَادَةِ.  
 [١٤] ﴿قَالُوا يَا لِلنَّبِيِّ وَوَلَدُنَا﴾ هَلَاكُنَا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بِالْكَفْرِ.  
 [١٥] ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ الْكَلِمَاتُ دَعْوَتُهُمْ﴾ يَدْعُونَ بِهَا وَيُرَدُّونَهَا ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ كَالزَّرْعِ الْمَحْصُودِ بِالْمَنَاجِلِ؛ بَأَن قَتَلُوا بِالسَّيْفِ ﴿حَصِيدِينَ﴾ مِيتِينَ؛ كَحُمُودِ النَّارِ إِذَا طَفَقَتْ.  
 [١٦] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِنَمِيتَ﴾ عَابِينَ، بَلْ دَالِينَ عَلَى قُدْرَتِنَا وَنَافِعِينَ عِبَادِنَا.  
 [١٧] ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَؤُكَ مَا يُلْهَى بِهِ مِنْ زَوْجَةٍ أَوْ وَلَدٍ لَأَخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ مِنْ عِنْدِنَا؛ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ وَالْمَلَائِكَةِ ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ذَلِكَ، لَكِنَّا لَمْ نَفْعَلْهُ، فَلَمْ نُرِدْهُ.  
 [١٨] ﴿بَلْ نَقْذِفُكَ نَرْمِي بِالْحَقِّ﴾ الْإِيمَانَ ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾ الْكُفْرِ ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ يَذْهَبُهُ ﴿فَإِذَا هُوَ رَاهِقٌ﴾ ذَاهِبٌ، وَدَمَغُهُ فِي الْأَصْلِ: أَصَابَ دِمَاجَهُ بِالضَرْبِ، وَهُوَ مُقْتَلٌ ﴿وَلَكُمْ﴾ يَا كَفَّارَ مَكَّةَ ﴿الْوَيْلُ﴾ الْعَذَابِ التَّنِيدِ ﴿مِمَّا نَصِفُونَ﴾ اللَّهُ بِهِ مِنَ الزَّوْجَةِ أَوْ الْوَلَدِ.  
 [١٩] ﴿وَلَهُ﴾ - تَعَالَى - ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُلْكًا ﴿وَمَنْ عِنْدُ﴾ أَيُّ: الْمَلَائِكَةِ، مُبْتَدَأُ خَبَرَةٍ: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿لَا يَنْتَحِرُونَ الْبَيْتَ وَالنَّهَارَ لَا يَقْتُرُونَ﴾ فَهُوَ كَالنَّفْسِ مِثْلًا لَا يَشْغُلُنَا عَنْهُ شَاغِلٌ.  
 [٢٠] ﴿يَسْتَحْسِرُونَ الْبَيْتَ وَالنَّهَارَ لَا يَقْتُرُونَ﴾ عَنْهُ؛ فَهُوَ كَالنَّفْسِ مِثْلًا لَا يَشْغُلُنَا عَنْهُ شَاغِلٌ.  
 [٢١] ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ يَوْمَ الْفَتْحِ الْإِيمَانُ﴾ الْإِيمَانُ ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾ الْكُفْرِ كَانَتْهُ ﴿مِنْ الْأَرْضِ﴾ كَحَجَرٍ وَذَهَبٍ وَفُضَّةٍ ﴿هُمْ﴾ أَيُّ: الْأَلْهَةِ يُنْشِرُونَ أَيُّ: يَحْيُونَ الْمَوْتَى؟ لَا، وَلَا يَكُونُ إِلَهًا إِلَّا مِنْ بَحْيِ الْمَوْتِ.  
 [٢٢] ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾ أَيُّ: السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿إِلَٰهٌ إِلَّا اللَّهُ﴾ أَيُّ: غَيْرُهُ ﴿لَفَسَدَتَا﴾ أَيُّ: خَرَجْنَا عَنْ نِظَامِهِمَا الْمَشَاهِدُ؛ لَوْجُودُ التَّمَانِعِ بَيْنَهُمَا عَلَى وَفْقِ الْعَادَةِ عِنْدَ تَعَدُّدِ الْحَاكِمِ مِنَ التَّمَانِعِ فِي الشَّيْءِ وَعَدَمِ الْإِتِّفَاقِ عَلَيْهِ ﴿فَسَبَّحْنَاهُ﴾ تَنْزِيهَهُ ﴿اللَّهُ رَبُّ خَالِقِ الْعَرْشِ الْكَرْسِيِّ﴾ الْكَرْسِيِّ ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الْكَفَّارُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الشَّرِيكِ لَهُ وَغَيْرِهِ.

وَكَمْ قَصَصْنَا مِنْ قَبْلِكَ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسَاسِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ لَا تَرْكَضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِكُمْ لَعَنَكُمْ فَتَسْلُونَ ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا حَصِيدِينَ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِنَعْبُدَ﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَؤُكَ مَا يُلْهَى بِهِ مِنْ زَوْجَةٍ أَوْ وَلَدٍ لَأَخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ يَسْتَحْسِرُونَ الْبَيْتَ وَالنَّهَارَ لَا يَقْتُرُونَ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَٰهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسَبَّحْنَاهُ لَعَنَ الْوَيْلُ الْعَذَابِ التَّنِيدِ مِمَّا نَصِفُونَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الزَّوْجَةِ أَوْ الْوَلَدِ﴾ وَمَنْ عِنْدُ أَيُّ: الْمَلَائِكَةُ، مُبْتَدَأُ خَبَرَةٍ: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿لَا يَنْتَحِرُونَ الْبَيْتَ وَالنَّهَارَ لَا يَقْتُرُونَ﴾ فَهُوَ كَالنَّفْسِ مِثْلًا لَا يَشْغُلُنَا عَنْهُ شَاغِلٌ.  
 [٢٣] ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ عَنْ أَعْمَالِهِمْ.  
 [٢٤] ﴿أَوَلَمْ تَأْتُوا بَرْهَانًا﴾ عَلَى ذَلِكَ وَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ ﴿هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ﴾ أَمْتِي؛ وَهُوَ: الْقُرْآنُ ﴿وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾ مِنَ الْأُمَمِ؛ وَهُوَ: التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ وَغَيْرُهُمَا مِنْ كُتُبِ اللَّهِ، لَيْسَ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَا قَالُوا - تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ - ﴿بَلْ أَكْذِبُكُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ تَوْحِيدَ اللَّهِ ﴿فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عَنْ النَّظَرِ الْمَوْصِلِ إِلَيْهِ.

(١) يشير بذلك إلى ما يذكره المتكلمون من دلائل التمانع، وهو استدلال في غير محله، كما بين ذلك شارح الطحاوية، وذلك أنهم يستدلون بالآية على توحيد الربوبية وتفرد الخالق، بينما الآية في إثبات وحدانيته - سبحانه - في ألوهيته.

(٢) جرى الجلالان - السيوطي والخلعي - على القول: بأن «العرش والكرسي» شيء واحد، والصحيح أن العرش غير الكرسي وأكبر منه. كما هو ظاهر الأحاديث، ورجع التعليقات على آية الكرسي رقم (٢٥٥) من سورة البقرة.

يَأْمُرُهُ بِعَمَلِهِمْ أَي: بعده.

[٢٨] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما علموا وما هم عاملون ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ - تعالى - أن يشفع له ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ﴾ - تعالى - ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون.

[٢٩] ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الله؛ أي: غيره؛ وهو: إبليس دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعتها ﴿فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ﴾ كما نجزيه ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ المشركين.

[٣٠] ﴿أُولَئِكَ يَوَاوَرَتْهُمَا﴾ (١) ﴿يَرَى﴾ يعلم ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا أَنَّهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ كَانَتْ رِفْقًا سَدًّا﴾ بمعنى: مسدودة ﴿فَفَقَّقْنَاهُمَا﴾ جعلنا السماء سبعا والأرض سبعا، أو فُتِّقَت السماء أن كانت لا تحط فأمطرت، وفُتِّقَت الأرض أن كانت لا تنبت فأُنبتت ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ النَّازِلَ مِنَ السَّمَاءِ وَالنَّاعِجَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ كل شيء حي من نبات وغيره؛ أي: فالماء سبب لحياته (٢) ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ﴾ بتوحيدي؟

[٣١] ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ جبالا ثوابت لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾ تتحرك ﴿بِهِمْ﴾ وجعلنا فيها الرواسي ﴿فِي جِبَالٍ﴾ مسالك ﴿سُبُلًا﴾ بدلا، صرقا نافذة واسعة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ إلى مقاصدهم في الأسفار.

[٣٢] ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا﴾ للأرض؛ كالسقف للبيت ﴿مُحْفَظًا﴾ عن الوقوع ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يفكرون فيها؛ فيعلمون أن خالقها لا شريك له.

[٣٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ تنويه عوض عن المضاف إليه من: (الشمس والقمر) وتابعه؛ وهو: (النجوم) ﴿فِي فَلَكٍ﴾ مستدير؛ كالطاحونة في السماء ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يسبِّحون بسرعة؛ كالسباح في الماء، وللتشبيه به أتى بضمير جمع من يعقل.

[٣٤] ﴿وَنَزَّلَ﴾ لما قال الكفار: إن محمدا سيموت: ﴿رَمَّا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ البقاء في الدنيا ﴿أَفَإِنْ مَتَّ فَهُمْ الْخُلْدُونَ﴾ فيها؟ لا، فالجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري.

[٣٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ في الدنيا ﴿وَنَبْلُوكُمْ﴾ نختبركم ﴿بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ ككفر وغنى، وسقم وصحة ﴿وَفِتْنَةٍ﴾ مفعول له؛ أي: لننظر أنصبرون وتشكرون أم لا؟ ﴿وَالَّذِينَ تَرَجَعُونَ﴾ فنجازيكم.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٩﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٣٠﴾ لَا يَسْخَفُونَهُ بِأَقْوَالٍ وَهُمْ يَأْمُرُونَ بِعَمَلٍ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٣١﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٣٢﴾ أُولَئِكَ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَتَفَقَّقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣٤﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٥﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مَتَّ فَهُمْ الْخُلْدُونَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَالَّذِينَ تَرَجَعُونَ ﴿٣٨﴾

[٢٩] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ﴾ وفي قراءة: بالنون وكسر الحاء (١) ﴿إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ أي: ومحدوني.

[٢٦] ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ من الملائكة ﴿سُبْحَانَهُ﴾ هم ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ عنده، والعبودية تنافي الولادة.

[٢٧] ﴿لَا يَسْخَفُونَهُ بِأَقْوَالٍ﴾ لا يأتون بقولهم إلا بعد قوله ﴿وَهُمْ

(١) قرأ حفص وحزمة والكسائي بالنون وكسر الحاء، وقرأ بقية السبعة بالياء وفتح الحاء.

(٢) بتركها قراءة ابن كثير.

(٣) قال صاحب قرة العين ص (٤٢٣): «... هذا التفسير ... غير مطابق لنص الآية؛ إذ لو كان المعنى كما ذكره الخليلي؛ لكان لفظ الآية: «وجعلنا من الماء، أو بالماء، كل شيء حيا»، وليس كذلك؛ فقد جاء لفظ «حي» بالجر صفة لـ «شيء»، وقوله تعالى: «وجعلنا» بمعنى: «خلقنا»؛ أي خلقنا كل شيء حي من الماء... يؤيد قوله تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ» [النور: ٤٥]... انتهى كلامه بنصرف يسير.



الباء<sup>(١)</sup> ﴿مَا يُنذِرُونَ﴾ هم؛ لتركهم العمل بما سمعوه من الإنذار؛ كالصم [٤٦] ﴿وَلَكِنْ مَسَّنَّهْمُ فَجْهٌ﴾ وقعة خفيفة ﴿مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ يَقُولُ بَئَا﴾ للتنبيه ﴿وَلَنَّا﴾ هلا كنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بالإشراك وتكذيب محمد.

[٤٧] ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾<sup>(٢)</sup> ذوات العدل ﴿لِيُوزِنَ الْقِيَمَةَ﴾ أي: فيه ﴿فَلَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ من نقص حسنة أو زيادة سيئة ﴿وَلَنْ كَاتِبُ الْعَمَلِ﴾ ومثال ﴿زَنَ﴾ ﴿حَسْرَةً مِنَ خِزْيٍ آتَيْنَا بِهِمَا﴾ بموزونها ﴿وَكُنِيَ بِنَا حَسِيرِينَ﴾ محصين كل شيء.

[٤٨] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ أي: التوراة الفارقة بين الحق والباطل، والحلال والحرام ﴿وَضِيَاءً﴾ بها ﴿وَذِكْرًا﴾ عظة بها ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

[٤٩] ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ عن الناس؛ أي: في الخلاء عنهم ﴿وَهُمْ يَنْتَظِرُ السَّاعَةَ﴾ أي: أهوالها ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون. [٥٠] ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَمْ تُكْرَهُوا؟﴾ الاستفهام فيه للتوبيخ.

[٥١] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: هداه قبل بلوغه ﴿وَكُنَّا بِيَوْمٍ عَلِيمِينَ﴾ بأنه أهل لذلك.

[٥٢] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾ الأصنام ﴿الَّتِي أَنْشَأَ هَا عِبَادَتَكُمْ﴾ أي: على عبادتها مقيمون.

[٥٣] ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا هَا عِبَادَتًا﴾ فاعتدنا بهم. [٥٤] ﴿قَالَ لَهُمْ﴾ ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ بعبادتها ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

[٥٥] ﴿قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ﴾ في قولك هذا ﴿أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾ فيه؟.

[٥٦] ﴿قَالَ بَلْ زَيْكُكُمْ﴾ المستحق للعبادة ﴿رَبُّكُمْ﴾ مالك ﴿الْتَرْتُونَ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ﴾ خلقهم على غير مثال سبق ﴿وَأَنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ الذي قلته ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ به.

[٥٧] ﴿وَنَالَهُ لَكِبَةٌ أَصَمُّكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَدِيرِينَ﴾.

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَكِنْ مَسَّنَّهْمُ فَجْهٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَنْوَلِنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تَظْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٥٠﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَمْ تُكْرَهُوا؟ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥٢﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْشَأْتُمْ لَهَا عِبَادَتُونَ ﴿٥٣﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا هَا عِبَادَتًا لَّهَا أَجْنَتُنَا لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ زَيْكُكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَنَالَهُ لَكِبَةٌ أَصَمُّكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَدِيرِينَ ﴿٥٧﴾

[٤٥] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ من الله لا من قبل نفسي ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً قعد بين يدي النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن لي مملوكين يكذبوني ويخونوني ويعصوني، وأشتتهم وأضرهم، فكيف أنا منهم؟ قال: «يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك، وعقابك إياهم؛ فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل». قال: فتحنى الرجل فحنى يمينه ويهتف. أي: يصيح. فقال رسول الله ﷺ: «أما تقرأ كتاب الله؟» «نعم» قال: «وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تَظْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ» الآية. فقال الرجل: يا رسول الله، ما أجد لي ولهؤلاء شيئاً خيراً من مفارقتهم؛ أشهدكم أنهم أحرار كلهم. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٢٢) سورة الأنبياء. وصحح الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٢٥٣١).

(١) تحقيق الهمزتين هو قراءة حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر، وأما تسهيل الثانية فهو قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.



فَجَعَلَهُمْ جُذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذِهِ أَلَهِنَا إِنَّهُ وَلَئِنْ أَظْلَمَ لَمِيتٌ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذِهِ أَلَهِنَا يَا ابْنَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ وَكِدُهُمْ هَذَا فَاسْتَوُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطُقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطُقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا احْرَقُوهُ وَأَصْرُوا أَلَهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ فَلَمَّا يَنْتَازِكُونِي رَبِّدَا وَسَلَّمَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

[٥٨] ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ بعد ذهابهم إلى مجتمعهم في يوم عبد لهم ﴿جُذًا﴾ بضم الجيم وكسرها<sup>(١)</sup>، فَنَاتَا بِقَاسٍ ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ عَلَّقَ الْفَاسَ فِي عَقْفِهِ ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى الكبير ﴿يَرْجِعُونَ﴾ فيرون ما فعل بغيره.

[٥٩] ﴿قَالُوا﴾ بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل: ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا يَا لَهِنَا﴾ ثُمَّ لَمِنَ الظَّالِمِينَ فيه.

[٦٠] ﴿قَالُوا﴾ أي: بعضهم لبعض: ﴿سَمِعْنَا فَتَى يَدْكُرُهُمْ﴾ أي: يسميهم ﴿يُقَالُ لَهُ، إِبْرَاهِيمُ﴾.

[٦١] ﴿قَالُوا فَأَتُوا بِهِ، عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ أي: ظاهروا ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ عليه أنه الفاعل.

[٦٢] ﴿قَالُوا﴾ له بعد إتيانه: ﴿أَنْتَ﴾ بتحقيق الهزتين، وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركة<sup>(٢)</sup> ﴿فَعَلْتَ هَذَا يَا ابْنَ إِبْرَاهِيمَ﴾.

[٦٣] ﴿قَالَ﴾ ساكتًا عن فعله: ﴿بَلْ فَعَلَكُمْ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْتَوُوهُمْ﴾ عن فاعله ﴿إِنْ كَانُوا يَنْطُقُونَ﴾<sup>(٣)</sup> فيه تقديم جواب الشرط، وفيما قبله<sup>(٤)</sup> تعريض لهم بأن الصمم المعلوم عجزه عن الفعل لا يكون إلها.

[٦٤] ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ بالتفكير ﴿فَقَالُوا﴾ لأنفسهم: ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بعبادتهم من لا ينطق [٦٥] ﴿ثُمَّ نَكَسُوا﴾ من الله ﴿عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ أي: ردوا إلى كفرهم، وقالوا: والله ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطُقُونَ﴾ أي: فكيف تأمرنا بسؤالهم؟!

[٦٦] ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: بدله ﴿مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا﴾ من رزق وغيره ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ شيئًا إذا لم تعبدوه.

[٦٧] ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بكسر الفاء وفتحها<sup>(٥)</sup>؛ بمعنى مصدر، أي: نتنا وقبحا ﴿لَكُمْ﴾ وَلَمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أي: غيره ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها، وإنما يستحقها الله تعالى؟.

[٦٨] ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ أي: إبراهيم ﴿وَأَصْرُوا أَلَهَتَكُمْ﴾ أي: بتحريقه ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ نصرتها؛ فجمعوا له الخطب الكثير وأضرمو النار في جميعه، وأوثقوا إبراهيم وجعلوه في منجنيق ورموه في النار.

[٦٩] قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا يَنْتَازِكُونِي رَبِّدَا وَسَلَّمَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ فلم تحرق منه غير وثاقه، وذهبت حرارتها وبقيت إضاءتها، وبقوله: ﴿وَسَلَّمَا﴾ سلم من الموت بيردها.

[٧٠] ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ وهو التحريق ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ في مرادهم.

[٧١] ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾ ابن أخيه «هاران» من العراق ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ بكثرة الأنهار والأشجار؛ وهي: الشام<sup>(٦)</sup>، نَزَلَ إِبْرَاهِيمَ بِفلسطين، ولسوط بالمؤتفة<sup>(٧)</sup>، وبينهما يوم.

[٧٢] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ أي: لإبراهيم - وكان سأل ولدًا كما ذكر في الصفات - ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ أي: زيادة عن المسئول، أو هو ولد الولد ﴿وَكُلًّا﴾ أي: هو وولده ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ أنبياء.

(١) فائدة: أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم النبي ﷺ قط إلا ثلاث كذبات؛ تنتين في ذات الله؛ قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَكُمْ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾، وواحدة في شأن سارة؛ فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة، وكانت أحسن الناس، وقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك؛ فإن سألتني فأخبره أنك أختي؛ فإنك أختي في الإسلام... الحديث. مسلم - كتاب المصائل (٤٣) باب (٤١) من فضائل إبراهيم الخليل.

(١) بالكسر قراءة الكسائي.

(٢) حاصل ما ذكر المفسر خمس قراءات وكلها سبعة.

(٣) أي في قوله: ﴿بَلْ فَعَلَكُمْ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾.

(٤) بالفتح قراءة ابن كثير وابن عامر، وبالكسر بدون تنوين قراءة حمزة والكسائي وشعبة وأبي عمرو، فالقراءات ثلاث، وكلها سبعة.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة عن أبي مالك، وأخرجه ابن أبي حاتم عن أبي بن كعب، وأخرجه ابن المنذر عن مجاهد، وأخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر عن قتادة [الدر المنثور

(٥٨٢، ٥٨١/٤).

(٦) هي قرى قوم لوط؛ سميت بذلك لأن الله تعالى جعل عاليها سافلها.

[٧٥] ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ بأن أنجيناه من قومه ﴿إِنَّهُمْ مِنْ الْفَاسِقِينَ﴾.

[٧٦] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿نُوحًا﴾ وما بعده بدل منه ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ دعا على قومه بقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي﴾ إلخ ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل إبراهيم ولوط ﴿فَأَسَجَنَّا لَهُمْ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ الذين في سفينة ﴿مِنْ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أي: الغرق، وتكذيب قومه له.

[٧٧] ﴿وَصَرْفَتْنَاهُ﴾ معناه ﴿مِنْ الْقَوْرِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على رسالته، أن لا يصلوا إليه بسوء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٧٨] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ أي: قصتهما، ويبدل منهما: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ هو زرع أو كرم ﴿إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمَمُ الْقَوْمِ﴾ أي: رَعْنُهُ ليلًا بلا راع؛ بأن افلست ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ فيه استعمال ضمير الجمع لاتنين، قال داود: لصاحب الحرث رقاب الغنم.

وقال سليمان: ينتفع بذوها ونسلها وصوفها إلى أن يعود الحرث كما كان؛ لإصلاح صاحبها فيردّها إليه.

[٧٩] ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾ أي: الحكمة ﴿سُلَيْمَانَ﴾ وحكمهما باجتهاد، ورجع داود إلى سليمان، وقيل: بوحى، والثاني ناسخ للأول ﴿وَكَلَّلَاهُ﴾ منها ﴿ءَاتَيْنَاهُ هُ﴾ حكمًا ﴿نُبُوَّةً﴾ ﴿وَعِلْمًا﴾ بأمور الدين ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ كذلك سخرًا للتسبيح معه لأمره به إذا وجد قفزة<sup>(٤)</sup> لينشط له ﴿وَكُنَّا فُلُوعَيْنَ﴾ تشخير تسيبهما معه، وإن كان عجبًا عندهم؛ أي: مجاوبته<sup>(٥)</sup> للسيد داود.

[٨٠] ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ وهي الدرع؛ لأنها تلبس، وهو أول من صنعها، وكان قبلها صفائح ﴿لَكُمْ﴾ في جملة الناس ﴿لِنُخَصِّنْكُمْ﴾ بالنون<sup>(٦)</sup>: لله، وبالتحتانية<sup>(٧)</sup>: لداود، وبالفوقانية: للبوس<sup>(٨)</sup> ﴿مِنْ بَاسِكُمْ﴾ حربكم مع أعدائكم ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿شَاكِرُونَ﴾ نعمتي بتصديق الرسول؟ أي: اشكروني بذلك.

[٨١] ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿لِبَلْعَمَنَ الرَّيْحِ عَاصِفَةً﴾ وفي آية أخرى: ﴿رِيحًا﴾<sup>(٩)</sup> أي: شديدة الهبوب وخفيفته حسب إرادته ﴿تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ وهي الشام ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ من ذلك: علّمه تعالى بأن ما يعطيه سليمان يدعوه إلى الخضوع لربه؛ ففعله - تعالى - على مقتضى علميه.

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلَوْ طَاءَ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَرِيْبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيْثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَفَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَصَرْفَتْنَاهُ مِنَ الْقَوْرِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّلَاهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُخَصِّنْكُمْ مِنْ بَاسِكُمْ ﴿٨٠﴾ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨١﴾ وَلَسُلَيْمَانَ الَّرِيْحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِنَا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨٢﴾

[٧٣] ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء<sup>(١)</sup>، يُقَدَّرُ بهم في الخير ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِأَمْرِنَا﴾ إلى ديننا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ أي: أن تفعل وتقام وتؤتى منهم ومن أتباعهم، وحذف هاء [إقامة] تخفيفًا ﴿وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾.

[٧٤] ﴿وَلَوْ طَاءَ آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ فصلًا بين الخصوم ﴿وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَرِيْبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ﴾ أي: أهلها الأعمال ﴿الْخَبِيْثَ﴾ من اللواط، والرمي بالبندق، واللعب بالطيور وغير ذلك<sup>(٢)</sup> ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ﴾ مصدر «سَاءَهُ»، نقيض «سَرَّهُ» ﴿فَاسِقِينَ﴾.

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالتسهيل بين يين، وذهب بعض أهل الأداء إلى إبدال الهمزة الثانية باء خالصة، وهكذا في جميع المواضع التي وردت فيها الكلمة وهي حمسة.

(٢) أخرج ابن عساکر عن الحسن عليه السلام مرسلاً: «عشر خصال عملتها قوم لوط بها أهلکوا وتزیدها أمي بخلة؛ إتيان الرجال بعضهم بعضاً، وريهم بالجلال، والخذف ولعهم بالحمام وضرب الدفوف وشرب الخمر وقص اللحية وطول الشارب والصفر والتصفيق ولباس الحرير، وتزیدها أمي بخلة؛ إتيان النساء بعضهم بعضاً.» وقال الألباني في ضعيف الجامع (٣٧١١): موضوع.

(٣) نوح: ٢٦.

(٤) أي فتورًا.

(٥) في بعض النسخ المطبوعة: (مجاوبة).

(٦) وهي قراءة شعبة.

(٧) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو والكسائي، وقرأ حفص وابن عامر بالتاء.

(٨) وذلك ردًا على المعنى، لأن اللبوس: الدرع، والدرع مؤنثة، وقيل: ردًا على الصيغة.

(٩) سورة ص: ٣٦.

وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَغُوصُوتُ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَوَّلُ نَادَى رَبِّهِ وَأَنِّي مَسْنَى الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٨٣﴾ فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَكَفَّضْنَا مَا يَدْعُ مِنْ ضُرِّهِ وَأَنبَأَهُ أَهْلَهُ وَمَثَلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى الْعَلِيدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّوْبِ إِذْ هَبَّ مَعْصِفًا فَظًّا أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَجَجَّتْهُ مِنَ الْعُجْرِ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَذَكَرْنَا إِذْ نَادَى رَبُّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَّبْنَا لَهُ وَيْحَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ وَرَوَّجَهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاؤُا يَسُدُّوْنَ فِي الْخَبَرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾

﴿٩٠﴾ فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ نداءه ﴿وَوَهَّبْنَا لَهُ يَحْيَى﴾ ولدا ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ فأنت بالولد بعد غفبتها ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: من ذكر من الأنبياء ﴿كَانُوا يَسُدُّوْنَ﴾ يبادرون ﴿فِي الْخَبَرَاتِ﴾ الطاعات ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ في رحمتنا ﴿وَرَهَبًا﴾ من عذابنا ﴿وَكَاؤُا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ متواضعين في عبادتهم.

﴿٨٢﴾ سخرنا ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَغُوصُوتُ لَهُ﴾ يدخلون في البحر فيخرجون منه الجواهر لسليمان ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: سوى الغوص؛ من البناء وغيره ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظِينَ﴾ من أن يفسدوا ما عملوا؛ لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل قبل الليل أفسدوه إن لم يشتغلوا بغيره<sup>(١)</sup>.

﴿٨٣﴾ ﴿وَأَوَّلُ نَادَى رَبِّهِ﴾ ويبدل منه: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ لما ابتلي بفقد جميع ماله وولده، وتزريق جسده، وهجر جميع الناس له إلا زوجته سنين ثلاثًا أو سبعا أو ثمانين عشرة وضيق عيشه<sup>(٢)</sup> ﴿أَفَّ﴾ بفتح الهمزة؛ بتقدير الباء ﴿مَسْنَى الضُّرِّ﴾ أي: الشدة ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾.

﴿٨٤﴾ ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ﴾ نداءه ﴿وَكَفَّضْنَا مَا يَدْعُ مِنْ ضُرِّهِ وَأَنبَأَهُ أَهْلَهُ﴾ أولاده الذكور والإناث؛ بأن أخبوا له<sup>(٣)</sup> وكل من الصنفين ثلاث أو سبع<sup>(٤)</sup> ﴿وَمَثَلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ من زوجته وزيد في شياها<sup>(٥)</sup>، وكان له أنذر للقمح وأنذر للشعير؛ فبعث الله سحابتين أفرغت إحداها على أنذر القمح للذئب، وأفرغت الأخرى على أنذر الشعير الورق حتى فاض<sup>(٦)</sup> ﴿رَحْمَةً﴾ مفعول به ﴿مِّنْ عِنْدِنَا﴾ صفة ﴿وَذَكَرْنَا لِلْعَلِيدِينَ﴾ ليصبروا؛ فيثابروا.

﴿٨٥﴾ ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ صفة ﴿وَذَكَرْنَا لِلْعَلِيدِينَ﴾ ليصبروا؛ فيثابروا.

﴿٨٦﴾ ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ من النبوة<sup>(٧)</sup> ﴿إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ لها، وشعبي ذَا الْكِفْلِ؛ لأنه تكفل بصيام جميع نهاره وقيام جميع ليله، وأن يقضي بين الناس ولا يفض؛ فوفى بذلك، وقيل: لم يكن نبيا<sup>(٨)</sup>.

﴿٨٧﴾ ﴿وَذَا النُّوْبِ﴾ صاحب الحوت؛ وهو: يونس بن متى، ويبدل منه: ﴿إِذْ هَبَّ مَعْصِفًا﴾ لقومه؛ أي: غضبان عليهم بما قاسى منهم، ولم يؤذن له في ذلك ﴿فَقُلَّ أَنْ لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: نقضي عليه بما قضيناه من حبسه في بطن الحوت، أو نضيق عليه بذلك ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ في ذهاني من بين قومي بلا إذن ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَجَجَّتْهُ مِنَ الْعُجْرِ﴾ بتلك الكلمات ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما نجيها ﴿نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ من كربهم إذا استغاثوا بنا داعين<sup>(٩)</sup>.

﴿٨٩﴾ ﴿وَذَكَرْنَا رَبَّهُ﴾ ويبدل منه: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ بقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي: بلا ولد يرثني ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ الباقي بعد فناء خلقك.

(١) وذلك باعتبار أن الضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعود على الشياطين، وهو قول الجمهور، باعتبارهم أقرب مذكور، وقيل: المعنى حافظين لهم من أن يهربوا أو يمتنعوا أو يخرجوا عن أمره. واختار بعض المفسرين عود الضمير على داود وسليمان - عليهما السلام -؛ والمعنى: كنا لهم مؤيدين ومعينين، قال ابن كثير: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظِينَ﴾ أي: بحرسه الله أن يناله أحد من الشياطين بسوء، بل كل في قبضته وتحت قهره. اهـ. وأما ما ذكره المفسر هنا من إفسادهم للعمل، فلا دليل عليه.

(٢) صحح الألباني حديث أنس مرفوعا في قصة أيوب عليه السلام: وفيه أن البلاء لبث به ثمان عشرة سنة، وأنه رفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه، وكذلك زوجته. وعراه لأبي يعلى وأبي نعيم. الصحيح: ١٧٧.

(٣) أخرج نحوه ابن جرير عن ابن جريج وعن الحسن وقادة. تفسير الطبري (٧٢/١٧)، (٧٣، ٧٤).

(٤) ذكر البغوي في تفسيره عن وهب: كان له سبع ناث وثلاثة بنين، وذكر عن ابن يسار: كان له سبع بنين وسبع بنات. [تفسير البغوي (٣٤٧/٥)].

(٥) أخرج نحوه ابن مردويه وابن جرير عن الضحاک عن ابن عباس مرفوعا كما في الدر المنثور (٦٦٠/٥).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وابن مردويه عن أنس مرفوعا [الدر المنثور (٥٩٢/٤)]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٣/١)، رقم (١٧).

وهالأندلس: البير، وهو الموضع الذي يلدس فيه الطعام. وهالورق: الفضة.

(٧) النبوة من آثار رحمة الله ﷻ وليست هي الرحمة، وصنيع المفسر هذا جرأ على طريقته في تأويل صفة الرحمة وغيرها من الصفات التي أثبتها ربنا ﷻ لنفسه ونشها له على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكليل ولا تكيف.

(٨) قال ابن كثير: فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقرونا مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه بي، وهذا هو المشهور. وأما سبب تسميته التي ذكرها المفسر فلا دليل عليها. وقد رجح بعض المحققين أنه حزبل عليه السلام. فإله أعلم.

(٩) كما عند الترمذي (٣٥٠٥) من حديث سعد بن أبي وقاص مرفوعا: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فإنه لم يدع بها -

فَأَعْبُدُونِ ﴿٩٠﴾ وَخُذُونَ

[٩٠] ﴿وَتَقَطَّعُوا﴾ أي: بعض المخاطبين ﴿أَمَرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي: تفرقوا أمر دينهم متخالفين فيه؛ وهم: طوائف اليهود والنصارى، قال - تعالى - : ﴿كُلُّ إِلَهٍ لَّهُمْ رَجُوعٌ﴾ أي: فنجازيه بعمله.

[٩١] ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ﴾ أي: لا جحود ﴿لِيسْعَىٰ﴾ وإلَّا لَمْ كُتِبْ لَهُ ﴿بِأَن نَّامِرَ الْحَقْلَةَ بِكُتَيْبَةٍ﴾ فنجازيه عليه. [٩٢] ﴿وَحَرَّمْ عَلَىٰ قَرِينِهِ أَهْلَكْنَاهَا﴾ أريد أهلها ﴿أَتُنْهَىٰ لَهُ﴾ زائدة ﴿يَرْجِعُونَ﴾ أي: مُشْتَبِعٌ رُجُوعُهُمْ إِلَى الدُّنْيَا.

[٩٣] ﴿حَقٌّ﴾ غاية لامتناع رجوعهم ﴿إِذَا فُتِحَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(١)</sup> ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ بالهمز وتركه<sup>(٢)</sup>؛ اسمان أعجميان لقبيلتين، ويُقَدَّرُ قبله مضاف؛ أي: سُدَّتْهُمَا، وذلك قرب القيامة ﴿وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾ مرتفع من الأرض ﴿يَنْسِلُونَ﴾<sup>(٣)</sup> يسرعون.

[٩٤] ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقِّ﴾ أي: يوم القيامة ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ أي: القصة<sup>(٤)</sup> ﴿شَخْصَةً أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في ذلك اليوم لشدة، يقولون: ﴿يَا﴾ للتنبية ﴿وَوَلَّانَا﴾ هلاكنا ﴿قَدْ كُنَّا﴾ في الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ اليوم ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أنفسنا بتكدينا للرب.

[٩٥] ﴿إِنكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره من الأوثان ﴿حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ وقودها ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾ داخلون فيها.

[٩٦] ﴿لَوْ كُنَّا هَكَذَا﴾ الأوثان ﴿وَاللَّهِ﴾ كما زعمتم ﴿مَا وَرَدُّوهَا﴾ دخلوها ﴿وَكُلٌّ﴾ من العابدين والمعبودين ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٩٧] ﴿لَهُمْ﴾ للعابدين ﴿فِيهَا زُفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ شيئاً؛ لشدة غلبتها.

[٩٨] ﴿وَنَزَلَ﴾ لما قال ابن الزُّبَيْرِي: عُيِّدَ عَزِيرُ الْمَسِيحِ وَالْمَلَائِكَةُ؛ فهم في النار<sup>(٥)</sup> على مقضى ما تقدم :: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ يَتَا﴾ المنزل ﴿الْحَسَنَى﴾ ومنهم من ذكر ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.

وَأَلَّتْ أَحْصَنَتْ قَرْجَهَا فَفَخَّنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَأَنْتَهَاءَ آيَةٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ أَمْتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهٍ لَّهُمْ رَجُوعٌ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَّمْ عَلَى قَرِينِهِ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَقٌّ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَخْصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْتُونَ قَادَةَ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كُنَّا هَؤُلَاءَ آلَ اللَّهِ مَا وَرَدُّوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زُفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

[٩١] ﴿وَأَلَّتْ أَحْصَنَتْ قَرْجَهَا﴾ حفظته من أن ينال ﴿فَفَخَّنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ أي: جبريل؛ حيث نفخ في جيب يدرعها؛ فحملت بعيسى ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَأَنْتَهَاءَ آيَةٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن والملائكة؛ حيث ولدته من غير فخل.

[٩٢] ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ أي: ملة الإسلام ﴿أَمْتُكُمْ﴾ دينكم أيها المخاطبون؛ أي: يجب أن تكون عليها ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ حال لازمة ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ

(١) فائدة: أخرج البخاري عن زينب بنت جحش أن النبي ﷺ دخل عليها فرغماً يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه - وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها - ... الحديث. البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٧) قصة يأجوج ومأجوج، وأخرجه مسلم - كتاب الفتن (٥٢) باب (١) اقتراب ظهور الفتن.

= رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٨٢).

(١) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٢) بتركة قراءة السبعة عدا عاصم.

(٣) وهي تسميته عند بعض النحويين، ويسمى عند جمهور البصريين: ضمير الشأن، وهو: ضمير يكون في صدر جملة بعده، تفسر دلالة وتوضح المراد منه، ومعناها معناه. وسموه بذلك؛ لأنه يرمز للشأن؛ أي: الحال التي يبرأ الكلام عنها.

(٤) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (١٥٣/١٦، ١٦٠/٣)، وأحمد في المسند (٣١٧/٣)، والطبراني في الكبير (١١٨/١١٩)، وحسنه الحافظ ابن حجر في «مواقفة الخبر الحبر» (١٧٣/٢، ١٧٤)، وأخرج الحاكم نحوه في المستدرک (٣٨٤/٢، ٣٨٥) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وصححه بمجموع طرقه في الاستيعاب (٤٩٤/٢).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ كَمَا أَنَّ زلزلة الساعة شيء عظيم ﴿١﴾ يَوْمَ تَرْوُهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ تَوَلَاةٍ فَإِنَّهُ رِيضٌ لَهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفُوفٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرِّرَ الْأَرْحَامَ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَذَلِّ الْأَعْمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ ﴿٥﴾

## سورة الحج

[مكية إلا ﴿٥﴾ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يُعَذِّبُ اللَّهُ الْأَبْتَيْنِ، أَوْ إِلَّا هَكَذَا حَصَمَانِ] الست آيات فمدينيات، وهي: أربع، أو: خمس، أو: ست، أو: سبع، أو: ثمان وسبعون آية، نزلت بعد النور]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة وغيرهم ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: عقابه بأن تطيعوه ﴿إِنَّ زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ أي: الحركة الشديدة للأرض التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها الذي هو قرب الساعة ﴿شيء عظيم﴾ أي: في أعاجيب الناس الذي هو نوع من العقاب.

[٢] ﴿يَوْمَ تَرْوُهَا تَذْهَلُ﴾ بسببها ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ بالفعل

﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ أي: تشاء ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ﴾ أي: حيلى ﴿حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَى﴾ من شدة الخوف ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَرَى﴾ من الشراب ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فهم يخافونه.

[٣] ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قالوا: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين. وأنكروا البعث وإحياء من صار تراباً ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في جداله ﴿كُلُّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ أي: متمرد.

[٤] ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ قضِيَ على الشيطان ﴿أَنَّهُ مِنْ تَوَلَاةٍ﴾ أي: اتبعه ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ﴾ يدعوهُ ﴿إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: النار.

[٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِنْ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي: أصلكم آدم ﴿مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ﴾ خلقنا ذريته ﴿مِنْ نُّفُوفٍ﴾ مني ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ وهي الدم الجامد ﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾ وهي لحمة قدر ما يمضغ ﴿مُخَلَّقَةٍ﴾ مصورة تامة الخلق ﴿وَعَبْرَ مُخَلَّقَةٍ﴾ أي: غير تامة الخلق ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ كمال قدرتنا؛ لتستدلوا بها في ابتداء الخلق على إعادته ﴿وَنُقَرِّرَ﴾ مستأنف ﴿فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ إلى أجل مُّسَمًّى ﴿وَقَتِ خُرُوجِهِ﴾ ثم نُخْرِجُكُمْ ﴿مِنْ بَطُونِ أُمَهَاتِكُمْ﴾ طفلاً بمعنى: أطفالاً ﴿ثُمَّ﴾ نَعْمَرُكُمْ ﴿لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ أي: الكمال والقوة؛ وهو: ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى﴾ يموت قبل بلوغ الأشد ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَذَلِّ الْأَعْمُرِ﴾ أخسه من الهرم والخرف ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ قال عكرمة: «من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة» ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ نابتة ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ تحركت ﴿وَرَبَتْ﴾ ارتفعت وزادت ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ﴾ من كل بهيج حسن.

(١) هذا قول علقمة والشعبي وجماعة من المفسرين. واختار ابن جرير أن الآية تشير إلى هول وفزع وزلزال كائن يوم القيامة. واحتجوا بحديث عمران بن حصين عند أحمد والترمذي وأبي داود وغيرهم، أن النبي ﷺ لما نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ كَمَا أَنَّ زلزلة الساعة شيء عظيم﴾، إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾، فقال: «اتقوا أي يوم هذا؟» فقالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذلك يوم القيامة، يوم يقول الله لأدم: ابعت بعث النار...» الحديث. أخرجه الترمذي في تفسير القرآن (٤٨)، وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن الترمذي (٦١٨). وأخرجه أحمد مختصراً في المسند (٤٣٢/٤). كما استدلل أصحاب هذا القول بأحاديث تلا النبي ﷺ فيها هذه الآيات، منها ما جاء في الصحيحين وغيرهما. انظر: البخاري كتاب التفسير (٦٥) سورة الحج (٢٢)، ومسلم كتاب الإيمان (١) باب (٩٦).

(٢) هذا قول مجاهد، وأبي مالك، ذكره السيوطي في الدر المنثور (١٢/٦) والباب المنقول ص (١٤٨)، ونسبهما لابن أبي حاتم. وهما مرسلان. وذكره البيهقي في تفسيره (٣٦٥/٥).

(٣) يعني أن الواو في قوله: ﴿وَنُقَرِّرَ﴾ استئنافية وليست عطفًا على «لنبيِّن».

[٦] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من بدء خلق الإنسان إلى آخر إحياء الأرض ﴿يَأْنُ﴾ بسبب أن ﴿اللَّهُ هُوَ الْمُخَلِّقُ﴾ الثابت الدائم ﴿وَأَنْتَ يَحْيِي الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٧] ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾.

[٨] ﴿وَنَزَلَ فِي أَبِي جَهْلٍ﴾<sup>(١)</sup>: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ معه ﴿وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ له نور معه.

[٩] ﴿ثَانِي عَظْفِهِ﴾ حال: أي: لا وبي عنفه تكبرا عن الإيمان؛ والعطف: الجانب عن يمين أو شمال ﴿لِيُضِلَّ﴾ بفتح الياء<sup>(٢)</sup> وضمها ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: دينه ﴿لَمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ عذاب؛ فقتل يوم بدر<sup>(٣)</sup> ﴿وَيُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ مُلَوَّنٍ﴾ أي: الإحراق بالنار.

[١٠] ويقال له: ﴿ذَلِكَ﴾ بما قَدِمَتْ بِذَلِكَ أي: قدمته، عَجَزَ عنه بهما دون غيرهما؛ لأن أكثر الأفعال تراوُلَ بهما ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ﴾ أي: بذي ظلم ﴿لِلْعَبِيدِ﴾ فيعذبهم بغير ذنب.

[١١] ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ أي: شَكَّ في عبادته، شبه بالحال على حرف جبل في عدم ثباته ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خِزْيٌ﴾ صَحَّةٌ وسلامة في نفسه وماله ﴿أَظْمَأَنَّ بِهِ﴾ وَأَنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ محنة وسقم في نفسه وماله ﴿أَنقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي: رجع إلى الكفر ﴿خَيْرَ الدُّنْيَا﴾ بفوات ما أمله منها ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالكفر ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾<sup>(٤)</sup>.

[١٢] ﴿يَدْعُوا﴾ يعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الصنم ﴿مَا لَا يَضُرُّهُ﴾ إن لم يعبد ﴿وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾ إن عبده ﴿ذَلِكَ﴾ الدعاء ﴿هُوَ الضَّلَالُ﴾<sup>(٥)</sup> العبد عن الحق.

[١٣] ﴿يَدْعُوا لِمَنْ﴾ اللام زائدة ﴿حَرَرُهُ﴾ عبادته ﴿أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ إن نفع بتخليه ﴿لَيْسَ الْمَوْلَى﴾ هو؛ أي: الناصر ﴿وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾<sup>(٦)</sup> صاحب هو.

[١٤] وَعَقَّبَ ذِكْرَ الشَّاكِّ بِالْخُسْرَانِ بِذِكْرِ الْمُؤْمِنِ بِالْتَّوَابِ فِي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الفروض والنوافل ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾<sup>(٧)</sup> إِنَّ اللَّهَ يَقَعْلُ مَا يُرِيدُ من إكرام من يطيعه، وإهانة من يعصيه.

ذَلِكَ يَا اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ يَحْيِي الْمَوْتِ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢﴾ وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ ثَانِي عَظْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَيُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٤﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدِمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥﴾ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَظْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿٦﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ وَذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿٧﴾ يَدْعُوا لِمَنْ صَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَقَعْلُ مَا يُرِيدُ ﴿٩﴾ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ وَمَا يَعِظُ ﴿١٥﴾

[١٥] ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ أي: محمداً نبيه ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ بسبل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: سقف بيته يشده فيه وفي عنقه ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ أي: ليختنق به؛ بأن يقطع نفسه من الأرض؛ كما في «الصحاح»<sup>(١)</sup> ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ﴾ في عدم نصرة النبي ﴿مَا يَعِظُ﴾ منها؛ المعنى: فليختنق غيظاً منها؛ فلا بد منها.

(٥) ما حاء في زول الآية (١١): أخرجه البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ قال: كان الرجل يقدم المدينة؛ فإن ولدت امرأته غلاماً وتوحيث خيله، قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء. البخاري كتاب التفسير (٦٥) سورة الحج (٢٢) باب ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾

(١) روي ذلك عن ابن عباس، كما ذكره التيسلوي والألوسي وغيرهما، وقيل: نزل في النضر بن الحارث أيضاً وهو قول ابن عباس أيضاً. والتكرير للمبالغة في الذم، قاله القرطبي. وقيل: هي عامة لكل من يتصدى لإضلال الناس وإغوائهم. وقيل: الآية الأولى الواردة في الأتباع المقلدين. وهذه الآية الواردة في المتبوعين المقلدين.

(٢) بالفتح لاين كثير وأبي عمرو، والباقر بالضم.

(٣) أي أبو جهل؛ لاختيار المصنف أنها نزلت فيه.

(٤) كتاب «مختار الصحاح» في اللغة للجوهري.

معطوف على هاء ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾.

[١٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود ﴿وَالصَّابِغِينَ﴾ طائفة منهم ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالْمُجُوسَ وَالَّذِينَ أَتْرَكُوا﴾ إترك الله يفصل بينهم يوم القيمة ﴿يَدْخُلُ الْمُؤْمِنُونَ الْجَنَّةَ﴾، وإدخال غيرهم النار ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من عملهم ﴿سَجِدٌ﴾ غلبت به علم مشاهدية.

[١٨] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ﴾ أي: يخضع له بما يراد منه ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْ أَنَاثٍ﴾ وهم المؤمنون؛ بزيادة على الخضوع في سجود الصلاة ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ وهم الكافرون؛ لأنهم أتوا السجود المتوقف على الإيمان ﴿وَمِن بَيْنِ اللَّهِ يَشْفَعُ﴾ فَمَا لَمْ يَنْصَرِفْ عَنْ مُكْرِمٍ مُّشْعِلٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَقَعْلُ مَا يَشَاءُ﴾ من الإهانة والإكرام.

[١٩] ﴿كَذَلِكَ حَصَمَانِ﴾ أي: المؤمنون خصم، والكفار الخصمة (١) خصم، وهو يطلق على الواحد والجماعة ﴿أَخْضَمُوا فِي رَيْبِهِمْ﴾ أي: في دينه ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ رِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ يلبسونها؛ يعني: أحيطت بهم النار ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْخَمِيمُ﴾ الماء البالغ نهاية الحرارة. [٢٠] ﴿يُصَبُّهُمُ﴾ يذاب ﴿بِهِ﴾ ما في بطونهم ﴿مِن شُحُومٍ وَغَيْرِهَا﴾ ﴿وَيُتَشَوَّى بِهِ﴾ (٢) ﴿الْجُلُودُ﴾ (٣).

[٢١] ﴿وَلَهُمْ مَّقْنِعٌ مِّن حَبِيرٍ﴾ لضرب رءوسهم. [٢٢] ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ أي: النار ﴿مِن غَيْرٍ﴾ يلحقهم بها ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾ رُدُّوا إليها بالمقامع ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾: ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿أَي:﴾ البالغ نهاية الإحراق.

[٢٣] وقال في المؤمنين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَكِّمُونَ فِيهَا مِّنْ أَسَاوِرَ مِّنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ بالجر؛ أي: منهما؛ بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب، وبالذهب عطفًا على محل ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ هو الحرير لبسه على الرجال في الدنيا.

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَّبَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴿١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْمُجُوسَ وَالَّذِينَ أَتْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يَهِنَ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٩﴾ هَذَانِ حَصَمَانِ أَخْضَمُوا فِي رَيْبِهِمُ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ رِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْخَمِيمُ ﴿٢٠﴾ يُصَبُّ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَّقْنِعٌ مِّن حَبِيرٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَيْرٍ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِّنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

[١٦] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: مثل إنزالنا الآية السابقة ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن الباقي ﴿آيَاتٍ يَّبَيِّنَاتٍ﴾ ظاهرات، حال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ هداة،

(١) ما جاء في نزول الآيتين (١٩، ٢٠): أخرج البخاري عن فيس بن عباد عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: أنا أول من يخطو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة. قال فيس: وفيهم نزلت: ﴿كَذَلِكَ حَصَمَانِ أَخْضَمُوا فِي رَيْبِهِمْ﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: علي وحمره وعبيدة، وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الحج (٢٢) باب (٣).

(٢) يشير المصنف إلى أهل الملل الكافرين الخمسة المذكورين في الآية المقدمة، وانظر ما جاء في سبب نزول الآية.

(٣) بالجر قراءة السبعة عدا عاصم ونافع.



[٢٤] ﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾<sup>(١)</sup> ﴿وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ أي: طريق الله الحمودة ودينه.

[٢٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ طَاعَتَهُ﴾<sup>(٢)</sup> عن المسجد الحرام الذي جَمَعَتْهُ مَنْسَكًا ومتعبداً ﴿لِلنَّاسِ سَوَاءٌ الْعَذَابُ الْقَبِيمُ فِيهِ وَالْبَادُ الطَّارِئُ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَسَدِ﴾ الباء زائدة ﴿يُظْلَمُ﴾ أي: بسببه؛ بأن ارتكب منهياً، ولو شتم الخادم ﴿تُذَقُّ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup> مؤلم؛ أي: بعضه، ومن هذا يؤخذ خبر ﴿إِنَّهُ﴾ أي: نذيقهم من عذاب أليم.

[٢٦] ﴿ذَكَرْ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿إِذْ بَوَّأْنَا﴾<sup>(٥)</sup> ﴿لِلْإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ﴾<sup>(٦)</sup> لبيته، وكان قد رُفِعَ زمن الطوفان، وأمرناه ﴿أَنْ لَا تَشْرَفَ﴾<sup>(٧)</sup> بِسَبْعَةٍ وَطَهَّرَ بَيْتِي مِنَ الْأَوْثَانِ ﴿لِلطَّافِينَ﴾<sup>(٨)</sup> وَالْقَائِمِينَ ﴿الْمُقِيمِينَ بِهِ﴾<sup>(٩)</sup> وَالرُّكْعَ السُّجُودَ ﴿جَمَعَ رَاكِعٌ وَسَاجِدٌ﴾<sup>(١٠)</sup> الْمُصَلِّينَ.

[٢٧] ﴿وَأَذِّنْ﴾<sup>(١١)</sup> نَادِ ﴿فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾<sup>(١٢)</sup> فنادى على جبل<sup>(١٣)</sup> أبي قبيس: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبِّكُمْ بَنَى بَيْتًا وَأَوْجِبَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّ إِلَيْهِ؛ فَأَجْبُوا رَبِّكُمْ. والتفت بوجهه بَيْتًا وشمالاً وشرقاً وغرباً؛ فأجابه كُلُّ مَنْ كَتَبَتْ لَهُ أَنْ يَخُجَّ مِنْ أَصْلَابِ أَرْجَالِ وَأَرْحَامِ الْأَمْهَاتِ: لَيْكَ اللَّهُمَّ لَيْكَ، وجواب الأمر: ﴿يَأْتُواكَ رِجَالًا﴾ مشاة، جمع راجل؛ كقائم وقائم ﴿وَرِجَالًا﴾<sup>(١٤)</sup> عَلَيَّ كُنْ صَابِرًا. أي: بغير مهزول، وهو يطلق على الذِّكْرِ والأُنْثَى ﴿يَأْتِينَ﴾<sup>(١٥)</sup> أي: الضوامر حملاً على المعنى ﴿وَمِنْ كُلِّ فِجٍّ عَمِيْقٍ﴾<sup>(١٦)</sup> طريق بعيد.

[٢٨] ﴿لِيَشْهَدُوا﴾<sup>(١٧)</sup> أي: يحضروا ﴿مَنْفَعٍ لَهُمْ﴾<sup>(١٨)</sup> في الدنيا بالتجارة، أو في الآخرة<sup>(١٩)</sup>، أو فيهما، أقوالٌ ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَثَرِ مُتَمَسِّكِينَ﴾<sup>(٢٠)</sup> أي: عشر ذي الحجة، أو يوم عرفة، أو يوم النحر إلى آخر أيام التشريق، أقوالٌ ﴿عَلَى مَا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ نِعْمَةِ الْأَنْعَمِ﴾<sup>(٢١)</sup> الإبل والبقر والغنم التي تنحر في يوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا<sup>(٢٢)</sup> ﴿فَتَكُونُوا مِنْهَا﴾<sup>(٢٣)</sup> إذا كانت مستحبة ﴿وَالْمُحْمَرُّ الْبَيْضُ الْفَقِيرُ﴾<sup>(٢٤)</sup> أي: الشديد الفقر.

[٢٩] ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾<sup>(٢٥)</sup> أي: يزولوا أوساخهم وشعثهم؛ كطول الظفر ﴿وَلْيُوفُوا﴾<sup>(٢٦)</sup> بالتخفيف والتشديد<sup>(٢٧)</sup> ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾<sup>(٢٨)</sup> من الهدايا والضحايا ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾<sup>(٢٩)</sup> طواف الإفاضة ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾<sup>(٣٠)</sup> أي: القديم؛ لأنه أول بيت وضع للناس.

[٣٠] ﴿ذَلِكَ﴾<sup>(٣١)</sup> خبر مبتدأ مقدر؛ أي: الأمر، أو الشأن ذلك المذكور ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتُ اللَّهِ﴾<sup>(٣٢)</sup> هي ما لا يحل انتهاكه ﴿فَهُوَ﴾<sup>(٣٣)</sup> أي: تعظيمها ﴿خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ رَبِّهِ﴾<sup>(٣٤)</sup> في الآخرة ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ﴾<sup>(٣٥)</sup> الْأَنْعَمُ أَكْلًا

وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ  
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ  
 الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفِ فِيهِ وَالْبَادُ  
 وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَسَدِ يُظْلَمُ تَذَقُّهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ  
 وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تَشْرَفَ  
 بِسَبْعَةٍ وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّافِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكْعَ  
 السُّجُودَ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى  
 كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿لِيَشْهَدُوا  
 مَنْفَعٍ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَثَرِ مُتَمَسِّكِينَ  
 عَلَى مَا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ نِعْمَةِ الْأَنْعَمِ فَكُلُوا مِنْهَا  
 وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ  
 وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿ذَلِكَ  
 وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتُ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ  
 رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَمُ إِلَّا مَا تَلَى عَلَيْكُمْ  
 فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ

بعد الدُّبْحِ ﴿إِلَّا مَا يَتَلَقَّى عَلَيْكُمْ﴾<sup>(١)</sup> تحريمه في ﴿حُرْمَتِ عَلَيْكُمْ الْبَيْتِ﴾<sup>(٢)</sup> الآية، فالاستثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً، والتحریم لما عَرَضَ من الموت ونحوه ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿مِنْ﴾<sup>(٤)</sup> للبيان؛ أي: الذي هو الأوثان ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾<sup>(٥)</sup> أي: الشرك بالله في تلييتكم، أو شهادة الزور.

(ه) فائدة: أخرج أحمد عن ابن مسعود قال في قوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَسَدِ يُظْلَمُ﴾ قال: لو أن رجلاً هم فيه لجاد وهو يفتن أئمة لأذاقه الله عذاباً أليماً. المسند (٢٨٨/١)، (٤٥١) وقال أحمد شاكراً: إسناد صحيح (٤٠٧١). ودعْدَنَ أئمة: مدينة معروفة باليمن؛ أضيفت إلى «أئمة» وهو رجل من جنس عَدَنَ بها؛ أي أقام. (النهاية لابن الأثير ١٩٢/٣).

(١) هذا على أحد الأقوال، أن المراد: هُدُوا في الدنيا إلى كلمة التوحيد، وقيل: قراءة القرآن، والقول الآخر أن المراد: هُدُوا في الآخرة إلى الطيب من القول؛ وهو: الحمد والتسبيح والسلام، ويشهد له قوله - تعالى -: ﴿وَذَكِّرْهُمْ يَوْمَ يُصْعَقُونَ أَنَّهُمْ وَجَّهْتُمْ بَيْنَا سَلَمًا وَمَا كُنْتُمْ تَدْعُونَهُمْ أَنِ انْقَضَتْ لَهُ رَبِّي الْكَذِبُ﴾ [يونس: ١٠] وغيرها من الآيات. وعلى القول الأول: فيحتمل أن في الكلام تقدماً وتأخيراً، فيكون المعنى: إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهُدُوا إلى الطيب من القول وهُدُوا إلى صراط الحميد جات... والله أعلم.

(٢) أخرج نحوه ابن أبي حاتم عن ابن عباس [الدر المنثور (٦٣٧/٤)]، وقال ابن كثير: هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة، وغير واحد من السلف.

(٣) لعله يريد بذلك ما قيل: إن المراد بالمنافع: المناسك؛ كمرفات والمشرع الحرام، وما يترتب على ذلك من الأجر والمغفرة.

(٤) فالمراد بذكر اسم الله حبيط التسمية عند الدُّبْحِ والنحر - وهو قول الأكثرين -، وكان الكفار يذبحون على أسماء أصنامهم، فيمن الله أن الواجب المذبح على اسم الله. وقيل: إن ﴿عَلَى﴾ تعليلية؛ والمعنى: لأجل ما رزقهم من تلك الأنعام؛ فلو شاء لحطرها عليهم ولخبلها أوابد متوحشة.

(٥) بالتشديد قراءة شعبة.

(٦) المائة: ٣.

أي: فإن تعظيمها - وهي البدن التي تُهذى للحرم بأن تُستحسن وتُستمن - **﴿وَمِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾** منهم، شُيِّتَتْ شَعَائِرُهُ؛ لإشعارها بما تعرف به أنها هدي؛ كطعن حديدة بسنامها.

[٣٣] **﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ﴾** كَوُكُوبُهَا، والحمل عليها ما لا يضرها **﴿إِنَّ أَجَلَ يُسَمَّى﴾** وقت نحرها **﴿ثُمَّ يَحِلُّهَا﴾** أي: مكان حل نحرها **﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾** أي: عنده؛ والمراد: الحرم جميعه.

[٣٤] **﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾** أي: جماعة مومنة سلفت قبلكم **﴿جَعَلْنَا مَسْكَاةً﴾** بفتح السين: مصدر، وبكسرهما<sup>(١)</sup>: اسم مكان؛ أي: ذبيحا قربانا، أو مكانه **﴿يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾** عند ذبحها **﴿فَالْهَكَرُ إِلَهُ وَحْدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾** اتقادوا **﴿وَيَبْتَغِرَ الْمُحْسِنِينَ﴾** المطيعين المتواضعين.

[٣٥] **﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ﴾** خافت **﴿قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾** من البلياء **﴿وَالْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ﴾** في أوقاتها **﴿وَمِمَّا رَزَقَهُمْ يَنْفِقُونَ﴾** يتصدقون.

[٣٦] **﴿وَالْبُدْنَ﴾** جمع بدنة؛ وهي: الإبل **﴿جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾** أعلام دينه **﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾** نفع في الدنيا - كما تقدم - وأجر في العقبى **﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾** عند نحرها **﴿صَوَافٌ﴾** قائمة على ثلاث، معقولة<sup>(٢)</sup> اليد اليسرى **﴿فَإِذَا وَجِيتُ جُنُوبَهَا﴾** سقطت إلى الأرض بعد النحر؛ وهو: وقت الأكل منها **﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾** إن شئتم **﴿وَأَطِيعُوا أَلْفَافِعَ﴾** الذين يقنع بما يُعطى، ولا يسأل، ولا يتعرض **﴿وَالْمُعْتَرِ﴾** السائل أو المتعرض **﴿كَذَلِكَ﴾** أي: مثل ذلك التسخير **﴿سَخَرْنَاهَا لَكُمْ﴾** بأن تُنحر وتركب وإلا فلم تُطلق **﴿لَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾** إناامي عليكم.

[٣٧] **﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها﴾** أي: يرفعان إليه **﴿وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقَتْلُ مِنْكُمْ﴾** أي: يرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان **﴿كَذَلِكَ سَخَرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾** أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه **﴿وَيَبْتَغِرَ الْمُحْسِنِينَ﴾** أي: الموحدين.

[٣٨] **﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾** غوائل المشركين **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾** في أمانته **﴿كَفُورٍ﴾** لنعمته؛ وهم: المشركون؛ المعنى: أنه يعاقبهم<sup>(٣)</sup>.

حَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ السَّمَاءَ فَخِطْفُهُ أَظْطَرَّ أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٤﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ يَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٥﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَسْكَاةً لِتُذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَحْدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقَهُمْ يَنْفِقُونَ ﴿٣٧﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجِيتُ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْفَافِعَ وَالْمُعْتَرِ كَذَلِكَ سَخَرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقَتْلُ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٤٠﴾

[٣١] **﴿حَفَاءَ لِلَّهِ﴾** مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه **﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾** تأكيد لما قبله، وهما حالان من الواو **﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾** سقط **﴿سَمَاءٌ فَخِطْفُهُ أَظْطَرَّ﴾** أي: تأخذه بسرعة **﴿أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ﴾** أي: تسقطه **﴿فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾** بعيد، فهو لا يرجى خلاصه.

[٣٢] **﴿ذَلِكَ﴾** يقدر قبله: الأمر، مبتدأ **﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا﴾**

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

(٢) أي مربوطة.

(٣) وهذا تأويل لانتفاء الصفة بلازمها، والحب والبغض صفتان لله **﴿يُحِبُّ﴾**، ومذهب السلف إثباتهما لله **﴿يُحِبُّ﴾** على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكيف.

[٣٩] ﴿أَوَلَمْ يَلِزْ لِلَّذِينَ يَقْتُلُوا ﴿٣٩﴾ أَي: الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يِقَاتِلُوا، وَهَذِهِ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الْجِهَادِ ﴿يَأْتَهُمْ﴾ أَي: بِسَبَبِ أَنَّهُمْ ﴿ظَلَمُوا﴾ لَظْلَمَ الْكَافِرِينَ إِيَّاهُمْ ﴿وَلَوْ أَنَّ اللَّهَ عَلَّى نَصْرَهُمْ لَقَدِيرٌ﴾.

[٤٠] هَمْ ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ فِي الْإِخْرَاجِ، وَمَا أَخْرَجُوا ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا﴾ أَي: بِقَوْلِهِمْ: ﴿رَبَّنَا اللَّهُ وَحْدَهُ، وَهَذَا الْقَوْلُ حَقٌّ، فَالْإِخْرَاجُ بِهِ إِخْرَاجٌ بِغَيْرِ حَقٍّ وَكَوَلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بِضَمِّهِمْ﴾ بَدَلًا، بَعْضُ مِنَ النَّاسِ ﴿يَتَّبِعُونَ هَوْمَتَهُ﴾ بِالتَّشْدِيدِ: لِلتَّكْبِيرِ، وَبِالتَّخْفِيفِ (١) ﴿صَوْمِعُ﴾ لِلرَّهْبَانِ وَبِغَيْرِ كُنَاسٍ لِلنَّصَارَى ﴿وَصَلَوْتُ﴾ كُنَاسٌ لِلْيَهُودِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ ﴿وَمَسْجِدُ﴾ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿يَذْكُرُ فِيهِ﴾ أَي: الْمَوَاضِعَ الْمَذْكُورَةُ (٢) ﴿أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ وَتَقْطِيعُ الْعِبَادَاتِ بِخَرَابِهَا ﴿وَلَيْتَنَصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أَي: بِبَصَرِ دِينِهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ عَلَى خَلْقِهِ ﴿غَزِيرٌ﴾ مُنِيعٌ فِي سُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ (٣).

[٤١] ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ بِنَصْرِهِمْ عَلَى عَدُوهِمْ ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ جَوَابُ الشَّرْطِ، وَهُوَ وَجَوَابُ صِلَةِ الْمُحْصُولِ، وَيَقْدِرُ قَبْلَهُ: «هَمْ» مُبْتَدَأٌ ﴿وَلِيَّوْا عَاقِبَةَ الْأُمُورِ﴾ أَي: مُرْجِعَهَا إِلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ.

[٤٢] ﴿وَلَنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ إِلَى آخِرِهِ فِيهِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تَأْنِيثٌ ﴿قَوْمٌ﴾ بِاعْتِبَارِ الْمَعْنَى ﴿وَعَادٌ﴾ قَوْمُ هُودٍ ﴿وَتَمُودٌ﴾ قَوْمُ صَالِحٍ.

[٤٣] ﴿قَوْمٌ إِيَّاهُمْ وَقَوْمٌ لَوْطُ﴾.

[٤٤] ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ قَوْمُ شُعَيْبٍ وَكَذَّبَ مُوسَى ﴿كَذَّبَهُ الْقَبِيلُ لَا قَوْمَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ أَي: كَذَبَ هَؤُلَاءِ رُسُلَهُمْ؛ فَلَمَّا أَسْوَأَ بِهِمْ ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ أَمَلْتُهُمْ بِتَأْخِيرِ الْعِقَابِ لَهُمْ ﴿ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ؟ أَي: إِنْكَارِي عَلَيْهِمْ بِتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُمْ، وَالِاسْتِفْهَامَ لِلتَّقْرِيرِ؛ أَي: هُوَ أَوَّلُ مَوْقِعِهِ.

[٤٥] ﴿فَكَانَ﴾ أَي: كَمْ ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ [أَهْلَكْنَاهَا] (٤) وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ وَهِيَ ظَلَمَةٌ أَي: أَهْلُهَا؛ بِكَفَرِهِمْ ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ سَاقِطَةٌ ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ سَقُوفُهَا ﴿وَمِنْ﴾ كَمْ مِنْ ﴿بَيْتٍ مُعْطَلَةٍ﴾ مَتْرُوكَةٌ بِمَوْتِ أَهْلِهَا ﴿وَقَصْرِ مَتِينَةٍ﴾ رَفِيعٌ، خَالَ بِمَوْتِ أَهْلِهِ.

[٤٦] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أَي: كَفَارَ مَكَّةَ ﴿فِي الْأَرْضِ فَتَحَوْنَ لَهَا قُلُوبَ﴾

أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بِضَمِّهِمْ بِبَعْضِ لَهْدِمَتِ صَوْمِعُ وَبِغَيْرِ وَصَلَوْتُ وَمَسْجِدُ يَذْكُرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيْتَنَصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَتَمُودٌ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَتْ نَكِيرٌ ﴿٤٢﴾ فَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبَيْتٍ مُعْطَلَةٍ وَقَصْرِ مَتِينَةٍ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَحَوْنَ لَهَا قُلُوبَ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾

يَقُولُونَ بِهَا مَا نَزَلَ بِالْمَكْدِينِ قَبْلَهُمْ ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أَخْبَارَهُمْ بِالْإِهْلَاكِ وَخَرَابِ الدِّيَارِ؛ فَيَعْتَبِرُوا ﴿فَإِنَّهَا﴾ أَي: الْقِصَّةُ ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ تَأْكِيدٌ.

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (٣٩، ٤٠): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبينهم! إنا لله وإنا إليه راجعون. ليهلكن؛ فنزلت: ﴿أَوَلَمْ يَلِزْ لِلَّذِينَ يَقْتُلُوا بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾. فعرفت أنه سيكون قتال. قال ابن عباس: فهي أول آية نزلت في القتال.

النسائي - كتاب الجهاد (٢٥) باب (١) وجوب الجهاد، والترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٢٣). (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٥٣٥). وأخرج الترمذي عن سعيد بن جبير قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال رجل: أخرجوا نبينهم! فنزلت: ﴿أَوَلَمْ يَلِزْ لِلَّذِينَ يَقْتُلُوا بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ الترمذي - الموضع السابق.

(١) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير.

(٢) هذا القول بأن الضمير في قوله تعالى: ﴿فِيهَا﴾ يعود على المواضع المذكورة كلها، وبناء عليه يجب أن يحمل المعنى على ما قبل تحريف الأسم السابقة دينهم... وصوب هذا التأويل ابن عطية. واختار ابن جرير أن الضمير في قوله تعالى: ﴿فِيهَا﴾ يعود إلى «المساجد» فقط؛ لأنها أقرب المذكورات، كما في لغة العرب. وعلى كلا القولين فلا تنتم الآية «الكنائس» و«الكنس» التي يتخذها اليهود والنصارى بعد بعة محمد ﷺ؛ لأنها لا يذكر فيها اسم الله تعالى بالتوحيد والتزبه، كما يجب أن يذكر. قرأ العيني ص ٤٣٩ بتصرف.

(٣) هي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾.

يُنْذِرُ الْإِنذَارَ، وَأَنَا بَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ.

[٥٠] ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ من الذنوب ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ هو الجنة.

[٥١] ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن؛ بإبطالها [مُعْجِزِينَ] ﴿مَنْ اتَّبَعَ النَّبِيَّ﴾ أي: يسببونهم إلى العجز ويشطونهم عن الإيمان، أو مقدرين عجزنا عنهم، وفي قراءة: ﴿مُعْجِزِينَ﴾ مسابقين لنا؛ أي: يظنون أن يفوتونا بإنكارهم البعث والعقاب ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ النار.

[٥٢] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ﴾ هو نبيٍّ أُمِرَ بالتبليغ ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ أي: لم يؤمر بالتبليغ ﴿إِلَّا إِذَا مَتَّيْتُ﴾ قرأ ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ قرأته ما ليس من القرآن مما يرضاه المرسل إليهم، وقد قرأ النبي ﷺ في سورة النجم بمجلس من قريش بعد ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ ﴿وَنَزَّهَ أَتَالَتَهُ الْآخَرَىٰ﴾ بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه ﷺ به: ﴿تِلْكَ الْغَرَائِقُ الْغَلَا، وَإِنْ شَفَاعَتُهُنَّ لَتَرْجَىٰ﴾؛ ففرحوا بذلك، ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك؛ فحزن؛ فشأنني بهذه الآية ليطمئن ﴿فَيَسْخُ اللَّهُ﴾ يطل ﴿مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُخَوِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ أي: يشتمها ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بإلقاء الشيطان ما ذكر ﴿حَكِيمٌ﴾ في تمكينه منه بفعل ما يشاء.

[٥٣] ﴿لِيَجْعَلَ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً﴾ محنة ﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ شقاق ونفاق ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: المشركين؛ عن قبول الحق ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لِيُشَقَّاقَ بِهِمْ﴾ خلاف طويل مع النبي ﷺ والمؤمنين؛ حيث جرى على لسانه ذكر آلهتهم بما يرضيهم، ثم أبطل ذلك.

[٥٤] ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْوَحِيدَ﴾ التوحيد والقرآن ﴿أَنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ فَيُؤْمِنُوا بِهِ. فَتُخَيِّتَ تَطْمِئِنُّ ﴿لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ طَرِيقٌ ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: دين الإسلام.

[٥٥] ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيقٍ﴾ شك ﴿مِنَهُ﴾ أي: القرآن؛ بما ألقاه الشيطان على لسان النبي، ثم أبطل ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي: ساعة موتهم أو القيامة فجأة ﴿أَوْ يَنْبِئُهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ هو يوم بدر لا خير فيه للكفار؛ كالريح العقيم التي لا تأتي بخير، أو هو يوم القيامة لا ليل بعده.

وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَكَأَنَّمِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَتَذَكَّرُ النَّاسُ إِنَّمَّا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٩﴾ فَاذْكُرُوا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٦١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُخَوِّمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٦٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْوَحِيدَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخَيِّتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيقَةٍ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَنْبِئُهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٦٥﴾

[٤٧] ﴿وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ بإنزال العذاب؛ فأنزله يوم بدر ﴿وَأَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾ من أيام الآخرة بسبب العذاب ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ بالباء والياء (١)؛ في الدنيا.

[٤٨] ﴿وَكَأَنَّمِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ المراد أهلها ﴿وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ المرجع.

[٤٩] ﴿قُلْ يَتَذَكَّرُ النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِنَّمَّا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾

(١) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير.

(٢) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة [مُعْجِزِينَ].

(٣) هذا القول هو المشهور الشائع، والصحيح المختار هو أن الرسول مأمور أن يشرع جديد، والتي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله. وانظر: الرسل والرسالات للأشقر، ص (١٤، ١٥)، والنبوات لابن تيمية ص (٢٥٥).

(٤) وهذا كلام باطل، وقد تفق جمهور العلماء على أن قصة الغرائق هذه باطلة مثلاً ولا أصل لها مثلاً. قال ابن إسحاق: هي من وضع الزنادقة. وقال البيهقي: غير ثابتة نقلاً ورواها مطعونون، وردها ابن كثير، وأبو بكر بن العربي، والقاضي عياض، وغيرهم.

ومن أفصل ما قيل في تفسيرها ما ذكره الشيخ الشنقيطي في «أضواء البيان»: هو أن ما يلقيه الشيطان في قراءة النبي ﷺ الشكوك والوساوس المانعة من تصديقها وقبولها؛ كإلقائه عليهم أنها سحر أو شعر، أو أساطير الأولين، وأنها مفتراة على الله ليست منزلة من عنده... فمعنى نسخ ما يلقي الشيطان: إزالته وإبطاله وعدم تأثيره في المؤمنين الذين أوتوا العلم. ومعنى «يحكم آياته»: يتقنها بالإحكام؛ فيظهر أنها وحى منزل منه بحق، ولا يؤثر في ذلك محاولة الشيطان صد الناس عنها بإلقائه المذكور.

(٥) تقدم بطلان هذا التأويل، انظر الهامش السابق.

[٥٦] ﴿الْمَلَأْتُ يَوْمَئِذٍ بَنِيَّ﴾ أي: يوم القيامة ﴿لِللَّهِ﴾ وحده، وما تضمنه من الاستقرار<sup>(١)</sup>، ناصب للظرف ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ بين المؤمنين والكافرين بما يَبَيِّنُ بعده ﴿كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ فضلاً من الله.

[٥٧] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ شديداً بسبب كفرهم.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته من مكة إلى المدينة ﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَبِزْتَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ هو رزق الجنة ﴿وَإِلَّا اللَّهُ لَهُمْ خَيْرٌ مِنَ الرِّزْقِ﴾ أفضل المعطين.

[٥٩] ﴿لَبِزْتَهُمْ مَدْخَلَآءُ بَضْمِ الْمِمْ﴾ بضم الميم وفتحها<sup>(٢)</sup>؛ أي: إدخالاً أو موضعاً ﴿يَرْضَوْنَهُ﴾ وهو الجنة ﴿وَلِئِنْ اللَّهُ لَعَلَّيْكُمْ بَنِيَّاهُمْ﴾ بنيتهم عن عقابهم.

[٦٠] الأمر ﴿ذَلِكَ﴾ قصصناه عليك ﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾ جازى من المؤمن ﴿يُعَذِّبْ مَا عُوِّقَ بِهِ﴾ ظلماً من المشركين؛ أي: قاتلهم كما قاتلوه في الشهر الحرام ﴿ثُمَّ يُعْطِ عَلَيْهِمْ﴾ منهم؛ أي: ظلم بإخراجه من منزله ﴿لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ إِنْ اللَّهُ لَعَفُوٌّ عن المؤمنين ﴿عَفُوٌّ﴾ لهم، عن قتالهم في الشهر الحرام.

[٦١] ﴿ذَلِكَ﴾ النصر ﴿يَا أَيُّهَا اللَّهُ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ أي: يدخل كلاً منهما في الآخر؛ بأن يزيد به، وذلك من أثر قدرته - تعالى - التي بها النصر ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ دعاء المؤمنين ﴿بِصَيْرٍ﴾ بهم؛ حيث جعل فيهم الإيمان؛ فأجاب دعاءهم.

[٦٢] ﴿ذَلِكَ﴾ النصر أيضاً ﴿يَا أَيُّهَا اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ﴾ الثابت ﴿وَأَنَّ مَا يَنْتَعِبُ﴾ بآباءه والتاء<sup>(٣)</sup>، يعبدون ﴿وَمِنْ دُونِهِ﴾ وهو الأصنام ﴿هُوَ الْبَاطِلُ﴾ الزائل ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ أي: العالي على كل شيء بقدرته<sup>(٤)</sup> ﴿الْكَبِيرُ﴾ الذي يصغر كل شيء سواه.

[٦٣] ﴿إِنَّمَا نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً ﴿فَنُصْبِغُ بِهِ الْأَرْضَ فَنُخْشِرُهَا﴾ بالنبات، وهذا من أثر قدرته<sup>(٥)</sup> ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ بعباده في إخراج النبات بالماء ﴿خَيْرٌ﴾ بما في قلوبهم عند تأخير

الْمَلَأْتُ يَوْمَئِذٍ بَنِيَّ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَبِزْتَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِلَّا اللَّهُ لَهُمْ خَيْرٌ مِنَ الرِّزْقِ ﴿٥٨﴾ لَبِزْتَهُمْ مَدْخَلَآءُ بَضْمِ الْمِمْ وَإِنْ اللَّهُ لَعَلَّيْكُمْ بَنِيَّاهُمْ ﴿٥٩﴾ ذَلِكُمْ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوِّقَ بِهِ ثُمَّ يُعْطِ عَلَيْهِمْ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ لَعَفُوٌّ ﴿٦٠﴾ ذَلِكُمْ يَا أَيُّهَا اللَّهُ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ﴿٦١﴾ بَصِيرٌ ﴿٦٢﴾ ذَلِكُمْ يَا أَيُّهَا اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَنْتَعِبُ دُونَهُ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَنُصْبِغُ بِهِ الْأَرْضَ فَنُخْشِرُهَا وَإِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَيْرٌ ﴿٦٤﴾ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا فِي السَّمَاءِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَيْرٌ ﴿٦٥﴾

المطر.

[٦٤] ﴿كُلُّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ على جهة الملك ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ أَعْلَمُ﴾ عن عباده ﴿الْكَبِيرُ﴾ لأوليائه.

(١) أي معنى الاستقرار المقدس.

(٢) بالفتح قراءة نافع.

(٣) بالناء قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة.

(٤) وهذا قصر لمعنى «العلي» على أحد مدلولاته وإغفال الباقي؛ قاله - سبحانه - له العلو المطلق؛ علو الذات، وعلو الشأن، وعلو القهر.

(٥) وورحمته أيضاً.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرَى  
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا  
بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي  
أَخْيَاكُمْ ثُمَّ مَجِّعُكُمْ ثُمَّ يُخَيِّكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾  
لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ  
فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رِبِّكَ إِنَّكَ لَعَلى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾  
وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَغْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ  
بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾  
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ  
ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ  
مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ  
عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا اتَّخَذْتُمْ عَلَيْهِمْ دِيْنًا  
يَبْتَلِي تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرُ يَكَادُونَ  
يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلِ أَفَأُنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مَنْ  
ذَلِكَ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

[٦٥] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي الْأَرْضِ﴾ من البهائم  
﴿وَالْفَلَكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ﴾ للركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإذنه

﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ﴾ من ﴿أَنْ﴾ أو لئلا ﴿تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾  
فنهلكوا ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ في السخير والإمساك.  
[٦٦] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَخْيَاكُمْ﴾ بالإشياء ﴿ثُمَّ يُجِيعُكُمْ﴾ عند انتهاء  
أجلكم ﴿ثُمَّ يُخَيِّكُمْ﴾ عند البعث ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ أي: المشرك  
﴿لَكَفُورٌ﴾ لنعم الله؛ بتركه توحيد.

[٦٧] ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ بفتح السين وكسرها<sup>(١)</sup>؛ شريعة  
﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ عاملون به ﴿فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ﴾ يراد به: لا تنازعهم ﴿فِي  
الْأَمْرِ﴾ أي: أمر الذبيحة؛ إذ قالوا: «ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم»<sup>(٢)</sup>  
﴿وَادْعُ إِلَى رِبِّكَ﴾ إلى دينه ﴿إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى﴾ دين ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾.  
[٦٨] ﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ﴾ في أمر الدين ﴿فَقُلِ اللَّهُ أَغْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾  
فيجازيكم عليه، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٦٩] ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أيها المؤمنون والكافرون ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾  
فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ، بأن يقول كل من الفريقين خلاف قول الآخر.  
[٧٠] ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ  
وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ﴾ أي: ما ذكر ﴿فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ  
ذَلِكَ﴾ أي: علم ما ذكر ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ سهل؟.

[٧١] ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي: المشركون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ﴾ هو  
الأصنام ﴿سُلْطَانٌ﴾ حجة ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أنها آلهة<sup>(٣)</sup> ﴿وَمَا  
لِلظَّالِمِينَ﴾ بالإشراك ﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾ يمنع عنهم عذاب الله.

[٧٢] ﴿وَإِذَا اتَّخَذْتُمْ عَلَيْهِمْ دِيْنًا﴾ من القرآن ﴿يَبْتَلِي﴾ ظاهرات،  
حال ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرُ﴾ أي: الإنكار لها؛ أي:  
آثره من الكراهة والعبوس ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ  
آيَاتِنَا﴾ أي: يقعون فيهم بالبطش ﴿قُلِ أَفَأُنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ﴾ بأثرة  
إيكم من القرآن المخلو عليكم؛ هو: ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأن  
مصيرهم إليها ﴿وَبَشَّ الْمَصِيرُ﴾ هي.

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

(٢) راجع ما تقدم في سبب نزول الآيات (١١٩ - ١٢١) من سورة الأنعام.

(٣) أي: عبدوها تقليدًا لآبائهم، من غير دليل ولا حجة.

[٧٣] ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ضَرْبٌ مِثْلُ فَاسْتَعْمَعُوا لَهُ﴾ وهو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره؛ وهم: الأصنام ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ اسم جنس، واحدة ذبابة، يقع على الذكر والمؤنث ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ خلقه ﴿وَلَنْ يَسْلُتَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ مما عليهم؛ من الطيب والزعفران الملطخين<sup>(١)</sup> به ﴿لَا يَسْتَفِيدُونَ﴾ لا يستدوه ﴿وَمِنْهُ﴾ لعجزهم، فكيف يعبدون شركاء الله - تعالى ١٩- هذا أمر مستغرب، عجز عنه بضرب مثل ﴿سُعِفَ الظَّلَالُ﴾ العابد ﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾ المعبود. [٧٤] ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ عَظْمَهُ﴾ عظموه ﴿حَقَّ قَدْرَهُ﴾ عظمته؛ إذ أشركوا به ما لم يمتنع من الذباب ولا يتصف منه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ غالب. [٧٥] ﴿اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ رسلًا، نزل لما قال المشركون: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا﴾<sup>(٢)</sup> ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِمَقَاتِلِهِمْ ﴿بَصِيرٌ﴾ بمن يتخذة رسولاً؛ كجبريل وميكائيل وإبراهيم ومحمد وغيرهم - صلى الله عليهم وسلم -.

[٧٦] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: ما قدموا وما خلفوا، وما عملوا وما هم عاملون بعد ﴿وَالِ اللَّهِ رُجُوعُ الْأُمُورِ﴾.

[٧٧] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ أي: صلوا ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ وحدوه ﴿وَاتَّقُوا الْخَيْرَ﴾ كصلة الرحم ومكارم الأخلاق ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ تفوزون بالبقاء في الجنة.

[٧٨] ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ لإقامة دينه ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ باستفراغ الطاقة فيه، ونصب ﴿حَقَّ﴾ على المصدر ﴿هُوَ اجْتَنَبَكُمْ﴾ اختاركم لدينه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: ضيق؛ بأن سهله عند الضرورات؛ كالقصر والتيسم وأكل الميتة والفطر للمرض والسفر ﴿وَمَلَّةَ أَيْبِكُمْ﴾ منصوب بنزع الخافض «الكاف»<sup>(٣)</sup> ﴿إِذْ يَرْجِعُ﴾ عطف بيان ﴿هُوَ﴾ أي: الله ﴿سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل هذا الكتاب ﴿وَفِي هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿لَيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة أنه بلغكم ﴿وَتَكُونُوا﴾ أنتم ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أن رسلهم بلغوهم ﴿فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ داوموا عليها ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾ ثقوا به ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿فَنِعَمَ الْمَوْلَى﴾ هو ﴿وَنِعَمَ النَّصِيرِ﴾ الناصر لكم.

\*\*\*

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلُ فَاسْتَعْمَعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٤﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٥﴾ اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لَيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿٧٨﴾

## سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

(١) في نسخة الصاوي وبعض النسخ المطبوعة: «الملطخين» وقال الصاوي مستثلاً ذلك: المناسب أن يقول: «الملطخين»؛ لأنه نعت سببي للطيب والزعفران. اهـ. والمثبت من نسخة القاضي كنعان؛ قال: هو هكذا في المخطوطة الثانية، وهو الصواب.

(٢) سورة ص: ٨.

(٣) أي: كيلة أيكم.

- [٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كِلَابٌ﴾ من الكلام وغيره ﴿مُعْرِضُونَ﴾.  
 [٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ مؤدوّن.  
 [٥] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ عن الحرام.  
 [٦] ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ أي: من زوجاتهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: السراي ﴿فَلَا يَمْنَعُهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ في إتيانهم.  
 [٧] ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ من الزوجات والسراي؛ كاستمناة باليد في إتيانهم ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم.  
 [٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ﴾ جمعاً ومفرداً<sup>(١)</sup> ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ فيما بينهم، أو فيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها ﴿رَاعُونَ﴾ حافظون.  
 [٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ﴾ جمعاً ومفرداً<sup>(٢)</sup> ﴿يَحَافِظُونَ﴾ يقيمونها في أوقاتها.  
 [١٠] ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الزَّوْرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> لا غيرهم.  
 [١١] ﴿الَّذِينَ يَرْتُكُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ هو جنة أعلى الجنان ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ في ذلك إشارة إلى المعاد، ويناسبه ذكر المبدأ بقوله.  
 [١٢] ﴿وَوَلَّى اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: استخرجته منه، وهو خلاصته ﴿مِنْ طِينٍ﴾ متعلق بالشيء من الشيء؛ أي: استخرجته منه، وهو خلاصته ﴿مِنْ طِينٍ﴾ متعلق بالشيء من الشيء؛ أي: استخرجته منه، وهو خلاصته.  
 [١٣] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الإنسان نسل آدم ﴿نُطْفَةً﴾ مَيْتًا ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ هو الرحم.  
 [١٤] ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عِلْقَةً﴾ دُمًا جامدًا ﴿فَخَلَقْنَا اللَّفْظَةَ مَضْغَةً﴾ لحمه قَدْرًا ما يُمْضَغ ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾ وفي قراءة: ﴿عِظْمًا﴾ في الموضعين<sup>(٤)</sup>، و«خَلَقْنَا» في المواضع الثلاث؛ بمعنى: صيرنا ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ بنفخ الروح فيه ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي: المقدرين، ومميز ﴿أَحْسَنُ﴾ محذوف للعلم به؛ أي: خالقًا.  
 [١٥] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾.  
 [١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بِرَمِّ الْقَيْمَةِ تَبْعُونَ﴾ للحساب والجزاء.  
 [١٧] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا قَوْكُمُ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ أي: سموات، جمع طريقة<sup>(٥)</sup>؛ لأنها طرق الملازمة ﴿وَمَا كُنَّا مِنَ الْخَلْقِ﴾ التي تحتها ﴿غَفْلِينَ﴾ أن تسقط عليهم؛ فهلكتهم، بل نمسكها؛ كناية ﴿وَنُفِيسُكَ السَّكَاةَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾<sup>(٦)</sup>.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الزَّوْرُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرْتُكُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عِلْقَةً وَخَلَقْنَا الْعِلْقَةَ مَضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بِرَمِّ الْقَيْمَةِ تَبْعُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا قَوْكُمُ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا مِنَ الْخَلْقِ غَفْلِينَ ﴿١٧﴾

## سورة المؤمنون

[مكية، مائة وثماني، أو: تسع عشرة آية، نزلت بعد الأنبياء]

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ للتحقيق ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ فاز ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾.  
 [٢] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ متواضعون<sup>(١)</sup>.

(٥) فائدة: أخرج ابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة، ومنزل في النار؛ فإذا مات فدخل الثَّار، ورث أهل الجنة منزله؛ فذلك قوله:

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الزَّوْرُونَ﴾». ابن ماجه - كتاب الزهد (٣٧) باب (٣٩) صفة الجنة. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٥٠٣).

(١) الخشوع في الصلاة غير التواضع؛ ومعناه: الخضوع والحروف والسكون؛ أي: باطناً وطاهراً.

(٢) بالإنفراد قراءة ابن كثير.

(٣) بالإنفراد قراءة حمزة والكسائي.

(٤) أي: «عظماً»، و«العظم»، وهي قراءة ابن عامر وشعبة.

(٥) أي لأن بعضها فوق بعض، وقيل: لأنها طرق الملازمة. فهذان تفسيران لسبب التسمية، وصنيع المؤلف يومهم أنه تفسير واحد.

(٦) الحج: ٦٥.



[١٨] ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ وَآنَا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقْدَرُونَ﴾. فَيَمُوتُونَ مَعَ دَوَابِهِمْ عَطْشًا.

[١٩] ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتَيْنِ مِن نَّجِيلٍ وَأَعْتَبْنَا بِهِمَا كَثْرَ فَوَاكِهِ الْعَرَبِ لَكُمْ فِيهَا فَرْحٌ كَثِيرٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾. صَيْقًا وَشَتَاءً.

[٢٠] ﴿وَمِنْهَا أَنشَأْنَا شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ [سَيْنَاءَ]﴾. جَبَلٌ؛ بِكسر السين وفتحها<sup>(١)</sup>، ومع الصرف للعلمية، والثاني للبقعة [تَنْبُثُ] من الرباعي والثلاثي<sup>(٢)</sup> ﴿بِالدَّهْنِ﴾. الباء زائدة على الأول ومعديّة على الثاني؛ وهي: شجرة الزيتون ﴿وَصَبَّحَ لِلْأَعْيُنِ﴾. عطف على «الدَّهْنِ»؛ أي: إِذَا مِ يَصْبُغُ اللَّحْمَةُ بِنَمْسِهَا فِيهِ؛ وَهُوَ: الزَّيْتُ.

[٢١] ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ [لَعِبَرَةً]﴾. عَطْلَةٌ تَعْتَبِرُونَ بِهَا [تُشْفِيكُمْ]؛ يَفْتَحُ النَّوْرُ وَضَمُّهَا<sup>(٣)</sup> ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾. اللَّبَنُ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾. مِنَ الْأَصْوَافِ وَالْأَوْبَرِ وَالْأَشْعَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

[٢٢] ﴿وَعَلَيْهَا الْإِبِلُ وَعَلَى الْفُلُكِ السُّفُنُ تَحْمَلُونَ﴾.

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَقُولُوا عِبُدُوا اللَّهَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَوَحْدَهُ وَمَا لَكُمْ مِنْ آلِهَةٍ غَيْرُهُ﴾. وَهُوَ اسْمُ «نَمَ» وَمَا قِيلَهُ الْخَبْرُ، وَ«مِنْ» زَائِدَةٌ ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾. تَخَافُونَ عَقْبَتَهُ بَعَادَتَكُمْ غَيْرُهُ؟

[٢٤] ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ: لَأُبَاتِعُهُمْ: مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ﴾. يَشْرَفُ ﴿عَلَيْكُمْ﴾. بَأَنْ يَكُونَ مَتَّبِعًا وَأَنْتُمْ أَتْبَاعُهُ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ لَا يَبْعَدَ غَيْرُهُ لَأَنزَلْنَا مَلَكًا﴾. بِذَلِكَ، لَا بَشَرًا ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾. الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ نُوحٌ مِنَ التَّوْحِيدِ ﴿فِي عَابَاتِنَا الْأَوَّلِينَ﴾. الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ.

[٢٥] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نُوْحٌ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ﴾. حَالَةٌ جَنُونَ ﴿فَتَرَى صَوَاءً بِهِ﴾. انْتِظَرُوهُ ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾. إِلَى زَمَنٍ مَوْتِهِ.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾. نُوحٌ: ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي﴾. عَلَيْهِمْ ﴿وَمَا كَذَّبُونُ﴾. بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّايَ؛ بِأَنْ تَهْلِكَهُمْ.

[٢٧] قَالَ - تَعَالَى - مِجْبِييًا دَعَاةً: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ أَصْنَعْ الْفُلَ﴾. السَّفِينَةَ ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾. يَمُرُّ أَيْ مَنَا وَحَفَظْنَا<sup>(٤)</sup> ﴿وَوَحَيْنَا﴾. أَمَرْنَا ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾. بِإِهْلَاكِهِمْ ﴿وَفَارَ الْفُتُورُ﴾. لِلخِيبَازِ بِالْمَاءِ<sup>(٥)</sup>، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَامَةً لَّنُوحٍ ﴿فَأَسْلَفَ فِيهَا﴾. أَيْ: أَذْجَلَ فِي السَّفِينَةِ ﴿مِنْ كُلِّ [رَوْحَيْنِ]﴾. ذَكَرَ وَأُنْثَى؛ مِنْ كُلِّ أَنْوَعِهِمَا ﴿أُنْثَيْنِ﴾. ذَكَرًا وَأُنْثَى، وَهُوَ مَفْعُولٌ، وَمِنْ ﴿مُتَعَلِّقَةً بِ«أَسْلَفَ»﴾. وَفِي الْقِصَّةِ: أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - حَشَرَ لَّنُوحٍ السَّبَاعَ وَالطَّيْرَ وَغَيْرَهَا؛ فَجَعَلَ يَضْرِبُ بِيَدِهِ فِي كُلِّ نَوْعٍ؛ فَتَقَعَ يَدُهُ الْيَمْنَى عَلَى الذَّكَرِ

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ وَآنَا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقْدَرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتَيْنِ مِن نَّجِيلٍ وَأَعْتَبْنَا لَكُمْ فِيهَا فَرْحَةً كَثِيرَةً وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُثُ بِالدَّهْنِ وَصَبَّحَ لِلْأَعْيُنِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبَرَةٌ تَشْفِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا الْفُلُكُ تَحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَقُولُوا عِبُدُوا اللَّهَ وَأَنَا اللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلْنَا مَلَكًا مَلَكًا مَلَكًا مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ فَرَى صَوَاءً بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونُ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ أَصْنَعْ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنْزُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَخْطِطِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٧﴾

وَالْيَسْرَى عَلَى الْأُنْثَى؛ فَيَحْمِلُهُمَا فِي السَّفِينَةِ، وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿كُلِّ﴾ بِالتَّنْوِينِ، فَ«زَوْجَيْنِ» مَفْعُولٌ، وَ«أُنْثَيْنِ» تَأْكِيدٌ لَهُ «وَأَهْلَكَ» زَوْجَتَهُ وَأَوْلَادَهُ ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾. بِالْإِهْلَاكِ؛ وَهُوَ: زَوْجَتَهُ وَوَلَدَهُ كِنَعَانُ<sup>(٦)</sup>، بِخِلَافِ سَامَ وَحَامَ وَيَافَا؛ فَحَمَلَهُمْ وَزَوْجَانَهُمْ ثَلَاثَةً، وَفِي سُورَةِ هُودٍ: ﴿وَمَنْ مَّامَنَ وَمَا مَّامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾<sup>(٧)</sup> قِيلَ: «كَانُوا سِتَّةَ رِجَالٍ وَنِسَاؤُهُمْ»؛ وَقِيلَ: «جَمِيعٌ مِنْ كَانُوا فِي السَّفِينَةِ ثَمَانِيَةً وَسَبْعُونَ؛ نَصَفَهُمْ رِجَالٌ وَنَصَفَهُمْ نِسَاءٌ» ﴿وَلَا تَخْطِطِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾. كَفَرُوا، بَرَكَ إِهْلَاكُهُمْ ﴿إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾.

(١) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) أي: مَنْ أُنْثِيَتْ وَنُثِيَ، بِشَرِّ بِذَلِكَ إِلَى الْقِرَاءَتَيْنِ، وَبِضْمِ الثَّاءِ وَكسر الباء قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٣) بالفتح قراءة نافع وابن عامر وشعبة.

(٤) وفيها إثبات صفة العين لله سبحانه على الحقيقة، كما هو مذهب السلف الصالح، وأما الجمع فللتعظيم لا للكثرة؛ كقوله تعالى: ﴿فَتَمَّتْ الْقُدُورُ﴾، «وَتَمَّتْ الْقُدُورُ»، «وَرَبَّنَا تَوَسَّلْ».

(٥) راجع التعليق في سورة هود آية ٤٠.

(٦) هي قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالتنوين.

(٧) راجع التعليق في سورة هود آية ٤٠.

(٨) هود: ٤٠.

[٣٠] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من أمر نوح والسفينة وإهلاك الكفار ﴿لَايَةً﴾ دلالات على قدرة الله - تعالى - ﴿وَإِنَّ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ مختبرين قوم نوح بإرساله إليهم ووعظه.

[٣١] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ قَرْنًا﴾ قوما ﴿ءَاخِرِينَ﴾ هم عاد<sup>(١)</sup>.

[٣٢] ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ هودًا<sup>(٢)</sup> ﴿أَنَّهُ﴾ بأن ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عقابه فتؤمنون.

[٣٣] ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالمبرير إليها ﴿وَأَتَيْنَاهُمُ﴾ نعمناهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾.

[٣٤] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الله ﴿لَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِثْلِي﴾ فيه قسم وشرط، والجواب لأولهما - وهو مغني عن جواب الثاني -: ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِذًا﴾ أي: إذا أطعتموه ﴿لَتَكُونُنَّ﴾ أي: مغبونون.

[٣٥] ﴿أَيُّدُكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا﴾ أنكم تحيرون<sup>(٣)</sup> هو خبر ﴿أَنْتُمْ﴾ الأولى، و﴿أَنْتُمْ﴾ الثانية تأكيد لها لما طال الفصل.

[٣٦] ﴿هِيَآتْ هِيَآتْ﴾ اسم فعل ماض بمعنى مصدر، أي: بمذ بمذ ﴿لَمَّا تُوْعِدُونَ﴾ من الإخراج من القبور، واللام زائدة للبيان.

[٣٧] ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي: ما الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ بحياة أبنائنا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

[٣٨] ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما الرسول ﴿إِلَّا رِكْلٌ يَفْتَرِي عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ مصدقين بالبعث بعد الموت.

[٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كُنتُ بِنَاءً﴾.

[٤٠] ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ من الزمان، و﴿مَا﴾ زائدة ﴿لَيُصِخِرَنَّ﴾ ليصيرن ﴿نَدِيمِينَ﴾ على كفرهم وتكذيبهم.

[٤١] ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ﴾ صيحة العذاب والهلاك كائنة ﴿بِالْحَقِّ﴾ فماتوا ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ عَشَاءً﴾ وهو نبت ييسر؛ أي: صيرناهم مثله في اليبس.

﴿فَجَعَلْنَا﴾ من الرحمة ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ المكذبين.

[٤٢] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ قُرُونًا﴾ أقواما ﴿ءَاخِرِينَ﴾.

فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُزَلًّا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ قُرْنًا ءَاخِرِينَ ﴿٤١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ءَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْخَبِيرَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٤٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِثْلِي إِنْ كُنْتُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿٤٤﴾ أَيْدُكُمْ أَنْ كُنْتُمْ إِذًا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْ كُنْتُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٤٥﴾ هِيَآتْ هِيَآتْ لَمَّا تُوْعِدُونَ ﴿٤٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٤٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٤٨﴾ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كُنتُ بِنَاءً ﴿٤٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصِخِرَنَّ نَدِيمُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عَشَاءً فَبَعْدَ اللَّقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ قُرُونًا ءَاخِرِينَ ﴿٥٢﴾

[٢٨] ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ﴾ اعتدلت ﴿أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ﴾ فقل الحمد لله الذي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ الكافرين وإهلاكهم.

[٢٩] ﴿وَقُلْ﴾ عند نزولك في الفلك: ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُزَلًّا﴾ بضم الميم وفتح الزاي: مصدر، أو: اسم مكان، وفتح الميم وكسر الزاي<sup>(١)</sup>: مكان النزول ﴿مُبَارَكًا﴾ ذلك الإنزال أو المكان ﴿وَإِنَّ خَيْرَ الْمُنْزِلِينَ﴾ ما ذكر.

(١) يفتح الميم وكسر الزاي لشعبة، وقرأ الياقوت بضم الميم وفتح الزاي.

(٢) وقيل: هم ثمود قوم صالح؛ لأنهم هم الذين أهلكوا بالصيحة. واعتمد البيضاوي في تفسيره. واختاره السعدي في تفسير الكريم الرحمن ص (٥٩٧) وقال: الظاهر أنهم «ثمود» قوم صالح عليه السلام؛ لأن القصة هذه تشبه قصتهم. اهـ.

(٣) وعلى القول الآخر: يكون الرسول صالحاً.

[٤٣] ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ بَأْنْ تَمُوتَ قَبْلَهُ ﴿وَمَا يَسْتَحْزِرُونَ﴾ عَنْهُ، ذَكَرَ الضمير بعد تأنيبه رعاية للمعنى.

[٤٤] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ [تَثْرًا] بالثنوين وعدمه<sup>(١)</sup>؛ متتابعين بين كل اثنين زمان طويل<sup>(٢)</sup> ﴿كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمَّةٌ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الواو<sup>(٣)</sup> ﴿رُسُلُنَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾ في الهلاك ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٤٥] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ حجة بينة؛ وهي: اليد والعصا وغيرهما من الآيات<sup>(٤)</sup>.

[٤٦] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ فَاسْتَكْبَرُوا عَنْ الْإِيمَانِ بِهَا، وَبِاللَّهِ وَكَابَرُوا قَوْمًا عَالِينَ قَاهِرِينَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالظُّلْمِ.

[٤٧] ﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ﴾ مطبوعون خاضعون.

[٤٨] ﴿كَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾.

[٤٩] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التَّوْرَةَ ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ قومه بني إسرائيل ﴿يَهْتَدُونَ﴾ به من الضلالة، وَأَوْتِيَهَا بعد هلاك فرعون وقومه جملة واحدة.

[٥٠] ﴿وَجَعَلْنَا آيَاتٍ مِنْهُمْ﴾ عيسى ﴿وَأَنَّهُ آيَةٌ﴾ لم يقل آيتين؛ لأن الآية فيهما واحدة؛ ولادته من غير فعل ﴿وَمَا أَوْتَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَيْفٍ﴾ مكان مرتفع؛ وهو: بيت المقدس، أو دمشق، أو فلسطين، أَقْوَالٌ ذَاتُ قَرَارٍ أَي: مستوية يستقر عليها ساكنوها وَمَعِينٌ وَمَاءُ جَارٍ ظَاهِرٌ تَرَاهُ الْعُيُونُ.

[٥١] ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الحلالات ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ من فرض ونفل ﴿إِنِّي يَمَّا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فَأُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ.

[٥٢] ﴿وَلَا تَعْمَلُوا﴾ إِنَّ هَذِهِ أَي: ملة الإسلام ﴿أُتِّمُّكُمْ﴾ دينكم أَيْهَا الْمُخَاطَبُونَ أَي: يجب أن تكونوا عليها ﴿أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ حال لازمة، وفي قراءة: بتخفيف النون<sup>(٥)</sup>، وفي أخرى: بكسرها مشددة<sup>(٦)</sup>؛ استثنافًا وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ فَاحْذَرُونَ.

[٥٣] ﴿فَقَطَّعُوا﴾ أَي: الْأَنْبِيَاءُ أَتْرَهُمْ دِينَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا حال من فاعل ﴿فقطعوا﴾ أَي: أَحْزَابًا مُتَخَالِفِينَ كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ ﴿كُلٌّ حِزْبٌ يَمَّا لَدَيْهِمْ﴾ أَي: عندهم من الدين ﴿فَرَحُوتُ﴾ مسرورون.

[٥٤] ﴿فَذَرَهُمْ﴾ اترك كفار مكة ﴿فِي غَرَبَتِهِمْ﴾ ضلالتهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ إِلَى حِينِ مَوْتِهِمْ.

[٥٥] ﴿أَيُّحْسِبُونَ أَنَّمَا يُنذِرُهُمْ بِهِ﴾ نَعِطْبُهُمْ ﴿مِنْ مَالٍ رَبِّينَا﴾ فِي الدُّنْيَا.

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَحْزِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَّا جَاءَ أُمَّةٌ رُسُلُنَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٥﴾ فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٧﴾ وَجَعَلْنَا آيَاتٍ مِنْهُمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَآيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٤٨﴾ يٰٓأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٠﴾ فَاقْطَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ حِزْبٌ يَمَّا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥١﴾ فَذَرَهُمْ فِي غَرَبَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٢﴾ أَيُّحْسِبُونَ أَنَّمَا يُنذِرُهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ رَبِّينَا ﴿٥٣﴾ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٥٤﴾ فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ ﴿٥٥﴾

[٥٦] ﴿سُبْحَانَ﴾ نَعْبُدُ ﴿لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ لَا ﴿يَرْ لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أَنْ ذَلِكَ اسْتِزْجَارٌ لَهُمْ.

[٥٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ﴾ خَوْفُهُمْ مِنْهُ ﴿مُسْفِقُونَ﴾ خَائِفُونَ مِنْ عَذَابِهِ.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ الْقُرْآنِ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ يَصْدُقُونَ.

[٥٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ مَعَهُ غَيْرُهُ.

(١) بالثنوين قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وأصل «تثرا» «وثري» من «الوثرة» وهو: الفرد.

(٢) وفيل. متتابعين بلا مهلة.

(٣) تحقيق الهمزتين هو قراءة حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر، وتسهيل الثانية هو قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) تقدم بيانها في تفسير آية الأعراف ١٣٣، ويونس ٧٥.

(٥) لابن عامر.

(٦) بكسر الهمزة وتشديد النون لعاصم وحمزة والكسائي، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الهمزة وتشديد النون.

[٦٣] ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿فِي غَرَرٍ﴾ جهالة ﴿وَبَيْنَ هَذَا﴾ القرآن ﴿وَهُمْ أَعْمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ المذكور للمؤمنين ﴿هُمْ لَهَا عَمَلُونَ﴾ فيعذبون عليها.

[٦٤] ﴿حَتَّى﴾ ابتدائية ﴿إِذَا أَخَذْنَا مِرْفَقَهُمْ﴾ أغنياءهم ورؤساءهم ﴿بِالْعَذَابِ﴾ أي: السيف يوم بدر<sup>(١)</sup> ﴿إِذَا هُمْ يَجْعَلُونَ﴾ يضعجون.

[٦٥] يقال لهم: ﴿لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ لَكُمْ مِتًا لَا تَنْصُرُونَ﴾ لا تمنعون.

[٦٦] ﴿فَكَانَتْ آيَاتِي﴾ من القرآن ﴿تُنزلُ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَغْفَلِكُمْ نَكَصُونَ﴾ ترجعون القهقري.

[٦٧] ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ عن الإيمان ﴿بِهِ﴾ أي: بالبيت أو الحرم؛ بأنهم أهله في أمن بخلاف سائر الناس في مواطنهم ﴿سَمِيرًا﴾ حال؛ أي: جماعة يتحدثون بالليل حول البيت ﴿تَهْجُرُونَ﴾ من الثلاثي؛ تتركون القرآن، ومن الرباعي<sup>(٢)</sup>؛ أي: تقولون غير الحق في النبي والقرآن.

[٦٨] قال - تعالى -: ﴿أَفَلَمْ يَذَرُوا﴾ أصله يتدبروا؛ فأدغمت التاء في الدال ﴿الْقَوْلَ﴾ أي: القرآن الدال على صدق النبي ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ؟﴾

[٦٩] ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ مُنْكَرُونَ؟﴾

[٧٠] ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ؟﴾ الاستفهام للترديد؛ من صدق النبي، ومجيبه الرسل للأمم الماضية، ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة وأن لا جنون به ﴿بَلْ﴾ للانتقال ﴿جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي: القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الإسلام ﴿وَأَكْذَرَهُمُ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾.

[٧١] ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ﴾ أي: القرآن ﴿أَهْوَاهُمْ﴾ بأن جاء بما يهونه من الشريك والولد لله - تعالى الله عن ذلك - ﴿وَلَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ خرجت عن نظامها المشاهد؛ لوجود التمانع في الشيء عادة عند تعدد الحاكم ﴿بَلْ أَلَبَّيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ أي: القرآن الذي فيه ذكرهم وشرفهم ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾.

[٧٢] ﴿أَمْ قَاتَلْتَهُمْ خَرْجًا﴾ أجرا على ما جنتهم به من الإيمان ﴿فَخَرَجَ رَيْكٌ﴾ أجره وثوابه ورزقه ﴿خَيْرٌ﴾ وفي قراءة: ﴿خَرْجًا﴾ في الموضعين<sup>(٣)</sup>، وفي قراءة أخرى: ﴿خَرْجًا﴾ فيهما<sup>(٤)</sup> ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقَيْنِ﴾ أفضل من أعطى وأجر.

[٧٣] ﴿وَلَيْكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ طَرِيقٍ﴾ مستقيماً ﴿أَي: دِينِ الْإِسْلَامِ﴾.

[٧٤] ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿عَنِ الصِّرَاطِ﴾ أي: الطريق ﴿لَتُنْكِرُونَ﴾ عادلون.

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتًا وَفُلُوهُمْ وَجِلَةً أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٣﴾  
أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَيَرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاقُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كَنْبٌ يَطْبُقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٥﴾  
بَلْ فُلُوهُمْ فِي غَمَرٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴿٦٦﴾ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٧﴾ لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ لَكُمْ مِتًا لَا تَنْصُرُونَ ﴿٦٨﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنزلُ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَغْفَلِكُمْ تَنْكَصُونَ ﴿٦٩﴾  
مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَمِيرًا تَهْجُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَلَمْ يَذَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٧٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَآكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٣﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٤﴾ أَمْ لَسَّاهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَيْكٌ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقَيْنِ ﴿٧٥﴾ وَلَيْكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾  
وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكِبُونَ ﴿٧٧﴾

[٦٠] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾ يعطون ﴿مَاءً آتًا﴾ أعطوا من الصدقة والأعمال الصالحة<sup>(١)</sup> ﴿وَفُلُوهُمْ وَجِلَةً﴾ خائفة أن لا تقبل منهم ﴿أَنَّهُمْ﴾ يقدر قبلة: لام الجر<sup>(٢)</sup> ﴿إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾.

[٦١] ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَيَرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاقُونَ﴾ في علم الله.

[٦٢] ﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها؛ فمن لم يستطع أن يصلي قائماً فليصل جالساً، ومن لم يستطع أن يصوم فلياكل ﴿وَلَدَيْنَا كَنْبٌ يَطْبُقُ بِالْحَقِّ﴾ بما عملته؛ وهو: اللوح المحفوظ تسطر فيه الأعمال ﴿وَهُمْ﴾ أي: النفوس العاملة ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً منها؛ فلا ينقص من ثواب أعمال الخيرات، ولا يزداد في السيئات.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٥٩/٦)، والترمذي في سننه (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨) عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتًا وَفُلُوهُمْ وَجِلَةً﴾ قالت عائشة: هم الذين يشربون الحمر ويسرقون؟ قال: «لا، يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصدقون، وهم الذين يخافون أن لا يتقبل منهم»، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢٣٨٤).

(٢) أي: «لأنهم»؛ فيكون تمليلًا لقوله: ﴿رَبِّهِمْ﴾.

(٣) هذا قول ابن عباس وجماة. وقيل: اراد بالعباد: عذاب الآخرة.

(٤) يشير إلى الفرائطين، فبضم التاء وكسر الحيم قراءة نافع. جعله من الهجر، وهو الهديان وما لا خير فيه من الكلام.

(٥) أي: «خَرْجًا فَخَرْجٌ» وهي قراءة ابن عامر.

(٦) أي: «خَرْجًا فَخَرْجٌ» وهي حمزة والكسائي.

[٧٥] ﴿وَلَوْ رَحَّمْنَهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَأَيُّ جُوعٍ أَصَابَهُمْ بِمَكَّةَ سَبْعَ سَنِينَ﴾ «لَلْجُوعِ» تَمَادَوْا «فِي طُلُوعِهِمْ» ضَلَالَتُهُمْ «بِعَمَهُمْ» يَتَرَدَّدُونَ.

[٧٦] ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ «الْجُوعِ» (١) ﴿فَمَا اسْتَكْبَرُوا﴾ تَوَاضَعُوا «لِرَبِّهِمْ» وَمَا يَضَرُّهُمْ «يَرْغَبُونَ إِلَى اللَّهِ بِالْعَدَاءِ».

[٧٧] ﴿حَتَّى﴾ «بِتَدَايِيهِ» إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَاكَ «صَاحِبِ عَذَابٍ شَدِيدٍ» هُوَ يَوْمٌ بَدْرُ الْفِتْلِ (٢) ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ أَيْسُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ.

[٧٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ خَلْقَ الْكُفْرِ الْمَتَمَعِ﴾ بِمَعْنَى: الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَرِ وَالْأَفْعِدَّةِ الْقُلُوبِ «فَلَيْلًا مَا» تَأْكِيدٌ لِلْقَلَّةِ «تَشْكُرُونَ».

[٧٩] ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تَبْعُونَ.

[٨٠] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ يَنْفُخُ الرُّوحَ فِي الْمَضْغَةِ «وَيُؤْتِيكَ أَتْلِيلَ وَالنَّهَارِ» بِالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ وَالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» ضَعْفَةٌ - تَعَالَى: «فَتَعْتَبِرُونَ؟».

[٨١] ﴿بَلْ قَالُوا وَمِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾.

[٨٢] ﴿قَالُوا﴾ «أَيُّ الْأَوَّلُونَ» أَأَدَا وَتَنَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْنَا أَهْنًا لَمَبْعُوثُونَ؟ لا، وَفِي الْهَمَزَيْنِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ التَّحْقِيقَ، وَتَسْهِيلَ الثَّانِيَةِ وَإِدْخَالَ أَلْفٍ بَيْنَهُمَا عَلَى الْوَجْهِينِ (٣).

[٨٣] ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَوَعَدْنَا هَذَا﴾ «أَيُّ: الْبَيْتُ بَعْدَ الْمَوْتِ» مِنْ قَبْلِ إِنْ «مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرٌ أَكَاذِبٌ «الْأَوَّلِينَ» كَالْأَصْحَابِكِ وَالْأَعَاجِبِ، جَمْعُ أَسْطُورَةٍ بِالضَّمِّ.

[٨٤] ﴿قُلْ لَهُمْ: لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ مِنْ الْخَلْقِ «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» خَالِقُهَا وَمَالِكُهَا.

[٨٥] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ لَهُمْ: أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ بِإِدْغَامِ التَّاءِ الثَّانِيَةِ فِي الذَّالِ (٤) «تَتَعَطَّلُونَ فَتَعْلَمُونَ أَنَّ الْقَادِرَ عَلَى الْخَلْقِ ابْتِدَاءً قَادِرٌ عَلَى الْإِحْيَاءِ بَعْدَ الْمَوْتِ؟»

[٨٦] ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ «الْكُرْسِيِّ» (٥).

[٨٧] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْفِئُكَ﴾ تَحْذَرُونَ عِبَادَةَ غَيْرِهِ؟

[٨٨] ﴿قُلْ مَنْ يَبْدِي مَلَكُوتٌ﴾ «مَلِكٌ» «كُلُّ شَيْءٍ» وَالتَّاءُ: لِلْمُبَالَغَةِ «وَهُوَ يُحْيِي وَلَا يُكْفِرُ عَلَيْهِ» يُخَيِّمُ وَلَا يُخْفِي عَلَيْهِ «إِنْ كُنْتُمْ

﴿وَلَوْ رَحَّمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُوعِ فِي طُلُوعِهِمْ يَوْمَهُمْ﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكْبَرُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضَرُّهُمْ وَمَا يَنْصُرُهُمْ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَّةَ فَلَيْلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مَاتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَوَعَدْنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرٌ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَبْدِي مَلَكُوتٌ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِي وَلَا يُكْفِرُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْفِئُكَ فَاتَى تَسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

تَعْلَمُونَ؟

[٨٩] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ (٦) «وَفِي قِرَاءَةٍ: لِلَّهِ» بِلَامِ الْجَرِّ فِي الْمَوْضِعَيْنِ (٧)؛ نَظَرًا إِلَى أَنَّ الْمَعْنَى: مَنْ لَهُ مَا ذَكَرَ؟ «قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ» تَخْدَعُونَ وَتَصْرِفُونَ عَنِ الْحَقِّ عِبَادَةَ اللَّهِ وَحْدَهُ؛ أَيْ: كَيْفَ تَخِيلُ لَكُمْ أَنَّهُ بَاطِلٌ؟.

(١) أَخْرَجَ التَّسْلِيمِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٩٨/٢، ٩٩ رَقْم ٣٧٢)، وَالطَّبْرَايُ فِي الْكَبِيرِ (١١ رَقْم ١٢٠٣٨)، وَابْنُ حِبَانَ فِي صَحِيحِهِ (رَقْم ١٧٥٣ - مَوَارِدُ)، وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ (٣٩٤/٢) وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ وَوَارَفَقَهُ الذَّهَبِيُّ - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: جَاءَ أَبُو سَفْيَانَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَشَدُّكَ اللَّهُ وَالرَّحْمَ؟ فَقَدْ أَكَلْنَا الْبُلْبُلَ - يَعْنِي: الْوَبْرَ بِالْذَّمِّ - فَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكْبَرُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضَرُّهُمْ وَمَا يَنْصُرُهُمْ﴾. وَحَسَنَةُ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٥١/٦)، وَصَحَّحَهُ فِي الْاِسْتِيعَابِ (٥٣٨/٢، ٥٣٩).

(٢) هَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: هُوَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ.

(٣) أَيْ: وَتَرَكَ الْإِدْخَالَ؛ وَقَرَأَ عَامِرٌ بِالْإِحَارِ فِي الْأَوَّلِ وَالِاسْتِفْهَامِ فِي الثَّانِي، وَرَاجَعَ التَّعْلِيلُ عَلَى آيَةِ (٨١) مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ.

(٤) وَهِيَ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو وَابْنِ عَامِرٍ وَشُعْبَةَ، وَقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ «تَذَكَّرُونَ».

(٥) سَبَقَ بَيَانُ أَنَّ الْعَرْشَ غَيْرَ الْكُرْسِيِّ، وَأَنَّهُ أَعْظَمُ مِنْهُ.

(٦) هَذِهِ قِرَاءَةُ أَبِي عَمْرٍو، وَقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: (لِلَّهِ) بِلَامِ الْجَرِّ.

(٧) أَيْ: الْأَخْيَرِينَ، وَأَمَّا حَوَابِ السُّؤَالِ الْأَوَّلِ فَهِيَ الْجَرُّ بِإِذَاغِاقِ السَّبْعَةِ، وَلَمْ يَقْرَأْ بِدَوْبِهَا أَحَدٌ.

بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ وَالشَّهَادَةُ فَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي بِمَا نَعُدُّهُمْ لِقَدْ رُونَ ﴿٩٣﴾ أَدْفَعْ بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ مِنَ آيَاتِهِمْ فَأَنَا يَصِفُونَهُ ﴿٩٤﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٥﴾ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٦﴾ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٨﴾

[٩٠] ﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في نفيه، وهو: [٩١] ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ انفراد به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه ﴿وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ﴾ تنزيها له ﴿عَمَّا يُصِفُونَ﴾ به مما ذكر. [٩٢] ﴿عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ وَالشَّهَادَةُ﴾ ما غاب وما شوه؛ بالجر: صفة،

والرفع: خبر «هو» مقدرا<sup>(١)</sup> ﴿فَعَلَىٰ﴾ تعظم ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه. [٩٣] ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي بِمَا نَعُدُّهُمْ لِقَدْ رُونَ﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿تُرِيدُنِي﴾ ما يوعدونك ﴿مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ هو صادق بالقتل بيد. [٩٤] ﴿وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ فأهلك يا هلاكهم. [٩٥] ﴿وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: الخصلة من الصفح والإعراض عنهم ﴿أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ يكذبون ويقولون؛ فجازيهم عليه. [٩٦] ﴿وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أعصم ﴿بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ نزعاهم بما يوسوسون به. [٩٧] ﴿وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ في أموري؛ لأنهم إنما يحضرون بسوء.

[٩٨] ﴿وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ ابتدائية ﴿إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ ورأى مقعده من النار، ومقعده من الجنة لو آمن ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ الجمع للتعظيم. [٩٩] ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ بأن أشهد أن لا إله إلا الله، يكون ﴿فِيمَا رُكِّعْتُ﴾ ضيعت من عمري، أي: في مقابلته، قال - تعالى -: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا رجوع ﴿إِنِّي﴾ أي: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ﴿كَلِمَةً هِيَ قَائِلُهَا﴾ ولا فائدة له فيها ﴿وَمِنْ رَبِّهِمْ﴾ أمامهم ﴿رَرْجِعْ﴾ حاجر يصدهم عن الرجوع ﴿إِلَى يَوْمٍ يَرْجِعُونَ﴾ ولا رجوع بعده.

[١٠١] ﴿فَعِدَا نَفْحٍ فِي الصُّورِ﴾ القرن النفخة الأولى أو الثانية ﴿فَلَا أَنْسَابَ بِبَيْنِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يتفاحرون بها ﴿وَلَا يَسْأَلُونَ﴾ عنها، خلاف حالهم في الدنيا - لما يشغلهم من عظم الأمر عن ذلك في بعض مواطن القيامة، وفي بعضها يفيقون -، وفي آية: ﴿فَأَقِلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسْأَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. [١٠٢] ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالחסنات ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[١٠٣] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالسيئات ﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ فهم ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾. [١٠٤] ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ تحرقها ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ شَمَرَتْ شفاهم العليا والسفلى عن أسنانهم.

(١) بالرفع قراءة حمزة والكسائي وماغ وشعبة.

(٢) الصافات: ٥٠.

[١٠٥] ويقال لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي﴾ من القرآن ﴿تُثَلَّى عَلَيْكُمْ﴾ تُخَوَّلُونَ بِهَا ﴿فَكُنْتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ﴾؟

[١٠٦] ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ وفي قراءة: ﴿شَقَاوَتُنَا﴾<sup>(١)</sup> بفتح أوله وألف، وهما مصدران بمعنى ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ عن الهداية.

[١٠٧] ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَاكَ﴾ إلى المخالفة ﴿فَأَنَّا ظَالِمُونَ﴾.

[١٠٨] ﴿قَالَ لَهُمْ بِلْسَانٍ مَلَكٌ﴾ - بعد قُذِرَ الدُّنْيَا مَزِينٌ<sup>(٢)</sup> - ﴿بَعْدَ قُذْرِ الدُّنْيَا مَزِينٌ﴾ - ﴿أَخْسَرُوا فِيهَا﴾ ابعُدوا في النار أذلاء ﴿وَلَا تُكَلِّمُون﴾ في رفع العذاب عنكم؛ لينقطع رجاؤهم.

[١٠٩] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي﴾ هم: المهاجرون ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَمَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾.

[١١٠] ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾ [شُخْرِيًّا] بضم السين وكسرها<sup>(٣)</sup>؛ مصدر بمعنى: الهزاء؛ منهم: بلال وصهيب وعمار وسلمان ﴿حَتَّىٰ أَسْأَلُكُمْ ذِكْرِي﴾ فتركموه؛ لاشتغالكم بالاستهزاء بهم، فهم سبب الإنساء؛ فُنُسِبَ إليهم ﴿وَكُنْتُمْ بِهِنَّ تَضْحَكُونَ﴾.

[١١١] ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ﴾ النعيم المقيم ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على استهزائكم بهم وأذاكم بإيهم [إِنَّهُمْ]<sup>(٤)</sup> بكسر الهمزة ﴿هُمْ الْفَاقِرُونَ﴾ مطلوبهم؛ استئناف، ويفتحها: مفعول ثانٍ لـ ﴿جَزَيْتُهُمْ﴾.

[١١٢] ﴿قَالَ - تَعَالَى - لَهُمْ بِلْسَانٍ مَلَكٌ﴾ وفي قراءة: ﴿قُلْ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿كَمْ لَيْسَتْ فِي الْأَرْضِ﴾ في الدنيا وفي قبوركم ﴿عِدَّةٌ سِنِينَ﴾ تميز؟

[١١٣] ﴿قَالُوا لَيْسَتْ يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ﴾ شكوا في ذلك واستقصروه؛ لعظم ما هم فيه من العذاب ﴿فَقَسَلْنَا لَهُمُ الْكُفْرَ﴾ أي: الملائكة المحصنين أعمال الخلق.

[١١٤] ﴿قَالَ - تَعَالَى - بِلْسَانٍ مَلَكٌ﴾<sup>(٦)</sup> وفي قراءة: ﴿قُلْ﴾<sup>(٧)</sup> ﴿إِنْ أَتَىٰ أَيُّ مَا لَيْسَتْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مقدار لبثكم من الطول كان قليلاً بالنسبة إلى لبثكم في النار.

[١١٥] ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ لا لحكمة ﴿وَأَنَّكُمْ إِنَّمَا لَا تَرْجِعُونَ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول<sup>(٨)</sup> لا، بل لِنَتَّعِدْكُمْ بالأمر والنهي وترجعوا إلينا وبخاري على ذلك ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(٩)</sup>.

[١١٦] ﴿فَعَلَىٰ اللَّهِ﴾ عن العبث وغيره مما لا يليق به ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ الكرسي<sup>(١٠)</sup>؛ هو: السرير الحسن.

(١) الحمزة والكسائي.

(٢) قال ابن كثير: هذا جواب من الله - تعالى - للكفار إذا سألوا الخروج من النار والرجعة إلى هذه الدار. ونقل عن ابن عباس: هذا قول الرحمن حين انقطع كلامهم منه. فحُذِلَ القول على أنه بلسان مالك تأويل خلاف الظاهر لا دليل عليه.

(٣) رواه ابن أبي حاتم (١٤٠٤٧) عن عبد الله بن عمرو، والحاكم وصححه، وأخرجه ابن أبي شيبة عنه في مصنفه أيضاً رقم (٣٤١٢٢)، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ممن اشتهر بالقل عن أهل الكتاب.

(٤) بالضم قراءة حمزة والكسائي ونافع.

(٥) بالكسر قراءة حمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٦) لحمزة والكسائي وابن كثير.

(٧) وهذا التفسير خلاف ظاهر القرآن، ولا حاسم عليه إلا نفي القول عن الله تعالى.

(٨) لحمزة والكسائي.

(٩) بالبناء للفاعل لقراءة حمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة بالبناء للمفعول.

(١٠) الذاريات: ٥٦.

(١١) سبق بيان أن العرش غير الكرسي.

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُثَلَّى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ أَخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَمَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ شُخْرِيًّا بَضْمَ السِّنِّ وَكُسْرَهَا (١)؛ مصدر بمعنى: الهزاء؛ منهم: بلال وصهيب وعمار وسلمان ﴿حَتَّىٰ أَسْأَلُكُمْ ذِكْرِي﴾ فتركموه؛ لاشتغالكم بالاستهزاء بهم، فهم سبب الإنساء؛ فُنُسِبَ إليهم ﴿وَكُنْتُمْ بِهِنَّ تَضْحَكُونَ﴾. [١١١] ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ﴾ النعيم المقيم ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على استهزائكم بهم وأذاكم بإيهم [إِنَّهُمْ] (٢) بكسر الهمزة ﴿هُمْ الْفَاقِرُونَ﴾ مطلوبهم؛ استئناف، ويفتحها: مفعول ثانٍ لـ ﴿جَزَيْتُهُمْ﴾. [١١٢] ﴿قَالَ - تَعَالَى - لَهُمْ بِلْسَانٍ مَلَكٌ﴾ وفي قراءة: ﴿قُلْ﴾ (٣) ﴿كَمْ لَيْسَتْ فِي الْأَرْضِ﴾ في الدنيا وفي قبوركم ﴿عِدَّةٌ سِنِينَ﴾ تميز؟ [١١٣] ﴿قَالُوا لَيْسَتْ يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ﴾ شكوا في ذلك واستقصروه؛ لعظم ما هم فيه من العذاب ﴿فَقَسَلْنَا لَهُمُ الْكُفْرَ﴾ أي: الملائكة المحصنين أعمال الخلق.

### سُورَةُ التَّوْبَةِ

[١١٧] ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ صفة كاشفة لا مفهوم لها ﴿فَالنَّامُوسَ مَا هُوَ﴾ جزاؤه ﴿عِنْدَ رَبِّهِ إِسْمٌ لَا يُفْهِمُ الْكَافِرُونَ﴾ لا يسعدون.

[١١٨] ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾ المؤمنين، في الرحمة زيادة عن المغفرة ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ أفضّل راحم.

\*\*\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ النُّورِ وَقُرْصَتُهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ وَالزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْسَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ فُرُوجًا يُؤْتَيْنَا بِأَرْبَعَةٍ شَهَادَةٍ فَاجْلِدُوهُنَّ مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدُوا أَحْدَهُمْ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ شَهِدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٨﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿٩﴾

## سُورَةُ النُّورِ

[مدينة، وهي: اثنتان، أو: أربع وستون آية، نزلت بعد الحشر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] هذه ﴿سُورَةُ النُّورِ وَقُرْصَتُهَا﴾ مخففة ومشددة<sup>(١)</sup>؛ بكثرة المفروض فيها ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات الدلالات ﴿لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال؛ تعظون.

[٢] «الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي» أي: غير المحصنين؛ لرجعهما بالشئ، «وَأَل» فيما ذكر موصولة، وهو مبتدأ، ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره؛ وهو: ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ ضربة، يقال: ضربت جلدته، ويزاد على ذلك بالشئ تعريب عام<sup>(٢)</sup>، والرفيق على الصف مما ذكر<sup>(٣)</sup> ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أي: حكمه بأن تركوا شيئاً من حددهما ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: يوم البعث، في هذا تحريض على ما قبل الشرط، وهو جوابه أو دال على جوابه ﴿وَلَيْسَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: «ثلاثة»، وقيل: «أربعة»، عدد شهود الزنا.

[٣] «الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ» أي: المناسب لكل منهما ما ذكر ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ﴾ أي: نكاح الزواني ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأخيار، نزل ذلك لما هم فراق المهاجرين أن يتزوجوا بغايا المشركين وهن موسرات لينفن عليهم<sup>(٤)</sup>؛ فقيل: التحريم خاص بهم، وقيل: عام ونسخ بقوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَّامَ مِنْكُمْ﴾<sup>(٥)</sup>.

[٤] «وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْعِفَاتِ بِالزَّانَا» أي: لا يأتوا بأربعة شهادات على زناهن برويتهن ﴿فَاجْلِدُوهُنَّ﴾ كل واحد منهم ﴿مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةً فِي شَيْءٍ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ لإثباتهم كبيرة. [٥] «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا» عملهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لهم قذفهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم بإلهام النبوة، فيها ينتهي فشقهم وتقبل شهادتهم، وقيل: «لا تقبل»؛ رجوعاً بالاستثناء إلى الجملة الأخيرة<sup>(٦)</sup>.

[٦] «وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ بِالزَّانَا» ولا يكن لهم شهادة عليه ﴿إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ وقع ذلك لجماعة من الصحابة ﴿فَشَهِدُوا أَحْدَهُمْ﴾ مبتدأ ﴿أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ﴾ نصب على المصدر<sup>(٧)</sup> ﴿وَلَوْ أَنَّ لِمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيما رمى به زوجته من الزنا. [٧] «وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ» في ذلك، وخبر المبتدأ: تدفع عنه حد القذف<sup>(٨)</sup>.

[٨] «وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ» أي: يدفع ﴿عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ حد الزنا الذي ثبت بشهادته ﴿أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾ فيما رماها به من الزنا. [٩] «وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ» في ذلك<sup>(٩)</sup>. [١٠] «وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ» بالسفر في ذلك ﴿وَأَنَّ اللَّهَ

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٣): أخرج أبو داود عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن مؤثد بن أبي مرثد الغنوي كان يحبس الأسارى بمكة، وكان يبعث بها فقال لها عناق، وكانت صديقتها، قال: فجئت إلى النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، أتكنح عناق؟ قال: فسكت عني، فنزلت: ﴿وَالزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ فدعاني وقرأها علي، وقال: «لا تكسها». أبو داود. كتاب النكاح (٢٦) باب (١٢) تزويج الزانية. (حسن صحيح صحيح سنن أبي داود (١٨٠٦).

(هـ) ما جاء في نزول الآيات (٦ - ٩): أخرج البخاري عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النبي ﷺ: «البينة أو حد في ظهره»، فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً انطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ يقول: «البينة أو حد في ظهره». فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصديق، فليزنا الله ما يرى ظهري من الحد. فنزل

(١) بتشديد الراء قراءة ابن كثير وأبي عمرو. (٢) روى البخاري (٢٦٦١) واللفظ له، ومسلم (٢٧٧٠) عن زيد بن خالد عن رسول الله ﷺ أنه أمر فيمن زنى ولم يحصن بجلد مائة وتعريب عام. (٣) قوله تعالى: ﴿فَعَلَّيْنِ يَضْحَكُ عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْكَذَّابِ﴾ [النساء: ٢٥].

وأخرج مالك عن يحيى بن سعيد أن سليمان بن يسار أخبره أن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة المخزومي قال: أمرني عمر بن الخطاب في فية من قریش فجلدنا ولاند من ولاند الإمارة حسين بن الزنا. (الموطأ: ١٣٠٣). وفي مسند أحمد عن علي قال: أرسلني رسول الله ﷺ إلى أمه له سوداء زنت لأجلها. قال: فوجدتها في دمها فأثبت رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك فقال لي: «إذا تعالت من نفسك فاجلدها خمسين». (المسند: ١٠٨٦)، وصححه مجموع طرفة الأرنؤاوط في تخريجه على المسند (٣٥٥/٢). وضعف الشيخ أحمد شاكر إسناده في تخريجه على المسند (١٤٢٧).

(٤) أخرج نحوه عن أبي حاتم عن مقاتل. [الدر المنثور (٣٨/٥)]. (٥) النور: ٣٢. والصحيح أنها عامة، وأنها محكمة، وتفسيرها كما رجحه بعض المفسرين: أن غالب الرناة منهم لا يرغب إلا في الزواج بزانية مثله، وغالب الزواني لا ترغب الواحدة منهم إلا في الزواج بران مثلاً، والمقصود زجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا، وعن ابن عباس قال: انتكاح في هذه الآية يعني الوطء لا الزواج، وأن الآية في تحريم الزنى. واختاره الطبري.

(٦) وهو مذهب أبي حنيفة، والقول الأول - وهو أن الاستثناء إذا تعقت جملاً معطوفة عاد إلى جميعها - مذهب الجمهور؛ وهو الراجح. (٧) أي: المفعول المطلق، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالرغم؛ خير المبتدأ. (٨) أي: محذوف تقديره ما ذكر.



تَوَلَّى بِقِيُولِهِ التَّوْبَةَ فِي ذَلِكَ وَغِيْرِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِيمَا حَكَمَ بِهِ فِي ذَلِكَ وَغِيْرِهِ لَيِّسٌ الْحَقُّ فِي ذَلِكَ وَعَاجِلٌ بِالْعُقُوبَةِ مَن يَسْتَحِقُّهَا.

[١١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ أَسْوَأُ الْكُذْبِ عَلَى عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ بِقُدْرَتِهَا ﴿عَصْبَةُ مُحَمَّدٍ﴾ جَمَاعَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ <sup>(١)</sup>: «حَسَنَ بَنٍ ثَابِتٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ، وَمُسَطِّحٌ، وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ» <sup>(٢)</sup> ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ غَيْرِ الْعَصْبَةِ ﴿شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ بِأَجْرِكُمُ اللَّهُ بِهِ، وَيُظْهِرُ بَرَاءَةَ عَائِشَةَ وَمَنْ جَاءَ مَعَهَا مِنْهُ؛ وَهُوَ: صَفْوَانٌ، فَإِنَّمَا قَالَتْ: «كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةٍ بَعْدَمَا أَنْزَلَ الْحِجَابَ، فَفَرَّغَ مِنْهَا وَرَجَعَ، وَدَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، وَأَذِنَ بِالرَّحِيلِ لَيْلَةً فَمَشَيْتُ وَقَضَيْتُ شَأْنِي وَأَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحِيلِ إِذَا عَقْدِي انْقَطَعَ - هُوَ بِكسرِ الْمِهْمَلَةِ: الْفَلَادَةُ - فَرَجَعْتُ أُنْمِسُهُ، وَحَمَلُوا هُوْدُجِي - هُوَ مَا يَرْكَبُ فِيهِ - عَلَى بَعِيرِي يَحْسِبُونَنِي فِيهِ، وَكَانَتِ النِّسَاءُ خُفَافًا يَمْنَى بِأَكْلَنِ الْغُلْفَةِ - هُوَ بَضْمُ الْمِهْمَلَةِ وَسُكُونُ اللَّامِ - مِنَ الطَّعَامِ - أَيُّ: الْقَلِيلِ -، وَوَجَدْتُ عَقْدِي وَجَدْتُ بَعْدَمَا سَارُوا؛ فَجَلَسْتُ فِي الْمَنْزِلِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونَنِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَغَلَبَتْنِي عَيْنَايَ فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانٌ قَدْ عَزَسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَأَدْلَجَ - هُمَا بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ وَالْدَالِ؛ أَيُّ: نَزَلَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ لِلْإِسْتِرَاحَةِ - فَسَارَ مِنْهُ فَأَصْبَحَ فِي مَنْزِلِهِ فَرَأَى سُودًا إِنْسَانٍ نَائِمًا - أَيُّ: شَخْصَةً -؛ فَعَرَفَنِي حِينَ رَأَانِي وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ؛ فَاسْتَقِظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي - أَيُّ قَوْلِهِ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ؛ فَخَمَرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي؛ أَيُّ غَطَيْتُهُ بِالْمَلَاعَةِ، وَاللَّهُ مَا كَلَّمْتَنِي بِكَلِمَةٍ، وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، وَوَطِئَ عَلَى يَدَاهُ فَرَكْبَتَهَا، فَانْطَلَقَ بِقُدْرِ بِي الرَّاحِلَةِ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَمَا نَزَلُوا مَوْغِرِينَ فِي نَحْرِ الظُّهْرَةِ - أَيُّ مِنْ أَوْغَرٍ؛ وَاقْعَيْنِ <sup>(٣)</sup> فِي مَكَانٍ وَغَرَّ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ - فَهَلَكَ مِنْ هَلَكٍ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كَثِيرَةً مِنْهُمْ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سُلُوفٍ أَهْدَى قَوْلُهُ [رواه الشيخان] <sup>(٤)</sup> - قَالَ - تَعَالَى -: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ﴾ أَيُّ: عَلَيْهِ ﴿مَّا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ فِي ذَلِكَ ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾ أَيُّ: تَحْمِلُ مُغْطَمَتَهُ قَبْدًا بِالْخَوْضِ فِيهِ وَأَشَاعَهُ؛ وَهُوَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ﴿لَمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هُوَ النَّارُ فِي الْآخِرَةِ. [١٢] ﴿وَلَوْلَا هَلَاءُ﴾ إِذْ هِيَ حِينَ سَمِعْتُمُو ظَنَ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ أَنْفُسَهُمْ ﴿أَيُّ: ظَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ كَذِبٌ يَبْقَى، فِيهِ التَّفَاتُ عَنِ الْخَطَابِ؛ أَيُّ: ظَنَنْتُمْ أَيُّهَا الْعَصْبَةُ، وَقَلْتُمْ: [١٣] ﴿وَلَوْلَا هَلَاءُ﴾ جَاءُوا. أَيُّ: الْعَصْبَةُ عَلَيْهِ يَارَبْعَةَ شَهَادَةٍ شَاهَدُوهُ ﴿فَإِذَا لَمْ يَأْتُوا بِالْبَشْهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَيُّ: فِي حُكْمِهِ ﴿هُمْ الْكَذِبُونَ﴾ فِيهِ. [١٤] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَكْتُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْعَصْبَةُ؛ أَيُّ خَضَعْتُمْ ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فِي الْآخِرَةِ. [١٥] ﴿إِذَا تَلَفْتُمْ بِالْمُنَادِيَةِ﴾ أَيُّ: يَرْوِيهِ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَحَذَفَ مِنَ الْفِعْلِ إِحْدَى النَّاعِيْنَ، وَ﴿إِذْ﴾ مَنْصُوبٌ بِ﴿مَسَكْتُمْ﴾ أَوْ بِ﴿أَفَضْتُمْ﴾ وَتَقُولُونَ بِأَوَافِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا لَا إِثْمَ فِيهِ﴾ وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ فِي الْإِثْمِ. [١٦] ﴿وَلَوْلَا هَلَاءُ﴾ إِذْ

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَّا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُو ظَنَ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ أَنْفُسَهُمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾ وَلَوْلَا جَاءَ عَلَيْهِ يَارَبْعَةَ شَهَادَةٍ فَإِذَا لَمْ يَأْتُوا بِالْبَشْهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَكْتُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَكْذِبَ بِهِ هَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بَهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيَسِّرَ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ وَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢١﴾

حِينَ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ مَا يَنْبَغِي ﴿لَنَا أَنْ نَكْذِبَ هَذَا سُبْحَنَكَ﴾ هُوَ لِلتَّعَجُّبِ هُنَا ﴿هَذَا بَهْتَنٌ﴾ كَذِبٌ ﴿عَظِيمٌ﴾.

[١٧] ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ﴾ بِهَا كَمْ ﴿أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ تَعْتَظُونَ بِذَلِكَ.

[١٨] ﴿وَيَسِّرَ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِيهِ.

[١٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ بِاللِّسَانِ ﴿فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بِنِسْبَتِهَا إِلَيْهِمْ؛ وَهُمْ: الْعَصْبَةُ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فِي الدُّنْيَا بِحَدِّ الْقَذْفِ ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بِالنَّارِ لِحَقِّ اللَّهِ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ انْتِفَاعَهَا عَنْهُمْ ﴿وَأَنْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْعَصْبَةُ بِمَا قُلْتُمْ مِنَ الْإِفْكِ ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ وَجُودَهَا فِيهِمْ.

[٢٠] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا الْعَصْبَةُ ﴿وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ بِكُمْ؛ لَعَاجَلَكُمْ بِالْعُقُوبَةِ.

= جبرين، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿وَالَّذِينَ يُزْمَنُ الْأَوَّاهِينَ﴾ فَمَرَأَتْ حَتَّى بَلَغَ: ﴿إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، فَاصْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَارْسَ إِلَيْهَا، فَنَجَّاهُ هَلَالَ فَشْهَدَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَذَبَ فَمِنْ مَنكُمَا تَائِبٌ» ثُمَّ قَامَتْ فَشْهَدَتْ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الْخَامِسَةِ وَقَفَهَا وَقَالُوا: إِنَّمَا مَوْجِبَةٌ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَكَادَتْ وَنَكَسَتْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا تَرْجِعُ، ثُمَّ قَالَتْ: لَا أَضْهَقُ قَوْمِي سَائِرَ الْيَوْمِ فَمَضَتْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَبْصِرُوا هَا» فَإِنْ جَاءَتْ بِهَ أَكْمَلَ الْعَيْنَيْنِ سَابِغِ الْأَيْتَيْنِ، فَحَذَّلَ السَّافِينَ فَهَرَّ لَشْرِيكَ بْنِ مَحْمَدٍ، فَجَعَلَتْ بِهِ كَذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَلَوْلَا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَكَانَ لِي وَلِهَا شَأْنٌ». الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ التَّفْسِيرِ (٦٥) سُورَةُ النُّورِ (٢٤) بَابُ (٣).

(١) أَيُّ: عَائِشَةُ <sup>(١)</sup>.

(٢) أَخْرَجَ نَحْوَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٦٦١)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٧٠).

(٣) وَفِي نَسَخَةٍ: وَاقْعَيْنِ.

(٤) لَمْ يَرْوِهِ الشَّيْخَانُ بِهَذَا اللَّفْظِ، لَكِنَّ الْقِصَّةَ مَوْجُودَةً فِي الْبُخَارِيِّ (٢٦٦١)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٧٠).

من هذا الذنب بالتوبة منه ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي﴾ يطهر ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ من الذنب؛ بقبول توبته منه ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ بما قلتم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بما قصدم. [٢٢] ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ يحلف ﴿أُولُو الْفَضْلِ﴾ أصحاب الغني ﴿مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ أن لا ﴿يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ نزلت في أبي بكر؛ خيف أن لا ينفق على مسطح. وهو ابن خالته، مسكين مهاجر بدرى. لما خاض في الإفك بعد أن كان ينفق عليه، وناس من الصحابة أقسموا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ عنهم في ذلك ﴿أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ للمؤمنين، قال أبو بكر: «بلى، أنا أحب أن يغفر الله لي»، ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه<sup>(١)</sup>.

[٢٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُزَكُّونَ﴾ بالزنا ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ العفاف ﴿الْفَوَاحِشَ﴾ عن الفواحش؛ بأن لا يقع في قلبهن فعلها ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ بالله ورسوله ﴿لِيُؤْتُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[٢٤] ﴿يَوْمَ﴾ ناصبه الاستقرار، الذي تعلق به: (لهم) ﴿تَشْهَدُ﴾ بالفوقانية والتحانية<sup>(٢)</sup> ﴿عَلَيْهِمُ الْيَتِيمَ وَالْيَتِيمَ وَالْيَتِيمَ﴾ بما كانوا يمسكون من قول وفعل؛ وهو: يوم القيامة. [٢٥] ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ يُوسُفُ اللَّهُ دِيْنَهُمُ الْحَقَّ﴾ يجازيهم جزاءه الواجب عليهم ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ حيث حقق لهم جزاءه الذي كانوا يشكرون فيه؛ ومنهم: عبدالله بن أبي، والمحصنات هنا أزواج النبي ﷺ لم يذكر في قذفهن توبة، ومن ذكر في قذفهن أول السورة التوبة غيرهن.

[٢٦] ﴿الْخَبِيثَاتِ﴾ من النساء، ومن الكلمات ﴿الْخَبِيثَاتِ﴾ من الناس ﴿وَالْخَبِيثِينَ﴾ من الناس ﴿الْخَبِيثَاتِ﴾ مما ذكر ﴿وَالْخَبِيثِينَ﴾ مما ذكر: أي: ﴿اللطيفين﴾ من الناس ﴿وَاللطيفين﴾ منهم ﴿اللطيفين﴾ مما ذكر؛ أي: اللائق بالحيث مثله وبالطيب مثله ﴿أُولَئِكَ﴾ الطيبون والطيبات من النساء؛ ومنهم: عائشة، وصفوان، مبرورة ومما يقولون: أي: الخبيثون والخبيثات من الرجال والنساء فيهم ﴿لَهُمْ﴾ للطيبين والطيبات ﴿مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة، وقد افتخرت عائشة بأشياء منها: أنها خلقت طيبة، ووعدت مغفرة ورزقا كريما<sup>(٣)</sup>.

[٢٧] ﴿كَتَابَهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ أي: تستأذنوا ﴿وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ فيقول الواحد: «السلام عليكم، أَدْخُلْ؟» كما ورد<sup>(٤)</sup> في حديث<sup>(٥)</sup> ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الدخول بغير استئذان

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهجرين في سبيل الله وليعفووا وليصنفوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يوم تشهد عليهن أنسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴿يَوْمَ يُدْفِعُ اللَّهُ مِنْهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

[٢٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ﴾ أي: طريق تزيينه ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ أي: القبيح ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ شرعا باتباعها ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ﴾ أي: العصبية بما قلتم من الإفك ﴿مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ أي: ما صلح وطهر

وأخرج أيضا عن سهيل بن سعد أن عويمرا أتى عاصم بن عدي - وكان سيد بني عجلان - فقال: كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلا؟ أيقته فتقولونه؟ أم كيف يصنع؟ سألني رسول الله ﷺ عن ذلك. فأني عاصم النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، فكره رسول الله ﷺ المسائل، فسأله عويمر فقال: إن رسول الله ﷺ كره المسائل وعابها، قال عويمر: والله لا أنتهي حتى أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك. فجاء عويمر فقال يا رسول الله، رجل وجد مع امرأته رجلا أيقته فتقولونه أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبك». فأمرهما رسول الله ﷺ بالملاعة بما سمي الله في كتابه، ففلاعننا. البخاري - التفسير (الساكن) باب (١).

قال الحافظ ابن حجر: «وقد اختلف الأئمة في هذا الموضع: فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر، ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال، وصادف مجيء عويمر أيضا فنزلت في شأنهما معا في وقت واحد، وقد جرح النووي إلى هذا... ولا مانع أن تعدد القصص ويحد النزول... ويحتمل أن النزول سبق بسبب هلال، فلما جاء عويمر - ولم يكن علم بما وقع لهلال - أعلمه النبي ﷺ بالحكم... وجرح القرطبي إلى تجويز نزول الآية مرتين. [الفتح (٨/ ٣٠٤، ٣٠٥)].»

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٢٢): أخرج البخاري عن عائشة قالت: ... فلما أنزل الله في براءتي قال أبو بكر الصديق ﷺ وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقرباه منه وقهره: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال؛ فأقول الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قال أبو بكر: بلى. والله - إنني أحب أن يغفر الله لي؛ فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدا. البحري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النور (٢٥) باب (٦).

(و) ما جاء في نزول الآيات (٢٣ - ٢٦): أخرج أحمد عن عائشة قالت: رمت بما رمت به وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك رضح من ذلك، فبينما رسول الله ﷺ عندي؛ إذ أوحى إليه، وكان إذا أوحى إليه يأخذه شبه السبات، فبينما هو جالس عندي إذ أنزل عليه الوحي، فرفع رأسه وهو مسح عينيه، فقال: أبشري يا عائشة. قلت: بحمد الله لا بحمدك، فقرا: ﴿الَّذِينَ يُزَكُّونَ الْأَلْفَمَاتِ﴾ حتى بلغ ﴿مُزَكَّاتٍ وَمِمَّا يُغْتَرَبُونَ﴾. أحمد - المسند (١٠٣/٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨).

(١) بالتحانية حمزة والكسائي. (٢) أشار بذلك إلى أن السلام مقدم على الاستئذان، وهو قول الأكر. ومنهم من فسل؛ فإن وقع بصره على أحد في البيت فسلم السلام ولا تقدم الاستئذان ثم يسلم. (٣) أخرج أبو داود عن رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت فقال: أأج؟ فقال النبي ﷺ لحادمه: «خرج إلى هذا فعلمه الاستئذان قل له: قل: السلام عليكم أَدْخُلْ»، فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أَدْخُلْ؛ فأذن له النبي ﷺ فدخل. أبو داود (٤٥٠٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨١٩).

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup> يادغام التاء الثانية في الذال<sup>(٢)</sup>؛ خيرته؛ ففعلون به.

[٢٨] ﴿فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ بأذن لكم ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ بعد الاستئذان ﴿أَتَرْجِعُوا فَأَرْجِعُوا هُرًّا﴾ أي: الرجوع ﴿أَزْكًى﴾ أي: خير ﴿لَكُمْ﴾ من القعود على الباب ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ مِنَ الدُّخُولِ يُأَذِّنُ وَغَيْرِ ذَٰلِكَ عَلِيمٌ﴾ فيجازيكم عليه.

[٢٩] ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ﴾ أي: منفعة ﴿لَكُمْ﴾ باستئذان وغيره؛ كبيت الوطء، والخانات المستبلة<sup>(٣)</sup> ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ يظهرون ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ تخفون في دخول غير بيوتكم؛ من قصد صلاح أو غيره، وسيأتي أنهم إذا دخلوا بيوتهم يسلمون على أنفسهم.

[٣٠] ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ مِنْ أَبْصَرِهِمْ﴾ عما لا يحل لهم نظره و﴿بَعْضُهُمْ زَانِدٌ وَيَحْظَرُونَ فُرُوجَهُمْ﴾ عما لا يحل لهم فعله بها ﴿وَذَٰلِكَ أَزْكًى﴾ أي: خير ﴿لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ بالأبصار والفروج؛ فيجازيهم عليه.

[٣١] ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُنَّ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾ عما لا يحل لهن نظره و﴿بَعْضُهُنَّ فُرُجُهُنَّ﴾ عما لا يحل لهن فعله بها ﴿وَلَا يُبْدِينَ﴾ يظهرن ﴿زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وهو الوجه والكفان<sup>(٤)</sup>، فيجوز نظره لأجنبي إن لم يخف فتنة في أحد وجهين، والثاني: يخزمن؛ لأنه مظنة الفتنة، ورجح حسناً للباب ﴿وَلْيَضْرِبْنَ خُمْرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ أي: يسترن الرؤوس والأعناق والصدور بالمقانع<sup>(٥)</sup> ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الخفية؛ وهي: ما عدا الوجه والكفين<sup>(٦)</sup> ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ جمع بعل، أي: زوج ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَائِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ إِسَاءَتِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ فيجوز لهم نظره، إلا ما بين السرة والركبة؛ فيحرم نظره لغير الأزواج، وخرج به ﴿إِسَاءَتِهِنَّ﴾ الكافرات؛ فلا يجوز لمسلمات الكشف لهن<sup>(٧)</sup>، وشمل ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ العبد<sup>(٨)</sup> ﴿أَوْ النَّبِيِّاتِ﴾ في فضول الطعام وغيره بالجر: صفة، والنصب: استثناء<sup>(٩)</sup> ﴿أُولَى الْأَرْزَاقِ﴾ أصحاب الحاجة إلى النساء ﴿وَمِنَ الرِّجَالِ﴾ بأن لم ينتشر ذكر كل ﴿أَوْ الْوَالِدِ﴾ بمعنى: الأطفال ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا إِلَىٰ طَهْرِهِمْ﴾ يطلعون ﴿عَنْ عَوْرَتِ النِّسَاءِ﴾ للجماع؛ فيجوز أن يبدن لهم ما عدا ما بين السرة والركبة ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا

فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ تَرْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكًى وَاللَّهُ يَمَا تَعْمَلُونَ عَلَيْهِ ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُنَّ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْظَرُونَ فُرُوجَهُنَّ ذَلِكَ أَزْكًى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُنَّ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمْرَهُنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ إِسَاءَتِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولَى الْأَرْزَاقِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْوَالِدِ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا إِلَىٰ طَهْرِهِمْ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ تَعْلَمُ تَقْلُحُونَ

يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ من خلخال يتقفع ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ بما وقع لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره ﴿لَعَلَّكُمْ تَقْلُحُونَ﴾ تنجون من ذلك لقبول التوبة منه، وفي الآية تغليب الذكور على الإناث.

(٥) ما جاء في نزل الآية (٣١): أخرج البخاري عن عائشة قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ خُمْرَهُنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن مروطن فاعتصرن بها. البخاري - التفسير (٦٥) سورة النور (٢٤) باب (١٢).

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وفرأ بقية السبعة: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾.  
(٢) الوطء: أماكن ربط الدواب. والخانات المستبلة: أي الموقوفة لإيواء ابن السبيل للقطع. ومطها الآل: الفنادق والمراق العامة.  
(٣) قال ابن كثير في تفسير الآية: أي ولا يظهرون شيئاً من أسرتهم للأجانب، إلا ما لا يمكن إخفاؤه. قال ابن مسعود: كالدواء والنياب... بعد. وقال فيما جاء عن ابن عباس في الآية: وجهها وكفيها والخاتم: قال: وهذا يحمل أن يكون تفسيراً للزينة التي نهى عن إبدائها.  
(٤) راجع التعليق السابق.  
(٥) وهذا أحد القولين أن المراد بـ ﴿إِسَاءَتِهِنَّ﴾: المؤمنات، أخذاً من الإضافة، وهو مذهب كثيرين، والقول الثاني: أن المراد النساء كلهن، فإنهن سراء في جل نظر بعضهن إلى بعض، وهو مذهب الخبالة، وهو الأقرب. والله أعلم.  
(٦) لكن بشرط العفة وعدم الشهوة من الجانبين، وهذا مذهب الشافعي. وعند مالك التفريق بين الوغد وغيره.  
(٧) بالنصب قراءة شعبة وابن عامر.

أَذِنَهَا فَأَنْتَ حَقٌّ يَقُولُ: «قِيلَتْ» ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ﴾ أمر للسادة ﴿مِن مَّالِ اللَّهِ﴾ الَّذِينَ آمَنَتْكُمْ ﴿مَا يَسْتَعِينُونَ بِهِ فِي آدَاءِ مَا التَّزَمُوهُ لَكُمْ﴾ وفي معنى الإتياء حط شيء مما التزموه ﴿وَلَا تُكْرَهُوا قِيَّتَكُمْ﴾ إماءكم ﴿عَلَى الْيَقْدِ﴾ الزنا ﴿إِنْ أَرَدَنْتُمْ خَصَصَا﴾ تعفوا عنه، وهذه الإرادة محل الإكراه؛ فلا مفهوم للشرط (١) ﴿لِيَتَنَبَّأُوا﴾ بالإكراه ﴿عَنِ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا﴾ نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ مِنْ أَنِّي كَانَ يُكْرِهُ جَوَارِيهِ عَلَى الْكَسْبِ بِالزَّانَا ﴿وَمَنْ يُكْرِهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ عَفُورٌ﴾ لَهُنَّ ﴿رَجِيمٌ﴾ بِهِنَّ (٢).

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ مَائِدَتِ مَائِدَتِ﴾ بفتح الباء وكسرهما (٣) في هذه السورة، بين فيها ما ذكر، أو بينة (٤) ﴿وَمَقَالًا﴾ خبراً عجيباً؛ وهو: خبر عائشة ﴿مِنَ الَّذِينَ خَلَّوْا مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: من جنس أمثالهم؛ أي: أخيارهم العجيبة؛ كخبر يوسف ومريم ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ في قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ (٥).

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٦) إلخ ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ﴾ (٧) إلخ ﴿يُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ أَنْ تُعَوِّدُوا﴾ (٨) إلخ، وتخصيصها بالمتقين؛ لأنهم المتنفعون بها.

[٣٥] ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: منورها بالشمس والقمر ﴿مِثْلُ نُورِهِ﴾ أي: صفته في قلب المؤمن ﴿كَيْشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ أَلْيَضَاحٌ فِي رُجَائِكُمْ﴾ هي القنديل، والمصباح: السراج؛ أي: الفتيلة الموقودة، والمشكاة: الطاقة غير النافذة؛ أي: الأنبوبة في القنديل ﴿الزَّجَاجَةُ كَأَنَّهَا﴾ والنور فيها ﴿كَوَكَبٌ﴾ [دُرِّيَّة] ﴿أَي: مضيء، بكسر الدال وضمها﴾ (٩) من الدرء؛ بمعنى: الدفع؛ لدفعها الظلام، وضمها وتشديد الباء (١٠) منسوب إلى الدرء: اللؤلؤ ﴿تَوْقَدُ﴾ المصباح، بالماضي (١١) وفي قراءة (١٢) بمضارع أوقد منبياً للمفعول بالتحانية، وفي أخرى (١٣) ﴿تَوْقَدُ﴾ بالفوقانية؛ أي: الزجاجية ﴿مِنْ زَيْتٍ﴾ زيت ﴿سَجَرٍ مَبْرُكٍ زَيْتُونٍ لَا شَرْفِيَّةٍ وَلَا عَرَبِيَّةٍ﴾ بل بينهما؛ فلا يتمكن منها حر ولا برد مضراً ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ لصفائه ﴿نُورٌ﴾ به (١٤) ﴿عَلَى نُورٍ﴾ بالنار، ونور الله: أي: هداه للمؤمن نور عسى نور الإيمان ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ أي: دين الإسلام ﴿مَنْ بَشَاءَ وَيَضْرِبُ﴾ بين ﴿اللَّهُ الْأَنْتَ لِلنَّاسِ﴾ تقريباً لأفهامهم ليعتبروا؛ فيؤمنوا ﴿وَاللَّهُ يَكْتُلُ شَيْءٌ عَلَيْهِ﴾ ومنه ضرب الأمثال.

[٣٦] ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ متعلق بـ ﴿يُسَبِّحُ﴾ الآتي ﴿أَوَّنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ تعظم ﴿وَيَذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ بتوحيده ﴿يُسَبِّحُ﴾ بفتح الموحدة وكسرهما (١٥) أي: يصلي ﴿لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ﴾ مصدر؛ بمعنى: الغدوات؛ أي: البكر ﴿وَالْأَصَالُ﴾ العشايا من بعد الزوال.

وَأَنذَرْتَهُمْ وَأَنذَرْتَهُمْ مِنَ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْطِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١٦) وَلَيْسَتَعَفِيفُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ ذِكْرًا حَاشَىٰ يُعْطِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآؤُوهُمْ مِنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَّبَتْكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدَنْتُمْ خَصَصْنَا لِيَتَّبِعُوا عَرَضَ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ عَفُورٌ رَجِيمٌ (١٧) وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ مَّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكَ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (١٨) \* أَنَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْ شَكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ أَلْيَضَاحٌ فِي رُجَائِكُمُ الزَّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبْرُكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْفِيَّةٍ وَلَا عَرَبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٩) فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَيُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ (٢٠)

[٣٧] ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ أَلْيَسَ يَذْكَرُ﴾ جمع «ألم»؛ وهي: من ليس لها زوج يكرها كانت أو تبيها، ومن ليس له زوج، وهذا في الأحرار والحرائر ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ المؤمنين ﴿مِنَ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ وعباد من جموع «عبد» ﴿إِنْ يَكُونُوا﴾ أي: الأحرار ﴿فُقَرَاءَ يُعْطِيهِمُ اللَّهُ﴾ بالتزويج ﴿مِنَ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ خلقه ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بهم.

[٣٨] ﴿وَلَيْسَتَعَفِيفُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ ذِكْرًا﴾ ما يذكحون به، من مهر ونفقة، عن الزنا ﴿حَاشَىٰ يُعْطِيهِمُ اللَّهُ﴾ يوسع عليهم ﴿مِنَ فَضْلِهِ﴾ فينكحون ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ بمعنى: المكتابة ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من العبيد والإماء ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أي: أمانة وقدرة على الكسب لأداء مال الكتابة، وصيغتها - مثلاً -: كاتبتك على أنفين في شهرين، كل شهر ألف، فإذا

(١) م حاء في نزول الآية (٣٣): أخرج مسلم عن جابر أن جارية لعبد الله بن أبي سلول يقال لها: مسيكة، وأخرى يقال لها: أميمة، فكان يكرهما على الزنا، فشكنا ذلك إلى النبي ﷺ فأمر الله: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا قِيَّتَكُمْ عَلَى الْيَقْدِ﴾ إلى قوله: ﴿عَفُورٌ رَجِيمٌ﴾. مسلم. كتاب التفسير (٥٤) باب (٣).

(١) أي: ليس إرادتهن التحضن شرطاً للنهي؛ فإكراههن حرام على كل حال. (٢) بالفتح قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير وشعبة، وبالكسر قراءة ابن عامر وحفص وحزرة والنكسائي. (٣) أي: هي بينة، يعني الآيات، وذلك توضيح من المفسر لمعنى القراءة الثانية. (٤) النور: ٢. (٥) النور: ١٢. (٦) النور: ١٦. (٧) النور: ١٧. (٨) أي: مع الهرمة، والكسر قراءة النكسائي وأبي عمرو، والضم قراءة حمزة وشعبة. (٩) لباقى السعة. (١٠) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. (١١) نافع وابن عامر وحفص. (١٢) لحمزة والنكسائي وشعبة. (١٣) أي: بالزيت. (١٤) بالفتح قراءة شعبة وابن عامر.

[٣٧] ﴿رِجَالٌ﴾ فاعل ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ بكسر الباء، وعلى فتحها نائب الفاعل: له، و﴿رِجَالٌ﴾ فاعل فعل مقدر جواب سؤال مقدر؛ كأنه قيل: من يسبحه؟ ﴿لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً﴾ شراء ﴿وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَابِ الصَّلَاةِ﴾ حذف هاء «إقامة» تخفيف ﴿وَالَّذِينَ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ﴾ تضطرب ﴿فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ من الخوف؛ القلوب بين النجاة والهلاك، والأبصار بين ناحيتي اليقين والشك؛ هو يوم القيامة.

[٣٨] ﴿لِيُجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ أي: ثوابه ﴿وَأَحْسَنَ﴾ بمعنى: حسن ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وَاللَّهُ يَزِدُّ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿يَقَالُ﴾ فلان ينفق بغير حساب؛ أي: يوسع؛ كأنه لا يحسب ما ينفقه.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أََعْمَلَهُمْ كُتُبٌ يَفِيعَةٌ﴾ جمع قاع؛ أي: في فلاة، وهو شعاع يرمى فيها نصف النهار، في شدة الحر، يُشْبِهُ الماء الجاري ﴿يَحْسَبُهُ﴾ يظنه ﴿الظَّالِمَانِ﴾ أي: العطشان «ماء» حتى إذا جاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا، مما حسبه؛ كذلك الكافر يحسب أن عمله كصدقة ينفقه، حتى إذا مات وقدم على ربه لم يجد عمله؛ أي: لم ينفعه ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾ أي: عند عمله ﴿نُوقَهُ حِسَابَهُ﴾ أي: جازاه عليه في الدنيا ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: المجازة.

[٤٠] ﴿أُولَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمُ السَّيِّئَةُ﴾ كُتُبٌ لِيُجْزِيَ عَمِيقٌ ﴿يَنْشَأُهُ مَوْجٌ مِنْ قَوْفِهِ﴾ أي: الموج ﴿مَوْجٌ مِنْ قَوْفِهِ﴾ أي: الموج الثاني ﴿سَحَابٌ﴾ أي: غيم، هذه ﴿ظَلُمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظلمة البحر، وظلمة الموج الأول، وظلمة الثاني، وظلمة السحاب ﴿إِذَا أَخْرَجَ﴾ الناظر ﴿يَدَهُمْ﴾ في هذه الظلمات ﴿لَمْ يَكُنْ يَرَاهُمْ﴾ أي: لم يقر من رؤيتها ﴿وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُمْ نُورًا فَمَا لَهُمْ مِنْ نُورٍ﴾ أي: من لم يهده الله لم يهتد.

[٤١] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومن التسييح صلاة ﴿وَالطَّيْرِ﴾ جمع طائر، بين السماء والأرض ﴿صَلِّتُمْ﴾ حال؛ باسقاط أجنحتهم ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ﴾ اللَّهُ ﴿صَلَاتَهُمْ وَسُبْحَانَ اللَّهِ عِلْمُهُمْ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فيه تغليب العاقل.

[٤٢] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خزائن المطر والرزق والنبات ﴿وَلِلَّهِ أَلَّهُ الْمَصِيرُ﴾ المرجع.

[٤٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِئُ سَحَابًا﴾ يسوقه برفق ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ﴾ يضم

رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَابِ الصَّلَاةِ وَإِيَّاتِهِ الزُّكُورَ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيُجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَزِدُّ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كُتُبٌ يَفِيعَةٌ يَحْسَبُهُ الظَّالِمَانِ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ نُوقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أُولَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كُتُبٌ يَفِيعَةٌ يَنْشَأُهُ مَوْجٌ مِنْ قَوْفِهِمْ وَمَوْجٌ مِنْ قَوْفِهِمْ سَحَابٌ ظَلُمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُمْ لَمْ يَكُنْ يَرَاهُمْ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَلِّتُمْ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِئُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ وَتُرْجَعُ بَيْنَهُ ثُمَّ يُجْعَلُهُ رِجَالًا يَنْزِلُ فِيهَا مِنْ بَرٍّ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ نِكَادُ سَنَا بَرِّقَهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾

بعضه إلى بعض؛ فيجعل القُطْعَ المتفرقة قطعة واحدة ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رِجَالًا﴾ بعضه فوق بعض ﴿فَتَرَى الْوَدَّكَ﴾ المطر ﴿يُخْرُجُ مِنْ خَلْقِهِ﴾ مخارجه ﴿وَيَنْزِلُ مِنْ أَسْمَاءٍ مِنْ زَائِدَةٍ﴾ رائدة ﴿يَجَالِي فِيهَا﴾ في السماء، بدل إعادة الجار ﴿مِنْ بَرٍّ﴾ أي: بعضه ﴿فَيُصِيبُ بِهِ، مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ نِكَادُ﴾ يقرب ﴿سَنَا بَرِّقَهُ﴾ لمعانه ﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ الناظرة له؛ أي: يخطفها.

البصائر على قدرة الله - تعالى.

[٤٥] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّنْ أَمْرٍ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: حيوان ﴿مِنْ مَّاءٍ﴾ نطفة<sup>(١)</sup> ﴿فِيهِمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ﴾ كالحيات والهوام ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ كالإنسان والطيور ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ﴾ كالبهائم والأنعام ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

[٤٦] ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ﴾ أي: بينات، هي القرآن ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّبِينٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: دين الإسلام.

[٤٧] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ المنافقون: ﴿وَأَمَّا﴾ صدقنا ﴿بِاللَّهِ﴾ بتوحيده ﴿وَبِالرَّسُولِ﴾ محمد ﴿وَأَطَعْنَا﴾ ههنا فيما حكى به ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ يَفْرِضُ﴾ يفرض ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ عنه ﴿وَمَا أَوْلَيْكَ﴾ المعرضون ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ المعهودين الموافق قلوبهم لألسنتهم.

[٤٨] ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ المبلغ عنه ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ إذا فرق بينهم ﴿مُعْرِضُونَ﴾ عن المحيي إليه [٤٩] ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ لُغُوبٌ أَوْ آثَرُ يُدْعَىٰ إِلَى اللَّهِ فَيُضَرِّقُونَ﴾ مسرعين طائعين.

[٥٠] ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ كفر ﴿أَمْ أَرْأَوْا﴾ أي: شكوا في نبوته ﴿أَمْ يَحْقِرُونَ﴾ أن يحلف الله عليهم ورسوله في الحكم؛ أي: فيظلموا فيه؟ لا ﴿بَلْ أَوْلَيْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بالإعراض عنه.

[٥١] ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ فالقول اللائق بهم ﴿أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ بالإجابة ﴿وَأَوْلَيْكَ﴾ حينئذ ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الناجون.

[٥٢] ﴿وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ويحس الله بخافه ﴿وَنَتَّقِ اللَّهَ﴾ بسكون الهاء وكسرهما<sup>(٢)</sup>؛ بأن يطيعه ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بالجنة.

[٥٣] ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ غايتها ﴿لَنْ أَمْرُنَهُمْ﴾ بالجهاد ﴿لِيُخْرِجَنَّ قُلُوبَهُمْ﴾ لهم: ﴿لَا تَقْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ﴾ للنبي خير من قسمةكم الذي لا تصدقون فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل.

يُقَرِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٦﴾  
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٤٧﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٨﴾ وَيَقُولُونَ ءَأَمَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ لُغُوبٌ أَوْ آثَرُ يُدْعَىٰ إِلَى اللَّهِ فَيُضَرِّقُونَ أَن يَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَوْ يَحْجِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ أَوْلَىٰ بِكُلِّ ظَالِمٍ ﴿٥١﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَحْزَنْ إِلَى اللَّهِ وَالْيَوْمِئَةِ هُمْ الْفَائِزُونَ ﴿٥٣﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ أَمْرُنَهُمْ لِيُخْرِجَنَّ قُلُوبَهُمْ لَا تَقْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

[٤٤] ﴿يُقَرِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي: يأتي بكل منهما بدل الآخر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التقلب ﴿لَعِبْرَةً﴾ دلالة ﴿لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ لأصحاب

(١) هذا قول الجمهور، كما قال الشوكاني في فتح القدير. وعلى هذا القول في الآية تنزيل الغالب منزلة الكل؛ لأن في الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة.

وقال جماعة: إن المراد الماء المعروف؛ لأن آدم خلق من الماء والطين.

(٢) بالسكون قراءة شعبة وأبي عمرو وهشام في أحد وجهيه، وخلاص من أحد الوجهين، وبالكسر مع اختلاس الحركة قراءة قالون وهشام في أحد أوجهيه، وإن ذكوان في أحد وجهيه، والبايون بالكسر مع الإشباع، وكذا هشام في وجهه الثالث، وخلاص في الوجه الثاني.

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ أَمِيتٌ ۝ أَي: التبليغ بين.

[٥٥] وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَكَلِمَاتٍ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ۖ بَدَلًا عَنِ الْكُفَّارِ ۖ كَمَا اسْتَخْلَفَ بِالْبَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ (١)

الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ بَدَلًا عَنِ الْجِبَارَةِ ۖ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ ۖ وَهُوَ الْإِسْلَامُ ۖ بَانَ يَظْهَرُهُ عَلَىٰ جَمِيعِ الْأَدْيَانِ، وَيُوسِعُ لَهُمْ فِي الْبِلَادِ فَيَمْلِكُوهَا ۖ [وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ] ۖ بِالْتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ (٢)

مِّن بَعْدِ خَوَافِهِمْ ۖ مِنَ الْكُفَّارِ ۖ أَمَّا ۖ فَقَدْ أَنْجَرَ اللَّهُ وَعْدَهُ لَهُمْ بِمَا ذَكَرَ، وَأَتْنَىٰ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: «يَسْبُدُونِي لَا يَشْرِكُونَ بِي شَيْئًا» ۖ هُوَ مُسْتَأْنَفٌ فِي حُكْمِ التَّعْلِيلِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ ۖ الْإِنْعَامُ مِنْهُمْ بِهِ ۖ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْقَتِيلُونَ ۖ وَأَوَّلُ مَنْ كَفَرَ بِهِ قَتْلَةُ عِثْمَانَ ۖ فَصَارُوا يَقْتُلُونَ بَعْدَ أَنْ كَانُوا إِخْوَانًا.

[٥٦] وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۖ أَي: رجاء الرحمة.

[٥٧] لَا تَحْسَبَنَّ بِالْفَوْقَانِيَةِ وَالتَّحْتَانِيَةِ (٣)، وَالْفَاعِلُ: الرَّسُولُ ۖ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ ۖ لَنَا ۖ فِي الْأَرْضِ ۖ بَانَ يَقُولُونَا ۖ وَمَاؤُهُمْ ۖ مَرَجِعُهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ۖ الْمَرْجِعُ هِيَ.

[٥٨] يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَعِينَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۖ مِنَ الْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ ۖ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْعَلُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ۖ مِنَ الْأَحْرَارِ وَعَزَّوْا أَمْرَ النَّسَاءِ ۖ تِلْكَ مَرَّتٌ فِي ثَلَاثَةِ أَوْقَاتٍ ۖ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَبَيْنَ قَضَاكِمْ مِّنَ الظُّهْرِ ۖ أَي: وقت الظهر ۖ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ تِلْكَ عَوْرَتُكُمْ ۖ بِالرَّفْعِ: خَيْرٌ مَُّبْتَدَأٌ بِمَقْدَرٍ بَعْدَهُ مِضَافٌ، وَقَامَ الْمِضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ ۖ أَي: هِيَ أَوْقَاتٌ، وَبِالنَّصْبِ (٤) ۖ بِتَقْدِيرِ «أَوْقَاتٌ» مُنْصَوِّبًا بَدَلًا مِنْ مَحَلٍّ مَا قَبْلَهُ، قَامَ الْمِضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ (٥) ۖ وَهِيَ: لِإِلْقَاءِ الثِّيَابِ تَبْدُو فِيهَا الْعَوْرَاتُ ۖ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ ۖ أَي: المماليك والصبيان ۖ جَنَاحٌ ۖ فِي الدُّخُولِ عَلَيْكُمْ بِغَيْرِ اسْتِئْذَانٍ ۖ بَعْدَهُنَّ ۖ أَي: بعد الأوقات الثلاثة، هُم ۖ طَرَفُونَ عَلَيْكُمْ ۖ لِلخِدْمَةِ ۖ بَعْضُكُمْ طَائِفٌ عَلَى بَعْضٍ ۖ وَالْجُمْلَةُ مُؤَكَّدَةٌ لِمَا قَبْلُهَا ۖ كَذَلِكَ ۖ كَمَا بَيَّنَّ مَا ذَكَرَ ۖ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۖ أَي: الأحكام ۖ وَأَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ ۖ

بأمور خلقه ۖ حَكِيمٌ (٦) ۖ بِمَا ذَكَرَهُ لَهُمْ، وَآيَةُ الاسْتِئْذَانِ قِيلَ: «مَنْسُوخَةٌ»، وَقِيلَ: «لَا»، وَلَكِنْ تَهَاوَنَ النَّاسُ فِي تَرْكِ الاسْتِئْذَانِ (٧).

(٥) قاله: أخرج أبو داود عن عكرمة أن نفرًا من أهل العراق قالوا: يا ابن عباس، كيف ترى في هذه الآية التي أمرنا فيها بما أمرنا، ولا يعمل بها أحد؟ قول الله ﷻ: «يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَعِينَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْعَلُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ...» الآية؟ قال ابن عباس: إن الله حلّم رجم المؤمنين، بحب الستر، وكان الناس ليس ليوتهم سنور ولا جبال [جمع حجلة]، وهي: بيت كالقبة يُسْتَرُ بالثياب، وتكون له أزرار كالأبرار، فرما دخل الخادم أو الولد أو يتيمة الرجل، والرجل على أهله، فأمرهم الله بالاستئذان في تلك العورات، فجاءهم الله بالسنور والخير، فلم أر أحدًا يعمل بذلك بعد.

أبو داود - كتاب الأدب (٣٥) باب (١٤١) الاستئذان في العورات الثلاث. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٢٣٤).

(١) بالياء للمفعول قراءة شعبة.

(٢) بالتخفيف قراءة شعبة وابن كثير.

(٣) بالتحسانية قراءة حمزة وابن عامر.

(٤) أي: بنصب (ثلاث)، وهي قراءة حمزة والكسائي وشعبة.

(٥) أي: المعنى: «ليست أذنكم أوقات ثلاث عورات؟» فحذف المضاف وقام المضاف إليه مقامه.

(٦) وهذا الأخير هو الصحيح؛ أنها محكمة واجبة ثابتة في حق الرجال والنساء، يجب عليهم أن يأمرُوا صبيانهم وماليتهم بالاستئذان في تلك الأوقات إذا دخلوا عليهم، وليس لهم أن يدخلوا دون إذن. قال القرطبي: وهو قول أكثر أهل العلم.

قال ابن كثير: «ولما كانت هذه الآية محكمة ولم تنسخ بشيء، وكان عمل الناس بها قليلًا جدًا أنكر ابن عباس ذلك على الناس...» ثم ساق الآثار في ذلك. (تفسير ابن كثير ٢٩٣/٣).

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

[٦٠] ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ قعدن عن الحيض والولد لكرهن ﴿الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ لذلك ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ من الحلل والبرداء والقناع فوق الحمار ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ﴾ مظهرات ﴿بِزِينَةٍ﴾ خفية؛ كقلادة وسوار وخلخال ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ﴾ بأن لا يضعنها ﴿خِثْرَ لَهْنٍ﴾ والله سميع ﴿عَلَيْكُمْ﴾ لقولكم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بما في قلوبكم.

[٦١] ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في مؤاكلة مقابلهم ﴿وَلَا﴾ حرج ﴿وَعَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ بيوت أولادكم <sup>(١)</sup> ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ حَلَائِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُمُ مَلَائِكَةُ رَبِّهِمْ﴾ خزنتموه لغيركم <sup>(٢)</sup> ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ وهو من صدقكم في مودته؛ المعنى: يجوز الأكل من بيوت من ذكر وإن لم يحضروا إذا علم رضاهم به ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ <sup>(٣)</sup> متفرقين، جمع «شتت»، نزل فيمن تخرج أن يأكل وحده، وإذا لم يجد من يؤاكله بترك الأكل <sup>(٤)</sup> ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا﴾ لكم لا أهل بها <sup>(٥)</sup> ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ قولوا: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»؛ فإن الملائكة ترد عليكم، وإن كان بها أهل فسلموا عليهم ﴿تَحِيَّةٌ﴾ مصدر «حيّا» ﴿وَمِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ ثياب عليها ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي: يفصل لكم معالم دينكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لكي تفهموا ذلك.

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا أَسْتَعِذُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ حَلَائِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ أَوْ مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

[٥٩] ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ﴾ أيها الأحرار ﴿الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا﴾ في جميع الأوقات ﴿كَمَا أَسْتَعِذُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: الأحرار الكبار

(٥٩) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْقَبْلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَيْنَكُمْ يَدَايُكُمْ﴾ فكان الرجل يخرج أن يأكل عند أحد من الناس بعدما نزلت هذه الآية؛ فنسخ ذلك الآية التي في التور؛ قال: ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا﴾ إلى قوله: ﴿أَشْتَاتًا﴾. أبو داود - كتاب الأطعمة (٢١) باب (٦) نسخ الضيف يأكل من مال غيره، وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن أبي داود (٣١٩٢).

- (١) وهو قول غير واحد من المفسرين، قالوا: نسب - سبحانه - بيوت الأولاد إلى الآباء؛ لأن الولد كسب والده، وماله كماله، والدليل أنه تعالى - عدد الأقارب ولم يذكر الأولاد، وإذا كان سبب الرخصة هو القرابة، كان الذي هو أقرب منهم أولى. وقال بعضهم: أي بيوت أزواجكم وعيالككم، أضافه إليهم؛ لأن بيت المرأة كبيت الزوج. وقال بعضهم: هي على ظاهرها، كأنه يقول: مساكنتكم التي فيها أهاليكم وأولادكم؛ فقد يكون للأهل والولد شيء من ملكهم، فليس عليه حرج أن يأكل معهم من ذلك القوت. وهو قول حسن ظاهر.
- (٢) أي: حفظتموه بأن تكونوا وكلاء عليه؛ فلا بأس أن تأكلوا من ثمرته، ويشرب من لبن ماشيته، ولا يحمل ولا يدخرها. قاله ابن عباس. وقالت عائشة: كان المسلمون يرغبون في النفر مع رسول الله ﷺ فيدفعون مفاتيحهم إلى أمثاتهم، ويقولون لهم: قد أحللتناكم أن تأكلوا مما احتجتم إليه، فكانوا يقولون: إنه لا يحل لنا أن نأكل؛ إنهم أدنوا لنا من غير طيب أنفسهم، وإنما نحن أمناء؛ فنزل الله: ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا﴾ إلى قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَلَائِكَةُ رَبِّكُمْ﴾. أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٤٦/٨) رقم (١٤٨٧٥)، والبراز في مسنده (٦١/٣)، رقم (٢٢٤١)، وقال الهيثمي في المجمع (٨٤/٧): «رواه البراز ورجاله رجال الصحيح». وصححه في الاستيعاب (٥٩٢/٢)، (٥٩٣).
- (٣) روي نحو هذا عن عكرمة وابن جريج. ذكره الطبري والسيوطي في المنر المنظر. وضعفه في الاستيعاب (٥٩٧/٢).
- (٤) أظهر أن البيوت هنا عامة؛ لأنها نكرة في سياق الشرط، فشمّل بيت الإنسان وبيت غيره، وقال بعض العلماء: وسواء كان في بيت ساكن أم لا. وزاد بعضهم: المسجد، فجعل له الحكم نفسه، واعتمدوا في ذلك على ما ورد عن ابن عمر وابن عباس في السلام باللفظ الذي ذكره المفسر إذا كان البيت أو المسجد فارغاً... وعلى الأظهر فيكون معنى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: فليسلم بعضهم على بعض؛ لأن المسلمين كأنهم شخص واحد.





وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ  
وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا  
وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا  
إِفْكٌ أَفْتَرْتَهُ وَاعْتَدْتَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا  
وَزُورًا ﴿٢﴾ وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى  
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٣﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ  
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٤﴾  
وَقَالُوا مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي  
الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُهُ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ وَذِيرًا ﴿٥﴾  
أَوْ يُنْفِثُ إِلَيْهِ كَذِبًا أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ  
الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٦﴾ أَنْظِرْ  
كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ  
سَبِيلًا ﴿٧﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ  
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا ﴿٨﴾ بَلْ  
كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿٩﴾

[٣] ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ أي: الكفار ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الله؛ أي: غيره  
﴿آلِهَةً﴾ هي الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ

لأنفسهم ضَرًّا﴾ أي: دفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أي: جره ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا  
حَيَاةً﴾ أي: إماتة لأحد وإحياء لأحد ﴿وَلَا نُشُورًا﴾ أي: بعثًا للأموات.

[٤] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا﴾ أي: ما القرآن ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾ كذب  
﴿أَفْتَرْتَهُ﴾ محمد ﴿وَاعْتَدْتَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ وهم من أهل الكتاب، قال  
- تعالى -: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا؛ أي: بهما.

[٥] ﴿وَقَالُوا﴾ أيضًا: هو ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبهم؛ جمع أسطورة،  
بالضم ﴿اِكْتَتَبَهَا﴾ انتسخها من ذلك <sup>(١)</sup> القوم بغيره <sup>(٢)</sup> ﴿فَهِيَ تُمْلَى﴾  
تقرأ ﴿عَلَيْهِ﴾ ليحفظها ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ غدوة وعشيًا.

[٦] قال - تعالى - ردًا عليهم: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ الغيب ﴿فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمًا﴾ بهم.

[٧] ﴿وَقَالُوا مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ  
لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿أَنْزَلَ إِلَهُهُ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ يصدقه.

[٨] ﴿أَوْ يُنْفِثُ إِلَيْهِ كَذِبًا﴾ من السماء ينفقه، ولا يحتاج إلى المشي في  
الأسواق لطلب المعاش ﴿أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾  
أي: من ثمارها فيكتفي بها، وفي قراءة: ﴿يَأْكُلُ﴾ بالنون <sup>(١)</sup>؛ أي: نحن،  
فيكون له مزية علينا بها ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ أي: الكافرون للمؤمنين  
﴿إِنْ﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ مخدوعًا مغلوبًا على عقله.

[٩] قال - تعالى -: ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ بالمسحور، والمحتاج  
إلى ما ينفقه، وإلى ملك يقوم معه بالأمر ﴿فَضَلُّوا﴾ بذلك عن الهدى ﴿فَلَا  
يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ طريقًا إليه.

[١٠] ﴿تَبَارَكَ﴾ تكاثر خير ﴿الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾  
الذي قالوه من الكثر والبستان ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: في  
الدنيا؛ لأنه شاء أن يعطيها إياها في الآخرة ﴿وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا﴾  
أيضًا، وفي قراءة: بالرفع <sup>(٤)</sup> استئنافًا.

[١١] ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ القيامة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ  
سَعِيرًا﴾ نارًا مسعرة؛ أي: مشتدة.

(١) كذا في جميع النسخ التي بأيدينا، والمناسب أن يقول: «من أولئك القوم».

(٢) أي أمر غيره بنسخها له؛ فإنه يَكْتُبُ أمي لا يقرأ ولا يكتب.

(٣) لحمة والكسائي.

(٤) لشعبة وابن عامر وابن كثير.

إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَرَيفًا ۖ (١٢)  
وَإِذَا أَلْفَوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مَقَرَّينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ۖ (١٣)  
لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ۖ (١٤)  
قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ۖ كَانَتْ  
لَهُمْ جَرَائِرٌ وَمَصِيرًا ۖ (١٥) لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ  
كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ۖ (١٦) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا  
يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ۖ أَنتُمْ أَضَلُّتُمْ عِبَادِي  
هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۖ (١٧) قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ  
يَسْتَعِينُ لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ  
وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ۖ (١٨)  
فَقَدْ كَذَّبُواكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا  
وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يظْلِمِ فَنفْسُكُمْ نُذِفُهُ عَذَابًا كَبِيرًا ۖ (١٩)  
وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ  
الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ  
لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۖ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۖ (٢٠)

[٢٠] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ  
وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ فأنت مثلهم في ذلك، وقد قيل لهم مثل ما قيل لك  
﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ تِلْكَ؛ أَجْلِي الغني بالفقير، والصحيح  
بالمرضى والشريف بالضعيف، يقول الثاني في كُلِّ: ما لي لا أكون كالأول في  
كُلِّ؟ ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ على ما تسمعون من ابتليتكم بهم؟ استفهام بمعنى الأمر؛  
أي: اصبروا ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بمن يصبر ومن يجزع.

[١٢] ﴿إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا﴾ غليانًا؛ كالغضب إذا  
غَلَى صَدْرُهُ مِنَ الغضب ﴿وَرَيفًا﴾ صوتًا شديدًا، أو سماع التعيظ رؤيته  
وعلمه<sup>(١)</sup>.

[١٣] ﴿وَإِذَا أَلْفَوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ بالتشديد والتخفيف<sup>(٢)</sup>؛ بأن يضيق  
عليهم، و﴿مِنْهَا﴾ حال من ﴿مَكَانًا﴾ لأنه في الأصل صفة له ﴿مُقَرَّينَ﴾  
مصطفين قد قرنت - أي: جُمِعَتْ - أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال، والتشديد  
للتكثير ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ هلاكًا.

[١٤] فيقال لهم: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾  
كعذابكم.

[١٥] ﴿قُلْ أَذَلِكَ﴾ المذكور من الوعيد وصفة النار ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ  
الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ﴾ هَا ﴿الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علمه - تعالى -  
﴿جَرَائِرٌ﴾ ثوابًا ﴿وَمَصِيرًا﴾ مرجعًا.

[١٦] ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ﴾ حال لازمة ﴿كَانَ﴾ وَغَدُهُمْ مَا  
ذكر ﴿عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾ يسأله من وُعد به: ﴿رَبَّنَا وَءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا  
عَلَى رُسُلِكَ﴾<sup>(٣)</sup> أو تسأله لهم الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَأَذْهَبْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي  
وَعَدْتَهُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

[١٧] ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ بالنون والتحتانية<sup>(٥)</sup> ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ  
اللَّهِ﴾ أي: غيره من الملائكة وعيسى وعزير والجن ﴿فَيَقُولُ﴾ - تعالى -  
بالتحتانية والنون<sup>(٦)</sup> . للمعبودين إثباتًا للحجة على العابدين: ﴿هَؤُلَاءِ﴾  
بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة  
والأخرى وتركة<sup>(٧)</sup> ﴿أَسْأَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ﴾ أوقعتموهم في الضلال  
بأمركم إياهم بعبادتكُم ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ طريق الحق بأنفسهم؟.

[١٨] ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ﴾ تنزيها لك عما لا يليق بك ﴿وَمَا كَانَ يَلْتَمِسُ﴾  
يستقيم ﴿لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ﴾ أي: غيرك ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ مفعول أول،  
و﴿مِنْ﴾ زائدة لتأكيد النفي، وما قبله الثاني<sup>(٨)</sup> فكيف تأمُر بعبادتنا؟ ﴿وَلَكِنْ  
مَتَّعْتَهُمْ وَوَسَّاءَهُمْ﴾ من قبلهم؛ بإطالة العمر وسعة الرزق ﴿حَتَّى نَسُوا  
الذِّكْرَ﴾ تَرَكُوا الموعظة والإيمان بالقرآن ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ هلكى.

[١٩] قال - تعالى -: ﴿فَقَدْ كَذَّبُواكُمْ﴾ أي: كذب المعبودون العابدين  
﴿وَمَا تَقُولُونَ﴾ بالفوقانية<sup>(٩)</sup>، أنهم آلهة ﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ بالتحتانية  
والفوقانية<sup>(١٠)</sup>؛ أي: لا هم ولا أنتم ﴿صَرْفًا﴾ دفعًا للعذاب عنكم ﴿وَلَا  
نَصْرًا﴾ منعا لكم منه ﴿وَمَنْ يظْلِمِ﴾ يشرك ﴿نُذِفُهُ عَذَابًا  
كَبِيرًا﴾ شديدًا في الآخرة.

(١) أشار بذلك إلى جواب آخر وهو أن السماع ليس على حقيقته؛ بل المراد منه: الرؤية والعلم. وعلى القول الأول يكون المراد سماع ما يدل على التعيظ وهو الغليان.

(٢) بالتخفيف قراءة ابن كثير.

(٣) آل عمران: ١٩٤.

(٤) غافر: ٨.

(٥) بالنون قراءة السبعة عدا حفص وابن كثير. وقوله: والتحتانية؛ يعني: الباء، وهي القراءة الأخرى.

(٦) بالنون قراءة ابن عامر.

(٧) قرأ قاتلون وأبو عمرو بالتسهيل والإدخال، وورش وابن كثير بالتسهيل من غير إدخال، ولورش الإبدال حرف مد مع الإشباع، وهشام بالتسهيل والتحقيق وكل منهما مع الإدخال وبقيّة السبعة بالتحقيق بلا إدخال.

(٨) أي: قوله: ﴿مِنْ دُونِكَ﴾ المفعول الثاني.

(٩) أي: بتأنيق العشرة.

(١٠) بالياء قراءة السبعة عدا حفص.

لخير؛ كصدقة وصلة رحم، وقرى ضيف، وإغاثة ملهوف في الدنيا ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ هو ما يرى في الكوى التي عليها الشمس؛ كالغبار المفرق؛ أي: مثله في عدم النفع به؛ إذ لا ثواب فيه لعدم شرطه، ويجازون عليه في الدنيا.

[٢٤] ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ من الكافرين في الدنيا<sup>(١)</sup> ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ منهم؛ أي: موضع قائلة فيها؛ وهي: الاستراحة نصف النهار في الحر، وأخذ من ذلك انقضاء الحساب في نصف نهار؛ كما ورد في حديث<sup>(٢)</sup>.

[٢٥] ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى الْأَسْوَءُ﴾ أي: كل سماء ﴿وَالْغَيْمُ﴾ أي: معه؛ وهو: غيم أبيض ﴿وَرَيْنَ الْمَلَكِ﴾ من كل سماء ﴿تَزِيلًا﴾ هو يوم القيامة، ونصبه به [اذكر] مقدراً، وفي قراءة: بتشديد شين ﴿تَشْقَى﴾<sup>(٣)</sup> بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها، وفي أخرى: ﴿تَنْزِيلًا﴾<sup>(٤)</sup> بنونين الثانية ساكنة وضم اللام، ونصب ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾.

[٢٦] ﴿الَّذِينَ يَوْمِزُوا﴾ أي: لا يشركه فيه أحد ﴿وَكَانَ﴾ اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ بخلاف المؤمنين.

[٢٧] ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ﴾ المشرك: عقبة بن أبي معيط، كان نطق بالشهادتين ثم رجع إرضاء لإيماني بن خلف<sup>(٥)</sup> ﴿عَلَى يَدَيْهِ﴾ ندماً وتحسراً في يوم القيامة ﴿يَقُولُ يَا﴾ للتبعية ﴿لَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ﴾ محمد ﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الهدى.

[٢٨] ﴿يَقُولُ﴾ ألفه عوض عن ياء الإضافة؛ أي: ولبتي؛ ومعناه: هلكني ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا﴾ أي: أُنْجَاً<sup>(٦)</sup> ﴿خَلِيلًا﴾.

[٢٩] ﴿لَقَدْ أَصْلَانِي مِنَ الذِّكْرِ﴾ أي: القرآن ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ بأن رَدَّيْنِي عن الإيمان به، قال - تعالى -: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ﴾ الكافر ﴿خَدُولًا﴾ بأن يتركه ويتبرأ منه عند البلاء.

[٣٠] ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ محمد: ﴿يَدْرِبُ إِنَّ قَوْمِي﴾ قريشاً ﴿أَتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ متروكاً.

[٣١] قال - تعالى -: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا لك عدواً من مشركي قومك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ قلبك ﴿عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين؛ فاصبر كما صبروا ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لك ﴿وَنَصِيرًا﴾ ناصراً لك على أعدائك.

[٣٢] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ كالنورة والإنجيل والربور، قال - تعالى -: نزلناه ﴿كَذَلِكَ﴾ متفرقاً ﴿لِنُنْزِلَهُ﴾ بقدر قوتك ﴿نَقُولُ قَلْبُكَ﴾ ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ أي: أتينا به شيئاً بعد شيء بتمهل وتؤددة؛ لتيسير فهمه وحفظه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ﴾ \* ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْهُمْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيُقُولُونَ جَبْرًا مَحْجُورًا﴾ ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ ﴿الَّذِينَ يَوْمِزُوا الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ﴿يَقُولُ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ ﴿لَقَدْ أَصْلَانِي مِنَ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا﴾ ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَدْرِبُ إِنَّ قَوْمِي أَتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾

[٢١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لا يخافون البعث ﴿لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾ فكانوا رسلاً إلينا ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فنخبر بأن محمداً رسوله، قال - تعالى -: ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا ﴿فِي﴾ شأن ﴿أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْهُمْ﴾ طغوا ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ بطلهم رؤية الله - تعالى - في الدنيا، و﴿عَتَوْا﴾ بالواو على أصله، بخلاف ﴿عَتَبًا﴾ بالإبدال في مريم<sup>(١)</sup>.

[٢٢] ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾ في جملة الخلاق؛ هو: يوم القيامة، ونصبه به [اذكر] مقدراً ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: الكافرين، بخلاف المؤمنين فلهم البشرى بالجنة ﴿وَيُقُولُونَ جَبْرًا مَحْجُورًا﴾ على عادتهم في الدنيا إذا نزلت بهم شدة؛ أي: عوداً معاداً؛ يستعبدون من الملائكة<sup>(٢)</sup>.

[٢٣] قال - تعالى -: ﴿وَقَدِمْنَا﴾ عمدنا ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ من

(١) يشير إلى قوله - تعالى -: ﴿وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾، وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ أَشَدُّ عَلَى الَّذِينَ عَتَوْا﴾.

(٢) هذا قول ابن جرير كما حكاه عنه ابن جرير. قال ابن كثير: وهذا القول - وإن كان له مأخذ ووجه - ولكنه بالنسبة إلى السياق في الآية بعيد، لا سيما قد نص الجمهور على خلافه، واختار ابن كثير وابن جرير أن الضمير في قوله: ﴿ويقولون﴾ عائد على الملائكة، أي تقول الملائكة للكافرين: حرام محرم عليكم الفلاح اليوم. تفسير ابن كثير (٣/٣٠٤).

(٣) الظاهر أن المراد المناقضة بينهما في الآخرة، وهو الأبلغ في المعنى والأقرب في الفرق بين حال الفريقين؛ فلأولئك مستقرون في الجنة، والكافرون مستقرون في النار. فإلى من وعد وبأه من وعيد. وأما قوله: ﴿عَتَوْهُمْ﴾، فهو من باب استعمال أفعال التفضيل فيما ليس في الطرف المقابل شيء منه.

(٤) راجع التعليق على الآية رقم (٢٠٢) من سورة البقرة، والآية رقم (٥١) من سورة إبراهيم.

(٥) نافع وابن كثير وابن عامر.

(٦) أخرجه نحوه ابن أبي حاتم عن عمرو بن ميمون. وقد روى آخرون القصة معكوسة وأن أي بن خلف رجع إرضاء لعقبة، روى آخرون أنها نزلت في عقبة بن أبي معيط وأممية بن خلف. [الدبر المشهور (١٢٥/٥ - ١٢٧)]. وضعها كلها في الاستيعاب (٩/٣ - ١٥).

(٨) يعني أي بن خلف، كما روي في سبب نزول الآية، وسبق بيان ضعف هذا القول وغيره.

[٣٣] ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ في إبطال أمرك ﴿إِلَّا جُنَاحَكَ﴾ الدافع له ﴿وَأَحْسَنَ تَقْسِيرًا﴾ يئانا.

[٣٤] هم ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾<sup>(٥)</sup> أي: يساقون ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَئِكَ سَرُّ مَكَانًا﴾ هو جهنم ﴿وَأَصْلُ سَيْبِلًا﴾ أخطأ طريقاً من غيرهم؛ وهو: كفرهم.

[٣٥] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ مُعينًا.

[٣٦] ﴿فَقُلْنَا أَهْبَا إِلَى الْقَوْرِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: القبط فرعون وقومه، فذهب إليهم بالرسالة؛ فكذبوهم ﴿فَدَمَرْنَاهُمْ﴾ ندمركم ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ إهلاكًا.

[٣٧] ﴿وَقَدْ نُوحٍ﴾ اذكر ﴿قَوْمٌ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرَّسْلَ﴾ بتكذيبهم نوحًا لطول لبثه فيهم؛ فكانه رُسلٌ، أو لأن تكذيبه تكذيب لباقى الرسل لا شراهم في المجيء بالتوحيد ﴿أَعْرَقْنَاهُمْ﴾ جواب ﴿لَمَّا﴾ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ بَعْدِهِمْ﴾ عِبْرَةً ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ في الآخرة ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ عَذَابًا أَلِيمًا مؤلماً سوى ما يحل بهم في الدنيا.

[٣٨] ﴿وَقَدْ أَذَكِرْ﴾ اذكر ﴿عَادًا﴾ قوم هود ﴿وَمُؤَدَّةً﴾ قوم صالح ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ اسم بحر<sup>(١)</sup>، ونيهم قيل: شعب، وقيل: غيره، كانوا قعودًا حولها؛ فانهارت بهم وبمنزلهم ﴿وَقَرُونًا﴾ أقوامًا ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ كثيرًا؛ أي: بين عاد وأصحاب الرِّس.

[٣٩] ﴿وَكَلَّا صَرَيْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ﴾ في إقامة الحجة عليهم؛ فلا نهلكهم إلا بعد الإنذار ﴿وَكَلَّا تَبَرَّنَا تَنْبِيرًا﴾ أهلكنا إهلاكًا بتكذيبهم أنبياءهم.

[٤٠] ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا﴾ أي: مَرَّ كُفَّارٍ مكة ﴿عَلَىٰ أَقْرَبَةٍ﴾ أي: أُنْطَرَتْ مَطَرُ السَّوَاءِ مصدر ساء؛ أي: بالبحجارة؛ وهي: غططى قَرَى قَوْمِ لوط؛ فأهلك الله أهلها لفعلهم الفاحشة ﴿أَكَاثَمَ يَكُونُوا يَكُونُهَا﴾ في سفرهم إلى الشام؛ فيحترقون؟ والاستفهام للتقرير ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿نُشُورًا﴾ بَعَاً فلا يؤمنون.

[٤١] ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ ما ﴿يَنْجُذُونَكَ﴾ إِلَّا ﴿هَرُؤًا﴾<sup>(٢)</sup> مَهْزُوءًا به، يقولون: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ في دعواه، محقرين له عن الرسالة.

[٤٢] ﴿إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف؛ أي: إنه ﴿كَادَ

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جُنَاحَكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَقْسِيرًا  
الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَئِكَ  
سَرُّ مَكَانًا وَأَصْلُ سَيْبِلًا وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ  
وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا فَقُلْنَا أَهْبَا  
إِلَى الْقَوْرِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا  
وَقَوْمٌ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرَّسْلَ أَعْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ  
عِبْرَةً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا وَعَادًا وَثَمُودًا  
وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَفُرُونًا بَيِّنَ ذَلِكَ كَثِيرًا وَكَالَّا  
صَرَيْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكَالَّا تَبَرَّنَا تَنْبِيرًا وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا  
أَقْرَبِيَّةً أَلَىٰ أُمُطِرَتْ مَطَرُ السَّوَاءِ أَفَلَا يَكُونُوا يَرَوْنَهَا  
بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ  
إِلَّا هُزُوءًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا إِنْ كَادَ  
لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ  
يَعْلَمُونَ حِينَ يَرْوُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَصْلُ سَيْبِلًا أَرَأَيْتَ  
مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا

لَيُضِلَّنَا يصرفنا ﴿عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ لصرفنا عنها، قال - تعالى -: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرْوُونَ الْعَذَابَ﴾ عيانًا في الآخرة ﴿مَنْ أَصْلُ سَيْبِلًا﴾ أخطأ طريقًا، أهم أم المؤمنون؟  
[٤٣] ﴿أَرَأَيْتَ﴾ أخبرني ﴿مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ أي: مهويه، قدم المفعول الثاني؛ لأنه أهم، وجملة ﴿مَنْ اتَّخَذَ﴾ مفعول أول ﴿أَرَأَيْتَ﴾، والثاني: ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ حافظًا تحفظه عن اتباع هواه؟ لا.

(٥) فائدة: أخرجه البخاري عن قتادة، قال: حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يا نبي الله، كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: «أليس الذي أشبه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟»، قال قتادة: بلى وعرة ربا. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الفرقان (٢٥) باب (١) ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾. وأخرجه مسلم - كتاب صفات المنافقين (٥٠) باب (١١).

(١) جمهور أهل اللغة على أن «الرِّس» لغة هو: البئر. أما «أصحاب الرِّس» فقيل: هم أصحاب الأخدود الذين جاء ذكرهم في سورة البروج. واختار ذلك بن جرير. وقيل: هم أهل أنطاكية؛ أصحاب القرية المذكورة في سورة «يس». وقيل غير ذلك، والله أعلم.

(٢) بالهمز مع ضم الزاي وسكونها، وهي قراءة السبعة ما عدا حفص، وحزمة، وقرأ حمزة: ﴿هَرُؤًا﴾، وقرأ حفص: ﴿هَرُؤًا﴾.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٧﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٨﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَيْلًا لِيَأْسَاوُا النَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٩﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٥٠﴾ لِنُخْجِيَ بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْ آسَى كَثِيرًا ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥٣﴾ فَلا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَهْدُهُمْ يَهُدِيهِمْ فِي جَهَادٍ كَبِيرٍ ﴿٥٤﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٥﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٦﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٧﴾

[٤٦] ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾ أي: الظل الممدود ﴿إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ خفيًا بطلوع الشمس.

[٤٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَيْلًا لِيَأْسَا﴾ سأتوا كاللباس ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ راحة للبدان؛ بقطع الأعمال ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ منشورًا فيه لابتغاء الرزق وغيره.

[٤٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ وفي قراءة: ﴿الرَّيْحَ﴾ ﴿لِنُخْجِيَ بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا﴾ بسكون الشين تخفيفًا<sup>(١)</sup>، وفي أخرى: بسكونها ونون مفتوحة مصدر<sup>(٢)</sup>، وفي أخرى: بسكونها وضم الموحدة بدل النون<sup>(٣)</sup>؛ أي: مبشرات، ومفرد الأولى: نشور؛ كرسول، والأخيرة: بشير ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ مطهرًا.

[٤٩] ﴿لِنُخْجِيَ بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا﴾ بالتخفيف يستوي فيه المذكر والمؤنث، ذكره باعتبار المكان ﴿وَنُسْقِيَهُ﴾ أي: الماء ﴿مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا﴾ إبلًا وبقرة وغنمًا ﴿وَأَنْ آسَى كَثِيرًا﴾ جمع إنسان، وأصله: أناسين؛ فأبدلت النون ياء، وأدغمت فيها الياء، أو جمع إنسي.

[٥٠] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: الماء ﴿بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا﴾ أصله: يذكروا؛ أدغمت التاء في الذال، وفي قراءة: ﴿لِيَذَكَّرُوا﴾<sup>(٤)</sup> بسكون الذال وضم الكاف؛ أي: نعمة الله به ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ جحودًا للنعمة؛ حيث قالوا: مطرنا ينوء كذا.

[٥١] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ يخوف أهلها، ولكن بعثناك إلى أهل القرى كلها نذيرًا؛ ليعظم أجرك.

[٥٢] ﴿فَلا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ﴾ في هواهم ﴿وَجَهْدُهُمْ يَهُدِيهِمْ فِي جَهَادٍ كَبِيرٍ﴾.

[٥٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أرسلهما متجاورين ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ شَدِيدُ الْعَذْوَةِ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديد الملوحة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ حاجزًا لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿وَجِجْرًا مَحْجُورًا﴾ سترًا ممنوعًا به اختلاطهما.

[٥٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ من المني إنسانًا ﴿فَجَعَلَهُمْ نَسَبًا﴾ ذا نسب ﴿وَصِهْرًا﴾ ذا صهر؛ بأن يتزوج ذكرا كان أو أنثى طلبًا للتناسل ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ قادرًا على ما يشاء<sup>(٥)</sup>.

[٥٥] ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي: الكفار ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ بتركها؛ وهو الأصنام ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ للشیطان بطاعته.

[٤٤] ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ما يقول لهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أخطأ طريقًا منها؛ لأنها تنقاد لمن يتبعها، وهم لا يطيعون مولاهم المنعم عليهم.

[٤٥] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى﴾ فعل ﴿رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ من وقت الإسفار إلى وقت طلوع الشمس ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ ربك ﴿لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ مقيمًا لا يزول بطلوع الشمس ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ الظل ﴿دَلِيلًا﴾ فلول الشمس ما عرف الظل.

(١) لابن كثير.

(٢) لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) أي: ﴿نُشُورًا﴾، وهي: لابن عامر.

(٤) أي: ﴿نُشُورًا﴾، وهي حمزة والكسائي.

(٥) أي: ﴿نُشُورًا﴾، وهي قراءة عاصم.

(٦) حمزة والكسائي.

(٧) الأولى أن يقول: قادر على كل شيء، كما هو ظاهر آيات القرآن في إثبات القدرة، كما أنه الأكمل في حقه - سبحانه -، ولله الأسماء الحسنى والصفات العلى.

[٥٦] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ بالنار.

[٥٧] ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على تبليغ ما أرسلت به ﴿مِنْ أَجْرٍ إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَهًا رَبَّهُ﴾ سبيلاً، طريقاً يأنفق ماله في مرضاته تعالى: فلا أمتعته من ذلك.

[٥٨] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ الذي لا يموت ﴿وَسَمِعَ﴾ متلبساً ﴿بِعَمْدِهِ﴾ أي: قل: ﴿سبحان الله والحمد لله﴾ ﴿وَكَفَى بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ عالماً، تعلق ﴿بِهِ﴾ يذُنُوبُ.

[٥٩] هو ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا؛ أي: في قدرها؛ لأنه لم يكن ثم شمس ولو شاء خللقهن في لحظة، والعدل عنه لتعليم خلقه الثبوت ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو في اللغة: سربل الملك ﴿الرَّحْمَنُ﴾ بدل من ضمير ﴿أَسْتَوَى﴾ أي: استواء يليق به (١) ﴿فَسَخَّلَ﴾ أيها الإنسان ﴿بِهِ﴾ بالرحمن ﴿خَيْرًا﴾ يخبرك بصفاته.

[٦٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ لكفار مكة: ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ بالفوقانية والاحتانية (٢)، والأمر محمد ولا نعرفه: لا ﴿وَرَادَهُمْ﴾ هذا القول لهم ﴿فَقُولُوا﴾ عن الإيمان.

[٦١] قال - تعالى -: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوث؛ وهي منازل الكواكب السبعة اسبارة: المريخ وله الحمى والعقرب، والزهرة ولها الثور والميزان، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة، والقمر وله السرطان، والشمس ولها الأسد، والمشتري وله القوس والحوث، وزحل وله الجدي والدلو ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أيضاً ﴿سُبُحًا﴾ هو الشمس ﴿وَقَمَرًا مُبِينًا﴾، وفي قراءة: ﴿سُجُجًا﴾ (٣) بالجمع؛ أي: نيرات، وخص القمر منها بالذكر لنوع فضيلته.

[٦٢] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي: يخلف كل منها الآخر ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ﴾ بالشديد والتخفيف (٤) - كما تقدم -: ما فاته في أحدهما من خير فيفعله في الآخر ﴿أَوَّارَادَ شُكْرًا﴾ أي: شكراً لنعمة ربه عليه فيها.

[٦٣] ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ مبتدأ، وما بعده صفات له إلى: ﴿أُولَئِكَ يَجْزُونَ﴾ (٥) غير المعرض فيه (٦) ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي: بسكينة وتواضع ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ بما يكرهونه ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ أي: قولاً يسلمون فيه من الإثم.

[٦٤] ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ رِزْقَهُمْ سُجْدًا﴾ جمع ساجد ﴿وَقِيَمًا﴾

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَمِعَ بِعَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَخَّلَ بِهِ خَيْرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُبِينًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوَّارَادَ شُكْرًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ رِزْقَهُمْ سُجْدًا وَاقِيَمًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

بمعنى: قاتمين يصلون بالليل.

[٦٥] ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي: لازماً.

[٦٦] ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ هي: أي: موضع استقرار وإقامة.

[٦٧] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا﴾ عن عيالهم ﴿لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ بفتح أوله وضمه (٧)؛ أي: يضيّقوا ﴿وَكَانَ﴾ إنفاقهم ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الإسراف والإقتار ﴿قَوَامًا﴾ وسطاً.

(١) سبق التعليق على هذا التفويض، وأنه إذا كان يراد به تفويض الكيفية فهو حق، وأما إن كان يراد به تفويض معنى الاستواء الذي هو الاستقرار والعلو فهو خلاف فهم السلف وقَدْ يهيم.

(٢) بآياء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) لحمزة والكسائي.

(٤) بالتخفيف قراءة حمزة.

(٥) وهو - أعني قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَجْزُونَ﴾ - خبر المبتدأ، على اختيار المفسر، وبحتم أن يكون الخبر قوله: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ﴾، ويكون قوله: ﴿أُولَئِكَ يَجْزُونَ﴾ جملة مستأنفة مبتدأ وخبر.

(٦) أي باستثناء الحمل الاعتراضية؛ وهو قوله - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَقَعْلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ الآية (الفرقان: ٦٨)، إلى قوله: ﴿مَتَابًا﴾.

(٧) بضم أوله مع كسر الناء قراءة نافع وابن عامر، وأما القراءة بفتح الباء فمع كسر الناء لابن كثير وأبي عمرو، ومع ضمها لباقى السبعة.

[٧٠] ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ منهم ﴿فَأُولَئِكَ يَدْعُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ المذكورة ﴿حَسَنَتٍ﴾ في الآخرة ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفًا بذلك<sup>(١)</sup>.

[٧١] ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ من ذنوبه غير من ذكر ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ أي: يرجع إليه رجوعًا؛ فيجازيه خيرا.

[٧٢] ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي: الكذب والباطل ﴿وَرِذَاءُ رُشْدًا﴾ باللفظ من الكلام القبيح وغيره ﴿مُتَرَاءًا كَرَامًا﴾ معرضين عنه.

[٧٣] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا ﴿بَيِّنَاتٍ رَبِّهِمْ﴾ أي: القرآن ﴿لَمْ يَخِرُّوْا﴾ يستقطوا ﴿عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ بل خروا سامعين ناظرين منتفعين.

[٧٤] ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ بالجمع والإفراد<sup>(٢)</sup> ﴿فَشَرَّ أَعْيُنٍ﴾ لنا؛ بأن نراهم مطيعين لك ﴿وَأَجْمَعْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ في الحير.

[٧٥] ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرَّةَ﴾ الدرجة العليا في الجنة ﴿يَمًا صَبْرًا﴾ على طاعة الله ﴿وَيُلْقَوْنَ﴾ بالتشديد والتخفيف مع فتح الباء<sup>(٣)</sup> ﴿فِيهَا﴾ في الغرة ﴿حَبِيبَةً وَسَلَامًا﴾ من الملائكة.

[٧٦] ﴿خَلِيدِينَ﴾ فيها حَسَنَتٌ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا موضع إقامة لهم، و﴿أُولَئِكَ﴾ وما بعده خير: «عباد الرحمن» المبتدأ.

[٧٧] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿مَّا﴾ نافية ﴿يَعْبُدُونَ﴾ يكثر ﴿بِكُرْبَى لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ﴾ إياه في الشدائد فيكشفها ﴿فَقَدْ﴾ أي: فكيف يعبا بكم وقد ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ الرسول والقرآن ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ العذاب ﴿لِرِئَاءٍ﴾<sup>(٤)</sup> ملازمًا لكم في الآخرة بعد ما يحل بكم في الدنيا؛ فقتل منهم يوم بدر سبعون، وجواب ﴿لَوْلَا﴾ دل عليه ما قبلها.

\*\*\*

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۖ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِالْغَوَامِرِ وَكِرَامًا ۖ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوْا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۖ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فَرَعًا ۖ أَعْيُنٌ وَاجِعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۖ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرَّةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا حَبِيبَةً وَسَلَامًا ۖ خَلِيدِينَ فِيهَا حَسَنَتٌ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۖ قُلْ مَا يَعْبُؤُنِي كُفْرُكُمْ وَلَوْلَا دَعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۖ

## سورة الشجر

[٦٨] ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قلها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: واحدًا من الثلاثة ﴿يَلْقَى أَثَامًا﴾ أي: عقوبة.

[٦٩] ﴿يُضَاعَفْ﴾ وفي قراءة: ﴿يُضَعَّفُ﴾ بالتشديد<sup>(١)</sup> ﴿لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ﴾ بجزم الفعلين: بدلًا، ويرفعهما<sup>(٢)</sup>: استئنافًا ﴿مُهَانًا﴾ حال.

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٦٨ - ٧٠): أخرجه البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن ناشا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه حسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة؟ فنزل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ ونزل: ﴿قُلْ يَكَيْفَ الَّذِينَ الَّذِينَ آمَنُوا عَنْ أَمْرِهُمْ لَا يَفْعَلُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الزمر (٣٩) باب (١).

وأخرج أيضاً عن عبد الله بن مسعود قال: قال رجل: يا رسول الله، أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: «أن تدعو لله بذا وهو خلقك». قال: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك». قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حلية جارك». فأنزل الله تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ﴾. البخاري - كتاب التوحيد (٩٧) باب (٤٦).

(٥٥) فائدة: أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: خمس قد مضين: الدخان، والقر، والروم، والبطشة، والارام؛ ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾... وقال البخاري: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾: هلكت. البخاري - كتاب تفسير القرآن (٦٥) سورة الفرقان (٢٥) باب (٥) ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾.

(١) لاس كثير وابن عامر.

(٢) بالرفع فيهما لشدة وابن عامر، مع تشديد العين وحذف الألف لابن عامر - كما سبق بيانه.

(٣) بالإفراد في قوله: ﴿وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

(٤) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي.



## سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

[مكية إلا: ﴿وَالشُّعَرَاءُ﴾ إلى آخرها فمديني، وهي مائتان وسبع وعشرون آية. نزلت بعد الواقعة(\*)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿طَسَمَ﴾ الله أعلم بمراحه بذلك.

[٢] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿يَكْتُبُ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى: من ﴿الْبَلْبَلِ﴾ المظهر الحق من الباطل.

[٣] ﴿لَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿تَجْعُ﴾ نَفْسَكَ ﴿قَاتِلًا عَنَّا مِنْ أَجْلِ﴾ الْآلَا يَكُونُوا؟ أي: أهل مكة ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ و﴿لعل﴾ هنا للإشفاق؛ أي: أشفق عليها بتخفيف هذا الغم.

[٤] ﴿إِنْ شَأْنُ نَزَلْ عَلَيْهِمْ مِنْ آيَاتِنَا﴾ فَعَلَتْ ﴿بمعنى المضارع؛ أي: تظل؛ أي: تدوم ﴿أَعْنَتُهُمْ﴾ لَهَا خَضَعِينَ﴾ فيؤمنون، ولما وصفت الأعناق بالخضوع الذي هو لأربابها؛ جمعت الصفة منه جمع العقلاء.

[٥] ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ﴾ قرآن ﴿مِنَ الرَّحْمَنِ مُخْتَلِفٌ﴾ صفة كاشفة (١) ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾.

[٦] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ به ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ أَنْتَوُا ﴿عَوَاقِبُ﴾ مَا كَانُوا بِوَيْهِ يَسْتَرْذِلُونَ.

[٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَى الْأَرْضِ كَرَأَيْنَاهَا﴾؟ أي: كثير؛ ومن كل رَوْجٍ كريم ﴿نوع حسن.

[٨] ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ﴾ دالة على كمال قدرته - تعالى - ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ في علم الله، و﴿كَانَ﴾ قال سيبويه: زائدة.

[٩] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ ذو العزة ينتقم من الكافرين ﴿الرَّحِيمُ﴾ يرحم المؤمنين.

[١٠] ﴿ذِكْرٌ﴾ اذكر يا محمد لقومك ﴿إِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾ ليلة رأى النار والشجرة ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَتَى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ رسولاً.

[١١] ﴿قَوْمٌ فَرَعَوْنُ﴾ معه ظلموا أنفسهم بالكفر بالله، وبني إسرائيل باستعبادهم ﴿الْأَلَا﴾ الهمة للاستفهام الإنكاري ﴿يَقُولُونَ﴾ الله بطاعته فيوجدونه؟

[١٢] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾.

[١٣] ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ من تكذيبهم لي ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ بأداء الرسالة للعقدة التي فيه ﴿فَأَرْسِلْ إِلَيَّ﴾ أَخِي ﴿هَاشِرُونَ﴾ معي.

[١٤] ﴿وَقَتَمَ عَلَى ذَنْبٍ﴾ بقتل القبطي منهم ﴿فَأَمَّا أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ به.

[١٥] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - :: ﴿كَلَّا﴾ لا يقتلونك ﴿فَادْهَبَا﴾ أي: أنت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ﴿تِلْكَ﴾ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿لَعَلَّكَ﴾ تَجْعُ نَفْسَكَ ﴿إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ إِنْ شَأْنُ نَزَلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَتُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْتَوُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَأَيْنَاهَا مِنْ كُلِّ رَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أُنِثِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ قَوْمَ فَرَعُونَ ﴿الْآيَتُونَ﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَاشِرُونَ ﴿وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿فَأْتِيَا فَرَعُونَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِ الْبُتَّى فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٥﴾

وأعورك، فيه تغليب الحاضر على الغائب ﴿يَا أَيُّهَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ ما تقولون وما يقال لكم، أجريا مجرى الجماعة.

[١٦] ﴿فَأْتِيَا فَرَعُونَ فَقُولَا إِنَّا﴾ كَلَامٌ مِنْ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿إِلَيْكَ.

[١٧] ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَرْسِلْ مَعَنَا﴾ إِلَى الشَّامِ ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ فَأْتِيَا فَقَالَا لَهُ مَا ذَكَرَ.

[١٨] ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا﴾ فِي مَنَارِنَا ﴿وَلِيدًا﴾ صَغِيرًا قَرِيبًا مِنَ الْوِلَادَةِ بَعْدَ فِطَامِهِ ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ ثَلَاثِينَ سَنَةً يَلْبِسُ مِنْ مَلَابِسِ فَرَعُونَ، وَيَرْكَبُ مِنْ مَرَاحِبِهِ، وَكَانَ يُسَمَّى ابْنَهُ.

[١٩] ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِ الْبُتَّى فَعَلْتَ﴾ هِيَ قَتْلَةُ الْقِبْطِيِّ ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ الْجَاهِلِينَ لِنِعْمَتِي عَلَيْكَ بِالرَّبِّيَّةِ وَعَدَمِ الْاِسْتِعْبَادِ.

(١٥) فائدة: أخرج أحمد عن معديكر بن قال: ثنا عبد الله قال: فسألناه أن يقرأ علينا: ﴿طَسَمَ﴾ المائتين. فقال: ما هي معي، ولكن عليكم من أخذها من رسول الله ﷺ: حبيب بن الأرت. قال: فأتينا حبيب بن الأرت فقرأها علينا. المسند (٤١٩/١)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣٩٨٠).

وقد أورد الحافظ ابن كثير هذا الحديث في أول سورة القصص؛ ولكن قوله في الحديث: «﴿طَسَمَ﴾ المائتين» بين أن المراد الشعراء لا القصص؛ لأن سورة القصص آياتها ثمان وثمانون آية فحسب. راجع تفسير ابن كثير (٣/٣٦٦).

(١٦) وهذا جريا على مذهب الحنفية أن القرآن معنى قائم بذات الرب، وأن كلام الله ﷻ قديم، وسبق الرد عليه وبيان مذهب السلف في كلام الله - تعالى -، وأنه - سبحانه - لم يزل متكلمًا بمشيئته وإرادته بما شاء وكيف شاء، وكلامه بمشيئته من لوازم ذاته المقدسة.

[٢٣] ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ موسى: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الذي قلت إنك رسوله؛ أي: أي شيء هو؟

[٢٤] ﴿وَلَا يَكُن سَبِيلَ الْخَلْقِ إِلَى مَعْرِفَةِ حَقِيقَتِهِ - تَعَالَى - وَإِنَّمَا يَعْرِفُونَهُ بِصِفَاتِهِ، أَجَابَهُ مُوسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بَعْضُهَا: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: خالق ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ بأنه - تَعَالَى - خالقه؛ فآمنوا به وخذوه.

[٢٥] ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ من أشراف قومه: ﴿أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ جوابه الذي لم يطابق السؤال.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ وهذا - وإن كان داخلاً فيما قبله - يغيظ فرعون؛ ولذلك: [٢٧] ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إن كُنْتُمْ تَقُولُونَ أنه كذلك فآمنوا به وخذوه.

[٢٩] ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى: ﴿لَيْنَ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْمَلِكَ مِنَ السَّجُونِ﴾ كان سجنه شديداً يحبس الشخص في مكان تحت الأرض وخذله لا يبصر ولا يسمع فيه أحداً.

[٣٠] ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿أَوَلَوْ﴾ أي: أنفعل ذلك ولو ﴿جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ بوهان بين على رسالتي؟

[٣١] ﴿قَالَ﴾ فرعون له: ﴿فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيه.

[٣٢] ﴿فَأَتَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ حية عظيمة.

[٣٣] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بِيَضَاءَ﴾ ذات شعاع ﴿لِلنَّظِيرِ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة<sup>(١)</sup>.

[٣٤] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ﴾ إن هذا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ فائق في علم السحر.

[٣٥] ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ؟﴾

[٣٦] ﴿قَالُوا أَأُخْرِجُهَا وَأَخَاهُ﴾ أَخْرَجُهَا وَأَخَاهُ ﴿وَلَيْسَ فِي الدِّينِ حَيْثُورٌ﴾ جامعين.

[٣٧] ﴿يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ﴾ يفضل موسى في علم السحر.

[٣٨] ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِيُفَقِّنَ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ وهو وقت الضحى من يوم الزينة.

[٣٩] ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾.

قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ ﴿٢٣﴾ فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٤﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبْدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٣٠﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣١﴾ قَالَ لَيْنَ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْمَلِكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ أُولُو حِشَّتِكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَتَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٣٥﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيَضَاءَ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنْ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٧﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٨﴾ قَالُوا أَأُخْرِجُهَا وَآلَهَا وَتَأْتُنَا فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٩﴾ يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿٤٠﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٤١﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٤٢﴾

[٢٠] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿فَعَلْنَاهَا إِذَا﴾ أي: حينئذ ﴿وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ﴾ عما أتاني الله بعدها من العلم والرسالة.

[٢١] ﴿فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ علماً ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٢٢] ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ أصله: تمن بها علي ﴿أَنْ عَبْدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ بيان لـ«تلك»؛ أي: اتخذتهم عبداً ولم تستعبدني؛ لا نعمة لك بذلك؛ لظلمك باستعبادهم، وقدر بعضهم أول الكلام همزة استفهام للإنكار<sup>(١)</sup>.

(١) أي: «أوتلك».

(٢) أي: السحرة.



ولا لبده.

[٦٤] ﴿وَأَرْفَعْنَا قُرْبَنَا﴾ قربنا ﴿نَمَّ﴾ هناك ﴿الْآخِرِينَ﴾ فرعون وقومه حتى سلخوا مسالكهم.

[٦٥] ﴿وَأَجَعَلْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ بإخراجهم من البحر على هيئته المذكورة.

[٦٦] ﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ﴾ فرعون وقومه؛ بإطباق البحر عليهم لما تم دخولهم في البحر وخروج بني إسرائيل منه.

[٦٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ إغراق فرعون وقومه ﴿لَايَةً﴾ عبرة لمن بعدهم ﴿وَمَا كَانُوا أَكْثَرَهُمْ ثَمُومِينَ﴾ بالله، لم يؤمن منهم غير «آسية» امرأة فرعون، و«حزقيل» مؤمن آل فرعون، و«مريم بنت ناموصى» التي دلت على عظام يوسف <sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup>.

[٦٨] ﴿وَلَرَبَّكَ لَهُمُ الْعَزِيزُ﴾ فانتقم من الكافرين بإغراقهم ﴿الْرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين؛ فأعجزهم عن الغرق.

[٦٩] ﴿وَأَنزَلَ عَذَابَهُمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿نَبَأًا﴾ خبر ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ ويبدل منه: [٧٠] ﴿إِذْ قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ ما تعبدون.

[٧١] ﴿قَالُوا نَعْبُدُ آسَمَاءًا﴾ صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه ﴿فَنُظِلُّ لَهَا عَذَابَيْنِ﴾ نقم نهازاً على عبادتها، زادوه في الجواب افتخاراً به.

[٧٢] ﴿قَالَ هَلْ يُسْمِعُونَكَ إِذْ﴾ حين ﴿تَدْعُونَ؟﴾

[٧٣] ﴿أَوْ يَسْمَعُونَكَ﴾ إن عبدتموهم ﴿أَوْ يَصْرُخُونَ﴾ كم إن لم تعبدوهم؟

[٧٤] ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آيَاتَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أي: مثل فعلنا.

[٧٥] ﴿قَالَ أَمْرٌ بَشَرٌ مَا كَثَرَ تَعْبُدُونَ﴾.

[٧٦] ﴿وَأَنشُرْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْنَمُونَ﴾.

[٧٧] ﴿فَاتَّبَعَهُمْ عَذْرَؤُا﴾ لا أعبدكم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ فإني أعبد.

[٧٨] ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ إلى الدين.

[٧٩] ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾.

[٨٠] ﴿وَلِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾.

[٨١] ﴿وَالَّذِي يُبْرِئُنِي ثُمَّ يُجْبِينِ﴾.

[٨٢] ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾ أرجو ﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ الجزاء.

[٨٣] ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ علماً ﴿وَالْحَقِّنِي بِالصَّلَاحِينَ﴾ النبين.

فَلَمَّا تَرَى الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُكُونَ ﴿٦٤﴾  
قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٥﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ  
أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ  
﴿٦٦﴾ وَأَرْفَعْنَا لَمْ الْآخِرِينَ ﴿٦٧﴾ وَأَجَعَلْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ  
﴿٦٨﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ  
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧١﴾  
وَأَنزَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٧٢﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ  
﴿٧٣﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظُلُّ لَهَا عَذَابٌ هَلْ  
يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٤﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٥﴾ قَالُوا  
بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٦﴾ قَالَ أَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ  
تَعْبُدُونَ ﴿٧٧﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٨﴾ فَإِنَّهُمْ عَذْرَؤُا  
إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي  
يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٨١﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٢﴾ وَالَّذِي  
يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨٣﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي  
يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٤﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾

[٦١] ﴿فَلَمَّا تَرَى الْجُمُعَانَ﴾ رأى كل منهما الآخر ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُكُونَ﴾ يدركنا جشع فرعون، ولا طاقة لنا به.

[٦٢] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لن يدركونا ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ بنصره<sup>(١)</sup> ﴿سَيَهْدِينِ﴾ طريق النجاة.

[٦٣] قال - تعالى -: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ فضربه ﴿فَانْفَلَقَ﴾ فانشق اثني عشر فرقا ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ الجبل الضخم بينهما مسالك سكوها لم يتل منها سرج الراكب

(١) هذا من لوازم معيته . شجاعته . الخاصة بعباده المؤمنين، ومعيته . شجاعته . مع خلقه نوعان: عامة وخاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين وحقيقتهما الصعبة الالفة، وقد أخبر سبحانه أنه مع خلقه، مع كونه مستوثاً على عرشه، وكلاهما حق.

(٢) يشير إلى ما أخرجه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه وصححه، وغيرهما عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً، وفيه أن موسى <sup>(عليه السلام)</sup> في قصة خروجه من مصر وسأله عن قبر يوسف لينقيه معه فدلته عجوز بشرط أن تكون معه في الحنة... وأخرجه أيضاً أبو يعلى، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧١/١٠): «رجل أبي يعلى رجلاً الصحيح».

[٨٤] ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ ثَنَاءً حَسَنًا﴾ فِي الْآخِرِينَ الَّذِينَ يَأْتُونَ بَعْدِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

[٨٥] ﴿وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ مَنْ يَعْطَاهَا.

[٨٦] ﴿وَأَغْفِرْ لَائِي إِنَّكَ كَانِ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ بَأَنْ تَتُوبَ عَلَيْهِ؛ فَتَغْفِرَ لَهُ، وَهَذَا قَبْلَ أَنْ يَتَيْنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ كَمَا ذَكَرَ فِي سُورَةِ بَرَاءَةِ.

[٨٧] ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ تَغْضَضْنِي <sup>(١)</sup> يَوْمَ يُعْطُونَ النَّاسَ.

[٨٨] قَالَ - تَعَالَى - فِيهِ: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ أَحَدًا.

[٨٩] ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ مَنْ آتَى اللَّهَ يَقْلِبْ سَيِّئًا مِنْ الشَّرِّ وَالْفَنَاقِ؛ وَهُوَ: قَلْبُ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ.

[٩٠] ﴿وَأَرْزُقْنِي الْجَنَّةَ﴾ قَرِيبَ الْجَنَّةِ فَيُرَوِّدُنِيهَا.

[٩١] ﴿وَبَرِّزْنِي الْجَنَّةَ﴾ أَظْهَرْتُ لِلْغَاوِينَ وَالْكَافِرِينَ.

[٩٢] ﴿وَقِيلَ لَمْ يَأْتِ مَا كُنْتُمْ تَعِدُونَ؟﴾

[٩٣] ﴿وَمِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَيُّ: غَيْرِهِ مِنَ الْأَصْنَامِ ﴿هَلْ يَنْصُرُونَكَ﴾ بِدَفْعِ الْعَذَابِ عَنْكَ ﴿أَوْ يَنْصُرُونَ﴾ بِدَفْعِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ؟ لَا.

[٩٤] ﴿كَذَّبِكُوا﴾ أَلْقَوْا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ.

[٩٥] ﴿وَيَحْشُرُونَ﴾ يَلْبِسُ أَتْبَاعُهُ وَمَنْ أَطَاعَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴿أَجْمَعُونَ﴾.

[٩٦] ﴿قَالُوا﴾ أَيُّ: الْغَاوُونَ ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ مَعَ مَعْبُودِهِمْ:

[٩٧] ﴿تَاللَّهِ إِنْ﴾ مَخْفَافَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَاسْمُهَا مَحْلُوفٌ؛ أَيُّ: إِنَّهُ ﴿كُنَّا لِنُفِي صَلَاتِي مُبِينٍ﴾ يَشِينُ.

[٩٨] ﴿إِذْ﴾ حَيْثُ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الرَّبِّ الْعَلَمِينَ﴾ فِي الْعِبَادَةِ.

[٩٩] ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا﴾ عَنِ الْهَدْيِ ﴿إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ أَيُّ: الشَّيَاطِينَ، أَوْ: أَوْلَدْنَا الَّذِينَ اتَّقَدَّيْنَا بِهِمْ.

[١٠٠] ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ كَمَا لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالْمُؤْمِنِينَ.

[١٠١] ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَقِيمٍ﴾ بِهِمْ أَمْرَانَا.

[١٠٢] ﴿قُلُوا أَمْ لَنَا كَرَّةٌ﴾ رَجْعَةٌ إِلَى الدُّنْيَا ﴿فَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ «لَوْ» هُنَا لِلتَّمْنِي، وَ«نَكُونُ» جَوَابُهُ.

[١٠٣] ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِهِ﴾ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ.

[١٠٤] ﴿وَالَّذِي رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

[١٠٥] ﴿كَذَّبْتَ قَوْمٌ نُوْحَ الْمُرْسَلِينَ﴾ بِتَكْذِيبِهِمْ لَهُ؛ لِإِشْرَاقِهِمْ فِي الْحِجَى بِالتَّوْحِيدِ؛ أَوْ لِأَنَّهُ لَطُولُ لَبْثِهِ فِيهِمْ كَأَنَّهُ رَسُلٌ، وَتَأْنِيثُ ﴿قَوْمٌ﴾ بِإِعْتِبَارِ مَعْنَاهُ، وَتَذَكُّيرُهُ بِإِعْتِبَارِ لَفْظِهِ.

[١٠٦] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ؟﴾

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «تلقى إبراهيم أباه أزر يوم القيامة، وعلى وجه أزر قرعة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يارب، إنك وعدتني أن لا تخزي يوم يعنون؛ فأخزي أخزي من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقان: يا إبراهيم، ما تحت رجلك، فينظر فإذا هو بذيخ ملتصق فيوحده بقوامته فيلقى في النار. البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٨)، وأخرجه مختصراً في كتاب التفسير (٦٥) سورة الشعراء (٢٦) باب (١) ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُعْطُونَ﴾.

قال الحافظ: «وصف نفسه بالأبعد عن طريق القرض إذا لم تقبل شفاعته في أبيه، وقيل: «الأبعد» صفة أبيه؛ أي إنه شديد البعد من رحمة الله... وقيل: «الأبعد» بمعنى البعيد، والمراد الهالك...». قال الحافظ: ويؤيد الأول رواية: «إن أخبرت أبي فقد أخبرت الأبعد». الفتح (٣٥٨/٨، ٣٥٩)، بتصرف يسير.

والله أعلم: ذكر الضعاف، وقيل: لا يقال له: «ذبيخ» إلا إذا كان كثير الشعر.

وقوله: «ملتصق»: أي في رجبته؛ فيتمتع في ننته. وذكر الحافظ أن الحكمة من نسخ آزر تنفير نفس إبراهيم منه؛ لئلا يبقى في النار على صورته فيكون فيه غضاظة على إبراهيم. الفتح (٣٥٩/٨) بتصرف.

(١) وهي عشرة ليعقوب، لا سبعة.

وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لَائِي إِنَّكَ كَانِ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُعْطُونَ النَّاسَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُعْطُونَ النَّاسَ ﴿٨٨﴾ قَالَ - تَعَالَى - فِيهِ: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ أَحَدًا. ﴿٨٩﴾ لَكِنْ مَنْ آتَى اللَّهَ يَقْلِبْ سَيِّئًا مِنْ الشَّرِّ وَالْفَنَاقِ؛ وَهُوَ: قَلْبُ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ. ﴿٩٠﴾ وَأَرْزُقْنِي الْجَنَّةَ﴾ قَرِيبَ الْجَنَّةِ فَيُرَوِّدُنِيهَا. ﴿٩١﴾ وَبَرِّزْنِي الْجَنَّةَ﴾ أَظْهَرْتُ لِلْغَاوِينَ وَالْكَافِرِينَ. ﴿٩٢﴾ وَقِيلَ لَمْ يَأْتِ مَا كُنْتُمْ تَعِدُونَ؟ ﴿٩٣﴾ وَمِنْ دُونِ اللَّهِ أَيُّ: غَيْرِهِ مِنَ الْأَصْنَامِ ﴿هَلْ يَنْصُرُونَكَ﴾ بِدَفْعِ الْعَذَابِ عَنْكَ ﴿أَوْ يَنْصُرُونَ﴾ بِدَفْعِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ؟ لَا. ﴿٩٤﴾ كَذَّبِكُوا﴾ أَلْقَوْا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ. ﴿٩٥﴾ وَيَحْشُرُونَ﴾ يَلْبِسُ أَتْبَاعُهُ وَمَنْ أَطَاعَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴿أَجْمَعُونَ﴾. ﴿٩٦﴾ قَالُوا﴾ أَيُّ: الْغَاوُونَ ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ مَعَ مَعْبُودِهِمْ: ﴿٩٧﴾ تَاللَّهِ إِنْ﴾ مَخْفَافَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَاسْمُهَا مَحْلُوفٌ؛ أَيُّ: إِنَّهُ ﴿كُنَّا لِنُفِي صَلَاتِي مُبِينٍ﴾ يَشِينُ. ﴿٩٨﴾ إِذْ﴾ حَيْثُ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الرَّبِّ الْعَلَمِينَ﴾ فِي الْعِبَادَةِ. ﴿٩٩﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا﴾ عَنِ الْهَدْيِ ﴿إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ أَيُّ: الشَّيَاطِينَ، أَوْ: أَوْلَدْنَا الَّذِينَ اتَّقَدَّيْنَا بِهِمْ. ﴿١٠٠﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ كَمَا لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالْمُؤْمِنِينَ. ﴿١٠١﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَقِيمٍ﴾ بِهِمْ أَمْرَانَا. ﴿١٠٢﴾ قُلُوا أَمْ لَنَا كَرَّةٌ﴾ رَجْعَةٌ إِلَى الدُّنْيَا ﴿فَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ «لَوْ» هُنَا لِلتَّمْنِي، وَ«نَكُونُ» جَوَابُهُ. ﴿١٠٣﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِهِ﴾ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. ﴿١٠٤﴾ وَالَّذِي رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾. ﴿١٠٥﴾ كَذَّبْتَ قَوْمٌ نُوْحَ الْمُرْسَلِينَ﴾ بِتَكْذِيبِهِمْ لَهُ؛ لِإِشْرَاقِهِمْ فِي الْحِجَى بِالتَّوْحِيدِ؛ أَوْ لِأَنَّهُ لَطُولُ لَبْثِهِ فِيهِمْ كَأَنَّهُ رَسُلٌ، وَتَأْنِيثُ ﴿قَوْمٌ﴾ بِإِعْتِبَارِ مَعْنَاهُ، وَتَذَكُّيرُهُ بِإِعْتِبَارِ لَفْظِهِ. ﴿١٠٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ؟

[١٠٧] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ عَلَى تَبْلِيغِ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ.

[١٠٨] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ.

[١٠٩] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ عَلَى تَبْلِيغِهِ ﴿مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ مَا ﴿أَجْرِي﴾ أَيُّ: ثَوَابِي ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١١٠] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ كَرَرَهُ تَأْكِيدًا.

[١١١] ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ﴾ نَصَدَقَ ﴿بِذَلِكَ﴾ لِقَوْلِكَ ﴿وَأَتَّبِعُكَ﴾ وَفِي قِرَاءَةٍ <sup>(١)</sup>: ﴿وَأَتَّبِعُكَ﴾ جَمْعُ «تَابِع» مُبْتَدَأُ ﴿الْأَزْدَلُونَ﴾ السُّفَلَاءُ؛ كَالْحَاكَةِ وَالْأَسَاكِفَةِ.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «تلقى إبراهيم أباه أزر يوم القيامة، وعلى وجه أزر قرعة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يارب، إنك وعدتني أن لا تخزي يوم يعنون؛ فأخزي أخزي من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقان: يا إبراهيم، ما تحت رجلك، فينظر فإذا هو بذيخ ملتصق فيوحده بقوامته فيلقى في النار. البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٨)، وأخرجه مختصراً في كتاب التفسير (٦٥) سورة الشعراء (٢٦) باب (١) ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُعْطُونَ﴾.

قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي  
لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ  
﴿١١٥﴾ قَالُوا لَيْسَ لَكَ تَنْتَهُ يَنْبُوحَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ  
رَبِّ إِن قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَنَجَحِي وَمَنْ  
مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْتَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَسْحُورِ  
﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ  
أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهْوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ  
عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ  
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ  
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَنْبُونَ بِكُلِّ رِيحٍ  
ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾  
وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾  
وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامِهِ وَبَنِينَ  
﴿١٣٣﴾ وَحَتَّى وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ  
﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظمت أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

[١١٢] ﴿قَالَ وَمَا عَلَيَّ﴾ أي علم لي ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١١٣] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي﴾ فيجازيهم ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾

تعلمون ذلك ما يجذمتهم.

[١١٤] ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١١٥] ﴿إِن﴾ ما ﴿أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بين الإنذار.

[١١٦] ﴿قَالُوا لَيْسَ لَكَ تَنْتَهُ يَنْبُوحَ﴾ عما تقول لنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ

الْمَرْجُومِينَ﴾ بالحجارة أو بالشمع.

[١١٧] ﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿رَبِّ إِن قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾.

[١١٨] ﴿فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا﴾ أي: احكم ﴿وَنَجَحِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١١٩] قال - تعالى -: ﴿فَأَنْجَيْتَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَسْحُورِ﴾ المملوء من

الناس والحيوان والطير.

[١٢٠] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ بعد إنجائهم ﴿الْبَاقِينَ﴾ من قومه.

[١٢١] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

[١٢٢] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهْوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾.

[١٢٣] ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[١٢٤] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ؟﴾

[١٢٥] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

[١٢٦] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

[١٢٧] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ

الْعَالَمِينَ﴾.

[١٢٨] ﴿أَتَنْبُونَ بِكُلِّ رِيحٍ﴾ مكان مرتفع ﴿ءَايَةً﴾ بناءً علماً للمارة

﴿تَتَّبِعُونَ﴾ بمن يمر بهم وتسبحونهم، والجملة حال من ضمير «تنبون».

[١٢٩] ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ للماء تحت الأرض ﴿لَعَلَّكُمْ تَكُونُونَ﴾ كأنكم

﴿تَخْلُدُونَ﴾ فيها لا تموتون.

[١٣٠] ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ من غير

رأفة.

[١٣١] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ذلك ﴿وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمرتكم به.

[١٣٢] ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ﴾ أنعم عليكم ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٣٣] ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامِهِ وَبَنِينَ﴾.

[١٣٤] ﴿وَحَتَّى بَسَاتِينَ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ أنهار.

[١٣٥] ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في الدنيا والآخرة إن

عصيتهموني.

[١٣٦] ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظمت أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾

الواعظين أصلاً أي: لا نرعو لوعظك.

[١٣٧] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ الذي نَحْنُفَتْنَا بِهِ ﴿إِلَّا﴾ [خَلْقُ] <sup>(١)</sup> الْأَوَّلِينَ ﴿أَي: اختلافهم وكذبهم، وفي قراءة: بضم الحاء واللام، أي: ما هذا الذي نحن عليه من إنكار البعث إلا خلق الأولين؛ أي: طبيعتهم وعاداتهم.﴾

[١٣٨] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ بالعذاب ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ في الدنيا بالريح ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[١٤٠] ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

[١٤١] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾

[١٤٢] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ؟﴾

[١٤٣] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾

[١٤٤] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾

[١٤٥] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّي الْعَالَمِينَ﴾

[١٤٦] ﴿أَنْتُمْ كُونَ فِي مَا هُمْتُمْ﴾ من الخيرات ﴿ءَامِنِينَ﴾

[١٤٧] ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾

[١٤٨] ﴿وَرُزُّوعٌ وَنَحْلٌ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ لطيف لين.

[١٤٩] ﴿وَتَنْجُوتُونَ مِنْ الْجِبَالِ يَبُوتًا﴾ [قرهين] <sup>(٢)</sup> ﴿بَطْرِينَ﴾ وفي قراءة: ﴿قَرِهِينَ﴾ حاذقين.

[١٥٠] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمرتكم به.

[١٥١] ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الشَّرِّينَ﴾

[١٥٢] ﴿الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ بطاعة الله.

[١٥٣] ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقولهم.

[١٥٤] ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأَيِّ آيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في رسالتك.

[١٥٥] ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ﴾ نصيب من الماء ﴿وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾

[١٥٦] ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ عظيم العذاب.

إِنَّ هَذَا إِلَّا خَلْقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٨﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَنْتُمْ كُونَ فِي مَا هُمْتُمْ أَمِينِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَرُزُّوعٌ وَنَحْلٌ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْجُوتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَبُوتًا قَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥١﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأَيِّ آيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٢﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ تَلْدَمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

[١٥٧] ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عَقَرَهَا بَعَثُوهَا بِرِضَاهُمْ ﴿فَأَصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾ على عَقَرَهَا.

[١٥٨] ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ الموعود به فهلكوا ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[١٥٩] ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

(١) قراءة الكسائي وأبي عمرو وابن كثير، وقرأ بقية السبعة: ﴿خَلْقُ﴾ بضم الحاء واللام.

(٢) لنافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿قَرِهِينَ﴾.

الْعَالَمِينَ ﴿١٦٠﴾

﴿١٦٠﴾ أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٠﴾ النَّاسُ؟

﴿١٦١﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴿١٦١﴾ أَيُّ أَقْبَالِهِمْ؟ ﴿١٦١﴾ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦١﴾ متجاوزون الحلال إلى الحرام.

﴿١٦٢﴾ قَالُوا لَيْنَ لَوْ تَتَنَزَّ عَلَيْنَا لَأْتَكُنَّ مِنْ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٢﴾ من بلدنا.

﴿١٦٣﴾ قَالَ لُوطُ: ﴿١٦٣﴾ إِنِّي لَمَعْلُومٌ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٣﴾ المبغضين.

﴿١٦٤﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٤﴾ أَيُّ مِنْ عَذَابِهِ.

﴿١٦٥﴾ فَجَنَّبْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٦٥﴾

﴿١٦٦﴾ إِلَّا عَجُوزًا ﴿١٦٦﴾ امرأته ﴿١٦٦﴾ فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٦٦﴾ الباقين أهلكتها.

﴿١٦٧﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٦٧﴾ أهلكتهم.

﴿١٦٨﴾ وَانْظُرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ﴿١٦٨﴾ حجارة، من جملة الإهلاك (١) ﴿١٦٨﴾ فَفَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٦٨﴾ مطهرهم.

﴿١٦٩﴾ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٦٩﴾

﴿١٧٠﴾ وَلَوْ رَدُّكَ لَهُمُ الْعَذَابُ الرَّجِيمَ ﴿١٧٠﴾

﴿١٧١﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ ﴿١٧١﴾ وفي قراءة (٢): بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وفتح الهاء، هي: غيضة شجر قُوبٌ مَدِينٌ ﴿١٧١﴾ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾

﴿١٧٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ: ﴿١٧٢﴾ لَمْ يَقُلْ: أَخُوهُمْ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ: أَلَا تَتَّقُونَ؟ ﴿١٧٢﴾

﴿١٧٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٣﴾

﴿١٧٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٧٤﴾

﴿١٧٥﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ ﴿١٧٥﴾ مَا ﴿١٧٥﴾ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٥﴾

﴿١٧٦﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ ﴿١٧٦﴾ أتموه ﴿١٧٦﴾ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٧٦﴾ الناقصين.

﴿١٧٧﴾ وَوزِنُوا بِالْقِسْطِ أَلْسِنَتِكُمْ ﴿١٧٧﴾ الميزان السوي.

﴿١٧٨﴾ وَلَا يَبْحَسُوا أَلْسِنَهُمْ ﴿١٧٨﴾ لا تنقصوهم من حقهم شيئاً ﴿١٧٨﴾ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٧٨﴾ بالقتل وغيره، من «عشي» بكسر المثلثة: أفسد، و«مفسدين» حال مؤكدة لمعنى عاملها.

كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦٠﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٦٠﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٠﴾ أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٠﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٠﴾ قَالُوا لَيْنَ لَوْ تَتَنَزَّ عَلَيْنَا لَأْتَكُنَّ مِنْ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٠﴾ قَالَ إِنِّي لَمَعْلُومٌ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٠﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٠﴾ فَجَنَّبْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٦٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٦٠﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٦٠﴾ وَانْظُرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَفَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٦٠﴾ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٦٠﴾ وَإِنْ رَدُّكَ لَهُمُ الْعَذَابُ الرَّجِيمَ ﴿١٦٠﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦٠﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٦٠﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٠﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٦٠﴾ وَوزِنُوا بِالْقِسْطِ أَلْسِنَتِكُمْ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٦٠﴾ وَلَا تَبْحَسُوا أَلْسِنَةً أَلْسِنَةً هُمْ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٦٠﴾

﴿١٦٠﴾ كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾

﴿١٦١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ؟ ﴿١٦١﴾

﴿١٦٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾

﴿١٦٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٦٣﴾

﴿١٦٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ ﴿١٦٤﴾ مَا ﴿١٦٤﴾ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ

(١) أي: لم يهلكهم بامطار الحجارة فقط، بل جعل عالي قراها سافلها.

(٢) لتافع وابن كثير وابن عامر. وقوله: وفتح الهاء، يعني به فتح تاء التانيث، في حالة الوصل؛ أي: «ليكة».



[١٨٤] ﴿وَاتَّقُوا الَّذِيَ خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ﴾ الحليقة ﴿الْأُولَى﴾.

[١٨٥] ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾.

[١٨٦] ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف؛ أي: إنه ﴿تُفَنِّكُنَا لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾.

[١٨٧] ﴿فَأَنْذِرْهُمْ عَلَيْنَا﴾ [كشفاً] ﴿بِسُكُونِ السَّيْنِ وَفُحْهَا﴾<sup>(١)</sup>؛ قطعاً ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في رسالتك.

[١٨٨] ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

[١٨٩] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلُمَةِ﴾ هي سحابة أظلمتهم بعد حرق شديد أصابهم؛ فامطرت عليهم ناراً؛ فاحترقوا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾.

[١٩٠] ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[١٩١] ﴿وَلَمَّا رَأَى رَبُّكَ أَنَّهُ عَصَى الرَّجِيمَ﴾.

[١٩٢] ﴿وَأَنذِرْهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَنَزِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٩٣] ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ جبريل.

[١٩٤] ﴿عَلَّ قَلْبَكَ لَتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾.

[١٩٥] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ بَيِّن، وفي قراءة<sup>(٢)</sup>؛ بِتَشْدِيدٍ ﴿نَزَلَ﴾ وَنَضَبِ الرُّوحِ وَالْفَاعِلُ: اللَّهُ.

[١٩٦] ﴿وَأَنذِرْهُ﴾ ذكر القرآن المنزل على محمد ﴿لَنَزِيلِ رَبِّكَ كِتَابَ الْأُولَى﴾ كالنور والإنجيل.

[١٩٧] ﴿أَوْ لَرَّ يَكُنْ لَهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿آيَةٌ﴾ على ذلك ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ كعبدالله بن سلام، وأصحابه من الذين آمنوا، فإنهم يخبرون بذلك ﴿وَيَكُنْ﴾ بالتحانية وَنَضَبِ ﴿آيَةٌ﴾ وبالفوقانية وَرَفَعِ ﴿آيَةٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

[١٩٨] ﴿وَلَوْ فَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ جمع أعجم.

[١٩٩] ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ﴾ كفار مكة ﴿مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ أَنفَقَ مِنْ اتِّبَاعِهِ.

[٢٠٠] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل إدخالنا التكذيب به بقراءة الأعجمي ﴿سَلَكْنَاهُ﴾ أدخلنا التكذيب به ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ كفار مكة بقراءة النبي.

[٢٠١] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ.

[٢٠٢] ﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

وَاتَّقُوا الَّذِيَ خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ الْأُولَى ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ تُفَنِّكُنَا لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَنْذِرْهُمْ عَلَيْنَا كَيْفَ مَنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلُمَةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَلَمَّا رَأَى رَبُّكَ أَنَّهُ عَصَى الرَّجِيمِ ﴿١٩١﴾ وَأَنذِرْهُ أَيُّ الْقُرْآنِ لَنَزِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَّ قَلْبَكَ لَتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَنَضَبِ الرُّوحِ وَالْفَاعِلُ: اللَّهُ ﴿١٩٦﴾ وَأَنذِرْهُ كِتَابَ الْأُولَى ﴿١٩٧﴾ أَوْ لَرَّ يَكُنْ لَهُمْ لِكْفَارِ مَكَّةَ آيَةٌ عَلَى ذَلِكَ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٩٨﴾ وَلَوْ فَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٩﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ كَفَارِ مَكَّةَ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٠٠﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلُمَةِ ﴿٢٠١﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٠٢﴾

[٢٠٣] ﴿فَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ لنؤمن؟ فقال لهم: «لا»، فقالوا: متى

هذا العذاب؟

[٢٠٤] قال - تعالى -: ﴿أَفَعَدَّيْنَا لِلْمُتَعَجِّلِينَ﴾.

[٢٠٥] ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ أخبرني ﴿إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾.

[٢٠٦] ﴿فَنُزِّلْ بِهِمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب.

(١) بالسكون قراءة السبعة عدا حفص.

(٢) لحمزة والكسائي وشعبة وابن عامر.

(٣) باتاء مع رفع «آية» لابن عامر.

الذي دعوك إليه.

[٢١٤] ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وهم: بنو هاشم وبنو المطلب، وقد أنذرهم جهاراً. [رواه البخاري ومسلم].<sup>(١)</sup>

[٢١٥] ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أَلْنِ جَانِبَكَ ﴿لِمَنِ الْأَمْرُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الموحدين.

[٢١٦] ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ عسيرتك ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من عبادة غير الله.

[٢١٧] ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ بالواو والفاء<sup>(٢)</sup> ﴿عَلَى الْغَرِيبِ الرَّحِيمِ﴾ الله؛ أي: فوض إليه جميع أمورك.

[٢١٨] ﴿الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ﴾ إلى الصلاة.

[٢١٩] ﴿وَتَقْلُبُ﴾ في أركان الصلاة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ﴿فِي السُّجُودِ﴾ المصلين.

[٢٢٠] ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيمُ﴾.

[٢٢١] ﴿هَذَا أَنبَأُكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿عَلَىٰ مَن نَّزَّلَ الشَّيْطَانُ﴾ - حذف إحدى التاءين من الأصل؟

[٢٢٢] ﴿نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ كَذَابٍ﴾ كذاب ﴿أَتَمِرُ﴾ فاجر، مثل «مُتَمِلِمَةٌ» وغيره من الكهنة.

[٢٢٣] ﴿يُلْقُونَ﴾ الشياطين ﴿السَّمْعَ﴾ ما سمعوه من الملائكة إلى الكهنة ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَذِبُونَ﴾ يضمنون إلى المسموع كذباً كثيراً، وكان هذا قبل أن حجت الشياطين عن السماء.

[٢٢٤] ﴿وَالشَّعْرَاءُ بَنِعْمَهُمُ الْفَاوُونَ﴾ في شعرهم، فيقولون به ويروونه عنهم؛ فهم مذمومون.

[٢٢٥] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ مِّنْ أودية الكلام وفنونه﴾ يهيمون ﴿بمضون﴾ فيجازون الحد مدحاً وهجاءً.

[٢٢٦] ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ فعلنا ﴿مَّا لَا يَفْعَلُونَ﴾ أي: يكذبون.

[٢٢٧] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الشعراء ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَذِكْرٍ﴾<sup>(٣)</sup> لم يشغلهم الشعر عن الذكر ﴿وَأَنصَرَوْا﴾ بهجواهم الكفار ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ بهجوا الكفار لهم في جملة المؤمنين؛ فليسوا مذمومين، قال الله - تعالى -: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾<sup>(٤)</sup> وقال - تعالى -: ﴿فَمَن آفَضَكُنَّ عَلَيْكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ عَلَيْهِ يُبْخِلْ مَا آفَضَكُنَّ عَلَيْكُمْ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من الشعراء وغيرهم ﴿أَيُّ مُنْقَلَبٍ﴾ مرجع ﴿يُقَلِّبُونَ﴾ يرجعون بعد الموت.

\*\*\*

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يُمْتَنُونَ ﴿٢١٤﴾ وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ قَرِينَةٍ إِلَّا لَهَا مِذْرَوْنٌ ﴿٢١٥﴾ ذَكَرْنِي وَمَا كُنَّ نَاطِلِينَ ﴿٢١٦﴾ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٧﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١٨﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ﴿٢١٩﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢٢٠﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢٢١﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ الْأَمْرُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٢﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢٢٤﴾ الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢٢٥﴾ وَتَقْلُبُ فِي السُّجُودِ ﴿٢٢٦﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيمُ ﴿٢٢٧﴾ هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَن نَّزَّلَ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢٨﴾ نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٩﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَالشَّعْرَاءُ يَبْنِعُهُمُ الْفَاوُونَ ﴿٢٣١﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٣٢﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَذِكْرٍ ءَامِنٍ ﴿٢٣٤﴾ وَتَنَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٣٥﴾

سورة الشعراء

[٢٠٧] ﴿مَّا﴾ استفهامية بمعنى أي: شيء ﴿أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يُمْتَنُونَ﴾ في دفع العذاب أو تخفيفه؟ أي: لم يغن.

[٢٠٨] ﴿وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ قَرِينَةٍ إِلَّا هَا مِذْرَوْنُ﴾ رسل تنذر أهلها.

[٢٠٩] ﴿ذَكَرْنِي﴾ عظة لهم ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ في إهلاكهم بعد إنبائهم.

[٢١٠] ﴿وَنَزَّلَ رِيقًا لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿الشَّيَاطِينُ﴾.

[٢١١] ﴿وَمَا يَنْبَغِي﴾ يصلح ﴿لَهُمْ﴾ أن ينزلوا به ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ذلك.

[٢١٢] ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ لكلام الملائكة ﴿لَمْعَزُولُونَ﴾ بالشُّبُه.

[٢١٣] ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ إن فعلت ذلك

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: ﴿وَالشَّعْرَاءُ بَنِعْمَهُمُ الْفَاوُونَ﴾ فسبح من ذلك واستثنى فقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَذِكْرٍ﴾. أبو داود. كتاب الأدب (٣٥) باب (٩٥) ما جاء في الشعر. وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن أبي داود (٤١٩٥).

(١) أخرجه البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ سعد النبي ﷺ على الصفا فجعل يادي: «يا بني فهر، يا بني عدي» - لبطون من قريش - حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر، ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيتم لو أبحرتمكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً. قال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». فقال أبو لهب: «ثألك سائر اليوم، ألهذا جمعتم؟ فنزلت: ﴿ثَبَّتْ يَدَايَ لِي لَهْجِي﴾. البخاري (٤٧٧٠) ومسلم (٢٠٤) عن ابن عباس.

(٢) بالفاء قراءة نافع وابن عامر.

(٣) النساء: ١٤٨.

(٤) البقرة: ١٩٤.

## سُورَةُ النَّارِ

[مكية وهي: ثلاث، أو: أربع، أو: خمس وتسعون آية،  
نزلت بعد سورة الشعراء]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿طَسَّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿آيَاتُ الْفُرْقَانِ﴾ آيات منه ﴿وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ مظهر للحق من الباطل، عطف بزيادة صفة.

[٢] هو ﴿هُدًى﴾ هاد من الضلالة ﴿وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين به بالجنة.

[٣] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يأتون بها على وجهها ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ وهم بالآخرة هم يؤمنون يعلمونها بالاستدلال، وأعيد: ﴿وَهُمْ﴾ لما فصل بينه وبين الخبر.

[٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ القبيحة بتركيب الشهوة حتى رأوها حسنة ﴿فَهُمْ يَمَهِّوْنَ﴾ يتحiron فيها لقبها عندنا.

[٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ أشده في الدنيا القتل والأسر ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

[٦] ﴿وَإِنَّكَ لَنَلْقَى الْقُرْآنَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ ﴿لَلْقَى الْقُرْآنَ﴾ يلقي عليك بشدة ﴿مِنْ لَدُنِّهِ﴾ من عند ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ في ذلك.

[٧] اذْكُرْ: إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ: زوجته عند مسيره من مدين إلى مصر: ﴿إِنِّي أَنَا نَسْتُ﴾ أبصرت من بعيد ﴿كَأَنَّكَ سَائِرٌ مِنْهَا يَخْرُجُ﴾ عن حال الطريق، وكان قد ضلها ﴿أَوْ أَمَّا نِكَاحُ﴾ [بشهاب] قيس، بالإضافة للبيان، وتركها<sup>(١)</sup> أي: شعلة نار في رأس قبيلة أو عود ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ والطاء بدل من تاء الافتعال، من صلي بالنار بكسر اللام وفتحها؛ تستدفئون من البرد.

[٨] ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنَّ﴾ أي: بأن ﴿بُورِكَ﴾ أي: بارك الله ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ أي: موسى ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: الملائكة أو العكس، وبارك يعدي بنفسه وبالخرف، ويقدر بعد: في مكان<sup>(٢)</sup> ﴿وَسُبْحَنَّ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ من جملة ما نودي<sup>(٣)</sup> ومعناه: تنزيه الله من السوء.

[٩] ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي: الشأن ﴿أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

[١٠] ﴿وَأَلْقَى عَصَاهُ﴾ فآلقاها ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّمَا جَانٌّ﴾ حية خفيفة ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَكُرَّ يَعْقُبُ﴾ يرجع؛ قال - تعالى -: ﴿يُؤْمِنُونَ لَا تَخَفْ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْفُرْقَانِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى  
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ  
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ  
أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ  
وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ  
لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ إِنِّي أَنَا نَسْتُ نَارًا سَائِرًا تَكُرُّ  
مِنْهَا يَخْرُجُ أَوْ أَمَّا نِكَاحُ بَشَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا  
نُودِيَ أَنَّ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَّ لِلَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسِي إِنَّهُ وَأَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقَى عَصَاكَ  
فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّمَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَكُرَّ يَعْقُبُ يَمْوَسِي لَا تَخَفْ  
إِنِّي لَا يَخَافُ لَدُنِّي الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا بَعْدَ  
سُوءٍ فَإِنِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْجُجُ بَيْضَاءَ مِنْ  
غَيْرِ سُوءٍ فِي ثَمَعٍ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾  
فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾

منها ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدُنِّي﴾ عندي ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ من حية وغيرها.

[١١] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ ظَلَمَ﴾ نفسه ﴿ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا﴾ أنه ﴿بَعْدَ سُوءٍ﴾ أي: تاب ﴿فَإِنِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أقبل التوبة وأغفر له.

[١٢] ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ طوق قميصك ﴿تَخْجُجُ﴾ خلاف لونها من الأدمة<sup>(٤)</sup> ﴿بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ برص، لها شعاع يَغْشَى<sup>(٥)</sup> البصر، آية ﴿فِي ثَمَعٍ آيَاتٍ﴾<sup>(٦)</sup> مرسلًا بها ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ كَمَا قَوْمًا فَاسِقِينَ.

[١٣] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ مضئية واضحة ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ يَبِينُ ظَاهِرٌ.

(١) بالإضافة قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ الباقون: «بشهاب».

(٢) على تفسيره الأول أن من في النار هو موسى، ويكون: التقدير: أن بورك في مكان النار.

(٣) قال ابن كثير: أي الذي يفعل ما يشاء ولا يشبه شيئًا في مخلوقاته، ولا يحيط به شيء من مصنوعاته، وهو العلي العظيم المبين لجميع المخلوقات، ولا تكتنفه الأرض والسموات؛ بل هو الأحد احد المزه عن مماثلة المحدثات.

(٤) أي الشمرة، وفي هذا رد على أهل الكتاب وما جاء في كتبهم أنها خرجت برصاء مثل الثلج.

(٥) أي: إن شعاعها يجعل البصر «أعشى»، وفي بعض النسخ: «يغشي» بالغين المعجمة، وهو تصحيح.

(٦) تقدم بيانها في تفسير آية رقم (٧٥) من سورة يونس.

بالنبوة وتسخير الجن والإنس والشياطين ﴿عَلَّ كَثِيرٌ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.  
 [١٦] ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾ النبوة والعلم دون باقي أولاده ﴿وَقَالَ يَبْنَئُهَا  
 إِنَّا نَحْنُ مُنْقِطُونَ﴾ أي: فهم أصواته ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ تواتره  
 الأنبياء والملوك ﴿إِنَّ هَذَاكَ الْمَوْتَى﴾ هو الفضل المبین ﴿الْبَيْتُ الظَّاهِرُ﴾.  
 [١٧] ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ﴾ في  
 مسير له ﴿فَهُمْ يُورِثُونَ﴾ يجمعون ثم يساقون.

[١٨] ﴿حَتَّىٰ إِذَا تَوَلَّىٰ وَوَلَّىٰ النَّملُ﴾ هو بالطائف أو بالشام، غله صغار أو  
 كبار ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ ملكة النمل وقد رأت جند سليمان: ﴿يَبْنَئُهَا النَّملُ  
 أَذْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ يكسرنكم ﴿سُلَيْمَنُ جُنُودُهُ وَهُوَ لَا  
 يَشْعُرُونَ﴾ نزل النمل منزلة العقلاء في الخطاب بخطابهم.

[١٩] ﴿فَتَبَسَّ﴾ سليمان ابتداء ﴿صَاحِبًا﴾ انتهاء ﴿مِن قَوْلِهَا﴾ وقد  
 سمعه من ثلاثة أميال، حملته إليه الريح؛ فبسم جنده حين أشرف على  
 واديهم حتى دخلوا بيوتهم، وكان جنده ركبانا ومشاة في هذا السير<sup>(١)</sup>  
 ﴿وَقَالَ رَبِّ ارْزُقْنِي﴾ ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ﴾ بها ﴿عَلَّيَّ  
 وَعَلَىٰ ذَلِكِ أَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذِلَّةٍ لِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ  
 الصَّالِحِينَ﴾ الأنبياء والأولياء.

[٢٠] ﴿وَتَقَدَّرَ الطَّيْرُ﴾ ليرى الهدهد الذي يرى الماء تحت الأرض، ويدل  
 عليه بقره فيها؛ فستخرجه الشياطين لاحتياج سليمان إليه للصلاة، فلم يره  
 ﴿فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهَدَّ﴾ أي: أعرض لي ما منعي من رؤيته ﴿أَمْ  
 كُنَّ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ فلم أره لغيبته؟ فلما تحققها.

[٢١] قال: ﴿لَأَعَذِّبَنَّ عَبَايَا﴾ تعذيبا ﴿سَكِيدًا﴾ بنتف ريشه وذنبه  
 ورميه في الشمس؛ فلا يمتنع من الهوام<sup>(٢)</sup> ﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ يقطع حلقومه  
 ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِي﴾ بنون مشددة مكسورة، أو مفتوحة يليها نون مكسورة<sup>(٣)</sup>  
 ﴿يُسَاطِنُنِي﴾ يبرهان بين ظاهري على عذره.

[٢٢] ﴿فَمَكَثَ﴾ بضم الكاف وفتحها<sup>(٤)</sup> ﴿غَيْرَ يَبِيدٍ﴾ يسيرا من  
 الزمن، وحضر لسليمان متواضعا برفع رأسه وإرخاء ذنبه وجناحيه؛ فعفا عنه  
 وسأله عما لقي في غيبته ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ يَحُطُّ بِهِ﴾ أي: اطلعت على  
 ما لم تطلع عليه ﴿وَحِشْتُكَ مِنْ سَيِّئٍ﴾ بالصرف وتركه<sup>(٥)</sup>: قبيلة باليمن،  
 سميت باسم جد لهم باعتبارها ضُرِفَ ﴿بَنِيَّ﴾ خبر ﴿يَقِينِ﴾.

وَحَدَّوْهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا فَأَنْظَرَ كَيْفَ  
 كَانَ عَقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا  
 وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ  
 ﴿١٧﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَبْنَئُهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنَظِقَ  
 الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾  
 وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ  
 يُورِثُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا تَوَلَّىٰ عَلَىٰ وَادٍ النَّملُ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَبْنَئُهَا  
 النَّملُ أَذْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ  
 لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠﴾ فَتَبَسَّ صَاحِبًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ ارْزُقْنِي  
 أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ  
 صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذِلَّةٍ لِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ  
 ﴿٢١﴾ وَتَقَدَّرَ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهَدَّ هَذَا أَمْ كَانَ  
 مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٢﴾ لَأَعَذِّبَنَّهُ وَعَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْبَحَنَّهُ  
 أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسَاطِنٍ مِّمَّنِ ﴿٢٣﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ  
 أَحَطْتُ بِمَا لَمْ يَحُطُّ بِهِ وَحِشْتُكَ مِنْ سَيِّئٍ بَنِيَّ يَقِينُ ﴿٢٤﴾

[١٤] ﴿وَحَمَدُوا بِهَا﴾ لم يقرأوا ﴿وَوُكِّلَ﴾ قد ﴿اسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ أي:  
 تيقنوا أنها من عند الله ﴿ظُلُمًا وَعُلُوًّا﴾ تكبرا عن الإيمان بما جاء به موسى،  
 راجع إلى الجحد ﴿فَأَنْظَرَ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَتْ عَقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾  
 التي علمتها من إهلاكهم.

[١٥] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ابنه ﴿عِلْمًا﴾ بالقضاء بين الناس  
 ومنطق الطير وغير ذلك ﴿وَقَالَ﴾ شكرا لله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا﴾

(١) مثل هذه التفاصيل لا دليل عليها ولا فائدة في ذكرها، وغالبا ما تكون من الأسرار البليات. وقوله: «حملته إليه الريح» يعارض نص الآية؛ فقلوه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا تَوَلَّىٰ وَوَلَّىٰ النَّملُ﴾ يعني: وصولهم إليه.

(٢) لا دليل على أن العذاب الذي توعد به سليمان الهدهد هو هذا الذي ذكره المصنف الجلال المحلي، والآية أطلقت لعذاب ووصفته بالشدة.

(٣) وهذه الأخيرة قراءة ابن كثير.

(٤) بالضم قراءة السبعة عدا عاصم.

(٥) قرأ أبو عمرو والبرقي بفتح الهمة من غير تنوين، وقرأ قبل بإسكانها.

[٢٣] ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أُمَّرَأَةً تَتْلِي كُتُبَهُمْ﴾ أي: هي ملكة لهم اسمها «تلقيس» وأوتيت من كُتُبِ شَعْبِهِ. يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة ﴿وَمَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ طوله ثمانون ذراعاً وعرضه أربعون ذراعاً وارتفاعه ثلاثون ذراعاً، مضروب من الذهب والفضة، مَكْنَلٌ بِالذُّرِّ والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد، وقوامه من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد، عليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلق<sup>(١)</sup>.

[٢٤] ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ صُدَّعَهُمْ عَنِ النَّبِيلِ﴾ طريق الحق ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

[٢٥] ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ أي: أن يسجدوا له، فريدت «لا» وأدغم فيها نون «أن» كما في قوله - تعالى -: ﴿لَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾<sup>(٢)</sup> والجملة في محل مفعول ﴿يَهْتَدُونَ﴾ بإسقاط «إلى» ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَّ﴾ مصدر بمعنى: المخبوء من المطر والنبات ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ﴾<sup>(٣)</sup> في قلوبهم ﴿وَمَا يُغْلِبُونَ﴾<sup>(٤)</sup> بالسنتهم.

[٢٦] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ استئناف، جملة ثناء مشتمل على عرش الرحمن في مقابلة عرش بلقيس وبينهما يوم عظيم.

[٢٧] ﴿قَالَ﴾ سليمان للبهدهد: ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ﴾ فيما أخبرتنا به ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي: من هذا النوع، فهو أبلغ من: أم كذبت فيه، ثم دَلَّهم على الماء فاستخرج ارتووا وتوضؤوا ووصلوا، ثم كتب سليمان كتاباً صورته: «من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ: بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فلا تلعوا علي وأتوني مسلمين»، ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه<sup>(٥)</sup> ثم قال للبهدهد:

[٢٨] ﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَكَذَا فَأَلْقَيْتُ إِلَيْهِمْ﴾ أي: بلقيس وقومها ﴿ثُمَّ تَوَلَّى انصرفت عنهم﴾ وقفت قريباً منهم ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ يردون الجواب؛ فأخذها وأتاها وحولها جندها وألقاها في حجرها، فلما رآته ارتعدت وخضعت خوفاً، ثم وقفت على ما فيه.

[٢٩] ﴿ثُمَّ﴾ لأشرف قومها: ﴿بَيَّأْتُ الْمُلُوكَ إِلَى﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبيها وإوا مَكْسُورَةً<sup>(٦)</sup> ﴿الَّتِي إِلَى كَيْتٍ كَرِيمٍ﴾ مخنوم.

[٣٠] ﴿إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُمْ﴾ أي: مضمونه: ﴿وَسِرَ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٣١] ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾.

[٣٢] ﴿قَالَ بَيَّأْتُ الْمُلُوكَ أَقْنُونِي﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبيها وإوا<sup>(٧)</sup> ﴿أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ قاضيته ﴿حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ تحضرون.

[٣٣] ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَيِّ شَيْءٍ﴾ أي: أصحاب شدة في الحرب ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ تَأْمُرِينَ تَطْلَعُ.

إِنِّي وَجَدْتُ أُمَّرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ صُدَّعَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الْأَهْوَرُ الْعَرْشُ الْعَظِيمُ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَيْتُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى تَوَلَّى انصرفت عنهم فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَقْنُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَيِّ شَيْءٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْدَاءَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

[٣٤] ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ بالخراب ﴿وَجَعَلُوا أَعْدَاءَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أي: مرسلو الكتاب<sup>(٨)</sup>.

[٣٥] ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ قَنَاطَرَةً﴾ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ من قبول الهدية أو ردّها؛ إن كان ملكاً قبلها، أو نبيّاً لم يقبلها؛ فأرسلت خدماً ذكوراً وإناثاً ألفاً بالسوية وخمسمائة لبنة من الذهب، وتاجاً مَكْنَلًا بالجواهر ومسكاً وغنيراً وغير ذلك مع رسول بكتاب؛ فأسرع الهدهد إلى سليمان يخبره الخبر؛ فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة وأن تيسط من موضعه إلى تسعة فراسخ مبدئاً، وأن يبنوا حوله حائطاً مشرقاً من الذهب والفضة، وأن يؤتى بأحسن دواب البر والبحر مع أولاد الجن من عيين الميدان وشماله<sup>(٩)</sup>.

(١) لا دليل على مثل هذه التفاصيل ولا فائدة في ذكرها، وسبق التعليق على مثل هذه الإسرائيليات. وأن الأولى في تفسير كلام الله ﷻ أن لا يعتمد إلا ما هو قطعي وأن يترك المفسر تفصيل ما أجمله الله ﷻ.

(٢) الحديد: ٢٩.

(٣) قرأ حفص والكسائي: «تخفون» بالتاء، والباقرن بالياء: «يخفون».

(٤) قرأ حفص والكسائي: «تعلنون» بالتاء، والباقرن بالياء: «يعلون».

(٥) هذه التفاصيل والدقائق لا دليل عليها ولا فائدة في ذكرها.

(٦) التسهيل لنفع وابن كثير وأبي عمرو.

(٨) اختار المصنف أن قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ هو من تمام كلام المرأة. وقد ذهب غيره إلى أنه من كلام الله تعالى تصديقاً لقولها، وأن الوقف على ﴿وَجَعَلُوا أَعْدَاءَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً﴾ وقف تام.

(٩) لا دليل صحيح على ذلك أيضاً، والأولى ترك حشو التفسير بذكره.

[٣٩] ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ هُوَ الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ﴾: «أَنَا إِيَّاكَ بِهِ قِيلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ» الذي تجلس فيه للقضاء؛ وهو: من الغداة إلى نصف النهار ﴿وَأَنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ﴾ أي: على حمله ﴿أَمِينٌ﴾ على ما فيه من الجواهر وغيرها، قال سليمان: أريد أسرع من ذلك.

[٤٠] ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ الْمَرْبُوعُ﴾: «أَصِفْ بِنِ بَرَحِيَا»، كان صديقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعا به أجيب ﴿أَنَا إِيَّاكَ بِهِ قِيلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ إذا نظرت به إلى شيء، فقال له: «انظر إلى السماء» فنظر إليها، ثم ردَّ بطرفه فوجده موضوعاً بين يديه، ففي نظره إلى السماء دعا «أَصِفْ» بالاسم الأعظم أن يأتي الله به؛ فحصل بأن جرى تحت الأرض حتى نبع تحت كرسي سليمان<sup>(١)</sup> ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا سَاكِنًا﴾: «عِنْدَهُ قَالَ هَذَا» أي: الإيمان لي به ﴿مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي﴾ ليعتبرني ﴿عَشْرًا أَشْكُرَ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألف بين الموهلة الأخرى وتركه<sup>(٢)</sup> ﴿أَمْ أَكْفَرُ﴾ النعمة ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَنْشُرْ لِنَفْسِهِ﴾ أي: لأجلها؛ لأن ثواب شكره له ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِن رَّبِّي غَنِيٌّ﴾ عن شكره ﴿كَرِيمٌ﴾ بالأنضال على من يكفرها.

[٤١] ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ أي: غيرهه إلى حال تنكره إذا رآته ﴿تَنْظُرْ أَتَهْتَدِي﴾ إلى معرفته ﴿أَمْ تَكُونُ مِّنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى معرفة ما يغير عليهم، قصد بذلك اختبار عقلها لما قيل: إن فيه شيئاً. فغيروه بزيادة أو نقص وغير ذلك.

[٤٢] ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ لَهَا: أَهَذَا كَرُوكُ﴾ أي: أمثل هذا عرشك؟ ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ عرفته وشبهت عليهم كما شبهوا عليها؛ إذ لم يقل: أهذا عرشك. ولو قيل: هذا. قالت: نعم. قال سليمان لما رأى لها معرفة وعلماً: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾.

[٤٣] ﴿وَصَدَّهَا﴾ عن عبادة الله ﴿فَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿إِنَّمَا كُنْتَ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾.

[٤٤] ﴿قِيلَ لَهَا﴾ أيضاً: ﴿ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ هو سطح من زجاج أبيض شفاف تحته ماء عذب جار فيه سمك، اصططنه سليمان لما قيل له: «إن ساقياها وقديماها قديمي الحمار»<sup>(٣)</sup> ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَبَّتْ لِحْجَتُهَا﴾ من الماء ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا﴾ لتخوضه، وكان سليمان على سريريه في صدر الصرح فرأى ساقياها وقديماها حسناً ﴿قَالَ لَهَا: إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ ملس ﴿مِن فَوَارِسٍ﴾ من زجاج، ودعاها إلى الإسلام ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بعبادة غيرك ﴿وَأَسْلَمْتُ﴾ كائنه ﴿مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وأراد تزوجها ففكره شغز ساقياها؛ فعملت له الشياطين الثورة فأزالته بها؛ فتزوجها وأحبها وأقرها على ملكها، وكان يزورها في كل شهر مرة، ويقوم عندها ثلاثة أيام، وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان<sup>(٤)</sup> - روي أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة - فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه.

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانٌ قَالَ أَمِدُّونِي بِمَالِ مَمَاءَ اتَيْنَ إِلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٩﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلْ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٤٠﴾ قَالَ يَأْتِيهَا الْمَلَأُو الْأَكْمُ يَأْتِيَنِي بِعَرَشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوَنِي مُسْلِمِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا إِيَّاكَ بِهِ قِيلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٤٢﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفَرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَّبِّي عَنِّي كَرِيمٌ ﴿٤٣﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِّنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤٤﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَذَا كَرُوكُ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٥﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٦﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا فَإِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن فَوَارِسٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾

[٣٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَ﴾ الرسول بالهدية معه أتباعه ﴿سُلَيْمَانُ قَالَ أَتَيْدُونَنِي بِمَالٍ مِّمَّا ءَاتَيْنِي اللَّهُ﴾ من التوبة والملك ﴿خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَاكُمْ﴾ من الدنيا ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ لفخركم بزخارف الدنيا.

[٣٧] ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ بما أتيت من الهدية ﴿فَلَنَأْتِيَهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلْ لَهَا طَاقَةٌ لَّهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا﴾ من بلد سبأ، سميت باسم أبي قبيتهم ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ إن لم يأتوني مسلمين؛ فلما رجع إليها الرسول بالهدية جعلت سريرها داخل سبعة أبواب داخل قصرها، وقصرها داخل سبعة قصور، وغلقت الأبواب وجعلت عليها حراً، وتجهزت للمسير إلى سليمان لتنظر ما يأمرها به، فارتحلت في اثني عشر ألف قتل، مع كل قتل ألوف كثيرة إلى أن قربت منه على فرسخ شعر بها<sup>(١)</sup>.

[٣٨] ﴿قَالَ يَأْتِيهَا الْمَلَأُو الْأَكْمُ﴾ في الهمزتين ما تقدم<sup>(٢)</sup> ﴿يَأْتِيَنِي بِعَرَشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوَنِي مُسْلِمِينَ﴾ متفادين طائعين<sup>(٣)</sup>، فليأخذها قبل ذلك لا بعده<sup>(٤)</sup>.

(١) سبق التعليق على هذه الأخبار ونحوها من الإسرائيليات. (٢) أي: من التحقيق وتسهيل الثانية بقلبها واوًا مكسورة، وهي ثلاث قراءات سبعة.

(٣) جمهور المفسرين أن هذه المقالة من سليمان محيية هديتها وردها إياها. (٤) قاله قتادة وعطاء وزهير بن محمد وغير واحد، والمعنى أنهم متى أسلموا حرمت أموالهم.

(٥) سبق التعليق على نحو هذه الأخبار، وأنه لا دليل عليها، ولا فائدة في ذكرها.

(٦) راجع التعليق على الآية رقم (٦) من سورة البقرة.

(٧) أحسن ما قيل في بناء الصرح هو أنه أراد أن يربها ملكاً أعظم من ملكها ليكون حاملاً لها على أن تسلم. وما قيل غير ذلك فإسرائيليات لا تثبت ولا تليق بمقام النبوة.

(٨) مثل هذه السياقات والدقائق التي ذكرها المفسر الأقرب فيها أنها مثنقاة عن أصل الكتاب مما يوجد في صحفهم، كروايات كعب وهوب، فيما نقلوا إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأرواب والنغز والعباب، مما كان وما لم يكن، ومما خوف ويؤذل ويؤنيغ، وقد أغنانا الله - سبحانه - عن ذلك بما هو أصح منه وأوضح وأبلغ.

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ مِنَ الْقَبِيلَةِ ﴿صَلِّحًا﴾ أَنْ: أَي: بَأَنْ ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وَخُذُوا ﴿فَإِذَا هُمْ قَرِيفَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ فِي الدِّينِ، فَرِيقٌ مُؤْمِنُونَ مِنْ حِينَ إِرْسَالِهِ إِلَيْهِمْ، وَفَرِيقٌ كَافِرُونَ.

[٤٦] ﴿قَالَ﴾ لِلْمُكَذِّبِينَ: ﴿يَقْتَوِرُ لِي سَنَجِلُونَ﴾ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْخَسِئَةِ أَي: بِالْعَذَابِ قَبْلَ الرَّحْمَةِ، حَيْثُ قُلْتُمْ: «إِنْ كَانَ مَا أَتَيْنَا بِهِ حَقًّا فَاتُّنَا بِالْعَذَابِ» ﴿لَوْلَا﴾ هَلَا ﴿سَتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ مِنَ الشَّرِكِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْجَعُونَ﴾ فَلَا تَعْدُونَ؟

[٤٧] ﴿قَالُوا أَلَمْ يَنْزِلْ أَصْلُهُ تَطِيرُنَا؛ أَدْغَمْتَ النَّاءَ فِي الطَّاءِ وَاجْتَلَبْتَ هَمْزَةَ الْوَصْلِ؛ أَي: تَشَاءُ مِنَّا ﴿يَا وَيْلَكَ وَمَعَكَ﴾ الْمُؤْمِنِينَ؛ حَيْثُ فَجَطُوا الْمَطَرَ<sup>(١)</sup> وَجَاعُوا ﴿قَالَ طَلَّتْ رُكُمُكُمْ﴾ شَوْكُكُمْ ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَتَاكُمْ بِهِ ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ تَخْتَبِرُونَ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

[٤٨] ﴿وَكُنْتَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ مَدِينَةُ ثَمُودَ ﴿سَعَةً رَهْطًا﴾ أَي: رِجَالٌ ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بِالْعَاصِي؛ مِنْهَا: قَرْضُهُمُ الدَّنَانِيرَ وَالْدِرَاهِمَ ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ بِالطَّاعَةِ.

[٤٩] ﴿قَالُوا﴾ أَي: قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ﴿تَقَاسَمُوا﴾ أَي: احْلِفُوا ﴿يَا إِلَهَ لَنَبْنِيَنَّ﴾ بِالنُّونِ وَالنَّاءِ وَضِمَّ النَّاءُ الثَّانِيَةَ<sup>(٢)</sup> ﴿وَأَهْلَهُ﴾ أَي: مِنْ أَمْنٍ بِهِ؛ أَي: نَقْتُلُهُمْ لَيْلًا ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ بِالنُّونِ وَالنَّاءِ وَضِمَّ اللَّامُ الثَّانِيَةَ<sup>(٣)</sup> ﴿لَوْلِي﴾ لَوْلِي دَمِهِ ﴿مَا شَهِدْنَا﴾ حَضَرْنَا ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَهْلِي﴾ بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِهَا<sup>(٤)</sup>؛ أَي: إِهْلَاكُهُمْ أَوْ هِلَاكِهِمْ؛ فَلَا نَدْرِي مِنْ قَتْلِهِمْ ﴿وَلَنَا لَصَدِيقُونَ﴾.

[٥٠] ﴿وَمَكَرُوا﴾ فِي ذَلِكَ ﴿مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا﴾ أَي: جَازَيْنَاهُمْ بِتَعْجِيلِ عَقُوبَتِهِمْ<sup>(٥)</sup> ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

[٥١] ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ أَهْلَكَانَاهُمْ ﴿وَقَوْمَهُمْ أَتَمِّينَ﴾ بِصَبِيحَةِ جَبْرِيلَ، أَوْ يَرْمِي الْمَلَائِكَةُ بِحِجَارَةٍ يَرُونَهَا وَلَا يَرُونَهُمْ.

[٥٢] ﴿فَإِنَّكَ يُؤْتِيهِمْ حَاوِيَةً﴾ أَي: خَالِيَةً، وَنَصَبَهُ عَلَى الْحَالِ، وَالْعَامِلُ فِيهَا مَعْنَى الْإِشَارَةِ ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ بِظَلَمِهِمْ؛ أَي: كَفَرِهِمْ ﴿وَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ قُدْرَتَنَا؛ فَيَتَعَزَّوْنَ.

[٥٣] ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بِصَالِحٍ، وَهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ ﴿وَوَكَّلْنَا يُسْتَفُونَ﴾ مِنَ الشَّرِكِ.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَلِّحًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ يَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَدَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا أَطِيعْنَا يَا بَكَ وَيَمَنَ مَعَكَ قَالَ طَلَّتْ رُكُمُكَ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٥٢﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ سَعَةً رَهْطًا يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٥٣﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لَوْلِيَهُ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكًا أَهْلَهُ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَبَيْنَمَا يُؤْتِيهِمْ حَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِذْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَفَتَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَوْ طَافَ الْأَرْضُ لَقَوْمِهِ أَتَانُوتُ الْفَلْحِشَةَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٥٨﴾ أَيْنَكُمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْنِسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْهَلُونَ ﴿٥٩﴾

[٥٤] ﴿وَلَوْ طَافَ﴾ مَنْصُوبٌ بِ«اذْكُرْ» مُقَدَّرًا قَبْلَهُ، وَيُبْدَلُ مِنْهُ: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِيءَ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ﴾ أَي: اللِّوَاطَ ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أَي: يَبْصُرُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا إِنَّمَا كُنَّا فِي الْمَعْصِيَةِ؟

[٥٥] ﴿أَيْنَكُمُ﴾ بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ، وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ وَإِدْخَالِ أَلْفٍ بَيْنَهُمَا عَلَى الْوُجْهِينِ<sup>(١)</sup> ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْنِسَاءِ﴾ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْهَلُونَ عَاقِبَةُ فَعَلِكُمْ.

(١) أَي: احْتِسِبْ عَنْهُمْ الْمَطَرُ.

(٢) بِالنَّاءِ وَضِمَّ النَّاءُ الثَّانِيَةَ قِرَاءَةُ حِمَزَةٍ وَالْكَسَائِيُّ.

(٣) بِالنَّاءِ وَضِمَّ اللَّامُ الثَّانِيَةَ قِرَاءَةُ حِمَزَةٍ وَالْكَسَائِيُّ.

(٤) بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِ اللَّامِ قِرَاءَةُ السَّيِّئَةِ عِدَا عَاصِمٍ، وَفَرَأَ شُعْبَةُ بِفَتْحِهَا وَخَفَضَ بِكَسْرِ اللَّامِ.

(٥) وَهَذَا تَأْوِيلُ لِهَذِهِ الصِّفَةِ الَّتِي أَتَيْنَاهَا رَبَّنَا لَنَنْجِيَنَّ لِنَفْسِهِ، وَمَذْهَبُ السَّلَفِ فِي هَذَا النَّوعِ مِنَ الصِّفَاتِ إِثْبَاتُهُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ. شَيْخَانَهُ، هِيَ فِيمَا سَبَقَتْ لَهُ مَدْحٌ وَكَمَالٌ، وَلَكِنْ لَا تَطْلُقُ عَلَيْهِ تَعَالَى مُحَرَّرَةً بِدُونِ ذِكْرِ تَعَلُّقِهَا، وَكَذَا لَا يَشْتَقُّ لَهُ اسْمٌ أَوْ صِفَةٌ مِنْهَا؛ فَلَا يَقَالُ: مَاكُرٌ وَلَا مُخَادَعٌ.

(٦) سَهْلُ الثَّانِيَةِ مَعَ إِدْخَالِ الْأَلْفِ قَالُونَ وَأَبُو عَمْرٍو، وَمَنْ غَيْرُ إِدْخَالِ وَرَشٍ وَابْنٌ كَثِيرٌ وَحَقَّقَهَا هِشَامٌ مَعَ الْإِدْخَالِ وَعَدَمُهُ، وَبَقِيَّةُ السَّيِّئَةِ كَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ إِدْخَالٍ.

الْعَذِيبِينَ ﴿الباقين في العذاب.

[٥٨] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ هو حجارة السجيل فأهلكهم

﴿فَسَاءَ﴾ يس ﴿مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ بالعذاب مطرهم.

[٥٩] ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿الْحَسْبُ إِلَهُ﴾ على هلاك الكفار من الأمم الخالية

﴿وَسَلَّمَ عَلَىٰ عِبَادِ الَّذِينَ أَصْطَفَىٰ﴾ هم ﴿عَالَمُهُ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال

الثانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه<sup>(١)</sup> ﴿خَيْرٌ﴾

من يعبده ﴿أَمَّا﴾ [تُشْرِكُونَ] ﴿بِالنَّاءِ﴾ والياء<sup>(٢)</sup>؛ أي: أهل مكة به؛ أي: الآلهة

خير لعبديها.

[٦٠] ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَنْبَتْنَا﴾ فيه التفات من الغيبة إلى التكلم ﴿بِهِ﴾ حدائق ﴿جمع حديقة؛

وهو: البستان المحوط﴾ ذاك ﴿بِهَجَرَةٍ﴾ حشيش ﴿مَا كُنَّا لَكُمْ أَنْ تُثْبِتُوا

شَجَرَهُ﴾ لعدم قدرتكم عليه ﴿أَوَّلُهُ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية

وإدخال ألف بينهما على الوجهين في مواضع السبعة<sup>(٣)</sup> ﴿مَعَ اللَّهِ﴾ أعانه

على ذلك؛ أي: ليس معه إله ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ يشركون بالله غيره.

[٦١] ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ لا تميد بأهلها ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا﴾ فيما

بينها ﴿أَنْهَرًا﴾ وجعل لها رواسي ﴿جبالاً أثبت بها الأرض﴾ و﴿جَعَلَ بَيْنَ

الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ بين العذب والملح لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿أَوَّلُهُ﴾ مع

اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيده.

[٦٢] ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾ المكروب الذي مسه الضر ﴿إِذَا دَعَا

وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ عنه وعن غيره ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ الإضافة

بمعنى: في؛ أي: يخلف كل قرن القرن الذي قبله ﴿أَوَّلُهُ﴾ مع اللَّهِ قَلِيلًا مَا

[تَذَكَّرُونَ] ﴿تعتضون؛ بالفوقانية والتحتانية<sup>(٤)</sup>، وفيه إدغام التاء في الذال،

وما﴾ زائدة لتقليل القليل.

[٦٣] ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ﴾ يرشدكم إلى مقاصدكم ﴿فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ

وَالْبَحْرِ﴾ بالنجوم ليلاً وبعلامات الأرض نهاراً ﴿وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ﴾ بُشْرًا

بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ قدام المطر ﴿أَوَّلُهُ﴾ مع اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

به غيره.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوْنَا أَلْ لُوطِ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَهُ وَقَدَرْنَاهَا مِنَ الْعَذِيبِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

[٥٦] ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوْنَا أَلْ لُوطِ﴾ أهله ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ إنهم أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ من أذبار الرجال.

[٥٧] ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَهُ وَقَدَرْنَاهَا﴾ جعلناها بتقديرنا ﴿مِّن

(١) هذا سبق قلم من الشارح؛ لأن هذه الوجوه لم يقرأ بها أحد من القراء، وغاية ما أجازوه: وجهان فقط؛ تسهيل الثانية مقصورة، وإبدالها ألفاً ممدودة مثلاً لازماً.

(٢) بالناء قراءة السبعة عدا عاصم وأبي عمرو.

(٣) أي وتركه، وقوله: ﴿في مواضع السبعة﴾ أي: موضع اجتماع الهمزتين المفتوحة ثم للمكسورة، وهي لفظ (أله) خمس مرات (وأثنا) و(أثنا). وانظر التعليق على الآية رقم (٨١) من سورة الأعراف.

(٤) بالتحتانية مع تشديد الذال قراءة أبي عمرو وهشام، وقراءة الباقيين بالناء لكن مع التشديد لافع وابن كثير وابن ذكوان وشعبة، ومن غير تشديد لخص وحزمة والكسائي.



[٦٤] ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ في الأرحام من نطفة ﴿ثُمَّ يُبْعِدُهُ﴾ الموت، وإن لم تعترفوا بالإعادة لقيام البراهين عليها ﴿وَمَنْ يَرْفُقْ مِنْ السَّمَاءِ بِالْمَطَرِ﴾ والنبات ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ﴾ أي: لا يفعل شيئاً ما ذكر إلا الله، ولا إله معه ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿هَاسِرًا يُهَنِّئُكُمْ﴾ حجتكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن معي إلهاً فعل شيئاً ما ذكر، وسألوهُ عن وقت قيام الساعة؛ فنزل: [٦٥] ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الملائكة والناس ﴿الْغَيْبَ﴾ أي: ما غاب عنهم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿اللَّهُ﴾ يعلمه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: كثر مكة كثيرهم ﴿أَيَّانَ﴾ وقت ﴿يُبْعَثُونَ﴾.

[٦٦] ﴿قُلْ﴾ بمعنى: هل ﴿أَذْرَكَ﴾<sup>(١)</sup> وزن أكرم، وفي قراءة أخرى: ﴿أَذْرَكَ﴾ بتشديد الدال، وأصله تدارك؛ أبدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال، واحتجبت همزة الوصل؛ أي: بلغ للحق، أو تنابع وتلاحق ﴿عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: بها حتى سألوا عن وقت مجيئها، ليس الأمر كذلك ﴿قُلْ هُمْ فِي شَيْءٍ مِّنْهَا بَلَّ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ من عمي القلب، وهو أبلغ مما قبله، والأصل «عميون»؛ استقلت الضمة على الباء فقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها.

[٦٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أيضاً في إنكار البعث: ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَعَاقِبًا أَأَنبَاؤُنَا لَمُخْرَجُونَ﴾ من القبور.

[٦٨] ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِن﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ جمع أسطورة بالضم؛ أي: ما سطر من الكذب.

[٦٩] ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ بإنكارهم<sup>(٢)</sup>؛ وهي: هلاكهم بالعذاب.

[٧٠] ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ تسليية للنبي ﷺ أي: لا تهتم بمكرهم عليك؛ فإننا ناصرك عليهم.

[٧١] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه؟

[٧٢] ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ﴾ قرب ﴿لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ فحصل لهم القتل بيدر، وباقي العذاب يأتيهم بعد الموت.

[٧٣] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ ومنه تأخير العذاب عن الكفار ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ فالكفار لا يشكرون تأخير العذاب لإنكارهم وقوعه.

[٧٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تخفيه ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بأنسنتهم.

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُبْعِدُهُ وَمَنْ يَرْفُقْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ  
أَوَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ قُلْ هَاسِرًا يُهَنِّئُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ  
لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ  
أَيَّانَ يَبْعَثُونَ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
الشَّيْءَ مِمَّا بَلَّ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَفَرُوا أَوَدَا  
كُنَّا تُرَابًا وَعَاقِبًا أَأَنبَاؤُنَا لَمُخْرَجُونَ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا  
نَحْنُ وَءَبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ قُلْ  
سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ  
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ  
وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ عَسَى  
أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ وَإِنَّ رَبَّكَ  
لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ وَإِنَّ  
رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ وَمَا مِنْ غَافِلَةٍ  
فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ  
يَفُصِّلُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

[٧٥] ﴿وَمَا مِنْ غَافِلَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الهاء للمباغاة؛ أي شيء في غاية الخفاء على الناس ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ يبين؛ هو: اللوح المحفوظ، ومكنون<sup>(٣)</sup> علمه - تعالى -، ومنه تعذيب الكفار.

[٧٦] ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصِّلُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ الموجودين في زمان نبينا ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: بيان ما ذكر على وجهه الراجع للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا.

(١) وهي فراعة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون: ﴿أَذْرَكَ﴾.

(٢) في نسخة: «إنكاره».

(٣) وهذا تفسير ثان، قالوا هنا بمعنى (أول).

بتوحيد الله.

[٨٢] ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ حق العذاب أن ينزل بهم في جملة الكفار ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ أي: تكلم الموجودين حين خروجها بالعربية، تقول لهم من جملة كلامها عنا: ﴿[إِنَّ] النَّاسَ كُفَرَاءٌ﴾ مكية<sup>(٢)</sup>، وعلى قراءة: فتح همزة: ﴿[إِنَّ]﴾<sup>(٣)</sup> تقدر الباء بعد ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ ﴿كَانُوا يَتْلُونَ﴾ لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب، وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يؤمن كافر<sup>(٤)</sup>، كما أوحى الله إلى نوح: ﴿أَنْتُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا﴾ من قومك إلا من قد آمن<sup>(٥)</sup>.

[٨٣] ﴿ذِكْرٌ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ تَخْشَىٰ مِنْ كُلِّ امْتِعَةٍ فَتَكُونُ أَجْمَعَ﴾ جماعة ﴿يَمِّنُ بِكُذِّبٍ يَتْلُونَهَا﴾ وهم رؤساؤهم المتبعون ﴿فَهُمْ يُؤْخَذُونَ﴾ أي: يجمعون برد آخرهم إلى أولهم، ثم يساقون.

[٨٤] ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ﴾ مكان الحساب ﴿قَالَ - تَعَالَى - لَهُمْ: أَكْذَبْتُمْ﴾ أنبياء ﴿يَتْلُونَ وَهُمْ خَطِئُوا﴾ من جهة تكذيبكم ﴿يَا عَلَمًا﴾ أي: فيه إدغام «ما» الاستفهامية<sup>(٦)</sup> ﴿ذَلِكَ﴾ موصول: أي: ما الذي ﴿كُتِّمْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مما أمرتم به؟

[٨٥] ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ حق العذاب ﴿عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا ﴿فَهُمْ لَا يَخْفَوْنَ﴾ إذ لا حجة لهم.

[٨٦] ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا﴾ خلقنا ﴿الْأَيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ كغيرهم ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ بمعنى: يصير فيه ليصرفوا فيه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته - تعالى - ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوصا بالذكر لا تنفعهم بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

[٨٧] ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن النفخة الأولى من إسرافيل ﴿فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ خافوا الخوف المفضي إلى الموت كما في آية أخرى: ﴿فَصُوعِقُ﴾ والتعبير فيه بالماضي؛ لتحقيق وقوعه. ﴿إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ أي: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وعن ابن عباس: هم الشهداء؛ إذ هم أحياء عند ربهم يرزقون. ﴿وَكُلٌّ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه: أي: وكلهم بعد إحيائهم يوم القيامة ﴿أَنْزَوْهُ﴾ بصيغة الفعل، واسم الفاعل<sup>(٧)</sup> ﴿ذَخِيرِينَ﴾ صاغرين، والتعبير في الإتيان بالماضي لتحقيق وقوعه.

[٨٨] ﴿وَنَرَىٰ الْجِبَالَ﴾ تبصرها وقت النفخة ﴿تَحْسِبَهَا﴾ تظنها ﴿جَامِدَةً﴾ واقفة مكانها لمعلمها ﴿وَجِيءَ نَمْرٌ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ المطر<sup>(٨)</sup> إذا ضربته الريح؛ أي: تسير سيره حتى تقع على الأرض فتستوي بها مبنوثة، ثم تصير كالعجن، ثم تصير هباء منثورا<sup>(٩)</sup> ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله، أضيف إلى فاعله بعد حذف عامله؛ أي: صنع الله ذلك صنعا ﴿الَّذِينَ أَنْفَعُوا﴾ أحكم ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ صنعه ﴿إِنَّهُمْ خَيْرٌ مِّمَّا يَفْعَلُونَ﴾ بالباء والتاء<sup>(١٠)</sup>؛ أي:

وَأَنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكُفْرَ وَلَا تَسْمَعُ الضُّعْفَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَتَىٰ بِهْدَىٰ الْعُمَىٰ عَنْ صَلَاتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْمَعُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ تَخْشَىٰ مِنْ كُلِّ امْتِعَةٍ فَتَكُونُ أَجْمَعَ بِكُذِّبٍ يَتْلُونَهَا فَهُمْ يُؤْخَذُونَ ﴿٨٣﴾ وَلَمْ يَخْطُوا بِهَا عَلَمًا مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَخْفَوْنَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُوفِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَنفُسِهِمْ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَنَرَىٰ الْجِبَالَ تَحْسِبَهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَعُ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

[٧٧] ﴿وَأَنَّهُ لَهْدَىٰ﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ من العذاب.

[٧٨] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ كغيرهم يوم القيامة ﴿بِحُكْمِهِ﴾ أي: عدله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يحكم به، فلا يمكن أحدا مخالفته كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه.

[٧٩] ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ نفق به ﴿وَأَنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ الدين البين، فالعاقبة لك بالنصر على الكفار، ثم ضرب أمثالا لهم بالموتى وبالصم وبالعُمى، فقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكُفْرَ وَلَا تَسْمَعُ الضُّعْفَ الدُّعَاءَ﴾ إذا بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الباء<sup>(١)</sup> ﴿وَلَوْ أَمْدَيْنَ﴾.

[٨١] ﴿وَمَا أَتَىٰ بِهْدَىٰ الْعُمَىٰ عَنْ صَلَاتِهِمْ إِنْ﴾ ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سماع إفعال وقبول ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُمْ مُسْمَعُونَ﴾ مخلصون

(١) التسهيل لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) وغيرهم.

(٤) كما عند مسلم في الإيمان (١٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ثلاث إذا خرجن لا يقع نفس إيمانها، لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها حيرا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض» رواه مسلم (١٥٨).

(٥) هود: ٣٦.

(٦) أي: إدغام ميم «أه» في ميم «ما» الاستفهامية.

(٨) القطر: أي: ذي المطر.

(٩) هذا الذي ذهب إليه المفسرون أن المراد بتسيير الجبال ما يقع يوم القيامة هو قول أكثر المفسرين، ورجع البعض أن المراد بذلك في الدنيا، ويكون إشارة إلى دوران الأرض، بحسبها أهلها ساكنة وهي متحركة، لأن قوله: ﴿وَنَرَىٰ الْجِبَالَ تَحْسِبَهَا جَامِدَةً﴾ لا يناسب مقام التهليل والتهويل، وكذلك قوله: ﴿الَّذِينَ أَنْفَعُوا كُلِّ شَيْءٍ﴾ لا يناسب مقام الإبادة والإهلاك. ولأن سير الجبال للقاء يوم القيامة يحصى عند إهلاك جميع الخلق وهذا لا يراه أحد من البشر، كما أنه إذا رآه أحد شعر به، فيحس بحركتها، وهذا يناقض قوله: ﴿تَحْسِبَهَا جَامِدَةً﴾ وعليه فنكون هذه الآية وما قبلها من قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ﴾ اعتراضا في سياق الآيات الدالة على أحوال الحشر وأحوال يوم القيامة. فالله أعلم بمراده.

(١٠) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وابن عامر بخلاف عنه.

(٣) بالكسر لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة.

[٨٩] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ أَجْرٌ لَا يُولَى إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: (لا إله إلا الله) يوم القيامة ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ ثَوَابٌ﴾ أي: بسببها، وليس للفضل، إذ لا فعل خير منها<sup>(١)</sup>، وفي آية أخرى: ﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَهُمْ﴾ الجماعة بها ﴿فَرَحَ يَوْمَئِذٍ﴾ بالإضافة وكسر الميم وفتحها، و﴿فَرَحَ﴾ منوناً وفتح الميم<sup>(٣)</sup> ﴿مَا يَمُنُونَ﴾.

[٩٠] ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ أي: الشرك ﴿فَكَبَّتْ وَجْهَهُمْ فِي النَّارِ﴾ بأن وثقتها، وذكرت الوجوه؛ لأنها موضع الشرف من الحواس، فغيرها من باب أولى، ويقال لهم تنكبنا: همل ما ﴿عُجِرُونَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الشرك والمعاصي.

[٩١] قل لهم: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَقْبَلَ رِجْلَ هَٰذَا الْبَلَدِ﴾ أي: مكة ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ جعلها حراماً أمناً لا يسفك فيها دم إنسان، ولا يظلم فيها أحد، ولا يصاد صيدها، ولا يختلي خلها<sup>(٤)</sup>، وذلك من النعم على قريش - أهلها - في رفع الله عن بلدهم العذاب، والفتن الشائعة في جميع بلاد العرب ﴿وَلَمْ﴾ - تعالى - ﴿كُنْ شَيْءٌ﴾ فهو ربه وخالقه ومالكة ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ لله توحيد.

[٩٢] ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ عليكم تلاوة الدعوة إلى الإيمان ﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ﴾ له ﴿فَلَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ أي: لأجلها، فإن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى ﴿فَنَقُلْ﴾ له: ﴿إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ المخوفين، فليس عليّ إلا التبليغ، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٩٣] ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سُبْحَانَكَ رَبِّيَ﴾ فترفعونها فأراهم الله يوم بدر القتل والسبي، وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، وعجلهم الله إلى النار ﴿وَمَا رَبُّكَ بِمُتَعَدِّلٍ عَلَيْهِ﴾ [يُحْكَمُونَ] بالياء والتاء<sup>(٥)</sup>، وإنما يجهلهم لوقفهم.

### سُورَةُ الْقَصَصِ

[مكية إلا: ﴿إِنْ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ الآية، نزلت بالجحفة، وإلى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ إلى: ﴿لَا نُبغِي الْجَاهِلِينَ﴾، وهي: سبع، أو: ثمان وثمانون آية، نزلت بعد النمل]

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿طَسَّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.  
[٢] ﴿يَلُوكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿مَا يَنْتُ الْكِتَابَ﴾ بالإضافة بمعنى: من ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ المظهر الحق من الباطل.  
[٣] ﴿تَتْلُو﴾ نقص ﴿عَلَيْكَ مِنْ نَجَى﴾ خبر ﴿مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ أَجْرٌ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُوَ مَنْ فَرَحَ يَوْمَئِذٍ أَمُونٌ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَبَّتْ وَجْهَهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْرُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَقْبَلَ رِجْلَ هَٰذَا الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿٩١﴾ وَإِنْ أَتَلَوْا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَلَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سُبْحَانَكَ رَبِّيَ مَا يَنْتُ الْكِتَابَ وَمَا رَبُّكَ بِمُتَعَدِّلٍ عَلَيْهِ ﴿٩٣﴾

### سُورَةُ الْقَصَصِ

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَسُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبِيِّ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِبْرَافِيمَ ﴿٤﴾ فَرَعَوْنَ ﴿٥﴾ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ يُدْبِعُ أِثْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦﴾ وَزُرِّيذًا ثَمُنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوهُ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً وَجَعَلَهُمُ الثَّوَابِثِينَ ﴿٧﴾

الصدق ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأجلهم؛ لأنهم المنفعون به.

[٤] ﴿إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾ تعظم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ فرقاً في خدمته ﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾ هم: بنو إسرائيل ﴿يُدْبِعُ أِثْنَاءَهُمْ﴾ المولودين ﴿وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ يستنقبهن أحياء؛ لقول بعض الكهنة له: «إِنْ مَوْلُودًا يُولَدُ فِي بَيْتِ إِسْرَائِيلَ يَكُونُ سَبَبَ زَوَالِ مَلِكِكَ» ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره.

[٥] ﴿وَزُرِّيذًا ثَمُنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوهُ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء<sup>(١)</sup>، يُقْتَدَى بهم في الخير ﴿وَجَعَلَهُمُ الثَّوَابِثِينَ﴾ ثلث فرعون.

(١) هذا قول كثير من المفسرين، وقيل بل هي للفضل، والمراد ثواب الله ورضوانه خير من عمل العبد وقوله وذكره. ذلك أن بعض المفسرين رجع أن المراد بالحسنة هنا يعم جميع الحسنات قولية أو فعلية أو قلبية، وهو هنا أقل الفضل، فقد بين - سبحانه - في سورة الأنعام أن له عشر أمثاله.

(٢) الأنعام: ١٦٠.

(٣) بالإضافة مع كسر الميم قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. ومع فتحها قراءة نافع، وقرأ الباقون منوناً وفتح الميم (فَرَحَ يَوْمَئِذٍ).

(٤) أي لا يقطع حشيشها الرطب.

(٥) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٦) راجع التعليق على الآية (٧٣) من سورة الأنبياء.

وألقته في بحر النيل ليلاً.

[٨] ﴿فَالْقَلْبَ يَوْمَ﴾ بالتأنيب صبيحة الليل ﴿ءَالِ﴾ أعوان ﴿فِرْعَوْنَ﴾ فوضعه بين يديه، وفتح وأخرج موسى منه وهو يصير من إلهامه ليلاً<sup>(١)</sup> ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ﴾ في عقبه الأمر ﴿عَذَابًا﴾ يقتل رجالهم ﴿وَحَزَنًا﴾ يستعبد نساءهم، وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: بضم الحاء وسكون الزاي لغتان في المصدر، وهو هنا بمعنى اسم الفاعل من حزنه كـ«أحزنه» ﴿إِنَّكَ فِرْعَوْنٌ وَهَنَّ﴾ وزيره ﴿وَيُؤَدُّهُمَا﴾ كانوا خطيبين من الخطيئة؛ أي: عاصين، فعوقبوا على يديه.

[٩] ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ وقد هم مع أعوانه بقتله هو: ﴿فُتِّرَتْ عَيْنَ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ فأطاعوها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بعاقبة أمرهم معه.

[١٠] ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ لما علمت بالنقطة ﴿فَرِيغًا﴾ مما سواه ﴿إِنَّ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف؛ أي: إنها ﴿كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ﴾ أي: بأنه ابنها ﴿وَلَوْلَا أَن رَّبَّنَا عَلَّاهُ﴾ بالصبر، أي: شككاه ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين بوعد الله، وجواب ﴿وَلَوْلَا﴾ دل عليه ما قبلها.

[١١] ﴿وَقَالَتِ لَأُخْبِتَنَّهُ﴾ مريم: ﴿فَقَصِيصًا﴾ اتبعي أثره حتى تعلمي خبره ﴿فَبَصَّرْتَهُ بِهِ﴾ أبصرته ﴿عَن جُثِيٍّ﴾ من مكان بعيد اختلافاً ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنها اختته وأنها ترقبه.

[١٢] ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل رده إلى أمه؛ أي: منقذاه من قبول ثدي مرضعة غير أمه؛ فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المحضرة له ﴿فَقَالَتْ﴾ أخته: ﴿هَلْ أَتَاكَ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ﴾ لما رأت حنوهم عليه ﴿بِكُفُلَيْنِ﴾ لكُم بالإرضاع وغيره ﴿وَهُمْ لَهُ نِصْحُونَ﴾ وفسرت ضمير: ﴿لَهُ﴾ بالملك، جواباً لهم<sup>(٣)</sup>، فأجبت فجاءت بأمه؛ فقبل ثديها، وأجابته عن قبوله بأنها طيبة الريح طيبة اللبن؛ فأذن لها في إرضاعه في بيتها؛ فرجعت به؛ كما قال - تعالى -: [١٣] ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أَبِيهِ﴾ كَي تَقَرَّ عَيْنُهَا بِلِقَائِهِ ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حينئذٍ ﴿وَلَتَسْلَمَنَّ﴾ وَعَدَ اللَّهُ بِرُودِهِ إِلَيْهَا ﴿حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بهذا الوعد، ولا بأن هذه أخته وهذه أمه، فمكث عندها إلى أن قطعت، وأجرت عليها أجرتها لكل يوم دينار، وأخذتها لأنها مال حربي، فأنت به فرعون فترى عنده كما قال - تعالى - حكاية عنه في سورة الشعراء: ﴿أَلَمْ تَرَ يَكُنْ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وَمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرِي فِرْعَوْنَ وَهَمَّنْ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿١٠﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَحْزَنِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١١﴾ فَالْقَلْبَ يَوْمَ ءَالُ فِرْعَوْنَ يَكُونُ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَّتْ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَطِيلِينَ ﴿١٢﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنَ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٣﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِيغًا إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ وَلَوْلَا أَن رَّبَّنَا عَلَّاهُ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَالَتِ لَأُخْبِتَنَّهُ فُقَصِيصًا فَبَصَّرْتَهُ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نِصْحُونَ ﴿١٦﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أَبِيهِ كَي تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾

[٦] ﴿وَمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر والشام ﴿وَنَرِي فِرْعَوْنَ وَهَمَّنْ وَجُنُودَهُمَا﴾ وفي قراءة<sup>(١)</sup>: ﴿وَنَرِي﴾ بفتح النحائية والراء ورفع الأسماء الثلاثة ﴿يَنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ يخافون من المولود الذي يذهب ملكهم على يديه.

[٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ وحي إلهام، أو: منام ﴿إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ وهو المولود المذكور، ولم يشعر بولادته غير أخته ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ البحر؛ أي: النيل ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ غرقه ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ لغرافه ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فأرضعته ثلاثة أشهر، لا يبكي، وخافت عليه؛ فوضعت في تابوت مطلي بالقار من داخل مهد له فيه، وأغلقت،

(١) حمزة والكسائي.

(٢) هذه التفصيلات لا فائدة من ذكرها، ولا دليل عليها؛ فالأولى أن يسان التفسير عنها.

(٣) حمزة والكسائي.

(٤) لا يمتنع أن يكون قولها: ﴿وَهُمْ لَهُ نِصْحُونَ﴾ أي لطف؛ فلا يقصرون في خدمته وتربيته. وصنيع المصنف بشر إلى ما جاء عن ابن عباس: أنها لما قالت ذلك أخذوها وشكروا في أمرها، وقالوا لها: وما يدريك نصيحهم له وشققهم عليه؟ فقالت: إنما أردت: وهم للملك ناصحون؛ فخلصت بذلك من الشر.

(٥) الشعراء: ١٨.

[١٤] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وهو: ثلاثون سنة، أو: ثلاث ﴿وَأَسْتَوَى﴾ أي: بلغ أربعين سنة<sup>(١)</sup> ﴿وَأَتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ حكمة ﴿وَعَلَّمَاهُ﴾ فقها في الدين قبل أن يبعث نبيًا<sup>(٢)</sup> ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿يَجْرِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم.

[١٥] ﴿وَرَدَّخُلَ﴾ موسى ﴿الْمَدِينَةَ﴾ مدينة فرعون؛ وهي: «منف» بعد أن غاب عنها مدة ﴿وَعَلَى بَيْنِ غَمْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ وقت القبلولة ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ﴾ أي: إسرائيلي ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ أي: قبطي يُسَخِّرُ الإِسْرَائِيلِي لِيَحْمِلَ حَطْبًا إِلَى مَطْبَخِ فِرْعَوْنَ ﴿فَاسْتَفْتَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ فقال له موسى: خَلْ سَبِيلَهُ. فقبل: إنه قال لموسى: «لقد هممت أن أحمله»<sup>(٣)</sup> عليك ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى﴾ أي: ضربه بجمع كفه، وكان شديدة القوة والبطش ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ قتله، ولم يكن قصد قتله<sup>(٤)</sup>، ودفنه في الرمل ﴿قَالَ هَذَا الَّذِي قَتَلْتَنِي﴾ من عمل الشيطان، المهيج غضبي ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ لِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ له ﴿مُتَيْبٌ﴾ يبين الإضلال.

[١٦] ﴿قَالَ﴾ نادما: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بقتله ﴿فَاعْفُ رِي فَعَفَّرَ لَهُ﴾ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. أي: المتصف بهما أرلا وأبدا.

[١٧] ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَتَمَمْتُ﴾ بحق إنعامك<sup>(٥)</sup> ﴿عَلَى﴾ بالمغفرة، اعصمني ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا﴾ عونًا ﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين بعد هذه، إن عصمتني.

[١٨] ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ ينتظر ما يناله من جهة القتل ﴿فَإِنَّمَا الَّذِي سَتَرَ لَهُ﴾ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ يستغيث به على قبطي آخر ﴿قَالَ لَمْ يَأْتِكُ لَكَ لَعُونٌ مُبِينٌ﴾ يبين الغواية لما فعلته الأمس واليوم.

[١٩] ﴿وَلَمَّا أَنْ زَادَتْ﴾ زائدة ﴿أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ موسى والمستغيث به ﴿قَالَ﴾ المستغيث ظانًا أنه يبطش به لما قال له: ﴿تَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِإِثْمَيْنِ﴾ إن: ما ﴿تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ فسمع القبطي ذلك؛ فعلم أن القاتل موسى؛ فانطلق إلى فرعون فأخبره بذلك؛ فأمر فرعون الدباحين بقتل موسى؛ فأخذوا في الطريق إليه.

[٢٠] ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ هو: مؤمن آل فرعون ﴿مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ آخرها ﴿يَسْعَى﴾ يسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم ﴿قَالَ يَمُوسَى إِنَّكَ

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَأَسْتَوَى، أَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعَلَّمَاهُ وَكَذَلِكَ يُجْرِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَمْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَفْتَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَتَمَمْتُ عَلَى فَلَئِنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوْنٌ مُبِينٌ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِإِثْمَيْنِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٢﴾

الْمَلَأَ من قوم فرعون ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ يتشاورون فيك ﴿لِيَقْتُلُوكَ﴾ فَاخْرُجْ من المدينة ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ في الأمر بالخروج.

[٢١] ﴿خَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ خَوْفٌ طَالِبٌ، أو غَوَتْ اللُّوْإِيَاهُ ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قوم فرعون.

(١) الأطهر أن يبع الأشد مع الاستواء إشارة إلى عمر واحد، لا عميرين كما ذهب إليه المفسر، وأما تحديده بعمر معين فالغالب أن يكون ذلك في نحو الأربعين، حيث كمال القوة واعتدال المراج، وهما بلوغ الأشد والاستواء.

(٢) وقيل: المراد بالعلم أو بالحكم والعلم النبوة، وهو الأطهر، وهو الذي يتناسب مع قوله: ﴿رَبِّ إِنَّمَا أَتَمَمْتُ عَلَى﴾ فقد فسرها. أي النعمة. هنا بالمغفرة، ولا علم لموسى الخطيئة بذلك إلا بالوحي. وأما ائقتل فوقع منه على سبيل الخطأ، وأما استغفاره فوجهه والله أعلم أن سبب خطئه الخطيئة هو شدة الغضب والتعجل في الانتقام، ولا يليق هذا بكانته كني، وقيل: وجه استغفاره أنه لم يكن لئبي أن يقتل حتى يؤمر.

(٣) أي الخطب.

(٤) أخرج مسلم في صحيحه (٢٩٠٥) من حديث ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وإن الفتنة تجي من هاهنا. وأومأ بيده نحو المشرق. من حيث يطلع قرنا الشيطان، وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض، وإنا قد قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ، فقال الله ﷻ له: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠].

(٥) قاله عنده للقس، واختار غيره أن المراد بسبب ما أنعمت به علي؛ فإياه حينئذ سببية.

وفي قراءة<sup>(٦)</sup>: ﴿يُضَيِّرُ﴾ من الرباعي؛ أي: يصرفون مواشيهم عن الماء ﴿وَأُولَئِكَ شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدر أن يسقي.

[٢٤] ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ من بئر أخرى بقربيهما، رَفَعَ حجراً عنها لا يرفعه إلا عشرة أنفس ﴿ثُمَّ تَوَلَّى﴾ انصرف ﴿إِلَى الظِّلِّ﴾ لِسُفْرَةٍ<sup>(٧)</sup> من شدة حر الشمس، وهو جامع ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ طعام ﴿فَوَيْلٌ﴾ محتاج؛ فرجعنا إلى أبيهما في زمن أقل مما كانت ترجعان فيه، فسألهما عن ذلك فأخبرتا به عن سقى لهما، فقال لإحداهما: «ادعيه لي»، قال - تعالى -: [٢٥] ﴿لَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ أي: واضعة كُفَّ دُزْغِهَا على وجهها حياة منه ﴿وَقَالَتْ إِنَّكَ أَنَّى يَدْعُوكَ لِجَعَلِكَ آخَرَ مَا سَكَيْتَ لَنَا﴾ فأجابها منكراً في نفسه أخذ الأجرة - كأنها قصدت المكافأة إن كان ممن يريداه - فمشى بين يديه، فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقها؛ فقال لها: امشي خلفي واديني على الطريق. ففعلت إلى أن جاء أباهما؛ وهو: شعيب - عليه السلام<sup>(٨)</sup> - وعنده عشاء، فقال: اجلس فتعش. قال:

أخاف أن يكون عوضاً مما سقيت لهما، وأنا أهل بيت لا نطلب على عمل خير عوضاً. قال: لا، عادي وعادة آبائي تُقْرَى الضيف وتُطْوَمُ الطعام. فأكل وأخبره بحاله<sup>(٩)</sup>، قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَوَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصُ﴾ مصدر بمعنى: المقصوص؛ من قُتِلَ القبطي، وقصدهم قُتْلُهُ، وخوفه من فرعون ﴿وَقَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ﴾ إذ لا سلطان لفرعون على مدين.

[٢٦] ﴿وَقَالَ إِحْدَاهُمَا﴾ وهي المرسلة الكبرى أو الصغرى: ﴿يَتَأْتِيَّ اسْتَنْجِرَةٌ﴾ اتخذها أجيروا برعى غنما بدلنا ﴿إِنَّكَ خَيْرٌ مَنِ اسْتَنْجَرْتَ الْقَوَى الْأَخْيَرِينَ﴾ أي: استأجره لقوته وأمانته، فسألها عنه، فأخبرته بما تقدم من رفعه حجر البئر، ومن قوله لها: «امشي خلفي»<sup>(١٠)</sup> وزيادة أنها لما جاءته وعلم بها صوب رأسه فلم يرفعه؛ فرغب في إنكاحه.

[٢٧] ﴿وَقَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ وهي الكبرى أو الصغرى ﴿وَعَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي﴾ تكون أجيروا لي في رعي غنمي ﴿تَمْشِي حِجَابٌ﴾ أي: سنين ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا﴾ أي: رعي عشر سنين ﴿فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ التمام ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عَلَيْكَ﴾ بأشراط العشر ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِلتَّيْمَنِ﴾ للتبرك<sup>(١١)</sup> ﴿وَبَرَكَاتٍ لِكُلِّ وَاقِنٍ﴾ الوافين بالعهد.

[٢٨] ﴿وَقَالَ﴾ موسى: ﴿ذَلِكَ﴾ الذي قتله ﴿يَبْنِي وَيَنْبُدُّ أَيْمًا الْأَجْلَيْنِ﴾ الثمان أو العشر، و«ما» زائدة؛ أي: رعيه ﴿فَقَضَيْتُ﴾ به؛ أي: فرغت منه ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ بطلب الزيادة عليه ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾ أنا وأنت ﴿وَكَيْلٌ﴾ حفيظ أو شهيد؛ فتم العقد بذلك، وأمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصاً يدفع بها السباع عن غنمه، وكانت عصي الأنبياء عنده، فوقع في يدها عصا آدم من آس الجنة، فأخذها موسى يعلم شعيب<sup>(١٢)</sup>.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ بِلِقَاءِ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا سَقَى حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأُتُوْنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ أَنَّى يَدْعُوكَ لِجَعَلِكَ آخَرَ مَا سَكَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَتَأْتِيَّ اسْتَنْجِرَةٌ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَنْجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي تَمْشِي حِجَابٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ فَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

[٢٢] ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾ قصد بوجهه ﴿بِلِقَاءِ مَدْيَنَ﴾ جهتها؛ وهي: قرية شعيب، مسيرة ثمانية أيام من مصر، سميت بـ«مدين بن إبراهيم»، ولم يكن يعرف طريقها ﴿فَقَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: قصد الطريق؛ أي: الطريق الوسط إليها؛ فأرسل الله ملكاً بيده عِزَّةٌ فانطلق به إليها<sup>(١٣)</sup>.

[٢٣] ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ بئر فيها أي: وصل إليها ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾ جماعة ﴿وَمِنْ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ﴾ سواهم ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تمنعان أغنامهما عن الماء ﴿قَالَ﴾ موسى لهما: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ ما شأنكما لا تسقيان؟ ﴿قَالَتَا لَا سَقَى حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ﴾ جمع راع؛ أي: يرجعون من سقيهم خوف الزحام فنسقي،

(١) وهذه لتفصيل لا دليل عليها ولا حاجة إليها، والغالب أنها من الإسرائيليات المنقولة عن أهل الكتاب، ونخبر إرسال الملك إلى موسى ﷺ ليدله على الطريق، رواه ابن جرير عن السدي الصغير وهو كذاب. (٢) والقراءة المذكورة أولاً لأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿يُضَيِّرُ﴾. (٣) وهي شجرة مرتفعة ليستظل بها.

(٤) في الجزء بأنه شعيب - عليه السلام. نظروا وقد اختلف أهل التفسير في ذلك على أقوال، والأرجح وما إلى به كثير كونه غيره؛ لأن شعيباً النبي كان قبل موسى بمدة طويلة تزيد على أربعمئة سنة. ثم يبعد أن يترك قوم المؤمنين به بذته يعملن ويسقين ولا يقوما عنهن بذلك، والله أعلم.

(٥) هذه التفاصيل ونحوها مما ذكره المفسر من كيفية سقي موسى - عليه السلام - لهما لا دليل عليها، وإنما يتساهل رحمه الله في الاعتماد على الإسرائيليات، وقد سبق التعليق على ذلك. (٦) روي هذا عن ابن عباس كما في مجمع الزوائد (٢٠٤/٨) وقال: «رواه الطبراني في الصغير والأوسط والبراز، وفي إسناد الطبراني عديد بن أبي عمران الجوني؛ ضعه ابن معين وغيره، ووقفه ابن حبان، وبقية رجال الطبراني ثقات». وأخرج نحوه الحاكم في مستدركه (٤٤١/٢) عن عمر بن الخطاب وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٧) قال المصنف ذلك بناء على اختياره أن الرجل الصالح هو شعيب النبي ﷺ؛ فيكون صلاحه محققاً. وسبق بيان الراجح في ذلك وأنه غيره. (٨) لا دليل على هذه التفاصيل، فالأولى الاقتصاد على ما أخبرنا الله - سبحانه - به. وسبق بيان أن أبا المراءين ليس شعيب النبي على الراجح.

[٢٩] ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾ أي: رعيه؛ وهو: ثمان أو عشر سنين، وهو المظنون ﴿وَسَارَ بِأَهْلِيهِ﴾ زوجته ياذن أيها نحو مصر ﴿وَأَنبَأَ﴾ أبصر من بعيد ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ اسم جبل ﴿كَأَنَّهُ قَالَ لِأَهْلِيهِ امْكُثُوا﴾ هنا ﴿إِنِّي كَأَنْتُ نَارًا لَعَلِّي مَآئِكُكُمْ مِنْهَا يَخْتَرُ﴾ عن الطريق، وكان قد أخطأها ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ بثلاث الجيم<sup>(١)</sup>؛ قطعة وشعلة ﴿مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفئون، والطاء بدل من تاء الافتعال، من صلي بالنار؛ بكسر اللام وفتحها.

[٣٠] ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُورٌ مِنْ شَطِئٍ﴾ جانب ﴿الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ لموسى ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ موسى لسماعه كلام الله فيها ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ بدل من: ﴿شَطِئٍ﴾ بإعادة الجار لبيانها فيه؛ وهي: شجرة غائب أو علق أو غوسج<sup>(٢)</sup> ﴿وَأَنْ﴾ مفسرة، لا مخففة ﴿يَمُوسَى﴾ إِيَّا أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

[٣١] ﴿وَأَنْ أَلْقَى عَصَاكَ﴾ فألقاها ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّمَا جَاءَ﴾ وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها ﴿وَلَنْ تُدْرِكَ﴾ هاربا منها ﴿وَلَنْ يُعْقِبَ﴾ أي: يرجع؛ فنودي: ﴿يَمُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾.

[٣٢] ﴿أَسْلَكَ﴾ أدخل ﴿يَدَكَ﴾ اليمنى؛ بمعنى: الكف ﴿فِي جَيْبِكَ﴾ هو طوق القميص، وأخرجها ﴿فَخَرَجَ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة<sup>(٣)</sup> ﴿يَبْصَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ أي: برص، فأدخلها وأخرجها تضيء كشعاع الشمس ثغثي<sup>(٤)</sup> البصر ﴿وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الْوَقْبِ﴾ بفتح الخرفين، وسكون الثاني مع فتح الأول وضمه<sup>(٥)</sup>؛ أي: الخوف الحاصل من إضاعة اليد؛ بأن تدخلها في جيبك؛ فتعود إلى حالتها الأولى، وتغير عنها بالجنح؛ لأنها للإنسان كالجنح للطائر ﴿فَذَانِكَ﴾ بالشديد والضعيف<sup>(٦)</sup>؛ أي: العصا واليد، وهما مؤنثان، وإنما ذكر المثنى به إليهما «المثدأ» لذكور خبره ﴿بِرَهْطَانِ﴾ مرسلان ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِيهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَذِئْبِينَ.

[٣٣] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ هو: القبطي السابق ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ به.

[٣٤] ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَلُ مِنِّي لِسَانًا﴾ أَتَيْنُ ﴿فَارْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ معينا، وفي قراءة<sup>(٧)</sup>: بفتح الدال بلا همزة ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ بالجرم:

﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ النَّاسُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِيهِ امْكُثُوا إِنِّي أَنَا نَارٌ لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا يَخْتَرُ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُورٌ مِنْ شَطِئٍ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّمَا جَاءَ وَلَنْ مُدْرِكًا وَلَمْ يُعْقِبْ يَمُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ فَخَرَجَ يَبْصَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بِرَهْطَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِيهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَلُ مِنِّي لِسَانًا فَارْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصُلُونَ إِلَيْكُمَا بِإِذْنِنَا أَنْتَا مِنَ التَّوَّابِينَ ﴿٣٥﴾

جواب الدعاء، وفي قراءة<sup>(٨)</sup>: بالرفع، وجملة صفة: ﴿رِدْءًا﴾ ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾.

[٣٥] ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ نقويك ﴿بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ غلبة ﴿فَلَا يَصُلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بسوء، اذهبوا ﴿بِإِذْنِنَا أَنْتَا مِنَ التَّوَّابِينَ﴾ أَلْفَلِيلُونَ ﴿لَهُمْ﴾.

(١) أي: بفتحها وضمها وكسرها، فقرأ بالضم حمزة، وقرأ عاصم بالفتح، وقرأ الباقون بالكسر.

(٢) وهذا لا دليل عليه، ولا فائدة في تعيينه.

(٣) الشمرة.

(٤) أي: يجعل بصر ناظرها ضعيفا لشدة ضوئها. وفي بعض النسخ: «ثغثي» بالمعجمة وهو تصحيف.

(٥) قرأ بفتح الراء والهاء نفع وابن كثير وأبو عمرو، وقرأ حفص بفتح الراء وإسكان الهاء، وقرأ الباقون بضم الراء وإسكان الهاء.

(٦) بتشديد اللون مع المد المشيع قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٧) أي: «رِدْءًا» لنافع.

(٨) والقراءة المذكورة أولا بسكون القاف للسبعة عدا عاصم وحمزة.

﴿ءَابَايَا الْأَوَّلِينَ﴾.

[٣٧] ﴿وَقَالَ﴾ بواو وبدونها<sup>(١)</sup> ﴿مُوسَى رَبِّیْ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ﴾ الضمير للرب ﴿وَمَنْ﴾ عطف على «من» قبلها ﴿تَكُونُ﴾ بالقوافية والتحتانية<sup>(٢)</sup> ﴿لَمْ عَقِبَهُ الدَّارُ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة؛ أي: هو أنا في الشقين؛ فأنا محق فيما جئت به ﴿إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون.

[٣٨] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتْلُو آيَاتَهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَكُنْ عَلَى الظِّلِينِ﴾ فاطبع لي الآجر ﴿فَأَجْعَلْ لِّي صَرْحًا﴾ قصرًا عاليًا ﴿أَلَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ أنظر إليه وأقف عليه ﴿وَرَأَى لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ في ادعائه إليها آخر وأنه رسوله.

[٣٩] ﴿وَأَسْتَكَرَ مَوْجُودُهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمُ الْإِنْسَانُ لَا يُرْجَعُونَ﴾ فآخذته وجُودُهُ فنبذتهم في آية فأنظر كيف كان عَقِبَهُ الظَّالِمِينَ<sup>(٣)</sup>.

[٤٠] ﴿فَأَعَدَّتْهُ وَجُودُهُ فَسَبَّحَهُمْ﴾ طرْحَاهُمْ ﴿فِي الْبَرِّ﴾ البحر المالح؛ فغرقوا ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ حين صاروا إلى الهلاك.

[٤١] ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الدُّنْيَا آيَةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء<sup>(٤)</sup>؛ رؤساء في الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ بدعائهم إلى الشرك ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يَنْصُرُونَ﴾ يدفع العذاب عنهم.

[٤٢] ﴿وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ خزيًا ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ المبعدين.

[٤٣] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ قوم نوح وعاد وحمود وغيرهم ﴿بَصَايِرَ لِلنَّاسِ﴾ حال من ﴿الْكِتَابِ﴾ جمع بصيرة؛ وهي: نور القلب؛ أي: أنوارًا للقلوب ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة لمن عمل به ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون بما فيه من المواعظ.

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَايَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٧﴾  
وَقَالَ مُوسَى رَبِّیْ أَأَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٨﴾  
وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتْلُو آيَاتَهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَكُنْ عَلَى الظِّلِينِ فَأَجْعَلْ لِّي صَرْحًا لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾  
وَأَسْتَكَرَ مَوْجُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمُ الْإِنْسَانُ لَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذْتَهُ وَجُودُهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾  
وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يَنْصُرُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَايِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾

[٣٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات، حال ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ مخلق ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ كائنًا ﴿فِي﴾ أيام

(١) بدونها قراءة ابن كثير.

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) بالياء للفاعل قراءة نفع وحمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بالياء للمفعول.

(٤) راجع التعليل على الآية (٧٣) من سورة الأنبياء.



[٤٤] ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْجَبَلِ أَوْ الْوَادِي أَوْ الْمَكَانِ الْغَرِيِّ﴾ من موسى حين المناجاة ﴿إِذْ قَضَيْنَا أَوْحِينَا إِلَيْ مُوسَى الْآثَرَ﴾ بالرسالة إلى فرعون وقومه ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ لذلك فعلمه فتخبر به.

[٤٥] ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا﴾ أما من بعد موسى ﴿فَنَقَطَ أَوَّلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرَ﴾ طالت أعمارهم؛ فسوا اليهود، واندurst العلوم، وانقطع الوحي؛ فجئنا بك رسولاً، وأوحينا إليك خبر موسى وغيره ﴿وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا﴾ مقيماً ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ خبر ثان، فتعرف قصتهم فتخبر بها.

﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ لك وإليك<sup>(١)</sup> بأخبار المتقدمين.

[٤٦] ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ الْجَبَلِ إِذْ﴾ حين ﴿نَادَيْنَا مُوسَى أَنْ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَلَكِنْ﴾ أرسلناك ﴿رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ وهم أهل مكة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون. [٤٧] ﴿وَلَوْلَا أَنْ نُصِيبَهُمْ مُصِيبَةً﴾ عقوبة ﴿يَمَّا فَدَمْتِ أَيْدِيَهُمْ﴾ من الكفر وغيره ﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا هَٰذَا﴾ هَلَّا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتِجَّعَ﴾ المرسل بها ﴿وَنَكُونَ مِنَ الْخَائِبِينَ﴾ وجواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوف وما بعده مبتدأ؛ والمعنى: لولا الإصابة المسببة عنها قولهم، أو لولا قولهم المسبب عنها، لعاجلناهم بالعقوبة، ولما أرسلناك إليهم رسولاً.

[٤٨] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ محمد ﴿مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا هَٰذَا﴾ هَلَّا ﴿أَوْفَىٰ مِثْلَ مَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ﴾ من الآيات؛ كاليد البيضاء والعصا وغيرهما، أو الكتاب جملة واحدة، قال - تعالى -: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ حيث ﴿قَالُوا﴾ فيه وفي محمد: ﴿سَاجِرَانِ﴾<sup>(٢)</sup>، وفي قراءة: ﴿سِخْرَانِ﴾ أي: القرآن والقرارة ﴿تَظْهَرَا﴾ تعاونا ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ﴾ من النَّبِيِّينَ وَالْكِتَابِينَ ﴿كَافِرُونَ﴾.

[٤٩] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿فَاتَّوُوا بِكِتَابِ رَبِّكَ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا﴾ من الكتابين ﴿أَتَتَهُ﴾ إن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿فِي قَوْلِكُمْ﴾.

[٥٠] ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ دعاءك بالإيمان بكتاب ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ٤٤ وَلَا كُنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ٤٥ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٤٦ وَلَوْلَا أَنْ نُصِيبَهُمْ مُصِيبَةً يَمَّا فَدَمْتِ أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتِجَّعَ ٤٧ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ ٤٨ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْفَىٰ مِثْلَ مَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِخْرَانِ تَظْهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَفُورٍ ٤٩ قُلْ قَاتِلُوا بِكِتَابِ رَبِّكَ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَتَهُ ٥٠ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٥١ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَعْدَ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٥٢

يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴿فِي كَفْرِهِمْ﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَعْدَ هُدًى مِنْ اللَّهِ ﴿أَي: لَا أَضَلُّ مِنْهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿الكَافِرِينَ﴾.

(١) أي: أرسلناك رسولاً، وأرسلنا إليك بأخبارهم.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقراءة السبعة: ﴿سِخْرَانِ﴾.

أيضاً، نزلت في جماعة أسلموا من اليهود؛ كعبد الله بن سلام وغيره<sup>(١)</sup>، ومن النصارى قدموا من الحبشة<sup>(٢)</sup> ومن الشام.

[٥٣] ﴿وَإِذَا بَلَغَ لَيْسَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ﴾ قالوا: آمناً بيه، إنه الحق من ربنا، إنا كنا من قبله مسلمين. موحدون.

[٥٤] ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ بإيمانهم بالكناين<sup>(٣)</sup> ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ بصبرهم على العمل بهما ﴿وَيَذَرُونَ﴾ يدفعون ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ منهم ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يتصدقون.

[٥٥] ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ الشتم والأذى من الكفار ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ وقالوا: لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، سلم عليكم. سلام مباركة؛ أي: سلمتم منا من الشتم وغيره ﴿لَا يَنْتَعِي الْجَاهِلِينَ﴾ لا نصحبهم.

[٥٦] ﴿وَنَزَلَ فِي حَرْصِهِ﴾ على إيمان عمه أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هدايته ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ وهو أعلم بالمهمتين<sup>(٤)</sup> ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ يَتَّبِعُونَ﴾ قالوا: إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا، أولئك نمكّن لهم حرماء، آمناء، نجبي، بالفوقانية والنحنانية<sup>(٥)</sup> ﴿إِلَيْهِ نُمِرْتُ كُلِّ مَثْوٍ﴾ من كل أوب ﴿وَرِزْقًا﴾ لهم ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ عندنا ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَسْمُونَ﴾ أن ما نقوله حق.

[٥٧] ﴿وَقَالُوا﴾ قومه: ﴿إِنْ نَتَّبِعِ الْهْدَىٰ مَعَكَ نَخْطِفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ ننتزع منها بسرعة، قال - تعالى -: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ يأمنون فيه من الإغارة والقتل الواقعين من بعض العرب على بعض ﴿[نَجْبِي]﴾ بالفوقانية والنحنانية<sup>(٦)</sup> ﴿إِلَيْهِ نُمِرْتُ كُلِّ مَثْوٍ﴾ من كل أوب ﴿وَرِزْقًا﴾ لهم ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ عندنا ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَسْمُونَ﴾ أن ما نقوله حق.

[٥٨] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِثْلَهُ بَطَرَتْ مَوِصَّتُهُمَا﴾ عيشها، وأريد بالقرية: أهلها ﴿فَبِئْسَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ يَنْصَرِفُوا مِنْ بَيْتِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ للمارة يوماً أو بعضه ﴿وَكُنَّا عَنْ الْوَرِثَةِ﴾ منهم.

[٥٩] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ﴾ بظلم منها ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ﴾ أي: أعظمها ﴿رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون. بتكذيب الرسل.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَوَدَرُوا بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَّمُوا عَلَيْكُمْ لَأَنْتُمْ بِنِعْمَةِ الْجَاهِلِينَ﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهْدَىٰ مَعَكَ نَخْطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِثْلَهُ بَطَرَتْ مَوِصَّتُهُمَا فَبِئْسَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ يَنْصَرِفُوا مِنْ بَيْتِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا عَنْ الْوَرِثَةِ وَمَا كَانَتْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾

[٥١] ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا﴾ بَيْنَا ﴿لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ الْقُرْآنَ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

يتعظون فيؤمنون.

[٥٢] ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن ﴿هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾

(١) ما جاء في نزول الآية (٥٦): أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعمري: «قل لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة» قال: لولا أن تعبرني قريش، يقولون: إنما حملة على ذلك الجرح، لأفرت بها عنك، فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٩). وأخرج البخاري نحوه عن المسيب بن خزن. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة القصص (٢٨) باب (١).

(٢) أخرج ذلك الطبري في جامعه (٥٦/٢٠، ٥٧) عن قتادة، وهو مرسى ضعيف. وأخرج الطبري أيضاً في جامعه (٥٦/٢٠)، والطبراني في الكبير (٥٣/٥) رقم (٤٥٦٤، ٤٥٦٥)، وغيرهما عن رفاعه القرظي رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية في عشرة... أنا أحدهم... قال الهيثمي في الجمع (٨٨/٧): «رواه الطبراني بإسنادين؛ أحدهما متصل، ووجهه ثقافت... وعزه السيوطي أيضاً في الدر المنثور (٤٢٢/٦) لابن أبي شيبة وابن المنذر وغيرهما وقال: «بسنيد جيدة. وصححه في الاستيعاب (٢٨/٣)».

(٣) أخرج نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩٩٢/٩) عن سعيد بن جبير، وهو ضعيف مرسل، كما في الاستيعاب (٣٥/٣).

(٤) أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجورهم مرتين: رجل من أهل الكتاب؛ آمن بنيه، وأدرك النبي فآمن به، واتبعه، وصدقه؛ فله أجران... الحديث. البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤) واللفظ له.

(٥) بالناء فرأية نافع.



سماع تفهم فترجعون عن الإشراك؟

[٧٢] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرِ اللَّهِ يُبَاتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾<sup>(١)</sup> تستريحون ﴿وَبَيِّنْ﴾ من التعب ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾ ما أنتم عليه من الخطأ في الإشراك فترجعون عنه؟

[٧٣] ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ﴾ - تعالى - ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ في النهار للكسب ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النعمة فيها.

[٧٤] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُبَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ذكر ثانياً لئلا يظن عليه:

[٧٥] ﴿وَنَزَعْنَا﴾ أخرجنا ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو نبيهم يشهد عليهم بما قالوا ﴿فَقُلْنَا﴾ لهم: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ عسى ما قلتم من الإشراك ﴿فَقُلُوا أِنْ الْحَقُّ فِي الْإِلَهِيَّةِ لِلَّهِ﴾ لا يشاركه فيه أحد ﴿وَصَلِّ﴾ غاب ﴿عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ في الدنيا من أن معه شريكاً، تعالى عن ذلك.

[٧٦] ﴿إِنْ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ ابن عمه، وابن خالته<sup>(١)</sup> وأمن به ﴿فَبَيَّنَّا عَلَيْهِمْ﴾ بالكثير والعلو وكثرة المال ﴿وَأَيُّنَهُ مِنَ الْكُفْرِ مَا إِنَّ مَفَاحِمَهُ لَسَوَاءٌ﴾ تنقل ﴿بِالْعُصْبَةِ﴾ الجماعة ﴿أُولَى﴾ أصحاب ﴿الْقُوَّةِ﴾ أي: تنقلهم، فالباء للتعدية، وعدتهم قيل: سبعون. وقيل: أربعون. وقيل: عشرة. وقيل: غير ذلك.

اذكر ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ المؤمنون من بني إسرائيل: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ بكثرة المال فَرَحَ بَطَرٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ بذلك.

[٧٧] ﴿وَأَنبَغْ﴾ اطلب ﴿فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾ من المال ﴿الَّذَارَ الْآخِرَةَ﴾ بأن تنفقه في طاعة الله ﴿وَلَا تَنسَ﴾ ترك ﴿تَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي: أن تعمل فيها للآخرة ﴿وَأَحْسِنْ﴾ للناس بالصدقة ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ﴾ تطلب ﴿الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ بعمير المعاصي ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ بمعنى: أنه يعاقبهم<sup>(٢)</sup>.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ آيِلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يُبَاتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يُبَاتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تَبْصُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ آيِلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٤﴾ وَيَوْمَ يُبَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٦﴾ إِنْ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَيَّنَّا عَلَيْهِمْ وَعَآيِنَهُ مِنَ الْكُفْرِ مَا إِنَّ مَفَاحِمَهُ لَسَوَاءٌ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٧﴾ وَأَبْنَعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٨﴾

[٧٨] ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أي: أخبروني ﴿إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ آيِلَ سَرْمَدًا﴾ دائماً ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ﴾ بزعمةكم ﴿يُبَاتِيكُمْ بِضِيَاءٍ﴾ نهار تطلبون فيه المعيشة ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ذلك

(١) حكى ابن جرير الإجماع على أنه كان من بني إسرائيل، واختلف في جهة قرابته من موسى عليه السلام فقال ابن عباس وجماعة: كان ابن عمه، وقال ابن جرير: وأكبر أهل العلم على أنه كان ابن عمه، والله أعلم. وروى عن ابن عباس أيضاً أنه ابن خالته، والمشهور عنه الأول.

(٢) وهذا تأويل لصفة الحجة وانتقالها ببعض لوازمها، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة وغيرها مما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل.

[٧٨] ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُمْ أَيْ: الْمَالُ ﴿عَلَىٰ عِدَّتِي﴾ أَيْ: فِي مَقَابِلَتِهِ، وَكَانَ أَعْلَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالتَّوْرَةِ بَعْدَ مُوسَىٰ وَهَارُونَ، قَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ الْأُمَمَ﴾ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴿لِلْمَالِ، أَيْ: هُوَ عَالِمٌ بِذَلِكَ، وَيَهْلِكُهُمُ اللَّهُ﴾ وَلَا يُسْتَلْ عَنْ دُؤْبِهِمُ الْمُتَجَرِّمُونَ ﴿لِعَلِّمِهِ - تَعَالَىٰ - بِهِمْ، فَيَدْخُلُونَ النَّارَ بِلا حِسَابٍ.

[٧٩] ﴿فَخَرَجَ﴾ قَارُونَ ﴿عَلَىٰ قَوْمِيهِ فِي زِينَتِهِ﴾، بِاتِّبَاعِهِ الْكَثِيرِينَ رُكْبَانًا مُتَخَلِّينَ بِمَلَابِسِ الذَّهَبِ وَالْحَرِيرِ عَلَىٰ خِيُولٍ وَبَعَالٍ مَتَحْلِيَةٍ ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا﴾ لِلنَّبِيِّ ﴿لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿إِنَّمَا لَهُمْ لُذُو حَظٍّ﴾ نَصِيبٌ ﴿عَظِيمٌ﴾ وَافٍ فِيهَا.

[٨٠] ﴿وَقَالَ لَهُمْ﴾ الَّذِينَ أُوتُوا أَلْفَيْهِ ﴿مَا وَعَدَ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ: ﴿وَيَلْعَنُكُمْ﴾ كَلِمَةُ زَجَرٍ ﴿فَوَابَّ اللَّهُ﴾ فِي الْآخِرَةِ بِالْجَنَّةِ ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ مَا أُوتِيَ قَارُونَ فِي الدُّنْيَا ﴿وَلَا يُلْقِيهَا﴾ أَيْ: الْجَنَّةُ الْمُنَابَّ بِهَا ﴿إِلَّا الَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾ عَلَى الطَّاعَةِ وَعَنِ الْمُعَصِيَةِ.

[٨١] ﴿فَنَسَفْنَا بِهِ﴾ بِقَارُونَ ﴿وَيَدَارِيهِ الْأَرْضُ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَيْ: غَيْرِهِ بِأَنْ يَمْنَعُوا عَنْهُ الْهَلَاكَ ﴿وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُتَصِفِينَ مِنْهُ.

[٨٢] ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾ أَيْ: مِنْ قَرِيبٍ ﴿يَقُولُونَ وَيَكُنَّا اللَّهُ يَبْسُطُ يَوْسَعَ﴾ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ﴿يَضِيقُ عَلَى مَا يَشَاءُ، وَ«وَي» اسْمُ فِعْلٍ، بِمَعْنَى: أَعْجَبَ؛ أَيْ: أَنَا، وَ«الْكَافُ» بِمَعْنَى الْإِلَامِ﴾ ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ ﴿وَيَكَاذِبُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ لِنِعْمَةِ اللَّهِ، كَقَارُونَ.

[٨٣] ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ أَيْ: الْجَنَّةُ ﴿يَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ بِالْبَغْيِ ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ بِعَمَلِ الْمَعَاصِي ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ الْحَمْدَةُ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ عِقَابُ اللَّهِ بِعَمَلِ الطَّاعَاتِ.

[٨٤] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُمْ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ ثَوَابٌ بِسَبَبِهَا؛ وَهُوَ: عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا﴾ جَزَاءُ ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أَيْ: مِثْلُهُ.

(١) وهذا أحد مذاهب خمسة في معنى كلمة «ويكأن» والوقف فيها.

(٢) بالبناء للمفعول قراءة السبعة عدا عاصم.

أَلْقَى إِلَيْكَ ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾ مُعِينًا ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ عَلَى دِينِهِمُ الَّذِي دَعَوْكَ إِلَيْهِ.

[٨٧] ﴿وَلَا يَصُدُّكَ﴾ أَصْلُهُ: يَصُدُّكَ؛ حذفت نون الرفع للجازم، والواو الفاعل؛ لانتقالها مع النون الساكنة ﴿عَنْ مَا كُنْتَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ أَي: لَا تَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ ﴿وَأَذِّنْ﴾ النَّاسَ ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ بِتَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ بِإِعَانَتِهِمْ، وَلَمْ يُؤْزَرْ الْجَازِمُ فِي الْفِعْلِ لِإِنِّهِ.

[٨٨] ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ تَغْيِثُ ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ إِلَّا إِيَّاهُ <sup>(٣)</sup> ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ الْقَضَاءُ النَّافِذُ ﴿وَالْيَوْمَ تَرْتَعُونَ﴾ بِالْشُّعُورِ مِنْ قُبُورِكُمْ.

### سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

[مكية وهي: تسع وستون آية، نزلت بعد الروم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الَّذِينَ﴾ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَرَادٍ بِذَلِكَ. [٢] ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا﴾ أَي: يَقُولُهُمْ: ﴿ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ يَخْتَبِرُونَ بِمَا يَبِينُ بِهِ حَقِيقَةُ إِيمَانِهِمْ؟ نَزَلَ فِي جَمَاعَةٍ آمَنُوا فَأَذَاهُمُ الْمُشْرِكُونَ <sup>(٤)</sup>.

[٣] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ فِي إِيمَانِهِمْ عِلْمَ مُشَاهَدَةٍ ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ﴾ فِيهِ.

[٤] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الشَّرْكَ وَالْمَعَاصِيَ ﴿أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ يَفُوتُونَا فَلَا نَنْتَقِمُ مِنْهُمْ؟ ﴿سَاءَ﴾ بِسْ ﴿مَا﴾ الَّذِي يَصْنَعُونَ مُ حَكْمُهُمْ هَذَا.

[٥] ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا﴾ يَخَافُ ﴿لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ بِهِ ﴿لَا تَأْتِي﴾ فَلَيْسَتْ لَهُ ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لِأَقْوَالِ الْعِبَادِ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِأَفْعَالِهِمْ.

[٦] ﴿وَمَنْ جَاهَدَ﴾ جِهَادَ حَرْبٍ أَوْ نَفْسٍ ﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ فَإِنْ مَنَعَهُ جِهَادُهُ لَا لِلَّهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ، وَعَنْ عِبَادَتِهِمْ.

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بِعَدَا إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَأَذِّنْ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٥٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٨﴾

### سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْعَنْكَبُوتِ ﴿٥٨﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٥٩﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ ﴿٦٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٦١﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٢﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦٣﴾

[٨٥] ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أَنْزَلَهُ ﴿لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ إِلَى مَكَّةَ <sup>(١)</sup>، وَكَانَ قَدْ اسْتَفَاهَا <sup>(٢)</sup> ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ نَزَلَ جَوَابًا لِقَوْلِ كُفَّارِ مَكَّةَ لَهُ: إِنَّكَ فِي ضَلَالٍ. أَي: فَهُوَ الْجَانِي بِالْهُدَى، وَهُمْ فِي ضَلَالٍ، وَ﴿أَعْلَمُ﴾ بِمَعْنَى: عَالِمٌ.

[٨٦] ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ الْقُرْآنُ ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ

(١) وهو قول كثير من المفسرين، واختار ابن كثير وغيره أن المراد بالمعاد يوم القيامة. قال: فسأله عما استرعا من أعباء النبوة. كما قال - تعالى -: ﴿فَلْيَسِّرْ لِلْيَسَارِ أُزِيلَ إِلَيْهِمْ وَلْيَسِّرْ لِلْيَسَارِ﴾ [الأعراف: ٦٦]، وقال: ﴿يَوْمَ يَجْعَلُ اللَّهُ أُولَئِكَ لَمْ تَكُنْ أُولَئِكَ﴾ [المائدة: ١٠٩]. وهذا أقرب، والله أعلم.

(٢) يشير إلى ما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٤٥/٦) عن الضحاك، وعزاه لابن أبي حاتم. وضعفه جدًا في الاستيعاب (٤٠/٣).

(٣) وهذا تأويل لصفة الوجه التي أثبتها ربنا ﷻ لنفسه، وهي من الصفات الحقيقية التي نشأتها له - سبحانه - على الوجه اللائق به، ولا شك أن الوجه يستلزم الذات. ولكن لا يجوز إرادة اللزوم ونفي اللزوم؛ بل يجب إثباتها معًا.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٨٣/٢٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره عن الشعبي، وهو مرسل ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (٤٢٠/٣).

[٧] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ بِعَمَلِ الصَّالِحَاتِ ﴿٧﴾ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ﴾ بمعنى: حسن، ونصبه بنزع الحافظ: الباء ﴿الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهو الصالحات.

[٨] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ هُتَاتٍ﴾ أي: إيصاء ذا حسن؛ بأن يبرَّهُمَا، ﴿وَأَن جَهَنَّاكَ يَشْتَرِكَ بِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: يشاركه ﴿عِلْمٌ﴾ موافقة للواقع، فلا مفهوم له ﴿فَلَا تُطْعَمُهُمَا﴾ في الإشراف ﴿إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فأجازيكم به.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ الأنبياء والأولياء؛ بأن نحشرهم معهم.

[١٠] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ أي: أذاهم له ﴿كَذَّابٌ لِلَّهِ﴾ في الخوف منه؛ فيطيعهم فيناق ﴿وَلَيْنَ﴾ لام قسم ﴿جَاءَ نَصْرٌ﴾ للمؤمنين ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ فغنموا ﴿يَقُولُونَ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع للقاء السالكين: ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ في الإيمان؛ فأشركونا في الغنيمة، قال - تعالى -: ﴿أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾ أي: بعالم ﴿بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ بقلوبهم من الإيمان والنفاق؟ بلى.

[١١] ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بقلوبهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ فيجازي الفريقين، واللام في الفعلين لام قسم.

[١٢] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ ديننا ﴿وَلْنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ﴾ في اتباعنا إن كانت، والأمر بمعنى الخير<sup>(١)</sup>، قال - تعالى -: ﴿وَمَا هُمْ بِحَمِيلِينَ مِّنْ خَطِيئَتِهِمْ مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في ذلك.

[١٣] ﴿وَلَنَحْمِلَ أَنْفُسَهُمْ﴾ أوزارهم ﴿وَأَنفَالًا مَّعَ أَنْفَالِهِمْ﴾ بقولهم للمؤمنين: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ وإضلالهم مقلديهم ﴿وَلَنَسْتَلْزِمَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ يكذبون على الله، سؤال توبيخ، واللام في الفعلين<sup>(٢)</sup> لام قسم، ونحذف فاعلها: الواو ونون الرفع.

[١٤] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ وعمره أربعون سنة أو أكثر ﴿فَلْيَتَّخِذْ

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ هُتَاتٍ وَإِن جَهَنَّاكَ يَشْتَرِكَ بِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعَمُهُمَا إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَذَّابٌ لِلَّهِ وَلَيْنَ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَمِيلِينَ مِّنْ خَطِيئَتِهِمْ مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَنَحْمِلَ أَنْفَالَهُمْ وَأَنفَالًا مَّعَ أَنْفَالِهِمْ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلْيَتَّخِذْ فِيهِمْ أَلْفَ مَسْنَةٍ إِلَى الْآخِرِينَ أَمَا فَآخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

فِيهِمْ أَلْفَ مَسْنَةٍ إِلَّا خَمِيرَكَ عَامًا، يدعوههم إلى توحيد الله؛ فكذبوا ﴿فَآخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ أي: الماء الكثير، طاف بهم وعلاهم؛ فغرقوا ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ مشركون.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨): أخرجه الترمذي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: نزلت في أربع آيات... فذكر قصة - وقالت أم سعد: أليس قد أمر الله بالبر؟ والله لا أطعم طعاماً، ولا أشرب شراباً حتى أموت أو تكفر. فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا [أي: نضجوا] فها، فنزلت هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ هُتَاتٍ وَإِن جَهَنَّاكَ يَشْتَرِكَ بِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعَمُهُمَا﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٠).

والحديث أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٤٨) لكن لفظ الآية عنده أقرب إلى آية لقمان (١٥٠٤)، وهو الأقرب في قصة أم سعد؛ حيث إن نزول سورة لقمان كان قبل نزول سورة العنكبوت بكثير، ولو كانت آية العنكبوت قد نزلت ساعة وقعة سعد مع أمه لقرأ عليها آية لقمان، ولم يكن له كبير مزية في نزول آية العنكبوت فيه؛ إلا أن يقال: إن كلتا الآيتين نزلت في قصته مع أمه، وهو بعيد، والله أعلم.

(١) أي: منكم الاتباع، وعلينا حمل خطاياكم.

(٢) أي: في ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ﴾، و﴿لَيَسْأَلُنَّ﴾.

[١٦] ﴿وَإِذْ ذَكَرَ ﴿١٦﴾ إِبراهيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ﴿١٦﴾ خافوا عقابه ﴿١٦﴾ ذَلِكُمْ حَبْرٌ لَكُمْ ﴿١٦﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ﴿١٦﴾ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ الخير من غيره.

[١٧] ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَيْ: غيره ﴿١٧﴾ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴿١٧﴾ يَقُولُونَ كَذِبًا ﴿١٧﴾ إِنْ الْأَوْثَانُ شُرَكَاءُ لِلَّهِ ﴿١٧﴾ إِنْكَ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ﴿١٧﴾ لَا يقدرون أَنْ يرزقوكم ﴿١٧﴾ فَأَتَيْنُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴿١٧﴾ اطلبوه منه ﴿١٧﴾ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾. [١٨] ﴿وَإِنْ تَكْذِبُوا ﴿١٨﴾ أَيْ: تكذبوني يا أهل مكة ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ﴿١٨﴾ مَن قَبْلِي ﴿١٨﴾ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبِغُ أَلْمِيَّتِ ﴿١٨﴾ إِلَّا الْبَلَاغُ الْبَيِّنُ، فِي هَاتَيْنِ الْقَصَتَيْنِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

[١٩] ﴿وَقَالَ - تَعَالَى - فِي قَوْمِهِ: ﴿١٩﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴿١٩﴾ بِالْبَاءِ وَالنَّوْءِ ﴿١٩﴾ يَنْظُرُوا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ﴿١٩﴾ هُوَ بَضْمُ أَوَّلِهِ، وَقُرِئَ بِفَتْحِهِ ﴿١٩﴾؛ مَن بَدَأَ وَأَبْدَأَ؛ بِمَعْنَى: أَي يَخْلُقُهُمْ ابْتِدَاءً ﴿١٩﴾ ثُمَّ هُوَ يُعِيدُهُ ﴿١٩﴾ أَيْ: الْخَلْقَ كَمَا بَدَأَهُمْ ﴿١٩﴾ إِنَّ ذَلِكَ ﴿١٩﴾ الْمَذْكُورُ مِنَ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي ﴿١٩﴾ عَلَى اللَّهِ يُسِيرُ ﴿١٩﴾ فَكَيْفَ يَنْكُرُونَ الثَّانِي؟

[٢٠] ﴿فَلْيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴿٢٠﴾ لِمَن كَانَ قَبْلَكُمْ وَأَمَاتَهُمْ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ﴿٢٠﴾ مَذًا، وَقَصُرًا مَعَ سَكُونِ الشَّيْءِ ﴿٢٠﴾ إِنْكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ وَمِنَ الْبَدءِ وَالْإِعَادَةِ. [٢١] ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴿٢١﴾ تَعْدِيهِ ﴿٢١﴾ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ﴿٢١﴾ وَرَحْمَتُهُ ﴿٢١﴾ وَإِلَيْهِ تُقْبَلُونَ ﴿٢١﴾ تَرُدُونَ.

[٢٢] ﴿وَمَا أَنشَأَ يُمْسِعِينَ ﴿٢٢﴾ رَبِّكُمْ عَنْ إِدْرَاكِكُمْ ﴿٢٢﴾ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٢﴾ لَوْ كُنْتُمْ فِيهَا أَيْ: لَا تَفُوتُونَهُ ﴿٢٢﴾ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَيْ: غَيْرِهِ ﴿٢٢﴾ مَن وَلَّى ﴿٢٢﴾ يَمْنَعُكُمْ مِنْهُ ﴿٢٢﴾ وَلَا نَصِيرَ ﴿٢٢﴾ يَنْصَرِكُمْ مِنْ عَذَابِهِ.

[٢٣] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِبَيْتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ ﴿٢٣﴾ أَيْ: الْقُرْآنِ وَالْبَعْثِ ﴿٢٣﴾ أُولَئِكَ يَسْأَلُونَ مِمَّن رَحِمْتِ ﴿٢٣﴾ أَيْ: جَنَّتِي ﴿٢٣﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ مُؤْلِمٌ.

فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّيْفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَاتَّقُوا اللَّهَ عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبِغُ أَلْمِيَّتِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْبَلُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَسْأَلُونَ مِمَّن رَحِمْتِ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

[١٥] ﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾ أَيْ: نُوْحًا ﴿١٥﴾ وَأَصْحَبَ السَّيْفِينَةَ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ فِيهَا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً ﴿١٥﴾ عِبْرَةً ﴿١٥﴾ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ لِمَن بَعْدَهُمْ مِنَ النَّاسِ إِنْ عَصَوْا رَسُولَهُمْ، وَعَاشَ نُوْحٌ بَعْدَ الطُّوفَانِ سِتِينَ سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ ﴿١٥﴾ حَتَّى كَثُرَ النَّاسُ.

(١) إثبات هذا يحتاج إلى دليل صحيح.

(٢) وقال عكرمة وقتادة والحسن: تخونها أصنامًا. واختاره ابن جرير.

(٣) وقيل: هذا من قول إبراهيم عليه السلام.

(٤) بالناء قراءة حمزة والكسائي.

(٥) أي: شذوذاً.

(٦) بالناء قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٧) وهذا تأويل لصفة الرحمة بأحد نوازمها. ومذهب السلف إثباتها له - شيخانته - على الوجه اللائق به كما سبق مراراً.



فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ  
فَأَجَبَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾  
وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ  
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ  
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ  
وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَتَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ  
إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾  
وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ  
النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَآتَيْنَاهُ  
فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ  
إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ  
مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَتُنْكِرُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ  
السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ  
قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ  
الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ في استقباح ذلك، وأن العذاب نازل بفاعليه.

﴿٣٠﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِتَحْقِيقِ قَوْلِي فِي إِزَالِ الْعَذَابِ ﴿٣٠﴾ عَلَى الْقَوْمِ  
الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ العاصين بإتيان الرجال؛ فاستجاب الله دعاه.

[٢٤] قال - تعالى - في قصة إبراهيم الخليل: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ  
إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَجَبَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ التي قَذَفُوهُ فيها؛ بأن  
جعلها عليه بَرْدًا وسلامًا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: إجماعه منه ﴿لَآيَاتٍ﴾ هي  
عدم تأثيرها فيه مع عظمتها، وإحمادها وإنشاء روض مكانها في زمن يسير  
﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون بتوحيد الله وقدرته؛ لأنهم المنفعون بها.

[٢٥] وقال إبراهيم: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ تعبدونها،  
و«ما» مصدرية ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ خبر «إن»، وعلى قراءة النصب (١):  
مفعول له، و«ما» كافة؛ المعنى: توادتم على عبادتها ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا  
يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ يتبرأ القادة من الأتباع ﴿وَيَلْعَنُ  
بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ يلعن الأتباع القادة ﴿وَمَا أُولَئِكَ﴾ مصيركم جميعًا  
﴿النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ مانعين منها.

[٢٦] ﴿فَتَأَمَّنَ لَهُ﴾ صدق إبراهيم ﴿لُوطٌ﴾ وهو: ابن أخيه هاران  
وقال إبراهيم: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ من قومي ﴿إِلَى رَبِّي﴾ إلى حيث أمرني  
ربي، وهَجَرَ قَوْمَهُ وهاجر من سواد العراق إلى الشام ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في  
ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنع.

[٢٧] ﴿وَهَبْنَا لَهُ﴾ بعد إسماعيل ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ بعد إسحاق  
﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾ فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته  
﴿وَالْكِتَابَ﴾ بمعنى: الكتب؛ أي: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ﴿وَوَاتَيْنَاهُ  
أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ وهو الشاء الحسن في كل أهل الأديان ﴿وَوَاتَيْنَاهُ فِي الْآخِرَةِ  
لِمَنِ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

[٢٨] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ [أَتُنْكِرُونَ]﴾ بتحقيق الهمزتين  
وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين (٢) ﴿لَتَأْتُونَ  
الْفَاحِشَةَ﴾ أي: أديار الرجال ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾  
الإنس والجن.

[٢٩] ﴿أَتُنْكِرُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ طريق المارة بفعلكم  
الفاحشة بمن يرم بكم؛ فترك الناشء المرء بكم (٣) ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ﴾  
أي: مُتَحَدِّثِكُمْ ﴿الْمُنْكَرَ﴾ فعل الفاحشة بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴿فَمَا كَانَ  
جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ

(١) والقراءة المذكورة أولاً بالرفع والإضافة للكسائي وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ حفص وحمره: ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ بالفتح والإضافة. وقرأ الباقون: ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾.

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو. وأجمع القراء على الاستفهام في الموضع الثاني، وهو ﴿أَتُنْكِرُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾.

(٣) أي: وتركه، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٤) الأظهر أن قطعهم السبيل أعم من ذلك، فيشمل مع ما ذكر إخافة المارة وراهابهم بأخذ أموالهم وسفك دماهم ونحو ذلك.

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا  
 أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾  
 قَالَ إِن فِيهَا لُوطًا قَالُوا لَنْ نَجِدَهُ فِيهَا لَنْ نَجِدَهُ  
 وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا نَكْرَهُ وَكَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا  
 أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُ بِهِمْ وَصَافٍ بِهِمْ ذُرِّيَّتًا  
 وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا  
 أَمْرًا نَكْرَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ  
 هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْرًا مِنَ السَّمَاءِ يَمَاسُكُونَ  
 وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُ مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٤﴾  
 وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوَّمُ عِبْدُ اللَّهِ  
 وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ أَخْشَوْهُ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٥﴾  
 فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ  
 جِثْمِينَ ﴿٣٦﴾ وَعَادَ آوْثَمُودَ أَوْ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ  
 مِنْ مَنَاسِكِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ  
 فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٧﴾

[٣١] ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى﴾ بإسحاق ويعقوب بعده

﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ أي: قرية لوط ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ كافرين.

[٣٢] ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا﴾ أي: الرسل: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ بِعَيْنٍ فِيهَا لَنْ نَجِدَهُ﴾ بالتخفيف والتشديد (١) ﴿وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا نَكْرَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ﴾ الباقين في العذاب.

[٣٣] ﴿وَلَمَّا أَنَّ كَانَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُ بِهِمْ﴾ حزن بسببهم ﴿وَصَافٍ بِهِمْ ذُرِّيَّتًا﴾ صدراء لأنهم حسان الوجه في صورة أضياف؛ فخاف عليهم قومه؛ فأعلموه أنهم رسل ربهم ﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيكَ﴾ بالتشديد والتخفيف (٢) ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا نَكْرَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ﴾ ونصب «أهلك» عطف على محل الكاف.

[٣٤] ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ﴾ بالتخفيف والتشديد (٣) ﴿عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْرًا﴾ عذابًا ﴿مِنَ السَّمَاءِ يَمَاسُ﴾ بالفعل الذي ﴿كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ به؛ أي: سبب فيشقهم.

[٣٥] ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُ مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً﴾ ظاهرة؛ هي: آثار خرابها ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[٣٦] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ أَرْسَلْنَا﴾ إلى مدينَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوَّمُ عِبْدُ اللَّهِ وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ أَخْشَوْهُ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكدة لعاملها، من «عنتي» بكسر المثلثة؛ أفسد.

[٣٧] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾ باركين على الركب ميتين.

[٣٨] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ أَهْلَكْنَا﴾ عَادًا ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ أَهْلَكْنَا﴾ بالصرف وتركه (٤)؛ بمعنى: الحي والقبيلة (٥) ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ إهلاكهم ﴿مِنْ مَنَاسِكِهِمْ﴾ بالحججر واليمن ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ سبيل الحق ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ ذوي بصائر.

(١) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي.

(٢) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي وشعبة وابن كثير.

(٣) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٤) بالصرف قراءة السبعة عند حمزة وحفص.

(٥) أي: على كل من القراءتين بالترتيب؛ أي ينصرف للمودة إذا كان بمعنى: الحي، ويمنع من الصرف إذا كان اسماً للقبيلة؛ أي للعلمية والتأنيث.



﴿وَلَا تُجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالنِّسْبَةِ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٤٦)</sup> وَكَذَلِكَ أُنزِلَ إِلَيْكَ الْكِتَابُ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ<sup>(٤٧)</sup> وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ وَبِمِصْرٍ إِذَا أَلَزَمَتْ الْأُمُطُ لُوتٌ<sup>(٤٨)</sup> بَلْ هُوَ آيَةٌ بَيِّنَةٌ فِي صُورِ الْأَنْبِيَاءِ أَوْثَرُ الْعَالَمِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ<sup>(٤٩)</sup> وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ<sup>(٥٠)</sup> أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرًا لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ<sup>(٥١)</sup> قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ<sup>(٥٢)</sup>

[٤٦] ﴿وَلَا تُجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالنِّسْبَةِ أَحْسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته، والتنبية على حججه ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بأن حاربوا وأثبوا أن يقرروا بالجزية؛ فجادلهم بالسيف حتى

يسلموا أو يعطوا الجزية ﴿وَقُولُوا﴾ لمن قبل الإقرار بالجزية إذا أجبروكم بشيء مما في كتبهم: ﴿ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾<sup>(٤٦)</sup> ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم في ذلك ﴿وَاللَّهُمَّ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ مطيعون. [٤٧] ﴿وَكَذَلِكَ أُنزِلَ إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ التوراة؛ كما أنزلنا إليهم التوراة وغيرها ﴿فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ التوراة؛ كعبد الله بن سلام وغيره ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ﴾ أهل مكة ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا ﴿بَعْدَ ظَهْرِهِمَا﴾ إِلَّا الْكَافِرُونَ<sup>(٤٧)</sup> أي: اليهود<sup>(١)</sup>، وظهر لهم أن القرآن حق والجاني به محق، وجحدوا ذلك.

[٤٨] ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِمِصْرٍ﴾ إذا: أي: لو كنت قارئاً كاتباً ﴿لَا زَمَتْكَ﴾ شك ﴿الْأُمُطُ لُوتٌ﴾ اليهود فيك، وقالوا: الذي في التوراة أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب.

[٤٩] ﴿بَلْ هُوَ آيَةٌ بَيِّنَةٌ جِئْتُ بِهِ﴾ أي: القرآن الذي جئت به ﴿بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ فِي صُورِ الْأَنْبِيَاءِ أَوْثَرُ الْعَالَمِ﴾ أي: المؤمنون يحفظونه ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ أي: اليهود، وجحدوها بعد ظهورها لهم.

[٥٠] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: كفار مكة: ﴿لَوْلَا﴾ هَلَا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ أي: محمد ﴿ءَايَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾<sup>(٢)</sup> وفي قراءة: ﴿ءَايَاتُ﴾ كنافه صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ينزلها كيف يشاء ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ مظهر إنذاري بالنار أهل المعصية.

[٥١] ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ فيما طلبوا ﴿أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ فهو آية مستمرة لا انقضاء لها، بخلاف ما ذكر من الآيات ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الكتاب ﴿لَرَحْمَةً وَذِكْرًا﴾ عظة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٢] ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ بصديقي ﴿يَسْمَعُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومنه حالي وحالكم ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ وهو ما بعد من دون الله ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ منكم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ في صفقتهم؛ حيث اشتروا الكفر بالإيمان.

(٥١) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصلفوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا» وما أنزل إليكم الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (١١) قولوا ءَامَنَّا بالله وما أنزل إلينا...

قال الحافظ: «وصنع البخاري هذا يقتضي أن تجعل هذه الآية تحت قوله تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾... وهي الآية (١٣٦) من سورة البقرة... والذي يظهر لي أن النبي ﷺ يشير في هذا الحديث لقوله تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ من سورة العنكبوت، وذلك أن صدر الآية: ﴿وَلَا تُجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالنِّسْبَةِ أَحْسَنُ...﴾ وهذا يتناسب مع معنى الحديث المقصود منه... الفتح (٢٠/٨) تصريف يسير.

(١) المناسب أن يقول: إلا الكافرون؛ كاللهود وغيرهم. فالآية تشتمل هؤلاء جميعاً، ولا فائدة في حصرها في اليهود.

[٥٣] ﴿وَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّهِ ﴿١﴾ لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ عَاجِلًا ﴿٢﴾ وَإِلَّا يُنَبِّئُهمْ نَفْسُهُمْ لَّا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت إتيانه.

[٥٤] ﴿يَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ في الدنيا ﴿وَأَنكْ جَهَنَّمُ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

[٥٥] ﴿يَوْمَ يَنْفَعُهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [وَنَقُولُ] ﴿١﴾ فيه؛ بالنون: أي: نأمر بالقرول، وبالباء: أي: يقول ﴿٢﴾ أي: الموكل بالعذاب: ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاءه فلا تغوتونا.

[٥٦] ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّي رَاضٍ بِسِعَةٍ فَإِنِّي فَاعِدُونَ﴾ في أي أرض تيسرت فيها العبادة؛ بأن تهاجروا إليها من أرض لم تيسر فيها، نزل في ضعفاء مسلمي مكة كانوا في ضيق من إظهار الإسلام بها.

[٥٧] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ بالناء والياء: أي: بعد البعث.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ نزلهم، وفي قراءة: بالثالثة بعد النون؛ من الثواء: الإقامة، وتعديته إلى ﴿عُرْفًا﴾ بحذف «في» ﴿مِنَ الْجَنَّةِ عُرْفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ مقدرين الخلود ﴿فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ هذا الأجر.

[٥٩] هم ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي: على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون.

[٦٠] ﴿وَكَايُنَ﴾ كم ﴿مِنَ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لضعفها ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِنَّكُمْ﴾ أيها المهاجرون، وإن لم يكن معكم زاد ولا نفقة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بضمائرهم.

[٦١] ﴿وَلَّيْنِ﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَسَخَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك.

[٦٢] ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ﴾ يوسعهُ ﴿لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ امتحانًا ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيق ﴿لَهُ﴾ بعد التيسيط؛ أي: لمن يشاء ابتلاءه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُ شَيْءٌ عَلَيْهِ﴾ ومنه محل البسط والتضييق.

[٦٣] ﴿وَلَّيْنِ﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ

وَيَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١﴾ يَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾ يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّي رَاضٍ وَسِعَةٍ فَإِنِّي فَاعِدُونَ ﴿٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ عُرْفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٧﴾ وَكَأَيُنَ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِنَّكُمْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَسَخَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ يَكُلُ شَيْءٌ عَلَيْهِ ﴿٩﴾ وَلَيَنْ لَّام قَسَمٍ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴿١٠﴾ فكيف يشركون به! ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ عني ثبوت الحجة عليكم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ تناقضهم في ذلك.

(١) قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) وهي قراءة نافع وحزمة والكسائي وعاصم، وفي الآية إثبات صفة القول والكلام، وأنه يتعلق بمشيئة - شجاعة - واختياره.

(٣) قرأ شعبة بالياء وفيه السبعة بالناء.

(٤) أي: وبالياء بدل الهمزة فتكون ﴿لننبئهم﴾ وهي قراءة حمزة والكسائي.

[٦٧] ﴿وَأَكْمَرُ يَرَوْا﴾ يعلموا ﴿أَنَّا جَعَلْنَا﴾ بلدهم مكة ﴿حَرَمًا ءَامِنًا وَيَخْطِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ قتلًا وسيئًا دونهم ﴿أَفَأَبْأُتِلُ﴾ الصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمَ اللَّهُ يَكْفُرُونَ﴾ بإشراكهم.  
 [٦٨] ﴿وَمِنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَفَلَمْ يَنْ أَفْتَرِ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن أشرك به ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾ النبي أو الكتاب ﴿لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى مَأْوًى﴾ للكافرين؟ أي: فيها ذلك، وهو منهم.  
 [٦٩] ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ في حقنا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: طريق السير إلينا ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المؤمنين بالنصر والعون<sup>(١)</sup>.

## سُورَةُ الْبُرُوجِ

[مكة، وهي: ستون، أو: تسع وخسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ فِي ذَلِكَ﴾.  
 [٢] ﴿غُلِبَتِ أَرُومٌ﴾ وهم أهل الكتاب، غلبتها فارس وليسوا أهل كتاب بل يعبدون الأوثان؛ وفرح كفار مكة بذلك، وقالوا للمسلمين: نحن نغلبكم كما غلبت فارس الروم.  
 [٣] ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ أي: أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة، التقى فيها الجيشان، والبادي بالغزو الفرس ﴿وَهُمْ﴾ أي: الروم ﴿يَرْتَدُّنَّ عَنْهُ﴾ أضيف المصدر إلى المفعول؛ أي: غلبة فارس لإياهم ﴿سَيَقُولُونَ﴾ فارس.  
 [٤] ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup> هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر، فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول، وغلبت الروم فارس ﴿وَلَبَّيْكَ أَلَأَسْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ أي: من قبل غلب الروم ومن بعده؛ المعنى: أن غلبة فارس أولاً وغلبة الروم ثانيًا بأمر الله؛ أي: إرادته ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم تغلب الروم ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾.  
 [٥] ﴿يَنْصُرُ اللَّهُ﴾ لإياهم على فارس، وقد فرحوا بذلك وعلموا به يوم وقوعه؛ أي: يوم بدر بنزل جبريل بذلك مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه<sup>(٣)</sup> ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الغالب.  
 ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين.

وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَاُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٩﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَسْتَمْتَعُوا فَنَسَوْفَ نَعْمُوتُ أَوْ لَنُيْرَفَنَّ أَلَمْ نَجْعَلْهَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُخْطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهَا أَفَأَبْأُتِلُ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمَ اللَّهُ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٢﴾

## سُورَةُ الْبُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْعَرَّةُ غُلِبَتِ أَرُومٌ ﴿٦٧﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَاعٍ يَلْبُوتُونَ ﴿٦٨﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٦٩﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧٠﴾

[٦٤] ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ وأما القِرْبُ فمن أمور الآخرة؛ لظهور ثمرتها فيها ﴿وَالَّذِينَ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ﴾ بمعنى: الحياة ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ما أتروا الدنيا عليها.  
 [٦٥] ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَاُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: الدعاء؛ أي: لا يدعون معه غيره؛ لأنهم في شدة لا يكشفها إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ به.  
 [٦٦] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ من النعمة ﴿وَلِيَسْتَمْتَعُوا﴾ باجتماعهم على عبادة الأصنام، وفي قراءة<sup>(١)</sup>: يسكون اللام؛ أمر تهديد ﴿فَنَسَوْفَ نَعْمُوتُ﴾ عاقبة ذلك.

(١) فائدة: أخرج الترمذي عن نيار بن مكرم الأسلمي قال: لما نزلت: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ فِي ذَلِكَ﴾ في بضع سنين؛ قال: لا شيء من قريش لأبي بكر؛ فذلك بينا وبينكم؛ زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين؛ أفلا نراهناك على ذلك؟ قال: بلى. وذلك قبل تحريم الرهان. فارتد أبو بكر والمشركون وتراضوا للرهان، وقالوا لأبي بكر: كم تجعل؟ البضع: ثلاث سنين إلى تسع سنين؛ فسمي بينا وبينك وسطاً تنتهي إليه. قال: فمضوا بينهم ست سنين. قال: فمضت الست سنين قبل أن يظهروا فأخذ المشركون رهن أبي بكر. فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس، فغاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ وأسلم عند ذلك ناس كثير. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣١) ومن سورة الروم، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٥٢).

(٢) ما جاء في برول الآيات (١-٥). أخرج الترمذي عن أبي سعيد الحديري قال: لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين؛ فنزلت: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ فِي ذَلِكَ﴾ إلى قوله: ﴿يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾. قال: فرح المسلمون بظهور الروم على الفرس. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣١) سورة الروم، (صحيح بما بعده) صحيح سنن الترمذي (٢٥٥٠).

(٣) لحزة والكسائي وابن كثير وقالوا.

(٤) وهذا من لوازم معيته. شيخانته. الخاصة بعباده المؤمنين، وحقيقته الصلبة اللاتقة كما سبق؛ ولا تنافي بينها وبين كونه مستويًا على عرشه باثنا من خلقه.

وَعَذَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ تَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَيْدَ مَنِ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكُفْرٌ وَت ﴿٨﴾ أُولَئِكَ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْآرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاؤُاْ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٤﴾

والكافرون.

[١٥] «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ جنة يُحْبَرُونَ» يسرون.

[٦] «وَعَذَّ اللَّهُ» مصدر، بدل من اللفظ بفعله، والأصل: وَعَذَّبَهُمُ اللَّهُ النَّصْرَ «لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَهُ» به «وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ» أي: كفار مكة<sup>(١)</sup> «لَا يَعْلَمُونَ» وعده. تعالى - بنصرهم.

[٧] «يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أي: معاشها من التجارة والزراعة والبناء والغرس وغير ذلك «وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ» إعادة «هُمْ» تأكيد.

[٨] «أُولَئِكَ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ» ليرجعوا عن غفلتهم «مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى» لذلك نفى عند انتهائه، ويعد البعث «وَإِنَّ كَيْدَ مَنِ النَّاسِ» أي: كفار مكة «بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكُفْرٌ وَت» أي: لا يؤمنون بالبعث بعد الموت.

[٩] «أُولَئِكَ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ» من الأمم؛ وهي: إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم «كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً» كعاد وثمود «وَأَنَارُوا الْآرْضَ» حرقوها وقلبوها للزرع والغرس «وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا» أي: كفار مكة «وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ» بالحجج الظاهرات «فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ» إهلاكهم بغير جرم «وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» بتكذيبهم رسلهم.

[١٠] «ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا» تأنيث الأسوأ: الأقيح، خبر «كَانَ» على رفع «عَاقِبَةُ»<sup>(٢)</sup> واسم «كَانَ» على نصب «عَاقِبَةُ» والمراد بها جهنم وإساءتهم «أَن» أي: بأن «كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ» القرآن «وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ».

[١١] «اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ» أي: ينشئ خلق الناس «ثُمَّ يُعِيدُهُ» أي: خلقهم بعد موتهم «ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ» بالباء والتاء<sup>(٣)</sup>.

[١٢] «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ» يسكت المشركون؛ لانقطاع حجتهم.

[١٣] «وَلَوْ يَكُن لَّهُمْ شُرَكَائِهِمْ» أي: لا يكون «لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ» ممن أشركوهم بالله؛ وهم: الأصنام ليشفعوا لهم «شُفَعَاؤُاْ وَكَانُوا» أي: يكونون «بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ» أي: متبرئين منهم.

[١٤] «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِنُونَ» تأكيد «يَتَفَكَّرُونَ» المؤمنون

(١) الأولى تفسيرها بالعموم، ويدخل الكفار فيها دخولاً أولياً.

(٢) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) بالياء قراءة أبي عمرو وشعبة.

تدخلون في الصباح، وفيه صلاة الصبح.

[١٨] ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ اعتراض، ومعناه: يحمده أهلها ﴿وَعِشْيَا﴾ عطف على ﴿حِينَ﴾، وفيه صلاة العصر ﴿وَحِينَ تَطْهَرُونَ﴾ تدخلون في الظهيرة، وفيه صلاة الظهر.

[١٩] ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كالإنسان من النطفة، والطائر من البيضة ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ النُّطْفَةِ وَالْبَيْضَةِ﴾ مِنَ الْحَيِّ وَيُخْرِجُ الْأَرْضَ بِالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يسها ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الإخراج ﴿تُخْرِجُونَ﴾ من القبور؛ بالبناء للفاعل والمفعول<sup>(١)</sup>.

[٢٠] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ - تعالى - الدالة على قدرته ﴿أَن خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ أي: أصلكم آدم ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ﴾ من دم ولحم ﴿تَنْشُرُونَ﴾ في الأرض.

[٢١] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ أَن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴿فَخَلَقَ حَوَاءَ مِنْ ضِلَعِ آدَمَ﴾ وسائر الناس من نطفة الرجال والنساء ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ وتأنفوها ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ جميعاً ﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ إن في ذلك المذكور ﴿لَايَتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ في صنع الله ..

[٢٢] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَخْلَفَ الْأَسْبَاطَ ﴿أي: لغانكم من عربية وعجمية وغيرها﴾ وَالْوَيْكَرَ ﴿من بياض وسواد وغيرهما، وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ﴾ دلالات على قدرته - تعالى - ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ بفتح اللام وكسرها<sup>(٢)</sup>؛ أي: ذوي العقول وأولي العلم.

[٢٣] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ مَنَامُكَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴿بِرَادَتِهِ راحة لكم﴾ وَأَنْبَغَاؤُكُمْ ﴿بِالنَّهَارِ﴾ ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: تصرفكم في طلب المعيشة بإرادته ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واعتبار.

[٢٤] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ يُرِيكُمْ ﴿أي: إراءتكم﴾ الْبَرْقَ خَوْفًا لِلْمَسَافِرِ مِنَ الصَّوَاعِقِ ﴿وَطَمْعًا﴾ للمقيم في المطر ﴿وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يسها بأن تنبت ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعِشْيَا وَحِينَ تَطْهَرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُخْرِجُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْشُرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَخْلَفَ الْأَسْبَاطَ وَالْوَيْكَرَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنْبَغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ رِيحُكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمْعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

[١٦] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

[١٧] ﴿فَسَبِّحْنَا اللَّهَ﴾ أي: سبحوا الله؛ بمعنى: صلوا ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ أي: تدخلون في المساء؛ وفيه صلاتان: المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾

(١) بالبناء للفاعل قراءة حمزة والكسائي وابن ذكوان بخلاف عنه.

(٢) بالفتح قراءة السبعة إلا حفصاً.



[٢٥] ﴿وَمَنْ يَأْتِيهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرٍ﴾ يارادته من غير عمد ﴿ثُمَّ إِنَّا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ بأن ينفخ إسرافيل في الصور للبعث من القبور ﴿إِذَا أَنْتُمْ فَرَجَوْنَ﴾ منها أحياء، فخرجكم منها بدعوة؛ من آياته - تعالى ..

[٢٦] ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلفاء وعبيداً ﴿كُلٌّ لَّهُ فَدَيُونٌ﴾ مطيعون.

[٢٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَدْعُوا الْخَلْقَ﴾ للناس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد هلاكهم ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ من البدء، بالنظر إلى ما عند الخطابين من أن إعادة الشيء أسهل من ابتدائه، وإلا فهما عند الله - تعالى - سواء في السهولة ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: الصفة العليا؛ وهي: أنه لا إله إلا الله ﴿وَهُوَ الْمَرْبُوبُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خلقه.

[٢٨] ﴿ضَرَبَ﴾ جعل ﴿لَكُمْ﴾ أيها المشركون ﴿مَثَلًا﴾ كأنكأ ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ وهو: ﴿هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أي: من ممالككم ﴿مِنْ شُرَكَاءَ﴾ لكم ﴿فِي مَا رَزَقْنَكُمْ﴾ من الأموال وغيرها ﴿فَأَنْتُمْ﴾ وهم ﴿فِيهِ سَوَاءٌ﴾ تخافونهم كخيفتكم أنفسكم؟ أي: أمثالكم من الأحرار؟ والاستفهام بمعنى النفي؛ المعنى: ليس ممالككم شركاء لكم - إلى آخره - عندهم؛ فكيف يجعلون بعض ممالك الله شركاء له؟ ﴿كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْأَيَّاتِ﴾ يُبَيِّنُهَا مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون.

[٢٩] ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالإشراك ﴿أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ؟ أي: لا هادي له ﴿وَمَا لَهُمْ بِنُصْرَتِكُمْ﴾ مانعين من عذاب الله.

[٣٠] ﴿فَأَفَذَ﴾ يا محمد ﴿وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَبِطُوا﴾ مائلاً إليه؛ أي: أخلص دينك لله أنت ومن تبعك ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ﴾ خلقته ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وهي دينه؛ أي: الزمواها ﴿لَا يَبْدِيلُ لِحَلْقِ اللَّهِ﴾ لدينه؛ أي: لا تبدلوه بأن تشركوا ﴿ذَلِكَ الَّذِينَ أَنْفَكُمُ﴾ المستقيم توحيد الله ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيد الله.

[٣١] ﴿مُتَّبِعِينَ﴾ راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾ - تعالى - فيما أمر به ونهى عنه، حال من فاعل ﴿أَقِمُوا﴾ وما أريد به؛ أي: أقيموا ﴿وَأَتَّقُوا﴾ خافوه ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرٍ ثُمَّ إِنَّا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ فَرَجَوْنَ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ فَدَيُونٌ وَهُوَ الَّذِي يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ فَافْزِعْ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَبِطُوا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الذين ألفيتهم ولكن أكثر الناس لا يعلمون مَنبِّئِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ

[٣٢] ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ بدل إعادة الجار ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ باختلافهم فيما يعبدونه ﴿وَكَانُوا شِيعًا﴾ فرقاً في ذلك ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ منهم ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿فَرِحُوا﴾ مسرورون، وفي قراءة: ﴿فَارْتَوُوا﴾ أي: تركوا دينهم الذي أبزوا به.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة جمعاء، هل تحسّون فيها من جدعاء؟»، يقول أبو هريرة: «فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلُ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِينَ أَنْفَكُمُ اللَّهُ» البخاري - كتاب الجنائز (٢٣) باب (٧٩) إذا أسلم الصبي فمات؛ هل يُصلّى عليه. وكتاب التفسير (٦٥) سورة الروم (٣٠) باب لا تبديل لخلق الله. وأخرجه مسلم - كتاب القدر (٤٦) باب (٦) كل مولود يولد على الفطرة. وعنده زيادة قول أبي هريرة: «فارقوا» أي: شقتم...».



[٤٢] ﴿قُلْ لِكُفَّارِ مَكَةٍ﴾ ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ فأهلكوا بإشراكهم، ومساكنهم ومنازلهم خاوية.

[٤٣] ﴿فَأَنفِرْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ دين الإسلام ﴿مِن قَبْلِ أَن يَبَئِثَ يَوْمَ لَا مَرَدَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد؛ ينفرون بعد الحساب إلى الجنة والنار.

[٤٤] ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ وبال كفره؛ وهو: النار ﴿وَمَن عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ يَمْهُودُ﴾ يوطنون منازلهم في الجنة.

[٤٥] ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق بـ ﴿يَصْدَعُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ﴾ يشبههم ﴿إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْكَافِرِينَ﴾ أي: يعاقبهم<sup>(١)</sup>.

[٤٦] ﴿وَمَن ءَايَنَيْتُ﴾ - تعالى - ﴿أَن يُرْسِلَ الرِّيحَ مَبْشِرَةً﴾ بمعنى: لتبشركم بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ﴾ بها ﴿مِنْ رَّحْمَتِي﴾ المطر والخصب ﴿وَلِيَجْزِيَ الْفُلُوكَ﴾ السفن بها ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته ﴿وَلِتَسْتَوُوا﴾ تطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ الرزق بالتجارة في البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعم يا أهل مكة؛ فتوحده.

[٤٧] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَهُم يَأْتِينَكَ بِالْحُجَجِ الْوَاضِحَاتِ عَلَى صِدْقِهِمْ فِي رِسَالَتِهِمْ إِلَيْهِمْ؛ فَكَذَّبُوهُمْ﴾ فانتقمنا من الذين أجرموا ﴿أَهْلَكْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوهُمْ﴾ وكانت حقاً علينا نصر المؤمنين ﴿على الكافرين يهلكهم وإنجاه المؤمنين﴾.

[٤٨] ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِثُ سَحَابًا﴾ ترعجه ﴿فَيَسْطُلُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من قلة وكثرة ﴿وَيَعْلَمُ كَسْفًا﴾ بفتح السين وسكونها<sup>(٢)</sup>؛ قطعاً متفرقة ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ أي: وسطه ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ﴾ بالوَدْقِ ﴿مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَشِيرُونَ﴾ يفرحون بالمطر.

[٤٩] ﴿وَإِن﴾ وقد ﴿كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُزَلَّ عَلَيْهِمْ﴾ من قبله. تأكيد ﴿لِّمُبْلِسِينَ﴾ آسيين من إنزاله.

[٥٠] ﴿فَانظُرْ إِلَى [أَثَرِ]﴾<sup>(٣)</sup> وفي قراءة: ﴿ءَاثَرِ﴾ ﴿رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ أي:

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَنفِرْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَبَئِثَ يَوْمَ لَا مَرَدَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَن عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ يَمْهُودُ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَن ءَايَنَيْتُ أَن يُرْسِلَ الرِّيحَ مَبْشِرَةً وَلِيُذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِي الْفُلُوكَ بِأَمْرِهِ وَلِتَسْتَوُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَهُم يَأْتِينَكَ بِالْحُجَجِ الْوَاضِحَاتِ عَلَى صِدْقِهِمْ فِي رِسَالَتِهِمْ إِلَيْهِمْ؛ فَكَذَّبُوهُمْ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِثُ سَحَابًا فَيَسْطُلُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَعْلَمُ كَسْفًا بفتح السين وسكونها ﴿٤٨﴾ فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴿٤٩﴾ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَشِيرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَمُعْجِزٌ لِّلْمُوتِينَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥١﴾

نعمته<sup>(٤)</sup> بالمطر ﴿كَفَيْتَ بُحْيَ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يسها بأن تنبت ﴿وَإِن ذَلِكَ لَمُعْجِزٌ لِّلْمُوتِينَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(١) وهذا تأويل لصفة الحجة بلازمها، وسبق بيان مذهب السلف في هذه الصفة وغيرها وإثباتها لله ﷻ على الوجه اللائق به.

(٢) يسكون السين قراءة ابن عامر، بخلاف عن هشام.

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقراءة بقية السبعة: ﴿ءَاثَرِ﴾.

(٤) نعمته - شيعته - بالمطر أثر من آثار رحمته. وفي الآية إثبات صفة الرحمة لله ﷻ.

[٥٣] ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالِهِمْ إِنْ مَا تُسْمِعُ﴾ سماع إفهام وقبول ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ مخلصون بتوحيد الله.

[٥٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ ماء مهين ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ آخر؛ وهو: ضعف الطفولية ﴿قُوَّةً﴾ أي: قوة الشاب ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ ضعف الكبر وشيب الهرم، والضعف في الثلاثة بضم أوله وفتحه<sup>(١)</sup> ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من الضعف والقوة والشباب والشيبة ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿الْقَدِيرُ﴾ على ما يشاء.

[٥٥] ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُفْسِدُ﴾ يحلف ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَا لَيْسُوا﴾ في القبور ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ قال - تعالى -: ﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن الحق: «البعث»، كما صرفوا عن الحق: «الصدق في مدة البعث».

[٥٦] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَرَادُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾ من الملائكة وغيرهم: ﴿لَقَدْ لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فيما كتبه في سابق علمه ﴿إِنْ يَوْمَ الْبَعْثِ فَهَكَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ﴾ الذي أنكرتموه ﴿وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقوعه.

[٥٧] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ﴾ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ﴾ في إنكارهم له ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم العتبي؛ أي: الرجوع إلى ما يرضي الله.

[٥٨] ﴿وَلَقَدْ صَرَّبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ تنبيهاً لهم ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿يَجْتَهُمُ﴾ يا محمد ﴿يَايَزُ﴾ مثل العصا واليد لموسى ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع للنفاء الساكنين ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم: ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ﴾ أي: محمد وأصحابه ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ أصحاب أبياتيل.

[٥٩] ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ التوحيد؛ كما طبع على قلوب هؤلاء.

[٦٠] ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصره عليهم ﴿حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَكَ﴾ بالبعث؛ أي: لا يحملئك على الخفة والطيش بترك الصبر؛ أي: لا تتركه.

\*\*\*

وَلَكِنْ أَرْسَلْنَا بِحَافِرِ أَوَّهٍ مُضْفَرٍ لَطَلُوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الضُّمَّةَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدِيرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُفْسِدُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَيْسُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أَرَادُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ صَرَّبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَكِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَكَ

[٥١] ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿أَرْسَلْنَا بِحَافِرِ﴾ مضرة على نبات ﴿أَوَّهٍ﴾ مضفراً لَطَلُوا صاروا، جواب القسم ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد اصفرائه ﴿يَكْفُرُونَ﴾ يجحدون النعمة بالمطر.

[٥٢] ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الضُّمَّةَ الدُّعَاءَ﴾ إذاً بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بينها وبين الباء<sup>(١)</sup> ﴿وَلَوْ أَنَّ مَدِيرِينَ﴾.

(١) التسهيل قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بالضم قراءة السبعة عدا حمزة وشعبة، وحفص في أحد الوحيين، والوجه الآخر لحفص بخف عه، وحمزة، وشعبة: ﴿ضَعْفٌ﴾ بالفتح.

(٣) بالناء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

## سُورَةُ الْقَمَانَ

## سُورَةُ الْقَمَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَمَانَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً  
لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ  
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ  
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ  
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ  
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ أَنْتَنَّا عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا  
كَانَ لَوِ يَسْمَعُهَا كَأَن فِي أذُنِهِ وَفَرَّاقِبَتُهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧﴾  
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾  
خَالِدِينَ فِيهَا فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ  
السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهَا وَالْقِي فِي الْأَرْضِ رَوًى أَن يَقِيدَ  
بِكُوفَةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا  
فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا  
خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ؕ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

جبالاً مرتفعة لـ ﴿١﴾ لا ﴿٢﴾ تَنبِيذٌ تَحْرُكُ ﴿٣﴾ بِكُمْ وَتَفِي فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ  
وَأَنْزَلْنَا فِيهِ الْغَيْثَ عَنِ الْغَيْبَةِ ﴿٤﴾ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ  
كَرِيمٍ ﴿٥﴾ صنف حسن.

[١١] ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ أي: مخلوقه ﴿فَأَرُونِي﴾ أخبروني يا أهل مكة  
﴿مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ غيره؛ أي: ألهتكم حتى أشر كتموها به - تعالى - ؟  
و«ما» استفهام إنكار مبتدأ، و«ذا» بمعنى الذي يصلِّيهِ خَيْرُهُ، و«أروني» معلق  
عن العمل، وما يتقدِّمهُ سُدَّ مَسَدَ المفعولين ﴿بَلِ﴾ للانتقال ﴿الظَّالِمُونَ﴾ في  
ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿يَشِي بِأَسْرَاحِهِمْ وَأَنْتُمْ مِنْهُمْ﴾.

[مكية إلا ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَدْتُ﴾ الآيةين؛ فمدنيتان،  
وهي: أربع وثلاثون آية، نزلت بعد الصفات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْقَمَانَ﴾ الله أعلم بمراده به. [٢] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات  
﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْحَكِيمِ﴾ ذي الحكمة، والإضافة بمعنى: من.  
[٣] هو ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ بالرفع ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ وفي قراءة العامة:  
بالنصب<sup>(١)</sup>، حالاً من الآيات العامل فيها ما في ﴿تِلْكَ﴾ من معنى الإشارة.  
[٤] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ بيان للمحسنين ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ  
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ ﴿هُمْ﴾ الثاني تأكيد.  
[٥] ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[٦] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ أي: ما يلهي منه عما يعني  
﴿لِيُضِلَّ﴾ بفتح الباء وضمها<sup>(٢)</sup> ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طريق الإسلام ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ  
وَيَتَّخِذَهَا﴾ بالنصب: عطفًا على «يضل»، وبالرفع<sup>(٣)</sup>: عطفًا على ﴿يَشْتَرِي﴾،  
﴿هُزُوًا﴾<sup>(٤)</sup> مَهْزُوءًا بها ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾<sup>(٥)</sup> ذواهانة.

[٧] ﴿وَإِذْ أَنْتَنَّا عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ أي: القرآن ﴿وَلَّى مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبرًا  
﴿كَانَ لَوِ يَسْمَعُهَا كَأَن فِي أذُنِهِ وَفَرَّ﴾ صمًا، وجعلنا التشبه حالان من  
ضمير: ﴿وَلَّى﴾، أو: الثانية يَأْنِ لِلأولى ﴿فَقَبِيْرُهُ﴾ أَغْلَمُهُ ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾  
مؤلم، ذكر الإشارة تهكم به؛ وهو: النظر بن الحارث، كان يأتي الحيرة ينجر  
فيشتري كتب أخبار الأعاجيب ويحدث بها أهل مكة<sup>(٦)</sup>، ويقول: إن محمدًا  
يحدثكم أحاديث عاد ونمود، وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم.  
فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن.

[٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾.  
[٩] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة؛ أي: مقدراً خلودهم فيها إذا دخلوها  
﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ أي: وعدهم الله ذلك، وَخَفَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ  
الذي لا يغلبه شيء فيمنعه من إنجاز وعده ووعيدته ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ الذي لا يضع  
شيئاً إلا في محله.

[١٠] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهَا﴾ أي: العمدة، جمع عماد؛  
وهو: الأسطوانات، وهو صادق بأن لا عمد أصلاً ﴿وَالْقِي فِي الْأَرْضِ رَوًى﴾

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: «لا تبعوا الفئتان، ولا تشتروهن، ولا تعلموهن، ولا خير في تجارة فيهن، ومنهن حرام»، في مثل ذلك أنزلت عليه هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الآية. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٢) ومن سورة لقمان. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٥٥٣). قال ابن الأثير: «الفئتان: الأمة؛ غُتْ أولم تُغْفَرْ... وجمعها: فئتان...» (لنهاية ٤ / ١٣٥). وروى البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال: «الفناء وأشباؤه». صحيح الأدب المفرد (٩٥٥).

(١) الرفع قراءة حمزة. وقرأ الباقون بالنصب.

(٢) بالفتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٣) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) قرأ حفص: ﴿هُزُوًا﴾ بضم الزاي وإبدال الهمزة واوًا، وقرأ حمزة وصلًا: ﴿هُزْءًا﴾؛ بسكون الزاي مهموزًا، ووقفاً: ﴿هُزْؤًا﴾، وقرأ بقية السبعة: ﴿هُزْؤًا﴾ بضم الزاي مهموزًا.

(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٢٣٢) عن الكلبي ومقاتل. وهما منهما بالكذب، وأخرج نحوه البيهقي في شعب الإيمان (٣٠٥/٤) عن ابن عباس من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح، وثلاثتهم مضمون بالكذب. وانظر: الاستيعاب (٥٩/٣، ٦٠).

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٣﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعْطِيهِ يَبْنِئْ لَكَ شَرِكًا بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَى وَهْنٍ وَوَصَّيْنَاهُ فِي عَمَلِنَا أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٥﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى شَيْءٍ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ يَبْنِئْ إِنَّمَا إِنْ نَكَ مِنْكَ مُنْقَال حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٧﴾ يَبْنِئْ أَقْرِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨﴾ وَلَا تُصْعِقْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَقِشْ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٩﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَسِيرِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿٢٠﴾

[١٢] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ منها: العلم والديانة والإصابة في القول، وحكمته كثيرة مأثورة، كان يفتي قبل بعثة داود، وأدرك بعثته وأخذ عنه العلم وترك الفتيا، وقال في ذلك: ألا أكتفي إذا كتفت؟ (١). وقيل له: أي الناس شر؟ قال: «الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيئاً» (٢). أي: أي: وقلنا له: أن

﴿أَشْكُرْ لِلَّهِ﴾ على ما أعطاك من الحكمة ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لأن ثواب شكره له ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في صنعه.

[١٣] ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعْطِيهِ﴾ تصغير إشفاق ﴿يَبْنِئْ لَكَ شَرِكًا بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ فرج إليه وأسلم.

[١٤] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ أمرناه أن يبرؤهما ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾ فوئت ﴿وَهَذَا عَلَى وَهْنٍ﴾ أي: ضعفت للحمل، وضعفت للطلق، وضعفت للولادة ﴿وَوَصَّيْنَاهُ﴾ أي: فطامه ﴿فِي عَمَلِنَا﴾ في عامين، وقلنا له: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ إلى المصير.

[١٥] ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ موافقة لواقع ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ أي: بالمعروف، البر والصلة ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ﴾ طريق ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ رجع ﴿إِلَى﴾ بالطاعة ﴿فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بما كنتم تعملون، فأجازيكم عليه، وجملة الوصية وما بعدها اعتراض.

[١٦] ﴿يَبْنِئْ إِنَّمَا إِنْ نَكَ مِنْكَ مُنْقَال حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: في أخفى مكان من ذلك ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ فيحاسب عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراجها ﴿خَبِيرٌ﴾ بمكانها.

[١٧] ﴿يَبْنِئْ أَقْرِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ بسبب الأمر والنهي ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي: معزوماتها التي يعزم عليها لوجوبها.

[١٨] ﴿وَلَا تُصْعِقْ﴾ وفي قراءة (١): ﴿تَضَاعِزْ﴾ ﴿خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لا تغل وجهك عنهم تكبراً ﴿وَلَا تَقِشْ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا﴾ أي: خيلاء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متبختر في مشيه ﴿فَخُورٍ﴾ على الناس.

[١٩] ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَسِيرِكَ﴾ توسط فيه بين الديب والإسراع، وعليك السكنية والوقار ﴿وَأَغْضُضْ﴾ اخفض ﴿مِنْ صَوْتِكَ﴾ إن أنكر الأصوات أقبحها ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ أوله زفير وأخيره شهيق.

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (١٤، ١٥): أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: نزلت في أربع آيات. فذكر قصة... قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدنيه، ولا تأكل ولا تشرب؛ قالت: زعمت أن الله أوصاك بالديك، وأنا أمك، وأنا أمرك بهذا، قال: فسكنت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له: عمارة، فسقاها، فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله تعالى في القرآن هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَى وَهْنٍ وَوَصَّيْنَاهُ فِي عَمَلِنَا أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ رضي الله عنه قال: نزلت في أربع آيات... وفيها: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ مسلم، كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب (٥) فضل سعد بن أبي وقاص. وتقدم في تفسير آية العنكبوت (٨) ذكر الاختلاف في قصة سعد والآية التي نزلت فيها، وترجيح أنها آية لقمان، والله أعلم.

(١) هذه الأخبار عن لقمان رضي الله عنه وابنه ما لم تثبت بدليل صحيح، فالأولى أن لا تعتمد في تفسير كلام الله تعالى وأن يقتصر على موضع العبارة والفائدة من القصة.

(٢) لحزمة والكسائي ونافع وأبي عمرو.

[٢٠] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ مِنْ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّجْمِ؛ لَتَنْتَفِعُوا بِهَا ﴿٢٠﴾ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿٢١﴾ مِنَ الشَّجَرِ وَالْأَنْهَارِ وَالْدُّوَابِّ ﴿٢٢﴾ وَأَسْبَغَ أَوْسَعُ وَأَمَّ ﴿٢٣﴾ عَلَيْكُمْ نِعْمَ ظَهْرُهُ ﴿٢٤﴾ وَهِيَ: حَسَنُ الصُّورَةِ وَتُسْوِيَةُ الْأَعْضَاءِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ ﴿٢٥﴾ وَبَاطِنُهُ ﴿٢٦﴾ هِيَ: الْمَعْرِفَةُ وَغَيْرُهَا ﴿٢٧﴾ وَمِنْ النَّاسِ ﴿٢٨﴾ أَيْ: أَهْلِ مَكَّةَ ﴿٢٩﴾ مَن يَجِدُدُ فِي اللَّهِ بَعِيرٌ غَيْرُ وَلَا هُدًى ﴿٣٠﴾ مِنْ رَسُولٍ ﴿٣١﴾ وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٣٢﴾ أَنْزَلَهُ اللَّهُ، بَلْ بِالتَّقْلِيدِ.

[٢١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ قَالَ - تَعَالَى -: ﴿أَلَمْ يَبْعُنُوهُمُ﴾ وَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٣٣﴾ أَيْ: مُوجِبَاتِهِ لَا.

[٢٢] ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أَيْ: يَقْبُلُ عَلَى طَاعَتِهِ ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ مُوَحَّدٌ ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ بِالطَّرْفِ الْوُثْقَى الَّذِي لَا يَخَافُ انْقِطَاعَهُ ﴿وَالِلَّهِ عَقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ مَرْجِعُهَا.

[٢٣] ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنُهُ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿كُفْرُهُ﴾ لَا تَهْتَمُ بِكُفْرِهِ ﴿إِنَّمَا مَرْجِعُهُمْ فِئَتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٤﴾ أَيْ: بِمَا فِيهَا كُفْرِهِ <sup>(١)</sup> فَمَحَازٍ عَلَيْهِ.

[٢٤] ﴿لَنُيَمِّتَهُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿فَلْيَلَا﴾ أَيَّامَ حَيَاتِهِمْ ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ وَهُوَ: عَذَابُ النَّارِ لَا يَجِدُونَ عَنْهُ مَحِيضًا.

[٢٥] ﴿وَلَكِنْ﴾ لَمْ قَسَمَ ﴿سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ حَذَفَ مِنْهُ نَوْنُ الرَّفْعِ لِتَوَالِي الْأَمْثَالِ، وَ«وَاو» الضَّمِيرُ لِاتِّقَاءِ السَّاكِنِينَ ﴿قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ عَلَى ظُهُورِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمُ بِالْحَنِيدِ ﴿بَلْ أَكْذَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَجُوبَهُ عَلَيْهِمْ.

[٢٦] ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مَلَكًا وَخَلْقًا وَعَبِيدًا؛ فَلَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةُ فِيهِمَا غَيْرُهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عَنْ خَلْقِهِ ﴿الْحَكِيمُ﴾ الْحَمُودُ فِي صُنْعِهِ.

[٢٧] ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ <sup>(٢)</sup> وَ«الْبَحْرُ» <sup>(٣)</sup> عَطَفَ عَلَى اسْمِ «أَنْ» ﴿يُضَدُّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ مَدَادًا ﴿مَا يَفِدَتْ كِلْتَا اللَّهِ﴾ الْمَعْرَبُ بِهَا عَنْ مَعْلُومَاتِهِ بِكُتُبِهَا بَتَلِكُ الْأَقْلَامِ، بِذَلِكَ الْمَادِّ، وَلَا بِأَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ مَعْلُومَاتِهِ <sup>(٤)</sup> - تَعَالَى - غَيْرُ مَتْنَاهِيَةٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ غَرِيبٌ﴾ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنْ النَّاسِ مَن يَجِدُدُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنُهُ كُفْرُهُ إِنَّمَا مَرْجِعُهُمْ فِئَتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نَمِئَتْهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُبُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

﴿حَكِيمٌ﴾ لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ.

[٢٨] ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُبُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ خَلَقًا وَبَعَثًا؛ لِأَنَّهُ بِكَلِمَةِ «كُنْ» فَيَكُونُ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ يَسْمَعُ كُلَّ مَسْمُوعٍ ﴿بَصِيرٌ﴾ يَبْصُرُ كُلَّ مُبْصَرٍ، لَا يَشْغَلُهُ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ.

(١) أَيْ: كُفْرُهُ فِي الصُّدُورِ، فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ - شَيْخَانَهُ - خَافِيَةٌ.

(٢) بِالضَّبِّ، وَهِيَ قِرَاءَةُ أَبِي عَمْرٍو، وَقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: «وَالْبَحْرُ» بِالضَّمِّ.

(٣) تَفْسِيرُ كَلِمَاتِ اللَّهِ بِمَعْلُومَاتِهِ عَدُولٌ عَنْ ظَاهِرِ اللَّفْظِ، وَهُوَ خِلَافُ مَا فَهَمَ السَّلَفُ مِنْهَا، وَكَلِمَاتُهُ - شَيْخَانَهُ - هِيَ: كَلَامُهُ وَقَوْلُهُ الَّذِي لَا نَفَادَ لَهُ؛ فَهُوَ - شَيْخَانَهُ - لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ يَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ إِذَا شَاءَ. وَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمَفْسَرُ رَاجِعٌ إِلَى مَذْهَبِ الْأَشَاعِرَةِ وَغَيْرِهِمْ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ مَعْنَى وَاحِدٍ قَائِمٌ بِالْفَسْخِ قَدِيمٌ لَا يُوَصَّفُ بِالْعَدَدِ، وَهَذَا خِلَافُ مَذْهَبِ السَّلَفِ وَطَرِيقَتِهِمْ.

أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٣٠﴾ هُوَ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[٣٠] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْفَعْلُ﴾ الثابت ﴿وَأَنَّ مَا يَنْشُؤُكَ﴾ بالياء والتاء<sup>(١)</sup>؛ يعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ الْبُطُلُ﴾ الزائل ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ على خلقه بالقهر<sup>(٢)</sup> ﴿الْكَبِيرُ﴾ العظيم.

[٣١] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُكَ﴾ السفن ﴿يَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيكَ﴾ يا مخاطبين بذلك ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ ﴿عَبْرًا لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن معاصي الله ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾ لعنتم.

[٣٢] ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ﴾ أي: علا الكفار ﴿مَوْجٌ كَأَنَّ الْبُلُودَ﴾ كالجال التي تظلم من تحتها ﴿دَعَاُ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: الدعاء بأن ينجيهم؛ أي: لا يدعون معه غيره ﴿فَلَمَّا بَلَغَهُمُ الْآلَاءُ﴾ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ ﴿مَتَّسِقٌ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ﴾ ومنهم باقى على كفره ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ ومنه الإنجاء من الموج ﴿إِلَّا كَلَّ خَسَارٌ﴾ غدار ﴿كُفُورٌ﴾ ليعلم الله تعالى.

[٣٣] ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفَؤُا رَبَّهُمْ﴾ أي: أهل مكة<sup>(٣)</sup> ﴿أَتْفَؤُا رَبَّكُمْ﴾ وَخَشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي ﴿بِغْنِي﴾ والدُّ عَنْ وَلَدِهِمْ ﴿فِيهِ شَيْءٌ﴾ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَلَدِهِ ﴿فِيهِ شَيْءٌ﴾ إِنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا ﴿بِالْبَيْتِ﴾ فَلَا تَعْرَتُكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا عَنْ الْإِسْلَامِ ﴿وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ﴾ فِي جَلْبِهِ وَإِمهاله ﴿الْعُرُورُ﴾ الشيطان.

[٣٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تقوم ﴿وَيُنَزَّلُ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٤)</sup> ﴿الْفَيْتُ﴾ بوقت يعلمه ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ أَذْكَوْا أَمْ أَثْنَى؛ وَلَا يَعْلَمُ وَاحِدًا مِنَ الثَّلَاثَةِ غَيْرَ اللَّهِ . تعالى . ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ﴾ عَدًّا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَيَعْلَمُهُ اللَّهُ . تعالى . ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ وَيَعْلَمُهُ اللَّهُ . تعالى . ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بِكُلِّ شَيْءٍ ﴿خَبِيرٌ﴾ بِبَاطِلِهِ كظاهره، روى البخاري عن ابن عمر حديث: «مَقَاتِلُ الْعَيْبِ خَمْسَةٌ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ إلى آخر السورة<sup>(٥)</sup>».

\*\*\*

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّحُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّحُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبُطُلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَأَنَّ الْبُلُودَ دَعَاُ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفَؤُا رَبَّهُمْ وَخَشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْءًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٥﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْفَيْتُ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ عَدًّا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٦﴾

### سُورَةُ الْبَقَرَةِ

[٢٩] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم يا مخاطب ﴿أَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّحُ﴾ يدخل ﴿الْأَيْلَ﴾ في النَّهَارِ وَيُؤَلِّحُ النَّهَارَ يدخله ﴿فِي اللَّيْلِ﴾ فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ مِنْهُمَا يَجْرِي﴾ في فلكه ﴿إِلَّا

(١) بالنسبة لقراءة نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة.

(٢) وهذا، من قصر العلم على بعض أفرادهم، والله ﷻ له العلم المطلق ذاتاً وشأناً وقهراً.

(٣) الخطاب لأهل مكة وغيرهم.

(٤) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٥) البخاري (٤٦٢٧) بلفظ «مفاتيح» وخُرجه أيضاً في (٤٧٧٨) بنحو هذا اللفظ.



## سُورَةُ التَّجْوِيدِ

[مكية، ثلاثون آية (\*)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ بِهِ.

[٢] ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ﴾ خبر أول ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خبر ثانٍ.

[٣] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ أَفَرَبَّهُ﴾ محمد ﷺ لا ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ إشْدَرُ بِهِ ﴿قَوْمًا مَّا﴾ نافية ﴿أَنْتَهُمْ مِنْ تَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بإنذارك.

[٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة<sup>(١)</sup> ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو في اللغة: سرير الملك، استواء يليق به<sup>(٢)</sup> ﴿مَا لَكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿وَمِنْ وَلِيِّ﴾ اسم ﴿مَا﴾ بزيادة من؛ أي: ناصر ﴿وَلَا تُفِجْ﴾ يدفع عذابه عنكم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون؟.[٥] ﴿يَذَرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ مدة الدنيا ﴿ثُمَّ يَرْجِعُ﴾ يرجع الأمر والتدبير<sup>(٣)</sup> ﴿إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا تَعُدُّونَ﴾ في الدنيا، وفي سورة «سأل» ﴿حَسْبَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾<sup>(٤)</sup> وهو يوم القيامة؛ لشدة أهواله بالنسبة إلى الكفار، وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا، كما جاء في الحديث<sup>(٥)</sup>.

[٦] ﴿ذَلِكَ﴾ الخالق المدير ﴿عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ وَالنَّهْضَةُ﴾ أي: ما غاب عن الخلق وما حضر ﴿الْعَزِيزُ﴾ المنيع في ملكه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأهل طاعته.

[٧] ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ بفتح اللام: فعلاً ماضياً صفة، وبسكونها<sup>(٦)</sup> بدل اشتمال ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ﴾ آدم ﴿مِنْ طِينٍ﴾.

[٨] ﴿ثُمَّ جَعَلَ سَلَالَةً﴾ ذريته ﴿مِنْ سُلَلَةٍ﴾ علقه ﴿مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ ضعيف؛ هو: النطفة.

[٩] ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ أي: خلق آدم ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ أي: جعله حياً حساساً بعد أن كان جماداً ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ﴾ أي: لذريته ﴿السَّمْعَ﴾ بمعنى: الأسماع ﴿وَالْأَبْصَرَ﴾ والأَفْئِدَةَ ﴿الْقُلُوبَ﴾ قُلُوبٌ ﴿وَلَقَبَا مَا تَشْكُرُونَ﴾

﴿مَّا﴾ زائدة مؤكدة للقلعة.

[١٠] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: منكرو البعث: ﴿إِنَّمَا ضَلَّلَنَا فِي الْأَرْضِ﴾ غيَّبَا فِيهَا بَأْنَ صِيْرًا تَرَابًا مَخْطَلًا بِتَرَابِهَا ﴿إِنَّمَا لَنِي خَلْقٌ جَدِيدٌ﴾؟ استفهام إنكار، بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين<sup>(٧)</sup>، قال - تعالى -: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿كَافِرُونَ﴾.

[١١] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿يَتُوفَّكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَكُمْ﴾ أي: يقبض أرواحكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ أحياء؛ فيجازيكم بأعمالكم.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة ؓ، قال: «كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَبْدِئُ الْخَلْقَ وَيُعِيدُهُ﴾. الترمذي - كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٩) ما جاء في فضل سورة الملك، ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة.

وأخرج الترمذي عن جابر أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَبْدِئُ الْخَلْقَ وَيُعِيدُهُ﴾. الترمذي - كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٩) ما جاء في فضل سورة الملك، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٨٧٣).

(١) الأولى أن يقول هنا كما قال في تفسير الآية (٥٩) من سورة الفرقان: «أي: في قدرها؛ لأنه لم يكن ثم شمس».

(٢) سبق التعليق مراراً على هذا الضمير، وذكرنا الفارق بين تفويض الكيفية والذي هو حق، وبين تفويض المسمى وأنه خلاف فهم السلف الذين كانوا يعلمون أن الاستواء يفيد الاستقرار والعلو. (٣) قال ابن جرير في تفسير الآية: «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه يدير الأمر من السماء إلى الأرض ثم يرجع إليه في يوم كان مقداره ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدون من أيامكم، خمسمائة في النزول وخمسمائة في الصعود؛ لأن ذلك أظهر معانيه وأشبهها بظاهر التنزيل». وفي هذه الآية إثبات لعلو الله - تعالى - على خلقه.

(٤) المعارج: ٤.

(٥) رواه أحمد (١١٢٩٢) وأبو يعلى وابن جرير وابن حبان والبيهقي في البعث عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً [الدر المنثور (٤١٧/٦)]، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٢٠٩٢ ج ٢).

(٦) بسكونها قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٧) أي: وتركه، وقرأ ابن عامر بالإحراق في الأول والاستفهام في الثاني، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه ﴿فَأَرْجَعْنَا﴾ إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ فيها ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ الآن؛ فما ينفعهم ذلك، ولا يرجعون، وجواب ﴿كُذِّبُوا﴾: لرأيت أمراً فظيماً، قال - تعالى -: [١٣] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ فهندي بالإيمان والطاعة باختيار منها ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْإِنْسَانِ﴾ الجن ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

[١٤] وتقول لهم الجنة (١) إذا دخلوها: ﴿فَذُوقُوا﴾ العذاب ﴿يَمَّا نَسِيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: بترككم الإيمان به ﴿إِنَّا نَسِينَكُمُ﴾ تركناكم في العذاب ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ الدائم ﴿يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب.

[١٥] ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا ﴿بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا﴾ متلبسين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: قالوا: «سبحان الله وبحمده» ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمان والطاعة.

[١٦] ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ ترتفع ﴿عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ مواضع الاضطجاع بفرشها لصلاتهم بالليل تهجدًا ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطُمَعًا﴾ في رحمته (٢) ﴿وَمِمَّا زَقَنَهُمْ يَنْفِقُونَ﴾ يتصدقون.

[١٧] ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخِيتِ﴾ لحيي ﴿لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (٣) ما تقر به أعينهم، وفي قراءة (٤): بسكون الباء؛ مضارع ﴿جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٨] ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَتْ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ أي: المؤمنون والفاسفون.

[١٩] ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَزَاءُ الْمَآوِي نُزُلًا﴾ هو ما بعد للضيف ﴿يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ بالكفر والتكذيب ﴿فَمَآوِيَهُمْ النَّارُ﴾ كَمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ.

وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْإِنْسَانِ أَجْمَعِينَ ﴿١٤﴾ فَذُوقُوا يَمَّا نَسِيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَكُمُ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٦﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطُمَعًا وَمِمَّا زَقَنَهُمْ يَنْفِقُونَ ﴿١٧﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخِيتِ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٩﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَزَاءُ الْمَآوِي نُزُلًا يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَآوِيَهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾

[١٢] ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُتَجَرِّبُونَ﴾ الكافرون ﴿نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ مطأطؤها حياءً يقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ ما أنكون من البعث

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٦): أخرج الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن هذه الآية: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطُمَعًا...﴾ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة. ابراهيمي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٣) ومن سورة السجدة، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٥٤).

(٥٥) فائدة: أخرج مسلم عن سهل بن سعد قال: شهدت من رسول الله ﷺ مجلس وصف فيه الجنة حتى انتهى، ثم قال ﷺ في آخر حديثه: «فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» ثم أقرأ هذه الآية: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطُمَعًا وَمِمَّا زَقَنَهُمْ يَنْفِقُونَ﴾ ﴿١٦﴾ فلا تعلم نفس مِمَّا أُخِيتِ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ. مسلم - كتاب الجنة وصفة يعيها وأهلها (٥١) حديث رقم (٢٨٢٥).

(١) لا ملجئ لحمل اللفظ على خلاف ظاهره وجعل القول للخرقة، وكلام الله - سبحانه - المنفي عنهم في الآخرة هو كلام الرحمة والإكرام لا الزجر والتوبيخ.

(٢) أي: «أخفى»، وهي حمزة.

وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ  
 لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ  
 أَعْرِضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا  
 مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ  
 هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا  
 لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ  
 يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ  
 ﴿٢٥﴾ أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ أَفَلَا يَسْمَعُونَ  
 ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ  
 بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ  
 ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾  
 قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ  
 يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِذْ هُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾

## سُورَةُ الْأَنْعَامِ

[٢١] ﴿وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ﴾ عذاب الدنيا؛ بالقتل، والأسر،  
 والجذب سنين، والأمراض ﴿وَدُونَ﴾ قبل ﴿الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ عذاب الآخرة  
 ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: من بقي منهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ إلى الإيمان.  
 [٢٢] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ القرآن ﴿فَرَّغَ عَنْهَا﴾ أي:  
 لا أحد أظلم منه ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين ﴿مُنْقِمُونَ﴾.  
 [٢٣] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾ شك  
 ﴿مِنْ لِقَائِهِ﴾ وقد التقيا ليلة الإسراء ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ أي: موسى أو الكتاب  
 ﴿هُدًى﴾ هادياً ﴿لِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.  
 [٢٤] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء<sup>(١)</sup>؛ قادة  
 ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿يَأْتِينَا لِمَا صَبَرُوا﴾ على دينهم، وعلى البلاء من  
 علوهم، وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: بكسر اللام وتخفيف الميم ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدالة  
 على قدرتنا ووحدايتنا ﴿يُوقِنُونَ﴾.  
 [٢٥] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ فِيمَا كَانُوا فِيهِ  
 يَخْتَلِفُونَ من أمر الدين.  
 [٢٦] ﴿أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: بتبين لكفار مكة  
 إهلاكنا كثيراً ﴿مِنْ الْقُرُونِ﴾ الأمم بكفرهم ﴿يَمْسُحُونَ﴾ حال من ضمير  
 ﴿لَهُمْ﴾ ﴿فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها؛ فيعتبروا ﴿إِنَّ فِي  
 ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرتنا ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر وانعاط؟.  
 [٢٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ اليابسة التي لا  
 نبات فيها ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾  
 هذا، فيعلمون أن نقدر على إعادتهم.  
 [٢٨] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين: ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ بيننا وبينكم ﴿إِنْ  
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ؟﴾.  
 [٢٩] ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ إنزال العذاب بهم ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
 إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يجهلون لئوبة أو معذرة.  
 [٣٠] ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ﴾ إنزال العذاب بهم ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾  
 بك حادث موت أو قتل فيستريحون منك، وهذا قبل الأمر بقتالهم.

\*\*\*

(١) راجع التعليق على الآية (٧٣) من سورة الأنبياء.

(٢) لحمزة والكسائي.

وَالْمُنْفِقِينَ ﴿١﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿٢﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا ﴿٣﴾ بما يكون قبل كونه ﴿٤﴾ حَكِيمًا ﴿٥﴾ فيما يخلقه.

[٢] ﴿وَأَنْتُمْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: القرآن ﴿رَبَّكَ اللَّهُ كَاتِبًا﴾ بما تَقَمَّلُونَ حَسِبًا ﴿٦﴾ وفي قراءة (٧): بالتحانية.

[٣] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في أمرك ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ حافظًا لك، وأمنه تبع له في ذلك كله.

[٤] ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفَيْهِ﴾ رُذًا على من قال من الكفار: ﴿إِنَّ لَهُ قَلْبَيْنِ يَعْقِلُ بِكُلِّ مَنَهُمَا، أَفْضَلُ مِنْ عَقْلِ مُحَمَّدٍ﴾ (٨) ﴿وَمَا جَعَلَ أَرْوَاحَكُمْ إِلَهًا﴾ بهمة وبلاء وبلاء ياء ﴿تَنْظُرُونَ﴾ بلا ألف قبل الهاء وبها (٩)، والباء الثانية في الأصل مدغمة في الظاء ﴿مِنْهُمْ﴾ يقول الواحد مثلاً لزوجته: ﴿أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي﴾ ﴿أَتَهْتِكُكُمْ﴾ أي: كالأمهات في تحريمها بذلك، المد في الجاهلية طلاقاً، وإنما تجب به الكفارة بشرطه؛ كما ذكر في سورة المجادلة ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ﴾ جمع دعوي؛ وهو: من يدعي لغير أبيه ابناً له ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ حقيقة ﴿ذَلِكَمُ قَوْلُكُمْ يَأْتِيهِمْ﴾ أي: اليهود والمنافقين، قالوا لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش التي كانت امرأة زيد بن حارثة الذي نبأه النبي ﷺ، قالوا: تزوج محمد امرأة ابنه. فأكذبهم الله - تعالى - في ذلك (١٠) ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ في ذلك ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ سبيل الحق.

[٥] لكن ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ﴾ أعدل ﴿عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْمَلُوا أَبَاءَهُمْ فَاخْوَنُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَاكُمْ﴾ بنو عمكم (١١) ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ في ذلك ﴿وَلَكِنْ﴾ في ﴿مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ فيه: أي: بعد النهي ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لما كان من قولكم قبل النهي ﴿رَبِّكُمْ﴾ بكم في ذلك (١٢).

[٦] ﴿أَتَىٰ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فيما دعاهم إليه ودعتهم أنفسهم إلى خلافه ﴿وَأَرْوَاحُهُمْ أَمْهَنُهُمْ﴾ في حرمة نكاحهم عليهم ﴿وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ﴾ ذوو القربابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في الإرث ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فسخ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَن تَقْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوفًا﴾ بوصية فجائز ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ أي: نسخ الإرث بالإيمان والهجرة يارث ذوي الأرحام ﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ وأريد به ﴿الْكِتَابُ﴾ في الموضوعين: اللوح المحفوظ.

(١) ما جاء في بول الآية (٥): أخرج البخاري عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٣) باب (٢).

وأخرج أيضاً عن عائشة - رضي الله عنها -: ... كان من تثنى رجلاً في الجاهلية دعاه الناس إليه وورث من ميراثه، حتى أنزل الله: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَوْلَاكُمْ﴾، فردوا إلى آبائهم، فليس لهم يعلم له أب كان مولى وأباً في الدين...». البخاري - كتاب النكاح (٦٧) باب (١٥) الأكل في الدين.

(١) لأبي عمرو.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧٤/٢١) عن مجاهد، وذكره السيوطي في إnder المنتور (٥٦١/٦) وزاد نسبته لابن أبي شبة وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وهو ضعيف لإرساله كما في الاستيعاب (٧٩/٣، ٧٨/٣).

(٣) قرأ أبو عمرو والبري بياء ساكنة مع المد المشع، وقرأ ورث بياء مكسورة، وقرأ قالون وقبل بهمة مكسورة من غير ياء بعدها، وقرأ الباقون بهمة مكسورة وباء بعدها.

(٤) قرأ حمزة والكسائي بفتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء، وكذلك ابن عامر لكن مع تشديد الظاء، ومثله نافع وابن كثير وأبي عمرو لكن بدون ألف بعد لظاء، وقرأ عاصم: ﴿نظَاهِرُونَ﴾ بضم التاء وفتح الهاء مع تخفيف الظاء.

(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص ٢٩٤)، والنخوي في تفسيره (٣١٧/٦).

(٦) الأولى له في اللغة استعمالات عديدة، منها ابن العم، والمراد بالآية أي ادعهم بالأخوة الإيمانية والموالاته على ذلك، فقولوا: هذا أخي، وهذا مولاي، وبأخي وبأولاي، ولا تنظروا أن عدم علمكم بأبائهم عذر في دعوتهم إلى من تنهائم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنْفِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَأَنْتُمْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفَيْهِ وَمَا جَعَلَ أَرْوَاحَكُمْ إِلَهًا تَنْظُرُونَ وَمِنْهُمْ أَمْهَتَكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْمَلُوا أَبَاءَهُمْ فَاخْوَنُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَاكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾ أَلَتَىٰ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَرْوَاحُهُمْ أَمْهَتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَقْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

### سُورَةُ الْأَخْرَابِ

[مدنية، ثلاث وسبعون آية، نزلت بعد آل عمران]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ دُم على تقواه ﴿وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ

[٧] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ حين أخرجوا من صلب آدم كالدُّرِّ: جمع ذرة؛ وهي: أصغر النمل ﴿وَمِنْكَ وَمَنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ بأن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته، وذكر الخمسة من عطف الخاص على العام ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَيبًا﴾ شديدًا بالوفاء بما حملوه؛ وهو: اليمين بالله - تعالى -، ثم أخذ الميثاق.

[٨] ﴿لَيْسَ لَكَ اللَّهُ﴾ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ﴿فِي تَلْيِغِ الرِّسَالَةِ تَبْكِيًا لِلْكَافِرِينَ بِهِمْ﴾ وَأَعَدَّ - تعالى - ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ بِهِمْ ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً، هو عطف على ﴿أَخَذْنَا﴾.

[٩] ﴿يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ من الكفار متحزبون أيام حفر الخندق ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ من الملائكة ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالناء: من حفر الخندق، وبالياء<sup>(١)</sup>: من تحزيب المشركين ﴿بَصِيرًا﴾.

[١٠] ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ من أعلى الوادي وأسفله من المشرق والمغرب ﴿وَإِذْ رَاغَبْتِ الْأَنْصُرَ﴾ مالت عن كل شيء إلى عدوها من كل جانب ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ جمع حنجرة؛ وهي: منتهى الحلقوم، من شدة الخوف ﴿وَتَطَّوَّنُوا بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ المختلفة بالنصر والباس.

[١١] ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ اختبروا ليتبين المخلص من غيره ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ حركوا ﴿وَزُلْزِلُوا زَلْزَلًا شَدِيدًا﴾ من شدة الفزع.

[١٢] ﴿وَإِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ﴾ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ضَعُفٌ اعتقاد: ﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ بالنصر ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلاً.

[١٣] ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ أي: المنافقون: ﴿يَتَأَلَّ يَتَرَبُّ﴾ هي: أرض المدينة، ولم تصرف للعلمية ووزن الفعل ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾ بضم الميم وفتحها<sup>(٢)</sup>؛ أي: لا إقامة ولا مكانة ﴿فَارْجِعُوا﴾ إلى منازلكم من المدينة، وكانوا خرجوا مع النبي ﷺ إلى سلع - جبل خارج المدينة - للقتال ﴿وَيَسْتَكْثِرُونَ﴾ فِيهِمْ مِنَ النَّبِيِّ فِي الرُّجُوعِ ﴿يَقُولُونَ إِنَّا بِيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ غير حصينة يُحْشَى عَلَيْهَا، قال - تعالى -: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنَّ﴾ ما ﴿يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ من القتال.

[١٤] ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ﴾ أي: المدينة ﴿عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ نواحيها ﴿ثُمَّ

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمَنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَيبًا ﴿٧﴾ لَيْسَ لَكَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ رَاغَبْتِ الْأَنْصُرَ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَطَّوَّنُوا بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَلًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَتَأَلَّ يَتَرَبُّ لَكُمْ لَمْ يَرْجِعُوا وَلَيْسَتْ عَلَيْكُمْ عَوْرَةٌ إِن يَرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُلِوا﴾ سُلُوا﴾ أي: سألهم الداخلون ﴿الْفِتْنَةَ﴾ الشُّرْكَ ﴿لَا تَوْهَا﴾ بالمد والقصر<sup>(٣)</sup>؛ أي: أعطوها وفعلوها<sup>(٤)</sup> ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَيْسًا﴾.

[١٥] ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤَلِّتُ الْأَذْنَ وَكَانَ عَاهِدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ عن الوفاء به.

(١) بالياء قراءة أبي عمرو.

(٢) بالفتح قراءة السبعة عدا حفص.

(٣) بانقصر قراءة نافع وابن كثير.

(٤) بالترتيب على القراءتين.

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا  
لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ  
إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ  
اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْقُوقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ  
لِإِخْوَانِهِمْ هَلْ يَنْتَصِرُونَ وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً  
عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ  
كَالَّذِي يُغْتَنَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ  
بِالْأَسِنَّةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ  
اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ  
الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ  
بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَغِيثُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ  
مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ  
لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾  
وَلِمَا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ  
وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

[١٦] ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا﴾

فَرَرْتُمْ ﴿لَا تَنْتَعُونَ﴾ في الدنيا بعد فراركم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ بقية أجالكم.  
[١٧] ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ﴾ يجيركم ﴿مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ  
سُوءًا﴾ هلاكًا وهزيمة ﴿أَوْ﴾ يصيكم بسوء إن ﴿أَرَادَ﴾ الله ﴿بِكُمْ رَحْمَةً﴾  
خيرًا؟ ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيًّا﴾ ينفعهم ﴿وَلَا  
نَصِيرًا﴾ يدفع الضر عنهم.

[١٨] ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْقُوقِينَ﴾ المبطنين ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ  
هَلْ يَنْتَصِرُونَ﴾ تعالوا ﴿إِنَّمَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ﴾ القتال ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياء وسمعة.

[١٩] ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بالمعاونة، جمع شحيح، وهو حال من ضمير  
﴿يَأْتُونَ﴾ ﴿إِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي  
كَنْظَرُ أَوْ كدوران الذي يُغْتَنَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي: سكراته ﴿إِذَا ذَهَبَ  
الْخَوْفُ﴾ وجيزت الغنائم ﴿سَلَفُوكُمْ﴾ أدرككم أو ضربوكم ﴿بِالْأَسِنَّةِ حِدَادٍ﴾  
أشحنة على الخفير ﴿أَي: الْغَنِيْمَةُ يَطْلُبُونَهَا﴾ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا حقيقة  
﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ﴾ الإحباط ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ بإرادته.

[٢٠] ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ﴾ من الكفار ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ إلى مكة؛ لحوفهم  
منهم ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ﴾ كثرة أخرى ﴿يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ  
بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ أي: كائنون في البادية ﴿يَسْتَغِيثُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾  
أخباركم مع الكفار ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ﴾ هذه الكثرة ﴿مَا قَاتَلُوا إِلَّا  
قَلِيلًا﴾ رياء وخوفًا من التعبير.

[٢١] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ﴾ [إِسْوَةٌ] ﴿بِكسر الهمزة وضمها﴾  
﴿حَسَنَةٌ﴾ اقتداء به في القتال والفتاب في مواطنه ﴿لِمَنْ﴾ بدل من  
﴿لَكُمْ﴾ ﴿كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ يخافه ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ وذكر الله كثيرًا  
بخلاف من ليس كذلك.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ من الكفار ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ  
وَرَسُولُهُ﴾ من الابتلاء والنصر ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ في الوعد ﴿وَمَا  
زَادَهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّا إِيمَانًا﴾ تصديقًا بوعده الله ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لأمره.



[٣٣] ﴿وَقَدْ﴾ [بكر القاف وفتحها] (٢) ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ من القراء، وأصله: «أقرن» بكر الراء وفتحها؛ من قررت، بفتح الراء وكسرهما، نُقلت حركة الراء إلى القاف، وحذفت مع همزة الوصل ﴿وَلَا تَبَرَّحْنَ﴾ برك إحدى التابن من أصله ﴿تَبَّحَ الْجَهَنَّمِيَّةُ الْأُولَى﴾ أي: ما قبل الإسلام من إظهار النساء محاسنهن للرجال، والإظهار بعد الإسلام مذكور في آية: ﴿وَلَا يَبْرِيكَ زِينَتُهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (٣) ﴿وَأَقْنِ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَلْعَنَ اللَّهُ وُجُوهَهُنَّ إِنَّمَا لِرَبِّهِ اللَّهِ إِذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ﴾ الإثم يا «أهل البيت» أي: نساء النبي ﷺ ﴿وَيُطَهَّرَنَّ مِنْهُنَّ﴾ (٤) ﴿فَتُطَهَّرَنَّ﴾ (٥).

﴿٣٤﴾ وَأَذْكُرَنَّ مَا يَنْتَلِي فِي يَوْمِكُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ﴿الْقُرْآنَ وَالْحِكْمَةَ﴾ الشُّبْهَةُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا ﴿بَأَوْلِيَانِهِ﴾ ﴿خَيْرًا﴾ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ.

[illegible]

وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ لِحَافَةً فَإِنَّهُ بِهَا يَذُوقُ سَخَرًا مِمَّا يَعِيشُ فِيهَا وَالَّذِي لَا يُؤْتِكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَأُولَئِكَ يَرْجُو أَوَّلُ عَذَابٍ مُتَسَاوِينَ ﴿٢٦﴾ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَنْحَادِ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْهَا وَيَوْمَ لَا تُنْفَعُ النَّفْسُ شَيْئًا وَلَا بَأْسٌ لِلْأَكْثَرِينَ إِلَّا الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ اللَّهَ هَدَىٰ لَهُمُ اللَّهُ صِلَاهُمْ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿٢٧﴾ وَكَانَ رَجُلٌ مِنْهُمْ إِذَا قُرِبَ إِلَيْهِ الْأَمْوَالُ الَّتِي اكْتَسَبَ مِنْ تَحْتِ يَدَيْهِ حَشِيَ عَلَيْهِ نَجَاسَاتُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَكَذَّبَ بِالنَّفْسِ الضَّالِّاتِ ﴿٢٨﴾ وَلَهُمْ فِي اللَّهِ مَغْفِرَةٌ عَظِيمَةٌ ﴿٢٩﴾

[٣١] ﴿وَمَنْ يَفْتَنْ﴾ يَطْعُ ﴿مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وَنَعَدَ صَلَاحًا نَزَّاهًا أَجْرَهَا مِنْكُمْ أَي: مثلي ثواب غيرهن من النساء، وفي قراءة (١): بالاحتياطة في [تَعْمَلُ] وَنَزَّاهًا وَأَعَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا في الجنة زيادة.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٣٣): أخرج أحمد عن أم سلمة - رضي الله عنها - تذكّر أن النبي ﷺ كان في بيتها، فأتته فاطمة - رضي الله عنها - بيرة في خبزيرة، فدخلت بها عليه فقال لها: ادعي زوجك وابنك. قالت: فعاد علي والخسين والحسن فدخلوا عليه، فجلسوا يأكلون من تلك الخبزيرة، وهو على منامة له على دكان تحته كساء له خبيري، قالت: وأنا أصلي في الحجر، فأقول الله **عَلَّك** هذه الآية: **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ تَطْهِيرًا**.

قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثم أخرج يده فألقى بها إلى السماء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا». اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا». قالت: فأدخلت رأسي البيت قنلت: وأنا معكم يا رسول الله. قال: فانك إلى خير، إنك إلى خير. أحمد - المسند (٢٩٦/٦). وصححه الأرنؤوط بمجموع طرقه في تخريجه على المسند (١١٧/٤٤)، وأخرجه الترمذي عن عمر بن أبي سلمة نحوه مختصرا. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٥٦٢). والخزيرة: الذم يقطع صفرا ويصعب عليه ماء كثير، فإذا نضج دُئى عليه الدقيق، فإن لم يكن فيه لحم فهي عسيده. وقيل غير ذلك. البردة: القدر المطلق، والجمعا: إمام، والمامة ها: القطيفة . والدُّكان: الذم الحينى للجلوس عليها. النهاية (١٢٢/٥، ١٢٣/٥). (١٢٨٢).

(٥٠) ما جاء في رِوَالِ الْآيَةِ (٢٥): أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْهُ أَمْرَ عَمَلَةِ الْأَنْصَارِيَّةِ أَنَّهُ تَلِيَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: مَا أَرَى كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا لِرَجُلٍ، وَمَا أَرَى النِّسَاءَ يَذْكُرْنَ بَشِيءًا. فَزُلْتُ: ﴿إِنَّ الْأُنثَى لَتَلَسَّاتِ وَالْمُؤَنَّثُ لَفُتْنٌ﴾. الْآيَةُ: التِّرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٣٤) وَمِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ: (صَحِيحُ الْإِسْنَادِ) صَحِيحُ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٢٥٦٥). وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَزْوَجُوا الرِّجَالَ وَلَا يَزْوَجُوا النِّسَاءَ، وَلَمَّا لَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ، فَأَنزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النِّسَاءُ: ٣٢]. قَالَ مُجَاهِدٌ: فَأَنزَلَ فِيهَا: ﴿إِنَّ الْأُنثَى لَتَلَسَّاتِ وَالْمُؤَنَّثُ لَفُتْنٌ﴾. سَبَقَ تَخْرِيجُهُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ آيَةِ (٣٢).

(١) لحمزة والكسائي.

(٢) بالكسر قراءة السبعة عدا عاصم ونافع.

(٣) النور: ٣١.



[٣٦] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ<sup>(١)</sup>﴾ لَّهُمُ الْخِيَرَةُ ﴿أَي: الاختيار﴾ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴿خلاف أمر الله ورسوله، نزلت في عبد الله ابن جحش وأخته زينب خطبها النبي زيد بن حارثة فكرها ذلك حين علما؛ لظنهما قبل أن النبي ﷺ خطبها لنفسه، ثم رضيا<sup>(٢)</sup> للآية: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ بيئنا؛ فزوجها النبي ﷺ لزيد، ثم وقع بصره عليها بعد حين؛ فوقع في نفسه حبها<sup>(٣)</sup>، وفي نفس زيد كراهتها، ثم قال للنبي ﷺ: أريد فراقها. فقال: «أمسك عليك زوجك» كما قال - تعالى -: [٣٧] ﴿وَإِذْ ذَكَرْنَاكَ مَنُصُوبًا إِذْ ذَكَرْنَاكَ﴾ «تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْإِسْلَامِ وَانْعَمْتَ عَلَيْهِ» بالاعتاق؛ وهو: زيد بن حارثة، كان من سبي الجاهلية، اشتراه رسول الله ﷺ قبل البعثة وأعتقه وتبناه ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ في أمر طلاقها ﴿وَتُخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ مظهره؛ من محبتها<sup>(٤)</sup>، وأن لو فارقها زيد تزوجها ﴿وَتُخْفَىٰ النَّاسُ أَنْ يَقُولُوا: تَزَوَّجَ زَوْجَةً ابْنِهِ﴾ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْفَىٰ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وتزويجها ولا عليك من قول الناس، ثم طلقها زيد وانقضت عدتها، قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾ حاجة ﴿زَوْجَتِهَا﴾ فدخل عليها النبي ﷺ بغير إذن، وأشبع المسلمين خيرا ولحما ﴿لَكِنْ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَقْضِيًّا﴾ مفعولا<sup>(٥)</sup>.

[٣٨] ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ سَنَّةَ اللَّهِ﴾ أي: كسنة الله، فنصب نزاع المخاض ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ من الأنبياء أن لا حرج عليهم في ذلك توسعة لهم في النكاح ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ فعله<sup>(٦)</sup> ﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ مقضيا. [٣٩] ﴿الَّذِينَ نَعْتُ لَهُ الَّذِينَ﴾ قبله ﴿يَلْبِغُونَ رَسَلَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ فلا يخشون مقالة الناس فيما أحل الله لهم ﴿وَكُنْ يَا أَيُّهَا حَسْبًا﴾ حافظا لأعمال خلقه ومحاسنهم.

[٤٠] ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ فليس أبا زيد؛ أي: والده؛ فلا يحرم عليه التزوج بزوجه زينب ﴿وَلَكِنْ﴾ كان ﴿رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾ فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبيا، وفي قراءة: بفتح التاء؛ كآلة الختم؛ أي: به ختموا ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ منه؛ بأن لا نبي بعده، وإذا نزل السيد عيسى يحكم بشريعته<sup>(٧)</sup>.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفَىٰ النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْفَىٰ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَ وَلَكِنْ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَقْضِيًّا ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سَنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ الَّذِينَ يَلْبِغُونَ رَسَلَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنْ يَا أَيُّهَا حَسْبًا ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿وَسَيُحِبُّهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤١﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا. ﴿٤٢﴾ وَسَيُحِبُّهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا. أول النهار وآخره. ﴿٤٣﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ أَي: يرحمكم ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ يستغفرون لكم ﴿لِيُخْرِجَكُم﴾ ليدم إخراجهم إياكم ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ أي: الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ أي: الإيمان ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٣٧) أخرجه البخاري عن أنس بن مالك ﷺ أن هذه الآية: ﴿وَتُخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفَىٰ النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْفَىٰ﴾ نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد ابن حارثة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٤) باب (٦).

وأخرجه الترمذي عن أنس قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَتُخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفَىٰ النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْفَىٰ﴾ في شأن زينب بنت جحش؛ جاء زيد يشكو، فهم بطلاقها، فاستأمر النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٤) ومن سورة الأحزاب (صحيح) صحيح من الترمذي (٢٥٦٧).

(١) بالتاء: قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن ذكوان.

(٢) جمهور المفسرين وهو لم يروى عن ابن عباس ومجاهد وقادة أنها نزلت في زينب بنت جحش عندما كرهت نكاح زيد لكونه مولى، وذكر بعض المفسرين - كما ذكر ابن الجوزي في زاد المسير وغيره - أن عبد الله بن جحش أخا زينب كره ذلك كما كرهته زينب، فلما نزلت الآية رضيا وسلمنا. ورواية المصنف هي المنقولة عن قدامة دون ذكر عبد الله بن جحش، أخرجه الطبري في جامعه (٩/٢٢)، والطبراني في الكبير (٣٧/٢٤، ٣٧/٢٤، ٣٧/٢٤) من طرق عنه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٢/٧) رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح. وهو ضعيف لإرساله كما في الاستيعاب (١١٥/٣).

(٣) هكذا؛ يورد غير واحد من المفسرين هذا الكلام في تفسير الآية الكريمة، ولا أساس له من الصحة كما بين ذلك المحققون من أهل العلم كابن كثير وابن حجر وغيرهما، وإنما هو من الباطل الذي يريد أعداء الإسلام به أن يسبوا إلى النبي ﷺ، والصواب في ذلك أن الله - تعالى - أعلم نبيه بذلك مخافة أن يقول الناس: كيف يزوج محمد زوجة ابنه؟ وكان يقول لزيد: «أمسك عليك زوجك».

(٤) انظر التعليق السابق.

(٥) قال ابن كثير في تفسير الآية: وكان هذا الأمر الذي وقع قد قدره الله - تعالى - ورحمته، وهو كائن لا محالة.

(٦) وهي قراءة السبعة عما عاصم. وقرأ عاصم بفتح التاء.

(٧) أي بشريعة محمد ﷺ.

[٤٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ على من أُرْسِلْتَ إليهم ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ من صدقك بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذرًا من كذبك بالنار [٤٦] ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ إلى طاعته ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بأمره ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ أي: مثله في الاهتداء به.

[٤٧] ﴿وَنَذِيرَ الْمُتَّقِينَ﴾ يَأْنُ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿هُوَ الْجَنَّةُ﴾ [٤٨] ﴿وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿وَدَعِ أَتْرَكَ﴾ أَذْنَهُمْ لا تجازهم عليه إلى أن تؤمر فيهم بأمر ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فهو كافك ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ مَوْضُوعًا إِلَيْهِ.

[٤٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ وفي قراءة (١) ﴿تَمَاشُوهُنَّ﴾ أي: تجمعهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدُوٍّ تَمْتَدُّونَهَا﴾ تحصونها بالإفراء وغيرها ﴿فَتَمْتَدُّونَهَا﴾ أعطوهن ما يستمتعن به؛ أي: إن لم يُسَمَّ لَهُنَّ أَصْدِيقَةٌ، وإلا فلهن نصف المسمى فقط، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي ﴿وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ خلوا سبيلهن من غير إضرار.

[٥٠] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَانَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ من الكفار بالسي؛ كصفية وجويرية ﴿وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ﴾ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ بخلاف من لم يهاجرن ﴿وَأَمْرًا مُؤَمَّنَةً﴾ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا يطلب نكاحها بغير صدق ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النكاح بلفظ الهبة من غير صدق ﴿فَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ من الأحكام؛ بأن لا يزيدوا على أربع نسوة، ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر ﴿وَفِي﴾ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُمْ من الإماء بشراء وغيره؛ بأن تكون الأمة ممن تحمل المالكها كالكثابية بخلاف المجوسية والوثنية، وأن تستبرأ قبل الوطء ﴿لِكَيْلَا﴾ متعلق بما قبل ذلك ﴿يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ ضيق في النكاح ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ فيما يعسر التحرز عنه ﴿رَحِيمًا﴾ بالتوسعة في ذلك.

يَحْيِيهِمْ يَوْمَ يَقُوتُهُمْ وَسَلَّمَ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿وَنَذِيرَ الْمُتَّقِينَ﴾ وَمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَتْرَكَ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدُوٍّ تَعْتَدُونَهَا﴾ فَتَمْتَدُّونَهَا وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَانَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤَمَّنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْتُمْ مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿

[٤٤] ﴿يَحْيِيهِمْ﴾ منه - تعالى - ﴿يَوْمَ يَقُوتُهُمْ وَسَلَّمَ﴾ بلسان الملائكة (١) ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ هو الجنة.

(١) إذا قلنا: إن النحية منه - شيخانته - بمعنى أنه يسلم عليهم كما قال - شيخانته -: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾، ففسية هذا إلى الملائكة من التأويل السقيم، وهو مذهب المؤولة القائلين بالكلام النفسي أو الدين ينفون عن الله هذه الصفة، وعلى القول الآخر أن المراد أنهم يحيي بعضهم بعضًا بالسلام يوم يلقون الله في الدار الآخرة، وهو اختيار ابن جرير - فلا معنى لهذا التأويل ولا وجه له.

والتفسير الأول أظهر وهو اختيار ابن كثير.

(٢) حمزة والكسائي، وهي بضم التاء وإشباع المد بعد السين.

[٥١] ﴿تُؤْتِيهِمْ﴾ [تُؤْتِيهِمْ] بالهمزة والياء بدله<sup>(١)</sup>، تُوخَّرُ ﴿مَرَّ نَفْسًا مِنْهُمْ﴾ أي: أزوجك عن نوبتها<sup>(٢)</sup> ﴿وَتُؤْتِيهِمْ﴾ تضم ﴿إِلَيْكَ مَرَّ نَفْسًا﴾ منهم فتأثيرها ﴿وَمَنْ أُنْفِيتَ﴾ طلبت ﴿وَمَنْ عَزَلْتَ﴾ من القسمة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في طلبها وضمتها إليك، خير في ذلك بعد أن كان القسم واجباً عليه<sup>(٣)</sup> ﴿ذَلِكَ﴾ التخيير ﴿أَقْرَبُ﴾ أقرب إلى ﴿أَنْ تَقْرَعَ أَعْيُنَهُمْ وَلَا تَخْرُجَ وَتَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُمْ﴾ ما دُكر الخير فيه ﴿كُلُّهُمْ﴾ تأكيد للفاعل في ﴿وَتَرْضَيْنَ﴾ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ من أمر النساء والميل إلى بعضهن، وإنما خيرناك فيهن تيسيراً عليك في كل ما أردت ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَالِمًا﴾ بخلقهن ﴿عَالِمًا﴾ عن عقابهن.

[٥٢] ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ بالياء والياء<sup>(٤)</sup> ﴿لَكَ الْيَسَاءُ مِنْ بَعْدِ﴾ بعد اتسع اللاتي اخترتك ﴿وَلَا أَنْ تَبْذَلَ﴾ برك إحدى اللاتي في الأصل ﴿بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ بأن تطلقهن أو بعضهن وتكبح بذل من طَلَّقَتْ ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ بَيْتُكَ﴾ من الإماء؛ فحل لك، وقد ملك بغيرهن مارية وولدت له إبراهيم ومات في حياته ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ حفيظاً.

[٥٣] ﴿يَتْلُوهُنَّ﴾ [يَتْلُوهُنَّ] عَامُوا لَا تَدْخُلُوا بِيُوتِ النَّبِيِّ وَلَا أَتِ يُوَدَّتْ لَكُمْ، في الدخول بالدعاء ﴿إِلَى طَعَامٍ﴾ فدخلوا ﴿غَيْرَ نَظِيرِينَ﴾ منتظرين ﴿إِنَّهُ﴾ تضمه، مصدر أتى باني ﴿وَلَكِنْ يَدَا دُعَيْتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَبِرُوا وَلَا تَكُونُوا مَسْتَغْفِينَ لِحَدِيثٍ﴾ من بعضكم لبعض ﴿إِنْ ذَلِكُمْ﴾ المكث ﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ﴾ أن يخرجكم ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ مِنْ النَّبِيِّ﴾ أن يخرجكم، أي: لا يترك بيانه<sup>(٥)</sup> وقرئ<sup>(٦)</sup>: ﴿يَسْتَحْيِي﴾ بياء واحدة ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ أي: أزواج النبي ﷺ ﴿مَتَمًا فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ ستر ﴿ذَلِكَمُ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الخواطر المريية ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ بشيء ﴿وَلَا أَنْ تُكَلِّمُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أبدأً إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ ذَنْبًا عَظِيمًا<sup>(٧)</sup>.

\* تُؤْتِيهِمْ مَنْ نَفْسًا مِنْهُمْ وَتُؤْتِيهِمْ إِلَيْكَ مَنْ نَفْسًا وَمَنْ أُنْفِيتَ وَمَنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَذَقَهُ أَنْ تَقْرَعَ أَعْيُنَهُمْ وَلَا تَخْرُجَ وَتَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُمْ كُلُّهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا لَا يَحِلُّ لَكَ الْيَسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبْذَلَ بِيَهُنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا يَتْلُوهُنَّ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بِيُوتِ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرِينَ إِنَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَمًا فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُكَلِّمُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا إِنْ تُبْذُوا شَيْئًا أَوْ تُخَفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا

[٥٤] ﴿إِنْ تُبْذُوا شَيْئًا أَوْ تُخَفَوْهُ﴾ من نكاحهن بعده ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فيجازيكم عليه.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥١): أخرج البخاري عن عروة بن الزبير قال: كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ، فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل؟! فلما نزلت: ﴿تُؤْتِيهِمْ مَنْ نَفْسًا مِنْهُمْ﴾ قلت: يا رسول الله، ما أرى ربك إلا يسارع في هوك. البخاري كتاب النكاح (٦٧) باب (٢٩) هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد. (٦) ما جاء في نزول الآية (٥٣): أخرج البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال: لما تزوج رسول الله ﷺ زينب ابنة جحش دعا القوم فطعموا، ثم جلسوا يتحدثون، وإذا هو يتأهب للقيام، فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس، ثم إياهم قاموا، فانطلقت فبحث فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل فالتقى الحجاب بيني وبينه، فأقول له: ﴿يَتْلُوهُنَّ﴾ عَامُوا لَا تَدْخُلُوا بِيُوتِ النَّبِيِّ ﷺ الآية. البخاري - التفسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٣) باب (٥٩). وأخرج أيضاً عن عائشة أن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناسج - وهو صعيد أبيض - فكان عمر يقول للنبي ﷺ: احجب نسائك، فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة - زوج النبي ﷺ ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة فدعاها عمر: ألا قد عرفتك يا سودة؟ حرصاً على أن يزل الحجاب، فأنزله الله آية الحجاب. البخاري كتاب الوضوء (٤) باب (١٣) خروج النساء إلى البراء. وأخرج أيضاً عن أنس قال: قال عمر ﷺ قلت: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، ولم تهرت أمهات المؤمنين بالحجاب؛ فأنزله الله الحجاب. البخاري - التفسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٣) باب (٨).

(١) بالهمزة المضمومة قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة. (٢) أخرج البخاري عن معاذ بن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية: ﴿تُؤْتِيهِمْ مَنْ نَفْسًا﴾ فقلت لها: ما كنت تقولين؟ قالت: كنت أقول له: إن كان ذلك إلني فإني لا أريد يا رسول الله أن أؤثر عليك أحد. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٣) باب (٧). وهذا الحديث يؤيد تخصيص المصنف تخييره ﷺ بين الإرجاء والإيداء بزوجاته ﷺ، أي في القسم بينهما كيف يشاء. وهذا أحد القولين في تفسير الآية. والقول الثاني: أن الآية عامة في الواهبت أنفسهن له ﷺ، في قول من شاء منهن ورد من شاء، وكذا في روجاته اللاتي عنده، في القسم بينهما. واختار هذا القول ابن جرير واستحسنه ابن كثير، وفيه جمع بين الأحاديث. (٣) ولكنه ﷺ كان يقسم بين ساته فيعدل كما في حديث عائشة عند أبي داود (٢١٣٥) قالت: كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم... الحديث، وحسنه الألباني في الإرواء (٨٥/٧). (٤) بالياء قراءة أبي عمرو. (٥) والصواب إثبات صفة الحياء لله ﷻ على الوجه الذي يليق به، ومن لوازم الإثبات الترك، وتفسير الصفة بلازمها ليس مذهب السلف. (٦) أي: شذوذاً.

اللَّهُ ۞ فِيمَا أَمَرْتَن بِهِ ۞ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۞ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

[٥٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ محمد ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(٤)</sup> أي: قولوا: اللهم صل على محمد وسلم.

[٥٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وهم: الكفار، يصفون الله بما هو  
 منزه عنه من الولد والشريك ويكذبون رسوله ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا  
 وَالْآخِرَةِ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ذا إهانة، وهو: النار.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ يُذَوِّبُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعَثَ مَا اكْتَسَبُوا﴾  
 يرمنهم بغير ما عملوا ﴿فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا﴾ تحملوا كذبا ﴿وَأَنَّمَا مُبْتَلَا﴾  
 بَيِّنًا.

[٥٩] ﴿يَتَابَهَا النَّفْسُ لِمَ لَازِمَتِكَ مَتَابِكَ﴾ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَنْهُنَّ مِنْ جَنَّتِهِنَّ ﴿٥٩﴾ جمع جلباب؛ وهي: المائة التي تشتمل بها المرأة؛ أي: يرخين بعضها على الوجه إذا خرجن لحاجتهن، إلا عينا واحدة ﴿ذَلِكَ أَتَى أَقْرَبَ إِلَى أَنْ يُعْرِضَ﴾ بأنهن حرائر ﴿فَلَا يُؤْذَنُ﴾ بالتعرض لهن بخلاف الإماء فلا يغطين وجوههن، فكان المنافقون يتعرضون لهن ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف منهم من ترك السرير ﴿حَبِيبًا﴾ بهن إذ سترهن.

[illegible]

[٦١] ﴿مَلْعُونًاۙ﴾ مبعدين عن الرحمة ﴿أَيْنَ مَا تُقْبَلُونَ﴾ وجدوا ﴿أُنْذِرُوا وَقُلُوا قَتِيلًا﴾ أي: الحكم فيهم هذا، على جهة الأمر به.

[٦٢] ﴿سَنَسْأَلُ آلَهُ﴾ أي: سنسأل الله ذلك ﴿فِي اللَّيْلِ﴾ خلّوا من قبل الله من الأمم الماضية في مناقبهم المرجفين المؤمنين ﴿وَلَكِنْ نَحْنُ لِسَنَسْأَلُ آلَهُ تَبْدِيلًا﴾ منه.

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيءِ أَبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا  
أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا سَيِّدِهِنَّ وَلَا مَمْلُوكَاتِ  
يُؤْمِنُنَّ وَأَتَّقِينَ ۖ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا  
﴿٥٨﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ  
اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا  
مُهِينًا ﴿٦٠﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ  
مَّا كَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٦١﴾  
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ  
يُذَيَّبْنَ عَلَيْهِنَ مِنْ جُلْدِيهِنَّ ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يَعْرِفْنَ قُلُوبَ  
يُؤْذِينَ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦٢﴾ لَيْنَ لَوِيسَتِهِ الْفٰسِقُونَ  
وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ  
لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٣﴾ مَلْعُونِينَ  
أَيُّمَاتُ قَوْمٍ أَخَذُوا وَقْتَهُمْ تَفْتِيلًا ﴿٦٤﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي  
الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٥﴾

[٥٥] ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْنَا فِيْ ءَابَائِهِمْ وَلَا اَبْنَاؤِهِمْ وَلَا اِخْوَانِهِمْ وَلَا اَنْتَهُمْ وَلَا اَنْتَهُنَّ وَلَا اَحْوَانُهُمْ وَلَا يَسْأَلِيْنَهُمْۙ اَيُّ الْمُوْمِنَاتِ ۚ وَلَا مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُهُنَّۙ مِنَ الْاِمَاءِ وَالْعَبِيْدِ اَنْ يَّرَوْهُمْ وَيَكْلُمُوْهُمْ مِنْ غَيْرِ حِجَابٍ ۚ وَتَقِيْنَ

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن كعب بن عجرة قال: ما نزلت: **إِنَّ اللَّهَ وَنَبِيِّكُمْ يَصْلُحُونَ عَلَى الْكَذِبِ** قالوا: كيف نصلي عليك يا نبي الله؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وعلى آل إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. المسند (٤/٤٤٤)، وصححه الألبان (١٨١٣٣). والحديث في الصحيحين والسنن دون ذكر الآية: البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧).

(٥٥) فائدة: أخرج أبو داود عن أم سلمة قالت: لما نزلت: ﴿يُذَيِّبُكَ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّجَلَّيْنٌ﴾ خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من الأكسية. أبو داود - كتاب (اللباس) (٢٦) باب (٣٢) في قوله تعالى: ﴿يُذَيِّبُكَ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّجَلَّيْنٌ﴾ ووضحه الألباني في حجاب المرأة المسلمة ص ٣٨.

(١) أي: بحب ذلك، وكذا حب الفواحش.

(٢) أي: الذين يرجفون المؤمنين بقولهم.

[٦٣] ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنْ النَّسَاءِ قُلْ إِنَّمَا عَاهَدْتُ اللَّهَ وَمَا يَذُرِيكَ عَنْهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يَذُرِيكَ يَعْلَمُكُ بِهَا أَيُّ أَنْتَ لَا تَعْلَمُهَا﴾ ﴿لَعَلَّ النَّسَاءَ تَكُونُ﴾ توجد ﴿قَرِيبًا﴾.

[٦٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ نارا شديدة يدخلونها.

[٦٥] ﴿خَالِدِينَ﴾ مقدرا خلودهم ﴿وَبِمَا أَبَدَ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحفظهم عنها ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يدفعها عنهم.

[٦٦] ﴿يَوْمَ ثَقُلَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَئِنَّا لَنَكُنَّا أَطْعَمًا اللَّهُ وَأَطْعَمَنَا الرَّسُولَ﴾.

[٦٧] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: الأتباع منهم: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَمْنَا سَادَتَنَا﴾ وفي قراءة<sup>(١)</sup>: ﴿سَادَاتِنَا﴾ جمع الجمع ﴿وَكُنَّا أَطْعَمًا الرَّسُولَ﴾ طريق الهدى.

[٦٨] ﴿رَبَّنَا إِنَّا هُمْ ضَعُفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ أي: مثلي عذابنا ﴿وَالْعَنَتُهُمْ﴾ عذبهم ﴿وَلَعَنَّا﴾ كثيرًا<sup>(٢)</sup> عدده، وفي قراءة: بالوحدة؛ أي: عظيمًا.

[٦٩] ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا﴾ مع نبيكم ﴿كَالَّذِينَ آدَوُا مُوسَى﴾ يقولهم - مثلا -: ما يمنعه أن يغتسل معنا إلا أنه أدر ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ بأن وضع ثوبه على حجر ليغتسل؛ فَفَرَّ الْحَجَرُ بِهِ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ مَلَكٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ فَأَذْرَكَهُ مُوسَى فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَاسْتَرَّ بِهِ، فَرَأَاهُ وَلَا أَفْرَهُ بِهِ<sup>(٣)</sup>؛ وهي نفخة في الخصى ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِبَاهُ﴾ ذا جاه، ومما أودى به نبينا ﷺ أنه قَسَمَ قَسَمًا، فقال رجل: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله - تعالى - . فغضب النبي ﷺ من ذلك، وقال: ﴿يُوحِى إِلَهُ مُوسَى لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا؛ فَصَبِّرْ﴾<sup>(٤)</sup> [رواه البخاري].

[٧٠] ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ صوابًا.

[٧١] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ يقبلها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَرًّا عَظِيمًا﴾ نال غاية مطلوبه.

[٧٢] ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ بأن خلق فيهما فهما وتركما من العقاب ﴿وَالنَّاسِ وَالْأَنْبِيَاءِ﴾ بأن خلق فيهما فهما ونطقا ﴿فَأَبَى أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقَ﴾ خفن ﴿وَبِمَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ آدم بعد عرضها عليه ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا كَثِيرًا﴾ لنفسه بما حملة ﴿جَهُولًا﴾ به.

[٧٣] ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ﴾ «اللام» متعلقة بـ ﴿عَرَضْنَا﴾ المترتب عليه حمل

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ النَّسَاءِ قُلْ إِنَّمَا عَاهَدْتُ اللَّهَ وَمَا يَذُرِيكَ  
لَعَلَّ النَّسَاءَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ  
لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا  
﴿٦٥﴾ يَوْمَ ثَقُلَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَئِنَّا لَنَكُنَّا أَطْعَمًا اللَّهُ  
وَأَطْعَمَنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَمْنَا سَادَتَنَا وَكَرِهْنَا  
فَأَصْلَحْنَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا إِنَّا هُمْ ضَعُفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ  
وَالْعَنَتُهُمْ لَعَنَّا كَثِيرًا ﴿٦٨﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ  
آدَوُا مُوسَى فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِبَاهُ  
يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ  
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
فَقَدْ فَازَ فَرًّا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَى أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا  
الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُتَفِقِينَ  
وَالْمُتَفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ  
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

آدم<sup>(٥)</sup> ﴿الْمُتَفِقِينَ وَالْمُتَفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ المضيعين الأمانة  
﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ المؤدين الأمانة ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾  
للمؤمنين ﴿رَحِيمًا﴾ بهم.

\*\*\*

(١) لابن عامر.

(٢) للبيعة عدا عاصم. وقرأ عاصم: ﴿كثيرًا﴾ بالوحدة.

(٣) كما في حديث أبي هريرة عند البخاري (٢٧٨)، ومسلم (٣٣٩).

(٤) البخاري (٣٤٠٥)، ومسلم (١٠٦٢) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٥) قال ابن كثير: أي إنما حُثِّلَ ابنُ آدم الأمانة وهي التكليف، ليُعَذِّبَ الله المنافقين منهم والمنافقات... إلخ.



أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
 فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ  
 وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ شَأْنَهُمْ خَفِيفٌ أَلَيْسَ  
 أَوْ تَسْقُطُ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً  
 لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا  
 يَجِبَالُ أَوْبَى مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالثَّالِثَ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ  
 سَبْعَ سَاعَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّيِّئِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ  
 بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلَسْتَ تَمَنَّوْنَ الرِّيحَ عُدُّهَا شَهْرًا وَرَوَّاحَهَا شَهْرًا  
 وَأَسْأَلْتَاهُ عَيْنَ الْفُطْرِ وَمِنْ الْجِبِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذِ  
 رَبُّهُ وَمَنْ يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا لَذِقُوا مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾  
 يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْدَبٍ وَتَمَثَّلَ هِجَانًا كَلْجَوَابٍ  
 وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ  
 الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ  
 إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ وَقَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ  
 أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

قائما على عصاه حولاً ميتاً، والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة، على عاداتها، لا تشعر بموته حتى أكلت الأرضه عضاه فخر ميتاً ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ مصدر أرضت الحشبة بالبناء للمفعول؛ أكلتها الأرضه ﴿تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ﴾ بالهمز وتركه بالثاء (١٤)؛ عصاه؛ لأنها تُشَسُّأُ بَطَرْدٍ (١٥) ويُزجر بها ﴿قَلَمَّا خَرَّ﴾ ميتاً ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ﴾ انكشفت لهم ﴿أَنْ﴾ مخففة؛ أي: أنهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾ ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان ﴿مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ العمل الشاق لهم؛ لظنهم حياته، بخلاف ظنهم علم الغيب، وعلم كونه سنة بحساب ما أكلته الأرضه من العصا بعد موته، يوماً وليلة مثلاً.

[٨] ﴿أَفْتَرَى﴾ بفتح الهمزة للاستفهام، واستغني بها عن همزة الوصل ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ في ذلك ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ جنون تغيل به ذلك؟ قال - تعالى -: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ المشتملة على البعث والعذاب ﴿فِي الْعَذَابِ﴾ فيها ﴿وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ عن الحق في الدنيا.

[٩] ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما فوقهم وما تحتهم ﴿يَرَوْنَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ﴾ إِنَّ شَأْنَهُمْ خَفِيفٌ بِهِمُ الْأَرْضُ أَوْ تَسْقُطُ عَلَيْهِمْ كِسَفًا ﴿بِسُكُونِ السَّيْنِ وَفَتْحِهَا﴾؛ قطعاً ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ وفي قراءة في الأفعال الثلاثة: بالياء (١٠) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المرئي ﴿لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ راجع إلى ربه، تدل على قدرة الله على البعث وما يشاء.

[١٠] ﴿لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ نبوة وكتاباً، وقلنا: ﴿يَجِبَالُ أَوْبَى﴾ رجعي ﴿مَعَهُ﴾ بالتسبيح ﴿وَالطَّيْرَ﴾ بالنصب عطفاً على محل الجبال؛ أي: ودعوناها تسبح معه ﴿وَأَلَمَّا لَهُ الْحَدِيدُ﴾ فكان في يده كالعجين. وقلنا: [١١] ﴿أَنْ أَعْمَلَ﴾ منه ﴿سَبْعَ سَاعَاتٍ﴾ دروعاً كوامل، يجوها لابسها على الأرض ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّيِّئِ﴾ أي: تشج الدروع، قبل لصانها: سراد؛ أي: اجعله بحيث تناسب جلقه ﴿وَأَعْمَلُوا﴾ أي: آل داود معه ﴿صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فأجازكم به.

[١٢] ﴿وَوُكِّلَ﴾ سخرنا ﴿لِلشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ وقراءة الرفع (١٦) بتقدير: تسخير ﴿عُدُّوْهَا﴾ مسيرها من الغدوة؛ بمعنى: الصباح إلى الزوال ﴿شَهْرًا وَرَوَّاحَهَا﴾ سيرها من الزوال إلى الغروب ﴿شَهْرًا﴾ أي: مسيرته ﴿وَأَسْأَلْتَاهُ﴾ أذننا ﴿لَهُ عَيْنَ الْفُطْرِ﴾ أي: النحاس؛ فأجريت ثلاثة أيام لباليهين كجري الماء، وعمل الناس إلى اليوم مما أعطي سليمان ﴿وَمِنْ الْجِبِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ياذن بأمر ﴿رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغُ﴾ يعدل ﴿مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ له بطاعته ﴿لَذِقُوا مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ النار في الآخرة، وقيل: في الدنيا؛ بأن يضربه ملك بسوط منها ضربة تحرقه.

[١٣] ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْدَبٍ﴾ أبنية مرتفعة يصعد إليها بدرج ﴿وَتَمَثَّلَ﴾ جمع تمثال؛ وهو: كل شيء مثله بشيء؛ أي: صور من نحاس وزجاج وورخام، ولم يكن اتخاذ الصور حراماً في شريعته ﴿وَجِجَانًا﴾ جمع جحشة ﴿كَلْجَوَابٍ﴾ أي: جمع جابية؛ وهو: حوض كبير، يجمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها، تتخذ من الجبال باليمن يصعد إليها بالسلالم، وقلنا: ﴿أَعْمَلُوا﴾ يا ﴿أَلْ دَاوُدَ﴾ بطاعة الله ﴿شُكْرًا﴾ له على ما آتاكم ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ العامل بطاعتي شكرًا للنعمة.

[١٤] ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ على سليمان ﴿الْمَوْتَ﴾ أي: مات ومكث

(١) بالسكون قراءة السبعة عدا حفص.

(٢) أي: ﴿يُشَاةُ﴾، و﴿يُحَسَفُ﴾، و﴿يُسْقَطُ﴾، وهي قراءة حمزة والكسائي.

(٣) وهي قراءة شعبة.

(٤) قراءتان سبعيتان، قرأ نافع وأبو عمرو بالثاء من غير همز، وقرأ الباقون بهمزة مفتوحة إلا ابن ذكوان فإنه أسكن الهمزة.

(٥) في نسخة من المطبوع: ﴿لَأَنهَا تُشَسُّأُ بَطَرْدٍ﴾، وفي نسخة أخرى: ﴿لَأَنهَا تُشَسُّأُ بَطَرْدٍ﴾.

واديهم المسوك بما ذكره؛ فأغرق جنيتهم وأموالهم ﴿وَيَذُلُّهُمْ يَجْنِبُهُمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي﴾ تثنية ذوات مفرد على الأصل ﴿أَكُلِ حِمَاطٍ﴾<sup>(١)</sup> مؤن بشع، بإضافة ﴿أَكُلِ﴾ بمعنى: مأكول، وتركها ويعطف عليه ﴿وَأَتْلُ وَشَىٰ وَمِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾.

[١٧] ﴿ذَلِكَ﴾ التبديل ﴿جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ بكفرهم ﴿وَهَلْ يُجَازِلُ﴾ إلّا [الكفور] بالبلاء<sup>(٢)</sup>، والنون مع كسر الزاي ونصب ﴿الْكُفُورُ﴾ أي: ما يناقش إلا هو.

[١٨] ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين سبأ، وهم باليمن ﴿وَبَيْنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَنَرَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر؛ وهي: قرى الشام التي يسبرون إليها للتجارة ﴿فَرَىٰ ظَهْرَهُ﴾ متواصلة من اليمن إلى الشام ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ بحيث يقولون في واحدة ويبيتون في أخرى، إلى انتهاء سفرهم، ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء؛ أي: قلنا: ﴿سَيَرُوا فِيهَا لَيَالِيًا وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ لا تخافون في ليل ولا في نهار.

[١٩] ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعُذْ﴾<sup>(٣)</sup> وفي قراءة: ﴿بَعُذْ﴾ ﴿بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ إلى الشام؛ اجعلها مغاور ليطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء؛ فبطروا النعمة ﴿وَوَلَّوْا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لمن بعدهم في ذلك ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَرْقِإٍ﴾ فرقانهم في البلاد كل التفريق ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ عبرًا ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن المعاصي ﴿شُكُورٍ﴾ على النعم.

[٢٠] ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٤)</sup> ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: الكفار؛ منهم سبأ ﴿إِبْلِيسَ ظَنَّهُ﴾ أنهم بإغوائه يتبعونه ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ فـ ﴿صَدَقَ﴾ بالتخفيف: في ظنه، أو ﴿صَدَقَ﴾ بالتشديد: ظنه؛ أي: وجده صادقًا ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: لكن ﴿فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ للبيان؛ أي: هم المؤمنون لم يتبعوه.

[٢١] ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ﴾ تسليط ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ﴾ فنجازي كلًا منها ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيطٌ﴾ رقيب.

[٢٢] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة: ﴿أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أي: زعمتموهم آلهة ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره لينفعوكم بزعمكم، قال - تعالى - فيهم: ﴿لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾ وزن ﴿ذَرَرٌ﴾ من خير أو شر ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ﴾ شركة ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ - تعالى - ﴿بِهِمْ﴾ من الآلهة ﴿مَنْ ظَهَرَ﴾ معين.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلِ حِمَاطٍ وَأَتْلُ وَشَىٰ وَمِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَنَرَكْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَبِيلًا وَيَا مَاءَ أَمِينٍ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَرْقِإٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ، فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَوْمَئِذٍ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيطٌ ﴿٢١﴾ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

[١٥] ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ بالصرف وعدمه<sup>(١)</sup>؛ قبيلة سميت باسم جد لهم من العرب ﴿فِي مَسْكِنِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> باليمن ﴿آيَةٌ﴾ دالة على قدرة الله - تعالى - ﴿جَنَّتَانِ﴾ بدل ﴿عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ عن يمين واديهم وشماله، وقيل لهم: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ على ما رزقكم من النعمة في أرض سبأ ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ ليس فيها سباح<sup>(٣)</sup>، ولا بعوضة، ولا ذبابة، ولا برغوث، ولا عقرب، ولا حية، ويمر الغريب فيها وفي ثيابه قمل فيسوت لطيب هوائها<sup>(٤)</sup> ﴿وَاللَّهُ رَبُّ غَفُورٌ﴾.

[١٦] ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن شكره وكفروا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ جمع غرقة؛ وهو: ما يمسك الماء من بناء وغيره إلى وقت حاجته؛ أي: سيل

(١) قرأ أبو عمرو واليزي بفتح الهجمة من غير تنوين، وقرأ قبل بإسكان الهجمة.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ حفص وحمره: ﴿مَسْكِنِهِمْ﴾ بالإفراد وفتح الكاف، وقرأ الكسائي: ﴿مَسْكِنَهُمْ﴾ بالإفراد وكسر الكاف.

(٣) وفي نسخة مطبوعة «سباح».

(٤) لا حاجة إلى ذكر هذه الأمور التي لا دليل عليها، وإنما يكفي أكثر المفسرين بتفسير البلدة الطيبة بأنها المباركة الكثيرة الثمرات اللطيفة الهواء.

(٥) وهي قراءة أبي عمرو.

(٦) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٧) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وهشام. وقرأ بقية السبعة: ﴿وَابْعَدُ﴾.

(٨) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. وقرأ بقية السبعة: ﴿صَدَقَ﴾ بالتشديد.



[٢٣] ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ﴾ - تعالى - ردًا لقولهم: إن ألهتهم تشفع عنده ﴿إِلَّا لِمَنْ أَوْكَتْ﴾ بفتح الهمة وضمها<sup>(١)</sup> ﴿كَبُرَ﴾ فيها ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول<sup>(٢)</sup> ﴿عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ كشف عنها الغرغ بالإذن فيها ﴿قَالُوا﴾ قال بعضهم لبعض استبشارًا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ فيها؟ ﴿قَالُوا﴾: القول ﴿الْحَقُّ﴾ أي: قد أذن فيها<sup>(٣)</sup> ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر<sup>(٤)</sup> ﴿الْكَبِيرُ﴾<sup>(٥)</sup> العظيم.

[٢٤] ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ المطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ النبات؟ ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ إن لم يقلوه، لا جواب غيره ﴿وَيَا أَيُّهَا كُفَّيْكُمْ﴾ أي: أحد الفريقين ﴿لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بين، في الإيهام لتلف بهم داعٍ إلى الإيمان إذا وفقوا له.

[٢٥] ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرِمَا أَذْنَبَا وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لأنَّ تَريثون منكم.

[٢٦] ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾ يحكم ﴿بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ فيدخل المحقق الجنة والمبطلين النار ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ﴾ الحاكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يحكم به.

[٢٧] ﴿قُلْ أَرُونِي﴾ أعلموني ﴿الَّذِينَ أَحَقُّهُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾ في العبادة ﴿كَلَّا﴾ رذخ لهم عن اعتقاد شريك له ﴿بَلْ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره خلقه؛ فلا يكون له شريك في ملكه.

[٢٨] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَفَّةً﴾ حال من «الناس»، قدم للاهتمام ﴿لِلنَّاسِ بَشِيرًا﴾ مبشرًا للمؤمنين بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذرًا للكافرين بالعذاب ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٢٩] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه؟ [٣٠] ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَفْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغِيثُونَ﴾ عليه؛ وهو: يوم القيامة.

[٣١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: تقدمه؛ كالتوراة والإنجيل، الدالين على البعث لإنكارهم له. قال - تعالى - فيهم: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذْ

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرِمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَحَقُّهُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَفَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَفْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغِيثُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

الظَّالِمُونَ الكافرون ﴿مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ الأنباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ الرؤساء: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ﴾ صدقتمونا عن الإيمان ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ بالنبي.

(١) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: إن نبي الله ﷺ قال: إذا قضى الله أمراً في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاعاً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير... الحديث. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة سبأ (٣٤) باب (١) ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ...﴾.

(٢) بالضم قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو.

(٣) بالياء للفاعل قراءة ابن عامر.

(٤) أي في الشفاعة.

(٥) وهذا من قصر العام على بعض أفرادها، وهو - شبحانة - له العلو المطلق؛ علو الذات، وعلو الشأن، وعلو القهر.

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ  
عَنِ الْهَدْيِ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ  
اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ  
تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ  
لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا  
هَلْ يُخْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ  
مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٥﴾  
وَقَالُوا أَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٦﴾  
قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ  
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ  
عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا قُلْتُ لَكُمْ لَهُمْ جَزَاءٌ  
الضَّعِيفُ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ  
يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٩﴾  
قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ  
وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٤٠﴾

[٣٢] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهَدْيِ

بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ؟﴾ لَا ﴿بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ في أنفسكم.  
[٣٣] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾  
أي: مكر فيهما منكم بنا ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾  
شركاء ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ أي: الفريقان ﴿النَّدَامَةَ﴾ على ترك الإيمان به ﴿لَمَّا رَأَوُا  
الْعَذَابَ﴾ أي: أخفاها كلٌّ عن رفيقه مخافة التعبير ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي  
آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في النار ﴿هَلْ يُخْزَوْنَ﴾ ما ﴿يُخْزَوْنَ﴾ إِلَّا ﴿جَزَاءً﴾  
كَانُوا يَعْمَلُونَ في الدنيا.

[٣٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ رؤساؤها  
المتنعون: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.

[٣٥] ﴿وَقَالُوا أَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا﴾ من آمن ﴿وَمَا نَحْنُ  
بِمُعَذَّبِينَ﴾.

[٣٦] ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ امتحانا  
﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أي: كفار  
مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٣٧] ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ﴾ قُوتى؛ أي:  
تقرىبا ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا قُلْتُ لَكُمْ لَهُمْ جَزَاءٌ﴾ الضَّعِيفُ بِمَا  
عَمِلُوا ﴿أَي﴾: جزاء العمل: الحسنة - مثلا - بعشر فأكثر ﴿وَهُمْ فِي الْعُرْفَتِ﴾  
من الجنة ﴿ءَامِنُونَ﴾ من الموت وغيره، وفي قراءة: ﴿الْعُرْفَتِ﴾<sup>(١)</sup> بمعنى  
الجمع.

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن بالإبطال ﴿بِالْإِطْلَاقِ﴾ ﴿مُعْجِزِينَ﴾<sup>(٢)</sup> لنا  
مقدرين عجَزنا، وأنهم يفوتونا ﴿أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

[٣٩] ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ امتحانا  
﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه ﴿لِمَنْ﴾ بعد البسط أو لمن يشاء ابتلاء ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ  
شَيْءٍ﴾ في الخير ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ يقال: كل إنسان  
يرزق عائلته؛ أي: من رزق<sup>(٣)</sup> الله.

(١) وهي قراءة حمزة.

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة: ﴿مُعْجِزِينَ﴾.

(٣) في نسخة مطبوعة: «يرزق الله».

[٤٠] ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمَلَائِكَةِ أَهْلَآءٍ إِنَّا كُنْهُمْ بِتَحْقِيقِ الْهَمَزَيْنِ وَإِدْبَالِ الْأَوَّلَى يَاءً وَإِسْقَاطِهَا﴾ (٣) ﴿كَأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ؟﴾

[٤١] ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ تَرْبِيهَا لَكَ عَنِ الشَّرِيكِ﴾ وَأَنْتَ وَلِئْسَ مِنْ دُونِهِمْ ﴿أَي: لَا مَوَالِدَ بَيْنَا وَبَيْنَهُمْ مِنْ جِهَتِنَا﴾ ﴿بَلْ لِلانْتِقَالِ﴾ ﴿كَأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْإِجْنَ﴾ الشَّيَاطِينِ؛ أَيْ: يَطِيعُونَهُمْ فِي عِبَادَتِهِمْ لِإِنَانَا ﴿أَكْثَرُهُمْ يَمُومُونَ﴾ مُصَلِّونَ فِيمَا يَقُولُونَ لَهُمْ.

[٤٢] قَالَ - تَعَالَى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُم لِبَعْضٍ﴾ أَيْ: بَعْضُ الْمُعْبُودِينَ لِبَعْضِ الْعَابِدِينَ ﴿تُعَاذُ﴾ شَفَاعَةُ ﴿وَلَا ضَرَّ﴾ تَعَذُّبًا ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَنَّمُوا﴾ كَفَرُوا: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

[٤٣] ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا﴾ الْقُرْآنَ ﴿يَسْتَنبِطُ﴾ وَاضْحَابُ بِلْسَانِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ مِنْ الْأَصْنَامِ ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا﴾ الْقُرْآنَ ﴿إِلَّا أَفْكٌ﴾ كَذَبٌ ﴿مُفْتَرًى﴾ عَلَى اللَّهِ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ﴾ الْقُرْآنَ ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ﴾ مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿يَتَّبِعُونَ﴾.

[٤٤] قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَمَا ءَاتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ فَمَنْ أَيْنَ كَذِبُكَ؟!

[٤٥] ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا تَلَوْا﴾ أَيْ: هَؤُلَاءِ ﴿وَمَعَسَارَ مَا ءَاتَيْنَهُمْ﴾ مِنْ الْقُوَّةِ وَطُولِ الْعُمُرِ وَكَثْرَةِ الْمَالِ ﴿وَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾ إِلَيْهِمْ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إِنْكَارِي عَلَيْهِمُ الْعُقُوبَةَ وَالْإِهْلَاكَ؛ أَيْ: هُوَ وَاقِعٌ مَوْقَعُهُ.

[٤٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ هِيَ ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ أَيْ: لِأَجَلِهِ ﴿مَتًى﴾ أَيْ: اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ ﴿وَفَرَدَيْ﴾ وَاحِدًا وَاحِدًا ﴿ثُمَّ تَنْفَكُّوْا﴾ فَعَلِمُوا ﴿وَمَا بِصَاحِبِكُمْ﴾ مُحَمَّدٍ ﴿مِنْ جِنَّةٍ﴾ جَنُونَ ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ﴾ أَيْ: قَبْلَ ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ فِي الْآخِرَةِ إِنْ عَصَيْتُمُوهُ.

[٤٧] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ مَا سَأَلْتُكُمْ عَلَى الْإِنذَارِ وَالتَّبْلِيغِ ﴿مِنْ أَجْرِ فَهُوَ لَكُمْ﴾ أَيْ: لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِمْ أَجْرًا ﴿إِنْ أَجَرِي﴾ مَا ثَوَابِي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مُطَّلِعٌ بِغَلْمِ صِدْقِي.

وَقَوْمٌ يَخْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُآءٍ إِنَّا كُنْهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِئْسَ مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿قَالِيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُم لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَنَّمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا يَتَّبِعُونَ﴾ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ءَابَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا أَفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ الْقُرْآنَ إِلَّا مَوْعِظَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مَعَسَارَ مَا ءَاتَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتًى وَفَرَدَيْ ثُمَّ تَنْفَكُّوْا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرِ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجَرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَمَ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

[٤٨] ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ يُلْقِيهِ إِلَى أَنْبِيَائِهِ ﴿عَلَّمَ الْغُيُوبِ﴾ مَا غَابَ عَنْ خَلْقِهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

(١) وهي قراءة السبعة ما عدا حفص، وقرأ حفص: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾.

(٢) وهي قراءة السبعة ما عدا حفص، وقرأ حفص: ﴿يَقُولُ﴾.

(٣) قوله: ﴿وَإِدْبَالِ الْأَوَّلَى يَاءً﴾، هذا سبق فلم من المفسر - رَحِمَهُ اللَّهُ - إذ لم يقرأ بذلك أحد من القراء، وأما إسقاط الأولى مع تحقيق الثانية فقراءة أبي عمرو، وأما تحقيق الأولى وتسهيل الثانية فقراءة ورش، وعكسه قالون والبرقي، ولورش أيضًا إدبال الثانية ياء ساكنة معدودة مع تحقيق الأولى.

[٥٢] ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ بحمد أو القرآن ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ﴾ وبالهزلة بدله<sup>(١)</sup>؛ أي: تناول الإيمان ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ عن محله؛ إذ هم في الآخرة ومحله الدنيا.

[٥٣] ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿وَيَقْدِرُونَ﴾ يرمون ﴿بِالْعَنِيِّ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة؛ حيث قالوا في النبي: ساحر، شاعر، كاهن، وفي القرآن: سحر، شعر، كهانة.

[٥٤] ﴿وَجِئِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من الإيمان؛ أي: قوله ﴿كَمَا قُيِّلَ بِأَشْيَاءِهِمْ﴾ أشباههم في الكفر ﴿مَنْ قَبْلُ﴾ أي: قبلهم ﴿وَلَهُمْ فِي شَكِّ مَرْيَمَ﴾ موقع في الريبة لهم، فيما آمنوا به الآن، ولم يعتدوا بدلائله في الدنيا.

## سورة فاطر

[مكية، وهي: خمس، أو: ست وأربعون آية، نزلت بعد الفرقان]<sup>(\*)</sup>

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ خجد - تعالى - نفسه بذلك كما بيّن في أول سورة سبأ ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خالقهما على غير مثال سبق ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا﴾ إلى الأنبياء ﴿أُولَئِكَ أَجَبَحُوا مَثْنَى وَثُلَّةَ رُجْعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ﴾ في الملائكة وغيرها ﴿مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢] ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ كرزق ومطر ﴿فَلَا تُمْنِكُمْ لَهَا وَمَا يُمْنِكُمْ﴾ من ذلك ﴿فَلَا تَرْجِعْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد إمساكه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ في فعله.

[٣] ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ﴾ أي: أهل مكة<sup>(٢)</sup> ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بإسكانكم الحرم ومنع الغارات عنكم ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ﴾ من: زائدة، ﴿وَخَلْقٍ﴾ مبتدأ ﴿عِزُّ اللَّهِ﴾ بالرفع والجر<sup>(٣)</sup>: نعت لـ ﴿خَلْقٍ﴾ لفظاً ومحللاً، وخبر المبتدأ: ﴿يَزُفُّكُمْ مِنَ السَّمَاءِ الْمَطَرُ﴾ من: الأرض ﴿النَّهَارُ؟﴾ والاستفهام للتقرير؛ أي: لا خالق رازق غيره ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَ تَوْفُكُورُ﴾ من أين تصرفون عن توحيده مع إقراركم بأنه الخالق الرازق؟!

فَلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ<sup>(٤)</sup> قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ<sup>(٥)</sup> وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فِرْعَوْنُ فُلَا فُوتَ وَأُخْذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ<sup>(٦)</sup> وَقَالُوا لَمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ<sup>(٧)</sup> وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِرُونَ بِالْعَنِيِّ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ<sup>(٨)</sup> وَجِئِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاءِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ<sup>(٩)</sup>

## سورة فاطر

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَئِكَ أَجَبَحُوا مَثْنَى وَثُلَّةَ رُجْعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ<sup>(١٠)</sup> مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مَرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ<sup>(١١)</sup> يَتَأْتِيَ النَّاسَ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ عِزُّ اللَّهِ يَزُفُّكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَ تَوْفُكُورُ<sup>(١٢)</sup>

[٤٩] ﴿فَلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾ الكفر ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ أي: لم يبق له أثر.

[٥٠] ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ﴾ عن الحق ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ أي: إثم ضلالي عليها ﴿وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي﴾ من القرآن والحكمة ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ للدعاء ﴿قَرِيبٌ﴾.

[٥١] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذْ فِرْعَوْنُ﴾ عند البعث؛ لرأيت أمراً عظيماً ﴿فُلَا فُوتَ﴾ لهم ميتاً؛ أي: لا يفتوتونا ﴿وَأُخْذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أي: القبور.

(١) فائدة: قال البخاري: سورة الملائكة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة (٣٥). وكذلك سماها الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٦).

(٢) بالهزلة بدل الواو: ﴿التَّنَاقُشُ﴾ وهي قراءة حمزة والكسائي وشعبة وأبي عمرو.

(٣) سبق التعليق على نحو هذا مراراً بأن الأولى التعميم وعدم التخصيص.

(٤) بالجر قراءة حمزة والكسائي.

[٤] ﴿وَإِنْ يَكْذِبُواْ بِكَ﴾ يا محمد في مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب ﴿فَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ﴾ في ذلك؛ فاصبر كما صبروا ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ في الآخرة؛ فيجازي المكذبن وينصر المسلمين.

[٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث وغيره ﴿حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ عن الإيمان بذلك ﴿وَلَا يَفْرَحَنَّكُمْ بِاللَّهِ﴾ في جليلة وإمهاله ﴿الْعُرُوزُ﴾ الشيطان.

[٦] ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ بطاعة الله، ولا تطيعوه ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾ أتباعه في الكفر ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَحْصَى السَّعِيرِ﴾ النار الشديدة.

[٧] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هذا بيان ما يوافق الشيطان وما يخالفه.

[٨] ﴿وَنَزَلَ فِي أَبِي جَهْلٍ وغيره﴾: ﴿أَقَمَ رَبُّنَا لَكُمْ سُوءَ عَمَلِكُمْ بِالْمُؤْمِنَةِ﴾ ﴿قَرَأَهُ حَسَنًا﴾ «من» مبتدأ، خبره: كمن هده الله؟ لا، دل عليه: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَنْهُمْ﴾ على المزني لهم ﴿حَسَرَاتٍ﴾ يا غيتاميك أن لا يؤمنوا ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه<sup>(١)</sup>.

[٩] ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: ﴿الرَّيْحَ﴾ ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية؛ أي: تزججه ﴿فَسُقْنَهُ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ بالتشديد والتخفيف<sup>(٣)</sup>؛ لا نبات بها ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ من البلد ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يسسها؛ أي: أنبتنا به الزرع والكأ<sup>(٤)</sup> ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ أي: البعث والإحياء.

[١٠] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي: في الدنيا والآخرة؛ فلا تنال منه إلا بطاعته فليطعه ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكُلُّ اللَّطِيفُ﴾ يغلظه<sup>(٥)</sup>؛ وهو: لا إله إلا الله ونحوها ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ يقبله ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ الْمَكِرَاتِ﴾ السَّكِرَاتِ ﴿بِالنَّارِ﴾ في دار الندوة؛ من تقيده، أو قتله، أو إخراجها. كما ذكر في الأنفال<sup>(٦)</sup>. - ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ﴾ يهلك.

[١١] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ بخلق أئكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ﴾ أي: مني يخلق ذريته منها ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكورا وإناثا ﴿وَمَا تَحْمِلُ﴾

وَإِنْ يَكْذِبُواْ بِكَ فَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٢﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٣﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٤﴾ أَفَمَنْ رَّبُّنَا لَهُ سُوءُ عَمَلٍ قَرَأَهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٥﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٦﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكُلُّ اللَّطِيفُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ ﴿٧﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَمَا يَعْمُرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٨﴾

يَنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ: حال؛ أي: معلومة له ﴿وَمَا يَعْمُرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ﴾ أي: ما يزداد في عمر طويل العمر ﴿وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ أي: ذلك المعمر، أو معمر آخر<sup>(١)</sup> ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ هو: اللوح المحفوظ ﴿وَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ هيئت.

(١) روي هذا عن ابن عباس، كما ذكر السيوطي في باب النقول ص (١٨١) عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس به، وجوير متروك الحديث، والضحاك لم يلق ابن عباس، وهو ضعيف جدًا كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٤٨/٣).

(٢) لحمة والكسائي وابن كثير.

(٣) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) وهذا من تأويل الكلم وتحريفه عن مواضعه؛ ومراد المفسر غفر لنا وله نفي ما يدل عليه من إثبات علو الذات لله تعالى جرياً على طريقته في ذلك.

(٥) في قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ يَتَذَكَّرُ أَلَيْسَ لَكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْشُرُونَ أَوْ يَفْشُرُونَ...﴾ الآية [الأنفال: ٣٠].

(٦) أي إن الضمير عائذ عني الجنس، لا على العين؛ أي لا على عين المعمر بل على غيره؛ لأن الطويل العمر في الكتاب وفي علم الله تعالى لا ينقص من عمره. قال ابن جرير: وهذا كقولهم: «عندي ثوب ونصفه»، أي ونصف آخر. ويكون معنى الآية على هذا القول: أي ما يعطى بعض النطف. عند نفع الروح وكتب الأجل. من العمر الطويل يعلمه الله تعالى، وهذا اختيار ابن جرير وابن كثير.

﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو: السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ﴾ من الجبل، وقيل: منهما ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هي: اللؤلؤ والمرجان ﴿وَرَأَى﴾ تبصر ﴿الْفَلَكَ﴾ السفن ﴿فِيهِ﴾ في كل منهما ﴿مَوَازِيرَ﴾ تمخر الماء؛ أي: تَشَقُّقُ بِحُزْبِهَا فِيهِ مَقْبَلَةٌ وَمُدْبِرَةٌ بِرِيحٍ وَاحِدَةٍ ﴿لِيُنْبِتُوا﴾ تطلبوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ - تعالى - بالتجارة ﴿وَلَمَّا كُمُتُمْ شَكَرْتُمْ﴾ الله على ذلك.

[١٣] ﴿يُولِجُ﴾ يدخل الله ﴿الَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ فيزيد<sup>(١)</sup> ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ﴾ يدخله ﴿فِي الْيَلِّ﴾ فيزيد<sup>(٢)</sup> ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ﴾ منهما ﴿يَجْزِي﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يوم القيامة ﴿ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره؛ وهم: الأصنام ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ لفاقة النواة.

[١٤] ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَكَرَّ سَعُوا﴾ فرضا ﴿مَا اسْتَحَبُّوا لَكُمْ﴾ ما أحببواكم ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُمْ﴾ بإشراككم إياهم مع الله؛ أي: يبرءون منكم ومن عبادتكم إياهم ﴿وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِالَّذِينَ لَكُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ مثل خير ﴿عَالِمٍ﴾ هو: الله تعالى.

[١٥] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ المحمود في صنعه بهم.

[١٦] ﴿إِنْ يَشَأْ يُدْهِكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بدلكم.

[١٧] ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ شديد.

[١٨] ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ أتمّة؛ أي: لا تحمل ﴿وَزِدَّ﴾ نفس ﴿أُخْرَى﴾ وإن تدع ﴿نَفْسٌ مَثْقَلَةٌ﴾ بالوزر ﴿إِلَى حِمْلِهَا﴾ منه أحدا ليحمل بعضه ﴿لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ المدعو ﴿ذَا قُرْبَى﴾ قرابة؛ كالأب والابن، وعدم الحمل في الشقين<sup>(٣)</sup> حكم من الله ﴿إِنَّمَا نُزِرُ الَّذِينَ يُخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ أي: يخافونه وما رأوه؛ لأنهم المنتفعون بالإنذار ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أداموها ﴿وَمَنْ تَزَكَّى﴾ تطهر من الشرك وغيره ﴿وَلَنَّمَا تَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ فضلاحة مختص به ﴿رَأَى اللَّهُ الْغَاصِرَ﴾ المرجع؛ فيجزى بالعمل في الآخرة.

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ سَابِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِيرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾ يُولِجُ الْيَلَّ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الْيَلِّ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْزِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٤﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُمْ وَلَا يَنْتَفِعُونَ مِنْ دُونِهِمْ ﴿١٥﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٦﴾ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٧﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٨﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يُخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَلِلَّهِ الْغَاصِرُ ﴿١٩﴾

[١٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ﴾ شديد العذوبة ﴿سَابِغٌ شَرَابُهُ﴾ شربه ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديد الملوحة ﴿وَمِنْ كُلِّ﴾ منهما

(١) أي: الليل يطول.

(٢) أي: النهار يطول.

(٣) أي في الحمل القهري في قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، أو الاختياري؛ تلبية لدعوة المثقلة غيرها ليحمل بعضه.

[١٩] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن.

[٢٠] ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ﴾ الكفر ﴿وَلَا النُّورُ﴾ الإيمان.

[٢١] ﴿وَلَا الظُّلُ وَلَا النُّورُ﴾ الجنة والنار.

[٢٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَخْيَارُ﴾ ولا الأثوماء ﴿المؤمنون ولا الكفار، وزيادة (لا) في الثلاثة تأكيد﴾ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ﴿هذابته؛ فيحييه بالإيمان﴾ ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ أي: الكفار - شبههم بالموتى - فيحيون.

[٢٣] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ منذر لهم.

[٢٤] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾ من أجب إليه ﴿وَنَذِيرًا﴾ من لم يجب إليه ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا﴾ سلف ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾ نبي يُنذِرُهَا.

[٢٥] ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ أي: أهل مكة ﴿فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿وَالزُّبُرِ﴾ كصحف إبراهيم ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ هو: التوراة والإنجيل؛ فاصبر كما صبروا.

[٢٦] ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بكذبيهم ﴿كَذِيفَ﴾ كان نكير ﴿إِنْكَارِي﴾ عليهم بالعقوبة والإهلاك؛ أي: هو واقع موقعه.

[٢٧] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا﴾ فيه انتفات عن الغيبة ﴿بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ كأخضر وأحمر وأصفر وغيرها ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ جمع جُدَّة؛ طريق في الجبل وغيره (١) ﴿بَيْضٌ وَحُمْرٌ وَصَفَرٌ﴾ ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ بالشدة والضعف ﴿وَعَرِيبٌ﴾ سُودٌ ﴿عَظْفٌ عَلَى جُدَدٍ﴾ أي: صخور شديدة السواد، يقال كثيرا: أسود غريب، وقليلا: غريب أسود.

[٢٨] ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ كَذَلِكَ﴾ كاختلاف الثمار والجبال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ بخلاف الجهال ككفار مكة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿غَفُورٌ﴾ لذنوب عباده المؤمنين.

[٢٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ﴾ يقرءون ﴿كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أداموها ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ زكاة وغيرها ﴿يَتَرَجَّوْنَ يَجُورُوا﴾

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُ وَلَا النُّورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَخْيَارُ وَلَا الْأَثُومَاءُ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٣﴾ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٥﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَارِيبٌ سُودٌ ﴿٢٨﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ وَكَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْتَجُونَ تَجَرَّةً لَّن تَبُورَ ﴿٣٠﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورُهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣١﴾

لَّن تَكُورَ تهلك.

[٣٠] ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورُهُمْ﴾ ثواب أعمالهم المذكورة ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ لَنَّهُمْ غَفُورٌ ﴿لذنوبهم﴾ شَكُورٌ ﴿لطاعتهم﴾.

(١) قال القاضي كعبان في قرة العينين ص (٥٧٥): «بشير إلى اختلاف ألوان الصخور، ومعنى «الجُدَّة» في أصل اللغة: الخلطة في ظهر الحمار تخالف لونه؛ أي إن صخور الجبال لخطوط وطرائق مختلفة الألوان...».

بالوابع والظواهر<sup>(١)</sup>.

[٣٢] ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ أعطينا ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهم أمتك ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ بالتقصير في العمل به ﴿وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ يعمل به أغلب الأوقات ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ يضم إلى العلم التعليم والإرشاد إلى العمل ﴿يَاذُنُ اللَّهِ﴾ يارادته ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ليراثهم الكتاب ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>.

[٣٣] ﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ﴾ أي: إقامة ﴿يَدْخُلُوهَا﴾ الثلاثة بالبناء للفاعل وللمفعول<sup>(٣)</sup>؛ خبر ﴿جَنَّتٌ﴾ المبتدأ ﴿يُحَلَّوْنَ﴾ خبر ثانٍ ﴿فِيهَا مِنْ﴾ بعض ﴿أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ مَرْصَع بالذهب ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

[٣٤] ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ جميعه ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شُكْرٌ﴾ للطاعة.

[٣٥] ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ﴾ الإقامة ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ لا يمسنا فيها نصيب ﴿ثُمَّ﴾ ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا الْغُوبُ﴾ إغناء من التعب؛ لعدم التكليف فيها، وذكر الثاني التابع للأول للتصريح بنفيه.

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بالموت ﴿فَيَمُوتُوا﴾ يستريحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ طرفة عين ﴿كَذَلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿[يُجْزَىٰ]﴾<sup>(٤)</sup> ﴿كُلُّ كَافٍ﴾ كافر، بالياء والنون المفتوحة مع كسر الزاي ونصب ﴿كُلِّ﴾.

[٣٧] ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا﴾ يستغيثون بشدة وعويل، يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ ﴿نَعْمَلْ صَلِيعًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فيقال لهم: ﴿أُولَئِكَ نَعْمَلُكُمْ مَا﴾ ﴿وَقَدْ يَنْذَكُرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ الرسول فيما أجبتهم ﴿فَذُوقُوا﴾ ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾ يدفع العذاب عنهم.

[٣٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب؛ فعلمه بغيره أولى بالنظر إلى حال الناس<sup>(٥)</sup>.

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يَاذُنُ اللَّهِ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٣﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٥﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا الْغُوبُ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافٍ ﴿٣٧﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَلِيعًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أُولَئِكَ نَعْمَلُكُمْ مَا تَذَكَّرُكُمْ مَا تَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٨﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٩﴾

[٣١] ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تقدمه من الكتب ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ عالم

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ يَأْذُنُ اللَّهِ قَالَ: «هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٦) سورة فاطر، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٧٧).

(١) إذا كان مراد المفسر بذلك تفسير قوله: ﴿لَخَبِيرٌ﴾ فنعلم؛ وإن كان مراده تفسير ﴿بَصِيرٌ﴾ بذلك أيضًا فإن هذا من تأويل صفة البصر الثابتة لله ﷻ على الوجه اللائق به، وهو مردود.

(٢) بالبناء للمفعول قراءة أبي عمرو.

(٣) وهي قراءة أبي عمرو.

(٤) أي: أما بالنسبة إليه سبحانه؛ فالسر والعلانية سواء.



[٣٩] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ جمع خليفة؛ أي: يخلف بعضكم بعضاً ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ منكم ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ أي: وتال كُفْرُهُ ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ غَضَبًا ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ للآخرة.

[٤٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿وَمِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره؛ وهم: الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاء الله - تعالى - ﴿أَرُونِي﴾ أخبروني ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ شِرْكٌ مع الله ﴿فِي﴾ خلق ﴿السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ حجة ﴿بَيِّنَةٍ﴾ بأن لهم معي شِرْكٌ؟ لا شيء من ذلك ﴿بَلْ إِنْ﴾ ما ﴿يَعِدُّ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون ﴿بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلاً، بقولهم: الأصنام تشفع لهم.

[٤١] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ أي: يمنعهما من الزوال ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿زَالَا إِنْ﴾ ما ﴿أَسْكَنْهُمَا﴾ بمسكهما ﴿بَيْنَ أَعْدٍ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: سواء ﴿إِنْ﴾ كان حليماً غفوراً في تأخير عقاب الكفار.

[٤٢] ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿لَنْ يَجَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول ﴿لَيَكُونَنَّ أَهْدَى مِنْ أَهْدَى الْأُمَمِ﴾ اليهود والنصارى وغيرهم؛ أي: أي واحدة منها، لما رأوا من تكذيب بعضهم بعضاً؛ إذ قالت اليهود: ﴿لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup> وقالت النصارى: ﴿لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ محمد ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ تباعداً عن الهدى.

[٤٣] ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ عن الإيمان، مفعول له ﴿وَمَكْرَ الْعَمَلِ﴾ السَّيِّئِ من الشرك وغيره ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ يحيط ﴿الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ وهو الماكر، ووصف المكر بالسَّيِّئِ أصل<sup>(٣)</sup>، وإضافته إليه قبل<sup>(٤)</sup>: استعمال آخر، فُلِّرَ فيه مضاف<sup>(٥)</sup>؛ حذراً من الإضافة إلى الصفة ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ سنة الله فيهم؛ من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم ﴿فَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ أي: لا يبدل بالعذاب غيره ولا يحول إلى غير مستحقة.

[٤٤] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ كَفَرَفَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَا إِنْ أَمْسَكْتُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّهُ لَكَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ يَجَاءَهُمْ نَذِيرٌ أَمْ كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٢﴾ أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ عَصَاكُمْ قَبْلَهُمْ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيمًا قَادِرِينَ ﴿٤٤﴾

وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ يسبقه ويفوته ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيمًا﴾ أي: بالأمور كلها ﴿قَادِرِينَ﴾ عليها.

(١)، (٢) البقرة: ١١٣.

(٣) أي: جاء على الأصل؛ من استعمال الصفة تابعة للموصوف.

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُ السَّيِّئِ﴾ [فاطر: ٤٣]، جاء على خلاف الأصل؛ حيث أضيفت فيه الصفة إلى الموصوف.

(٥) قدره الجلال المحلي هنا: «العمل»؛ أي: مكر العمل السيئ.

[٢] ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ المحكم بعجيب التلويح وبديع المعاني.

[٣] ﴿إِنَّكَ يَا مُحَمَّدٌ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٤] ﴿عَلَىٰ﴾ متعلق بما قبله ﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: طريق الأنبياء قبلك؛ التوحيد والهدى، والتأكيد بالقسم وغيره رد لقول الكفار له: ﴿لَئِنْ مَرَسَلْنَاكَ﴾.

[٥] ﴿تَنْزِيلُ﴾<sup>(١)</sup> التزيين في ملكه ﴿الرَّحِيمَ﴾ بخلقه، خير مبتداء مقدر؛ أي: القرآن.

[٦] ﴿لِنُنْذِرَ﴾ به ﴿قَوْمًا﴾ متعلق بـ ﴿تَنْزِيلَ﴾ ﴿مَا أَنذَرْنَا أَبَاؤَهُمْ﴾ أي: لم يندروا في زمن الفترة ﴿فَهُمْ﴾ أي: القوم ﴿عَظِيلُونَ﴾ عن الإيمان والرشد.

[٧] ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ وجب ﴿عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾ بالعذاب ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: الأكثر.

[٨] ﴿وَإِن جَعَلْنَا فِيْ أَعْيُنِهِمْ أَغْشَاءً﴾ بأن نضّم إليها الأيدي؛ لأن الغل يجمع اليد إلى العنق ﴿فَهُمْ﴾ أي: الأيدي مجموعة ﴿إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ جمع ذقن؛ وهي: مجتمع اللحيين ﴿فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾ رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها، وهذا تمثيل؛ والمراد: أنهم لا يدعون للإيمان ولا يخفضون رؤوسهم له.

[٩] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ بفتح السين وضمها في الموضعين<sup>(٢)</sup> ﴿فَاعْشَيْتَهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ تمثيل أيضا لسد طرق الإيمان عليهم.

[١٠] ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه<sup>(٣)</sup> ﴿أَمْ كَمْ لُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١١] ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ إِنذَرَكَ﴾ ينفع إنذارك ﴿مَنْ أَتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَحِشَى الرَّحْمَنِ بِالْعِيبِ﴾ خافه ولم يره ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ هو الجنة.

[١٢] ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ للبعث ﴿وَنَكْتُبُ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿مَا قَدَّمُوا﴾ في حياتهم من خير وشر؛ ليجازوا عليه ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ﴾ ما استن به بعدهم ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ نصيبه بفعل يفسره: ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ ضبطناه ﴿فِي إِمَارٍ مُّبِينٍ﴾ كتاب بين؛ هو: اللوح المحفوظ<sup>(٤)</sup>.

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٥﴾

سُورَةُ يَسٍ

يس ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَنذَرْنَا أَبَاؤَهُمْ فَهُمْ عَظِيلُونَ ﴿٤﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْيُنِهِمْ أَغْشَاءً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٦﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٧﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ أَتَّبَعَ الذِّكْرَ وَحِشَى الرَّحْمَنِ بِالْعِيبِ ﴿٩﴾ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

[٤٥] ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ من المعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهَرِهَا﴾ أي: الأرض ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ نَسَمَةٍ تُدْبُ عليها ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يوم القيامة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ فيجازيهم على أعمالهم؛ بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين.

سُورَةُ يَسٍ

[مكية إلا: قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ الآية، أو: مدنية<sup>(١)</sup>، ثنتان

وثمانون آية، نزلت بعد سورة الجن]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يس﴾ الله أعلم بمراده به.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٢): أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: كانت بنو سلمة في ناحية المدينة، فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «إن آثاركم تكتب؛ فلم ينتقلوا. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٧). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٥٧٨).

(١) لم يذكر هذا الخلاف أحد غيره من المفسرين، والسورة مكية لإجماع كما قال القرطبي.

(٢) هذه قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقراء بقية السبعة بالفتح: ﴿تَنْزِيلُ﴾؛ إما مفعولاً مطلقاً، أو لفعل محذوف مقدر.

(٣) بالضم قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) بالتسهيل قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وهشام، وقُضِلَ بين الهمزتين بالألف: أبو عمرو وقالوا وهشام، والأكثر عن ورش على إبدال الهمزة الثانية ألفاً خالصة.

[١٣] ﴿وَأَضْرَبَ﴾ اجعل ﴿لَهُمْ مَثَلًا﴾ مفعول أول ﴿أَصْحَبَ﴾ مفعول ثانٍ ﴿الْقَرْيَةِ﴾ أنطاكية ﴿إِذْ جَاءَهَا﴾ إلى آخره؛ بدل اشتمال من ﴿أَصْحَبَ الْقَرْيَةِ﴾ ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ أي: رسل عيسى<sup>(١)</sup>.

[١٤] ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ إلى آخره؛ بدل من ﴿إِذْ الْأُولَى﴾ ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٢)</sup>؛ قَوَّيْنَا الاثنين ﴿يَسَارِلِي فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾.

[١٥] ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِلَّا أَنتُمْ إِلَّا تُكِيدُونَ﴾.

[١٦] ﴿قَالُوا رَبَّنَا يَعْبُدُ جَارِ مجرى القسم، وَزَيْدُ التَّأَكُّدِ بِهِ وباللام، على ما قبله، لِرِيَاذَةِ الْإِنكَارِ فِي﴾ ﴿إِنَّا إِنَّا نَكِيدُ لِمُرْسَلُونَ﴾.

[١٧] ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلِّغُ الْمُبِينُ﴾ التبليغ البين الظاهر بالأدلة الواضحة؛ وهي: إبراء الأئمة والأبرص والمريض وإحياء الميت<sup>(٣)</sup>.

[١٨] ﴿قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرْنَا﴾ تشاءمنا ﴿بَكُمْ﴾ لانقطاع المطر عنها بِسَبَبِكُمْ<sup>(٤)</sup> ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِوا لَتَرْجُمَنَّكُمْ﴾ بالحجارة ﴿وَلَيَسَّيِّرَنَّ﴾ وَيَنَّا عَذَابَ إِلِيمٍ مؤلم.

[١٩] ﴿قَالُوا عَلَيْنَا نِكْمٌ شُؤْمُكُمْ﴾ شؤمكم ﴿نَعْمَكُمُ﴾ بكفركم ﴿إِن هَمَزَةٌ اسْتِفْهَامٌ دَخَلَتْ عَلَى﴾ ﴿إِن﴾ الشرطية، وفي همزتها: التحقيق والتسهيل، وإدخال ألف بينها - بوجهيها - وبين الأخرى<sup>(٥)</sup> ﴿ذُكِّرَتْ﴾ وَعُظِّمَتْ وَخُوِّفَتْ، وجواب الشرط محذوف؛ أي: تطيرتم وكفرتم؟ وهو محل الاستفهام، والمراد به التوبيخ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ متجاوزون الحد بشيورككم.

[٢٠] ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾ هو: حبيب النجار، كان قد آمن بالرسول، ومنزله بأقصى البلد ﴿يَسْعَى﴾ يشتد عذوا لما سمع بكذب القوم الرسول ﴿قَالَ يَقُومُ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٢١] ﴿أَتَّبِعُوا﴾ تأكيد للأول ﴿مَنْ لَا يَسْتَكْبِرْ أَجْرًا﴾ على رسالته ﴿وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ فقبل له: أنت على دينهم. فقال: [٢٢] ﴿وَمَا لِي لَا أَتَّبِعُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقتني؛ أي: لا مانع لي من عبادته الموجود مقتضيها، وأنتم كذلك ﴿وَلَا يَدْرِي تَرْتَجِعُونَ﴾ بعد الموت فيجازيكم بكفركم<sup>(٦)</sup>.

[٢٣] ﴿ءَأَتَّخِذُ﴾ في الهمزتين منه ما تقدم في ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾<sup>(٧)</sup> وهو استفهام بمعنى النفي ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿ءَالِهَةٌ﴾ أصناما ﴿إِنْ يَرِذُنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَعَتُهُمْ﴾ التي زعمتموها ﴿سَيِّئًا وَلَا يُؤْقِدُونَ﴾ صفة ﴿ءَالِهَةٍ﴾.

وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَبَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ

﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَقَالُوا

إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا

وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِلَّا أَنتُمْ إِلَّا تُكِيدُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا

رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلِّغُ

الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِوا لَتَرْجُمَنَّكُمْ

وَلَيَسَّيِّرَنَّكُمْ وَمَنَّا عَذَابَ إِلِيمٍ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أِن

دُكِّرْتُمْ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ

رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْتَهِوا أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ أَتَّبِعُوا

مَنْ لَا يَسْتَكْبِرُ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَا أَتَّبِعُ

الَّذِي فَطَرَنِي وَالْيَهُ تَرْجِعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً

إِنْ يَرِذُنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَعَتُهُمْ سَيِّئًا

وَلَا يُنْقِدُونَ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي ءَأَمِنْتُ

بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي

يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا عَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

[٢٤] ﴿إِنِّي إِذًا﴾ أي: إن عذبت غير الله ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ بين.

[٢٥] ﴿إِنِّي ءَأَمِنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ أي: اسمعوا قولي؛ فرجموه

فمات.

[٢٦] ﴿قِيلَ﴾ له عند موته: ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ وقيل: دخلها حيا ﴿قَالَ

يَا﴾ حرف تنبيه ﴿لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾.

[٢٧] ﴿بِمَا عَفَرَ لِي رَبِّي﴾ بغفرانه ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾.

(١) اختار ابن كثير أنهم رسل من الله تعالى، وهو ما يؤيده سياق الآيات، وليس ما اختاره المصنف وبعض المفسرين أنهم رسل عيسى.

(٢) بالتخفيف قراءة شعبة، وقرأ الباقر بالتشديد.

(٣)، (٤) تفسير الأدلة بهذه الآيات، والشاؤم بسبب انقطاع المطر مما لا دليل صحيح على شوته، وكذلك ما سيأتي من تسمية الرجل الذي جاء من أقصى المدينة بحبيب النجار، وما سبق من تسمية القرية بأنطاكية؛ فالأولى في تفسير القرآن إجمال ما أجمله وتفصيل ما فصله والاقصاء على موضع الفائدة والعبارة، كما عليه أهل التحقيق من المفسرين فلا يعتمدون في إيضاح مبهات القرآن إلا ما قام عليه دليل قاطع.

(٥) راجع التعليق على الآية رقم (١١٣) من سورة الأعراف.

(٦) في نسخة القاضي كنعان المطبوعة: «كبريكم».

(٧) أي: من القراءات، وتقدم بيانها.

والاستفهام للتفريق؛ أي: علموا ﴿كَمْ﴾ خبرية بمعنى: كثيراً معمولة لما بعدها، معلقة ما قبلها عن العمل<sup>(٣)</sup>؛ والمعنى: إنا ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾ كثيراً ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿أَتَتْهُمْ﴾ أي: المهلكين ﴿الْيَوْمَ﴾ أي: المكذبين ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ أفلا يعتبرون بهم؟ و﴿أَتَتْهُمْ﴾ إلخ، بدل ميثا قبله، يرعاية المعنى المذكور.

[٣٢] ﴿وَإِنْ نَافِةٌ أَوْ مَخْفِةٌ ﴿كُلُّ﴾ أَي: كل اخلائق، مبتدأ ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد؛ بمعنى: إلا، أو بالتخفيف<sup>(٤)</sup>، فـ «اللام» فارقة و«ما» مزيدة ﴿جَمِيعٌ﴾ خبر المبتدأ؛ أي: مجموعون ﴿لَدَيْنَا﴾ عدنا في الموقف بعد بعثهم ﴿مُحْضَرُونَ﴾ للحساب، خبر ثان.

[٣٣] ﴿وَأَيَّاهُ﴾ هُـمَّ ﴿عَلَى الْبَيْتِ﴾ خبر مَفْدَمٌ ﴿الْأَرْضِ الْيَمِينَةِ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٥)</sup> ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ بالماء، مبتدأ ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ كالخطة ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾.

[٣٤] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ﴾ بساكنين ﴿مِنْ تَحْتِهَا يَجْرِي الْأَنْهَارُ﴾ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿أَي: بعضها﴾.

[٣٥] ﴿يَأْكُلُونَ مِنْ ثَمَرِهِ﴾ بفتحين وضمين<sup>(٦)</sup>؛ أي: ثمر المذكور من النخيل وغيره ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: لم تعمل الثمر<sup>(٧)</sup> ﴿أَفَلَا يَسْكُرُونَ﴾ أَنْفَعَهُ تَعَالَى - عليهم؟.

[٣٦] ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ من الحبوب وغيرها ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ من الذكور والإناث ﴿وَمِمَّا لَا يَمْلِكُونَ﴾ من المخلوقات العجيبة الغريبة.

[٣٧] ﴿وَأَيَّاهُ﴾ هُـمَّ ﴿عَلَى الْقُدْرَةِ الْعَظِيمَةِ﴾: ﴿أَيَّلَ نَسْلُحُ﴾ فصل ﴿وَمِنْهُ النَّهَارُ إِذَا هُمْ يُظْلَمُونَ﴾ داخلون في الظلام.

[٣٨] ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي﴾ إلى آخره من جملة الآية لهم، أو آية أخرى، والقمر كذلك ﴿لِيُسْقَرَّ لَهَا﴾ أي: إليه لا تتجاوزهُ ﴿ذَلِكَ﴾ أي: جبرها ﴿تَقْدِيرَ الرَّحْمَنِ﴾ في ملكه ﴿الْقَلِيمُ﴾<sup>(٨)</sup> بخلقه.

[٣٩] ﴿وَالْقَمَرُ﴾ بالرفع والنصب<sup>(٩)</sup>، وهو منصوب بفعل يُسْقَرُ ما بغدّه ﴿فَدَرَكْنَاهُ﴾ من حيث سيره ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرين منزلاً، في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر، ويستمر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً، وليلة إن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿حَتَّىٰ عَادَ﴾ في آخر منازله في رأي العين ﴿كَأَلَمْ يَجِدْ أَلْفَ دَرَجَةٍ﴾ أي: كعود الشماع إذا عثق فإنه يرقُ وَيَقْفُزُ وَيَضْفَرُ.

[٤٠] ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي﴾ يسهر ويصح ﴿لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ فتجتمع معه في الليل ﴿وَلَا أَيْلَ سَابِقَ الْبَآرِ﴾ فلا يأتي قبل انقضائه ﴿وَكُلٌّ﴾ - توينه عوض عن المضاف إليه - من الشمس والقمر والنجوم ﴿وَفِي فَلَكٍ﴾ مستدير ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يسبِّحون، يُزَلُّونَ مُنْزِلَةً الْعُقُلَاءِ.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ (٨) إِنْ كُنْتَ إِلَّا صَيْحَةً وَجِدَةً إِذَا هُمْ خُمُودُونَ ﴿٩﴾ يَحْشَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿١٢﴾ وَءَايَةُ لَهُمْ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿١٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ تَحْتِهَا يَجْرِي الْأَنْهَارُ وَيَجْرِي فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿١٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿١٥﴾ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ وَءَايَةُ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿١٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿١٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أَيْلَ سَابِقَ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٢٠﴾

[٢٨] ﴿وَمَا﴾ نافية ﴿أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ﴾ أي: حبيب<sup>(١)</sup> ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد موته ﴿مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: ملائكة لإهلاكهم ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ ملائكة لإهلاك أحد.

[٢٩] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿كَانَتْ﴾ عقوبتهم ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَجِدَةً﴾ صاح جبريل ﴿فَإِذَا هُمْ خُمُودُونَ﴾ ساكنون ميتون.

[٣٠] ﴿يَحْشَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ﴾ هؤلاء ونحوهم من كذبوا الرسل فأهلكوا، وهي شدة التألم، وندأوها مجازاً؛ أي: هذا أوانك فاحضري ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ مسوق لبيان سببها<sup>(٢)</sup>؛ لاشتغالها على استهزائهم، المؤدي إلى إهلاكهم، المسبب عنه الحسرة.

[٣١] ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ أي: أهل مكة القائلون للنبي: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾،

(١) فائدة: أخرج البخاري عن أبي ذر قال: قال النبي ﷺ لأي ذر حين غربت الشمس: «أتدري أين تذهب؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتسأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتسأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الرَّحْمَنِ الْعَلِيمِ» البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة يس (٣٦) باب (١) ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾.

(٢) أي: سبب الحسرة.

(٣) راجع ما تقدم في التعليق من أنه لا دليل على صحة تسمية الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسمى حبيبا.

(٤) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير والكسائي وأبي عمرو.

(٥) بالتشديد قراءة نافع.

(٦) بضمين قراءة حمزة والكسائي.

(٧) باعتبار أن (ما) نافية، وهو أحد الأقوال، والقول الثاني - وهو الأظهر - أنها موصولة، في موضع خفض على العطف، وهو اختيار ابن جرير، ولم يذكر غيره. والمعنى: وما عملته أيديهم، وهو ما يتخذ من القمر الكعصير والذهب ونحوهما، أو المراد الذي عملته بالفرس، والسقي، والآبار.

(٨) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

[٤١] ﴿رَبَّاهُ هُمْ﴾ على قدرتنا ﴿أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وفي قراءة: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾<sup>(١)</sup> أي: آباءهم الأصول<sup>(٢)</sup> ﴿فِي الْفُلِّ﴾ أي: سفينة نوح ﴿الْمُسْحُونِ﴾ المملوء.

[٤٢] ﴿وَحَلَقْنَا هُمْ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾ أي: مثل فلك نوح؛ وهو: ما عملوه على شكله من السفن الصغار والكار يتعليم الله - تعالى - ﴿مَا يَكُونُ﴾ فيه.

[٤٣] ﴿وَلَمَّا نَسُوا نَجْرَهُمْ﴾ مع إيجاد السفن ﴿فَلَا صَرِيحَ مُغِيثٍ﴾ هُمْ وَلَا هُمْ يُنْقِذُونَ. ينجون.

[٤٤] ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: لا ينجمهم إلا رحمتنا لهم وتمتعنا بإياهم بلذاتهم إلى انقضاء آجالهم.

[٤٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من عذاب الدنيا كغيرهم ﴿وَمَا خَلَقَكُمْ﴾ من عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَحَنَّنُونَ﴾ أعرضوا.

[٤٦] ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا الصَّحَابَةَ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿لَهُمْ أَنْفِقُوا﴾ غُلَّتَا وَمَا رَزَقَكُمْ اللَّهُ ﴿مِنَ الْأَمْوَالِ﴾ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴿اسْتَهْزَأُ بِهِمْ﴾ ﴿أَنْطَعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ في معتقدهم هذا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ﴾ في قولكم لنا ذلك مع معتقدهم هذا ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يَبِينُ، وللصريح بكفرهم<sup>(٤)</sup> موقع عظيم.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالبعث ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه.

[٤٩] قال - تعالى -: ﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون ﴿إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَّةً﴾ وهي: نفخة إسماعيل الأولى ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ بالتشديد، أصله: يَخِصِّمُونَ؛ نقلت حركة التاء إلى الخاء وأدغمت في الصاد؛ أي: وهم في غفلة عنها يَخِصِّمُونَ وَتَبَائِعَ وَأَكْلَ وَشَرْبَ وَغَيْرَ ذَلِكَ، وفي قراءة: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾<sup>(٥)</sup> كـ «يضر بون»؛ أي: يخصم بعضهم بعضاً.

[٥٠] ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَوْصِيَّةً﴾ أي: أن يوصوا ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ من أسواقهم وأشغالهم، بل يموتون فيها.

[٥١] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ - هو قرن - النفخة الثانية للبعث، وبين النفختين أربعون سنة<sup>(٦)</sup> ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ أي: المقبورون ﴿وَمِنَ الْأَكْدَانِ﴾ القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ يخرجون بسرعة.

[٥٢] ﴿قَالُوا﴾ أي: الكفار منهم: ﴿يَا لَئِن لَّبِثْنَا﴾ و﴿لَبِثْنَا﴾ هلاكنا، وهو مصدّر لا يفعل له من لفظه ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِّن مَّرْقَدِنَا﴾ لأنهم كانوا بين النفختين نائمين لم يعذبوا ﴿هَذَا﴾ أي: البعث ﴿مَا﴾ أي: الذي ﴿وَعَدَ﴾ به

وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمُسْحُونِ ﴿٤١﴾ وَحَلَقْنَا لَهُمْ مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْغُرْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقِذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَّةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا بَنِيَّائِنَا مَن بَعَثَنَا مِّن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةٌ وَجِدَّةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَأَلْيَوْمَ لَا نُظَلِّمُ نَفْسًا وَلَا نُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

﴿الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ﴾ فيه ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ أَتَوْا حِينَ لَا يَنْفَعُهُمُ الْإِفْرَارُ، وقيل: يقال لهم ذلك.

[٥٣] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَّةً﴾ فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا عَدْنَا مُحْضَرُونَ.

[٥٤] ﴿فَأَلْيَوْمَ لَا نُظَلِّمُ نَفْسًا وَلَا نُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

(١) لنافع وابن عامر.

(٢) أشار بذلك إلى أن لفظ الذرية كما يطلق على الفروع يطلق على الأصول.

(٣) الأولى في تفسيرها ما ذكره ابن كثير بقوله: أي وإذا أمروا بالإنفاق مما رزقهم الله على الفقراء والمجاورين من المسلمين... إلخ.

(٤) أي في قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، والموقع العظيم الذي يشير إليه المصنف هو: التشيع عليهم.

(٥) لحزمة، والقراءة المفسرة أولاً، لورش وهشام وابن كثير، وقرأوا بإخفاء حركة الخاء مع التشديد كذلك. ومثله أبو عمرو، وقيل عن أبي عمرو إنه اختلس حركة الخاء، وقرأ عاصم والكسائي: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾.

(٦) الأولى عدم التعيين؛ فيقال: «أربعون» فقط، كما في حديث أبي هريرة عند البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥) أن النبي ﷺ قال: «ما بين النفختين أربعون»، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟

بهم؛ أي: يقول لهم: سلام عليكم.

[٥٩] ﴿وَقُلْ﴾ يقول: ﴿اٰمَنُتُمْزُوا اٰلَيْهِمْ﴾ اٰتِيَا الْعَجِرُونَ ﴿ أَي: انفرادوا عن المؤمنين، عند اختلاطهم بهم.

[٦٠] ﴿أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ أَمَرَكُمْ ﴿يَبْنَئِ يَدَاكَ﴾ عَلَى لِسَانِ رَسُولِي ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ لَا تَطْبَعُوهُ ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يَبِّنُ الْعِدَاةَ.

[٦١] وَأَنْ أَعْتَدُفِي وَحْدُونِي وَأَطِيعُونِي هَذَا صِرَاطٌ طَرِيقٌ مُسْتَقِيمٌ.

[٦٢] ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا ۖ خَلَقًا، جَمَعَ جَبِيلٌ، كَقَدِيمٍ، وَفِي قِرَاءَةٍ: بِضَمِّ الْبَاءِ (١)﴾ ﴿كَثِيرًا أَقْلَمَ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ عداوته وإضلاله، أو ما حلَّ بهم من العذاب فتؤمنون؟

[٦٣] ويقال لهم في الآخرة: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها.

[٦٤] ﴿أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[٦٥] ﴿أَلَيْسَ لَكُمْ عَنِ أَعْيُنِهِمْ آيٌ: الْكَفَارَ لِقَوْلِهِمْ: ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كَانَا مُشْرِكِينَ﴾ (١) ﴿وَتَكَلَّمْنَا بِأَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ وَغَيْرِهَا﴾ ﴿يَمَّا كَانُوا يُكْسِبُونَ﴾ فكل عضو ينطق بما صدر منه.

[٦٦] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾ لَأَعْمَيْنَاهَا طَمَسًا ﴿فَاسْتَبَقُوا﴾  
 بتدروا ﴿الْصِّرَاطَ﴾ الطريق، ذاهبين كعادتهم ﴿فَأَنَّى﴾ فكيف  
 ﴿يُبْصِرُونَ﴾ حينئذ؟ أي: لا يبصرون.

[٦٧] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ ﴿٦٧﴾ قردة وخنازير أو حجارة﴾ ﴿عَلَىٰ مَكَانِهِمْ﴾ وفي قراءة: ﴿مَكَانَاتِهِمْ﴾<sup>(٦)</sup> جمع مكانة؛ بمعنى: مكان؛ أي: في منازلهم ﴿فَمَا اسْتَظَلُّوا مَضِبًّا﴾ وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٨﴾ أي: لم يقدرُوا على ذهاب ولا مجيء.

[٦٨] ﴿وَمَنْ نُعْمِرْهُ﴾ بإطالة أجله ﴿تَشْكُرْهُ﴾ وفي قراءة: بالتشديد؟) من التكميس ﴿فِي الْحَاقِّ﴾ فيكون بعد قوته وشباهة ضعيفا وهما ﴿أَفَلَا يَصْقِلُونَ﴾ أن القادر على ذلك المعلوم عندهم قادرٌ على البعث نيؤمنون؟ وفي قراءة: بالباء).

٦٩ ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ أي: النبي ﴿الشِّعْرَ﴾ رد لقولهم: إن ما أتى به من القرآن شعرٌ ﴿وَمَا يَتَّبِعُ﴾ يسهل ﴿لَهُ: الشَّعْرَ﴾ (إِنْ هُوَ) ليس الذي أتى به. (إِلَّا ذِكْرٌ) عظة ﴿وَفَرَّانٌ مِّنْ مِّنْ﴾ مظهر للأحكام وغيرها.

[٧٠] ﴿يَسْذَرُ﴾ بالبَاءِ والتاء<sup>(٨)</sup>؛ **بِمَنْ كَانَ حَيًّا** يعقل ما يخاطب به؛ وهم: المؤمنون ﴿وَيَحْيِ الْقَوْلُ﴾ بالعذاب **عَلَى الْكَافِرِينَ** وهم كالميتين، لا يعقلون ما يخاطبون به.

إِنْ أَصْحَبَ الْجَنَّةَ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكَوِّتٌ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا قَافِلَةٌ ﴿٥٧﴾ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٨﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٩﴾ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٦٠﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦١﴾ وَإِنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٤﴾ أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٥﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكْمَلُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَنْ نَعْمَرَهُ نَكَسَّسَهُ فِي الْخَافِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٩﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٧٠﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيُحْيِيَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾

[٥٥] ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ﴾ بسكون الغين وضمها، عَمَّا فِيهِ أَهْلُ النَّارِ مَا يَلْتَذِنُونَ بِهِ، كَأَفْضَاضِ الْأُكْبَارِ، لَا شُغْلَ يَقْتَضُونَ فِيهِ؛ لِأَنَّ لَجْنَةً لَا تَنْصَبُ فِيهَا ﴿ذُنُوبُهُمْ﴾ نَاعِمُونَ، خَيْرٌ ثَانٍ لَـ ﴿إِنَّ﴾ وَالْأَوَّلَ ﴿فِي شُغْلٍ﴾.

[٥٦] ﴿هُمْ﴾ مبتدأ ﴿وَأَرْجَاهُمْ فِي يَلَدَيْ﴾ جمع ظُلَّةٌ أو ظِلٌّ؛ خبر؛ أي: نصيبهم الشمس ﴿عَلَى الْأَرْبَابِ﴾ جمع أربكة؛ وهو: السرير في الحجلة<sup>(١)</sup>، أو الفُرس فيها ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ خبر ثانٍ متعلق ﴿عَلَى﴾.

[٥٧] ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ فِيهَا مَاءٌ يَدْعُونَ﴾ يَتَمَنُونَ.

[٥٨] ﴿سَلَامٌ﴾ مبتدأ ﴿قَوْلًا﴾ أي: بالقول، خبره: ﴿مَنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾

(١) بالسكون لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بفتحيتين أو بسكون الجيم مع ضم الحاء أو كسرهما، وهي قبة تعلق على السرير وتزين به العروس.

(٣) أي: مع ضم الجيم وهي حمزة والكسائي وابن كثير.

(٤) الأنعام: ٢٣.

(٥) لشعبة.

(٦) وهي قراءة عاصم وحمزة، وقرأ الباقون ﴿نَنْكُسه﴾ بالتخفيف.

٢٧ / لنافه وارء ذكه ان.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيَنَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا  
مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ  
﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْبٍ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا  
مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ  
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَخْزِيكَ قَوْلُهُمْ  
إِذَا نَادَعُوا مَا يُبِيرُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا  
خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا  
مَثَلًا وَلَيْسَ خَلْقَهُ يَقُولُ مَن يَحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾  
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ  
﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ  
مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
يَقْدِرُ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾  
إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾  
فَسُبْحَنَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

## سُورَةُ الصَّافَّاتِ

[٨٢] ﴿يَمَّا أَمْرُهُ﴾ شأنه <sup>(١)</sup> ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ أي: خلق شيء ﴿أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون، وفي قراءة <sup>(٢)</sup>: بالنصب عطفًا على ﴿يَقُولُ﴾.

[٨٣] ﴿فَسُبْحَنَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ﴾ ملك، زيدت الواو والناء للمبالغة؛ أي: القدرة على ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تردون في الآخرة.

\*\*\*

[٧١] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا، والاستفهام للتقرير، والواو الداخلة عليها للعتف ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ﴾ في جملة الناس ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيَنَا﴾ عملنا بلا شريك ولا معين ﴿أَنْعَامًا﴾ هي: الإبل والبقر والغنم ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ ضابطون <sup>(١)</sup>.

[٧٢] ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾ سخرناها ﴿لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ مركوبهم ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾؟.

[٧٣] ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْبٍ﴾ كأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمَشَارِبٌ﴾ من لبنها، جمع مشرب؛ بمعنى: شرب، أو موضعه ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ المُنْعِم عليهم بها فيؤمنون؟ أي: ما فعلوا ذلك.

[٧٤] ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿آلِهَةً﴾ أصنامًا يعبدونها ﴿لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ ينجون من عذاب الله - تعالى - بشفاعته الهتهم، برعهم.

[٧٥] ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: الهتهم، نزلوا منزلة العقلاء ﴿نَصْرَهُمْ وَهُمْ﴾ أي: الهتهم من الأصنام ﴿لَهُمْ جُنْدٌ﴾ برعهم نصرهم ﴿مُحَضَّرُونَ﴾ في النار معهم.

[٧٦] ﴿فَلَا يَخْزِيكَ قَوْلُهُمْ﴾ لك: ﴿لَسْتُ مُرْسَلًا﴾ <sup>(٢)</sup> وغير ذلك ﴿وَإِنَّا نَعْلَمُ مَا يُبِيرُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ﴾ من ذلك وغيره؛ فنجازيهم عليه.

[٧٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ وهو: العاصي بن وائل ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ أي: أن ضربه شديداً قوياً ﴿وَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شديداً المخصوصة لنا ﴿مُبِينٌ﴾ بيّنها، في نفي البعث.

[٧٨] ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ في ذلك ﴿وَلَيْسَ خَلْقَهُ﴾ من المني، وهو أغرب من مثله ﴿قَالَ مَن يَحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أي: بالية؟ ولم يقل: رمية - بالناء -؛ لأنه اسم لا صفة، وروي أنه أخذ عظماً رميماً ففثته، وقال للبي: أتري يحيي الله هذا بعد ما تبلى وزم؟ فقال <sup>(٣)</sup>: نعم، ويُدْخِلُكَ النار <sup>(٤)</sup>.

[٧٩] ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ مخلوق مجللاً ومفصلاً، قبل خلقه وبعد خلقه.

[٨٠] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ في جملة الناس ﴿مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾ المَرْخ والغفار <sup>(١)</sup>، أو كل شجر إلا الغائب <sup>(٢)</sup> ﴿نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾ تغدحون، وهذا دال على القدرة على البعث؛ فإنه جمع فيه بين الماء والنار واخشب؛ فلا الماء يطفئ النار، ولا النار تحرق الخشب.

[٨١] ﴿وَأَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مع عظمهما ﴿يَقْدِرُ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي: الأناسي في الصغر؟ ﴿بَلَىٰ﴾ أي: هو قادر على ذلك، أجاب نفسه ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾ الكثير الخلق ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء.

(١) أي قاهرون مذلون، والأظهر والأولى تفسير الملك في الآية بالملك الشرعي، وإباحة التصرف فيها بسائر الوجوه الشرعية، وليكون قوله تعالى بعدها: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾ تأسيساً لنعمة أخرى لا تنميها لما قبله.

(٢) الرعد: ٤٣.

(٣) لم أجد هذا اللفظ، لكن أخرج نحوه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والإسماعيلي في معجمه والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث والضبط في المختارة عن ابن عباس [الدر المنثور (٢٠٧/٥)]، وروي ذلك في أبي بن خلف، أيضاً كما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٧/٥) عن ابن عباس وغيره.

(٤) نوعان من الشجر سريعا القدح.

(٥) لم يذكر الجلال المحلي سبب هذا الاستثناء لـ «الغائب» من جملة شجر النار، وقال في حاشية الجمل على الجلالين: «هذا قول الحكماء، يقولون: في كل شجر نار إلا الغائب». وهذا متعقب وهو محل نظر كما ذكر القاضي كتمان في تعليقه على الجلالين.

(٦) قال ابن كثير: أي إنما يأمر بالشيء أمراً واحداً لا يحتاج إلى تكرار.

(٧) لابن عامر والكسائي.

بفعل مقدر؛ أي: حفظناها بالشهب **﴿مِنْ كُلِّ صُكْلٍ﴾** متعلق بالمقدر **﴿شَيْطَانٍ تَارِدٍ﴾** غاب خارج عن الطاعة. [٨] **﴿لَا يَتَسَمَّعُونَ﴾**<sup>(٣)</sup> أي: الشياطين، مستأنف<sup>(٤)</sup>، وسماهم هو في المعنى المحفوظ عنه<sup>(٥)</sup> **﴿إِلَى آلَاءِ الْآخِلَاءِ﴾** الملائكة في السماء، وغدّي السماع **﴿إِلَى﴾** لتضمنه معنى الإصغاء، وفي قراءة: بتشديد الميم والسين، أصله: يتسمعون؛ أدغمت التاء في السين **﴿وَيُقَدِّفُونَ﴾** أي: الشياطين بالشهب **﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾** من آفاق السماء.

[٩] **﴿دُحُورًا﴾** مصدر دَحَرَه؛ أي: طَرَدَه وَأَفْعَدَه، وهو مفعول له **﴿وَلَهُمْ﴾** في الآخرة **﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾** دائم. [١٠] **﴿إِلَّا مَنْ خُفِيَ لُطْفُهُ﴾** مصدر؛ أي: المرة، والاستثناء من ضمير **﴿يَسْمَعُونَ﴾** أي: لا يسمع إلا الشيطان الذي سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة **﴿فَاتَّبَعَهُ يَنْهَابٌ﴾** كوكب مضيء<sup>(٦)</sup> **﴿ثَائِقٌ﴾** ثقيبه، أو يحرقه، أو يحمله<sup>(٧)</sup>. [١١] **﴿فَأَنسَيْنَاهُمْ﴾** استخبر كفار مكة تقريراً أو توبيخاً: **﴿أَمْ أَشَدُّ حَلْفًا أَمْ مَن خَلَقْنَا﴾** من الملائكة والسموات والأرضين وما فيهما وفي الإتيان **﴿بِمَنْ﴾** تغليب العقلاء **﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾** أي: أصلهم آدم **﴿وَمِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾** لازم، يلصق باليد؛ المعنى: أن خلقهم ضعيف، فلا يتكبروا<sup>(٨)</sup> لإنكار النبي والقرآن، المؤدي إلى هلاكهم اليسير. [١٢] **﴿بِكُلِّ﴾** للانتقال من غرض إلى آخر؛ وهو: الإخبار بحاله وحالهم **﴿وَعَجِبْتَ﴾** بفتح التاء<sup>(٩)</sup> خطاباً للنبي ﷺ؛ أي: من تكذيبهم إياك **﴿وَوَيْ﴾** هم **﴿يَسْخَرُونَ﴾** من تعجبك. [١٣] **﴿وَلَوْ أَنَّا دَعَرْنَا﴾** وعطروا القرآن **﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾** لا يتظنون. [١٤] **﴿وَلَوْ أَنَّا نُنَزِّلُ﴾** كانشقاق القمر **﴿يَسْخَرُونَ﴾** يستهزئون بها. [١٥] **﴿وَقَالُوا﴾** فيها: **﴿إِنْ﴾** ما **﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾** يتين. وقالوا منكبين للبحث: [١٦] **﴿أَوَدَّ بَيْنَا وَبَيْنَا﴾** نواباً وعظماً **﴿لِنَأْتِيَنَّهُمْ﴾** في الهمزتين في الموضعين التحقيق، وتسهيل الغائبة، وإدخال ألف بينهما على الوجهين<sup>(١٠)</sup>. [١٧] **﴿وَإِنَّا أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾** بسكون الواو عطفاً **﴿بِأَوَّلٍ﴾** وفتحها<sup>(١١)</sup>، والهمزة للاستفهام، والعطف بالواو والمعطوف عليه محذوف **﴿إِنْ﴾** واسمها، أو: الضمير في **﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾**، والفواصل: همزة الاستفهام. [١٨] **﴿قُلْ نَعَمْ﴾** تبعون **﴿وَأَنْتُمْ دَجْرُونَ﴾** أي: صاغرون.

[١٩] **﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ﴾** ضمير مبهم يفسره **﴿زَجَرٌ﴾** أي: صبيحة **﴿وَجِدَّةٌ﴾** فإذا هم. أي: الخلائق أحياء **﴿يَنْظُرُونَ﴾** ما يفعل بهم. [٢٠] **﴿وَقَالُوا﴾** أي: الكفار: **﴿يَا﴾** للتنبيه **﴿وَلِنُنْزِلَنَّ﴾** هلاكنا، وهو مصدر لا فعل له من لفظه، وتقول لهم الملائكة: [٢١] **﴿هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ﴾** يوم الحساب والجزاء. **﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾** بين الخلائق **﴿الَّذِينَ كُتِبَ بِهِ تَكْدِيرُونَ﴾**. ويقال للملائكة: [٢٢] **﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾** أنفسهم بالشرك **﴿وَأَزَوَّجَهُمْ﴾** قراءهم من الشياطين **﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾**. [٢٣] **﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾** أي: غيره من الأوثان **﴿فَأَعْدَوْهُمْ﴾** دلوهم وسوقوهم **﴿إِلَى صِرَاطٍ نَجْهِمُ﴾** طريق النار. [٢٤] **﴿وَقَفَّوهُمْ﴾** احبسوهم عند الصراط **﴿إِنَّهُمْ سَخِرُونُ﴾** عن جميع أقوالهم وأفعالهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّفَّاتِ صَفًّا ۖ فَالْزَجَرِ زَجْرًا ۖ فَالتَّيَاتِ ذِكْرًا ۚ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۚ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۚ إِنَّا رِيتَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بَرِينَ الْكُوكَبِ ۚ وَحَفَظَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۚ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۚ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۚ إِلَّا مَنْ خُفِيَ الْخُطْفَةُ فَاتَّبَعَهُ ۚ وَشَهَابٌ ثَائِقٌ ۚ فَاسْتَفْتَاهُمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ ۚ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۚ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۚ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ۚ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ مُبِينٌ ۚ إِي دَامِ مَنَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْلًا ۚ أَلَمْ نَأْمَعْهُمُ نَوْمًا ۚ أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۚ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَجْرُونَ ۚ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۚ وَقَالُوا لَوْلَا نُنْزِلُ هَذَا يَوْمَ الْبَرِّ ۚ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكْدِيرُونَ ۚ ۞ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۚ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۚ وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْخَرُونَ ۚ

### سُورَةُ الصَّافَّاتِ

[مكية، مائة واثنان وثمانون آية، نزلت بعد الأنعام]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] **﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا﴾** الملائكة، تُصَفُّ نفوسها في العبادة، أو أجنحتها في الهواء تنتظر ما تومر به. [٢] **﴿فَالْزَجَرِ زَجْرًا﴾** الملائكة تزرع السحاب؛ أي: تسوقه. [٣] **﴿فَالْتَّيَاتِ﴾** أي: قراء القرآن بتلونه<sup>(١)</sup> **﴿ذِكْرًا﴾** مصدر من معنى التاليات. [٤] **﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾** يا أهل مكة **﴿لَوَاحِدٌ﴾**. [٥] **﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَغَارِبِ لِلشَّمْسِ، وَلَهَا كُلُّ يَوْمٍ مَشْرِقٌ وَمَغْرِبٌ﴾** [٦] **﴿إِنَّا رِيتَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾** [برينة] الكوكب؛ أي: بضوئها أو بها، والإضافة للبيان؛ كقراءة تنوين "زينة" المبيّنة بالكواكب<sup>(٢)</sup>. [٧] **﴿وَحَفَظَا﴾** منصوب

- (١) في نسخة مطبوعة: «تلوه».
- (٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقراء حفص وحزمة والكساوي: «يُسَمَّعُونَ» بتشديد السين والهمزة من التسمع، وهو: تَطَلَّبُ السماع.
- (٣) يشير بها إلى أن قوله: «مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ» على حذف مضاف؛ أي: من سماع كل شيطان.
- (٤) المقصود بشبه تنفصل منها، كما بين ذلك في تفسير سورة الملك: «بأن ينفصل شهاب عن الكوكب كالقوس».
- (٥) في نسخة الصاوي: «فلا يتكبرون».
- (٦) راجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف، وقراء ابن عامر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني، وقراء نافع والكساوي عكسه.
- (٧) قرأه ابن عامر وقالون بواو ساكنة قبلها همزة مفتوحة، وقرأ الباقون بواو مفتوحة قبلها همزة مفتوحة.



[٢٥] ويقال لهم توبيخاً: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ﴾ لا ينصر بعضهم بعضاً، كحالكم في الدنيا؟ ويقال لهم: [٢٦] ﴿بَلْ هُمْ آيَوْمَ مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ مفادون أدلاء.

[٢٧] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يتلاومون ويتخاصمون.

[٢٨] ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حَتَّىٰ تَأْمُرُوا بِأَلْفِينَ﴾ أي: الأنباغ منهم للمتبعين: ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْمُرُونَ عَنِ الْيَمِينِ﴾ عن الجهة التي كنا نأمركم منها: لجليفكم أنكم على الحق؛ فصدقناكم واتبعناكم؛ المعنى: أنكم أضللتونا.

[٢٩] ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حَتَّىٰ تَأْمُرُوا بِأَلْفِينَ﴾ أي: بل لئلا تكونوا مؤمنين؛ وإنما يصدق الإضلال وإن أن لو كنتم مؤمنين فرجعتهم عن الإيمان إلينا.

[٣٠] ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكَ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ قوة وقدرة تفهركم على متابعتنا ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ ضالين مثلنا.

[٣١] ﴿وَحَقُّ﴾ وجب ﴿عَلَيْنَا﴾ جميعاً ﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾ بالعذاب؛ أي: قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١) ﴿إِنَّا﴾ جميعاً ﴿لَنَذِقُونَ﴾ العذاب بذلك القول، ونشأ عنه قولهم: [٣٢] ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾

المحل بقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾. [٣٣] قال - تعالى -: ﴿فَأَنبَأَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: لاشترآكم في العوابة.

[٣٤] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كما نفعل بهؤلاء ﴿تَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ غير هؤلاء؛ أي: تعذبهم، التابع منهم والمتبوع.

[٣٥] ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: هؤلاء، بقرينة ما بعده ﴿كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

[٣٦] ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا﴾ في همزته ما تقدم (٢) ﴿لَنَارِكُوا إِلَٰهَيْنَا لِنُشَٰعِرَ تَجَنُّوْا﴾ أي: لأجل محمد.

[٣٧] قال - تعالى -: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الجائين به؛ وهو: أن لا إله إلا الله.

[٣٨] ﴿إِنَّكُمْ﴾ فيه التفات ﴿لَنَذِيقُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

[٣٩] ﴿وَمَا نَحْنُ بِإِلَٰهٍ﴾ جزاء ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين، استثناء منقطع؛ أي: ذكر جزأهم في قوله: [٤١] ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ بكرة وعشيقاً.

[٤٢] ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ﴾ بدل، أو: بيان للرزق؛ وهو: ما يؤكل تلذذاً لا لحفظ صحة؛ لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظها بخلق أجسامهم للأبد ﴿وَهُمْ تَكْرُمُونَ﴾ بثواب الله - سبحانه وتعالى.

[٤٣] ﴿فِي جَنَّاتٍ النَّازِلِينَ﴾.

[٤٤] ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ لا يرى بعضهم قفاً بعض.

[٤٥] ﴿يُتَٰفَتَحُ عَلَيْهِمْ﴾ على كل منهم ﴿يَكْبَسُ﴾ هو: الإناء بشرابه ﴿مِنْ مَّيِّينَ﴾ من خمر يجري على وجه الأرض كأنهار الماء.

مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ آيَوْمَ مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حَتَّىٰ تَأْمُرُوا بِأَلْفِينَ ﴿٢٨﴾ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٢٩﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰيِقُونَ ﴿٣٠﴾ فَاَعُوْذْكَ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣١﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَٰهَيْنَا لِنُشَٰعِرَ تَجَنُّوْا ﴿٣٤﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّا كُنَّا نَقُودُهُمْ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٦﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٣٧﴾ فَوَيْلٌ لَهُمْ وَهُمْ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٨﴾ فِي جَنَّاتٍ النَّازِلِينَ ﴿٣٩﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٠﴾ يُتَٰفَتَحُ عَلَيْهِمْ مِّنْ مَّيِّينَ ﴿٤١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَٰصِرَاتُ الْظُرْفِ عِينٌ ﴿٤٢﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكُونٌ ﴿٤٣﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٤﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِيٰ قَرِينٌ ﴿٤٥﴾

[٤٦] ﴿يَتَسَاءَلُ﴾ أشد بياضاً من اللبن ﴿لَذَّةٌ﴾ لذيدة ﴿لِلشَّيْرِينَ﴾

بخلاف خمر الدنيا؛ فإنها كريهة عند الشرب.

[٤٧] ﴿لَا فِيهَا عِوَالٌ﴾ ما يغتال عقولهم ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُذَوِّتُونَ﴾ بفتح الزاي وكسرهما (٣) من زُوف الشارب، وأثرف؛ أي: يسكرون بخلاف خمر الدنيا.

[٤٨] ﴿وَعِنْدَهُمْ قَٰصِرَاتُ الْظُرْفِ﴾ حابسات الأعين على أزواجهن، لا يُنْظَرُونَ إلى غيرهم لحسنهم عندهن ﴿عِينٌ﴾ ضخام الأعين حسانها.

[٤٩] ﴿كَأَنَّهُنَّ﴾ في اللون ﴿بَيْضٌ﴾ للنعام ﴿مَكُونٌ﴾ مستور بريشه لا يصل إليه غبار، ولونه - وهو البياض في صفة - أحسن ألوان النساء.

[٥٠] ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾ بعض أهل الجنة ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عما مر بهم في الدنيا.

[٥١] ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِيٰ قَرِينٌ﴾ صاحب يتيكز البعث.

(١) هود: ١١٩.

(٢) أي: من التحقيق وتسهيل الثانية بألف ودونها.

(٣) بالكسر قراءة حمزة والكلبي.

الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٨﴾ معك في النار.

[٥٨] ويقول أهل الجنة: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾. [٥٩] ﴿إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى﴾ أي: التي في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾؟ هو استفهام تلذذ وتحذير بنعمة الله - تعالى - من تأييد الحياة وعدم التعذيب<sup>(١)</sup>.

[٦٠] ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي ذُكر لأهل الجنة ﴿لَهُوَ الْقَوْمُ الْعَظِيمُ﴾.

[٦١] ﴿لِيُثِلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْكَافِرُونَ﴾ قيل: يقال لهم ذلك. وقيل: هم يقولونه.

[٦٢] ﴿أَذَلِكَ﴾ المذكور لهم ﴿خَيْرٌ نَزْلًا﴾ وهو ما يُعَدُّ للنازل، من ضيف وغيره ﴿وَأَمْ سَجَرَةُ الزُّرُومِ﴾ المعدة لأهل النار؟ وهي من أحببت الشجر المرء بقمامة، يُثِقُّها الله في الجحيم؛ كما سيأتي.

[٦٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا﴾ بذلك ﴿فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: الكافرين من أهل مكة؛ إذ قالوا: النار تحرق الشجر فكيف تنبت؟

[٦٤] ﴿إِنَّهَا سَجَرَةٌ تُخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ أي: قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى ذُرِّ كَانِهَا.

[٦٥] ﴿طَلْعُهَا﴾ المشبه بطلع النخل ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ الحيات<sup>(٢)</sup> القبيحة المنظر.

[٦٦] ﴿فَالْيَهُمُ﴾ أي: الكفار ﴿لَا يَكُونُ مِنْهَا﴾ مع فبحها؛ لشدة جوعهم ﴿فَمَا لَوْ مِنْهَا الْظُّلُمُ﴾.

[٦٧] ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوًّا بِزَنِّ حَبِيرٍ﴾ أي: ماء حار يشربونه، فيختلط بالماكول منها؛ فيصير شوتاً<sup>(٣)</sup> له.

[٦٨] ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ يفيد أنهم يخرجون منها لشرب الحميم، وأنه خارجها<sup>(٤)</sup>.

[٦٩] ﴿إِنَّهُمْ الْقَوْمُ وَجِدُوا﴾ و﴿إِنَّا نَحْنُ صَّالِينَ﴾.

[٧٠] ﴿ثُمَّ عَلَى أَتْرُمٍ يَرْعَوْنَ﴾ يَرْعَوْنَ إلى اتباعهم فيسرعون إليه.

[٧١] ﴿وَلَقَدْ صَلَّ بِلَهُمْ كَبَرُ الْأُولَى﴾ من الأمم الماضية.

[٧٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ من الرسل مخوفين.

[٧٣] ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَذَرِّينَ﴾ الكافرين؛ أي: عاقبتهم العذاب.

[٧٤] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ﴾ [الْمُخْلِصِينَ]<sup>(٥)</sup> أي: المؤمنين فإنهم نجوا من العذاب؛ لإخلاصهم في العبادة، أو لأن الله أحلصهم لها، على قراءة فتح اللام.

[٧٥] ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا﴾ بقوله: «رب أني مغلوب فأنصِر»<sup>(٦)</sup> ﴿فَلْيَعْمَلِ الْمُجِيبُونَ﴾ له نحن؛ أي: دعانا على قوم، فأهلكناهم بالغرق.

[٧٦] ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أي: الغرق.

يَقُولُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمَصْدِرِينَ ﴿٥٩﴾ إِنْ دَامَتْ أَوَّلُكُمْ تَرَابًا وَعِظْمًا إِنْ تَأْتُوا مَوْتًا ﴿٦٠﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلَعُونَ ﴿٦١﴾ فَأُطْلِعَ قَوْمَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٦٢﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٦٣﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمَحْضَرِينَ ﴿٦٤﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٦٥﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ هَذَا الْقَوْمُ الْقَاطِعُ الْعَظِيمُ ﴿٦٧﴾ لِيُثِلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦٨﴾ أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ سَجَرَةُ الزُّرُومِ ﴿٦٩﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٧٠﴾ إِنَّهَا سَجَرَةٌ تُخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٧١﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٧٢﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا لَظُلُمٌ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهِمُ الْبُطُونَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَشَرَّاءُ مِنْ حَبِيرٍ ﴿٧٥﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُمْ الْقَوْمُ الْفَاقِقُونَ ﴿٧٧﴾ فَهُمْ عَلَى أَتْرُمٍ يَرْعَوْنَ ﴿٧٨﴾ وَلَقَدْ صَلَّ بِلَهُمْ كَبَرُ الْأُولَى ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٨٠﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَذَرِّينَ ﴿٨١﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٢﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْيَعْمَلِ الْمُجِيبُونَ ﴿٨٣﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٨٤﴾

[٥٢] ﴿يَقُولُ﴾ لي تبكيًا: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَمِنَ الْمَصْدِرِينَ﴾ بالبعث.

[٥٣] ﴿لَوْ دَامَتْ أَوَّلُكُمْ تَرَابًا وَعِظْمًا إِنْ تَأْتُوا مَوْتًا﴾ في الهمزتين في الثلاثة مواضع ما تقدم<sup>(١)</sup> ﴿لَمَيِّتُونَ﴾ مجزيون ومحاسبون؟ أنكر ذلك أيضًا.

[٥٤] ﴿قَالَ﴾ ذلك القائل لإخوانه: ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطْلَعُونَ﴾ معي إلى النار لننظر حاله؟ فيقولون: لا.

[٥٥] ﴿فَأُطْلِعَ﴾ ذلك القائل من بعض كُوى الجنة ﴿قَوْمَهُ﴾ أي: رأى قرينه ﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ في وسط النار.

[٥٦] ﴿قَالَ﴾ له تسميًا: ﴿تَاللَّهِ إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كِدْتَ﴾ قاربت ﴿لَتُرْدِينَ﴾ لتهلكني يا غواثك.

[٥٧] ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ علي في الدنيا بالإيمان ﴿لَكُنْتُ مِنَ

(١) أي: بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بإدخال ألف وتركه، وقرأ ابن عامر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني. وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٢) أي: فهو من كلام بعض أهل الجنة لبعض، وقيل: من كلام المؤمنين للملائكة حين ذبح الموت، ويحتمل أن يكون هذا خطاب من أهل الجنة لأهل النار، على سبيل التبكيت لهم، والتذكير بقولهم هذا في الدنيا؛ حيث كانوا ينكرون البعث والعذاب.

(٣) قيل: لمرد بذلك ضرب من الحيات، رهوسها بشعة، واختار ابن كثير أن الآية على ظاهرها، وأنها رهوس الشياطين حقيقة، وإن سم تكن معروفة عند الغاطيين؛ لأنه استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر.

(٤) أي: فيصير الحميم شوتًا؛ أي: خليطًا للزقوم.

(٥) مقصود المصنف أن الكفار يؤخذ بهم من الجحيم إلى الجحيم ثم يرجعون إلى الجحيم، وهما في النار؛ وليس المقصود خروجهم من النار لقوله تعالى فيهم: ﴿وَمَا لَهُمْ بِخَيْرٍ مِنْ أَلْثَارٍ﴾ [البقرة: ١٦٧].

(٦) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ بفتح اللام.

(٧) القمر: ١٠.

[٧٧] ﴿وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ فالناس كلهم من نسله - عَلَيْهِ السَّلَام - ، وكان له ثلاثة أولاد: «سام» وهو أبو العرب والفرس والروم، و«حام» وهو أبو السودان، و«ياث» وهو أبو الترك والخر<sup>(١)</sup> و«يأجوج ومأجوج» وما هنالك. [٧٨] ﴿وَتَرَكْنَا آفِيئَةً عَلَيْهِمْ ثَاءً حَسَنًا﴾ في الْآخِرِينَ من الأنبياء والأُمم، إلى يوم القيامة.

[٧٩] ﴿سَلَّمَ﴾ مِنَّا ﴿عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾.

[٨٠] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿بِحَجَرٍ الْمُنْخَبِينَ﴾.

[٨١] ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٨٢] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ كفار قومه.

[٨٣] ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ﴾ أي: ممن تابعه في أصل الدين ﴿لِبَرْهِيصٍ﴾ وإن طال الزمان بينهما، وهو ألفان وستمائة وأربعون سنة<sup>(٢)</sup>، وكان بينهما هود وصالح.

[٨٤] ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّكَ﴾ أي: تابعه وقت مجيئه ﴿يَقْلِبُ سُلَيْمٍ﴾ من الشك وغيره.

[٨٥] ﴿إِذْ قَالَ﴾ في هذه الحالة المستمرة له ﴿لِأَيُّهِمْ وَقَوْمِي﴾ مُؤَيِّحًا: ﴿مَاذَا﴾ ما الذي ﴿تَعْبُدُونَ؟﴾

[٨٦] ﴿أَفَكَا﴾ في همزته ما تقدم<sup>(٣)</sup> ﴿إِلَهُةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ و«فَكَا» مفعول له، و«إِلَهُةٌ» مفعول به لـ ﴿تُرِيدُونَ﴾ والإفك: أسوأ الكذب؛ أي: أتعبدون غير الله؟

[٨٧] ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إذ عديم غيره، أنه يترككم بلا عقاب؟ لا، وكانوا نجامين، فخرجوا إلى عيد لهم، وتركوا طعامهم عند أصنامهم - زَعَمُوا الشُّرُوكَ عَلَيْهِ -، فإذا رجعوا أكلوه، وقالوا للسيد إبراهيم: اخرج معنا. [٨٨] ﴿فَنَظَرْنَا نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ إليهما لهم أنه يعتمد عليها؛ ليعتمدوه.

[٨٩] ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ غليل؛ أي: سأسقم.

[٩٠] ﴿فَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ إلى عيدهم ﴿مُدْبِرِينَ﴾.

[٩١] ﴿رَآعٍ﴾ مال في خفية ﴿إِلَى آلِهِمْ﴾ وهي: الأصنام وعندها الطعام ﴿فَقَالَ﴾ استهزاء: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ؟﴾ فلم ينطقوا. [٩٢] فقال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ؟﴾ فلم يجب<sup>(٤)</sup>.

[٩٣] ﴿فَرَأَى عَلَيْهِمْ خَرَبًا يَالْمِينَ﴾ بالقوة<sup>(٥)</sup>؛ فكسرها؛ فبلغ قومه من رآه. [٩٤] ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرُفُونَ﴾ أي: يسرعون المشي، فقالوا له: نحن نعبدها وأنت تكسرها؟!.

[٩٥] ﴿قَالَ﴾ لهم مُؤَيِّحًا: ﴿تَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ من الحجارة وغيرها أصنامًا!.

[٩٦] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ من نحتكم ومنحوتكم؛ فاعبدوه وخُذْهُ، و«مَا» مصدرية، وقيل: موصولة، وقيل: موصوفة.

[٩٧] ﴿قَالُوا﴾ بينهم: ﴿إِنَّا لَمُبِينَا﴾ فاملئوه حطبًا وأضرموه بالنار، فإذا التهب ﴿فَأَلْقَوْهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ النار الشديدة.

وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا آفِيئَةً عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ ﴿٨٣﴾ لِبَرْهِيصٍ ﴿٨٤﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٥﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٦﴾ فَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٨٧﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٨﴾ فَنَظَرْنَا نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٩﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٩٠﴾ فَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩١﴾ رَآعٍ ﴿٩٢﴾ فَرَأَى عَلَيْهِمْ خَرَبًا يَالْمِينَ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرُفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٩٥﴾ فَنَظَرْنَا نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٩٦﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٩٧﴾ فَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٨﴾ فَنَظَرْنَا نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٩٩﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿١٠٠﴾ فَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿١٠١﴾ فَنَظَرْنَا نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿١٠٢﴾

[٩٨] ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ بإلقائه في النار لتهلكه ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ﴾ المقهورين؛ فخرج من النار سالمًا.

[٩٩] ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ مهاجرٌ إليه من دار الكفر ﴿سَبِّحِينَ﴾ إلى حيث أمرني ربي بالمصير إليه؛ وهو: الشام، فلما وصل إلى الأرض المقدسة قال: [١٠٠] ﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾ ولذا ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

[١٠١] ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ أي: ذي حلم كثير. [١٠٢] ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَى﴾ أي: أن يسعى معه ويعينه، قيل: بلغ سبع سنين. وقيل: ثلاث عشرة سنة.

﴿قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي رَبِّي﴾ أي: رأيت ﴿فِي الْمَنَازِرِ﴾ أَنِّي أَذْبَحُكَ ورؤيا الأنبياء حق، وأفعالهم بأمر الله - تعالى - ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَوْهُ﴾ من الرأي؟ شاوره لئلا يس بالذبح، وينقاد للأمر به ﴿قَالَ يَبْنَئُ﴾ التاء عوض عن باء الإضافة<sup>(٦)</sup> ﴿أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ به ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ على ذلك.

(٢) وقيل: غير ذلك، ولا دليل صحيح معبر على التحديد، والصواب عدمه، والله أعلم.

(٤) في نسخة من المطبوع: «عُجِبَ» أي: الأصنام.

(٥) من تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بألف بينهما وتركها. (٦) تفسير الزمخشري بالقوة خلاف ظاهر اللفظ، ولو قال: «إِنَّمَا ضَرَبَهُمُ الْبَاقِينَ لَأَنَّهَا أَشَدُّ وَأَنَّهُ كَانَ أَظْهَرَ. وقيل المراد بالبايعين قسمه الوارد في آية الأنبياء: ﴿وَتَأْتِيهِمْ لَأَكِيدُنَّ أَفْئَتُهُمْ بِعَدَاوَةٍ قُلُوبُهُمْ مُدْبِرِينَ﴾ وتكون الباء سببية.

(٦) أي في. «أَيُّ».

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَتَدَيَّنَتْهُ أَنْ يَتَّبِعَهُمَا ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقَتْ الرُّعْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّا هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَتْهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكَهَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرَتْهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَتَرَكَهَا عَلَيْهِ وَكَانَ إِسْحَاقُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَتَصَرَّفْنَاهُ فَمَا كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكَنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَّمَ عَلَى مُوسَى ﴿١٢٠﴾ وَتَرَكَنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّنَا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٢﴾ إِنَّنَاهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٤﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

[١٠٣] ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ خَضَعَا وَأَقَادَا لِأَمْرِ اللَّهِ - تعالى - ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ صَرَعَهُ عَلَيْهِ، وَلِكُلِّ إِنْسَانٍ جَبِينَانِ بَيْنَهُمَا الْجَبْهَةُ، وَكَانَ ذَلِكَ يَمْنَى، وَأَمَرَ السَّكِينُ عَلَى خَلْقِهِ فَلَمْ تَعْمَلْ شَيْئًا مِمَّا نَعَى مِنَ الْقُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ.

[١٠٤] ﴿وَتَدَيَّنَتْهُ أَنْ يَتَّبِعَهُمَا﴾ ﴿١٠٥﴾ ﴿قَدْ صَدَّقَتْ الرُّعْيَا﴾ بِمَا أَتَيْتْ بِهِ مِمَّا أَمْكُنُكَ مِنْ أَمْرِ الذَّبْحِ أَي: بِكَفَيْكَ ذَلِكَ، فَجَمَلَةٌ ﴿وَتَدَيَّنَتْهُ﴾

جواب «لما» بزيادة الواو ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كما جزيناك ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم بامتنال الأمر، بإفراج الشدة عنهم. [١٠٦] ﴿إِنَّا هَذَا﴾ الذبح المأمور به ﴿لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ أي: الاختبار الظاهر. [١٠٧] ﴿وَفَدَيْنَتْهُ﴾ أي: المأمور بذبحه؛ وهو: إسماعيل أو إسحاق، قولان<sup>(١)</sup> ﴿بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ من الجنة، وهو الذي قُوتُهُ هَابِيلُ<sup>(٢)</sup>، جاء به جبريل الطائفة، فذبحه السيد إبراهيم مُكَبِّرًا. [١٠٨] ﴿وَتَرَكَنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ثناء حسنًا. [١٠٩] ﴿سَلَّمَ﴾ مِنَّا ﴿عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾. [١١٠] ﴿كَذَلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم. [١١١] ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾. [١١٢] ﴿وَبَشَّرَتْهُ بِإِسْحَاقَ﴾ استدلت بذلك على أن الذبح غيره ﴿نَبِيًّا﴾ حال مقدرة؛ أي: يوجد مقدراً نبوته ﴿وَتَرَكَنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾. [١١٣] ﴿وَلَقَدْ مَنَّا﴾ بتكثير ذريته ﴿وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾ ولديه؛ بجمعنا أكثر الأنبياء من نسله ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ مؤمن ﴿وَوَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ كافر ﴿مُبِينٌ﴾ بين الكفر.

[١١٤] ﴿وَتَصَرَّفْنَاهُ﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿بِالْبُيُوتِ﴾. [١١٥] ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أي: استبعاد فرعون لإياهم. [١١٦] ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا﴾ على القبط ﴿فَمَا كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾. [١١٧] ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ البليغ البيان فيما أتى به من الحدود والأحكام وغيرها، وهو: التوراة. [١١٨] ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الطريق ﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾. [١١٩] ﴿وَتَرَكَنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ ثناء حسنًا. [١٢٠] ﴿سَلَّمَ﴾ مِنَّا ﴿عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾. [١٢١] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كما جزيناهما ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. [١٢٢] ﴿إِنُّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾. [١٢٣] ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾ بالهمزة أوله وتركة<sup>(٣)</sup> ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ قيل: هو ابن أخي<sup>(٤)</sup> هارون أخي موسى. وقيل: غيره. أرسل إلى قوم يعيلبك ونواحيها. [١٢٤] ﴿إِذْ﴾ منصوب بـ «اذكر» مقدراً ﴿قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ قَالَ لِقَوْمِهِ ﴿أَلَا تَدْعُونَ بَعْلًا﴾ اسم صنم لهم من ذهب، وبه سمي البلد أيضاً الله؟ [١٢٥] ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ اسم صنم لهم من ذهب، وبه سمي البلد أيضاً مضافاً إلى «بك» أي: أتعبدونه ﴿وَتَذَرُونَ﴾ تتركون ﴿أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾ فلا تعبدونه؟ [١٢٦] ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ برفع الثلاثة على إضمار «هو»، ونصبها<sup>(٥)</sup> على البدل من «أحسن».

(١) والراجع الأول: أنه إسماعيل، وهو الذي تشهد له النصوص، وكذا سياق الآيات بعدها حيث قال: ﴿وَتَدَيَّنَتْهُ بِإِسْحَاقَ﴾ [الصافات: ١١٢]، بعد أن ذكر قصة الذبح فدل على أنه غيره.

(٢) ذكر هذا الطبري (٨٦/٢٣) عن ابن عباس، وأخرج عنه أيضاً (٨٧/٢٣) أنه كبش من الجنة وعليه أكثر المفسرين، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١١٣/٧) لأن أي شية وابن النذر وابن أبي حاتم، وقيل: بل هو كبش من الكباش المعروفة. والأولى الإقتصار على وصف القرآن، وأنه ذبح عظيم.

(٣) قرأ ابن ذكوان بترك الهمزة - وموصلاً - فإذا ابتداء فتح الهمزة.

(٤) هكذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي نسخة القاضي كنعان: «ابن هارون»؛ أي من ذريته، قال: وهو الصحيح، والآخر سهو؛ لأن إيلاس من ذرية هارون، وتقدم مثل ذلك في تفسير الأنعام: (٨٦).

(٥) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.



فإنهم ينزهون الله - تعالى - عما يصفه هؤلاء. [١٦١] ﴿فَإِنَّكَ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام. [١٦٢] ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على معبودكم، و﴿عَلَيْهِ﴾ متعلق بقوله: ﴿يَقْتَنِينَ﴾ أي: أحدًا<sup>(١)</sup>. [١٦٣] ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَنَّةِ﴾ في علم الله - تعالى. قال جبريل للنبي ﷺ: [١٦٤] ﴿وَمَا يَتَّكَ﴾ معشر الملائكة أحدًا ﴿إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ في السماوات يقبض الله فيه لا يتجاوزها.

[١٦٥] ﴿وَمَا لَتَنُحُ الصَّافُونَ﴾ أقدامنا في الصلاة. [١٦٦] ﴿وَمَا لَتَنُحُ الْمُسَيِّحُونَ﴾ المنزهون الله عما لا يليق به. [١٦٧] ﴿وَأَيْنَ﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كَأُتُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿يَقُولُونَ﴾: [١٦٨] ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا كِتَابًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: من كتب الأمم الماضية.

[١٦٩] ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ العبادة له. [١٧٠] قال - تعالى -: ﴿فَكُنَّا بِرَبِّهِ﴾ بالكتاب الذي جاءهم؛ وهو: القرآن الأشرف من تلك الكتب ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفرهم.

[١٧١] ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَيْفَانَا﴾ بالنصر ﴿لِإِنَّا الْفَرَسِينَ﴾ وهي: ﴿لَاغَلِيَّتُ أَنَا وَرُسُلِي﴾<sup>(٢)</sup>. أو هي قوله: [١٧٢] ﴿إِنَّهُمْ لَكُمُ الْمَصْرُورُونَ﴾. [١٧٣] ﴿وَلَوْلَا جُنْدَانَا﴾ أي: المؤمنين ﴿لَهُمُ النَّارُ الْكُفَارُ﴾ بالكسرة، بالحجة والنصرة عليهم في الدنيا، وإن لم ينتصر بعض منهم في الدنيا، ففي الآخرة. [١٧٤] ﴿فَنُؤَلِّهِمْ﴾ أي: أعرض عن كفار مكة ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ تؤمر فيه بقتلهم.

[١٧٥] ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ إذا نزل بهم العذاب ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ عاقبة كفرهم. ﴿فَقَالُوا﴾ استهزاء: متى نزل هذا العذاب؟!.

[١٧٦] قال - تعالى - تهديدًا لهم: ﴿أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ؟﴾. [١٧٧] ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ بفنائهم، قال الفراء: «العرب تكلفي بذكر الساحة عن القوم» ﴿فَسَاءَ﴾ بفس صباحا ﴿صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمري.

[١٧٨] ﴿وَنُؤَلِّهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾. [١٧٩] ﴿وَأَبْصِرْ سَفُوفَ يَبْصُرُونَ﴾ كرر تأكيدًا لتهديدهم وتسلية له ﷺ. [١٨٠] ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ الغلبة ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بأن له ولدا. [١٨١] ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ المبلغين عن الله التوحيد والشرائع. [١٨٢] ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على نصرهم وهلاك الكافرين.

\*\*\*

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ<sup>(١)</sup> أَفَلَا تَذَكَّرُونَ<sup>(٢)</sup> أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُّبِينٌ<sup>(٣)</sup> فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ<sup>(٤)</sup> وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسيبًا وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةُ أَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ<sup>(٥)</sup> سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ<sup>(٦)</sup> إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ<sup>(٧)</sup> فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ<sup>(٨)</sup> مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِقَاتِلِينَ<sup>(٩)</sup> إِلَّا زَلَّالُونَ هُمُ صَالِي الْجَحِيمِ<sup>(١٠)</sup> وَمَا مِمَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ<sup>(١١)</sup> وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ<sup>(١٢)</sup> وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَيِّحُونَ<sup>(١٣)</sup> وَإِنْ كَانُوا يَقُولُونَ<sup>(١٤)</sup> لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ<sup>(١٥)</sup> لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ<sup>(١٦)</sup> فَكُفِّرْ وَابْيَهُ فَسَوْفَ يَنبَغُونَ<sup>(١٧)</sup> وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَهْمُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ<sup>(١٨)</sup> إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ<sup>(١٩)</sup> وَإِنْ جُنَدُنَا لَهُمُ الْعَالِبُونَ<sup>(٢٠)</sup> وَقَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ<sup>(٢١)</sup> وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ<sup>(٢٢)</sup> أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ<sup>(٢٣)</sup> فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ<sup>(٢٤)</sup> وَقَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ<sup>(٢٥)</sup> وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ<sup>(٢٦)</sup> سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ<sup>(٢٧)</sup> وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ<sup>(٢٨)</sup> وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ<sup>(٢٩)</sup>

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ

[١٥٤] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد؟ [١٥٥] ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يادغام التاء في الدال<sup>(١)</sup>، أنه - سبحانه - وتعالى - منزه عن الولد؟ [١٥٦] ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُّبِينٌ﴾ حجة واضحة أن لله ولدا؟ [١٥٧] ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾ التوراة، فأروني ذلك فيه ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم ذلك. [١٥٨] ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ﴾ - تعالى - ﴿وَبَيْنَ الْجَنَّةِ﴾ أي: الملائكة؛ لا يجتنبونهم<sup>(٢)</sup> عن الأبصار ﴿نَسيبًا﴾ بقولهم: إنها بنات الله. ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ أي: قاطلي ذلك ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ للنار، يعذبون فيها. [١٥٩] ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ﴾ تنزيها له ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بأن لله ولدا. [١٦٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين، استثناء منقطع؛ أي:

(١) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الدال.

(٢) أي: استأمرهم.

(٣) أي: بمضلين أحدًا.

(٤) المجادلة: ٢١.

## سُورَةُ صَٰ

[مكية، ست، أو: ثمان وثمانون آية، نزلت بعد القمر]

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿صَ﴾ الله أعلم بمراده به ﴿وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ أي: البيان أو الشرف، وجواب هذا القسم محذوف؛ أي: ما الأمر كما قال كفار مكة، من تعدد الآلهة.

[٢] ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿فِي عَذَابٍ حَمِيَّةٍ﴾ وتكبر عن الإيمان ﴿وَيَسْتَفِئُونَ﴾ خلاف وعداوة للنبي ﷺ.

[٣] ﴿كَمْ﴾ أي: كثيرا ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَوْمٍ﴾ أي: أمة من الأمم الماضية ﴿فَنَادَوْا﴾ حين نزول العذاب بهم ﴿وَلَا تَجِئْ مِنْ مَتَابِعٍ﴾ أي: ليس الحين حين فرار، والثنا زائدة، والجملة حال من فاعل «نَادَوْا» أي: استغاثوا، والحال أن لا مهرب ولا منجى، وما اعتبر بهم كفار مكة.

[٤] ﴿وَيَحْمِلُونَ أَثَمَهُمْ مُنْذِرُ يَوْمِهِمْ﴾ رسول من أنفسهم، يندهم ويخوفهم النار بعد البعث وهو النبي ﷺ ﴿وَقَالَ الْكَاذِبُونَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر: ﴿هَذَا سَجْرٌ كَذَّابٌ﴾ [٥] ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ حيث قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله، أي: كيف يسع الخلق كلهم إله واحد؟! ﴿إِنَّ هَذَا لَكُنْىَ﴾ أي: عيب. ﴿وَأَنطَلَقُ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب وسماعهم فيه من النبي ﷺ: ﴿قولوا: لا إله إلا الله﴾ (١) ﴿أَن أَمْسُوا﴾ يقول بعضهم لبعض: امشوا ﴿وَأَصْبِرُوا عَلَى الْهَيْكَةِ﴾ اثبتوا على عبادتها ﴿إِنَّ هَذَا﴾ المذكور من التوحيد ﴿لَكُنْىَ يُرَادُ﴾ منا. [٧] ﴿مَا يَتَعَنَا يَتَدَا فِي آلِهَةِ الْآخِرَةِ﴾ أي: ملة عيسى ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا أَتَيْنَلُوكَ﴾ كذب.

[٨] ﴿أَتُرِيدُ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين، وتركة (٢) ﴿عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿الذِّكْرِ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ يَتِينًا﴾ وليس بأكبرنا ولا أشرفنا؛ أي: لم ينزل عليه، قال - تعالى -: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ وحي؛ أي: القرآن حيث كذبوا الجاني به ﴿بَلْ لَمَّا﴾ لم ﴿يَدْعُوا عَذَابَ﴾ ولو ذاقوه لصدفوا النبي ﷺ فيما جاء به ولا ينفعهم التصديق حينئذ. [٩] ﴿أَرِ عَنَّهُمْ خِزَانِ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿الْوَهَّابِ﴾ من النبوة وغيرها، فيعطونها من شاءوا! [١٠] ﴿أَرِ لَهُمْ شَمَكَ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهَا﴾ إن زعموا ذلك ﴿فَلْيَرْفَعُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ الموصلة إلى السماء، فيأتوا بالوحي، فيخصوا به من شاءوا! ﴿وَأَم﴾ في الموضعين بمعنى همزة الإنكار. [١١] ﴿جُنْدٌ مَا﴾ أي: هم جند حقير ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ في تكذيبهم لك ﴿مَهْرُومٌ﴾ صفة «جند» ﴿وَبَيْنَ الْأَحْزَابِ﴾ صفة «جند» أيضا؛ أي:

كالأجناد من جنس الأحزاب المتحزبين على الأنبياء قبلك، وأوتيك قد قهروا

(١) يشير إلى ما أخرجه الترمذي (٣٢٣٢) من حديث ابن عباس وقال: هذا حديث حسن صحيح، أن قريشا شكوا النبي ﷺ إلى أبي طالب، فقال: «يا ابن أخي، ما تريد من قومك؟» قال: «إني أريد منهم كلمة واحدة، تدن لهم العرب، وتودي إليهم العجم الحزبة». قال: كلمة واحدة؟! قال: «كلمة واحدة». قال: «يا عم، يقولوا: لا إله إلا الله؟» فقالوا: «إلهنا واحد؟! ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة، إن هذا إلا اختلاق». قال: فنزل فيه القرآن: ﴿صَ﴾ ﴿وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ إلى قوله: ﴿مَا يَتَعَنَا يَتَدَا فِي آلِهَةِ الْآخِرَةِ﴾ إلى خَلَا إِلَّا أَتَيْنَلُوكَ. والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٦٣٦). وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤٣٢/٢)، وصححه إسناده ووافقه الذهبي.

وأخرج الحاكم الفصة مختصرة عن ابن عباس (٤٣٢/٢)، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وحسنه صاحب الاستيعاب (١٦٤/٣). (٢) قرأ بالتسهيل نافع وابن كثير وأبو عمرو. وفصل بينهما بألف أبو عمرو وقنول وهشام بخلاف عنهم. وكذلك في موضع سورة القمر ﴿وَأَتَيْنَلُوكَ﴾، وفي موضع آل عمران ﴿وَأَتَيْنَلُوكَ﴾. وهي الأشجار الملتفة المجتمعة.

(١) يشير إلى ما أخرجه الترمذي (٣٢٣٢) من حديث ابن عباس وقال: هذا حديث حسن صحيح، أن قريشا شكوا النبي ﷺ إلى أبي طالب، فقال: «يا ابن أخي، ما تريد من قومك؟» قال: «إني أريد منهم كلمة واحدة، تدن لهم العرب، وتودي إليهم العجم الحزبة». قال: كلمة واحدة؟! قال: «كلمة واحدة». قال: «يا عم، يقولوا: لا إله إلا الله؟» فقالوا: «إلهنا واحد؟! ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة، إن هذا إلا اختلاق». قال: فنزل فيه القرآن: ﴿صَ﴾ ﴿وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ إلى قوله: ﴿مَا يَتَعَنَا يَتَدَا فِي آلِهَةِ الْآخِرَةِ﴾ إلى خَلَا إِلَّا أَتَيْنَلُوكَ. والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٦٣٦). وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤٣٢/٢)، وصححه إسناده ووافقه الذهبي.

وأخرج الحاكم الفصة مختصرة عن ابن عباس (٤٣٢/٢)، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وحسنه صاحب الاستيعاب (١٦٤/٣).

(٢) قرأ بالتسهيل نافع وابن كثير وأبو عمرو. وفصل بينهما بألف أبو عمرو وقنول وهشام بخلاف عنهم. وكذلك في موضع سورة القمر ﴿وَأَتَيْنَلُوكَ﴾، وفي موضع آل عمران ﴿وَأَتَيْنَلُوكَ﴾. وهي الأشجار الملتفة المجتمعة.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عَذَابٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَرَاهَتِكَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَ أَوَّلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَاثِرُونَ هَذَا سَجْرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَأَنطَلَقُ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِهَةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا خَيْتَلٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَزَلْ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَنِينَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدْعُونَ وَفَوَاعِدَابِ ﴿٨﴾ أَمِ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرَوْا فِي الْآسَابِ ﴿١٠﴾ جُنْدٌ مَا هَٰؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِكَ مَهْرُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَبُ لُتَيْكَةَ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا فَاظْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

وأهلكوا، فكذا نهلك هؤلاء. [١٢] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تأنث «قوم» باعتبار المعنى ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ كان يتد لكل من يغضب عليه أربعة أوتاد يشند إليها يديه ورجليه ويعذبه. [١٣] ﴿وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَبُ لُتَيْكَةَ﴾ أي: الغيضة (١)، وهم قوم شعيب الطيِّلَّة ﴿أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ﴾. [١٤] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم؛ لأن دعوتهم واحدة، وهي دعوة التوحيد ﴿فَحَقَّ﴾ وجب ﴿عِقَابِ﴾. [١٥] ﴿وَمَا يَنْظُرُ﴾ ينتظر ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ أي: كفار مكة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ هي نفخة القيامة، تُعَلِّ بِهَم الْعَذَابِ ﴿مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ بفتح الفاء وضمة (٢)؛ رجوع ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا فَاظْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ قالوا ذلك استهزاء.

(١) يشير إلى ما أخرجه الترمذي (٣٢٣٢) من حديث ابن عباس وقال: هذا حديث حسن صحيح، أن قريشا شكوا النبي ﷺ إلى أبي طالب، فقال: «يا ابن أخي، ما تريد من قومك؟» قال: «إني أريد منهم كلمة واحدة، تدن لهم العرب، وتودي إليهم العجم الحزبة». قال: كلمة واحدة؟! قال: «كلمة واحدة». قال: «يا عم، يقولوا: لا إله إلا الله؟» فقالوا: «إلهنا واحد؟! ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة، إن هذا إلا اختلاق». قال: فنزل فيه القرآن: ﴿صَ﴾ ﴿وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ إلى قوله: ﴿مَا يَتَعَنَا يَتَدَا فِي آلِهَةِ الْآخِرَةِ﴾ إلى خَلَا إِلَّا أَتَيْنَلُوكَ. والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٦٣٦). وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤٣٢/٢)، وصححه إسناده ووافقه الذهبي.

وأخرج الحاكم الفصة مختصرة عن ابن عباس (٤٣٢/٢)، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وحسنه صاحب الاستيعاب (١٦٤/٣).

(٢) قرأ بالتسهيل نافع وابن كثير وأبو عمرو. وفصل بينهما بألف أبو عمرو وقنول وهشام بخلاف عنهم. وكذلك في موضع سورة القمر ﴿وَأَتَيْنَلُوكَ﴾، وفي موضع آل عمران ﴿وَأَتَيْنَلُوكَ﴾. وهي الأشجار الملتفة المجتمعة.

(٤) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٥) الحاققة: ١٩.

[٢٠] ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ قوبناه بالحرس والجنود، وكان يحرس محرابه في كل ليلة ثلاثون ألف رجل ﴿وَمَا يَنْتُهِ أَلْحِكْمَةُ﴾ النبوة والإصابة في الأمور ﴿وَفَضَّلَ الْخِطَابَ﴾ البيان الشافي في كل قصد.

[٢١] ﴿وَهَلْ﴾ معنى الاستفهام هنا التعجب والتشويق إلى استماع ما بعده ﴿أَتَنْتَ﴾ يا محمد ﴿نَبَأَ الْخَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْحِجْرَابَ﴾ محراب داود؛ أي: مسجده؛ حيث منعوا الدخول عليه من الباب؛ لشغله بالعبادة؛ أي: خبرهم وقصتهم.

[٢٢] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَرَعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا نَحْفَ﴾ نحن ﴿خَصَمَانِ﴾ قيل: فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع، وقيل: اثنان، والضمير بمعناهما، والخصم يطلق على الواحد وأكثر، وهما مكان جاءا في صورة خصمين وقع بهما ما ذكرها على سبيل الفرض؛ لتبنيه داود عليه السلام على ما وقع منه، وكان له تسع وتسعون امرأة وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بها <sup>(١)</sup> ﴿بَعَى بَعْضُهُمَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَهُمَا يَمْحُ وَلَا تَشْطِطْ﴾ تبر ﴿وَأَعِدْنَا﴾ أرشدنا ﴿إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ وسط الطريق الصواب.

[٢٣] ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾ أي: على ديني ﴿لَمْ يَسْعَ وَتَسْعُونَ نِعْمَةً﴾ يعبر بها عن المرأة ﴿وَلِي نِعْمَةٌ وَجِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ أي: اجعلني كافلها ﴿وَعَزَّنِي﴾ غلبني ﴿فِي الْخِطَابِ﴾ أي: الجدل، وأقره الآخر على ذلك.

[٢٤] ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ يُسْأَلُ بَعْثُكَ لِيُضْمَمَ﴾ إلى يفاعيه ﴿وَأَنَّ كَثِيرًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ الشركاء ﴿لَيَكُنَّ بِبَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ «ما» لتأكيد القلة، فقال الملكان صاعدين في صورتيهما إلى السماء: قضى الرجل على نفسه، فتنبه داود، قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ﴾ أي: أيقن ﴿دَاوُدَ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ أوقعناه في فتنة؛ أي: بلية بمجته تلك المرأة <sup>(٢)</sup> ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ أي: ساجدا ﴿وَأَنَابَ﴾.

[٢٥] ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى﴾ أي: زيادة خير في الدنيا ﴿وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾ مرجع في الآخرة.

[٢٦] ﴿يَدَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ تدبر أمر الناس ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ أي: هوى النفس ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن الدلائل الدالة على توحيده ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن الإيمان بالله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَسُّوْنَ﴾ ينسبناهم ﴿يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ المرتب عليه تركهم الإيمان، ولو أيقنوا يوم الحساب لآمنوا في الدنيا.

أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْخُلْ عِدْنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ ﴿١٨﴾ وَالطُّيُورَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلَ الْخِطَابَ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَرَعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا نَحْفَ خَصَمَانِ بَعَى بَعْضُهُمَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَهُمَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ وَأَعِدْنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نِعْمَةً وَلِي نِعْمَةٌ وَجِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نِعْمَتِكَ إِلَى تَغَاطُّهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الظَّالِمَةِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿٢٥﴾ يَدَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَسُّوْنَ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

[١٧] قال - تعالى -: ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْخُلْ عِدْنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ أي: القوة في العبادة؛ كان يصوم يوما ويفطر يوما، ويقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه <sup>(١)</sup> ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجّاع إلى مرضاة الله.

[١٨] ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ بتسبيحه ﴿بِالْعُشِيِّ﴾ وقت صلاة العشاء ﴿وَالطُّيُورَ﴾ وقت صلاة الضحى، وهو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوءها. [١٩] ﴿وَالطُّيُورَ مَحْشُورَةً﴾ مجموعة إليه تسبح معه ﴿كُلٌّ مِّنَ الْجِبَالِ وَالطُّيُورِ﴾ عليه السلام رجّاع إلى طاعته بالتسبيح.

(١) البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩).

(٢)، (٣) حاشا لله أن ينسب لبي كرم من أنبياء الله عليه السلام الذين اصطفاهم مثل هذا الإفك البئس، وغفر الله للمفسر إذ نقل هذا، وهو من الإسرائيليات المنتزعة على صفوة خلق الله عليه السلام. وهذا الخصمان هما من بني آدم حقيقة عبي القول الصحيح لا من الملائكة، كما أن النعجة ليس المراد بها المرأة على الصحيح، بل المراد هنا نطى الضأن، والآيات على ظاهرها لوجوه عديدة لا يتسع المقام لبسطها، والمراد منها تبنيه داود عليه السلام وفرق بعده من الملوك على عظيم فتنة الملك والمعنى وبسط الدنيا.



[٢٧] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ۖ عَيْنًا ۖ ذَٰلِكَ ۖ أَيُّ خَلْقٍ مَا ذَكَرَ لَا شَيْءَ ۖ تَلْهُمُ الْآيِينَ كَذِبًا ۖ﴾ من أهل مكة ﴿فَوَيْلٌ ۖ وَادَّ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ۖ﴾. [٢٨] ﴿أَمْ جَعَلَ الْآيِينَ تَأْسِفًا وَكَيْدًا لِلصَّالِحِينَ كَالْمُقْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ جَعَلَ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ۖ﴾ نزل لما قال كفار مكة للمؤمنين: إنا نعطي في الآخرة مثل ما تعطون، و«أم» بمعنى همزة الإنكار.

[٢٩] ﴿كُتِبَ ۖ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذا ﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِّذِكْرِهِ ۖ﴾ أصله: يتدبروا؛ أذغمت التاء في الدال ﴿وَآيَاتِهِ ۖ﴾ ينظروا في معانيها، فيؤمنوا ﴿وَلِيَذْكُرُوا ۖ﴾ يعظم ﴿أُولَٰئِكَ الْآيِينَ ۖ﴾ أصحاب العقول.

[٣٠] ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ ۖ﴾ ابنه ﴿يَعْقُوبَ الْعَبْدَ ۖ﴾ أي: سليمان ﴿إِنَّمَا ۖ أَوَّابٌ ۖ﴾ رجاء في التيسير والذكر، في جميع الأوقات. [٣١] ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَيسَى ۖ﴾ هو ما بعد الزوال ﴿الْصَّفِيفَتِ ۖ﴾ الخيل، جمع صافنة؛ وهي القائمة على ثلاث وإقامة الأخرى على طرف الحافر، وهو من صفق يصفق صفقًا ﴿لِيُخَيِّدَ ۖ﴾ جمع جواد، وهو السابق؛ المعنى: أنها إذا استوقفت سكنت، وإن ركضت سبقت، وكانت ألف فرس، عرضت عليه بعد أن صلى الظهر؛ لإرادته الجهاد عليها العدو، فعند بلوغ العرض منها تسعمائة غربت الشمس، ولم يكن صلى العصر فاغتم [٣٢] ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ ۖ﴾ أي: أردت ﴿حُبَّ الْخَيْرِ ۖ﴾ أي: الخيل ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ۖ﴾ أي: صلاة العصر ﴿حَتَّىٰ تَوَارَّتَ ۖ﴾ أي: الشمس ﴿بِالْحِجَابِ ۖ﴾ أي: استترت بما يحجبها عن الأبصار.

[٣٣] ﴿رُدَّهَا عَنْكَ ۖ﴾ أي: الخيل المعروضة، فردوها ﴿فَطَفِقَ مَسًّا ۖ﴾ بالسيف ﴿بِالسُّوقِ ۖ﴾ جمع ساق ﴿وَالْأَعْنَاقِ ۖ﴾ أي: ذبحها وقطع أرجلها تقربًا إلى الله - تعالى -؛ حيث اشتغل بها عن الصلاة، وتصدق بلحمها، فعوضه الله خيرًا منها وأسرع، وهي الريح تجري بأمره كيف شاء.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ۖ﴾ ابتليناه بسلب ملكه، وذلك لتزوجه بامرأة هواها<sup>(١)</sup>، وكانت تعبد الصنم في داره من غير علمه، وكان ملكه في خاتمه فزعه مرة عند إرادة الخلاء ووضعه عند امرأته المسماة بالأمنية على عادته، فجاءه جن في صورة سليمان فأخذها منها ﴿وَالْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ۖ﴾ هو ذلك الجنى وهو صخر أو غيره، جلس على كرسي سليمان، وعكفت عليه الطير وغيرها، فخرج سليمان في غير هيئته فرآه على كرسيه، وقال للناس: أنا سليمان فأذكروهم ﴿ثُمَّ أَنَابَ ۖ﴾ رجع سليمان إلى ملكه بعد أيام بأن وصل إلى الخاتم فلبسه وجلس على كرسيه<sup>(٢)</sup>. [٣٥] ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي ۖ﴾ لا يكون ﴿لِإِحْدٍ مِّنْ بَعْدِي ۖ﴾<sup>(٣)</sup>؛ أي: سواي نحو ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ۖ﴾<sup>(٤)</sup>؛ أي: سوى الله ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۖ﴾. [٣٦] ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُفَاتًا ۖ﴾ لينة ﴿حَيْثُ أَصَابَ ۖ﴾ أراد. [٣٧] ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ ۖ﴾ يعني الأبنية العجيبة ﴿وَعَوَاصٍ ۖ﴾ في البحر يستخرج اللؤلؤ.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ۖ ذَٰلِكَ ۖ تَلْهُمُ الْآيِينَ كَذِبًا ۖ وَادَّ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ۖ أَمْ جَعَلَ الْآيِينَ تَأْسِفًا وَكَيْدًا لِلصَّالِحِينَ كَالْمُقْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ جَعَلَ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ۖ كُتِبَ ۖ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِّذِكْرِهِ ۖ وَآيَاتِهِ ۖ وَلِيَذْكُرُوا ۖ أُولَٰئِكَ الْآيِينَ ۖ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ ۖ يَعْقُوبَ الْعَبْدَ ۖ إِنَّمَا ۖ أَوَّابٌ ۖ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَيسَى ۖ الصَّفِيفَتِ ۖ لِيُخَيِّدَ ۖ جَمْعُ جَوَادٍ ۖ وَهُوَ السَّابِقُ ۖ الْمَعْنَى: أَنَّهَا إِذَا اسْتَوْقَفَتْ سَكَنَتْ، وَإِنْ رَكُضَتْ سَبَقَتْ، وَكَانَتْ أَلْفُ فَرَسٍ، عَرَضْتُ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ صَلَّى الظُّهْرَ؛ لِإِرَادَتِهِ الْجِهَادَ عَلَيْهَا الْعَدُوَّ، فَعِنْدَ بُلُوغِ الْعَرْضِ مِنْهَا تِسْعِمِائَةُ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَلَمْ يَكُنْ صَلَّى الْعَصْرَ فَاجْتَمَعَ [٣٢] ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ ۖ﴾ أَرَدْتُ ﴿حُبَّ الْخَيْرِ ۖ﴾ أَيْ: الْخَيْلَ ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ۖ﴾ أَيْ: صَلَاةَ الْعَصْرِ ﴿حَتَّىٰ تَوَارَّتَ ۖ﴾ أَيْ: الشَّمْسُ ﴿بِالْحِجَابِ ۖ﴾ أَيْ: اسْتَرَّتْ بِمَا يَحْجِبُهَا عَنِ الْأَبْصَارِ. [٣٣] ﴿رُدَّهَا عَنْكَ ۖ﴾ أَيْ: الْخَيْلَ الْمَعْرُوضَةَ، فَرَدُّوْهَا ﴿فَطَفِقَ مَسًّا ۖ﴾ بِالسَّيْفِ ﴿بِالسُّوقِ ۖ﴾ جَمْعُ سَاقٍ ﴿وَالْأَعْنَاقِ ۖ﴾ أَيْ: ذَبَحَهَا وَقَطَعَ أَرْجُلَهَا تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى -؛ حَيْثُ اشْتَغَلَ بِهَا عَنِ الصَّلَاةِ، وَتَصَدَّقَ بِلَحْمِهَا، فَعَوَّضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا وَأَسْرَعَ، وَهِيَ الرِّيحُ تَجْرِي بِأَمْرِهِ كَيْفَ شَاءَ. [٣٤] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ۖ﴾ ابْتَلَيْنَاهُ بِسَلْبِ مَلِكِهِ، وَذَلِكَ لِتَزْوِجِهِ بِامْرَأَةٍ هَوَاهَا<sup>(١)</sup>، وَكَانَتْ تَعْبُدُ الصَّنَمَ فِي دَارِهِ مِنْ غَيْرِ عِلْمِهِ، وَكَانَ مَلِكُهُ فِي خَاتَمِهِ فَزَعَهُ مَرَّةً عِنْدَ إِرَادَةِ الْخَلَاءِ وَوَضَعَهُ عِنْدَ امْرَأَتِهِ الْمَسْمُومَةِ بِالْأَمْنِيَّةِ عَلَى عَادَتِهِ، فَجَاءَهُ جِنٌّ فِي صُورَةِ سُلَيْمَانَ فَأَخَذَهَا مِنْهَا ﴿وَالْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ۖ﴾ هُوَ ذَلِكَ الْجِنِّي وَهُوَ صَخْرٌ أَوْ غَيْرُهُ، جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ سُلَيْمَانَ، وَعَكُفَتْ عَلَيْهِ الطَّيْرُ وَغَيْرُهَا، فَخَرَجَ سُلَيْمَانُ فِي غَيْرِ هَيْئَتِهِ فَرَأَاهُ عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَقَالَ لِلنَّاسِ: أَنَا سُلَيْمَانُ فَأَذْكُرُهُمْ ﴿ثُمَّ أَنَابَ ۖ﴾ رَجَعَ سُلَيْمَانُ إِلَى مَلِكِهِ بَعْدَ أَيَّامٍ بِأَنْ وَصَلَ إِلَى الْخَاتَمِ فَلَبِسَهُ وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ<sup>(٢)</sup>. [٣٥] ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي ۖ﴾ لَا يَكُونُ ﴿لِإِحْدٍ مِّنْ بَعْدِي ۖ﴾<sup>(٣)</sup>؛ أَيْ: سِوَايَ نَحْوِ ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ۖ﴾<sup>(٤)</sup>؛ أَيْ: سِوَى اللَّهِ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۖ﴾. [٣٦] ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُفَاتًا ۖ﴾ لَيِّنَةً ﴿حَيْثُ أَصَابَ ۖ﴾ أَرَادَ. [٣٧] ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ ۖ﴾

[٣٨] ﴿وَالْآخِرِينَ ۖ﴾ منهم ﴿مُفَرِّقِينَ ۖ﴾ مشدودين ﴿فِي الْأَصْفَادِ ۖ﴾ القيود بجمع أيديهم إلى أعناقهم. وقلنا له: [٣٩] ﴿هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ ۖ﴾ أعط منه من شئت ﴿أَوْ أَمْسِكْ ۖ﴾ عن الإعطاء ﴿بِعَمَلِ جِسَابٍ ۖ﴾ أي: لا حساب عليك في ذلك. [٤٠] ﴿وَلَنْ لَّكَ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّآبٍ ۖ﴾ تقدم مثله. [٤١] ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدًا أَوْبَ ۖ﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي؛ أي: باني ﴿مَسْنَىٰ الشَّيْطَانِ ۖ﴾ ضربه ﴿وَعَذَابٍ ۖ﴾ ألم، ونسب ذلك إلى الشيطان وإن كانت الأشياء كلها من الله تاديبًا معه - تعالى -.. وقيل له: [٤٢] ﴿أَرْكُضْ ۖ﴾ اضرب ﴿بِرَجْلِكَ ۖ﴾ الأرض، فضرب فنبعت عين ماء، فقيل: ﴿هَٰذَا مَقْدَسٌ ۖ﴾ ماء تغتسل به ﴿بَارِدٌ ۖ﴾ شرب منه، فاغتسل وشرب فذهب عنه كل داء كان بباطنه وظاهره.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إن عريقًا من الجن تفلت على الباحة ليقطع علي صلاتي، فأمكنني الله منه فأخذته، فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم؛ فذكرت دعوة أخي سليمان: «رب هب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي»...».

(١) هذا كلام باطل لا أساس له من الصحة، وهو من الإسرائيليات التي ثبت كذبها بمخالفتها ما يبين بمقام النبوة، والصحيح الذي عليه المحققون، وتشهد له انصوص الصحيحة أن الفتنة هي ولده الميت، وأنه الجسد الذي ألقى على كرسيه، كما عند البخاري وغيره أن سليمان حلف ليطوفن على نساؤه لتحمل كل امرأة فارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله؛ فلم تحمل منهن إلا واحدة جاءت بشق ولد.

(٢) كل هذا من الإسرائيليات التي ثبت كذبها ومخالفتها للنصوص الصحيحة، وتعارض مع مقام النبوة. وإنما معنى «أناب» في الآية: أي رجع إلى الله تعالى واستغفره، يفسره قوله تعالى بعد ذلك: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي...﴾.

[٤٦] ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ﴾ هي ﴿ذَكَرَى الدَّارِ﴾ الآخرة، أي: ذكرها والعمل لها، وفي قراءة<sup>(٣)</sup> بالإضافة، وهي للبيان.

[٤٧] ﴿وَلَيْتُمْ عِنْدَنَا لَيِّنَ الْمُصْطَفَيْنِ﴾ المختارين ﴿الْأَخْيَارِ﴾ جمع خير بالتشديد.

[٤٨] ﴿وَأَذْكُرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ﴾ وهو نبي، واللام زائدة ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ اختلف في نبوته، قيل: كفل مائة نبي فزوا إليه من القتل<sup>(٤)</sup> ﴿وَكُلٌّ﴾ أي: كلهم ﴿مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ جمع خير بالتثنية.

[٤٩] ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ لهم بالثناء الجميل هنا ﴿وَرِثَ السُّيُوفِ﴾ الشاملين لهم ﴿لِئْسَنٍ مَّائِدٍ﴾ مرجع في الآخرة.

[٥٠] ﴿جَنَّتْ عَذْنٌ﴾ بدل، أو عطف بيان لـ ﴿حَسَنَ مَّائِدٍ﴾ ﴿مُفْتَحَةٌ لَهُمْ﴾ الْكُتُوبِ منها.

[٥١] ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ على الأرائك ﴿يَتَذَكَّرُونَ فِيهَا مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا شَرَبُوا﴾.

[٥٢] ﴿وَعِنْدَهُمْ قُصُورٌ الْكَوْكَبِ﴾ حاسبات العين على أزواجهن ﴿أَرْبَابٌ﴾ أسنانهن واحدة؛ وهن: بنات ثلاث وثلاثين سنة، جمع رَبٍّ.

[٥٣] ﴿هَذَا الَّذِي كُذِّبَ﴾ المذكور ﴿مِنَّا﴾ [يُوعَذَّبُونَ] بالغبية<sup>(٥)</sup>، وبالخطاب، الثقات ﴿لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ أي: لأجله.

[٥٤] ﴿إِنَّ هَذَا لَرِيفًا مَّا لَكُمْ مِنْ نَفَادٍ﴾ أي: انقطاع، والجملة حال من رزقناه، أو خبر ثان لـ ﴿إِنَّ﴾ أي: دائماً أو دائماً.

[٥٥] ﴿هَذَا﴾ المذكور للمؤمنين ﴿وَأَنَّ لِلظَّالِمِينَ﴾ مستأنف ﴿لَئِنَّ﴾ مَائِدٍ.

[٥٦] ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿يَلْقَوْنَ فِيهَا قُلُوبُ الْفَرَّاسِ﴾.

[٥٧] ﴿هَذَا﴾ أي: العذاب المفهوم مما بعده ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ أي: ماء حار محرق ﴿وَعَسَاقٌ﴾ بالتخفيف<sup>(٦)</sup>، والتشديد؛ ما يسيل من صديد أهل النار.

[٥٨] ﴿وَأُخْرَى﴾ بالجمع<sup>(٧)</sup> والإفراد ﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾ أي: مثل المذكور من الحميم والغساق ﴿أَرْوَجُ﴾ أصناف؛ أي: عذابهم من أنواع مختلفة.

[٥٩] ويقال لهم عند دخولهم النار بأنابهم: ﴿هَذَا قَوْجٌ﴾ جمع ﴿مُنْتَجِمٌ﴾ داخل ﴿مَعَكُمْ﴾ النار بشدة، فيقول المُنْتَجِمُونَ<sup>(٨)</sup>: ﴿لَا مَرْجَا بِهِنَّ﴾ أي: لا سعة عليهم ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾.

[٦٠] ﴿قَالُوا﴾ أي: الأتباع: ﴿بَلْ أَشْرَ لَا مَرْجَا بِكَ أَشْرَ قَدَمْتُوهُ﴾ أي: الكفر ﴿لَنَا قِيَمٌ الْقَرَارُ﴾ لنا ولكم، النار.

[٦١] ﴿قَالُوا﴾ أيضاً: ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا يُعَذِّبُكَ﴾ أي: مثل عذابه على كفره ﴿فِي النَّارِ﴾.

وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمَثَلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٦﴾ وَحَدَّيْكَ ضَعْفًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٨﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ﴿٥٠﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٥١﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَلِنُفَضِّلَ لِحُسْنِ مَّائِدٍ ﴿٥٢﴾ جَنَّتْ عَذْنٌ مُفْتَحَةٌ لَهُمْ الْأَكُوبِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥٤﴾ وَعِنْدَهُمْ قُصُورُ الْكَوْكَبِ أَتْرَابٌ ﴿٥٥﴾ هَذَا مَا تَوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٦﴾ إِنَّ هَذَا لَرِيفًا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٧﴾ هَذَا وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ مَّائِدٍ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَقْسُوا الْقُلُوبُ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿٥٨﴾ وَآخِرُ مَنْ شَكَّلَهُ أَزْوَاجٌ ﴿٥٩﴾ هَذَا قَوْجٌ مُفْتَحَةٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا بَلْ أَشْرَ لَا مَرْجَا بِكَ أَشْرَ قَدَمْتُوهُ لَنَا قِيَمٌ الْقَرَارُ ﴿٦١﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا ضَعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦٢﴾

[٤٣] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمَثَلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ولزقه مثلهم ﴿رَحْمَةً﴾ نعمة<sup>(١)</sup> ﴿مِنَّا وَذِكْرَى﴾ عظة ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ لأصحاب العقول.

[٤٤] ﴿وَحَدَّيْكَ ضَعْفًا﴾ هو جزمة من حشيش، أو قضبان ﴿فَاضْرِبْ بِهِ﴾ زوجتك، وكان قد حلف ليضربها مائة ضربة لإبطائها عليه يوماً ﴿وَلَا تَحْنُتْ﴾ بترك ضربها، فأخذ مائة عود من الإذخر أو غيره، فضربها به ضربة واحدة ﴿وَأَنَا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ﴾ أيوب ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجأ إلى الله - تعالى -.

[٤٥] ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي﴾ أصحاب القوى في العبادة ﴿وَالْأَبْصَارِ﴾ البصائر في الدين، وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: ﴿عَبْدَنَا﴾، و﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ بيان له، وما بعده عطف على ﴿عَبْدَنَا﴾.

(١) النعمة أثر من آثار رحمة الله ﷻ، وليست هي ذاتها، وهذه الصفة نسيها الله ﷻ على الوجه اللائق به، كما سبق بيان ذلك مرازا.

(٢) لابن كثير.

(٣) لنافع وهشام.

(٤) والصحيح أنه نبي، وأما سبب التسمية التي ذكرها المصنف فلا دليل عليها، وقيل غير ذلك. وانظر التعليق على الآية رقم (٨٥) من سورة الأنبياء.

(٥) بالياء قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وقراء بقية السبعة بالياء.

(٦) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٧) وهم: قراءة أبو عمرو. وقراء بقية السبعة بالإفراد.

[٦٢] ﴿وَقَالُوا أَأَيُّ كَفَارٍ مَكَّةَ وَهُمْ فِي النَّارِ: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رَجُلًا مَكًّا تَعُدُّهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بَيْنَ الْأَشْرَارِ﴾.

[٦٣] ﴿أَتَعُدُّهُمْ [شَحْرِيًّا]﴾ بَضْمُ السَّيْنِ وَكُسْرُهَا<sup>(١)</sup>؛ كُنَّا نَسْخَرُ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَالْيَاءُ لِلنَّسَبِ؛ أَيُّ أَمْفُقُونَ هُمْ؟ ﴿أَمْ رَأَيْتُ﴾ مَالَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ فَلَمْ تَرَهُمْ؟! وَهُمْ قُرَاءُ الْمُسْلِمِينَ؛ كَعَمَارٍ وَبِلَالٍ وَصَهْبٍ وَمُسْلِمَانَ.

[٦٤] ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ﴾ وَاجِبٌ وَقَوْعُهُ، وَهُوَ: ﴿تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ كَمَا تَقْدُمُ [٦٥] ﴿فَلَنْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِكُفَارِ مَكَّةَ: ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ﴾ مَخُوفٌ بِالنَّارِ ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ لِحُلُقِهِ.

[٦٦] ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْقَرِيبُ﴾ الْغَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ ﴿الْقَهَّارُ﴾ لِأَوَّلِيَّاتِهِ.

[٦٧] ﴿فَلَنْ﴾ لَهُمْ: ﴿هُوَ نَبْوًا عَظِيمٌ﴾.

[٦٨] ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ أَيُّ: الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْبَأْتُمْ بِهِ، وَجَعَلْتُمْ فِيهِ مَا لَا يَعْلَمُ إِلَّا بُوْحِي، وَهُوَ قَوْلُهُ: [٦٩] ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّيْلِ الْأَقْلَمِ﴾ أَيُّ: الْمَلَائِكَةِ ﴿إِنْ يَخْفِیُّونَ﴾ فِي شَأْنِ آدَمَ حِينَ قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>(٢)</sup> إلخ.

[٧٠] ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّ مُبَشِّرٌ﴾ بَيْنَ الْإِنْفَارِ.

[٧١] أَذْكَرُ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ هُوَ آدَمُ.

[٧٢] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ أَتَمَمْتُهُ ﴿وَنَفَخْتُ﴾ أَجْرَيْتُ ﴿فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ فَصَارَ حَيًّا، وَإِضَافَةُ الرُّوحِ إِلَيْهِ تَشْرِيفٌ لِّآدَمَ، وَالرُّوحُ جِسْمٌ لَطِيفٌ يَحْيَا بِهِ الْإِنْسَانُ بِنَفْوَهِ فِيهِ ﴿فَفَعَّلُوا لَهُمْ سَجِدِينَ﴾ سَجُودٌ تَحِيَّةٌ بِالْإِنْحِنَاءِ<sup>(٣)</sup>.

[٧٣] ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ فِيهِ تَأْكِيدَانِ.

[٧٤] ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ هُوَ أَبُو الْجَنِّ، كَانَ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ ﴿أَسْتَكْبَرُ﴾ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ فِي عِلْمِ اللَّهِ - تَعَالَى -.

[٧٥] ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِدْنِي﴾ أَيُّ: تَوَلَّيْتُ خَلْقَهُ<sup>(٤)</sup>، وَهَذَا تَشْرِيفٌ لِّآدَمَ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ تَوَلَّى اللَّهُ خَلْقَهُ ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ الْآنَ عَنِ السَّجُودِ، اسْتِفْهَامٌ تَوْبِيخٌ ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ الْمُتَكَبِّرِينَ فَتَكَبَّرْتَ عَنِ السَّجُودِ لِكُونِكَ مِنْهُمْ؟.

[٧٦] ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

[٧٧] ﴿قَالَ فَخَرُجْ مِنْهَا﴾ أَيُّ: مِنَ الْجَنَّةِ، وَقِيلَ: مِنَ السَّمَاوَاتِ ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مَطْرُودٌ.

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رَجُلًا مَكًّا تَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿أَتَعُدُّهُمْ

شَحْرِيًّا أَمْ رَأَيْتُ عَنْهُمْ الْآبَصَارُ ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُّمُ أَهْلِ

النَّارِ ﴿فَلْإِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَنْ إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿رَبُّ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿فَلْهُوَ نَبْوًا

عَظِيمٌ ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّيْلِ إِلَّا عَلَىٰ

إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿إِنْ يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿إِذْ قَالَ

رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ

فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ

أَجْمَعُونَ ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿قَالَ

يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِدْنِي اسْتَكْبَرْتَ أَتُؤَكِّدُ

مِنَ الْعَالِينَ ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ

﴿قَالَ فَخَرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿وَأَنْ عَلَيْنَكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ

الْمُنْظَرِينَ ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ

لَأَعُوذَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿

[٧٨] ﴿وَأَنْ عَلَيْنَكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ الْحِزَاءُ.

[٧٩] ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أَيُّ: النَّاسِ.

[٨٠] ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾.

[٨١] ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ وَقْتُ النِّفْعَةِ الْأُولَى.

[٨٢] ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأَعُوذَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٨٣] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ أَيُّ: الْمُؤْمِنِينَ.

(١) بالضم قراءة حمزة والكسائي ونافع.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) راجع التعليق على الآية رقم (٣٤) من سورة البقرة.

(٤) وهذا الذي ذهب إليه المفسر، هو تعطيل لصفة الالهي التي أنبأها الله ﷻ لنفسه، وهو عدول عن ظاهر اللفظ، وخلاف لما فهمه السلف، والمفسر يرد على نفسه حيث قال بعدها: وهذا تشريف لآدم؛ فإن كل مخلوق تولى الله خلقه. فما وجه اختصاصه بذلك إذن؟!

[٨٨] ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿نَبَأَهُ﴾ خبر صدقه ﴿بَعْدَ جِيئِ﴾ أي: يوم القيامة، و«علّم» بمعنى عرف، واللام قبلها لام قسم مقدر؛ أي: والله.

### سورة الزمر

أمكية إلا: ﴿ثُمَّ لِيَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية، فمدنية، وهي: خمس وسبعون آية، نزلت بعد سبأ<sup>(\*)</sup>

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ خبره ﴿الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيمِ﴾ في صنعه.

[٢] ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق ب«أنزل» ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك أي: موحداً له.

[٣] ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ لا يستحقه غيره ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ الْأَصْنَامَ﴾ الأصنام ﴿أُولَئِكَ﴾ وهم كفار مكة قالوا: ﴿مَا عَبَدُوهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ قريب، مصدر بمعنى تقريباً ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المسلمين ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، فيدخل المؤمن الحجة والكافرين النار ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ﴾ في نسبة الولد إليه ﴿كَفَّارٌ﴾ بعبادته غير الله.

[٤] ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما قالوا: ﴿أَتَتَّخِذُ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ﴿لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ واتخذوه ولداً، غير من قالوا من<sup>(١)</sup>: الملائكة بنات الله، وعزير ابن الله، والمسيح ابن الله ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيهاً له عن اتخاذ الولد ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ خلقه.

[٥] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق ب«خلق» ﴿يُكْوِّرُ﴾ يدخل<sup>(٢)</sup> ﴿الْأَبْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ فيزيد ﴿وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ﴾ يدخله ﴿عَنِ الْبَيْلِ﴾ فيزيد ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِ﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ليوم القيامة ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره المنتقم من أعدائه ﴿الْمُنْتَفِرُ﴾ لأوليائه.

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٨﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٩﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٩٢﴾

### سورة الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٨٨﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٨٩﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٩١﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٩٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٩٣﴾ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَفْوَ

[٨٤] ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ بنصبهما، ورفع الأول ونصب الثاني<sup>(١)</sup>، فنصبه بالفعل بعده، ونصب الأول؛ قيل: بالفعل المذكور، وقيل: على المصدر؛ أي: أحق الحق، وقيل: على نزع حرف القسم، ورفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر؛ أي: فالحق مني، وقيل: فالحق قسمي، وجواب القسم: [٨٥] ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَبَدْرِكَ﴾ بدريتك ﴿وَمِمَّن تَبَعَكَ مِنْهُمْ﴾ أي: الناس ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

[٨٦] ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ لجعل ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ المتقولين القرآن من تلقاء نفسي.

[٨٧] ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ ما القرآن ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ عظة للإِنس والجن والعقلاء دون الملائكة.

(٥) فائدة: أخرج الزمزمي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ لا ينام على فراشه حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر. الترمذي. كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٢١) الترجمة، وكتاب الدعوات (٤٩) باب (٢٢) ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٧١١).

(١) بالرفع ثم نصب قراءة السبعة عدا عاصم وحجرة.

(٢) الأنبياء: ٢٦.

(٣) في نسخة القاضي كعنا: «إن» بدلاً من «من»، وفي نسخة بدون «من».

(٤) ما ذكره المصنف في معنى التكوير هو اختيار ابن جرير، وهو عنده كعمى الإبلاج كما في قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾. وروي عن قتادة: يغشى أحدهما الآخر؛ أي يذهب أحدهما فيقبعه الآخر. والتكوير في الأصل: هو اللف واللي؛ من كار العمامة على رأسه وكورها.

[٦] ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ الْإِبِلَ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمَ وَالضَّأْنَ وَالْمَعْزَ وَتَكْنِيَةُ أَزْوَاجٍ﴾ من كل زوجان<sup>(١)</sup> ذكر وأنثى، كما بين في سورة الأنعام ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَدَنٍ خَلَقَ﴾ أي: نطفًا ثم علقًا ثم مضغًا ﴿فِي ظِلْمَةٍ لَّيْلَةٍ﴾ هي ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة ﴿ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ﴾ عن عبادته إلى عبادة غيره؟! [٧] ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنَىٰ عَذَابَكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ وإن أراد من بعضهم<sup>(٢)</sup> ﴿وَأِنْ تَشْكُرُوا﴾ الله، فتؤمنوا ﴿بِرِضَىٰ﴾ بسكون الهاء، وبضمها مع إشباع ودونه<sup>(٣)</sup>؛ أي: الشكر ﴿لَكُمْ﴾ ولا تَزُرُّ ﴿نَفْسٌ وَارِثَةً وَزِدَّةً﴾ نفس «أخرى» أي: لا تحملها ﴿يَوْمَ﴾ إلى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب.

[٨] ﴿وَلَا تَسْأَلِ الْإِنْسَانَ﴾ أي: الكافر ﴿ضَرْبَ دَعَا رَبِّهِ﴾ تصرع ﴿مُنِيبًا﴾ راجعًا ﴿إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ مُتِمِّعَةً﴾ أعطاه إنعامًا ﴿فِيئْتَهُ لَيْسَ﴾ ترك ﴿مَا كَانَ يَدْعُوهُ﴾ ينضرع ﴿إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ وهو الله، ف«ما» في موضع «مَنْ» ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ شركاء ﴿لِيُضِلَّ﴾ بفتح الباء وضمها<sup>(٤)</sup> ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دين الإسلام ﴿فَلْيَتَمَنَّكَ بَكَذْرٍ قَلِيلًا﴾ بقية أجلك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾.

[٩] ﴿أَمَّنْ﴾<sup>(٥)</sup> بتخفيف الميم ﴿هُوَ قَتِيلٌ﴾ قائم بوظائف الطاعات ﴿إِنَاءً أَلِيلٍ﴾ ساعاته ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ في الصلاة ﴿يُحَذِّرُ الْآخِرَةَ﴾ أي: يخاف عذابها ﴿وَيَرْجُوا رَحْمَةً﴾ جنة<sup>(٦)</sup> ﴿رَبِّهِ﴾ كمن هو عاص بالكفر أو غيره، وفي قراءة: ﴿أَمَّنْ﴾، ف«أَم» بمعنى «بل» و«الهمزة» ﴿فَلْيَسْتَوِ الَّذِينَ يَمُنُّونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: لا يستويان، كما لا يستوي العالم والجاهل ﴿إِنَّمَا يَذَّكَّرُ﴾ بتعظ ﴿أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.

[١٠] ﴿فَلْيَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّهُمْ﴾ أي: عذابه، بأن تطيعوه ﴿لِيَلْبِثَ أَحْسَنًا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ بالطاعة ﴿حَسَنَةً﴾ هي الجنة ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً﴾ فهاجروا إليها، من بين الكفار ومشاهدة المنكرات ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى

(١) في نسخة القاضي: «زوجين»، و«ذكوا» بالنصب.

(٢) أي: كونًا لا شرعًا.

(٣) «يرضه» قرأ ابن كثير والكسائي وابن ذكوان بضم الهاء مع الإشباع، وقرأ السوسي بالإسكان، وقرأ الدوري بالإسكان والإشباع، وهشام بالاختلاس والإسكان، وقرأ الباقون بالضم دون صلة وهم نافع وعاصم وحزمة.

(٤) بالفتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالضم.

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وحزمة، وقرأ بقية السبعة: «أَمَّنْ» بتشديد الميم.

(٦) الجنة أثر من آثار رحمة الله ﷻ لعباده المؤمنين، وهي غيرها؛ ففسير الرحمة بها خلاف الظاهر، وهو تأويل لصفة الرحمة التي أتيتها ربنا ﷻ لنفسه، ونيتها له على الوجه اللائق به.

الْصَّادِقُونَ﴾ على الطاعة، وما يتلون به ﴿أَجْرُهُمْ يَبْغِي حِسَابٍ﴾ بغير مكيل ولا ميزان.

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ  
أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ  
﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْهُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ  
قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ  
أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ فَتْنِهِمْ ظُلُلٌ مِنَ النَّارِ  
وَمِنْ تَحْتِهَا ظُلُلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يُعْبَادُونَ فَاتَّقُوا  
وَالَّذِينَ أَجْتَنَبُوا الظُّلُمَاتِ أَنْ يَعْبُدُوا مَا أَتَوْا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى  
فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٦﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ  
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٧﴾  
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ أَلَمْ يَأْتِ تَنْقِذًا مِنَ النَّارِ ﴿١٨﴾  
لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا لَهُمْ عُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مُبِينَةٌ تَخْرُجُ  
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿١٩﴾ الرَّازِ  
أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ  
يَخْرُجُ بِهِ رِزْقًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفًى ثُمَّ  
يَجْعَلُهُ حُطَامًا فِي ذَلِكَ لِذِكْرٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢٠﴾

[١١] ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك.

[١٢] ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة.  
[١٣] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.  
[١٤] ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْهُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ من الشرك.  
[١٥] ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ بتخليد الأنفس في النار، وبعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في الجنة، لو آمنوا ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُبِينُ﴾ البين.  
[١٦] ﴿لَهُمْ مِنْ فَتْنِهِمْ ظُلُلٌ﴾ طباق ﴿وَمِنْ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهَا ظُلُلٌ﴾ من النار ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ﴾ أي: المؤمنين، لينقوه، يدل عليه: ﴿يَتَّقُونَ﴾.  
[١٧] ﴿وَالَّذِينَ أَجْتَنَبُوا الظُّلُمَاتِ﴾ الأوثان ﴿أَنْ يَعْبُدُوا مَا أَتَوْا﴾ أقبلوا ﴿إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ بالجنة ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾.  
[١٨] ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ وهو ما فيه صلاحهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.  
[١٩] ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ أي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الآية ﴿أَلَمْ يَأْتِ تَنْقِذًا﴾ تخرج ﴿مِنْ فِي النَّارِ﴾ جواب الشرط، وأقيم فيه الظاهر مقام المضمر، والهجرة للإنكار، والمعنى: لا تقدر على هدايته، فننقذه من النار.  
[٢٠] ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ بأن أطاعوه ﴿لَهُمْ عُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مُبِينَةٌ تَخْرُجُ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: من تحت الغرف، الفوقانية والتحتانية ﴿وَعَدَّ اللَّهُ﴾ منصوب بفعله المقدر ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ وعده.  
[٢١] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ﴾ أدخله أكمة ينبع ﴿فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يَخْرُجُ بِهِ رِزْقًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِيجُ﴾ يبس ﴿فَتَرَاهُ﴾ بعد الخضرة مثلاً ﴿مُصْفًى ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ فثاقلاً ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ﴾ تذكيراً ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يتذكرون به؛ لدلالته (٢) على وحدانية الله - تعالى - وقدرته.

[٢٢] ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِسْلَامِهِ﴾ فاهتدى ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ كمن طبع على قلبه، دل على هذا: ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: عن قبول القرآن ﴿أَوَّلَيْكَ فِي صَلَاتِي مُبِينٌ﴾ يعني.

[٢٣] ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ لِّغَيْثٍ كِتَابًا﴾ بدل من «أحسن»؛ أي: قرأتها ﴿مُتَشَبِّهًا﴾ أي: يشبه بعضه بعضاً، في النظم وغيره ﴿مَثَانِي﴾ ثني فيه الوعد والوعيد، وغيرهما ﴿تَشْعُرُ مِنْهُ﴾ ترتعد عند ذكر وعيده ﴿جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ﴾ يخافون ﴿رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ﴾ تطمئن ﴿جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: عند ذكر وعده ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الكتاب ﴿هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلْ اللَّهُ فَهُوَ لَمْ يَهْدِ﴾.

[٢٤] ﴿أَمَّنْ يَتَّقِي﴾ يلقى ﴿بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: أشدّه، بأن يلقى في النار مغلوله يدها إلى عنقه، كمن آمن منه بدخول الجنة؟ ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: كفار مكة: ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: جزاءه. [٢٥] ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِ﴾ رسلهم، في إتيان العذاب ﴿فَأَلَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِمَّنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من جهة لا تخطر بالهم.

[٢٦] ﴿فَأَذَانَهُمُ اللَّهُ الْخَرَى﴾ الذل والهوان، من المسخ والقتل وغيره ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: المكذبون ﴿يَعْلَمُونَ﴾ عذابها ما كذبوا.

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ صَرَّبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِمَّنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يتعطلون.

[٢٨] ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ حال مؤكدة ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أي: لیس واختلاف ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الكفر.

[٢٩] ﴿صَرَّبَ اللَّهُ﴾ للمشرك والموحد ﴿مَثَلًا رَّجُلًا﴾ بدل من «مثلاً» ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ متنازعون، سبقة أخلاقهم ﴿وَرَجُلًا سَابِلًا﴾ خالصاً ﴿لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ تمييز؛ أي: لا يستوي العبد لجماعة والعبد لواحد، فإن لأول إذا طلب منه كل من مالكيه خدمته في وقت واحد تخير فيمن يخدمه منهم، وهذا مثل للمشرك، والثاني مثل للموحد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ﴾ بَلْ أَكْثَرُهُمْ؛ أي: أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.

﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِسْلَامِهِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ قَوْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوَّلَيْكَ فِي صَلَاتِي مُبِينٌ ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ لِّغَيْثٍ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مَّثَانِي تَشْعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلْ اللَّهُ فَهُوَ لَمْ يَهْدِ﴾ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ الَّذِينَ مِّن قَبْلِهِمْ فَأَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِمَّنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فَأَذَانَهُمُ اللَّهُ الْخَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿وَلَقَدْ صَرَّبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِمَّنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَابِلًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾

[٣٠] ﴿إِنَّكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ستموت ويموتون، فلا شامة بالموت، نزلت لما استبطؤوا موته ﷺ.

[٣١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ أيها الناس فيما بينكم من المظالم ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن الزبير بن العوام قال: ما نزلت: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قال الزبير: يا رسول الله، أكرر علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا؟ قال: «نعم»، فقال: إن الأمر إذن لشديدي. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٠) ومن سورة الزمر. وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٣). وأخرجه أيضاً أحمد (١٦٧/١) مطولاً بلفظ: «قال الزبير: أي رسول الله، أكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواصّ الذنوب؟ قال: «نعم»، ليكرر عليكم حتى يؤدى إلى كل ذي حق حقه». فقال الزبير: والله، إن الأمر لشديدي». وحسن الأرنؤوط إسناده (١٤٣٤). وكلذا قال أحمد شاكر: إسناده حسن. (١٤٣٨).

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقراً بقية السبعة: ﴿سَلَمًا﴾ بدون ألف.

الشريك والولد إليه ﴿وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ﴾ بالقرآن ﴿إِذْ جَاءَهُ﴾ أَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى ﴿مَأْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ بلى.

[٣٣] ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ﴾ هو النبي ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ هم المؤمنون فـ«الذي» بمعنى «الذين» ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الشرك.

[٣٤] ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم يأمنانهم [٣٥] ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ «أَسْوَأَ» وأحسن» بمعنى السيئ والحسن.

[٣٦] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ أي: النبي (١)؟ بلى ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ الخطاب له ﴿بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الأصنام أن تقتله أو تخبله ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

[٣٧] ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ أليس الله يعزير ﴿عَزِيزٌ﴾ أمره ﴿ذِي أَنْتِقَامٍ﴾ من أعدائه؟ بلى.

[٣٨] ﴿وَلَيْنَ﴾ لا م قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾ الله ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنام ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ﴾ لا ﴿أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ لا، وفي قراءة (٢) بالإضافة فيهما ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يثق الواثقون.

[٣٩] ﴿قُلْ يَقْوِمْ أَعْمَالُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ﴾ حالكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

[٤٠] ﴿مَنْ﴾ موصولة، مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ دائم هو عذاب النار، وقد أخرجهم الله بيدر.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ﴾  
 إِذْ جَاءَهُ أَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾  
 لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾  
 أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ  
 أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي أَنْتِقَامٍ ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾  
 اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ  
 قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿قُلْ يَقْوِمْ أَعْمَالُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَمَا تَعْلَمُونَ﴾  
 مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٢﴾

[٣٢] ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ بنسبة

(١) وقيل: المراد به الخالص في العبودية لله ﷻ، ويؤيده قراءة: (عباده) بالجمع، وهي لخمزة والكسائي.

(٢) والقراءة المذكورة أولاً لأبي عمرو بالتثنية في الكلمتين: «كاشفات» و«ممسكات»، مع النصب في «ضره» و«رحمته»، وقرأ بقية السبعة بالإضافة فيهما؛ أي ﴿كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ﴾ و﴿مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾.



إِنَّا أَنْزَلْنَاهَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٥١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٢﴾ أَمْ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفْعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ أَنْوَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْعًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ۖ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا دُكِرَ لِلَّهِ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا دُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٥٥﴾ قُلِ اللَّهُ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمُ الْغَيْبِ ۖ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٥٧﴾

[٤١] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلْأَنِصَةِ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ﴿أنزل﴾ ﴿فَمَنْ أَهْدَىٰ فَلْيَفْسِدُوا﴾ استداؤه ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِمَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِرُكْبٍ﴾ فنجبرهم على الهدى.

[٤٢] **﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾** ﴿وَيُفَوِّضُ إِلَيْهِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي مَعْرِفَتِهِ﴾ **﴿أَي: يوفاهما وقت النوم﴾** ﴿فَيَسْأَلُ أَلْفَى قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَرُسُلَ الْأَحْزَابِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ **﴿أَي: وقت موتها، والمرسلة نفس التمييز، تبقى بدونها نفس الحياة، بخلاف العكس﴾** <sup>(١)</sup> **﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾** المذكور **﴿لَا يَشَكُّ﴾** دلالات **﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾** فاعلمون أن القادر على ذلك قادر على البعث، وقرئ لم يتفكروا في ذلك.

[٤٣] ﴿أَيُّهَا بَلِّغُوا إِلَيْنَا دُورَ اللَّهِ﴾ أي: الأصنام آلهة ﴿شُعَاعًا﴾ عند الله برعمهم ﴿فَلِّهِمْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ﴾ يشفعون ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾ من الشفاعة وغيرها ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك؟ لا.

[٤٤] ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ أي: هو مختص بها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[٤٥] ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أي: دون الهتهم ﴿أَسْمَارَتْ﴾ نفرت وانقبضت ﴿فَلَوْبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ: أي: الأصنام ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبِيرُونَ﴾.

[٤٦] ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ بمعنى يا الله ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مُبْدِعُهُمَا﴾  
﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي﴾  
﴿مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، اهدينا لما اختلفوا فيه من الحق.

[٤٧] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ. مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ ظَهَرَ مِنْهُمْ مِنْ أَنَّهُ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْسِبُونَ﴾ يظنون.

(١) أي: فمتى ذهبت نفس الحياة لا تبقى نفس التمييز والإحساس، والتحقيق أنها روح واحدة، والتعدد باعتبار أوصافها.

يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٩﴾ أي: العذاب.

[٤٩] ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا ثَمَّ إِذَا حَوَّلْنَاهُ﴾ الجنس ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾ إنعاماً ﴿يَمَّا قَالَ إِنَّمَا أَوتَيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ من الله بأنني له أهل ﴿بَلْ هِيَ﴾ أي: القولة ﴿وَفِتْنَةٌ﴾ بلية، يتلى بها العبد ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن التحويل استدراج وامتحان.

[٥٠] ﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم؛ كفارون وقومه الراشدين بها ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[٥١] ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾؛ أي: جزاؤها ﴿وَالَّذِينَ ظَنَّمُوا مِنْ هَذَا لَآءَ﴾ أي: قريش ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفاوتين عذابنا، ففجحطوا سبع سنين، ثم وُسع عليهم.

[٥٢] ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسع ﴿لِمَنْ يَشَاءُ ابْتِلَاءً﴾ إن في ذلك لآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿بِهِ﴾.

[٥٣] ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا﴾ بكسر النون وفحها (٢)، وقرئ بضمها (٣)؛ تأسوا ﴿مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ لمن تاب من الشرك ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤).

[٥٤] ﴿وَأَنِيبُوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا﴾ أخلصوا العمل ﴿لَهُ﴾ من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تُصْرُوتَ ﴿بِمَعْنَى﴾ إن لم تتوبوا.

[٥٥] ﴿وَأَسْأِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ هو القرآن ﴿وَمَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَعْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ قبل إتيانه بوقت.

[٥٦] فبادروا قبل ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرُنِي﴾ أصله يا حسرتي؛ أي: ندامتي ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته (٥) ﴿وَأَنْ﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: وني ﴿كُنْتُ لِمَنِ التَّائِبِينَ﴾ بدنيه وكتابه.

وَيَذَاهُمُ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا ثَمَّ إِذَا حَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً وَمَا قَالَ إِنَّمَا أَوتَيْتُهُ وَعَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَنَّمُوا مِنْ هَذَا لَآءَ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثَمَّ لَا تُصْرُوتُمْ ﴿٥٤﴾ وَأَسْأِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَعْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرُنِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ التَّائِبِينَ ﴿٥٦﴾

[٤٨] ﴿وَيَذَاهُمُ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٣): أخرج البخاري عن ابن عباس أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا وزنوا فأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي نقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ إِلَيْهَا مَاتُوا بِغُرُوحٍ وَأَلْهَمَهُمُ اللَّهُ ذُرِّيَّتَهُمْ وَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْفَ نَفْسٍ إِلَىٰ مَا يَلْعَنُ اللَّهُ إِلَهُ الْيَاقُونِ﴾ ونزل: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة الزمر (٣٩) باب (١) يا عبادي الذين أشرفوا. ورواه أيضاً مسلم - كتاب الإيمان (١)، باب (٥٤) ... وسبق تخريجه في سورة الفرقان عند الآية (٦٨).

(١) أو المعنى: على علم عندي بوجوه المكاسب والتجارة.

(٢) بالكسر قراءة الكسائي وأبي عمرو.

(٣) أي: شذوذاً.

(٤) وقال الفراء: في قرب الله وجواره

[٥٧] ﴿أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ (١) بالطاعة فاهتديت ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُنْقِبِينَ﴾ عذابه.

[٥٨] ﴿أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونُ مِنَ الْمُنْتَفِينَ﴾ المؤمنين. فيقال له من قبل الله: [٥٩] ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾ القرآن، وهو سبب الهداية ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ﴾ تكبرت عن الإيمان بها ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٦٠] ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وَجُوهُهُمْ مَسْوَدَةٌ أَلْيَسَ فِي جَهَنَّمَ مَتَوًى﴾ مأوى ﴿لِلْمُنْكَرِينَ﴾ عن الإيمان؟ بلى.

[٦١] ﴿وَيَسْجَى اللَّهُ﴾ من جهنم ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿بِمَقَارِنِهِمْ﴾ أي: بمكان فوزهم من الجنة، بأن يجعلوا فيه ﴿لَا يَمَسُّهُمْ الشَّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٦٢] ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ منصرف فيه كيف يشاء.

[٦٣] ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مفاتيح خزانتهما من المطر والنبات وغيرهما ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ياتيت الله ﴿القرآن﴾ أولئك هم الْخَاسِرُونَ ﴿متصل بقوله: وَيَسْجَى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ إلخ، وما بينهما اعتراض.

[٦٤] ﴿قُلْ أَفَعَبَرِ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ «غير» منصوب بـ «أعبد» المعمول لـ «تأمروني» بتقدير «أن» بنون واحدة وبنونين بإدغام وفك (١).

[٦٥] ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ واللَّهُ ﴿لَيْنٌ أُنْكُرْتُ﴾ يا محمد فرضاً ﴿لِيَحْطَنَ عَلَيْكَ وَلِتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

[٦٦] ﴿بَلَى اللَّهُ﴾ وحده ﴿فَاعْبُدْهُ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ إنعامه عليك.

[٦٧] ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما عرفوه حق معرفته، أو ما عظموه

حق عظمته، حين أشركوا به غيره ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ حال أي: السبع ﴿قَبَضَتْهُ﴾ أي: مقبوضة له أي: في ملكه ونصرته (٢) ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ

وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ﴾ مجموعات ﴿بِإِيمَانِهِ﴾ (٣) بقدرته (٤) ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه.

أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَةٌ أَلْيَسَ فِي جَهَنَّمَ مَتَوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيَسْجَى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَقَارِنِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ الشَّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ بَلَى اللَّهُ فَاَعْبُدْهُ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٥﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِإِيمَانِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول: لو أن الله هداني فيكون عليه حسرة. قال: وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول: لو أن الله هداني فيكون له شكر». المسند (٥١٢/٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٥١٤).

(٥٥) فائدة: أخرج الترمذي عن عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِإِيمَانِهِ﴾ قالت: فأتين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: «على جسر جهنم». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٠) ومن سورة الزمر. وصحح الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٩).

(١) قوله: (إدغام) أي مع فتح الباء وسكونها، وقوله: (وفك) أي مع سكون الباء لا غيراً فقرأ ابن عامر بنونين وقرأ نافع بنون مخففة مع فتح الباء، وكذلك فتحها ابن كثير. (٢) وهذا عدول عن ظاهر اللفظ، وهو خلاف ما فهمه السلف من إثبات هذه الصفة وغيرها لله ﷻ، مما أثبتته لنفسه وأثبتته له رسوله ﷺ على الوجه اللائق به، وثبت عند البخاري (٧٤١٣). من حديث ابن عمر مرفوعاً: «إن الله يقبض يوم القيامة الأرض، وتكون السماوات يمينه ثم يقول: أنا الملك». فلواجب الإيمان بهذه الصفات وإثباتها لله ﷻ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تحيل ولا تكيف.

[٦٩] ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ﴾ أضاءت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ حين يتجلى الله لفصل القضاء ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ كتاب الأعمال للحساب ﴿وَوُجِئَ بِالْيَتِيمِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: بمحمد ﷺ وأمه يشهدون للرسل بالبلاغ<sup>(١)</sup> ﴿وَوُضِعَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ﴾ أي: العدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً. [٧٠] ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي: جزاءه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فلا يحتاج إلى شاهد.

[٧١] ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعنف ﴿إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ جماعات متفرقة ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهَا﴾ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴿جواب﴾ «إذا» ﴿وَقَالَ لَهُمْ خُزْنُهَا﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ؟ ﴿القرآن وغيره﴾ ﴿وَيُنذِرُكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ أي: «لأننا كنا جَهَنَّمَ»<sup>(٢)</sup> الآية<sup>(٣)</sup> ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

[٧٢] ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقدرين الخلود لهم ﴿فِيئْسَ مَثْوًى﴾ ماوى ﴿الْمُتَكِبِينَ﴾ جهنم.

[٧٣] ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ بلطف ﴿إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءَهَا﴾ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴿الواو فيه للحال بتقدير: قد﴾ ﴿وَقَالَ لَهُمْ خُزْنُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ حالاً ﴿فَادْخُلُوا خَالِدِينَ﴾ مقدرين الخلود فيها، وجواب «إذا» مقدر أي: دخلوها، وسؤفهم وفتح الأبواب قبل مجيئهم تكريماً لهم، وسؤق الكفار وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم ليقى حرها إليهم إهانة لهم.

[٧٤] ﴿وَقَالُوا﴾ عطف على دخولها المقدر: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ بالجنة ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ أي: أرض الجنة<sup>(٤)</sup> ﴿نَتَّبِعُ﴾ نزل ﴿وَمِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ لأنها كلها لا يختار فيها مكان على مكان ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ الجنة.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٩﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَوُجِئَ بِالْيَتِيمِ وَالشَّهَادَةِ وَوُضِعَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءَهَا فَتُحَّتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خُزْنُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٢﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكِبِينَ ﴿٧٣﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خُزْنُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوا خَالِدِينَ ﴿٧٤﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ أَمْرَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٥﴾

[٦٨] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ النفخة الأولى ﴿فَصَعِقَ﴾ مات ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ من الحور والولدان وغيرهما<sup>(١)</sup> ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ﴾ أي: جميع الخلائق الموتى ﴿قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ينتظرون ما يفعل بهم.

(٥) فائقة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: قال يهودي يسوق المدينة: لا وادي اسطفي موسى على البشر. قال: فرجع رجل من الأنصار يده نصك بها وجهه. قال: تقول هذا وبقينا نبي الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ» فأكون أول من رفع رأسه، فإذا موسى آنحد بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله...ه. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٠) ومن سورة الزمر. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٧).

(١) قيل: كالشهداء، أو حواص الملائكة، أو إسرائيل نفسه، ثم يموت بعد ذلك. والأولى أن يقال: الله أعلم بفتنته، إذ لا يصار إلى بيان المبهمات إلا بقاطع. (٢) الصواب عدم تخصيص النبيين هنا بمحمد ﷺ، بل هو قول غريب وبعيد، ولا تخصيص الشهداء بأمة عليه الصلاة والسلام، لأنه خلاف الظاهر. وجمهور المفسرين على أن المراد جماعة الأنبياء ليشهدوا على أممهم بأنهم بلغوهم، أما الشهداء فحين بما ذكره المفسر، وقيل: المراد الملائكة الحافظة على أعمال العباد، وقيل: أعضاء الإنسان، وقيل: الأرض، وقيل: الذين استشهدوا في سبيل الله، والآية تحتمل كل ذلك، ولا تعارض.

(٣) هود: ١١٩.

(٤) هذا قول كثير من المفسرين، كما تقدم في سورة الأنبياء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الْعَمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وسبق هاتك بيان اعتراض القاضي كتمان على ذلك واختياره أن الأرض في الآيتين هي الأرض المعهودة وبيست أرض الجنة، والله أعلم.

وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

### سُورَةُ غَافِرٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ١ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٢ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ٣ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْإِلَهِ ٤ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ تَأْتِي السُّحُبُ بِالْمَاءِ ٥ يَوْمَ يُصْعَقُونَ فِي الْبُلْبُلِ ٦ كَذَبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمٌ نُوحُوا ٧ وَالْأَنْحَارُ مِنْ بَعْدِهِمْ ٨ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ٩ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ١٠ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ١١ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ١٢ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ ١٣ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ١٤

### سُورَةُ غَافِرٍ

[مكية، إلا: ﴿الَّذِينَ يَجِدُونَ﴾ الآيتين، خمس وثمانون آية،

نزلت بعد الزمر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمَّ﴾ الله أعلم بمراده به.

[٢] ﴿تَنْزِيلَ الْكِتَابِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ خبره ﴿الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيمِ﴾ بخلقه.

[٣] ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ للمؤمنين ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ لهم مصلر ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ للكافرين؛ أي: مثله له ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ الإِنعام الواسع، وهو موصوف على الدوام بكل هذه الصفات، فإضافة المشتق منها للتعريف كالأحيرة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْإِلَهِ﴾ المصير المرجع.

[٤] ﴿مَّا يَجِدُ فِي أَيَّتَ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿فَلَا يَغْفِرُكَ تَقَاتُهَا فِي الْيَدِ﴾ للمعاش سالين فإن عاقبتهم النار.

[٥] ﴿كَذَبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمٌ نُّوحُوا وَالْأَنْحَارُ﴾ كعاد وثمود وغيرهما ﴿وَمِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ يقتلوه ﴿وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ﴾ بالعقاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ لهم؛ أي: هو واقع موقعه.

[٦] ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾؛ أي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الآية (٣) ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ بدل من «كلمة».

[٧] ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ (٣) مبتدأ ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ عطف عليه

﴿يُسَبِّحُونَ﴾ خبره ﴿يَحْمَدُ رَبَّهُمْ﴾ ملاسين للحمد؛ أي: يقولون: سبحان الله وبحمده ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ - تعالى - بصفاتهم؛ أي: يصدقون بوحدانيته ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ يقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي: وسعت رحمتك كل شيء، وعلمك كل شيء ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ من الشرك ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ دين الإسلام ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ النار.

(١) فائدة: أخرج أبو داود عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام». أبو داود - كتاب السنة (٣٤) باب (١٩) في الجهمية، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٥٤).

(٢) وقيل: إن القائل هم المؤمنون، وقال ابن كثير: أي: ونطق الكون أجمعه - ناطقه وبهيمه - لله رب العالمين بالحمد؛ أي: حكمه وعدله، ولهذا لم يسند القول إلى قائل بل أطلقه، فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد.

(٣) أي إضافة المشتق من هذه الصفات؛ «غافر» و«قابل» و«شديد» لتعريف المضاف؛ ليصح أن يكون صفة للمعرفة؛ وهو لفظ الجلالة المتقدم في قوله: «من الله».

(٣) هود: ١١٩.

[٩] ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ أي: عذابها ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿فَقَدْ رَحِمْنَا وَكَرِهْنَا﴾ وذلك هو الْفَوْرُ الْعَظِيمُ.

[١٠] ﴿إِنَّ إِلَٰهَ إِلَٰهَاتِكُمْ كَفَرُوا يَتَدَوَّرُونَ﴾ من قبل الملائكة، وهم يمتنون أنفسهم عند دخولهم النار: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾ إياكم ﴿أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ إذْ دَعَوْتُمْ فِي الدُّنْيَا ﴿إِلَى الْإِيمَانِ فَكُفَرُوا﴾.

[١١] ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَتَيْنِ﴾ إِمَاتَيْنِ ﴿وَأَحْيَيْنَا أَثْنَتَيْنِ﴾ إحياءتين؛ لأنهم نطفًا<sup>(١)</sup> أموات، فأحيوا، ثم أميتوا، ثم أحيوا للبعث ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ بكفرنا بالبعث ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ﴾ من النار، والرجوع إلى الدنيا، لنطيع ربنا ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ طريق، وجوابهم: لا.

[١٢] ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي: العذاب الذي أنتم فيه ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ أي: بسبب أنه في الدنيا ﴿إِذَا دَعَىٰ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ بتوحيده ﴿وَلِإِنْ يَشْرِكْ بِهِ﴾ يُجْعَلْ لَهُ شَرِيكٌ ﴿تُؤْمِنُوا﴾ تصدقوا بالإشراك ﴿فَلَنُكَفِّرَنَّ﴾ في تعذيبكم ﴿بِاللَّهِ الْعَلِيِّ﴾ على خلقه ﴿الْكَبِيرِ﴾ العظيم.

[١٣] ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ﴾ دلائل توحيده ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ بالمطر ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿إِلَّا مَنْ يَنْسِيَ﴾ يرجع عن الشرك.

[١٤] ﴿فَادْعُوا اللَّهَ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿وَلَوْ كَفَرُوا لَكُنْتُمْ إِخْلَاصًا مِنْهُ﴾.

[١٥] ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾ أي: الله عظيم الصفات، أو رافع درجات المؤمنين في الجنة ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ خالقه<sup>(٢)</sup> ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ الوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ أي: قوله ﴿عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يُنْذِرُ بِخوف الملقى عليه الناس ﴿يَوْمَ النَّفَاقِ﴾ بحذف الياء وإثباتها<sup>(٣)</sup> ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لتلاقي أهل السماء والأرض، والعباد والمعبود، والظالم والمظلوم فيه.

[١٦] ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ﴾ خارجون من قبورهم ﴿لَا يَخَوُّ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْئٌ﴾ لَمَّا أُلْهِمَ الْيَوْمَ يَقُولُهُ - تعالى - ويجب نفسه: ﴿لَهُ الْوَجْدُ الْفَهَارُ﴾ أي: لخلقه.

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ إِلَٰهَ إِلَٰهَاتِكُمْ كَفَرُوا يَتَدَوَّرُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ دَعَوْتُمْ إِلَى الْإِيمَانِ فَكُفَرُوا ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْنَا أَثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَلِإِنْ يَشْرِكْ بِهِ تَأْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَفَرُوا أَلْكَفَرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

[٨] ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ﴾ عطف على «هم» في: «وأدخلهم»، أو: في: «وعدتهم» ﴿وَمِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

(١) كذا في بعض النسخ نصب «نطفًا» على الحال، والمناسب أن يقول: لأنهم كانوا، أو خلقوا نطفًا... اهد. من حاشية الصوري.

(٢) الله عز وجل خالق كل شيء، والإضافة هنا لأمر احتص به العرش دون سائر المخلوقات، وهو استواءه سبحانه عليه بنفسه المقدسة استواء يليق بجلاله.

(٣) بالياء وصلًا ووفقًا لقراءة ابن كثير، وأثبتها ورش وصلًا فقط، وكذلك قالون بخلاف عنه.

[١١٧] ﴿الْيَوْمَ نَخْرِقُ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك (١).

[١١٨] ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ﴾ يوم القيامة؛ من أرف الرحيل: قوب ﴿إِذِ الْقُلُوبُ تَرْتَفَعُ خَوْفًا لَّدَى﴾ عند ﴿الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ﴾ ممتلئين غمًا، حال من «القلوب»، عولت بالجمع بالياء والتون معاملة أصحابها ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ﴾ محب ﴿وَلَا شَفِيعَ يَطَاعُ﴾ لا مفهوم للوصف، إذ لا شفيع لهم أصلاً ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ﴾ (٢) أو له مفهوم بناء على زعمهم أن لهم شفعا؛ أي: لو شفعا فرضاً لم يقبلوا.

[١١٩] ﴿يَعْلَمُ﴾ أي: الله ﴿عَاقِبَةَ الْأَعْيُنِ﴾ بمسارقتها النظر إلى محرم ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ القلوب.

[١٢٠] ﴿وَأَنَّهُ يَفْقِى بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون؛ أي: كفار مكة، بالياء والتاء (٣) ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ وهم الأصنام ﴿لَا يَقْضُونَ يَتَقَى﴾ فكيف يكونون شركاء لله؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأفعالهم. [١٢١] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ وفي قراءة (٤) «منكم» ﴿قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ من مصانع وقصور ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ أهلكهم ﴿يَذُوبُهُمْ﴾ وما كان لهم من الله من وافي عذابه.

[١٢٢] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[١٢٣] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ برهان بين ظاهر.

[١٢٤] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقُرُونٍ فَقَالُوا﴾: هو ﴿سَجِرٌ كَذَّابٌ﴾.

[١٢٥] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا﴾ استبقوا ﴿نِسَاءَهُمْ وَمَا كُنْتُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ هَلَاكٍ﴾.

الْيَوْمَ نَخْرِقُ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١١٧﴾ وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ ﴿١١٨﴾ يَعْلَمُ عَاقِبَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١١٩﴾ وَاللَّهُ يَفْقِى بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٢٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يَذُوبُهُمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿١٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقُرُونٍ فَقَالُوا سَجِرٌ كَذَّابٌ ﴿١٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّهِمْ قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كُنْتُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٢٥﴾

(١) سبق بيان أن هذا سبق قسم من المصنف رحمه الله، وانظر التعليق على الآية رقم (٥١) من سورة إبراهيم.

(٢) الشعراء: ١٠٠.

(٣) بالناء قراءة نافع وهشام، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٤) لابن عامر.

إياي، فتنبهوه ﴿وَأَنْ يُّظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ﴾ من قتل وغيره، وفي قراءة: ﴿أَوْ﴾، وفي أخرى: يفتح الباء والهاء وضم الدال<sup>(١)</sup>.

[٢٧] ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ لقومه وقد سمع ذلك: ﴿إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾.

[٢٨] ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قيل: هو ابن عمه ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وإن يك كذباً فعليه كذبه، أي: ضرر كذبه ﴿وإن يك صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم﴾ به من العذاب عاجلاً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُشْرِكٌ﴾ مشرك ﴿كَذَابٌ﴾ مفتر.

[٢٩] ﴿يَقُولُ لَكُمْ أَلَمْ تُكَلِّمُوا الْمَلِكَ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ﴾ غاليين حال ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَمَنْ يَصُرُّنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾ عذابه، إن قتلتم أوليائه ﴿إِنْ جَاءَنَا﴾ أي: لا ناصر لنا ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ أي: ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي، وهو قتل موسى ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ طريق الصواب.

[٣٠] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَتَقَوَّمُوا بِإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ أي: يوم حزب بعد حزب<sup>(٢)</sup>.

[٣١] ﴿مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ «مثل» بدل من «مثل» قبله، أي: مثل جزاء عادة من كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾.

[٣٢] ﴿وَيَتَقَوَّمُوا بِإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ بحذف الباء وإثباتها<sup>(٣)</sup>، أي: يوم القيامة يكثر فيه نداء أصحاب الجنة أصحاب النار وبالعكس، والنداء بالسعادة لأهلها وبالشفقة لأهلها وغير ذلك.

[٣٣] ﴿يَوْمَ تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ﴾ عن موقف الحساب إلى النار ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ﴾ أي: من عذابه ﴿مِنْ عَاصِرٍ﴾ مانع ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٧﴾  
وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٨﴾  
وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكْذِبْ فَاعْتَلِهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكْذِبْ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَكْفُرُ بِكُمْ يَوْمَ الْآسْفِ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنْكُمْ أَصْحَابُ الْأَرْضِ الْمَسْكِينِ ﴿٢٩﴾  
وَقَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٠﴾  
وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَتَقَوَّمُوا بِإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣١﴾  
وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٣٢﴾  
وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٣٣﴾

[٢٦] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ لأنهم كانوا يكفونه عن قتله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ ليمنعه مني ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ من عبادتكم

(١) قرأ نافع وأبو عمرو: ﴿وَأَنْ يُّظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ﴾، وقرأ ابن كثير وابن عامر: ﴿وَأَنْ يُّظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ﴾، وقرأ شعبة وحمره والكساوي: ﴿وَأَنْ يُّظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ﴾، وقرأ حفص: ﴿وَأَنْ يُّظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ﴾.

(٢) أشار بذلك إلى أن قومه: ﴿يَوْمَ الْأَحْزَابِ﴾ مفرد في معنى الجمع، أي أبائهم، حيث إن هلاك الأحزاب المكذبين، تقوم نوح وغيرهم من كذب الرسل، لم يكن في يوم واحد.

(٣) بالياء قراءة ابن كثير وصلاً ووقفاً، وأثبتها ورش وصلاً فقط وكذلك قالون بخلاف عنه.





[٤٢] ﴿تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ، مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَيْرِ﴾ الغالب على أمره ﴿الْفَقْرُ﴾ لن تاب.

[٤٣] ﴿لَا جُرمَ﴾ حقاً ﴿أَنَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾ لأعبده ﴿لَيْسَ لَكَ دَعْوَةٌ﴾ أي: استجابة دعوة<sup>(١)</sup> ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا﴾ مرجعنا ﴿إِلَى اللَّهِ وَارْتِ الْمُسْرِفِينَ﴾ الكافرين ﴿هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

[٤٤] ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ إذا عابتم العباد ﴿مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضْ أَمْرِي﴾ إلى الله ﴿إِنَّكَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ قال ذلك لما توعدوه بمخالفة دينهم.

[٤٥] ﴿فَوَقَدَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ به من القتل ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِئَالِ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ العرق.

[٤٦] ﴿ثُمَّ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ يحرقون بها ﴿عُدْوًا وَعَشِيًّا﴾ صباحاً ومساءً<sup>(٢)</sup> ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ﴾ يقال: ﴿(ادْخُلُوا)<sup>(٣)</sup>﴾ يا ﴿آلَ فِرْعَوْنَ﴾ وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الحاء، أمر للملائكة ﴿أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ عذاب جهنم.

[٤٧] ﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ﴾ يتخاصم الكفار ﴿فِي النَّارِ﴾ فيقولون ﴿الضُّعْفَتَانِ لِيذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَوُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا نَصِيبُ﴾ جزاء ﴿مِنَ النَّارِ﴾.

[٤٨] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ فأدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار.

[٤٩] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ أي: قدر يوم ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾.

﴿وَيَقُولُ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾

﴿تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَيْرِ﴾ لا جرم إنما تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَارْتِ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ فَيَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوَقَدَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِئَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا عُدْوًا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعْفَتَانِ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَوُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ

[٤١] ﴿وَيَقُولُ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾

(١) وقيل: المراد ليس له دعوة ترجح له الألوهية، ولعله أقرب.

(٢) أي في عالم القبر والحياة البرزخية. قال ابن كثير في تفسيره: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور. اهـ.

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿ادْخُلُوا﴾ بفتح الهمزة.

[٥٠] ﴿قَالُوا﴾ أي: الحزنة تهكما: ﴿أَوَلَمْ نَكُ تَأْتِيكُمْ رَسُولُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿قَالُوا بَلَى﴾ أي: فكفروا بهم ﴿قَالُوا فَادْعُوا﴾ أنتم، فإننا لا نشفع للكافرين، قال - تعالى -: ﴿وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ انعدام.

[٥١] ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنُؤَيِّمُ لَهُمْ أَفْئِدَتَهُمْ﴾ جمع شاهد، وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ، وعلى الكفار بالتكذيب.

[٥٢] ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ بِالْيَاءِ وَالنَّاءِ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ عذرهم، لو اعتذروا ﴿وَلَهُمْ أَفْئِدَتُهُمْ﴾ أي: البعد من الرحمة ﴿وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ الآخرة؛ أي: شدة عذابها.

[٥٣] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ التوراة والمعجزات ﴿وَأَوْفَيْنَا بِنِعْمِ إِسْرَءِيلَ﴾ من بعد موسى ﴿الْحَكِيمِ﴾ التوراة.

[٥٤] ﴿هُدًى﴾ هادياً ﴿وَذَكَرْنَا لِأَوَّلَى الْأَنْبِيَاءِ﴾ تذكراً لأصحاب العقول.

[٥٥] ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصر أوليائه ﴿حَقٌّ﴾ وأنت ومن تبعك منهم ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ ليسكن بك ﴿وَسَبِّحْ﴾ صل متلبساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَمِيِّ﴾ وهو من بعد الزوال ﴿وَالْإِنْكَارِ﴾ الصلوات الخمس <sup>(٢)</sup>.

[٥٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿يَغْيِرُ سُلْطَنُ﴾ برهان ﴿أَنَّهُمْ﴾ ما ﴿فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ تكبر وطمع أن يعملوا عليك ﴿مَّا هُمْ بِيَلْبِغِيهِ فَاَسْتَعِذْ﴾ من شرهم ﴿بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأحوالهم.

[٥٧] ﴿وَنَزَلَ فِي مُكْرِي الْبَحْثِ﴾ لِحَقْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿ابْتِدَاءً﴾ أَكْثَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ مرة ثانية وهي الإعادة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فهم كالأعمى، ومن يعلمه كالبصير.

[٥٨] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ لا ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رَسُولُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْفَيْنَا بِنِعْمِ إِسْرَءِيلَ الْكِتَابِ هُدًى وَذَكَرْنَا لِأَوَّلَى الْأَنْبِيَاءِ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَمِيِّ وَالْإِنْكَارِ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ يَغْيِرُ سُلْطَنُ إِنَّهُمْ أَنَّهُمْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِيَلْبِغِيهِ فَاَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُنَى قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وهو المحسن ﴿وَلَا الْمُنَى﴾ فيه زيادة «لا» <sup>(٣)</sup> ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون، بالياء والتاء <sup>(٤)</sup>؛ أي: تذكروهم قليل جداً.

(١) بالتاء قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٢) يعني أن التسيب في هذين الوقتين يرد به الصلوات الخمس، وقيل: المراد صلاة العصر وصلاة الفجر، وقيل: هي صلاة كانت بمكة قبل أن تفرض الصلوات الخمس؛ ركعتان غداة وركعتان عشية. والأقرب أن المراد بالتسيب أعم من الصلاة، فيشملها ويشمل تنزيهه - شُبْحَانَهُ - بالذكر والدعاء والإخلاص في العبادة والتوجه ونحو ذلك.

(٣) للتوكيد، لطول الكلام بالصلاة.

(٤) بالياء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيَّتُهُ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَهًا إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْمُعْتَمِدُ ﴿٦٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٠﴾

[٥٩] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيَّتُهُ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بها. [٦٠] ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٥) أي: اعبدوني أنيكم، بقرينة ما بعده ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾. وضم الحاء وبالعكس (١) ﴿جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ صاغرين. [٦١] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ إسناد الإبصار إليه مجازي؛ لأنه يمتنع فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ الله، فلا يؤمنون. [٦٢] ﴿ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَهًا إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْمُعْتَمِدُ﴾ كيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان. [٦٣] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: مثل إلك هؤلاء إلك ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ معجزاته ﴿يَجْعَلُونَ﴾. [٦٤] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ سقفا ﴿وَصُورَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. [٦٥] ﴿هُوَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ مِنْ الشُّرِكِ﴾ الحمد لله رب العالمين. [٦٦] ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

(٥) قائدة: أخرج الترمذي عن العثمان بن بشير عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قال: «الدعاء هو العبادة»، وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿دَاخِرِينَ﴾. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤١)، ومن سورة المؤمن. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٨٥).

(١) بضم ثم فتح قراءة ابن كثير وشعبة. وقرأ بقية السبعة بالعكس.

[٦٧] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ بخلق أيكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ متني ﴿ثُمَّ مِنْ عَقَرٍ﴾ دم غليظ ﴿ثُمَّ يَخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ بمعنى أطفالاً ﴿ثُمَّ يَبْقِيكُمْ﴾ لَسْبَلْعُوا أَشْدَّكُمْ ﴿تَكامل قوتكم، من الثلاثين سنة إلى الأربعين﴾ ثُمَّ لِيَكُونُوا شُيُوخًا ﴿بضم الشين وكسرها﴾ ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَّى مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قل الأشد والشيخوخة، فعل ذلك بكم لتعيشوا ﴿وَلِيَسْلَفُوا أَجْلاً مُّسَمًّى﴾ وقتاً محدوداً ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ التوحيد فتؤمنون.

[٦٨] ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِنَّا فَضَعْنَا أَمْراً﴾ أراد إيجاد شيء ﴿فَلَنَبَا يَعُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ بضم النون وفتحها <sup>(٢)</sup> بتقدير «أن» أي: يوجد عقب الإرادة التي هي معنى القول المذكور <sup>(٣)</sup>.

[٦٩] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿أَنَّى﴾ كيف ﴿يُصْرَفُونَ﴾ عن الإيمان.

[٧٠] ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾ بالقرآن ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلًا﴾ من التوحيد والبعث، وهم كفار مكة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عقوبة تكذيبهم.

[٧١] ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَغْنَقِهِمْ﴾ إذ بمعنى إذا ﴿وَالسَّلْسِلُ﴾ عطف على «الأغلال» فنكون في الأعناق، أو مبتدأ خبره محذوف؛ أي: في أرجلهم، أو خبره: ﴿يُسْجَرُونَ﴾ أي: يُجْرُونَ بها.

[٧٢] ﴿فِي الْحَمِيمِ﴾ أي: جهنم ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ يوقدون.

[٧٣] ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ تَكَيَّفًا: ﴿أَنُتَ مَا كُنْتُمْ تَشْرِكُونَ﴾.

[٧٤] ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ معه، وهي الأصنام؟ ﴿قَالُوا ضَلُّوا﴾ غابوا ﴿عَنَّا﴾ فلا إراهم ﴿بَلْ لَوْ كُنْ تَدْعُونَا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً﴾ أنكروا عبادتهم إياها، ثم أحضرت <sup>(١)</sup> قال - تعالى -: ﴿إِن كُنْتُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ﴾ <sup>(٥)</sup>؛ أي: وقودها ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل إضلال هؤلاء المكذبين ﴿يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾.

[٧٥] ويقال لهم أيضاً: ﴿ذَلِّكُمْ﴾ العذاب ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴿من الإشراف وإنكار البعث﴾ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ تتوسعون في الفرح.

[٧٦] ﴿أَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيلِينَ فِيهَا قَيْسٌ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَقَرٍ ثُمَّ يَخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِيَسْلَفُوا أَشْدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِيَسْلَفُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِنَّا فَضَعْنَا أَمْراً لَنَبَا يَعُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلًا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَغْنَقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْجَرُونَ ﴿٧٠﴾ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧١﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنُتَ مَا كُنْتُمْ تَشْرِكُونَ ﴿٧٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَوْ كُنْ تَدْعُونَا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً أَنُتَ جَهَنَّمَ خَلِيلِينَ فِيهَا قَيْسٌ مَثْوًى أَلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٣﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّيكَ بِعَظْمِ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَتُوفِّيَنَّكَ فَإِنَّا نُرْجِعُونَ ﴿٧٤﴾

[٧٧] ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بعدابهم ﴿حَقٌّ فَكَيْتَا نُرَبِّيكَ﴾ فيه «إن» الشرطية مدغمة، و«ما» زائدة، تؤكد معنى الشرط أول الفعل، والنون تؤكد آخره ﴿بِعَظْمِ الَّذِي نُوَدِّعُكُمْ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف أي: فذاك ﴿أَوْ تَتُوفِّيَنَّكَ﴾ أي: قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّا نُرْجِعُونَ﴾ فنعذبهم أشد العذاب، فالجواب المذكور للمعطوف فقط <sup>(٦)</sup>.

(١) قرأ ورش وحقق وأبو عمرو وهشام وقالون بالضم، وقرأ شعبة وحزمة وابن كثير وابن ذكوان والكساوي بالكسر.

(٢) بالفتح قراءة ابن عامر، وقرأ الباقون بضم النون.

(٣) وفي هذا التفسير نظر؛ حيث إن الأمر والقول عبر الإرادة، وهذا الكلام مباه على مذهب المصنف رحمه الله في تأويل صفة الكلام بالكلام النفسي، وهذا خلاف مذهب السلف الذين يقولون - إن الله عز وجل - يتكلم بما شاء كيف شاء ومتى شاء.

(٤) أحاب به المفسر عما يغفل إن حمل الآية على هذا الوجه بخالف قوله - تعالى -: ﴿إِن كُنْتُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَشَدَّ لَهَا وَرِيذِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٨) فأجاب بأنهم أولاً تضلل عنهم الهتهم ويترأون، ثم تحضر وتقرن بهم.

(٥) الأنبياء: ٩٨.

(٦) أي: نقول: ﴿تتوفيك﴾؛ لأن جواب ﴿تربيك﴾ محذوف كما تقدم.

منهم ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لأنهم عبيد مريبون ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ بنزول العذاب على الكفار ﴿فُضِيَ﴾ بين الرسل ومكذبيها ﴿يَلْحَقُ وَخَيْرَ هَٰؤُلَاءِ الْمُبْطِلُونَ﴾ أي: ظهر القضاء والخسران للناس، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

[٧٩] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ﴾ قيل: الإبل خاصة هنا<sup>(١)</sup>، والظاهر: البقر والغنم ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

[٨٠] ﴿وَلِكُلِّ فِيهَا مَنَافِعٌ﴾ من الدَّر والنسل والوبر والصوف ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ هي حمل الأثقال إلى البلاد ﴿وَعَلَيْهَا﴾ في البر ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ السفن في البحر ﴿تَحْمَلُونَ﴾.

[٨١] ﴿وَنُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ فآي آيآت الله؛ أي: الدالة على وحدانيته ﴿تُشْكِرُونَ﴾ استفهام توبيخ، وتذكير «أي» أشهر من تأنيبه<sup>(٢)</sup>.

[٨٢] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض ﴿من مصانع وقصور﴾ ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[٨٣] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فَرِحُوا﴾ أي: الكفار ﴿يَمَّا عِنْدَهُمْ﴾ أي: الرسل<sup>(٣)</sup> ﴿بَيْنَ الْعِلْمِ﴾ فرح استهزاء وضحك، منكرين له<sup>(٤)</sup> ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ﴾ ما كانوا يهتبرون<sup>(٥)</sup> أي: العذاب.

[٨٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ أي: شدة عذابنا ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا يَدْعُونَ﴾.

[٨٥] ﴿فَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ نصبه على المصدر بفعل مقدر من لفظه<sup>(٦)</sup> ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادَةٍ﴾ في الأمم، أن لا ينفعهم الإيمان وقت نزول العذاب ﴿وَخَيْرَ هَٰؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ﴾ تبين خسارهم لكل أحد، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

\*\*\*

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَيْرَ هَٰؤُلَاءِ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٩﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِكُلِّ فِيهَا مَنَافِعٌ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨١﴾ وَنُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَآيَ آيَاتِ اللَّهِ تُشْكِرُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ بِسَهْرَةٍ وَن ﴿٨٤﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا يَدْعُونَ مُشْرِكِينَ ﴿٨٥﴾ فَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَيْرَ هَٰؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ ﴿٨٦﴾

[٧٨] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ روي أنه - تعالى - بعث ثمانية آلاف نبي؛ أربعة آلاف نبي من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾

(١) أي: لأنها هي التي يوجد فيها المنافع الآتية في الآيات هنا.

(٢) أي: أشهر من تأنيبه.

(٣) الراجح أن المراد فرح الكفار بما عند أنفسهم من العلم؛ لا بما عند الرسل؛ ولذا أفرده على ما جاءت به الرسل.

(٤) وعلى القول الراجح؛ يكون فرح إعجاب وجهل.

(٥) تقديره: مثل الله بهم شئاً من قبلهم.

## سُورَةُ فَصَّلَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ كَتَبَ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ  
قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ نَبِيًّا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ  
فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نِفَاكٌ مِمَّا دَعَوْنَا إِلَيْهِ  
وَفِي عَادَانَا وَفَرْوَمِنَ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا عَمَلُونا  
﴿٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ  
فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ  
لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّا كُودُوا  
لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا  
ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَايَ مِنْ قَوْعِهَا  
وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِ أَنْبَاءِ أَيْامٍ سَوَاءٍ  
لِلنَّاسِ يَلِدِينَ ﴿٩﴾ ثُمَّ أَسْرَوْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ  
لَهَا وَإِلَى الْأَرْضِ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتْ أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١٠﴾

﴿لِلنَّاسِ يَلِدِينَ﴾ عن خلق الأرض بما فيها.

﴿١١﴾ ﴿ثُمَّ أَسْرَوْنَاهُ﴾ قصد ﴿إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ بخار مرتفع ﴿فَقَالَ  
لَهَا وَإِلَى الْأَرْضِ أَتَيْنَا﴾ إلى مرادي منكما ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ في موضع الحال؛  
أي: طائعتين أو مكرهتين ﴿قَالَتْ أَتَيْنَا﴾ بمن فينا ﴿طَائِعِينَ﴾ فيه تغليب المذكر  
العاقب، أو: نُزِّلْنَا لخطأ بهما منزلته.

## سُورَةُ فَصَّلَتْ

[مكية: ثلاث وخمسون آية، نزلت بعد غافر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿حَمْدٌ﴾ الله أعلم بمجده به.  
[٢] ﴿تَزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مبتدأ.  
[٣] ﴿كَتَبَ﴾ خبره ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ بُنْتُ بِالْأحكام والقصاص  
المواعظ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من «كتاب» بصفته <sup>(١)</sup> ﴿لِقَوْمٍ﴾ متعلق  
بـ«فصلت» ﴿يَعْلَمُونَ﴾ يفهمون ذلك، وهم العرب.  
[٤] ﴿بَشِيرًا﴾ صفة «قرآن» ﴿وَنَذِيرًا﴾ فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ  
سماع قبول.  
[٥] ﴿وَقَالُوا﴾ للنبي: ﴿فَلَوْلَا فِي آيَاتِنَا﴾ أعطية ﴿وَمِمَّا دَعَوْنَا إِلَيْهِ  
وَفِي عَادَانَا وَفَرْوَمِنَ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ خلاف في الدين  
﴿فَأَعْمَلْنَا﴾ عى دينك ﴿إِنَّا عَمِلُونَ﴾ على ديننا.  
[٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ  
فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ بالإيمان والطاعة ﴿وَاسْتَغْفِرُوا وَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب  
﴿لِلْمُشْرِكِينَ﴾.  
[٧] ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ تأكيد ﴿كُفِرُونَ﴾.  
[٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ مقطوع.  
[٩] ﴿قُلْ أَتَيْنَاكُمْ﴾ بتحقيق الهمة الثانية، وتسهيلها، وإدخال ألف  
بينها بوجهها وبين الأولى <sup>(٢)</sup> ﴿لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾  
الأحد والاثنتين <sup>(٣)</sup> ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا﴾ شركاء ﴿ذَلِكَ رَبُّهُ﴾ أي: مالك  
﴿الْعَالَمِينَ﴾ جمع عالم، وهو ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه بالياء  
والنون؛ تغليظاً للعلاقة.

- [١٠] ﴿وَجَعَلَ﴾ مستأنف، ولا يجوز عطفه على صلة «الذي»؛ للفاصل  
الأجنبي <sup>(٤)</sup> ﴿فِيهَا رِوَايَ﴾ جبالاً ثوابت ﴿مِنْ قَوْعِهَا وَبَرَكَ﴾ بكثرة المياه  
والزروع والضرع ﴿وَقَدَّرَ﴾ قسم ﴿فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ للناس والبهائم ﴿فِي﴾  
تمام ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أي: الجعل، وما ذكر معه في يوم الثلاثاء والأربعاء <sup>(٥)</sup>  
﴿سَوَاءٍ﴾ منصوب على المصدر أي: استوت الأربعة استواء لا تزيد ولا تنقص

(١) في بعض النسخ «حَمْدُ الشَّجْدَةِ» وعدد آياتها عند أهل المدينة وأهل مكة ثلاث وخمسون، وعد أهل الكوفة أربع وخمسون.

(٢) أي الكتاب؛ والمسمى أن المسوغ لشيء الحال منه مع كونه نكرة، هو وصفه بما بعده وهو جملة: «فُصِّلَتْ آيَاتُهُ».

(٣) قرأ قالون وأبو عمرو بتسهيل الهمة الثانية بين يين مع إدخال الألف بينهما، وابن كثير وورش بالتسهيل من غير إدخال، وهشام بالإدخال مع التسهيل وتركه، والتسهيل مقدم له في الأداء، وبقية السبعة بالتحقيق من غير إدخال.

(٤) (٦)، تعين هذه الأيام بأسمائها على النحو الذي ساقه الخليلي هنا، أو في نحوها من الآيات، لا سند له، وهو مخالف لما قاله هو في تفسير سورة الفرقان آية (٥٩)، حيث قال: «من أيام الدنيا» أي: قدرها؛ لأنه لم يكن ثم شمس.

(٥) وهو قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، وقوله: «مستأنف، ولا يجوز عطفه على صلة «الذي»... إلخ» قال في حاشية الصاوي: «هذه العبارة في بعض النسخ، وهي معترضة بأنه لا محذور في الفصل بين المتعاطفين بالجمع المعترضة، ولا يقال: إنه وقع بين أجزاء صلة الموصول؛ لأنه يقال: الموصول قد استوفى صلته، ويغترف في التابع ما لا يغترف في التبوع؛ فالأولى إسقاط هذه العبارة، كما هو في بعض النسخ» اهـ.

آيات خلق السماوات والأرض في ستة أيام ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ الذي أمر به من فيها، من الطاعة والعبادة ﴿وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾ بنجوم ﴿وَحَفَظَهَا﴾ منصوب بفعله المقدس أي: حفظناها من استراق الشياطين السمع بالشهب ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيمِ﴾ بخلقه. [١٣] ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا يَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِمْ عَلَيْنَا ﴿مَلَكًا﴾ فَإِنَّا بِمَا نُرْسِلْتُمْ بِهِمْ عَلَى زَعَمِكُمْ ﴿كَافِرُونَ﴾.

[١٤] ﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: مقبلين عليهم ومدبرين عنهم فكفروا كما سيأتي، والإهلاك في زمنه فقط ﴿أَنْ، أَي: بَأْسٌ﴾ لَا تَقْبَلُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ عَلَيْنَا ﴿مَلَكًا﴾ فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِمْ عَلَى زَعَمِكُمْ ﴿كَافِرُونَ﴾.

[١٥] ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْخَبْءَ وَقَالُوا إِنَّا بِالْعِظَمَةِ مِنَ الْمُقْبِلِينَ قُلْ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ العظيمة من الجبل، يجعلها حيث يشاء ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ﴾ يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْغَنِيُّ خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

[١٦] ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدِفَهُمْ فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾ بكسر الحاء وسكونها<sup>(٢)</sup>؛ مشثومات عليهم ﴿لِنَدِفَهُمْ عَذَابُ الْخِزْيِ﴾ الذل ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى﴾ أشد ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ بمنعهم عنهم.

[١٧] ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ يثا لهم طريق الهدى ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى﴾ اختاروا الكفر ﴿عَلَى الْكُفْرِ فَخَذْنَا مِنْهُمُ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ المهين ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[١٨] ﴿وَبَيْنَمَا هُمْ مِنَ الْقَيْمِ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْتَقِبُونَ﴾ الله.

[١٩] ﴿وَإِذْ ذَكَرْنَا يُحْشَرُونَ﴾ بالياء والنون المفتوحة، وضم الشين وفتح الهمزة<sup>(٤)</sup> ﴿أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يساقون.

[٢٠] ﴿حَتَّى إِذَا مَا زَالَتْ رَاكِدَةً﴾ رازدة ﴿جَاءَهَا شَيْدٌ عَلَيْهِمْ سَمْعَهُمْ وَابْصَرُهُمْ وَيَسْمَعُونَهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

فَقَضَيْنَا سَمْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحَفَظْنَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ١٣ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ١٤ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا يَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِمْ كَافِرُونَ ١٥ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْخَبْءَ وَقَالُوا إِنَّا بِالْعِظَمَةِ مِنَ الْمُقْبِلِينَ أَلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ١٦ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدِفَهُمْ عَذَابُ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ١٧ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٨ وَبَيْنَمَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْتَقِبُونَ ١٩ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ٢٠ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ٢١

[٢٢] ﴿فَقَضَيْنَاهُمْ﴾ الضمير يرجع إلى السماء؛ لأنها في معنى الجمع الآيلة إليه؛ أي: صيرها ﴿سَمْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الخميس والجمعة<sup>(١)</sup>، فرغ منها في آخر ساعة منه، وفيها خلق آدم<sup>(٢)</sup>، ولذلك لم يقل هنا: سواء، ووافق ما هنا

(١) راجع ما تقدم في التعليق على تعيين هذه الأيام على هذا النحو.

(٢) ظاهر كلام المصنف أن آدم خلق في نفس اليوم الذي خلقت فيه السماوات، وهو خلاف المشهور من أن بين خلق آدم وحلقها آلافاً من السنين. أو يكون مراده: أنه خلق في مثل هذا اليوم، كما

تقول: ولد محمد يوم الإثنين، وتوفي يوم الإثنين.

(٣) يسكنونها قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) أي: الأخيرة من (أعداء)، وهي قراءة نافع، وقرأ بقية السبعة بالياء، ورفع (أعداء).



وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ يَشْهَدُوا عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْدَ إِيْمَاتِكُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنْ بَصِيرُوا فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ لَاهُوتٌ وَإِنْ تَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿١٤﴾ وَقَضَيْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَرِيقًا لَّهُمْ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِمُ الرُّسُلَ وَأَلَيْنَا الْقُرْآنَ فِي الْآخِرَةِ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْدَ إِيْمَاتِكُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِمُ الرُّسُلَ وَأَلَيْنَا الْقُرْآنَ فِي الْآخِرَةِ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْدَ إِيْمَاتِكُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِمُ الرُّسُلَ وَأَلَيْنَا الْقُرْآنَ فِي الْآخِرَةِ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْدَ إِيْمَاتِكُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِمُ الرُّسُلَ وَأَلَيْنَا الْقُرْآنَ فِي الْآخِرَةِ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْدَ إِيْمَاتِكُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِمُ الرُّسُلَ وَأَلَيْنَا الْقُرْآنَ فِي الْآخِرَةِ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْدَ إِيْمَاتِكُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴿٢١﴾ أَيُّ: إبليس وقايل (٢٢)؛ ساء الكفر والقتل ﴿تَجْعَلُهُمَا نَجَّةً أَقْدَامًا﴾ في النار ﴿يَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ أي: أشد عذاباً منا.

﴿٢١﴾ ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ يَشْهَدُوا عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: أراد نطقه ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قيل: هو من كلام الجلود، وقيل: هو من كلام الله - تعالى - كالذي بعده، وموقعه قريب مما قبله، بأن القادر على إنشائكم ابتداء وإعادتكم بعد الموت أحياء، قادرٌ على إنطاق جلودكم وأعضائكم.

﴿٢٢﴾ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ﴾ عن ارتكابكم الفواحش من ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ لأنكم لم توقنوا بالبعث ولكن ظننتم عند استناركم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْدَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿وَذَلِكُمْ﴾ مبتدأ ﴿ظَنُّكُمْ﴾ بدل منه ﴿الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ نعت، والخبر ﴿أَرَدْتُمْ﴾ أي: أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿فَإِنْ بَصِيرُوا﴾ على العذاب ﴿فَالْتَأَى مَثْوَى﴾ مأوى ﴿لَهُمْ﴾ وإن يستعجبوا يطلبوا العتبي أي: الرضا ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ المرصين (٢٥).

﴿٢٥﴾ ﴿وَقَضَيْنَا﴾ سبنا ﴿لَهُمْ قُرْآنًا﴾ من الشياطين ﴿فَرِيقًا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا واتباع الشهوات ﴿وَمَا خَلَقَهُمْ﴾ من أمر الآخرة، بقولهم: لا بعث ولا حساب ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بالعذاب، وهو: ﴿لَا تَلَذَّاتُمْ بِهِمْ﴾ الآية (١) ﴿فِي﴾ جملة ﴿أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ﴾ هلكت ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾.

﴿٢٦﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عند قراءة النبي ﷺ: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ زَيْفٌ﴾ اتوا باللعط ونحوه، وصبحوا في زمن قراءته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فيسكت عن القراءة.

﴿٢٧﴾ قال الله - تعالى - فيهم: ﴿فَلْيَذِيقُوا الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا سَيِّئًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرًا الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: أفيح جزاء عملهم.

﴿٢٨﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الشديد وأسرأ الجزاء ﴿جَزَاءً أَعَدَّهُ اللَّهُ﴾ بتحقيق الهزيمة الثانية وإبدالها واز (٢٩) ﴿النَّارُ﴾ عطف بيان للجزاء المخبر به عن ذلك ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ أي: إقامة لا انتقال منها ﴿جَزَاءً﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ القرآن ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

﴿٢٩﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في النار: ﴿رَبَّنَا آتِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنْ

(٢٠) ما جاء في نزول الآيات (٢٢ - ٢٤): أخرجه أحمد عن عبد الله (ابن مسعود) قال: كنت مستنيراً بأستار الكعبة فجاء ثلاثة غرة تفني وختاه قرشيان، كثير شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم. قال: فحدثوا بينهم حديث، قال: فقال أحدهم: أرى الله ﷻ يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع ما رفعنا، وما خفضنا لا يسمع، قال الآخر: إن كان يسمع شيئاً فهو يسمعه كله. قال: فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ قال: فزلت: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْدَ إِيْمَاتِكُمْ تَعْمَلُونَ﴾. أحمد (١/٤٤٤)، وصححه الأرنؤوط في تخريجه على المسند (٢٧٣/٧). وأخرجه في الصحيحين بدون ذكر الآيتين، وأخرجه الترمذي إلى قوله: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٢) ومن سورة حم السجدة.

(٢١) هود: ١١٩.

(٢٢) تحقيق الهزيمة الثانية هو قراءة حزمة والكسائي وعاصم وابن عامر، وإبدالها واوا هو قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢٣) هذا القول مروى عن علي بن أبي طالب عليه السلام؛ وتعب بأنه لا يصح عن علي عليه السلام؛ فإن قيس مؤمن عاصي. ويكون المقصود من قوله: ﴿الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾: فريقي شاططي النوعين المقيضين لهم الخاملين لهم على الكفر والمعاصي بالتسويل والتزيين.

تَخَافُوا ﴿٣٠﴾ من الموت وما بعده ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلقتكم من أهل وولد؛ فنحن نخلفكم فيه ﴿وَابْتَهِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

[٣١] ﴿تَحْنُ أُولَآئِكُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ أي: نحفظكم فيها ﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾ أي: نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ تطلبون.

[٣٢] ﴿تُزَلَّ﴾ رزقا مهيشا، منصوب بـ«جعل» مقدرا ﴿وَمِنْ عَفْوَ رَبِّهِمْ﴾ أي: الله.

[٣٣] ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ أي: لا أحد أحسن قولًا ﴿وَمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ بالتوحيد ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

[٣٤] ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ في جزئياتهما؛ لأن بعضهما فوق بعض ﴿أَدْفَعُ﴾ السيفة ﴿يَأْتِي﴾ أي: بالحصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالغضب بالصبر، والجهل بالحلم، والإساءة بالعفو ﴿فَإِذَا أَلَدَى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ أي: فيصير عدوك كالصديق القريب في محبته إذا فعلت ذلك، فـ«الذي» مبتدأ، و«كانه» الخبر، و«إذا» ظرف لمعنى التشبيه.

[٣٥] ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا﴾ أي: يؤتى الحصلة التي هي أحسن ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا أُولَآئِكَ حَقَّ ثَوَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[٣٦] ﴿وَمَا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ أي: يصرفك عن الحصلة وغيرها من الخير صارف ﴿فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف؛ أي: يدفعه عنك ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

[٣٧] ﴿وَمَنْ ءَاتَيْتَهُ آيَاتِنَا أَلِيلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ أي: الآيات الأربع ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

[٣٨] ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا﴾ عن السجود لله وحده ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: فاللائكة ﴿يَسْجُدُونَ﴾ يصلون ﴿لَمْ يَأْتِلِ وَالنَّهَارُ وَهُمْ لَا يَسْتَمُونَ﴾ لا يملون.

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَكْفُرُوا وَلَا تُجَاهِرُوا أَنْفُسَكُمْ بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣١﴾ تَحْنُ أُولَآئِكَ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣٢﴾ تَزَلَّ مِنْ عَفْوَ رَبِّهِمْ ﴿٣٣﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٤﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعُ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا أَلَدَى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا أُولَآئِكَ حَقَّ ثَوَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٦﴾ وَمَا يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٧﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَلِيلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٩﴾

[٣٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ على التوحيد وغيره مما وجب عليهم ﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عند الموت ﴿أَنَّهُنَّ بَانَ﴾

(١) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس قال: ﴿أَدْفَعُ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: الصبر عند الغضب، والعفو عند الإساءة؛ فإذا فعلوه عصمهم الله ورضعهم لهم عدوهم ﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة فصلت (٤١).

[٣٩] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُجِي الْمَوْتِ إِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٤٠] ﴿إِنْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ من الحلد ولحد<sup>(١)</sup> ﴿فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن بالتكذيب<sup>(٢)</sup> ﴿لَا يَخْشَوْنَ عَلَيْنَا﴾ فنجازيهم ﴿أَفَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ تَنْ يَأْتِي بِنُورٍ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تهديد بهم.

[٤١] ﴿إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ بنجازيهم ﴿وَلَهُمْ لَكِنُوبٌ عَرِيزٌ﴾ منيع.

[٤٢] ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطُلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ أي: ليس قبله كتاب يكذبه ولا بعده ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ أي: الله الحمود في أمره.

[٤٣] ﴿مَا يَقَالُ لَكَ﴾ من التكذيب ﴿إِلَّا﴾ مثل ﴿مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرٍ﴾ للمؤمنين ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ للكافرين.

[٤٤] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الذكر ﴿قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا هَذَا فَفُصِّلَتْ﴾ يثبت ﴿آيَاتُهُ﴾ حتى نفهمها ﴿أَلَمْ نَقْرَأْ﴾ قرآن ﴿أَعْجَمِيًّا﴾ نبي ﴿عَزِيزٍ﴾ استفهام إنكار منهم، بتحقيق الهمزة الثانية وقلبها ألفا، بإشباع ودونه<sup>(٣)</sup> ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَشِقَاءٌ﴾ من الجهل ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ﴾ نقل فلا يسمعونهُ ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ فلا يفهمونه ﴿أُولَئِكَ يُنَادُّونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: هم كالمنادي من مكان بعيد، لا يسمع ولا يفهم ما ينادي به.

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَاتَّخِذْ فِيهِ﴾ بالتصديق والتكذيب، كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿وَأَرْسَلْنَاهُمْ﴾ أي: المكذبين به ﴿لِكُلِّ شَكٍّ مِنْهُ مَرْسِلٌ﴾ موقع في الرية.

[٤٦] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ عمل ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَلَعَلَّهَا﴾ أي: فضرر إساءته على نفسه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَمِيدِ﴾ أي: بذئ ظلم؛ لقوله تعالى: ﴿إِنْ اللَّهُ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا لَدُّهُ﴾<sup>(٤)</sup>.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُجِي الْمَوْتِ إِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْشَوْنَ عَلَيْنَا أَمْ تَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ تَنْ يَأْتِي بِنُورٍ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَلَهُمْ لَكِنُوبٌ عَرِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبُطُلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرٍ لَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ؕ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِقَاقٌ وَلِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُّونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاتَّخِذْ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكُنِي شَكٍّ مِنْهُ مَرْيِبٌ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ؕ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَمِيدِ ﴿٤٦﴾

(١) يشير إلى الفرائض، فيفتح الياء والحاء ﴿يُلْحِدُونَ﴾ قرأ حمزة، من الحَخذ الثلاثي، وقرأ بقية السبعة ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضم الياء وكسر الحاء.

(٢) ومن الإلحاد في آيات الله تحريفها وتأويلها بغير ما قصد منها.

(٣) هذا سبق قلم من المفسر كقولهم، والصواب أن يقال: وتسهيل الثانية بإشباع ودونه؛ فالإشباع: هو إدخال ألف بين الحقة والسهلة، وعدمه: هو ترك الإشباع. قرأ حمزة والكسائي وشعبة بتحقيق الهمزة الثانية، وقرأ قبل وهشام - بخلاف عنهما - بالجر، والباقون بالاستفهام مع التسهيل بين يين، وكل على أصله.

(٤) النساء: ٤.

[٤٨] ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا من الأصنام ﴿وَوَطَّنُوا﴾ أبقوا ﴿مَّا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ﴾ مهرب من العذاب، والنفي في الموضعين<sup>(٢)</sup> معلق عن العمل، وحكمة النفي<sup>(٣)</sup> سُدَّتْ مسدِّد المفعولين.

[٤٩] ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعْوِ الْخَيْرِ﴾ أي: لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿فَيَتُوسَّ قُتُوطٌ﴾ من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافرين.

[٥٠] ﴿وَلَكِنْ لَمْ يَنْصَرِفْ مِنْ دَعْوِ الْخَيْرِ﴾ أي: لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿فَيَتُوسَّ قُتُوطٌ﴾ من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافرين.

[٥١] ﴿وَلَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعْوِ الْخَيْرِ﴾ أي: لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿فَيَتُوسَّ قُتُوطٌ﴾ من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافرين.

[٥٢] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عَدَايَ عَرِيضٌ﴾ أي: لا أحد ﴿أَضَلُّ مِنْهُ فِي شِقَاقٍ﴾ أي: لا أحد ﴿أَضَلُّ مِنْهُ فِي شِقَاقٍ﴾ أي: لا أحد ﴿أَضَلُّ مِنْهُ فِي شِقَاقٍ﴾ أي: لا أحد.

[٥٣] ﴿سَرُّهُمْ أَيْتَانَا فِي الْأَفَاقِ﴾ أي: القرآن ﴿الْحَقُّ﴾ المنزل من الله، بالبعث والحساب والعقاب، فيعاقبون على كفرهم به وبالجانبي به ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ فاعل ﴿يَكْفِ﴾ أي: لا أحد ﴿أَضَلُّ مِنْهُ فِي شِقَاقٍ﴾ أي: لا أحد ﴿أَضَلُّ مِنْهُ فِي شِقَاقٍ﴾ أي: لا أحد.

[٥٤] ﴿أَلَا يَأْتِيهِمْ فِي مَرَاتِبٍ﴾ أي: لا أحد ﴿أَضَلُّ مِنْهُ فِي شِقَاقٍ﴾ أي: لا أحد ﴿أَضَلُّ مِنْهُ فِي شِقَاقٍ﴾ أي: لا أحد.

\*\*\*

﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْذُنَاكَ مَا مَتَّانَ مِنْ شَهِيدٍ﴾ ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَطَّنُوا مَا لَهْمُ مِنْ مَّحِصٍ﴾ ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعْوِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَتُوسَّ قُتُوطٌ﴾ ﴿وَلَكِنْ أَدْقَنَاهُ رَحْمَةً مِمَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسَّهُ لِيَقُولَ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَكِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْحَسَنِ فَلَنُتَيَّقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسِيَ بَإِيجَانِيهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَدُودُ عَرِيضٍ﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عَدَايَ شَرٌّ كَقَرْنٍ بِهِ مِنْ أَضَلُّ مِنْهُ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿سَرُّهُمْ أَيْتَانَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾

[٤٧] ﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تكون، لا يعلمها غيره ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ﴾ وفي قراءة<sup>(١)</sup> ﴿ثَمَرَاتٍ﴾ ﴿مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ أوعيتها؛ جمع ﴿كَمٍّ﴾ بكسر الكاف، إلا يعلمه ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْذُنَاكَ﴾ أعلمناك الآن ﴿مَّا مَتَّانَ مِنْ شَهِيدٍ﴾ أي: شاهد بأن لك شريكاً.

(١) حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿ثَمَرَاتٍ﴾.

(٢) أي في قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ﴾، وقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ﴾، فالتنفي فيها معلق لكل من: ﴿أَذُنْ﴾، و﴿ظَنُّوا﴾، عن العمل لفظاً لا محلاً.

(٣) أي: في الموضعين: في قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ﴾، وقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ﴾، فالجملة الأولى سُدَّتْ مسدِّد مفعولي ﴿وَوَطَّنُوا﴾، والثانية: سُدَّتْ مسدِّد المفعول الثاني لـ ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ﴾، ومما المفعول الأول فهو كاف الخطاب في ﴿وَأَذُنَاكَ﴾.

(٤) وهي قراءة ابن ذكوان، وقرأ بقية السبعة: ﴿وَوَطَّنُوا﴾.

(٥) أي: قوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِنْهُ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾.

## سُورَةُ الشُّورَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ۖ عَسَقَ ۖ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ  
 اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۖ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ  
 وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۖ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ  
 وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي  
 الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ الرَّحِيمُ ۖ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا  
 مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ  
 ۖ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ  
 حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لِأَرْبَابٍ فِيهِ فِرْقَانٌ فِي الْجَنَّةِ وَفِرْقَانٌ فِي  
 السَّعِيرِ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ  
 يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۖ أَمْ  
 اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ  
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ  
 إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۖ

أُولَئِكَ ۖ أي: الناصر للمؤمنين، والفاء مجرد العطف ۖ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ.

[١٠] وَمَا اخْتَلَفْتُمْ ۖ مع الكفار ۖ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ ۖ من الدين وغيره ۖ وَحُكْمُهُ ۖ مردود ۖ إِلَى اللَّهِ ۖ يوم القيامة يفصل بينكم، قل لهم: ۖ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۖ أَرْجِعْ.

## سُورَةُ الشُّورَى

[مكية، إلا: ﴿قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ الآيات الأربع، ثلاث وخمسون آية، نزلت بعد فصلت]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ۖ حَمَّ ۖ.

[٢] ۖ عَسَقَ ۖ الله أعلم بمراحه به.

[٣] ۖ كَذَلِكَ ۖ أي: مثل ذلك الإيحاء ۖ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَ ۖ أوحى ۖ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ۖ الله ۖ فاعل الإيحاء ۖ الْعَزِيزُ ۖ في ملكه ۖ لَتَكُنَّ ۖ في صنعه.

[٤] ۖ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ ملكاً وخلقاً وعبداً ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ ۖ عسى خلقه ۖ الْعَظِيمُ ۖ الكبير.

[٥] ۖ تَكَادُ ۖ بالناء والياء <sup>(١)</sup> ۖ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ ۖ بالنون <sup>(٢)</sup>، وفي قراءة بالناء والتشديد ۖ مِنْ فَوْقِهِنَّ ۖ أي: تنشق كل واحدة فوق التي تليها، من عظمة الله - تعالى - ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ أي: ملاسین للحمد ۖ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۖ من المؤمنين ۖ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ ۖ لأوليائه ۖ الرَّحِيمُ ۖ هم.

[٦] ۖ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ۖ أي: الأصنام ۖ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ حَفِيفٌ ۖ مُخَصَّصٌ عَلَيْهِمْ ۖ ليجازيهم ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۖ تحصل المطلوب منهم وما عليك إلا البلاغ.

[٧] ۖ وَكَذَلِكَ ۖ مثل ذلك الإيحاء ۖ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ تَخْوُفٍ ۖ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۖ أي: أهل مكة وسائر الناس ۖ وَنُنْذِرَ النَّاسَ ۖ يَوْمَ الْجُمُعِ ۖ يوم القيامة، تجتمع فيه الخلائق ۖ وَلَا رَيْبَ ۖ شك ۖ فِيهِ فِرْقَانٌ ۖ منهم ۖ فِي الْجَنَّةِ وَفِرْقَانٌ فِي السَّعِيرِ ۖ النار.

[٨] ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ أي: على دين واحد، وهو الإسلام ۖ وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۖ وَالظَّالِمُونَ ۖ الكافرون ۖ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۖ يدفع عنهم العذاب.

[٩] ۖ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ۖ أي: الأصنام ۖ أَوْلِيَاءَ ۖ أم منقطعة بمعنى «بل» التي للانتقال، والهمزة للإنكار <sup>(٣)</sup>؛ أي: ليس المتخذون أولياء ۖ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ

(١) بالياء قراءة نافع والكسائي.

(٢) وهي قراءة أبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾.

(٣) في نسخة القاضي كنعان: «وهمرة الإنكار»؛ أي: إن «أم» بمعنى: همزة الإنكار.

﴿يَذَرُوكُمْ﴾ بالمعجمة؛ يخلفكم ﴿فِيهِ﴾ في الجغل المذكور؛ أي: يكثركم بسببه بالوولد، والضمير للأناسي والأنعام بالغليب ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الكاف زائدة؛ لأنه - تعالى - لا مثل له ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿الْبَصِيرُ﴾ لما يفعل.

[١٢] ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مفاتيح خزائنها؛ من المطر والنبات وغيرهما ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاءً ﴿إِنَّهُ يَكُلُّ شَيْءٌ عَلِيمٌ﴾.

[١٣] ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ هو أول أنبياء الشريعة<sup>(١)</sup> ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَتُوا الدِّينَ﴾ ولا تفرقوا فيه؛ هذا هو المشروع الموصى به، والموصى إلى محمد ﷺ وهو التوحيد ﴿كَرَّ﴾ عظم ﴿عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ما ندعوهم إليه من التوحيد ﴿أَنَّهُ يَجْعَلُ الْيُسْرَىٰ إِلَىٰ﴾ إلى التوحيد ﴿مِنَ الشَّيْءِ وَيَهْدِي إِلَىٰ﴾ يُنبئ ﴿بِقُلُوبِهِمْ﴾ يقبل إلى طاعته.

[١٤] ﴿وَمَا تَفْقَهُوا﴾ أي: أهل الأديان في الدين، بأن ومحد بعض، وكفر بعض ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَلَاءُ﴾ بالتوحيد ﴿بَعَثْنَا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٌ﴾ فإذ ذلك قَادَعُ وَأَسْتَقَمَ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْتُمْ فَكُنْ بِجَارِي بِعَمَلِهِ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ

[١٥] ﴿فَإِذْلِكُ﴾ التوحيد ﴿قَادَعُ﴾ يا محمد الناس ﴿وَأَسْتَقَمَ﴾ عليه ﴿كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ في تركه ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ﴾ أي: بأن أعدل ﴿بَيْنَكُمْ﴾ في الحكم ﴿أَنَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْتُمْ﴾ فكُنْ بِجَارِي بِعَمَلِهِ ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ في المعاد لفصل القضاء ﴿وَالِئِنَّ الْمَصِيرُ﴾ المرجع.

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٣﴾ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٤﴾ وَمَا تَفْقَهُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَلَاءُ بَعْثْنَا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٌ ﴿١٥﴾ فَلِذَلِكَ قَادَعُ وَأَسْتَقَمَ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْتُمْ لَاحُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

[١٦] ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُبْدِعُهُمَا ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ حيث خلق حواء من ضلع آدم ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ ذكورا وإناثا

(١) أي أول الرسل الذين جاءوا بشرية شاملة؛ كما في حديث الشفاعة المشهور في الصحيحين وغيرهما، وفيه: «ولكن اتوا نوحا؛ فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض»، وأما آدم فإنه أول نبي.

[١٦] ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي دِينٍ﴾ الله ﴿نبيه﴾ ﴿مَنْ بَعْدَ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ﴾ بالإنسان، لظهور معجزته <sup>(١)</sup> وهم اليهود ﴿وَجَنَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ باطلة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَتَيْتُمْ عَصَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

[١٧] ﴿إِنَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿يَالْحَقُّ﴾ متعلق به ﴿أَنْزَلَ﴾ ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل ﴿وَمَا يَدْرِيكَ﴾ يُعَلِّمُكَ ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ﴾ أي: إتيانها ﴿قَرِيبٌ﴾ والعل، معلق للفعل <sup>(٢)</sup> عن العمل، وما بعده سد مسد المفعولين.

[١٨] ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ يقولون: متى تأتي؟ ضلّا منهم أنها غير آتية ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ﴾ خائفون ﴿مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ الْآلَاءُ إِنَّ الَّذِينَ يُحَارُونَ ﴿يَجَادِلُونَ﴾ فِي السَّاعَةِ لِيَصْلَحَ بَعِيدٌ.

[١٩] ﴿إِنَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ بَرَّهُمْ وَفَاجِرُهُمْ؛ حيث لم يهلكهم جوعاً بمعاصيهم ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ من كل منهم ما يشاء ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ﴾ على مراده ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره.

[٢٠] ﴿مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ أي: كسبها، وهو الثواب ﴿زِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ بالتضعيف فيه؛ الحسنه إلى العشرة وأكثر ﴿وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُفَتْهُ﴾ منها؛ بلا تضعيف، ما قسم له ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾.

[٢١] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿لَهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿شُرَكَاءُ﴾ هم شياطينهم ﴿شَرَعُوا﴾ أي: الشركاء ﴿لَهُمْ﴾ للكفار ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ الفاسد ﴿مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ كالشرك وإنكار البعث ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ أي: القضاء السابق، بأن الجزاء في يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا ﴿وَلِلَّهِ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٢٢] ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ يوم القيامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿وَمَا كَسَبُوا﴾ في الدنيا من السيئات، أن يجازوا عليها ﴿وَهُوَ﴾ أي: الجزاء عليها ﴿وَأَقْعَمَ بِهِمْ﴾ يوم القيامة لا محالة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ﴾ الْجَنَّاتِ ﴿أَنْزَهَا﴾ بالنسبة إلى من دونهم ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَصَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ إِنَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُفَتْهُ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الَّذِينَ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

(١) في نسخة القاضي: «معجزاته».

(٢) وهو: «يدريك».

القول وغيره، وقد فعل<sup>(٢)</sup> ﴿وَمَنْ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ الذي قاله ﴿وَيُحْيِي الْمَيِّتَ﴾ يشيئه ﴿بِكَلِمَةٍ﴾ المنزلة على نبيه ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِ يَدَاتُ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب.

[٢٥] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ منهم ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ المُنَابِغَ عَنْهَا ﴿وَيَعْلَمُ مَا يُفْعَلُونَ﴾ [بالياء والناء<sup>(٣)</sup>].

[٢٦] ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يجيبهم إلى ما يسألون<sup>(٤)</sup> ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وَالْكَافِرُونَ هُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ.

[٢٧] ﴿وَلَوْ سَئَلُوكَ الرَّزْقَ لِيَعْبَادِهِ﴾ جميعهم ﴿لَعَرَّأَ﴾ جميعهم؛ أي: طغوا ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يَنْزِلُ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٥)</sup>؛ من الأرزاق ﴿بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ فيسقطها لبعض عباده دون بعض وينشأ عن البسط البغي ﴿إِنَّمَا يَعْبَادُونِي﴾ خَيْرٌ بِصِيرٍ.

[٢٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ﴾ المطر ﴿مِنْ بَيْنِ مَا قَنَطُوا﴾ يشسوا من نزوله ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ يسط مطره<sup>(٦)</sup> ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾ المحسن للمؤمنين ﴿الْحَكِيمُ﴾ المحمود عندهم.

[٢٩] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خلق ﴿مِمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ونشر ﴿فِيهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ هي ما يدب على الأرض<sup>(٧)</sup> من الناس وغيرهم ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ﴾ للحشر ﴿إِذَا بَشَأَ قَدِيرٌ﴾ في الضمير تغليب العاقل على غيره.

[٣٠] ﴿وَمَا أَصْبَحْتُمْ﴾ خطاب للمؤمنين<sup>(٨)</sup> ﴿مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ بلية وشدة ﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: كسبت من الذنوب، وعبر بالأيدي؛ لأن أكثر الأفعال تُزاول بها ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ منها؛ فلا يجازي عليه، وهو - تعالى - أكرم من أن ينشي الجزاء في الآخرة، وأما غير المذنبين فما يصيبهم في الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة.

[٣١] ﴿وَمَا أَنْتُمْ﴾ يا مشركون ﴿بِمُعْجِزَاتِ اللَّهِ﴾ هرباً ﴿فِي الْأَرْضِينَ﴾ فتفوتوه ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يدفع عذابه عنكم.

ذَلِكَ الَّذِي يُبَيِّنُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿فَلَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ وَمَنْ يَقْرَأْ حَسَنَةً تَرْدْهَا فِيهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَزَّلْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّا بِمَا يَخْتَرُ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَبِمَخْرِجِ اللَّهِ الْبَاطِلِ وَيُحْيِي الْمَيِّتَ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٣﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَلَوْ سَئَلُوكَ الرَّزْقَ لِيَعْبَادِهِ لَبَعَثُوا إِلَّا لَأَنزِلُكَ يَنْزِلًا يُفْقَرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَمِمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ دَابَّةٌ مِمَّا تَخْلُقُونَ ﴿٣٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَيْنِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَمِمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ دَابَّةٌ مِمَّا تَخْلُقُونَ ﴿٣٨﴾ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَمَا أَصْبَحْتُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٤١﴾

[٢٣] ﴿ذَلِكَ الَّذِي يَبَيِّنُ﴾ من البشارة مخففاً ومثلاً<sup>(١)</sup> به ﴿اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فُلَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن أسألكم أن تؤثروا قرابتي، التي هي قرابتكم أيضاً، فإن له في كل بطن من قريش قرابة ﴿وَمَنْ يَقْرَأْ﴾ يكتب ﴿حَسَنَةً طَاعَةً تَرْدْهَا فِيهَا حَسَنًا﴾ بتضعيفها ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ﴾ للقليل فيضاعفه.

[٢٤] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ أَفَنَزَّلْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة القرآن إلى الله - تعالى - ﴿إِنَّا يَسِّرَ اللَّهُ يَخْتَرُ﴾ يربط ﴿عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ بالصبر على أذاهم بهذا

(١) ﴿يَبَيِّنُ﴾ مخففاً قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿يُبَيِّنُ﴾.

(٢) الراجح وعليه أكثر المفسرين أن هذه الآية كقوله - تعالى -: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ بِكُلِّ سُلُوكٍ﴾، والمراد منها الاستشهاد على بطلان ما قالوا ببيان أنه لا ينزل القرآن على الله كذا لمعنى من ذلك قطعاً فخرج على قلبه بحيث لم يخطر بباله معنى من معانيه، ولم ينطق بحرف من حروفه، وهذا الأسلوب مؤداة استبعاد الافتراء من مثله.

(٣) بالياء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بataan.

(٤) ﴿فِيهَا حَسَنًا﴾ في موضع نصب، وقيل: بل في موضع رفع، والمعنى يستجيبون لربهم فيقادون له ويلبسون دعوتهم، فإذا فعلوا ذلك شكر لهم ورادهم توفيقاً ونشاطاً على العلم ومضاعفة في الأجر. وهذا القول أقرب، والله أعلم.

(٥) بالتخفيف قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتشديد.

(٦) الصحيح أن الرحمة صفته - سبحانه وتعالى - وهي غير المطر، وهو من آثار رحمته، التي هي أعم ووسعت كل شيء.

(٧) ظاهر الآية يفيد ما يدب على السماء كذلك من ملائكة، وبه قال بعض المفسرين، بل ذهب بعض الباحثين إلى وجود حيوانات كحيوانات الأرض ولوارم حياتها من نباتات وأشجار وبحار وأنهار هنالك، واستبعده عنهم من أهل العلم.

(٨) الظاهر أن الخطاب عم للمؤمنين وغيرهم.



[٣٢] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ كَالْجَمَالِ فِي الْعِظَمِ.

[٣٣] ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ﴾ يَصْرَنَ ﴿رَوَاكِدٌ﴾ ثَوَابِتٌ لَا تَجْرِي ﴿عَلَى ظُهُورِهِ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿هُوَ الْمُؤْمِنُ يَصْبِرُ فِي الشَّدَةِ، وَيَشْكُرُ فِي الرِّخَاءِ﴾.

[٣٤] ﴿أَوْ يُوقِعْهُنَّ﴾ عَطَفَ عَلَى ﴿يُسْكِنُ﴾؛ أَي: يَفْرَقُهُنَّ بِغَضَبِ الرِّيحِ بِأَمَلُهُنَّ ﴿يَمَّا كَسَبُوا﴾ أَي: أَمَلَهُنَّ مِنَ الذَّنُوبِ ﴿وَيَعُفُّ عَنْ كَثِيرٍ﴾ مِنْهَا، فَلَا يَفْرُقُ أَهْلَهُ.

[٣٥] ﴿وَيَعْلَمُ﴾ بِالرَّفْعِ مُسْتَأْنَفٌ، وَبِالنَّصْبِ <sup>(١)</sup> مَعْطُوفٌ عَلَى تَعْلِيلٍ مُقَدَّرٍ؛ أَي: يَفْرَقُهُمْ لِتَقْتِصِ مِنْهُمْ، وَيَعْلَمُ ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ نَجْدٍ﴾ مَهْرَبٌ مِنَ الْعَذَابِ، وَجَمَلَةُ النَّفْيِ سَدَّتْ مَسَدَ مَفْعُولِي «يَعْلَمُ»، وَالتَّنْفِي مَعْلُوقٌ عَنِ الْعَمَلِ.

[٣٦] ﴿فَمَا أُوَيْتُمْ﴾ خُطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرِهِمْ ﴿وَمِنْ شَيْءٍ﴾ مِنْ أَثَاتِ الدُّنْيَا ﴿فَمَتَّعَ الْآخِرَةَ الدُّنْيَا﴾ يَمْتَنِعُ بِهِ فِيهَا، ثُمَّ يَزُولُ ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ مِنَ الثَّوَابِ ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

[٣٧] ﴿وَيُعْطَى عَلَيْهِ﴾ <sup>(٢)</sup>، ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ كِبَرُ الْأَرْثَمِ وَالْفَوْجِشِ﴾ مُوجِبَاتِ الْحُدُودِ، مِنْ عَطْفِ الْبَعْضِ عَلَى الْكُلِّ ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ يَتَجَاوَزُونَ.

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أَجَابُوهُ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْعِبَادَةِ ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أَدَامُوهَا ﴿وَأَنفَقُوا﴾ الَّذِي يَبْدُو لَهُمْ ﴿شُرَىٰ يَبْنُهُمْ﴾ يَتَشَاوَرُونَ فِيهِ وَلَا يَعْمَلُونَ ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ عَطَيْنَاهُمْ ﴿يَتَفَقَّهُونَ﴾ فِي طَاعَةِ اللَّهِ. وَمِمَّنْ ذَكَرَ صَف.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْغَصَ﴾ الظُّلْمُ ﴿هُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ صَنَفٌ؛ أَي: يَنْتَقِمُونَ مِنَ ظُلْمِهِمْ بِمَشْ ظَلَمِهِ، كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: [٤٠] ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَ سَيِّئَةٍ يَنْتَهُأ﴾ سَمِيتِ الثَّانِيَةَ سَيِّئَةً لِمِشَابَتِهَا لِلأُولَى فِي الصُّورَةِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ فِيمَا يَقْتَضِي فِيهِ مِنَ الْجَرَاحَاتِ، قَالَ بَعْضُهُمْ: وَإِذَا قَالَ لَهُ: أَخْرَاكَ اللَّهُ؛ فَيَجِيبُهُ: أَخْرَاكَ اللَّهُ ﴿فَمَنْ عَفَاكَ﴾ عَنْ ظُلْمِهِ ﴿وَأَسْلَحَ﴾ الْوَدَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْفُو عَنْهُ ﴿فَاجْرُمُ عَلَى اللَّهِ﴾ أَي: إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْرُهُ لَا مُحَالَةً ﴿إِنَّهُمْ لَا يَحِبُّونَ الظَّالِمِينَ﴾ أَي: الْبَادِيْنَ بِالظُّلْمِ، فَيَتَرْتَبُ <sup>(٣)</sup> عَلَيْهِمْ عِقَابُهُ <sup>(٤)</sup>.

[٤١] ﴿وَلَمَّا أَتَتْهُمْ أَعْوَابُ الْأَعْدَابِ﴾ ظَلَمَ الظَّالِمُ إِيَّاهُ ﴿فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنَ سَبِيلٍ﴾ مَوَاحِدَةٌ.

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظُهُورِهِ ﴿٣٣﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٤﴾ أَوْ يُوقِعْهُنَّ يَمَّا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٥﴾ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ نَجْدٍ ﴿٣٦﴾ فَمَا أُوَيْتُمْ خَطَابًا لِلْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرِهِمْ وَمِنْ شَيْءٍ مِنْ أَثَاتِ الدُّنْيَا ﴿٣٧﴾ وَمَتَّعَ الْآخِرَةَ الدُّنْيَا الَّذِينَ يَمْتَنِعُونَ بِهَا فِيهَا، ثُمَّ يَزُولُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٨﴾ وَيُعْطَى عَلَيْهِ ﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ كِبَرُ الْأَرْثَمِ وَالْفَوْجِشِ ﴿٤٠﴾ مُوجِبَاتِ الْحُدُودِ، مِنْ عَطْفِ الْبَعْضِ عَلَى الْكُلِّ ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ يَتَجَاوَزُونَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ أَجَابُوهُ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْعِبَادَةِ ﴿٤٢﴾ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ أَدَامُوهَا ﴿٤٣﴾ وَأَنفَقُوا الَّذِي يَبْدُو لَهُمْ شُرَىٰ يَبْنُهُمْ يَتَشَاوَرُونَ فِيهِ وَلَا يَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ عَطَيْنَاهُمْ يَتَفَقَّهُونَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ. وَمِمَّنْ ذَكَرَ صَف.

[٤٢] ﴿إِنَّمَا أَسْأَلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَعُونَ﴾ يَعْمَلُونَ ﴿فِي الْأَرْضِ يُعَذِّبُ الْحَقُّ﴾ بِالْمَعَاصِي ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مُؤَلِمٌ. [٤٣] ﴿وَلَمَّا أَتَتْهُمْ أَعْوَابُ الْأَعْدَابِ﴾ فَلَمْ يَنْتَصِرْ ﴿وَعَفَّرَ﴾ تَجَاوَزَ ﴿إِنْ ذَلِكَ﴾ الصَّبْرُ وَالْتِجَارُ ﴿لَمَّا أَتَتْهُمْ الْأَعْوَابُ﴾ أَي: مَعَزُومَاتُهَا، بِمَعْنَى الْمَطْلُوبَاتِ شَرْعًا. [٤٤] ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أَي: أَحَدٌ بِلِي هُدَايَتِهِ، بَعْدَ إِضْلَالِ اللَّهِ إِيَّاهُ ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَفٍّ إِلَى الدُّنْيَا﴾ مِنْ سَبِيلٍ طَرِيقٌ؟

(١) بِالرَّفْعِ قِرَاءَةٌ نَافِعٌ وَابْنُ عَامَرٍ، وَقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالنَّصْبِ؛ «وَيَعْلَمُ».

(٢) فِي بَعْضِ النُّسخِ الْمَطْبُوعَةِ: «عَلَيْهِمْ»، وَالصَّوَابُ الْمَثْبُوتُ؛ أَي: عَلَى قَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

(٣) فِي نَسْخَةِ الْقَاضِي: «فَيَتَرْتَبُ».

(٤) هَذَا مِنْ أَكْثَرِ عَدَمِ مَجْنَبِ كَلِمَاتِ لِلظَّالِمِينَ، وَلَيْسَ هَذَا تَفْسِيرٌ مُقَابِلُ الْحَقَّةِ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ الْمَفْسَرِ غَفَرَ اللَّهُ لَنَا وَلَهُ، فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الصِّفَةِ بِأَثَرِهَا وَلِوَازِمِهَا.

الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٤٦﴾ بتخليدهم في النار، وعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في الجنة، لو آمنوا، والموصول: خبر «إن» ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ دائم، هو من مقول الله تعالى ..

[٤٦] ﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أُولِيَاءَ يَصُورُهُمْ بَيْنَ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره، يدفع عذابه عنهم ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ قَدْ لَمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ طريق إلى الحق في الدنيا، وإلى الجنة في الآخرة.

[٤٧] ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ أجيبوه بالتوحيد والعبادة ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ هو يوم القيامة ﴿لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ﴾ أي: أنه إذا أتى به لا يردده ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ﴾ تلجؤون إليه ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ إنكار للنزوبكم.

[٤٨] ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الإجابة ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ تحفظ أعمالهم، بأن توافق المطلوب منهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿وَيَا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مَتَا رَحْمَةً مِنَّا رَحْمَةً﴾ نعمة<sup>(١)</sup>؛ كالغنى والصحة ﴿فَرِحَ﴾ بآ وإن نصيبهم ﴿الضمير للإنسان باعتبار الجنس سَيِّئَةً﴾ بلاء ﴿يَمَّا قَدَّمْتُ أَيْدِيَهُمْ﴾ أي: قدّموه، وغير بالأيدي؛ لأن أكثر الأفعال تراول بها ﴿فَإِنْ الْإِنْسَانُ كَفُورٌ﴾ للنعمة.

[٤٩] ﴿يَلَلَهُ مِثْلُ الْمُنْتَلَى﴾ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ من الأولاد ﴿وَيَنْتَأَى وَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الدُّكُورُ﴾.

[٥٠] ﴿أَوْ يَرْزُقْهُمْ﴾ أي: يجعلهم ﴿ذُرِّيًّا وَابْنًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ فلا يلد ولا يولد له ﴿إِنَّمَا عَلِيمٌ﴾ بما يخلق ﴿ذَوِيرٌ﴾ على ما يشاء<sup>(٢)</sup>.

[٥١] ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا﴾ أن يوحى إليه ﴿وَحَيًّا﴾ في المنام أو بالهام ﴿أَوْ﴾ إلا ﴿مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ بأن يسمعه كلامه ولا يراه؛ كما وقع لموسى عليه السلام ﴿أَوْ﴾ إلا أن ﴿رُسُلًا﴾ ملكًا كجبريل ﴿فَيُوحِي﴾ الرسول إلى المرسل إليه؛ أي: يكلمه ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أي: الله ﴿وَمَا يَشَاءُ﴾ الله ﴿إِنَّمَا عَلِيمٌ﴾ عن صفات المحدثين<sup>(٣)</sup> ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ ﴿٤٧﴾ من طرف خفي ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ إِلَّا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٨﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أُولِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٩﴾ أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٥٠﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مَتَا رَحْمَةٍ فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٥١﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِ شَاءَ إِنِ شَاءَ وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الدُّكُورَ ﴿٥٢﴾ أَوْ يَرْزُقْهُمْ ذُرِّيًّا وَابْنًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ وَعَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٣﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥٤﴾

[٤٥] ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: النار ﴿خَشِيعَاتٍ﴾ خافقين متواضعين ﴿مِنْ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ﴾ إليها ﴿مِنْ طَرَفٍ خَفِيِّ﴾ ضعيف النظر، مسارقة، ومن ابتدائية، أو بمعنى الباء ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ﴾

(١) النعمة من آثار الرحمة، وهذا يلزم منه إثبات صفة الرحمة صفة لله قائمة بذاته.

(٢) الصواب عدم تقييد القدرة بالمشيئة، فظاهر القرآن إثبات القدرة المطلقة، وهذا هو الأكمل والأحسن في الصفة. وما أثبت المفسر كقولهم إنما هو منه جرياً على طريقة الأشاعرة.

(٣) وهذا من قصر العلم على بعض أفراد؛ فضلاً عن كون هذه العبارة موهمة ويستخدمها البعض لنفي الصفات الناجية لله تعالى، والآية من أدلة إثبات صفة العلم التام لله تعالى ذاتاً وقهراً وشأناً.

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ  
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا  
وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ  
مَافِي السَّمٰوٰتِ وَمَافِي الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

## سُورَةُ الزُّحْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿٥١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٥٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا  
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٥٣﴾ وَاللَّهُ فِي أُمْرِ الْكِتَابِ لَدِينًا  
لَّعَلَّ حَكِيمٌ ﴿٥٤﴾ أَفَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا  
أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّشْرِفِينَ ﴿٥٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي  
الْأَوَّلِينَ ﴿٥٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥٧﴾  
فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٥٨﴾  
وَلَكِن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لِيَقُولُنَّ  
خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٥٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ  
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٦٠﴾

[٨] ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ من قومك ﴿بَطْشًا﴾ قوة ﴿وَمَضَى﴾ سبق  
في آيات ﴿مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ صفتهم في الإهلاك، فعاقبة قومك كذلك.  
[٩] ﴿وَلَكِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لِيَقُولُنَّ﴾  
حذف منه نون الرفع؛ لتوالي التونات، وواو الضمير لالتقاء الساكنين  
﴿خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ آخر جوابهم أي: الله ذو العزة والعلم.  
[١٠] زاد - تعالى :: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فإرشا كالمهد  
للصبي ﴿وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقا ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى  
مقاصدكم في أسفاركم.

[٥٢] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: مثل إباحتنا إلى غيرك من الرسل ﴿أَوْحَيْنَا  
إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿رُوحًا﴾ هو القرآن، به تحيا القلوب ﴿وَمِنْ أَمْرِنَا﴾ الذي  
نوحيه إليك ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي﴾ تعرف قبل الوحي إليك ﴿مَا الْكِتَابُ﴾ القرآن  
﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾ أي: شرائعه ومعالجه، والنفي معلق للفعل عن العمل، وما بعده  
سد مسند المفعولين ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الروح، أو الكتاب ﴿نُورًا نَّهْدِي بِهِ﴾  
من نشاء من عبادنا ﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدِي﴾ تدعو بالوحي إليك ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾ طريق  
﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام.  
[٥٣] ﴿صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا  
وعبيدا ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ ترجع.

## سُورَةُ الزُّحْرِ

[مكة، وقيل: إلا: ﴿رَسَلْنَا مَن أَرْسَلْنَا﴾ الآية،

تسع وثمانون آية، نزلت بعد الشورى]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمْدٌ﴾ الله أعلم بمراده به.  
[٢] ﴿وَالْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْمُبِينِ﴾ المظهر طريق الهدى وما يحتاج إليه  
من الشريعة.  
[٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ أوجدنا<sup>(١)</sup> الكتاب ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب  
﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تَعْقِلُونَ﴾ تفهمون معانيه.  
[٤] ﴿وَأَنَّهُ﴾ مثبت ﴿فِي أُمْرِ الْكِتَابِ﴾ أصل الكتب؛ أي: اللوح  
المحفوظ ﴿لَدِينًا﴾ بدل عندنا ﴿لَّعَلَّ﴾ على الكتب قبله ﴿حَكِيمٌ﴾ ذو  
حكمة بالغة.  
[٥] ﴿أَفَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ﴾ غمسك ﴿عَنْكُمُ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿صَفْحًا﴾  
إمساکًا، فلا تؤمرون ولا تنهون لأجل ﴿أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّشْرِفِينَ﴾  
مشركين؟ لا.  
[٦] ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾.  
[٧] ﴿وَمَا﴾ كان ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ أتاهم ﴿مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾  
كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﷺ.

(١) تفسير الجعل بالإيجاد مبني على القول بخلق القرآن، والصواب تفسيره بالإزلال أو نحوه، مما ذكر أصحاب السنة من المفسرين؛ كابن جرير والبخاري وغيرهما؛ لأنه جعل هنا متعلل إلى مفعولين، فلا يكون بمعنى الخلق والإيجاد، بل بمعنى التصيير ونحوه.

وهو مجرور في الأول<sup>(١)</sup>، أي: فيه، منصوب في الثاني<sup>(٢)</sup>.

[١٣] ﴿لِيَسْتَوِيَا﴾ لتستويا ﴿وَعَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾ ذكر الضمير، وجمع الظهر؛ نظرا للفظ «ما» ومعناها ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لِمُفْرَيْنَ﴾ مطيقين.

[١٤] ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقِلُونَ﴾<sup>(٣)</sup> لمنصرفون.

[١٥] ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ حيث قالوا: الملائكة بنات الله؛ لأن الولد جزء من الولد، والملائكة من عبادته - تعالى - ﴿إِنِ الْإِنْسَانُ مَا تَقْدُم﴾ لكفور مؤيد<sup>(٤)</sup>، يبين ظاهر الكفر.

[١٦] ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار، والقول مقدر؛ أي: أقولون ﴿أَتَتَّخِذَ يَمَانًا﴾ يتخلى بنات لنفسه ﴿وَأَصْفَكَم﴾ أحلصكم ﴿يَالْيَتِيمَ﴾ اللازم من قولكم السابق، فهو من جملة المنكر.

[١٧] ﴿وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا صَرَبَ لِرَحْمَتٍ مِّثْلًا﴾ جعل له شبهة بنسبة البنات إليه؛ لأن الولد يشبه الولد؛ المعنى: إذا أخبر أحدهم بالبنات تولد له ﴿ظَلًّا﴾ صار ﴿وَجَعَلُوا مَسْوَدًا﴾ متغيرا تغير معتم<sup>(٥)</sup> ﴿وَهُوَ كَلِيمٌ﴾ عتسى غمًا، فكيف ينسب البنات إليه، تعالى عن ذلك.

[١٨] ﴿أَوْ﴾ همزة الإنكار، واو العطف، بجملة<sup>(٦)</sup>؛ أي: يجعلون لله ﴿مَنْ يُنْشَأُ فِي الْحَيَاةِ﴾ الزينة ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ مظهر الحجة<sup>(٧)</sup>؛ لضعفه عنها بالأثوثة!

[١٩] ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنِ شَاءَ أَشْهَادًا﴾ حضروا ﴿خَلَقَهُمْ سَكَنًا﴾ شهدتهم ﴿بأنهم إناث﴾ ورُسُلون<sup>(٨)</sup> عنها في الآخرة، فيرتب عليهم العقاب.

[٢٠] ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ أي: الملائكة، فعبادتنا إياهم بمشيئته، فهو راض بها، قال - تعالى -: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾ المقول من الرضا بعبادتها ﴿وَمِنْ عِلْمِنَا﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْضَعُونَ﴾ يكذبون فيه، فيرتب عليهم العقاب به.

[٢١] ﴿أَمْ أَنَبَّيْنَاهُمْ سَكَنًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن، بعبادة غير الله ﴿فَهُمْ بِهِ مُسْتَسْكِنُونَ﴾ أي: لم يقع ذلك.

[٢٢] ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَاهُ غَائِبًا عَلَيْنَا أَنَّهُ﴾ ملة ﴿وَإِنَّا﴾ ماشون ﴿عَلَيْنَا أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ بهم، وكانوا يعبدون غير الله.

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٣﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمُ مِنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٤﴾ لِيَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٥﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقِلُونَ ﴿١٦﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنِ الْإِنْسَانُ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٧﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَكَم بِالْبَنِينَ ﴿١٨﴾ وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا صَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٩﴾ أَوْ مَنْ يُنْشَأُ فِي الْحَيَاةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿٢٠﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنِ شَاءَ أَشْهَادًا خَلَقَهُمْ سَكَنًا سَهَدَتْ لَهُمْ وَيُسَلُّونَ ﴿٢١﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنِ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٢﴾ أَمْ أَتَيْنَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَسْكِنُونَ ﴿٢٣﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَاهُ غَائِبًا عَلَيْنَا أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾

[١١] ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ أي: بقدر حاجتكم إليه، ولم ينزله طوفانا ﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ﴾ أحيينا ﴿بِهِ﴾ بِلَدَةٍ مَيْتًا كَذَلِكَ ﴿أَي:﴾ مثل هذا الإحياء ﴿تُخْرَجُونَ﴾ من قبوركم أحياء.

[١٢] ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ السَّفَنَ﴾ السفن ﴿وَالْأَنْعَامَ﴾ كالإبل ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ تحذف العائد اختصارًا،

(ه) فائدة: أخرج مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر كبر ثلاثا، ثم قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لِمُفْرَيْنَ﴾. وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقِلُونَ. اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا... الحديث. مسلم - كتاب الحج (١٥) باب (٧٥) ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره.

(١) أي: إذا أعيد إلى الفلك، والمعنى: «جعل لكم من الفلك ما تركبون».

(٢) أي: إذا أعيد إلى الأنعام، والمعنى: «جعل لكم من الأنعام ما تركبونها».

(٣) أي: هما كلمتان حرفان، لا كلمة واحدة.

(٤) هي نسخة القاصي كنعان: «الحجة».

[٢٣] ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَكُهَا أَتَسْمَعُونَ ﴿٢٤﴾ فَأُولَئِكَ يَفْتَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

[٢٤] ﴿إِنْ أَفْئِدَتُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ لَا تَرَوْنَ عَنْهَا ظَنًّا﴾

[٢٥] قال - تعالى - تخوفنا لهم: ﴿فَأَنقَضْنَا بِغَيْبٍ﴾

[٢٦] ﴿وَأَذْكَرَ﴾

[٢٧] ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾

[٢٨] ﴿وَجَعَلَهَا﴾

[٢٩] ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ﴾

[٣٠] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾

[٣١] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾

[٣٢] ﴿أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾

[٣٣] ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

[٣٤] ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

[٣٥] ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

[٣٦] ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

[٣٧] ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

[٣٨] ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

[٣٩] ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

[٤٠] ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

[٤١] ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

[٤٢] ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

[٤٣] ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

[٤٤] ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

[٤٥] ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

[٤٦] ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَكُهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ قُلْ أُولَئِكَ يَفْتَرُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٦﴾ وَكَانَ عَقِبَهُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٠﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٣١﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣٣﴾ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ فَعِشْتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْخًا وَرَحْمَتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُظْهِرُونَ

يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُظْهِرُونَ ﴿٣٥﴾ بدل من «لمن» ﴿سُقْفًا﴾ بفتح السين وسكون القاف، وبضمهما<sup>(١)</sup>؛ جمعا ﴿مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ كالدرج من فضة ﴿عَلَيْهَا يَطْهَرُونَ﴾ يعلون إلى السطح.

(١) وهي قراءة السبعة عدا حفص وابن عامر، وقرا بقية السبعة: ﴿قَالَ﴾.

(٢) المراد بقوله: ﴿وجعلناها﴾ يحتمل أن يكون الله تعالى، ويحتمل أن يكون إبراهيم - عليه السلام -؛ فقولان للمفسرين، ويدل على الثاني قوله تعالى: ﴿وَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ ذَيْبًا وَتَقَوَّى﴾ الآية.

(٣) الصفات: ٩٩. وقوله: «المفهومة من قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾» لعله سبق قلم، والصواب أن يقول: المفهومة من قوله: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾.

(٤) أي: شذوذاً.

(٥) اللجنة من آثار رحمة الله تعالى وليست هي نفسها.

(٦) بالأفراد؛ بفتح السين وسكون القاف، قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرا بقية السبعة بضمها.

[٣٦] ﴿وَمَنْ يَعْشُ يَعْرِضْ﴾ يعرض ﴿عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ أي: القرآن ﴿فَنَقِضْ﴾ نسب ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ فَهُوَ لَمْ يَقْرَأْ﴾ لا يفارقه.

[٣٧] ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: الشياطين ﴿يَكِيدُونَهُمْ﴾ أي: العاشين ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾ أي: طريق الهدى ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ في الجمع رعاة معنى «من».

[٣٨] ﴿حَقًّا إِذَا جَاءَنَا﴾ أي: العاشي بقرينه يوم القيامة ﴿قَالَ لَهُ﴾ أي: للتنبية ﴿لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ أي: مثل بعد ما بين المشرق والمغرب ﴿فَيَنْسِفُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ أنت لي.

[٣٩] قال - تعالى -: ﴿وَلَنْ يَفْعَلَكُمْ﴾ أي: العاشين، تَمْيِكُكُمْ وَتَذَكُّكُمْ ﴿الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ أي: تبين لكم ظلمكم بالإشراك في الدنيا ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ مع قرنائكم ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْرِكُونَ﴾ علة بتقدير اللام؛ لعدم النفع، و«إذ» بدل من «اليوم».

[٤٠] ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى أَوْ تُبْصِرُ الْبُصَيْرَ﴾ أي: فهم لا يؤمنون.

[٤١] ﴿فَلَمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿تَذَهَبَ بِكَ﴾ بأن نميتك قبل تعذيبهم ﴿فَلَمَّا مَتَّعْنَاهُمْ مُنْتَقِمِينَ﴾ في الآخرة.

[٤٢] ﴿أَوْ زَيْنَكْ﴾ في حياتك ﴿الَّذِي وَعَدْتَهُمْ﴾ به من العذاب ﴿فَلَمَّا عَلَّمْتَهُمْ﴾ على عذابهم ﴿مُقْتَدِرُونَ﴾ قادرون.

[٤٣] ﴿فَأَسْمَيْكَ بِالَّذِي أَوْحَى إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[٤٤] ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّشَرَفٍ﴾ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴿لَنُزَوِّلَهُ بِلُغَتِهِمْ﴾ وَسَوْفَ تُنْشِتُونَهُ عَنْ الْقِيَامِ بِحُفَّةٍ.

[٤٥] ﴿وَسَمَلٌ مِّنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ أي: غيره ﴿إِلَهَةً يُعْبَدُونَ﴾ قيل: هو على ظاهره، بأن جمع له الرسل ليلة الإسراء، وقيل: المراد أمم من أي أهل الكتابين، ولم يسأل على واحد من القولين؛ لأن المراد من الأمر بالسؤال: التقرير لمشركي قريش، أنه لم يأت رسول من الله، ولا كتاب بعبادة غير الله.

[٤٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ أي: القبط ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْمَلَكِينَ﴾.

[٤٧] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على رسالته ﴿إِذَا هُمْ بِمِصْرَ كَانُوا﴾.

وَيُؤَيِّنُهُمْ أُنُوبًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٣٦﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلَّ ذَلِكَ لَمَأْمَعٌ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَمْ يَقْرَأْ ﴿٣٨﴾ وَأَنَّهُمْ لَيَصَدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسِفُ الْفَرِيقَيْنِ ﴿٤٠﴾ وَلَنْ يَفْعَلَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٤١﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٢﴾ فَمَا تَذَهَبَ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٤٣﴾ أَوْ زَيْنَكِ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَسْمَيْكَ بِالَّذِي أَوْحَى إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَإِنَّا لَنُزَوِّلُهُ بِلُغَتِهِمْ وَلَقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَسَمَلٌ مِّنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ بِمِصْرَ كَانُوا ﴿٤٩﴾

[٣٤] ﴿وَيُؤَيِّنُهُمْ أُنُوبًا﴾ من فضة ﴿و﴾ جعلنا لهم ﴿سُرَرًا﴾ من فضة، جمع سرير ﴿عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ﴾.

[٣٥] ﴿وَزُخْرُفًا﴾ ذهبًا، المعنى: لولا لحوف الكفر على المؤمنين من إعطاء الكافر ما ذكر لأعطياه ذلك؛ لقلة خطر الدنيا عندها، وعدم حظه في الآخرة في النعيم ﴿وإن﴾ مخففة من التثنية ﴿كُلَّ ذَلِكَ﴾ [لما] بالتخفيف، ف«ما» زائدة، وبالتشديد (١) بمعنى «إلا» ف«إن» نافية ﴿مَتَكَبَّرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يتمتع به فيها ثم يزول ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

(١) بالتخفيف قراءة السبعة عدا عاصم وحزمة، وهشام بخلاف عه.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿جاءنا﴾.



عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٣﴾ يَسَّ الْعَادَاةَ.

[٦٣] ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات والشرائع ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ بالنبوة وشرائع الإنجيل ﴿وَلَا يُبَيِّنُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ من أحكام التوراة، من أمر الدين وغيره، فيبين لهم أمر الدين ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

[٦٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوا هَذَا صِرَاطٌ طَرِيقٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٦٥] ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ في عيسى؛ أهو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة؟ ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا بما قالوه في عيسى ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْآلِمِ﴾ مؤلم.

[٦٦] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: كفار مكة؛ أي: ما ينتظرون ﴿إِلَّا السَّاعَةَ﴾ أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ﴿الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ﴾ بعضهم لبعض عدوٌّ ﴿إِلَّا الْمُسْقِينَ﴾ يعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذذ الأعين وأنتم فيها خالدون ﴿وَلَذَلِكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُوْرثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لكم فيها فلكه كثيرة منها تأكلون ﴿٧٢﴾

[٦٧] ﴿الْأَخْلَاءَ﴾ على المعصية في الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة، متعلق بقوله: ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ المتحابين في الله على طاعته، فإنهم أصدقاء.

[٦٨] ويقال لهم: ﴿يَعْبَادُ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

[٦٩] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نعت لعبادي ﴿وَيَايُنَا﴾ القرآن ﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾.

[٧٠] ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ﴾ مبتدأ ﴿وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ زوجانكم ﴿تَحْبَرُونَ﴾ تسرون وتكرمون، خبر المبتدأ.

[٧١] ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ﴾ بقصاع ﴿مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ جمع كوب؛ وهو: إناء لا عروة له، ليشرب الشارب من حيث شاء ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ تَلَذُّوا﴾ وتلذذ الأعين ﴿نَظَرُوا﴾ وأنشأ فيها خلدون.

[٧٢] ﴿وَلَذَلِكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُوْرثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٧٣] ﴿لَكُمْ فِيهَا فَلَكَهٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا﴾ أي: بعضها ﴿تَأْكُلُونَ﴾ وكل ما يؤكل يخلف بدله.

وَإِنَّهُ وَلِعَلُّ لِّلَّسَاعَةِ فَلَا تَمَرَّنَ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٧١﴾ وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٧٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَا يُبَيِّنُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٧٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوا هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٧٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْآلِمِ ﴿٧٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٦﴾ الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُسْقِينَ ﴿٧٧﴾ يَعْبَادُ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٧٩﴾ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٨٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴿٨١﴾ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَلَذَلِكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُوْرثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٣﴾ لَكُمْ فِيهَا فَلَكَهٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٨٤﴾

[٦١] ﴿وَابَيْتُ﴾ أي: عيسى ﴿لِّلَّسَاعَةِ﴾ تعلم بنزوله ﴿فَلَا تَمَرَّنَ﴾ بها أي: تشكرو فيها، حذف منه نون الرفع للجرم، وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿و﴾ قل لهم: ﴿اتَّبِعُونِي﴾ على التوحيد ﴿هَذَا﴾ الذي أمركم به ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٦٢] ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ﴾ يصرفكم عن دين الله ﴿الشَّيْطَانُ﴾ إِنَّهُ لَكُمْ

(٥) هائدة: أخرج الترمذي عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ينادي مناد: إن لكم أن تحبوا فلا تقوتوا أبداً، وإن لكم أن تحبوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تعملوا فلا تبأسوا أبداً» فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَذَلِكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُوْرثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤١) سورة الزمر. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٨).





## سورة الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمِّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُمِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ ۝  
 إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَفَمَنْ أَتَاكُمْ  
 مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ  
 السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۝  
 إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ  
 وَرَبَّ عَابِدِكُمْ ۝ الْأَوَّلِينَ ۝ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝  
 فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝ يَغْشى النَّاسَ  
 هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝  
 أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ۝ نُمِرَ  
 تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْحُونٌ ۝ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا  
 إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۝ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَاطِنَةَ الَّكْبَرَىٰ إِنَّا مُنْقِمُونَ ۝  
 وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝  
 أَنِ ادْعُوا إِلَىٰ عِبَادَتِي إِلَهِيَ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝

## سورة الدخان

[مكية، إلا: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ الآية،

وهي: ست، أو سبع، أو: تسع وخسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمِّ﴾ الله أعلم بمراده به.

[٢] ﴿وَالْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْمُبِينِ﴾ المظهر للحلال من الحرام.

[٣] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ﴾ هي ليلة القدر، أو ليلة النصف من شعبان<sup>(١)</sup>، نزل فيها من أم الكتاب من السماء السابعة إلى سماء الدنيا ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ مخوفين به.

[٤] ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي: في ليلة القدر، أو ليلة النصف من شعبان<sup>(٢)</sup> ﴿يُفْرَقُ﴾ يفصل ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ محكم، من الأرزاق والآجال وغيرهما، التي تكون في السنة إلى مثل تلك الليلة.

[٥] ﴿أَفَمَنْ أَتَاكُمْ مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ الرسل؛ محمداً وممن قبله.

[٦] ﴿رَحْمَةً﴾ رافة بالمرسل إليهم ﴿وَرَبَّكَ رَبَّنَا﴾ هو السميع ﴿لَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بأعمالهم.

[٧] ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ برفع «رب» خبر ثالث، وبجره<sup>(٣)</sup> بدل من «ربك» ﴿يُنْزِلُ﴾ ينزل مكة ﴿تُؤْتِيهِمْ﴾ بأنه - تعالى - رب السماوات والأرض، فأيقنوا بأن محمداً رسوله.

[٨] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ رَبَّ عَابِدِكُمْ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ من البعث ﴿يَلْعَبُونَ﴾ استهزاء بك يا محمد، فقال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف»<sup>(٤)</sup>.

[٩] ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ فأجذبت الأرض، واشتد بهم الجوع، إلى أن رأوا من شدته كهيفة الدخان بين السماء والأرض.

[١٠] ﴿يَغْشى النَّاسَ﴾ فقالوا: ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[١١] ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ مصدقون نبك.

[١٢] ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ أي: لا ينفعهم الإيمان<sup>(٥)</sup> عند نزول العذاب ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ بين الرسالة.

[١٣] ﴿نُمِرَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْحُونٌ﴾ أي: يعلمه القرآن بشر ﴿مَجْحُونٌ﴾.

[١٤] ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ أي: الجوع عنكم زمناً ﴿قَلِيلًا﴾ فكشف عنهم ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ إلى كفركم، فعادوا إليه.

[١٥] ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَاطِنَةَ الَّكْبَرَىٰ﴾ هو يوم بدر ﴿إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ منهم والباطش الأخذ بقوة<sup>(٦)</sup>.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا بِلُؤْلُؤٍ﴾ بلونا ﴿فَلَهُمْ قَوْمٌ فِرْعَوْنَ﴾ معه ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ هو موسى عليه السلام ﴿كَرِيمٌ﴾ على الله - تعالى -.

[١٧] ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ أي: بأن ﴿أَدْعُوا إِلَهِيَ﴾ ما أدعوكم إليه من الإيمان؛ أي: أظهرها لإيمانكم لي<sup>(٧)</sup> يا ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ إني لكم رسول أمين ﴿على ما أرسلت به﴾.

(١) ما جاء في نزول الآيات (١٠ - ١٦): أخرجه البخاري عن عبد الله (ابن مسعود) قال: إنما كان هذا لأن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما به وبها كهيفة الدخان من الجهد، فأنزل الله: ﴿يُدْخِلُ السَّمَاءَ دُخَانًا﴾ قال: فأتى رسول الله ﷺ، فقال له: يا رسول الله، استسقى الله لمضر، فإنها قد هلكت. قال: «لمضر؟ إنك حرىء» فاستسقى فسقوا، فنزلت. ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ فلبس أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابهم الرفاهية، فأنزل الله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَاطِنَةَ الَّكْبَرَىٰ﴾ قال: يعني يوم بدر. البخاري - كتاب التفسير (٦٥). سورة الدخان (٤٤) باب (٢).

(٢) وهذا القول باطل مخالف لصريح القرآن كما قال العلامة أبو بكر بن العربي، والصحيح الذي عليه الجمهور أن الليلة المباركة هي ليلة القدر، وفيها ابتداء نزول القرآن.

(٣) وهذا القول ضعيف مردود كما سبق بيانه.

(٤) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالجر.

(٥) البخاري (٤٨٠٩) ومسلم (٢٧٩٨) عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً، واللفظ للبخاري.

(٦) الظاهر أن النبي هو استبعاد وقوع الإيمان منهم عند كشف العذاب أو انتفاعهم بما يحق بهم من عذاب الدنيا، لأن أن حصول الإيمان منهم لا ينفعهم.

(٧) الأرجح والمشهور عند المفسرين أن المراد أرسلوا معي بني إسرائيل وأطلقوهم من العذاب، كما جاء في سورة الأعراف واشعراء.

[١٩] ﴿وَأَنْ لَا تَقُولُوا﴾ تصبروا ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ بترك طاعته ﴿إِنِّي أَنَا نَكُورٌ﴾ بظنني ﴿بِرَهِانٍ﴾ بين على رسالتي، فتوعده بالرجم.  
[٢٠] فقال: ﴿وَلَايَ عُدَّتْ بِرِّي زَيْكُورٌ أَمْ تَجْمُونُ﴾ بالحجارة.  
[٢١] ﴿وَلَنْ لَرُّ نُؤْمِنُوا لِي﴾ تصدقوني ﴿فَاعَزْلُونُ﴾ فاتركوا أذاي، فلم يتركوه.

[٢٢] ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَشْرُكُونَ﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿مُشْرِكُونَ﴾.  
[٢٣] فقال - تعالى -: ﴿فَأَنزَلْنَا﴾ بقطع الهمة ووصلها<sup>(١)</sup> ﴿بِعِبَادِي﴾ بني إسرائيل ﴿لِيَلَّا إِنَّا كُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وقومه.  
[٢٤] ﴿وَأَنزَلْنَا الْآبَحْرَ﴾ إذا قطعت أنت وأصحابك ﴿رَهْوًا﴾ ساكتا منفرجا، حتى يدخله القبط ﴿إِنَّمَا جُنْدٌ مُّقْرَفُونَ﴾ فاطمان بذلك فأغرقوا.  
[٢٥] ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ بحري.  
[٢٦] ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ﴾ مجلس حسن.  
[٢٧] ﴿وَنَعْمَ﴾ متعة ﴿كَانُوا فِيهَا فَكَاهٍ﴾ ناعمين.  
[٢٨] ﴿كَذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ أي: الأمر ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ أي: أموالهم ﴿نَوْمًا﴾ مآخِزِينَ ﴿أَي:﴾ بني إسرائيل.  
[٢٩] ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ بخلاف المؤمنين يبكي عليهم بموتهم مصلاهم من الأرض ومصعد عملهم من السماء<sup>(٢)</sup> ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ مؤخرين للتوبة.  
[٣٠] ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ قتل الأبناء واستخدام النساء.

[٣١] ﴿مَنْ فِرْعَوْنُ﴾ قيل بدل من «العذاب» بتقدير مضاف؛ أي: عذاب، وقيل: حال من «العذاب» ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا عَلَاءً مِنَ النُّسْرِينَ﴾.  
[٣٢] ﴿وَلَقَدْ أَخْرَجْنَاهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْبٍ﴾ منا بحالهم ﴿عَلَىٰ الْفَلَكِينَ﴾ أي: عالمي زمامهم؛ أي: العقلاء.  
[٣٣] ﴿وَوَلَّيْنَاهُمْ مِّنَ الْأَيْتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ نعمة ظاهرة، من فلق البحر والمثل والسلاوي وغيرها.  
[٣٤] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ أي: كفار مكة ﴿يَقُولُونَ﴾ [٣٥] ﴿إِنْ هِيَ﴾ ما الموتة التي بعدها الحياة ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ﴾ أي: وهم نطفت ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ بمبعوثين أحياء بعد الثانية.  
[٣٦] ﴿فَأَنزَلْنَا بِأَيَّانَا﴾ أحياء ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنا نبعت بعد موتنا؛ أي: نحيا.  
[٣٧] قال - تعالى -: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُجِّ﴾ هو نبي، أو رجل صالح<sup>(٣)</sup>

(١) بوصلها قراءة نافع وابن كثير، وفراً بقية السبعة بقطع الهمة.

(٢) روي هذا عن ابن عباس وغيره كما أخرجه الطبري في تفسيره (٣٤/٢٢ - ٣٦) وروي مرفوعاً عن أنس بن مالك عن الترمذي برقم (٣١٧٨) بلفظ: «ما من مؤمن إلا وله بابان؛ باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فإذا مات بكيا عليه، فذلك قوله ﷻ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾» وضعه الألباني في ضعيف الجامع (٥١٩٧).

(٣) الصحيح الذي عليه جمهور المفسرين أنه ليس نبيا، وقومه هم «سبأ» وكانوا يستمون ملكهم «ثبعاً» كما يسمى ملك الفرس «كسرى»، و«قيصر» لمن ملك الروم. وقيل: إنه كان كافراً ثم أسلم وتابع دين موسى عليه السلام، وكان ذلك قبل بعثة عيسى عليه السلام.

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بكفرهم، والمعنى: ليسوا أقوى منهم وأهلكوا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُجْرِمُونَ﴾.

[٣٨] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْبٍ﴾ بخلق ذلك، حال.

[٣٩] ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا﴾ وما بينهما ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: محقين في ذلك؛ لئلا يستدل به على قدرتنا ووحدانيتنا غير ذلك ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[٤٥] ﴿كَالْمُهْلِ﴾ أي: كدردي الزيت الأسود، خبر ثانٍ ﴿تَغْلِي﴾ في الْبُطُونِ بالفوقانية خبر ثالث، وبالتحتانية<sup>(١)</sup> حال من «المهل». [٤٦] ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ الماء الشديد الحرارة. [٤٧] ﴿خُذُوهُ﴾ يقال للزبانية: خذوا الأثيم ﴿فَعَسِيلُهُ﴾ بكسر التاء وضمها<sup>(٢)</sup>؛ جروه بغلظة وشدة ﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ وسط النار. [٤٨] ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ﴾ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ أي: من الحميم الذي لا يفارقه العذاب، فهو أبلغ مما في آية: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>.

[٤٩] ويقال له: ﴿ذُقْ﴾؛ أي: العذاب ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْقَكِيمُ﴾ بزعمك، وقولك: ما بين جليلها أعز وأكرم مني<sup>(٤)</sup>. [٥٠] ويقال لهم: ﴿إِنَّ هَذَا الَّذِي ترون من العذاب﴾ ﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ فيه تشكرون.

[٥١] ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي مَقَامٍ مَجْلَسٍ﴾ مجلس «أيمين» يؤمن فيه الخوف. [٥٢] ﴿فِي جَنَّتٍ﴾ بساتين ﴿وَشُجُورٍ﴾. [٥٣] ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ أي: ما رق من الدياج، وما غلظ منه ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ حال؛ أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، لدوران الأبروة بهم.

[٥٤] ﴿كَذَلِكَ﴾ يقدر قبله الأمر ﴿وَوُجِّنَهُمْ﴾ من التزويج، أو قرناهم ﴿يُحَوَّرُ عَيْنٌ﴾ بنساء بيض واسعات الأعين حساسها. [٥٥] ﴿يَدْعُونَ﴾ يطلبون الخدم ﴿فِيهَا﴾ أي: الجنة، أن يأتوا ﴿بِكُلِّ فَنَكْهَةٍ﴾ منها ﴿عَامِينَ﴾ من انقطاعها، ومضرتها، ومن كل مخوف؛ حال.

[٥٦] ﴿لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ أي: التي في الدنيا بعد حياتهم فيها<sup>(٥)</sup>، قال بعضهم: «إلا» بمعنى «بعد» ﴿وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾.

[٥٧] ﴿فَضْلًا﴾ مصدر بمعنى تفضلاً، منصوب بـ«تفضل» مقدراً ﴿مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْرُ الْعَظِيمُ﴾.

[٥٨] ﴿فَلَمَّا يَسَّرْنَاهُ﴾ سهلنا القرآن ﴿يَلْسَانِيكَ﴾ بلغتك، لتفهمه العرب منك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون فيؤمنون، لكنهم لا يؤمنون.

[٥٩] ﴿فَارْتَبَّتْ﴾ انتظر هلاكهم ﴿إِنَّهُمْ مُرْتَبِّتُونَ﴾ هلاكك، وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم.

\*\*\*

إِنَّ يَوْمَ الْقَصْرِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٧﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴿٤٨﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٩﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٥٠﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٥١﴾ خُذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٢﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٥٣﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٥٤﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٩﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَنَكْهَةٍ آمِينَ ﴿٦٠﴾ لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٦١﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا يَسَّرْنَاهُ يَلْسَانًا ﴿٦٣﴾ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٦٤﴾ فَارْتَبَّتْ إِلَهُمُ مَرْجَبُوتٌ ﴿٦٥﴾

## سورة النحل

[٤٠] ﴿إِنَّ يَوْمَ الْقَصْرِ﴾ يوم القيامة، بفصل الله فيه بين العباد ﴿مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ للعذاب الدائم.

[٤١] ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى﴾ بقرابة أو صداقة؛ أي: لا يدفع عنه ﴿شَيْئًا﴾ من العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ينعون منه، و«يوم» بدل من: «يوم الفصل».

[٤٢] ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ وهم المؤمنون؛ فإنه يشفع بعضهم لبعض بإذن الله ﴿إِنَّهُمْ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب في انتقامه من الكفار ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين.

[٤٣] ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ﴾ هي من أخبت الشجر المر بشهامة، ينبتها الله - تعالى - في الجحيم.

[٤٤] ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ أي: جهل وأصحابه ذوي الإثم الكبير.

(١) ببناء قراءة السبعة عدا حفص وابن كثير.

(٢) بالضم قراءة نافع وابن كثير وابن عامر.

(٣) المحج: ١٩.

(٤) يشير إلى ما أخرجه الطبري في جامع البيان (٨٠/٢٥) عن قتادة أن الآية نزلت في عدو الله أبي جهل، عندما قال ذلك للنبي ﷺ، وهو ضعيف لإرساله، كما في الاستيعاب (٢٠٢/٣).

(٥) أي: فالاستثناء منقطع، والمعنى لكن الموتة الأولى قد ذاقوها في الدنيا.

## سُورَةُ الْحَاشِيَةِ

[مكية، إلا: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا﴾ الآية،  
وهي: ست، أو: سبع وثلاثون]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَدَّثَ﴾ الله أعلم بمراده به.

[٢] ﴿تَنْزِيلَ الْكِتَابِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ خبره: ﴿الرَّحِيمِ﴾ في ملكه ﴿الرَّحِيمِ﴾ في صنعه.

[٣] ﴿وَلِ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: في خلقهما ﴿لَا يَتَذَكَّرُ﴾ دالة على قدرة الله ووحدانيته. تعالى: ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٤] ﴿وَلِ فِي خَلْقِكُمْ﴾ أي: في خلق كل منكم، من نقطة، ثم علقه، ثم مضغة، إلى أن صار إنساناً ﴿وَلِ فِي خَلْقِ مَا بَيْنَ﴾ يفرق في الأرض ﴿مِنَ دَابَّةٍ﴾ هي ما يذب على الأرض من الناس وغيرهم<sup>(١)</sup> ﴿لَا يَتَذَكَّرُ﴾ بالبعث.

[٥] ﴿وَلِ فِي أَمْثَلِ ظِلِّ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ذهابهما ومجيئهما ﴿وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾ مطر، لأنه سبب الرزق ﴿فَلَا يَذَكَّرُ﴾ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ، تغليبها، مرة جنوباً، ومرة شمالاً، وباردة وحارة ﴿لَا يَتَذَكَّرُ﴾ بَعْدَ مَوْتِهَا الدليل فيؤمنون.

[٦] ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ الآيات المذكورة ﴿لَا يَتَذَكَّرُ﴾ حججه الدالة على وحدانيته ﴿تَتْلُوهَا﴾ نقصها ﴿عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بدلتلو ﴿وَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ﴾ أي: حديثه وهو القرآن ﴿وَلَا يَتَذَكَّرُ﴾ حججه ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أي: كفار مكة؛ أي: لا يؤمنون، وفي قراءة<sup>(٢)</sup> بالباء.

[٧] ﴿وَلِ فِي كَلِمَةِ عَذَابٍ﴾ كَلِمَةُ عَذَابٍ ﴿كَلِمَةٍ أَفْأَلٍ﴾ كذاب ﴿أَفْأَلٍ﴾ كثير الإثم.

[٨] ﴿يَسْمَعُ﴾ يَتَذَكَّرُ ﴿لِللَّهِ﴾ القرآن ﴿تَتْلُو عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِيرُ﴾ على كفره ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبراً عن الإيمان ﴿كَأَن لَّهُ يَسْمَعُ فَيَتَذَكَّرُ﴾ أي: مؤلم.

[٩] ﴿وَلِ إِذَا عَلِمَ مِنَ آيَاتِنَا﴾ أي: القرآن ﴿شَيْئًا أَخَذَهَا أَخْرَافًا﴾ أي: مَهْزُوءًا بها ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: الأفاكون ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[١٠] ﴿مِنَ دَابَّةٍ﴾ أي: أمامهم؛ لأنهم<sup>(٤)</sup> في الدنيا ﴿جَهَنَّمَ﴾ وَلَا يَتَذَكَّرُ عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا مِنَ الْمَالِ وَالْفِعَالِ ﴿شَيْئًا وَلَا مَا أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنام ﴿أُولَئِكَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ وَخَلَقْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ وَلِ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٦﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنَ آيَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا هَرَبًا أَوَّلَيْكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٨﴾ مِّنَ دَابَّةٍ جَهَنَّمَ وَلَا يُعْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ هَذِهِ هُدًى لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَإِيَّاكَ رَبُّهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ \* اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا قَبْلَهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٢﴾

[١١] ﴿هَذِهِ﴾ أي: القرآن ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَابِعُونَ رِبِّهِمْ فَمَنْ عَذَابٌ﴾ حظ ﴿مِّن رِّجْزٍ﴾ أي: عذاب ﴿أَلِيمٌ﴾ مروع.

[١٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ ياذنه ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾ تطلبوا بالتجارة ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.

[١٣] ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمُوتِ﴾ من شمس وقمر ونجوم وماء وغيره ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من دابة وشجر ونبات وأنهار وغيرها؛ أي: خلق ذلك لمنافعكم ﴿جَمِيعًا﴾ تأكيد ﴿مِنَهُ﴾ حال؛ أي: سخرها كائنة منه - تعالى - ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها فيؤمنون.

(١) هذه الآية كقولها: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ فلا يقتصر على كون بث الدواب في الأرض. راجع التعليق على الآية (٢٩) في سورة الشورى.

(٢) لحمة والكسائي وابن عامر وشعبة.

(٣) يضم الزاي وبالهمز، وهي قراءة السبعة عدا حمزة وحفص، وقرأ حمزة: ﴿هَرَبًا﴾ بالهمز مع سكون الزاي، وقرأ حفص: ﴿هَرَبًا﴾ بضم الزاي وإبدال الهمزة واوًا. كما تقدم في الأنبياء، آية (٣٦).

(٤) في نسخة إقاضي زيادة: «الآن» في هذا الموضع.

قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ ءَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١﴾ مَن عَمِلَ صِلًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمُ رُجُوعٌ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالْثُبَّةَ وَزَفَنَاهُمْ مِنَ الظَّالِمِينَ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيْنَتَ مَن الْأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مَن بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ بِمَقْعَدِهَا خَبِيرٌ ﴿٤﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٦﴾ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٧﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا النَّسِيَّاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٨﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٩﴾

[١٤] ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿ءَيَّامَ اللَّهِ﴾ وقائعه؛ أي: اغفروا للكفار ما وقع منهم من الأذى لكم، وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿يَجْزِيَ﴾ أي: الله، وفي قراءة بالنون<sup>(١)</sup> ﴿قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من العقر للكفار أذا هم<sup>(٢)</sup>.

[١٥] ﴿مَن عَمِلَ صِلًا فَلِنَفْسِهِ﴾ عمل ﴿وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ أساء ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمُ رُجُوعٌ﴾ تصيرون فيجازي المصلح والمنسي.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَالْحُكْمَ﴾ به بين الناس ﴿وَالْثُبَّةَ﴾ لموسى وهارون منهم ﴿وَزَفَنَاهُمْ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ عالمي زمانهم العقلاء.

[١٧] ﴿وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيْنَتَ مَن الْأَمْرِ﴾ أمر الدين، من الحلال والحرام، وبهتة محمد - عليه أفضل الصلاة والسلام - ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ في بعته ﴿إِلَّا مَن بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ﴾ أي: لبغي حدث بينهم حسدا له ﴿إِنَّ رَبَّكَ بِمَقْعَدِهَا خَبِيرٌ﴾ يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون.

[١٨] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ طريقه ﴿وَمَن الْأَمْرِ﴾ أمر الدين ﴿فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في عبادة غير الله.

[١٩] ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ من عذابه ﴿وَأَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٢٠] ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ﴾ معالم، يتصورون بها في الأحكام والحدود ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بالبعث.

[٢١] ﴿أَمْ حَسِبَ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا﴾ اكتسبوا ﴿النَّسِيَّاتِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

[سواء]<sup>(٣)</sup> ﴿خبر﴾ تخيّلهم ومما هم ﴿مبتدأ ومعطوف، والجملة بدل من الكاف، والضميران للكفار؛ المعنى: أحسبوا أن نجعلهم في الآخرة في خير كالمؤمنين؟ أي: في رغد من العيش، مساوٍ لعيشهم في الدنيا؛ حيث قالوا للمؤمنين: لئن بعثنا لفظى من الخير مثل ما تعطون؟ قال تعالى على وفق إنكاره بالهمزة: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: ليس الأمر كذلك، فهم في الآخرة في العذاب، على خلاف عيشهم في الدنيا، والمؤمنون في الآخرة في الثواب، بعملهم الصالحات في الدنيا؛ من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك، و«ما» مصدرية؛ أي: بسن حكما حكمهم هذا.

[٢٢] ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ«خلق»؛ ليدل على قدرته ووحدانيته ﴿وَلِيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ من المعاصي والطاعات، فلا يساوي الكافر المؤمن ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

(١) حمزة والكسائي وابن عامر.

(٢) أي المؤمنون؛ فيبيهم، ويمكن أن يكون المعنى: ليجزي الكافرين على أذاهم لمؤمنين. كما قال الطبري.

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿سواء﴾ بالفتح، على الحال.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَفَلَبَهُ وَجَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿وَإِذَا نُنَادِي عِبَادَهُ أَإِنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ كَانُوا فَتَقُولُ إِنْآ إِنَّا بِكُمْ نَسَكَةٌ وَمَا كُنَّا بِكُمْ مُبْتَلُونَ﴾ قُلِ اللَّهُ يُخَيِّبُكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِخُ الْمُبْتَطِلُونَ﴾ وَرَبِّي كُلُّ أُمَّةٍ جَائِئَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تَدْعِي إِلَى كَيْدِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَاتِي تَسْلِي عَلَيْهِمْ فَاسْتَكْبَرُوا وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَنْ نَحْنُ بِمُحْسِنِينَ ﴿٣٢﴾

﴿٣٢﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَافِرُ﴾ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ بِالْبَيْعِ ﴿حَقٌّ وَالسَّاعَةُ﴾ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ ﴿لَا رَيْبَ﴾ شَكٌّ ﴿وَمَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾ إِنَّا مَا ﴿نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ قَالَ الْمُرَدُّ: أَصْلُهُ: إِنَّا نَحْنُ إِلَّا نَظَنُّ ظَنًّا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُحْسِنِينَ﴾ أَنَّهُ آتِيَةٌ.

﴿٢٣﴾ ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ أَخْبَرَنِي ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ مَا يَهْوَاهُ مِنْ حَجَرٍ بَعْدَ حَجَرٍ يَرَاهُ أَحْسَنَ ﴿وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ مِنْهُ: تَعَالَى: أَيُّ: عَلِمًا بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ قَبْلَ خَلْقِهِ ﴿وَوَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَفَلَبَهُ﴾ فَلَمْ يَسْمَعْ الْهَدَى وَلَمْ يَعْقِلْهُ ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً﴾ ظُلْمَةً، فَلَمْ يَبْصُرِ الْهَدَى، وَيَقْدَرُ هُنَا الْمَفْعُولُ الثَّانِي لِرَأَيْتَ: «أَيُّهْتَدِي؟» ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ أَيُّ: بَعْدَ إِضْلَالِهِ إِيَّاهُ؛ أَيُّ: لَا يَهْتَدِي ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تَتَعَطَّوْنَ؟ فِيهِ إِدْغَامٌ إِحْدَى الثَّانِيَيْنِ فِي الْإِذَالِ<sup>(١)</sup>.

﴿٢٤﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ أَيُّ: مَنَكُرُو الْبَيْتَ: ﴿مَا هِيَ﴾ أَيُّ: الْحَيَاةُ ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا﴾ الَّتِي فِي «الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا» أَيُّ: يَمُوتُ بَعْضُ، وَيَحْيَا بَعْضُ بِأَنْ يُولَدُوا ﴿وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ أَيُّ: مُرُورُ الزَّمَانِ، قَالَ: تَعَالَى: «وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ» الْقَوْلُ ﴿وَمَنْ عَلِمَ إِنْ﴾ مَا ﴿هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿وَإِذَا نُتِلَّ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾ مِنَ الْقُرْآنِ الدَّالَّةُ عَلَى قُدْرَتِنَا عَلَى الْبَيْعِ ﴿يَنْتَسِبُونَ﴾ وَاضْحَاتِبَ، حَالٌ: ﴿مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ﴾ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَقُولُوا بِآيَاتِنَا أَحْيَاءُ ﴿إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أَنَا بُعِثُ.

﴿٢٦﴾ ﴿قُلِ اللَّهُ يُخَيِّبُكُمْ﴾ حِينَ كُنتُمْ نَطْفًا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾ أَحْيَاءَ ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ﴾ شَكٌّ ﴿فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وَهُمْ الْقَائِلُونَ مَا ذَكَرَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ يُبَدِّلُ مِنْهُ: ﴿يَوْمَ يُنْفِخُ الْمُبْتَطِلُونَ﴾ الْكَافِرُونَ؛ أَيُّ: يَظْهَرُ خُسْرَانُهُمْ، بِأَنْ يَصِيرُوا إِلَى النَّارِ.

﴿٢٨﴾ ﴿وَرَبِّي كُلُّ أُمَّةٍ﴾ أَيُّ: أَهْلُ دِينٍ ﴿جَائِئَةٌ﴾ عَلَى الرِّكْبِ، أَوْ: مُجْتَمِعَةٌ ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تَدْعِي إِلَى كَيْدِهَا﴾ كِتَابِ أَعْمَالِهَا، وَيَقَالُ لَهُمْ: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أَيُّ: جَزَاءَهُ.

﴿٢٩﴾ ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ دِيوَانُ الْحِفْظَةِ ﴿يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ نَتَبَّعُ وَنَحْفَظُ ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿٣٠﴾ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ جَنَّتِهِ<sup>(٢)</sup> ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ الْبَيِّنُ الْظَاهِرُ.

﴿٣١﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فَيَقَالُ لَهُمْ: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَاتِي بِالْقُرْآنِ﴾ تَسْلِي عَلَيْهِمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ كَافِرِينَ.

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بنخفيف الدال.

(٢) الجنة من آثار رحمة الله ﷻ، ورحمة الله ﷻ صفة له قائمة بذاته، ونسبها له - سبحانه - على الوجه اللائق به.

(٣) بالنصب قراءة حمزة.

[٣٦] ﴿فَلْيَلْعَنُوا﴾ الوصف بالجميل، على وفاء وعده في المكذبين<sup>(١)</sup> ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خالق ما ذكر، والعالم: ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه، «رب» بدل.  
[٣٧] ﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَّةُ﴾ العظمة ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حال؛ أي: كائنة فيهما ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تقدم<sup>(٢)</sup>.

## سورة الاخفاف

[مكية، إلا: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ الآية، وإلا: ﴿فَأَصْبِرْ﴾ كما صبر أولوا العزير من الرسل﴾ الآية، وإلا: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ الثلاث آيات، وهي: أربع، أو خمس وثلاثون آية]

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمْدٌ﴾ الله أعلم بمراده به.  
[٢] ﴿تَبَارَكَ الَّذِي﴾ القرآن، مبتدأ ﴿مِنْ أَلْفِهِ﴾ خبره: ﴿الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صناعه.  
[٣] ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا﴾ خلقاً ﴿وَالْحَقُّ﴾ لبذل على قدرتنا ووجدانيتنا ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى فئتهما يوم القيامة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عما أُذِّعُوا ﴿خَوْفُوا﴾ من العذاب ﴿مُعْرَضُونَ﴾.  
[٤] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿أَخْبِرُونِي﴾ تأكيد ﴿مَاذَا خَلَقُوا﴾ مفعول أي: الأصنام، مفعول أول ﴿أُرُونِي﴾ أخبروني، تأكيد ﴿مَاذَا خَلَقُوا﴾ مفعول ثانٍ ﴿مِنْ الْأَرْضِ﴾ بيان «ما» ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ مشاركة<sup>(٥)</sup> ﴿فِي﴾ خلق ﴿السَّمَوَاتِ﴾ مع الله، و«أم» بمعنى همزة الإنكار: ﴿أَتُنْفِي بِكِتَابٍ﴾ منزل ﴿مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ القرآن ﴿أَوْ أَشْرَكُ﴾ بقية ﴿بَيْنَ عَالَمٍ﴾ يؤثر عن الأولين، بصحة دعواكم في عبادة الأصنام، أنها تقربكم إلى الله ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم.  
[٥] ﴿وَمَنْ﴾ استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا أحد ﴿أَصْلُ وَمَنْ يَدْعُوا﴾ يعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ وهم الأصنام، لا يجيبون عابديهم إلى شيء يسألونه أبداً ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ﴾ عبادتهم ﴿غَافِلُونَ﴾ لأنهم جماد لا يعقلون.

وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٦﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّصِيرِينَ ﴿٣٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ أَخَذْتُ عَاقِبَةَ اللَّهِ هَزْوَاً وَعَزَّتْكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا قَالِیْمٌ لَا یُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ یُسْتَعْبَدُونَ ﴿٣٨﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٩﴾ وَلَهُ الْكِبَرِیَّاءُ فِی السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِیزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٠﴾

## سورة الاخفاف

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنْفِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرٌ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٤﴾

[٣٣] ﴿وَبَدَأَ﴾ ظهر ﴿لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا﴾ في الدنيا؛ أي: جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: العذاب.  
[٣٤] ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: تركتم العمل لقلته ﴿وَمَا وَكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّصِيرِينَ﴾ مانعين منه.

[٣٥] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ أَخَذْتُ عَاقِبَةَ﴾ القرآن ﴿(هَزْوَاً)﴾ وعَزَّتْكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ حتى قلتم: لا بعث ولا حساب ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ﴾ بالبناء للفاعل ولللمفعول<sup>(٦)</sup> ﴿مِنَ النَّارِ﴾ ولا هُمْ يُسْتَعْبَدُونَ﴾ لا يطلب منهم أن يُرَضُوا بِهِمْ بالوبة والطاعة؛ لأنها لا تنفع يومئذ.

(١) قراءة السبعة عدا حمزة وحفص، كما تقدم في الآية (١١) من هذه السورة.

(٢) بالبناء للفاعل فراءة حمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة بالبناء للمفعول: ﴿يُخْرَجُونَ﴾.

(٣) أي إنه سبحانه يحسد على «العدل» وهو إدخاله الكافرين النار، كما يحسد على «الفضل» وهو إدخاله المؤمنين الجنة. واقتصر المصنف على الأول هنا دفعا لتوهم اقتصار الحمد على الفضل فقط.

(٤) أي: «العزير» في ملكه، «الحكيم» في صناعه. كما تقدم في أكثر من موضع.

(٥) في بعض النسخ المطبوعة: «مشارك»، وقال في حاشية الجمل تعليقا على ذلك: لو فسر الشرك بالشركة لكن أوضح، وفي السمين الحلي: والشرك: المشاركة.



[٦] ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا بُرُودًا أَلْتَمَأْتُمْ لَعَابِيهِمْ وَأَعْدَاءُ كَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ حاحدين.

[٧] ﴿وَإِذَا نُنَادَى عَلَيْهِمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿ءَايَسْتُمْ الْقُرْآنَ﴾ يَسْتَيْ ﴿ظَاهِرَاتٍ﴾ حال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم ﴿لَا يَحِقُّ﴾ أي: القرآن ﴿لَنَا جَاءَهُمْ هَذَا بِسِحْرِ قُبَيْرٍ﴾ يَبِينُ ظاهر.

[٨] ﴿أَم﴾ بمعنى بل، وهمة الإنكار ﴿يَقُولُونَ أَفَرَبَّنَا﴾ أي: القرآن ﴿قُلْ إِنْ أَفَرَرْتُمْ﴾ فَرُوضًا ﴿فَلَا تَسْكُونُ لِي مِنْ اللَّهِ﴾ أي: من عذابه ﴿شَيْئًا﴾ أي: لا تقدرُونَ على دفعه عني، إذا عذبي الله ﴿هُوَ أَهْلُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تقولون في القرآن ﴿كَلَىٰ يَوْمَ﴾ تعالى ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ لمن تاب ﴿الرَّحِيمُ﴾ به، فلم يعاجلكم بالعقوبة.

[٩] ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا﴾ بدعًا ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ أي: أول مرسل، قد سبق قبلي كثيرون منهم، فكيف تكذبوني؟ ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ في الدنيا<sup>(١)</sup>؛ أخرج من بلدي، أم أقتل كما فعل بالأنبياء قبلي؟ أو نرجمون بالحجارة، أم يخسف بكم كالمكذبين قبلكم؟ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ أي: القرآن ولا أبتدع من عندي شيئًا ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يَبِينُ الإنذار.

[١٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني، ماذا حالكم ﴿إِنْ كَانُ﴾ أي: القرآن ﴿مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ جملة حالية ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ هو عبد الله بن سلام ﴿عَلَىٰ وَثِيلِهِ﴾ أي: عليه أنه من عند الله ﴿فَتَأْمَنُ﴾ الشاهد ﴿وَأَسْتَكْبِرْتُمْ﴾ تكبرتم عن الإيمان، وجواب الشرط بما<sup>(٢)</sup> عطف عليه: أَلَسْتُمْ ظَالِمِينَ<sup>(٣)</sup> دل عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

[١١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: في حقهم: ﴿لَوْ كَانُ﴾ الإيمان ﴿خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا﴾ أي: القائلون ﴿بِهِ﴾ أي: القرآن ﴿فَسَبِقُوا لَنَا هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿إِفْكُ﴾ كذب ﴿قُبَيْرٍ﴾.

[١٢] ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن ﴿كُتِبَ مُوسَىٰ﴾ أي: التوراة ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ للمؤمنين به، حالان ﴿وَهَذَا﴾ أي: القرآن ﴿كُتِبَ مُصَدِّقٌ﴾ للكتب قبله ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من الضمير في «مصدق» ﴿يُنذِرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من مشركي مكة ﴿وَوُ﴾ هو ﴿يُنْشِرُ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ المؤمنين.

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا بُرُودًا أَلْتَمَأْتُمْ لَعَابِيهِمْ وَأَعْدَاءُ كَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُنَادَى عَلَيْهِمْ أَيْدِنَا يَسْتِ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَبَّنَا قُلْ إِنْ أَفَرَرْتُمْ فَرَبُّكَ فَلَا تَمَلِكُونَ لِي مِنْ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَلَىٰ يَوْمَ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَتَأْمَنُ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانُ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ هُ فَيَسْبِقُونَا هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كُتِبَ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّنُذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُنْشِرُ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَالْخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

[١٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ على الطاعة ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[١٤] ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال ﴿جَزَاءً﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر؛ أي: يُجْزَوْنَ ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠) أخرجه البخاري عن عبد الله بن يوسف قال: سمعت مالكًا يحدث عن أبي النضر... عن سعد بن أبي وقاص قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام. قال: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ الآية. البخاري. كتاب مناقب الأنصار (٦٢) باب (١٩) مناقب عبد الله ابن سلام.

(١) قوله: «في الدنيا»؛ هذا قول الحسن البصري وجماعة، وهذا القول - كما قال ابن كثير -: هو الذي عُوِّل عليه ابن جرير. وأنه لا يجوز غيره، ولا شك أن هذا هو اللائق به ﷺ فإنه بالنسبة إلى الآخرة حارم أنه يصير إلى الحلة هو ومن اتبعه. وعلى القول الآخر تكون هذه الآية منسوخة بقوله تعالى في سورة الفتح: ﴿يَغْفِرُ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرُ﴾ [الفتح: ٢].

(٢) أي: مع ما.

(٣) أي معذوف تقديره: «وَأَلَسْتُمْ ظَالِمِينَ؟».

وهو أكثر الأشد ﴿قَالَ رَبِّ﴾ الخ، نزل في أبي بكر الصديق<sup>(١)</sup> لما بلغ أربعين سنة بعد سنتين من بعث النبي ﷺ آمن به، ثم آمن أبواه، ثم ابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبو عتيق ﴿أَوْزَعَنِي﴾ ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ﴾ بها ﴿عَلَّيْ وَعَلَّيْ وَلَيْتَ﴾ وهي التوحيد ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَدِيقًا رَاضِيًا﴾ فأعنت تسعة من المؤمنين<sup>(٢)</sup>، يُعَذِّبُونَ في الله ﴿وَأَصْلَحَ لِي فِي دِينِي﴾ فكلهم مؤمنون ﴿بَنِي ثَبَّتْ إِلَيْكَ وَبَنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

[١٦] ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: قائلو هذا القول، أبو بكر وغيره ﴿الَّذِينَ نَقَلَتْ عَنْهُمْ أَمْرًا﴾ بمعنى حسن ﴿مِمَّا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ حال؛ أي: كاثنين في جملتهم ﴿وَعَدَ الْصِّدِّيقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

[١٧] ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ﴾ وفي قراءة بالإدغام<sup>(٥)</sup>؛ أريد به الجنس ﴿أَنِّي﴾ بكسر الفاء وفتحها<sup>(٦)</sup>؛ بمعنى مصدر؛ أي: نلتا وفجعا ﴿لَكُمْ﴾ أنضجر منكما ﴿أَعِدَانِي﴾ وفي قراءة<sup>(٧)</sup> بالإدغام ﴿أَنْ أَخْرَجَ﴾ من القبر ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ الْأُمُّ مِنْ قَبْلِي﴾ ولم تخرج من القبور ﴿وَهُمَا يَسْتَفِيئَانِ اللَّهَ﴾ يسألانه العوث برجوعه، ويقولان: إن لم ترجع ﴿وَبِكَ﴾ أي: هلاكك، بمعنى هلكت ﴿مِنْ﴾ بالبعث ﴿إِنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا يَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين

[١٨] ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَعْمَالِ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَعْمَالِ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾

[١٩] ﴿وَلِكُلِّ﴾ من جنس المؤمن والكافر ﴿وَدِيحَتْ﴾ فدرجات المؤمنين في الجنة عالية، ودرجات الكافرين في النار سافلة ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ أي: المؤمنون من الطاعات، والكافرون من المعاصي ﴿وَلِيُؤْزِمَهُمْ﴾ أي: الله، وفي قراءة<sup>(٨)</sup> بالنون ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: جزاءها ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ شيئا، يُنْقَصُ للمؤمنين ويزاد للكفار.

[٢٠] ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ بأن تكشف لهم، يقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ بهزة، وبهزتين، وبهزة ومدة<sup>(٩)</sup>، وبهما وتسهيل الثانية<sup>(١٠)</sup> ﴿طِينِيكُمْ﴾ باشتغالكم بلذاتكم ﴿فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَنْتَعْتُمْ﴾ تمتعتم ﴿بِهَا﴾ فأولم تجزؤن عذاب الآلوهن؟ أي: الهوان ﴿يَمَّا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تتكبرون ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَيَمَّا كُنْتُمْ تَقْسُونَ﴾ به، وتعذبون بها.

وَوَصَيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَكُفَاهَا وَوَضَعَتْهُ كُفَاهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلَحَ لِي فِي دِينِي إِنِّي ثَبَّتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَأْعَمَلًا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدِّيقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٧﴾ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أَفِي لَكُمْ أَتَعِدَانِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِيئَانِ اللَّهَ وَذَلِكَ أَمْرٌ إِنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا يَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٩﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَعْمَالِ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدَّبَتْ طِينِيكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَنْتَعْتُمْ بِهَا فَأَلْوَمُ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَقْسُونَ ﴿٢١﴾

[١٥] ﴿وَوَصَيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا﴾<sup>(١)</sup> وفي قراءة: ﴿إِحْسَانًا﴾ أي: أمرناه أن يحسن إليهما، فنصبت ﴿إِحْسَانًا﴾ على المصدر بفعله المقدّر، ومثله ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُفَاهًا وَوَضَعَتْهُ كُفَاهًا﴾ أي: على مشقة ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ﴾ من الرضاع ﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ سنة أشهر أقل مدة الحمل، والباقي أكثر مدة ارضاع، وقيل: إن حملت به سنة أو تسعة أرضعته الباقي ﴿حَتَّى﴾ غاية لجملة مقدرة؛ أي: عاش حتى ﴿إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ هو كمال قوته وعقله ورأيه، أقله ثلاث وثلاثون سنة أو ثلاثون ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ أي: تمامها،

(١) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿إِحْسَانًا﴾.

(٢) يشير إلى ما ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص ٣٢٢) والنسوطي في الدر المنثور (٤٤٣/٧) عن عطاء عن ابن عباس، وعراه السيوطي لابن مردويه. وذكر البغوي مثل ذلك عن علي بن أبي طالب. وقيل: نزلت في سعد بن أبي وقاص. وهو مذهب الضحاك. وقيل: إن الآية عامة، وهو قول الحسن. ولعل هذا هو الأقرب؛ فإن أبا تحافة والد أبي بكر رضي الله عنهما لم يسلم إلا بعد فتح مكة، وكان عمرو أبي بكر وقتها تسعا وخمسين سنة. والله أعلم.

(٣) هذا على اختيار المصنف أنها نزلت في أبي بكر، وسبق بيان أن الأقرب أنها عامة.

(٤) النوبة: ٧٢.

(٥) أي: إدغام لام قال، مع إسكانها، مع لام ولوالديه، وهو مذهب أبي عمرو في أحد الروحين من روايتي الدوري والنوسي جميعا.

(٦) بالفتح من غير تنوين قراءة ابن كثير وابن عامر، وبالكسر من غير تنوين قراءة الباقرين عدا نافع وحفص، وقرأ نافع وحفص: ﴿أَف﴾.

(٧) مع اللد للشعب؛ ﴿أَتَعِدَانِي﴾، وهي قراءة سبعة لهشام.

(٨) لحمة والكسائي ونافع وابن عامر.

(٩) المناسب أن يقول: (وبهزتين محققين ومدة).

(١٠) قرأ بهزتين على الاستفهام ابن كثير وابن عامر، كل على أصله في التسهيل وعدمه، والإدخال وعدمه، وقرأ بقية السبعة: ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾.

﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ الْأَنْذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْكُلَ مِنْ عِلْمِكُمْ فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنْ أَنْتُمْ قَوْمٌ فَجَهُلُونَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُطْرَأٌ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ تَدْمُرُ كُلَّ جَبَلٍ يَمُرُّ بِهَا فَأَصْبَحُوا لَا يَرُونَ إِلَّا سَدًّا كَهَمُّ كَذَلِكَ تَجْرَى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّ هُمْ فِي مَا أَنْ مَكَنَّكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَتَحَدَّوْنَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَفْنَا آلَاتِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الْآيَاتِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٢٧﴾

من ذُوبَ اللَّهُ: أي: غيره ﴿قُرْبَانًا﴾ متفرقا بهم إلى الله ﴿الْآلِهَةِ﴾ معه، وهم الأصنام، ومفعول «اتخذ» الأول ضمير محذوف يعود على الموصول؛ أي: هم، و﴿قُرْبَانًا﴾ الثاني، و﴿الْآلِهَةِ﴾ بدل منه ﴿بَلْ ضَلُّوا﴾ غابوا ﴿عَنْهُمْ﴾ عند نزول العذاب ﴿وَذَلِكَ﴾ أي: اتخاذهم الأصنام آلهة قُرْبَانًا ﴿إِفْكُهُمْ﴾ كذبهم ﴿وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ يكذبون، و﴿ما﴾ مصدرية، أو موصولة والعائد محذوف؛ أي: فيه.

[٢١] ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ هو هود عليه السلام ﴿إِذْ﴾ بل اشتغال ﴿أَنْذَرَ قَوْمَهُ﴾ خوفهم ﴿بِالْأَحْقَافِ﴾ واد باليمن به منازلهم ﴿وَقَدْ خَلَتْ الْأَنْذُرُ﴾ مضت الرسل ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ أي: من قبل هود ومن بعده، إلى أقوامهم ﴿وَأَنْهَى﴾ أي: بأن قال: ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ وجملة: «وقد خلت» معترضة ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عدمتم غير الله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[٢٢] ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْكُلَ مِنْ عِلْمِكَ﴾ لنصرفنا عن عبادتها ﴿فَأَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب على عبادتها ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في أنه يأتيها. [٢٣] ﴿قَالَ هُودٌ﴾: إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ، هو الذي يعلم متى يأتيكم العذاب ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ إليكم ﴿وَلَكِنْ أَنْتُمْ قَوْمٌ فَجَهُلُونَ﴾ باستعجالكم العذاب.

[٢٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: ما هو العذاب ﴿عَارِضًا﴾ سحابًا عرض في أفق السماء ﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُطْرَأٌ﴾ أي: مطر إيسا، قال - تعالى -: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ من العذاب ﴿رِيحٌ﴾ بدل من «ما» ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٢٥] ﴿تَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ تهلك ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ مرت عليه ﴿يَأْمُرُ رَبُّهَا﴾ بإرادته<sup>(١)</sup>؛ أي: كل شيء أراد إهلاكه بها، فأهلك رجالهم ونساءهم وصغارهم وأمورهم، بأن طارت بذلك بين السماء والأرض وزمنته، وبقي هود ومن آمن معه ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يَرُونَ إِلَّا مَسَكِنَهُمْ كَذَلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿تَجْرَى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ غيرهم.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِي مَا﴾ في الذي ﴿إِنْ﴾ نافية أو رائدة ﴿مَكَنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿وَبِهِ﴾ من القوة والمال ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا﴾ بمعنى أسماعا ﴿وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾ قلوبا ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: شيئا من الإغناء، و«من» زائدة ﴿إِذْ﴾ معمولة ل«أغنى» واشترت معنى التعليل ﴿كَانُوا يَتَحَدَّوْنَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بحججه البينة ﴿وَوَاقَفَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ﴾ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿أَي:﴾ العذاب.

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ﴾ أي: من أهلها؛ كشمود وعاد وقوم لوط ﴿وَصَرَفْنَا آلَاتِهِمْ﴾ كرنا الحجج البينات ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

[٢٨] ﴿فَلَوْلَا﴾ هلا ﴿نَصْرُهُمْ﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا

(١) فائدة: أخرج البحاري عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا رأى مجيئة في السماء أقبل وأدبر، ودخل وخرج، وتغير وجهه، فإذا أمطرت السماء شوي عنه، فحوفه عائشة ذلك، فقال النبي ﷺ: «وما أدري بعل كما قال قوم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ الآية. البخاري. كتاب بدء الخلق (٥٩) باب (٥)، وكتاب التفسير (٦٥) - سورة الأحقاف (٤٦) باب (٢) ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾.

(١) في نسخة القاضي: «مطر أتاه».

(٢) الأمر غير الإرادة، وغير القدرة، وقد جرت عادة المصنف رحمه الله أن يفسر الأمر بذلك، وهذا مناه على مذهبه في كلام الله، أنه معنى نفسي لا يقبل التعدد، وهو خلاف مذهب السلف في أن الله عز وجل يتكلم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء، ومن ذلك أنه يأمر بما شاء وكيف شاء ومتى شاء.

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّذَرِّينَ ﴿١﴾ قَالُوا إِنَّا نَقُومُونَ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢﴾ يَقُومُونَ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَاعْمُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِمَّن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤﴾ أَوْ لَوْ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ لَهُنَّ خَلْقَهُنَّ يَقْدِرْ عَلَىٰ أَن يُخْجِيَ الْمَوْفِقَ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلْعًا فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٧﴾

## سورة الأحقاف

[٢٩] ﴿١﴾ «و» اذكر «وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ» جن «نصبيين»<sup>(١)</sup> باليمن، أو جن «ينوي»<sup>(٢)</sup>، وكانوا سبعة<sup>(٣)</sup> أو تسعة<sup>(٤)</sup>، وكان يصلي بطن نخلة<sup>(٥)</sup> يصلي بأصحابه الفجر. [رواه الشيخان] ﴿٢﴾ «يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا» أي: قال بعضهم لبعض: «أَنصِتُوا» أصغوا لاستماعه «فَلَمَّا قُضِيَ» فرغ من قراءته «وَلَّوْا» رجعوا «إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّذَرِّينَ» مخوفين قومهم العذاب إن لم يؤمنوا، وكانوا يهودا وقد أسلموا. [٣٠] ﴿٣﴾ «قَالُوا إِنَّا نَقُومُونَ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا» هو القرآن «أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» أي: تقدمه؛ كالطهارة «يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ»

الإسلام «وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ» أي: طريقه. [٣١] ﴿٤﴾ «يَقُومُونَ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ» محمدا ﷺ إلى الإيمان «وَعَامِلُوا بِهِ» يفتروا «اللَّهُ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ» أي: بعضها؛ لأن منها المظالم، ولا تغفر إلا برضا أصحابها «وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ» مؤلم. [٣٢] ﴿٥﴾ «وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ» أي: لا يعجز الله بالهرب منه، فيفوته «وَلَيْسَ لَهُ مِمَّن دُونِهِ» لمن لا يجيب «وَمِن دُونِهِ» أي: الله «أُولَٰئِكَ أَنْصَارٌ يَدْفَعُونَ عَنْهُ الْعَذَابَ» أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَجِيبُوا «فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» بين ظاهر.

[٣٣] ﴿٦﴾ «أَوْ لَوْ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ لَهُنَّ خَلْقَهُنَّ يَقْدِرْ عَلَىٰ أَن يُخْجِيَ الْمَوْفِقَ بَلَىٰ» منكره البعث «أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ لَهُنَّ خَلْقَهُنَّ» لم يعجز عنه «يَقْدِرْ» خبر «أَنَّ»، وزيدت الباء فيه؛ لأن الكلام في قوة<sup>(٧)</sup>: «أَلَيْسَ اللَّهُ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُخْجِيَ الْمَوْفِقَ بَلَىٰ» هو قادر على إحياء الموتى «يَوْمَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

[٣٤] ﴿٧﴾ «وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ» بأن يعذبوا بها، يقال لهم: «أَلَيْسَ هَٰذَا» التعذيب «بِالْحَقِّ» قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ».

[٣٥] ﴿٨﴾ «فَاصْبِرْ» على أذى قومك «كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ» ذوو الشبث والصبر على الشدائد «وَمِن الرُّسُلِ» قبلك فتكون ذا عزم، و«من» لليبيان، فكلهم ذوو عزم، وقيل: للتبعيض<sup>(٨)</sup> فليس منهم آدم؛ لقوله - تعالى -: «وَلَمْ يَجِدْ لَهُمْ عَزْمًا»<sup>(٩)</sup> ولا يونس؛ لقوله - تعالى -: «وَلَا تَكُن كَصَلَاحِ الْكَاثِرِينَ»<sup>(١٠)</sup> «وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ» لقومك نزول العذاب بهم، قيل: كأنه ضجر منهم، فأحب نزول العذاب بهم، فأمر بالصبر وترك الاستعجال للعذاب؛ فإنه نازل لا محالة «كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ» من العذاب في الآخرة، لطوله «لَمْ يَلْبِسُوا» في الدنيا في ظنهم «إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ»، هذا القرآن «بَلْعًا» تبليغ من الله إليكم «فَهَلْ» أي: لا «يَهْلِكُ» عند رؤية العذاب «إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ» أي: الكافرون.

\*\*\*

- (١) «نصبيين» ليست باليمن، وإنما هي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة، شمال العراق، على جادة القوافل من الموصل إلى الشام.
- (٢) مدينة قديمة، منها نبي الله يونس بن متى، وهي اليوم أطلال وآثار على الضفة اليسرى لنهر دجلة، مقابل مدينة الموصل من جهة الشرق، والنهر بينهما.
- (٣) أخرجه الطبري عن ابن عباس (١٣٥/٢٢).
- (٤) أخرجه الطبري عن زر بن حبیش (١٣٥/٢٢).
- (٥) في أكثر النسخ التي بأيدينا من المطبوع؛ «نَحْلُ»، والمثبت من نسخة القاضي، وهو الصحيح كما في صحيح البخاري، و«نخلته» هي نخلة البمانية، وهو موضع في الطريق إلى الطائف. أما «نحل» فهو موضع في نجد على بعد ليثين من المدينة؛ حيث صلى صلاة الخوف.
- (٦) البخاري (٧٧٣) ومسلم (٤٤٩) عن ابن عباس، وليس فيها أنها سبب لنزول هذه الآية.
- (٧) قوله: «في قوة»؛ أليس الله بقادر؟؛ جواب عما يقال: إن الباء لا تُزاد إلا في خبر «ليس» و«ها»، كما قال ابن مالك: وبعد «ها» وليس «جر الباء الخبر».
- (٨) قال ابن كثير: وقد اختلفوا في تعداد أولي العزم على أقوال؛ وأشهرها أنهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وخاتم الأنبياء كلهم؛ محمد ﷺ. أه. وقيل: إن الخلاف لفظي من حيث أصل العزم وكما؛ فكلهم أصحاب عزم، ولكنهم متفاوتون في ذلك.

(٩) ط: ١١٥.

(١٠) القلم: ٤٨.

(١)

## سُورَةُ الْقِتَالِ

[مدنية، إلا: ﴿وَكَانَ مِنْ قَرَيْبٍ﴾ الآية، أو: مكة،

وهي ثمان، أو: تسع وثلاثون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿وَصَدُّوا﴾ غيرهم ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: الإيمان ﴿أَصْلَ﴾ أحبط ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ كإطعام الطعام وصلة الأرحام، فلا يبرون لها في الآخرة ثواباً، ويُجزون بها في الدنيا، من فضله - تعالى (٢) -

[٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: الأنصار وغيرهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ و﴿آمَنُوا﴾ بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﴿أَي:﴾ القرآن ﴿وَهُوَ لَقَدْ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ﴾ غفر لهم ﴿سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ كَالَهُمْ﴾ حالهم، فلا يعصونه.

[٣] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إضلال الأعمال، وتكفير السيئات ﴿وَبِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اتَّعَمُوا الْبَطِلَ ﴿الشَّيْطَانُ﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا لِقَاءَ ﴿القرآن﴾ ﴿مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك البيان ﴿بُضِرَ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾ يبين أحوالهم؛ أي: فالكافر يحبط عمله، والمؤمن لا يغفر له.

[٤] ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ﴾ مصدر، بدل من اللفظ بفعله؛ أي: فاضربوا رقابهم؛ أي: اقتلوه، وعبر بضرب الرقاب؛ لأن الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة ﴿حَتَّى إِذَا أَتَخْتَرُّوهُمْ﴾ أكثرتم فيهم القتل ﴿فَشُدُّوا﴾ فأسكروا عنهم وأسرورهم، وشُدُّوا ﴿الْوَتَاكَ﴾ ما يوثق به الأسرى ﴿فَإِذَا مَتَّأ بَعْدُ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله؛ أي: تَثَوَّنْ عليهم، بإطلاقهم غير شيء ﴿وَأَمَّا ذِيئَةٌ﴾ تقادونهم بمال، أو: أسرى مسلمين ﴿حَتَّى تَضَعَ لُرَبِّي﴾ أي: أهلها ﴿أُزُرَاهَا﴾ أنقلها، من السلاح وغيره؛ بأن يُسلم الكفار، أو يدخلوا في العهد، وهذه غاية للقتل والأسر ﴿ذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ مقدر؛ أي: الأمر فيهم ما ذكر ﴿وَلَوْ بَشَاءَ اللَّهِ لَانْتَصَرْتُمْ﴾ بغیر قتال ﴿وَلَكِنْ﴾ أمركم به ﴿لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ منهم في القتال، فيصير من قُتِلَ منكم إلى الجنة، ومنهم إلى النار ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا﴾ وفي قراءة (٣) ﴿قَاتِلُوا﴾، الآية، نزلت يوم أحد (١)، وقد فُتِحَا في المسلمين القتل والجراحات ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُبْذَلَ﴾ يحبط ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾.

[٥] ﴿سَيِّئَاتِهِمْ﴾ في الدنيا والآخرة، إلى ما ينفعهم ﴿وَيُصِخِّرْ كَالَهُمْ﴾ حالهم فيهما، وما في الدنيا لمن لم يُقْتَلْ، وأُدرجوا في «قتلوا» تغليبا.

[٦] ﴿وَرَحْلُهُمْ لِحَنَّتْ رَعْفَهَا﴾ نَكَبَهَا ﴿لَهُمْ﴾ فيهدون إلى مساكنهم منها، وأزواجهم وخدمهم، من غير امتدلال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَصْلَ أَعْمَالِهِمْ ۖ وَالَّذِينَ  
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ؕ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ  
رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۖ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ  
اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ۖ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ حَتَّى  
إِذَا أَتَخْتَرُّوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاكَ ۖ فَإِنَّمَا مَتَّأ بَعْدُ ۖ وَإِنَّمَا فَعَلَكَ لِقَآءُ  
أُوْرَاهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَتْخَرْتُمْ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ  
بِبَعْضٍ ۖ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ۖ سَيَهْدِيهِمْ  
وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ ۖ عَرَفَهَا اللَّهُ ۖ تَبَّٰئِبُهَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْهُمْ وَيُنِيتْ أَقْدَامَهُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا  
فَعَسَىٰ لَهُمْ وَاصِلٌ أَعْمَالُهُمْ ۖ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ  
فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۖ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ  
عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ۖ ذَٰلِكَ  
بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۖ

[٧] ﴿تَبَّٰئِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ﴾ أي: دينه ورسوله ﴿يَضْرِبْكُمْ﴾ على عدوكم ﴿وَنُيِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ يبتكم في المعترك.

[٨] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة، مبتدأ خبره: «تَعِشُوا» (٢)، يدل عليه: ﴿فَعَسَىٰ لَهُمْ﴾ أي: هلاكاً وخيبة من الله ﴿وَأَصْلَ أَعْمَالَهُمْ﴾ عطف على «تَعِشُوا».

[٩] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: العس والإضلال ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾ من القرآن المشتمل على التكاليف ﴿فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

[١٠] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴿أَهْلَكَ أَنفُسَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿أي:﴾ أمثال عاقبة ما قبلهم.

[١١] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: نصر المؤمنين، وقهر الكافرين ﴿بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَىٰ﴾ ونصر ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾.

(١) وتسمى أيضاً: سورة «محمّد» ﷺ.

(٢) كما في حديث أنس عند مسلم وغيره مرفوعاً: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يُعْطَى بها في الدنيا، ويُجْزَى بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطْعَم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا قُضِيَ إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُجْزَى بها». مسلم (٢٨٠٨).

(٣) للبيعة عدا حفص وأبي عمرو.

(٤) هنا قول ابن جريج: كما في الدر المنثور (٤٦١/٧)، ونسبه لابن المنذر، ونسبه البيهقي لقاعدة، وسنده ضعيف لإعضاله كما في الاستيعاب (٣/٢١٨).

(٥) أي: تقديره: «تَعِشُوا».

في عبادة الأوثان؛ أي: لا مائلة بينهما.

[١٥] ﴿مَثَلُ أَي: صفة ﴿الْحَنَّةِ﴾ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ المشتركة بين داخلها، مبتدأ خبره: ﴿فِيهَا أَنَّهُمْ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ عَيْنٍ﴾ بالمد والقصر<sup>(١)</sup>؛ كضارب وخبره؛ أي: غير متغير، بخلاف ماء الدنيا، فيغير بعارض<sup>(٢)</sup> ﴿وَأَنَّهُمْ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ بخلاف لبن الدنيا، لخروجه من الضروع ﴿وَأَنَّهُمْ مِنْ حَمْرٍ لَذِقَ﴾ لذية ﴿لِلشَّارِبِينَ﴾ بخلاف خمر الدنيا؛ فإنها كريهة عند الشرب ﴿وَأَنَّهُمْ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ بخلاف عسل الدنيا؛ فإنه يخروجه من بطون النحل يخالطه الشمع وغيره ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ أصناف ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ فهو راض عنهم، مع إحسانه إليهم بما ذكر، بخلاف سيد العبيد في الدنيا، فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم ساخطا عليهم ﴿كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ﴾ خبر مبتدأ مقدر؛ أي: أمَّن هو في هذا النعيم ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾ أي: شديد الحرارة ﴿فَقَطَّ أَعْمَاءَهُمْ﴾ أي: مصارينهم فخرجت من أديارهم، وهو جمع معنى بالقصر، وألفه عن باء؛ لقولهم: معيان<sup>(٣)</sup>.

[١٦] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿مَنْ يَسْتَعِزُّ بِكَ﴾ في خطبة الجمعة، وهم المنافقون ﴿حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْوَحْيَ﴾ لعلماء الصحابة، منهم: ابن مسعود، وابن عباس<sup>(٤)</sup>، استهزاء وسخرية: ﴿مَاذَا قَالَ إِيَّاهُ﴾ بالمد والقصر<sup>(٥)</sup>؛ أي: الساعة؛ أي: لا نرجع إليه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿وَأَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في النفاق.

[١٧] ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا﴾ وهم المؤمنون ﴿زَادَهُمْ﴾ الله ﴿هَذَىٰ وَءَانْتَهُم نَقُوبُهُمْ﴾ ألههم ما يتقون به النار.

[١٨] ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظرون؛ أي: كفار مكة ﴿إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ﴾ بدن اشتغال من «الساعة» أي: ليس الأمر إلا أن تأتيهم ﴿بِنَفْثَةٍ﴾ فجأة ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ علاماتها، منها بعثة النبي ﷺ، وانشقاق القمر، والدخان.

﴿فَأَن لَّهم إِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ الساعة ﴿ذَكَرْتَهُمْ﴾ تذكركم؛ أي: لا ينفعهم.

[١٩] ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: ذم يا محمد على علمك بذلك، النافع في القيامة ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ﴾ لأجله، قيل له ذلك مع عصيته؛ لتستن به أمته، وقد فعله، قال ﷺ: «إني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة»<sup>(٦)</sup> ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ فيه إكرام لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ متصرفكم لأشغالكم في النهار ﴿وَمَثْوَاكُمْ﴾ مأواكم إلى مضاجعكم بالليل؛ أي: هو عالم بجميع أحوالكم، لا يخفى عليه شيء منها، فاحذروه، والخطاب للمؤمنين وغيرهم.

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَمِعُونَ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٣﴾ وَكَانَ مِنْ قَبْلِهِ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتَكَ أَهْلَكَهَا فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٤﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَدَيْنِهِ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ مَثَلُ الْحَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنَّهُمْ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنَّهُمْ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَغَيَّرْ طَعْمَهُ وَأَنَّهُمْ مِنْ حَمْرٍ لَذِيقٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنَّهُمْ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَعْمَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ إِيَّاهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٨﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٩﴾ فَأَعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿٢٠﴾

[١٣] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْمَعُونَ﴾ في الدنيا ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: ليس لهم همٌّ إلا بطونهم وفروجهم، ولا يلتفتون إلى الآخرة ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ منزل ومقام ومصير.

[١٣] ﴿وَكَايْنٍ﴾ وكم ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أريد بها أهلها ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ﴾ مكة؛ أي: أهلها ﴿الَّتِي أَخْرَجْتَكَ﴾ روعي لفظ «قرية» ﴿أَهْلَكَهَا﴾ روعي معنى «قرية» الأولى ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ من إهلاكنا.

[١٤] ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَدَيْنِهِ﴾ حجة وبرهان ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ وهم المؤمنون ﴿كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ﴾ فراه حسنا، وهم كفار مكة ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾

(١) بالقصر أي «أسن»، قراءة ابن كثير.

(٢) هي نسخة القاضي: «لعارض».

(٣) أي في تشبيه.

(٤) ذكر ذلك القرطبي في تفسيره؛ قال ابن عباس: كنت ممن يسأل. وروي عن ابن عباس: يريد عبد الله بن مسعود. وقيل غير ذلك، وقال ابن زيد: إنهم الصحابة.

(٥) بالقصر أي «أنفا» فراءة البري بخلاف عنه.

(٦) أخرجه نحوه مسلم (٢٧٠٢) عن الأعر بن يسار مرفوعا.

[٢٠] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ طلباً للجهاد: ﴿لَوْلَا هَلَّا﴾ ﴿وَنَزَلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكر الجهاد ﴿فَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ مُحْكَمَةٍ﴾ أي: لم ينسخ منها شيء ﴿وَوَدَّكَ فِيهَا الْفِتَالُ﴾ أي: طلبه ﴿وَنَزَلَتْ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ أي: شك، وهم المنافقون ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَنْظُرَ الْعَيْنِ عَلَى مِنَ الْمَوْتِ﴾ خوفاً منه وكرهه له؛ أي: فهم يخافون من القتال ويكرهونه ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ﴾ مبتدأ، خبره: [٢١] ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ أي: حسن لك ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أي: فرض القتال ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ في الإيمان والطاعة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ وجملة «لو» جواب «إذا».

[٢٢] ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ بكسر السين وفتحها<sup>(١)</sup>، وفيه التفات عن الغيبة إلى الخطاب؛ أي: لعلكم ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الإيمان ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ أي: تعودوا إلى أمر الجاهلية، من البغي والقتال<sup>(٢)</sup>.

[٢٣] ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: المفسدون ﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَاصْغُرْ﴾ عن استماع الحق ﴿وَأَعْمَجْ أَبْصَرَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup> عن طريق الهدى.

[٢٤] ﴿أَفَلَا يَنْدَرُونَ الْفُرَاتِ﴾ فيعرفون الحق ﴿أَمْ﴾ بل ﴿عَلَى قُلُوبٍ﴾ لهم ﴿أَفْصَالُهَا﴾ فلا يفهمونه.

[٢٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا﴾ باللفاق ﴿عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ﴾ أي: زين ﴿لَهُمْ﴾ [وأغلى] ﴿لَهُمْ﴾ بضم أوله ويفتحه واللام<sup>(٤)</sup>، والمملي الشيطان بإرادته - تعالى -، فهو المضل لهم.

[٢٦] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إضلالهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ أي: للمشركين: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ أي: المعاونة على عداوة النبي ﷺ، وتبسيط الناس عن الجهاد معه، قالوا ذلك سيؤا، فأظهره الله - تعالى - ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ﴾ بفتح الهمزة جمع «سِرٌّ»، وبكسرهما<sup>(٥)</sup> مصدر.

[٢٧] ﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ بِصُرُوتٍ﴾ حال من «الملائكة» ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ ظهورهم بمقامع من حديد؟.

[٢٨] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: التوفي على الحالة المذكورة ﴿بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ مُحْكَمَةٍ وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَنْظُرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَاصْغُرْ وَأَعْمَجْ أَبْصَرَهُمْ ﴿٣﴾ أَفَلَا يَنْدَرُونَ الْفُرَاتِ أَنْ يُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٤﴾ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْصَالُهَا ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴿٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ ﴿٧﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ بِصُرُوتٍ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا اسْحَظَّ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ وَفَاحْطَبَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَرَهُمْ ﴿١٠﴾

اسْحَظَّ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، أي: العمل بما يرضيه ﴿فَاحْطَبَ أَعْمَالَهُمْ﴾. [٢٩] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَرَهُمْ﴾ يظهر أحقادهم على النبي ﷺ والمؤمنين؟.

(١) فائدة: أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم قامت أرحم قطرة، هذا مقام العائذ بك من القطعية. قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذاك لك». ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ ﴿١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَاصْغُرْ وَأَعْمَجْ أَبْصَرَهُمْ﴾ ﴿٣﴾ أَفَلَا يَنْدَرُونَ الْفُرَاتِ﴾ أثر على قلوب أفصالها». مسلم - كتاب البر والصلة (٤٥) باب (٦) صلة الرحم وتحريم قطعيتها.

(٢) بالكسر قراءة نافع، وقرأ بقية السبعة بفتح السين.

(٣) في نسخة القاضي: «القتل».

(٤) بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿وَأَمْلَى﴾ بفتح أوله واللام.

(٥) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ بكسر الهمزة.

من طاعتكم وعصيانكم في الجهاد وغيره، بالياء والنون<sup>(١)</sup> في الأفعال الثلاثة<sup>(٢)</sup>.

[٣٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طريق الحق ﴿وَسَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ﴾ خالفوه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَاهُمْ الْمُنْكَرَ﴾ هو معنى سبيل الله ﴿لَنْ يَصْرَوْا اللَّهَ شَيْئًا وَسَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يطلها من صدقة ونحوها، فلا يرون لها في الآخرة ثوابًا، نزلت في المطعمين من أصحاب بدر<sup>(٣)</sup> أو: في قريظة والنضير<sup>(٤)</sup>.

[٣٣] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ بالمعاصي<sup>(٥)</sup> مثلاً.

[٣٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طريقه، وهو الهدى ﴿ثُمَّ مَاتُوا وَمَتَّ كَفَّارًا فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ نزلت في أصحاب القليب<sup>(٦)</sup>.

[٣٥] ﴿فَلَا تَهْتُوا﴾ تضعفوا ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾ بفتح السين وكسرها<sup>(٧)</sup>؛ أي: الصلح مع الكفار إذا لقيتموهم ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ حذف منه واو لام الفعل: الأغلبون القاهرون ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصر<sup>(٨)</sup> ﴿وَلَنْ يَرْكُزَ﴾ ينقصكم ﴿أَعْمَالَكُمْ﴾ أي: ثوابها.

[٣٦] ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ أي: الاشتغال فيها ﴿لَوَبٌّ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ الله وذلك من أمور الآخرة ﴿يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ جميعها، بل الزكاة المفروضة فيها.

[٣٧] ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْ فَيَخْشَفْكُمْ﴾ يبالغ في طلبها ﴿تَبْخُلُوا وَيَخْرُجْ﴾ البخل ﴿أَصْعَدَكُمْ﴾ لدين الإسلام.

[٣٨] ﴿هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِشِفَاقِ اللَّهِ﴾ ما فرض عليكم ﴿فَيَنْكُم مِّنْ يَّبْخَلُ وَمَنْ يَّبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَّفْسِهِ﴾ يقال: بخن عليه وعنه ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ عن نفقتكم ﴿وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾ إليه ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن طاعته ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يجعلهم بدلکم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾<sup>(٩)</sup> في التولي عن طاعته، بل مطيعين له ﴿وَاللَّهُ﴾

\*\*\*

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَعَزَّوْتَهُمْ بِسَمِئِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَتَبْلُوُنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجْهَدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّيِّينَ وَتَبْلُوُوا أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَصْرَوْا اللَّهَ شَيْئًا وَسَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهْتُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ دِينٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْ فَيَخْشَفْكُمْ فَيَخْشَفْكُمْ تَبْخُلُوا وَيُخْرِجْ أَصْعَادَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِشِفَاقِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَنْكُم مِّنْ يَّبْخَلُ وَمَنْ يَّبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾

[٣٠] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ﴾ عَزَّوْتَهُمْ، وكررت اللام في: ﴿لَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ بعلامتهم ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ الواو لقسم محذوف، وما بعدها جوابه ﴿فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي: معناه إذا تكلموا عندك، بأن يَمُوضُوا بما فيه تهجين أمر المسلمين ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾.

[٣١] ﴿وَلَتَبْلُوُنَّكُمْ﴾ نخبركم بالجهاد وغيره ﴿حَتَّى تَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿الْمُجْهَدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّيِّينَ﴾ في الجهاد وغيره ﴿وَتَبْلُوُوا أَخْبَارَكُمْ﴾

(١) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: تلا رسول الله ﷺ يوماً هذه الآية: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَعَزَّوْتَهُمْ بِسَمِئِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ وما بعدها جوابه ﴿فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي: معناه إذا تكلموا عندك، بأن يَمُوضُوا بما فيه تهجين أمر المسلمين ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾.

(٢) بالياء قراءة شعبة في الأفعال الثلاثة: أي: «يلبسونكم»، و«يلبسونكم»، و«يلبسونكم»، وقرأ بقية السبعة في الأفعال الثلاثة، بالنون.

(٣) في نسخة: «في ثلاثتهم»، والأفعال الثلاثة هي: «يلبسونكم»، و«نعلهم»، و«نبلونهم»، من هذه الآية.

(٤) هذا قول ابن عباس، كما في تفسير البغوي، أي الذين أطعموا قراء أهل مكة، الذين خرجوا لقتال المسلمين فيها.

(٥) ذكره الواحدي كما في زاد المسير.

(٦) ليست كل معصية مبذلة للأعمال الصالحة، بل منها ما يبطلها جميعها كالعردة، ومنها ما يبطل بعضها كالرياء في أصل العبد، ومنها ما لا يبطل شيئاً.

(٧) «القليب»: هو بحر في «بدر»، ألقي فيه قتلى الكفار في معركة بدر. وظاهر الآية العموم وإن كان السبب خاصاً، كما قال الشوكاني في فتح القدير.

(٨) بالكسر قراءة شعبة وحيدة.

(٩) وهذا من لوازم معيته. شبهته. الخاصة بعاده المؤمنين، وحقيقتها الصحة اللاتقة، ولا تنافي بينها وبين كونه مستوثاً على عرشه دائماً من خفة، فكلاهما حق.



## سُورَةُ الْفَتْحِ

[مدنية، تسع وعشرون آية،

نزلت في الطريق عند الانصراف من الحديبية\*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ قضينا بفتح مكة<sup>(١)</sup> وغيرها، في المستقبل غنوة بجهادك ﴿فَتَحًا مُبِينًا﴾ بَيِّنًا ظاهرًا. [٢] ﴿لِيَعْلَمَ لَكَ اللَّهُ﴾ بجهادك ﴿مَا قَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ منه، لتغرب أمثك في الجهاد، وهو مؤول؛ لعصمة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - بالدليل العقلي القاطع من الذنوب، واللام للعلة الغائية، فمدخولها مسبب لا سبب<sup>(٢)</sup> ﴿وَيُنَبِّئُكَ﴾ بالفتح المذكور ﴿بِغَنَمَتِهِ﴾ إنعامه ﴿عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ﴾ به ﴿صِرَاطًا﴾ طريقًا ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ يثبتك عليه، وهو دين الإسلام. [٣] ﴿وَيُضِرُّكَ اللَّهُ﴾ به ﴿نَصْرًا غَيْرَ بَرٍّ﴾ ذا ذل له. [٤] ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ الطمأنينة ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِيدُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ بشرائع الدين، كلما نزل واحدة منها آمنوا بها، ومنها الجهاد ﴿وَلِلَّهِ جُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلو أراد نصر دينه بغيركم لفعل ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَظِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه، أي: لم يزل متصفًا بذلك. [٥] ﴿لِيُذِلَّ﴾ متملق محذوف، أي: أمر بالجهاد ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>. [٦] ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُتَنَفِّقِينَ وَالْمُتَنَفِّقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ بِاللَّهِ ظَلَمَ النَّسْوَ﴾ بفتح السين وضمها في المواضع الثلاثة<sup>(٤)</sup>؛ ظنوا أنه لا ينصر محمدًا ﷺ والمؤمنين ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ النَّسْوَ﴾ بالذلل والعذاب ﴿وَعَذَّبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ مرجعًا. [٧] ﴿وَلِلَّهِ جُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَرِيبًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه، أي: لم يزل متصفًا بذلك.

(١) ما جاء في نزول السورة: أخرجه البخاري عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان في بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلهم رسول الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر بن الخطاب: تكلمت أم عمر عمر، تزوت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس، وخشيت أن يزل في القرآن، فما نشيت أن سمعت صرخاً يصرخ بي. فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن، فجلت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقال: «لقد أنزل علي الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الفتح (٤٨) باب (١).

وأخرج أيضاً عن سهل بن حنيف قال: أبها الناس اتهموا أنفسهم، فانا كنا مع النبي ﷺ يوم الحديبية ولو نرى قتالاً لقاتلنا، فجاء عمر ابن الخطاب فقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال: «بلى». فقال: أليس قتالنا في الجنة وقتلهم في النار؟ قال: «بلى». قال: فعلام نطعمي الدنيا؟ أترجع ولا يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: «يا ابن الخطاب، إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً، فانطلق عمر إلى أبي بكر فقال له مثل ما قال للنبي ﷺ، فقال: إنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبداً. فنزلت سورة الفتح، فقرأها رسول الله ﷺ على عمر، فقال عمر: يا رسول الله، أو فتح هو؟ قال: نعم». البخاري - كتاب الجزية والمواذعة (٥٨) باب (١٨).

وأخرج أحمد عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالاً... حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي وقال: يا رسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجت معها العوز المطافيل، قد ليسوا جلود النمرور يهادنون الله أن لا تدخلها عليهم غنة أبداً... فأتاه سهيل بن عمرو، فلما رآه النبي ﷺ قال: «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل»... حتى إذا كان بين يدي مكة والمدينة في وسط الطريق، فنزلت سورة الفتح. أحمد في مسنده (٣٢٦/٤). وأخرج أيضاً عن عبد الله بن مسعود قال: لما انصرفنا من غزوة الحديبية، قال رسول الله ﷺ: «من يحرسنا الليلة؟» قال عبد الله... وأما... ونزلت على رسول الله ﷺ سورة الفتح. أحمد - المسند (٣٩١/١)، وقال أحمد شاكر: (إسناده صحيح (٣٧١٠).

(٢) ما جاء في نزول الآية (٥): أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك قال: نزلت على النبي ﷺ: ﴿لِيَعْلَمَ لَكَ اللَّهُ مَا قَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مرجعه من الحديبية، فقال النبي ﷺ: «لقد نزلت علي آية أحب إلي مما على الأرض» ثم قرأها النبي ﷺ عليهم. فقالوا: هنيئاً مريئاً يا نبي الله، قد بين الله لك ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه: ﴿لِيُذِلَّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ حتى سبغ ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٩) ومن سورة الفتح، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٠١).

(١) الراجح أن المراد بانفتح هنا هو صلح الحديبية.

(٢) قال أبو السعود في تفسيره ﴿لِيَعْلَمَ لَكَ اللَّهُ﴾: «غاية للفتح، من حيث إنه مترتب على سعيه عليه الصلاة والسلام في إعلاء كلمة الله - تعالى -، بمكابهة مشاق الحروب، وإقحام موارد الخطوب. مَا قَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ: أي جميع ما فرط منك من ترك الأولى. وتسميته ذنباً بالنظر إلى منصبه الجليل.

(٣) ما سبق قلم من انصف رحمه الله، فهذه الآية، والموضع الثاني في الآية (١٢) من هذه السورة، وهو قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ لَكَ النَّسْوَ﴾؟ يس فيها إلا فتح السين باتفاق القراء. وليس فيها ضمها باتفاقهم. وأما الضم والفتح، ففي قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ النَّسْوَ﴾ فقط؛ بفتح السين وضمها، والضم قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ تَكَفَّ فَإِنَّمَا يَتَكَبَّرُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَعَلْنَا أَمْوَالَنَا وَهَلُونَا فَاسْتَعْفِرْنَا يَفْقَهُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ طَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَطَنَنْتُمْ ظَنَ السَّوءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلْفُونَ إِذَا أَطْلَقْتُم إِلَى مَعَانِهِمْ لِنَأْخُذْهَا ذُرُونًا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَمُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥﴾

[١١] ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ حول المدينة؛ أي: الذين خلفهم الله عن صحبتك، لما طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة، خوفًا من تعرض قريش لك عام الحديبية، إذا رجعت منها: ﴿شَعَلْنَا أَمْوَالَنَا وَهَلُونَا﴾ عن الخروج معك ﴿فَاسْتَعْفِرْنَا﴾ أي: الله، من ترك الخروج معك، قال - تعالى - مكذبًا بهم: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ أي: من طلب الاستغفار وما قبله ﴿تَنَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فهم كاذبون في اعتذارهم ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ﴾ استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا أحد ﴿يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا ﴿بِفَتْحِ الضَّادِ وَضَمِّهَا﴾ ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿أَي: بِمَ يَزِلْ مَتَصِفًا بِذَلِكَ﴾.

[١٢] ﴿بَلْ﴾ في الموضعين للانتقال من غرض إلى آخر ﴿طَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي: أنهم يُسْتَأْصَلُونَ بالقتل، فلا يرجعون ﴿وَطَنَنْتُمْ ظَنَ السَّوءِ﴾ هذا وغيره ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ جمع بائر؛ أي: هالكين عند الله بهذا الظن.

[١٣] ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ نَارًا شديدة.

[١٤] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفًا بما ذكر.

[١٥] ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلْفُونَ﴾ المذكورون: ﴿إِذَا أَطْلَقْتُمْ إِلَى مَعَانِهِمْ﴾ هي مغام خيبر ﴿لِنَأْخُذْهَا ذُرُونًا﴾ اتركونا ﴿نَتَّبِعْكُمْ﴾ لنأخذ منها ﴿يُرِيدُونَ﴾ بذلك ﴿أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ وفي قراءة (٧): ﴿كَلِمَ اللَّهِ﴾ بكسر اللام؛ أي: مواعيده بغنائم خيبر أهل الحديبية خاصة ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل عودنا ﴿فَمُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أن نصيب معكم من الغنائم، فقلتم ذلك ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾ من الدين ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم.

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ تَكَفَّ فَإِنَّمَا يَتَكَبَّرُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَعَلْنَا أَمْوَالَنَا وَهَلُونَا فَاسْتَعْفِرْنَا يَفْقَهُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ طَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَطَنَنْتُمْ ظَنَ السَّوءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلْفُونَ إِذَا أَطْلَقْتُم إِلَى مَعَانِهِمْ لِنَأْخُذْهَا ذُرُونًا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَمُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥﴾

[٨] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ على أمتك في القيامة ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لهم في الدنيا بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذرًا، مُحَوِّفًا فيها مَنْ عمل سوءًا بالنار.

[٩] ﴿إِنِّيُؤْمِنُ﴾ يَأْتِيهِ وَرَسُولُهُ ﴿بِالْبَيِّاتِ وَالتَّاءِ﴾، فيه وفي الثلاثة بعده ﴿وَيُعْزِزُهُ﴾ ينصروه، وقرئ (٦) براين مع الفوقانية ﴿وَيُؤَقِّدُهُ﴾ يعظمه، وضميرها لله أو لرسوله ﴿وَيُسَبِّحُوهُ﴾ أي: لله ﴿بُحْرَةً وَأَصِيلًا﴾ بالغداة والعشي.

(١) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

(٢) أي شذوذًا.

(٣) النساء: ٨٠.

(٤) وهذا تفسير باللازم، ولا يمنع ذلك من إثبات اليد حقيقة لله ﴿يُفْقَهُ﴾ على ما يليق به، كما هو مذهب أهل السنة.

(٥) بالنون قراءة نافع وابن كثير وابن عاصم، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٦) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٧) لحمزة والكسائي.

[١٦] ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّ عَوْنٍ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ يَقْتُلُونَهُمْ أَوْ يَسُومُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا نُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يَعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [١٦] لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ الْبَاءِ وَالنَّوْنِ<sup>(١)</sup> جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ عِدَابَهُ الْبَاءِ وَالنَّوْنِ<sup>(٢)</sup> عَذَابًا أَلِيمًا.

[١٧] ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ فِي تَرْكِ الْجِهَادِ وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ الْبَاءِ وَالنَّوْنِ<sup>(١)</sup> جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ عِدَابَهُ الْبَاءِ وَالنَّوْنِ<sup>(٢)</sup> عَذَابًا أَلِيمًا.

[١٨] ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ إِذْ يَبَايِعُوكَ بِاخْتِيَارٍ تَحْتَ الشَّجَرَةِ هِيَ سَمُرَةٌ وَهِيَ أَلْفُ وَثْنَانِ أَوْ أَكْثَرُ ثُمَّ بَايَعَهُمْ عَلَى أَنْ يَبَاجِرُوا قَرِيبًا وَأَنْ لَا يَفِرُوا مِنَ الْمَوْتِ﴾ [١٨] ﴿فَقِيلَ﴾ اللَّهُ ﴿مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ الصَّدْقِ وَالْوَفَاءِ﴾ [١٨] ﴿كَأَنَّهُمْ أَلْفٌ وَثْنَانِ أَوْ أَكْثَرُ ثُمَّ بَايَعَهُمْ فَتَحَا قَرِيبًا﴾ هُوَ فَتَحَ خَيْرٍ بَعْدَ انْصِرَافِهِمْ مِنَ الْحَدِيدِيَّةِ.

[١٩] ﴿وَمَعَانِهِ كَثِيرَةٌ يَأْخُذُونَهَا مِنْ خَيْرٍ﴾ [١٩] ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أَي: لَمْ يَزَلْ مُتَصِفًا بِذَلِكَ.

[٢٠] ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَعَانِهِ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ مِنَ الْفَتْوحَاتِ ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ غَنِيمَةً خَيْرٍ ﴿وَكَلَّفَ الْبُؤَى النَّاسَ عَنْكُمْ﴾ فِي عِبَالِكُمْ لَمَّا خَرَجْتُمْ وَهَمَّتْ بِهِمُ الْيَهُودُ فَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴿وَلَا تَكُونُ﴾ أَي: الْمَعْجَلَةُ عَطْفٌ عَلَى مَقْدَرٍ أَي: لِتَشْكُرُوهُ ﴿عَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فِي نَصْرِهِمْ ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أَي: طَرِيقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَتَقْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ - تَعَالَى ..

[٢١] ﴿وَأَنْشَرْنَا﴾ صِفَةً «مَعَانِمَ» مَقْدَرًا، مُبْتَدَأٌ ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ هِيَ مِنْ فَارِسٍ وَالرُّومِ ﴿فَقَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ عَلِمَ أَنَّهَا سَتَكُونُ لَكُمْ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ أَي: لَمْ يَزَلْ مُتَصِفًا بِذَلِكَ.

[٢٢] ﴿وَلَوْ فَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِالْحَدِيدِيَّةِ ﴿لَوَلَوْ الْأَذْدَرُ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ بِحَرَسِهِمْ ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾.

[٢٣] ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ مُصَدِّرٌ مُؤَكِّدٌ لِمُضْمُونِ الْجُمْلَةِ قَبْلَهُ، مِنْ هَزِيمَةٍ

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّ عَوْنٍ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ يَقْتُلُونَهُمْ أَوْ يَسُومُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا نُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يَعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا [١٦] لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ الْبَاءِ وَالنَّوْنِ عَذَابًا أَلِيمًا [١٧] لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ فِي تَرْكِ الْجِهَادِ وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ الْبَاءِ وَالنَّوْنِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ عِدَابَهُ الْبَاءِ وَالنَّوْنِ عَذَابًا أَلِيمًا [١٨] لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ إِذْ يَبَايِعُوكَ بِاخْتِيَارٍ تَحْتَ الشَّجَرَةِ هِيَ سَمُرَةٌ وَهِيَ أَلْفُ وَثْنَانِ أَوْ أَكْثَرُ ثُمَّ بَايَعَهُمْ عَلَى أَنْ يَبَاجِرُوا قَرِيبًا وَأَنْ لَا يَفِرُوا مِنَ الْمَوْتِ [١٨] فَقِيلَ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ الصَّدْقِ وَالْوَفَاءِ [١٨] كَأَنَّهُمْ أَلْفٌ وَثْنَانِ أَوْ أَكْثَرُ ثُمَّ بَايَعَهُمْ فَتَحَا قَرِيبًا هُوَ فَتَحَ خَيْرٍ بَعْدَ انْصِرَافِهِمْ مِنَ الْحَدِيدِيَّةِ [١٩] وَمَعَانِهِ كَثِيرَةٌ يَأْخُذُونَهَا مِنْ خَيْرٍ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا أَي: لَمْ يَزَلْ مُتَصِفًا بِذَلِكَ [٢٠] وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَعَانِهِ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا مِنَ الْفَتْوحَاتِ فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ غَنِيمَةً خَيْرٍ وَكَالَّفَ الْبُؤَى النَّاسَ عَنْكُمْ فِي عِبَالِكُمْ لَمَّا خَرَجْتُمْ وَهَمَّتْ بِهِمُ الْيَهُودُ فَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ وَلَا تَكُونُ أَي: الْمَعْجَلَةُ عَطْفٌ عَلَى مَقْدَرٍ أَي: لِتَشْكُرُوهُ عَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ فِي نَصْرِهِمْ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا أَي: طَرِيقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَتَقْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ - تَعَالَى .. [٢١] وَأَنْشَرْنَا صِفَةً «مَعَانِمَ» مَقْدَرًا، مُبْتَدَأٌ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا هِيَ مِنْ فَارِسٍ وَالرُّومِ فَقَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا عَلِمَ أَنَّهَا سَتَكُونُ لَكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا أَي: لَمْ يَزَلْ مُتَصِفًا بِذَلِكَ [٢٢] وَلَوْ فَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْحَدِيدِيَّةِ لَوَلَوْ الْأَذْدَرُ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا بِحَرَسِهِمْ وَلَا نَصِيرًا [٢٣] سُنَّةَ اللَّهِ مُصَدِّرٌ مُؤَكِّدٌ لِمُضْمُونِ الْجُمْلَةِ قَبْلَهُ، مِنْ هَزِيمَةٍ

الْكَافِرِينَ وَنَصَرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ أَي: سَنَّ اللَّهُ ذَلِكَ سَنَةً أَلَّتِي قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا مِنْهُ.

(١) بِالنَّوْنِ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ عَامِرٍ.

(٢) بِالنَّوْنِ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ عَامِرٍ.

﴿مَعَكُمْ﴾ محبوباً حال ﴿أَنْ يَبْلُغَ حِلَّةً﴾ أي: مكانه الذي ينحر فيه عادة، وهو الحرم، بدل اشتمال ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ﴾ موجودون بمكة مع الكفار ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ بصفة الإيمان ﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾ أي: تقتلوهم مع الكفار، لو أذن لكم في الفتح، بدل اشتمال من ﴿هم﴾ ﴿فَتَضِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةً﴾ أي: إثم ﴿يَغِيرُ عَلَيْهِمْ﴾ منكم به، وضمان الغيبة للصنفين بتغليب الذكور، وجواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوف؛ أي: لأذن لكم في الفتح، لكن لم يؤذن فيه حينئذ ﴿لَيُدْخِلَنَّ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ كل المؤمنين المذكورين ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ تميزوا عن الكفار ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ من أهل مكة حينئذ، بأن نأذن لكم في فتحها ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً.

[٢٦] ﴿إِذْ جَعَلَ﴾ متعلق بـ﴿عَذَابًا﴾ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فاعل ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ الأنفة من الشيء ﴿حِمِيَّةً لِّجَاهِهِ﴾ بدل من «الحمية»، وهي صدهم النبي وأصحابه عن المسجد الحرام ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فصالحوهم على أن يعودوا من قابل، ولم يلحقهم من الحمية ما لحق الكفار، حتى يقاتلوهم ﴿وَالزَّكَمَ﴾ أي: المؤمنين ﴿كَلِمَةً تَلْقَوْنَ﴾ لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأضيفت إلى التقوى؛ لأنها سببها ﴿وَكَلَامًا أَحَقَّ بِهَا﴾ بالكلمة من الكفار ﴿وَأَهْلَهَا﴾ عطف تفسيري ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَكْلِي شَيْءًا عَظِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك، ومن معلومه - تعالى - أنهم أهلها. [٢٧] ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ آتِيًا بِالْحَقِّ﴾ رأى رسول الله ﷺ في النوم عام الحديبية قبل خروجه أنه يدخل مكة هو وأصحابه، آمين ويحلقون ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا، فلما خرجوا معه وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك وراب بعض المنافقين نزلت، وقوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ﴿صَدَقَ﴾، أو حال من ﴿الآتِيَا﴾ وما بعدها تفسيرها ﴿لَتَدْخُلَنَّ السَّجْدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ للترك ﴿وَأَمِينَتِ نَحْلَيْنَ رُءُوسَكُمْ﴾ أي: جميع شعورها ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ بعض شعورها، وهما حالان مقدرتان ﴿لَا تَخَافُوتَ﴾ أي: أعلمكم في الصلح ﴿مَا لَوْ تَعْلَمُوا﴾ من الصلاح ﴿وَنَجَمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: الدخول ﴿فَتَمَّا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر، وتحققت الرؤيا في العام القابل.

[٢٨] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾ أي: دين الحق ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ على جميع باقي الأديان ﴿وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أنك مرسل بما ذكر.

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٦﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَى مَعَكُمْ فَأَنْ يَبْلُغَ حِلَّةً وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فُتْضِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ يَغِيرُ عَلَيْهِمْ لَيُدْخِلَنَّ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٧﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حِمِيَّةً لِّجَاهِهِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامَيْنِ مِنْهُ لَمُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُوتَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا ﴿٢٩﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٣٠﴾

[٢٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ بالحديبية ﴿وَمِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ فإن ثمانين منهم طافوا بعسكركم، ليصيبوا منكم فأجذوا وأتى بهم إلى رسول الله ﷺ فعفا عنهم وحلى سبيلهم، فكان ذلك سبب الصلح ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَفْعَلُونَ بَصِيرًا﴾ بالباء والفاء (١)؛ أي: لم يزل متصفاً بذلك. [٢٥] ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: عن الوصول إليه ﴿وَالْهَدَى﴾ معطوف على «كم» (٢).

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٤): أخرجه مسلم عن أنس رضي الله عنه أن ثمانين رجلاً من أهل مكة، هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين، يريدون عرة النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سلفاً فاستباحهم، فأرسل الله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾. وكان الله ﷻ يما تَعْمَلُونَ بَصِيرًا. مسلم - كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب (٤٦) (وهو الذي كف أيديهم عنكم).

وأخرج مسلم أيضاً عن سلمة بن الأكوع قال: ... فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة واخلط بعضنا ببعض، أتيت شجرة فكسخت [أي كسخت] شوكها فاضطجعت في أصلها. قال: فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة، فجعلوا يبعون في رسول الله ﷺ فأبغضتهم، فتحولت إلى شجرة أخرى، وعلفوا سلاحهم واضطجعتوا، بينما هم كذلك؛ إذ نادى مناد: يا للهاجرين؛ قل ابن زعيم. قال: فاخرطت سيفي، ثم شددت على أولئك الأربعة وهم رقود، فأخذت سلاحهم. فجعلته صيفاً [خرمة] في يدي. قال: ثم قتلت. والذي كرم وجهه محمد، لا يرفع أحد منكم رأسه، إلا صربت الذي فيه عينه. قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال: «دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثأفه» فعفا عنهم رسول الله ﷺ، وأرسل الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ الآية. مسلم - كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب (٤٥) غزوة ذي قرد وغيرها.

وأخرج البخاري عن المسور بن مخرمة ومروان في حديث طويل، وفيه قصة أبي بصير وتربسه ومن أوى إليه من المسلمين حتى لا يردهم المسلمون إلى قريش - كما في شروط صلح الحديبية - وقطعهم الطريق على قوافل قريش وغيرها. فُرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لئلا أرسل فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فأرسل الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾... الآية. البخاري. كتاب الشروط (٥٤) - باب (١٥) الشروط في الجهاد. قال الحافظ: ووظاهره أنها نزلت في شأن أبي بصير. وفيه نظر. والمشهور في سبب نزولها ما أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع ومن حديث أنس بن مالك الفتح (٤١٤/٥).

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ  
تَرَاهُمْ رُكَّاعًا سَاجِدًا يُسَبِّحُونَ فَضْلًا إِنَّ اللَّهَ وَرِضْوَانًا سَمِيحًا  
فِي وَجْهِهِمْ مَنْ أَرَادَ السُّجُودَ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْبَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي  
الْإِغْيَالِ كَرَزِجٍ أَخْرَجَ شَطْلَهُ فَفَارَزَهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى  
عَلَى سَوْفِهِ يَعْجَبُ الزَّرَّاعُ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ  
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١﴾

## سورة الحجرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا  
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا  
أَصْوَتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ  
لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
يَعْضُونَ أَصْوَتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ  
اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ﴿٤﴾ أي: لتظهر منهم ﴿٥﴾ لهم  
مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٥﴾ الجنة. [٤] ونزل في قوم جاؤوا وقت الظهيرة  
والنبي ﷺ في منزله فنادوه: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ يَنَادُوكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾  
حجرات نسائه ﷺ، جمع حجرة، وهي ما يحجر عليه من الأرض بحائط  
ونحوه، وكان كل واحد منهم نادى خلف حجرة - لأنهم لم يعلموه في أي  
حجرة - مناداة الأعراب بخلطة وجفاء<sup>(١)</sup> ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ - فيما  
فعلوه - محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم.

[٢٩] كما قال الله - تعالى -: ﴿مُحَمَّدٌ﴾ مبتدأ ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ خبره  
﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي: أصحابه من المؤمنين، مبتدأ، خبره: ﴿أَشِدَّاءُ﴾ غلاظ  
﴿عَلَى الْكُفَّارِ﴾ لا يرحمونهم ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ خبر ثان؛ أي: متعاطفون  
متوادون، كالوالد مع الولد ﴿تَرَاهُمْ رُكَّاعًا سَاجِدًا﴾ حالان  
﴿يُسَبِّحُونَ﴾ مستأنف يطلبون ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سَمِيحًا﴾ علامتهم،  
مبتدأ ﴿فِي وَجْهِهِمْ﴾ خبره، وهو نور وياض يعرفون به في الآخرة أنهم  
سجدوا في الدنيا<sup>(١)</sup> ﴿مَنْ أَرَادَ السُّجُودَ﴾ متعلق بما تعلق به الخبر؛ أي: كائنه،  
وأعرب حالاً من ضميره المنقول إلى الخبر ﴿ذَلِكَ﴾ الوصف المذكور  
﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم، مبتدأ ﴿فِي التَّوْبَةِ﴾ خبره ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِغْيَالِ﴾  
مبتدأ، خبره: ﴿كَرَزِجٍ أَخْرَجَ شَطْلَهُ﴾ بسكون الطاء وفتحها<sup>(٢)</sup>؛ فراحه<sup>(٣)</sup>  
﴿فَارَزَهُ﴾ بالمد وانقصر<sup>(٤)</sup>؛ قواه وأعانه ﴿فَاسْتَعْلَظَ﴾ غلظ ﴿فَاسْتَوَى﴾  
قوي واستقام ﴿عَلَى سَوْفِهِ﴾ أصوله، جمع ساق ﴿يَعْجَبُ الزَّرَّاعُ﴾ أي: زُراعُه؛  
لحسنه، مثل الصحابة - رضي الله عنهم - بذلك؛ لأنهم بدلوا في قلة وضعف،  
فكثروا وقوّوا على أحسن الوجوه ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾<sup>(٥)</sup> متعلق بمحذوف دل  
عليه ما قبله؛ أي: شبهوا بذلك ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾  
الصحابة، و«من» لبيان الجنس لا للتبعض؛ لأنهم كلهم بالصفة المذكورة  
﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الجنة، وهما<sup>(٦)</sup> لمن بعدهم - أيضاً - في آيات.

## سورة الحجرات

[مدينة، ثمان عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا﴾ من قَدَمَ بمعنى تقدم؛ أي: لا  
تقدموا يقول ولا فعل ﴿بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ المبلغ عنه؛ أي: بغير إذنهما  
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لقولكم ﴿عَلِمَ﴾ بفعلكم، نزلت في مجادلة أبي  
بكر وعمر - رضي الله عنهما - على<sup>(١)</sup> النبي ﷺ في تأمير الأعرع بن حابس أو  
القعقاع بن معبد<sup>(٢)</sup>، [٢] ونزل فيمن رفع صوته عند النبي ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ إذا نطقتم ﴿فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ إذا نطق<sup>(٣)</sup> ﴿وَلَا  
تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ إذا ناجيته ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ بل دون ذلك  
إجلالاً له ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أي: خشية ذلك بالرفع والجهر  
المذكورين<sup>(٤)</sup>، [٣] ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبي ﷺ كأبي بكر  
وعمر<sup>(٥)</sup> وغيرهما<sup>(٦)</sup> ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (٢، ١): أخرج البخاري عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: أنه قدم ركب من بني قحيم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد بن زبيرة، فقال عمر: بل أمر الأعرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافتك، فصاريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ حتى انقضت.

(١) الظاهر أن المراد بالسبب ما علامتهم في الدنيا، وإن كانوا في الآخرة كذلك يعرفون بالمر المحجلين، قال بعض المفسرين: أي قد أثرت العبادة من كثرتها وحسنها في وجوههم حتى استنارت، لما استنارت بالصلاة بواطهم استنارت بالجلال طواهرهم. (٢) بالفتح قراءة ابن كثير وابن ذكوان. (٣) الشطط: فرخ النخل. (٤) باقصر قراءة ابن ذكوان.

(٥) استنبط الإمام مالك من هذه الآية تكفير الشيعة والروافض الذين يُعضون الصحابة رضي الله عنهم؛ فإنهم يخطونهم، ومن غاظه الصحابة فهو كافر، ووافقه كثير من العلماء. انتهى من «المواهب» نقلًا عن روح المعاني للأرسي. (٦) أي: المغفرة والأجر العظيم؛ لمن بعدهم من المؤمنين. (٧) كذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي حاشية الجمل والصاروي: «الأولى أن يقول: «عد النبي، وفي نسخة القاضي: «عده». (٨) البخاري (٤٣٦٧، ٤٨٤٧). (٩) أي: حين بلغها النبي عن رفع الصوت؛ فصاروا بخفض أصواتهم عند النبي ﷺ، كما قال ابن الزبير عند البخاري (٤٨٤٥): فما كان عمر يُسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه. (١٠) لعله يشير إلى ما أخرجه الطبري في جامع لبيان (٧٥/٢٦)، والطبراني في الكبير (٦٨/٢) رقم (١٣١٦)، والهشيمي في الجمع (٣٢١/٩) أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس. وإسناده ضعيف كما ذكر في الاستيعاب (٢٦١/٣).

(١١) يشير إلى ما أخرجه الطبري في جامعه (٧٧/٢٦)، والطبراني في الكبير (٨٧٨/١) وغيرهما عن الأعرع بن حابس أنه أتى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، اخرج إلينا، فلم يجبه، فقال: يا محمد، إن حدي زين، وإن ذمي شين؛ فقال ﷺ: «ذاك الله؛ فأقر الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ يَنَادُوكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾. وأخرجه أحمد في مسنده مختصراً؛ دون ذكر أنه سب نزول الآية. وصححه في الاستيعاب (٢٦٣/٣).

عندهم: ﴿يَتْلُوهُنَّ لَبِيبًا إِنَّ جَاءَهُنَّ فَاسِقٌ يُنْكِرُ﴾ خبر ﴿تَضَيُّوْنَ﴾ صفة من كذبه، وفي قراءة<sup>(٤)</sup>: ﴿تَضَيُّوْنَ﴾ من الثبات أن تَضَيُّوْا قَوْمًا مفعول له؛ أي: خشية ذلك ﴿يَهْتَكِرُ﴾ حال من الفاعل؛ أي: جاهلين ﴿فَتَضَيُّوْا﴾ تصيروا ﴿وَعَلَى مَا فَعَلْتُمْ﴾ من الخطأ بالقوم ﴿تَذَرِينَّ﴾ وأرسل ﴿إِلَيْهِمْ﴾ بعد عودهم إلى بلادهم خالداً، فلم يرفههم إلا الطاعة والخير فأعبر النبي بذلك<sup>(٥)</sup>.

[٧] ﴿وَاتَّبِعُوا أَمْرًا يَكْبُرُ مِنْ أَمْرٍ﴾ الذي تخبرون به على خلاف الواقع، فيرتب على ذلك مقتضاه ﴿لَعَنَهُمُ﴾ لأنتم تسيئون به إلى الربِّ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ حسنه ﴿فِي قَوْلَيْكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ استدراك من حيث المعنى دون اللفظ؛ لأن من حُبَّ إليه الإيمان... إلخ، غايرت صفته صفة من تقدم ذكره ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ﴾ فيه التفات عن الخطاب ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ ذَنبِهِمْ﴾

[٨] ﴿فَضَلًا مِّنَ اللَّهِ﴾ مصدر منصوب بفعله المقدر؛ أي: أفضل ونيمة منه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بهم ﴿وَحَكِيمٌ﴾ في إنعامه عليهم.

[٩] ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، نزلت في قضية هي أن النبي ﷺ ركب حمازاً، ومر على ابن أبي، فبال حماز، فسد ابن أبي أنفه، فقال ابن رواحة: والله لبول حماره أطيب ريحاً من مسكك؛ فكان بين قوميها ضرب بالأيدي والنعال والسعف<sup>(١)</sup> ﴿فَاقْتَتَلُوا﴾ جمع؛ نظراً إلى المعنى؛ لأن كل طائفة جماعة، وقرئ<sup>(٢)</sup>: ﴿فَاقْتَتَلُوا﴾ ففأصْلَحُوا بَيْنَهُمَا، نُيَ نظراً إلى اللفظ ﴿فَإِنْ بَعَثَ﴾ تعدت ﴿إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَىٰ فَتَنَلُوا﴾ تَنَى بَيْنَهُمَا حَتَّى تَقَىٰ ﴿وَلَوْ أَمَرَ اللَّهُ﴾ الحق ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ بالإنصاف ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ اعدلوا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>(٣)</sup>

[١٠] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ في الدين ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إذا تنازعا، وقرئ<sup>(٨)</sup>: ﴿إِخْوَتَكُمْ﴾ بالفوقانية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

١١١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْتَخِرُوا الْآيَةَ﴾ نزلت في وفد تميم حين  
 سخرخوا من فقراء المسلمين؛ كعمار، وصهيب<sup>(٩)</sup>، والسخرية: الازدراء  
 والاحتقار ﴿قَوْمٌ﴾ أي: رجال منكم ﴿مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾  
 عند الله ﴿وَلَا يَسْأَلُ﴾ منكم ﴿مِنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْبِسُوا  
 أَنْفُسَكُمْ﴾ لا تغيبوا قضاهاؤا؛ أي: لا يعب بعضكم بعضا ﴿وَلَا تَلْبِسُوا

٦- الآفة البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الحجرات (٤٩) باب (٢) وأخرج البخاري أيضاً عن ابن أبي مليكة: قال: كاد الحيران أن يهلكا؛ رفع أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم؛ فأشار أحدهما بالأمر بن حابس أخيه بني مجاشع، وأشار الآخر بـرجل آخر - قال نافع: لا أحفظ اسمه - فقال أبو بكر لعمر: أريدت إلا خلافي، فارتفعت أصواتهما في ذلك؛ فأُنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن يَحْبَطَ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الحجرات باب (٣).

(د) ما جاء في نزول الآية (٩): أخسر البحاري عن أنس بن مالك قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عند الله بن أبي، فأنطلق إليه النبي ﷺ وركب حملاً، فأنطلق المسلمون يتبعون معه. وهي أرض مسخرة. فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عني، والله لقد أذاني تنق حمارك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه فشنمه، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنتعال، فبلغنا أنها أنزلت: **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بِهِمَا** البخاري - كتاب الصلح (٥٣) باب (١) ما جاء في الإصلاح بين الناس.

(١) أي: ثبت صبرهم. (٢) أي: عداوة.

(٣) روي ذلك من حديث جابر بن عبد الله، كما عند الطبراني في الأوسط (١٣٣/٤)، ١٣٤ ر.م ٣٧٩٧)، والهيثمي في المجمع (١١٠/٧). وقال: «وفيه الله بن عبد القدوس التميمي، وقد صغفه الجمهور وولفته ابن حبان، وبقية رجاله ثقات». وضعفه في الاستيعاب (٢٧٦/٣). وقد جاء من عدة طرق ذكره الطبري والسبؤي وغيرهما، حسن بعضها صاحب الاستيعاب (٢٧٥/٣).

(٤) لحمة والكسائي. (٥) روي ذلك عن قتادة، ذكره الطبري في جامعه (٧٩/٢٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٥٥٨/٧)، وهو ضعيف لإرساله كما في الاستيعاب (٢٧٧/٣).

(٦) أخرج نحوه البخاري (٢٦٩١) ومسلم (١٧٩٩) عن أنس بن مالك. وليس فيه ذكر البول ولا المسك.

(٧) أَيْ: شَنْوَدًا. (٨) أَيْ: شَنْوَدًا.

(٩) روي ذلك عن مقاتل، ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٦٣/٧)، ونسبه لابن أبي حاتم، وهو ضعيف لإعضاله، كما في الاستيعاب (٢٨٢/٣).

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمُ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَهُمْ فَاسْتَقِمْ صُفَاهُ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ بِنَظَرِنَا وَأَمْرٍ أَوْفَى أَصْبَحُوا قَوْمًا يَجْهَلُونَ فَاصْبِرْ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى أَهْلِهَا فَأَصْبَحُوا نَدِيبًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٥١﴾ وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٥٢﴾ فَضَلَّامِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَجُتِبُوا إِلَىٰ تَوْبَةٍ إِلَىٰ آلِ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاتَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدَلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْحَرَكُم مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا لِّكُمْ وَلَٰئِن سَأَلْتَهُمْ لَاسْتَغْفِرُوا لَكُمْ أَمْ نَحْنُ الْعُصَايَا أَمْ لَا تَلْمِزُوهَا لَعَلَّكُمْ تَزَنُّوا وَلَٰئِن لَّمْ تَلْمِزْوهَا وَلَا تَنْبِرُوا بِهَا لَأَقْصِبَ يَنْبَسُ الْأَاسِمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٦﴾

[٥] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ «أنهم» في محل رفع بالابتداء، وقيل: فاعل لفعل مقدر؛ أي: ثبت<sup>(١)</sup> ﴿حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾ لَكَانَ خَبَرًا لَهُمْ وَاللَّهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿رَجِيعًا﴾ لمن تاب منهم. [٦] ونزل في الوليد بن عقبة، وقد بعثه النبي ﷺ إلى بني المصطلق مُصَدِّقًا، فخافهم؛ لثرة<sup>(٢)</sup> كانت بينه وبينهم في الجاهلية، فرجع وقال: لأنهم منعوا الصدقة وهموا بقتله، فهم النبي ﷺ بغزوه<sup>(٣)</sup>، فجأوا منكبين ما قاله

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلَيْتُكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ بِذُنُوبِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيْمَنِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

يَا أَتَقْبُ ﴿١٢﴾ لَا يَدْخُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِكْرَهُ؛ وَمِنْهُ: يَا فَاسِقُ، يَا كَافِرُ ﴿١٣﴾ يَتَقَبَّسُ الْإِيْمَنُ: أَيُحِبُّ الْمَذْكُورُ مِنَ السَّخَرَةِ (١) وَاللَّزْمُ وَالنَّاتِبُ ﴿١٤﴾ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيْمَنِ ﴿١٥﴾ بَدَلَ مِنَ الْأَسْمِ، لِإِفَادَةِ أَنَّهُ فَسَقَ، لِتَكَرُّرِهِ عَادَةً ﴿١٦﴾ وَمَنْ لَمْ يَتَّقِ مِنَ ذَلِكَ ﴿١٧﴾ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢).

[١٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾: أَيُحِبُّكُمْ، وَهُوَ كَثِيرٌ، كَظَنِّ السُّوءِ بِأَهْلِ الْخَيْرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُمْ كَثِيرٌ، بِخِلَافِهِ بِالْفُسَاقِ مِنْهُمْ، فَلَا إِثْمَ فِيهِ، فِي نَحْوِ مَا يَظْهَرُ مِنْهُمْ ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾: حَذَفَ مِنْهُ إِحْدَى التَّائِيَيْنِ؛ لَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَمَعَابِيَهُمْ، بِالْبَحْثِ عَنْهَا ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾: لَا يَذْكُرُهُ بِشَيْءٍ يَكْرَهُهُ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾: بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ (٣)، أَيُحِبُّ أَنْ يَحْسُبَ بِهِ ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾: أَيُحِبُّ فَاغْتِيَابَهُ فِي حَيَاتِهِ كَأَكْلِ لَحْمِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَقَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ الثَّانِي فَكَرِهْتُمُوهُ، فَكَرِهُوا الْأَوَّلَ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أَيُحِبُّ عِقَابَهُ فِي الْإِغْتِيَابِ، بَأَنْ تَتَوَبَّأَ مِنْهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾: قَابِلُ تَوْبَةِ التَّائِبِينَ ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِهِمْ. [١٣] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾: آدَمُ وَهَوَاءُ ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾: جَمَعَ شَعْبٌ بَفَتْحِ الشَّيْنِ، هُوَ أَعْلَى طَبَقَاتِ النَّسَبِ ﴿وَقَبَائِلَ﴾: هِيَ دُونَ الشُّعُوبِ، وَبَعْدَهَا: الْعِمَارُ، ثُمَّ الْبَطُونَ، ثُمَّ الْأَخْزَادُ، ثُمَّ الْفَصَائِلُ أُخْرَاهَا. مِثَالُهُ: خَزِيمَةُ: شَعْبٌ، كِنَانَةُ: قَبِيلَةٌ، قَرِيشٌ: عِمَارَةٌ - بِكسر العين -، قَصِي: بَطْنٌ، هَاشِمٌ: فَخْذٌ، الْعَبَّاسُ: فَصِيلَةٌ ﴿لِتَعَارَفُوا﴾: حَذَفَ مِنْهُ إِحْدَى التَّائِيَيْنِ؛ لِيَعْرِفَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، لَا لِتَفْخَرُوا بِعُلُوِّ النَّسَبِ، وَإِنَّمَا الْفَخْرُ بِالتَّقْوَى ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ﴾: أَيُحِبُّكُمْ بِكُمْ ﴿خَبِيرٌ﴾: بِمَوَاطِنِكُمْ.

[١٤] ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾: نَفَرٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ: ﴿آمَنَّا﴾: صَدَقْنَا بِقُلُوبِنَا ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾: انْقَدْنَا ظَاهِرًا ﴿وَلَمَّا﴾: أَيُحِبُّكُمْ: لَمْ يَدْخُلِ الْإِيْمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴿إِلَى الْآدَمِ، لَكِنْ يَتَوَقَّعُ مِنْكُمْ﴾: وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، بِالْإِيْمَانِ وَغَيْرِهِ ﴿لَا يَلَيْتُكُمْ﴾: بِالْهَمَزِ، وَتَرْكِهِ، وَيُجَادِلُهُ الْفُتَا (٤). لَا يَنْقُصُكُمْ ﴿وَيَنْ أَعْمَلَكُمْ﴾: أَيُحِبُّكُمْ مِنْ تَوَابِيهِمْ ﴿شَيْئًا﴾: إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ رَّحِيمٌ﴾ بِهِمْ.

[١٥] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾: أَيُحِبُّ الصَّادِقُونَ فِي إِيْمَانِهِمْ، كَمَا صَرَحَ بِهِ بَعْدَ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾: لَمْ يَشْكُوا فِي الْإِيْمَانِ ﴿وَيَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: فَجَاهِدَهُمْ يُظْهِرُ صِدْقَ إِيْمَانِهِمْ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾: فِي إِيْمَانِهِمْ، لَا مِنْ قَالُوا: آمَنَّا، وَلَمْ يَوْجَدْ مِنْهُمْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ.

[١٦] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿أَعْلَمُونَ اللَّهُ بِذُنُوبِكُمْ﴾: مُضْعَفٌ عَلِيمٌ بِمَعْنَى شَعْرًا: أَيُحِبُّ أَنْ تُشْعِرُوهُ بِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ فِي قَوْلِكُمْ: آمَنَّا؟ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

\*\*\*

(٥) مَا حَاءَ فِي نَزْلِ آيَةِ (١١): أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي جَبْرِ عَنْ لُصْحَاكٍ قَالَ: فِينَا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ: فِي بَنِي سُلَيْمَةَ: ﴿وَلَا تَنَازَرُوا بِالْأَلْقَابِ يَتَسَبَّوْنَ الْفُسُوقَ بَعْدَ الْإِيْمَنِ﴾. قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَيْسَ مَعَهُ رَجُلٌ إِلَّا لَهُ لَوْنٌ أَسْمَانٌ وَثَلَاثَةٌ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: يَا فُلَانُ، يَقُولُونَ: مَهْ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّهُ يَغْضَبُ مِنْ هَذَا الْأَسْمِ، فَانْزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ: ﴿وَلَا تَنَازَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾. أَبُو دَاوُدَ - كِتَابُ الْأَدَبِ (٣٥) دَاب (٧١) فِي الْأَلْقَابِ. (صَحِيحٌ) صَحِيحٌ سَنَنَ أَبِي دَاوُدَ (٤١٥١).

(١) فِي نَسْخَةِ الْقَاضِي: «السَّخَرَةِ».

(٢) بِالتَّشْدِيدِ قِرَاءَةُ نَافِعٍ.

(٣) قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو بِهَمْزَةٍ سَاكِنَةٍ بَيْنَ الْيَاءِ وَاللَّامِ، وَيُبَدِّلُ مِنْهَا أَلْفًا إِذَا سَهَلَ كُلُّ هَمْزَةٍ سَاكِنَةٍ، وَقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿لَا يَلَيْتُكُمْ﴾.

(٤) أَيُحِبُّ: «هَؤُلَاءِ أَسْلَمُوا»، وَهَؤُلَاءِ هَذَاكَ.

(٥) بِالْيَاءِ قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ، وَقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالْهَاءِ.

## سُورَةُ ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرُهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝ إِنْ دَامَتْ نَارُ آبَا ذَٰلِكَ رَجَعُوا بَعِيدٌ ۝ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْبٌ حَفِيفٌ ۝ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ۝ أَفَأَمَرَ يُطْرَأُ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيِّنُهَا وَرِيَّتُهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۝ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۝ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ۝ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۝ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝ وَأَصْعَبَ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝ أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝

## سُورَةُ ق

[مكية، إلا: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» الآية، فمدنية، خمس وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] «ق» الله أعلم بمراده به «وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» الكريم، ما آمن كفار مكة بمحمد ﷺ.  
[٢] «بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ» رسول من أنفسهم يخوفهم بالنار

بعد البعث «فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا» الإنذار «شَيْءٌ عَجِيبٌ».

[٣] «أَوَ دَأَىٰ» بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين<sup>(١)</sup> «وَمَنْ دَأَىٰ» نرجع «ذَٰلِكَ رَجَعُوا بَعِيدٌ» في غاية البعد.  
[٤] «قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ» تأكل «مِنْهُمْ» رَعْدَنَا كَنْبٌ حَفِيفٌ هو اللوح المحفوظ، فيه جميع الأشياء المقدرة.

[٥] «بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ» بالقرآن «لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ» في شأن النبي ﷺ والقرآن «فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ» مضطرب؛ قالوا مرة: ساحر وسحر، ومرة: شاعر وشعر، ومرة: كاهن وكهانة.

[٦] «أَفَأَمَرَ يُطْرَأُ» يعيرونهم، معتبرين بقولهم، حين أنكروا البعث «إِلَى السَّمَاءِ» كائنة «فَوْقَهُمْ» كَيْفَ بَيِّنُهَا «بَلَا عَمَدٍ وَرِيَّتُهَا» بالكواكب «وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ» شقوق نعيمها؟.

[٧] «وَالْأَرْضِ» معطوف على موضع «إِلَى السَّمَاءِ»، كيف «مَدَدْنَاهَا» دحونها على وجه الماء<sup>(٢)</sup> «وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ» جبالاً بنتبتها «وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ» صنف «بَهِيجٍ» يُفْعَلُ به؛ لحسنه.

[٨] «تَبَصَّرَةٌ» مفعول له؛ أي: فعلنا ذلك؛ تبصيراً منا «وَذَكَرَىٰ» تذكيراً «لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ» راجع إلى طاعتنا.

[٩] «وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا» كثير البركة «فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ» بساتين «وَحَبَّ» الزرع «الْحَصِيدِ» المحصول.

[١٠] «وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ» طولاً، حال مقدرة «لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ» متراكب بعضه فوق بعض.

[١١] «رِزْقًا لِلْعِبَادِ» مفعول له «وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا» يستوي فيه المذكر والمؤنث «كَذَٰلِكَ» أي: مثل هذا الإحياء «الْخُرُوجُ» من القبور، فكيف تنكرونه؟ والاستفهام للتقرير، والمعنى: أنهم نظروا وعلموا ما ذكر.

[١٢] «كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ» تأنيث الفعل لمعنى «قوم» «وَأَصْحَابُ الرَّسِّ» هي بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم، يعبدون الأصنام، ونبههم قيل: حنظلة بن صفوان، وقيل: غيره «وَتَمُودُ» قوم صالح.

[١٣] «وَعَادٌ» قوم هود «وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ».

[١٤] «وَأَصْعَبَ الْأَيْكَةِ» الغيضة، قوم شعب «وَقَوْمُ تَبَّعٍ» هو ملك كان باليمن، أسلم ودعا قومه إلى الإسلام، فكذبوه «كُلٌّ» من المذكورين «كَذَّبَ الرُّسُلَ» كفرش «وَحَقَّ وَعِيدُ» وجب نزول العذاب على الجميع، فلا يضيّق صدرك من كفر قريش بك.

[١٥] «أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ» أي: لم نغي به، فلا نعي بالإنعاده «بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ» شك «مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ» وهو البعث.

(١) أي: أن قوله - تعالى -: «وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» قسم جوابه محذوف، تقديره ما ذكر.

(٢) سهل الهمزة الثانية مع الإدخال قالون وأبو عمرو، وسهلها من غير إدخال ورش وابن كثير، وحققها نقيعة السبعة من غير إدخال إلا هشاماً فله الإدخال وعدمه.

(٣) قال ابن كثير: «مددناها»: أي: وسعناها وفرشناها. وقال الطبري: بسطناها.



[١٦] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ حَالَهُ بِتَقْدِيرٍ﴾ «نَحْنُ» «مَا» مصدرية ﴿نُؤْتُوهُمْ﴾ تحدث ﴿يَدُ﴾ الباء زائدة، أو للتعدي، والضمير للإنسان ﴿نَفْسَهُ﴾ «نَفْسُهُ» وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ بِالْعِلْمِ «بَيْنَ حَبْلِ الْوَرِيدِ» الإضافة للبيان، والوريدان: عرقان بصفتي العنق.

[١٧] ﴿إِذْ﴾ منصوبة بـ «اذكر» مقدراً ﴿يَتْلَى﴾ يأخذ ويثبت ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ المملكان الموكلان بالإنسان، ما يعمله «عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ» منه ﴿فِيهِ﴾ أي: قاعدان، وهو مبتدأ خبره ما قبله.

[١٨] ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ حافظ ﴿عَيْنُهُ﴾ حاضر، وكل منهما بمعنى المثني.

[١٩] ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ غمرته وشدته ﴿بِالْحَقِّ﴾ من أمر الآخرة، حتى يراه المكر لها عياناً، وهو نفس الشدة ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الموت ﴿مَا كُنْتُ مِنْهُ نَجِيدٌ﴾ تهرب وتفرغ.

[٢٠] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ للبعث ﴿ذَلِكَ﴾ أي: يوم النفخ ﴿يَوْمَ الْوَعْدِ﴾ للكفار بالعذاب.

[٢١] ﴿وَجَاءَتْ﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ إلى المحشر ﴿مَعَهَا سَائِقٌ﴾ ملك يسوقها إليه ﴿وَنَهْيٌ﴾ يشهد عليها بعملها، وهو الأيدي والأرجل وغيرها، ويقال للكافر: [٢٢] ﴿لَقَدْ كُنْتُ فِي الدُّنْيَا فِي عَقْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ النازل بك اليوم ﴿فَكُنْثَمًا عَنْكَ عِطَاءٌ﴾ أرلنا غفلتك بما تشاهده اليوم ﴿فَبَصُرُكَ الْيَوْمَ حَرِيدٌ﴾ حادّ تترك به ما أنكرته في الدنيا.

[٢٣] ﴿وَقَالَ فِرْعُونُ﴾ الملك الموكل به: ﴿هَذَا مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا﴾ الذي عَيْنُهُ حاضر. [٢٤] فيقال للمالك: ﴿أَلَيْفَا فِي جَهَنَّمَ﴾ أي: أُلْهِني أُلْهِني، أو «الْفَيْحُ»، وبه قرأ الحسن<sup>(١)</sup>، فأبدلت النون ألفاً ﴿كُلُّ كَفَّارٍ عَيْنٍ﴾ معاند للحق. [٢٥] ﴿مَنْعَ لِلنَّارِ﴾ كالركاة ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم ﴿مُرِيبٍ﴾ شاك في دينه.

[٢٦] ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَآخَرٌ﴾ مبتدأ ضَمَّنَ معنى الشرط، خبره: ﴿فَالْأَيُّاءُ وَالْعَذَابُ الْكَافِرِينَ﴾ تفسيره مثل ما تقدم.

[٢٧] ﴿قَالَ فِرْعُونُ﴾ الشيطان: ﴿رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ﴾ أضلته ﴿وَلَكِنْ كَانَ فِي صَبْرٍ بَعِيدٍ﴾ فدعوته فاستجاب لي، وقال هو: أطعاني بدعائه له.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿لَا تَخْصِمُوا لَدَيْ﴾ أي: ما ينفع الخصام هنا ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ﴾ في الدنيا ﴿بِالْوَعْدِ﴾ بالعذاب في الآخرة لو لم تؤمنوا، ولا بد منه. [٢٩] ﴿مَا يَبْدُلُ يُغَيِّرُ﴾ «الْقَوْلُ لَدَى» في ذلك ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْبَعِيدِ﴾ فأعذبهم بغير جرم، و«ظلام» بمعنى: ذي ظلم؛ لقوله: ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾<sup>(٢)</sup>.

[٣٠] ﴿يَوْمَ﴾ ناصبه «ظلام» ﴿نَقُولُ﴾ بالنون والياء<sup>(٣)</sup> ﴿لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ﴾ استفهام تحقيق؛ لوعده بملئها ﴿وَنَقُولُ﴾ بصورة الاستفهام كالسؤال: ﴿هَلِ مِنْ مَرْيَدٍ﴾ أي: لا أسع غير ما امتلأت به؛ أي: قد

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ مَا كُنْتُ مِنْهُ نَجِيدٌ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكُمْ يَوْمَ الْوَعْدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتُ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكُنْثَمًا عَنْكَ عِطَاءٌ لَوْ فَبَصُرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ فِرْعُونُ هَذَا مَا لَدَى عَيْنٍ ﴿٢٣﴾ أَلَيْفَا فِي جَهَنَّمَ كُلُّ كَفَّارٍ عَيْنٍ ﴿٢٤﴾ مَنْعَ لِلنَّارِ حَرِيدٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَآخَرًا ﴿٢٦﴾ فَأَلْقَيْنَا فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٧﴾ قَالَ فِرْعُونُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي صَبْرٍ بَعِيدٍ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَى وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعْدِ ﴿٢٩﴾ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَى وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْبَعِيدِ ﴿٣٠﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَرْيَدٍ ﴿٣١﴾ وَأَزْلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣٢﴾ هَذَا مَا تُوَعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٣﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ ﴿٣٤﴾ يَجَاءُ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكُمْ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٦﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٧﴾

امتلأت<sup>(٤)</sup>. [٣١] ﴿وَأَزْلَفَتْ الْجَنَّةُ﴾ قُرْبَتْ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ مكاناً ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ منهم فيرونها. [٣٢] ويقال لهم: ﴿هَذَا﴾ المرئي ﴿مَا تُوَعَدُونَ﴾ بالناء والياء<sup>(٥)</sup>؛ في الدنيا، ويبدل من ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ قوله: ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ رَجَّاعٌ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ «حَفِيظٌ» حافظ لحدوده. [٣٣] ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ﴾ خافه ولم يره ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ مقبل على طاعته. [٣٤] ويقال للمتقين - أيضاً -: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ سالمين من كل محوف، أو مع سلام؛ أي: سلموا وادخلوها ﴿ذَلِكَ﴾ اليوم الذي حصل فيه الدخول ﴿يَوْمَ الْخُلُودِ﴾ الدوام في الجنة. [٣٥] ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ زيادة على ما عملوا وطلبوا.

(١) وهي قراءة شاذة، وقال القاضي في قرة العينين: هذا سهو من الجلال الخليلي، صوابه: أن قراءة الحسن هي: بهزرة مكسورة، وبألف مدودة بعد القاف، وهمة منصوبة منونة؛ أي: «إلقاء» مصدر «ألقى»-أه.

(٢) عافر: ١٧.

(٣) بالياء قراءة نافع وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالنون.

(٤) هذا قول عطاء ومجاهد ومقاتل بن سليمان. وقيل: هذا استفهام بمعنى الاستزادة. وهو مروي عن ابن عباس، وقال ابن كثير: هذا هو الظاهر من سياق الآية، وعليه تدل الأحاديث. أه. ويؤيده ما في الصحيحين من حديث أنس عن النبي ﷺ قال: «يُلْقَى فِي النَّارِ» ﴿وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَرْيَدٍ﴾ حتى يضع قدمه، فنقول قط قطه. وفي رواية في الصحيحين أيضاً: «... حتى يضع رب العزة فيها قدمه؛ فنقول قط قط وعزَّتْك...». البخاري (٤٨٤٨)، (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨). وفي رواية أبي هريرة عندهما مرفوعة: «... فلا تفلت حتى يضع رجله؛ فنقول: قط؛ فهناك تفلت...».

البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٥) بالياء قراءة ابن كثير.

وغيرهم، من التشبيه والتكذيب ﴿وَسَيَحْمَدُ رَبَّكَ﴾ صل حامدا ﴿فَقُلْ طُلُوعُ الشُّمُسِ﴾ أي: صلاة الصبح ﴿وَقَبْلُ الْغُرُوبِ﴾ أي: صلاة الظهر والعصر.

[٤٠] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي: صل العشاءين ﴿وَأَذْكُرِ السُّجُودَ﴾ بفتح الهزمة: جمع ذُرٍّ، وكسرهما<sup>(١)</sup>: مصدر أذبر؛ أي: صل النوافل المسنونة عقب الفرائض، وقيل: المراد حقيقة التسبيح في هذه الأوقات، ملائسا للحمد.

[٤١] ﴿وَاسْتَمِعْ﴾ يا مخاطب مقولي ﴿يَوْمَ يَنَادُ السَّادُ﴾ هو إسرائيل ﴿وَمِنَ سَكَّانٍ قَرِيبٍ﴾ من السماء<sup>(٢)</sup>، وهو صخرة بيت المقدس، أقرب موضع من الأرض إلى السماء، يقول: أيها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحم المتشقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

[٤٢] ﴿يَوْمَ﴾ بدل من «يوم» قبله ﴿يَسْمَعُونَ﴾ أي: الخلق كلهم ﴿الْصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ بالبعث، وهي النفخة الثانية من إسرائيل، ويحتمل أن تكون قبل نداءه وبعده ﴿ذَلِكَ﴾ أي: يوم النداء والسماع ﴿يَوْمَ تُخْرَجُونَ﴾ من القبور، وناصب «يوم ينادي» مقدر؛ أي: يعملون عاقبة تكذيبهم<sup>(٣)</sup>.

[٤٣] ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾.

[٤٤] ﴿يَوْمَ﴾ بدل من «يوم» قبله، وما بينهما اعتراض ﴿تَشَقَّقُ﴾ بتخفيف الشين، وتشديدها بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها<sup>(٤)</sup> ﴿الْأَرْضُ عَنْهُمْ يَرَاءُهَا﴾ جمع «سريع»، حال من مقدر؛ أي: فيخرجون مسرعين ﴿ذَلِكَ حَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ فيه فصل بين الموصوف والصفة بمتعلقها، للاختصاص وهو لا يضر، و«ذلك» إشارة إلى معنى الحشر المخبر به عنه، وهو الإحياء بعد الفناء، والجمع للعرض والحساب.

[٤٥] ﴿تَحْنُ أَعْمُرُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: كفار قريش ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِبَارٍ﴾ تجبرهم على الإيمان، وهذا من قبل الأمر بالجهاد ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ﴾ من يخاف وعيدهم وهم المؤمنون.

### سورة الذاريات

[مكية، ستون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالذَّارِيَاتُ﴾ الرياح تذررو التراب وغيره ﴿ذُرُورًا﴾ مصدر، ويقال: تذريره ذرًّا؛ تَهَبُ به. [٢] ﴿فَالْمَلَكُوتُ﴾ السحب تحمل الماء ﴿وَقَرَارًا﴾ نقلاً، مفعول «الحاملات». [٣] ﴿فَالْبَلَدُورَاتُ﴾ السفن تجري على وجه الماء ﴿بَشِيرًا﴾ بسهولة، مصدر في موضع الحال؛ أي: ميسرة. [٤] ﴿فَالْمَقْسِمَاتُ أَمْرًا﴾ الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها، بين البلاد والعباد. [٥] ﴿إِنَّا نُوَعِدُونَ﴾ «ما» مصدرية؛ أي: إن وعدهم بالبعث وغيره ﴿لَصَادِقٌ﴾ لوعده صادق. [٦] ﴿وَإِنَّا لَأَنذِرِينَ﴾ الجزاء بعد الحساب ﴿لَوَاقِعٌ﴾ لا محالة.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّجِيسٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ تَحْنُ أَعْمُرُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ أَنْ مِنْ خِافٍ وَعِيدٍ ﴿٤٥﴾

### سورة الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتُ ذُرُورًا ﴿١﴾ فَالْمَلَكُوتُ وَقَرَارًا ﴿٢﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣﴾ فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٤﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ﴿٥﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٦﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٧﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٩﴾ تَحْنُ أَعْمُرُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ أَنْ مِنْ خِافٍ وَعِيدٍ ﴿١٠﴾

[٣٦] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أي: أهلنا قبل كفار قريش قرونا كثيرة من الكفار ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ قوة ﴿فَنَقَّبُوا﴾ قَشَّوْا ﴿فِي الْبِلَادِ﴾ هَلْ مِنْ مَّجِيسٍ لهم أو لغيرهم من الموت؟ فلم يجدوا.

[٣٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَذِكْرًا﴾ لعظة ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ عقل ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ استمع الوعظ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ حاضر بالقلب.

[٣٨] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة<sup>(١)</sup> ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ تعب، نزل رذاً على اليهود في قولهم: إن الله استراح يوم السبت<sup>(٢)</sup>، وانتفاء التعب عنه؛ لتنزيهه تعالى - عن صفات المخلوقين<sup>(٣)</sup>، ولعدم المماثلة بينه وبين غيره ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٤)</sup>.

[٣٩] ﴿فَأَصْبِرْ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أي: اليهود

(١) راجع التعليق على تعيين هذه الأيام وتحديدها في تفسير سورة فصلت، الآيات (٩ - ١٢).

(٢) روي هذا عن ابن عباس، كما عند الحاكم في مستدركه (٥٤٣/٢)، وصححه، وتعبه الذهبي، وأخرجه أيضاً الطبري في جامع البيان (٦١/٢٤)، وذكره اسيوطي في الدر المنثور (٣١٤/٧)، وضعفه في الاستيعاب (٢٩٠/٣، ٢٩١).

(٣) إن أراد نفي مشابهة صفاته - شبيهاته - لصفات المخلوقين فهذا حق، وإن أراد نفي الصفات عنه كصفة اليد والوجه وغيرها من الصفات الذاتية؛ فهذا باطل وهو مذهب أهل التعطيل.

(٤) يس: ٨٢. (٥) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وحجرة.

(٦) روي هذا عن كعب الأحبار، وليس فيه نص صحيح ثابت مرفوع إلى النبي ﷺ.

(٧) قال في حاشية الجمل: «ولو قدره الشارح بجنب منصوبه؛ لكان أسهل في الفهم؛ لأنه قوله: «ذلك يوم الخروج» من جملة الاعتراض «آتي التنبيه عليه؛ فالعامل في «يوم ينادي» يقدر قبله» اهـ.

(٨) بالشديد مع ما ذكر، قراءة نافع وابن كثير وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْخُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَبِىْ قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ  
أُفِكَ ﴿٩﴾ قُلِ الْخَرُصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمَرِهِمْ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْتَلُونَ  
أَيَّانَ يَوْمَ يُدْعَى الَّذِينَ هُمْ يُوقَفُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْسَوْنَ ﴿١٣﴾ دُفُوعًا فَتَنَتْكُمْ  
هَذَا الَّذِي كُتِمَ بِهِ أَنْتُمْ عَنِ ذُنُوبِكُمْ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ  
﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَاءً ثَمَرِهِمْ يُسْقَوْنَ ﴿١٦﴾ كَأَوْاقِلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٧﴾  
كَأَوْاقِلَ ذَلِكَ مِنْ أَيْلٍ مَا يَتَّخِذُونَ ﴿١٨﴾ وَيَا لَأَسْحَارٍ هُمْ يَسْتَعْفِفُونَ ﴿١٩﴾  
وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٠﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ  
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢١﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٢﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ  
وَمَا تَوْعَدُونَ ﴿٢٣﴾ قُورَبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ  
تَنْطِقُونَ ﴿٢٤﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٥﴾ إِذْ  
دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴿٢٦﴾ فَرَأَى إِلَهُ  
أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعِجْلِ سَمِينٍ ﴿٢٧﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَهُهُمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٨﴾  
فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ وَبَشِّرْهُ بِعِلْمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٩﴾  
فَأَقْبَلَ بَعْثَ أَمْرَانِهِ فِي صَرَقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٣٠﴾  
قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣١﴾

[٢٧] ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَهُهُمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ عرض عليهم الأكل. فلم يجيبوا  
[٢٨] ﴿فَأَوْجَسَ﴾ أضمر في نفسه ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ قَالُوا لَا تَحْزَنْ ﴿إِنَّا رُسُلُ﴾  
ربك ﴿وَبَشِّرْهُ بِعِلْمٍ عَلِيمٍ﴾ ذي علم كثير، وهو إسحاق كما ذكر في  
«هود».

[٢٩] ﴿فَأَقْبَلَ بَعْثَ أَمْرَانِهِ﴾ سارة ﴿فِي صَرَقٍ﴾ صبيحة، حال؛ أي: جاءت  
صاحبة ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ لطمته ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ لم تلد قط، وعمرها  
تسع وتسعون سنة، وعمر إبراهيم مائة سنة، أو: عمره مائة وعشرون سنة،  
وعمرها تسعون سنة.

[٣٠] ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ مثل قولنا في البشارة ﴿قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ  
الْحَكِيمُ﴾ في صنعه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بخلفه.

[٧] ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْخُبُكِ﴾ جمع «حبيكة»؛ كطريقة و«طرق»؛ أي: صاحبة  
الطرق في الخلقة؛ كالطريق في الرمل. [٨] ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة، في شأن  
النبي ﷺ والقرآن ﴿لَبِىْ قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ قيل: شاعر، ساحر، كاهن، شعر، سحر،  
كهانة. [٩] ﴿يُؤْفَكُ﴾ يصرف ﴿عَنْهُ﴾ عن النبي ﷺ والقرآن؛ أي: عن  
الإيمان به ﴿مَنْ أُفِكَ﴾ صرف عن الهداية في علم الله - تعالى .. [١٠] ﴿يَسْتَلُونَ﴾  
الْخَرُصُونَ ﴿لَعَنَ الْكَذَّابُونَ﴾ أصحاب القول المختلف. [١١] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي عَمَرِهِمْ سَاهُونَ﴾  
جهن بغمرهم ﴿سَاهُونَ﴾ غافلون عن أمر الآخرة. [١٢] ﴿يَسْتَلُونَ﴾ النبي استفهام استهزاء: ﴿أَيَّانَ يَوْمَ يُدْعَى الَّذِينَ هُمْ يُوقَفُونَ﴾ أي: متى  
مجئهم؟ وجوابهم: يحيى [١٣] ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْسَوْنَ﴾ أي: يعذبون  
فيها. [١٤] ويقال لهم حين التعذيب: ﴿دُفُوعًا فَتَنَتْكُمْ﴾ تعذيبكم ﴿هَذَا﴾  
التعذيب ﴿الَّذِي كُتِمَ بِهِ﴾ تَتَجَمَّعُونَ في الدنيا استهزاء. [١٥] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ تجري فيها. [١٦] ﴿آخِذِينَ مَاءً ثَمَرِهِمْ يُسْقَوْنَ﴾ من الضمير في خبر «إن» ﴿مَاءً مَا ثَمَرُهُمْ﴾ أعطاهم ﴿رِزْقًا﴾ من الثواب ﴿إِنَّهُمْ كَأَوْاقِلَ ذَلِكَ﴾ أي: دخولهم الجنة ﴿مُحْسِنِينَ﴾ في الدنيا. [١٧] ﴿كَأَوْاقِلَ ذَلِكَ﴾  
مِنْ أَيْلٍ مَا يَتَّخِذُونَ ينامون، و«ما» زائدة، ويجمعون خبر «كان»، و«أقيل» ظرف؛ أي: ينامون في زمن يسير من الليل، ويصلون أكثره. [١٨] ﴿وَيَا لَأَسْحَارٍ هُمْ يَسْتَعْفِفُونَ﴾ يقولون: اللهم اغفر لنا. [١٩] ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ الذي لا يسأل لتعففه. [٢٠] ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها ﴿آيَاتٌ﴾ دلالات على قدرة الله - سبحانه وتعالى - ووحديته ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾. [٢١] ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ آيَاتٌ﴾ أي: من مبدأ خلقكم إلى منتهاه، وما في تركيب خلقكم من العجائب ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾ ذلك فتستدلون به على صناعته وقدرته؟ [٢٢] ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ أي: المطر المسبب عنه النبات، الذي هو رزق ﴿وَمَا تَوْعَدُونَ﴾ من المآب والثواب والعقاب؛ أي: مكتوب ذلك في السماء. [٢٣] ﴿قُورَبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ﴾ أي: ما تواعدون ﴿لَحَقٌّ﴾ [مِثْلُ] مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ برفع «مثل»؛ صفة، و«ما» مزيدة، وبفتح اللام: مركبة مع «ما»<sup>(١)</sup>، المعنى: مثل نطقكم في حقيقته؛ أي: معلوميته عندكم ضرورة صدور عنيكم. [٢٤] ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ وهم ملائكة؛ اثنا عشر، أو عشرة، أو ثلاثة، منهم جبريل. [٢٥] ﴿إِذْ﴾ ظرف لـ «حدث ضيف» ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ أي: هذا اللفظ ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ أي: هذا اللفظ<sup>(٢)</sup> ﴿قَوْمٌ مُّشْكِرُونَ﴾ لا نعرفهم، قال ذلك في نفسه، وهو خبر مبتدأ مقدر؛ أي: هؤلاء.

[٢٦] ﴿فَرَأَى إِلَهُ أَهْلِيهِ﴾ سرًّا ﴿فَجَاءَ بِعِجْلِ سَمِينٍ﴾ وفي سورة هود ﴿بِعِجْلِ حَبِيبٍ﴾<sup>(٣)</sup> أي: مشوي.

(١) بالرفع قراءة حمزة والكسائي وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٢) أي: الذي صدر منهم هو لفظ: «سلاماً»؛ منصوب بفعل مقدر، والذي صدر منه هو لفظ «سلام»؛ مرفوع على الخبرية لمبتدأ مضمرة.

(٣) هود: ٦٩.

[٣٨] ﴿وَفِي مُوسَى﴾ معطوف على ﴿فِيهَا﴾، المعنى: وجعلنا في قصة موسى آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ ملتبساً ﴿بِشَاطِلَيْ ثِيَابٍ﴾ بحجة واضحة.

[٣٩] ﴿فَتَوَلَّى﴾ أعرض عن الإيمان ﴿بِرُكْبِهِ﴾ مع جنوده؛ لأنهم له كالركن ﴿وَقَالَ﴾ لموسى: هو ﴿سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

[٤٠] ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَبَبَذْنَاهُمْ﴾ طرحناهم ﴿فِي الْيَمِّ﴾ البحر، فغرقوا ﴿وَهُوَ﴾ أي: فرعون ﴿مُكَلِّمٌ﴾ أت بما يلام عليه؛ من تكذيب الرسل، ودعوى الربوبية.

[٤١] ﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿عَادٍ﴾ آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ هي التي لا خير فيها؛ لأنها لا تحمل المطر، ولا تلقح الشجر، وهي الذُّبُورُ<sup>(١)</sup>.

[٤٢] ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ﴾ نفس أو مال ﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّيْرِ﴾ كالباقي المنفت.

[٤٣] ﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿ثَمُودَ﴾ آية ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ بعد عقر الناقة: ﴿تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى انقضاء آجالكم، كما في آية: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

[٤٤] ﴿فَتَوَلَّى﴾ تكبروا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: عن امتثاله ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ﴾ بعد مضي الثلاثة أيام؛ أي: الصيحة المهلكة ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: بالنهار.

[٤٥] ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ يَمِينٍ﴾ أي: ما قادروا على النهوض حين نزول العذاب ﴿وَمَا كَانُوا مُتَنَبِّئِينَ﴾ على من أهلهم.

[٤٦] ﴿وَقَوْمٌ نُّوحٌ﴾ بالجر عطف على ﴿ثَمُودَ﴾ أي: وفي إهلاكهم بما في<sup>(٣)</sup> السماء والأرض آية، وبالنصب<sup>(٤)</sup>؛ أي: وأهلكنا قوم نوح ﴿فِي بَيْتٍ﴾ أي: قبل إهلاك هؤلاء المذكورين ﴿إِنَّمَا كَانُوا قَوْمًا فٰثِقِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَالنَّامَةُ بَيْنَهُمَا بِئُوتُهُمْ﴾ بقره<sup>(٥)</sup> ﴿وَكَا لْمُوسَى﴾ قادرون، يقال: آد الرجل يئد قوي، وأوسع الرجل: صار ذا سعة وقوة.

[٤٨] ﴿وَالْأَرْضُ فَرَشْنَاهَا﴾ مهدناها ﴿فَوَيْعَ الْمَسْكُونِ﴾ نحن.

[٤٩] ﴿رُومٍ كُلِّ شَيْءٍ﴾ متعلق بقوله: ﴿خَلَقْنَا﴾ ﴿خَلَقْنَا رُومَيْنِ﴾ صنفين؛ كالذكر والأنثى، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والسهل والجبل، والصيف والشتاء، والحلو والحامض، والنور والظلمة ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل؛ ففعلهم أن خالق الأزواج فرد فتعبده.

[٥٠] ﴿فَتَوَلَّى إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إلى ثوابه من عقابه؛ بأن تطيعوه ولا تعصوه ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ يبين الإنذار.

[٥١] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ ثَمْرُودٍ﴾ ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِبَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ ﴿مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْبِهِ﴾ ﴿وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَبَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّيْرِ﴾ ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَنَبِّئِينَ﴾ ﴿وَقَوْمٌ نُوحٌ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَٰثِقِينَ﴾ ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا بِأَيُّدٍ وَالْمُوسَى﴾ ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهْدُونَ﴾ ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رُوحِينَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿فَقَرَأْ إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾

[٣١] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾. [٣٢] ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ ثَمْرُودٍ﴾ كافرين، هم قوم لوط.

[٣٣] ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِبَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ مطبوخ بالنار.

[٣٤] ﴿مُسَوَّمَةٌ﴾ معلمة، عليها اسم من يُرمى بها ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ظرف لها ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ بإتيانهم المذكور مع كفرهم.

[٣٥] ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ أي: قرى قوم لوط ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لإهلاك الكافرين.

[٣٦] ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وهم قوم لوط وابنتاه، وصفوا بالإيمان والإسلام؛ أي: هم مصدقون بقلوبهم، عاملون بجوارحهم الطاعات.

[٣٧] ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾ بعد إهلاك الكافرين ﴿آيَةً﴾ علامة على إهلاكهم ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فلا يفعلون مثل فعلهم.

(١) كما عند البحاري ومسلم من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «فُصِّرَتْ بِالضُّبَا، وَأَهْلِكْتَ عَادَ بِالذُّبُورِ». والضبُّبا: هي الريح التي تهب من مطلع الشمس، والذُّبُور: هي التي تهب من مغربها. البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠).

(٢) هود: ٦٥.

(٣) قرأ أبو عمرو وحزمة والكسائي بالخفض، وقرأ بقية السبعة بالنصب.

(٤) في نسخة القاضي: «بماء».

(٥) الأيد هنا مصدر آد؛ وليس بجمع ليد، فليس فيها متمسك لمن زعم تناقض السلف في آيات الصفات تأويلاً وتركاً له.

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُّونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَصَّوْنَ بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ قَوْلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرَ فَإِنَّ اللَّهَ يُدْرِكُ الْفَاسِقِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوبًا مِثْلَ ذُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ ﴿٥٩﴾ قَوْلَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

### سُورَةُ الطُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّعْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ قَوْلٌ لِيَوْمٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

### سُورَةُ الطُّورِ

[مكية، تسع وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] وَالطُّورِ ﴿١﴾ أي: الجبل الذي كلم الله عليه موسى.  
[٢] وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ [٣] فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴿٣﴾ أي: التوراة أو القرآن.  
[٤] وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ هو في السماء الثالثة<sup>(١)</sup> أو السادسة<sup>(٢)</sup> أو السابعة<sup>(٣)</sup>، بحيال الكعبة<sup>(٤)</sup>، يزوره كل يوم سبعون ألف ملك، بالطواف والصلاة لا يعودون إليه أبدًا<sup>(٥)</sup>. [٥] وَالسَّعْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ أي: السماء.  
[٦] وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ أي: المملوء<sup>(٦)</sup>. [٧] إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ لنازل بمستحقه. [٨] مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ عنه.

- (١) لم أجده، وروي عن أبي هريرة مرفوعاً أنه في السماء الدنيا، وهو مخالف لما في الصحيحين من حديث أنس أنه في السابعة، وسيأتي.  
(٢) وهو مروي عن علي، وأخرج ابن المنذر وابن جرير عن الضحاك في قوله: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ قال: «أُتِلَ من الجنة فكان يعمر بمكة، فلما كان الفرق رفعه الله فهو في السماء السادسة، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، من قبيلة إيليس، ثم لا يرجع إليه أحد يوماً واحداً أبداً» [الدر المنثور (١٤٤/٦)].  
(٣) أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والحاكم وصححه البيهقي في شعب الإيمان عن النبي ﷺ قال: «البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة» [الدر المنثور (١٤٤/٦)]، وهو في الصحيحين من حديث أنس كما سيأتي.  
(٤) أخرج ابن المنذر والعقيلي وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «في السماء بيت يقال له المعمور بحيال الكعبة... الحديث، وضعفه السيوطي في الدر المنثور (١٤٤/٦). وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن عمرو رفعه قال: «إن البيت المعمور بحيال الكعبة لو سقط شيء منه لسقط عليها... الحديث.  
وأخرج ابن جرير عن قتادة في قوله: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ قال: «ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: «هل تدرون ما البيت المعمور؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه مسجد في السماء بحيال الكعبة لو خر لخر عليهما... الحديث. وهناك آثار وأحاديث أخرى. انظر: [الدر المنثور (١٤٤/٦، ١٤٥)، وإسناده مرسل صحيح كما في الصحيحة. وقال الألباني: وجملته القول: إن هذه الزيادة: «وحيال الكعبة» ثابتة بمجموع طرقها...، الصحيحة (١٧٨١/١).  
(٥) البخاري (٢٩٦٨) ومسلم (٢٣٤) عن أنس بن مالك وفيه «فرغ لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم... وفي صحيح مسلم (٢٣٤) من حديث أنس بن مالك مرفوعاً: «... ثم خرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، فتفتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ ساجداً طهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه...»  
(٦) هنا قول قتادة والحسن وجمهور اللغويين. وقال محمد بن كعب والضحاك: يعني «الموقد» الحامي؛ بمنزلة النور - أي القرن - المسجور. وهو قول ابن عباس؛ كما في تفسير البغوي. وقيل غير ذلك.

﴿عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ بعضها إلى جنب بعض ﴿وَرَوَّجْتَهُمْ﴾ عطف على ﴿جَنَّتْ﴾؛ أي: قرناهم ﴿يُحَوِّرُ عَيْنَ﴾ عظام الأعين حسانها<sup>(١)</sup>.

[٢١] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مبتدأ ﴿وَأَنبِئْتَهُمُ﴾<sup>(٢)</sup>، وفي قراءة: ﴿وَأَنبِئْتَهُمْ﴾ معطوف على ﴿ءَامَنُوا﴾ ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، وفي قراءة: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الصغار والكبار ﴿يَايَمُنَ﴾ من الكبار، ومن الآباء في الصغار<sup>(٤)</sup>، والخبر: ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ المذكورين في الجنة، فيكونون في درجاتهم وإن لم يعملوا بعملهم؛ تكملة للآباء، باجتماع الأولاد إليهم ﴿وَمَا أَكُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ كسرها<sup>(٥)</sup>: نقصناهم ﴿مِّنْ عَلَيْهِمْ مِّنْ رَّائِدَةٍ﴾ يزاد في عمل الأولاد ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ﴾ من عمل خير أو شر ﴿رَهِيْنٌ﴾ رهون؛ يؤخذ بالشتر، ويجازى بالخير.

[٢٢] ﴿وَأَنبِئْتَهُمْ﴾ زدناهم في وقت بعد وقت ﴿فِيكَهْرُومٍ﴾ وكنزهم ﴿وَمَا يَنْتَرُونَ﴾ وإن لم يصبروا بطلبه.

[٢٣] ﴿يَنْتَرُونَ﴾ يتعاطون بينهم ﴿فِيهَا﴾ أي: الجنة ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ خمرًا ﴿لَا أَعُوْ فِيهَا﴾ أي: بسبب شربها يقع بينهم ﴿وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾ به يلحقهم، بخلاف خمر الدنيا.

[٢٤] ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿عِلْمَانٌ﴾ أرقاء<sup>(٦)</sup> ﴿فَهُمْ كَانَتْ لَهُمْ﴾ حسناً ولطافة ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ مِّنْكُمْ﴾ مصون في الصدق؛ لأنه فيها حسن منه في غيرها.

[٢٥] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يسأل بعضهم بعضاً عما كانوا عليه وما وصلوا إليه؛ تلذذاً واعتقاداً بالنعمة.

[٢٦] ﴿قَالُوا﴾ إيماء إلى علة الوصول: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِيْنَا﴾ في الدنيا ﴿مُتَشَفِّقِينَ﴾ خائفين من عذاب الله.

[٢٧] ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالمغفرة ﴿وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ النار؛ لدخولها في المسام.

[٢٨] وقالوا إيماء - أيضاً -: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ نعبده موحدين ﴿إِنَّمَا﴾ بالكسر استئناف؛ وإن كان تعليلاً معني، وبالفتح<sup>(٧)</sup> تعليلاً لفظاً ﴿هُوَ الْبَرُّ﴾ الحسن الصادق في وعده ﴿الرَّحِيمُ﴾ العظيم الرحمة.

[٢٩] ﴿فَذَكَّرْنَا﴾ ذم على تذكر المشركين، ولا ترجع عنه لقولهم لك: كاهن مجنون ﴿فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ بإنعامه عليك ﴿يَكَاهِنُ﴾ خبير «ما» ﴿وَلَا يَحْشُرُ﴾ معطوف عليه.

[٣٠] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ﴾ هو ﴿شَاعِرٌ تَرْيِضُ يَوْمَ رَبِّهِ الْمُنُونِ﴾ حوادث الدهر، فيهلك كغيره من الشعراء.

[٣١] ﴿فَقُلْ تَرَوْهُمْ﴾ هلاكي ﴿إِنِّي مَعَكُمْ يَوْمَ الْمُنْتَهَى﴾ هلاككم، فغذبوا بالسيف يوم بدر، والريض: الانتظار.

أَقْبَسَ حَرْهَذَا أَمْ أَتَشْرُ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٥﴾ أَصْلَوْهَا قَاصِرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَا تُضْبِرُوا سَوَاءَ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَكِهِينَ بِمَاءٍ أَنْهَرَهُمْ رِيَهُمْ وَوَقَّعَهُمْ رِيَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٢٩﴾ كُؤُوفًا وَشُرُوبًا هَيْثَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٠﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْلُوفَةٍ وَزَوَّجَهُم بَحُورٍ عِينٍ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴿٣٢﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ فِيكَهْرُومًا وَخَيْرٌ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٣٣﴾ يَنْتَرُونَ فِيهَا كَأَنَّهُمْ لَا غَوْفٍ فِيهَا وَلَا تَأْنِيهِمْ ﴿٣٤﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ عِلْمَانٌ لَهُمْ مَّا يَشَاءُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُتَشَفِّقِينَ ﴿٣٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٣٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٣٨﴾ فَذَكَّرْنَا أَنَّتْ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٣٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَرْيِضُ بِهِ رَبِّ أَلْمُونٍ ﴿٤٠﴾ قُلْ تَرَوْهُمْ فَأِنِّي مَعَكُمْ يَوْمَ الْمُنْتَهَى ﴿٤١﴾

[١٥] ﴿أَقْبَسَ حَرْهَذَا﴾ العذاب الذي ترون، كما كنتم تقولون في الوحي: هذا سحر ﴿أَمْ أَتَشْرُ لَا تُبْصِرُونَ؟﴾

[١٦] ﴿أَصْلَوْهَا قَاصِرُونَ﴾ عليها ﴿أَوْ لَا تُضْبِرُوا﴾ صبركم وجرعكم ﴿سَوَاءَ عَلَيْكُمْ﴾ لأن صبركم لا ينفعكم ﴿إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاء.

[١٧] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾

[١٨] ﴿فَكِهِينَ﴾ متلذذين ﴿بِمَاءٍ﴾ مصدرية ﴿أَنْهَرَهُمْ﴾ أعطاهم ﴿رِيَهُمْ وَوَقَّعَهُمْ رِيَهُمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ عطفاً على ﴿أَنْهَرَهُمْ﴾ أي: إيتانهم ووقائتهم.

[١٩] ويقال لهم: ﴿كُؤُوفًا وَشُرُوبًا هَيْثَا﴾ حال؛ أي: مهنتين ﴿بِمَاءٍ﴾ الباء سببية ﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[٢٠] ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ حال من الضمير المستكن في قوله: ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾

(١) هذا المذكور تفسير «عين» ومفردها عيناء. وأما معنى «حور» فهو اسوداد المقلة، ولا يقال للمرأة حوراء إلا للبيضاء مع حورها. ويقال: حورت الفتى، أي اشتد بياض بياضها، وسواد سوادها.

(٢) وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿وَأَنبِئْتَهُمْ﴾.

(٣) وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر، لكن الأول مع النصب، والثاني مع الرفع، وقرأ بقية السبعة: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

(٤) أي: وبإيمان الآباء في الصغار.

(٥) بالكسر قراءة ابن كثير.

(٦) أي كالأرقاء في الحياة والاستيلاء؛ مسخرين لخدمتهم.

(٧) بالفتح قراءة نافع والكسائي.

[٣٢] ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُوا عَنْقُولَهُمْ﴾ عقولهم ﴿يَعْلَمُونَ﴾ قولهم له: ساحر، كاهن، مجنون؟ أي: لا تأمرهم بذلك ﴿أَمْ﴾ بل ﴿هُمْ قَوْمٌ طَّاغُوتٌ﴾ بعادهم.

[٣٣] ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ﴾ اختلق القرآن؟ لم يخلقه ﴿بل لَا يُؤْمِنُونَ﴾ استكباراً.

[٣٤] فإن قالوا: اختلقه ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ﴾ مختلف ﴿مِثْلِهِ﴾ إن كانوا صديقين في قولهم.

[٣٥] ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ من غير خالق ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أنفسهم؟ ولا يُغْنَى مخلوق بغير خالق، ولا معلوم بتخلق، فلا بد لهم من خالق هو الله الواحد، فلم لا يوجدونه ويؤمنون برسوله وكتابه؟

[٣٦] ﴿أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ولا يقدر على خلقهما إلا الله الخالق، فلم لا يعبدونه؟ ﴿بل لَا يُؤْمِنُونَ﴾ به، وإلا آمنوا بنبيه.

[٣٧] ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ﴾ من النبوة والرزق وغيرهما، فيخسوا من شأوا بما شأوا؟ ﴿أَمْ هُمُ الْمُتَصَيِّطُونَ﴾ المتسلطون الجبارون، وفعله: سيطر، ومثله: يطر ويقر<sup>(١)</sup>.

[٣٨] ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ مرقى إلى السماء ﴿يَسْتَمْعُونَ فِيهِ﴾ أي: عليه؛ كلام الملائكة، حتى يمكنهم منازعة النبي، بزعمهم، إن ادعوا ذلك؟ ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ﴾ مدعي الاستماع عيه ﴿بِشَاطِطٍ مُبِينٍ﴾ بحجة بينة واضحة.

[٣٩] ولشبه هذا الزعم بزعمهم أن الملائكة بنات الله قال - تعالى -: ﴿أَمْ لَهُ الْكِنُزُتُ﴾ بزعمكم ﴿وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾؟ تعالى الله عما زعمتموه.

[٤٠] ﴿أَمْ تَتْلُوهُمْ أُخْرَ﴾ على ما جنتهم به من الدين ﴿فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ﴾ غرم ذلك ﴿مُتَقَلَّبُونَ﴾ فلا يسلمون؟

[٤١] ﴿أَمْ عِنْدَهُ الْغَيْبُ﴾ أي: علمه ﴿فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ ذلك، حتى يمكنهم منازعة النبي ﷺ في البعث وأمور الآخرة، بزعمهم؟

[٤٢] ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بك، ليهلكوا في دار الندوة؟ ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ المولوبون المهلكون، فحفظه الله منهم، ثم أهلكهم بيدر.

[٤٣] ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ شَيْئًا أَلَّو عَنَّا يُشْرِكُونَ؟ به من الآلهة، والاستفهام بـ«أَمْ» في مواضعها للتقريب والتوبيخ.

[٤٤] ﴿وَيَا زُرَّارًا كَسَفًا﴾ بعضاً ﴿وَيَا أَسْمَاءَ سَاطِفًا﴾ عليهم، كما قالوا: ﴿فَأَسْفِطْ عَلَيْنَا كَسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾<sup>(٢)</sup>، أي: تعذبتنا لهم ﴿يَقُولُوا﴾: هذا ﴿سَاطِبٌ مَرْكُومٌ﴾ متراكب ترتوي به، ولا يؤمنون.

[٤٥] ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ يموتون.

[٤٦] ﴿يَوْمَ لَا يُنْفَى بَدَلٌ مِنْ: يَوْمِهِمْ﴾ عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُصْرُونَ ﴿يَمْنَعُونَ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ﴾.

[٤٧] ﴿وَيَا لَذِينَ ظَلَمُوا﴾ بكفرهم ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ في الدنيا قبل

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُوا عَنْقُولَهُمْ هَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَّاغُوتٌ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ هَذَا بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ أَمْ هُمُ الْمُتَصَيِّطُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُ الْكِنُزُتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ تَتْلُوهُمْ أُخْرَ أَمْ هُمُ الْمُتَصَيِّطُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا الَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ عَنَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٢﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ لَا يُنْفَى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُصْرُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِلَّا لَذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٦﴾ وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُومِ ﴿٤٧﴾

## سُورَةُ النَّجْمِ

موتهم، فَعَذَّبُوا بِالْجُوعِ وَالْقَحْطِ سَبْعَ سِنِينَ، وبالقتل يوم بدر ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن العذاب ينزل بهم.

[٤٨] ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بإمهالهم، ولا يضق صدرك ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ برأى منا نراك ونحفظك<sup>(٣)</sup> ﴿وَسَبِّحْ﴾ متبشراً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: قل: سبحان الله وبحمده ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ من منامك، أو من مجلسك.

[٤٩] ﴿وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ حقيقة أيضاً ﴿وَادْبَرَ النُّجُومِ﴾ مصدر؛ أي: عقب غروبها سبحانه أيضاً، أو: صل في الأول العشاءين، وفي الثاني: الفجر<sup>(٤)</sup>، وقيل: الصبح<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(١) أي في الوزن «مفعِل»، ولم يأت على هذا الوزن إلا خمسة أفعال. ومُتَبَيَّنٌ: من: يفرق أي فسد وهلك، ومشى مشية المتكبر.

(٢) الشعراء: ١٨٧، و﴿كَسَفًا﴾ في آية الطور؛ هي بسكون السين، باتفاق القراء.

(٣) وفي الآية إثبات سنة العيون له - سبحانه - على الوجه الثلاث بجلا، وأما أفرادها في بعض النصوص وجمعهم في البعض الآخر؛ فهذا مما تسعه لغة العرب؛ حيث يمر فيها عن الاثنين بلفظ الجمع، ويقوم فيها الواحد مقام الاثنين، فلا حجة في ذلك على نفيها.

(٤) أي: سنة الفجر.

(٥) أي: الفريضة. واختاره الطبري.

يريه نفسه، على صورته التي خلق عليها، فواعده بـ«حراء»، فنزل جبريل له في صورة آدميين<sup>(١)</sup>. [٨] ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ قرب منه ﴿كَذَلِكَ﴾ زاد في القرب.

[٩] ﴿فَكَانَ﴾ منه ﴿قَابٌ﴾ قدر ﴿فَوْسَيْنٍ أَوْ أَدْنَى﴾ من ذلك حتى أفاق وسكن روعه. [١٠] ﴿فَأَوْحَى﴾ تعالى ﴿إِلَى عَبْدِهِ﴾ جبريل ﴿مَا أَوْحَى﴾ جبريل إلى النبي ﷺ، ولم يذكر الموحى؛ تفخيماً لشأنه. [١١] ﴿مَا كَذَبَ﴾ باستخفاف والتشديد<sup>(٢)</sup>؛ أنكر ﴿الْفُؤَادَ﴾ فؤاد النبي ﴿مَا رَأَى﴾ ببصره من صورة جبريل. [١٢] ﴿أَفَتَضَرُّهُ﴾ تجادلونه وتغلبونه ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ خطاب للمشركين المنكرين رؤية النبي ﷺ لجبريل. [١٣] ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ على صورته ﴿نَزَّلَهُ﴾ مرة ﴿أُخْرَىٰ﴾. [١٤] ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ لما أسري به في السماوات، وهي شجرة تنبع عن بين العرش، لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم. [١٥] ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ تأوي إليها الملائكة، وأرواح الشهداء، والمؤمنين<sup>(٣)</sup>. [١٦] ﴿إِذْ﴾ حين ﴿يَقْنَىٰ السِّدْرَةَ﴾ مَا يَقْنَىٰ من طير وغيره، «إذ» معمولة لدرأه». [١٧] ﴿مَا رَأَىٰ الْبَصَرُ﴾ من النبي ﷺ ﴿وَمَا طَلَتْ﴾ أي: ما مال بصره عن مرثيه المقصود له، ولا جازوه تلك الليلة. [١٨]

﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ فيها ﴿مِنَ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ العظام، أي: بعضها؛ فرأى من عجائب الملكوت رفراً أخضر سد أفق السماء<sup>(٤)</sup>، وجبريل له ستمائة جناح<sup>(٥)</sup>. [١٩] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾. [٢٠] ﴿وَمَنْزِلَةَ آلِ لُحْيٍ﴾ قبلها ﴿الْأُخْرَىٰ﴾ صفة ذم للثالثة، وهي: أصنام من حجارة، كان المشركون يعبدونها، ويؤمنون أنها تشفع لهم عند الله، ومفعول «أفرايتم» الأول:

«اللات»، وما عطف عليه، والثاني محذوف، والمعنى: أخبروني، ألهذه الأصنام قدرة على شيء ما، فتعبدونها دون الله القادر على ما تقدم ذكره؟ [٢١] ﴿وَمَا زَعَمُوا﴾ أيضاً: أن الملائكة بنات الله مع كراهتهم البنات نزلت:

﴿الْكُفْرَ وَالْكَذِبَ وَالْأَنفَىٰ﴾. [٢٢] ﴿تِلْكَ إِذْ يَسْمَعُ صَوْرُكُمْ﴾ جاثرة، من ضاه يضيئها: إذا ظلمه وجار عليه. [٢٣] ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي: ما المذكورات ﴿إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُهُمْ﴾ أي: سميتم بها ﴿أَنثَرُ وَمَا بَأْسُكُمْ﴾ أصناماً تعبدونها ﴿مَا

أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ أي: عبادتها ﴿مِن سُلْطَانٍ﴾ حجة وبرهان ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ في عبادتها ﴿إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾ مما زين لهم الشيطان، من أنها تشفع لهم عند الله - تعالى - ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ

الْحَقُّ﴾ على لسان النبي ﷺ بالبرهان القاطع، فلم يرجعوا عما هم عليه. [٢٤] ﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ﴾ أي: لكل إنسان منهم ﴿مَا تَشَاءُ﴾ من أن الأصنام تشفع لهم؟ ليس الأمر كذلك. [٢٥] ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ أي: الدنيا، فلا يقع فيها إلا ما يريد - تعالى - .. [٢٦] ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ﴾ أي: وكثير من الملائكة ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ وما أكرمهم عند الله ﴿لَا تَعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ

يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ لهم فيها ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده ﴿وَيَرْضَىٰ﴾ عنه؛ لقوله: ﴿وَلَا يَتَّقُمُونَ﴾ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ<sup>(٦)</sup>، ومعلوم أنها لا توجد منهم إلا بعد الإذن فيها ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(٧)</sup>

﴿وَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(٨)</sup>

﴿وَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(٩)</sup>

﴿وَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(١٠)</sup>

﴿وَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(١١)</sup>

﴿وَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(١٢)</sup>

﴿وَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(١٣)</sup>

﴿وَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(١٤)</sup>

﴿وَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(١٥)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَطُوعُنِ أَهْلُوهُ ﴿٣﴾ إِنَّهُ هُوَ الْوَحَىٰ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتَضَرُّهُ عَلَى مَا يُرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْزِلَةَ آلِ لُحْيٍ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ يَكُن لَّهُنَّ الْآلُفُ الْكَوْكُلُ الْإِنْفَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذْ يَسْمَعُ صَوْرُكُمْ ﴿٢٢﴾ إِن هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُهُمْ أَنْثَرُ وَمَا بَأْسُكُمْ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾

سُورَةُ النَّجْمِ

[مكية، اثنتان وستون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالنَّجْمِ﴾ النُّجُومُ ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ غاب. [٢] ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ محمد - عليه الصلاة والسلام - عن طريق الهداية ﴿وَمَا يَطُوعُنِ﴾ ما لا يسر الغي، وهو جهل من اعتقاد فاسد. [٣] ﴿وَمَا يَطُوعُنِ﴾ بما يأتيكم به ﴿عَنِ الْقُوَىٰ﴾ هو نفسه. [٤] ﴿إِنَّهُ هُوَ الْوَحَىٰ يُوحَىٰ﴾ ما ﴿يُوحَىٰ﴾ قوة وشدة؛ أو: منظر حسن؛ أي: ملك ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾. [٥] ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ قوة وشدة؛ أو: منظر حسن؛ أي: جبريل عليه السلام. [٦] ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ استقر. [٧] ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ أفق الشمس؛ أي: عند مطلعها، على صورته التي خلق عليها، فرأه لنبي ﷺ وكان بـ«حراء»، قد سد الأفق إلى المغرب، فخر مغشياً عليه<sup>(١)</sup>، وكان قد سألَهُ أن

(١) كما في حديث جابر في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «جاورت بحراء، فلما قضيت جوارى بهبط، فوديت فظفرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي؛ فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فحشنت مه رعباً...» البخاري (٤)، ومسلم (١٦١).

(٢) يشير إلى ما أخرجه أحمد عن ابن عباس قال: سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته، فقال: ادع ربك، قال: فمدعا ربه. قال: فطلع عليه سواد من قبل المشرك. قال: فجعل يرتفع وينتشر. قال: فلما رآه النبي ﷺ ضيق. فأناده فعضه، ومسح اللزاق عن شفتيه. وأخرجه الطبراني في الكبير (٥٧/١)، والبيهقي في الجمع (٢٥٧/٨)، وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجالهما ثقات. وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. (المسند ٣٤٨/٤) حديث رقم (٢٩٦٧)، وضعف الأثرناؤوط إسناده في تحريجه على المسند (٢٩٦٥).

(٣) بالشديد قراءة هشام. (٤) في نسخة القاضي: فأو: أرواح الشهداء؛ أن: المفقودة. (٥) كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود؛ البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤). والرفوف: كساء، أو ثوب رفيع. (٦) البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤) من حديث ابن مسعود. (٧) الأنبياء: ٢٨. (٨) لقرة: ٢٥٥.



[٢٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوكَ الْمَلَائِكَةَ نِسَاءً الْأُنثَىٰ﴾ حيث قالوا: هم بنات الله.

[٢٨] ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ﴾ بهذا المقول ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾ ما ﴿يَكْفُرُونَ﴾ فيه ﴿إِلَّا الظَّنُّ﴾ الذي تخيلوه ﴿وَأَنَّ الظَّنَّ لَا يَصْنَعُ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ أي: عن العلم، فيما المطلوب فيه العلم.

[٢٩] ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أي: القرآن ﴿وَلَوْ بُرِدَ إِلَّا الْحَبْوَةُ الْأَذْيَا﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد.

[٣٠] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: طلب الدنيا ﴿سَلَمَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: نهاية علمهم؛ أن آثروا الدنيا على الآخرة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن أَهْتَدَىٰ﴾ أي: عالم بهما، فيجازيهم.

[٣١] ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: هو مالك لذلك، ومنه الضال والمهتدي، يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، ﴿يَجْزِي الَّذِينَ آمَنُوا وَمَا عَمِلُوا﴾ من الشرك وغيره ﴿وَيَجْزِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالتوحيد وغيره من الطاعات ﴿بِالْحُسْنَىٰ﴾ الجنة.

[٣٢] وَيَسِّرُ الْحَسَنِينَ بقوله: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّغَمَ﴾ هو صغار الذنوب؛ كالنظرة والقيلة واللحمة، فهو استثناء منقطع، والمعنى لكن اللغم يغفر باجتناب الكبائر ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ بذلك ويقبول التوبة، ونزل فيمن كان يقول: صلاتنا صياما حجنا<sup>(١)</sup>، ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿يَكُونُ إِذْ أَنشَأَ مِثْرَ الْآنثَىٰ﴾ أي: خلق أباكم آدم من التراب ﴿وَأَن تَأْتِيَّ أَجَنَّةٌ﴾ جمع جنين ﴿فِي بَطْنٍ أُمَهَتِكُمْ فَلَا تُرْكَوْا أَنفُسَكُمْ﴾ لا تمدحوها على سبيل الإعجاب، أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَن أَتَىٰ﴾.

[٣٣] ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان، ارتد لما غيّر به، وقال: إني خشيت عقاب الله، فضمن له المعير له أن يحمل عنه عذاب الله، إن رجع إلى شركه، وأعطاه من ماله كذا، فرجع<sup>(٢)</sup>.

[٣٤] ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾ من المال المسمى ﴿وَأَكْثَىٰ﴾ منع الباقي، مأخوذ من الكدية، وهي أرض صلبة كالصخرة، تمنع حافر البئر إذا وصل إليها من الحفر.

[٣٥] ﴿أَعْنَدَ عِلْمُ الْعَلِيِّ فَهُوَ يَرِي﴾ يعلم من جملة أن غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة؟ لا، وهو الوليد بن المغيرة أو غيره، وجملة: «أعنده» المفعول الثاني لـ«رأيت»، بمعنى: أخبرني.

[٣٦] ﴿أَنَّهُمْ﴾ بل ﴿لَمْ يَلْبِثَا يَمًا فِي صُحُفٍ مُّوسَىٰ﴾ أسفار التوراة، أو صحف قبلها [٣٧] ﴿وَوَصَّحَ﴾ صحف إبراهيم الذي وصى ﴿تَمَّ مَا أَمَرَ بِهِ، نَحْوُ﴾ ﴿وَأِذْ أَتَىٰكَ إِبْرَاهِيمُ رُبُّهُ بِكَبِيرٍ فَأَنصَرَّتْ﴾<sup>(٣)</sup>.

[٣٨] وبيان «ما»: ﴿لَا تُرْزَ وَارِزَةٌ وَرَدَّ أُخْرَىٰ﴾ إلخ، وأن «مخففة

(١) أي: يقولون ذلك، على سبيل الإعجاب والإدلال بعملهم.

(٢) روي ذلك عن زيد بن أسلم، كما عند الطبري في جامع البيان (٤٢/٢٧)، وهو ضعيف جدًا، كما في الاستيعاب (٢٩٩/٣).

(٣) البقرة: ١٢٤.

(٤) أي: شذوذًا.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوكَ الْمَلَائِكَةَ نِسَاءً الْأُنثَىٰ ٢٧  
وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَصْنَعُ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ٢٨  
فَأَعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ بُرِدَ إِلَّا الْحَبْوَةُ الْأَذْيَا ٢٩  
ذَلِكَ أَيُّهَا الْعَالَمُونَ سَلَمَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن أَهْتَدَىٰ ٣٠  
وَلَهُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ رَبُّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُم إِذَا أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذَا تُنْفَخُ الْأَجْنَةُ فِي بَطْنٍ أُمَهَتِكُمْ فَلَا تُرْكَوْا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن أَتَىٰ ٣١  
أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ٣٢ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْثَىٰ ٣٣  
أَعْنَدَ عِلْمُ الْعَلِيِّ فَهُوَ يَرِي ٣٤ أَلَا تَرَىٰ وَارِزَةً وَرَدَّ أُخْرَىٰ ٣٥  
وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٦ وَأَن سَعِيَهُ سَوْفَ يَرَىٰ ٣٧  
ثُمَّ يَجْزِيهِ الْجَزَاءَ الْآدِنَىٰ ٣٨ وَأَن إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُسْتَهَىٰ ٣٩  
وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَأَبْكَىٰ ٤٠ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ٤١

من الثقيلة؛ أي: لا تحمل نفس ذنب غيرها.

[٣٩] ﴿وَأَن﴾ أي: أنه ﴿لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ من خير، فليس له من سعي غيره الخير شيء.

[٤٠] ﴿وَأَن سَعِيَهُ سَوْفَ يَرَىٰ﴾ يصير في الآخرة.

[٤١] ﴿ثُمَّ يَجْزِيهِ الْجَزَاءَ الْآدِنَىٰ﴾ الأكم، يقال: جزئته سعيه وبسعيه.

[٤٢] ﴿وَأَن﴾ بالفتح عطفًا، وقرئ<sup>(١)</sup> بالكسر استئنافًا، وكذا ما بعدها، فلا يكون مضمون الجملة في الصحف على الثاني ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُسْتَهَىٰ﴾ المرجع والمصير بعد الموت، فيجازيهم.

[٤٣] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ﴾ من شاء أفرحه ﴿وَأَبْكَىٰ﴾ من شاء أحزنه.

[٤٤] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ﴾ في الدنيا ﴿وَأَحْيَا﴾ للبعث.

أَهْلَكْنَاهُمْ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا أَهْمَ الظَّالِمِ وَالْمُنَى﴾ من عاد وثمود؛ لظول لبث نوح فيهم ﴿وَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾<sup>(١)</sup> وهم - مع عدم إيمانهم به - يؤذونه ويضربونه. [٥٣] ﴿وَالَّذِينَ يَفْكُهُمْ﴾ وهي: قرى قوم لوط ﴿أَهْوَى﴾ أسقطها بعد رفعها إلى السماء، مقلوبة إلى الأرض بأمره جبريل بذلك. [٥٤] ﴿فَنَقَّبَهَا﴾ من الحجارة بعد ذلك ﴿مَا عَشَى﴾ أبهم توبلها، وفي هود: ﴿جَعَلَتْ عَلَيْهَا سَاكِنَهَا وَأَمَطَرْنَا عَلَيْهَا جِسْرًا زَيْنَ سَبِيلٍ﴾<sup>(٢)</sup>. [٥٥] ﴿وَبَآئٍ إِلَا رَبِّكَ﴾ أنعمه الدالة على وحدانيته وقدرته ﴿تَسْمَانِي﴾ تشكك أيها الإنسان أو تكذب؟ [٥٦] ﴿هَذَا﴾ محمد ﴿نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ الْأُولَى﴾ من جنسهم؛ أي: رسول كالرسل قبله، أرسل إليكم، كما أرسلوا إلى أقوامهم. [٥٧] ﴿أَرَأَيْتَ الْآيَةَ﴾ قرب القيامة. [٥٨] ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ نَفْسٌ كَاثِفَةٌ﴾ أي: لا يكشفها ويظهرها إلا هو؛ كقوله: ﴿لَا يَجِيئُهَا لُوفُهَا إِلَّا هُوَ﴾<sup>(٣)</sup>. [٥٩] ﴿أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿تَعْجَبُونَ﴾ تكذبا. [٦٠] ﴿وَتَقْسِمُونَ﴾ استهزاء ﴿لَا تَبْكُونَ﴾ لسماع وعده ووعيده. [٦١] ﴿وَأَن تَسِيدُونَ﴾ لاهون غافلون عما يُطلب منكم؟ [٦٢] ﴿فَاتَّبِعُوا اللَّهَ﴾<sup>(٤)</sup> الذي خلقكم ﴿وَأَعْبُدُوا﴾ ولا تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها.

### سُورَةُ الْقَبْرِ

[مكية، إلا ﴿سَبِّحْهُمُ الْجَمْعُ﴾ الآية. وهي: خمس وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ﴾ قرب القيامة ﴿وَأَنشَأَ الْقَمَرُ﴾ انفلق فلفنتين، على أبي قبيس وقَعَقَفَان، آية له ﷺ، وقد سئلها فقال: «أشهدوا» [رواه الشيخان]<sup>(١)</sup>. [٢] ﴿وَلَن يَرَوُنَّ﴾ أي: كفار قريش ﴿عَائَةَ﴾ معجزة له ﷺ ﴿يَعْرِضُونَ وَيَقُولُوا﴾: هذا «يسخر سخر» قوي، من المؤنة: القوة، أو دائم<sup>(٢)</sup>. [٣] ﴿وَكَذَبُوا﴾ النبي ﷺ ﴿وَأَيُّهَا أَهْوَاهُ﴾ في الباطل ﴿وَكُلَّ أَمْرٍ﴾ من الخير والشر ﴿مُسْتَوْرٍ﴾ بأهله في الجنة أو النار. [٤] ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّنَ الْأَنْبَاءِ﴾ أخبار إهلاك الأمم المكذبة رسلهم ﴿مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ﴾ لهم، اسم مصدر، أو اسم مكان، والدال بدل من ناء الافتعال، وازدجرته وزجرته: نهيته بغلظة، و«ما» موصولة أو موصوفة. [٥] ﴿جَعَلَهُ خَيْرِ مَبْدَأٍ﴾ محذوف، أو بدل من «ما»، أو من «مزدجر» تامة ﴿فَمَا تَعْنِ﴾ تنفع فيهم ﴿النَّذْرُ﴾ جمع نذير، بمعنى منذر؛ أي: الأمور المنذرة لهم، و«ما» للنفي، أو للاستفهام الإنكاري، وهي على الثاني مفعول مقدم. [٦] ﴿فَنُؤَلِّهِمْ هَهُنَّ﴾ هو فائدة ما قبله، وتم به الكلام ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ﴾ هو إسماعيل، وناصب «يوم»: «يخرجون» بقُدْ ﴿إِلَىٰ قَعْنٍ تُكْسِرُ﴾ بضم

وَأَنَّهُ خَلَقَ الرُّوحَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٥١﴾ مِن تُّفَفَةٍ إِذَا تَمَنَّى ﴿٥٢﴾ وَأَن عَلَيْهِ النَّشَاءُ الْأُخْرَى ﴿٥٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٥٤﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعَرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٥٧﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٨﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٩﴾ فَغَشَّيْهَا مَا عَشَىٰ ﴿٦٠﴾ فَبَآئٍ إِلَا رَبِّكَ تَحْمَارَىٰ ﴿٦١﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ الْأُولَىٰ ﴿٦٢﴾ أَرَأَيْتَ الْآيَةَ ﴿٦٣﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٦٤﴾ أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ ﴿٦٥﴾ تَعْجَبُونَ ﴿٦٦﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَن تَسِيدُونَ ﴿٦٨﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٩﴾

### سُورَةُ الْقَبْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ وَالنَّشَأَ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَمُوتُوا سِخْرًا مُّسْتَحَرًّا ﴿٢﴾ وَكَذَبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاهُمْ كُلٌّ أُمْرٌ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُعِنُّ أَلْتُدْرِكُ ﴿٥﴾ فَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ ﴿٦﴾

[٤٥] ﴿وَأَنَّهُ عَلَّقَ الرُّوحَيْنِ﴾ الصنفين ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾. [٤٦] ﴿مِن تُّفَفَةٍ﴾ مني ﴿إِذَا تَمَنَّى﴾ نصب في الرحم. [٤٧] ﴿وَأَن عَلَيْهِ النَّشَاءُ﴾ بالمد والقصر<sup>(١)</sup> ﴿الْأُخْرَى﴾ الحلقة الأخرى للبعث، بعد الحلقة الأولى. [٤٨] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى﴾ الناس، بالكفاية بالأموال ﴿وَأَقْنَى﴾ أعطى المال المتخذ فنية. [٤٩] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعَرَى﴾ هو: كوكب خلف الجوزاء، كانت تعبد في الجاهلية. [٥٠] ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ وفي قراءة<sup>(٢)</sup> بإدغام التنوين في اللام وضمها بلا همزة، وهي قوم عاد، والأخرى قوم صالح. [٥١] ﴿وَتَمُوتُوا﴾ بالصرف اسم للأب، وبلا صرف<sup>(٣)</sup> للقبيلة، وهو معطوف على «عادًا» ﴿فَمَا أَبْقَى﴾ منهم أحدًا. [٥٢] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي: قبل عاد وثمود،

(١) ما جاء في نزول الآيتين (١، ٢): أخرج الترمذي عن أنس بن مالك قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فأنشأ الشعر بمكة مرتين، فنزلت: ﴿أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ وَالنَّشَأَ الْقَمَرُ﴾ إلى قوله: ﴿يَسْعُرُ مُسْتَحَرًّا﴾ يقول: ذاهب. الترمذي - تفسير القرآن (٤٨) باب (٥٤). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٦٢٠)، وهو في الصحيحين مختصراً.

(١) بالمد قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقراءة السبعة بالقصر: ﴿النَّشَاءُ﴾ (٢) لأبي عمرو وورش، وقرأ قالون كذلك، لكنه يأتي بهمزة ساكنة بعد اللام. (٣) بالتنوين قراءة السبعة عدا حمزة وعاصم. (٤) العنكبوت: ١٤. (٥) هود: ٨٢. (٦) الأعراف: ١٨٧. (٧) هذه أول آية سجدة نزلت، كما عند البخاري (١٠٧١) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «سجد النبي ﷺ بالجمعة، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس». ولا علاقة لهذا السجود بقصة الغرائق الباطلة، والتي سبق التنبؤ على بطلانها في تفسيره سورة الحج آية (٥٢). (٨) قصة انشقاق القمر جاء ذكرها مختصرة في البخاري (٣٨٦٩)، ومسلم (٢٨٠٠)، من حديث عبد الله بن مسعود، وهي عندهما أيضاً من حديث أنس بن مالك؛ البخاري (٤٨٦٧)، ومسلم (٢٨٠٢). وأما التفاصيل المذكورة، فجاءت فيما أخرجه أبو نعيم في الحلية، من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس كما في الدر المنثور [١٧٧/٦].

الكاف وسكونها<sup>(١)</sup>؛ أي: منكر تنكره النفوس، وهو الحساب.

[٧] ﴿حَشَعَا﴾ أي: ذليلاً، وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: ﴿حُشَعَا﴾ بضم الحاء وفتح الشين مشددة ﴿أَبْصَرَهُمْ﴾ حال من الفاعل ﴿يَجْزِيُونَ﴾ أي: الناس ﴿وَمِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿كَانَهُمْ جَرَادٌ مُثِيرٌ﴾ لا يدرون أين يذهبون، من الخوف والحيرة، والجملة حال من فاعل «يخرجون»، وكذا قوله: [٨] ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين مادين أعناقهم ﴿إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ﴾ منهم: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ﴾ صعب على الكافرين؛ كما في المدثر: ﴿يَوْمٌ عَرِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

[٩] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل قريش ﴿قَوْمٌ نُوحٌ﴾ تأييد الفعل لمعنى قوم ﴿مَكَذِبُوا عِبْدَنَا﴾ نوحاً ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَارْدُجِرَ﴾ انتهره بالسب وغيره.

[١٠] ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي﴾ بالفتح؛ أي: بأني ﴿مَقْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾.

[١١] ﴿فَنَنْصِبُ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٤)</sup> ﴿إِنزَابَ السَّمَاءِ بِمَا فِيهَا مِنْ مَاءٍ﴾ منصوب انصباباً شديداً. [١٢] ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ تنبع ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ ماء السماء والأرض ﴿عَنْ أَمْرِ﴾ حال ﴿فَدَفَّرَ﴾ قضى به في الأزل، وهو هلاكهم غرقاً. [١٣] ﴿وَحَمَلْنَاهُ﴾ أي: نوحاً ﴿عَلَى سَفِينَةٍ﴾ ذات الأوج وُدُسْرٌ ﴿وَهُوَ مَا تَشَدُّ بِهِ الْأَوْبَاحُ مِنَ الْمَسَامِيرِ﴾ وغيرها، واحداً وشار؛ ككتاب.

[١٤] ﴿تَحْرَى بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا<sup>(٥)</sup>؛ أي: محفوظة ﴿جَزَاءً﴾ منصوب بفعل مقدر؛ أي: أغرقوا انصباباً ﴿لَمَنْ كَانَ كُفْرٌ﴾ وهو نوح التَّكْبِيرُ، وقري<sup>(٦)</sup>:

﴿كَفَرٌ﴾ بالبناء للفاعل؛ أي: أغرقوا عقاباً لهم. [١٥] ﴿وَلَقَدْ رَزَقْنَاهُ﴾ أبقينا هذه الفعلة ﴿ءَايَةً﴾ لمن يعتبر بها؛ أي: شاع خبرها واستمر ﴿فَقِيلَ مِنْ مَدْيَنَ﴾ معتبر ومتعظ بها؛ وأصله: مذتكر؛ أبدلت التاء دالاً مهمله، وكذا المعجمة وأدغمت فيها. [١٦] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ أي: إنذارني؟ استفهام تقرير، و«كيف»: خبر «كان»، وهي للسؤال عن الحال، والمعنى: حثل المخاطبين على الإقرار بوقوع عذابه - تعالى - بالمكذبين لنوح موقعه.

[١٧] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ سهلناه للحفظ وهيأناه للتذكر ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ متعظ به وحافظ له؟ والاستفهام بمعنى الأمر؛ أي: احفظوه واتعظوا به، وليس يُحْفَظُ من كتب الله عن ظهر القلب وغيره. [١٨] ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ نبيهم هوذا فعذبوا ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ إنذارني لهم بالعذاب قبل نزوله؛ أي: وقع موقعه. [١٩] ﴿وَقَدْ بَيَّنَّاهُ بِقَوْلِهِ﴾: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْنِهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: شديدة الصوت ﴿فِي يَوْمٍ تَوَلَّى تَخَيَّرْتُ﴾ شؤم ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾ دائم الشؤم، أو: قويته، وكان يوم الأربعاء آخر الشهر<sup>(٧)</sup>. [٢٠] ﴿نَزِجُ النَّاسِ﴾ تقلعهم من حفر الأرض المندسين فيها، وتصرعهم على رؤوسهم، فتدق رقابهم، فيبئن الرأس عن الجسد ﴿كَانَهُمْ﴾ وحالهم ما ذكر ﴿أَصْحَابُ أَصُولٍ﴾ متفحرون في الحافة ﴿مُخْلِ حَاوِيَوْهُ﴾<sup>(٨)</sup>؛ مراعاة للفواصل في الموضعين. [٢١] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾؟ [٢٢] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾؟

[٢٣] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ جمع نذير بمعنى: منذر؛ أي: بالأمور التي أنذروهم بها نبيهم صالح، إن لم يؤمنوا به ويتبعوه. [٢٤] ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا﴾

حُشَعَا أَبْصَرَهُمْ يَجْزِيُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَانَهُمْ جَرَادٌ مُنْشَرٌّ ﴿١﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ ﴿٢﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَارْدُجِرَ ﴿٣﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَقْلُوبٌ فَأَنْصِرْ ﴿٤﴾ فَفَتَحْنَا الْأَوْبَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿٥﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿٦﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسْرٍ ﴿٧﴾ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا ﴿٨﴾ وَلَقَدْ رَزَقْنَاهُ آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٢﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ تَوَلَّى تَخَيَّرْتُ ﴿١٣﴾ نَزِجُ النَّاسِ كَانَهُمْ أَشْجَارٌ تَحْتَلُ مُنْقَعِرٍ ﴿١٤﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٦﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿١٧﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِدْأَفَى ضَلَلٍ وَسُعُرٍ ﴿١٨﴾ أَلَمْ يَلْقَ الْذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا أَلَمْ يَكُنْ أَلْفًا مِمَّنْ كَذَّبَ الْآخِرُ ﴿١٩﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَأَصْطَرِ ﴿٢٠﴾

منصوب على الاشتغال ﴿مِنَّا وَاحِدًا﴾ صفات له «بشراً» ﴿نَتَّبِعُهُ﴾ مفسر للفعل الناصب له، والاستفهام بمعنى النفي، المعنى كيف تبعه ونحن جماعة كثيرة، وهو واحد منا، وليس بملك؟ أي: لا تبعه ﴿إِنَّا إِدْأَفَى﴾ إن اتبعناه ﴿أَلْفَى حَلَكُنْ﴾ ذهب عن الصواب ﴿وَسُعُرٍ﴾ جنون. [٢٥] ﴿أَلْفَى﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين، وتركه<sup>(٩)</sup> ﴿الذِّكْرُ﴾ الوحي ﴿عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾ أي: لم يوح إليه ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ﴾ في قوله: إنه أوحى إليه ما ذكر ﴿أَيُّرُ﴾ متكبر بطر. [٢٦] قال - تعالى -: ﴿سَيَعْلَمُونَ عَذَابُ﴾ في الآخرة ﴿مَنْ الْكَذَّابُ الْآخِرُ﴾ وهو: هم، بأن يعذبوا على تكذيبهم نبيهم صالحاً. [٢٧] ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾ مخرجوها من الهضبة الصخرة، كما سألوا ﴿وَفِتْنَةً﴾ محنة ﴿لَهُمْ﴾ لنختبرهم ﴿فَارْتَبِعْهُمْ﴾ يا صالح؛ أي: انتظر ما هم صانعون، وما يصنع بهم ﴿وَأَصْطَرِ﴾ الطاء بدل من تاء الافتعال؛ أي: اصبر على أذاهم.

(١) بالسكون قراءة ابن كثير.

(٢) المدثر: ٩، ١٠.

(٣) وفيها إثبات صفة العين له - شيخنا - على الوجه اللائق به.

(٤) هذا مما لا سبيل ولا دليل صحيح بثبوته، كما لا فائدة من ذكره.

(٥) الحاقة: ٧.

(٦) رجع التلخيص على الآية (٨) من سورة ص.

(٧) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم، وقرا حمزة والكسائي وأبو عمرو: «حاشعاً» وهي القراءة المنسرة.

(٨) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٩) أي شذوذاً.

بِالنُّذُرِ أَي: بالأمور المنذرة لهم على لسانه. [٣٤] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً ترميهم بالحصى، وهي صغار الحجارة، الواحد دون ملء الكف، فهلوكوا ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ وهم ابتلاه معه ﴿يَجْتَنِبُهُمْ بِسَحَرٍ﴾ من الأسحار، وقت الصبح من يوم غير معين، ولو أريد من يوم معين لمنع من الصرف؛ لأنه معرفة معدول عن السحر؛ لأن حقه أن يستعمل في المعرفة بالآل، وهل أرسل الحاصب على آل لوط أو لا؟ قولان، وعبر عن الاستثناء على الأول بأنه متصل، وعلى الثاني بأنه منقطع، وإن كان من الجنس تنسجماً. [٣٥] ﴿يَعْتَمِدُ مَوْجِدًا﴾ أي: إنعاماً ﴿وَمَنْ عِنْدَنَا كَذَابٌ﴾ أي: مثل ذلك الخواء ﴿يَجْرِي مِنْ شَكْرٍ﴾ أتعنتا وهو مؤمن، أو من آمن بالله ورسله <sup>(١)</sup> وأطاعهم. [٣٦] ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ خَوْفَهُمْ لَوْطَ﴾ بَطَشْنَاهُ أَخَذْنَا إِيَّاهُم بِالْعَذَابِ ﴿فَتَكَادَرُوا﴾ تجادلوا وكذبوا ﴿بِالنُّذُرِ﴾ بإنذاره. [٣٧] ﴿وَلَقَدْ زَادُوا عَنْ ضَيْفِهِ﴾ أن يخلي بينهم وبين القوم الذين أتوه في صورة الأضياف؛ ليختبئوا بهم، وكانوا ملائكة ﴿فَطَسَّأْتُمْ أَقْبِيئَهُمْ﴾ أعميائنا، وجعلناها بلا شئ كباقي الوجه، بأن صفقها جبريل بجناحه ﴿فَذُوقُوا﴾ قلنا لهم: ذوقوا ﴿عَذَابِي وَنُذُرِي﴾ أي: إنذاري وتخويفي؛ أي: ثمرته وفائتته. [٣٨] ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً﴾ الصبح من يوم غير معين ﴿عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ دائم متصل بعذاب الآخرة.

[٣٩] ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي﴾. [٤٠] ﴿وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [٤١] ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُمْ﴾ قومه معه ﴿النُّذُرُ﴾ الإنذار، على لسان موسى وهارون، فلم يؤمنوا. [٤٢] بل ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ أي: التسع التي أوتيتها موسى ﴿فَلَنَنْزِلُنَّهُمْ﴾ بالعذاب ﴿أَحَدٌ عَزِيزٌ﴾ قوي ﴿مُقَدِّرٌ﴾ قادر، لا يعجزه شيء. [٤٣] ﴿أَكْفَارُكُمْ﴾ يا قريش ﴿عَبْرٌ مِّنْ أَوَّلِكُمْ﴾ المذكورين من قوم نوح إلى فرعون، فلم يُعَذِّبُوا؟ ﴿أَمْ لَكُمْ قَرِيشٌ مُّبْرَأَةٌ﴾ من العذاب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ الكتب؟ والاستفهام في الموضعين بمعنى لنفي؛ أي: ليس لأمر كذلك. [٤٤] ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ كفار قريش: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ جمع ﴿مُنْصَرُونَ﴾ على محمد. [٤٥] ولما قال أبو جهل يوم بدر: إنا جمع منتصر، نزل: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْمُنْصَرُونَ وَيُولُونَ الدَّبْرُ﴾ <sup>(٢)</sup> فهزموا يديهم، ونصير رسول الله ﷺ عليهم. [٤٦] ﴿يَلِ الْكَافَّةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿وَالسَّاعَةُ﴾ أي: عذابها ﴿أَذْنٌ﴾ أعظم بلية ﴿وَأَمْرٌ﴾ أشد مرارة من عذاب الدنيا. [٤٧] ﴿إِنَّ الشَّارِبِينَ فِي سُلَّالٍ﴾ هلاك بالقتل في الدنيا ﴿وَسُعْرٌ﴾ نار مسقرة بالتشديد؛ أي: مهيجة، في الآخرة. [٤٨] ﴿يَوْمَ يُسْجَنُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ﴾ أي: في الآخرة، ويقال لهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ إصابة جهنم لكم. [٤٩] ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ بتقدير: حال من «كل»؛ أي: مقدراً، وقرئ: <sup>(٣)</sup> ﴿كُلُّ﴾ بالرفع؛ مبتدأ خبره: ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ <sup>(٤)</sup>.

وَيَبْهَرُهُمُ أَنَّ الْمَاءَ قَسَمُهُ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُّخَضَّرٌ ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ فَتَعَاطَى فَقَعَّرَ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي﴾ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا هُمْ شَرُّ الْمَحْظَرِ﴾ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّدَكِّرٍ﴾ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ ﴿نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ ﴿وَلَقَدْ زَادُوا عَنْ ضَيْفِهِ﴾ فطمسنا أعينهم فذوقوا عَذَابِي وَنُذُرِي ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ﴾ فذوقوا عَذَابِي وَنُذُرِي ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّدَكِّرٍ﴾ ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا فَآخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ﴾ ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوَّلِكُمْ أَفَلَا تَكْتُمُونَ بَرَاءةً فِي الزُّبُرِ﴾ ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرُونَ﴾ ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدَّبْرَ﴾ ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْنٌ وَأَمْرٌ﴾ ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾ ﴿يَوْمَ يُسْجَنُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾

[٢٨] ﴿وَيَبْهَرُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قَسَمُهُ﴾ مقسوم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبين الناقة؛ يوم لهم، ويوم لها ﴿كُلُّ شَرْبٍ﴾ نصيب من الماء ﴿مُخَضَّرٌ﴾ يحضره <sup>(١)</sup> القوم يومهم والناقة يومها، فتمادوا على ذلك، ثم ملوه، فهملوا بقتل الناقة. [٢٩] ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ فنادوا؛ ليقتلها ﴿فَتَعَاطَى﴾ تناول السيف ﴿فَقَعَّرَ﴾ به الناقة؛ أي: قتلها موافقة لهم.

[٣٠] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي﴾ أي: إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله؛ أي: وقع موقعه. [٣١] ويبيته بقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَيْئَةِ الْمَخْطَرِ﴾ هو الذي يجعل لغنمه حظيرة، من بابس الشجر والشوك، يحفظهن فيها من الذئاب والسياب، وما سقط من ذلك فداسته هو: الهشيم. [٣٢] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّدَكِّرٍ﴾. [٣٣] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ﴾

(٥) ما جاء في رول الآيتين (٤٨، ٤٩): أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء مشركو قريش بخاصمون رسول الله ﷺ في القدر؛ فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْجَنُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾. مسم. كتاب القدر (٤٦) باب (٤) كل شيء بقدر.

(١) في نسخة القاضي: «يحضره».

(٢) في نسخة الصاوي: «ورسوله»، والمثلث من نسخة القاضي المطبوعة.

(٣) جاء نحو ذلك عن ابن عباس، كما في المصنف لابن أبي شيبة (٣٥٧/١٤ رقم ١٨٥٠٩)، دون ذكر أن قاتل ذلك هو أبو جهل، وأخرجه أيضاً الطبري في جامع البيان (٦٤/٢٧)، وحسنه في الاستيعاب (٣٠٥/٣). وفي صحيح البخاري (٤٩٩٣) عن عائشة قالت: لقد أنزل على محمد ﷺ بمكة، وإنني لحارية العلب: ﴿يَلِ الْكَافَّةُ مَوْعِدُهُمْ وَكَانَتْ أَذْنٌ وَأَمْرٌ﴾. وظاهر هذا أن قوله تعالى قبل هذه الآية: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْمُنْصَرُونَ وَيُولُونَ الدَّبْرَ﴾ ما نزل أيضاً بمكة، ويؤيده ما ذكره الحافظ في الفتح قال: هوفي رواية أيوب عن عكرمة عن ابن عباس: لما نزلت: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْمُنْصَرُونَ وَيُولُونَ الدَّبْرَ﴾ قال عمر: أي جمع لهم؟ قال: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ تثبت في الدروع ويقول: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْمُنْصَرُونَ﴾... فظاهر هذا أن الآية نزلت بمكة، ولا ينافي ذلك أن ينزلها الرسول ﷺ في بدر، دون أن يكون ذلك سبب نزولها، أو يقل: إنها نزلت مرتين؛ إحداهما يدير، والله أعلم. (٤) أي: شذوذاً.

[٥٠] ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا بِنَهْيِهِ لَشَاءَ نَبْدُوهُ﴾ [٥١] ﴿وَجَدَهُ كَلْبًا يَلْبَسُ﴾ في السرعة، وهي قول: كن، فيوجد، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(١)</sup>.

[٥١] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم في الكفر، من الأمم الماضية ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ استفهام بمعنى الأمر؛ أي: اذكروا واتعظوا.

[٥٢] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ أي: العباد، مكتوب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ كتب الحفظة.

[٥٣] ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الذنوب، أو العمل ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾ مكتوب في اللوح المحفوظ.

[٥٤] ﴿إِنَّ الْمُنَيْنَ فِي جَنَّتٍ﴾ بسايتين ﴿وَنَهْرٍ﴾ أريد به الجنس، وقرئ<sup>(٢)</sup>: بضم النون والهاء جمعاً؛ كأشد، والمعنى: أنهم يشربون من أنهارها الماء واللبن والعسل والخمر.

[٥٥] ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾ مجلس حق، لا لغو فيه ولا تأنيب، أريد به الجنس، وقرئ<sup>(٣)</sup>: ﴿مَقْعِدٌ﴾، المعنى: أنهم في مجالس من الجنات سالمة من اللغو والتأنيب، بخلاف مجالس الدنيا، فقل أن تسلم من ذلك، وأعرب هذا خبراً ثانياً، وبدلاً، وهو صادق ببدل البعض، وغيره<sup>(٤)</sup> ﴿عِنْدَ مَلِكٍ﴾ مثال مبالغة؛ أي: عزيز الملك واسعه ﴿مُقَدِّرٍ﴾ قادر لا يعجزه شيء، وهو الله - تعالى -، و«عند» إشارة إلى الرتبة والقربة من فضله - تعالى<sup>(٥)</sup>.

### سورة الرحمن

[مكية، إلا: ﴿يَسْتَأْذِنُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية، وهي: ست، أو: ثمان وسبعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الله - تعالى. [٢] ﴿عَلَّمَ﴾ من شاء ﴿الْفُرْقَانَ﴾. [٣] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ أي: الجنس. [٤] ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ النطق. [٥] ﴿السَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ يجريان بحساب. [٦] ﴿وَالنَّجْمُ﴾ ما لا ساق له من النبات ﴿وَالنَّجْمُ﴾ ما له ساق ﴿يَسْجُدَانِ﴾ يخضعان لما يراد منهما. [٧] ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ أثبت العدل. [٨] ﴿أَلَّا تَطْغَوْا﴾ أي: لأجل أن لا تجوروا ﴿فِي الْمِيزَانِ﴾ ما يوزن به. [٩] ﴿وَأَقِيمُوا الزُّلْزَالَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ تنقصوا الموزون. [١٠] ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ أثبتها ﴿لِلْأَنْسَارِ﴾ للخلق؛ الإنس

(١) يس: ٨٢.

(٢) أي: شذوذاً.

(٣) أي: شذوذاً.

(٤) أي: وهو بدل الاشتغال؛ لأن الخناات مشتملة على المقعد.

(٥) وفي هذا التفسير نظر؛ ومبناه على نفي العلو لله ﷻ؛ فهذه العندية مما استدل به السلف على إثبات العلو لله ﷻ.

(٦) أخرجه نحوه الترمذي (٣٢١٣) وابن المنذر وأبو الشيخ في العظمة والحاكم وأبو مرويه والبيهقي في الدلائل عن جابر بن عبد الله كما في الدر المنثور [١٨٩/٦] وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥١٣٨)، وللسلسلة الصحيحة (٢١٥٠).

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا الْوَاحِدُ كَلِمَةٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

### سورة الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ السَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الزُّلْزَالَ بِالْقِسْطِ ﴿٩﴾ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿١٠﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْعَامِ ﴿١١﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١٢﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالْزَّيْتَانِ ﴿١٣﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿١٤﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٥﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ ﴿١٦﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿١٧﴾ رَبُّ الْمُسْرِفِينَ وَرَبُّ الْمَغْرِبِينَ ﴿١٨﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿١٩﴾

والجن وغيرهم. [١١] ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ﴾ المعهود ﴿ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ أوعية طلوعها. [١٢] ﴿وَالْحَبُّ﴾ كالحنطة والشعير ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾ التين ﴿وَالزَّيْتَانِ﴾ الورق المشموم. [١٣] ﴿فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا﴾ نعم ﴿رَبِّكُمَا﴾ أيها الإنس والجن ﴿تُكْذِبَانِ﴾ ذكرت إحدى وثلاثين مرة، والاستفهام فيها للتعريض؛ لما روى الحاكم عن جابر قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها، ثم قال: «مالي أراكم سكوناً!! للجن كانوا أحسن منكم رداً؛ ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة: ﴿فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾ إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب؛ فلك الحمد»<sup>(١)</sup>. [١٤] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ آدم ﴿مِنْ صَلْصَلٍ﴾ طين يابس، يسمع له صلصلة؛ أي: صوت إذا نفثه ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ وهو ما طبخ من الطين. [١٥] ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾ أبا الجن، وهو إبليس ﴿مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾ هو لهبها الخالص من الدخان. [١٦] ﴿فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾.

للمفعول والفاعل <sup>(١)</sup> ﴿وَيَتَّخِذُهَا﴾ من مجموعهما الصادق بأحدهما، وهو الملح ﴿الْوَلُّوْاْ وَالْمَرْجَانُ﴾ خرز أحمر، أو: صغار اللؤلؤ. [٢٣] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٢٤] ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ﴾ السفن ﴿الْمُنشَآتُ﴾ المحدثات ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ كالجبال عظمًا وارتفاعًا. [٢٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٢٦] ﴿كُلُّ مَنَ عَلَيْهِ﴾ أي: الأرض من الحيوان ﴿فَإِنَّ هَالِكًا﴾، وعبر به «مَرٌّ» تغليبا للعلاء [٢٧] ﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذَاةُ﴾ ذاته <sup>(٢)</sup> ﴿ذُو الْجَلَالِ الْعَظَمَةِ﴾ والإكرام ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ <sup>(٣)</sup> بأنعمه عليهم. [٢٨] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٢٩] ﴿يَتَذَكَّرُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ينطق، أو: حال <sup>(٤)</sup> ما يحتاجون إليه، من القرة على العبادة، والرزق والمغفرة، وغير ذلك ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ <sup>(٥)</sup> أمر؛ يظهره على وفق ما قدره في الأزل؛ من إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وإغناء وإعدام، وإجابة داع، وإعطاء سائل، وغير ذلك. [٣٠] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣١] ﴿سَنَنْفِخُ لَكُمُ﴾ سنقصد لحسابكم ﴿أَنَّهُ الْفَقْلَانِ﴾ الإنسان والجن. [٣٢] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣٣] ﴿يَتَمَعَّمُ الْإِنْسَانُ لِيَفْزَنَ﴾ أي: يستعظم أن تنفذوا ﴿تَخْرُجُوا مِّنْ أَقْطَارِ﴾ نواحي ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَافْزَنُوا﴾ أمر تعجيز ﴿لَا تَنْفَعُوكُمْ إِلَّا بِطُلُوعِ﴾ بقوة، ولا قوة لكم على ذلك. [٣٤] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٣٥] ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ هو لهيها الخالص من الدخان، أو: معه ﴿وَنَحَّاسٌ﴾ أي: دخان لا لهب فيه <sup>(٦)</sup> ﴿فَلَا تَنْصُرَانِ﴾ تمتنعان من ذلك، بل يسوقكم إلى المحشر. [٣٦] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣٧] ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ انفرجت أبوابها لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ زُرَّةً﴾ أي: مثلها محمرة ﴿كَالْإِهْسَانِ﴾ كالأديم الأحمر، على خلاف العهد بها، وجواب «إذا»: فما أعظم الهول. [٣٨] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣٩] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُشْعَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ عن ذنبه، ويسألون في وقت آخر؛ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ <sup>(٧)</sup>، والجنان هنا وفيما سيأتي <sup>(٨)</sup> بمعنى: الجني، والإنس فيها بمعنى: الإنسي. [٤٠] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٨﴾ يَتَّخِذُهُمَا بَرَجٌ لَّا يَبْعِيَانِ ﴿١٩﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٠﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢١﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٢﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٤﴾ كُلُّ مَنَ عَلَيْهَا فَإِنَّ هَالِكًا ﴿٢٥﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٦﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٧﴾ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٨﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٩﴾ سَنَنْفِخُ لَكُمُ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴿٣٠﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣١﴾ يَتَمَعَّمُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَافْزَعُوا لَّا تَنْفُذُونَ إِلَّا إِلَىٰ سُلْطَانٍ ﴿٣٢﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٣﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنَحَّاسٌ فَلَا تَنْصُرَانِ ﴿٣٤﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٥﴾ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ زُرَّةً كَالْإِهْسَانِ ﴿٣٦﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٧﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴿٣٨﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٩﴾ يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤٠﴾

[١٧] ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَمَشْرِقِ الشَّمْسِ﴾ مشرق الشمس ومشرق الصيف ﴿وَرَبُّ الْعَرْشَيْنِ﴾ كذلك. [١٨] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [١٩] ﴿مَرَجَ﴾ أرسل ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ العذب والملح ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ في رأي العين. [٢٠] ﴿يَتَّخِذُهُمَا بَرَجٌ﴾ حاجز من قدرته - تعالى - ﴿لَّا يَبْعِيَانِ﴾ لا يبغي واحد منهما على الآخر، فيحتل به.

[٢١] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٢٢] ﴿يَخْرُجُ﴾ بالبناء

(٥) فائدة: أخرج ابن ماجه عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ في قوله: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قال: (من شأنه أن يغفر ذنبا، ويفرج كرتا، ويرفع قوما، ويضع آخرين). ابن ماجه. المقدمة باب (١٣) فيما أنكرت الحمية. وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٦٧).

(١) بالبناء للمفعول قراءة نافع وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالبناء للمفعول. وهذا لا ينافي صفة الوجه التي أثبتها ربنا ﷻ لنفسه، ونشبهنا له حقيقة على الوجه اللائق به، ومن لوازم بقاء الوجه بقاء الذات؛ لكن لا يقال: إن الوجه هو الذات، وقال ابن كثير في تفسير الآية: «... ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم؛ فإن الرب - تعالى - وتقديس لا يموت، بل هو الحي الذي لا يموت أبداً».

(٢) قوله ﷻ: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ في الآية هي صفة لوجهه وليس لهرب، كما قال ابن كثير والطبري، ووجهه - شيخنا - ذو الجلال والإكرام كما أنه - شيخنا - ذو الجلال والإكرام. فقول المفسر: (للمؤمنين) دليل على إرادة نفي صفة الوجه، لا عن مجرد إرادة الدلالة على أن بقاء الوجه يزم منه بقاء الذات.

(٤) أي: بلسان الحال.

(٥) وهذا قول ابن عباس المشهور عنه، وسعيد بن جبير وغيرهما، واختاره الطبري. وقال آخرون: هو التحاسن المذاب؛ يسحب على رؤوسهم. وروي ذلك عن ابن عباس وقادة وغيرهما.

(٦) الحجر: ٩٢.

(٧) أي في قوله تعالى: ﴿لَنُيَبِّئَنَّ مِنْ قُرْبَانِكَ لَكُمْ لَكُمْ وَلَا جَانًا﴾ في الآيتين: (٥٦)، (٧٤) من السورة.

[٤١] ﴿يَعْرِفُ الْغُيُوثَ﴾ يسيمهم ﴿سَوَادَ الْوُجُوهِ وَزُرْقَةَ الْعُيُونِ﴾ ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾. [٤٢] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾ أي: تضم ناصية كل منهم إلى قدميه، من خلف أو قدام، ويلقى في النار، ويقال لهم: [٤٣] ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾.

[٤٤] ﴿يَطُوفُونَ﴾ يسعون ﴿بَيْنَآ وَبَيْنَ جَحِيمٍ﴾ ماء حار ﴿ءَانِ﴾ شديد الحرارة، يسقونه إذا استغاثوا من حر النار، وهو منقوص؛ كـ «قاضي».

[٤٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾.

[٤٦] ﴿وَلَقَدْ خَذَفَ﴾ أي: لكل منهم، أو: لمجموعهم ﴿مَقَامٌ رِيمٌ﴾ قيامه بين يديه للحساب، فترك معصيته ﴿جَنَّتَانِ﴾.

[٤٧] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾.

[٤٨] ﴿ذَرَاكَ﴾ تنبيه «ذوات» على الأصل<sup>(١)</sup>، ولامها باء<sup>(٢)</sup> ﴿أَفَنَآنِ﴾ أغصان، جمع «فن»؛ كـ «طلل».

[٤٩] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾.

[٥٠] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾.

[٥١] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾.

[٥٢] ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ في الدنيا، أو: كل ما يتفكه به ﴿زَوْجَانِ﴾ نوعان؛ رطب وياابس، والمرعها في الدنيا كالخنظل حلو.

[٥٣] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾.

[٥٤] ﴿مُتَّكِنِينَ﴾ حال عامله محذوف؛ أي: يتنعمون ﴿عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِيهَا مِنْ إِسْتَرْقٍ﴾ ما غنط من الديباج وخشن، والظهار من السندس ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ﴾ ثمرهما ﴿ءَانِ﴾ قريب، يناله القائم والقاعد والمضطجع.

[٥٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾.

[٥٦] ﴿فِيهِمَا﴾ في الجنتين، وما اشتملنا عليه من العلالي والقصور ﴿فَقَصِرَتْ أَلْفَارِفُ﴾ العنن، على أزواجهن المتكئين، من الإنس والجن ﴿لَمْ يَطْمِئْنُوا﴾ يفتضون، وهن من الحور، أو: من نساء الدنيا المنشآت<sup>(٣)</sup> ﴿إِنِّشْ قَتَلَهُمْ وَلَا جَاءَ﴾.

[٥٧] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾.

[٥٨] ﴿كَأَنَّهُنَّ آيَاتُ قُرْآنٍ﴾ صفاء ﴿وَالْمَرْجَاتُ﴾ أي: اللؤلؤ بيضاء.

[٥٩] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾.

[٦٠] ﴿هَلْ﴾ ما ﴿جَزَاءُ الْإِحْسَنِ﴾ بالطاعة ﴿إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ بالنعيم.

[٦١] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾.

فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿١﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٢﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ﴿٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٤﴾ وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٥﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٦﴾ ذَوَاتَا أَفْنَآنِ ﴿٧﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٨﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٩﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿١٠﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿١١﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿١٢﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِيهَا مِنْ إِسْتَرْقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانِ ﴿١٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿١٤﴾ فِيهِمَا قَصِرَتْ أَلْفَارِفُ لَمْ يَطْمِئْنُوا عَلَى فُرُشٍ قَتَلَهُمْ وَلَا جَاءَ ﴿١٥﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿١٦﴾ كَأَنَّهُنَّ آيَاتُ قُرْآنٍ وَالْمَرْجَاتُ ﴿١٧﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿١٨﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿١٩﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٢٠﴾ تَكْذِبَانِ ﴿٢١﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٢٢﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٢٣﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٢٤﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٢٥﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ ﴿٢٦﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٢٧﴾

[٦٢] ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾ أي: الجنتين المذكورتين ﴿جَنَّتَانِ﴾<sup>(٤)</sup> أيضًا، لمن خاف مقام ربه.

[٦٣] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾.

[٦٤] ﴿مُدْهَاتَانِ﴾ سوداوان من شدة خضرتهما.

[٦٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾.

[٦٦] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ فوارتان بالماء، لا ينقطعان.

[٦٧] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾.

(١) فائدة: أخرج البخاري عن عبد الله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: «جنجان من فصة آيتيها وما فيها؛ وجنتان من ذهب آيتيها وما فيها. وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الرحمن (٥٥) باب (١) ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾.

(٢) أي: على ما قبل حذف «واو» وبعد حذف تصبح «دات» فتلى على «ذاتان». والفصح في تنبيها: «ذوات»، كما في الآية.

(٣) أي لأن أصلها: «هذي»؛ تحركت الياء، وانفتح ما قبلها، فقلت ألفًا، فأصبحت: «هذوي»؛ كـ «هني».

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿وَبَا أَنَا لَهُمْ بَنَاتٌ هُنَّ لِمَنَّهُنَّ آبَاؤُا﴾ (الواقعة: ٣٥، ٣٦) أي: يجعلهن بعد الثبوت «بكات».

[٧٦] ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ أي: أزواجهم، وإعراجه، كما تقدم ﴿عَلَى رُفُوفٍ خُضْرٍ﴾ جمع روفة؛ أي: بُشَط، أو: وسائد ﴿وَعَبَقَرِي حِسَانٍ﴾ جمع عبقرية؛ أي: طنافس. [٧٧] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٧٨] ﴿تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ تقدم، ولفظ «اسم» زائد.

## سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

[مكية، إلا ﴿أَنهَذَا الْخُبْرُ﴾ الآية، و﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ الآية، وهي: ست، أو: سبع، أو: تسع وتسعون آية] (\*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا وَفَعَتْ الْوَاقِعَةُ﴾ قامت القيامة. [٢] ﴿لَيْسَ لَوْعِهَا كَذِبَةٌ﴾ نفس تُكذَّب، بأن تفيعها كما نفتها في الدنيا. [٣] ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ أي: هي مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار، ولرفع آخرين بدخولهم الجنة. [٤] ﴿إِذَا رَحَّتْ الْأَرْضُ رَحًا﴾ تحركت حركة شديدة. [٥] ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ قُتَّت. [٦] ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُبْتَثًّا﴾ غبارًا ﴿مُبْتَثًّا﴾ منتشرًا، و﴿إِذَا الْثَانِيَةَ بَدَلُ مِنَ الْأُولَى﴾. [٧] ﴿وَكُنْتُمْ فِي الْيَوْمِ أَزْوَاجًا﴾ أصنافًا ﴿ثَلَاثَةً﴾ [٨] ﴿فَأَصْحَبُ الْمُيمَنَةِ﴾ وهم الذين يُؤْتُونَ كتبهم بأيمانهم، مبتدأ خبره: ﴿مَا أَصْحَبُ الْمُيمَنَةِ﴾ تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة. [٩] ﴿وَأَصْحَبُ الْمُشْغَمَةِ﴾ أي: الشمال، بأن يُؤْتَى كل منهم كتابه بشماله ﴿مَا أَصْحَبُ الْمُشْغَمَةِ﴾ تحقير لشأنهم بدخولهم النار. [١٠] ﴿وَالسَّائِقُونَ﴾ إلى الخير، وهم الأنبياء، مبتدأ ﴿السَّائِقُونَ﴾ تأكيد لتعظيم شأنهم. [١١] ﴿أُولَئِكَ الْمَقَرُّونَ﴾. [١٢] ﴿فِي جَنَّاتٍ أَلْيَمِيَّةٍ﴾. [١٣] ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ مبتدأ، أي: جماعة من الأمم الماضية [١٤] ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ من أمة محمد ﷺ، وهم السابقون من الأمم الماضية وهذه الأمة<sup>(١)</sup>. [١٥] والخير: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ منسوجة بقضبان الذهب والجواهر. [١٦] ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَلِّبِينَ﴾ حالان من الضمير في الخبر.

فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٦﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٨﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٩﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَسِنَّ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٨٠﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨١﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى رُفُوفٍ خُضْرٍ وَعَبَقَرِي حِسَانٍ ﴿٨٢﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨٣﴾ تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٨٤﴾

## سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
إِذَا وَفَعَتْ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعِهَا كَذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رَحَّتِ الْأَرْضُ رَحًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُبْتَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَبُ الْمُيمَنَةِ ﴿٨﴾ مَا أَصْحَبُ الْمُيمَنَةِ ﴿٩﴾ وَأَصْحَبُ الْمُشْغَمَةِ مَا أَصْحَبُ الْمُشْغَمَةِ ﴿١٠﴾ وَالسَّائِقُونَ السَّائِقُونَ ﴿١١﴾ أُولَئِكَ الْمَقَرُّونَ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَلِّبِينَ ﴿١٦﴾

[٦٨] ﴿فِيهَا فَكِهِمُ﴾ وَعَلَى رُفُوفٍ ﴿١﴾ هما منها<sup>(١)</sup>، وقيل: من غيرها. [٦٩] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٧٠] ﴿فِيهِنَّ﴾ أي: الجنة وما فيها<sup>(٢)</sup> ﴿خَيْرَاتٌ﴾ أخلاقًا ﴿حِسَانٌ﴾ وجوهاً. [٧١] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٧٢] ﴿حُورٌ﴾ شديدات سواد العيون وبياضها ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾ مستورات ﴿فِي الْخِيَامِ﴾ من دُور مجوف، مضافة إلى القصور، شبيهة بالحدود. [٧٣] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٧٤] ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَسِنَّ قَبْلَهُمْ﴾ قبل أزواجهن ﴿وَلَا جَانٌ﴾. [٧٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله، قد شئت؟ قال: «شيتني هود، والواقعة، والمرسلات، و﴿عَمَّ يَسْتَأْذِنُ﴾، و﴿إِذَا أُنْفِثَتْ كُرِّيَّتٌ﴾». وسبق تخريجه في أول سورة هود.

(١) أي: النخل والزئبان من الفاكية.

(٢) في نسخة القاضي: «وقصورهما»، بدلاً من: «وما فيها». وقال ابن الجوزي في زاد المسير: «فِيهِنَّ» يعني في الجنان الأربع. اهـ، وكذا قال البغوي. وفي حديث أبي موسى الأشعري في الصحيحين: البحاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠) أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة؛ آتيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب؛ آتيتهما وما فيهما».

(٣) هذا قول مجاهد والحسن البصري، واختاره ابن جرير، ولم يحكي غيره. قال ابن كثير: «وهذا الذي اختاره ابن جرير فيه نظر؛ بل هو قول ضعيف؛ لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن؛ فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها، اللهم إلا أن يقابل مجسوع الأمم بهذه الأمة. والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم، والله أعلم اهـ. ثم قال ابن كثير: «فالقول الثاني في هذا المقام هو الأرجح، وهو أن يكون المراد بقوله: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: من صدر هذه الأمة، ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ أي: من هذه الأمة. اهـ. وأول هذه الأمة هم الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان، وآخرها: الصلحاء، وهم قليل».



[١٧] ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿وَلَدُنْهُمْ مَعْلَدُونَ﴾ على شكل الأولاد، لا يهرمون. [١٨] ﴿يَا كُؤَبَرُ﴾ أقداح لا غرى لها ﴿وَالْبَارِقُ﴾ لها عرى وخراطيم ﴿وَكُؤَبَرُ﴾ إناء شرب الخمر ﴿مِنْ مَعِينٍ﴾ أي: خمر جارية من منبع لا ينقطع أبداً.

[١٩] ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ﴾ يفتح الزاي وكسرها<sup>(١)</sup>، من نرف الشارب وأنزف: أي: لا يحصل لهم منها صداع، ولا ذهاب عقل، بخلاف خمر الدنيا. [٢٠] ﴿وَفَكَهَةٌ مِمَّا يَنْخَرُوتُ﴾. [٢١] ﴿وَنَقِيرٌ طَيْرٍ مِمَّا يَنْتَبُونَ﴾. [٢٢] ﴿ذِي لَهُم لِلْإِسْتِمَاعِ﴾ حَرْزٌ ﴿نَسَاءَ شَدِيدَاتِ سَوَادِ الْعُيُونِ وَبَيَاضِهَا﴾<sup>(٢)</sup> ﴿عَيْنٍ﴾ ضخام العيون، كسرت عينه بدل ضمها؛ تجانسة الياء<sup>(٣)</sup>، ومفردة: عيناء؛ كحمراء، وفي قراءة<sup>(٤)</sup> بحر «حور عين». [٢٣] ﴿كَأَمْثَلِ الْوُلُوفِ الْمَكُونِ﴾ المصون. [٢٤] ﴿جَزَاءُ﴾ مفعول له، أو: مصدر، والعامل مقدر؛ أي: جعلنا لهم ما ذكر للجزاء، أو: جزئناهم ﴿يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. [٢٥] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿قَوًّا﴾ فاحشاً من الكلام ﴿وَلَا تَأْتِيًا﴾ ما يؤثم. [٢٦] ﴿لَا﴾ لكن ﴿يَلَا﴾ قولاً ﴿سَلَكْنَا سَلَكًا﴾ بدل من: ﴿يَلَا﴾ فإنهم يسمعون. [٢٧] ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾. [٢٨] ﴿فِي يَمِينٍ﴾ شجر التين ﴿تَنْضُورُ﴾ لا شك فيه. [٢٩] ﴿وَطَلْحٌ﴾ شجر الموز ﴿تَنْضُورُ﴾ بالحمل، من أسفله إلى أعلاه. [٣٠] ﴿وَطَلْحٌ تَمْدُورُ﴾<sup>(٥)</sup> دائم. [٣١] ﴿وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ﴾ جار دافئ. [٣٢] ﴿وَفَكَهَةٌ كَثِيرَةٌ﴾. [٣٣] ﴿لَا مَقْطُوعَةٌ﴾ في زمن ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٌ﴾ بمن. [٣٤] ﴿وَفَرْنٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ على السرر. [٣٥] ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾ أي: الحور العين من غير ولادة.

[٣٦] ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ عذارى، كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى، ولا وجع. [٣٧] ﴿عُرْبًا﴾ بضم الراء وسكونها<sup>(٥)</sup>؛ جمع غروب، وهي: المتحبة إلى زوجها عشقاً له ﴿أَرْبَابًا﴾ جمع تزوب؛ أي: مستويات في السن. [٣٨] ﴿لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ صلة «أنشأناهن» أو «جعلناهن». [٣٩] وهم ﴿فَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾. [٤٠] ﴿وَلَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.

[٤١] ﴿وَأَصْحَابُ الْإِثْمَالِ مَا أَصْحَابُ الْإِثْمَالِ﴾. [٤٢] ﴿فِي سَمُورٍ﴾ ريح حارة من النار، تنفذ في المسام ﴿وَكَبِيرٍ﴾ ماء شديد الحرارة. [٤٣] ﴿وَطَلْحٌ مِنَ يَمِينٍ يَحْمُورُ﴾ دخان شديد السواد. [٤٤] ﴿لَا بَارِدٌ﴾ كغيره من الظلال ﴿وَلَا كَرِيمٌ﴾ حسن المنظر. [٤٥] ﴿إِنَّمَا كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ في الدنيا ﴿مُتَرَفِفِينَ﴾ منعمين؛ لا يتبعون في الطاعة.

[٤٦] ﴿وَكَاوُوا يُبْرُونَ عَلَى الْيُسْنِ﴾ الذنب ﴿الْعَظِيمِ﴾ أي: الشرك.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدُنْهُمْ مَعْلَدُونَ ﴿١٧﴾ يَا كُؤَبَرُ وَالْبَارِقُ وَكُؤَبَرُ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَأَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهَةٌ مِمَّا يَنْخَرُوتُ ﴿٢٠﴾ وَنَقِيرٌ طَيْرٍ مِمَّا يَنْتَبُونَ ﴿٢١﴾ ذِي لَهُم لِلْإِسْتِمَاعِ ﴿٢٢﴾ نَسَاءَ شَدِيدَاتِ سَوَادِ الْعُيُونِ وَبَيَاضِهَا ﴿٢٣﴾ كَأَمْثَلِ الْوُلُوفِ الْمَكُونِ ﴿٢٤﴾ جَزَاءُ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا الْقَوَّاتِ وَلَا تَأْتِيًا ﴿٢٦﴾ لَكِنْ يَلَا قَوْلًا سَلَكْنَا سَلَكًا بِدَلِّ مِنْ: يَلَا فَإِنْهُمْ يَسْمَعُونَ. ﴿٢٧﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ فِي يَمِينٍ شَجَرُ التِّينِ تَنْضُورٌ لَا شَكَّ فِيهِ. ﴿٢٩﴾ وَطَلْحٌ شَجَرُ الْمَوْزِ تَنْضُورٌ بِالْحَمْلِ مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى أَعْلَاهُ. ﴿٣٠﴾ وَطَلْحٌ تَمْدُورٌ دَائِمٌ. ﴿٣١﴾ وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ جَارٍ دَائِقًا. ﴿٣٢﴾ وَفَكَهَةٌ كَثِيرَةٌ. ﴿٣٣﴾ لَا مَقْطُوعَةٌ فِي زَمَنِ وَلَا مَمْنُوعَةٌ بِمَنْ. ﴿٣٤﴾ وَفَرْنٌ مَرْفُوعَةٌ عَلَى السَّرَرِ. ﴿٣٥﴾ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً أَيْ: الْحَوْرَ الْعَيْنِ مِنْ غَيْرِ وَلَادَةٍ. ﴿٣٦﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عَذَارَى، كُلَّمَا أَتَاهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ وَجَدُوهُنَّ عَذَارَى، وَلَا وَجَعَ. ﴿٣٧﴾ عُرْبًا بِضَمِّ الرَّاءِ وَسُكُونِهَا<sup>(٥)</sup>؛ جَمْعُ غُرُوبٍ، وَهِيَ: الْمُتَحِبَّةُ إِلَى زَوْجِهَا عَشَقًا لَهُ ﴿أَرْبَابًا﴾ جَمْعُ تَزَوُّبٍ أَيْ: مُسْتَوَاتٍ فِي السِّنِّ. ﴿٣٨﴾ لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ صِلَةُ «أَنْشَأْنَاهُنَّ» أَوْ «جَعَلْنَاهُنَّ». ﴿٣٩﴾ وَهُمْ ﴿فَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾. ﴿٤٠﴾ وَلَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ<sup>(٦)</sup>.

[٤١] ﴿وَأَصْحَابُ الْإِثْمَالِ مَا أَصْحَابُ الْإِثْمَالِ﴾. [٤٢] ﴿فِي سَمُورٍ﴾ رِيحٌ حَارَةٌ مِنَ النَّارِ، تَنْفُذُ فِي الْمَسَامِ وَكَبِيرٌ مَاءٌ شَدِيدُ الْحَرَارَةِ. [٤٣] ﴿وَطَلْحٌ مِنَ الْيَمِينِ يَحْمُورُ﴾ دُخَانٌ شَدِيدُ السَّوَادِ. [٤٤] ﴿لَا بَارِدٌ﴾ كَغَيْرِهِ مِنَ الظُّلَالِ ﴿وَلَا كَرِيمٌ﴾ حَسَنُ الْمَنْظَرِ. [٤٥] ﴿إِنَّمَا كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿مُتَرَفِفِينَ﴾ مُنْعَمِينَ؛ لَا يَتَّبِعُونَ فِي الطَّاعَةِ.

[٤٦] ﴿وَكَاوُوا يُبْرُونَ عَلَى الْيُسْنِ﴾ الذَّنْبُ ﴿الْعَظِيمِ﴾ أَيْ: الشَّرْكُ. [٤٧] ﴿وَكَاوُوا يَقُولُونَ أَهَذَا مِمَّا رَكَّبْنَا وَنَحْنُ كَرَّاكَ وَعِظْلَنَا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ فِي الْهَمِزَتَيْنِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ: التَّحْقِيقُ، وَتَسْهِيلُ الثَّانِيَةِ، وَإِدْخَالُ أَلْفٍ بَيْنَهُمَا عَلَى الْوَجْهِ<sup>(٧)</sup>. [٤٨] ﴿أَوَّابًا تَأْوِلُونَ الْأَوَّلُونَ﴾ بِفَتْحِ الرَّاءِ لِلْعَطْفِ، وَالْهَمْزَةُ لِلتَّسْتَفْهَامِ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ وَفِيمَا قَبْلَهُ لِلتَّاسْتِعَادِ، وَفِي قِرَاءَةٍ<sup>(٨)</sup> بِسُكُونِ الرَّاءِ، عَطْفًا بِأَوَّابٍ وَالْمَعْلُوفُ عَلَيْهِ: مَحَلُّ «إِنَّ» وَاسْمُهَا. [٤٩] ﴿فَلْ يَكُنِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾. [٥٠] ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لَوْفَتْ ﴿يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، وأقرعوا إن شقتم: ﴿وَطَلْحٌ تَمْدُورٌ﴾». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الواقعة (٥٦) باب (١) ﴿وَطَلْحٌ تَمْدُورٌ﴾.

(٥٥) ما جاء في نزول الآيتين (٣٩، ٤٠): أخرج أحمد عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿فَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿وَلَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ فقال: «أنتم ثلث أهل الجنة، بل أنتم نصف أهل الجنة، وتقاسمونها نصف الباقي». أخرجه أحمد في المسند (٣٩١/٢)، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تخريجيه على المسند (١٣٢/١٧) رقم (٩٠٦٩).

(١) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالكسر.

(٢) أي: سواد الخدقة وبياض ما حولها، وقيل مع شدة بياض الجسد كذلك.

(٣) لأن أصلها: «عُيُن» بضم العين وسكون الياء.

(٤) لحمزة والكسائي.

(٥) بالسكون قراءة حمزة وشعبة.

(٦) أي وتركه، وقرأ نافع والكسائي بالاستفهام في الأول والإحار في الثاني، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٧) بالسكون قراءة ابن عامر وقائلون.

خَفَقْنَكُمْ ﴿٥٨﴾ أوجدناكم من عدم ﴿فَلَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿تَصَدَّقُونَ﴾ بالبعث؛ إذ القادر على الإنشاء قادر على إعادة. [٥٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ تريقون من المني في أرحام النساء. [٥٩] ﴿وَأَنْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركه<sup>(٦)</sup> في المواضع الأربعة ﴿تَخْلُقُونَهُ﴾ أي: المني بشراً ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ الْخَالِقِينَ﴾. [٦٠] ﴿تَحْنُ قَدَرْنَا﴾ بالتشديد والتخفيف<sup>(٧)</sup> ﴿يَبْنِئُكَ الدَّوْتَ وَمَا تَحْنُ يَمْسُوقِينَ﴾ بجازرين.

[٦١] ﴿عَلَى﴾ عن ﴿أَنْ تُبَدِّلَ﴾ نجعل ﴿أَمْثَلَكُمْ﴾ مكانكم ﴿وَنُنْشِئُكُمْ﴾ نخلقكم ﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الصور؛ كالقردة والخنازير. [٦٢] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ﴾<sup>(٨)</sup> الأول ﴿فِي قِرَاءَةِ بَسْكَوْنِ الشَّيْنِ﴾ ﴿فَلَوْلَا﴾ [تَذَكَّرُونَ] فيه إدغام التاء الثانية في الأصل في الدال<sup>(٩)</sup>. [٦٣] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ تثيرون في الأرض، وتلقون البذر فيها؟ [٦٤] ﴿وَأَنْتُمْ تَرْزُقُونَهُ﴾ تنبتونه ﴿أَمْ تَحْنُ الْأَرْزَاقُونَ﴾. [٦٥] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا﴾ نباتاً يابشاً، لا حب فيه ﴿فَلَنْتُمْ﴾ أصله: ظلمتم بكسر اللام، حذفتم تخفيفاً؛ أي: أقمتم نهاراً ﴿تَعْمَهُونَ﴾ حذفتم منه إحدى التائين في الأصل؛ تعجبون من ذلك، وتقولون: [٦٦] ﴿إِنَّا لَمَعْمُومُونَ﴾ نفقة زرعنا. [٦٧] ﴿بَلْ تَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ ممنوعون رزقنا.

[٦٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾. [٦٩] ﴿وَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ السحاب، جمع «مُزْنَةٍ» ﴿أَمْ تَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾. [٧٠] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُنْجَابًا﴾ ملحاً لا يمكن شربه ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلاً ﴿تَشْكُرُونَ﴾.

[٧١] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ تخرجون من الشجر الأخضر. [٧٢] ﴿وَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا﴾ كالنخيل والغفار والكَلَخ<sup>(١٠)</sup> ﴿أَمْ تَحْنُ الْمُثْبِتُونَ﴾. [٧٣] ﴿تَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا﴾ لنار جهنم ﴿وَمَتَّعًا﴾ بِلُغَةٍ ﴿لِلْمُفَوِّينَ﴾ للمسافرين؛ من: أقوى القوم؛ أي: صاروا بالقوا، بالقصر والمد؛ أي: القفر، وهو: مفازة لا نبات فيها ولا ماء. [٧٤] ﴿فَسَبِّحْ﴾ زَرَّة ﴿يَاسْمِينِ﴾ زائدة<sup>(١١)</sup>

﴿زَيْكِ الْعَظِيمِ﴾ أي: الله. [٧٥] ﴿فَلَا أَفْسَرُ﴾ لا زائدة ﴿يَمُوقِعُ الْجُجُومِ﴾ بمساقطها لغروبها<sup>(١٢)</sup>. [٧٦] ﴿وَأَيُّهُ﴾ أي: القسم بها ﴿لَفَسَّرُوا لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمُ﴾ لو كنتم من ذوي العلم لعلمتم عظم هذا القسم.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الْأَصْلَ الْكَافِرُونَ﴾ لا يكون من شجرين زُفْرٌ ﴿فَالْوَنُ مِنْهَا الْبَطُونُ﴾ فشد يُونُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيرِ ﴿فَشَدَّ يُونُ شَرَبَ الْهَمِيرِ﴾ هَذَا أَزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿تَحْنُ خَلَقْتُمْ فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿وَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ وَأَمْ تَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ تَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا تَحْنُ يَمْسُوقِينَ ﴿عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنْشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ وَأَنْتُمْ تَرْزُقُونَهُ وَأَمْ تَحْنُ الْأَرْزَاقُونَ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُوتَ﴾ إِنَّا لَمَغْرُمُونَ ﴿بَلْ تَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿وَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ تَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُنْجَابًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ وَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ تَحْنُ الْمُثْبِتُونَ ﴿تَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَّعًا لِلْمُفَوِّينَ﴾ فَسَبِّحْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿فَلَا أَفْسَرُ يَمُوقِعُ الْجُجُومِ﴾ وَإِنَّهُ لَفَسَّرُوا لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمُ

[٥١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الْأَصْلَ الْكَافِرُونَ﴾. [٥٢] ﴿لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُفْرٍ﴾ بيان للشجر. [٥٣] ﴿فَالْوَنُ مِنْهَا﴾ من الشجر ﴿الْبَطُونُ﴾. [٥٤] ﴿فَشَدَّ يُونُ عَلَيْهِ﴾ أي: الزقوم المأكول ﴿يُونُ لِلْهَمِيرِ﴾. [٥٥] ﴿فَشَدَّ يُونُ﴾ [شَرَبَ] بفتح الشين وضماً<sup>(١٣)</sup> مصدر ﴿الْهَمِيرِ﴾ الإبل العطاش، جمع هيمان للذكر، وهيمي للأنثى؛ كعطشان وعطشى. [٥٦] ﴿هَذَا تُزْلَمُ﴾ ما أعد لهم ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ يوم القيامة. [٥٧] ﴿تَحْنُ

(١) بالفتح قراءة الكسائي وإن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالضم.

(٢) انظر التعليق على الآية (١٧) من سورة الفرقان.

(٣) بالتخفيف قراءة ابن كثير.

(٤) لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: «النشأة» بسكون الشين.

(٥) وهي قراءة نافع وإن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بتخفيف الدال: «تذكرونها».

(٦) أنواع من الشجر سريعة القدح.

(٧) أي: الباء، وليس لفظاً (اسم)؛ كما قال - تعالى -: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَكْبَرُ﴾ [الأعلى: ١]. وكما يجب تزييه الله عما لا يليق به؛ فإنه يجب أن تُشره أسمائه التي سُمي به نفسه، أو سماها بها

رسوله ﷺ.

(٨) هذا قول قتادة، وقال عطاء: مواقع النجوم؛ منازلها. وهذا أظهر؛ فإنه كما للشمس مشارق ومغارب؛ فللقمر بروج ومنازل.

إِنَّهُ لَقَرَّءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَوَيْدَ الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تُرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلْطَنٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ ﴿٩٢﴾ فَضَالَلِينَ ﴿٩٣﴾ فَذُلٌّ مِنَ هِمٍ وَتَضْلِيلُهُ جَحِيمٌ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

### سُورَةُ الرَّافِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

وجيء به «لما» دون «من» تغليبا للأكثر ﴿هُوَ الْقَدِيرُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صفة (٥).

[٢] ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي﴾ بالإنشاء ﴿وَيُمِيتُ﴾ بعده ﴿هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٣] ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ قبل كل شيء، بلا بداية ﴿وَالْآخِرُ﴾ بعد كل شيء، بلا نهاية ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ بالأدلة عليه ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ عن إدراك الحواس (١) ﴿هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

### سُورَةُ الرَّافِعَةِ

[مكية، أو: مدنية، وأياتها تسع وعشرون]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: نزهه كل شيء، فاللام مزيدة،

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٧٥ - ٨٢): أخرج مسلم عن ابن عباس قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ فقال: أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر. قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق بوء كذا وكذا. قال: مرت هذه الآية: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ الْكُفْرِ﴾ حتى بلغ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾. مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٣٢) كفر من قال مطرنا بالنوء.

(١) أكثر المفسرين أن المراد لكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ، والمطهرون هم الملائكة، ولا يمشه يفيد النفي على ظاهره، وهذا هو الأرجح.

(٢) أي: عن محل الروح، وهو الجسد.

(٣) أي: وجواب (د) محذوف؛ لدلالة المذكور عليه، وهذا معهود كثيرا.

(٤) أشار بهذا إلى أن «السلام» في الآية بمعنى: السلامة، وهذا قول ابن عباس. وقال عطاء: تسلم عليه الملائكة وتخبره أنه من أصحاب اليمين، وهو قريب من قول البخاري: تسلم لك أنك من أصحاب اليمين، وقيل المعنى: سلام لك يا صاحب اليمين، ففيه لغات من الغيبة إلى الخطاب؛ تعظيما لصاحب اليمين.

(٥) سبق التنبيه في سورة البقرة آية (١٢٩) على أن الأولى التعميم في متعلق الحكمة؛ فيقال: الحكيم في كل شأن من شؤنه، من صعه، وقدره، وتشريعه، وجرائه، وإرساله، وإنزاله، كنهه... إلخ. ويعيده هنا للتذكير والتأكيد.

(٦) والأولى تفسير هذين الاسمين بما فسرهما به النبي ﷺ في قوله: «وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ» فيكون اسمه الظاهر دالاً على علوه، واسمه الباطن دالاً على إحاطة علمه.

[٥] ﴿لَهُمْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اِلٰهٌ تَرْجِعُ الْاُمُوْرَ﴾ الموجدات جميعها.

[٦] ﴿يُوْلِجُ اللَّيْلَ﴾ يدخله ﴿فِي النَّهَارِ﴾ فيزيد وينقص الليل ﴿وَيُوْلِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ فيزيد وينقص النهار ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِ﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات.

[٧] ﴿ءَامِنُوْا﴾ دأبوا على الإيمان ﴿بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ﴾ وأنفقوا في سبيل الله ﴿مِمَّا جَعَلَكُمْ مُّتَخَلِّفِيْنَ فِيْهِ﴾ من مال من تقدمكم، وسيخلفكم فيه من بعدكم، نزل في غزوة العشرة، وهي غزوة تبوك<sup>(١)</sup> ﴿وَالَّذِيْنَ ءَامَنُوْا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوْا﴾ إشارة إلى عثمان<sup>(٢)</sup> ﴿مِمَّا تَبَرَّ كَبِرٌ﴾.

[٨] ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُوْنَ﴾ خطاب للكفار؛ أي: لا مانع لكم من الإيمان ﴿بِاللّٰهِ وَالرَّسُوْلِ يَدْعُوْكُمْ لِيُؤْمِنُوْا بِرَبِّكُمْ﴾ وقد [أجذب] بضم الهمزة وكسر الحاء، وفتحها ونصب ما بعده<sup>(٣)</sup> ﴿﴿مِثَاقُكُمْ﴾﴾ عليه؛ أي: أخذه الله في عالم الدُّنْى حين أشهدهم على أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قالوا بلى<sup>(٤)</sup> ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُوْنَ﴾ أي: مريدن الإيمان به، فبادروا إليه.

[٩] ﴿هُوَ الَّذِي يَرْزُقُ عَلَى عِبْدِهِ ءَايَتٍ يَّبَيِّنُ﴾ آيات القرآن ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمٰتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّوْرِ﴾ الإيمان ﴿وَإِنَّ اللَّهَ يَكْرِ﴾ في إخراجكم من الكفر إلى الإيمان ﴿لِرُءُوْفٍ رَّحِيْمٍ﴾.

[١٠] ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ بعد إيمانكم ﴿أَلَّا﴾ فيه إدغام نون «أن» في لام «لا» ﴿تُنْفِقُوْا فِي سَبِيْلِ اللَّهِ وَلَهُ مِيرٰثُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ﴾ بما فيها؛ فتصل إليه أموالكم من غير أجر الإنفاق، بخلاف ما لو أنفقتم فتخرجون ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ لمكة ﴿وَقَتْلَ أَوْلٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوْا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكَلَّا﴾ من الفريقين، وفي قراءة<sup>(٥)</sup>: بالرفع، مبتدأ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْخٰسِئِيْنَ﴾ اجنة ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ﴾ فيجازيكم به.

[١١] ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَرْزُقُ اللَّهَ﴾ بإنفاق ماله في سبيل الله ﴿قَرَضًا حَسَنًا﴾ بأن ينفقه لله ﴿فِيْصَلَّعَهُمْ﴾ وفي قراءة<sup>(٦)</sup> ﴿فِيضْغَفَهُ﴾ بالتشديد ﴿لَهُ﴾ من عشر إلى أكثر من سبعائة، كما ذكر في البقرة ﴿وَلَهُ﴾ مع المضاعفة ﴿أَجْرٌ كَرِيْمٌ﴾ مقترن به رضا وإقبال.

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِيْجُ فِي الْاَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا يَصْرُجُ فِيْهَا وَهُوَ مَعَكُمْ اِنْ مَا كُنْتُمْ بِاللّٰهِ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ ﴿١٠﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَاِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْاُمُوْرُ ﴿١١﴾ يُوْلِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوْلِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِ ﴿١٢﴾ ءَامِنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ ؕ وَأَنفِقُوْا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُّتَخَلِّفِيْنَ فِيْهِ فَالَّذِيْنَ ءَامَنُوْا مِنْكُمْ وَأَنفَقُوْا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيْرٌ ﴿١٣﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالرَّسُوْلِ يَدْعُوْكُمْ لِيُؤْمِنُوْا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِثَقَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَى عَبْدِهِ ؕ ءَايٰتٍ يَّبَيِّنُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمٰتِ اِلَى النُّوْرِ ؕ وَلَئِنْ لَّمْ يَكْرِ لِرُءُوْفٍ رَّحِيْمٍ ﴿١٥﴾ وَمَا لَكُمْ اَلَّا تُنْفِقُوْا فِي سَبِيْلِ اللَّهِ وَلَهُ مِيرٰثُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوْا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْخٰسِئِيْنَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ ﴿١٦﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يَرْزُقُ اللَّهَ قَرَضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ ؕ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيْمٌ ﴿١٧﴾

[٤] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا؛ أولها الأحد وآخرها الجمعة<sup>(١)</sup> ﴿ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ﴾ الكرسي<sup>(٢)</sup> استواء<sup>(٣)</sup> يليق به ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِيْجُ﴾ يدخل ﴿فِي الْاَرْضِ﴾ كالطر والأموات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالنبات والمعادن ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ﴾ كالرحمة والعذاب ﴿وَمَا يَصْرُجُ﴾ يصعد ﴿وَبِهَا﴾ كالأعمال الصالحة والسيئة<sup>(٤)</sup> ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بعلمه<sup>(٥)</sup> ﴿اِنْ مَا كُنْتُمْ بِاللّٰهِ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ﴾.

(١) سبق الرد على تعيين هذه الأيام بأسمائها على النحو الذي ساقه المحلي ها، أو في نحوها من الآيات وأن هذا لا سند له. وذلك في سورة فصلت الآية (٩).

(٢) والعرش غير الكرسي كما سبق، وهو أعظم منه كما في الحديث.

(٣) سبق التعليق على تفويض الاستواء، وأنه إذا كان يريد تفويض الكيفية فهذا حق، وإن كان يريد تفويض المعنى؛ فغير صحيح، إذ إن السلف يعلمون بن معناه: الاستقرار والعلو.

(٤) المناسب حذفه، لأن الذي يرفع إما هو الأعمال الصالحة كما في قوله - تعالى -: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾.

(٥) أي: وهو فوق عرشه بذاته المقدسة، لا يخفى عليه شيء من خلقه، وسبق بيان قسمي لمعة انعام والخاص وحقيقتها في آخر سورة النحل.

(٦) لم أقف على أحد من المفسرين غير المحلي ذكر أن هذا سبب نزول الآية، والصحيح أنها عامة، وليست بما نزل على سبب، والله أعلم.

(٧) وكذا غيره من الصحابة رضوان الله عليهم، ولا دليل على قصرها على عثمان<sup>(٨)</sup>.

(٨) بالنظم قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالفتح: ﴿أَخَذَهُ﴾، ونصب: ﴿مِثَاقُكُمْ﴾.

(٩) الأعراف: ١٧٢.

(١٠) لابن عامر.

(١١) لابن كثير وابن عامر، لكن ابن كثير مع الرفع.



وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَجِيرِ ﴿٢٠﴾ الدالة على وحدانيته وأولئك أصحاب الحجير النار.

[٢٠] ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لُغْثٌ وَزِينَةٌ ﴿١﴾ وَتَقَارُفُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ أي: الاشتغال فيها، وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة ﴿كَمَثَلِ﴾ أي: هي في إعجابها لكم واضمحلالها كمثل ﴿عَيْتٍ﴾ مطر ﴿أَعَجَبَ الْكُفَّارُ﴾ الزراع<sup>(١)</sup> ﴿بَنَاتُهُ﴾ الناشئ عنه ﴿ثُمَّ يَهْبِجُ﴾ يبيس ﴿فَقَرْنُهُ مُصْفَرٌ ثُمَّ يَكُونُ حَطَلًا﴾ فثنا بضمحل بالرياح ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لمن أثر عليها الدنيا ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ لمن لم يؤثر عليها الدنيا ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ ما التمتع فيها ﴿إِلَّا مَتْنَعٌ الْفُورِ﴾.

[٢١] ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ لو وصلت إحداهما بالأخرى، والعرض: الشعة ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

[٢٢] ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ بالجدب<sup>(٢)</sup> ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ كالمرض، وفقد الولد ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿وَمِن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ نخلقها، ويقال في النعمة كذلك ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

[٢٣] ﴿لِكَيْلَا﴾ «كي» ناصبة للفعل بمعنى «أن»؛ أي: أخير - تعالى - بذلك لئلا ﴿تَأْسَوْا﴾ تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا﴾ فرح بطر، بل فرح شكر على النعمة ﴿بِمَا ءَاتَاكُمْ﴾ بالمد: أعطاكم، وبالقصر<sup>(٣)</sup>: جاءكم منه ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متكبر بما أوتي ﴿فَخُورٍ﴾ به على الناس.

[٢٤] ﴿الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ﴾ بما يجب عليهم ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ به، لهم وعيد شديد ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عما يجب عليه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ﴾ ضمير فصل، وفي قراءة<sup>(٤)</sup> بسقوطه ﴿الْفَقِي﴾ عن غيره ﴿الْحَكِيمُ﴾ لأوليائه.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَجِيرِ ﴿٢١﴾ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لُغْثٌ وَزِينَةٌ وَتَقَارُفُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ عَيْتٍ أَعَجَبَ الْكُفَّارُ بَنَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرْنُهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حَطَلًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتْنَعُ الْفُورِ ﴿٢٢﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٣﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٤﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾

[١٩] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ المبالغون في التصديق ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ على المكذبين من الأمم ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ

(١) وهذا قول كثير من المفسرين، وقيل: المراد الكافرون بالله ﷻ؛ لأنهم أشد إعجابًا وافتتانًا بزينه الحياة الدنيا. وهذا القول أقرب، واستحسنه القرطبي.

(٢) ونحوه كالوباء والغلاء والقحط، والأولي: أن يقول: كالجدب؛ ليكون ذلك على سبيل التشثيل.

(٣) بالقصر قراءة أبي عمرو.

(٤) لنافع وابن عامر.

[٢٥] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا إِلَى الْأَنْبِيَاءِ﴾ الملائكة إلى الأنبياء ﴿يَأْتِيَنَّكَ﴾ بالحجج القواطع ﴿وَأَرْسَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى الكتب ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ وَأَرْسَلْنَا الْحَدِيدَ أَخْرَجْنَاهُ مِنَ الْمَعَادِنِ ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يقاتل به ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَيَعْلَمُ اللَّهُ﴾ علم مشاهدة، معطوف على: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ﴾ ﴿مَنْ يَصْرُفْ﴾ بَأْسَ يَصْرُفُ مِنْ هَاءٍ ﴿يَصْرُفُ﴾ أَي: غَالِبًا عَنْهُمْ فِي الْحَدِيدِ وَغَيْرِهِ ﴿وَرُسُلُهُ بِالْغَيْبِ﴾ حَالٌ مِنْ هَاءٍ ﴿يَصْرُفُ﴾ أَي: غَالِبًا عَنْهُمْ فِي الدُّنْيَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَصْرُونَهُ وَلَا يَصْرُونَهُ ﴿يَا اللَّهُ قُوَى عَزِيزٌ﴾ لَا حَاجَةَ لَهُ إِلَى النَّصْرَةِ، لَكِنَّمَا تَنْفَعُ مِنْ بَأْسِي بِهَا.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ يعني الكتب الأربعة: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، فإنها في ذرية إِبْرَاهِيمَ ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

[٢٧] ﴿ثُمَّ فَتَيْنَا عَلَىٰ عِبَادِهِمُ الرَّسُولَ وَفَعَيْنَا يُعْسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ وَآدَانِيَّةَ الْإِنْسِ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً﴾ هي رفض النساء واتخاذ الصوامع ﴿أَتَتَدْعُوهُمَا﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْفُسِهِمْ ﴿مَا كُنَّيْنَاهَا عَلَيْهِمَا﴾ مَا أَمَرْنَاهُم بِهَا ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ فَعَلُوهُمَا ﴿آيَةً رَضَوْنَ﴾ مرضاة ﴿اللَّهُ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَابِهَا﴾ إِذْ تَرَكَهَا كَثِيرٌ مِنْهُمْ، وَكَفَرُوا بِدِينِ عِيسَى، وَدَخَلُوا فِي دِينِ مُلْكِهِمْ، وَبَقِيَ عَلَى دِينِ عِيسَى كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَأَمَنُوا بِبَنِيهَا ﴿فَتَأْتِيَنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بِهِ ﴿مِنْهُمْ أَجْرُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

[٢٨] ﴿يَتَأْتِيَنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بِعِيسَى ﴿أَتَقُوا اللَّهَ ءَامَنُوا بِرَسُولِهِ﴾ مُحَمَّد ﷺ وَعِيسَى ﴿يُؤْتِكُمْ كَقُلُوبِ﴾ نَصِيصِينَ ﴿بَيْنَ رَحْمَتِهِ﴾ لِإِيمَانِكُم بِالنَّبِيِّينَ ﴿وَجَعَلَ لَكُم نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ عَلَى الصِّرَاطِ ﴿وَيُغْفِرُ لَكُمْ وَأَلَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٢٩] ﴿لَيْلًا يَلْعَنُهُ﴾ أَي: أَعْلَمَكُمْ بِذَلِكَ، لِيَعْلَمَ ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ التوراة، الذين لم يؤمنوا بِمُحَمَّد ﷺ ﴿أَنْ﴾ مَخْفِقَةً مِنَ التَّجَلُّلِ، وَاسْمُهَا ضَمِيرُ النَّسَاءِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ خِلَافَ مَا فِي زَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ أَحِبَّاءُ اللَّهِ وَأَهْلُ رِضْوَانِهِ ﴿وَأَنَّ أَفْضَلَ بَيْدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ﴾ يَعْطِيهِ ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ فَاتَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ، كَمَا تَقْدِمُ ﴿وَأَلَّهُ دُوَّ الْأَفْضَلِ الْعَظِيمِ﴾.<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

(٥) مَا جَاءَ فِي نزول الآيات (٢٧ - ٢٩): أُنْزِلَ النَّسَائِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَتْ مَلُوكٌ حُدَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَدَلُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَكَانَ فِيهِمْ مُؤْمِنُونَ يَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ، قِيلَ لِمُلُوكِهِمْ: مَا نَجِدُ شَيْئًا أَشَدَّ مِنْ شَيْءٍ يَشْمُونَهُ هَؤُلَاءِ؛ إِنَّهُمْ يَقْرَءُونَ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ وَهَؤُلَاءِ الْآيَاتُ، مَعَ مَا يَعْبُونَهَا فِي أَعْمَالِنَا فِي قِرَائَتِهِمْ، فَادْعُهُمْ فَلْيَقْرَأُوا كَمَا نَقْرَأُ، وَلِيُؤْمِنُوا كَمَا آمَنَّا، فَدَعَاهُمْ فَجَمَعَهُمْ وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ أَوْ يَرَكُوا قِرَاءَةَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ إِلَّا مَا بَدَلُوا مِنْهَا. فَقَالُوا: مَا تَرِيدُونَ إِلَىٰ ذَلِكَ، دَعَوْنَا، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: ابْنُوا لَنَا أَسْطُورَةً ثُمَّ اقْرَأُوا لَهَا ثُمَّ اعْطُوا شَيْئًا نَرْفَعُ بِهِ طَعَامَنَا وَشَرَابَنَا فَلَا نَرُدَّ عَلَيْكُمْ. وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: دَعَوْنَا نَسِيحَ فِي الْأَرْضِ وَنَهَيْهِمْ وَنَشْرِبُ كَمَا يَشْرَبُ الْوَحْشُ، فَإِنْ قَدَرْنَا عَلَيْنَا فِي أَرْضِكُمْ فَاقْبَلُوا، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: ابْنُوا لَنَا دُورًا فِي الْفِيَا، وَنَحْتَفِزُ الْآيَارَ وَنَحْتَرِثُ الْبِقُولَ فَلَا نَرُدَّ عَلَيْكُمْ وَلَا نَمُرُّ بِكُمْ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْقَبَائِلِ إِلَّا وَلَهُ حَمِيمٌ فِيهِمْ. قَالَ فَعَلُوا ذَلِكَ، فَأَبْرَأَ اللَّهُ ﷻ عَنْ شَرِّهِمْ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِإِيمَانِ الَّذِينَ اقْتَدَوْا بِهِ. فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّ ﷺ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ نَحِطَ رَجُلٌ مِنْ صُومَعَتِهِ، وَجَاءَ سَالِحٌ مِنْ سِيحَاتِهِ، وَصَاحِبُ الدِّبْرِ مِنْ دِيرِهِ، فَأَمَّا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّا نَقْرَأُ اللَّهَ وَنُؤْمِنُ بِرَسُولِهِ. يُؤْتِكُمْ كَقُلُوبِ بَيْنَ رَحْمَتِهِ﴾. أَجْرَيْنَ: لِإِيمَانِهِمْ بِعِيسَى وَبِالتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَلِإِيمَانِهِمْ بِمُحَمَّد ﷺ وَتَصَدِّقِهِمْ. قَالَ: ﴿يَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾. الْقُرْآنَ وَاتَّبَاعَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: ﴿لَيْلًا يَلْعَنُهُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ يَشْفَهُونَ بِكُمْ: ﴿أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ الْآيَةُ. النَّسَائِيُّ. كِتَابُ آدَابِ الْقَضَاءِ (٤٩) بَابُ (١٢). (صحيح الإسناد موقوف) صحيح سنن النسائي (٤٩٩٠).

وقال ابن كثير: «هذا السياق فيه غرابة، وسيأتي تفسير هاتين الآيتين الأخيرتين على غير هذا».

## سُورَةُ التَّجَادُلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَدَسَمَعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِي يُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ  
وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ الَّذِينَ يَظْهَرُونَ  
مِنْكُمْ مَنْ نَسَاهُمْ مَاهُنَّ أَهْمَهُنَّ إِنَّ أَهْمَهُنَّ إِلَّا إِلَى  
وَلَدَهُنَّ وَلَهُنَّ لَيَقُولُنَّ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ  
اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝ وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْ نَسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ  
لِمَا قَالُوا فَتَحَرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَ تَوْعَظُونَ  
بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ  
مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ  
مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ  
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
كَيْتُوكُمْ كَأَكْبِتِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ  
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝ يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَنْبِتُهُمْ  
بِمَاعْمَلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوءَ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝

## سُورَةُ التَّجَادُلِ

[مدنية، اثنتان وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿١﴾ فَذَسَمَعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِي يُجَادِلُكَ تُرَاجِعُكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ

﴿فِي زَوْجِهَا﴾ المظاهر منها، وكان قال لها: أنت علي كظهر أمي. وقد سألت النبي ﷺ عن ذلك؛ فأجابها بأنها حرمت عليه، على ما هو المعهود عندهم، من أن الظهار مؤجبه فُرقة مؤبدة، وهي خولة<sup>(١)</sup> بنت نعلبة، وهو: أوس بن الصامت ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ وحدتها وافتقارها وصبية، صغارا؛ إن ضمنتهم إليه ضاعوا أو إليها جاعوا ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ تراجمكما ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ عالم<sup>(٢)</sup>.

[٢] ﴿الَّذِينَ يَظْهَرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> أصله يظهرون؛ أدغمت التاء في الظاء، وفي قراءة<sup>(٤)</sup> بألف بين الظاء والهاء الخفيفة، وفي أخرى<sup>(٥)</sup>: ﴿يَقَاتِلُونَ﴾، والموضع الثاني<sup>(٦)</sup> كذلك ﴿مِنْكُمْ مَنْ نَسَاهُمْ مَاهُنَّ أَهْمَهُنَّ﴾ إن أَهْمَهُنَّ إِلَّا إِلَى آتِيٍّ بهمة وباء وبلا باء<sup>(٧)</sup> ﴿وَلَدَهُنَّ وَلَهُنَّ لَيَقُولُنَّ مُنْكَرًا مِنْ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ كذبا ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ للمظاهر بالكفارة.

[٣] ﴿وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ﴾ من نَسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا؛ أي: فيه؛ بأن يخالفوه بامسك المظاهر منها، الذي هو خلاف مقصود الظهار، من وصف المرأة بالتحريم ﴿فَتَحَرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: إعانتها عليه ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ بالوعدة ﴿ذَلِكَ تَوْعَظُونَ بِهِ﴾ والله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ.

[٤] ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ رقة ﴿فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؛ أي: الصيام ﴿فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ عليه؛ أي: من قبل أن يتماسا؛ حملا للمطلق على المقيد؛ لكل مسكين مُدٌّ من غالب قوت البلد ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: التخفيف في الكفارة ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وَتِلْكَ؛ أي: الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ﴾ بها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم<sup>(٨)</sup>.

[٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ﴾ يخالفون ﴿اللَّهُ وَرَسُولَهُ كَيْتُوكُمْ كَأَكْبِتِ﴾ كَأَكْبِتِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ؛ في مخالفتهم رسوله ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ دالة على صدق الرسول ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ بالآيات ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[٦] ﴿يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَنْبِتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوءَ﴾ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.

(١) ما جاء في نزول الآيات (١ - ٤): أخرج أبو داود عن حويلة بنت مالك بن نعلبة، قالت: ظاهر مني أوس بن الصامت، فجئت رسول الله ﷺ أشكو إليه، ورسول الله ﷺ يجادلني فيه، ويقول: «اتقي الله؛ فإنه ابن عمك». فما برحت حتى نزل القرآن: ﴿فَدَسَمَعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِي يُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ إلى الفرض، فقال: «يعتق رقة». قالت: لا يجد. قال: «فيصوم شهرين متتابعين». قالت: يا رسول الله، إنه شيخ كبير ما به صيام. قال: «فليطعم ستين مسكينا» قالت: ما عنده شيء يصدق به. قالت: فأتي ساعد بن بقرق من تمر. قلت: يا رسول الله، فإني أعينه بقرق آخر. قال: «قد أحسنت، اذهبي فأطعمي بها عنه ستين مسكينا» وارجعي إلى ابن عمك». قال: والقرق ستون صاعا. أبو داود - كتاب الطلاق (١٧) في الظهار. حسن دون قوله: «والقرق ستون صاعا». صحيح سنن أبي داود (١٩٣٤).

(١) ويقال لها أيضا: «خويلة» بالنصغير.

(٢) العلم عبر السمع والبصر؛ فالسمع تدرك به الأصوات، والبصر تدرك به المراتب، والعلم يشمل هذا وغيره، وكلها صفات ثابتة لله ﷻ يجب الإيمان بها على الوجه اللائق به - شيخنا ..

(٣) أي: «يظهرون»، وهي قراءة نافع وإسكندر وعمرو.

(٤) لحمزة والكسائي وابن عامر.

(٥) وهي قراءة عاصم.

(٦) أي: في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْ نَسَائِهِمْ﴾ آية (٣).

(٧) انظر التعليق على كلمة (اللاتي) في سورة الأحزاب، الآية (٢).



[٧] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ يَتْلُمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ بَعْلَمُهُ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿وَلَا حُمْسَةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتَهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[٨] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَبْذُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِنْتِهَارِ وَالْعَدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ هم اليهود، نهاهم النبي ﷺ عما كانوا يفعلون من تناجيهم؛ أي: تحدثهم سرا ناظرين إلى المؤمنين؛ ليقعوا في قلوبهم الريبة ﴿وإِذَا جَاءَكَ حَيْوَكُ﴾ أيها النبي ﴿بِمَا لَمْ يَحْجُكَ بِهِ اللَّهُ﴾ وهو قولهم: السام عليك؛ أي: الموت ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا﴾ هلا ﴿يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ من النجوة، وأنه ليس بنبي، إن كان نبيا؟ ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا بَصُلُونَهَا فِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ هي <sup>(٢)</sup>.

[٩] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِنْتِهَارِ وَالْعَدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِاللَّيْلِ وَالنَّجْوَى وَأَنْقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

[١٠] ﴿إِنَّا أَلْتَجَوْنَا﴾ بالانتم ونحوه ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ بغروره ﴿لِيُخْرِتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ هُوَ﴾ يضاروهم شيئا ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: إرادته ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١١] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَحُوا﴾ توسعوا ﴿فِي الْمَجْلِسِ﴾ <sup>(٣)</sup> مجلس النبي ﷺ والذكر حتى يجلس من جاءكم، وفي قراءة: ﴿الْمَجْلِسِ﴾ ﴿فَاتَّخُوا بِسْمِ اللَّهِ لَكُمْ﴾ في الجنة ﴿وإِذَا قِيلَ [انْشُرُوا]﴾ قوموا إلى الصلاة وغيرها من الخيرات ﴿فَانْشُرُوا﴾ <sup>(٤)</sup>، وفي قراءة: بضم الشين فيهما ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ بالطاعة في ذلك ﴿وَذُ﴾ يرفع ﴿الَّذِينَ أَوْفُوا أَلِيمَةً دَرَجَتٍ﴾ في الجنة ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا حُمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتَهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَبْذُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِنْتِهَارِ وَالْعَدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَكَ حَيْوَكُ بِمَا لَمْ يَحْجُكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا بَصُلُونَهَا فِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١١﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِنْتِهَارِ وَالْعَدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِاللَّيْلِ وَالنَّجْوَى وَأَنْقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّا أَلْتَجَوْنَا مِنَ الشَّيْطَانِ لِيُخْرِتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَحُوا فِي الْمَجْلِسِ فَاتَّخُوا بِسْمِ اللَّهِ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُرُوا فَانْشُرُوا وَبِإِذْنِ اللَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَوْفُوا أَلِيمَةً دَرَجَتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٤﴾

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٨): أخرج مسلم عن عائشة قالت: أتى النبي ﷺ أناس من اليهود فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم! قال: «وعليكم»، قالت عائشة: قلت: بل عليكم السام والذام، فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، لا تكوني فاحشة» فقالت: وما سمعت ما قالوا؟ فقال: «ألو ليس قد رددت عليهم الذي قالوا، قلت: وعليكم»، فأقول الله ﷻ: ﴿وإِذَا جَاءَكَ حَيْوَكُ بِمَا لَمْ يَحْجُكَ بِهِ اللَّهُ﴾ إلى آخر الآية. مسمم، كتاب السلام (٣٩) باب (٤) الهني عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام.

(١) أي: وهو فوق عرشه بداته المقدسة، لا يخفى عليه شيء من خلقه، وسبق بيان قسيمي المعية العام والخاص وبيان حقيقتها في آخر سورة النحل.

(٢) وهي قراءة السبعة عدا عاصم، وقرأ عاصم: ﴿الْمَجْلِسِ﴾.

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة بخلاف عنه، وقرأ بقية السبعة، وهو الوجه الثاني للشعبة: ﴿فَانْشُرُوا فَانْشُرُوا﴾ بضم الشين فيهما.

فلا عليكم في المناجاة من غير صدقة.

[١٣] ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه<sup>(١)</sup> أي: خفتم من أن تقدّموا بين يديّ نوحك صدقة<sup>(٢)</sup> لفقر ﴿لَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا﴾ الصدقة ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ رجع بكم عنها ﴿فَأَقِمْوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: داوموا على ذلك ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٤] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾ هم المنافقون ﴿قَوْمًا﴾ هم اليهود ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ﴾ أي: المنافقون ﴿بَيْنَكُمْ﴾ من المؤمنين ﴿وَلَا يَتُوبُ﴾ من اليهود، بل هم مذنبون ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾ أي: قولهم: إنهم مؤمنون ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ أنهم كاذبون فيه<sup>(٣)</sup>.

[١٥] ﴿أَمَدَ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٦] ﴿أَتَخَذُوا بَيْتَهُمْ جُنَّةً﴾ سترًا على أنفسهم وأموالهم ﴿فَصَدَّوْا﴾ بها المؤمنين ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: الجهاد فيهم، بقتلهم وأخذ أموالهم ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[١٧] ﴿لَنْ تَنفَعَكَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿سَيَكُنْ﴾ من الإغناء ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١٨] اذكر ﴿يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ يَحْلِفُونَ لَهُمْ أنهم مؤمنون ﴿كَا يَحْلِفُونَ لَهُمْ وَيُحْسِنُونَ إِلَهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ من نفع حلفهم في الآخرة كاللذات ﴿وَلَا إِلَهُمْ هُمْ الْكَافِرُونَ﴾.

[١٩] ﴿أَسْتَعِذُّ﴾ استولى ﴿عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ بطاعتهم له ﴿فَأَسْتَعِذُّكَ اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ أتباعه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

[٢٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُّونَ﴾ يخالفون ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ المغلوبين.

[٢١] ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ في اللوح المحفوظ، أو: قضى ﴿لَأَعْلِيَنَّكَ أَنَا وَرُسُلِي﴾ بالحجة، أو: السيف<sup>(٤)</sup> ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَزَّ جَيْشُ الرَّسُولِ فَقَدْ مُوَابِقِينَ يَدَى جُنُودِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَى جُنُودِكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِمْوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿١٥﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ اتَّخَذُوا بَيْتَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧﴾ لَنْ تَنفَعِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٨﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ ءَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أَسْتَحْذَرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَالَسَّ هُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ءَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢١﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلِيَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ءِتِ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٢﴾

[١٢] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَزَّ جَيْشُ الرَّسُولِ﴾ أردتم مناجاته ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَى جُنُودِكُمْ﴾ قبلها ﴿صَدَقَةٌ﴾ ذلك خير لكم وأطهر ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا﴾ لذنوبكم ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا﴾ ما تصدقون به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمناجاتكم ﴿رَحِيمٌ﴾ بكم؛ يعني: تجدوا.

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (١٤، ١٨): أخرج أحمد عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ جالسا في ظل حجرته... فقال لبعض أصحابه: «يجيئك رجل ينظر إليكم بعين شيطان، فإذا رأيتموه فلا تكلموه، فجاه رجل أزرى، فلما رآه النبي ﷺ دعاه، فقال: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ قال: كما أنت حتى أتيتك بهم، قال: فذهب فجاء بهم فجعلوا يحلفون بالله ما قالوا وما فعلوا، وأنزل الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ فَيَحْلِفُونَ لَكُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ إلى آخر الآية. أحمد - للسند (١/ ٣٥٠). ونحوه في (١/ ٢٤٠) لكن فيه نزلت هذه الآية في المجادلة: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾.

وصحح الشيخ أحمد شاكر إسناده في السند (١٧/ ١٤، ١٨) رقم (٢١٤٧)، وحسن الأرنؤوط إسناده في تخريجه على السند (٤٨/ ٤).

(١) انظر التعليق على الآية رقم (١٧) من سورة الفرقان.

(٢) أو: بهما جميعا.

[١٢٢] ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أَوْ أُنْسَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴿يَلْبِقُصْدُونَهُمْ بِالسُّوءِ وَيَقَاتِلُونَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ، كَمَا وَقَعَ لِمَاعَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ (١) - .  
﴿أُولَئِكَ﴾ الَّذِينَ لَا يُوَادُّونَهُمْ ﴿كَتَبَ﴾ أُنْتُ ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ﴾ بِدُورٍ ﴿فِيهِ﴾ نَعَالِي ﴿وَيَدْعُلَهُمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴿بَطَاعَتِهِ (٢)﴾ وَرَضُوا عَنْهُ بِثَوَابِهِ ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ يَتَّبِعُونَ أَمْرَهُ، وَيَجْتَنِبُونَ نَهْيَهُ ﴿إِلَّا حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الْفَائِزُونَ.

لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٢٢﴾

## سُورَةُ الْحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٣﴾

[٣] ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ﴾ قَضَى ﴿عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ الْخُرُوجَ مِنَ الْوِطَنِ (٣) ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بِالْقَتْلِ وَالسِّيِّ، كَمَا فَعَلَ بِقَرِيظَةَ مِنَ الْيَهُودِ ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾.

## سُورَةُ الْحَشْرِ

[مدنية، أربع وعشرون آية] (\*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أَيْ: تَزَعَّهُ، فَالْإِلَهِ مُزِيدٌ، وَفِي الْإِيمَانِ بِ«مَا» تَغْلِبُ لِلْأَكْثَرِ ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فِي مُلْكِهِ وَصَعْدِهِ.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ هُم: بَنُو النَّضِيرِ مِنَ الْيَهُودِ ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ مَسَاكِنُهُمْ بِالْمَدِينَةِ ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ هُوَ: حَشْرُهُمْ إِلَى الشَّامِ (٣)، وَأَعْرَضَهُ: أَنْ أَجْلَاهُمْ عَمْرٍ فِي خِلَافَتِهِ إِلَى خَيْبَرَ (٤) ﴿مَا ظَنَنْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ﴾ خَيْرٌ (أَنْ) ﴿حُصُونُهُمْ﴾ فَاعْلَمْ، بِهَ تَمَّ الْخَيْرُ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ مِنْ عَذَابِهِ ﴿فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ﴾ أَيْ: أَمْرُهُ وَعَذَابُهُ ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ لَمْ يَخْطُرْ بِأَلْفِهِمْ، مِنْ جِهَةِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿وَقَذَفَ﴾ أَلْقَى ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ بِسُكُونِ الْعَيْنِ وَضَمِّهَا (٥): الْخَوْفُ؛ بِقَتْلِ سَيِّدِهِمْ كَعَبِ بْنِ الْأَشْرَفِ ﴿يُخْرِبُونَ﴾ بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ (٦) مِنْ: «الْحَرْبِ» ﴿بُيُوتَهُمْ﴾ لِيَنْقَلِبُوا مَا اسْتَحْسَنُوهُ مِنْهَا، مِنْ خَشَبٍ وَغَيْرِهِ ﴿بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزُولِ السُّورَةِ: أَجْرَحَ الْبَحَارِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ حَبِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبْنِ عَسَى... سُورَةُ الْحَشْرِ. قَالَ: نَزَلَتْ فِي بَنِي النَّضِيرِ. الْبَخَارِيُّ - كِتَابُ التَّفْسِيرِ (٦٥) سُورَةُ الْحَشْرِ (٥٦) بَابُ (١).

(١) كَاتِبُ عَيْلَةٍ بِنِ الْجَرَّاحِ قَتَلَ أَبَاهُ يَوْمَ أَحُدَ، وَمَصْعَبُ بْنُ عَمْرِو قَتَلَ أَخَاهُ عَيْدِ بْنِ عَمْرِو يَوْمَ أَحُدَ، وَعَمْرٌ قَتَلَ خَالَهَ الْعَاصِيَّ بْنَ هِشَامٍ يَوْمَ بَدْرَ، وَعَلِيٌّ وَحَمْرَةَ قَتَلَا عَتَبَةَ وَشَيْعَةَ يَوْمَ بَدْرَ.

(٢) كَانَ الْمُفْسِرُ يَرِيدُ تَأْوِيلَ رِضَا اللَّهِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْوُفُوفِ إِلَى الطَّاعَةِ، وَهَذَا خِلَافُ مَذْهَبِ السَّلَفِ فِي إِثْبَاتِ هَذِهِ الصِّفَةِ وَغَيْرِهَا مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْاَلْتَّامِ.

(٣) اتَّفَقَ الْمُفْسِرُونَ عَلَى أَنَّ «أَوَّلَ الْحَشْرِ» هُوَ: إِخْرَاجُهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ.

(٤) هَذَا سَبَقَ قَلَمُ أَوْ سَهْوٌ مِنَ الْمُصَنِّفِ كَمَا لَمْ يَذْكُرْ، وَصَوَابُهُ: «مِنْ خَيْبَرَ» حَيْثُ إِنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ أَجْلَاهُمْ مِنْ خَيْبَرَ وَجَمِيعِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، إِلَى أَذْرَعَاتِ وَأَرْبَعَا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ. وَتَفْسِيرُ الْحَشْرِ الْاَلْتَّامِ بِذَلِكَ، هُوَ قَوْلُ مَرَّةِ الْهَشْدَانِيِّ. وَقَالَ الْحَسَنُ: هُوَ: إِلَى أَرْضِ الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَقَبْلَ ذَلِكَ.

(٥) بِالضَّمِّ قِرَاءَةُ الْكَسَايَةِ وَابْنِ عَامَرٍ.

(٦) بِالتَّشْدِيدِ قِرَاءَةُ أَبِي عَمْرٍو.

(٧) فِي نَسْخَةِ الْقَاضِي (الْمُؤَاطِنِ).

[٦] ﴿وَمَا آفَاءُ اللَّهِ﴾ رد ﴿اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَرْجَفْتُمْ﴾ أسرعتهم يا مسلمون ﴿عَلَيْهِمْ مِنْ﴾ زائدة ﴿حَبْلِ وَلَا رِكَابٍ﴾ إيل؛ أي: لم تقاسوا فيه مشقة ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فلا حق لكم فيه، ويختص به النبي ﷺ، ومن ذكر معه في الآية الثانية من الأصناف الأربعة على ما كان يقسمه؛ من أن لكل منهم خمس الخمس، وله ﷺ الباقي، يفعل فيه ما يشاء؛ فأعطى منه المهاجرين، وثلاثة من الأنصار<sup>(١)</sup> لفقيرهم.

[٧] ﴿مَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ «كالصفراء» و«وادي القرى» و«يثع» ﴿فَلْيَوَّعْ﴾ يأمر فيه بما يشاء ﴿وَالرُّسُولُ﴾ والذي صاحب ﴿الْقُرَى﴾ قرابة النبي؛ من بني هاشم وبني المطلب ﴿وَالْيَتَامَى﴾ أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء ﴿وَالْمَسْكِينُ﴾ ذوي الحاجة من المسلمين ﴿وَأَنْ تَسَلِّطُوا﴾ المنقطع في سفره من المسلمين؛ أي: يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل من الأربعة خمس الخمس، وله الباقي ﴿كُنْ لَا﴾ «كي» بمعنى اللام، و«أن» مقدرة بعدها ﴿يَكُونُ﴾ الفيء؛ علة لنفسه كذلك ﴿دَوْلَةٌ﴾ متداولاً ﴿بَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ ينقسمون ﴿وَمَا ءَاتَاكُمْ﴾ أعطاكم ﴿الرُّسُولُ﴾ من الفيء وغيره ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَكُمْ عَنْهُ فَأْتُوهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.

[٨] ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: اعجبوا<sup>(٢)</sup> ﴿الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يُبْتَغَى فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ في إيمانهم.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ أي: المدينة ﴿وَالْإِيمَانَ﴾ أي: الفداء، وهم الأنصار ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ يُجْرُونَ مِنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ حسداً ﴿مِمَّا أُوتُوا﴾ أي: أتى النبي ﷺ المهاجرين من أموال بني النضير المختصة بهم ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ حاجة إلى ما يؤثرون به ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ حرصها على المال ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقَرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَبَنَةٍ أَوْ نَزَعْتُمْهَا فَأَيْمَةٌ عَلَى أَصُولِهَا فَيَاذَنْ اللَّهُ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿وَمَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَبْلِ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿مَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرُّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَنْ لَا يَكُونُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرُّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَكُمْ عَنْهُ فَأْتُوهُ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يُبْتَغَى فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجْرُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[٤٦] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقَرُوا﴾ خالفوا ﴿اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له.

[٥٦] ﴿مَا قَطَعْتُمْ﴾ يا مسلمون ﴿مِنْ لَبَنَةٍ﴾ نخلة ﴿أَوْ نَزَعْتُمْهَا﴾ قايمة على أصولها فيأذن الله؛ أي: خيركم في ذلك ﴿وَلِيُخْزِيَ﴾ بالإذن في القطع ﴿الْفَاسِقِينَ﴾ اليهود، في اعتراضهم أن قطع الشجر الشمر فساد<sup>(٤)</sup>.

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٥): أخرجه الترمذي عن ابن عباس في قوله ﷺ: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَبَنَةٍ أَوْ نَزَعْتُمْهَا قايمة على أصولها فيأذن الله﴾ قال: البينة: النخلة. ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ قال: استنزولهم من حصونهم، قال: وأمروا بقطع النخل فحك في صدورهم. فقال المسلمون: قد قطعنا بعضاً وتر كنا بعضاً، فلنسال رسول الله ﷺ هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فأقول الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَبَنَةٍ أَوْ نَزَعْتُمْهَا قايمة على أصولها﴾ الآية. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥٩) ومن سورة الحشر. (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٦٣١). وهو في الصحيح عن ابن عمر مختصراً.

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٩): أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسل إلى نساء فلم يجد عندهن شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: ألا رجل يصفيه الليلة بريحه الله؟ فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله، فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئاً. فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية. قال: فإذا أراد الصبية العشاء فومئيم، وتعالى فأطعني السراج ونظوي بطوننا الليلة، ففعلت. ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: لقد عجب الله ﷻ. أو ضحك. من فلان وفلانة. فأذن الله ﷻ: ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. البخاري. التفسير (٦٥) سورة الحشر (٥٩) باب (٦).

(١) هم: أبو دجانة يملك بن حرسة، وشهبل بن حنيفة، والحاتر بن العشة. وقال ابن إسحاق: بل أعطى اثنين فقط؛ أبا دجانة وسهلاً.

(٢) الأقرب أن الكلام متعلق بما قبله، وهو قوله: ﴿هَذَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ﴾، فالعنى: الفيء والغنائم لهؤلاء الفقراء من المهاجرين والأنصار.



﴿كَانَ﴾ أي: «أَنَّهَا» فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ أي: الكافرين.

[١٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ يوم القيامة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٩] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ أن يقدموا لها خيرا ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. تركوا طاعته ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾.

[٢٠] ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

[٢١] ﴿أَوَ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ وجعل فيه تمييز كالإنسان ﴿وَلَأَنزَلْنَاهُ فَنُصَدِّعَ عَنَّا مُنْتَفِعًا﴾ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَذَٰلِكَ الْأَمَثَلُ المذكورة ﴿فَضْرِبْهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيؤمنون.

[٢٢] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ السر والعلانية ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

[٢٣] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ الطاهر عما لا يليق به ﴿الْقَلَمُ﴾ ذو السلامة من النقائص ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ المصدق رسله، بخلق المعجزة لهم<sup>(١)</sup> ﴿الْمُهَيَّمُ﴾ من هيمن بهيمن؛ إذا كان رقيبا على الشيء؛ أي: الشهيد على عبادته بأعمالهم ﴿الْعَزِيزُ﴾ القوي ﴿الْجَبَّارُ﴾ جبر خلقه على ما أراد ﴿الْمُنْكَرُ﴾ عما لا يليق به ﴿سُبْحَنَ اللَّهُ﴾ نزه نفسه ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به.

[٢٤] ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ﴾ المنشئ من العدم ﴿الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث<sup>(٢)</sup>، و«الحسنى» مؤنث الأحسن ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تقدم أولها.

\*\*\*

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٠﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢١﴾ وَلَأَنزَلْنَاهَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لِّرَأْيِنَا حَسْبَ عَنِ الْمُتَكِبِينَ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٤﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٥﴾

سُورَةُ الْحُسْرِ

[١٧] ﴿كَانَ عَاقِبَتُهُمَا﴾ أي: الغاوي والمغوي، وقرئ<sup>(١)</sup>: بالرفع؛ اسم

(١) أي: شذوذاً.

(٢) وقيل: الذي يؤمن خلقه من ظلمه، وقيل غير ذلك، وهذا من التفسير الجزئي، وهو يشمل ذلك كله.

(٣) سبق التنبيه إلى أن الأسماء الحسنى أكثر من ذلك ولا يحصيها إلا الله ﷻ، وأن الحديث إنما هو في فضل من يحصي تسعة وتسعين اسماً منها.



﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على ذلك، وقد فعله بعد فتح مكة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ لهم ما سلف ﴿رَجِيمٌ﴾ بهم.

[٨] ﴿لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الْآيَاتِ لَمْ يُقَيِّدْكُمُ اللَّهُ فِي الْكُفَرِ﴾ في الذين ولا يخرجكم من دينكم أن تبرؤهم بدل اشتغال من «الذين» ﴿وَقُتِلُوا﴾ تقضوا ﴿إِيَّاهُمْ﴾ بالقسط، أي: بالعدل، وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين<sup>(١)</sup>.

[٩] ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الْآيَاتِ قَتَلْتُمْ فِي الْآيَاتِ وَلَمْ تُخْرِكُوا مِنْ دِينِكُمْ وَظَهَرُوا﴾ عاونوا ﴿عَلَىٰ إخراجكم أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ بدل اشتغال من «الذين» أي: تتخذوهم أولياء ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ أَثْمَلَ﴾ فأثقلهم الظالمون<sup>(٢)</sup>.

[١٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءَكُمُ الْكُفُورُ﴾ بالكُفُورُ بالسنن من الكفار، بعد الصلح معهم في الحديبية، على أن من جاء منهم إلى المؤمنين يُردُّ ﴿فَأَمَّا جُحُودُهُمْ﴾ بالخلف على أنهم ما خرجن إلا رغبة في الإسلام، لا بغضا لأرواجهن الكفار، ولا عشقا لرجال من المسلمين، كذا كان ﴿يُحْلِفُهُنَّ﴾ ﴿اللَّهُ أَكْلَهُنَّ لِإِيْتِنَائِهِنَّ﴾ فإن عيشتهن ظنتموهن بالخلف ﴿مُؤَيَّنَاتٍ مَّا تَرَجُّوهنَّ﴾ تردوهن ﴿إِلَى الْكُفَرِ لَا هُنَّ حَلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحْلُونَ لَهُنَّ﴾ ولا هم ينفقوا ما أنفقوا ولا جَنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ بشرطه ﴿إِذَا مَا أَنْفَقُوا﴾ عليهن من المهور ﴿وَلَا جَنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ بشرطه ﴿إِذَا مَا أَنْفَقُوا﴾ عليهن من المهور ﴿وَلَا تُمْسِكُوا﴾ بالشديد والتخفيف<sup>(٣)</sup> ﴿بِعِصْمِ الْكُفَرِ﴾ زوجاتكم، لقطع إسلامكم لها بشرطه، أو اللاحقات بالمشركين مرتدات، لقطع ارتدادهن نكاحكم بشرطه ﴿وَسَلُّوا﴾ اطلبوا ﴿مَّا أَنْفَقْتُمْ﴾ عليهن من المهور، في صورة الارتداد. من تزوجهن من الكفار ﴿وَلَيْسَ لَكُمْ مَّا أَنْفَقُوا﴾ على المهورات كما تقدم أنهم يؤتونه ﴿وَلَكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ به ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

[١١] ﴿وَرَأَى فَاكْرُ شَيْءٍ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ أي: واحدة فأكثر منهن، أو شيء من مهورهن بالذهب ﴿إِلَى الْكُفَرِ﴾ مرتدات ﴿فَأَقِمْ﴾ فزومت وغنم ﴿فَتَأْتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ﴾ من الغنمة ﴿مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ لغواته عليهم من جهة الكفار ﴿وَأَنْفَقُوا﴾ الذي أشهد يوم مؤمنون ﴿وقد فعل المؤمنون ما أمروا به من الإيتاء للكفار والمؤمنين، ثم ارتفع هذا الحكم<sup>(٥)</sup>﴾.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٠﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَيِّدْكُمُ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِينِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِهْجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِن عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَرِ لَأَهُنَّ حَلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحْلُونَ لَهُنَّ وَأَتَوْهُنَّ مَّا أَنْفَقُوا وَلَا جَنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُفَرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا وَلَيْسَ لَكُمْ مَّا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٤﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَرِ فَعَابِقْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١٥﴾

[٦] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ يا أمة محمد، جواب قسم مقدَّر ﴿فِيهِمْ﴾ ﴿إِسْوَةٌ﴾ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ، بدل اشتغال من «كم»<sup>(١)</sup> بإعادة الجار ﴿يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أي: يخافهما، أو: يظن الثواب والعقاب ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ بأن يوالي الكفار ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ لأهل طاعته.

[٧] ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُمْ﴾ من كفار مكة، طاعة لله - تعالى - ﴿مَّوَدَّةً﴾ بأن يهديهم للإيمان، فيصيروا لكم أولياء

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨): أخرج البخاري عن الحميدي عن سفيان بن عيينة ... عن أسماء ابنة أبي بكر - رضي الله عنها - قالت: أتني أمي وهي رغبة، في عهد النبي ﷺ فسألت النبي ﷺ: أصلهما؟ قال: نعم. قال ابن عيينة: فأُتِيَ رسول الله ﷺ فقال: ﴿لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الْآيَاتِ لَمْ يُقَيِّدْكُمُ اللَّهُ فِي الْكُفَرِ﴾. البخاري - كتاب الأدب (٧٨) باب (٧) صلة الوالد المشرك.

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٠): أخرج البخاري عن مروان والمصور بن مخزومة - رضي الله عنهما - يخبران عن أصحاب رسول الله ﷺ قال: لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل ابن عمرو على النبي ﷺ: أنه لا يأتيك منا أحد - وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا... وجاء المؤمنات مهاجرات، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط من خرج إلى رسول الله ﷺ يومئذ - وهي عاتق - فجاء أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها إليهم، فلم يرجعها إليهم ما أنزل الله فيهن: ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِهْجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحْلُونَ لَهُنَّ﴾. البخاري - كتاب الشروط (٤٥) باب (١) ما يجوز من الشروط في الإسلام.

(٥٥٥) ما جاء في نزول الآية (١١): أخرج البخاري عن الزهري قال عروة: فأخبرتني عائشة أن رسول الله ﷺ كان يمنهن. وبلغنا أنه لما أنزل الله - تعالى - أن يردوا إلى المشركين ما أنفقوا على من هاجر من أزواجه، وحكم على المسلمين أن لا يمسكوا بعصم الكافر - أن عمر طلق امرأتين: قريبة بنت أبي أمية، وابنة جرو. فتزوج قريبة مدوية، وتزوج الأخرى أبو جهل، فلما أبى الكفار أن يقرؤا بأداء ما أنفق المسلمون على أزواجهن أنزل الله - تعالى -: ﴿وَرَأَى فَاكْرُ شَيْءٍ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَرِ لَمْ تُخْرِكُوا﴾. والعقب: ما يؤدي المسلمون إلى من هاجرت امرأته من الكفار، فأمر أن يعطي من ذهب له زوج من المسلمين ما أنفق من صدقات نساء الكفار اللائي هاجرن. وما تعلم أحدًا من المهاجرات ارتدت بعد إيمانها. البخاري - السابق باب (١٥) الشروط في الجهاد.

(١) أي في قوله: «ولكم».

(٢) أي: الذين هم أزواجهن.

(٣) بالشديد قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.



يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَاعِبَنَّ عَلَيْكَ أَنْ لَا يُشْرِكَنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسْأَلُونَ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٢﴾

## سُورَةُ الصَّافِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُوفٍ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَهْدِيكُمْ اللَّهُ نَارًا فَإِنِ اتَّبَعْتُمُ الْهَدْيَ لَنُفِخَنَّ فِي الصُّورِ نَفْثًا مِمَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥﴾

صَفًّا: حال؛ أي: صافين ﴿كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُوفٍ﴾: ملزق بعضهم إلى بعض، ثابت.

[٥] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾: يَفْقَهُمْ لَمْ تُوْذُوْنِي قَالُوا: إنه أدر؛ أي: منتفخ الحصية، وليس كذلك وكذبوه ﴿وَقَدْ﴾: للتحقيق (٥) ﴿تَقُولُونَ﴾: أي: رَسُوْلُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ: الجملة حال، والرسول يحترم ﴿فَلَمَّا رَاكُمْ﴾: عدلوا عن الحق بإيذائه ﴿أَرَأَيْتُمْ فُلُوْهُهُمْ﴾: أمالها عن الهدى، على وفق ما قدره في الأزل ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: الكافرين في علمه.

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرج أحمد عن عبد الله بن سلام قال: تذاكرنا بيتنا، فقلنا: أيكم يأتي رسول الله ﷺ فيسأله أي الأعمال أحب إلى الله؛ وهبنا أن يقوم أحد، فأرسل رسول الله ﷺ إلينا رجلاً، حتى جمعنا، فجعل بعضنا يشير إلى بعض، فقرأ علينا رسول الله ﷺ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾. قال: ففلاها من أولها إلى آخرها. أحمد. المسند (٥/٤٥٢)، والترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٦١). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٦٣٦).

(١) كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «... فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنين؛ قال لها رسول الله ﷺ: «قد بايعتك» كلاماً، ولا والله، ما شئت بذه يد امرأة قط في المبايع؛ ما يبايعهن إلا بقوله: «قد بايعتك على ذلك» البخاري (٤٨٩١)، ومسلم (١٨٦٦). وعند النسائي وغيره من حديث أمية بنت ربيعة: «إني لا أصافح النساء»، وهو في صحيح سنن الترمذي. (٣٨٩٧). فهذا الحديث دليل صريح على عدم جواز مصافحة المرأة الأجنبية؛ لأننا مأمورون بالتأسي بالرسول ﷺ في قوله. تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَكَرِهَ اللَّهُ عِزًّا» [الأحزاب: ٢١].

(٢) سبق التعليل على ذلك بأن الأولى التعميم في متعلق الحكمة، وليس تخصيصها بصنعه سبحانه وتعالى فقط.

(٣) يشير إلى ما جاء عن محمد بن كعب في سبب نزول الآية، قول طائفة من الصحابة بعد ما سمعوا مدح الجهاد؛ فقالوا: «ولئن لقينا قتالاً لثغر عرق فيه وسعنا» ففروا يوم أحد؛ فعظمهم الله بعباده الآفة.

(٤) تفسير محبة الله لعباده بالحرص والإكرام والإلانة ونحو ذلك، من التأويل المذموم وصرف للفظ عن ظاهره، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة وغيرها لله ﷻ على الوجه اللطيف به، ومن لا رمها نصرة وإكرام وثابة من يحبهم.

(٥) راسع التعليق على آية [١٠٣] من سورة النحل، في دخول «قد» على الفعل المضارع.

[١٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَاعِبَنَّ عَلَيْكَ أَنْ لَا يُشْرِكَنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ﴾: كما كان يفعل في الجاهلية، من وأد البنات؛ أي: دفنهن أحياء، خوف العار والفقر ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾: أي: بولد ملقوت، ينسبه إلى الزوج، ووصف بصفة الولد الحقيقي، فإن الأم إذا وضعت سقط بين يديها ورجليها ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي﴾ فعل ﴿مَعْرُوفٍ﴾: هو ما وافق طاعة الله؛ كترك النجاسة، وتزويق الشباب، وجز الشعر، وشق الجيب، وخمش الوجه ﴿فَبَايِعَهُنَّ﴾: فعل ذلك ﷺ بالقول، ولم يضاف واحدة منهن (١) ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[١٣] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هُمُ الْيَهُودُ﴾: قَدْ يَسْأَلُونَ مِنَ الْآخِرَةِ: من ثوابها، مع إيقانهم بها، لعنادهم النبي مع علمهم بصدقه ﴿كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ﴾: الكائنون ﴿مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾: أي: المقبورين، من خير الآخرة؛ إذ تعرض عليهم مقاعدهم من الجنة لو كانوا آمنوا وما يصيرون إليه من النار.

## سُورَةُ الصَّافِيَةِ

مكية، أو مدنية، أربع عشرة آية (\*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: أي: نزهه، فاللام مزيدة، وجيء بـ«ما» دون «من» تغنيًا لأكثر ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾: في صنعه (٢).

[٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾: في طلب الجهاد ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾: إذ انهزمتم بأحد (٣).

[٣] ﴿كَبُرَ عَظَمَ مَقْتًا﴾: تمييز ﴿عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾: فاعل «كَبُرَ» ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

[٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾: ينصر ويكرم (٤) ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾.

إِلَّا تَلْتَمِزْ وَأَنْتَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠﴾ الكافرين.

[٨] ﴿يُرِيدُونَ لِيُظْهِرُوا﴾ منصوب بـ«أن» مقدرة، واللام مزيدة ﴿نُورَ اللَّهِ﴾ شرعه وبراهينه ﴿بِأَقْوَاهِهِمْ﴾ بأقوالهم: إنه سحر وشعر وكهانة ﴿وَأَنَّ﴾ [مُتَمِّمٌ] ﴿مُظْهِرٌ﴾ [نُورُهُمْ] وفي قراءة: بالإضافة ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ذلك.

[٩] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾ عليه ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جميع الأديان المخالفة له ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك<sup>(١)</sup>.

[١٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرَمٍ تُجِيرُكُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٢)</sup> ﴿مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم، فكانهم قالوا: نعم، فقال:

[١١] ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ تدومون على الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِاتِّبَاعِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم فافعلوه.

[١٢] ﴿يَقِرُّ﴾ جواب شرط مقدّر أي: إن تفعلوه يغفر ﴿لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ بِهِمْ فِيهَا دَائِمٌ﴾ إقامة ﴿ذَلِكَ﴾ الْقَوْمَ الْعَظِيمَ.

[١٣] ﴿وَمَا يَكْفُرُ﴾ يؤمنون نعمة ﴿أُخْرَى تَحْتَوِيهَا نِعْمَتُ رَبِّكَ مِنْ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ﴾ بالنصر والفتح.

[١٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارًا لِلَّهِ﴾<sup>(٣)</sup> لديه، وفي قراءة بالإضافة ﴿كَأَنَّكَ﴾ الخ؛ المعنى: كما كان الحواريون كذلك، الدال عليه: قال ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: من الأنصار الذين يكونون معي، متوجهًا إلى نصرته الله؟ ﴿فَالِكُ الْحَوَارِيُّونَ هُمْ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ والحواريون: أصفياء عيسى، وهم أول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلًا، من الحوَر، وهو البياض الخالص، وقيل: كانوا قصارين يحورون الثياب؛ أي: يبيضونها ﴿فَقَامَتِ طَائِفَةٌ مِنْ بَنَاتِ إِسْرَءِيلَ﴾ بعيسى<sup>(٤)</sup>، وقالوا: إنه عبد الله رفع إلى السماء ﴿وَكَثُرَتِ طَائِفَةٌ﴾ لقولهم: إنه ابن الله رفعه إليه، فاقتلت الطائفتان ﴿فَأَيَّدَانَا﴾ فويانا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من الطائفتين ﴿عَلَى عَدُوِّهِمُ﴾ الطائفة الكافرة ﴿فَأَسْبَحُوا طَاهِرِينَ﴾ غاليين.

\*\*\*

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ يُرِيدُونَ لِيُظْهِرُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مَيِّمٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرَمٍ تُجِيرُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٤﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ بِهِمْ فِيهَا دَائِمٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارًا لِلَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ هُمْ أَنْصَارُ اللَّهِ فَقَامَتِ طَائِفَةٌ مِنْ بَنَاتِ إِسْرَءِيلَ وَكَثُرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيَّدَانَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَاصْبَحُوا طَاهِرِينَ ﴿١٧﴾

[٦] ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ لم يقل: يا قوم؛ لأنه لم يكن له فيهم قرابة<sup>(١)</sup> ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ قبلي ﴿وَمِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ جاء أحمد الكفار ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الآيات والعلامات ﴿قَالُوا﴾ هَذَا: أي: الحجي به ﴿سِحْرٌ﴾ وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: ﴿سَاحِرٌ﴾ أي: الجاني به ﴿مُبِينٌ﴾ تبيين.

[٧] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ﴾ أشد ظلمًا ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه، ووصف آياته بالسحر ﴿وَهُوَ يُدْعَى إِلَى

(١) فائدة: أخرج مسلم عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى». فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأهن حين أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ أن ذلك ناسأ. قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم بعث الله ربحًا طيبة فزني كل من في قلبه متقال حية بخردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرحعون إلى دين أبيهم. مسلم - كتاب الفتن وأشرط الساعة (٥٢) باب (١٧) لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس دا الحليصة.

(٢) قال الشيخ عبد الزواق عفيفي رحمه الله في تعليقه على الخلائين ص (١٧٢): الأولى أن يقال: ناداهم بذلك تذكيرًا لهم بأبيهم يعقوب، ليستعمل بذلك قلوبهم إلى سلوك منهج أبيهم...

(٣) لحزمة والكسائي.

(٤) لنافع وأبي عمرو وابن عامر وشعثة، وقرأ بقية السبعة بالإضافة: «مثم نوره».

(٥) بالنشدان قراءة ابن عامر.

(٦) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالإضافة: «أنصار الله».

(٧) في نسخة القاضي: «يعيسى ابن مريم».

## سُورَةُ الْجُمُعَةِ

[مدنية، إحدى عشرة آية]\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَسُبِّحُ لِلَّهِ بِزُهْدِهِ، فَالْلَامُ زائدة﴾ وَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿وَالْآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْبَةَ ثُمَّ لَمْ يُحْمَلُوا بِهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَالًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاطِلِينَ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادَوْا إِن رِزْقِيكُمْ أَتاكمُ أَوْ لِيَاءُ اللَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلَاقِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿وَمَبْدُؤَهَا الْمَوْتَ، فَمَنْهَوْهُ. [٧] وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ﴾ من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ الكافرين. [٨] ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ الفاء زائدة ﴿مُلَاقِيكُمْ تَرُدُّونَ إِلَىٰ عِلَاقِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ السر والعلانية ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ العرب، والأُمِّي: مَنْ لَا يَكْتُبُ وَلَا يَقْرَأُ كُنَايَا ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ هو محمد ﷺ ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الشرك ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ ﴿وَإِنْ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: وإنهم ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ قبل مجيئه ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بَيِّن.

[٣] ﴿وَالْآخَرِينَ﴾ عطف على ﴿الْأُمِّيِّينَ﴾ أي: الموجودين ﴿مِنْهُمْ﴾ والآخرين منهم بعدهم ﴿لَنَا﴾ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴿فِي السَّابِقَةِ وَالْفَضْلِ﴾ (١) ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في ملكه وصنعه، وهم الناصيون (٢)، والافتقار عليهم كافي في بيان فضل الصحابة المبعوث فيهم النبي ﷺ على من عداهم، ممن بعث إليهم وأمنوا به، من جميع الإنس والجن، إلى يوم القيامة؛ لأن كل قرن خير ممن يليه.

[٤] ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ النبي وَمَنْ ذَكَرَ مَعَهُ ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

[٥] ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْبَةَ﴾ كُفُّوا الْعَمَلَ بِهَا ﴿ثُمَّ لَمْ يُحْمَلُوا بِهَا﴾ لَمْ يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا، مِنْ نَعْتِهِ ﷺ، فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَالًا﴾ أي: كُثْبًا؛ فِي عَدَمِ انْتِفَاعِهِ بِهَا ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَاتِ اللَّهِ﴾ المصدقة للنبي ﷺ، والخصوص بالذم محذوف تقديره: هذا المثل ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاطِلِينَ﴾ الكافرين.

[٦] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادَوْا إِن رِزْقِيكُمْ أَتاكمُ أَوْ لِيَاءُ اللَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ تعلق بـ«تمنوا» الشرطان على أن الأول قيد في الثاني؛ أي: إن صدقتم في زعمكم أنكم أولياء لله، والولي يؤثر الآخرة

(ه) فائدة: أخرج مسلم عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين. مسلم - كتاب الجمعة (٧) باب (١٧) ما يقرأ في يوم الجمعة.

(١) أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: كنا جوساً عند النبي ﷺ فأثرت عليه سورة الجمعة: ﴿وَالْآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، قال: قُتِ: مَنْ هُم يَرْسُولُ اللَّهُ؟ فَلَمْ يَرَجِعْهُ حَتَّى سَأَلَ ثَلَاثًا - وَفِينَا سُلَيْمَانُ الْفَارَسِيُّ - وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى سُلَيْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ أَثَرِيَا لَنَالَهُ رِجَالٌ أَوْ رَجُلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ». البخاري (٤٨٩٨)، ومسلم (٢٥٤٦).

(٢) هذا قول عكرمة ومجاهد في تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَالْآخَرِينَ﴾، وقال آخرون: هم العجم. قاله ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية ليش عن مجاهد. ويشهد له حديث الصحيجين المتقدم. وقيل غير ذلك.

[١١] ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَوْأً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾ أي: التجارة؛ لأنها مألوفة لهم دون الله ﴿وَتَرَكُوكَ﴾ في الخطبة ﴿قَالِيمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ﴾ للذين آمنوا ﴿مِنَ اللَّهِ وَمِنَ النَّارِ﴾ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿يَقَالُ﴾ كل إنسان يرزق عائلته؛ أي: من رزق الله - تعالى (١٢) (١٣).

### سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

[مدنية، إحدى عشرة آية] (\*\*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا﴾ بالسنتهم على خلاف ما في قلوبهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ﴾ يعلم ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما أضمره، مخالفا لما قالوه.

[٢] ﴿أَتَقْدِرُونَ﴾ أي: ستره على أموالهم ودمائهم ﴿فَصَدُّوا﴾ بها ﴿عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن الجهاد فيهم (١) ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٣] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: سوء عملهم ﴿يَأْتِيهِمْ ءَامِنًا﴾ باللسان ﴿شُرَّ كُفْرًا﴾ بالقلب؛ أي: استمروا على كفرهم به ﴿فَطُغِيَ﴾ ختم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الإيمان.

[٤] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لجمالها ﴿وَأِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ لفصاحته ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ من عظم أجسامهم، في ترك التفهم ﴿[خُشِبَتْ]﴾ بسكون الشين وضمها (٢) ﴿مُسْنَدَةٌ﴾ مائلة إلى الجدار ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ نضاض؛ كنداء في العسكر، وإنشاد ضالة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لما في قلوبهم من الرعب؛ أن ينزل فيهم ما يبيع دماءهم ﴿هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَانْتَبَهُوا﴾ فأنهشوا رسول الله ﷺ ﴿فَتَلَبَّسُوا﴾ أهلكهم ﴿أَنْتَ يَوْكُونَ﴾ كيف يصرفون عن الإيمان بعد قيام البرهان؟! (٣)

يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَوْأً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِ وَمِنَ النَّارِ وَابْتَغُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا اللَّهَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣﴾

### سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا لَنُشْهَدَنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ أَتَقْدِرُونَ أَيْمَنُكُمْ جَنَّةٌ فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ ءَامِنًا ثُمَّ يَنْكُرُوا عَلَيْهِمْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَانْتَبَهُوا وَابْتَغُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا اللَّهَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٤﴾

[٩] ﴿يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا﴾ فامضوا ﴿إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ للصلاة ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ اتركوا عهده ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير فافعلوه. [١٠] ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أمر بإباحة ﴿وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا الرزق ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ ذكروا ﴿كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون؛ كان ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقدمت غير وضرِبَ لقدموها الطبل (١) على العادة، فخرج لها الناس من المسجد غير اثني عشر رجلاً فنزلت.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١): أخرجه البخاري عن جابر بن عبد الله قال: بينما نحن نصلّي مع النبي ﷺ إذ أقبلت غير تحمل طعاماً، فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً. فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَوْأً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ البخاري - كتاب الجمعة (١١) باب (٣٨) إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة. (٥٥) ما جاء في نزول السورة: أخرجه البخاري عن زيد بن أرقم قال: كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تتفقوا على من عبد رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولكن رجعنا من عنده ليخرجنا الأعرس منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي - أو بعمر - فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا. فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني هم لم يصيبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك، فأنزل الله - تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ فبعث إلي النبي ﷺ فقرأ فقال: إن الله قد صدّقك يا زيد. البخاري - التفسير (٦٥) سورة المنافقون (٦٣) باب (١).

(١) أخرجه نحوه البخاري (٩٣٦) ومسلم (٨٦٣) عن جابر بن عبد الله، وليس فيه ذكر الطبل، ولكن جاء ذكر الطبل فيما ذكره الغوي في تفسيره عن مقاتل، وفسر مجاهد الله بأنه الطبل كما أخرجه عنه الطبري.

(٢) يشير المفسر إلى أن اسم التفضيل في قوله: ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ على يابه؛ أي فالرازقون متعددون، ولكن على سبيل الجواز، وإلا فالرازق حقيقة هو الله تعالى وحده.

(٣) في نسخة القاسمي: «فيه».

(٤) يسكنونها قراءة الكسائي وأبي عمرو وقيل، وقرأ بقية السبعة بضم الشين: ﴿خُشِبَ﴾.

[٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَمَالَوْا﴾ معتذرين ﴿سَتَقِفِرَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَلَوْ﴾ بالتشديد والتخفيف (١) عطفوا ﴿رُئِيتُمْ﴾ ورأيتهم يصدون ﴿يعرضون عن ذلك وهم مُستَكْبِرُونَ﴾.

[٦] ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ استغني بهمة الاستغفار عن همزة الوصل ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

[٧] ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لأصحابهم من الأنصار: ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ من المهاجرين ﴿حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ ينفقوا عنه ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بالرزق، فهو الرزاق (٢) للمهاجرين وغيرهم ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

[٨] ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا﴾ أي: من غزوة بني المصطلق ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا أَهْلُهَا﴾ عونا به أنفسهم ﴿مِنْهَا الْأَذَلُّ﴾ (٣) عونا به المؤمنين (٤) ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ الغلبة ﴿وَلِرَسُولِهِ﴾ ولرسوله. وللمؤمنين ولكن المنفقين لا يعلمون ذلك.

[٩] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تِلْكَ﴾ تشلكنكم ﴿أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَدُكُمْ﴾ عن ذكر الله ﴿وَلَا تِلْكَ﴾ الصلوات الخمس (٥) ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

[١٠] ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ في الزكاة ﴿مِنْ مَّا رَزَقْنَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا﴾ بمعنى: هلا، أو: لا زائدة، «لو» للتنبي ﴿أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقْ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الصاد؛ تصدق بالزكاة ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ بأن أحج؛ قال ابن عباس (٦) ما قصر أحد في الزكاة والحج إلا سأل الرجعة عند الموت (٧).

[١١] ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالثناء والثناء (٨).

\*\*\*

(ه) فائدة: أخرج البخاري عن زيد بن أرقم قال: لما قال عبد الله بن أبي: ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾. وقال أيضا: ﴿لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ أخبرته به النبي ﷺ فلامني الأنصار، وحلف عبد الله بن أبي ما قال ذلك، فرجعت إلى المنزل فمنت، فدعاني رسول الله ﷺ فأتيته، فقال: إن الله قد صدقك، ونزل: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا﴾ الآية. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة المنافقين (٦٣) باب (٣) ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾. وتقدم سياق أتم من هذا.

(١) بالتخفيف قراءة نافع، وقرأ بقية السبعة بالتشديد.

(٢) هي نسخة القاضي: «الرزاق».

(٣) الذي عليه جماهير العلماء من أهل السير والتفسير أن قتل ذلك هو هذا المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول، عني بالأعر نفسه الحبيطة ومن معه من المنافقين، وبالألذ رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين. والأمر عكس ما قاله اللعين، وذكر ابن كثير تفصيل ذلك ومسايقه، فراجع.

(٤) هذا من التفسير بالمثل. والنتيجة للمطلوب بأهم حرياته؛ لأن ذكر الله أهم من الصلوات الخمس، وكذا الإنفاق أهم من الزكاة، والصلاح أهم من الحج.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٣١٦)، وضعف الألباني إسناده في ضعف سنن الترمذي (٦٥٣).

(٦) بالباء قراءة شعبة، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُفِّرَكُمْ كَأَبٍ وَإِنَّا مُوَدِّنُكُمْ﴾ في أصل الخلقة، ثم يبيتكم ويعيدكم على ذلك ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٣] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ إذ جعل شكل الآدمي أحسن الأشكال ﴿وَالْيَقِينُ الْمَصِيرُ﴾.

[٤] ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُنْهَوْنَ﴾ واللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ بما فيها من الأسرار والمعتقدات.

[٥] ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿نَبَأٌ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ﴾ عقوبة الكفر في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٦] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: عذاب الدنيا ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ ضمير الشأن ﴿كَانَتْ قُلُوبُهُمْ رُشْلُهُمْ﴾ بالكسرة الحجة الظاهرات على الإيمان ﴿فَقَالُوا أَكُذِّبُوا﴾ أريد به الجنس ﴿عَبَدُونَا فُكِّرُوا وَقُولُوا﴾ عن الإيمان ﴿وَأَسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ عن إيمانهم ﴿وَاللَّهُ عَنِّي﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في أفعاله.

[٧] ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: أنهم ﴿لَن يَغْنَوْا فُلًا بَلْ لَّيِّنَ نَّهْنُ ثُمَّ لَنُبَوِّئَنَّ﴾ بما علمتم وذلك على الله يسير.

[٨] ﴿فَتَنَادُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِمْ﴾ القرآن ﴿الَّذِينَ أَرْسَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[٩] اذكر ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ لِيَوْمِ الْمَجْزِ﴾ يوم القيامة ﴿ذَلِكَ يَوْمُ النَّفَاثِ﴾ يعني المؤمنون الكافرين، بأخذ منازلهم وأهلهم في الجنة، لو آمنوا ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ سَلِيمًا يُكْفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ﴾ وفي قراءة<sup>(١)</sup> بالنون في الفعلين ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُفِّرَكُمْ كَأَبٍ وَإِنَّا مُوَدِّنُكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَالْيَقِينُ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُنْهَوْنَ عَنْهُمُ عَلَيْهِمْ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرًا يَهْدُونَنَا فَكُفِّرُوا قَوْلًا وَلَسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ عَنِّي حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يَبْعَثُوا قُلًا بَلْ لَّيِّنَ نَّهْنُ ثُمَّ لَنُبَوِّئَنَّ لَكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ فِي الصُّورِ ﴿٧﴾ ذَٰلِكَ يَوْمُ النَّفَاثِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ سَلِيمًا يُكْفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨﴾

## سُورَةُ النَّجْمِ

[مكية، أو: مدنية، ثمان عشرة آية]

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ينزهه، فاللام زائدة، وأتى بـ«ما» دون «من» تغليباً للأكثر ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

(١) لنافع وابن عامر؛ أي «نكفر»، و«ندخله».

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَ الْأَمْصِيرُ﴾ هي.

[١١] ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقضائه ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ في قوله: إن المصيبة بقضائه ﴿يَهْدِ قَلْبُهُ﴾ للصبر عليها ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[١٢] ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾.

[١٣] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا أَرْزَأُكُمْ وَأُولَدَكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ أن تطيعوهم في الخلف عن الخير؛ كالجهاد والهجرة، فإن سبب نزول الآية الإطاعة في ذلك ﴿وَلِنْ تَقْفُوا﴾ عنهم في تنبيطهم إياكم عن ذلك الخير معتلين بمشقة فراقكم عليهم ﴿وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا﴾ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(٥)</sup>.

[١٥] ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ لَّكُمْ شَاغِلَةٌ عَنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ﴾ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿فَلَا تَقْرَبُوا﴾ باشتغالكم بالأموال والأولاد.

[١٦] ﴿فَأَنْتُمْ لِلَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ناسخة لقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِلِهِ﴾<sup>(١)</sup> ﴿وَأَسْمَعُوا﴾ ما أمرت به سماع قبول ﴿وَاطِيعُوا وَأَنِيعُوا﴾ في الطاعة ﴿خَيْرًا لَّأَنْفُسِكُمْ﴾ خبر «يكن» مقدرة؛ جواب الأمر ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[١٧] ﴿إِنْ تُقِرُّوْا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن تصدقوا عن طيب قلب ﴿يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: ﴿يُضَعِّفُهُ﴾ بالشديد؛ بالواحدة عشراً إلى سعمائة وأكثر ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ما يشاء ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾ مجاز على الطاعة ﴿حَلِيمٌ﴾ في العقاب على المعصية.

[١٨] ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ﴾ السر ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ العلانية ﴿الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمِ﴾ في صنعه.

\*\*\*

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَ الْأَمْصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا أَرْزَأُكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَأَنْتُمْ لِلَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَاطِيعُوا وَأَنِيعُوا خَيْرًا لَّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنْ تُقِرُّوْا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ ﴿١٧﴾ عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

### سُورَةُ الطَّلَافِ

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٤): أخرج الترمذي عن عكرمة عن ابن عباس، وسأله رجل عن هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا أَرْزَأُكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ قال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة، وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوه أن يأتوا رسول الله ﷺ، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا أناس قد فقهوا في الدين عموماً أن يعاقبهم، فأقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا أَرْزَأُكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٦) ومن سورة التهان. (حسن) صحيح سنن الترمذي (٤٦٤٢).

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) لآمين كثير وابن عامر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ الْمَرْأَةَ فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلُ مِنْ بَعْدِ طَلْقِهَا فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَفَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَالَّذِي يَسْتَنْ مِنْ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِيضْنَ وَأُولَتْ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا

## سُورَةُ الطَّلَاقِ

[مدنية، ثلاث عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ المراد أمته، بقرينة ما بعده، أو: قل لهم: ﴿إِذَا طَلَقْتُمُ الْمَرْأَةَ﴾ أي: أردتم الطلاق ﴿فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ لأولها؛ بأن يكون الطلاق في طهر لم تمس فيه؛ لتفسيره ﷺ بذلك رواه الشيخان<sup>(١)</sup> ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ احفظوها؛ لثراجها قبل فراغها ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ أطيعوه في أمره ونهيه ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ﴾ منها، حتى تنقضي عدتهن ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ زنا ﴿فَتَحِيطُوا إِلَيْهَا وَكُسْرَاهَا﴾<sup>(٢)</sup>؛

يُسْتَأْذَنُ أَوْ يُبَيَّنُ، فَيُخْرِجْنَ لِإِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِنَّ ﴿وَتِلْكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الطلاق ﴿أَمْرًا﴾ مراجعة فيما إذا كان واحدة أو اثنتين.

[٢] ﴿فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلُ مِنْ بَعْدِ طَلْقِهَا فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ قاربين انقضاء عدتهن ﴿وَأَفَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ اتركوهن حتى تنقضي عدتهن، ولا تضاروهن بالمراجعة ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ على المراجعة أو الفراق ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ لا للمشهدود عليه، أو له ﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ من كرب الدنيا والآخرة.

[٣] ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ يخطر بباله ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في أموره ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ كافيه ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ [بالغ أمره]<sup>(٣)</sup> مراده، وفي قراءة بالإضافة ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ كَرَاهًا وَشِدَّةً﴾ قَدْرًا مِيقَاتًا.

[٤] ﴿وَالَّذِي يَسْتَنْ مِنْ الْمَحِيضِ﴾ بهمزة وياء، وبلا ياء في الموضعين<sup>(٤)</sup> ﴿يَسْتَنْ مِنْ الْمَحِيضِ﴾ بمعنى الحيض ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ﴾ شككنكم في عدتهن ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِيضْنَ﴾ لصغرن؛ فعدتهن ثلاثة أشهر، والمسألان في غير التوقي عنهن أزواجهن، أمّا هُنَّ فعدتهن ما في آية: ﴿يَرْبِصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾<sup>(٥)</sup> ﴿وَأُولَتْ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ﴾ انقضاء عدتهن؛ مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن: ﴿أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ في الدنيا والآخرة.

[٥] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور في العدة ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ حكمه ﴿أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ سيئاته ويُعْظِمَ لَهُ أَجْرًا.

(١) البخاري (٤٩٠٨) ومسلم (١٤٧١) عن عبد الله بن عمر، ولفظه عبد البخاري: «أنه طلق امرأته وهي حائض، فذكر عمر لرسول الله ﷺ، فنهيظ فيه رسول الله ﷺ ثم قال: «اليراجعها، ثم يمسكها حتى تطهر، ثم يحيض فطهر؛ فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرا قبل أن يمسيها؛ فذاك الدعة كما أمر الله ﷻ».

(٢) بالفتح قراءة ابن كثير وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالكسر.

(٣) وهي قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالإضافة: «بالغ أمره».

(٤) قرأ الكوفيون وابن عامر بهمزة محققة بعدها ياء وقرأ الباقون بحذف الياء، وحقق الهمزة منهم قالون وقبيل، وسهلها ورش، وأبدلها ياء ساكنة مع مد الألف بالإشباع بالسالكين البري وأبو عمرو.

(٥) البقرة: ٢٣٤.



أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُمْ لِنَصِيِّكُمْ فَإِنْ  
عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنْ أُولَئِكَ حَمَلٌ فَلْيَقِمْ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَبْصُرَ حَمْلَهُمْ فَإِنْ  
أَرَضَعَكُمْ فَآتُوهُمْ أَجُورَهُمْ وَاتَّمِرُوا بِبَنَاتِكُمْ بِمَعْرِفٍ وَإِنْ  
تَعَاسَرْتُمْ فَسَرِّضْ لَهُمْ أُخْرَى ۖ لِيُنْفِقَ دُونَ سَعَةِ مِنْ سَعَةٍ ۖ وَمَنْ  
فُذِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا  
مِمَّا آتَاهُ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۖ وَكَانَ مِنْ قَرَبَةٍ عَنَّتْ  
عَنْ أَمْرِ رِبِّهَا وَرُسُلِهِ ۖ فَاسْتَبَنَّا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّ بَنَاتَهَا عَدَابًا  
تُكْرَأُ ۖ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَقِبَهُ أَمْرُهَا خُسْرًا ۖ أَعَدَّ اللَّهُ  
لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ  
اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۖ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِ آيَاتِ اللَّهِ مُبَشِّرًا لِمُخْرِجِ  
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ  
بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ  
فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۖ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ  
وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى  
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۖ

من السماء السابعة إلى الأرض السابعة ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: أعلمكم بذلك الخلق والتفصيل ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

\*\*\*

[٦] ﴿أَسْكِنُوهُمْ﴾ أي: المطلقات ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ أي: بعض مساكنكم ﴿مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ أي: سعتكم، عطف بيان، أو بدل مما قبله بإعادة الجار وتقدير مضاف؛ أي: أمكنة سعتكم لا ما دونها ﴿وَلَا تَضَارُّوهُمْ لِنَصِيِّكُمْ﴾ المساكين فيحتجج إلى الخروج: أو: النفقة، فيفتد منكم ﴿وَإِنْ كُنْ أُولَئِكَ حَمَلٌ فَلْيَقِمْ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَبْصُرَ حَمْلَهُمْ فَإِنْ أَرَضَعَكُمْ لَكُمْ﴾ أولادكم منهم ﴿فَاتَّقُواهُمْ أَجُورَهُمْ﴾ على الإرضاع ﴿وَاتَّمِرُوا بِبَنَاتِكُمْ﴾ وبهن ﴿بِمَعْرِفٍ﴾ بجميل في حق الأولاد، بالتوافق على أجر معلوم على الإرضاع ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ﴾ تضايقتن في الإرضاع، فامتنع الأب من الأجرة، والأم من فعله ﴿فَسَرِّضْ لَهُمْ أُخْرَى﴾ للأب ﴿أُخْرَى﴾ ولا تكرر الأم على إرضاعه.

[٧] ﴿لِيُنْفِقَ﴾ على المطلقات والمريضات ﴿دُونَ سَعَةٍ مِنْ سَعَةٍ ۖ وَمَنْ فُذِرَ﴾ ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ﴾ أعطاه ﴿اللَّهُ﴾ على قدره ﴿لَا يَكْفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مِمَّا آتَاهُ﴾ سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴿وقد جعله بالفتح.﴾

[٨] ﴿وَكَانَ﴾ هي: كاف الجر، دخلت على «أي» بمعنى: «كم» ﴿مِنْ قَرَبَةٍ﴾ أي: وكثير من القرى ﴿عَنَّتْ﴾ عصت؛ يعني: أهلها ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾ فاستبنتها في الآخرة، وإن لم تحج؛ لتتحقق وقوعها ﴿حَسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّ بَنَاتَهَا تُكْرَأُ﴾ يسكون الكاف وضمها<sup>(١)</sup>؛ فظليًا، وهو عذاب النار.

[٩] ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ عقوبته ﴿وَكَانَ عَقِبَهُ أَمْرُهَا خُسْرًا﴾ خسارًا وهلاكًا.

[١٠] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تكرر الوعيد توكيد ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ أصحاب العقول ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نعت للمنادى، أو بيان له ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ هو القرآن.

[١١] ﴿رَسُولًا﴾ أي: محمدًا ﷺ، منصوب بفعل مقدرة؛ أي: وأرسل ﴿يَتْلُو عَلَيْهِ آيَاتِ اللَّهِ مُبَشِّرًا﴾ بفتح الياء وكسرها<sup>(٢)</sup> كما تقدم ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيُخَالِفُوا الصَّالِحِينَ﴾ بعد مجيء الذكر والرسول ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر الذي كانوا عليه ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان الذي قام بهم بعد الكفر ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ﴾ وفي قراءة<sup>(٣)</sup> بالنون ﴿جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ هو رزق الجنة، التي لا ينقطع نعمها.

[١٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ يعني: سبع أرضين ﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ﴾ الوحي ﴿بَيْنَهُنَّ﴾ بين السماوات والأرض، ينزل به جبريل

(١) بالضم قراءة نافع وابن ذكوان وشعبة.

(٢) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٣) لنافع وابن عامر.

## سُورَةُ التَّحْرِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّغَى مَرْصَاتَ أَرْوَاحِكَ وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذَا أَسَرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا بَيَّنَّاتُ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا بَيَّنَّاهُ بِهِ قَالَتْ مَنْ أَتَاكَ هَذَا قَالَ نَبَايَ الْعَلِيمُ الْحَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقَكُنْ أَنْ يَبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسَلِّمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطَاتٍ تَلْبَسْنَ عِيْدَاتٍ سِيَّحَاتٍ تَثِيبَنْتِ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هُوَ أَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا جُزُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

## سُورَةُ التَّحْرِيمِ

[مدنية، اثنتا عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ» من أَمَلِكَ مارية القبطية؛ لما واقعها في بيت حفصة وكانت غائبة، فجاءت وشق عليها كون ذلك في بيتها وعلى فراشها؛ حيث قلت: «هي حرام عليّ» «تَبَتَّغَى» بتحريرها «مَرْصَاتٍ» أَرْوَاحِكُمْ «أي: رضاهن» «وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ» غفر لك هذا التحريم.

[٢] «قَدْ فَرَضَ اللَّهُ» شرع «لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ» تخليها؛ بالكفارة المذكورة في سورة «المائدة»<sup>(١)</sup>، ومن الأيمان: تحريم الأمة، وهل كفر؟ قال مقاتل: أعنت رقية في تحريم مارية، وقال الحسن: لم يكفر؛ لأنه مَغْفُورٌ لَهُ «وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ» ناصركم «وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ».

[٣] «وَإِذَا أَسَرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاحِهِ» هي حفصة «حَدِيثًا» هو تحريم مارية، وقال لها: «لا تفشي» «فَلَمَّا بَيَّنَّاتُ بِهِ» عايشة؛ ظناً منها أن لا حرج في ذلك «وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ» أطلعه «عَلَيْهِ» عَلَى الْمُنَبَّأِ بِهِ «عَرَفَ بَعْضُهُ» لحفصة «وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ» نكرها منه «فَلَمَّا بَيَّنَّاهُ بِهِ» مَنْ أَتَاكَ هَذَا قَالَ نَبَايَ الْعَلِيمِ الْحَبِيرُ «أي: الله».

[٤] «إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ» أي: حفصة وعائشة «فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا» مالت إلى تحريم مارية؛ أي: سرّكما ذلك، مع كراهة النبي ﷺ له، وذلك ذنب، وجواب الشرط محذوف؛ أي: تُقْبَلُ، وأطلق «قلوب» على قلوبين ولم يعبر به؛ لاستقلال الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة «وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ» يادغام التاء الثانية في الأصل في الطاء<sup>(٢)</sup>، وفي قراءة بدونها؛ تتعاون «عَلَيْهِ» أي: النبي فيما يكرهه «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ» ضمير فصل «مَوْلَاهُ» ناصره «وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» أبو بكر وعمر<sup>(٣)</sup> - رضي الله عنهما - معطوف على محل اسم «إِنَّ»، فيكونون ناصريه «وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ» بعد نصر الله والمذكورين «ظَاهِرًا» ظهره؛ أعوان له في نصره عليهما<sup>(٤)</sup>. [٥] «عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقَكُنْ» أي: طلق النبي أزواجه «وَأَنْ يَبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ» بالتشديد والتخفيف<sup>(٥)</sup> «وَأَنْ يَبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ» خبر «عسى»، والجملة جواب الشرط، ولم يقع التبدل؛ لعدم وقوع الشرط «مُسَلِّمَاتٍ» مقرات بالإسلام «مُؤْمِنَاتٍ» مخلصات «قَنَاطَاتٍ» مطيعات «تَلْبَسْنَ عِيْدَاتٍ» سَيَّحَاتٍ صائمات أو مهاجرات «تَثِيبَنْتِ وَأَبْكَارًا»<sup>(٦)</sup>.

[٦] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هُوَ أَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ» بالحمل على طاعة الله «نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ» الكفار «وَالْحِجَارَةُ» كأصنامهم منها؛ يعني: أنها مفرطة الحرارة تنقد، بما ذكر، لا كبار الدنيا، تنقد بالحطب ونحوه «عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ» خزنتها، عدتهم تسعة عشر، كما سيأتي في «المذثر» «غِلَاطٌ» بدل من لفظ «غِلَظِ الْقَبْ» «شِدَادٌ» في البطش «لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ» تأكيد، والآية تخويف للؤمنين عن الارتداد، وللمنافقين المؤمنين بالاستئتمار دون قبولهم.

[٧] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ» يقال لهم ذلك عند دخولهم النار؛ أي: لأنه لا ينفعكم «إِنَّمَا جُزُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» أي: جزاءه.

(١) ما جاء في نزول الآيات (١ - ٤): أخرج البخاري عن عائشة أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب ابنة جحش ويشرب عدها غلاً، فواصبت أنا وحفصة أن أئتنا دخن عليها النبي ﷺ فلتقل: إني لأجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير؟ فدخل على إحداها فقالت له ذلك، فقال: «لا، بل شربت غسلاً عند زينب ابنة جحش، ولن أعود له»، فنزلت: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ» إلى «إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا» لعائشة وحفصة «وَإِذَا أَسَرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاحِهِ» حديثاً: لقوله: شربت غسلاً. البخاري - كتاب الطلاق (٦٨) باب (٨).

وأخرج النسائي عن أنس أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرما على نفسه، فأمر الله ﷻ: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ» إلى آخر الآية. السائي - كتاب عشرة النساء (٣٧) باب (٤) الغيرة. (صحيح الإسناد) صحيح سنن النسائي (٣٦٩٥). قال الحافظ: «وهدد خلف في الذي حرم على نفسه وعوتب على تحريمه... والراجع من الأقوال كلها: قصة مارية؛ لاختصاص عائشة وحفصة بها بخلاف العسل فإنه اجتمع فيه جماعة منهن». انظر: [الزائغ (٩/ ٢٠٠، ٢٠١)].

وقال القرطبي وابن كثير: والصحيح أنه كان في العسل، وأنه شربه عند زينب، وتظاهرت عليه عائشة وحفصة فيه، فجري ما جرى، فحلف ألا يشربه وأمر بذلك إلهما، ونزلت الآية في الجميع. اهـ. (٥) ما جاء في نزول الآية (٥): أخرج البخاري عن أنس قال: قال عمر رضي الله عنه: اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: «عسى ربه إن طلقكن أن يبدلهن أزواجاً خيراً منكن» فنزلت هذه الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة التحريم (٦٦) باب (٥).

(١) الآية (٨٩).

(٢) هذا قول ابن مسعود وعكرمة والضحاك، وقيل غير ذلك، ولعل هذا على سبيل التمثيل والتنبه بفضل الصالحين خاصة، والله أعلم. (٤) بالتشديد قراءة نافع وأبي عمرو.

(٢) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف، «وتظاهرا».

[٨] ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فُؤَادًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ بفتح النون وضمة<sup>(١)</sup> صادقة؛ بأن لا يُعاد إلى الذنب، ولا يُراد العود إليه ﴿وَعَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن تَرْجِعَهُ نَفْعًا﴾ أَنْ يُكَبِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ ﴿بَسَاتِينَ﴾ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَىٰ اللَّهُ بِإِدْخَالِ النَّارِ ﴿الَّتِي وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيِّنَاتٍ أَيْدِيهِمْ﴾ أَمَامَهُمْ ﴿وَرُ﴾ يكون ﴿بِأَيْمَنِيهِمْ يَقُولُونَ﴾ مستأنف: ﴿رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَكَ﴾ إلى الجنة، والمنافقون يطفأ نورهم ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا﴾ ربنا ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٩] ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ جَاهِدُوا الْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ باللسان والحجة ﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتهاز والمقت ﴿وَمَا أُولَئِهِمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ﴾ هي.

[١٠] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتٍ نُجٍ وَأَمْرَاتٍ لُوطٍ﴾ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَفَتَنَاهُمَا ﴿فِي الدِّينِ﴾ إِذْ كَفَرْنَا، وَكَانَتْ أَمْرَةٌ نُوحٍ وَاسْمُهَا «وَاهِلَةُ» تَقُولُ لِقَوْمِهَا: إِنَّهُنَّ مَجْنُونٌ. وَأَمْرَةٌ لُوطٍ وَاسْمُهَا «وَاهِلَةُ» تَدُلُّ قَوْمَهَا عَلَىٰ أَضْيَافِهِ إِذَا نَزَلُوا بِهِ لَيْلًا؛ لِإِقَادِ النَّارِ وَنَهَارِهَا بِالتَّدْخِينِ ﴿فَلَمَّا يَبْغِيَانِ﴾ أَي: نُوحٌ وَلُوطٌ ﴿عَنْهَا مِنَ اللَّهِ﴾ مِنْ عَذَابِهِ ﴿وَسَيِّئًا وَقِيلَ﴾ لِهَمَا: ﴿أَدْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ مِنْ كُفَارِ قَوْمِ نُوحٍ وَقَوْمِ لُوطٍ.

[١١] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتٍ فِرْعَوْنَ﴾ أَمْنَتْ بِمُوسَىٰ، وَاسْمُهَا (أَسِيَّة)، فَعَذَّبَهَا فِرْعَوْنُ، بِأَن أَوْتَدَ يَدَيْهَا وَرَجْلَيْهَا، وَأَلْقَىٰ عَلَىٰ صَدْرِهَا رَحِيًّا عَظِيمَةً، وَاسْتَقْبَلَ بِهَا الشَّمْسُ، فَكَانَتْ إِذَا تَفَرَّقَ عَنْهَا مِنْ كُلِّ بَها ظِلُّهَا الْمَلَأَتْكُةَ ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ فِي حَالِ التَّعَذِّبِ: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ فَكُثِّفَ لَهَا فِرَاتُهُ، فَشَهِلَ عَلَيْهَا التَّعَذِّبُ ﴿وَنَجَّيْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ وَتَعَذَّبَنِي مِنَ الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ ﴿أَهْلَ دِينِهِ﴾ فَقَبِضَ اللَّهُ رُوحَهَا، وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: رَفَعَتْ إِلَى الْجَنَّةِ حَيَّةً، فَهِيَ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ<sup>(٢)</sup>.

[١٢] ﴿وَمَرْيَمَ﴾ عَطَفَ عَنِ: «أَمْرَةٌ فِرْعَوْنَ» ﴿أَبْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ حَفِظَتْهُ ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ أَي: جَبْرِيلُ، حَيْثُ نَفَخَ فِي حَبِيبِ دَرْعِهَا، بِخَلْقِ اللَّهِ - تَعَالَى<sup>(٣)</sup> - فَعَلَهُ الْوَاصِلُ إِلَى فَرْجِهَا، فَحَمَلَتْ بَعِيسَى ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ شَرَائِعِهِ ﴿وَكُتِبَ﴾ الْمَنْزِلَةُ ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ﴾ مِنَ الْقَوْمِ الْمُطِيعِينَ.

\*\*\*

(١) بالضم قراءة شعبة.

(٢) هذا من الأمور الغيبية التي يحتاج إثباتها إلى دليل صحيح ثابت.

(٣) قوله: «يخلق الله تعالى»: متعلق بـ «فننفخنا»، وكان المقام للإضمار بأن يقول: «يخلقنا»، وفعله: «أي: فعل جبريل، وهو: النفخ. ومعنى: خلقه: إيصال أثره، وهو: الريح، والهواء الحاصل به إلى فرجها.

يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فُؤَادًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيِّنَاتٍ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَتَابِعُهَا الَّذِينَ جَاهِدُوا الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَا أُولَئِهِمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتٍ نُجٍ وَأَمْرَاتٍ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَفَتَنَاهُمَا فَلَمَّا يَبْغِيَانِ عَنْهَا مِنَ اللَّهِ وَمَنْعَهُنَّ مِنْهُنَّ وَأَمْرَةٌ لُوطٍ وَاسْمُهَا «وَاهِلَةُ» تَدُلُّ قَوْمَهَا عَلَىٰ أَضْيَافِهِ إِذَا نَزَلُوا بِهِ لَيْلًا؛ لِإِقَادِ النَّارِ وَنَهَارِهَا بِالتَّدْخِينِ فَلَمَّا يَبْغِيَانِ أَي: نُوحٌ وَلُوطٌ عَنْهَا مِنَ اللَّهِ مِنْ عَذَابِهِ وَسَيِّئًا وَقِيلَ لِهَمَا: أَدْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ مِنْ كُفَارِ قَوْمِ نُوحٍ وَقَوْمِ لُوطٍ ﴿١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتٍ فِرْعَوْنَ أَمْنَتْ بِمُوسَىٰ، وَاسْمُهَا (أَسِيَّة)، فَعَذَّبَهَا فِرْعَوْنُ، بِأَن أَوْتَدَ يَدَيْهَا وَرَجْلَيْهَا، وَأَلْقَىٰ عَلَىٰ صَدْرِهَا رَحِيًّا عَظِيمَةً، وَاسْتَقْبَلَ بِهَا الشَّمْسُ، فَكَانَتْ إِذَا تَفَرَّقَ عَنْهَا مِنْ كُلِّ بَها ظِلُّهَا الْمَلَأَتْكُةَ إِذْ قَالَتْ فِي حَالِ التَّعَذِّبِ: رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ فَكُثِّفَ لَهَا فِرَاتُهُ، فَشَهِلَ عَلَيْهَا التَّعَذِّبُ وَنَجَّيْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَتَعَذَّبَنِي مِنَ الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ أَهْلَ دِينِهِ فَقَبِضَ اللَّهُ رُوحَهَا، وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: رَفَعَتْ إِلَى الْجَنَّةِ حَيَّةً، فَهِيَ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ ﴿١٢﴾ وَمَرْيَمَ عَطَفَ عَنِ: «أَمْرَةٌ فِرْعَوْنَ» أَبْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا حَفِظَتْهُ فَنفخنا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا أَي: جَبْرِيلُ، حَيْثُ نَفَخَ فِي حَبِيبِ دَرْعِهَا، بِخَلْقِ اللَّهِ - تَعَالَى<sup>(٣)</sup> - فَعَلَهُ الْوَاصِلُ إِلَى فَرْجِهَا، فَحَمَلَتْ بَعِيسَى وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا شَرَائِعِهِ وَكُتِبَ الْمَنْزِلَةُ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ مِنَ الْقَوْمِ الْمُطِيعِينَ

## سورة الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝<sup>(١)</sup> الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝<sup>(٢)</sup> الَّذِي خَلَقَ سَمْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَاتَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَقْوَىٰ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ ۝<sup>(٣)</sup> ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝<sup>(٤)</sup> وَلَقَدْ رَيْنَا النِّسَاءَ الَّذِيَّاهُ صَبِيحٌ وَجَعَلْنَاهُنَّ نُحُومًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝<sup>(٥)</sup> وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَمُّونَ الْمَصِيرُ ۝<sup>(٦)</sup> إِذَا الْقُوفُوهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝<sup>(٧)</sup> تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝<sup>(٨)</sup> قَالُوا بَلَىٰ فَرَجَاءَ نَذِيرٍ فَكُنَّا وَفَلَنَّا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝<sup>(٩)</sup> وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝<sup>(١٠)</sup> فَأَعْرِضُوا بَذَنِيهِمْ فَسَحَقًا لَأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝<sup>(١١)</sup> الَّذِينَ يَحْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝<sup>(١٢)</sup>

## سورة الملك

[مكية، ثلاثون آية] (\*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ: تنزه عن صفات المحدثين<sup>(١)</sup> الَّذِي بِيَدِهِ: تصرفه<sup>(٢)</sup> الْمُلْكُ: السلطان والقدرة وهو على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

(١) هائدة: أخرج أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يغفر له: تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ». أبو داود - كتاب الصلاة (٢) في عدد الآي. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٢٤٧).

(١) هذه العبارة مرهقة، ويستخدمها البعض لنفي الصفات الثابتة لله - عز وجل - كالسمع والبصر وغيرها من الصفات؛ التي يؤولها البعض بزعم تنزيه الله عز وجل عن مشابهة خلقه، وتباركه؛ على وزن تفاعل؛ من البركة والنماء والزيادة وكثرة الخير ودوامه. وقال الطبري: تعاضم وتعالى.

(٢) وهذا تعطيل بصفة اليد وعدول عن ظاهر اللفظ، وحلاف ما فهمه السلف منها؛ كما قال ابن جرير: «الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ» يده ملك الدنيا والآخرة وسلطتهما نافذ فيما أمره وقضاهه كما أن تقدير الكلام على تفسيره: «بيده أي»: «في تصرفه» يكون مضطرباً كما قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي، وتكون العبارة غير مستقيمة؛ ويكون المعنى: «تنزه عن صفات المحدثين الذي في تصرفه السلطان والقدرة، وهما يسا في التصرف. فتؤس بهذه الصفة لله ﷻ وتنبها له على الوجه اللائق به.

(٣) يشير المصنف إلى اختلاف المتكلمين في الموت؛ حيث ذهب بعضهم إلى أنه أمر وجودي؛ أي: شيء يوحده، وهو ضد الحياة، وذهب آخرون إلى أنه أمر عديم؛ أي ليس شيئاً يخلق وإنما هو عدم الحياة؛ وعلى هذا القول يكون «خلق الموت» بمعنى قدر الموت. والأول هو الصحيح أن الموت أمر وجودي كالحق؛ يخقه الله عند نهاية الحياة. وهو ظاهر الآية.

(٤) أي: شذوذاً.

(٥) بضمها قراءة الكسائي.

[٢] الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ: في الدنيا «وَالْحَيَاةَ» في الآخرة، أو هما في الدنيا؛ فالنطفة تعرض لها الحياة؛ وهي: ما به الإحساس، والموت؛ ضدها، أو: عدمها<sup>(١)</sup>؛ قولان، والخلق على الثاني بمعنى التقدير «لِيَبْلُوَكُمْ» ليختبركم في الحياة «أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» أطوع لله «وَهُوَ الْعَزِيزُ» في انتقامه ممن عصاه «الْعَلِيمُ» لمن تاب إليه.

[٣] «الَّذِي خَلَقَ سَمْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا» بعضها فوق بعض، من غير مماسة «مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ» لهن: أو: لغيرهن «مِنْ تَقْوَىٰ» تباين وعدم تناسب «فَارْجِعِ الْبَصَرَ» أعده إلى السماء «هَلْ تَرَىٰ» فيها «مِنْ فُطُورٍ» صدوع وشقوق؟ [٤] «ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ» كرة بعد كرة «يَنْقَلِبْ» يرجع «إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا» ذليلاً؛ لعدم إدراك خلل «وَهُوَ حَسِيرٌ» منقطع عن رؤية خلل.

[٥] «وَلَقَدْ رَيْنَا النِّسَاءَ الَّذِيَّاهُ» القربى إلى الأرض «يَمْصَّبَحُ» بنجوم «وَجَعَلْنَاهَا نُحُومًا» راجم «لِلشَّيْطَانِ» إذا استرقوا السمع، بأن يفصل شهاب عن الكوكب، كالقيس يؤخذ من النار، فيقتل الجني أو يخيله، لا أن الكوكب يزول عن مكانه «وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ» النار الموقدة.

[٦] «وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَمُّونَ الْمَصِيرَ» هي.

[٧] «إِذَا الْقُوفُوهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا» صوتاً منكراً كصوت الحمار «وَهِيَ تَفُورُ» تغلي.

[٨] «تَكَادُ تَمَيَّزُ» وقرئ: «تَتَمَيَّزُ» على الأصل تنقطع «مِنْ الْغَيْظِ» غضباً على الكافر «كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ» جماعة منهم «سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا» سؤال توبيخ: «أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ» رسول ينذركم عذاب الله - تعالى؟.

[٩] «قَالُوا بَلَىٰ فَرَجَاءَ نَذِيرٍ فَكُنَّا وَفَلَنَّا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ» يحتمل أن يكون من كلام الملائكة للكفار حين أخبروا بالكذب، وأن يكون من كلام الكفار للثائر.

[١٠] «وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ» أي: سماع تفهم «أَوْ نَعْقِلُ» أي: عقل تفكر «مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ».

[١١] «فَاعْرِضْهُمْ» حيث لا ينفع الاعتراف «بَذَنِيهِمْ» وهو تكذيب النذر «فَسَحَقًا» يسكنون الحاء وضمها<sup>(١)</sup> «لَأَصْحَابِ السَّعِيرِ» فبعداً لهم عن رحمة الله.

[١٢] «إِنَّ الَّذِينَ يَحْشَوْنَ رَبَّهُمْ» يخافونه «بِالْغَيْبِ» في غيبته عن أعين الناس؛ فيطيعونه سراً، فيكون علانية أولى «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ» أي: الجنة.

[١٣] ﴿وَأَسِرُّوا﴾ أيها الناس ﴿فَوَلَّكُمُ أَوْجَهُوا بِرِءٍ إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿عَلِمَ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما فيها، فكيف بما نطقتم به؟ وسبب نزول ذلك: أن المشركين قال بعضهم لبعض: أسروا قولكم لا يسمعكم إله محمد<sup>(١)</sup>.

[١٤] ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ما تسرون، أي: أيتني علمه بذلك ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ في علمه ﴿الْخَبِيرُ﴾ فيه لا.

[١٥] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ سهلة للشيء فيها ﴿فَاتَشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ جوانبها ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ المخلوق لأجلكم ﴿وَلِلَّهِ الشُّكُورُ﴾ من القبور للجزء.

[١٦] ﴿وَأَمِنُوا﴾ بتحقيق الهزئين وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينها وبين الأخرى، وتركه، وإبدالها ألفاً<sup>(٢)</sup> ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ سلطانه وقدرته<sup>(٣)</sup> ﴿أَنْ يَخْفِيَ﴾ بدل من «مَنْ» ﴿بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ تنحرك بكم وترتفع فوقكم.

[١٧] ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ﴾ بدل من «مَنْ» ﴿عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً ترميكم بالحصىاء ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ عند معاناة العذاب ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾ إنذارى بالعذاب؛ أي: إنه حق.

[١٨] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرِ﴾ إنكارى عليهم بالكذب عند إهلاكهم؛ أي: إنه حق.

[١٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾ في الهواء ﴿صَفَتْ﴾ باسطات أجنحتهن ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ أجنحتهن بعد البسط؛ أي: وقابضات ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عن الوقوع في حال البسط والقبض ﴿إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُ يَكُنْ شَيْءٌ بَصِيرٌ﴾ المعنى: ألم يستدلوا بنبوت الطير في الهواء، على قدرتنا أن نفعل بهم ما تقدم، وغيره من العذاب؟.

[٢٠] ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ ﴿هَذَا﴾ خبره ﴿الَّذِي﴾ بدل من «هذا» ﴿هُوَ جُدُّ﴾ أعوان ﴿لَكُمْ﴾ صلة «الذي» ﴿يَضْرِبُكُمْ﴾ صفة الجند ﴿مَنْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ أي: غيره، يدفع عنكم عذابه؟ أي: لا ناصر لكم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْكَاذِبُونَ﴾ إِلَّا فِي غُرُورٍ غرهم الشيطان بأن العذاب لا ينزل بهم.

[٢١] ﴿أَنْتُمْ هَذَا الَّذِي يَرْفُقُونَ أَمْسَكَ﴾ الرحمن ﴿رِزْقَهُ﴾ أي: المطر عنكم، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله؛ أي: فمن يرزقكم؟ أي: لا رازق لكم غيره ﴿وَبَلَّ لُجُوجًا﴾ تهادوا ﴿فِي عُرِّيٍّ﴾ تكبر ﴿وَيَقُورُ﴾ تباعد عن الحق.

[٢٢] ﴿أَفَنْ يَتَّبِعِي مُكِبًّا﴾ واقفا ﴿عَلَى رَجَهِهِ﴾ أهدى أَمَّنْ يَتَّبِعِي سَوَاطِئَ معتدلاً ﴿عَلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ وخبر «مَنْ» الثانية محذوف دل عليه خبر الأولى؛ أي: أهدى، والمثل في المؤمن والكافر، أيهما على هدى.

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول. وعراه في زاد المسير لابن عباس.

(٢) راجع التعليق على الآية رقم (٦) من سورة البقرة.

(٣) وهذا تعطيل لصفة العو، وعدول عن ظاهر اللفظ، وخلاف ما دلت عليه النصوص المتواترة من علوه. شبحاته وتعالى. على خلقه بذاته المقدسة واستوائه على عرشه.

وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ وَأَوَّجَهُوا بِرِءٍ إِنَّهُ عَلَيْهِمْ ذَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ۝ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۝ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرِ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَتْ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ۝ أَمْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُدُّكُمْ يَضْرِبُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ۝ أَمْ هَذَا الَّذِي يَرْفُقَكُمْ ۖ إِنَّ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ۚ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُورٍ ۝ أَفَنْ يَتَّبِعِي مُكِبًّا عَلَى رَجَهِهِ ۚ أَمْ هِيَ تُمْسِكُهُنَّ ۚ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝

[٢٣] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ «ما» مزيدة، والجملة مستأنفة مخبرة بقلة شكرهم جدًا على هذه النعم.

[٢٤] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ للحساب.

[٢٥] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ وعد الحشر ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه.

[٢٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ﴾ بمجيئه ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بين الإنذار.

بعض المتجربين فقال: تأتي به الفؤوس والمعاول! فذهب ماء عينه وعمي، نعوذ بالله من الحرجة على الله وعلى آياته.

### سُورَةُ الْقَائِرَةِ

[مكية، ثنتان وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿ت﴾ أحد حروف الهجاء، الله أعلم بمراحه به ﴿وَالْقَائِرَةِ﴾ الذي كتب به الكائنات في اللوح المحفوظ ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: الملائكة من الخير والصلاح.

[٢] ﴿مَا أَنْتَ﴾ يا محمد ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ أي: انتفى الجنون عنك، بسبب إنعام ربك عليك بالنبوة وغيرها، وهذا رد لقولهم: إنه مجنون.

[٣] ﴿وَأَنْتَ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ مقطوع.

[٤] ﴿وَأَنْتَ لَمَلَىٰ خَلْقٍ﴾ دين ﴿عَظِيمٍ﴾.

[٥] ﴿فَسْتَصْرِ وَيَصْرُونَ﴾.

[٦] ﴿يَأْتِيَكُمُ الْمَقْتُولُ﴾ مصدر؛ كالمعقول؛ أي: الفتون؛ بمعنى: الجنون؛ أي: أهلك أم بهم؟

[٧] ﴿وَأَنْتَ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ له، «وأعلم» بمعنى عالم.

[٨] ﴿فَلَا تُطِيعُ الشَّاكِرِينَ﴾.

[٩] ﴿وَدَّوَّا﴾ تنووا ﴿لَوْ﴾ مصدرية ﴿تُدْهِنُ﴾ تلين لهم ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ يلبنون لك، وهو معطوف على ﴿تُدْهِنُ﴾ وإن جعل جواب التمني المفهوم من «ودوا» قُدر قبله بعد الفاء: «هم».

[١٠] ﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف بالباطل ﴿مُهَيِّجٍ﴾ حقيق ﴿هَمَّازٍ﴾ عيَّاب؛ أي: مغتاب ﴿مُشَّائِمٍ﴾ يبيم؛ ساع بالكلام بين الناس، على وجه الإفساد بينهم.

[١٢] ﴿مَنَاجٍ لِلنَّحْرِ﴾ بخيل بالمال عن الحقوق ﴿مُتَنَزِّهِ﴾ ظالم ﴿أَيُّمٍ﴾ آثم. [١٣] ﴿عُتْلٍ﴾ غليظ جاف ﴿بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمٍ﴾ ذئبي في قريش، وهو الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثمانين سنة، قال ابن عباس<sup>(٤)</sup>: لا نعلم أن الله وصف أحدا بما وصفه به من العيوب فألحق به عارًا لا يفارقه أبدًا، وتعلق بـ«رنيم» الظرف قبله.

[١٤] ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ أي: لأن، وهو متعلق بما دل عليه. [١٥] ﴿إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا﴾ القرآن ﴿قَالَ﴾: هي ﴿أَسْطِطُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: كُذِّبَ بها لإنعامنا عليه بما ذكر، وفي قراءة<sup>(٥)</sup>: ﴿أَنَّ﴾ بهمزتين مفتوحتين.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ عَمَتَانِ بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْمَلُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَبَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيَكُم بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٢٠﴾

### سُورَةُ الْقَائِرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ت وَالْقَائِرَةِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١٧﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿١٨﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿١٩﴾ وَلَئِكَ لَمَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴿٢٠﴾ فَيَصْرُونَ وَيَصْرُونَ ﴿٢١﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُ ﴿٢٢﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٢٣﴾ فَلَا تُطِيعُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٤﴾ وَدَّوَّا لَوْ تَدْعُهُمْ فَيُدْهِنُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿٢٦﴾ هَمَّازٍ مُشَّائِمٍ بِنَمِيمٍ ﴿٢٧﴾ مَنَاجٍ لِلنَّحْرِ مُتَعَدِّ أَتِيمٍ ﴿٢٨﴾ عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمٍ ﴿٢٩﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿٣٠﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٣١﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٣٢﴾ قَالَ تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٣٣﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٣٤﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٣٥﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٣٦﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٣٧﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٣٨﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٣٩﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٤٠﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٤١﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٤٢﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٤٣﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٤٤﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٤٥﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٤٦﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٤٧﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٤٨﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٤٩﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٥٠﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٥١﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٥٢﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٥٣﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٥٤﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٥٥﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٥٦﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٥٧﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٥٨﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٥٩﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٦٠﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٦١﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٦٢﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٦٣﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٦٤﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٦٥﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٦٦﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٦٧﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٦٨﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٦٩﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٧٠﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٧١﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٧٢﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٧٣﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٧٤﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٧٥﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٧٦﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٧٧﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٧٨﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٧٩﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٨٠﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٨١﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٨٢﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٨٣﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٨٤﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٨٥﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٨٦﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٨٧﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٨٨﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٨٩﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٩٠﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٩١﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٩٢﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٩٣﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٩٤﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٩٥﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٩٦﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٩٧﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٩٨﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿٩٩﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا ﴿١٠٠﴾

[٢٧] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: العذاب بعد الحشر ﴿زُلْفَةً﴾ قريبًا ﴿سَيِّئَتْ﴾ اسودت ﴿وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: قال الحزنة لهم: ﴿هَذَا﴾ أي: العذاب ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ﴾ بإنذاره ﴿تَدْعُونَ﴾ أنكم لا تبعثون، وهذه حكاية حال تأتي، عبر عنها بطريق المضي؛ لتحقيق وقوعها.

[٢٨] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ﴾ من المؤمنين بعذابه، كما تقصدون ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ فلم يعذبنا ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ أي: لا مجير لهم منه.

[٢٩] ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ عَمَتَانِ بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْمَلُونَ﴾ بالباء والياء<sup>(١)</sup>، عند معاينة العذاب ﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بين، أنحن، أم أنتم، أم هم؟ [٣٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَبَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ غائرا في الأرض ﴿فَمَنْ يَأْتِيَكُم بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ جارا؛ تنال<sup>(٢)</sup> الأيدي والدلاء كماثكم؛ أي: لا يأتي به إلا الله - تعالى - فكيف تنكرون أن يبعثكم؟! ويستحب أن يقول القارئ عقب «معين»: الله رب العالمين، كما ورد في الحديث<sup>(٣)</sup>، وتليت هذه الآية عند

(١) بالياء قراءة الكسائي.

(٢) في نسخة القاضي: «لا تناله» وهو خطأ بين.

(٣) وهذا الحكم يحتاج إلى دليل من المصوم ﷺ ولم يرد حديث بذلك.

(٤) وأخرج البخاري (٤٩١٧) عنه قال: ﴿عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمٍ﴾، قال: رجل من قريش، له زمة مثل زمة الشاة. والزمة: ما يقطع من أذن الشاة. وقيل: المعنى: أنه الذي يعرف بالشو كما تعرف الشاة برنمها.

(٥) لحزمة وشعة، وكذلك ابن عامر لكن مع تسهيل الهزلة الثانية.

[١٦] ﴿سَيَسْمِعُ عَلَى الثَّرَاتِ﴾ سنجعل على أنفه علامة، يُعَيِّرُ بها ما عاش، فحطيم أنفه بالسيف يوم بدر.

[١٧] ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ﴾ امتحنا أهل مكة بالهط والجوع ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْبَلَاءِ﴾ البستان ﴿إِذْ أَقْبَتُوا لَيْسَرْمَتَهَا﴾ يقطعون ثمرتها ﴿مُتَّبِعِينَ﴾ وقت الصباح؛ كي لا يشعر بهم المساكين؛ فلا يعطوهم منها ما كان أبوهم يتصدق به عليهم منها.

[١٨] ﴿وَلَا يَسْتَنْوُونَ﴾ في يمينهم بمشيقة الله - تعالى -، والجملة مستأنفة؛ أي: وشأنهم ذلك.

[١٩] ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ نار أحرقتها ليلاً ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

[٢٠] ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ كالليل الشديد الظلمة؛ أي: سوداء.

[٢١] ﴿فَنَادَا مُّصِيبِينَ﴾.

[٢٢] ﴿أَنِ اعْبُدُوا عَلَىٰ حَرْبِكُمْ﴾ عَلَيْكُمْ، تفسير لـ«نادوا» أو «أن» مصدرية؛ أي: بأن ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ مریدين القطع، وجواب الشرط دل عليه ما قبله.

[٢٣] ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ﴾ يتساورون.

[٢٤] ﴿أَن لَّا يَخْشَوْا أَيَّامَ يَوْمٍ عَلَيْكُمْ يَتَّقُونَ﴾ تفسير لما قبله، أو «أن» مصدرية؛ أي: بأن.

[٢٥] ﴿وَعَذَابُ عَلَىٰ حَرْبٍ﴾ منع للفقراء ﴿يَتَّقُونَ﴾ عليه في ظنهم.

[٢٦] ﴿فَمَا زَالُوا﴾ سوداء محترقة ﴿فَالْوَايَا لَصَالُونَ﴾ عنها؛ أي: ليست هذه.

[٢٧] ثم قالوا لمعلموها: ﴿يَلَّ نَحْنُ نَحْمُومُونَ﴾ نمرتها، بمنعنا لفقراء منها.

[٢٨] ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ خيرهم: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ لَوْلَا هَٰذَا﴾ هَلَا ﴿تَسُبُّونَ﴾ الله تائبين.

[٢٩] ﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ منع الفقراء حقهم.

[٣٠] ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَامِؤْنَ﴾.

[٣١] ﴿قَالُوا يَا لَلنَّبِيِّ﴾ وتلنا ﴿هَلَا كُنَّا﴾ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ.

[٣٢] ﴿عَسَىٰ رَبِّنَا أَنْ يَبْعَثَ﴾ بالتشديد والتخفيف <sup>(١)</sup> ﴿خَرَجًا نَّبِيًّا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ ليقبل توبتنا، ويرد علينا خيراً من جنتنا، روي أنهم أبدلوا خيراً منها.

[٣٣] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل العذاب لهؤلاء ﴿الْقَائِلَ﴾ لمن خالف أمرنا، من كفر مكة وغيرهم ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ عذابها، ما خالفوا أمرنا.

[٣٤] ﴿وَنَزَلَ مَا قَالُوا﴾ إن بعثنا نعطى أفضل منكم: ﴿إِن لِّلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ أَلِيمٌ﴾.

[٣٥] ﴿فَتَجْمَعُ الْكُلُوبُ﴾ كَلْبَرِيَّةٍ ﴿أَي: تابعين لهم في العطاء.

[٣٦] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد؟.

[٣٧] ﴿أَمْ﴾ أي: بل أ ﴿لَّكَ كِتَابٌ﴾ منزل ﴿فِيهِ تَذَرُوسُونَ﴾ أي: تقرأون؟.

[٣٨] ﴿إِن لَّكَ فِيهِ مَا تَخْتَارُونَ﴾ تختارون.

[٣٩] ﴿أَمْ لَّكَ آيَاتٌ﴾ عهود ﴿عَلَيْكَ بَلَاغَةٌ﴾ واقفة ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْآزِمَةِ﴾

(١) بالتشديد قراءة نافع وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

(٢) هذا أحد قولي العلماء في تفسير الآية، وأنها ليست من آيات الصفات، وأصحاب هذا القول من السلف لا ينفون عن الله - تعالى - صفة الساق التي ثبتت بالسنّة الصحيحة، وإنما يثبتونها له - سبحانه - على الوجه اللائق به.

والقول الثاني: أن المراد في الآية هنا أن الله يكشف عن ساقه - سبحانه -، ويدل على هذا القول ما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة...»

الحديث. رواه البخاري (٤٩١٩).

إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٦﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٧﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٨﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿١٩﴾ فَنَادَا مُّصِيبِينَ ﴿٢٠﴾ أَنِ اعْبُدُوا عَلَىٰ حَرْبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢١﴾ فَنَاطَلُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ ﴿٢٢﴾ أَن لَّا يَدْخُلُهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مَّرْصُكُم ﴿٢٣﴾ وَعَذَابُ عَلَىٰ حَرْبٍ قَدِيرٍ ﴿٢٤﴾ فَمَا زَالُوا هَٰذَا قَالُوا إِنَّا لَصَالُونَ ﴿٢٥﴾ بَل نَحْنُ مُخْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَامِؤْنَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا أَيُّوْمُنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣٠﴾ عَسَىٰ رَبِّنَا أَنْ يَبْعَثَ خَرَجًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣١﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ إِن لِّلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ أَلِيمٌ ﴿٣٣﴾ أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٦﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَذَاحٌ وَقَدْ كُنَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ إِن لَّكُمْ آيَاتٌ عَالِيَةً بَلَّغْنَاهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِن لَّكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٣٨﴾ سَأَلَهُمْ أَنَّهُمْ بِذَٰلِكَ زَعِيمُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فُلْيَاؤُا۟ بِشْرِكَايَهُمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ وَمَآ يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَبِيعُونَ ﴿٤١﴾

متعلق معنى بـ«علينا»، وفي هذا الكلام معنى القسم؛ أي: أقسمنا لكم، وجوابه: [٤٠] ﴿إِن لَّكَ لَمَّا تَحْكُمُونَ﴾ به لأنفسكم.

[٤١] ﴿سَأَلَهُمْ أَنَّهُمْ بِذَٰلِكَ﴾ الحكم الذي يحكمون به لأنفسهم، من أنهم يعطون في الآخرة أفضل من المؤمنين ﴿زَعِيمُونَ﴾ كفيّل لهم؟ ﴿أَمْ لَهُمْ﴾ أي: عندهم ﴿شُرَكَاءُ﴾ موافقون لهم في هذا القول، يكفلون به لهم؟ فإن كان كذلك ﴿فُلْيَاؤُا۟ بِشْرِكَايَهُمْ﴾ الكافلين لهم به ﴿إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

[٤٢] اذكر ﴿يَوْمَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ﴾ هو عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء <sup>(٢)</sup>؛ يقال: كشفت الحرب عن ساق: إذا اشتد الأمر فيها ﴿وَيُدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ﴾ امتحاناً لإيمانهم ﴿فَلَا يَسْتَبِيعُونَ﴾ تصوير ظهورهم طبقاً واحداً.

[٥٠] ﴿فَاجْنِبْهُ رَبِّهُ﴾ بالنبوة ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الأنبياء.  
 [٥١] ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ﴾ بضم الياء وفتحها <sup>(١)</sup> ﴿بِأَصْبَرِهِ﴾  
 ينظرون إليك نظراً شديداً، يكاد أن يصرعك، ويسقطك من مكانك ﴿لَنَا سَمْعُ الذِّكْرِ﴾ القرآن ﴿وَيَقُولُونَ﴾ حسداً: ﴿إِنَّمَا كُنْتُمْ﴾ بسبب القرآن الذي جاء به.  
 [٥٢] ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الجن والإنس، لا يحدث بسبب جنون.

### سُورَةُ الْحَاقَّةِ

[مكية، إحدى، أو: اثنتان وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَاقَّةُ﴾ القيامة، التي يحق فيها ما أتت من البعث والحساب والجزاء، أو: المظهرة لذلك.  
 [٢] ﴿مَا الْهَاقَّةُ﴾ تعظيم لشأنها، وهما: مبتدأ وخبر، خبر: «الهاقة» <sup>(٢)</sup>.  
 [٣] ﴿وَمَا أَذْرَبُكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْهَاقَّةُ﴾ زيادة تعظيم لشأنها، ف«ما» الأولى مبتدأ، وما بعدها خبره، و«ما» الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لدأدرى.  
 [٤] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ القيامة؛ لأنها تفرع القلوب بأهوالها.  
 [٥] ﴿فَأَنَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالْقَارِعَةِ﴾ بالصيحة المجاوزة للحد في الشدة.  
 [٦] ﴿وَأَنَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ شديد الصوت ﴿عَاصِفَةٍ﴾ قوية شديدة على عاد، مع قوتهم وشدتهم.  
 [٧] ﴿سَخَّرَهَا﴾ أرسها بالقهقير ﴿عَلَيْهِمْ سَنَعُ لَيْلٍ وَنَكِيَّةَ نِجَامٍ﴾ أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال، وكانت في عجز الشتاء <sup>(٣)</sup> ﴿حُسُومًا﴾ متتابعات، شُبَّهَتْ بتتابع فِعْلِ الحاسم، في إعادة الكي على الداء كَرَّةً بعد أخرى، حتى ينحسم.  
 ﴿فَزَيَّ الْقَوْمُ فِيهِ صَرَخٍ﴾ مطروحين هالكين ﴿كَانَتْهُمْ أَعْمَارُ﴾ أصول ﴿عَقَلٍ حَاقِيَةٍ﴾ ساقطة فارعة.  
 [٨] ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ صفة «نفس» مقدرة <sup>(٤)</sup>، أو التاء للمبالغة؛ أي: باقٍ؟ لا.

خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿١٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿١٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿١٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكْهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿١٩﴾ فَاجْتَنِبْ رَبَّهُ فَجَحَّاهُ مِنَ الصَّلَاحِ حِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٢١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾

### سُورَةُ الْحَاقَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْهَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَبُكَ مَا الْهَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاصِفَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَنَعُ لَيْلٍ وَنَكِيَّةَ نِجَامٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾

[٤٣] ﴿خَشِيعَةً﴾ حال من ضمير «يدعون»؛ أي: ذليلة ﴿أَبْصَرُهُمْ﴾ لا يرفعونها ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ فلا يأتون به، بأن لا يصلوا. [٤٤] ﴿فَذَرْنِي﴾ دعني ﴿وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿وَمِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾. [٤٥] ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ أمهلهم ﴿إِنِّي كَيْدِي مَتِينٌ﴾ شديد لا يطاق. [٤٦] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ﴾ مما يعطونكه ﴿مُثْقَلُونَ﴾ فلا يؤمنون لذلك؟ [٤٧] ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ أي: اللوح المحفوظ، الذي فيه الغيب ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ منه ما يقولون؟ [٤٨] ﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ فيهم بما يشاء ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ في الضجر والعجلة، وهو يونس <sup>(١)</sup> ﴿إِذْ نَادَى﴾ دعا ربه ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مملوء غمًا في بطن الحوت.

[٤٩] ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكْهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ لكنه رُجِمَ فليد غير مذموم.

(١) بالفتح قراءة نافع.

(٢) أي: وجملة المبتدأ والحبر: خبر «الهاقة».

(٣) الأولى عدم تعيين هذه الأيام، على هذا النحو، من غير دليل صحيح يُصار إليه. ويكفي إطلاق القرآن أنها «سبع ليال وثمانية أيام».

(٤) أي: «من نفس باقية».



[٩] ﴿وَبِمَا قَسَمَ لَلَّهِ لَمَّا كَانَ مُنِيبًا﴾ أي: أتباعه، وفي قراءة بفتح القاف وسكون الباء أي: مَنْ تقدمه من الأمم الكافرة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: أهلها، وهي قرى قوم لوط ﴿بِالْقَابِلِينَ﴾ بالفعلات ذات الخطأ.  
[١٠] ﴿فَمَقَامُ رَسُولٍ رَجِمُوا﴾ أي: لوطاً وغيره ﴿فَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا﴾ زائدة في الشدة على غيرها.

[١١] ﴿إِنَّا لَنَّا نَلْقَا أَهْلَهُ﴾ علا فوق كل شيء، من الجبال وغيرها، زمن الطوفان ﴿مَحْمُومًا﴾ يعني أباءكم؛ إذ أنتم في أصلابهم ﴿فِي الْبَارِئِ﴾ السفينة التي عملها نوح، ونجا هو ومن كان معه فيها، وغرق الباقون.

[١٢] ﴿لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا﴾ أي: هذه العقلة وهي إنجاء المؤمنين، وإهلاك الكافرين ﴿لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا﴾ وعنيها ﴿أَذُنُوعُهُمْ﴾ ولتحفظها ﴿أَذُنُوعُهُمْ﴾ حافظة لما تسمع.  
[١٣] ﴿فَإِذَا نَفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ للفصل بين الخلائق، وهي الثانية.  
[١٤] ﴿وَنُفِثَ﴾ رفعت ﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَذُكُّنَا﴾ ذكاً ﴿وَحَدَّةٌ﴾.

[١٥] ﴿يَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ قامت القيامة.  
[١٦] ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكُتِبَ عَلَيْهَا الْأُمُورُ﴾ ضعیفة.

[١٧] ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ يعني الملائكة ﴿عَلَى أَرْجَائِهِمَا﴾ جوانب السماء ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ أي: الملائكة المذكورين ﴿يَوْمَئِذٍ مُّكْنِيَةٌ﴾ من الملائكة، أو من صفوفهم.

[١٨] ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لِلْحَسَابِ﴾ لَا تَحْفَظُ ﴿بِالنَّاءِ وَالْبَاءِ﴾ ﴿يَسْكُرُ حَافِيَةً﴾ من السرار.

[١٩] ﴿فَأَنذَرْتُ أَوْفَى كَيْدِهِمْ يَمْيِنُونَ﴾ يَقُولُ ﴿خَطَابًا لِّجَمَاعَتِهِ لَمَّا شَرُّ بِهِ: «هَؤُلَاءِ خَدُوا» أَفَرَأَوْا كَيْدَهُ تَنَازَعُ فِيهِ «هَؤُلَاءِ» وَ«أَقْرَعُوا»﴾.

[٢٠] ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ مُّكْنِيٌّ﴾ أَي: مُلْكٌ جَسَدِيٌّ.  
[٢١] ﴿فَهَرُّ فِي عَيْشَةٍ رَّاسِيَةٍ﴾ مرضية.

[٢٢] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾.

[٢٣] ﴿فَقُطِفَهَا﴾ ثمارها ﴿وَأَنبَتَهَا﴾ قريبة، يتناولها القائم والقاعد والمضطجع.

[٢٤] ﴿يُقَالُ لَهُمْ: «كُلُوا وَاشْرَبُوا حَيْثُ شِئْتُمْ»﴾ حال؛ أي: متبهتين ﴿بِمَا أَشْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ الماضية في الدنيا.

[٢٥] ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْدَهُ بِشِمَالِهِ﴾ يَقُولُ يَا لِلتَّيْبَةِ لِلتَّيْبَةِ ﴿لَتَشْنِي لَرَأُوتَ كَيْدِيَّةً﴾.

[٢٦] ﴿وَلَرَأُوتَ مَا جَسَدِيَّةً﴾.

[٢٧] ﴿وَلَتَشْنِي لَرَأُوتَ مَا جَسَدِيَّةً﴾ أي: الموتة في الدنيا ﴿كَانَتْ أَلْقَاسِيَّةً﴾ القاطعة لحياتي، بأن لا أبعث.

[٢٨] ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِي﴾.

[٢٩] ﴿هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ فوتي وحجتي، وهاء «كتابه» و«حسابه» و«ماليه» و«سلطانيه» للسكت تثبت وقتاً ووصلاً؛ اتباعاً للمصحف الإمام

(١) وهي قراءة الكسائي وأبي عمرو، وقراءة بقية السبعة: ﴿قَبْلَهُ﴾ بفتح القاف وسكون الباء.

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) التنازع هو: توجه عاملين إلى معمول واحد. والعاملان هنا هما: «هَؤُلَاءِ» و«أَقْرَعُوا»، والمعمول هو: «كتابه»؛ فأيهما أعلمت، فيقدر للآخر مفعوله، وقد أعمل الثاني عند البصريين، والأول عند الكوفيين، وأضمر في الآخر، وحذف لأنه فضلة.

(٤) أي عن النبي ﷺ.

(٥) أي السبعة، وهو حمزة، والمشرقة، وهو يعقوب.

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤَيَّدَاتُ كَافَّةً بِالْخَاطَةِ ﴿١٠﴾ نَعَصُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَاذْكُرْنَاهُمْ أَجْدَةً رَّابِيَةً ﴿١١﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١٢﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكُرَةً وَنَجْعَلَا أَذُنَوعَهُمْ ﴿١٣﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٤﴾ وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَذُكُّوا ذِكْرًا وَاحِدَةً ﴿١٥﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٦﴾ وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكُتِبَ عَلَيْهَا الْأُمُورُ ﴿١٧﴾ وَالْمَلَائِكَةُ عَلَى أَرْجَائِهِمَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴿١٨﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٩﴾ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْدَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ بَلْ تَنَنِي لَرَأُوتَ كَيْدِيَّةً ﴿٢٠﴾ وَلَرَأُوتَ مَا جَسَدِيَّةً ﴿٢١﴾ يَلِيلَتِي مَا كُنْتُ أَلْقَاسِيَّةً ﴿٢٢﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿٢٣﴾ هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٤﴾ وَلَا يَحْصُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ﴿٢٥﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٢٦﴾

والنقل<sup>(٤)</sup>، ومنهم<sup>(٥)</sup> من حذفها وصلاً.

[٣٠] ﴿خُذْرُهُ﴾ خطاب لخرنة جهنم ﴿فَعَلُّوهُ﴾ اجتمعوا يديه إلى عنقه في الغُل.

[٣١] ﴿قُرُ الْمَجِيمِ﴾ النار المحرقة ﴿سَلُّوهُ﴾ أدخلوه.

[٣٢] ﴿قُرُ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ بذراع الضلَّك ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ أدخلوه فيها بعد إدخاله النار، ولم تمنع الفاء من تعلق الفعل بالظرف المتقدم.

[٣٣] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾.

[٣٤] ﴿وَلَا يَحْصُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾.

يَنْ أَحَدٍ هُوَ اسْمُ «مَا»، وَ«مِنْ» زَائِدَةٌ لِتَأْكِيدِ النِّفْيِ، وَ«مِنْكُمْ» حَالٌ مِنْ «أَحَدٍ»  
 «عَنْهُ حَاجِرِينَ» مَانِعِينَ، خَيْرُ «مَا»، وَجُمْعٌ، لِأَنَّ «أَحَدًا» فِي سِيَاقِ النِّفْيِ بِمَعْنَى  
 الْجُمْعِ، وَضَمِيرُ «عَنْهُ» لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ أَيُّ لَا مَانِعَ لَنَا عَنْهُ، مِنْ حَيْثُ الْعِقَابُ.  
 [٤٨] «وَإِنَّهُ» أَيُّ: الْقُرْآنُ «لَنَذْكُرَنَّ لِمَنْ تَقِيَنَّ». [٤٩] «وَإِنَّا لَنَعْلَمَنَّ أَنَّ  
 مِنْكُمْ» أَيُّهَا النَّاسُ «شُكَّائِينَ» بِالْقُرْآنِ، وَمُصَدِّقِينَ. [٥٠] «وَإِنَّهُ» أَيُّ:  
 الْقُرْآنُ «لَنَحْصِرَنَّ عَلَى الْكَافِرِينَ» إِذَا رَأَوْا ثَوَابَ الْمُصَدِّقِينَ، وَعِقَابَ الْمُكَذِّبِينَ بِهِ  
 «وَإِنَّهُ» أَيُّ: الْقُرْآنُ «لَنَحْقُقَنَّ الْيَقِينَ» أَيُّ: لِلْيَقِينِ الْحَقَّ. [٥١] «فَسَبِّحْ» نَزْهُ  
 «وَأَسْمِرْ» زَائِدَةٌ (٧) «رَبِّكَ الْعَظِيمِ» سُبْحَانَهُ.

### سُورَةُ الْمَعَارِجِ

[مكية، أربع وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] «سَأَلَ سَائِلٌ» دَعَا دَاعٍ «بِعَذَابٍ وَاقِعٍ».  
 [٢] «لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ» هُوَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ (٤)، قَالَ: «اللَّهُمَّ  
 إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ» الْآيَةُ (٥).  
 [٣] «مِنْ اللَّهِ» مُتَّصِلٌ بِوَقَائِعِ «ذِي الْمَعَارِجِ» مُصَاعِدِ الْمَلَائِكَةِ، وَهِيَ  
 السَّمَاوَاتُ.  
 [٤] «تَنْزِيلُ» بَالِئُ الْبَاءِ (٦) «الْمَلَكُ وَالرُّوحُ» جِبْرِيلُ «إِلَيْهِ» إِلَى  
 مَهْبِطِ أَمْرِهِ مِنَ السَّمَاءِ (٧) «فِي يَوْمٍ» مُتَّعِلٌ بِمَحْذُوفٍ؛ أَيُّ: يَقَعُ الْعَذَابُ بِهِمْ  
 فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ «كَأَنَّ يَوْمَهُمْ يَوْمَ يَوْمٍ» بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكَافِرِ، لَمَا يَلْقَى  
 فِيهِ مِنَ الشَّدَائِدِ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَكُونُ أَحْفَظَ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ يَصْلِيهَا فِي  
 الدُّنْيَا؛ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ (٨).  
 [٥] «فَاصْبِرْ» وَهَذَا قَبْلُ أَنْ يُؤْمَرَ بِالْقِتَالِ «صَبْرًا جَبِيلًا» أَيُّ: لَا جُرْعَ  
 فِيهِ.  
 [٦] «إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ» أَيُّ: الْعَذَابَ «بَعِيدًا» غَيْرَ وَاقِعٍ.  
 [٧] «وَرَنَّهُ قَرِيبًا» وَاقِعًا لَا مُحَالَةً.  
 [٨] «يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ» مُتَّعِلٌ بِمَحْذُوفٍ أَيُّ: يَقَعُ «كَالْنَهْلِ» كَذَابُ  
 الْفُضَّةِ.  
 [٩] «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ» كَالصُّوفِ؛ فِي الْخِفَةِ وَالطَّيْرِانِ بِالرَّيْحِ.  
 [١٠] «وَلَا يَسْئَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا» قُرْبُ قَرِيبِهِ؛ لِاشْتِغَالِ كُلِّ بِحَالِهِ.

وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَشِيلٍ (١) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٢) فَلَا أَمْسِرُ  
 بِمَا تُبْصِرُونَ (٣) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٤) إِنَّهُ وَلَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٥) وَمَا هُوَ  
 يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مِمَّا تُؤْمِنُونَ (٦) وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكُرُونَ  
 (٧) نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ (٩)  
 لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (١٠) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (١١) فَمَا مِنْكُمْ  
 مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِرِينَ (١٢) وَإِنَّهُ لَتَذِكْرٌ لِمَنْ تَقِيَنَّ (١٣) وَإِنَّا  
 لَنَعْلَمَنَّ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (١٤) وَإِنَّا وَلَحْصَرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ  
 (١٥) وَإِنَّا لَنَحْقُقَنَّ الْيَقِينَ (١٦) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (١٧)

### سُورَةُ الْمَعَارِجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢)  
 مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَنْزِيلُ الْمَلَكِ وَالرُّوحِ إِلَيْهِ  
 فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَبِيلًا  
 (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَرَنَّهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ  
 كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَلَا يَسْئَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا (١٠)

[٣٥] «فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ» قَرِيبٌ يَنْتَفِعُ بِهِ. [٣٦] «وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَشِيلٍ»  
 صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ أَوْ شَجَرُ فِيهَا. [٣٧] «لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ»  
 الْكَافِرُونَ. [٣٨] «فَلَا» «لَا» زَائِدَةٌ «أَقِيمُ» بِمَا تُبْصِرُونَ مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ.  
 [٣٩] «وَمَا لَا تُبْصِرُونَ» مِنْهَا؛ أَيُّ: بِكُلِّ مَخْلُوقٍ [٤٠] «إِنَّهُ» أَيُّ: الْقُرْآنُ  
 «لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ» أَيُّ: قَالَهُ رَسُولُهُ عَنْ اللَّهِ - تَعَالَى - [٤١] «وَمَا هُوَ يَقُولُ»  
 شَاعِرٌ قَلِيلًا مِمَّا تُؤْمِنُونَ. [٤٢] «وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكُرُونَ» بَالِئُ  
 الْبَاءِ (٦) فِي الْفَعْلَيْنِ، وَ«مَا» مُزِيدَةٌ مُؤَكِّدَةٌ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ آمَنُوا بِأَشْيَاءَ يَسِيرَةٍ  
 وَتَدَّكُرُوهَا، مِمَّا أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، مِنَ الْخَيْرِ وَالصَّلَةِ وَالْعَقَابِ فَلَمْ تَغْنِ عَنْهُمْ  
 شَيْئًا. [٤٣] «بَرَّ هُوَ» نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. [٤٤] «وَلَوْ تَقَوَّلَ» أَيُّ: النَّبِيُّ  
 «عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ» بَانَ قَالَ عَنَا مَا لَمْ نَقْلَهُ. [٤٥] «لَأَخَذْنَا» لِيلْنَا  
 «مِنْهُ» عِقَابًا «بِالْيَمِينِ» بِالْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ (٧). [٤٦] «ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ»  
 نَبَاطُ الْقَلْبِ، وَهُوَ عِرْقٌ مُتَّصِلٌ بِهِ، إِذَا انْقَطَعَ مَاتَ صَاحِبُهُ. [٤٧] «فَمَا مِنْكُمْ

(١) بَالِئُ الْقِرَاعَةِ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامَرٍ فِي الْفَعْلَيْنِ: «يُؤْمِنُونَ»، وَ«يَتَذَكَّرُونَ».

(٢) تَفْسِيرُ الْيَمِينِ بِالْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ خِلَافَ ظَاهِرِ اللَّفْظِ وَعَدُولٌ بِهِ عَنْهُ، وَلَوْ قَالَ: لَأَنَّهُ أَشَدُّ فِي الْبَطْشِ، أَوْ أَقْوَى، لَكَانَ أَوْضَحَ وَأَظْهَرَ، مَعَ مَا فِيهَا مِنْ إِثْبَاتِ صِفَةِ الْيَمِينِ لِلَّهِ ﷻ عَلَى الْوَجْهِ اللَّاتِي بِهِ، وَكَلَّمَا يَدِيهِ سُبْحَانَهُ يَمِينَ. كَمَا عِنْدَ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ (١٨٢٧) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ.

(٣) أَيُّ: الْبَاءُ، كَمَا تَقَدَّمَ، وَلَيْسَ لَفْظُهُ «اسْمٌ».

(٤) قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ» كَمَا عِنْدَ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ (١٨٢٧) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ.

(٥) قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ» كَمَا عِنْدَ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ (١٨٢٧) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ.

(٦) بَالِئُ الْقِرَاعَةِ الْكَسَائِي.

(٧) وَهَذَا مِنْ تَأْوِيلِ الْمُعْطَلَةِ الَّتِي يَنْفُونَ عَنْهُ عَلَى اللَّهِ - شُبْحَانَهُ - بِذَاتِهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَفِي الْآيَةِ إِثْبَاتُ عُرُوجِ الْمَلَائِكَةِ إِلَى اللَّهِ - شُبْحَانَهُ -

(٨) حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عِنْدَ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ، وَضَعْفُهُ الْأَلْفَانِي، وَانْظُرِ التَّعْلِيلَ عَلَى الْآيَةِ رَقْمَ (٥) مِنْ سُورَةِ السَّجْدَةِ.

[١١] ﴿يُصْرَوْنَ لَهُمْ﴾ أي: يبصر الأجناء بعضهم بعضاً، ويتعارفون ولا يتكلمون، والجملة مستأنفة ﴿يُؤَذِّنُ الْمَكْرُ﴾ بمعنى الكافر ﴿لَوْ﴾ بمعنى «أن» ﴿يَقْتَدِي بَيْنَ عَذَابٍ يُؤَمِّدُ﴾ بكسر الميم وفتحها<sup>(١)</sup> ﴿يَنْبِيهِ﴾.

[١٢] ﴿وَصَحْبِيَّتِهِ﴾ زوجته ﴿وَأَلِيَّتِهِ﴾.

[١٣] ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ عشيرته؛ لفصله منها ﴿أَلَى تَوْبَةٍ﴾ تضمه.

[١٤] ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ ذلك الافتداء، عطف على «يفندي».

[١٥] ﴿كَلَّا﴾ ردٌّ لما يؤذنه ﴿إِنَّمَا﴾ أي: النار ﴿لَطْفِي﴾ اسم لجهنم؛ لأنها تنلطي؛ أي: تتهلب على الكفار.

[١٦] ﴿نَزَاعَةُ لِلشَّيْءِ﴾ جمع «شواة»، وهي جلدة الرأس.

[١٧] ﴿تَقْوَا مَنْ أَدْرَكَ وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان؛ بأن تقول: إليّ إليّ.

[١٨] ﴿وَجَمَعَ﴾ المال ﴿فَأَرْعَى﴾ أمسكه في وعائه، ولم يؤد حق الله منه.

[١٩] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ حال مقدره، وتفسيره:

[٢٠] ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ وقت مَسَّ الشرِّ.

[٢١] ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ وقت مَسَّ الخير؛ أي: المال، لحق الله منه.

[٢٢] ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ أي: المؤمنين.

[٢٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ مواظبون.

[٢٤] ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ هو الزكاة.

[٢٥] ﴿لِسَائِلِ اللَّعْرُومِ﴾ المتعفف عن السؤال؛ فيحرم.

[٢٦] ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ﴾ الجزاء.

[٢٧] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ عَذَابٍ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ خائفون.

[٢٨] ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ نزوله.

[٢٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِعُرْجِهِمْ حَافِظُونَ﴾.

[٣٠] ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَرْجُلِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ من الإماء ﴿فَلَا تَنْهَىٰ عَنْهُمُ﴾.

[٣١] ﴿وَمَنْ أَتَّبَعَنِي وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ المتجاوزون الحلال إلى الحرام.

[٣٢] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لَا يُخَالِفُونَهُمْ﴾ وفي قراءة<sup>(٢)</sup> بالإفراد؛ ما اتفقوا عليه من أمر الدين والدنيا ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ المأخوذ عليهم في ذلك ﴿رَعُونَ﴾ حافظون.

[٣٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ﴾<sup>(٣)</sup> وفي قراءة بالجمع ﴿قَائِمُونَ﴾ يقيمونها ولا يكتمونها.

[٣٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ بأدائها في أوقاتها.

[٣٥] ﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّةٍ مُّكْرَمُونَ﴾.

يُصْرَوْنَ لَهُمْ يُؤَذِّنُ الْمَكْرُ لَوْ يَقْتَدِي بَيْنَ عَذَابٍ يُؤَمِّدُ يَنْبِيهِ

وَصَحْبِيَّتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ أَلَى تَوْبَةٍ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا

ثُمَّ يُنْجِيهِ كَلَّا إِنَّهَا لَطْفِي نَزَاعَةُ لِلشَّيْءِ تَدْعُو مَنْ أَدْرَكَ

وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَرْعَى إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ

جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ

عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلسَّائِلِ

وَالْمَحْرُومِ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ عَذَابِ

رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ وَالَّذِينَ هُمْ

لِعُرْجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَرْجُلِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ

فَلَا تَنْهَىٰ عَنْهُمُ فَمَنْ أَتَّبَعَنِي وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ

وَالَّذِينَ هُمْ لَا يُخَالِفُونَهُمْ وَعَهْدِهِمْ رَعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّةٍ مُّكْرَمُونَ

فَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ

عَزِينَ يُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةً نَّعِيمًا كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ

مِمَّا يَعْمَلُونَ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ

[٣٦] ﴿فَالَّذِينَ هُمْ لَا يُخَالِفُونَهُمْ﴾ نحوك ﴿مُطِيعِينَ﴾ حال؛ أي: مديني النظر.

[٣٧] ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ منك ﴿عَزِينَ﴾ حال - أيضاً؛ أي: جماعات خلقاً خلقاً، يقولون استهزاء بالمؤمنين: لمن دخل هؤلاء الجنة لندخلها قبلهم.

[٣٨] قال - تعالى: - ﴿يُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةً نَّعِيمًا﴾.

[٣٩] ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن طمعهم في الجنة ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾ كغيرهم ﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ من نطف، فلا يُطْمَعُ بذلك في الجنة، وإنما يُطْمَعُ فيها بالتقوى.

(١) بالفتح قراءة نافع والكسائي.

(٢) لاين كثير.

(٣) وهي قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالجمع: ﴿بشهاداتهم﴾.

## سُورَةُ نُوحٍ

[مكية، ثمان، أو: تسع وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْهُمْ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة.
- [٢] ﴿قَالَ يَفْقَهُوا إِنِّي لَكُم دَائِرٌ مِّمَّنْ﴾ بين الإنذار.
- [٣] ﴿أَنْ﴾ أي: بأن أقول لكم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ﴾.
- [٤] ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ «من» زائدة، فإن الإسلام يغفر به ما قبله، أو: تبعيضية؛ لإخراج حقوق العباد ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ بلا عذاب ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أجل الموت ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ بعدابكم إن لم تؤمنوا ﴿إِذَا جَاءَ لَا يُوَخِّرُونَ﴾ لا يؤخر أو: كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ذلك لآمتنم.
- [٥] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ أي: دائماً متصلاً.
- [٦] ﴿فَلَمْ يَرْزُقْهُمْ دُعَاؤِي إِلَّا فِرَارًا﴾ عن الإيمان.
- [٧] ﴿وَإِنِّي كُنْتُ مَدْعُوهُمْ لِيُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغَعُمْ﴾ «أَصْغَعُمْ» لئلا يسمعوا كلامي ﴿وَأَسْتَغْشُوا بِآبَائِهِمْ﴾ غطوا رؤوسهم بها؛ لئلا ينظروني ﴿وَأَصْرُوا﴾ على كفرهم ﴿وَأَسْتَكَبرُوا﴾ تكبروا عن الإيمان ﴿أَسْتَكَبرَا﴾.
- [٨] ﴿فَدَعَا إِلَىٰ دَعْوَتِهِمْ جَهَارًا﴾ أي: بأعلى صوتي.
- [٩] ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾ صوتي ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾.
- [١٠] ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا ذُنُوبَكُمْ﴾ من الشرك ﴿إِنَّهُ كَانَ عَفَّارًا﴾.

## سُورَةُ نُوحٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُ إِنِّي لَكُم دَائِرٌ مِّمَّنْ ﴿٢﴾ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاؤِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُنْتُ مَدْعُوهُمْ لِيُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغَعُمْ فِي أَعَانِهِمْ وَأَسْتَغْشُوا بِآبَائِهِمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكَبرُوا اسْتَكَبرَا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا ذُنُوبَكُمْ إِنَّهُ كَانَ عَفَّارًا ﴿١٠﴾

[٤٠] ﴿فَلَا﴾ «لا» زائدة ﴿أَقِيمْ رَبِّكَ الْغَرْبِ وَالْمَغْرِبِ﴾ للشمس والقمر وسائر الكواكب ﴿إِنَّا لَقَدْرَدُونَ﴾.

[٤١] ﴿عَلَىٰ أَنْ يُبَدِّلَ﴾ تأتي بدلهم ﴿غَيْرًا نَحْنُ يَسْتَبِقُونَ﴾ عاجزين عن ذلك.

[٤٢] ﴿فَدَرَّهُمْ﴾ أتركهم ﴿يَخْضَعُونَ﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْمَعُونَ﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا﴾ يلقوا ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فيه العذاب.

[٤٣] ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿يَرَكَنًا﴾ إلى المحشر ﴿كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نَصَبٍ﴾<sup>(١)</sup> وفي قراءة بضم الحرفين؛ شيء منصوب؛ كعلم أو راية ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ يسرعون.

[٤٤] ﴿خَشِيعَةً﴾ ذليلة ﴿أَبْصَرُ رَهَقَهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذَلِكَ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ «ذلك» مبتدأ، وما بعدها الخبر، ومعناه: يوم القيامة.

\*\*\*

(١) وهي قراءة السبعة عدا حفص وابن عامر، وقرأ حفص وابن عامر: ﴿نَصَبٍ﴾ بضم النون والصاد.

(٢) في نسخة القاضي: «يصرون».

[١١] ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ وكانوا قد مُنِغَوْهُ ﴿عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ كثير الدور.

[١٢] ﴿وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِغِلُ لَكُمْ جَنَّتٍ﴾ بساتين ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ جارية.

[١٣] ﴿هَٰذَا لَكُمْ لَا تُجُونَ اللَّهَ وَقَارًا﴾ أي: تأمبون وقار الله إياكم بأن تؤموا؟!.

[١٤] ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا﴾ جمع طَوْر، وهو الحال، فَطَوْرًا: نطفة، وطَوْرًا: علقه، إلى تمام خلق الإنسان، والنظر في خلقه يوجب الإيمان بخالقه.

[١٥] ﴿وَالَّذِينَ تَرَوَاهُمْ﴾ تنظروا ﴿كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض؟.

[١٦] ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ﴾ أي: في مجموعهن؛ الصادق بالسماء الدنيا ﴿نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ مصباحًا مضيئًا، وهو أقوى من نور القمر.

[١٧] ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ﴾ خلقكم ﴿مِّنَ الْأَرْضِ﴾ إذ خلق أبائكم آدم منها ﴿تِبَاقًا﴾.

[١٨] ﴿ثُمَّ يُبْعِدُكُمُ فِيهَا﴾ مقبورين ﴿وَيُغْرِضُكُمْ﴾ للبعث ﴿إِخْرَاجًا﴾.

[١٩] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ مبسطة.

[٢٠] ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا﴾ طرقًا ﴿فِي جَبَالٍ﴾ واسعة.

[٢١] ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا﴾ أي: السفلة والفقراء ﴿مَنْ لَّدِيَّ زُرَّةٌ مَّالُهُ﴾ (وَوَلَدُهُ<sup>(١)</sup>) وهم الرؤساء، المتعم عليهم بذلك، و«ولد» بضم الواو وسكون اللام وبفتحهما، والأول، قيل: جمع «ولد» بفتحهما ك«خشب»، و«خشب»، وقيل: بمعناه ك«بخل»، و«بخل» ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ طغيانًا وكفرا.

[٢٢] ﴿وَمَكَرُوا﴾ أي: الرؤساء ﴿مَكْرًا كَبِيرًا﴾ عظيمًا جدًّا، بأن كذبوا نوحًا وأذوه ومن اتبعه.

[٢٣] ﴿وَقَالُوا﴾ للسفلة: ﴿لَا تَدْرُنَّ الْهَيْكَلَ﴾ وَلَا تَدْرُنَّ وَدًّا ﴿بِفَتْحِ الْوَاوِ وَضْمِهَا<sup>(٢)</sup>﴾ وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ هي أسماء أصنامهم.

[٢٤] ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾ بها ﴿كِبِيرًا﴾ من الناس، بأن أمرهم بعبادتهم ﴿وَلَا تَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ عطفًا على «قد أضلوا» دعا عليهم لما أوحى إليه: ﴿أَنْتُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا مِنْ قَوْمِكِ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ<sup>(٣)</sup>﴾.

[٢٥] ﴿مِمَّا﴾ «ما» صلة ﴿[خَطَايَاهُمْ]<sup>(٤)</sup>﴾ وفي قراءة: ﴿خَطِيئَتِهِمْ﴾ بالهمز ﴿أَغْرَقُوا﴾ بالطوفان ﴿فَأَدْخَلُوا نَارًا﴾ عوقبوا بها عقب الإغراق تحت الماء<sup>(٥)</sup>.

﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ﴾ أي: غير ﴿اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ يمتنعون عنهم العذاب. [٢٦] ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا﴾ أي: نازل دار،

يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِغِلُ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ مَا لَكُمْ لَا تُجُونَ اللَّهَ وَقَارًا ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا﴾ الْتَرَوَاهُمْ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ تِبَاقًا ﴿ثُمَّ يُبْعِدُكُمْ فِيهَا وَيُغْرِضُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَالًا﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مَنْ لَّدِيَّ زُرَّةٌ مَّالُهُ وَوَلَدُهُ وَلَا خَسَارًا ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ كِبَارًا﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرْنِي الْهَيْكَلُ وَلَا تَذَرْنِي وَدًّا وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كِبِيرًا وَلَا تَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أَعْرَفُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْنِي بَصُلًا عَبْدًا وَلَا يَصِلُوا إِلَّا فَاكِرًا ﴿كَفَارًا﴾ رَبِّ أَعْقِبْنِي وَلَوْلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا

والمعنى: أحذرا.

[٢٧] ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْنِي بَصُلًا عَبْدًا وَلَا يَصِلُوا إِلَّا فَاكِرًا﴾ كَفَارًا من يفجر ويكفر، قال ذلك لما تقدم من الإيعاء إليه.

[٢٨] ﴿رَبِّ أَعْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي﴾ وكانا مؤمنين ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي﴾ منزلي، أو: مسجدي ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ إلى يوم القيامة ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ هلاكًا، فأهلكوا.

\*\*\*

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة: ﴿وَلَدُهُ﴾ بفتح الواو واللام.

(٢) بالضم قراءة نافع.

(٣) هود: ٣٦.

(٤) وهي قراءة أبي عمرو. وقرأ بقية السبعة: ﴿خَطِيئَتِهِمْ﴾ بالهمز.

(٥) أي في الدنيا؛ وهذا قول الضحاك؛ وذلك أنهم كانوا يغرقون من جانب، ويحترقون في الماء من الجانب. وقال ابن السائب: سيدخلون في الآخرة نازًا؛ فجاء لفظ الماضي بمعنى الاستقبال؛ لأن الوعد حق. وهذا قول الأكثرين. وقال آخرون: هي نار البرزخ، والمراد: عذاب القبر.

## سُورَةُ الْجِنِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِك بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝  
وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝ وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ  
وَالْجِنَّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ  
مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ  
اللَّهُ أَحَدًا ۝ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَنَظَرْنَا مُنْجِبِينَ فَجَدْنَاهَا مِثْلَ تَحَرِّسَاتِ  
شَدِيدَةٍ وَشُهَبَاتٍ ۝ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَمَن  
يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ۝ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ  
بِنَا فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ  
وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كَمَا طَرَفَ الْإِنسُ ۝ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُعْجِزَ  
اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ۝ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمُهْدَى  
ءَامَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَحْزَنُ ۝

## سُورَةُ الْجِنِّ

[مكية، ثمان وعشرون آية]\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ﴾ يا محمد للناس: ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أي: أنخبرت بالوحي من الله - تعالى - ﴿أَنَّهُ﴾ الضمير للشأن ﴿اسْتَمَعَ﴾ لقراءتي ﴿نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ جن نصيبين، وذلك في صلاة الصبح بطن نخل<sup>(١)</sup> (موضع بين مكة والطائف)،

وهم الذين ذكروا في قوله - تعالى -: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> ﴿فَقَالُوا﴾ لقومهم لما رجعوا إليهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ يتعجب منه؛ في فصاحته وغزارة معانيه، وغير ذلك.

[٢] ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ الإيمان والصواب ﴿فَآمَنَّا بِهِ﴾ وقامنا يؤيِّدُ وَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ بعد اليوم ﴿بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾.

[٣] ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ الضمير للشأن، فيه وفي الموضعين بعده ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ تنزهه جلالة وعظمته، عما نسب إليه ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً﴾ زوجة ﴿وَلَا وَلَدًا﴾.

[٤] ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهًا﴾ جاهلنا ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ غلوا في الكذب؛ بوصفه بالصاحبة والولد.

[٥] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنَّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بوصفه بذلك، حتى تبينا كذبهم بذلك.

[٦] قال - تعالى -: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يُؤْذُونَ﴾ يستعبدون ﴿بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ حين ينزلون في سفرهم بمخوف، فيقول كل رجل: أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ بعدوهم بهم ﴿رَهَقًا﴾ فقالوا: شذنا الجن والإنس.

[٧] ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: الجن ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ يا إنس ﴿وَأَن﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: أنه ﴿لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ بعد موته.

[٨] قال الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ رُفْنَا استراق السمع ﴿فَوَجَدْنَاهَا مِثْلَ تَحَرِّسَاتٍ﴾ من الملائكة ﴿شَدِيدًا وَشُهَبَاتٍ﴾ نجومًا مخرقة، وذلك لما بعث النبي ﷺ.

[٩] ﴿وَأَنَّا كُنَّا﴾ أي: قبل بعثته ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ﴾ أي: نستسمع ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ أُرْصِدْ له ليرى به.

[١٠] ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾ بعد استراق السمع ﴿بِنَا فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ خيرًا.

[١١] ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ بعد استماع القرآن ﴿وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: قوم غير صالحين ﴿كَمَا طَرَفَ الْإِنسُ﴾ فرقًا مختلفين؛ مسلمين وكافرين.

[١٢] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُّعْجِزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ لا نفوته كائنين في الأرض، أو: هارين منها في السماء.

[١٣] ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمُهْدَى﴾ القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾ فَمَنْ يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَحْزَنُ؛ بتقدير: ﴿هو﴾ بعد الفاء ﴿بِحَسَا﴾ نقصًا من حسناته ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ ظلمًا؛ بالزيادة في سيئاته.

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرجه البخاري عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حين بين الشياطين وخبر السماء وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين فقالوا: ما بكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب. قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاريبها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث، فانطلقوا فاضربوا مشارق الأرض ومغاريبها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء. قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن سمعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنًا عجبت يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً، وأنزل الله ﷻ على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ وإنما أوحى إليه قول الجن. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ (٧٢) باب (١).

(١) الصواب: «بطن نخلة» كما تقدم في تفسير سورة الأحقاف الآية (٢٩)، و«بطن نخلة»: موضع بين مكة والطائف. أما «بطن نخل»: فهو موضع في نجد على بعد ليشتين من المدينة.

(٢) الأحقاف: ٢٩.

[١٤] ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ قصدوا هداية.

[١٥] ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَأَنَّهُمْ يَهْتَمُّونَ بِحُطْبَاتِ﴾ وقودا، وأَنَّهُمْ ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ والله في اثني عشر موضعا؛ هي: ﴿وَأَنَّهُمْ عَنَّا﴾ ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾ وما بينهما، بكسر الهمزة: استنفا، وبفتحها<sup>(١)</sup> بما يوجه به.

[١٦] قال - تعالى - في كفر مكة: ﴿وَأَنَّهُمْ لَمُخْفِفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ﴾ وإسمها محذوف؛ أي: وأنهم، وهو معطوف على «أنه استمع» ﴿لَوْ اسْتَقْبَلُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ أي: طريقة الإسلام ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً عَذَقًا﴾ كثيرا من السماء، وذلك بعد ما رفع المطر عنهم سبع سنين.

[١٧] ﴿لَنُنْفِثَنَّ﴾ لنختبرهم ﴿فِيهِ﴾ فنعلم كيف شكرهم، علم ظهور ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ القرآن ﴿نَسْلُكُهُ﴾ بالنون والياء<sup>(٢)</sup>؛ ندخله ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ شاقا.

[١٨] ﴿وَأَنَّا لَمَسْجِدٌ﴾ مواضع الصلاة ﴿فَلَا تَدْعُو﴾ فيها ﴿مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ بأن تشركوا، كما كانت اليهود والنصارى، إذا دخلوا كنائسهم وبمعهم أشركوا.

[١٩] ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ بالفتح، والكسر<sup>(٣)</sup> استنفا، والضمير للشأن ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ محمد النبي ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾ يعبد به بطن نخل<sup>(٤)</sup> ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ أي: الجن المستمعون لقراءته ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ بكسر اللام وضمها<sup>(٥)</sup>؛ جمع لبدة؛ كاللبد في ركوب بعضهم بعضا ازدحامًا، حرصا على سماع القرآن.

[٢٠] ﴿إِنَّا﴾<sup>(٦)</sup> مجيبا للكفار في قولهم: ارجع عما أنت فيه، وفي قراءة: ﴿قُلْ﴾: ﴿إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾ إلها ﴿وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾.

[٢١] ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ صَرًّا﴾ غيا ﴿وَلَا رَشَدًا﴾ خيرا.

[٢٢] ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه إن عصيته ﴿أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿مُلْتَصِدًا﴾ ملتجئا.

[٢٣] ﴿وَلَا بُلْغًا﴾ استثناء من مفعول «أملك»؛ أي: لا أملك لكم إلا البلاغ إليكم ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أي: عنه ﴿وَرَسُولِي﴾ عطف على «بلاغ»، وما بين المستثنى منه والاستثناء اعتراض؛ لتأكيد نفي الاستطاعة ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في التوحيد، فلم يؤمن ﴿وَإِنْ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ﴾ حال من ضمير «من» في: «له»؛ رعاية لمنها، وهي حال مقدرة، والمعنى: يدخلونها مُقَدَّرًا خلودهم ﴿فِيهَا أَبَدًا﴾.

[٢٤] ﴿حَقًّا﴾ إذا رَأَوْا فيها معنى الغاية لمقدَّر قبلها؛ أي: لا يزالون على كفرهم، إلى أن يروا ﴿مَّا يُوعَدُونَ﴾ به من العذاب ﴿فَنَسْتَعْلَمُونَ﴾ عند حلوله بهم يوم بدر، أو: يوم القيامة ﴿مَن أضعف ناصرا وأقل عددا﴾ أعوانا، أهم أم المؤمنون؟ على القول الأول، أو: أنا أم هم؟ على الثاني.

[٢٥] فقال بعضهم: متى هذا الوعد؟ فنزل: ﴿قُلْ إِنِّي﴾ أي: ما أدرى ﴿أَقْرَبُ مَّا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَّهٗ رَبِّي أَمَدًا﴾ غاية وأجلا لا

(١) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٢) بالنون قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) بالكسر قراءة نافع وشعبة.

(٤) الصواب: «شُحْلَةٌ» كما تقدم.

(٥) بالضم قراءة هشام بخلاف عنه.

(٦) وهي قراءة السبعة عدا حمزة وعاصم، وقرأ حمزة وعاصم: ﴿قُلْ﴾.

(٧) كذا بالأصل، والمناسبات حذف «به».

يعلمه إلا هو؟

[٢٦] ﴿عَلَّمَ الْغَيْبَ﴾ ما غاب به<sup>(٧)</sup> عن العباد ﴿فَلَا يَظْهَرُ﴾ يطلع ﴿عَلَّ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ من الناس.

[٢٧] ﴿إِلَّا مَن أَرْزَقْنِ مِن رَّسُولِي فَإِنَّهُ﴾ مع اطلاعه على ما شاء منه معجزة له ﴿يَسْلُكُ﴾ يجعل ويسير ﴿مِّن بَيْن يَدَيْهِ﴾ أي: الرسول ﴿وَمِن خَلْفِهِ﴾ رصدا ﴿مَلَائِكَةٌ يَحْفَظُونَهُ﴾ حتى يبلغه في جملة الوحي.

[٢٨] ﴿يَعْلَمُ﴾ الله علم ظهور ﴿أَنَّهُ﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: أنه ﴿قَدْ أَبْلَغُوا﴾ أي: الرسل ﴿وَسَلَّاتِ رَبِّهِمْ﴾ روعي بجمع الضمير معنى «من» ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عطف على مقدر؛ أي: فعلم ذلك ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ تمييز، وهو محمول عن المفعول، والأصل: أحصى عدد كل شيء.

\*\*\*

التكاليف.

[٦] ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ القيام بعد النوم ﴿هِيَ أَسَدٌ﴾ [وَطَاءٌ] <sup>(١)</sup> موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أبين قولاً.

[٧] ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا شَوَكًا﴾ تصرفاً في أشغالك لا تنفرغ فيه لتلاوة القرآن.

[٨] ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: قل: بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء قراءتك <sup>(٢)</sup> ﴿وَتَبَتَّلْ﴾ انقطع ﴿إِلَيْهِ تَبَيَّلًا﴾ مصدر «تبَّلت»، جيء به رعاية للفاصل، وهو ملزوم التبتل.

[٩] هو ﴿رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ موكلًا له أمورك.

[١٠] ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أي: كفار مكة، من أذاهم ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَبِيلًا﴾ لا جرح فيه، وهذا قبل الأمر بقتالهم.

[١١] ﴿وَذَرْنِي﴾ اتركني ﴿وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ عطف على المفعول، أو: مفعول معه، والمعنى: أنا كافيتهم، وهم صناديد قريش ﴿أُولَى النَّعْمَةِ﴾ التمتع ﴿وَمَهْلِكُ قِيلًا﴾ من الزمن؛ فقتلوا بعد يسير منه بيد.

[١٢] ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾ قيودًا ثقلاً؛ جمع «نكل» بكسر النون ﴿وَجَحِيمًا﴾ نارًا محرقة.

[١٣] ﴿وَكَلِمًا نَا غُصَّةً﴾ يُعَصُّ به في الخلق، وهو: الرُّقْم، أو: الضَّرِيع، أو: الغسيل، أو: شوك من نار لا يخرج ولا ينزل ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً، زيادة على ما ذكر لمن كذب النبي ﷺ.

[١٤] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ تزلزل ﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا﴾ رملاً مجتمعاً ﴿مُهَيَّيًّا﴾ سائلاً بعد اجتماعه، وهو من: هال يهيل، وأصله: تهَيُّول؛ استقبلت الضمة على الياء فقلت إلى الهاء، وحذفت الواو ثاني الساكنين لزيادتها، وقلت الضمة كسرة لمجانسة الياء.

[١٥] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا أهل مكة ﴿رَسُولًا﴾ هو محمد ﷺ ﴿شَاهِدًا عَلَيْكَ﴾ يوم القيامة، بما يصدر منكم من العصيان ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ هو موسى - عليه الصلاة والسلام -.

[١٦] ﴿فَقَصَّ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذَنَّهُ أَخْذًا رَهِيبًا﴾.

[١٧] ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿يَوْمًا﴾ مفعول «تتقون»؛ أي: عذابه؛ أي: بأي حصن تحصنون من عذاب يوم ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ جمع أشيب؛ لشدة هوله، وهو يوم القيامة، والأصل في شين «شيبًا» الضم، وكسرت لمجانسة الياء، ويقال في اليوم الشديد: يوم يُشَيِّبُ نواصي الأطفال، وهو مجاز، ويجوز أن يكون المراد في الآية الحقيقة.

[١٨] ﴿النَّسَمَاءُ مُنْقَطِرَةٌ﴾ ذات انقطاع؛ أي: انشقاق ﴿بِوَاءٍ﴾ بذلك اليرم لشدة ﴿كَانَ وَعْدُهُ﴾ - تعالى - مجيء ذلك ﴿مَفْعُولًا﴾ أي: هو كائن لا محالة.

[١٩] ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ الآيات الخوفية ﴿تَذَكُّرٌ﴾ عظة للخلق ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالآيمان والطاعة.

## سُورَةُ الْمُرْجَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُرْجِلُ ﴿١﴾ فَرِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نَضْفُهُ، أَوْ أَنْفَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَبُّنَا الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْرَبُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا شَوَكًا ﴿٧﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبَيَّلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَبِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهْلِكُ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذُعَصَةً وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيًّا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَقصَّ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذَنَّهُ أَخْذًا رَهِيبًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا ﴿١٧﴾ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٨﴾ النَّسَمَاءُ مُنْقَطِرَةٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٩﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٠﴾

## سُورَةُ الْمُرْجَاتِ

[مكية: أو: إلا قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ...﴾ إلى آخرها؛ فمدني، تسع عشرة، أو: عشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْجِلُ﴾ النبي، وأصله: «المرزمل»، أدغمت التاء في الزاي؛ أي: المتلطف بشباه حين مجيء الوحي له؛ خوفاً منه لهيبته.

[٢] ﴿فَرِ اللَّيْلِ﴾ صل ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[٣] ﴿نَضْفُهُ﴾ بدل من «قليلًا»، وقتته بالنظر إلى الكل ﴿أَوْ أَنْفَضَ مِنْهُ﴾ من النصف ﴿قَلِيلًا﴾ إلى الثلث.

[٤] ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ إلى الثالث، وأو: لتخير ﴿وَرَبُّنَا الْقُرْآنَ﴾ ثبت في تلاوته ﴿تَرْتِيلًا﴾.

[٥] ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا﴾ قرآنًا ﴿ثَقِيلًا﴾ مهيبًا، أو: شديداً؛ لما فيه من

(١) هذه قراءة أبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: (ووطئ) يفتح الواو وسكون الطاء؛ أي أثبت قراءة وقائماً.

(٢) ذكر اسم الرب في الآية أعم من قصره على ذكر البسملة في ابتداء القراءة، وإنما المعنى: دم على ذكره تعالى ليلاً ونهاراً، بالتوحيد والتعظيم، على أي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن وغير ذلك.



[٢٠] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ أَقْلٍ ﴿١﴾ مِنْ ثُلَاثِي اللَّيْلِ وَيُبْضِيهِ وَثُبْتُ﴾ بالجر عطف على «ثلاثي»، والنصب<sup>(١)</sup> على «أدنى»، وقامه كذلك، نحو ما أُمِر به أول السورة ﴿وَمَا ظَنُّكَ مِنَ الَّذِينَ مَكَكَ﴾ عطف على ضمير: «تقوم»، وجاز من غير تأكيد للفصل، وقام طائفة من أصحابه كذلك، للتأسي به، ومنهم من كان لا يدرى كم صلى من الليل، وكـم بقي منه؛ فكان يقوم الليل كله احتياطاً، فقاموا حتى انتفخت أقدامهم سنة أو أكثر؛ فخفف عنهم قال - تعالى -: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ﴾ يحصي ﴿الْأَيْلَ وَالنَّهَارَ عِلْمَ أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿أَنَّ ثُغْوَهُ﴾ أي: الليل؛ لتقوموا فيما يجب القيام فيه، إلا بقيام جميعه، وذلك يشق عليكم ﴿فَقَابَ عَلَيْكُمْ﴾ رجع بكم إلى التخفيف ﴿فَقَرُّوا مَا بَشَّرَ مِنَ الْفَرَارِ﴾ في الصلاة، بأن تصلوا ما تبسر ﴿عَلِمَ أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: أنه ﴿سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْجُوٌّ﴾ و«آخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ» يسافرون ﴿يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ يطلبون من رزقه؛ بالتجارة وغيرها ﴿وَهُوَ الْخَيْرُ بِمَا بَشَّرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وكل من الفرق الثلاثة يشق عليهم ما ذكر في قيام الليل، فخفف عنهم بقيام ما تبسر منه، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس<sup>(٢)</sup> ﴿فَقَرُّوا مَا تَبْتَغُونَ مِنْهُ﴾ كما تقدم ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ المفروضة ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ﴾ بأن تنفقوا ما سوى المفروض من المال في سبيل الخير ﴿قَرِضًا فَحَسَنًا﴾ عن طيب قلب ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ﴾ مما خلفتم، وهو «فصل»، وما بعده<sup>(٣)</sup> وإن لم يكن معرفة؛ يشبهها؛ لامتناعه من التعريف ﴿وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

## سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ

[مكية، خمس<sup>(٤)</sup> وخمسون آية]\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ النبي ﷺ، وأصله المدثر، أدغمت لئلا في الباء، أي: المتلف بشيابه، عند نزول الوحي عليه. [٢] ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ خوف أهل مكة النار، إن لم يؤموا. [٣] ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ عظم عن إشراك المشركين. [٤] ﴿وَرَبَّكَ فَطَهِّرْ﴾ عن النجاسة، أو قصرها خلاف جر العرب ثيابهم بخلاء؛ فرما أصابها نجاسة. [٥] ﴿وَالزَّيِّغُ﴾ فسر النبي ﷺ بالأوثان<sup>(٥)</sup>. ﴿فَاهْجُرْ﴾ أي: دم على هجره. [٦] ﴿وَلَا تَسْأَلْ سُبْحَةَكَ﴾ بالرفع حال؛ أي: لا تعط شيئاً لتطلب أكثر منه، وهذا خاص به ﷺ؛ لأنه مأمور بأحمل الأخلاق وأشرف الآداب. [٧] ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ على الأوامر ولنوحي. [٨] ﴿فَإِذَا يُقِرْ فِي الْتَوَارِ﴾ نفع في الصور، وهو: القرن، النسخة الثانية. [٩] ﴿فَذَلِكِ﴾ أي:

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: «فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرففت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فذرني، فأقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ إلى قوله: ﴿وَالزَّيِّغُ فَاهْجُرْ﴾ قبل أن تفرض الصلاة. وهي الأوثان البخاري - كتاب بدء الوحي (١) باب (٣).

(١) بالجر؛ قراءة نافع، وأبي عمرو، وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالنصب فيهما: «نصفه وثلثه».

(٢) أخرج مسلم (٧٤٦) عن سعد بن هشام بن عامر أنه قال لعائشة: أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ، فقالت: ألست تقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾؟ قلت: بلى. قالت: فإن الله ﷻ افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقدم النبي ﷺ وأصحابه حولاً، وأمسك الله خاتمتها التي عشر شهراً في السماء، حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة.

(٣) وهو قول تعالى: (خير)، والمعنى: أن ضمير الفصل «هو» إما جار الإتيان به هنا بين معرفة وكرة، وهو لا يقع إلا بين معرفتين. إلا أنه جاز الإتيان به هنا؛ لأن أفعال التفضيل «خير» يشبه المعرفة.

(٤) كذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي بعضها: ست وخمسون آية. وهو صحيح.

(٥) أخرجه الحاكم (٢٧٥/٢) وصححه على شرطهما. وتفسير الرجز بالأوثان عند مسلم (١٦١) وأحمد (١٤٦١٧) من قول أبي سلمة بن عبد الرحمن.

(٦) أي: إلى مؤثون توين عوض عن الجملة، وهو: «إذ» في: «يومئذ».

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلَاثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ، وَثُلَاثِيَةَ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يَقْدَرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُخْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

## سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ فَرَأَيْدِرَ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَرَبَّكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالزَّيِّغُ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَسْأَلْ سُبْحَةَ ﴿٦﴾ وَلَا رَبَّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ وَإِذَا يُقِرْ ﴿٨﴾ فِي الْتَوَارِ ﴿٩﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿١٠﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ عَزِيزٌ ﴿١١﴾ ذَرِي وَمَنْ خَلَقْتَ وَحِيدًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْتَ لَهُ مَا لَا مَمْدُودًا ﴿١٣﴾ وَيَسْتَشْهُدُوا ﴿١٤﴾ وَمَهْدَتْ لَهُ تَهْمِيدًا ﴿١٥﴾ فَمُزِجْنَاهُ أَنْ أَرِيدَ ﴿١٦﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لَا يَلِيْنَا عَيْنِدَا ﴿١٧﴾ سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا ﴿١٨﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٩﴾

وقت النقر ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل مما قبله؛ المبتدأ، ويبي لإضافته إلى غير متمكن<sup>(١)</sup>، وخبر المبتدأ: ﴿يَوْمَ عَسِيرٍ﴾ والعامل في «إذا» ما دلت عليه الجملة؛ أي: اشتد الأمر. [١٠] ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ عَزِيزٌ﴾ فيه دلالة على أنه يسير على المؤمنين؛ أي: في عسره. [١١] ﴿ذَرِي﴾ اتركني ﴿وَمَنْ خَلَقْتَ﴾ عطف على المفعول، أو: مفعول معه ﴿وَحِيدًا﴾ حال من «مَنْ»، أو: من ضميره المحذوف، من «خلقت»؛ أي منفرداً بلا أهل ولا مال، هو: الوليد بن المخيرة المخزومي. [١٢] ﴿وَجَعَلْتَ لَهُ مَا لَا مَمْدُودًا﴾ واسعاً متصلاً من الزروع والضروع والتجارة. [١٣] ﴿وَيَسْتَشْهُدُوا﴾ عشرة أو أكثر ﴿شُهُودًا﴾ يشهدون المخالف، وتسمع شهاداتهم. [١٤] ﴿وَمَهْدَتْ﴾ بسطت ﴿لَهُ﴾ في العيش والعمر

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: «فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرففت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فذرني، فأقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ إلى قوله: ﴿وَالزَّيِّغُ فَاهْجُرْ﴾ قبل أن تفرض الصلاة. وهي الأوثان البخاري - كتاب بدء الوحي (١) باب (٣).

(١) بالجر؛ قراءة نافع، وأبي عمرو، وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالنصب فيهما: «نصفه وثلثه».

(٢) أخرج مسلم (٧٤٦) عن سعد بن هشام بن عامر أنه قال لعائشة: أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ، فقالت: ألست تقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾؟ قلت: بلى. قالت: فإن الله ﷻ افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقدم النبي ﷺ وأصحابه حولاً، وأمسك الله خاتمتها التي عشر شهراً في السماء، حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة.

(٣) وهو قول تعالى: (خير)، والمعنى: أن ضمير الفصل «هو» إما جار الإتيان به هنا بين معرفة وكرة، وهو لا يقع إلا بين معرفتين. إلا أنه جاز الإتيان به هنا؛ لأن أفعال التفضيل «خير» يشبه المعرفة.

(٤) كذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي بعضها: ست وخمسون آية. وهو صحيح.

(٥) أخرجه الحاكم (٢٧٥/٢) وصححه على شرطهما. وتفسير الرجز بالأوثان عند مسلم (١٦١) وأحمد (١٤٦١٧) من قول أبي سلمة بن عبد الرحمن.

(٦) أي: إلى مؤثون توين عوض عن الجملة، وهو: «إذ» في: «يومئذ».

فَقِيلَ كَيْفَ قَدَرٌ ﴿١﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرٌ ﴿٢﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٣﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَسَكَرَ ﴿٤﴾  
 ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٥﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُؤْتَرٌ ﴿٦﴾ إِنَّ هَذَا  
 إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٧﴾ سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٩﴾  
 لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿١٠﴾ لَوَاحٍ لِّلْبَشَرِ ﴿١١﴾ عَلَيْهِمَا تِسْعَةُ عَشْرَ ﴿١٢﴾ وَمَا جَعَلْنَا  
 أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَنْدَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا  
 لِيَسْتَفِينَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ  
 الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ  
 وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ  
 وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى  
 لِّلْبَشَرِ ﴿١٣﴾ كَذَآءُ الْقَمَرِ ﴿١٤﴾ وَإِلَىٰ إِذَا دُبِرَ ﴿١٥﴾ وَالصُّبْحُ إِذَا اسْفَرَفَ ﴿١٦﴾ إِنَّهَا  
 لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿١٧﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿١٨﴾ لَمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ  
 ﴿١٩﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ ﴿٢٠﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّاتٍ  
 يَسَّاءُونَ ﴿٢٢﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٣﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٢٤﴾ قَالُوا لَوْلَا  
 مِّنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٢٥﴾ وَلَوْلَا نَفْعُ الْمُسْكِينِ ﴿٢٦﴾ وَكُنَّا نَحْضُوعٌ مَّعَ  
 الْحَافِظِينَ ﴿٢٧﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٢٨﴾ حَتَّىٰ أَتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿٢٩﴾

والولد ﴿٢٩﴾ وَتَهَيَّأَ ﴿٣٠﴾ ﴿١٥١﴾ ثُمَّ يَطْعَمُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥٢﴾ ﴿١٦﴾ كَلَّا ﴿١٧﴾ لَا أَزِيدُهُ  
 عَلَىٰ ذَلِكَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا الْقُرْآنَ عِندَنَا ﴿١٩﴾ مَعَانِدًا ﴿٢٠﴾ سَأُهِدُهُمْ  
 أَكَلُهُمْ ﴿٢١﴾ صَعِيدًا ﴿٢٢﴾ مشقة من العذاب، أو: جبلًا من نار، يصعد فيه ثم يهوي  
 أبداً.

﴿١٨﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ ﴿١٩﴾ فيما يقول في القرآن، الذي سمعه من النبي ﷺ  
 ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نفسه ذلك. ﴿١٩﴾ ﴿فَقِيلَ﴾ لَعَنَ وَغَضِبَ ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ على  
 أي حال كان تقديره. ﴿٢٠﴾ ﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾. ﴿٢١﴾ ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ في  
 وجهه قومه، أو فيما يقدح به فيه. ﴿٢٢﴾ ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ قبض وجهه وكَلَحَهُ؛  
 ضيقاً بما يقول ﴿وَوَسَّوَسَ﴾ زاد في القبض والكُلُوح. ﴿٢٣﴾ ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن

الإيمان ﴿وَأَسْتَكْبَرَ﴾ تكبر عن اتباع النبي ﷺ. ﴿٢٤﴾ ﴿فَقَالَ﴾ فيما جاء به:  
 ﴿إِنَّ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ إِلَّا بَغْزٌ يُؤْتَرُ ﴿يُنَزَّرُ﴾ ينقل عن السحرة. ﴿٢٥﴾ ﴿إِنَّ﴾ ما ﴿هَذَا﴾  
 إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٦﴾ كما قالوا: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ﴾. ﴿٢٦﴾ ﴿سَأَصْلِيهِ﴾  
 أدخله ﴿سَقَرٌ﴾ جهنم. ﴿٢٧﴾ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ﴾ تعظيم لشأنها. ﴿٢٨﴾  
 ﴿لَا يُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ شيقاً من لحم ولا عصب إلا أهلكته، ثم يعود كما كان.  
 ﴿٢٩﴾ ﴿لَوَاحٍ لِّلْبَشَرِ﴾ مُحَرَّقة لظاهر الجلد. ﴿٣٠﴾ ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ﴾ ملكاً  
 خزنونها؛ قال بعض الكفار وكان قوياً شديد البأس: أنا أكفيكم سبعة عشر،  
 واكفوني أنتم اثنين<sup>(١)</sup>.

﴿٣١﴾ قال - تعالى -: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ أي: فلا يطاقون  
 كما يتوهمون ﴿وَمَا جَعَلْنَا عَنْدَهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾ ضلالاً ﴿لِّلَّذِينَ  
 كَفَرُوا﴾ بأن يقولوا: لِمَ كانوا تسعة عشر؟ ﴿لِيَسْتَفِينَ﴾ لِيَسْتَفِينَ الَّذِينَ أُوْتُوا  
 الْكِتَابَ ﴿أَي:﴾ اليهود صِدْقُ النبي ﷺ في كونهم تسعة عشر، الموافق لما في  
 كتابهم ﴿وَيَزِدَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ من أهل الكتاب ﴿إِيمَانًا﴾ تصديقاً؛ لموافقته ما  
 أتى به النبي ﷺ لما في كتابهم ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُرْسِلُوا بِالْكِتَابِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ من  
 غيرهم، في عدد الملائكة ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ شك بالمدينة  
 ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ بمكة: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا﴾ العدد ﴿مَثَلًا﴾ سموه لغرابته  
 بذلك، وأعرب حالاً ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل إضلال منكبر هذا العدد، وهدى  
 مُصَدِّقَهُ ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ﴾ أي: الملائكة؛  
 في قوتهم وأعمالهم ﴿إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ﴾ أي: سقر ﴿إِلَّا ذِكْرَى لِّلْبَشَرِ﴾.

﴿٣٢﴾ ﴿كَلَّا﴾ استفتاح بمعنى: ألا ﴿وَالْقَمَرِ﴾. ﴿٣٣﴾ ﴿وَاللَّيْلِ﴾ [إِذَا] بفتح  
 الذال ﴿ذُبِرَ﴾<sup>(٢)</sup> جاء بعد النهار، وفي قراءة: ﴿إِذَا دُبِرَ﴾ بسكون  
 الدال بعدها همزة، أي: مضى. ﴿٣٤﴾ ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا اسْفَرَفَ﴾ ظهر.

﴿٣٥﴾ ﴿إِنَّمَا﴾ أي: سقر ﴿لِإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ البلىا العظام. ﴿٣٦﴾ ﴿نَذِيرًا﴾  
 حال من «إحدى»، وذكر لأنها بمعنى العذاب ﴿لِّلْبَشَرِ﴾. ﴿٣٧﴾ ﴿لَمَن شَاءَ  
 مِنْكُمْ﴾ بدل من «البشر» ﴿أَن يَتَقَدَّمَ﴾ إلى الخير، أو: الجنة، بالإيمان ﴿أَوْ  
 يَتَأَخَّرَ﴾ إلى الشر، أو: النار، بالكفر. ﴿٣٨﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ﴾  
 مرهونة مأخوذة بعملها في النار. ﴿٣٩﴾ ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ وهم المؤمنون،  
 فنانجون منها. ﴿٤٠﴾ كانوا ﴿فِي جَنَّاتٍ يَسَّاءُونَ﴾ بينهم. ﴿٤١﴾ ﴿عَنِ  
 الْمُجْرِمِينَ﴾ وحالهم. ﴿٤٢﴾ ويقولون لهم بعد إخراج الموحدين من النار: ﴿مَا  
 سَلَكَكُمْ﴾ ما أدخلكم ﴿فِي سَقَرٍ﴾. ﴿٤٣﴾ ﴿قَالُوا لَوْلَا نَفْعُ الْمَصَلِّينَ﴾.  
 ﴿٤٤﴾ ﴿وَلَوْلَا نَفْعُ الْمُتَّقِينَ﴾. ﴿٤٥﴾ ﴿وَكُنَّا نَحْضُوعٌ﴾ في الباطل ﴿مَعَ  
 الْفَافِظِينَ﴾. ﴿٤٦﴾ ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ البعث والجزاء ﴿٤٧﴾ ﴿حَتَّىٰ أَتَيْنَا  
 الْيَقِينَ﴾ الموت.

(١) وأخرج البخاري عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سمة: أي اقتران أنزل أول؟ فقال: ﴿يَتَأْتِي النَّازِعَاتُ﴾. فقلت: أنبت أنه ﴿أَفَرَأَيْتُمْ رَبَّكَ الَّذِي مَلَأَ﴾، فقال أبو سمة: سألت حابر بن عبد  
 الله: أي القرآن أول؟ فقال: ﴿يَتَأْتِي النَّازِعَاتُ﴾. فقلت: أنبت أنه ﴿أَفَرَأَيْتُمْ رَبَّكَ الَّذِي مَلَأَ﴾. فقال: لا أجرك إلا بما قال رسول الله ﷺ. كتاب التفسير (٦٥) سورة الم نشر (٧٤) باب  
 (١). قال الحافظ: «المعاد بالأولية في قوله: «أول ما نزل سورة الم نشر» أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي، أو مخصوصة بالآمر والإندار، لا أن المراد أنها أولية مطلقة». [الفتح (٨/ ٥٤٦)].  
 وقال النووي: الصواب أن أول ما نزل على الإطلاق: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ رَبَّكَ﴾، كما صرح به في حديث عائشة.

(١) المحل. ١٠٣.

(٢) ذلك عن رجل يقال له: أبو الأشد أسيد بن كلبه بن خلف الجمحي. كما في تفسير البغوي وغيره، وروي غير ذلك، ولم يثبت منه شيء صحيح تقوم به الحجة.

(٣) وهي قرينة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ نقة السبعة: ﴿إِذَا دُبِرَ﴾ بسكون الدال بعدها همزة.

[٤٨] ﴿فَمَا تَعْمَهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ من الملائكة والأنبياء والصالحين، والمعنى: لا شفاعة لهم.

[٤٩] ﴿فَمَا﴾ مبتدأ ﴿لَهُمْ﴾ خبره، متعلق بمحذوف انتقل ضميره إليه<sup>(١)</sup> ﴿عَنِ التَّذِكُّرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ حال من الضمير، والمعنى: أي شيء حصل لهم في إعراضهم عن التذكرة؟ [٥٠] ﴿كَانَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ وحشية. [٥١] ﴿فَزَتْ مِنْ قَسَوَرَةٍ﴾ أسد؛ أي: هربت منه أشد الهرب. [٥٢] ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنْتَشَرَةً﴾ أي: من الله - تعالى - باتباع النبي؛ كما قالوا: ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

[٥٣] ﴿كَلَّا﴾ ردع عما أرادوه ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي: عذابها. [٥٤] ﴿كَلَّا﴾ استفتاح ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: القرآن ﴿تَذَكَّرُوا﴾ عظة. [٥٥] ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ قرأه فاتعظ به. [٥٦] ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ بالياء والفاء<sup>(٣)</sup> ﴿إِلَّا أَنْ يَنْشَأَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى﴾ بأن يتقى ﴿وَأَهْلُ الْغَفْوَةِ﴾ بأن يغفر لمن اتقاه.

### سُورَةُ الْقِيَامَةِ

[مكية، أربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا﴾ زائدة في الموضعين ﴿أَقِيمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾. [٢] ﴿وَلَا أَقِيمْ بِالْقَيْسِ أَلْوَامَةً﴾ التي تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان، وجواب القسم محذوف؛ أي: ليتعن، دل عليه: [٣] ﴿أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَكْفَرًا﴾ أي: الكافر ﴿أَلَّنْ تَجْعَ عِظَامُهُ لِلْبُعْثِ وَالْإِحْيَاءِ﴾ [٤] ﴿بَلْ﴾ نفي ﴿تَجْمَعُهَا﴾ مع جمعها ﴿عَلَى أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ﴾ وهو: الأصابع؛ أي: نعيد عظامها كما كانت مع صغرها، فكيف بالكبيرة؟ [٥] ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ﴾ اللام زائدة، ونصبه به ﴿أَنْ﴾ مقدرة؛ أي: أن يكذب ﴿أَمَانَتُهُ﴾ أي: يوم القيامة، دل عليه: [٦] ﴿يَسْتَلْ أَثَانَ﴾ متى ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ سؤال استهزاء وتكذيب. [٧] ﴿فَإِنَّا يَرَى الْقَهْرُ﴾ بكسر الراء وفتحها<sup>(٤)</sup>؛ ذهش وتغير، لما رأى مما كان يكذبه. [٨] ﴿وَحَسَفَ الْقَهْرُ﴾ أظلم وذهب ضوؤه. [٩] ﴿وَجَمَعَ أَشْمُسُ وَالْقَهْرُ﴾ فطلعا من المغرب، أو: ذهب ضؤوهما، وذلك في يوم القيامة.

[١٠] ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ الفرار؟ [١١] ﴿كَلَّا﴾ ردع عن طلب الفرار ﴿لَا وَرَرْ﴾ لا ملجأ ينجصن به. [١٢] ﴿إِنِّي رَأَيْتُ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرَّ﴾ المستقر الخلاق؛ فيحاسبون ويجازون. [١٣] ﴿يَبْنُو الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ مِمَّا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ بأول عمله وأخره. [١٤] ﴿بَلْ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ شاهد؛ تنطلق جوارحه بعمله، والهال للمبالغة، فلا بد من جزائه. [١٥] ﴿وَلَوْ أَلْفَى مَعَاذِيرَهُ﴾ جمع

فَمَا تَعْمَهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ قَالَ لَهُمْ عَنِ التَّذِكُّرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَزَتْ مِنْ قَسَوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنْتَشَرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ ﴿٥٣﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٥٤﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٥﴾

### سُورَةُ الْقِيَامَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالْقَيْسِ أَلْوَامَةً ﴿٢﴾ أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلْ قَدَرِينَ عَلَى أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ سَعَلَ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرَأَ أَبْصَرُ ﴿٧﴾ وَحَسَفَ الْقَهْرُ ﴿٨﴾ وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَهْرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَرَرْ ﴿١١﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يَبْنُو الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ مِمَّا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلْ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْفَى مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾ لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لَتَعَجَّلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ رُفُوءُهُ أَنَّهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَتَعَ فَأْتَعَهُ أَنَّهُ ﴿١٨﴾ فَوَيْلٌ عَلَيْنَا بَيَانُهُ ﴿١٩﴾

«معذرة»، على غير قياس؛ أي: لو جاء بكل معذرة ما قبلت منه.

[١٦] قال - تعالى - لنبية: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ﴾ بالقرآن قبل فراغ جبريل منه ﴿لِسَانُكَ لَتَعَجَلَ بِهِ﴾ خوف أن ينفلت منك. [١٧] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ في صدرك ﴿وَرُوءُهُ أَنَّهُ﴾ قراءتك إياه؛ أي: جريانه على لسانك. [١٨] ﴿فَوَيْلٌ قَرَأْتَهُ﴾ عليك بقراءة جبريل ﴿فَأَتَعَ فَأْتَعَهُ﴾ استمع قراءته، فكان يستمع ثم يقرؤه. [١٩] ﴿فَوَيْلٌ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ بالتفهيم لك، والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها أن تلك تضمنت الإعراض عن آيات الله، وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها<sup>(٥)</sup>.

(٥) ما جاء في نزول الآيات: (١٦ - ١٩): أخرج البخاري عن ابن عباس في قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانُكَ لَتَحْكُمَ بِهِ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل عليه الوحي، وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه، وكان يعرف منه، فأقول الله الآلة التي في ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانُكَ لَتَحْكُمَ بِهِ﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقَرَأْتَهُ قال: علينا أن نجتمع في صدرك وقراءته أن تقرأه ﴿فَوَيْلٌ قَرَأْتَهُ فَأَتَعَ فَأْتَعَهُ﴾ فإذا أنزله فاستمع ﴿فَوَيْلٌ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ علي أن نبيه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعد الله. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) باب (٢) سورة القيامة (٧٦).

(١) لأن القاعدة: أن الجار والمجرور إذا وقع خبراً، حذف متعلقه وجواباً، وانتقل ضميره إليه.

(٢) الإسراء: ٩٣.

(٣) نالء قراءة نافع.

(٤) بالفتح قراءة نافع.

أي: الشوق، وهذا يدل على العامل في «إذا»، والمعنى: إذا بلغت النفس الحلقوم تساق إلى حكم ربها. [٣١] ﴿فَلَا صَدَقَ﴾ الإنسان ﴿وَلَا صَلَّى﴾ أي: لم يصدق ولم يصل. [٣٢] ﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ﴾ بالقرآن ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان. [٣٣] ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى آفِلَاءٍ يَتَطَوَّلْنَ﴾ يتختر في مشيته إعجاباً. [٣٤] ﴿أُولَئِكَ﴾ فيه التفات عن الغيبة، والكلمة اسم فعل، واللام للبيان؛ أي: وليك ما تكره ﴿فَأُولَئِكَ﴾ أي: فهو أولى بك من غيرك. [٣٥] ﴿ثُمَّ أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ﴾ تأكيد. [٣٦] ﴿أَيَحْسَبُ﴾ يظن ﴿الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ هملًا، لا يكلف بالشرائع؟ أي: لا يحسب ذلك. [٣٧] ﴿أَلَمْ يَكُنْ﴾ أي: كان ﴿نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ﴾ يعني: بالياء والناء<sup>(١)</sup>؛ نُصِبَ في الرحم؟ [٣٨] ﴿ثُمَّ كَانَهُ الْمَنِيِّ﴾ عَقَّةً فَمَلَأَ الله منها الإنسان ﴿فَسَوَّاهُ﴾ عدل أعضائه؟ [٣٩] ﴿فَعَلَّ يَدَهُ﴾ من المني الذي صار عَقَّةً، أي: قطعة دم ثم مضغعة؛ أي: قطعة لحم ﴿الزَّوْجَيْنِ﴾ النوعين ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ يجتمعان تارة، وينفرد كل منهما عن الآخر تارة. [٤٠] ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُخَيَّرَ اللَّهُ الْكَافِرَ﴾ قال ﷺ: «بلى»<sup>(٢)</sup>.

### سورة الانشراح

[مكية أو مدنية، وآياتها إحدى وثلاثون]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿هَلْ عَلَيَّ الْإِنْسَانُ حِينَ مَنَ الْدَّهْرِ﴾ أي: هل عليّ الإنسان آدم ﴿حِينَ مَنَ الْدَّهْرِ﴾ أربعون سنة<sup>(٥)</sup> ﴿أَمْ يَكُنْ﴾ فيه ﴿شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ كان فيه مصورا من طين لا يذكر، أو: المراد بالإنسان الجنس، وبالحين: مدة الحمل. [٢] ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ الجنس ﴿مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أخلط؛ أي: من ماء الرجل وماء المرأة، المختلطين المتترجين ﴿بَنَيْنَاهُ﴾ نخبرته بالتكليف، والجملة مستأنفة، أو: حال مقدرة؛ أي: يريدون ابتلاء حين تأمله ﴿بَنَيْنَاهُ﴾ بسبب ذلك ﴿سَيِّعًا بَصِيرًا﴾. [٣] ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ يبيّن له طريق الهدى، بيعت الرسل ﴿إِنَّمَا شَاكَرَّا﴾ أي: مؤمنا ﴿وَأَمَّا كُفُورًا﴾ حالان من المفعول؛ أي: يبيّن له في حال شكره أو كفره، المقدرة، و«إما» لتفصيل الأحوال. [٤] ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ هينا ﴿لِلْكَافِرِينَ سَكِينًا﴾ يسحبون بها في النار ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ في أعناقهم، تُشد فيها السلاسل ﴿وَسِعِيرًا﴾ نارا مسعرة؛ أي: مهيجّة، يعذبون بها. [٥] ﴿إِنَّا الْكَافِرِينَ﴾ جمع «كافر» أو «بار»، وهم: المطيعون ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ كافرين، هو إزاء شرب الخمر وهي فيه، والمراد: من خمر؛ تسمية للحال باسم المحض، و«من» للتعبير ﴿كَانَ مَرَجَهَا﴾ ما تخرج به ﴿كَافُورًا﴾.

كَذَلِكَ نُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿١﴾ وَنَذِرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٣﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٤﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٥﴾ تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرٌ ﴿٦﴾ كَذَلِكَ إِذَا بَلَغَتِ الرَّاقِيَّةُ ﴿٧﴾ وَقِيلَ مَن رَاقٍ ﴿٨﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٩﴾ وَالتَّفَتَّى السَّاقِ بِالسَّاقِ ﴿١٠﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿١١﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَمِيَ ﴿١٢﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ بِتَكْوَنٍ ﴿١٤﴾ أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ ﴿١٦﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿١٧﴾ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْنَىٰ ﴿١٨﴾ ثُمَّ كَانَ عَقَّةً فَخَلَقَ مُسَوًى ﴿١٩﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُخَيَّرَ اللَّهُ الْمَوْتِ ﴿٢١﴾

### سورة الانشراح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ عَلَيَّ الْإِنْسَانُ حِينَ مَنَ الْدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ بَنَيْنَاهُ فَعَلَّمْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَاكُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَكِينًا وَاعْتَدْنَا وَسْعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مَرَجًا كَاكُورًا ﴿٥﴾

[٢٠] ﴿كَلَّا﴾ استفتاح بمعنى: ألا ﴿بَلْ لَّيْحُونُ﴾ العاجلة ﴿الدنيا بالياء والناء في الفعلين<sup>(١)</sup>﴾. [٢١] ﴿وَيَذُرُونَ﴾ الآخرة ﴿فلا يعملون لها﴾. [٢٢] ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: في يوم القيامة ﴿بَاسِرَةٌ﴾ حسنة مضيفة. [٢٣] ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَازِرَةٌ﴾ أي: يرون الله - سبحانه وتعالى - في الآخرة. [٢٤] ﴿وَيُؤَنَّبُونَ يَوْمَئِذٍ بِآيَةٍ﴾ كالحة شديدة العوس. [٢٥] ﴿تَنْظُرُ﴾ توقن ﴿أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ داهية عظيمة، تكسر فقار الظهر. [٢٦] ﴿كَلَّا﴾ بمعنى: ألا ﴿إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسُ الرَّاقِيَّةُ﴾ عظام الحلق. [٢٧] ﴿وَقِيلَ﴾ قال من حوله: ﴿مَن رَاقٍ﴾ يرقيه ليشفي؟

[٢٨] ﴿وَلَنْظَرٌ﴾ ألقن من بلغت نفسه ذلك ﴿اللَّهُ الْفَرَّاقُ﴾ فراق الدنيا. [٢٩] ﴿وَالْتَفَتَّى النَّسَاءُ بِالْنَسَاءِ﴾ أي: إحدى ساقيه بالآخرى عند الموت، أو: التفتت شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة. [٣٠] ﴿إِنِّي رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ النَّسَاءُ﴾

(١) أي: «يجبون» و«يذرون»، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) بالناء قراءة السبعة عدا حفص.

(٣) أخرج نحوه أبو داود (٧٥٣) وأحمد (٧٠٨٦) من حديث أبي هريرة، وأخرج الطبري (٨٢/٢٤) عن قتادة: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال: «سبحانك بلي». وأخرج أبو داود (٧٥٠) عن موسى بن أبي عائشة قال: كان رجل يصلي فوق بينه وكان إذا قرأ ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُخَيَّرَ اللَّهُ الْكَافِرَ﴾ قال: سبحانك بلي، فسأله عن ذلك. فقال: سمعته من رسول الله ﷺ.

وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٨٦).

(٤) أي: فليست هل للاستفهام. وقيل: إنها للاستفهام التقريري. والمقصود إزام الحصم المكر للبعث؛ لأن القادر على إيجاد الإنسان من عدم قادر على إعادته.

(٥) قيل: مرت عليه أربعون سنة، وكان مصورا من طين لم ينفخ فيه الروح.

[٦] «عَيْنَا» بدل من: «كَافُرًا» فيها راحته «يَتَرَبَّ بِهَا» منها «عَبَادُ اللَّهِ» أولياؤه «يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا» يفقدونها حيث شاءوا من منازلهم.  
[٧] «يُؤْتُونَ بِالْذِّكْرِ» في طاعة الله «وَيُكَفِّرُونَ بِمَا كَانُوا سَاطِرًا» منتشرا.  
[٨] «وَيُطْعَمُونَ أَنْطَعَامًا عَلَى حَيْوَةٍ» أي: طعام وشهوتهم له «وَيَسْكَنُونَ» فقيرا «وَيُنِيمَا» لا أب له «وَأَيُّهَا» يعني: المحبوس بحق. [٩] «إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ» لطلب ثوابه<sup>(١)</sup> «لَا نُزِيدُ بِكُمْ جَزَاءً وَلَا نُكْفِرُكُمْ» شكرًا، فيه علة الإطعام، وهل تكلموا بذلك، أو: علمه الله منهم، فأنشأ عليهم به؟ قولان.  
[١٠] «إِنَّمَا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا بِمَا عَمِينَا» تكلح الوجوه فيه؛ أي: كرية النظر لشدة «فَطَرِهَا» شديدا في ذلك.

[١١] «فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ سَرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعَهُمْ» أعطاهم «نَصْرَةً» حُسْنًا وإضاعة في وجوههم «وَسَرَّوْهُمْ» [١٢] «وَنَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَّوْهُمْ» بصبرهم عن المعصية «وَجَعَلَهُمْ» أدخلوها «وَحَرِيرًا» أليسوه.  
[١٣] «فَتُشْكِكِينَ» حال من مرفوع: «أدخلوها» المقدر «فِيهَا عَلَى الْأَرْيَافِ» الشرقي في الجبال «لَا يَزُونَ» لا يجدون، حال ثانية «فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا» لا حرًا ولا بردًا، وقيل: الزمهرير: القمر، فهي مضيق من غير شمس ولا قمر.  
[١٤] «وَدَايِقَةٍ» قرية، عطف على محض: «لا يرون»؛ أي: غير رائيين «عَلَيْهِمْ» منهم «يَلْبَسُهَا» شجرها «وَوَلَّتْ فُطُوحُهَا لَدَلِيلًا» أدنيت ثمارها؛ فينالها القائم والقاعد والمضطجع. [١٥] «وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ» فيها «وَيَلْبَسُ يَنْ يَفْجَرُ» وأكواب «أقداح بلا عرى» «كَانَتْ قَوَارِيرًا»<sup>(٢)</sup>. [١٦] «قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ» أي: إنهما من فضة، يرى باطنهما من ظاهرها كالزجاج «فَذَرَبَا»؛ أي: الطاقون «تَقْدِيرًا» على قدر رأي الشارين، من غير زيادة ولا نقص، وذلك ألد الشراب. [١٧] «وَيُشَقَّقُونَ فِيهَا كَأْسًا» خمرًا «كَانَ مِرْآةً» ما تخرج به «رَجِيحًا» [١٨] «عَيْنًا» بدل من: «رَجِيحًا» «فِيهَا شَتَّى سَلْسَبِيلًا» يعني أن مائها كالزنجبيل الذي تستلذ به العرب، سهل المساج في الحلق.

[١٩] «وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ» بصفة الولدان، لا يشيبون «إِذَا رَأَيْتُمْ حَيَاتَهُمْ» لحسنهم وانتشارهم في الخدمة «وَلَوْ أَنَّ شَرَّكَ» من سلكه، أو: من صديقه، وهو أحسن منه في غير ذلك<sup>(٣)</sup>.

[٢٠] «وَإِذَا رَأَيْتُمْ ثَمَرَهُمْ» أي: وجدت الرؤية منك في الجنة «رَأَيْتُمْ» جواب «إِذَا» «رَجِيحًا» لا يوصف «وَمِنْهَا كَيْدٌ» واسعا لا غاية له. [٢١] «عَلَيْهِمْ» فوقهم، نصبه على الظرفية، وهو خبر مبتدأ بعده، وفي قراءة: بسكون الباء<sup>(٤)</sup>؛ مبتدأ، وما بعده خبر، والضمير المتصل به للمطوف<sup>(٥)</sup> عليهم «ثِيَابٌ سُتُورٌ» حرير «خَضَرٌ» بالرفع «[وَأَسْتَبْرَقُ]» بالجر<sup>(٦)</sup> ما غلظ من الديباج، فهو البطائن، والسندس الظهائر، وفي قراءة عكس ما ذكر فيها<sup>(٧)</sup>، وفي أخرى برفعها<sup>(٨)</sup>، وفي أخرى<sup>(٩)</sup> بجرهما «وَحُلُوفٌ أَسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ» وفي موضع «مِنْ ذَهَبٍ»<sup>(١٠)</sup> للإيذان بأنهم يحلون من النوعين؛ معًا ومفرقًا «وَسَقَقَهُمْ

(١) وفيها إثبات صفة الوجه لله ﷻ حقيقة على الوجه اللاتني به، وقد أفاض ابن القيم - رحمه الله - في الرد على من قال إن لفظ الوجه مجاز، ويؤيد بطلان هذا القول من ستة وعشرين وجهًا في الصواعق المرسلة.

(٢) قرأ نافع والكسائي وشعبة بالنون في الموضعين، وقرأ ابن كثير بالنون في الأول وبغير النون في الثاني، والباقون يعم تنوينيهما، وكلهم وقف على الأول بألف، إلا حمزة فوقف بغير ألف. ووقف نافع والكسائي وشعبة وهشام على الثاني بألف.

(٣) هذا جواب عما يقال: ما الحكمة في تشبيههم بالولود النور دون المطوف؟ فأجاب بذلك.

(٤) في بعض النسخ المطبوعة: «للمطوف» بدلًا من «المطوف»، والصواب مثبت.

(٥) أي وهو جر «خَضَرٌ» و«رُفَعٌ» [وَأَسْتَبْرَقُ] وهي قراءة ابن كثير وشعبة. (٨) نافع وحفص.

(٩) حمزة والكسائي، وحاصل ما ذكر المصنف من القراءات أربع وكلها سبعة؛ رفع «خَضَرٌ»، و«أَسْتَبْرَقُ»، وجرهما، ورفع الأول وجر الثاني، وعكسه.

(١٠) كما في قوله - تعالى -: «يَجْلِسُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا» [إفطار: ١٣٣].

عَيْنَا تَسْرِبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُؤْتُونَ بِالْذِّكْرِ رِيحًا فَوْقَ مَا كَانُوا سَاطِرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَنْطَعَامًا عَلَى حَيْوَةٍ مَسْكِينًا وَنِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُزِيدُ بِكُمْ جَزَاءً وَلَا نُكْفِرُكُمْ ﴿٩﴾ إِنَّمَا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا بِمَا عَمِينَا فَطَرِهَا ﴿١٠﴾ الْيَوْمَ وَلَقَّعَهُمْ نَصْرَةً وَسَرَّوْهُمْ ﴿١١﴾ وَنَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَّوْهُمْ وَاجْتَنَبُوا حَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُشْكِكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْيَافِ لَا يَزُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ فُطُوحُهَا تَذِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِثِيَابٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسَقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَتْ مِنْ أَرْجَافٍ مُجْتَمِلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسْقَى سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيُطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتُ ثَمَرَهُمْ رَأَيْتُ رَجِيمًا وَمِنْهَا كَيْدٌ ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَأَسْتَبْرَقٌ وَحُلُوفٌ أَسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَقَهُمْ رُفَعُهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ رَبُّنَا عَلَيْكَ الْفَرَّانِ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ إِنَّمَا أَوْكَعَ فَوَارِجَ الْغَدِّ ﴿٢٤﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

رُفَعُهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ مبالغة في طهارته ونظافته، بخلاف خمر الدنيا.  
[٢٢] «إِنَّ هَذَا» النعيم «كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا».  
[٢٣] «إِنَّا نَحْنُ» تأكيد لاسم «إِنَّ»، أو: فصل «نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْفَرَّانَ تَنْزِيلًا» خبر «إِنَّ»؛ أي: فصلناه ولم ننزله جملة واحدة.  
[٢٤] «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ» عليك تبليغ رسالته «وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ» أي: الكفار «وَأَسِيلًا أَوْ كُفْرًا» أي: عتبه بن ربيعة، والوليد بن المغيرة؛ فالألف للنبى ﷺ. ارجع عن هذا الأمر، ويجوز أن يراد كل أتم وكافر؛ أي: لا تطع أحدهما أيًا كان، فيما دعاك إليه من إثم أو كفر.  
[٢٥] «وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ» في الصلاة «بُكْرَةً وَأَصِيلًا» يعني الفجر والظهر والعصر.

[٣١] ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَةٍ﴾ جنته<sup>(٣)</sup>، وهم المؤمنون ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ ناصبه فعل مقدر؛ أي: «أوعد»، بفسره: «أعد لهم عذاباً أليماً» مؤلماً، وهم الكافرون.

### سورة المرسلات

[مكية، خمسون آية]\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا﴾ أي: الرياح متتابعة؛ كعُرف الفرس، يتلو بعضه بعضاً، ونصبه على الحال.

[٢] ﴿فَالْمُصَفِّتُ عَصْفًا﴾ الرياح الشديدة.

[٣] ﴿وَالْمُنْزِلَاتُ نَزْلًا﴾ الرياح تنشر المطر.

[٤] ﴿فَالْفَرْقَتُ فَزًّا﴾ أي: آيات القرآن، تفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام.

[٥] ﴿فَالْمُنْيَتُ ذِكْرًا﴾ أي: الملائكة تنزل بالوحي إلى الأنبياء، والرسول يلقون الوحي إلى الأمم.

[٦] ﴿عَذْرًا أَوْ تَذْرًا﴾ أي: للإعذار والإنذار من الله - تعالى - وفي قراءة<sup>(٤)</sup>: بضم ذال «تذراً»، وقرئ<sup>(٥)</sup>: بضم ذال «عذراً».

[٧] ﴿إِنَّمَا تُعْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ﴾ أي: كفار مكة؛ من البعث والعذاب لا شيء. كائن لا محالة.

[٨] ﴿فَإِذَا الْتَجُّمٌ طُمِسَتْ﴾ محي نورها.

[٩] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فَجَتْ شُقَّتْ﴾.

[١٠] ﴿وَإِذَا الْكِبَالُ سُفِّتْ﴾ فُتَّتْ وَشُيِّرَتْ.

[١١] ﴿وَإِذَا ارْتُفِلْ وَوُتَّتْ﴾ بالواو، وبالهمزة<sup>(٦)</sup> بدلاً منها؛ أي: جمعت لوقت.

[١٢] ﴿يَا أَيُّ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: ليوم عظيم ﴿أُجِلَّتْ﴾ للشهادة على أمهم بالتبليغ.

[١٣] ﴿يَوْمَ الْفُصْلِ﴾ بين الخلق، ويؤخذ منه جواب «إذا»؛ أي: وقع الفصل بين الخلائق.

[١٤] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفُصْلِ﴾ تهويل لشأنه.

[١٥] ﴿وَيْلٌ يَوْمَذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ هذا وعيد لهم.

[١٦] ﴿أَلَمْ تَنْهَكِ أَلْأُولَىٰ﴾ بتكذيبهم؛ أي: أهلكتناهم.

[١٧] ﴿تَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ من كذبوا ككفار مكة؛ فنهلكهم.

[١٨] ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ما فعلنا بالمكذبين ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ بكل من أجرم فيما يستقبل؛ فنهلكهم.

[١٩] ﴿وَيْلٌ يَوْمَذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ تأكيد.

وَمَنْ أَلِيلٌ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿١٠﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿١١﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أُمُرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿١٢﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٣﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٤﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٥﴾

### سورة المرسلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْمُصَفِّتُ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالْمُنْزِلَاتُ نَزْلًا ﴿٣﴾ فَالْفَرْقَتُ فَزًّا ﴿٤﴾ عَذْرًا أَوْ تَذْرًا ﴿٥﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفِّعُ ﴿٦﴾ فَإِذَا الْتَجُّمٌ طُمِسَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فَجَتْ شُقَّتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا الْكِبَالُ سُفِّتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ أُفَّتْ ﴿١٠﴾ لَا يَوْمَ أُحِلَّتْ لَكُمْ الْفُصْلُ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفُصْلِ ﴿١٢﴾ وَيْلٌ يَوْمَذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَنْهَكِ أَلْأُولَىٰ ﴿١٤﴾ تَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٥﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٧﴾

[٢٦] ﴿وَيَوْمَ أَلِيلٌ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ يعني المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ صل التطوع فيه؛ كما تقدم من: ثلثيه أو نصفه أو ثلثه.

[٢٧] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ الدنيا ﴿وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ شديدًا؛ أي: يوم القيامة لا يعملون له.

[٢٨] ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا قُوَّةَهُمْ﴾ قوتنا ﴿أَمْرَهُمْ﴾ أعضاءهم ومفاصلهم ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا جَعَلْنَا أَمْثَلَهُمْ﴾ في الخلقة بدلاً منهم، بأن نهلكهم ﴿تَبْدِيلًا﴾ تأكيد، ووقعت «إذا» موقع «إن» نحو: «إن يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ»<sup>(١)</sup>، لأنه تعالى لم يشأ ذلك، وإذا لما يقع.

[٢٩] ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ السورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة للخلق ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالطاعة.

[٣٠] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ بالتاء والياء<sup>(٢)</sup>، اتخاذ السبيل بالطاعة ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقهم ﴿حَكِيمًا﴾ في فعله.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: بينما نحن مع النبي ﷺ في غار إذ نزلت عليه: ﴿وَالْمُرْسَلَاتُ﴾ فإنه ليتلوها وأنا لأتلقها من فيه، وإن فاه لرطب بها، إذ وثبت علينا حية، فقال النبي ﷺ: «أكلوها» فابتلناها فذهبت، فقال النبي ﷺ: «وقيت شركم كما وقيت شرها». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المرسلات (٧٧) باب (٤).

(٢) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر بخلاف عنه.

(١) فاطر: ١٦.

(٣) الجنة من آثار رحمة الله ﷻ، وليست هي، وفي الآية إثبات صفة الرحمة لله ﷻ، فثبتها له - سبحانه - على الوجه اللائق به.

(٤) لدافع وابن كثير وابن عامر وشعبة.

(٦) بالواو قراءة أبي عمرو، وقرأ بغيره السبعة: «أفقت» بالهمزة.

- [٢٠] ﴿أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾ جَعَلَهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١١﴾ إِلَى قَدْرِ مَعْلُومٍ ﴿١٢﴾ فَقَدَرْنَا فَعَرَّا الْقَدْرُونَ ﴿١٣﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كَهَاتَا ﴿١٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿١٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْشِي شَجَمَخْتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فَرَاتًا ﴿١٧﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٨﴾ أَطْلُقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٩﴾ أَطْلُقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٢٠﴾ لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَلَبِ ﴿٢١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ﴿٢٢﴾ كَأَنَّهُ رَجُلٌ ضَعُفٌ ﴿٢٣﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ فَعِزَّةً رُزْنَ ﴿٢٦﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْقَصَلِ جَمَعْتُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٢٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٢٩﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٠﴾ إِنْ الْمُنْتَفِدِينَ فِي ظُلُلٍ وَعُيُونٍ ﴿٣١﴾ وَفُورِكَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٣٢﴾ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّكَ كَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾ كَلُوا وَتَسْتَعْوِ أَقْلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْعِلُونَهُمْ يَوْمَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَرْكَبُوا لَا يَرْكَبُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٨﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٩﴾ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٤٠﴾
- [٢١] ﴿أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾ ضَعِيفٌ، وَهُوَ الْمَنِي. [٢٢] ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ خَزِيرٍ، وَهُوَ وَقْتُ الْوَلَادَةِ. [٢٣] ﴿فَقَدَرْنَا﴾ عَلَى ذَلِكَ ﴿فَعِزَّةً رُزْنَ﴾ فَنِعْمَ الْقَدْرُونَ ﴿نَحْنُ﴾. [٢٤] ﴿وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾. [٢٥] ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كَهَاتَا﴾ مَصْدَرٌ «كَفَّتْ» بِمَعْنَى ضَمًّا؛ أَيْ: ضَامَةً. [٢٦] ﴿أَحْيَاءَ﴾ عَلَى ظَهْرِهَا ﴿وَأَمْوَاتًا﴾ فِي بَطْنِهَا. [٢٧] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْشِي شَجَمَخْتٍ﴾ جَبَالًا مَرْتَفَعَاتٍ ﴿وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فَرَاتًا﴾ عَذْبًا. [٢٨] ﴿وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾. [٢٩] وَيُقَالُ لِلْمُكَذِّبِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿أَطْلُقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ﴾ مِنَ الْعَذَابِ ﴿تُكَذِّبُونَ﴾. [٣٠] ﴿أَطْلُقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ هُوَ دُخَانُ جَهَنَّمَ، إِذَا ارْتَفَعَ افْتَرَقَ ثَلَاثَ فُرُقٍ لِعِظَمِهِ. [٣١] ﴿لَا ظِلِيلٍ﴾ كَتَبْنَاهُمْ مِنْ حَرِّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ﴿وَلَا يُغْنِي﴾ يَرُدُّ عَنْهُمْ شَيْئًا ﴿وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾ النَّارَ. [٣٢] ﴿وَفُورِكَ﴾ أَيْ: النَّارِ ﴿تَجْزِي بِشَرِّهَا﴾ هُوَ مَا تَطَارَى مِنْهَا ﴿كَالْقَصْرِ﴾ مِنَ الْبِنَاءِ، فِي عِظَمِهِ وَارْتِفَاعِهِ [٣٣] ﴿كَأَنَّهُ﴾ [جَمْعُ] لَ[١] ﴿جَمْعُ: «جَمَالَةٌ» جَمْعُ: «جَمَل»، وَفِي قِرَاءَةٍ: «جَمَلَتُ» «ضَفَرْتُ» فِي هَيْئَتِهَا وَلَوْنِهَا، وَفِي الْحَدِيثِ: «شَرَارُ النَّارِ أَسْوَدُ كَالْقَفِيرِ» [٢]، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي سُودَ الْإِبِلِ: ضَفَرًا؛ لِشُوبِ سَوَادِهَا بِصَفَرَةٍ، فَقِيلَ: «صَفَر» فِي الْآيَةِ بِمَعْنَى سُودٍ؛ لِأَنَّ ذِكْرَ: وَقِيلَ: لَا، وَ«الشَّرُّ» جَمْعُ: «شَرٌّ»، وَ«الشَّرَارُ» جَمْعُ «شَرَارَةٍ»، وَالْقِفَرُ: الْقَارُ» [٣]. [٣٤] ﴿وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾. [٣٥] ﴿هَذَا﴾ أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ فِيهِ بَشْيَةٌ. [٣٦] ﴿وَلَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ﴾ فِي الْعَذْرِ ﴿فَعِزَّةً رُزْنَ﴾ عَظْفٌ عَلَى «يُؤَدِّنُ»، مِنْ غَيْرِ تَسْبِيغٍ عَنْهُ [٤]، فَهُوَ دَاخِلٌ فِي حِيزِ النَّفْيِ؛ أَيْ: لَا إِذْنَ فَلَا اعْتِدَارَ. [٣٧] ﴿وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾. [٣٨] ﴿هَذَا يَوْمُ الْقَصَلِ جَمَعْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُكَذِّبُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ﴿وَالْأَوَّلِينَ﴾ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ قَبْلَكُمْ، فَتَحَاسِبُونَ وَتُعَذِّبُونَ جَمِيعًا. [٣٩] ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ حِيلَةٌ فِي دَفْعِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ ﴿فَكِيدُوا﴾ فَافْعَلُوا. [٤٠] ﴿وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾. [٤١] ﴿إِنْ الْمُنْتَفِدِينَ فِي ظُلُلٍ﴾ أَيْ: تَكَاثُفِ أَشْجَارٍ، إِذْ لَا شَمْسَ يُظِلُّ مِنْ حَرِّهَا ﴿وَيُؤْمِنُونَ﴾ نَابِعَةٌ مِنَ الْمَاءِ. [٤٢] ﴿وَفُورِكَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ فِيهِ إِعْلَامُ بِأَنَّ الْمَأْكُلَ وَالْمَشْرَبَ فِي الْجَنَّةِ بِحَسَبِ شَهَوَاتِهِمْ، بِخِلَافِ الدُّنْيَا فَيَحْسَبُ مَا يَجِدُ النَّاسُ فِي الْأَغْلَبِ. [٤٣] وَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ حَالٌ؛ أَيْ: مَتْنَعِتِينَ ﴿بِمَا كُنتُمْ

أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴿١١﴾ جَعَلَهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٢﴾ إِلَى قَدْرِ مَعْلُومٍ ﴿١٣﴾ فَقَدَرْنَا فَعَرَّا الْقَدْرُونَ ﴿١٤﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كَهَاتَا ﴿١٦﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْشِي شَجَمَخْتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فَرَاتًا ﴿١٨﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَطْلُقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ أَطْلُقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٢١﴾ لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَلَبِ ﴿٢٢﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ﴿٢٣﴾ كَأَنَّهُ رَجُلٌ ضَعُفٌ ﴿٢٤﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ فَعِزَّةً رُزْنَ ﴿٢٧﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ هَذَا يَوْمُ الْقَصَلِ جَمَعْتُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٢٩﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٣٠﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣١﴾ إِنْ الْمُنْتَفِدِينَ فِي ظُلُلٍ وَعُيُونٍ ﴿٣٢﴾ وَفُورِكَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٣٣﴾ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٥﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ كَلُوا وَتَسْتَعْوِ أَقْلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْعِلُونَهُمْ يَوْمَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَرْكَبُوا لَا يَرْكَبُونَ ﴿٣٨﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٩﴾ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٤٠﴾

تَعْمَلُونَ» مِنَ الطَّاعَةِ.

[٤٤] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كَمَا جَزَيْنَا الْمُتَّقِينَ ﴿تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٤٥] ﴿وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٤٦] ﴿كَلُوا وَتَسْتَعْوِ أَقْلِيلًا﴾ خُصَابٌ لِلْكَفَارِ فِي الدُّنْيَا ﴿فَقِيلَ﴾ مِنَ الزَّمَانِ، وَغَايَتُهُ إِلَى الْمَوْتِ، وَفِي هَذَا تَهْدِيدٌ لَهُمْ ﴿إِنَّكُمْ تُجْزَوْنَ﴾.

[٤٧] ﴿وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٤٨] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَرْكَبُوا﴾ صَلُّوا ﴿لَا يَرْكَبُونَ﴾ لَا يَصْلُونَ.

[٤٩] ﴿وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٥٠] ﴿فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ﴾ أَيْ: الْقُرْآنُ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أَيْ: لَا يُمْكِنُ إِيمَانُهُمْ بِغَيْرِهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ بَعْدَ تَكْذِيبِهِمْ بِهِ؛ لِأَشْتِمَالِهِ عَلَى الْإِعْجَازِ الَّذِي لَمْ يَشْتَمَلْ عَلَيْهِ غَيْرُهُ.

\*\*\*

(١) وَهِيَ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو وَابْنُ عَامَرَ وَشُعْبَةُ، وَقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: «جَعَلَتْ». (٢) ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ أَنَّهُ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ شَرَّ بَارِ جَهَنَّمَ أَسْوَدُ كَالْقَفِيرِ (٣٠٧/٨)، وَلَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ بِهَذَا اللفظ. (٣) وَهُوَ الزَّفْتُ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْوُوعًا: عِنْدَ مَالِكٍ وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ فِي الشَّعْبِ مُخْتَصَرًا: «أَتَرُونَهَا حَرَاءً كَنَارِكُمْ هَذِهِ! لَهَا أَشَدُّ سَوَادًا مِنَ الْقَارِ وَالْقَارِ: الزَّفْتُ». وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ (٣٦٧٠). (٤) أَيْ: لَيْسَتْ الْغَاةُ فِي «فَيَحْذَرُونَ» فَاءَ السَّبَبِيَّةِ؛ لِقُدْرَةِ بَعْدِهَا «وَأَل»، وَيَنْصَبُ بِهَا الْفِعْلُ الْمَضَارِعُ؛ نَحْوُ: ﴿لَا يُقَضُّ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ [فَاطِرُ: ٣٦].

## سُورَةُ النَّبَاِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ بَسَّاسَةٌ لَّنْ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مَخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾  
 كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٤﴾ ثُوْكَلَا سَيَعْمُونَ ﴿٥﴾ اَلَمْ نَجْعَلِ اَلْاَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾  
 وَالجِبَالَ اُوتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنٰكُمْ اَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾  
 وَجَعَلْنَا اَلَيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَدَيْنَا  
 فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ  
 الْمُعْصِرِ مَاءً ثَمَجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا  
 اَلْاَفَااقَ ﴿١٦﴾ اِنْ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُفْعُخُ فِي الصُّوْرِ  
 فَتَأْتُوْنَ اَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ  
 الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ اِنْ جِهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلظَّالِمِيْنَ  
 مَعَابًا ﴿٢٢﴾ لَّيْسَ فِيْهَا اَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَدْخُلُوْنَ فِيْهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾  
 اِلَّا اَلْحَمِيْمَ وَعَسَاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ اِنَّهُمْ كَانُوْا  
 لَا يَرْجُوْنَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ  
 اَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُقُوْا فَلَئِنْ تَزِيدَكُمْ اِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

## سُورَةُ النَّاسِ

[مكية، إحدى وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ عَمَّ عَنْ أَي شَيْءٍ ﴿بَسَّاسَةٌ لَّنْ﴾ يسأل بعض قريش بعضاً.  
 ﴿٢﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ بيان لذلك الشيء، والاستفهام لتفخيمه، وهو ما جاء به النبي ﷺ من القرآن، المشتمل على البعث وغيره. ﴿٣﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مَخْتَلِفُونَ فالؤمنون يثبتونه، والكافرون ينكرونه. ﴿٤﴾ كَلَّا ردع ﴿سَيَعْمُونَ﴾ ما يحل بهم على إنكارهم له. ﴿٥﴾ ثُوْكَلَا سَيَعْمُونَ تأكيد، وجيء فيه بـ«ثم» للإيذان بأن الوعيد الثاني أشد من الأول. ﴿٦﴾ ثُمَّ أَوَمَّا - تعالى - إلى القدرة على البعث فقال: ﴿اَلَمْ نَجْعَلِ اَلْاَرْضَ مِهْدًا﴾ فراعشاً كالمهد.  
 ﴿٧﴾ وَالجِبَالَ اُوتَادًا تثبت بها الأرض، كما تثبت الخيام بالأوتاد؟

والاستفهام للتقرير.

﴿٨﴾ وَخَلَقْنٰكُمْ اَزْوَاجًا ذكرُوا وإنثاءً.  
 ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا راحة لأبدانكم.  
 ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا اَلَيْلَ لِبَاسًا ساتراً بسواده.  
 ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا وقتاً للعمايش.  
 ﴿١٢﴾ وَبَدَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا سبع سماوات ﴿شِدَادًا﴾ جمع «شديدة» أي: قوية محكمة، لا يؤثر فيها مرور الزمان.  
 ﴿١٣﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا منيراً ﴿وَهَّاجًا﴾ وقاداً؛ يعني: الشمس.  
 ﴿١٤﴾ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرِ السحابات التي حان لها أن تمطر؛ كالمُعْصِرِ الحارية التي دنت من الحيض ﴿مَاءً ثَمَجًا﴾ صاباً.  
 ﴿١٥﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا كالحنطة ﴿وَنَبَاتًا﴾ كالنخيل.  
 ﴿١٦﴾ وَجَعَلْنَا بَسَاتِينَ ﴿اَلْاَفَااقَ﴾ ملتفة؛ جمع: «الفيف»؛ كـ«شريف» و«أشرف».

﴿١٧﴾ اِنْ يَوْمَ الْفَصْلِ بين الخلائق ﴿كَانَ مِيقَتًا﴾ وقتاً للنواب والعقاب.  
 ﴿١٨﴾ يَوْمَ يُفْعُخُ فِي الصُّوْرِ القرون، بدل من «يوم الفصل»؛ أو: بيان له، والنافع إسرافيل ﴿فَتَأْتُوْنَ اَفْوَاجًا﴾ من قبوركم إلى الموقف ﴿اَفْوَاجًا﴾ جماعات مختلفة.

﴿١٩﴾ وَفُتِحَتْ اَلْسَمَاءُ بالتشديد والتخفيف<sup>(٢)</sup>، شققت؛ لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ اَبْوَابًا﴾ ذات أبواب.  
 ﴿٢٠﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ دُهِب بها عن أماكنها ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ هباءً؛ أي: ينثله في خفة سيرها.

﴿٢١﴾ اِنْ جِهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا راصدة؛ أو: مرصدة.  
 ﴿٢٢﴾ لِّلظَّالِمِيْنَ الكافرين فلا يتجاوزونها ﴿مَعَابًا﴾ مرجعاً لهم فيدخلونها.

﴿٢٣﴾ لَّيْسَ فِيْهَا اَحْقَابًا حال مقدرة؛ أي: مقدراً لبعثهم ﴿يَبَا اَحْقَابًا﴾ دهوراً لا نهاية لها، جمع: «خفب» بضم أوله.  
 ﴿٢٤﴾ لَا يَدْخُلُوْنَ فِيْهَا بَرْدًا نوماً<sup>(٣)</sup>، فإنهم لا يدقونونه ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ ما يشرب تلذذاً.

﴿٢٥﴾ اِلَّا حَمِيْمًا لكن ﴿حَمِيْمًا﴾ ماء حارّاً غاية الحرارة ﴿وَعَسَاقًا﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٤)</sup>؛ ما يسيل عن صديد أهل النار، فإنهم يدقونونه.

﴿٢٦﴾ جَزَاءً وَفَاقًا مجوزوا بذلك ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ موافقاً لعملهم، فلا ذنب أعظم من الكفر، ولا عذاب أعظم من النار.

﴿٢٧﴾ اِنَّهُمْ كَانُوْا لَا يَرْجُوْنَ يخافون ﴿حِسَابًا﴾ لإنكارهم البعث.  
 ﴿٢٨﴾ وَكَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا القرآن كَذِبًا. تكذيباً. ﴿٢٩﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ من الأعمال ﴿اَحْصَيْنَاهُ﴾ ضبطناه ﴿كِتَابًا﴾ كتبنا في اللوح المحفوظ؛ لنجازي عليه، ومن ذلك تكذيبهم بالقرآن.

﴿٣٠﴾ فَذُقُوْا أَي: فيقال لهم في الآخرة عند وقوع العذاب: ذوقوا جزاءكم ﴿فَلَئِنْ تَزِيدَكُمْ اِلَّا عَذَابًا﴾ فوق عذابكم.

(٢) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

(١) وتسمى سورة النّبي.

(٣) شعبي النوم برداً؛ لأنه يبرد صاحبه. وهي لغة هذيل. وقال ابن عباس: البرد: برد الشراب. وقال الزجاج: لا يدقون فيها برد ربح، ولا ظل نوم. فجعل البرد: برد كل شيء له راحة.

(٤) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالتشديد.



[٣١] ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ مكان فوز في الجنة. [٣٢] ﴿حَدَائِقَ﴾ بساتين، بدل من: «مَفَازًا»، أو: بيان له ﴿وَأَعْنَابًا﴾ عطف على «مَفَازًا». [٣٣] ﴿وَوَاعِصَ﴾ جوارى تكعبت ثدييهن، جمع «كاعب» ﴿أَرْبَابًا﴾ على سن واحد، جمع «ترب» بكسر التاء وسكون الراء. [٣٤] ﴿وَكُنُوسًا﴾ خمرًا مائلة محالها، وفي سورة «الفتح»: ﴿وَأَكْثَرُ مِنْ حَرِّ﴾. [٣٥] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ أي: الجنة، عند شرب الخمر، وغيرها من الأحوال ﴿لَقَوْلًا﴾ باطلا من القول ﴿وَلَا [كِدَابًا]﴾<sup>(١)</sup> بالتخفيف؛ أي: كذبا، وبالتشديد؛ أي: تكذيبا من واحد لغيره، بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر. [٣٦] ﴿جَزَاءَ مَن رَّبَّيَ﴾ أي: جزاهم الله بذلك جزاء ﴿عَطَلَهُ﴾ بدل من «جزاء» ﴿جَسَابًا﴾ أي: كثيرًا، من قولهم: أعطاني فأحسبني؛ أي: أكثر علي حتى قلت: حشبي. [٣٧] ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بالجر والرفع<sup>(٢)</sup> ﴿وَمَا يَلْمِزُهَا الرِّحْمَى﴾ كذلك<sup>(٣)</sup>، ويرفعه مع جر «رب»<sup>(٤)</sup> ﴿لَا يَلْمِزُكَ﴾ أي: الخلق ومنه تعالى ﴿خَطَابًا﴾ أي: لا يقدر أحد أن يخاطبه، خوفا منه.

[٣٨] ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لـ «لا يملكون» ﴿يَوْمَ الرُّوحِ﴾ جبريل، أو: جند الله ﴿وَالْمَلَكُ صَفًا﴾ حال؛ أي: مصطفين ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ أي: الخلق ﴿لَا مَن أَدْنَى لَهُ الرِّحْمَى﴾ في الكلام ﴿وَقَالَ﴾ قولاً ﴿صَوَابًا﴾ من المؤمنين والملائكة كأن يشفعوا لمن ارتضى. [٣٩] ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ لَحُوقٌ﴾ الثابت وقوعه، وهو يوم القيامة ﴿فَمَن شَاءَ افْعَلْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَابًا﴾ مرجعاً؛ أي: رجع إلى الله بطاعته؛ ليسلم من العذاب فيه. [٤٠] ﴿إِنَّا أُنْذِرُكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ عذاب يوم القيامة الآتي، وكل آت قريب ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لـ «عذابا» بصفته ﴿يَنْظُرُ الْمَرْءُ﴾ كل امرئ ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَهُ﴾ من خير وشر ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا﴾ حرف تنبيه ﴿يَلْبِثِي كُنتُ نُرَابًا﴾ يعني: فلا أعذب، يقول ذلك عندما يقول الله تعالى: للبهائم بعد الانقراض من بعضها البعض: كوني تراباً<sup>(٥)</sup>.

## سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا ﴿١﴾ وَالنَّشِيطَاتِ تَشَاطُفًا ﴿٢﴾ وَالسَّيِّحَاتِ سَبَاحًا ﴿٣﴾ فَالْمُتَّقِينَ سَبَقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتَّبِعُنَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمِيذٍ رَّاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصُرْهَا خَشِيعَةً ﴿٩﴾ يَقُولُونَ لِمَ كُنَّا تَمْرُدُونَ فِي الْخَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَلَمْ نَكُنْ عَظَمًا خَجَرًا ﴿١١﴾ قَالُوا بَلْ كُنَّا نَدْكُرُهُ خَاسِرَةً ﴿١٢﴾ فَلَمَّا هِيَ تَجْرُؤُ وَخِدَّةٌ ﴿١٣﴾ فَادَاهُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾

## سُورَةُ النَّازِعَاتِ

[مكية، ست وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ الملائكة تنزع أرواح الكفار ﴿غَرْاقًا﴾ نزعاً بشدة. [٢] ﴿وَالنَّشِيطَاتِ تَشَاطُفًا﴾ الملائكة تَشَاطُفُ أرواح المؤمنين؛ أي: تَشْلُهَا برفق. [٣] ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبَاحًا﴾ الملائكة تسبح من السماء بأمره تعالى؛ أي: تنزل. [٤] ﴿فَالْمُتَّقِينَ سَبَقًا﴾ الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة. [٥] ﴿فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾ الملائكة تدبر أمر الدنيا؛ أي: تنزل بتدبيره، وجواب هذه الأقسام محذوف؛ أي: لتبعن يا كفار مكة، وهو عامل في: [٦] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ النفخة الأولى بها يرجف كل شيء؛ أي: يتزلزل، فوصفت بما يحدث منها. [٧] ﴿تَتَّبِعُنَا الرَّادِفَةُ﴾ النفخة الثانية، وبينهما أربعون سنة<sup>(١)</sup>.

(١) محمد: ١٥.

(٢) بالتخفيف قراءة الكسائي.

(٣) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) وهي قراءة ثالثة سبعة. حمزة والكسائي.

(٥) كما في حديث أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: «يقضي الله بين خلقه: الجن والإنس والبهائم، وأنه يُقْبِدُ يومئذٍ الجماء من الفرائض، حتى إذا لم يبق نعمة عند واحدة لأخرى، قال الله: كونوا تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً». أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨، ١٧/٣٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٦٦) (٦٠٦/٤).

(٦) الأولى عدم التنصيص، وإثنا يقال: «أربعون» فقط كما في الحديث.

(٧) أي: وتركه، وقرأ نافع والكسائي وابن عامر بالاستفهام في الأول والإخبار في الثاني. وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٨) حمزة والكسائي وشعبة.

أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا نَرٌّ كَ ﴿٨﴾ وَلَهْدِيكَ  
إِلَى رَبِّكَ فَتَحْشَى ﴿٩﴾ فَأَرْسَلْنَا الْكَافِرِينَ ﴿١٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿١١﴾ ثُمَّ  
أَدْبَرَ سَعْيَ ﴿١٢﴾ فَحَسَرَ فَادَى ﴿١٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿١٤﴾ فَأَخَذَهُ  
اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿١٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى ﴿١٦﴾  
إِنَّمَا أَشَدُّ خَلْقًا أَمَ السَّمَاءَ بَنَاهَا ﴿١٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿١٨﴾  
وَأَعْطَشَ لِبَنَاهَا وَأَخْرَجَ صُحُفَهَا ﴿١٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٢٠﴾  
أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٢١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٢٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ  
وَلَا تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَإِذَا جَاءَتْ الطَّائِفَةُ الْكَافِرَةُ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ  
مَا سَعَى ﴿٢٥﴾ وَبُورَّتِ الْجَنَّةُ لِمَن يَرَى ﴿٢٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَى ﴿٢٧﴾ وَءَاثَرَ  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٢٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٢٩﴾ وَأَمَّا مَن خَافَ  
مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣١﴾  
يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ فِيمَا نَرَتْ مِنْ  
ذِكْرِنَا ﴿٣٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُتَمِّتْهَا ﴿٣٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ يَّخْشَاهَا ﴿٣٥﴾  
كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوِصَّاهَا ﴿٣٦﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

[١٦] ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْأَيْمَنِ طَوًى﴾ اسم الوادي، بالتثنية وتركة<sup>(١)</sup>،  
نقال: [١٧] ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ تجاوز الحد في الكفر.  
[١٨] ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا نَرٌّ كَ﴾ أدعوك ﴿إِلَىٰ أَن تَرْكَبَ﴾ وفي قراءة<sup>(٢)</sup> بتشديد الزاي  
يادغام التاء الثانية في الأصل فيها؛ تتطهر من الشرك بأن تشهد أن لا إله إلا الله.  
[١٩] ﴿وَأَعْيَدِكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أدلك على معرفته بيهان ﴿فَتَحْشَىٰ﴾ فتخافه.  
[٢٠] ﴿فَأَرْسَلْنَا الْكَافِرِينَ﴾ من آياته التسع، وهي اليد أو العصا.  
[٢١] ﴿فَكَذَّبَ﴾ فرعون موسى ﴿وَعَصَى﴾ الله - تعالى.  
[٢٢] ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿يَسْعَىٰ﴾ في الأرض بالفساد.  
[٢٣] ﴿فَحَسَرَ﴾ جمع السحرة وجنده ﴿فَكَادَىٰ﴾.  
[٢٤] ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ لا رب فوقى.  
[٢٥] ﴿فَأَنذَرَهُ اللَّهُ﴾ أهلكه بالفرق ﴿نَكَالَ﴾ عقوبة ﴿الْآخِرَةِ﴾ أي: هذه  
الكلمة ﴿وَالْأُولَىٰ﴾ أي: قوله قبلها: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ  
غَيْرِي﴾<sup>(٣)</sup>، وكان بينهما أربعون سنة.

\*\*\*

[٢٦] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ الله - تعالى ..  
[٢٧] ﴿إِنَّمَا أَشَدُّ خَلْقًا﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفًا، وتسهيلها، وإدخال  
ألف بين المسهلة والأخرى، وتركة<sup>(٤)</sup>؛ أي: منكمو البعث ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمَ  
السَّمَاءَ﴾ أشد خلقًا؟ ﴿بَنَاهَا﴾ بيان لكيفية خلقها.  
[٢٨] ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا﴾ تفسير لكيفية البناء؛ أي: جعل سمتهما في جهة العلو  
رفيعًا، وقيل: سَمَكُهَا: سقفها ﴿فَسَوَّاهَا﴾ جعلها مستوية بلا عيب.  
[٢٩] ﴿وَأَعْطَشَ لِبَنَاهَا﴾ أظلمه ﴿وَأَخْرَجَ صُحُفَهَا﴾ أبرز نور شمسها،  
وأضيف إليها الليل؛ لأنه ظلها، والشمس؛ لأنها سراجها.  
[٣٠] ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ بسطها، وكانت مخلوقة قبل السماء  
من غير دحوي.  
[٣١] ﴿أَخْرَجَ﴾ حال بإضمار «قد»؛ أي: مُخْرِجًا ﴿مِنَهَا مَاءَهَا﴾ بتفجير  
عيونها ﴿وَمَرْعَاهَا﴾ ما ترعاه النعم من الشجر والعشب، وما يأكله الناس من  
الأقوات والثمار، وإطلاق المرعى عليه استعارة.  
[٣٢] ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ أثبتها على وجه الأرض لتسكن.  
[٣٣] ﴿مَتَاعًا﴾ مفعول له لمقدّر؛ أي: فعل ذلك متعة، أو: مصدر؛ أي:  
تمتيعًا ﴿لَّكُمْ وَلَآئِمِيكُمْ﴾ جمع نعم، وهي الإبل والبقر والغنم.  
[٣٤] ﴿فَإِذَا جَاءَتْ الطَّائِفَةُ الْكَافِرَةُ﴾ الفخخة الثانية.  
[٣٥] ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ بدل من «إذا» ﴿مَا سَعَىٰ﴾ في الدنيا من خير وشر.  
[٣٦] ﴿وَبُورَّتِ﴾ أظهرت ﴿الْجَنَّةِ﴾ النار المحرقة ﴿لِمَن يَرَىٰ﴾ لكل راء.  
وجواب «إذا»: [٣٧] ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ كفر. [٣٨] ﴿وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾  
باتباع الشهوات. [٣٩] ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ مأواه.  
[٤٠] ﴿وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ قيامه بين يديه ﴿وَنَهَىٰ النَّفْسَ﴾ الأُمارة  
﴿عَنِ الْهَوَىٰ﴾ المؤدي باتباع الشهوات. [٤١] ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾  
وحاصل الجواب: فالعاصي في النار، والمطيع في الجنة.  
[٤٢] ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ أي: كفار مكة ﴿عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ متى وقوعها  
وقيامها؟  
[٤٣] ﴿فِيمَا نَرَتْ شَيْءٌ﴾ أي: شيء ﴿أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَا﴾ أي: ليس عندك  
علمها حتى تذكرها.  
[٤٤] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُتَمِّتْهَا﴾ منتهى علمها، لا يعلمه غيره.  
[٤٥] ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ إنما ينفع إنذارك ﴿مَن يَخْشَاهَا﴾ يخافها.  
[٤٦] ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَسُوا﴾ في قبورهم ﴿وَلَا عَشِيَّةً أَوْ صُحُفَهَا﴾ عشية  
يوم أو بكرته، وصح إضافة الضحى إلى العشية؛ لما بينهما من الملاسة؛ إذ هما  
طرفا النهار، وحسّن الإضافة وقوع الكلمة فاصلة.

(١) بترك التثنية قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) لنافع وابن كثير.

(٣) القصص: ٣٨.

(٤) فالقراءات خمس كلها سبعة. راجع التعليق على الآية رقم (١٧) من سورة الفرقان.

## سُورَةُ عَبَسَ

[مكية، اثنان وأربعون آية]\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] عَبَسَ النَّبِيُّ: كَلِمَ وَجْهَهُ وَتَوَلَّى: أَعْرَضَ، لِأَجْلِ [٢] أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَقَطَعَهُ عَمَّا هُوَ مَشْغُولٌ بِهِ، مِمَّنْ يَرْجُو إِسْلَامَهُ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ الَّذِي <sup>(١)</sup> هُوَ حَرِيصٌ عَلَى إِسْلَامِهِمْ، وَلَمْ يَدْرِ الْأَعْمَى أَنَّهُ مَشْغُولٌ بِذَلِكَ فَنَادَاهُ: عَلِمَنِي مِمَّا عَلِمْتُكَ اللَّهُ. فَانصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ؛ فَعَوَّتَبَ فِي ذَلِكَ بِمَا نَزَلَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ؛ فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ إِذَا جَاءَ: «مَرْحَبًا بِمَنْ عَاتَيْنِي فِيهِ رَبِّي» <sup>(٢)</sup> وَيَسْطَلُ لَهُ رِدَاءَهُ. [٣] وَمَا يَذَرِيكَ: يَعْلَمُكَ «لَعَلَّكَ يَزْكُ» فِيهِ إِدْغَامُ التَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الزَّيْ؛ أَيُّ: يَتَطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ، بِمَا يَسْمَعُ مِنْكَ. [٤] أَوْ يَذْكُرُ: فِيهِ إِدْغَامُ التَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الذَّالِ؛ أَيُّ: يَنْتَظِرُ «فَتَنْفَعُهُ» الذِّكْرُ: الْعُظْمَةُ الْمَسْمُوعَةُ مِنْكَ، وَفِي قِرَاءَةٍ <sup>(٣)</sup> يَنْصَبُ «تَنْفَعُهُ» جَوَابَ التَّرْجِي. [٥] أَمَّا مَنْ اسْتَعْنَى: بِالْمَالِ [٦] قَالَتْ لَمْ تَصَلِّ: وَفِي قِرَاءَةٍ <sup>(٤)</sup> بِتَشْدِيدِ الصَّادِ؛ بِإِدْغَامِ التَّاءِ الثَّانِيَةِ فِي الْأَصْلِ فِيهَا؛ ثَقِيلٌ وَتَضَرُّعٌ. [٧] وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزْكُ: يُؤْمِنُ.

[٨] وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى: حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ «جَاءَهُ». [٩] وَهُوَ يَخْتَلِئُ: اللَّهُ، حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ «يَسْعَى»، وَهُوَ الْأَعْمَى. [١٠] قَالَتْ عَنْهُ لَلَّغَ: فِيهِ حَذْفُ التَّاءِ الْأُخْرَى فِي الْأَصْلِ؛ أَيُّ: تَشْتَغَلُ؟ [١١] كَلَّا: لَا تَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ «إِنَّمَا»: أَيُّ: السُّورَةُ أَوْ الْآيَاتِ «يَذْكُرُ»: عُظْمَةُ لِلخَلْقِ. [١٢] قَسَنَ شَاءَ ذَكَرَهُ: حَفِظَ ذَلِكَ، فَاتَعَطَّ بِهِ. [١٣] فِي صُحُوفٍ: خَبَرْنَا إِنْ «لَهَا» وَمَا قَبْلَهُ اعْتِرَاضُ «مَكْرَمَةٍ» عِنْدَ اللَّهِ. [١٤] تَرْفُوعَةٍ: فِي السَّمَاءِ «مُطَهَّرَةٍ» مُنْزَهَةٌ عَنِ مَسِّ الشَّيَاطِينِ. [١٥] بِأَيْدِي سَفَرَةٍ: كَتَبَتْ يَنْسَخُونَهَا مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ. [١٦] كِرَامَ بَرٍّ: مُطِيعِينَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَهَمَّ الْمَلَائِكَةُ. [١٧] قَوْلُ الْإِنْسَانِ: لَعَنَ الْكَافِرَ «مَا أَقْرَبَهُ» اسْتِفْهَامُ تَوْبِيخٍ؛ أَيُّ: مَا حَمَلَهُ عَلَى الْكَفْرِ؟ [١٨] بَيْنَ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ: اسْتِفْهَامُ تَقْرِيرٍ. [١٩] ثُمَّ يَبْنِيهِ فَقَالَ: «بَيْنَ تَلْفُظٍ خَلَقَهُ مُقَدَّرٍ» عِلَاقَةٌ ثُمَّ مَضَعُهُ، إِلَى أَنْحَرِ خَلْقِهِ. [٢٠] «ثُمَّ السَّبِيلَ»: أَيُّ: طَرِيقَ خُرُوجِهِ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ «يَسْرَهُ». [٢١] «ثُمَّ أَمَّا لَهُ فَاقْرَبُ» جَعَلَهُ فِي قَبْرِ يَسْرَهُ. [٢٢] «ثُمَّ إِنَّا شَاءَ أَنْشُرَهُ» لِلْبَعْثِ. [٢٣] «كَلَّا» حَقًّا «لَمَّا يَقْضُ» لَمْ يَفْعَلْ «مَا أَمَرَهُ» بِهِ رَبِّهِ. [٢٤] فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ: نَظَرَ اعْتِبَارَ «إِلَى طَمَاسِيهِ» كَيْفَ قُدِّرَ وَدُبِّرَ لَهُ. [٢٥] «إِنَّا صَبَّأْنَا آلَاءَهُ» مِنَ السَّحَابِ «صَبَّأْنَا». [٢٦] «ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ» بِالنَّبَاتِ «شَفَقْنَا». [٢٧] «فَأَنْبَأْنَا فِيهَا حَبًّا» كَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ. [٢٨] «وَعَبَّأْنَا وَقَضَّأْنَا» هُوَ الْقُثْبُ الْوُطْبُ. [٢٩] «وَزَيَّنَّا وَخَلَقْنَا». [٣٠] «وَحَدَّائِقَ عُلَّابًا» بَسَاتِينَ كَثِيرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّاهُ يَنْزِلُ ۚ  
أَوْ يَذْكُرُ فِتْنَعَهُ الذَّكْرَى ۚ أَتَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ۚ فَأَن ت لَهُ وَصَدَى ۚ  
وَمَا عَلَيْكَ الْأَيزْكَى ۚ وَآمَنَ مِنْ جَاءَكَ يُسْعَى ۚ وَهُوَ يَخْشَى ۚ  
فَأَن ت عَنْهُ تَلَهَّى ۚ كَلَّا إِنَّمَا تَذَكَّرُ ۚ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۚ فِي صُحُفٍ ۚ  
مُكْرَمَةٍ ۚ تَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ۚ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۚ كِرَامَ بَرٍّ ۚ  
فَقِيلَ لِلْإِنْسَانِ مَا أَكْفَرُهُ ۚ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۚ مِنْ تَلْفَظٍ ۚ  
خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۚ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ ۚ ثُمَّ أَمَّا لَهُ فَاقْرَبُ ۚ ثُمَّ إِنَّا ۚ  
شَاءَ أَنْشُرَهُ ۚ كَلَّا لَمَّا يَقْضُ مَا أَمَرُهُ ۚ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ  
إِنَّا صَبَّأْنَا آلَاءَهُ صَبًّا ۚ ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَفَقًا ۚ فَأَنْبَأْنَا فِيهَا ۚ  
حَبًّا ۚ وَعَبَّأْنَا وَقَضَّأْنَا ۚ وَزَيَّنَّا وَخَلَقْنَا ۚ وَحَدَّائِقَ عُلَّابًا ۚ وَفَلَّحْنَا ۚ  
وَأَنَّا ۚ مَتَّعَالِكُمْ وَلَا تَعْمَلُكُمْ ۚ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةَ ۚ يَوْمَ يَفِرُّ ۚ  
الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۚ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ۚ وَصَدِيقَتُهُ وَبَنِيهِ ۚ لِكُلِّ ۚ  
أَقْرَبٍ مِّنْهُ يَوْمَ ذِشْنُ يَوْمِهِ ۚ وَجُوهٌ يَوْمَ ذِشْنُ يَوْمِهِ ۚ  
صَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۚ وَوُجُوهٌ يَوْمَ ذِشْنُ يَوْمِهِ ۚ

الأشجار. [٣١] «وَفَلَّحْنَا وَأَنَّا» مَا تَرَعَاهُ الْبَهَائِمُ، وَقِيلَ: الثَّيْنُ. [٣٢] «وَنَتَّعَا» مَتْعَةً، أَوْ: تَمَتُّعًا، كَمَا تَقْدُمُ فِي السُّورَةِ قَبْلَهَا «لَكُرُ» وَ«لَتَعْمَلُكُمْ» تَقْدُمُ فِيهَا أَيْضًا. [٣٣] «وَإِنَّا جَاءَتِ الصَّاعَةُ» النِّفْخَةُ الثَّانِيَةُ. [٣٤] «يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ». [٣٥] «وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ». [٣٦] «وَصَدِيقَتُهُ» زَوْجَتُهُ «وَبَنِيهِ» «يَوْمَ» بَدَلٌ مِنْ «إِذَا»، وَجَوَابُهَا دَلَّ عَلَيْهِ: [٣٧] «لِكُلِّ أَقْرَبٍ مِنْهُ يَوْمَ ذِشْنُ يَوْمِهِ» حَالٌ يَشْغَلُهُ عَنْ شَأْنٍ غَيْرِهِ؛ أَيُّ: اشْتَغَلَ كُلُّ وَاحِدٍ بِنَفْسِهِ. [٣٨] «وَجُوهٌ يَوْمَ ذِشْنُ يَوْمِهِ» مُضْبِغَةٌ. [٣٩] «صَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ» فَرِحَةٌ، وَهَمُّ الْمُؤْمِنُونَ. [٤٠] «وَوُجُوهٌ يَوْمَ ذِشْنُ يَوْمِهِ» غِبَارٌ. [٤١] «تَرْغَفُنَا» تَغْشَاهَا «فَذَرَّ» ظِلْمَةٌ وَسَوَادٌ. [٤٢] «أُولَئِكَ» أَهْلُ هَذِهِ الْحَالَةِ «هُمْ» الْكَافِرُ الْفَاجِرُ: أَيُّ: الْجَامِعُونَ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْفُجُورِ.

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزُولِ السُّورَةِ: أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَنْزَلَ «عَبَسَ وَتَوَلَّى» فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى؛ أَنَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَجَلَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ارْشُدْنِي، وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ عِظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَعَجَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرَضَ عَنْهُ وَيَقِيلُ عَلَى الْآخَرِ وَيَقُولُ: «أَتَرَى بِنَا أَقُولُ بِأَنَّا؟» فَيَقُولُ: لَا، فَنَفِي هَذَا أَنْزَلَ. التِّرْمِذِيُّ: كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٧٣) وَمِنْ سُورَةِ عَبَسَ (صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، صَحِيحُ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٢٦٥١).

(١) كَذَا فِي أَكْثَرِ الطَّبَوَيْ، وَفِي حَاشِيَةِ الصَّارِي قَالَ: «نَعَتْ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ، وَكَانَ الْمُنَاسِبُ التَّعْبِيرُ بِالذِّنِّ». وَفِي حَاشِيَةِ الْجَمَلِ قَالَ: «... فَكَأَنَّهُ جَاءَ عَلَى الِاسْتِعْمَالِ الْقَلِيلِ مِنْ اسْتِعْمَالِ «الَّذِي» فِي الْجَمْعِ، عَلَى حَذْفٍ: «وَتَشَفَّعْتُ كَالَّذِي تَحْضَرُ» [الْوَاوَةُ: ٦٩].

(٢) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي أَسْبَابِ الزَّلْزَلِ ص ٣٨٥، وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْكَافِي الشَّافِ ص (١٨١): ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ بِلا إِسْنَادٍ، وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الْفَرْدُوسِ (٦٨٠٥) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، مِنْ غَيْرِ إِسْنَادٍ. وَهُوَ فِي مُسْنَدِ أَبِي يَعْلَى (٤٣١/٤) رَقْم (٣١٢٣) عَنْ أَنَسٍ بِإِسْنَادٍ ظَاهِرِهِ الصَّحَّةُ بِلَفْظٍ: «... فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهُ ذَلِكَ يَكْرَهُهُ».

(٣) بِالرَّافِعِ قِرَاءَةُ السَّعَةِ عَدَا عَاصِمٍ، وَقَرَأَ عَاصِمٌ بِالنَّصْبِ.

(٤) لِلنَّاعِ وَابْنِ كَثِيرٍ.

(٥) وَالْخَبَرُ الْأَوَّلُ: «تَذَكَّرَةُ».

فُرت بأجسادها. [٨] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ الجارية تدفن حية، خوف العار والحاجة ﴿سُيِّلَتْ﴾ تبيكت لفاتها. [٩] ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ وقرئ (٣) بكسر التاء حكاية لما تخاطب به، وجوابها أن تقول: قُتِلَتْ بلا ذنب. [١٠] ﴿وَإِذَا الْصُّحُفُ انشُفَّتْ﴾ صف الأعمال ﴿نُشِرتْ﴾ بالتخفيف والتشديد (٤)؛ فُتحت وبُسطت. [١١] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ نُزعت عن أماكنها، كما ينزع الجند عن الشاة. [١٢] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ النار [سُيِّرَتْ] بالتخفيف والتشديد (٥)؛ أُجِحت. [١٣] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ أَزْلَفَتْ﴾ قُربت لأهلها ليدخلوها. وجواب «إذا» أول السورة، وما عطف عليها: [١٤] ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ﴾ كل نفس وقت هذه المذكورات، وهو يوم القيامة ﴿مَّا أَحْضَرْتَ﴾ من خير وشر. [١٥] ﴿فَلَا أَفْسِسُ﴾ «لا» زائدة ﴿بِالْحَنِينِ﴾. [١٦] ﴿الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾ هي النجوم الخمسة: زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد تُخس. بضم النون؛ أي: ترجع في مجراها وراءها، بينما نرى النجم في آخر البرج إذ كُوراجعاً إلى أوله، وتكسب بكسر النون: تدخل في كتابها؛ أي: تغيب في المواضع التي تغيب فيها. [١٧] ﴿وَالْأَيْلِ إِذَا سَمَسَتْ﴾ أقبل بظلامه، أو: أدير. [١٨] ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ امتد حتى يصير نهراً يتأ. [١٩] ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلٌ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ على الله. تعالى، وهو جبريل، أُضيف إليه لنزوله به. [٢٠] ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ أي: شديد القوى ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ أي: الله. تعالى - ﴿مَكِينٍ﴾ ذي مكانة، متعلق به عند. [٢١] ﴿شُعَاعُ ثَمٍّ﴾ تطيعه الملائكة في السماوات ﴿أَيُّنَ﴾ على الوحي. [٢٢] ﴿وَمَا سَاجِدٌ﴾ محمد ﷺ عطف على «إنه»، إلى آخر المقسم عليه ﴿يَسْجُدُ﴾ كما زعمتم. [٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ رأى محمد ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها ﴿بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ البين، وهو الأعلى بناحية المشرق. [٢٤] ﴿وَمَا هُوَ﴾ محمد ﷺ ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾ ما غاب من الوحي وخبر السماء [بِطِينٍ] (٦)؛ أي: بمشهم، وفي قراءة بالضاد؛ أي: ببخيل، فينقص شيئاً منه. [٢٥] ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿يَقُولُ شَيْطَانٍ﴾ مسترق السمع ﴿رَجِيمٍ﴾ مرجوم. [٢٦] ﴿فَإِنَّ تَذْهَبُونَ﴾ فبأي طريق تسلكون في إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه؟ [٢٧] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن. [٢٨] ﴿لَسَنَّا يَكْفُرُ﴾ بدل من العالمين بإعادة الجار ﴿أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ باتباع الحق. [٢٩] ﴿وَمَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ الاستقامة على الحق ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الخلائق، استقامتكم عَلَيْهِ (٧).

\*\*\*

تَرَاهُمْ قَاتِرَةً ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ۖ

## سورة التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۖ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۖ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۖ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۖ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۖ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۖ وَإِذَا الْنُفُوسُ زُوِّجَتْ ۖ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ ۖ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۖ وَإِذَا الْصُّحُفُ نُشِرَتْ ۖ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۖ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۖ وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزْلَفَتْ ۖ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتَ ۖ فَلَا أَفْسِسُ بِالْحَنِينِ ۖ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ۖ وَالْأَيْلِ إِذَا عَسَّعَسَ ۖ وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ ۖ إِنَّهُ لَقَوْلٌ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۖ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۖ مُطَاعٌ ثَوَّامِينَ ۖ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَحْجُونٍ ۖ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ۖ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۖ وَمَا هُوَ يَقُولُ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۖ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۖ لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۖ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۖ

## سورة التكاثر

[مكية، تسع وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ لُفَّت وذهب بنورها. [٢] ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ انقضت وتساقطت على الأرض (١). [٣] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ ذهب بها عن وجه الأرض؛ فصارت هباء منبهاً. [٤] ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ﴾ النوق الحوامل ﴿عُطِّلَتْ﴾ تُركت بلا راع، أو: بلا حلب؛ لما دهاهم من الأمر، ولم يكن مال أعجب إليهم منها. [٥] ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ جمعت بعد البعث؛ ليقص لبعض من بعض، ثم تصير تراباً. [٦] ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد (٢)؛ أوقدت فصارت نازاً. [٧] ﴿وَإِذَا الْنُفُوسُ زُوِّجَتْ﴾

(١) النجوم لا تصافق على الأرض، وإنما تفتت وتتأثر. فالأولى: عدم ذكر الأرض.

(٢) بالتخفيف قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٣) أي: شذوذاً ﴿قُتِلَتْ﴾.

(٤) بالتشديد قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٥) بالتخفيف قراءة السبعة عدا نافع وابن ذكوان وحفص.

(٦) وهي قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة بالضاد؛ ﴿بُضْنِينَ﴾.

(٧) قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي في تعليقه على الخلاين ص (٢٦١): «التعظيم في متعلق المشيئة أولى؛ لحذف المفعول. والتقدير: وما تشاءون شيئاً من خير أو شر؛ إلا أن يشاء الله ذلك. ويدخل في ذلك الاستقامة دخولاً أولياً للآية السابقة، وبذلك تدل الآية على مشيئة الله التكوينية خلافاً للمعتزلة».

## سُورَةُ الْاِنْطِطَارِ

[مكية، تسع عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ انشقت.

[٢] ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾ انقضت ونساقطت.

[٣] ﴿وَلِذَا الْيَمَامُ فُجِرَتْ﴾ فُتِحَ بعضها في بعض، فصارت بحرًا واحدًا، واختلط العذب بالمالح.

[٤] ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾ قُلِبَ ترابها، وبُعث موتاها.

[٥] وجواب «إذا» وما عطف عليها: «عَلِمَتْ نَفْسٌ أَي: كل نفس وقت هذه المذكورات، وهو يوم القيامة» مِمَّا قَدَّمَتْ من الأعمال [٦] «وَأُخْرَتْ» منها، فلم تعمله.

[٦] ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ الكافر ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ حتى عصيته.

[٧] ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ بعد أن لم تكن ﴿فَسَوْفَكَ﴾ جعلك مستوي الخلقة، سالم الأعضاء ﴿فَعَدَّكَ﴾ بالتخفيف والتشديد (١)، جعلك معتدل الخلق، متناسب الأعضاء؛ ليست يد أو رجل أطول من الأخرى.

[٨] ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا﴾ صلة ﴿شَاءَ رَبُّكَ﴾.

[٩] ﴿كَلَّا﴾ ردع عن الاعتزاز بكرم الله - تعالى (٢) - ﴿بَلْ تَكَذِّبُونَ﴾ أي: كفار مكة ﴿بِالَّذِينَ﴾ بالجزاء على الأعمال.

[١٠] ﴿وَأَنْ عَلَيْكُمْ لَحُفَظِينَ﴾ من الملائكة لأعمالكم.

[١١] ﴿كِرَامًا﴾ على الله ﴿كَبِيرِينَ﴾ لها.

[١٢] ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ جميعه.

[١٣] ﴿إِنَّ الْأَذْيَارَ﴾ المؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿لَنِي نَعِيمٍ﴾ جنة.

[١٤] ﴿وَأَنَّ الْفَجَارَ﴾ الكفار ﴿لَنِي نَجِيمٍ﴾ نار محرقة.

[١٥] ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ويقاضون عجزها ﴿يَوْمَ الْبَازِغِ﴾ الجزاء.

[١٦] ﴿وَمَّا هُمْ عَنْهَا غَائِبِينَ﴾ بمخرجين.

[١٧] ﴿وَمَا آذْرَكَ﴾ أعلمك ﴿مَا يَوْمَ الْبَازِغِ﴾.

[١٨] ﴿ثُمَّ مَا آذْرَكَ مَا يَوْمَ الْبَازِغِ﴾ تعظيم لشأنه.

[١٩] ﴿[يَوْمَ]﴾ بالرفع (٣)، أي: هو يوم ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ من المنفعة ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ لا أمر لغيره فيه؛ أي: لم يمكن أحدًا من التوسط فيه، بخلاف الدنيا.

\*\*\*

## سُورَةُ الْاِنْطِطَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ

فُجِرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ

وَأُخْرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي

خَلَقَكَ فَسَوْفَكَ ﴿٧﴾ فَعَدَّكَ ﴿٨﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَبُّكَ ﴿٩﴾

كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿١٠﴾ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحُفَظِينَ ﴿١١﴾ كِرَامًا

مَكِينِينَ ﴿١٢﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٣﴾ إِنَّ الْأَذْيَارَ لَنِي نَعِيمٍ ﴿١٤﴾ وَإِنَّ

الْفَجَارَ لَنِي نَجِيمٍ ﴿١٥﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الْبَازِغِ ﴿١٦﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا غَائِبِينَ ﴿١٧﴾

﴿١٨﴾ وَمَا آذْرَكَ مَا يَوْمَ الْبَازِغِ ﴿١٩﴾ ثُمَّ مَا آذْرَكَ مَا يَوْمَ الْبَازِغِ

﴿٢٠﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ﴿٢١﴾ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿٢٢﴾

## سُورَةُ الْاِنْطِطَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾

وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوَّذَوْهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ لَا يُبْطِلُ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾

## سُورَةُ الْاِنْطِطَارِ

[مكية، أو: مدنية، ست وثلاثون آية\*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب، أو: واد في جهنم ﴿لِلْمُطَفِّفِينَ﴾.

[٢] ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ الكيل.

[٣] ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوَّذَوْهُمْ﴾ كالوا لهم ﴿أَوَّذَوْهُمْ﴾ أي: وزنوا لهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾ ينقصون الكيل أو الوزن.

[٤] ﴿لَا يُبْطِلُ﴾ استفهام توبيخ ﴿يُبْطِلُ﴾ يتيقن ﴿أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾.

[٥] ﴿يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ أي: فيه، وهو يوم القيامة.

[٦] ﴿يَوْمَ﴾ بدل من محل «اليوم»؛ فناصبه: «مبعوثون» ﴿يَقُومُ النَّاسُ﴾ من قبورهم ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الخلائق؛ لأجل أمره وحسابه وجزائه.

(١) ما جاء في نزول السورة: أخرج ابن ماجه عن ابن عباس، قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أحبب الناس كبرًا، فأمر الله . شيعته .: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك. ابن ماجه - كتاب الصلوات (١٢) باب (٣٥) التوفي في الكيل والوزن. (حس) صحيح سنن ابن ماجه (١٨٠٨).

(١) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) قول الخليلي: «ردع عن الاعتزاز بكرم الله تعالى» بعيد أنه ذهب إلى أن جواب الإنسان الكافر على سؤال: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ في الآية السادسة هو: غره كرم الله. وهذا قول ضعيف مردود، والكافر إنما غره جهله بربه وبصفاته. وقد يتوجه هذا الجواب ويقلل من تحمل على أن السؤال موجه إلى المؤمن العاصي، لكن الخطأ في الآية للكافر.

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿يَوْمَ﴾ بالفتح.

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ  
الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينَ ﴿٧﴾ وَمَا أَذْرُوكَ مَا سِجِّينَ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿٩﴾  
وَلَوْلَا مِيزَانُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١١﴾ وَمَا كَذَّبَ  
بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسْطِيرٌ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾  
كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ  
يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا  
الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَاءِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾  
وَمَا أَذْرُوكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُفَرِّقُونَ ﴿٢١﴾  
إِنَّ الْأَنْبَاءَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرْيَافِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي  
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ ﴿٢٥﴾ خِشْمُهُ  
مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِنْ رِجَائِهِمْ  
تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنَايَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُفَرِّقُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا  
مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِضَحْكَوْنٍ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾  
وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا  
إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾

[٧] ﴿كَلَّا﴾ حقاً ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَاءِ﴾ أي: كتاب أعمال الكفار ﴿لَفِي سِجِّينَ﴾ قيل: هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة، وقيل: هو مكان أسفل الأرض السابعة، وهو محل إبليس وجنوده.  
[٨] ﴿وَمَا أَذْرُوكَ مَا سِجِّينَ﴾ ما كتاب سجين.  
[٩] ﴿كِتَابٌ مَرْفُومٌ﴾ مختم.  
[١٠] ﴿وَلَوْلَا مِيزَانُ الْمُكْذِبِينَ﴾  
[١١] ﴿الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ بيان «الملكذيين».  
[١٢] ﴿وَمَا كَذَّبَ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ متجاوز الحد «أثيم» صيغة مبالغة.  
[١٣] ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالَ أَسْطِيرٌ الْأَوَّلِينَ﴾ الحكايات التي سطرت قديماً، جمع: «أسطورة» بالضم أو: «إسطارة» بالكسر.  
[١٤] ﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر لقولهم ذلك ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾

فغشيها ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي، فهو كالصدأ.  
[١٥] ﴿كَلَّا﴾ حقاً ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ فلا يرونه.  
[١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ لدخول النار المحرقة.  
[١٧] ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم: ﴿هَذَا﴾ أي: العذاب ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾.  
[١٨] ﴿كَلَّا﴾ حقاً ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَاءِ﴾ أي: كتاب أعمال المؤمنين، الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ قيل: هو كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة ومؤمني الثقلين، وقيل: هو مكان في السماء السابعة تحت العرش.  
[١٩] ﴿وَمَا أَذْرُوكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ أعلمكم ﴿مَا عِلِّيُّونَ﴾ ما كتاب عليين؟  
[٢٠] ﴿هُوَ﴾ يَكْتَبُ مَرْفُومٌ ﴿مَخْمُومٌ﴾.  
[٢١] ﴿يَشْهَدُهُ الْمُفَرِّقُونَ﴾ من الملائكة.  
[٢٢] ﴿إِنَّ الْأَنْبَاءَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ جنة.  
[٢٣] ﴿عَلَى الْأَرْيَافِ﴾ الشُّرُفِ في الهَيْجَالِ <sup>(١)</sup> ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ما أعطوا من النعيم.  
[٢٤] ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ بهجة النعم وحشنة.  
[٢٥] ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾ خمر خالصة من الدنس ﴿مَخْمُومٌ﴾ على إنائها، لا يَفُكُ خِشْمُهُ إِلَّا هُمْ.  
[٢٦] ﴿يَخْتَمِرُ مِنْهُمْ﴾ أي: آخر شربه، تفوح منه رائحة المسك ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ فليرغبوا بالمبادرة إلى طاعة الله.  
[٢٧] ﴿وَمِنْ رِجَائِهِمْ﴾ أي: ما يخرج به ﴿مِنْ تَسْنِيمٍ﴾، فُسِّرَ بقوله:  
[٢٨] ﴿عَيْنَايَا﴾ فنصبه بـ «أمدح» مقدراً ﴿يَشْرَبُ بِهَا الْمُفَرِّقُونَ﴾ منها، أو: ضُحْنٌ «بشرب» معنى: يلتذ.  
[٢٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ كأني جهل ونحوه ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كعشار وبلال ونحوهما ﴿يَضْحَكُونَ﴾ استهزاء بهم.  
[٣٠] ﴿وَإِذَا مَرُّوا﴾ أي: المؤمنون ﴿بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ يشير المجرمون إلى المؤمنين، بالهجن والحاجب استهزاء.  
[٣١] ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا﴾ رجعوا ﴿إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا﴾ فَاكِهِينَ ﴿وَفِي قُرْآنِهِ﴾: ﴿فَاكِهِينَ﴾: معجبين بذكرهم المؤمنين.  
[٣٢] ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ أي: المؤمنون ﴿قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ﴾ لإيمانهم بمحمد ﷺ.  
[٣٣] قال - تعالى -: ﴿وَمَا أُرْسِلُوا﴾ أي: الكفار ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين ﴿حَافِظِينَ﴾ لهم، أو: لأعمالهم؛ حتى يردوهم إلى مصالحهم.  
[٣٤] ﴿فَالْيَوْمَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾.

(١) جمع: «هَجَلَة»، وهي: القبة فوق السرى.

(٢) للبيعة عدا خصص وابن عامر بخلاف عنه.

[٣٥] ﴿عَلَى الْأَرْيَافِ﴾ في الحجة ﴿يَنْظُرُونَ﴾ من منازلهم إلى الكفار وهم يعبدون، فيضحكون منهم، كما ضحك الكفار منهم في الدنيا.  
[٣٦] ﴿هَلْ تُؤْتِي﴾ جوزي ﴿الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَنْفَعُونَ؟﴾ نعم.

### سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

[مكية، ثلاث، أو: خمس وعشرون آية]\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾. [٢] ﴿وَأُذُنَتْ﴾ سمعت وأطاعت في الانشقاق ﴿لِرَبِّهَا وَخَفَّتْ﴾ أي: وخفت لها أن تسمع وتطع.  
[٣] ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ زيد في سمعتها، كما تمدُّ الأديم، ولم يبق عليها بناء ولا جبل.

[٤] ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ من الموتى إلى ظاهرها ﴿وَنَفَثَتْ﴾ عنه.  
[٥] ﴿وَأُذُنَتْ﴾ سمعت وأطاعت في ذلك ﴿لِرَبِّهَا وَخَفَّتْ﴾ وذلك كله يكون يوم القيامة، وجواب «إذا» وما عطف عليها محذوف، دل عليه ما بعده؛ تقديره: لقي الإنسان عمله.

[٦] ﴿يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ جاهد في عملك ﴿إِلَى﴾ لقاء ﴿رَبِّكَ﴾ وهو الموت ﴿كَذَّبًا فَلْيَمَيِّذْ﴾ أي: ملاق عملك المذكور، من خير أو شر يوم القيامة.

[٧] ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْرِكَ كِتَابُهُ﴾ كتاب عمله ﴿بِيسْمِينِهِ﴾ هو المؤمن.  
[٨] ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ هو عرض عمله عليه كما في حديث الصالحين، وفيه: «مَنْ تَوَقَّشَ الْحِسَابَ هَلَكَ»<sup>(١)</sup> وبعد العرض يُجَاوِزُ عنه.

[٩] ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ في الجنة ﴿مَسْرُورًا﴾ بذلك.  
[١٠] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْرِكَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ هو الكافر، ثقل بمناء إلى عنقه وتجهل يسراه وراء ظهره، فأخذ بها كتابه.

[١١] ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا﴾ عند رؤيته ما فيه ﴿ثُبُورًا﴾ ينادي هلاكه بقوله: يا ثبوراه.

[١٢] ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ يدخل النار الشديدة، وفي قراءة<sup>(٢)</sup> بضم الباء وفتح الصاد واللام المشددة.

[١٣] ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ﴾ عشيرته في الدنيا ﴿مَسْرُورًا﴾ بطرا باتباعه هواه.  
[١٤] ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿كُنَّ﴾ يجوز ﴿يرجع إلى ربه﴾.

[١٥] ﴿يَلَمْ يَلَمْ﴾ يرجع إليه ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ عالما برجوعه إليه<sup>(٣)</sup>.  
[١٦] ﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾ لا زائدة ﴿بِالسَّفْقِ﴾ هو الحمرة في الأفق، بعد غروب الشمس.

[١٧] ﴿وَالْأَيْلَ وَمَا وَسَقَ﴾ جمع ما دخل عليه، من الدواب وغيرها.  
[١٨] ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا انشَقَّتْ﴾ اجتمع وتم نوره، وذلك في الليالي البيض.

[١٩] ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ أيها الناس، أصله: «تركبون» حذف نون الرفع؛ لتوالي الأمثال، والواو؛ للالتقاء الساكنين ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ حالاً بعد حال، وهو

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٥﴾ عَلَى  
الْأَرْيَافِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٦﴾ هَلْ تُؤْتِي الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَنْفَعُونَ ﴿٣٧﴾

### سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأُذُنَتْ لِرَبِّهَا وَخَفَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَخَفَّتْ ﴿٤﴾ وَأُذُنَتْ لِرَبِّهَا وَخَفَّتْ ﴿٥﴾ يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلْفِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْرِكَ كِتَابُهُ بِيسْمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْرِكَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أَقْسِمُ بِالسَّفْقِ ﴿١٦﴾ وَالْأَيْلَ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرَ إِذَا انشَقَّتْ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾

الموت ثم الحياة وما بعدها من أحوال القيامة.

[٢٠] ﴿فَمَا لَهُمْ؟﴾ أي: الكفار ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أي مانع من الإيمان، أو: أي حجة لهم في تركه مع وجود براهينه؟  
[٢١] ﴿وَلَهُمْ﴾ مالهـم ﴿إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْمَعُونَ﴾ يخضعون؛ بأن يؤمنوا به لإعجازه.

[٢٢] ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ بالبعث وغيره.  
[٢٣] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ يجمعون في صفهم، من الكفر والتكذيب وأعمال السوء.

[٢٤] ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ أخبرهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.  
[٢٥] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ غير مقطوع ولا منقوص ولا ينمئ به عليهم.

\*\*\*

(ه) فائدة: أخرج الترمذي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنَ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا الْفُتُشُ كُوِّرَتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٧٤) سورة ﴿إِذَا الْفُتُشُ كُوِّرَتْ﴾، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٥٣).

(١) البخاري (٤٩٣٩)، مسلم (٢٨٧٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) لنافع وابن كثير وابن عامر والكساوي؛ «يُصَلَّى».

(٣) البصر غير العلم، فالواجب إثبات ما أثبت الله لنفسه أو أثبت له رسوله ﷺ على الوجه اللائق بجلاله - سبحانه -.

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٥٥﴾

## سورة البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قِيلَ أَصْحَبُ الْأَعْدُدِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فَمَا يَبُوءُوا فَأُهِمَّ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَبَعِيدٌ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لَمَّا بُرِيدٌ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

## سورة البروج

[مكية، اثنتان وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿الكواكب اثنا عشر برجاً تقدمت في الفرقان﴾<sup>(١)</sup>  
﴿٢﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿يوم القيامة﴾  
﴿٣﴾ وَشَاهِدٍ ﴿يوم الجمعة﴾ و﴿مشهود﴾ يوم عرفة، كذا فسرت الثلاثة في الحديث<sup>(٢)</sup>، فالأول: موعود به، والثاني: شاهد بالعمل فيه، والثالث: تشهدده الناس والملائكة، وجواب القسم محذوف صَدْرُهُ، تقديره: لقد.

(١) الفرقان: ٦١.

(٢) يشير إلى ما أخرجه الترمذي في سننه (٣٢٦٢) عن أبي هريرة مرفوعاً، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨٢٠١).

(٣) روي ذلك عن الربيع بن أنس، وحكاه الفراء، وأكثر المفسرين أن هذا العذاب في جهنم.

(٤) الله يخلق خلق كل شيء، والإضافة هنا لأمر اختص به العرش دون سائر المخلوقات، وهو استوائه سبحانه عليه بنفسه المقدسة استواء يليق بجلاله.

(٥) وكذا بالجر في قراءة حمزة والكسائي.

(٦) وهي قراءة السبعة غير نافع.

(٧) تحديد اللوح بما ذكر من الأمور الغيبية التي يحتاج الجازم بها إلى دليل صحيح عن المصوم ﷺ.

﴿٤﴾ قِيلَ لَعَنَ ﴿أَصْحَبُ الْأَعْدُدِ﴾ الشق في الأرض.

﴿٥﴾ النَّارِ ﴿بدل احتمال منه﴾ ذَاتِ الْوُفُودِ ﴿ما توقد به.

﴿٦﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا ﴿حولها على جانب الأعدود على الكراسي﴾ قُعُودٌ.

﴿٧﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿بالله، من تعذيبهم بالإلقاء في النار، إن

لم يرجعوا عن إيمانهم﴾ شُهُودٌ ﴿حضور، روي أن الله أنجى المؤمنين الملقين في

النار بقض أرواحهم قبل وقوعهم فيها، وخرجت النار إلى من نَمَّ فأحرقهم﴾.

﴿٨﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ ﴿في ملكه﴾ الْحَمِيدِ

المحمود.

﴿٩﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿أي: ما

أنكر الكفار على المؤمنين إلا إيمانهم.

﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴿بالإحراق﴾ ثُمَّ لَمْ يَبُوءُوا فَأُهِمَّ

عَذَابُ جَهَنَّمَ ﴿بكفرهم﴾ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿أي: عذاب إحراقهم للمؤمنين

في الآخرة، وقيل: في الدنيا بأن أخرجت النار فأحرقهم، كما تقدم.

﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ.

﴿١٢﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ ﴿بالكفار﴾ لَشَدِيدٌ ﴿بحسب إرادته.

﴿١٣﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ الْخَلْقِ ﴿وَبَدِئُ﴾ فلا يعجزه ما يريد.

﴿١٤﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ ﴿للمذنبين المؤمنين﴾ الْوَدُودُ ﴿المتوَدِّدُ إلى أوليائه

بالكرامة.

﴿١٥﴾ ذُو الْعَرْشِ ﴿خالقه ومالكة﴾ الْحَمِيدُ ﴿بالرفع؛ المستحق

لكمال صفات العلو﴾.

﴿١٦﴾ فَعَالٌ لَمَّا بُرِيدُ ﴿لا يعجزه شيء.

﴿١٧﴾ هَلْ أَتَاكَ ﴿يا محمد﴾ حَدِيثُ الْجُنُودِ.

﴿١٨﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿بدل من «الجنود»، واستغني بذكر فرعون عن

أتباعه، وحديثهم أنهم أهلكوا بكفرهم، وهذا تنبيه لمن كفر بالنبي ﷺ

والقرآن؛ ليتعظوا.

﴿١٩﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿بما ذكر.

﴿٢٠﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿لا عاصم لهم منه.

﴿٢١﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ﴿عظيم.

﴿٢٢﴾﴾ ﴿في لَوْحٍ﴾ هو في الهواء، فوق السماء السابعة ﴿مَحْفُوظٍ﴾ بالجر<sup>(١)</sup>،

من الشياطين، ومن تغيير شيء منه، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما

بين المشرق والمغرب، وهو من درة بيضاء؛ قاله ابن عباس ﷺ<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*



## سُورَةُ الطَّارِقِ

[مكية، سبع عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالَّذِي أَدْرَأَكَ وَالطَّارِقَ﴾ أصله: كل آتٍ ليلاً، ومنه النجوم لطلوعها ليلاً.

[٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الطَّارِقُ﴾ مبتدا وخبر، في محل المفعول الثاني لـ «أدرك»، وما بعد «ما» الأولى خبرها، وفيه تعظيم لشأن الطارق المفسر بما بعده. [٣] هو ﴿الَّذِي﴾ أي: الثَّارِثُ، أو: كل نجم ﴿الَّذِي﴾ الماضي، لقبه الظلام بضوئه. وجواب القسم: [٤] ﴿إِنْ كُلُّ نَجْمٍ﴾ [الما] عَلَيْنَا حَافِظٌ يتخفيف «ما» فهي مزيدة، و«إن» مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: إنه، واللام فارقة، وتشديدها<sup>(١)</sup> فـ«إن» نافية، و«لما» بمعنى «إلا»، والحافظ من الملائكة، يحفظ عملها من خير وشر. [٥] ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾ نظر اعتبار ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ من أي شيء؟ جوابه: [٦] ﴿خُلِقَ مِنْ شَاءِ ذَاقٍ﴾ ذي الذِّقَاقِ من الرُّجُلِ وَالْمَرَاةِ، في رجمها. [٧] ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ للرجل ﴿وَالْأَرْبَابِ﴾ للمرأة؛ وهي: عظام الصدر. [٨] ﴿إِنَّهُ﴾ - تعالى - ﴿عَلَى رَجِيمٍ﴾ بعث الإنسان بعد موته ﴿تَقَادَرُ﴾ فإذا اعتبر أصله عليم أن القادر على ذلك قادر على بعثه. [٩] ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ﴾ تختبر وتكشف ﴿السَّيِّئُ﴾ ضماير القلوب في العقائد والنيات. [١٠] ﴿مَا لَمْ﴾ لشكر البعث ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾ يتمتع بها من العذاب ولا ناصير يدفعه عنه.

[١١] ﴿وَالَّذِي ذَاتَ الرَّجْعِ﴾ المطر؛ لعوده كل حين. [١٢] ﴿وَالَّذِينَ ذَاتَ أَلْجَمِ﴾ الشَّقْ عَنِ النَّبَاتِ. [١٣] ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ يفصل بين الحق والباطل. [١٤] ﴿وَمَا هُوَ بِالْعَزْلِ﴾ باللب والباطل. [١٥] ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ يعملون المكائد للنبي ﷺ. [١٦] ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أستدرجهم من حيث لا يعلمون. [١٧] ﴿فَهَلْ﴾ يا محمد ﴿الْكَاذِبِينَ أَمْهُمْ﴾ تأكيد، حشنة مخالفة اللفظ؛ أي: أنظرهم ﴿رَوْدًا﴾ قليلاً، وهو مصدر مؤكد لمعنى العامل، مصغر: «رودا»، أو: «روداد» على الترخيم، وقد أخذهم الله تعالى - بيد، ونسخ الإمهال بآية السيف؛ أي: الأمر بالقتال والجهاد.

## سُورَةُ الْأَعْلَى

[مكية، تسع عشرة آية<sup>(\*)</sup>]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: نزه ربك عما لا يليق به، و«اسم» زائد<sup>(٢)</sup> ﴿الْأَعْلَى﴾ صفة لـ«ربك»<sup>(٣)</sup>. [٢] ﴿الَّذِي خَلَقَ سَوْنٌ﴾ مخلوقه؛ جعله متناسب الأجزاء، غير متفاوت. [٣] ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ ما شاء ﴿فَهَدَى﴾ إلى ما قدره من خير وشر. [٤] ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ أنبت العشب. [٥] ﴿فَجَعَلَهُ﴾ بعد الخضرة ﴿عُتَاً﴾ جافاً هشياً ﴿أَحْوَى﴾ أسود يابسا. [٦] ﴿سَنَفَرْنَاكَ﴾ القرن ﴿فَلَا تَنْسَى﴾ ما تقرأه. [٧] ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ ن نساها بنسخ تلاوته وحكمه، وكان ﷺ يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل خوف النسيان، فكانه قيل

له: لا تعجل بها، إنك لا تنسى ولا تُعْبِ نفسك بالجهر بها. ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾ من القول والفعل ﴿وَمَا يَخْفَى﴾ منها. [٨] ﴿وَنُفِّسَكَ الْبَسْرَى﴾ للشرعية السهلة، وهي الإسلام. [٩] ﴿فَذَكَّرَ﴾ عِظَ بالقرآن ﴿إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى﴾ مَنْ ذَكَّرَهُ، المذكور في: «سيدكر»؛ يعني: وإن لم تنفع، ونفعها لبعض، وعدم النفع لبعض آخر. [١٠] ﴿سَيَذَكَّرُ﴾ بها ﴿مَنْ يَخْشَى﴾ يخاف الله - تعالى - كآية ﴿فَذَكَّرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَيَعْبُدُ﴾<sup>(٤)</sup>. [١١] ﴿وَبَنَجَّكَ﴾ أي: الذكري؛ أي: يتركها جانباً لا يلتفت إليها ﴿الْأَشَقَى﴾ بمعنى الشقي؛ أي: الكافر. [١٢] ﴿الَّذِي يَصَلِّي أُنْثَارَ الْكِبَرَى﴾ هي نار الآخرة، والصغرى نار الدنيا. [١٣] ﴿مَنْ لَا يَبُوءُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَخْشَى﴾ حياة هنيئة. [١٤] ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿مَنْ رَزَقَ﴾ تَطَهَّرَ بالإيمان. [١٥] ﴿وَوَدَّكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ مكبراً ﴿فَصَلِّ﴾ الصلوات الخمس. وذلك من أمور الآخرة، وكفار مكة مُعْرَضُونَ عنها.

(\*) فائدة: أخرج النسائي عن أبي بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ يوتر بـ «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى»، و«قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ»، و«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ». النسائي - كتاب قيام الليل (٢٠) باب (٤٦) القراءة في الوتر. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١٦٣٣).

(٢) بل يجب تنزيه الاسم كذلك، كما يجب تنزيه ذاته المقدسة سبحانه.

(٣) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير والكسائي وأبي عمرو.

(٤) الأعلى اسم من أسماء الله ﷻ، وهو يشتغل على إثبات صفة العلو لله - تعالى - ومعناه: الأعلى من كل شيء؛ ذاتاً وقهراً وشأناً.

(٤) ق: ٤٥.

بأهلها.

- [٢] ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْيَوْمِزُ﴾ عبر بها عن الذوات في الموضعين ﴿خَشِيعَةً﴾ ذليلة.  
 [٣] ﴿عَالِيَةً نَّاصِبَةً﴾ ذات نصيب وتعب، بالسلاسل والأغلال.  
 [٤] ﴿تَضَلَّى﴾ بفتح التاء وضعا<sup>(١)</sup> ﴿نَارًا حَامِيَةً﴾.  
 [٥] ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَالِيَةٍ﴾ شديدة الحرارة.  
 [٦] ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ﴾ هو نوع من الشوك، لا ترعاه دابة؛ لحبيته.  
 [٧] ﴿لَا يَسْمُونَ وَلَا يُنَبِّئُونَ مِنْ جُوعٍ﴾.  
 [٨] ﴿وَجُوعُهُ يَوْمَيزُ نَاعَةً﴾ حسنة.

- [٩] ﴿لَيْسَ بَهَا﴾ في الدنيا بالطاعة ﴿رَاضِيَةً﴾ في الآخرة لما رأت ثوابه.  
 [١٠] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ جَشَاءَ﴾ جشأ ومعنى.  
 [١١] ﴿لَا يُسْمَعُ﴾ بالياء والتاء<sup>(٢)</sup> ﴿فِيهَا﴾ [لاغية] أي: نفس ذات لغو، أي: هذيان من الكلام.

- [١٢] ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ بالماء، بمعنى: عيون.  
 [١٣] ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ ذاتا وقدرا ومحلا.  
 [١٤] ﴿وَأَكْوَابُ﴾ أقداح لا غرى لها ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾ على حافات العيون، معدة لشربهم.

- [١٥] ﴿وَنَارًا﴾ وسائل ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بعضها بجانب بعض، يستند إليها.  
 [١٦] ﴿وَرِزْقًا﴾ بسطط طافس لها غسل<sup>(٣)</sup> ﴿مَبْثُوثَةً﴾ مبسوبة.  
 [١٧] ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾ أي: كفار مكة؛ نظر اعتبار ﴿إِلَى الْإِبِلِ﴾ كيف خلقت.

- [١٨] ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ﴾ كيف رفعت. [١٩] ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ﴾ كيف نصبت.  
 [٢٠] ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ﴾ كيف سطحت. أي: بسطط، فيستدلون بها على قدرة الله - تعالى - ووجدانيته، وضدَّت بالإبل؛ لأنهم أشد ملاسة لها من غيرها، وقوله: ﴿سَطِطَتْ﴾ ظاهر في أن الأرض سططح؛ وعليه علماء الشرع، لا كره؛ كما قاله أهل الهيئة وإن لم ينقض ركنًا من أركان الشرع<sup>(٤)</sup>.

- [٢١] ﴿فَذَكِّرْ﴾ لهم نعم الله ودلائل توبيخه ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾.  
 [٢٢] ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [بمُصَيِّرٍ] وفي قراءة بالصاد بدل السين؛ أي: بمسلط، وهذا قبل الأمر بالجهاد.

- [٢٣] ﴿وَلَا﴾ لكن ﴿مَنْ تَوَلَّى﴾ أعرض عن الإيمان ﴿وَكُفَّرَ﴾ بالقرآن.  
 [٢٤] ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ عذاب الآخرة، والأصغر عذاب الدنيا بالقتل والأسر.

- [٢٥] ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ رجوعهم بعد الموت.  
 [٢٦] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ جزاءهم لا نتركه أبدًا.

\*\*\*

وَتَجَبَّهٖمَا أَلْأَشَقَى ۝ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ۝ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۝ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ۝

### سورة العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعُنْكَبُوتِ ۝ وَجُوعُهُ يَوْمَيزُ خَشِيعَةً ۝ عَالِيَةً نَّاصِبَةً ۝ تَضَلَّى نَارًا حَامِيَةً ۝ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَالِيَةٍ ۝ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ ۝ لَا يُسْمُونَ وَلَا يُنَبِّئُونَ مِنْ جُوعٍ ۝ وَجُوعُهُ يَوْمَيزُ نَاعَةً ۝ لَسَعِيهَا رَاضِيَةً ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ لَا تَسْمَعُ فِيهَا الْغِيَةَ ۝ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ۝ وَأَكْوَابُ مَوْضُوعَةٌ ۝ وَنَارًا مَصْفُوفَةٌ ۝ وَرِزْقًا مَبْثُوثَةً ۝ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝ فَذَكِّرْ ۝ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ۝

- [١٦] ﴿بَلْ يُؤْثِرُونَ﴾ بالتحنات والفوقانية<sup>(١)</sup> ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ على الآخرة. [١٧] ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ المشتملة على الجنة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.  
 [١٨] ﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي: إفلاح من تزكى، وكون الآخرة خيرًا ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ أي: المنزلة قبل القرآن.  
 [١٩] ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ وهي: عشر صحف لإبراهيم، والتوراة لموسى.

### سورة العنكبوت

[مكية، ست وعشرون آية]\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿هَلْ﴾ قد ﴿أَتَاكَ حَدِيثُ الْعُنْكَبُوتِ﴾ القيامة؛ لأنها تغشى الخلائق

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن النعمان بن بشير قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَكْبَرُ﴾، و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعُنْكَبُوتِ﴾ قال: وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما أيضًا في الصلواتين. مسلم - كتاب الجمعة (٧) باب (١٦) ما يقرأ في صلاة الجمعة.

(١) بالياء لأبي عمرو.  
 (٢) بالياء لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ نافع بالتاء مع ضمها؛ مبيهاً لمجهول، ﴿تُسْمَعُ﴾، وقرأ بقية السبعة: ﴿تَسْمَعُ﴾ فيها [لاغية] للما مع نصب ﴿لاغية﴾.  
 (٣) ﴿وَرِزْقًا﴾؛ جمع: ﴿رُزْقَةً﴾ تظليل الزاي. و﴿طَافَسَ﴾؛ جمع: ﴿طَافَسَةً﴾ بتظليل الفاء والطاء، وتسمى أيضًا: سجدة. وال (تخل): لا (تهدب).  
 (٤) بل الصحيح أنها كروية كما ثبت بالعلم الحديث وبينه ثقت من علماء المسلمين من قبل، وأما بسطها وتسطيحها فلا يتنافى مع كرويتها في نفسها وذلك لابعاد أطرافها، فكل قطعة منها على حدة ممدودة مسطحة، والكروية كائنة لجللتها، كما قال - تعالى -: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَسَمَهَا﴾.  
 (٦) لهشام، وقرأ حمزة بخلف عن خلاد: بإشمام الصاد الزاي، وقرأ بقية السبعة بالصاد، وهو الوجه الثاني خلاد.

## سُورَةُ الْفَجْرِ

[مكية، أو: مدنية، ثلاثون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] «وَالْفَجْرِ» أي: فجر كل يوم.

[٢] «وَلَيْلٍ عَشْرٍ» أي: عشر ذي الحجة.

[٣] «وَالشَّفْعِ الرَّوْحِ» «وَالْوَتْرِ» يفتح الواو وكسرها<sup>(١)</sup>؛ لغتان: الفرد.

[٤] «وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ» مقيلاً ومدبراً.

[٥] «هَلْ فِي ذَلِكَ الْقِسْمِ» «قِسْمٌ يُرَى جَمْرٌ» عقل؟ وجواب القسم محذوف؛ أي: لتعذُّبٍ يا كفار مكة.

[٦] «أَلَمْ تَرَ» تعلم يا محمد «كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ».

[٧] «إِنَّمَا» هي عاد الأولى، فدارم عطف بيان، أو: بدل، ومنع الصرف؛ للعلمية والتأنيث «كَانَتْ أَلْعِمَادُ» أي: الطول، كان طول الطويل منهم أربعمائة ذراع<sup>(٢)</sup>.

[٨] «أَلَيْسَ لَمْ يَخْلُقْ يَتْلُهَا فِي اللَّيْلِ» في بطشهم وقوتهم.

[٩] «وَتَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا» قطعوا «الصَّخْرَ» جمع «صخرة»، واتخذوها بيوتاً «بِالْوَادِ» وادي القرى.

[١٠] «وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْدَادِ» كان يتخذ أربعة أوتاد، يشد إليها يدي ورجلي من يعذبه.

[١١] «الَّذِينَ طَعَوْا» تجبروا «فِي اللَّيْلِ».

[١٢] «فَأَنكَّرُوا فِيهَا الْفَسَادَ» القتل وغيره.

[١٣] «فَضَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ» نوع «عَذَابٍ».

[١٤] «إِنَّ رَبَّكَ لِكَلِيمٌ صَادٍ» يرصد أعمال العباد، فلا يفوته منها شيء؛ ليجازيهم عليها.

[١٥] «فَأَمَّا الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ» «إِذَا مَا أُنْتَلَهُ» اختبره «رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ» بالمال وغيره «وَنَعَمَ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَ».

[١٦] «وَأَمَّا إِذَا مَا أُنْتَلَهُ فَقَدَرَ ضَيْقٌ عَلَيْهِ رِقْفَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنُ».

[١٧] «كَلَّا» ردع؛ أي: ليس الإكرام بالغنى، والإهانة بالفقر، وإنما هو بالطاعة والمعصية، وكفار مكة لا ينتبهون لذلك «بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْإِنْسَانَ» لا يحسنون إليه مع غناهم، أو: لا يعطونه حقه من الميراث.

[١٨] «وَلَا يَتَمَحَّضُونَ» أنفسهم أو غيرهم «عَلَى طَعَاوِرَ» أي: إطلام «الْأَيْسَكِينَ».

[١٩] «وَيَأْكُلُونَ» الْثَرَاتِ الْمِيرَاثِ «أَكْلاً لَمًّا» أي: شديداً، لِلْمُهِمِ نصيب النساء والصبيان من الميراث، مع نصيبهم منه أو: مع ما لهم.

[٢٠] «وَيُجِبُونَ» أَلْمَالَ حَبًّا جَمًّا» أي: كثيراً فلا ينفقونه، وفي قراءة

(١) بالكسر حمزة والكسائي.

(٢) هذان الإسرائيليات التي لا تصح، وتتأني مع ما صح عنه ﷺ من تناقض الخلق من لدن آدم ﷺ والذي كان طوله ستون ذراعاً فقط، ومعنى «كَانَتْ أَلْعِمَادُ» أي: ذات الأبنية المرفوعة على العتد، أو: البناء المرتفع، وقال مجاهد وقادة: كانوا أهل عمود لا يقيمون؛ أي لحياهم، واختاره ابن جرير، ووافقه ابن كثير.

(٣) والقراءة المذكورة أولاً بالياء في الأربعة لأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة بالياء، إلا أنه قرأ نافع وابن كثير وابن عامر «تَحْضُونَ». وقرأ بقتبهم: «تَحْضُونَ».

(٤) تأويل الجيء بأمر الله خلاف ظاهر النص، وعدول عما فهمه السلف من الآية، والجيء صفة من صفات الفعل الثانية لله ﷻ على ما يليق به.

(٥) كما جاء في حديث ابن مسعود عند مسلم (٢٨٤٢) مرفوعاً إلى النبي ﷺ: «يَأْتِي بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زَمَامٍ، مَعَ كُلِّ زَمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ يَجْرُونَهَا». والزمام: هو: الخطام الذي يقاد به البعير.

\*\*\*

إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ ۚ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۚ

إِنَّ الْإِنْسَانَ آيَاتُ بِهِمْ ۚ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا جِسَابَهُمْ ۚ

## سُورَةُ الْفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ۝ لَيْلٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ ۝

هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَجَرٍ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝

إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْإِلَادِ ۝ وَتَمُودَ الَّذِينَ

جَاءُوا الصَّخَرَ ۝ بِالْوَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝ الَّذِينَ طَعَوْا فِي

الْإِلَادِ ۝ فَأَنكَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝ فَضَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ

عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَدَأَهُ

رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ ۚ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَدَأَهُ

فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِقْفَهُ ۚ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ۝ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ

الْأَيْتِمَ ۝ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۝ وَتَأْكُلُونَ

الْثَرَاتِ أَكْلاً لَمًّا ۝ وَتُجِبُونَ أَلْمَالَ حَبًّا جَمًّا ۝ كَلَّا إِذَا

دُكِّيَ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝

بالفوقانية في الأفعال الأربعة<sup>(٣)</sup>.

[٢١] «كَلَّا» ردع لهم عن ذلك «إِذَا دُكِّيَ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا» زلزلت، حتى ينهدم كل بناء عليها وينعدم.

[٢٢] «وَسَاءَ رَبُّكَ» أي: أمره<sup>(٤)</sup> «وَالْمَلَكُ» أي: الملائكة «صَفًّا صَفًّا» حال؛ أي: مصطفين، أو: ذوي صفوف كثيرة.[٢٣] «وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ» تقاد بسبعين ألف زمام، كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك<sup>(٥)</sup> لها زفير وتغيظ. «يَوْمَئِذٍ» بدل من «إِذَا»، وجوابها:

«يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ» أي: الكافر ما فرط فيه «وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى» استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا ينفعه تذكره ذلك.

## سورة البقرة

[مكية، عشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ أَحْسَنُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ مكية.  
 [٢] ﴿وَأَنْتَ﴾ يا محمد ﴿حَلَالٌ﴾ ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ بأن يُخلَّ لك فنقاتل فيه، وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح، فالجملة اعتراض بين القسم به وما عطف عليه.

[٣] ﴿وَوَالِدٌ﴾ أي: آدم ﴿وَمَا وَلَدٌ﴾ أي: ذريته، و«ما» بمعنى «من».  
 [٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ أي: الجنس ﴿فِي كَبَدٍ﴾ نصب وشدة؛ بكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة.

[٥] ﴿أَيَحْسَبُ﴾ أيظن الإنسان؛ قوي قريش، وهو أبو الأشد ابن كندة، بقوته ﴿أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ والله قادر عليه.

[٦] ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾ على عداوة محمد ﴿مَا لَا لُبَآءَ﴾ كثيرا بعضه على بعض. [٧] ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ﴾ أي: أنه ﴿لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ فيما أنفقه، فيعلم قدره؟ والله عالم<sup>(١)</sup> بقدره، وأنه ليس بما يُكثِّر به، ومجازه به فعله السيئ.

[٨] ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ﴾ استفهام تقرير؛ أي: جعلنا ﴿لَهُ عَيْنَيْنِ﴾.  
 [٩] ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾.

[١٠] ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ بيَّنا له طريق الخير والشر.

[١١] ﴿فَلَا فَهْلًا﴾ أهْلًا ﴿أَقْنَحَ الْعُقَبَةَ﴾ جاوزها.

[١٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْعُقَبَةُ﴾ التي يقتحمها؛ تعظيما لشأنها، والجملة اعتراض.

[١٣] وَيَبَيِّنُ سبب جوازها بقوله: ﴿فَأَنْ رَقَبَةً﴾<sup>(٢)</sup> من الرق بأن أعتقها.

[١٤] ﴿أَوْ أَطْعَمَ﴾<sup>(٣)</sup> في يومٍ ذِي مَسْغَرٍ جماعة.

[١٥] ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ قرابة.

[١٦] ﴿أَوْ يَسْكِنَ ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ لُصُوقٍ بالتراب؛ لفقره، وفي قراءة بدل الفعلين<sup>(٤)</sup> مصدران مرفوعان مضاف الأول لرقبة<sup>(٥)</sup>، وينون الثاني<sup>(٦)</sup>، فيقدر قبل العقبة؛ اقتحام<sup>(٧)</sup>، والقراءة المذكورة<sup>(٨)</sup> بيانه.

[١٧] ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ عطف على «اقتحم»، و«ثم» للترتيب الذكري، والمعنى: كان وقت الاقتحام ﴿مِنَ الَّذِينَ ءَامَسُوا وَتَوَاصَوْا﴾ أوصى بعضهم بعضا ﴿بِالْقَبْرِ﴾ على الطاعة، وعن المعصية ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ﴾ الرحمة على الخلق.

[١٨] ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفات ﴿أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ﴾ اليمين.

[١٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ﴾ الشمال.

[٢٠] ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ بالهمزة والواو بدله<sup>(٩)</sup>، مُطَبَّقَةٌ.

وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢١﴾ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٢﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٢٣﴾ وَلَا يُؤْتِيهِمْ وَفَاءَهُ أَحَدًا ﴿٢٤﴾ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُظْمِئَةُ ﴿٢٥﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً ﴿٢٦﴾ فَأَدْخِلِي فِي عَبْدِي ﴿٢٧﴾ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ﴿٢٨﴾

## سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢٩﴾ وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٣٠﴾ وَاللَّهُ وَمَا وَلَدَ ﴿٣١﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٣٢﴾ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٣٣﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَآءَ ﴿٣٤﴾ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٣٥﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٣٦﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٣٧﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿٣٨﴾ فَلَا اقْتَحَمَ الْعُقَبَةَ ﴿٣٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقَبَةُ ﴿٤٠﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿٤١﴾ أَوْ أَطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿٤٢﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿٤٣﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَسُوا وَتَوَاصَوْا بِالضُّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ ﴿٤٥﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٤٦﴾

[٢٤] ﴿يَقُولُ﴾ مع تذكره: ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِي قَدَّمْتُ﴾ الخير والإيمان ﴿لِحَيَاتِي﴾ الطيبة في الآخرة، أو: وقت حياتي في الدنيا. [٢٥] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ﴾ بكسر الذال ﴿عَذَابُهُ أَحَدٌ﴾ أي: الله ﴿أَحَدٌ﴾ أي: لا يكله إلى غيره. [٢٦] ﴿وَلَا يُؤْتِيهِمْ﴾ بكسر التاء ﴿وَفَاءَهُ أَحَدٌ﴾ وفي قراءة<sup>(١)</sup> بفتح الذال والتاء، فضمير «عذابه» و«وفاءه» للكافر، والمعنى: لا يُعَذِّبُ أَحَدٌ مثل تعذيبه، ولا يُؤْتِيهِمْ مثل إيفائه. [٢٧] ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُظْمِئَةُ﴾ الآمنة، وهي المؤمنة. [٢٨] ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يقال لها ذلك عند الموت؛ أي: أرجعي إلى أمره وإرادته<sup>(٢)</sup> ﴿رَاضِيَةً﴾ بالثواب ﴿مَرْضِيَةً﴾ عند الله بعملك؛ أي: جامعة بين الوصفين، وهما حالان، ويقال لها في القيامة: [٢٩] ﴿فَادْخُلِي فِي﴾ جملة ﴿عِبَادِي﴾ الصالحين [٣٠] ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ معهم.

\*\*\*

(١) للكسائي.

(٢) وهذه طريقة نفاة الصفات يزعم تنزيه الله ﷻ عن مشابهة خلقه، والصواب أن الرجوع إلى الله: تقاؤه - شُبْحَانَهُ - يوم القيامة، والوقوف بين يديه للحساب والجزاء، على ما يليق بجلاله، أو يكون المراد بالنفس: الروح، ولقاؤها ربها حين خروجها من الجسد ساعة الموت.

(٣) العلم غير الرؤية وإن كان من لوازمها؛ وصحيح المفسر جرأاً على طريقته في تأويل الصفات كما هي طريقة أهل التأويل.

(٤) (٥) للكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٦) أي: قوله: «فَأَدْخِلِي» و«أَطْعَمِي».

(٧) أي: «وما أدراك ما اقتحام العقبة؟».

(٨) أي: بالمصدرين المرفوعين: «فَأَدْخِلِي»، و«أَطْعَمِي». وقوله: «بيانه» أي: هذه القراءة بيان معنى الاقتحام المقدر؛ أي: اقتحام العقبة هو: فُكُ رَقَبَةٍ أو أَطْعَامَةٍ.

(٩) بالواو قراءة السبعة عدا حمزة وحفص وأبي عمرو.

## سُورَةُ الْبُقْعَةِ

[مكية، خمس عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] وَالشَّمْسُ وَنَجْمُهَا ﴿١﴾ وَنَجْمُهَا ﴿٢﴾ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ﴿٣﴾ تَبَعَهَا طَالِعًا عِنْدَ غُرُوبِهَا ﴿٤﴾ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ﴿٥﴾ بَارْتِفَاعَهُ ﴿٦﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٧﴾ يَغْطِيهَا بِظِلْمَتِهِ، وَإِذَا فِي الثَّلَاثَةِ جُجْرُ الظَّرْفَةِ (١)، وَالْعَامِلُ فِيهَا فَعَلَ الْقِسْمَ. [٥] وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ﴿٦﴾ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا ﴿٧﴾ بِسَطِّهَا. [٧] وَتَقْسِمْ بِمَعْنَى نَفُوسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٨﴾ فِي الْخَلْقَةِ، وَمَا فِي الثَّلَاثَةِ مَصْدَرِيَّةٌ، أَوْ بِمَعْنَى «مَنْ». [٨] فَالْهَمْزُ مُجَوَّرٌ وَتَقْوُونَهَا ﴿٩﴾ يَتَرَنَّ لَهَا طَرِيقَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَأَخَّرَ التَّقْوَى؛ رِغَاةَ لِرُؤُوسِ الْآيِ. [٩] وَجَوَابُ الْقِسْمِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ حَذَفَتْ مِنْهُ اللَّامُ طُولُ الْكَلَامِ ﴿مَنْ رَزَقْنَاهَا﴾ طَهَّرَهَا مِنَ الذُّنُوبِ. [١٠] ﴿قَدْ حَاطَ﴾ خَسِرَ ﴿مَنْ دَسَّاهَا﴾ أَخْفَاهَا بِالْمَعْصِيَةِ، وَأَصْلُهُ: دَسَّاهَا، أَبْدَلَتْ السِّينُ الثَّانِيَةَ أَلْفًا تَخْفِيفًا. [١١] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ رَسَلَهَا صَالِحًا ﴿يَطْعُونَهَا﴾ بِسَبِّ طَغْيَانِهَا. [١٢] ﴿إِذْ أَبْعَثَ﴾ أَسْرَعَ ﴿أَشَقَّاهَا﴾ وَأَسَمَهُ قُدَّارٌ، إِلَى عَقْرِ النَّاقَةِ بِرِضَاهُمْ. [١٣] ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ صَالِحٌ: ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾ أَيُّ: ذُرْوَاهَا ﴿وَسَقَّاهَا﴾ شَرَبَهَا فِي يَوْمِهَا، وَكَانَ لَهَا يَوْمٌ وَلَهُمْ يَوْمٌ. [١٤] ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فِي قَوْلِهِ ذَلِكَ عَنِ اللَّهِ، الرَّثْبُ عَلَيْهِ نَزُولُ الْعَذَابِ بِهِمْ، إِنْ خَالَفُوهُ ﴿فَقَرَّوْهَا﴾ قَتَلُوهَا لِيَسْلَمَ لَهُمْ مَاءُ شَرِبَهَا. [١٥] ﴿فَقَدَّمْهُ﴾ أَطْبَقَ عَلَيْهِمْ رُئُوسَهُمْ الْعَذَابِ بِدَنِيَّتِهِمْ فَسَوَّاهَا أَيُّ: الدَّمْدَمَةُ عَلَيْهِمْ؛ أَيُّ: عَشَّاهُمْ بِهَا، فَلَمْ يَفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ. [١٦] ﴿وَلَا بِالْوَاوِ وَالْفَاءِ﴾ يَخَافُ عَقَبَهَا تَبَعَهَا.

## سُورَةُ النَّازِعَاتِ

[مكية، إحدى وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنِيْسِرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ كَبَلَ وَالْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنِيْسِرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ فَسَنِيْسِرُهُ نَهْيُهُ لِلْيُسْرَىٰ لِلنَّارِ. [١١] ﴿وَمَا﴾ نَافِيَةٌ ﴿يُنْفِ عَنَّا مَالَهُ﴾ إِذَا تَرَدَّىٰ فِي النَّارِ. [١٢] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ لَتَبَيِّنَ طَرِيقَ الْهُدَىٰ مِنْ طَرِيقِ الضَّلَالِ؛ لِيُمْتَكِنَ أَمْرُنَا بِسُلُوكِ الْأَوَّلِ، وَنَهْيُنَا عَنْ ارْتِكَابِ الثَّانِي. [١٣] ﴿وَلَا لَنَا الْخَيْرُ وَالْآخِرُ﴾ أَيُّ: الدُّنْيَا؛ فَمَنْ طَلَبَهُمَا مِنْ غَيْرِنَا فَقَدْ أَخْطَأَ. [١٤] ﴿فَأَذَرْنَاهُ﴾ خَوْفَتِكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ ﴿نَارًا تَلْفَلْ﴾ بِحَذْفِ إِحْدَى الثَّانِيَيْنِ مِنَ الْأَصْلِ، وَفَرَى (١) بَيَّوْنَهَا؛ أَيُّ: تَتَوَقَّدُ.

(١) أَيُّ: فَلَا تَفِيدُ الشَّرْطِيَّةَ.

(٢) بِالْفَاءِ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ عَسَرَ، وَقُرْأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالْوَاوِ.

(٣) أَيُّ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَالْآيَةُ الثَّامِنَةُ مِنْ نَفْسِ السُّورَةِ.

(٤) أَيُّ: شَذَوْدًا.

﴿وَنَقُورُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ نَشَاءُ﴾<sup>(١)</sup> فيكون المراد الضُّحَى المؤبد. [١٧]  
 ﴿وَسَيَجْزِيهَا﴾ يبعد عنها ﴿الْأَلْفَى﴾ بمعنى التقي. [١٨] ﴿الَّذِي يُؤَقِّي مَالَهُ  
 يَرْزُقُ﴾ من كتبها به عند الله - تعالى - بأن يخرججه لله - تعالى - لا رياء ولا سمعة؛  
 فيكون زاكياً عند الله، وهذا نزل في الصديق عليه السلام لما اشترى بلالاً المذنب  
 على إيمانه واعتقه، فقال الكفار: إنما فعل ذلك ليد كان له عنده فنزلت:  
 [١٩] ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾. [٢٠] ﴿إِلَّا﴾ لكن فعل ذلك  
 ﴿أَتَيْعَةً وَتَوْبَةً رِيَّةً أَفْخَى﴾ أي: طلب ثواب الله<sup>(٢)</sup>. [٢١] ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ بما  
 يُعطاه من الثواب في الجنة<sup>(٣)</sup>، والآية تشمل من فعل مثل فعله رضي الله -  
 تعالى - عنه، فيبعد عن النار ويثاب.

### سُورَةُ الضُّحَى

[مكية، إحدى عشرة آية]

ولما نزلت كبر ﷺ آخرها فسُنَّ التكبير آخرها<sup>(٤)</sup>. وروي<sup>(٥)</sup>  
 الأمر به خاتمتها وخاتمة كل سورة بعدها، وهو: الله أكبر، أو:  
 لا إله إلا الله والله أكبر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالضُّحَى﴾ أي: أول النهار أو كله. [٢] ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى﴾ غطي  
 بظلامه أو سكن. [٣] ﴿وَمَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ ترك يا محمد ﴿رَبِّكَ وَمَا قَلَّ﴾  
 أبغضك، نزل هذا لما قال الكفار عند تأخر الوحي عنه خمسة عشر يوماً: إن  
 ربه ودعه وقلاه<sup>(٦)</sup>. [٤] ﴿وَالْآخِرَةَ حَبَرٌ لَكَ﴾ لما فيها من الكرامات لك  
 ﴿مِنَ الْأُولَى﴾ الدنيا. [٥] ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ في الآخرة من  
 الخيرات عطاء جزيلاً ﴿فَرَحَصٌ﴾ به، فقال ﷺ: [إذن لا أرضى وواحد من  
 أمتي في النار]<sup>(٧)</sup> إلى هنا تم جواب القسم بمشتتين بعد متفيتين. [٦] ﴿أَلَمْ  
 يَجِدْكَ﴾ استفهام تقرير؛ أي: وجدك ﴿يَتِيمًا﴾ بفقد أبيك قبل ولادتك، أو:  
 بعدها ﴿فَتَّوَّأَنَّ﴾ بأن ضلَّك إلى عمك أبي طالب. [٧] ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾  
 عما أنت عليه من الشريعة ﴿فَهَدَى﴾ أي: هداك إليها. [٨] ﴿وَوَجَدَكَ

### سُورَةُ الضُّحَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ۝ وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ۝  
 وَلَآ آخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ  
 فَتَرْضَى ۝ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝  
 وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۝ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝  
 وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝

### سُورَةُ الشَّحْجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنَّا وَزْرَكَ ۝

[١٥] ﴿لَا يَصْلِيهَا﴾ يدخلها ﴿إِلَّا الْآتَمَتَّى﴾ بمعنى الشقي. [١٦] ﴿الَّذِي  
 كَذَّبَ﴾ النبي ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان، وهذا الحصر مؤول لقوله - تعالى -:

(٥) جاء في برول الآيات (٣١): أخرجه البخاري عن جندب بن سفيان قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يبق ليدين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد  
 تركك؛ لم أره قريبا منذ ليلتين أو ثلاثاً، فأقول الله ﷻ: ﴿وَالضُّحَى﴾ و﴿اللَّيْلَ إِذَا سَجَى﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة الضحى (٩٣) باب (١) كيف  
 نزل الوحي وأول ما نزل.

(١) النساء: ٤٨.

(٢) في الآية إنبات صفة الوجه لله ﷻ، وسبق الإشارة إلى كلام ابن القيم في الرد على من قال: إن لفظ الوجه مجاز، وبيان بطلان هذا القول. وقال ابن كثير في تفسير الآية: أي طمأن في أن يحصل  
 له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات.

(٣) أخرجه نحوه الواحد في أسباب النزول ص (٣٩٢) عن ابن عباس، وأخرجه نحوه أيضاً الآجري في الشريعة (٣/ ٥٤ رقم ١٣٥١)، وإسناده ضعيف لا يقطع عنه في الاستيعاب (٥١٨/٣)،  
 ٥١٩. وفي الطبري (١٤٦/٣٠)، والطبراني في الكبير (٣/ ٢٠) عن عبد الله بن الربيع رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق عليه السلام. دون ذكر قصة بلال وإعناقه له، ولا  
 قول الكفار عن ذلك. وقال البيهقي في المجمع (١٣٨/٧): فروه البرار، وفيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وشيخ البزار لم يسمعه. وأخرجه الحاكم (٥٢٥/٢) وصححه  
 على شرط مسلم ووافقه الذهبي فهو حسن بمجموع طرقه؛ وانظر الاستيعاب (٥١٧/٣).

(٤) قال الشيخ ابن باز رحمه الله في مجموع فتاوى ومقالات الجزء الأول عندما سئل: هل ثبت التكبير من سورة الضحى إلى آخر القرآن؟ قال: لم يثبت ذلك عن النبي ﷺ كما صرح بذلك الحافظ ابن  
 كثير رحمه الله في أول تفسير سورة الضحى، ولكن ذلك عادة جرى عليها بعض القراء لحديث ضعيف ورد في ذلك، فالأولى ترك ذلك لأن العبادات لا تثبت بالأحاديث الضعيفة والله الموفق.  
 (٥) أخرجه الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طريق أبي الحسن البرقي المقرئ عن أبي بن كعب مرفوعاً [الدر المنثور (٦٠٨/٦)]، ورواه الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال (١/ ١٤٥)  
 (١٤٥) ثم قال: (هذا حديث غريب، وهو مما أنكر على البرقي، قال أبو حاتم: منكره)، وانظر أول تفسير سورة الضحى لابن كثير حيث ذكر عن الشافعي ما يدل على تصحيحه لهذا الحديث.

(٦) متفق عليه من حديث جندب بن سفيان رضي الله عنه؛ البخاري (٤٩٥٠)، ومسلم (١٧٩٧).

(٧) لم أجد بهذا اللفظ، وأخرج البيهقي في شعبه عن ابن عباس قال: رضاه أن يدخل أمة كلهم الجنة. شعب الإيمان (١٦٤/٢). وقال ابن القيم في الجواب الكافي ص (٢١) في معرض الرد على  
 من يحتج ويتكلم مثل ذلك؛ قال: «وهمهم من يعتر بهم فاسد، فهمه هو وأضرابه من نصوص القرآن والسنة؛ فأتكلوا عليه؛ كاتكلوا بعضهم على قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾  
 قالوا: وهو لا يرضى أن يكون في النار أحد من أمة، وهذا من أفبح الجهل، وأبين الكذب عليه؛ فإنه يرضى بما يرضى به ربه ﷻ، والله تعالى يرضيه تعذيب الظلمة والفسقة والخونة والمسرئين =

عَالِيًّا ۞ فَقِيرًا ۞ فَأَعْنَى ۞ أَغْنَاكَ بِمَا قَعَمَكَ بِهِ مِنَ الْغَنِيمَةِ وَغَيْرِهَا، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَيْسَ الْغَنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنْ الْغَنَى غِنَى النَّفْسِ» (١). [٩] ۞ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۞ بِأَخْذِ مَالِهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. [١٠] ۞ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۞ تَزْجِرُهُ لِفَقْرِهِ. [١١] ۞ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ ۞ عَلَيْكَ بِالْبُيُوتِ وَغَيْرِهِ ۞ فَحَدِّثْ ۞ أَخْبِرْ، وَحَدَفَ ضَمِيرُهُ ﷺ فِي بَعْضِ الْأَعْمَالِ رِعايةً لِلْفَوَاضِلِ.

### سُورَةُ الشُّرَحِ

[مكية، ثمان آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ۞ أَلَمْ نَشْرَحْ ۞ اسْتَفْهَامَ تَقْرِيرِ؛ أَي: شَرَحْنَا ۞ لَكَ ۞ يَا مُحَمَّد ۞ صَدْرَكَ ۞ بِالْبُيُوتِ وَغَيْرِهَا. [٢] ۞ وَوَضَعْنَا ۞ حِطْطُنَا ۞ عَنكَ ۞ وَزَرَكْ. [٣] ۞ أَلَيْسَ الْأَمْسَ ۞ أَثْقَلَ ۞ ظَهْرَكَ ۞ وَهَذَا كَقَوْلِهِ - تَعَالَى -: «يَغْفِرُ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ» (٢). [٤] ۞ وَوَضَعْنَا لَكَ ۞ وَزَكَّ ۞ بَانَ تَذَكُّرٌ مَعَ ذِكْرِي، فِي الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، وَالشَّهَادَةِ وَالْحُطْبَةِ، وَغَيْرِهَا. [٥] ۞ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ ۞ الشَّدَّةَ ۞ يُسْرًا ۞ سَهْلَةً. [٦] ۞ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۞ وَالْبَيْتُ ﷺ قَاسَى مِنَ الْكُفَّارِ شَدَّةً، ثُمَّ حَصَلَ لَهُ الْيُسْرُ بِصُرْهِ عَلَيْهِمْ. [٧] ۞ فَإِذَا فَرَغْتَ ۞ مِنَ الصَّلَاةِ ۞ فَانصَبْ ۞ اتَّعَبَ فِي الدَّعَاءِ. [٨] ۞ وَلِلَّهِ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۞ تَضَرَّعْ.

### سُورَةُ التَّيْنِ

[مكية، أو: مدنية، ثمان آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ۞ وَالَّتَيْنِ ۞ وَالزَّيْتُونِ ۞؛ أَي: الْمَأْكُولِينَ، أَوْ: جَبَلَيْنِ بِالشَّامِ، يُبْنِيَانِ الْمَأْكُولِينَ. [٢] ۞ وَطُورِ سِينِينَ ۞ الْجَبَلِ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَيْهِ مُوسَى، وَمَعْنَى: «سِينِينَ»: الْمُبَارَكِ، أَوْ: الْحَسَنِ بِالشَّجَارِ الْمُشْمَرَةِ. [٣] ۞ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۞ مَكَّةُ؛ لِأَمْنِ النَّاسِ فِيهَا جَاهِلِيَّةً وَإِسْلَامًا. [٤] ۞ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ۞ الْجِنْسَ ۞ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۞ تَعْدِيلٍ لَصُورَتِهِ. [٥] ۞ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ ۞ فِي بَعْضِ أَفْرَادِهِ ۞ أَسْفَلَ سَفَلِينَ ۞ كَنَاءَةً عَنِ الْهَرَمِ وَالضَّعْفِ، فَيَنْقُصُ عَمَلُ الْمُؤْمِنِ عَنْ زَمَنِ الشَّبَابِ وَيَكُونُ لَهُ أَجْرُهُ؛ لِقَوْلِهِ - تَعَالَى -: [٦] ۞ إِلَّا ۞ لَكِنَّ الْآلِينَ ۞ أَمَلُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۞ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۞ مَقْطُوعٌ، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا بَلَغَ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكِبَرِ مَا يُعْجِزُهُ عَنِ الْعَمَلِ، كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يُعْمَلُ» (٣). [٧] ۞ فَمَا يَكْذِبُكَ ۞ أَيُّهَا الْكَافِرُ ۞ بَعْدَ مَا ذُكِرَ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، ثُمَّ رُدَّ إِلَى أَرْضِ الْعَمْرِ، الدَّالُّ عَلَى الْقُدْرَةِ عَلَى الْبَيْعِ ۞ بِالذَّيْلِ ۞ بِالْجِزَاءِ الْمَسْبُوقِ بِالْبَيْعِ وَالْحَسَابِ؛ أَي: مَا يَجْعَلُكَ مَكْذُوبًا بِذَلِكَ، وَلَا جَاعِلٌ لَهُ! [٨] ۞ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ ۞ لِحَاكِمِينَ ۞ أَي: هُوَ أَفْضَى الْقَاضِينَ، وَحَكَمَهُ بِالْجِزَاءِ مِنْ ذَلِكَ، وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ قَرَأَ وَالتَّيْنِ إِلَى آخِرِهَا فَلْيَقُلْ: بَلَى وَأَنَا عَلَى

الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۞ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۞ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۞ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۞ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۞ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۞

### سُورَةُ التَّيْنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّتَيْنِ ۞ وَالزَّيْتُونِ ۞ وَطُورِ سِينِينَ ۞ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۞ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۞ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَفَلِينَ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۞ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۞ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ۞ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ ۞ لِحَاكِمِينَ ۞

### سُورَةُ الْعَنَّاكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ ۞ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۞ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْعَىٰ ۞ أَن رَّاهُ اسْتَعْصَىٰ ۞ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۞ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۞ عَبْدًا ۞ إِذَا صَلَّىٰ ۞ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۞ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۞

ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ» (٤).

### سُورَةُ الْحَاقِقَةِ

[مكية، تسع عشرة آية. صدرها إلى: «مَا لَمْ يَنْهَ» أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَذَلِكَ بَغَارُ حَرَاءٍ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٠).]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ۞ اقْرَأْ ۞ أَوْجَدَ الْقِرَاءَةَ، مَبْدَأًا ۞ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ الْخَلَائِقَ. [٢] ۞ خَلَقَ ۞ الْإِنْسَانَ ۞ الْجِنْسَ ۞ مِنْ عَلَقٍ ۞ جَمْعُ عِلْقَةٍ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ الْمُسِيرَةُ مِنَ الدَّمِ الْغَلِيظِ. [٣] ۞ اقْرَأْ ۞ تَأْكِيدٌ لِلأَوَّلِ ۞ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي لَا يُوَاظِبُهُ كَرِيمٌ، حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي «اقْرَأْ». [٤] ۞ الَّذِي عَلَّمَ ۞ الْخَطَّ ۞ بِالْقَلَمِ ۞ وَأَوَّلُ مِنْ خَطِّهِ بِهِ إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١). [٥] ۞ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ ۞ الْجِنْسَ ۞ مَا لَمْ يَنْهَ ۞ قَبْلَ تَعْلِيمِهِ، مِنَ الْهُدَى وَالْكِتَابَةِ وَالصَّنَاعَةِ وَغَيْرِهَا. [٦] ۞ كَلَّا ۞ حَقًّا ۞ إِنَّ الْإِنْسَانَ

(ه) فائدة: أخرج البخاري عن يحيى بن أبي كبير قال: سألت أبا سلمة: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: «يَا أَيُّهَا النَّذِيرُ». فقلت: أنبت أنه «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ»؛ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أول؟ فقال: «يَا أَيُّهَا النَّذِيرُ». فقلت: أنبت أنه «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ»؛ فقال: لا أحرك إلا بما قال رسول الله ﷺ. سبق تحريجه والتعليق عليه في أول سورة المدثر.

- على الكبا، فحاشا رسول له أن يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى. (١) أخرجه البخاري (٦٤٤٦) ومسلم (١٠٥١) عن أبي هريرة مرفوعا. (٢) الفتح: ٢. (٣) أخرجه الطبري عن إبراهيم بن موله (٥١١/٢٤)، وأخرج البخاري (٢٩٩٦) عن أبي موسى الأشعري مرفوعا: «إذا مرض العبد أو سافر، كُتِبَ له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا». (٤) أخرجه الترمذي (٣٣٤٧) وأبو داود (٨٨٧) وأحمد (٧٣٤٤) عن أبي هريرة مرفوعا، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٨٤). (٥) البخاري (٤٩٥٣). (٦) قاله الضحاك. وقيل: بل آدم عليه السلام.

يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَرَى مَا صَدَرَ مِنْهُ أَي: يعلمه<sup>(٣)</sup> فيجازيه عليه أَي: اعجب منه يا مخاطب؛ مِنْ حيث نهيهِ عن الصلاة، ومن حيث إن المنهي على الهدى أمر بالتقوى، ومن حيث إن الناهي مكذب متولٍ عن الإيمان. [١٥] ﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَيْنَ﴾ لام قسم ﴿لَوْ بَنَتْ﴾ عما هو عليه من الكفر ﴿وَلَنَسْفَعًا﴾ بالناسفة لنجس بناصيته إلى النار. [١٦] ﴿نَاصِيَةٍ﴾ بدل نكرة من معرفة ﴿كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ وضمها بذلك مجاز، والمراد صاحبها. [١٧] ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أَي: أهل ناديه، وهو المجلس يُتَنَادَى، يتحدث فيه القوم، وكان قال للنبي ﷺ لما انتهره حيث نهاه عن الصلاة: لقد علمت ما بها رجل أكثر نادياً مني؛ لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خيلاً مجرداً ورجالاً مُرَدًا. [١٨] ﴿سَنَنْتُكَ الزَّيْنَةَ﴾ الملائكة الغلاظ الشداد لإهلاكه، كما في الحديث: «لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عياناً»<sup>(٤)</sup>. [١٩] ﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَا تَطْلُعُ﴾ يا محمد في ترك الصلاة ﴿وَأَسْجُدْ﴾ صل لله ﴿وَاقْتَرِبْ﴾ منه بطاعته<sup>(٥)</sup>.

## سُورَةُ الْقَدَرِ

[مكية، أو: مدنية، خمس، أو: ست آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أَي: القرآن، جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أَي: الشرف العظيم. [٢] ﴿وَمَا أَذْرَقْكَ﴾ أعلمك يا محمد ﴿مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ تعظيم لشأنها، وتعجب منه. [٣] ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ليس فيها ليلة القدر، فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليست فيها. [٤] ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ الْكَلِمَةَ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل ﴿وَالرُّوحُ﴾ أَي: جبريل ﴿ذِيهَا﴾ في الليلة ﴿يَاذِنْ رَبِّهِمْ﴾ بأمره ﴿وَمَنْ كُلِّي آمَرَ﴾ قضاه الله فيها، لتلك السنة إلى قابل، و«مِنْ» سببية بمعنى الباء. [٥] ﴿سَلَّمَ مِنْ حَيْثُ خَبِرَ مُقَدِّمٌ وَمُبْتَدَأٌ﴾<sup>(٦)</sup> ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ بفتح اللام وكسرها<sup>(٧)</sup>، إلى وقت طلوعه، جعلت سلاماً لكثرة السلام فيها من الملائكة، لا تشعروا بمؤمن ولا بمؤمنة إلا سلمت عليه.

## سُورَةُ الْبَيِّنَةِ

[مكية، أو: مدنية، تسع آيات]\*\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا يَكْفُرُ الْإِسْلَامُ عَنْ يَوْمٍ أَوَّلِهِ إِلَى يَوْمِ آخِرِهِ﴾<sup>(١)</sup> لليونان ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ أَي:

أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٨﴾ كَلَّا لَنْ تَرْضَاهُ لَنْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٩﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿٢٠﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿٢١﴾ سَنَنْتُكَ الزَّيْنَةَ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَا تَطْلُعُ وَلَا تُسْجُدُ وَاقْتَرِبْ ﴿٢٣﴾

## سُورَةُ الْقَدَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَذْرَقْكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ الْكَلِمَةَ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ مِنْ حَيْثُ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

## سُورَةُ الْبَيِّنَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَكْفُرُ الْإِسْلَامُ عَنْ يَوْمٍ أَوَّلِهِ إِلَى يَوْمِ آخِرِهِ ﴿١﴾ وَأَهْلَ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٢﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٣﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٤﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أَلْبَيِّنَةُ ﴿٥﴾ وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِيعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾

يَتْلُو ﴿٧﴾ ﴿أَنْ رَأَاهُ﴾ أَي: نفسه ﴿اشْتَقَى﴾ بالمال، نزل في أبي جهل، ورأى عليه<sup>(١)</sup>، و«اشتقنى»: مفعول ثان، و«أن رآه» مفعول له. [٨] ﴿إِنْ يَكُ رَيْكَ﴾ يا إنسان ﴿الْجَنَّةِ﴾ أَي: الرجوع، تخويف له فيجازي الطاعني بما يستحقه. [٩] ﴿أَرَأَيْتَ﴾ في مواضعها الثلاثة للتعجب ﴿الَّذِي يَتَّبِعُ﴾ هو أبو جهل. [١٠] ﴿عَبْدًا﴾ هو النبي ﷺ ﴿إِذَا سَأَلَ﴾ [١١] ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ﴾ المنهي ﴿عَنِ الْمُنَافِقَةِ﴾ [١٢] ﴿أَوْ﴾ للتقسيم<sup>(٢)</sup> ﴿أَمَرَ بِالْفَقْرِ﴾. [١٣] ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ﴾ أي: الناهي النبي ﷺ ﴿عَنِ الْإِيمَانِ﴾ [١٤] ﴿أَرَأَيْتَ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١٩، ٦): أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقبل: نعم. فقال: واللوات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب. قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته. قال: فما فجهم منه إلا وهو ينكسر على عقبه ويثني يديه. قال: فقبل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهو لا وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لأخطفه للملائكة عضواً عضواً» قال: فأمر الله ﷻ لا يدري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه: ﴿كَلَّا إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَسْفَعٌ﴾ إلى قوله: ﴿كَلَّا لَا تَطْلُعُ﴾ زاد عبد الله في حديثه قال: وأمره بما أمره به. وزاد ابن عبد الأعلى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ يعني قومه. وأخرج أحمد عن ابن عباس قال: جاء أبو جهل إلى النبي ﷺ وهو يصلي فنهاه، فنهده النبي ﷺ فقال: أتهدني، أما والله إني لأكثر أهل الوادي نادياً. فأمر الله ﷻ ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَتَّبِعُ﴾ عبداً إِذَا سَأَلَ ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْمُنَافِقَةِ﴾ ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾. قال ابن عباس: والذي نفسي بيده، لو دعا ناديه لأخذته الزبانية. أحمد - المسند (١/ ٣٢٩). وأخرجه الترمذي، وفيه: «فأمر الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ﴿سَنَنْتُكَ الزَّيْنَةَ﴾» كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٨٥) سورة اقرأ باسم ربك. (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٦٦٨). (٥٥) فائدة: أخرج أحمد عن أبي حبة البصري قال: لما نزلت: ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾، قال جبريل عليه السلام: يا محمد، إن ربك يأمر أن تقرأ هذه السورة أي بن كعب، فقال النبي ﷺ: «يا أي، إن ربي ﷻ أمرني أن أقرأك هذه السورة فبكي وقال: ذكرت ثمة؟ قال: فنعيم. أحمد - المسند (٣/ ٤٨٩)، وصححه الأرنؤوط في تخريجها على المسند (٣٨١/٢٥) رقم (١٦٠٠٠).

(٢) قال الصاوي في حاشيته: «الأولى أن يقول: بمعنى الواو». فهو ﷺ على الهدى وأمر بالتقوى.

(٣) العلم غير الرؤية إن كان من لوازمها، وسبق التنبيه على ذلك مراعاة. (٤) أخرج نحوه الترمذي (٢٣٤٩) وأحمد (٢٣١٧) موقوفاً، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٥٥٧).

(٥) أي: مبتدأ مؤخر.

(٦) بالكسر قراءة الكسائي.



إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۖ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۖ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ ۝

## سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۖ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۖ يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۚ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۚ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۚ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۚ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۚ

## سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۖ فَالْمُورِيكَ قَدْحًا ۖ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۖ فَأَنْزَلَ بِهِ نَفْعًا ۖ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝

## سُورَةُ الْجَلَالِينِ

[مكية، أو: مدنية، إحدى عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْعَادِيَّاتِ﴾ الخيل تعدو في الغزو، وتضبح ﴿ضَبْحًا﴾ هو صوت أحوافها إذا عذت. [٢] ﴿وَالْمُورِيَّاتِ﴾ الخيل، توري النار ﴿قَدْحًا﴾ بحوافرها؛ إذا سارت في الأرض ذات الحجارة بالليل. [٣] ﴿وَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ الخيل، تغير على العدو وقت الصبح، بإغارة أصحابها. [٤] ﴿فَأَنْزَلَ﴾ هَيَّجَنَ ﴿يَدَ﴾ بمكان عذوهر، أو: بذلك الوقت ﴿نَفْعًا﴾ غبارًا، بشدة حركتهن. [٥] ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ﴾ بالنقع ﴿جَمْعًا﴾ من الغدو؛ أي: صرن وسطه، وغطف الفعل على الاسم؛ لأنه في تأويل الفعل؛ أي: واللاتي عذون فأورين فأغزون. [٦] ﴿وَالْإِنْسَانِ﴾ الكافر ﴿رَبِّهِ﴾ لَكُونُوا ﴿لِكُفْرِهِ﴾ ليحضره؛ يمجده نعمته - تعالى.. [٧] ﴿وَأَنْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ﴾ أي: كنوده ﴿لَتَنْبَهُنَّ﴾ يشهد على نفسه بصنعه. [٨] ﴿وَأَنْتُمْ لِحَبِّ الْخَيْرِ﴾ أي: المال ﴿لَتَسْتَبِهُنَّ﴾ الحب له، فيسبل به. [٩] ﴿فَلَا يَعْلَمُ إِلَّا بَغْزٍ﴾ أثير وأخرج ﴿مَا فِي الْأَفْئُورِ﴾ من الموتى؛ أي:

عَبْدَةُ الْأَصْنَامِ، عطف على «أهل» ﴿مُنْفَكِينَ﴾ خبر «يكن»؛ أي: زائلين عما هم عليه ﴿حَقٌّ تَأْيِيدُهُمْ﴾ أي: أنهم ﴿أَلْبِينُهُ﴾ أي: الحجة الواضحة، وهي محمد ﷺ. [٢] ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ﴾ بدل من «الينة»، وهو النبي ﷺ ﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ من الباطل. [٣] ﴿وَبِهَا كُتِبَ﴾ أحكام مكتوبة ﴿قِيمَةً﴾ مستقيمة؛ أي: يتلو مضمون ذلك، وهو القرآن، فمنهم من آمن به، ومنهم من كفر. [٤] ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ في الإيمان به ﷺ ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ أي: هو ﷺ، أو: القرآن الجائي به معجزة له، وقبل مجيئه ﷺ كانوا مجتمعين على الإيمان به إذا جاءه، فحسده من كفر به منهم. [٥] ﴿وَمَا أَسْرَوْا﴾ في كتابهم التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيُعَذِّبُوا اللَّهَ﴾ أي: أن يعبدوه، فحذفت «أن» وزيدت اللام ﴿وَلِيُزَيِّدَ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ من الشرك ﴿حُفَاءً﴾ مستقيمين على دين إبراهيم، ودين محمد إذا جاءه، فكيف كفروا به! ﴿وَيُتِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ ذَلِكَ دِينُ ﴿اللَّهُ﴾ الْقِيَمَةُ المستقيمة. [٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة؛ أي: مقدرا خلودهم فيها من الله - تعالى - ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾. [٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ الخليفة. [٨] ﴿جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ﴾ إقامة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته <sup>(١)</sup> ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ﴾ خاف عقابه فانتهى عن معصيته - تعالى.

## سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

[مكية، أو: مدنية، تسع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ حُرُوت لقيام الساعة ﴿زِلْزَالَهَا﴾ تحريكها الشديد المناسب لعظمتها. [٢] ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ كنوزها وموتاهها، فألقتها على ظهرها. [٢] ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ﴾ الكافر بالبعث: ﴿مَا لَهَا﴾ إنكارًا لتلك الحالة. [٤] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من «إذا»، وجوابها: ﴿تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ تخبر بما عمل عليها من خير وشر. [٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ سبب أن ﴿رَبِّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: أمرها بذلك، وفي الحديث: «تشهد على كل عبد أو أمة بكل ما عمل على ظهرها» <sup>(١)</sup>. [٦] ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ ينصرفون من موقف الحساب ﴿أَشْتَاتًا﴾ متفرقين؛ فأخذ ذات اليمين إلى الجنة، وأخذ ذات الشمال إلى النار ﴿يُسْرَوُا أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: جزاءها؛ من الجنة أو النار. [٧] ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ رتبة نعمة صغيرة ﴿خَيْرًا يَرَهُ﴾ ير ثوابه. [٨] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ير جزاءه <sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) فائدة: سمي الرسول ﷺ هذه الآية: «الجامعة الفأدة» كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما أنزل علي فيها إلا هذه الآية الجامعة الفأدة: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ». ومعنى «الفأدة»: الوحيدة الفريدة في أحكامها. البخاري (٢٣٧١)، ومسلم (٩٨٧).

(٢) إن كان مراد المفسر أن أرضا حصل لهم بسبب طاعتهم لله - سبحانه - فهذا حق، وإن كان يقصد تفسير الرضا بالتوفيق إلى الطاعة فيكون من تأويل صفة الرضا لله - سبحانه - بعض لوزمها، ومذهب السلف إلباتها لله - سبحانه - على الوجه اللائق به - سبحانه -.. (٢) أخرجه الترمذي (٣٣٥٣) وأحمد (٨٦٥٠) عن أبي هريرة مرفوعًا، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٨٣٤).

[٣] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ زيادة تهويل لها، و«ما» الأولى مبتدأ، وما بعدها خبره، و«ما» الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لأدري». [٤] ﴿يَوْمَ﴾ ناصبه دل عليه «القارعة» أي: تقرر ﴿يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ كغوغاء الجراد المنتشر، يوح بعضهم في بعض للخيبة، إلى أن يدعوا للحساب.

[٥] ﴿وَيَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ كالصوف المندوف، في خفة سيرها حتى تستوي مع الأرض.

[٦] ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن رجحت حسناته على سيئاته ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ في الجنة؛ أي: ذات رضى؛ بأن يرضاها؛ أي: مرضية له.

[٧] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن رجحت سيئاته على حسناته.

[٨] ﴿فَأَمَّهُمْ﴾ فمسكه ﴿هَاسِيَةً﴾ [٩] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةُ﴾

أي: ما هاربة؟ هي: [١٠] ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ شديدة الحرارة، وهاء «هيه» للسكت تثبت وصلاً ووقفاً، وفي قراءة (٢) تحذف وصلاً.

### سورة التكاثر

[مكية، ثمان آيات] (\*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْهَنَّاكَ التَّكَاثُرَ﴾ شغلهم عن طاعة الله ﴿التَّكَاثُرُ﴾ التفاخر بالأموال والأولاد والرجال.

[٢] ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ بأن متم دفنتم فيها، أو: عددتم الموتى تكاثراً.

[٣] ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [٤] ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ سوء عاقبة تفاخركم، عند النزاع، ثم في القبر.

[٥] ﴿كَلَّا﴾ حقاً ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ علماً يقيناً، عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به.

[٦] ﴿لَتَرْوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ النار؛ جواب قسم محذوف، وخذف منه لام الفعل وعينه وألقيت حركتها على الراء (٣).

[٧] ﴿ثُمَّ لَتَرَوْهَا﴾ تأكيد ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ مصدر؛ لأن «رأى» و«عين» بمعنى واحد.

[٨] ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلْنَ﴾ خذف منه نون الرفع لتوالي النونات، وواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿يَوْمَ يُؤْمَزُّ﴾ يوم رؤيتها ﴿عَنِ الْوَيْسِ﴾ ما يلتذ به في الدنيا، من الصحة والفراغ والأمن والمطعم والمشرب، وغير ذلك.

\*\*\*

(١) فائدة: أخرج أحمد عن محمود بن لبيد قال: لما نزلت: ﴿الْهَنَّاكَ التَّكَاثُرَ﴾ فقرأها حتى بلغ: ﴿لَتَسْتَلْنَ يَوْمَ يُؤْمَزُّ عَنِ الْوَيْسِ﴾ قالوا: يا رسول الله، عن أي نعيم نسأل وإنما هما الأسودان: الماء والتمر، وسبوا على رقابنا والعدو حاضر، مع أي نعيم نسأل؟ قال: «إن ذلك سيكون». أحمد - المسند (٥/ ٤٢٩). وأخرجه الترمذي عن الزبير بن العوام وعن أبي هريرة، وفيه لما نزلت: ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلْنَ يَوْمَ يُؤْمَزُّ عَنِ الْوَيْسِ﴾. (حسن الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٦٧٢، ٢٦٧٣).

(٢) كلما في النسخ المطبوعة، وفي نسخة القاضي إشارة إلى الاختلاف في عدد آياتها؛ فقيل: عشر آيات، أو: إحدى عشرة آية.

(٣) وهي قراءة حمزة.

(٤) أي من: «الترون»، وأصله: «ترعون» بوزن: «تفعلون»؛ فحذفت لام الفعل وعينه؛ أي: الهزلة والباء من أصل الفعل: «رأى»، ثم أُلقيت حركة الهزلة، وهي الفتحة، على لراء قبلها، فسقطت الهزلة، وتحركت الباء وانفتح ما قبلها؛ فقلبت ألفاً؛ فالتقى ساكنان، فحذفت الألف، ثم دخلت نون التوكيد الثقيلة؛ فحذفت نون الرفع لتوالي الأفعال، وحركت الواو بالضم؛ فصارت «لرؤن».

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿١﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٢﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٣﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٤﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿٥﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿٦﴾

### سورة القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ

يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ

كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي

عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأَمَّهُ هَاسِيَةٌ ﴿٩﴾

### سورة التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْهَنَّاكَ التَّكَاثُرَ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ

كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾

لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتَسْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

بُعثوا. [١٠] ﴿وَحُصِّلَ﴾ يُبين وأفرز ﴿مَا فِي الصُّدُورِ﴾ القلوب من الكفر والإيمان. [١١] ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ لعالم؛ فيجازيهم على كفرهم، أعيد الضمير جمعاً نظراً لمعنى الإنسان، وهذه الجملة دلت على مفعول «يعلم» أي: إنا نجازيه وقت ما ذكر، وتعلق «خبير» بـ«يومئذ» وهو - تعالى - خبير دائماً؛ لأنه يوم المجازة.

### سورة القنطرة

[مكية، ثمان آيات] (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْقَارِعَةُ﴾ القيامة التي تقرر القلوب بأهوالها.

[٢] ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ تهويل لشأنها، وهما مبتدأ وخبر: خبر القارعة.

## سُورَةُ الْغَصَةِ

[مكية: أو: مدنية، ثلاث آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْعَصْرِ﴾ الدهر، أو: ما بعد الزوال إلى الغروب، أو: صلاة العصر.

[٢] ﴿إِذَا الْإِنْسَانُ﴾ الجنس ﴿لَنِي خُسْرٍ﴾ في تجارته<sup>(١)</sup>.

[٣] ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فليسوا في خسران ﴿وَوَاصُوا﴾ أوصى بعضهم بعضاً ﴿بِالْحَقِّ﴾ الإيمان ﴿وَوَاصُوا بِالصَّبْرِ﴾ على الطاعة وعن المعصية.

## سُورَةُ الْهُمَزِ

[مكية، أو: مدنية، وآياتها تسع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب، أو: واد في جهنم ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ أي: كثير الهمز واللمز؛ أي: الغيبة، نزلت فيمن كان يغتاب النبي ﷺ والمؤمنين؛ كأمية بن خلف والوليد بن المغيرة وغيرهما.

[٢] ﴿الَّذِي جَمَعَ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٢)</sup> ﴿مَا لَا وَعَدَدُ﴾ أحصاه وجعله عدّة حوادث الدهر<sup>(٣)</sup>.

[٣] ﴿يَحْسَبُ﴾ لجهله ﴿أَنَّ مَالَهُ أَخَذَ﴾ جعله خالداً لا يموت.

[٤] ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿لَيُبَدِّلَنَّهُ﴾ جواب قسم محذوف؛ أي: ليطرحن في الحطمة التي تحطم كل ما ألقى فيها.

[٥] ﴿وَمَا أَزِيدُ﴾ أعلمك ﴿مَا لُحِطَةٌ﴾.

[٦] ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ المسفرة.

[٧] ﴿الَّتِي تَطْلُعُ﴾ تشرف ﴿عَلَى الْأَفْقِدَةِ﴾ القلوب فتحرّفها، وألمها أشد من ألم غيرها للطفها.

[٨] ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ﴾ جمع الضمير رعاية معنى «كل» ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ بالهمز وبالواو بدله<sup>(٤)</sup>: مطبقة.[٩] ﴿فِي﴾ [عُثْدٍ] بضم الحرفين، وبفتحهما<sup>(٥)</sup> ﴿مُؤَمَّدَةٌ﴾ صفة لما قبله، فتكون النار داخل العقد.

## سُورَةُ الْفِيلِ

[مكية، خمس آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الَّتِي تَرَى﴾ استفهام تعجب؛ أي: اعجب ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَحَبِّ الْأَفِيلِ﴾ هو: «محمود» وأصحابه: أبرهة ملك اليمن وجيشه؛ بنى بصنعاء كنيسة؛ ليضرب إليها الحاج عن مكة؛ فأحدث رجل من كنانة فيها

(١) أي في مناجرتهم ومساعيهم وصرف أعمارهم في أمور لا تنفعهم في الآخرة. والخسران: ذهب رأس مال الإنسان، في هلاك نفسه وعمره بالمعاصي.

(٢) بالتشديد قراءة حمزة والكسائي وابن عامر.

(٣) هذا قول عكرمة. وقال غيره: المعنى: أي عدّه مرة بعد أخرى حتّى له وشقاً به. وقيل: جعله أصنافاً وأنواعاً؛ كعقار، ومناخ، ونقود.

(٤) بالواو قراءة السبعة عدا حمزة وحفص وأبي عمرو.

(٥) بالضم قراءة حمزة والكسائي وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٦) ما ذكره المفسر من أوصاف ودقائق يحتاج إلى دليل صحيح ثابت عن المعصوم ﷺ.

## سُورَةُ الْغَصَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَوَاصُوا بِالْحَقِّ وَوَاصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

## سُورَةُ الْهُمَزِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَا لَا وَعَدَدَ لَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخَذَ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُبَدِّلَنَّهُ فِي الْحُطْمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا لُحِطَةٌ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْقِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

## سُورَةُ الْفِيلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّتِي تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَحَبِّ الْأَفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَصَفِّ مَأْكُولٍ ﴿٥﴾

وَلَطَّخَ قِيَافَتَهَا بِالغُذْرَةِ احتقاراً بها؛ فحلف أبرهة ليهدم الكعبة، فجاء مكة بجيشه على أفيال اليمن مقدمها «محمود»، فحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قصه في قوله: [٢] ﴿الَّتِي تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَحَبِّ الْأَفِيلِ﴾ أي: جعل ﴿كَيْدَهُمْ﴾ في هدم الكعبة ﴿فِي تَضَلُّلٍ﴾ خسارة وهلاك. [٣] ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ جماعات جماعات؛ قيل: لا واحد له؛ كأساطير. وقيل: واحده «أبؤل»، أو: «إبأل»، أو: «أبيل»؛ كعُجُول ومفتاح وسكين. [٤] ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ طين مطبوخ. [٥] ﴿فَجَعَلَهُمْ كَصَفِّ مَأْكُولٍ﴾ كورق زرع أكلته الدواب وداسته وأفتته؛ أي: أهلكهم الله - تعالى - كل واحد بحجره المكتوب عليه اسمه، وهو أكبر من العدة، وأصغر من الحبيضة، يخرق البيضة والرجل والفيل، ويصل إلى الأرض<sup>(٦)</sup>، وكان هذا عام مولد النبي ﷺ.

## سُورَةُ الْمَاعُونِ

[مكية، أو: مدنية، أو: نصفها، ونصفها، ست، أو: سبع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّكْرِ﴾ بالجزء والحساب؛ أي: هل عرفته؟ وإن لم تعرفه [٢] ﴿فَذَلِكِ﴾ بتقدير «هو» بعد الفاء ﴿الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ أي: يدفعه بعنف عن حقه.  
[٣] ﴿وَلَا يَحْضُ﴾ نفسه ولا غيره ﴿عَلَى طَعَامِ الْيَتِيمِ﴾ أي: إطعامه، نزلت في العاصي بن وائل، أو: الوليد بن المغيرة.  
[٤] ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾. [٥] ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ غافلون، يؤخرونها عن وقتها.  
[٦] ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ في الصلاة وغيرها. ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ كالإبرة والفأس والقدر والقشعة.

## سُورَةُ الْكَوثرِ

[مكية، أو: مدنية، ثلاث آيات]\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿الْكَوثرَ﴾ هو نهر في الجنة، هو حوضه ترد عليه أمته، أو: الكوثر: الخير الكثير؛ من النبوة والقرآن والشفاعة ونحوها.  
[٢] ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ صلاة عيد النحر ﴿وَأَنْحَرْ﴾ نسكك.  
[٣] ﴿إِنَّا شَانِئَكَ﴾ أي: مبغضك ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ المنقطع عن كل خير، أو المنقطع العقب، نزلت في العاصي بن وائل<sup>(١)</sup>؛ سَمَّى النبي ﷺ أبتر عند موت ابنه القاسم.

\*\*\*

## سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ ﴿١﴾ إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ﴿٤﴾ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٥﴾

## سُورَةُ الْمَاعُونِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّكْرِ ﴿١﴾ فَذَلِكِ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

## سُورَةُ الْكَوثرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوثرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

## سُورَةُ قُرَيْشٍ

[مكية، أو: مدنية، أربع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ﴾ [٢] ﴿إِلَافِهِمْ﴾ تأكيد، وهو مصدر «آلف» بالمد. [٣] ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ﴾ إلى اليمن ﴿وَالصَّيْفِ﴾ إلى الشام في كل عام، يستعينون بالرحلتين للتجارة على المقام بمكة لخدمة البيت الذي هو فخرهم، وهم: ولد النضر بن كنانة. [٤] ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ تعلق به لـ «إيلاف»، والفاء زائدة ﴿رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ﴾. [٥] ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ أي: من أجله ﴿وَأَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ أي: من أجله، وكان يصيهم الجوع لعدم الزرع بمكة، وخافوا جيش الفيل.

\*\*\*

(٥) فائدة: أخرجه مسلم عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغشى إغشاة ثم رفع رأسه مبتسماً، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت عليّ سورة»، فقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوثرَ﴾ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ ﴿إِنَّا شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾». مسلم. كتاب الصلاة (٤) باب (١٤) حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة.

(١) أخرجه الواحدى بنحوه في أسباب النزول عن يزيد بن رومان ص (٤٠٤)، وهو مرسل. وأخرج البراز عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة، فقالت له قريش: أنت سيدهم؛ ألا ترى إلى هذا الصنوبر المنبت من قومه، يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج وأهل السداة، وأهل السقاية؟ فقال: أنتم خير منه، قال: فنزلت: ﴿إِنَّا شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾. وهو في الصحيح المسند من أسباب النزول لميل الوادعي ص (٢٣٧). والآية تعم كل من أبغض النبي ﷺ.

## سُورَةُ الْكَافُرُونَ

[مكية أو مدنية، ست آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾. [٢] ﴿لَا أَعْبُدُ فِي الْحَالِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام. [٣] ﴿وَلَا أَشْرَعُ عِبَادُونَ﴾ في الحال ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ وهو الله - تعالى - وحده. [٤] ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ في الاستقبال ﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾. [٥] ﴿وَلَا أَشْرَعُ عِبَادُونَ﴾ في الاستقبال ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ علم الله منهم أنهم لا يؤمنون، وإطلاق «ما» على الله على وجه المقابلة. [٦] ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ الإسلام، وهذا قبل أن يؤمر بالحرب، وحذف ياء الإضافة القراء السبعة وفقاً ووصلاً، وأثبتها يعقوب<sup>(١)</sup> في الحالين.

## سُورَةُ النَّازِعَاتِ

[مدنية، ثلاث آيات]\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَبَنُو إِسْرَءِيلَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ﴾. [٢] ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أي: الإسلام ﴿أَفْوَاجًا﴾ جماعات، بعدما كان يدخل فيه واحد وواحد، وذلك بعد فتح مكة، جاءه العرب من أقطار الأرض طائعين. [٣] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: متلبساً بحمده ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّمَا كَانَ نَوَابِغًا﴾ وكان ﷺ بعد نزول هذه السورة يكثر من قول: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه<sup>(٢)</sup>، وعلم بها أنه قد اقترب أجله، وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان، وتوفي ﷺ في ربيع الأول سنة عشر.

## سُورَةُ الْمَسَدِ

[مكية، خمس آيات]\*\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] لما دعا النبي ﷺ قومه وقال: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا يَذِيرُ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾<sup>(٣)</sup>. فقال عمه أبو لهب: تباً لك ألهذا دعوتنا؟<sup>(٤)</sup> نزل: ﴿تَبَّتْ﴾ خسرت ﴿يَدَايَ أَبِي لَهَبٍ﴾ أي: جملته، وعبر عنها باليدين مجازاً؛ لأن أكثر الأفعال تراول بهما، وهذه الجملة دعاء ﴿وَتَبَّتْ﴾ خسرت هو، وهذه خبر كقولهم: أهلكه الله وقد هلك. [٢] ﴿وَلَا يَخْوَفُهُ النَّبِيُّ بِالْعَذَابِ﴾ إن كان

## سُورَةُ الْكَافُرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾. [٢] ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾. [٣] ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا أَعْبُدُ﴾. [٤] ﴿وَلَا أَشْرَعُ عِبَادُونَ مَا أَعْبُدُ﴾. [٥] ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

## سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. [٢] ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾. [٣] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّمَا كَانَ نَوَابِغًا﴾.

## سُورَةُ الْمَسَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾. [٢] ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾. [٣] ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾. [٤] ﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾. [٥] ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾.

ما يقول ابن أخي حقاً؛ فإني أفندي منه بمالي وولدي، نزل: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ أي: وكسبه؛ أي: ولده، وأغنى: «بمعنى: «بغني». [٣] ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أي: تلهب وتوقد، فهي مأل تكتينه؛ للتلهب وجهه إشراقاً وحمرة. [٤] ﴿وَأَمْرَاتُهُ﴾ عطف على ضمير «يُضَلَّىٰ»، سوَّغه الفصل بالمفعول وصفته، وهي: أم جميل ﴿حَمَّالَةَ﴾ بالرفع والنصب<sup>(٥)</sup> ﴿الْحَطَبِ﴾ الشوك والشعدها، تلقفه في طريق النبي ﷺ. [٥] ﴿فِي جِيدِهَا﴾ عنقها ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ أي: ليف، وهذه الجملة حال من «حَمَّالَةَ الْحَطَبِ» الذي هو نعت لـ «أمراته»، أو: خبر مبتدأ مقدر.

(ه) فائدة: أخرج مسلم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قال لي ابن عباس: تعلم آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعها؟ قلت: نعم؛ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. قال: صدقت. مسلم. كتاب التفسير (٥٤) رقم (٢١). وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال النبي ﷺ: «أناكم أهل اليمن هم أرق قلوباً، والإيمان يان، والفقه يان، الحكمة يمانية». أحمد. المسند (٢٧٧/٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٧٧٠٩). وأخرج أيضاً عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لما نزلت هذه السورة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا» قال: قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها وقال: «الاس خير، وأنا وأصحابي خير»، وقال: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية». أحمد. المسند (٢٢/٣)، (١٨٧). وأخرج البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. إلا يقول فيها: «سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي». البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة (إذا جاء) (١١٠) باب (١).

(هه) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عِبْرَتَكَ الْأُولَىٰ﴾» صدق النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، =

(١) وهو من العشرة.

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٤) عن عائشة، وهو في البخاري (٤٩٦٧) بلفظ: «ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه إذا جاء نصر الله والفتح إلا يقول فيها: سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي».

(٣) سبأ: ٤٦. (٤) البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨).

(٥) بالرفع قراءة السبعة عدا عاصم.

## سُورَةُ الْإِنشَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝  
لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝

## سُورَةُ الْفَاتِحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَاتِحِ ۝ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِنْ شَرِّ  
غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝  
وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝

## سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَهِ  
النَّاسِ ۝ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِي  
يُوسَّوْسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝  
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝

## سُورَةُ الْإِنشَاءِ

[مكية، أو: مدنية، أربع، أو: خمس آيات] (\*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] سئل النبي ﷺ عن ربه؛ فَنَزَلَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَاَللَّهُ خَبِيرُهُ،  
و«أحد» بدل منه، أو: خير ثاب. [٢] ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ مبتدأ وخبر؛ أي:

المقصود في الحوائج على الدوام. [٣] ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ لانتهاء مجانسته ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لانتهاء الحدوث عنه. [٤] ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أي: مكافئًا ومماثلًا، والله «متعلق بـ» كفؤًا» وقُدِّم عليه؛ لأنه محط القصد بالنفي، وأخر «أحد» وهو اسم «يكن» عن خبرها؛ رعاية للفاصلة.

## سُورَةُ الْفَاتِحِ

[مكية، أو: مدنية، خمس آيات] (\*\*)

نزلت هذه السورة والتي بعدها لما سحر لبيد اليهودي النبي ﷺ في وتر به إحدى عشرة عقدة، فأعلمه الله بذلك وبمحملة<sup>(١)</sup>، فأحضر بين يديه ﷺ وأمر بالتعوذ بالسورتين؛ فكان كلما قرأ آية منها انحلت عقدة ووجد خفقة، حتى انحلت العقد كلها، وقام كأنما تُثبِط من عقال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَاتِحِ﴾ الصبح. [٢] ﴿وَمِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد كالسم وغير ذلك. [٣] ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: الليل إذا أظلم، والقمر إذا غاب. [٤] ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ﴾ السواحر تنفث ﴿فِي الْعُقَدِ﴾ التي تعقدها في الخيط، تنفخ فيها بشيء تقولونه من غير ريق، وقال الزمخشري معه<sup>(٢)</sup> كينات لبيد المذكور. [٥] ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ أظهر حسده وعمل بمقتضاه؛ كلبيد المذكور من اليهود الحاسدين للنبي ﷺ، وذكر الثلاثة الشامل لها «ما خلق» بعده؛ لشدة شرها.

## سُورَةُ النَّاسِ

[مكية، ست آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ خالقهم ومالكهم، خُصُّوا بالذكر تشريفًا لهم، ومناسبة للاستفادة من شرِّ الموشوس في صدورهم.  
[٢] ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾.  
[٣] ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ بدلان، أو: صفتان، أو: عطفًا بيان، وأظهر المضاف إليه فيهما زيادةً للبيان.

= لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «رَأَيْتُمْ كَيْفَ لَا أُخْبِرُكُمْ أَنْ خِيَلًا بِالْوَادِي تَرِيدُ أَنْ تَغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُ مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِمْ: نَعَمْ، مَا حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِلَّا صَدَقًا. قَالَ: «فَإِنِّي نَذَرْتُ لَكُمْ يَدِي عَذَابَ شَدِيدٍ»، فقال أبو لهب: تَبَا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتُمْ؟ فَنَزَلَ: ﴿تَبَّتْ يُدَا إِلَىٰ لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَالُهُمْ وَمَا كَسَبُوا ۝. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) باب (٢).

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرج الترمذي عن أبي بن كعب ؓ أن المشركين قالوا رسول الله ﷺ: انسب لنا نزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ. الترمذي، كتاب تفسير القرآن (٤٨)، باب ومن سورة الإخلاص. وأخرجه أيضًا الإمام أحمد في المسند (١٣٤/٥)، وحسن الألباني هذا الجزء من الحديث في ضعيف سنن الترمذي (٢٦٦)، وحسنه في الاستيعاب (٥٨٠/٣).

(٥٥) فائدة: أخرج الترمذي عن عقة بن عامر الجهني عن النبي ﷺ قال: قد أنزل الله عليّ آيات لم يُرَ مثلهن: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ إلى آخر السورة، وإلى آخر السورة. الترمذي - كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (١٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٨٢)، وأخرجه مسلم (٨١٤) أيضًا مختصراً. وأخرج الترمذي أيضًا عن أبي سعيد قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الحان وعين الإنسان حتى نزلت الموعودتان، فلما نزلت أخذ بهما وترك ما سواهما. الترمذي - كتاب الطب (٢٩) باب (١٦) ما جاء في الرقية بالمعوذتين. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٦٨١).

(١) جاء نحو هذا عن زيد بن أرقم؛ قال: سحر النبي ﷺ رجس من اليهود؛ قال فاشتكى؛ فأثام جبريل فنزل عليه بالمعوذتين، وقال: «إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ سَحَرَكَ، وَالسَّحَرُ فِي بَرِّ فَلَان»، فأرسل عليًّا فجاء به. قال: فأمره أن يحس العقد ويقرأ آية، فجس يقرأ ويحل حتى قام النبي ﷺ كأنما أنشط من عقال... أخرجه عبد بن حميد في مسنده (٢٤٧/١)، رقم (٢٧١)، وأخرجه بنحوه - دون ذكر النزول بالمعوذتين - النسائي في المجتبى (٤٨٠)، وأحمد في المسند (٣٦٧/٤)، وصححه في الاستيعاب (٥٨٩/٣). وقال الشيخ عبد الرزاق عفيفي في تعليقه على الجلالين ص (٣١٥): «... وإذا ثبت أن السورتين مكيّتان؛ يُعَدُّ أن يكون سحر الرسول ﷺ سبب نزولهما؛ إلا أن يقال بجواز تكرار النزول لآية. أو السورة، أو السور» اهـ.

(٢) أي: الريق؛ ففي النسخ قولان.

[٤] ﴿مِنْ شَرِّ أَلْوَسَاسٍ﴾ الشيطان، سُمي بالحدث<sup>(١)</sup> لكثرة ملاسته له ﴿الْخَنَاسِ﴾ لأنه يَخْنُسُ ويتأخر عن القلب، كلما ذُكر الله.

[٥] ﴿الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ قلوبهم، إذا غَفَلُوا عن ذكر الله.

[٦] ﴿مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ بيان للشيطان الموسوس أنه جني وإنسي؛ كقوله - تَعَالَى -: ﴿شَيطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾<sup>(٢)</sup>، أو: «من الجنة» بيان له، و«الناس» عطف على «الوسواس»، وعلى كل يشمل شَرُّ لبيد وبناته المذكورين. واعترض الأول بأن الناس لا يوسوس في صدورهم الناس؛ إنما يوسوس في صدورهم الجن، وأجيب بأن الناس يوسوسون أيضًا بمعنى يليق بهم في الظاهر، ثم تصل وسوستهم إلى القلب وتثبت فيه، بالطريق المؤدي إلى ذلك. واللَّهُ - تَعَالَى - أعلم.

[واللَّهُ أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليمًا كثيرًا، دائمًا أبدًا، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم]<sup>(٣)</sup>.



## خاتمة

(نسأل الله حسنها)

يقول مُراجعُه وجامع حواشيه

الفقير إلى عفو مولاه ورضاه وجبيل ستره وحسن لقاءه

أبو عبد الرحمن هُشَيْرُ الْحَمْدِ سَعِيدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ

كان الفراغ من مراجعة تفسير الجلالين وجمع حواشيه ليلة الجمعة غرة جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ،

وكان البدء في هذا العمل قبل قرابة عشر سنوات، واللَّهُ أسأل أن يتقبله بقبول حسن، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

\*\*\*

(١) أي: المصدر، وقوله: «لكثرة ملاسته له» أي ملازمته للوسوسة، كما تقول: زيد عدل. وما ذكره المفسر ليس بتعين؛ فإن الوسواس - كما يستعمل في المصدر - يطلق كذلك على نفس الشيطان، وعلى ما يخطر بالقلب من شر.

(٢) الأنعام: ١١٢.

(٣) ما بين المعقوفين موجود في نهاية تفسير الفاتحة، وأثبتته هنا للمناسبة. وقال في حاشية الجمل: كأن هذه العبارة من وضع تلامذة المحلي، أو من وضع السيوطي، قصد بها ختم تفسير المحلي، والإشارة إلى فراغه وانفضائه، ويبدو جدًا أنها من كلام المحلي؛ لما عرفت سابقًا أنه كان قد شرع في تفسير النصف الأول، وأنه ابتداءً بالفاتحة، وأنه اختتمته المنية بعد الفراغ منها، وقبل الشروع في البقرة وما بعدها، وإذا كان كذلك فيبعد منه أن يأتي بعبارة تشعر بالانتهاء والاختتام أثناء تفسير النصف الأول. فتأمل. وآخر هذه العبارة هو قوله: «وإليه المآب»... ثم قال: «...فعلى هذا يكون ما في هذه النسخة من قوله: وصلى الله على سيدنا محمد... إلى آخره» ليس من نسخة المحلي، وإنما هو من وضع بعض الناس، وبدل عليه ثبوته في بعض النسخ دون بعض.

## فهرس الكتاب

٢٨٥	سُورَةُ الْقَصَصِ	(ا)	تقريط فضيلة الشيخ الدكتور/ احمد عيسى المعصراوي
٣٩٦	سُورَةُ التَّكْوِيْنِ	(ج)	مقدمة الشيخ وحدي الغزاوي
٤٠٤	سُورَةُ الرُّومِ	(هـ)	مقدمة المحقق
٤١١	سُورَةُ لُقْمَانَ	(ز)	التعريف بالتفسير والمفسرين
٤١٥	سُورَةُ السَّجْدَةِ	(ح)	مكانة هذا التفسير بين العلماء وعنايتهم به
٤١٨	سُورَةُ الْأَخْرَافِ	(ي)	منهج العمل في الكتاب
٤٢٨	سُورَةُ سَبَأٍ	١	سُورَةُ الْفَاتِحَةِ
٤٣٤	سُورَةُ هَاجِرٍ	٢	سُورَةُ الْبَقَرَةِ
٤٤٠	سُورَةُ يَسٍ	٥٠٠	سورة آل عمران
٤٤٦	سُورَةُ الصَّافَّاتِ	٧٧	سُورَةُ النَّسَاءِ
٤٥٣	سُورَةُ ص	١٠٦	سورة المائدة
٤٥٨	سُورَةُ الزُّمَرِ	١٢٨	سورة الانعام
٤٦٧	سُورَةُ غَافِرٍ أَوْ الْمُؤْمِنِ	١٥١	سُورَةُ الْأَنْعَامِ
٤٧٧	سُورَةُ حَمِ السَّجْدَةِ	١٧٧	سُورَةُ الْأَنْفَالِ
٤٨٣	سُورَةُ الشُّورَى	١٨٧	سُورَةُ التَّوْبَةِ
٤٨٩	سُورَةُ الزُّخْرِفِ	٢٠٨	سُورَةُ يُوْنُسَ
٤٩٦	سُورَةُ الدُّخَانِ	٢٢١	سُورَةُ هُودٍ
٤٩٩	سُورَةُ الْجَاثِيَةِ	٢٢٥	سُورَةُ يُوسُفَ
٥٠٢	سُورَةُ الْأَعْقَابِ	٢٤٩	سُورَةُ الرَّعْدِ
٥٠٧	سُورَةُ الْيَتَالِ (مُحَمَّد)	٢٥٥	سُورَةُ إِبرَاهِيْمَ
٥١١	سُورَةُ الْفَتْحِ	٢٦٢	سُورَةُ الْحَجَرِ
٥١٥	سُورَةُ الْحَجَرَاتِ	٢٦٧	سُورَةُ النَّحْلِ
٥١٨	سُورَةُ قَ	٢٨٢	سُورَةُ الْإِسْرَاءِ
٥٢٠	سُورَةُ الدَّارِيَاتِ	٢٩٣	سُورَةُ الْكَهْفِ
٥٢٣	سُورَةُ الطُّورِ	٣٠٥	سُورَةُ مَرْيَمَ
٥٢٦	سُورَةُ النَّجْمِ	٣١٢	سُورَةُ طه
٥٢٨	سُورَةُ الْقَمَرِ	٣٢٢	سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ
٥٣١	سُورَةُ الرَّحْمَنِ	٣٣٢	سُورَةُ الْحَجِّ
٥٣٤	سُورَةُ الْوَاقِعَةِ	٣٤٢	سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ
٥٣٧	سُورَةُ الْخَبِيدِ	٣٥٠	سُورَةُ النَّوْرِ
٥٤٢	سُورَةُ الْمُجَادِلَةِ	٣٥٩	سُورَةُ الْفُرْقَانِ
٥٤٥	سُورَةُ الْحَشْرِ	٣٦٧	سُورَةُ الشُّعَرَاءِ
٥٤٩	سُورَةُ الْمُمُتَحِنَةِ	٣٧٧	سُورَةُ النَّمْلِ



٥٩٢ .	سُورَةُ الْغَاشِيَةِ	٥٥١ .	سُورَةُ الصَّفِّ
٥٩٣ .	سُورَةُ الْفَجْرِ	٥٥٣ .	سُورَةُ الْجُمُعَةِ
٥٩٤ .	سُورَةُ الْبَلَدِ	٥٥٤ .	سُورَةُ الْمُتَفِقُونَ
٥٩٥ .	سُورَةُ الشَّمْسِ	٥٥٦ .	سُورَةُ النَّازِعَاتِ
٥٩٥ .	سُورَةُ اللَّيْلِ	٥٥٨ .	سُورَةُ الطَّلَاقِ
٥٩٦ .	سُورَةُ الضُّحَى	٥٦٠ .	سُورَةُ النَّجْمِ
٥٩٧ .	سُورَةُ الشَّرْحِ	٥٦٢ .	سُورَةُ الْمُثَنِّنِ
٥٩٧ .	سُورَةُ التِّينِ	٥٦٤ .	سُورَةُ الْحَقِّ
٥٩٧ .	سُورَةُ الْعَلَقِ	٥٦٦ .	سُورَةُ الْحَاقَّةِ
٥٩٨ .	سُورَةُ الْقَمْرِ	٥٦٨ .	سُورَةُ الْمَعَارِجِ
٥٩٨ .	سُورَةُ الْبَيِّنَةِ	٥٧٠ .	سُورَةُ نُوحٍ
٥٩٩ .	سُورَةُ الزُّزُرِ	٥٧٢ .	سُورَةُ الْجِنِّ
٥٩٩ .	سُورَةُ الْغَايَاتِ	٥٧٤ .	سُورَةُ الْمُزَّمِّلِ
٦٠٠ .	سُورَةُ الْقَارِعَةِ	٥٧٥ .	سُورَةُ الْمُذَنَّبِ
٦٠٠ .	سُورَةُ التَّكْوِينِ	٥٧٧ .	سُورَةُ الْقِيَامَةِ
٦٠١ .	سُورَةُ الْقَصْرِ	٥٧٨ .	سُورَةُ الْإِنشَانِ
٦٠١ .	سُورَةُ الْهُمَزَةِ	٥٨٠ .	سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ
٦٠١ .	سُورَةُ الْفِيلِ	٥٨٢ .	سُورَةُ النَّبَاِ (النَّسَائِلِ)
٦٠٢ .	سُورَةُ هُرَيْشٍ	٥٨٢ .	سُورَةُ النَّازِعَاتِ
٦٠٢ .	سُورَةُ الْمَاعُونِ	٥٨٥ .	سُورَةُ عَبَسَ
٦٠٢ .	سُورَةُ الْكَوْثَرِ	٥٨٦ .	سُورَةُ التَّكْوِينِ
٦٠٣ .	سُورَةُ الْكَافُرُونَ	٥٨٧ .	سُورَةُ الْإِنْشِقَاطِ
٦٠٣ .	سُورَةُ النَّصْرِ	٥٨٧ .	سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ
٦٠٣ .	سُورَةُ الْمَسَدِ	٥٨٩ .	سُورَةُ الْإِنْشِقَاقِ
٦٠٤ .	سُورَةُ الْإِخْلَاصِ	٥٩٠ .	سُورَةُ الْبُرُوجِ
٦٠٤ .	سُورَةُ الْفَلَقِ	٥٩١ .	سُورَةُ الطَّارِقِ
٦٠٤ .	سُورَةُ النَّاسِ	٥٩١ .	سُورَةُ الْأَعْلَى

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

**[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)**

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com